يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦، ربيع الثاني - جمادى الاولى ١٤٠٦

المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest January 86 N° 86



(ص ٢٤)

أخطار الحمل بعد الأربعين

(ص ١٢٣)

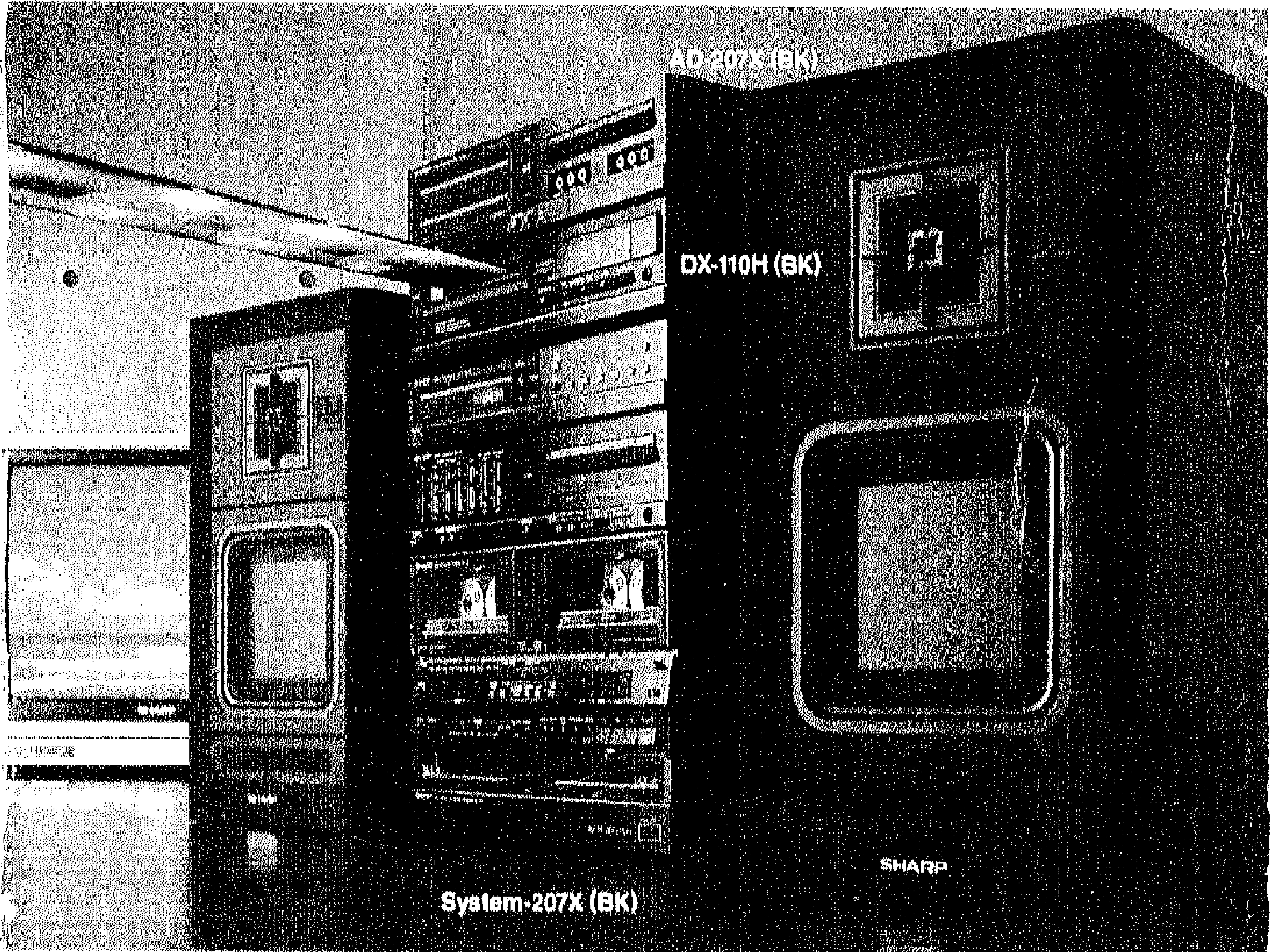
انتفاضة عالمية ضد المخدرات

(ص ٣٤)

...مان ١٠ل - سوريه ٦ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربيه المتحده ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف
...سعوديه ١٠ر - مصر ٥٠٠م - السودان ١ج - ليبيا ٧٠٠د - الجمهوريه العربيه اليمنيه ٤ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف
...نس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشماليه ٢٫٥د

كان لنا حلم

نحلم بابتكار اكثر اجهزة التسلية المنزلية شمولاً في عالم
وتيات والفيديو



جهاز شارب (BK) 207X الجديد يحقق احلامك في الاجهزة السمعية والفيديو بالدقة الصوتية الرفيعة ومشغل الاسطوانات على الجهتين الفريد والمميز بذراع ابرة يتحرك في خط مستقيم وهكذا تسمو احلامك ولكن ان جهاز الاملاء السمعي الفيديو من شارب يمكن توصيله بجهازي فيديو ومشغل اسطوانات فيديو وتلفزيون وتشكيلة واسعة من الاجهزة السمعية ان كنت لا تصدق ما نقول فصدق احلامك

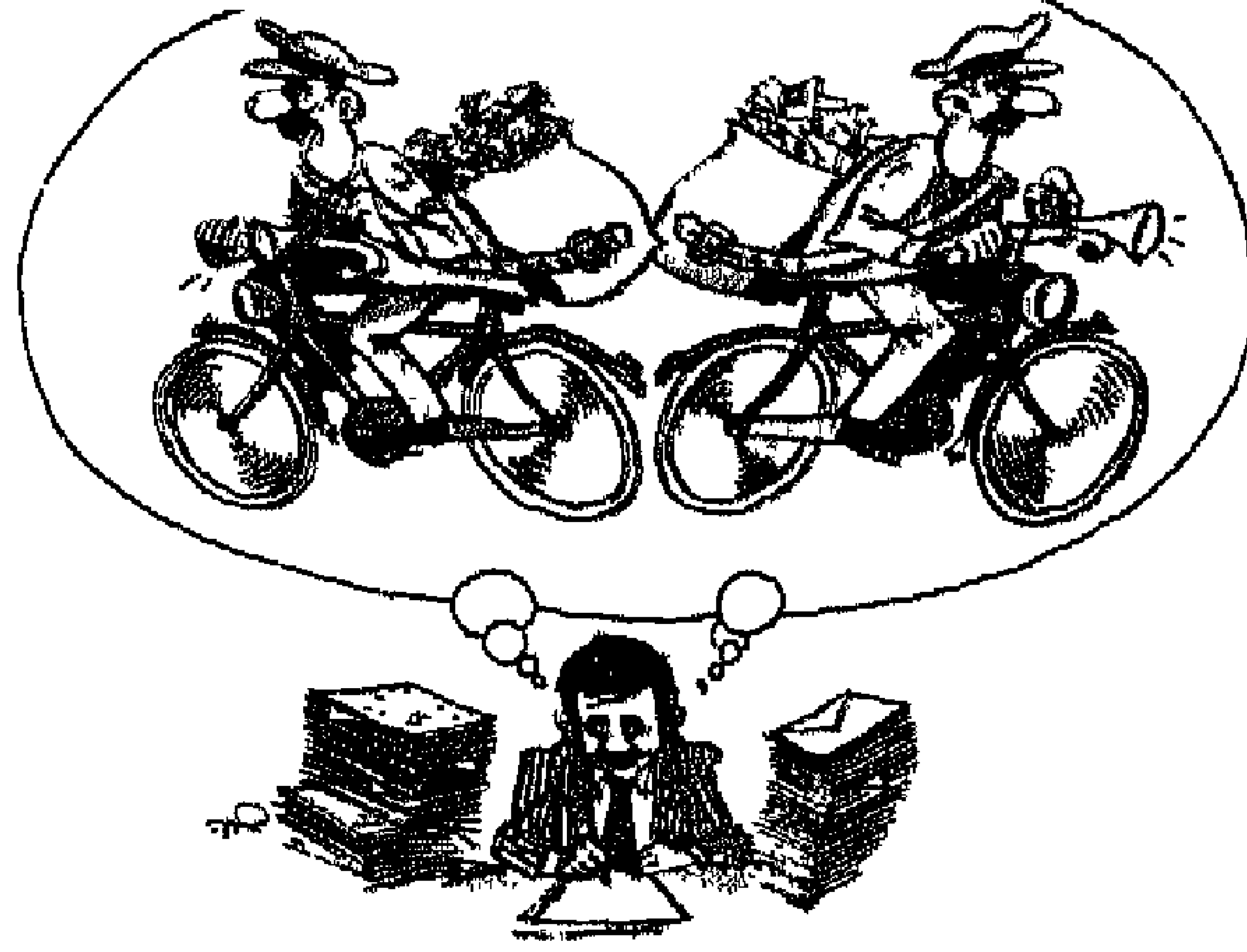
System-207X (BK) نظام قطع هاي فاي متوسط الحجم مزود بمشغل اسطوانات على الجهتين بذراع ابرة يتحرك بخط مستقيم وبلبة الكاسيت المزدوجة

DX-110H (BK) مشغل اسطوانات سمعي رقمي صغير الحجم مزود باشعة لايزر سهلة توصيله وذات صوت رقمي لضمان اداء افضل

AD-207X (BK) جهاز املاء سمعي - فيديو مع نظام توصيل لسمعة اجهزة وامكانات التسجيل المزدوج السمعي الفيديو

فليكن حلمك

شارب
SHARP
شركة شارب اليابانية



هل لديك نكتة. هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؛ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين. على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

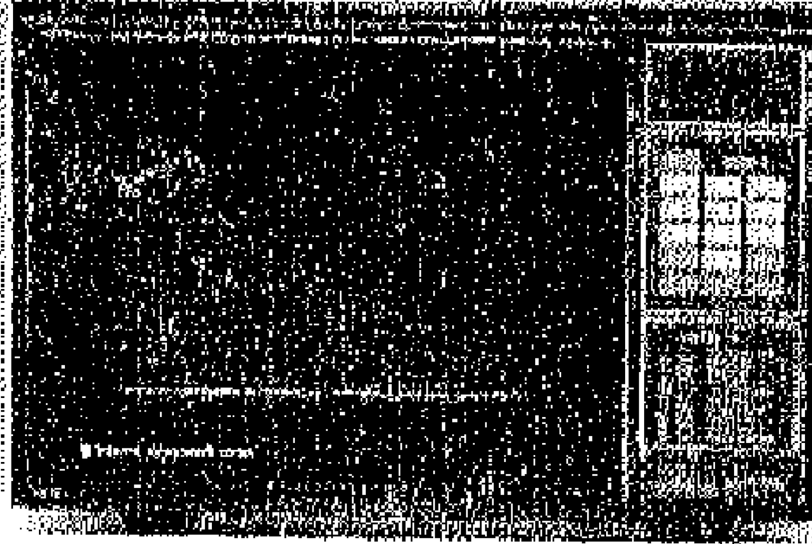
المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

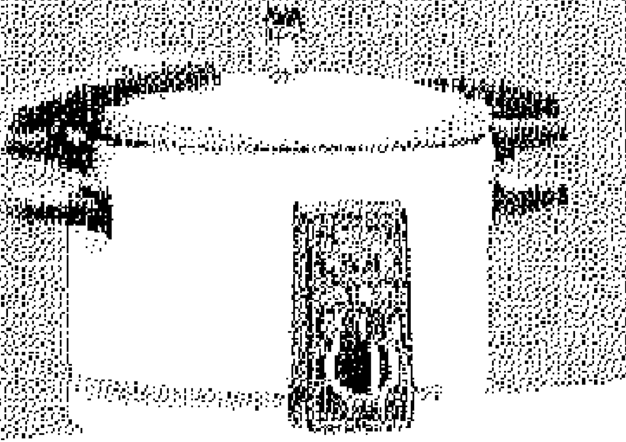


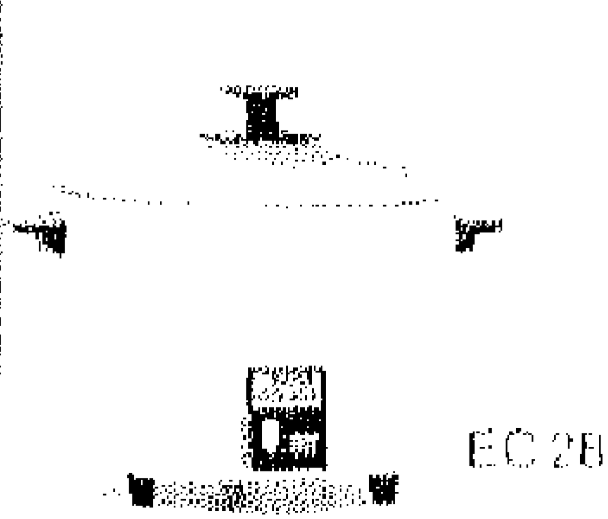
● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

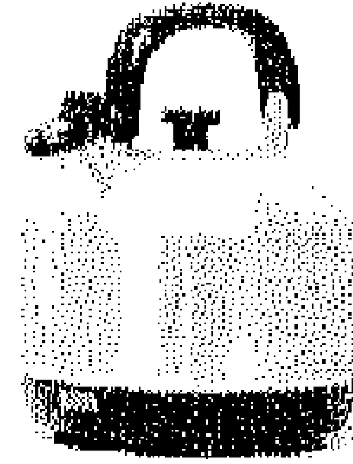
توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.

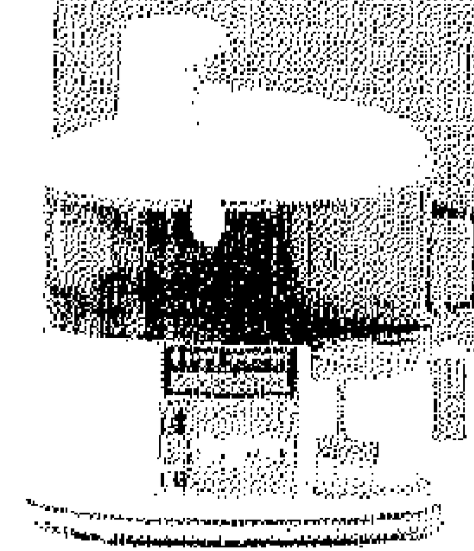
فن تجهيز الطعام


EM 2510

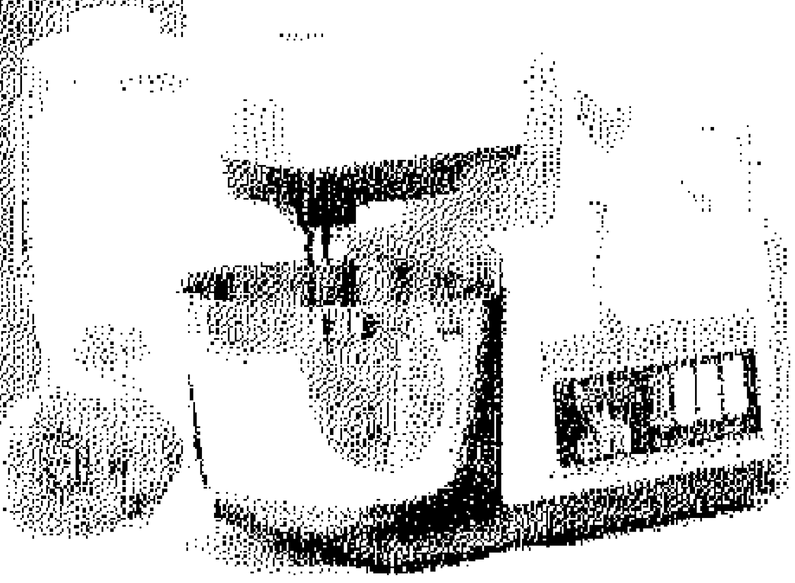

DPN 81

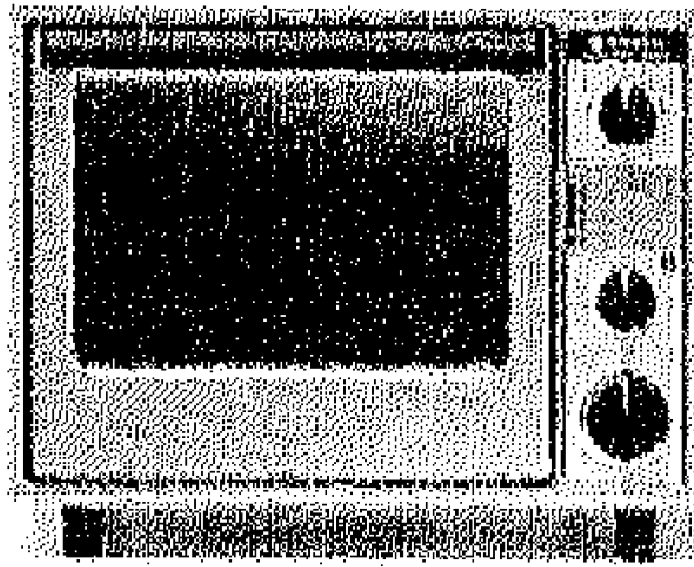

EC 28


KTL 1300


SJ 5201MBK

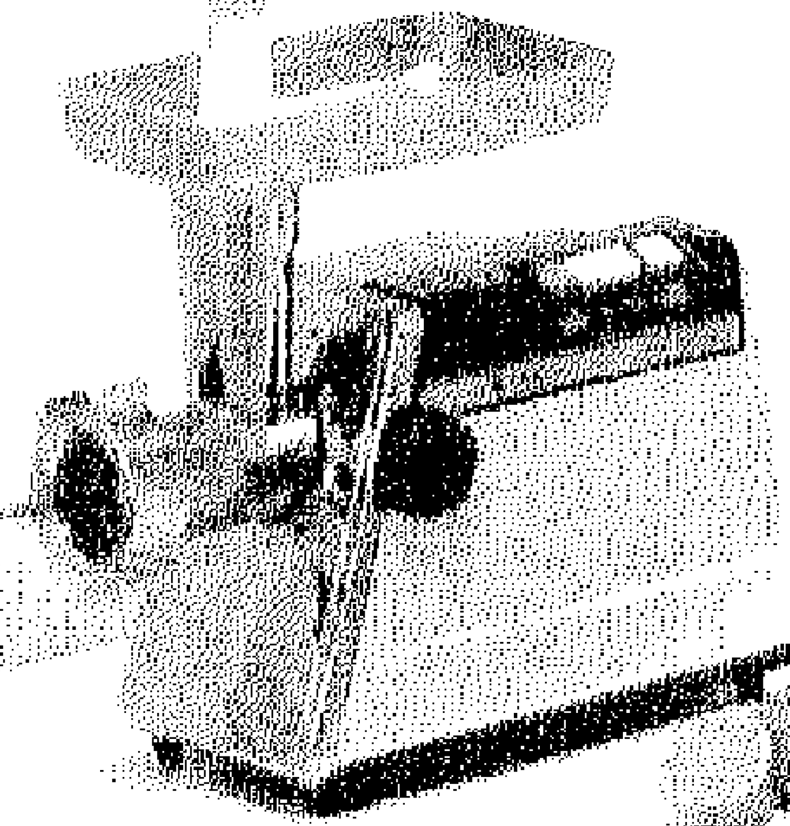
JBG500 EK-1




SK 6000E

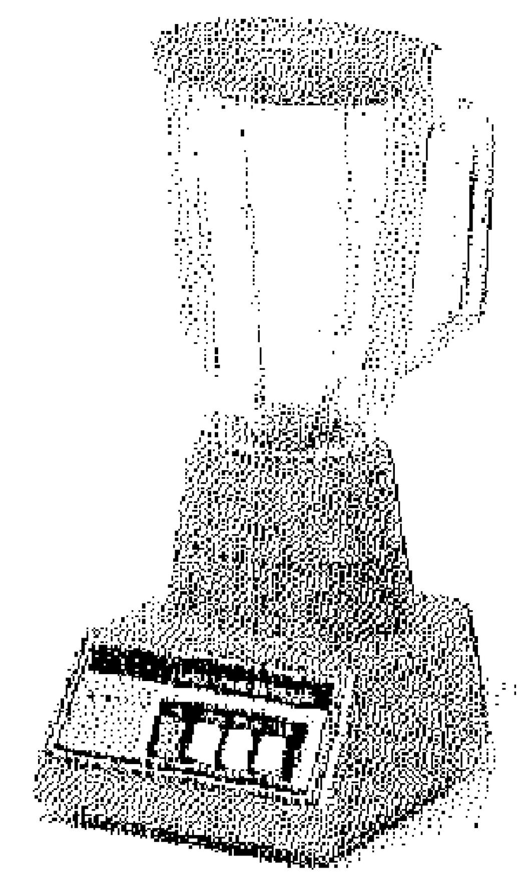
SAC 605


SCO 85K


MG 5500


SJ 50EK


SM 2300MK


SM 1610CK

سانيو تفتخر بتقديم مجموعتها الجديدة من أجهزة المطبخ الصغيرة. كل جهاز منها متقن الصّنع وصُمّم خصّيصًا لتوفير وقتك في المطبخ وجعله أكثر متعة. المأكولات المعلّبة؟ نفتحها لك. لعلّها غير جاهزة؟ نعصرها، نقطّعها، نخلطها، نطحنها أو نفرمها. أو نيّئة؟ نغليها، نخبزها، نطبخها بالضّغط أو في فرن المايكروويف. ومن ثم، نحضّر لك القهوة أيضًا! كل هذا بلمستنا الخاصّة. لأننا سانيو.

عصّارة SJ 50EK
خلاطة SM 2300MK
مصنع الطعام JBG 600EK 1
مفرمة لحم MG 5500
فرن كهربائي SK 6000E
فرن مايكروويف EM 2510
مفتاح معلبات SCO 85K

ابريق كهربائي KTL 1300
صانع القهوة SAC 605
طنجرة ضغط DPN 81
خلاطة مع مطحنة SM 1610CK
عصّارة/خلاطة SJ 5201MBK
طبّاخ EC 28





من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

الاشتراكات: فريال علاف.

التحرير والادارة. مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠

ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.

الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١-٣٤٩٤٧٧ التلكس MEM 22288 LE .

الصف والتنفيذ. المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة. المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع. الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.



Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 - 491630

P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.


MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

January 86 N° 86 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير. كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية، الى العربية

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة.

رويَ نكتة!

فكاهي بارز يقول ان رواية النكات ليست بالامر السهل، لكن ثمة قواعد سهلة لهذه الغاية

لا تزال ذكرى أول نكتة سمعتها راسخة في ذهني ولا تزال في عرفي مثالا يحتذى في فن رواية النكات. كانت أحجية رواها لي والدي.

سألني: "ما هو الشيء الذي يعلّق على الجدار وهو أخضر اللون ودبق ويصفّر؟"

عقدت حاجبيّ وأخذت أفكر وأفكر، واخيراً قلت: "لقد عييت... ما هو؟"

– انها سمكة السردين.

"سمكة السردين! لكنها لا تعلّق على الجدار."

– علّقها!

"انها ليست خضراء اللون."

– اذاً اطلها باللون الاخضر.

"وهي ليست دبقة."

– حين تطليها تصبح دبقة.

"ولكن"، وهنا جمعت في قولي كل ما



جاش في نفسي من حنق، "سمكة السردين لا تصفّر!"

– صحيح، أنا أضفت هذه الصفة لتعسير حل الأحجية.

النكتة قصة قصيرة جداً مموّهة بالدلالات البارعة والتوريات المثيرة.

ومعظم النكات يصمم لكي ينتهي بنقطة فصل مفاجئة ومثيرة تطلق عاصفة من الضحك. اعتبر بهذه المجموعة من الحيل التي يعمد اليها راوي النكتة الحاذق ليسحرك: ابتسامة، هزّة كتف، هزّة رأس، أنة مخادعة، دمدمة مهدّئة كاذبة، ثم اندفاع متسارع نحو الخاتمة. كل من هذه المظاهر يهدف الى تحريك التجاوب.

لكنك تقول انك لا تملك الموهبة التي يتميّز بها الراوي الذي فطر عليها، أي انك لا تملك ذلك الاحساس بوتيرة الرواية ولا الصفة الفطرية للايحاء الهزلي أو براعة التمويه. فماذا عليك أن تفعل؟ اتبع ثلاث قواعد سهلة:

١. تكلّم بلهجة حماسية.
٢. اتجه نحو الخاتمة من دون انحراف.
٣. أصدم سامعيك بمسك الختام.

هل أنت في حاجة الى مساعدة أخرى؟ اليك ست نصائح تعلمك كيف تهيىء النكتة التي ترويها:

١. لا تقدّم لقصتك الفكاهية بوعد مبالغ فيه أو باعتذار مبتذل مثل: "هذه النكتة ستجعلكم تستلقون على ظهوركم" أو "لا أدري ما اذا كنت أستطيع رواية هذه النكتة على النحو الصحيح." فالمبالغة في الامر والتقليل من شأنه يثيران مقاومة لدى المستمع.

٢. عرّف فقط بالاشخاص الذين سيكون لهم دور أساسي في النكتة. فاذا ذكرت أسماء معروفة دفعت المستمعين الى انتظار دور مهم لهؤلاء. واذا لم يتحقق ذلك تلاشى مغزى النكتة أو ضاع كلياً لأن الترقب الذي أثرته فيهم لم يشبع.

ولا تبدأ روايتك بذكر "الطبيب فلان" أو "اللاعب فلان" لأن مستمعيك سيتساءلون: "أي طبيب؟" و"أي لاعب؟" وهذا يصرف انتباههم عمّا ترويه.

تأمل كيف يقضى على النكتة الآتية بادخال أسماء وأشخاص لا دور لهم في نقطة الفصل النهائية:

وقف السجناء الحُول الأعين أمام القاضي الأحول. حدّق القاضي الى السجين الاول وسأله: "ما اسمك؟" فأجاب السجين الثاني: "اسمي فؤاد صادق." وصاح القاضي: "لم أكن أسألك أنت." فأجاب السجين الثالث: "لكني لم أفه بكلمة."

هذه نكتة قصيرة. وفي النكات الاطول اعتمد الاسلوب عينه بالتزام المسار الصحيح للقصة ولا تنحرف الى متاهات جانبية. وبعد أن تذكر حقيقة ما، كأن تقول ان النكتة وقعت في القطب الشمالي، سيتوقع الحاضرون أن يسمعوا منك كلاماً على أكواخ الثلج والكلاب التي تجر المزالج والاسكيمو في فرائهم وأيام الشتاء الطويلة، لكي تلاقي النكتة وقعاً صحيحاً في نفوسهم. فاذا لم يتحقق ذلك فان اصدقاءك سيصابون بخيبة، بل ربما ببعض سأم.

٣. حين تندفع في رواية نكتتك أظهر أنك تستمتع بها أنت كذلك. ابتسم واضحك وابعث البهجة حولك. لا تقطّب حاجبيك وتتكلم برصانة وان تكن تروي نكتة من جملة واحدة: "الديبلوماسي هو الرجل الذي لا ينسَى عيد ميلاد زوجته لكنه لا يتذكر عمرها أبداً." أو: "الثقيل هو الرجل الذي اذا خرجَ من الغرفة شعرت كأن شخصاً فاتناً دخلها."

٤. أبق نظرك مثبتاً في عيون سامعيك. واذا كنت تحدّث أكثر من شخص واحد، نقّل بصرك من وجه الى آخر. لا تحدّق الى السقف أو الى قفص العصفور المعلق في الزاوية، لأن ذلك يجعل سامعيك يحدّقون حيث تنظر.

٥. استعمل الافعال البسيطة مثل "قال" و"سأل" و"صاح" ولا تستعمل الافعال العويصة أو التي لا تناسب المقام، فهي تصرف انتباه سامعيك. فقولك مثلا: "وجلجل صوته صائحاً مرحباً" أو "جاء مهرولا عبر الساحة" يثير الضحك لدى سامعيك فيضيع مغزى النكتة.

٦. أهم من كل أمر آخر أن تهيىء الكلمات المناسبة والوتيرة المناسبة التي توصلك الى نقطة الفصل في النكتة، ثم أطلق الجملة الاخيرة ببراعة وثقة.

تأمل ما سبق وأنت تقرأ الطريقة المخيفة لتشويه نكتة جيدة:

اسمع. البارحة سمعت نكتة جعلت أضلاعي تتفجّر ضحكاً. ولكن أرجو أن أرويها لك على النحو الصحيح:

التقت ليلى نور صديقتها سعاد سرور، وكلتاهما مولعتان بزراعة الازهار، في شارع الحمراء، أظن على مفترق المصارف، لا بل على مفترق البريد. الخلاصة، قالت ليلى معاتبة: "يا سعاد، لم أرك منذ تلك النزهة على شاطىء البحر في مدينة الملاهي."

قالت سعاد: "لم تكن النزهة في مدينة الملاهي، الا تذكرين؟ كانت في حديقة الازهار."

قالت ليلى: "أوه... أنت على حق. لكنك سمنت كثيراً منذ ذلك الحين."

قالت سعاد: "ذلك لأني حامل."

صاحت ليلى جذلة: "حامل؟ هنيئاً لك."

قالت سعاد: "شكراً. ولكن أهم من ذلك أن الدكتورة سميرة وجدي، وهي طبيبتي، قالت لي، وأنا في الواقع آتية من عيادتها في شارع الروضة، اني سألد ثلاثة توائم."

صاحت ليلى: "أوه يا سعاد، هذا مدهش. ولكن قولي لي متى..."

سأتوقف عن متابعة سرد هذه النكتة التي هشمتها طريقة روايتها لاقصها على النحو البسيط:

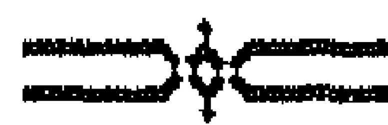
التقت سعاد وليلى في الشارع ذات يوم. قالت سعاد: "اني حامل وسأضع ثلاثة توائم."

قالت ليلى: "أوه، ذلك عظيم."

قالت سعاد: "ولكن هل تعرفين؟ أخبرتني طبيبتي ان الحمل بثلاثة توائم يحدث مرة واحدة في كل ثلاثة ملايين جماع."

صاحت سعاد: "ثلاثة ملايين؟ رحماك يا رب! وهل يبقى لديك متسع من الوقت للاهتمام بشؤون بيتك؟"

ليو روستن ■

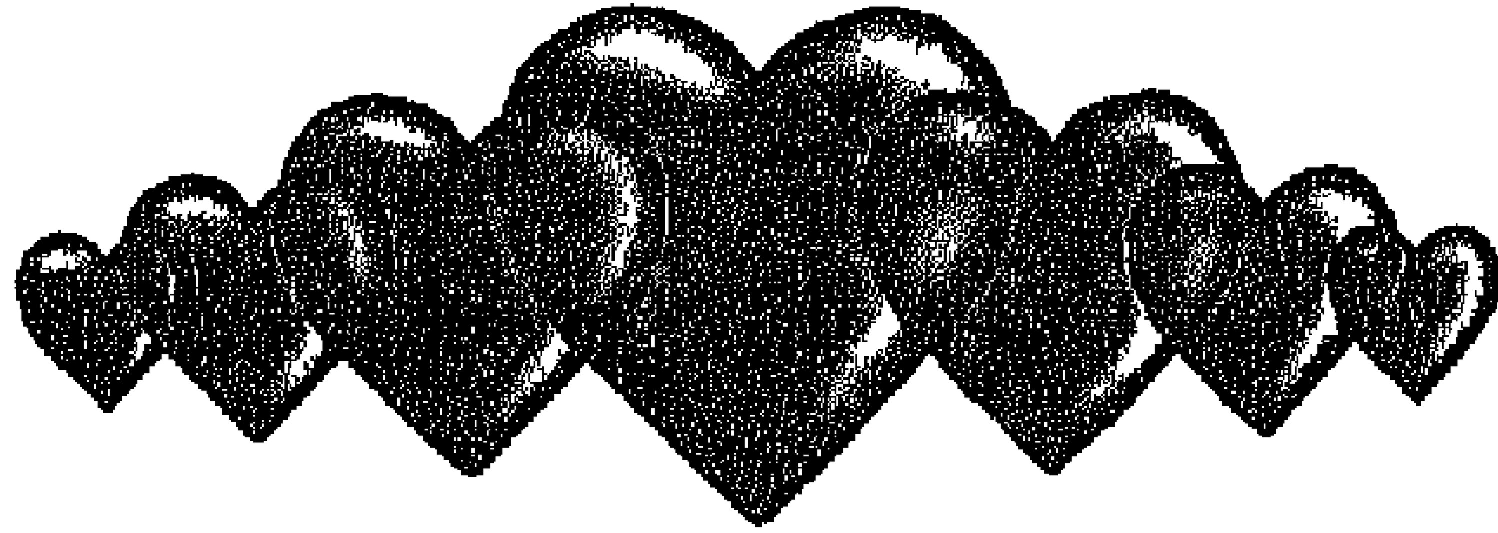


كتبت الاشارة الآتية على مدخل بلدة: "ليس لدينا عدد فائض من السكان. فالرجاء قيادة سياراتكم بروية."

ج·م·ر·

المختار
من ريدرز دايجست
يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ — السنة الثامنة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

لا شيء في الحياة أعظم من الحب



عشر نصائح من أبرز الخبراء تعلمك كيف تقيم علاقة حب حقيقية وتنمي هذه العلاقة

تكتسي علاقات الحب أهمية حيوية بالنسبة الينا جميعاً. وعلى رغم ذلك فاننا لا نوليها سوى القليل من الوقت للتفكير في الوسائل التي تؤمن نجاحها. وقبل سنوات عزمت على أن أتعلم أكثر ما يمكن عن كفاحنا اليومي للتعايش في محبة ووفاق. وقررت أن أبدأ باستنطاق أولئك الذين أقاموا مثل هذه العلاقات.

أرسلت ١٠٠٠ نموذج تحوي أسئلة عن هذا الموضوع الى أناس كانوا كتبوا الي عن الحب. وطلبت منهم أن ينعموا النظر في علاقة الحب الاولية (بالنسبة الى ثلثي الاشخاص الـ٦٠٠ الذين أجابوا عن الاسئلة كانت العلاقة مع الزوج أو الزوجة) والعلاقة الثانوية (مع الوالدين والجدود والاولاد والانسباء والاصدقاء والزملاء.)

سألتهم ما هي الصفات التي شعروا أنها تؤدي الى اقامة علاقة حب دائمة ونامية. واظهرت الاجوبة أن الصفات الاربع الآتية هي الأبرز:

التفاهم. مع أن التفاهم هو الصفة الاساسية في المحافظة على أي علاقة حب، فيبدو أننا نكتفي معظم الوقت بمخاطبة أنفسنا. فاما اننا لا نوضح ما نريد أن نقوله واما اننا نعجز عن التعبير عنه بالكلمات المناسبة. والذين يجيدون الاصغاء نادرون كالذين يجيدون التحدث بلباقة. فالمشاركة، وهي الأمر الحيوي في التفاهم الحبي، تتوقف عندما تشعر بأن الشخص الآخر لم يعد يعيرك انتباهاً. وأي علاقة حب تتعزز اذا راعى كل فريق الاقتراحات الآتية وتصرف على أساسها:

● أخبرني دائماً أنك تحبني عبر أفعالك وأقوالك. لا تفترض أني أعرف ذلك. قد يبدو علي اني منزعجة أو حتى منكرة حاجتي الى اهتمامك. ولكن لا تصدقني. أخبرني في أي حال.

● إمتدحني غالباً على الاعمال التي أنجزها جيداً وشجعني عندما أخفق في عمل ما. لا تفترض أن ما أفعله من أجلك أمر طبيعي لا يستحق التنويه.

● دعني أعرف ما اذا كنت تشعر بالقنوط أو الوحشة أو بأن الآخرين يسيئون فهمك. معرفتي أني قادر على الترويح عنك تعطيني قوة. تذكر أنني على رغم محبتي لك لا أستطيع قراءة أفكارك.

● عبّر بعفوية عن أفكارك ومشاعرك المفرحة. فالعفوية تضفي حيوية على علاقتنا. العالم زاخر بالمباهج وغني بالامكانات. علينا أن ندع الامور العفوية أو غير المتوقعة تشيع البهجة في حياتنا الرتيبة.

● أصغ الي من دون أن تصدر أحكاماً. لا تقل لي ان ما أشعر به لا أهمية له أو ليس حقيقياً. انها تجربتي، ولذا فهي مهمة وحقيقية بالنسبة الي.

● دع الآخرين يعرفون أنك تقدرني كما أستحق. فالتأكيد على حبنا أمام الناس يجعلني أشعر أني مميزة فأعتز بذلك.

العاطفة. يبدو أننا نخاف التعبير عن العاطفة جسدياً سواء في الاخذ أم في العطاء. ولعل هذا يعود الى ربط الملامسة بالمحظورات الجنسية القديمة واللاواعية غالباً. لكن اظهار العاطفة أمر صحي ضروري. ويقول الدكتور هارولد فوث الطبيب النفساني في مؤسسةماننغر في توبيكا بولاية كنساس: "العناق أو الاحتضان يزيل الانقباض أو الكمد النفسي. انه ينفخ حياة جديدة في الجسد المرهق ويجعل المرء يشعر بأنه أصغر سناً وأوفر حيوية."

ديفيد برسلر المدير التنفيذي للفريق الطبي في مركز برسلر في سانتا مونيكا بولاية كاليفورنيا ينصح مرضاه بأن يتعانقوا أربع مرات كل يوم. حتى انه يكتب وصفة طبية رسمية يقول فيها: "لا تستهينوا أبداً بقوة تأثير هذه المعالجة وبالدور الذي يمكن أن تؤديه لتحقيق الشفاء. وبحسب علمي لم يمت أحد قط من جراء جرعة مفرطة من العناق."

اذا كنا غير معتادين العاطفة الجسدية فلا بد من أن تسبب لنا بعض الانزعاج في بادىء الامر. قد نفضل أن نباشرها مع أفراد العائلة والاصدقاء، بمصافحة اليد وتربيت الكتف والملامسة بالاصابع. من هنا يمكننا أن ننطلق الى

العناق الحار أو القبلة الرقيقة. ان فتح ذراعينا للآخرين لا يكلفنا سوى جهد ضئيل، لكنه يبقى أوضح تعبير عن الحب عندنا.

الغفران. في كلمة "الغفران" حرارة وقوة. انها توحي بالقدرة على الترويح والشفاء والالتئام والانبعاث.

غير أن الغفران يبدو عسيراً، خصوصاً حين لا نجد لتصرف الشخص المؤذي تبريراً. ولن نقوى على الغفران الا حين ننظر الى المسيئين الينا بحنان ونعتبرهم بشراً ضعفاء بعيدين عن الكمال مثلنا ويمكن أن يقعوا ضحية الوهن والتخاذل والزلل.

الحب يتيح لنا أن ننظر الى الاساءة في بعدها الحقيقي ونعتبرها عملا منفصلا عن الشخص الذي ارتكبها. فنرى أن العلاقات البعيدة المدى هي أعظم من الاذى العارض الذي سببه عمل سلبي منعزل.

الصدق. يرتكز ضماننا الذاتي على افتراض أن أولئك الذين نحبهم سيكونون دائماً صادقين معنا. وحين يهتز هذا الضمان بفعل خديعة يمكن أن تتحطم الحياة كلها.

الثقة لا تقوم من دون صدق. وحيث يغيب الصدق لا يمكن أن يحضر الحب. وحتى الكذبات الصغيرة التي تكون الغاية منها تحاشي ايذاء المشاعر قد توقع المرء في حبائل الشك.

يمكننا أن نعلن الحقيقة بمحبة، كأن نقول: "اني لا أحب هذا الثوب مثلما أحب فستانك الازرق، ولكن لا تنسي أن هذا هو رأيي فحسب، وأنا لست أيف سان لوران." مثل هذا القول أخف وقعاً من: "انه كريه، وأن أمقته."

ينبغي أن نقر بأننا قد نحيد عن جادة الصدق بين الحين والآخر. ولكن اذا شئنا أن تدوم علاقتنا وتنمو، فيجب أن يبقى الصدق والثقة رائدينا دائماً.

الى هذه الصفات الاربع الاساسية أبرز الذين أجابوا عن أسئلتي صفات أخرى تساعد على تنمية الحب وهي:

التحرر من الغيرة. بما ان قلة منا متحررة تماماً من الغيرة، فينبغي أن نجد حلا لهذه المسألة.

قد تصبح الغيرة وحشاً يلتهم كل شيء فيحطمنا كما يحطم من نحب، أو تحدياً يحدونا على تنمية احترام الذات واكتساب المعرفة الشخصية. وعندما نقهر المغالاة في الغيرة يمكننا أن نغدو أكثر محبة ووفاء لمن نحب.

لا يمكن أن نحد من الغيرة الا اذا أقررنا بأننا لن نستطيع أبداً امتلاك انسان آخر. وعلينا أن نتعلم أن محبتنا للآخرين تعني أن نريد لهم أن يعيشوا ذواتهم مهما يكن ذلك مؤلماً لنا. وقد يفترض الحب الاعظم منح أقصى الحرية. يجب أن يطلق الحب حراً، وعندما يؤوب الينا سيتاح لنا أن نعرف حقيقته.

القبول بالواقع. ان بناء الذات عملية تستغرق الحياة بكاملها. وفي الوقت الراهن علينا أن يقبل أحدنا الآخر

كما هو، غير كامل وغير معصوم عن الخطأ. واذا كنا نخاف كشف ذواتنا الناقصة، فلا يحق لنا أن نتوقع من الآخرين أن يفعلوا ذلك، وهكذا نبقى غرباء. لي صديق يؤكد أنه قد لا يكون عظيماً، انما هذا كل ما هو في الوقت الراهن، وهذا ما هو على استعداد ليعطيه، ولذا فعطاؤه فوق الكفاية.

لكي نقيم علاقات دائمة مع الآخرين ينبغي أن نكون سعداء بما نحن وهم عليه. ويجب أن نحترم حقوقهم ومواقعهم ومشاعرهم كما نحترم ما لنا.

التقدير والمراعاة. ان تدهور العلاقات لا ينجم غالباً عن مشاكل كبيرة، بل عن تراكم أمور صغيرة على مدى طويل: تصرفات طفيفة غير لائقة وتعليقات في غير محلها وكلمات لا تقال، وبوادر حسنة نؤجلها دائماً.

نحن غالباً نولي معارفنا العرضيين اهتماماً أكبر مما نولي من نحب. "شكراً"، "اني أستحسن هذا"، "اذا لم يكن لديك مانع"، هذه أساليب للتعبير عن الحب.

يجب أن نخلق جواً حميماً ملؤه المحبة والتقدير لمن نحب. فيعامل أحدنا الآخر باحترام، ونتقدم على أحسن وجه في جو من المراعاة.

التقاليد. في هذه الايام نقلل من قيمة التقاليد باعتبارها سخفاً رومنطيقياً. فقد أقلعنا عن اقامة الولائم العائلية أيام العطل والاجتماعات في الاعياد والمناسبات التي كانت تلمنا وتقربنا بعضنا الى بعض.

تذكر أغنية قديمة، رسالة مخطوطة على بطاقة، كعكة عيد، تجديد عهود الزواج. كل هذه الاشياء من شأنها أن تشدّنا الى من نحب، واذ تنتقل من جيل الى جيل تظل شيئاً ثابتاً في هذا العالم المتغير.

مشاركة الاماني. ترفعنا الاماني الى ما وراء هذا العالم الدنيوي وتزخر مستقبلنا بالامكانات. فالمشاركة في التمنيات تضفي على علاقاتنا عنصراً من الاعجاب. اننا نحلم معاً بما سنحقق من نجاح في الغد، بأولادنا، بالسفر، بالضمان المادي. نحلم بالسلام والمتعة والسرور.

الحلم مكان خاص. فاذا أشركنا فيه من نحب أتحنا له أن يعرف حقيقتنا.

الشجاعة. التخاذل قد يمنعنا من التقارب. العلاقة تتطلب أن يكون المرء جريئاً وأن يجزم ويلتزم. المشاكل والنزاعات والاخفاقات أمور لا مناص منها. ولذا نحتاج الى الشجاعة لمواجهتها. يجب أن نتيح لعلاقاتنا فرصة النجاح، اذ لا شيء في الحياة أعظم من أن يحب المرء ويبادله الآخرون حباً بحب.

ليو بوسكاليا ■



أنت تبدأ من جديد عندما تقول لنفسك ان ما مضى قضى وولّى.

م.ك.

تأملات معاصرة



الانسان نقطة!

قال عالم فلكي مرة لرجل دين: "بالنسبة الى الفلكي ليس الانسان سوى نقطة متناهية في الصغر في هذا الكون غير المحدود."

فقال رجل الدين: "هذه وجهة نظر مهمة. الا ان نقطتك المتناهية في الصغر لا تزال مع ذلك عالماً فلكياً."

و.ه.و

لوحة الانجازات

الجميل في لعبة كرة القدم أن فيها لوحة تسجل لكَ انجازاتك. أما في مجالات الحياة الاخرى فلا تتاح لك هذه اللوحة، أو انها تكون غير مرئية.

تشاك نول، مدرب كرة قدم

مفاجآت السفر

المسافرون متشردون هائمون كرواد الفضاء الذين يخرجون في نزهة فضائية على حبل. الواقع هناك يبدو جميلا، فالحجر الذي لا يستحق نظرة منك على الارض يستوقف أنظارك بخصوصيته المطلقة.

بالنسبة الى المتشرد المسافر ليس ثمة شيء لا يستحق الملاحظة: لا صخرة ولا كتف عابر طريق ولا ابريق شاي. لا شيء غير مألوف كالمألوف. لا شيء يهز القلب بمقدار ما يهزه أن ترى هناك في البعيد ما رأيته للمرة الاخيرة في موطنك.

هذا ما يكتشفه المسافرون: حين تقطع صلاتك بالمعتاد ومتطلباته فان ابريق الشاي هو الذي يمثل لك المفاجأة الحقة.

سينثيا أوزيك

رثاء صديق

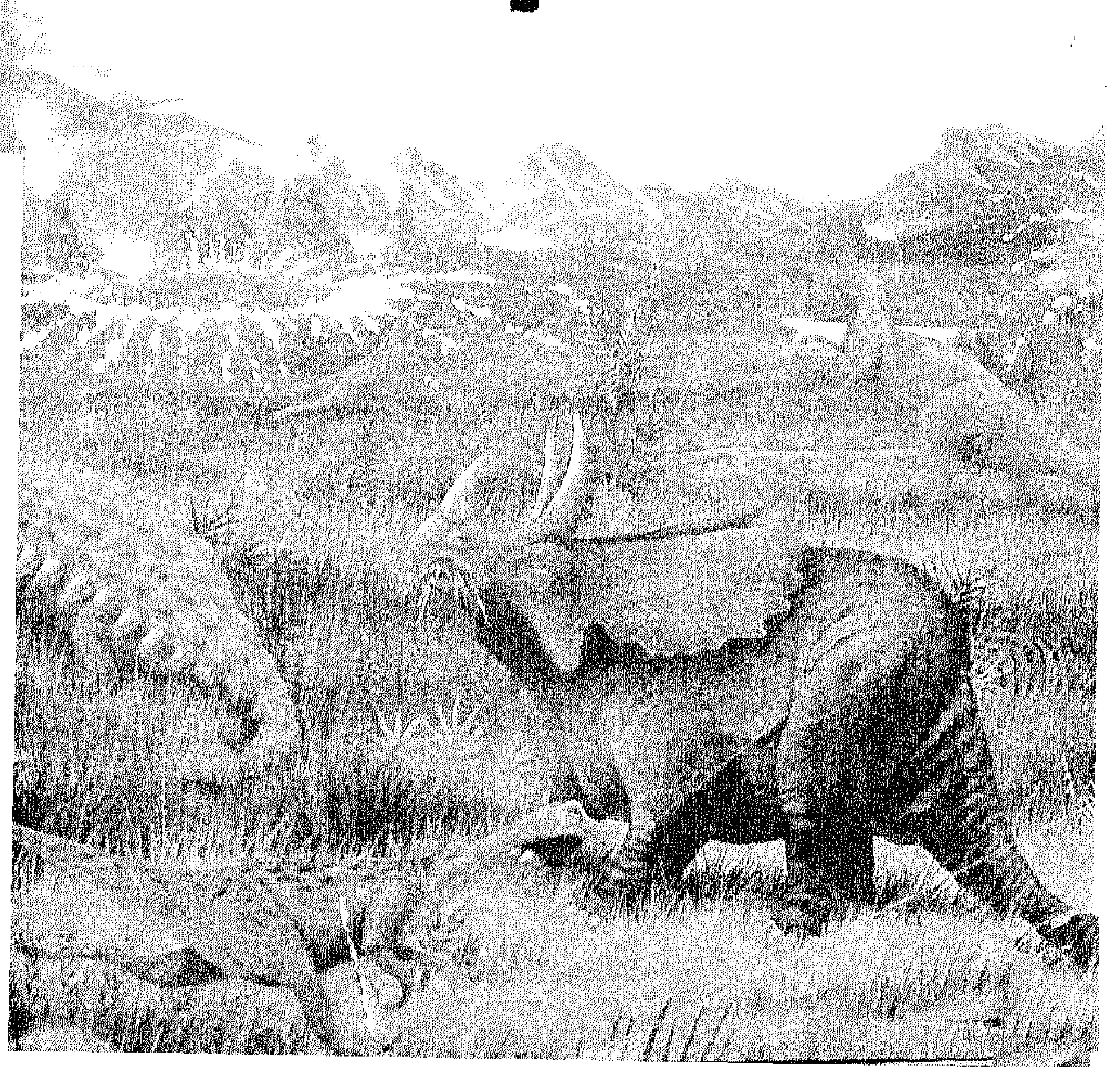
كان بطيء التفكير،
قليل الكلام،
ولم يكن كلامه أو فكره
مدعاة الى التأمل.
لكن حضوره كان بهجة الجُلّاس،
لأنه كان أمير الاصفياء.

شاعر مجهول

الديناصور والنجم الأحمر

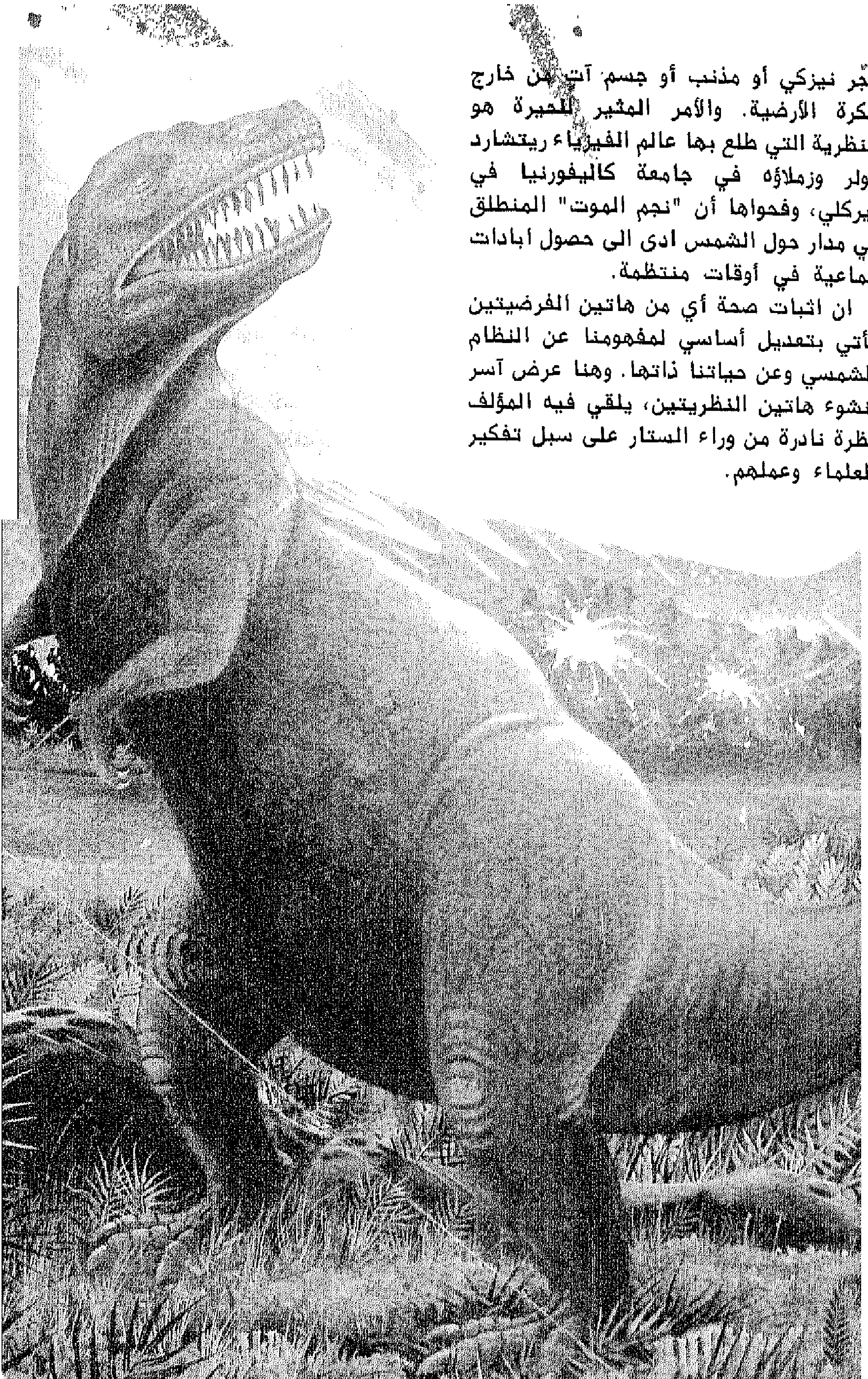
في أزمنة ماضية اختفت أشكال من الحياة عن وجه الأرض. وحدث أعظم الانقراضات الجماعية قبل ٦٥ مليون سنة حين تلاشت على نحو مفاجىء مجموعة كبيرة من النبات والحيوان بما فيها الديناصور.

ما السبب في هذه الكارثة؟ انه وفقاً لاحدى الفرضيات المعروفة باسم "نظرية التصادم"



حجر نيزكي أو مذنب أو جسم آت من خارج الكرة الأرضية. والأمر المثير للحيرة هو النظرية التي طلع بها عالم الفيزياء ريتشارد مولر وزملاؤه في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، وفحواها أن "نجم الموت" المنطلق في مدار حول الشمس ادى الى حصول ابادات جماعية في أوقات منتظمة.

ان اثبات صحة أي من هاتين الفرضيتين يأتي بتعديل أساسي لمفهومنا عن النظام الشمسي وعن حياتنا ذاتها. وهنا عرض آسر لنشوء هاتين النظريتين، يلقي فيه المؤلف نظرة نادرة من وراء الستار على سبل تفكير العلماء وعملهم.



الديناصور والنجم الأحمر

أحببت في طفولتي حيوان الدينوصور. وكنت أرسم صورة كل يوم في حصة الألعاب نقلا عن كتاب "صيادي الدينوصور". وتعلمت آنذاك أن جميع الكائنات العملاقة اختفت قبل ٦٥ مليون سنة من دون أن يدري أحد السبب. وكانت هذه أول مسألة علمية أسمع بأن لا حل لها. وعلى الأثر أخبرت أبوي أني أود أن أصبح عالم إحاثة (★).

ولفتتني نسخة من كتاب "سيرة الأرض" لمؤلفه جورج غاماو على رف في احدى الصيدليات، وكان يحوي نسخاً طبق الأصل لرسوم عن الدينوصور، اضافة إلى صور للقمر والكواكب. وأفلحت في اقناع أبويّ ليشترياه لي. ومن بعد اشتريت كتاباً آخر للمؤلف هو "واحد، اثنان، ثلاثة... لا نهاية."

كان هذان الكتابان مترعين بالاثارة: نقاشات حول اللامتناهي، صور فوتوغرافية للجزيئات، نظريات حول بداية الزمن وحجم الكون. ووجدت أن هذا العمل قام به علماء الفيزياء، فعزمت على أن أصبح في عدادهم.

اثناء دراساتي العليا في جامعة كاليفورنيا في بيركلي أكببت على دراسة الجسيمات الاولية، وهي القطع البالغة الصغر التي تؤلف نواة الذرة. وبدا ذلك للوهلة الاولى بعيداً كل البعد عن دراسة الدينوصور. وبالتأكيد لم أكن لأقدّر أن المشرف على أطروحتي، وهو لويس ألفاريز الحائز جائزة نوبل، سيرئس الفريق الذي اقترح حلا لأحجية ابادة حيوانات الدينوصور وهو يقوم على نجم الموت الدائر حول الشمس.

دروس الاستاذ - العمل مع ألفاريز مثير باستمرار. ويبدو أنه بين قلة من علماء الفيزياء الذين يبتكرون مناهج جديدة لاستقصاء مجالات حديثة في العلوم. وبعد ست سنوات من التدريب المنهجي في الفيزياء بدأت دراستي أخيراً. ووجدتني أدرس ألفاريز محاولا أن أفهم طرق مقاربته المسائل.

كان ألفاريز حقق اكتشافات أكثر من أي عالم فيزياء على قيد الحياة ممن أعرف، وكنت أشعر بأنه أجراها ابتغاء الاثارة والمغامرة.

لم يكن عالماً اكاديميا. وقد ذهلت غير مرة لحقائق الفيزياء الكثيرة التي لا يلم

(★) علم الاحاثة أو البليونتولوجيا يبحث في اشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة.

بها. ولم يكن ليكدس المعلومات في ذهنه من دون داع. ولكن إذا ما أراد أن يعرف أمراً كي يحل مسألة، فإنه يتعلمه بسرعة وتركيز مدهشين.

ونويت أن أصوغ أبحاثي مستقبلا على غرار الطريقة التي رأيته يعالج بها مشروعه الهرمي. وبيان ذلك أن الاهرام المصرية تُقذف على الدوام باشعاعات كونية طبيعية. وقد أدرك ألفاريز باستعمال مكشاف ملائم (فالافلام فائقة الحساسية) انه في امكانه أن يستعمل هذه الاشعاعات في تصوير الأهرام "بالاشعة". ولربما كشف عن حجرة متوارية داخل الهرم.

وظننت أن عجائب الأهرام ليست سوى مسائل قرأ عنها ألفاريز حين كان طفلا كما قرأت أنا عن الدينوصور. واذا اكتشف حجرة جديدة ملأى بالكنوز فسيكون ذلك أعظم انجاز في حياته، أعظم حتى من اكتشافه للجسيمات الأولية المتكاثرة التي أنالته جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٦٨.

أجرى ألفاريز "فيزياءه التجريبية" من مكتبه، متفكراً في المسألة بجهد وعناية قبل استعمال أي أجهزة. وحين أبدى الآخرون اهتماماً بعمله رحب بمساعدتهم. وكان منهجه في التنظيم اكبر درس لي.

لقد نجح تصوير الهرم بالاشعة، ولكن لم تكن ثمة حجرات خبيئة. وكانت خيبة كبيرة، الا أن هذه هي طبيعة الاختبار العلمي الذي قد لا يأتي بنتيجة.

الصخرة العجيبة – في أحد الأيام من العام ١٩٧٨ أطلعني ألفاريز على هدية جاءته من ابنه والتر الذي كان حينئذ جيولوجياً في جامعة كولومبيا في نيويورك. والهدية قطعة صخر رسوبي من ايطاليا يبلغ عمرها ٦٥ مليون سنة، وفيها أحافير صغيرة لكائنات بحرية. لكن الاحافير منحصرة في النصف الأسفل من الصخرة، وكأن شيئاً ما أفنى كل الحياة الدقيقة قبل أن يتشكل النصف الأعلى. وأخبر والتر والده بأن الفاجعة حدثت في الوقت نفسه الذي انقرضت فيه حيوانات الدينوصور.

بدا لويس ألفاريز مبهوراً، وفكر في استعمال تقنية اشعاع حديثة كنت ابتكرتها لتحديد التواريخ، وذلك للمساهمة في فكّ اللغز. وأخفقت التجربة. لكن الاخفاق شحذ اهتمام ألفاريز الذي أخذ يبحث طوال أسابيع فوجد مقترباً آخر أيقن من صلاحيته. وكان مفتاح الحل الايريديوم، وهو عنصر فلزي نادر من مجموعة البلاتين "يمطَر" على الكرة الارضية بمقادير ضئيلة حين تتبخّر النيازك الصغيرة لدى دخولها جوّ الأرض.

وعند تحليل الصخرة الآتية من ايطاليا فوجىء ألفاريز وزملاؤه اذ وجدوا أن كثافة الايريديوم ارتفعت فجأة وقت فناء الدينوصور أكثر مما يمكن أن يعزى إلى تبخر النيازك وحده.

ويرجّح أن هذه كانت مجرد غلطة. ولكن لا بد من تقصي أسباب حدوثها. فقد فات ألفاريز مرة اكتشاف طريقة شطر الذرة لأنه أخفق في تتبع ملاحظة لم تبد ذات أهمية.

وتبيَّن أن المحتوى الكثيف من الايريديوم في الصخرة صعب التفسير مما

نبّه شهية ألفاريز، اذ انه حين يواجه مسألة مستعصية تنمو لديه "غريزة القاتل". ومن المحتمل أن تكون البراكين مصدر الايريديوم. وبحسب افتراض ألفاريز فإن هذه المادة موجودة في باطن الأرض ويمكن أن تكون البراكين قذفتها إلى السطح. وبعد استبعاد هذه الفرضية انتقل ألفاريز إلى احتمال آخر هو أن يكون المصدر ترسبات كيميائية في المحيطات. غير أنه وجد ذلك غير قابل للتصديق.

وكان ألفاريز يأتي بتعليل جديد كل أسبوع ويشرحه لي ولزملائي بصبر. ولكن حين نستوعب كل التفاصيل (بعد اسبوع أو نحوه) يكون دحض الفرضية التي وضعها وأتى بأخرى بديلة.

وجدتُها! - بعد أشهر من التركيز الذهني توصل ألفاريز إلى تفسير: ان جسماً غريباً اصطدم بالارض متسبباً في وابل من الغبار المشبع بالايريديوم. وتمكن من تقدير قطر ذلك الجسم بطريقتين مختلفتين وكلتاهما توصلان الى الرقم ذاته: عشرة كيلومترات (ان جسماً بهذا الحجم اذ يصطدم بالارض يحرّر طاقة هي عشرة آلاف ضعف طاقة الترسانة النووية للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي مجتمعة). أما الغبار الذي تطاير على الأثر فقد يفسِّر القضاء على الحياة، اذ ان أشعة الشمس حجبت لأشهر عدة مما أوقف التركيب الضوئي وخفض الحرارة الى حد كبير. وبذا يُحتمل أن تكون حيوانات الدينوصور قضت جوعاً وتجمداً.

ولم يستطع أي منا أن يجد ثغرة في استنتاج ألفاريز. ونشرت نظريته هذه عام ١٩٧٩. وقوبلت في البداية بالشكوك، ولكن بحلول منتصف الثمانينات لم ينازعه في رأيه سوى عدد قليل من الخبراء. ويقوم ذلك الرأي على أن جسماً خارجياً اصطدم بالأرض في الوقت نفسه الذي تم فيه الفناء الجماعي.

لقد رصدت كل هذا العمل لكنني لم أساهم فيه. ثم لاحت الفرصة المناسبة حين عثر ديفيد راوب وجون سيبكوسكي، وهما عالمان احاثيان في جامعة شيكاغو، على دلائل تشير إلى أن الفناء الجماعي كان يحدث بانتظام كل ٢٦ مليون سنة (وبناء على حساباتهما فان الفناء التالي موعده بعد ١٣ مليون سنة!).

ولم يقرّ ألفاريز لهما بنتائج أبحاثهما، وسطّر رسالة بيّن فيها أوجه اعتراضه. ثم طلب مني أن أبحث عن الاخطاء فيها. ووجدت ان عملهما صعب تجاهله، ولم أقنع ألفاريز بذلك لكني أقنعت نفسي.

من المزعج أن تعتقد بصحة أمر في حين لا يوافقك معظم زملائك. وقد أغرتني ضغوط الحياة الاكاديمية العادية بالتخلي عن البحث والتنقيب، كل الضغوط الا واحداً هو ألفاريز.

ودأب يسألني كل يوم عن سير عملي وهل توصلت الى نظرية تفسّر الفناء الدوري (نظرية لا يعتقد هو بها).

وخلال شهرين أتيت بست نظريات أثبت خطأ كل منها. ثم ابتكرت بمساعدة الفلكي مارك ديفيس من جامعة كاليفورنيا وبيت هات الخبير في الديناميكا المدارية بمعهد الدراسات

العليا في برنستون بولاية نيوجرزي، نموذجاً يفسّر الفناء الدوري.

نتائج صاعقة – النظرية سهلة: كان للشمس نجم مواكب يدور في مدارها. وكل مدة تراوح بين ٢٦ مليون سنة و٣٠ مليون سنة يقترب النجم نسبياً من مجموعة تضم نحو ألف مليار مذنب على حدود النظام الشمسي (أبعد من بلوتو). وتضطرب المذنبات بفعل جاذبية "نجم الموت" وتهب عاصفة من مليار مذنب على نظامنا الشمسي الداخلي ويصطدم واحد منها أو أكثر بالارض.

ومنذ ابريل (نيسان) ١٩٨٤ تاريخ طباعتنا النظرية باسم "نظرية نيميسيس" (تيمناً بالاغريقية التي كانت تعاقب المبالغين في قوتهم وتبجحهم، كالدينوصور على سبيل المثال) وعلى رغم اختبارات أجرتها مصادر خارجية، لم يثبت أحد بعد بطلان النظرية. وألفاريز نفسه يعتقد أنها أفضل تعليل متوافر في الوقت الحاضر. وسواء كنا على صواب أو كانت نظرية ألفاريز صحيحة، فان نتائج ذلك على نظرية الارتقاء ستكون مذهلة.

فالتطور وفقاً للداروينية الكلاسيكية يشمل أنواعاً تتبارى ضد أنواع أخرى. لكننا في أبحاثنا نفترض أن هذا ينطبق فقط خلال الفترات الفاصلة بين الاصطدامات الفاجعة التي تحدثها الأجسام الخارجية. وتوضح "نظرية نيميسيس" أن الارض تعاني صدمة كل ٢٦ الى ٣٠ مليون سنة لا يمكن أن تتوقعها الأنواع الراقية أو تعد العدة لمواجهتها. ان البيئات الملائمة متوافرة، وهي تفسح في المجال للأنواع التي لم تنم نمواً طبيعياً في السابق كي تأخذ دورها. ولو لم تصطدم المذنبات بالارض قبل ٦٥ مليون سنة فان الثدييات لم تكن لتنتزع الارض من حيوانات الدينوصور. ومن المرجح أن الدينوصور حين اختفائه كان أكثر ذكاء من الثدييات. ويحتمل أن تكون كائنات فائقة الذكاء تطورت. لكن بخصائص الزواحف.

من الغريب والرائع أن نفكر بجدية في الدينوصور للمرة الاولى منذ أيام المدرسة الابتدائية، وأن يكون هذا التفكير متابعة لاول مسألة علمية غير محلولة وصلت الى علمي.

قبل مدة قصيرة رسمت لابنتي ذات الاعوام الستة دينوصوراً ضخماً من نوع تيرانوصوروس ريكس يصارع دينوصوراً آخر من نوع تريسيراتوبس. واذ انسابت الخطوط من أناملي أدركت أن مهارتي لم تنقص مثقال ذرة عبر تلك السنين.

بالطبع لا برهان على "نظرية نيميسيس"، ولكنه اذا كان للشمس نجم يواكبها فينبغي أن نجده ونتأكد من مداره في المستقبل القريب. وهو على الأرجح نجم أحمر يبعد حوالى ٣٢ ألف مليار كيلومتر، بريقه خافت لكنه يرى بالمنظار. ويعكف الآن فريق من الفيزيائيين والفلكيين في بيركلي على النظر في خمسة آلاف نجم مرشح. واذا عثروا على "نجم الموت" الحقيقي فلا موجب للنقاش بعد، فالمغامرة في سبيلها الى الحدوث.

ريتشارد مولر ■

الطفل ذو البصيرة الخارقة

يركب الدراجة ويلعب بالكرة ويذهب الى المدرسة ويقرأ ويكتب. لكنه أعمى!

العينان واسعتان ولونهما أزرق فاتح بلون بيضة أبي الحناء. ولو نظرت في يوم مشمس الى صميم هاتين العينين العاجزتين عن رؤيتك لوجدت أن النور يبهت لونهما فيصبح كزرقة السماء الصافية.

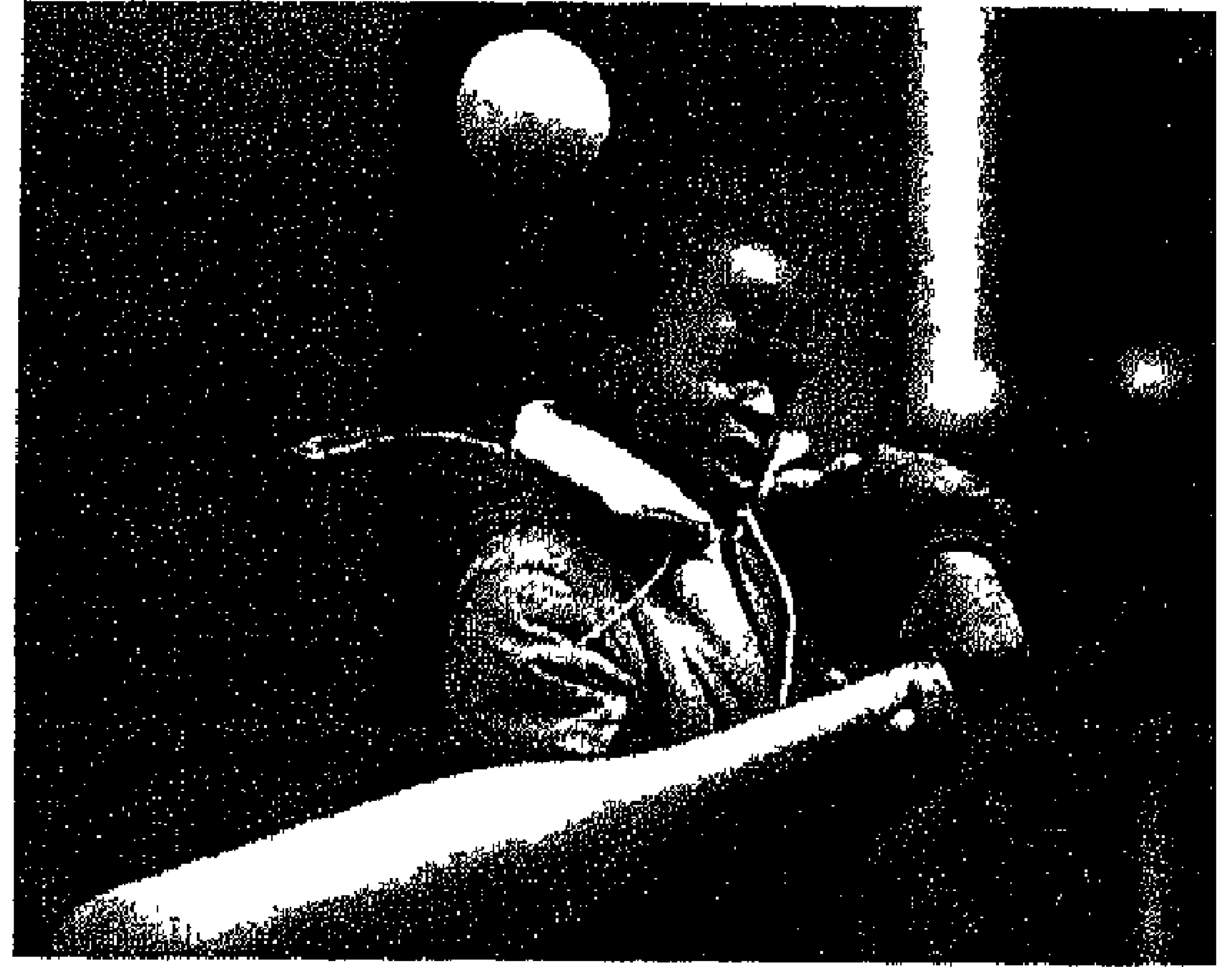
صاحب هاتين العينين هو كالفين ستانلي (١١ عاماً) الذي ولد ضريراً. وهو معجب بهذا الوصف ويطلب ترداده على مسمعه. يقول: "أعرف ان الازرق الفاتح موجود، كذلك الازرق القاتم. ولكن كيف هي زرقة السماء؟" انه يريد أن يعرف. ولو تأملت وجهه وهو يستمع الى وصفك لخيل اليك أن صورة انطبعت خلف تينك العينين. خزن عقل كالفين صوراً كثيرة صاغتها كلمات العائلة والاصدقاء والاساتذة الذين يحبونه. من صورة البرق: "تقول أمي انه كشجرة الميلاد، يومض وينطفىء في أرجاء السماء." ومن صورة قوس القزح: "هو مجموعة من الألوان الجميلة المتوازية وكل لون منها في شكل قوس."

وذات مرة قالت له أمه: "يا بني، لن أكون الى جانبك ذات يوم آت لأرفعك حين تسقط. فيجب أن تتدبر أمرك بنفسك. لذلك عليك أن تتعلم كيف تفكر."

ان ايثل ستانلي (٣٥ عاماً) امرأة جميلة قوية البنية وصاحبة ابتسامة مشرقة. وتروي أن ابنها كان شديد الفضول في صغره: "أراد كالفين رؤية كل

Condensed from Baltimore Sunday Sun (May 27, '84), © 1984 by The Baltimore Sun, Baltimore, Md. Photos: David Harp / The Baltimore Sun

شيء ولمس كل شيء. واضطررت الى أن أبين له كل صغائر الامور كالملعقة والشوكة. وكنت أسمح له بأن يعبث بالاوعية والطناجر وبكل شيء آخر. وعندما خطا خطواته الاولى لم أخبره بما يجب أن يفعل. فكان لدى وصولنا الى حافة رصيف يعرف أن عليه النزول لحظة أتوقّف وارتقاء رصيف آخر لحظة أتوقف ثانيةً.



كالفين يلعب البيسبول.

ولم انطق له بكلمة واحدة. وهكذا كنا ننجز ذلك معاً."

ويتذكر كالفين يوم بدأ يدرك أنه "مختلف" في أمر ما عن غيره: "تصوّرت ذلك بنفسي وأنا في الرابعة من عمري. فكنت أحمل الاشياء من دون أن أبصرها في حين قال غيري انه يراها." وتتذكر الوالدة يوم سألها عن سبب عماه: "شرحْتُ له أنه ولدَ ضريراً ولا لوم في ذلك على أحد. فسأل: ولماذا أنا؟ فقلت له: أجهل السبب يا كالفين، ولكن ربما كان لك نصيب خاص من الحياة."

ثم أجلسته قائلة: "أنت تبصر يا كالفين، لكنك تستعمل يديك بدل عينيك. وتذكّر أنك لا تعجز عن انجاز أي عمل."

"كيف تبدو أمي؟" — انها عطلة الربيع وكالفين في الخارج يركب دراجته في الممشى خلف البيت. وهي دراجة "ضخمة" ذات عجلتين. حاول أن تتخيّل أنك تقود دراجة وأنت غير قادر على رؤية دربك. وحاول أن تتخيّل أنك تجتاز مسافة غير موجودة الا في خيالك. ثم حاول أن تتخيل شعور كالفين وهو يركب درّاجته في هذه الفسحة هاتفاً بجذل.

مع أن كالفين عاجز عن رؤية ملامح الربيع التي تتفتّح حوله فهو يحِسّ بملامح من نوع آخر: الكلب الراعي الذي ينبح باستمرار ويعلمه انه على بعد ثلاثة شوارع من منزله، ونبتة الياقوتيّة على بعد خمس حدائق، وطقطقة الدعامة العريضة المنحرفة التي ترفع العجلة الامامية وتنذره بأنه بلغ الحدود وعليه أن يعود.

تعلّم كالفين ركوب دراجة بعجلتين في السادسة من عمره. وأتاح له والده أن يساعده في تركيبها، فأنجز العمل كاملا بيديه وتعرّف الى كل قطعة منها. ويقول: "سقطت عنها مراراً في البداية."

وتجري في الفناء الخلفي مباراة بيسبول (كرة القاعدة). السيدة ستانلي تقذف الكرة الى ابنها، ومونيه كلارك (٧ أعوام) تلتقط الطابة. ومن واجب مونيه أيضاً أن تنبّه كالفين الى الوقت الذي يجب أن يسدّد فيه الضربة، فتصرخ له: "سدّد!" فيفعَل، ويدفعه صوت الطابة التي تلامس المضرب بعنف الى الركض

نحو القاعدة الاولى ويداه ممدودتان أمام جسمه تتلمسان الدرب.

ووالد كالفين (٣٨ عاماً) شرطي واسمه كالفين ستانلي أيضاً من بلتيمور في ولاية مريلاند. وهو علّم ابنه كيف يغيّر السرعات في سيارة العائلة


والده يلقنه أصول اللعبة.

الفولكسفاغن وكيف يركّب أجزاء الالعاب. وهما يترافقان الى السينما ويقول أحدهما للآخر انه وسيم.

ويخبر الأب: "يفعل كالفين كل شيء ما عدا الرؤية. فهو يسبح في الحوض. وفي حين يخاف بعض الاولاد من الماء تراه يقفز اليه ويغطس رأسه. ولو كنت مكانه لما تحلّيت بشجاعته، فهو مستعدّ دائماً للانطلاق والقيام بعملٍ ما. لكنه يبدو كئيباً في بعض الاحيان. وتعرف بمجرّد أن تنظر اليه أنه شديد الحزن."

ويقول كالفين وهو يرفع عينيه والغصّة في حلقه: "أتمنى أن أعرف كيف تبدو أمي. من تشبه؟ يخبرني الناس أنها جميلة."

وتتابع الأم: "ذات يوم حين كان كالفين في السادسة من عمره كان الاولاد في المدرسة يرسمون صور أمهاتهم لمناسبة عيد الام. وأراد أن يتعرّف الى مظهري فأزعجني الامر لاني لم أعرف كيف أصف له نفسي. وحاولت أن أشرح شكل الانف وملامح الوجه، وأخذت بيدِه وجعلته يلمس بشرتي.

"وأعتقد أن تلك كانت لحظة أدرك فيها حقاً أنه ضرير لانه قال: لن أستطيع أبداً أن أرى وجهك يا أمي ولا وجه أبي." وردّدت الأم ذلك بصوتٍ خافت وهي تغطي عينيها بيديها.

لكن السيدة ستانلي عرفت كيف تجيب ابنها الوحيد: "قلت له: يا كالفين، يمكنك أن ترى وجهي بواسطة يديك وبالاستماع الى صوتي. وأنت أقدر على وصفي من أي شخص آخر يرى بعينيه."

مع المبصرين – مستشفى بروفيدانت في بلتيمور، ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣. هناك ولِدَ كالفين ستانلي. وتتذكّر والدته: "حين تأكد للاطباء أنه الماء الازرق (غلوكوما)، وأنه وراثي، وأخبروني أن نسبة الشفاء ضعيفة جداً، شعرت بالرهبة. ثم حملوا كالفين الى جرّاح في مدينة نيويورك. فاجريَت له سبع جراحات، الا أن أي تحسّن لم يُلحظ حين بلغ الثالثة

من عمره. وعندئذ قيل لآل ستانلي انه لم يعد في اليد حيلة.

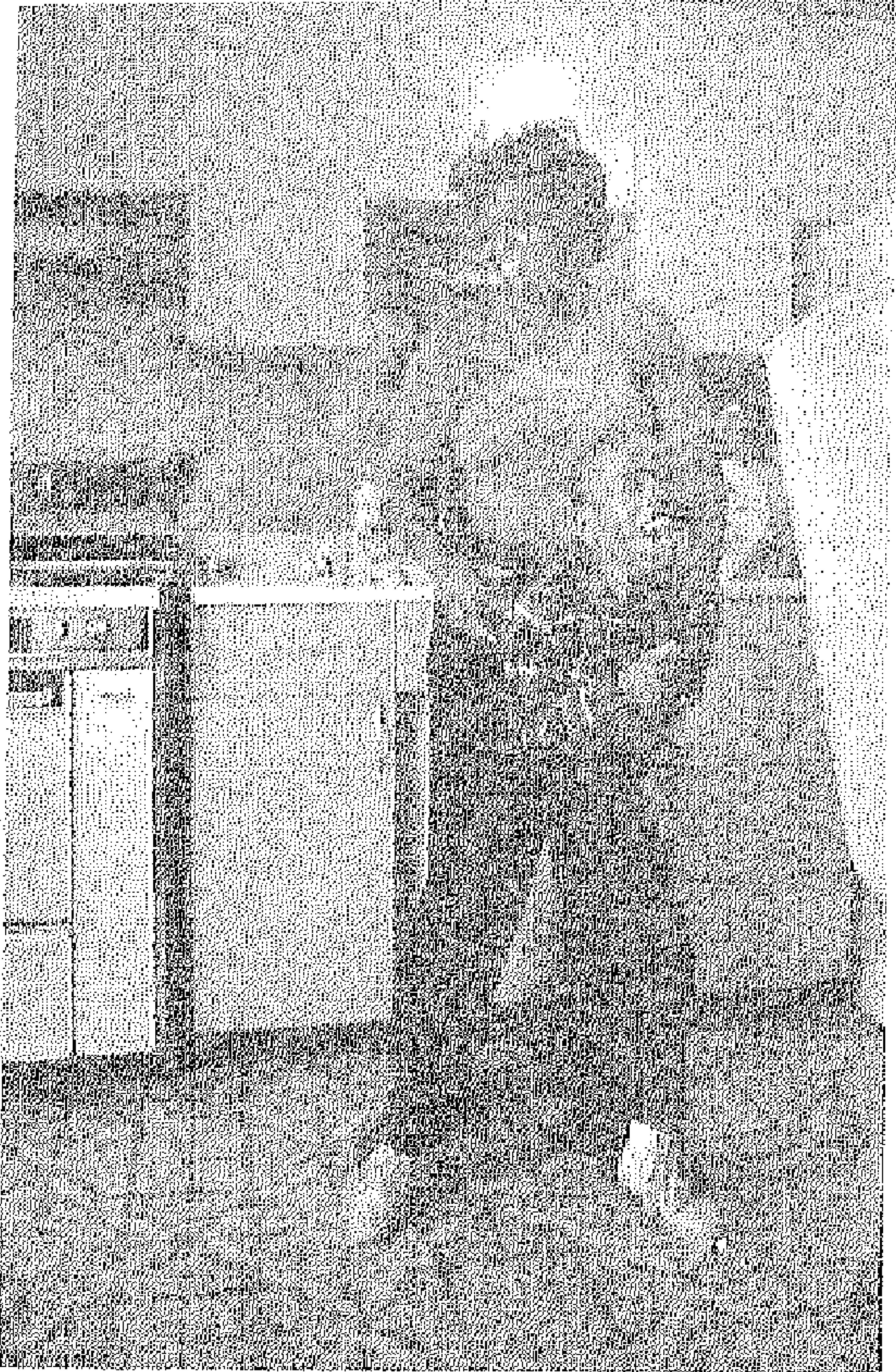
لكن ايثل ستانلي كانت اكتسبت في مكان ما القدرة على التربية والتعليم، ربما من خبرتها الذاتية أيام حداثتها اذ كانت تعتني باخوتها وأخواتها الستة الاصغر منها سناً حين تذهب والدتها الى العمل. وها هو الدليل على ذلك. فقد دخل كالفين عالم الرؤية بفضل الرجاء والايمان والثقة الوطيدة التي يحظى بها طفل تلازمه أمه أبداً لمساعدته.

وكانت تقول له تكراراً بصراحتها المعهودة الخالية من التردّد: "اذا لم تفهم أمراً، اسأل فحسب."

ويقول والد كالفين ضاحكاً: "عندما كان صغيراً شاء أن يصبح مثل ستيفي وندر. وهو بلغ مستوى لا بأس فيه في عزف البيانو. أما الآن فيريد أن يصبح مبرمج دماغ الكتروني ويضع برامج للعميان."

جُهِّزت غرفة نوم كالفين بكل وسائل الراحة التي تجدها في غرفة تلميذ عمره ١١ عاماً: تلفاز، أسطوانات، أشرطة تسجيل، ولعبة مونوبولي من طبعة برايل (*). وهو يتنقّل في غرفته بكل ثقة: "اني أعرف هذا المنزل غيبا." وهو يرغب في الاستماع باستمرار الى صوت ما، الى صوت صاخب، فتقول له أمه بهدوء: "اخفِض صوت هذا التلفاز، فلست أصمّ!"

وكانت عائلة ستانلي عقدت العزم منذ البداية على ارسال ابنها الكفيف الى مدرسة رسمية. وتلقى كالفين دروسه في مدرسة بلتيمور الريفية الابتدائية من



كالفين وأمه يلهوان في المطبخ.

الروضة الى السنة الابتدائية الخامسة. وانتقل في خريف ١٩٨٥ لمتابعة السنة السادسة في مدرسة فولستاف المتوسطة. وهو أحد الطلاّب العميان الاثني عشر الذين يحضرون كل الحصص مع الطلاب المبصرين.

أفضل صديق — انها الساعة الثانية في صف فيفيان جاكسون في المدرسة الريفية. وما لا يستطيع كالفين رؤيته هو الفتاة الصغيرة الحلوة التي تجلس في الجهة المقابلة وقد وضعت في ضفائر

(*) كتابة خاصة بالعميان تعتمد أحرفاً مؤلفة من نقاط نافرة.

شعرها مشابك حمراء وصفراء وزرقاء في شكل طائرات، والنبتات الصغيرة الخضراء المصفوفة على عتبة النافذة المشمسة، والسيدة جاكسون بثوبها الزهري.

لكن كالفين يقدر أن يتحسّس النسيم الربيعي الدافىء الذي ينفخ عبر النافذة وأن يسمع صوت السيدة جاكسون الموسيقي العذب. والافضل من كل ذلك أنه يحسن القراءة والتهجئة وحلّ المسائل الحسابية. وهو يتابع الدروس في كتبه المطبوعة بطريقة برايل. وسألت السيدة جاكسون: "ما الكلمة التالية يا كالفين؟" فأجاب: "أحد عشر." فأعقبت مسرعة: "تهجأها الآن من دون أن تنظر الى الكتاب." وابتعدت أنامل كالفين عن الكلمة المحظور لمسها. وتهجأها بسهولة.

وكم بدا تكيّفه مع صفّه أمراً سهلا على رغم كونه كفيفاً. لكن عدد الاساتذة والاختصاصيين ومجموعة التجهيزات التي شاركت في ايصال كالفين الى هذا المستوى كان مذهلا. فهناك دوروثي لويد الاختصاصية التي تلقّنه طريقة استعمال الاوبتاكون، وهو جهاز يخوّل الكفيف قراءة صفحة مطبوعة بتحويل الاحرف صوراً نافرة يمكنه لمسها. وهناك تشارلي داير التي تعلّم كالفين طريقة استعمال عصا للصعود الى الحافلة والنزول منها، أي القدرة على التحرك بحرية ومن دون خشية في العالم الاوسع.

وتتذكّر والدته: "حين ذهب كالفين الى المدرسة للمرة الاولى عاكسه بعض الاولاد في شأن عينيه: هما كبيرتان ولا ترى بهما. فقلت له: "انهم أولاد ولا يدرون أنهم يتصرّفون بفظاظة. وليست هي المرة الاخيرة يتصرّف بعضهم بفظاظة معك، لكن الامر عائد اليك ومن واجبك الذهاب الى المدرسة ومواجهة الموقف."

ويقول اساتذة كالفين انه محبوب جداً، وان الامر الوحيد الذي يميّزه عن غيره في الملعب هو أن أحداً ما مستعِدٌّ دائماً لمد يد العون اليه.

برايان باتلر (٩ أعوام) أحد أصدقائه. وهو ولد وقور المنظر وصاحب عينين متيقظتين جدّيتين خلف نظّارتيه. وحين يعرفك كالفين اليه يقول: "انه أفضل



مع معلمته تشارلي داير.

صديق لي." وهما ليسا في صف واحد، ولكن سرعان ما أصبحا صديقين لدى عودتهما الى البيت في الحافلة نفسها.

ويشرح برايان سبب محبته كالفين: "انه مرح ويجعلني أضحك." وعلى حدّ قوله ان صديقه لا يختلف عن أي صديق آخر الا في امر واحد: "اذا أوشك كالفين على الاصطدام فاني أحذّره بكلمة: انتبه."

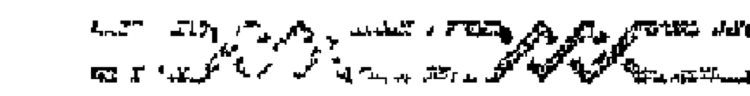
عالم خاص - يعمل كالفين في المدرسة مع لويز سيفيتس التي تدرّس البرايل، وهي معلمته المفضّلة. وهو يرتاح معها كثيراً لانها لطيفة وصبورة وذكيّة وكفيفة مثله. وكلاهما واقفان أمام النافذة والضوء يتسرّب من خلفهما. يستمع كالفين الى ساعة ناطقة تخبره "انها الحادية عشرة والدقيقة الثانية والخمسون." وتحمل الآنسة سيفيتس قاموس برايل ضخماً بين يديها وأصابعها تقلب الصفحات وهي تقرأ فيه بهدوء.

وللحظات بقيا في مكانهما وكأنهما متجمّدان في لوحة وكلٌ منهما غارقٌ في عالمٍ خاص، عالم من الصوتِ واللمسِ فحسب.

قبل سنواتٍ مرّت لحظة أخرى حين عرف والدا كالفين أن الجراحات أخفقت وأن ابنهما قد لا يرى النور الى الابد. فقال الأب وهو يحاول مؤاساة زوجته: "سنقوم بواجبنا على أكمل وجه، وسيكون كالفين بألف خير."

هو بخير الآن. وهما أيضاً.

أليس ستاينبك ■



حصان في المبوّب

نفق جوادنا المحبوب فنشرنا اعلاناً في قسم الاعلانات المبوبة في صحيفة محلية جاء فيه: "سرج جواد ولجام بـ٤٥ دولاراً."

لكن الصحيفة أدخلت فاصلة خطأ في النص فظهر الاعلان هكذا: "سرج، جواد ولجام بـ٤٥ دولاراً." فانهالت علينا العروض لان الثمن بدا زهيداً. ولم تكن ابنتنا سوسو تعرف شيئاً عن هذا الخطأ. وحين اتصل بها أحدهم هاتفياً دار بينهما الحوار الآتي:

الزبون: "اني اتصل بكم بخصوص الاعلان الذي نشرتموه في الصحيفة. انه ثمن زهيد جداً لجواد وسرج ولجام. ما خطب الجواد؟"

سوسو: "الجواد؟ آه... مات."

ف.ن.

من التعليمات في وصفة طعام: "الوجبة تكفي أربعة أشخاص جائعين أو ستة مهذبين."

أ.ف.

طوال سنوات دأبت على قراءة البخت في أوقات فراغي. كنت أجلس في خيمة أيام السوق المزدحمة لأساهم في الاعمال الخيرية. وتتدلى من خيمتي قطعة كبيرة من القماش تعلن أن "المنجم المصري العظيم شبكة" جالس في الداخل لكي "يكشف الستار الذي يخفي مستقبلكم."

كنت أرتدي جلباباً وأعتمر عمامة أثبتها بزهرة شوكية، وأتلفع بوشاح طرز بنقوش يرسمها السكان الأصليون على تروسهم، وأطلي ذراعي ووجهي بلون قاتم، وأجلس متربعاً على وسادة من حرير قرب مجمرة يتصاعد منها دخان معطّر يتسرب الى الجمهور المنتظر.

ويصيح المنادي: "شبكة العظيم يبتهل الآن." عندئذ أرفع عقيرتي في ترنيمة غير مفهومة.

بعد ذلك نبدأ العمل الجدي.

يصيح المنادي: "تقدموا واحداً واحداً من فضلكم. ادفعوا ربع جنيه لقراءة حظكم وكشف ماضيكم ومستقبلكم. هل أنت مستعد يا شبكة؟"

وأجيب بلكنة مصرية: "مستعد."

يدخل أحد الزبائن، ويكون في الغالب امرأة ارتسمت علامات الجد على قسماتها. وكان زبائني الاول من الهواة المبتدئين في علم الفراسة أو قراءة الكف أو التنجيم وما الى ذلك من العلوم. وسرعان ما يلاحظون اختلاف أسلوبي عن الاسلوب التقليدي المألوف. انهم نقّاد ويتوقعون أن يحصلوا على قراءة بخت من الدرجة الاولى.

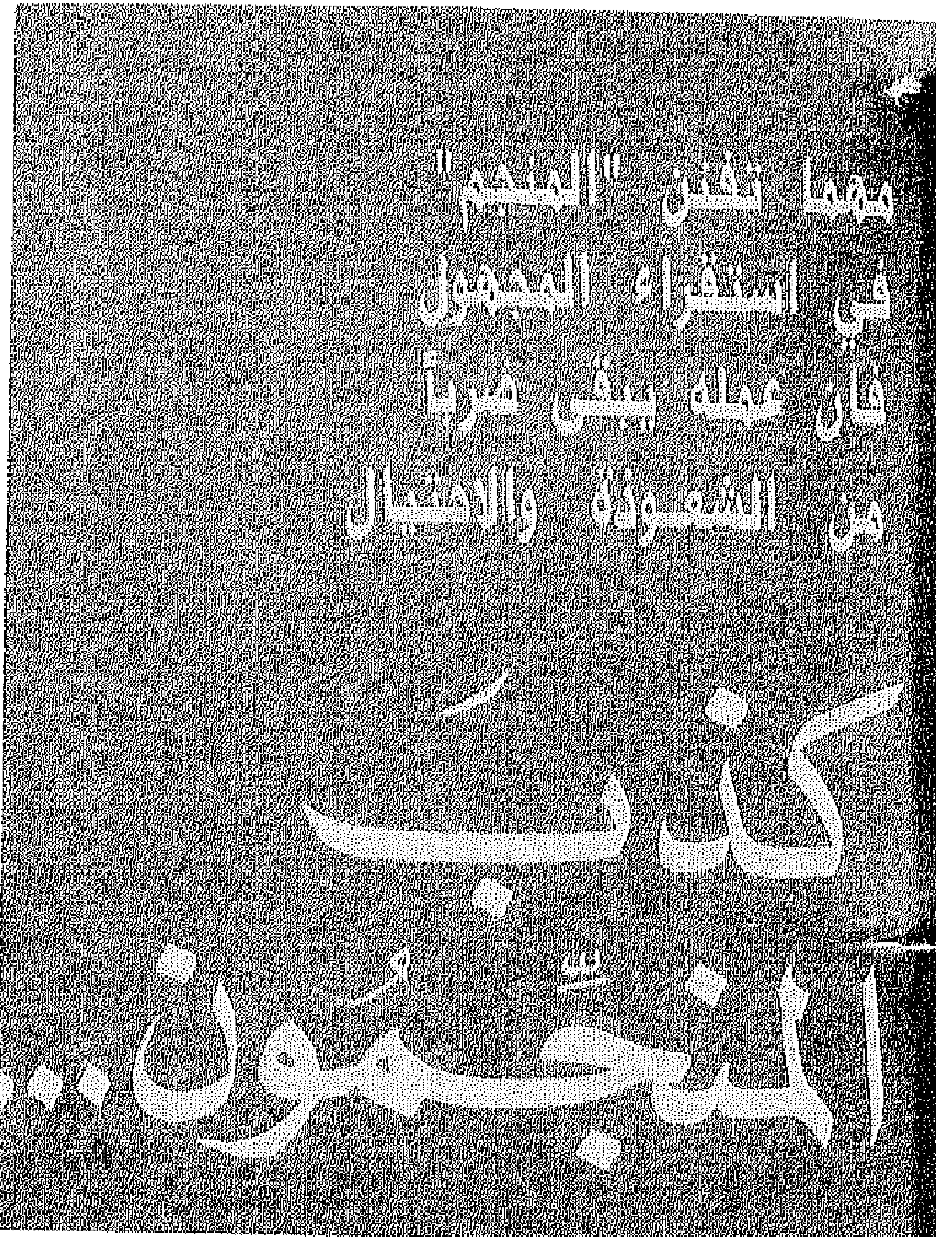
مثل هؤلاء الناس كانوا مزعجين، خصوصاً حين أعكف على قراءة بختهم بورق الشدة. انهم كمبتدئين يعرفون معاني كل الاوراق، ولذا يجادلونني في ما أعطيهم من تفسيرات. كنت مرة أنشر الاوراق أمام ربة بيت متجهمة الوجه علقت في عنقها قلادة عليها صورة وعل مصاصر. وأربكتني عينا الوعل المصنوعتان من حجر كريم أحمر وهما



ترمقانني من فوق صدرها، حتى ذهلت عن الاحتفاظ بآس البستوني في كفي، وهو ورقة الموت. فجاء ترتيبه يشير الى موت المرأة في وقت قريب.

وشحب وجه المرأة هلعاً ووقفت لتمضي. ووقفت أنا وصافحتها وكأني أقدم اليها التعازي. ثم أطرقت مفكراً

وحائراً في ما يجدر بي أن أفعل. فهتفت بصوت عال: "اني ارتكبت خطأ مميتاً في خلط الاوراق، فأسقطت الشاب الديناري من المجموعة." ثم انحنيت والتقطت ورقة الشاب عن الارض بجواري. وجلست المرأة ثانية وبدت على تقاطيع وجهها سيماء الارتياح. وأعدت خلط الاوراق. هذه



المرة لم يظهر آس البستوني في الكشف، لأني كنت قاعداً عليه.

★ ★ ★

مصري قديم – ان المنجمين لا يعرفون في الحقيقة ما سيحدث لك في المستقبل ولا ما حدث لك في الماضي. لكنهم يحدسون، وهنا يكمن الحذق.

كنت أراقب الناس بعناية عندما يدخلون خيمتي، فألاحظ ثيابهم وحركاتهم وملاحظاتهم الاولى وجلدة أكفهم (لأكشف ما اذا كانوا يمتهنون أعمالا يدوية). الوجوه تكشف الأسرار أكثر من أي شيء آخر. وثمة وجوه كالحة ووجوه حانقة ووجوه تعكس المزاج المرح. وجه الام يتسم بعلائم لا تظهر في وجه امرأة لم تنجب. كما ان العيون توحي بالرضا أو بالرفض وتعبر عن الخوف أو الكتمان.

وفي ما يخصني لم تكن طريقة قراءة البخت مهمة. كان في وسعي أن أقرأ باطن القدم كما أقرأ باطن الكف. لكن قراءة الكف كانت الأفضل عموماً. وكان من المفيد أن أقول لكل شخص من ثلاثة ان كفه فريدة في نوعها. ومن شأن ذلك أن يلين طبعه فيروي لي الكثير عن نفسه. وبعد ذلك أعيد له ما رواه بعبارات مختلفة.

ونادراً ما كانت الاسئلة التي يطرحها الزبائن محرجة، على رغم أني كنت أواجه لحظات عسيرة أفكر خلالها في استنباط أجوبة عن بعضها. وفي أثناء الازمة الاقتصادية الكبرى في الثلاثينات كنت أقرأ البخت في قاعة البلدية في ملبورن بأوستراليا خلال احتفال لجمع التبرعات لمساعدة العاطلين عن العمل. فروت لي امرأة أن صديقتها لا تجيد الانكليزية وسألتني هل المنجم المصري مستعد ليكلمها بالعربية.

واضطر شبكة العظيم الى التفكير بسرعة فائقة، ثم أوضحت للسائلة أني أتكلم المصرية القديمة التي اضمحلت اليوم وأخشى ألا تفهم صديقتها الكلمات

التي أتفوه بها لانها، كما افترض، تتكلم العربية المتداولة هذه الايام. عندئذ تطوعت السيدة بأن تتولى هي الترجمة فيما أتكلم الانكليزية، وأراحني هذا الاقتراح.

وأدخلت الصديقة. وعلمت أنها كانت تطوف العالم بحثاً عن أخ لها تسلم قبل سنوات عملا على متن سفينة. وبعد زيارة مـرفأ صيني عـرّجت السفينـة على أوستراليا قبل أن تعود الى فرنسا. غير أن أخاها لم يرجع مع السفينة. وكان السؤال: أين هو الان؟

أغمضت عيني ومسحت جبيني بأنامل مرتجفة وفكرت في أن قطار العودة الى بيتي سيفوتني اذا لم أكشف مكان الاخ المفقود.

وسألتها في لحظة اشراق فكري: "هل بحثت في الصين؟"

قالت: "لا."

قلت: "اذاً حاولي أن تبحثي هناك."

كيف عرف؟ يتعلم جميع المنجمين "قانون الحدث العادي" في حياة الناس. فكل انسان يقع في الغرام ويتشاجر مع الآخرين ويصالحهم ويهدر أموالا ويلتقي أناساً سمر الوجوه جذابين. وكل فتى يواجه خلافات مع حبيبته ويتوق الى الاسفار. واذا رويت لهم هذه الامور فانك تصيب بحسب "قانون الحدث العادي".

ويعتمـد المنجمون أيضـاً أسلوب "الايحاء" فيصرحون بفكرة ثم يتوسعون في شرحها أو يناقضونها وفقاً لما ترسمه من ملامح على وجه الزبون. فاذا شئت مثلا أن أعرف هل الفتاة الجالسة أمامي ترافق شاباً أشقر أم أسمر أقول وأنا أحدق الى وجهها: "انك ترافقين شاباً أسمر." واذا ظهرت على قسماتها ملامح الرفض سارعت الى القول: "لا، بل شاب أشقر. احدى صديقاتك ترافق شاباً أسمر." واذا انبسطت أساريرها أسهبت في التحدث من منطلق الشاب الاشقر.

قال لي منجم قديم محنك مرة انه فتح ثقباً في جانب خيمته يرى من خلاله ما اذا كان للزبون الداخل عليه رفيق ينتظره في الخارج. وبعض حيله الاخرى في المهنة: قل للشبان انهم ذوو جاذبية للفتيات. وقل للفتيات القرويات انهن سيجدن عملا في المدينة، وللمرأة الكهلة ان ابنها نابغة، وللنساء اللاتي تبدو عليهن علائم المشاكسة انهن سيتشاجرن مع أزواجهن.

وقفت قرب خيمة هذا المنجم مرة فسمعت امرأة كان قرأ لها بختها تقول لرفيقتها: "انه حقاً منجم بارع. لقد أخبرني أني تشاجرت مع زوجي في الاسبوع الماضي. كيف أمكنه أن يعرف ذلك؟"

ونظرت الى وجهها الذي ارتسمت عليه علائم المشاكسة جلية. وفهمت.

ألن مارشال ■



الحب لا ينتظر كالحجر، بل ينبغي صنعه كما يصنع الخبز، واعادة صنعه دائماً.

أورسولا لوغان



أخبار العالم

قوالب لبناء الأهرام

هناك نظرية جديدة تذهب الى أن الحجار التي بُنيت بها أهرام مصر هي مداميك صُنعت يدوياً ورُكّبت في أمكنتها. وإذا صحّ هذا الأمر، فهو يعني أن بناء الأهرام اقتضى عدداً من العمّال يقلّ عما افترض سابقاً. والنظرية السائدة تقول ان عشرات ألوف العمّال بذلوا جهوداً جبّارة في قطع حجار الجير من مقلع كلسي ورفعها الى مواضعها بالسلالم، وان وزن الحجر الواحد راوح بين ثلاثة وستة أطنان.

ويقول العالم الكيميائي جوزف دافيدوفيتش من جامعة باري في فلوريدا ان حجار الأهرام صُنعت من ملاط الجير الممزوج بالمعادن وصُبّت في قوالب خشب. وهذا يفسّر احتواءها على مواد معدنية وفقاعات هوائية في حين انّ الحجر الكلسي لا يحوي المعادن ولا الفقاعات.

والنظرية الجديدة تحلّ أيضاً احدى المشكلات العويصة المتعلقة بالأهرام. فمن الثابت أنها بُنيت في حدود العام ٢٦٠٠ قبل الميلاد، في حين أن أدوات البرونز الصلبة التي يمكن أن تقطع حجر الجير لم تُبتكَر الا بعد نحو ٨٠٠ سنة من ذلك التاريخ. وهذه النظرية تعطي تفسيراً أكثر إقناعاً لانطباق الحجار بعضها على بعض بحيث لا يمكن إدخال ورقة رقيقة بين طبقة وأخرى منها.

مجلة "جيو"

غريزة الأمومة

وجد روبرت بريدجز خبير الأعصاب والغدد الصمّاء في جامعة هارفرد، أن رغبة الام في تغذية صغارها وحمايتهم مردّها الى طريقة عمل الهرمونات. وبإعطائه ذكور الجرذان واناثها التي لا صغار لها جرعات من الاستراديول والبروجستيرون، وهما الهرمونان الانثويان اللذان ترتفع نسبتهما أثناء الحمل، ولّد لديها حسّاً قوياً بالامومة. ويفترض بريدجز أن ردّ فعل الانثى البشرية تجاه وليدها يقوم على فعل هذين الهرمونين أيضاً.

ويبدو أن المواد الطبيعية المخدّرة داخل الدماغ تنقص كثيراً بعد الولادة، الأمر الذي يقوّي غريزة الامومة. وللتأكد من هذه النظرية، حقن الباحثون جرذاناً حبلى بالمورفين المخدّر، فضعفت غريزة الامومة لديها. ثم قويت من جديد بعد وقف جرعات المخدّر.

صحيفة "أومني"

مأساة واقعية

"يا إلهي لا تتركني أموت غرقاً في جوف المنجم"

انقصفت دعامة خشبية ودوّت أصوات راعدة تحت سطح الأرض ودُفن عامل المنجم حياً

علق كورت ساندرز على عمق ثلاثة كيلومترات داخل منجم الفحم الحجري في الهضبة العظيمة غرب ولاية كولورادو، وقد أطبق عليه سقف الحفارة الذي انسحق بفعل الانهيار. وغُلِّف جسمه البدين بقطع الصلب المحطمة والصخور المنهارة. وأحس المياه الباردة ترتفع

Illustration: Earl Norem

رويداً لتغمر فخذيه. ومن أعماقه رفع صلاة الى الله تعالى كيما يرشد إليه فرق الانقاذ سريعاً.

لكن أصوات الجرافات العاملة على تراكمات الصخور التي دفن تحتها كانت خافتة جداً بحيث ضعفت آماله داخل "نعشه" الفولاذي.

قبل ذلك باثنتي عشرة ساعة أي في الثالثة من عصر الثلثاء ١٦ أبريل (نيسان) ١٩٨٥ كان ساندرز باشر عمله مع فريقه المؤلف من ثمانية رجال في أحد مناجم شركة "باودرهورن" للفحم. وولجوا قاعة من أعمدة الفحم شبيهة بقفير النحل تقع في نهاية طريق تحت الأرض يبلغ عرضها ستة أمتار وارتفاعها مترين، وفوقهم طبقات من الحجر الرملي والصلصالي تعلو مئة وسبعين متراً مثبتة في مكانها بدعائم خشبية وصفائح فولاذية وأعمدة فحم أبقي عليها بعد عمليات تنجيم سابقة.

وفي انسحاب مدروس كان العمال يقطعون أجزاء من كل عمود سامحين للسقف المتداعي بالانهيار عقب خروجهم. وعلى رغم خطورة هذا العمل كان ساندرز (٣٢ عاماً) يستمتع بالتحدي. وهو عامل تنجيم توارثت عائلته الصنعة منذ أربعة أجيال. وسرعان ما شغل أسطوانة الصلب الدوّارة التي أخذت أسنانها المعدنية تنهش السطح الفحمي. وكانت أذرع آلية تجمع قطع الفحم المتساقطة وتضعها على سلاسل معدنية ناقلة توصلها الى عربات متوشعة (*) تعمل في الخلف.

وفي الساعة الرابعة سمع ساندرز صوت تصدّع. فقد انفلقت دعامة خشبية في المقدم وراح هدير متلاحق يمزّق الجبل فوقه. ودوّت كلمة "انهيارا" في رأسه وسمع من الخلف صرخة: "كورتا!" فأدرك أن رجاله يفرون طالبين السلامة. ووجد حمايته في الظلّة الفولاذية من حفارته. ثم أوقف السلاسل المعدنية وخفض الجزء الآكل وحرّك الحفارة في الاتجاه الخلفي.

وانفجرت قائمة غليظة الى جانبه فتناثرت شظايا وتحطمت حوله جلاميد ضخمة. ثم أفلتت قطعة حديد من الحفارة فمزقت قبعته الواقية وأصابته بجرح في حاجبه. وانهار سقف غرفة القيادة في الحفارة فشعر بألم مبرّح يضغط مؤخر رأسه وكتفيه. وفقد وعيه.

انتظار الفرج — استفاق ساندرز تدريجاً على سكون موحش وظلمة مطبقة. وعلم من طعم الدم في فمه أنه ما زال حياً. وكانت ذراعه اليسرى مسمّرة الى جنب غرفة القيادة ورأسه مطأطأ بين ركبتيه. واستعان بذراعه اليمنى الطليقة لامساك البطارية الكهربائية في حزامه التي تغذي مصباح قبعته. وتلمّس

(*) عربات تتحرك جيئة وذهوباً.

شريطها متتبعاً إياه حتى وجد المصباح فنقره بإصبعه وأشعّ النور.

كان الجرح فوق عينه يؤلمه، فشق قطعة قماش من قميصه وعصب جبينه. وفكر في أنهم لا بد آتون اليه، فما عليه سوى الانتظار.

ثم سمع هسيس هواء في الصمامات أمامه التي تتحكّم بمياه تبريد الحفارة وتعزل عنها الغبار. فمن المؤكد أن زملاءه نزعوا طرف الخرطوم الطويل من بركة المياه ووصلوه بمضخة هواء. واستخدم ساندرز كماشة معلقة في حزامه لفتح وصلات الصمامات سامحاً للهواء بملء غرفة القيادة.

رن جرس الهاتف في البيت في غراند جانكشن فأجابت ديبي ساندرز. وكان على الخط مدير المنجم جيم ديامانتي وهو رجل صلب نقل اليها الأخبار المفجعة. وجاءت كلماته موجزة: "كورت سينجو باذن الله. لا تبارحي مكانك، بل امكثي مع الأولاد."

وأنبأت ديبي أولادها الستة باكية أن والدهم حوصر في انهيار المنجم. فأجهش الجميع ما عدا كريستي (١٢ عاماً) وهي أكبرهم سناً التي قالت لهم بثقة: "أبي فطن وهو لا يستسلم بسهولة. سوف يخرج بسلام."

وقدّر ديامانتي أن انهيارين متتاليين دفنا حفارة ساندرز تحت سبعة أمتار من الصخور المتراكمة. إلا أن أحداً لم يكن يعرف ما اذا كان كورت حياً أم ميتاً. وأمر ديامانتي بتجميد عمليات التنقيب في أنحاء المنجم الفسيح وطلب من مساعديه أن يجندوا أفضل عمالهم في فرق الانقاذ.

وكان زملاء ساندرز نجوا من الكارثة وباشروا تدعيم سقف الطريق المؤدية الى داخل المنجم. وأحضرت ثلاث حفارات راحت تزيل الكسارة المتراكمة. ولكن كلما أزيلت صخرة تدحرجت أخرى مكانها. وبدا الأمر كالحفر برفش في جبل هائل من الحصى.

وبفعل ارتجاج الحفارات تسرّبت سحب غبار من فتحة في باب غرفة القيادة، فاستخدم ساندرز قطعة من قميصه كقناع واق. وبعد ست ساعات في محنته تذكر أن طاقة بطاريته تُستنفد في ثماني ساعات. فأطفأ النور وجلس ينتظر في الظلام الدامس.

وكان ساندرز قبل مدة قصيرة بنى سداً عند بركة كبيرة ليمنع مياهها من التسرب داخل الجبل. ويبدو أن السد تصدع الآن إذ أن المياه راحت تقطر في غرفة القيادة، وما لبثت أن ارتفعت حتى غطت حَقْيه ثم خصره. وأخيراً بات على ساندرز أن يرفع رأسه ليبقي أنفه وفمه مكشوفين. ربّاه، لا تدعني اموت غرقاً!

ثم دخلت المياه أذنيه، فحلّ رباط حزامه بهلع شديد. وتملكته حال هستيرية بلغت ذروتها حين أطلق يده اليمنى عبر الباب ولكم الصخر. وبدّد الالم أفكاره

المجنونة فدمدم: "ما أنا فاعل؟ يجب أن أتشبّث بالأمل."

واستمرت المياه تغمر أذنيه نحواً من ساعة الى أن فتحت إحدى آلات الانقاذ مخرجاً. وهكذا جفّت غرفة القيادة تدريجاً. فشكر ساندرز الله تعالى وحمده.

"اني أراه!" – في الثالثة فجراً غدا ضجيج المحركات أقرب من قبل. وخيل الى ساندرز أنه التقط أصواتاً. فصرخ: "هاي." وتوقفت المحركات فأعاد الكرّة: "هاي!"

ودوّت صرخة قوية في أرجاء المنجم: "انه حي!" وما ان أعلم ديامانتي بالأمر حتى بشر ديبي هاتفياً: "كورت بخير. إنه يكلمنا."

ثم زحلت الصخور بكثرة فردمت كل متر تقدمته فرق الانقاذ بجهد مضن. وأضاء ساندرز مصباحه فاكتشف شقاً في أحد عروق الفحم فوقه. وحدث نفسه وهو يرتجف من البرد والخوف: "هذه فرصتي." وصلّى بصوت مسموع: "ربّي، أعن عائلتي في هذه الظروف الصعبة." وشعر بحرارة تسري في عروقه فاستسلم لنوم خفيف.

وفيما ديبي تنتظر في البيت شعرت أن كورت ينزلق بعيداً عنها. وتذكرت أنه كان يطلق عليها اسم تدليل لانه لم يجد كلمة في القاموس تعبر عن مدى حبه لها. ولم تستطع تذكر هذا الاسم مهما حاولت. فانهمرت الدموع على خدّيها.

طوال نهار الأربعاء تابع عمال الانقاذ الحفر في الصخر فيما عملت فرق الصيانة بسرعة فائقة على إصلاح أعطال الآلات. وفي مقابل كل مترين تقدماً كان عمال الانقاذ يخسرون متراً ونصف متر. وعصر ذلك اليوم علقت آلة الحفر في انهيار جديد مما استلزم أربع ساعات لتحريرها.

وأصدر ديامانتي أوامر جديدة: "حين نبلغ تلك المرحلة مجدداً سنتوقف عن الحفر وننصرف الى الانقاذ." واستنبط العمال قناة مزدوجة هي صهريج نفط سعته ١٩ ألف ليتر مقصوص من الوسط ومقطع الأطراف ومركّب فيه أنبوب فولاذي مطلي بالزنك. وجُهّز هذا الاختراع بالحبال والبكرات بحيث يمكن مد الأنبوب الداخلي بقطره الدائري البالغ متراً ونصف متر بعيداً عن الهيكل الخارجي.

وبحلول بعد الظهر كان الركام أزيل مجدداً حتى سقف عربة ساندرز. ووضعت القناة المزدوجة على أرض الكهف وبسطت فوقها ألواح خشبية وإطارات شاحنات لتهميد صدمات الصخور اذا تساقطت.

وباتت أجوبة ساندرز رداً على النداءات تكاد لا تسمع، ممّا أقلق ديامانتي. فأقوى الرجال قد يفقدون عقولهم نتيجة دفنهم طوال هذه المدة.

في هذه الأثناء كانت القناة المزدوجة دفعت الى نقطة تبعد مترين فقط عن غرفة القيادة. وأصبح لزاماً النبش

بالايدي ابتداء من هناك. واختير لهذه المهمة ثلاثة رجال من فرقة العمليات الخاصة في المنجم، وهم داريل مالون وغاري ديغارمـو وجاك مـوستشيتي. وتناوب الثلاثة إزالة الركام، فكان أحدهم يحفر والآخران يدفعان الحجار المزالة الى عمال خلفهما والجميع يحتاطون لاحتمال انهيارات جديدة. وأثناء تقدمهم عملوا على تدعيم النفق. لكنهم اضطروا مراراً الى الاحتماء في القناة كلما شعروا بارتجاج في السقف أو في الجدران.

وكان ساندرز يجاهد للحفاظ على رباطة جأشه. فقد طغى على الظلمة وهج أزرق فيما العناكب الزرقاء تزحف فوق رأسه. وحاول إبعادها عنه فصفعها بعصبية. ثم أضاء مصباحه فلم ير سوى لباسه الملطخ بالدم.

وتمكن مالون من رؤية الوميض من خلال الشقوق فصرخ: "كورت! هل تبصر ضوئي؟" فاستدار ساندرز وأجابه بصوت أجش خفيت: "نعم، اني أراه! اني أراه!"

وأسرع مالون في الحفر بعناد حتى تمكن من شق فتحة صغيرة قرب باب غرفة القيادة أدخل من خلالها قارورة ماء الى ساندرز. وتلاقت أناملهما فبادره كورت: "اني أحبك يا رفيقي."

"لقد لمسناه!" وزفت البشرى من المنجم الى ديبي في المنزل: "اذا صمد النفق سنتمكن من اخراج كورت خلال ساعات."



كورت ساندرز وزوجته ديبي وأولادهما الستة.

فيلوبيدوس – تناوب مالون وديغارمو مد النفق وتوسيعه حتى باب غرفة القيادة. وعمل موستشيتي مع فريق خاص على نقل الحجار في عربات اليد عبر القناة المزدوجة الى المنطقة الآمنة من المنجم.

لكن سقف النفق بدأ يتحرك مما يعني أن دعاماته لن تصمد طويلا. وقص مالون جزءاً من باب غرفة القيادة المحطم مستعملا مشعل لحام. إلّا أن الممر كان ضيقاً جداً فتعذر عليه التقدم أكثر.

وأمسك ساندرز بمشعل اللحام مؤكداً: "أظن في امكاني معالجة الأمر." وبعد عشر دقائق من العمل تردد صدى

اهتزازات عنيفة في المنطقة. وعلى رغم تساقط الغرين بغزارة تسمّر مالون في موضعه وتابع ساندرز عمله من دون توقف. وتمكن أخيراً من إخراج يديه من الجزء العلوي المقصوص من الباب وهو بعد ساخن. وصرخ بالحاح: "أخرجوني من هذا المكان!"

وهكذا سحب الى النفق حيث عانقه ديغارمو وأوقفه على رجليه بمعاونة مالون، ثم قاداه خارج المنجم. وكانت عقارب الساعة تشير الى الخامسة والنصف من فجر الثامن عشر من الشهر، مما يعني أن ساندرز أمضى سبعاً وثلاثين ساعة ونصف ساعة مدفوناً.

وتدافع عمال المنجم ليحيوا زميلهم فيما هو ينقل الى سيارة اسعاف. وحين وصلت السيارة الى المستشفى استقبلتها ديبي التي هرعت نحو زوجها وقبّلت وجهه المتّسخ وسألته: "كورت، ما اسم الدلال الذي كنت تدعوني به؟" فأجابها: "فيلوبيدوس."

بعد أربع ساعات من نجاح عملية الانقاذ انهار المنجم كلياً وامتلأت الغرفة التي علق فيها كورت بالركام. لكنه عاد الى عمله بعد ثلاثة أسابيع بصحة جيدة وبتصميم أقوى على جبه أخطار مهنته. وأمسك يدي اثنين من مساعديه في القسم الجديد من المنجم وصلّى: "يا رب احمنا اليوم واحفظنا من الأخطار الداهمة." ثم ركب حفارته وأدار محركها وراح ينهش سطح الفحم من جديد.

بيتر مايكلمور ■



صف مهزوز

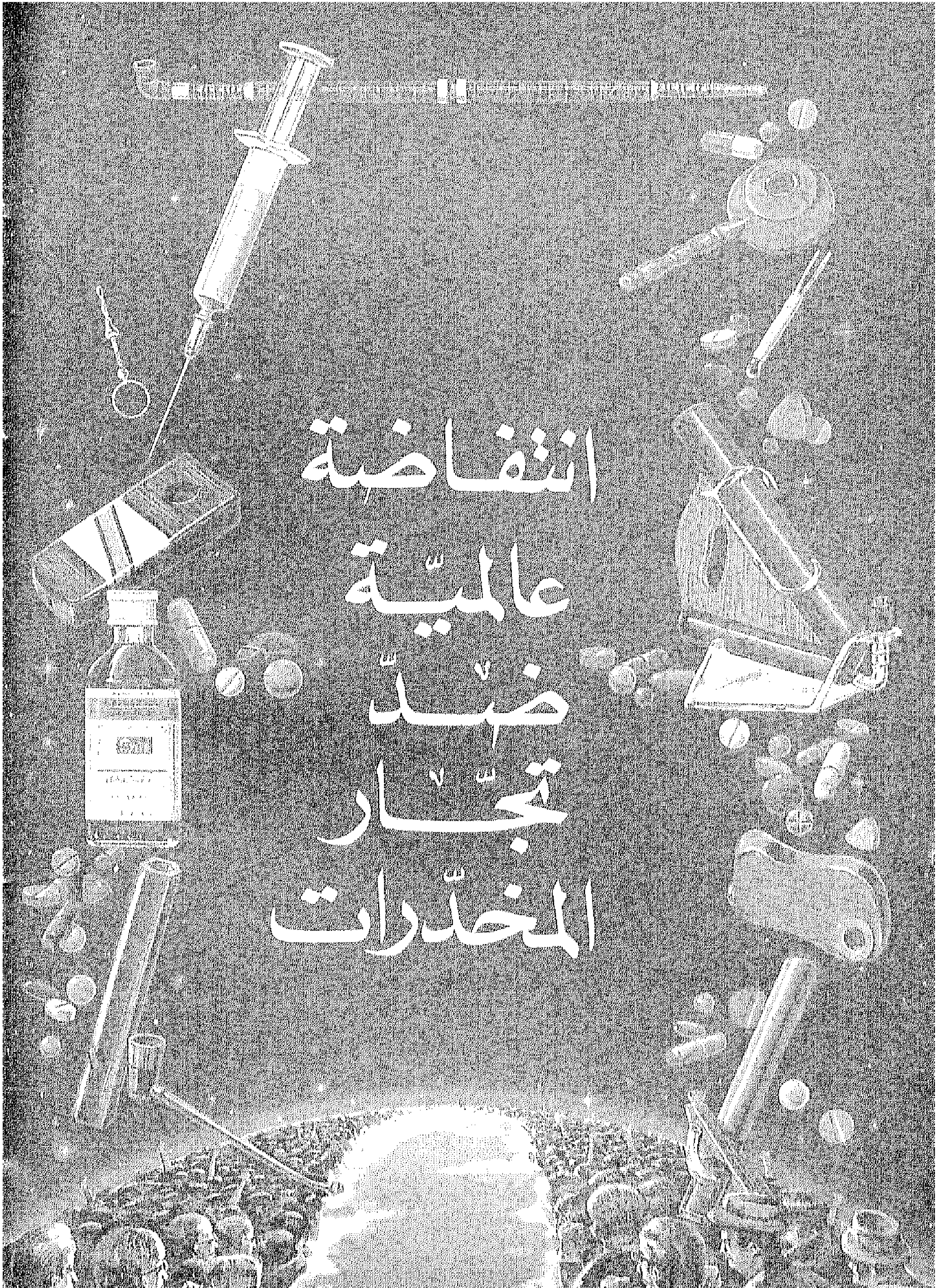
خلال امتحان جامعي حصلت هزّة أرضية جعلت الطلاب يضطربون والاستاذ يخرج ليرى ما حدث. ولما عاد قال: "حسناً، لقد انقضى الامر بسلام. ولكن ماذا فعلتم في غيابي وهل غش أحدكم؟"

ل.د.

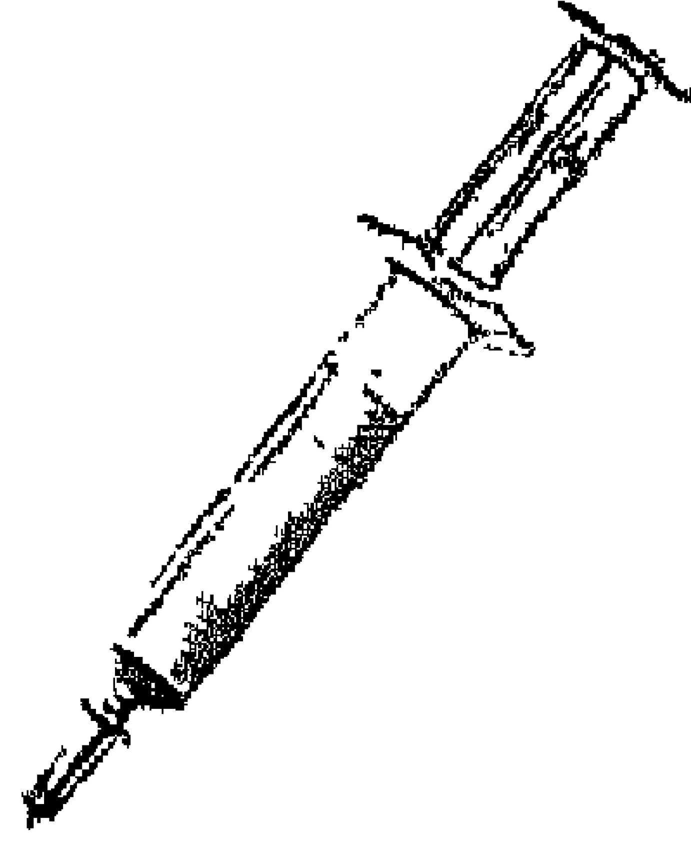
الأناقة الطويلة

أمضت امرأة وقتا طويلا وهي تتأنق استعداداً للذهاب مع زوجها الى السينما. وأخيراً قال لها: "أخبريني، أتريدين مشاهدة الفيلم أم التمثيل فيه؟"

ج.ب.


انتفاضة
عالميّة
ضدّ
تجّار
المخدّرات

تقرير خاص بالـ «ريدرز دايجست»



لسنوات طويلة ضلل تجار المخدرات شباب العالم وأوصلوهم الى الهاوية. واليوم يشن الآباء والامهات انتفاضة غضبى على هؤلاء التجار ويدعون الجميع الى المشاركة

في ضواحي مدينة روما منطقة فقيرة تدعى بريمافالي أصابت فيها المخدرات رواجاً كبيراً. وقد دأب الأهالي منذ سنوات على حض الشرطة على اعتماد مزيد من القسوة في معاقبة مروجي المخدرات المحليين. وفي شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ توجهت عشرون من الأمهات المغضَبات الى مركز الشرطة وقدّمن لائحة تتضمن أسماء تجار معروفين وعمدن إلى وضع ملصقات في المنطقة كلها يطلبن فيها التأييد ويدعين إلى اجتماعات عامة. ولم يلبث رجال الشرطة أن قبضوا على مروجي المخدزات في بريمافالي وباتت الشوارع خالية من الهيروبين. وفي سبيل دعم هذه الجهود جيء بمنطاد ذي محرك أخذ يحلّق فوق روما وقد تدلّت منه رسالة مضاءة كتب فيها: "أيها اليافعون، ليكن خياركم الحياة لا المخدرات." وباتت إيطاليا أول دولة تعتمد على الآباء والأمهات لمكافحة المخدرات.

وفي جمهورية إيرلندا لم تنشأ مشكلة المخدرات إلا قبل خمس سنوات. وتعاني البلاد الآن أزمة انتشار الهيروبين. ومن

Illustration: Howard Friedman

بين مدمني هذا المخدر أولاد في الثانية عشرة والثالثة عشرة، وهذا أمر يسعّر الغضب في نفوس أهاليهم. وفي مدينة دبلن ألّف فريق "الأهالي القلقين"، ويذرع أعضاؤه الشوارع ليلاً كي يبعدوا تجار المخدرات ويتأكدوا من أن الاولاد يلازمون بيوتهم. وإلى ذلك فهم يعقدون اجتماعات عامة يذيعون فيها أسماء مروجي المخدرات المحليين ويعمدون الى التظاهر أحياناً أمام بيوت تجار المخدرات المعروفين. وفي إحدى المناطق طردوا مرة أحد هؤلاء التجار من بيته ورموا متاعه في الطريق وطلبوا منه مغادرة البلدة ففعل.

وفي أوروبا وبقية أنحاء العالم نلاحظ أن الغضب أخذ يستبد بالآباء والأمهات وهم يرون أولادهم في انحطاط مستمر فراحوا ينضمون إلى القوى التي تكافح مروجي المخدرات. ويبدو أن المواطنين العاديين هم ألدّ أعداء هؤلاء المروجين. والملحوظ أن بعض الأهالي يقاومون تجارة المخدرات على نحو مباشر كما في روما ودبلن وحتى في باكستان. وفي العام ١٩٨٣ استجاب الرئيس الباكستاني ضياء الحق إلى طلب الأهالي وجعل عقوبة تجارة المخدرات أكثر صرامة من ذي قبل حتى بلغت السجن المؤبد أحياناً.

والواقع أن الفرق القديمة العهد التي أقامها الأهالي لمكافحة المخدرات أخذت تكتسب زخماً جديداً بفعل هذا التحرك العالمي، ومن بينها "المنظمة الاتحادية لمجموعات أهالي الأحداث المدمنين والمعرضين لخطر المخدرات" في ألمانيا و"جمعية الأهل لمحاربة المخدرات" في أسوج (السويد) وهي أول جمعية للأهل في العالم. وقد أنشأتها مجموعة من الآباء والأمهات الذين أدمن أولادهم المخدرات. ويكمن عمل هذه الجمعية في مساعدة الشباب المدمنين في جمع الأهل والأولاد بفتيان وفتيات أقلعوا عن المخدرات. وفي هذا يقول بيتر بول هاينمان، وهو جراح أسوجي له نشاطات في الجمعية: "إن هؤلاء الأولاد يعتمدون نهجاً رائعاً في إعادة الثقة إلى الأهل الملتاعين وفي استمالة أشباههم من الأولاد."

والمعلوم أن السلطات العليا بدأت تولي تحرك الآباء والأمهات في العالم اهتماماً عظيماً. وفي شهر ابريل (نيسان) ١٩٨٥ أقيم في أطلنطا بولاية جورجيا مؤتمر دولي حضرته الأمريكية الاولى نانسي ريغان ودعيت إليه نساء ينتمين إلى أكثر من عشرين بلداً.

لقد غزا وباء المخدرات في العشر السنين الأخيرة جميع القارات وبدأ يحدث خللاً في القانون والاستقرار والصحة في عدد كبير من البلدان. وإذا نحن أنعمنا النظر في ما يجري في العالم، وجدنا أن هناك نزوعاً واضحاً إلى التخفيف من وطأة هذا الوباء.

أوروبا الغربية

تعتبر هولندا الآن عاصمة المخدرات في أوروبا. وعلى رغم أن المخدرات ليست منتشرة على نطاق واسع بين الهولنديين أنفسهم فان الشباب يفدون إلى هولندا من أرجاء العالم لشرائها بسبب لين القوانين الهولندية المتعلقة بها.

ولئن يكن القانون الهولندي لا يسمح باستعمال المخدرات وبيعها فهو يعتبر استعمال الماريوانا والحشيش (*) جنحة طفيفة. وفي مراكز الشباب التي تتمتع بالدعم الحكومي تجار يحق لهم بيع "كميات قليلة" من الماريوانا والحشيش للاستعمال الشخصي. وفي ما يسمى "المقاهي"، التي يكثر وجودها في مدينة أمستردام والتي توجد أيضاً في مناطق أخرى من البلاد، يمكننا مشاهدة أوراق الماريوانا ملونة بالأخضر على النوافذ الأمامية. وفي بعض هذه المقاهي لوائح عليها أسعار أنواع مختلفة من الحشيش. وفي أيام الاربعاء يعمد مقهى "بولدوغ" الذي يملك فروعاً في أمستردام ولاهاي إلى بيع الحشيش بنصف سعره الأصلي. ومن الشائع أن نقرأ في الملصقات والصحف إعلانات عن هذه الأماكن، بل إن في مجلة شركة "ك.ل.م." للطيران الداخلي إعلانات مماثلة.

وإذا كانت هذه المقاهي لا تقدم في الظاهر إلا الماريوانا والحشيش فان في عدد كبير منها ملصقات، بعضها مكتوب بالانكليزية، تتضمن أرقاماً هاتفية لأماكن بيع الهيروويين. وورد في بعض هذه الملصقات ما يأتي: أيها المدمنون الأجانب، عندما تستعملون المخدر إياكم أن تحقنوه بسرعة أو أن تتجاوزوا الكمية المحددة."

أما اسبانيا فلم تكن تعاني قبل السنين العشر الأخيرة مشكلات أساسية في مجال المخدرات. غير أن الحال بدأت تتغير على نحو مقلق منذ منتصف السبعينات وأخذ عدد مدمني الهيروويين يرتفع حتى تجاوز الخمسين ألفاً. وغدت اسبانيا البلد المفضل لمرور الهيروويين الآتي الى أوروبا من الشرق الأوسط وباكستان وتايلاند وبلدان آسيوية أخرى، كما غدت واحداً من أبرز أماكن دخول الكوكايين الآتي من أمريكا اللاتينية.

ومن الواضح أن وباء الهيروويين متفشٍ في مدن إيطاليا الرئيسية على نحو مروّع. وقد يكون من أسباب ذلك النهج الذي اعتمده التجار في السبعينات. فقد أحجم هؤلاء عن عرض كميات وافية من الماريوانا والحشيش وأغرقوا السوق بنوع من الهيروويين رخيص الثمن وكبير الفاعلية. وبات عدد كبير من الشباب المدمنين الحشيش يتعاطون هذا النوع من الهيروويين. ومما جعل عمل التجار أكثر سهولة في هذا المقام أن القانون الايطالي لا يعاقب على استعمال المخدرات ويقصر عقابه على شرائها. ويرى جيوفاني ريغوني أحد مديري الجمعية الايطالية لمكافحة انتشار المخدرات أن حال الشباب الايطالي في ما يتعلق بالمخدرات "كارثة كبرى."

وقد جاء في دراسة أعدتها إحدى مؤسسات الابحاث الاجتماعية في روما أن عدد مدمني المخدرات في إيطاليا يراوح بين ١٨٠ ألفاً و٢٤٠ ألفاً. غير أن في هذا البلد وعياً شاملاً للمشكلة، والشعب الايطالي يعمل على إيجاد حل لها بسبل كثيرة. فالصحافة ومحطات الاذاعة والتلفزيون تبذل جهوداً طيبة في الحملة

(*) الحشيش هو القنّب الهندي.

القائمة لمكافحة المخدرات. وفي العام ١٩٨٤ قدمت الحكومة الايطالية مبلغ أربعين مليوناً وتسعمئة ألف دولار إلى صندوق مكافحة المخدرات في فيينا التابع للأمم المتحدة، وهذه أكبر مساهمة مفردة حتى الآن. ويذهب جوزيبي دي غنارو المدير التنفيذي لهذا الصندوق إلى أن "علينا تعبئة ضمائر جميع الناس على جميع المستويات ليكون ذلك عوناً لنا في التغلب على هذه المشكلة الضخمة."

كذلك أظهرت إيطاليا فاعلية في معالجة مدمني المخدرات. ففي العام ١٩٧٩ لم تكن نسبة المدمنين الذين أفلح علاجهم تتجاوز الخمسة في المئة. أما اليوم فان هذه النسبة تقارب الثلاثين في المئة. وفي إيطاليا الآن نحو سبعمئة مركز لمعالجة أولئك المدمنين. وتسعى الجمعية الايطالية لمحاربة انتشار المخدرات إلى تغيير القانون المتعلق بالمدمنين بحيث يخضع هؤلاء للعلاج بدلاً من السجن.

وفي ١٩٨٤ توفي ٣٤٢ شخصاً في ألمانيا الغربية بسبب المخدرات وصادرت الشرطة ٢٥٠ كيلوغراماً من الهيروبيين، ذلك المخدر الذي أولاه رجال الشرطة اهتمامهم منذ أواخر السبعينات. على أن الحشيش والماريوانا وألوان المخدرات الأخرى متوافرة أيضاً في هذا البلد. وجاء في تقرير أعدّته وزارة الصحة أن استعمال الهيروبيين آخذ في الاضمحلال لكن مراقبة تجارة أنواع المخدرات الأخرى لا تستأثر بأي انتباه. وفي العام ١٩٨٤ ورد في تصريح للسيد اريش ربشر نائب مدير قسم المخدرات في مركز الشرطة الجنائية في ألمانيا الغربية: "لقد نشأت مشكلة تستحق اهتماماً عظيماً هي الازدياد الكبير في عدد مدمني الكوكايين." وعلى رغم أن عدد الذين قضوا باستعمال المخدرات بلغ ٣٤٢ شخصاً عام ١٩٨٤ فان ألمانيا الغربية لم تيأس من التغلب على تلك المشكلة. ويرجع الفضل في ذلك الى المركز الالماني لمكافحة الادمان الذي يتعاون لتحقيق غايته مع مؤسسات الرعاية الاجتماعية والضمان الصحي والمنظمات الخاصة وسواها كما يتعاون مع نحو ستين مركزاً لمعالجة المدمنين أصابت نجاحاً كبيراً في هذا المجال.

أما النروج "فتنكر" وجود مشكلة المخدرات فيها على حد تعبير السيد جان كروغ رئيس اتحاد أنصار تخليص المجتمع من المخدرات. فهناك عدد كبير من النروجيين يرفض إدراك حجم المشكلة. ومن الناحية القانونية يعتبر الافراط في استعمال المخدرات نتيجة للمشكلات الاجتماعية أكثر مما يعتبر شراً قائماً بذاته.

وتشير الدراسات التي أجريت في مدينة أوسلو إلى أن نسبة الذين يتعاطون الحشيش ممن تراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والعشرين كانت ٥،٣ في المئة فقط عام ١٩٦٨ فأصبحت ٢١،٨ في المئة عام ١٩٨٤. وتذكر الشرطة أن أنواع المخدرات الأخرى آخذة أيضاً في الانتشار.

والواقع ان عدد أعضاء اتحاد أنصار تخليص المجتمع من المخدرات يبلغ نحو ثمانمئة من الآباء والأمهات والاختصاصيين والمعلمين والطلاب

والرياضيين. وقد تأسس هذا الاتحاد عام ١٩٨٠ لمحاربة موقف الحكومة الرسمي الذي ينفي وجود مشكلة المخدرات. ويقول كروغ في هذا المقام: "إن الثمن الذي ندفعه بسبب سياسة الحكومة هو أن معظم الناس هم مناهضون لاستعمال المخدرات لكنهم لا يعلمون حقيقة المخدرات والضرر الذي يمكن أن تلحقه بالمرء. وإذا اتفق أن تضافر الأهل ورجال الشرطة والعاملون الاجتماعيون وأعضاء الحكومة واتخذوا موقفاً واضحاً مناهضاً لاستعمال المخدرات فان النروج تغدو خالية منها خلال خمس سنوات."

وفي عدد من البلدان الأخرى تعتبر الوسيلة التي اعتمدتها بريطانيا في مكافحة ادمان الهيرويين مثالاً يحتذى. فالقانون البريطاني كان يسمح للأطباء باعطاء مدمني الهيرويين وصفات تتيح لهم الحصول على كميات معينة من هذا المخدر مما جعل بيعه في السوق السوداء قليلاً. غير أن بعض الأطباء تجاوزوا في وصفاتهم الحد المطلوب فنشأت حاجة إلى مزيد من الهيرويين وعمد المدمنون إلى شرائه على نحو مخالف للقانون. وقد ارتفع عدد المدمنين المعروفين من ٥٧ إلى ٥٢١ بين ١٩٥٤ و١٩٦٥. وعندما ألغت بريطانيا هذه الطريقة عام ١٩٦٨ بلغ عددهم ٢٢٤٠. وفي بريطانيا اليوم نحو أربعين ألف مدمن للهيرويين. ويرى بعض الخبراء أن عددهم يزيد كثيراً على هذا الرقم. والشائع أن نسبة البريطانيين الذين استعملوا الحشيش قديماً، أو هم لا يزالون يستعملونه، تبلغ سبعة في المئة.

وفي فرنسا شنّ الرئيس فرنسوا ميتران "حرباً على المخدرات" عام ١٩٨٣. ولم يأبه أحد لذلك في بداية الأمر، إلا أن ميتران كان جاداً في موقفه وعمد إلى إنشاء الهيئة الحكومية لمكافحة المخدرات التي تولت تنسيق جهود الحكومة في هذا المضمار وتشجيع الجمعيات الخاصة التي تتولى محاربة الادمان.

والمشهور أن فرنسا هي أقل البلدان الاوروبية تسامحاً في شؤون المخدرات. ومع ذلك جاء في تقرير أصدرته الحكومة الفرنسية عام ١٩٨٢ أن عدد مدمني الهيرويين يقدر بمئة ألف. وورد في تقرير آخر في العام التالي أن مجموع الذين يستعملون الحشيش والماريوانا من المدمنين وغير المدمنين يفوق المليون. والحق أن فرنسا مهددة اليوم بأن تغدو ضحية الكوكايين على نحو خاص. وقد وجدت الهيئة الحكومية لمكافحة المخدرات أن انتشار المخدرات بين الصغار آخذ في الازدياد وأن بعض المدمنين من هؤلاء لا تتجاوز أعمارهم الحادية عشرة. والسبل التي اعتمدتها هذه الهيئة تشمل معاقبة المدمنين ومعالجتهم ومنعهم من حيازة المخدرات.

آسيا والمحيط الهادىء

إن القوانين الفرنسية المتعلقة بالمخدرات تبدو قاسية بالنسبة إلى كثير من الاوروبيين، غير أنها لينة في الواقع بالقياس على القوانين المعتمدة في بعض الدول الاسيوية. ففي الفليبين وتايلاند وماليزيا وسنغافورة بات واضحاً أن تجار المخدرات قد يتعرضون لعقوبة

الاعدام. وفي بعض الاحيان تقتصر العقوبة على الجلد بالسياط أو السجن فترة قصيرة. أما في سري لانكا فقد سُنّ قانون عام ١٩٨٤ يقضي بالاعدام أو بالسجن المؤبد على حائزي المخدرات والمتاجرين بها وعلى كل من يصدّر أو يستورد مقدار غرامين أو أكثر من الهيروييين أو الكوكايين.

والسؤال المطروح: هل أفلحت هذه القوانين في حل مشكلة المخدرات؟ الواقع أنه يمكننا الاجابة عن هذا السؤال بالايجاب إذا نحن اتخذنا التجربة التي عرفتها سنغافورة منطلقاً لنا.

في أول شهر أبريل (نيسان) ١٩٧٧ أعلنت حكومة سنغافورة بداية "حملة فيريت" التي اشترك فيها مكتب المخدرات المركزي ووزارة الصحة والشرطة والجمارك والجيش. وشرعت هذه السلطات تبحث عن المدمنين الذين يحتاجون إلى المعالجة وعن تجار المخدرات. وفي تسعة أشهر تمت محاكمة ١٦٨٦ من المدمنين و٢٨٠ تاجراً وحكم على ٨١ تاجراً بالسجن. وأرسل ٦٥٠٠ مدمن هيروييين للمعالجة في مراكز تابعة للحكومة.

والخطوة الاولى في العلاج تستدعي أن يصرف المدمن أسبوعاً كمرحلة "تجفيف" يليه أسبوع للتعافي. وينطوي الاسبوع الثالث على علاج فردي وجماعي. وفي الاسبوع الرابع تمارس بعض التمرينات الجسدية. وفي الشهر الرابع يمارس المستشفون أعمالاً تراوح بين صنع المفروشات وجمع أجزاء الاجهزة الالكترونية، ويمضون في هذه الأعمال حتى انتهاء فترة العلاج. وفي المرحلة الأخيرة ينقل المدمنون إلى مركز يغادرونه نهاراً للعمل في القطاع الخاص ويعودون إليه ليلاً على أن تفتش ملابسهم ويُفحص بولهم يومياً للتأكد من أنهم لم يتعاطوا أي مخدر. وبعد شفائهم وعودتهم الى العالم الخارجي يُطلب منهم إجراء فحوص للبول منتظمة مدة سنتين. وكل من يخالف هذه القوانين يحكم عليه بدفع غرامة أو بالسجن أو بالعقوبتين كلتيهما. وتشير الاحصاءات إلى أن نسبة الذين يعودون إلى استعمال المخدرات بعد شفائهم تبلغ ٤٣،٣ في المئة بعد خمس سنوات متابعة.

والمعلوم أن هذه الاجراءات رافقتها حملة تربوية واسعة. ونتج من هذا كله أن تدنى عدد المدمنين من ١٣ ألفاً قبل "حملة فيريت" الى ٥٥٠٠ في العام ١٩٨٤.

واليابان أيضاً لم تنج من مشاكل المخدرات. غير أن خروجها مظفّرة من المعركة أمر لا جدل فيه. ويرجع ذلك إلى سببين اثنين أولهما فاعلية الشرطة اليابانية وعقوبات السجن الصارمة التي يفرضها القانون على المدمنين والتجار، وثانيهما المعارضة الشديدة التي يبديها الرأي العام الياباني حيال تعاطي المخدرات.

أما في أوستراليا فالحال مناقضة لما هي عليه في اليابان. ففي يوليو (تموز) ١٩٨٣ طلب وزير الصحة نيل بلويت السماح بزراعة الماريوانا للاستعمال الخاص وعدم معاقبة مدمنيها. كذلك من المعروف أن السير جون غورتون أحد

رؤساء الوزراء السابقين هو عضو في المنظمة الوطنية المتساهلة التي تدعو الى تغيير القوانين المتعلقة بالماريوانا. وفي هذا الصدد يقول كلير سبريغ وهو طبيب متقاعد وأحد مؤسسي جمعية "توثيق العلاقة بين الأهل وأولادهم من طريق التربية الخاصة بالمخدرات": "إن إقبال الشباب هنا على الماريوانا والحشيش لا يقل سوءاً عما هو في الولايات المتحدة. أما استعمال الهيروبين فهو أسوأ بكثير. وفي مدينة سيدني يعمد السائقون المراهقون إلى ترويع الناس في الشوارع الرئيسية."

أمريكا اللاتينية

إن بوليفيا والبيرو هما البلدان اللذان يزودان العالم الكوكايين. وكولومبيا هي أبرز بلد يزود العالم نبات القنب الذي يستخرج منه الحشيش وزيت الحشيش والماريوانا.

والواقع ان التجار الذين كان همهم الوحيد تصدير المخدرات الى الخارج باتوا اليوم يولون المدمنين في بلادهم جزءاً من اهتمامهم ويعملون على زيادة عددهم. ولا شك في أن عجينة الكوكا القاتلة هي أكثر المخدرات شيوعاً. وهي أرخص ما يستخرج من ورقة الكوكا التي تتحول في ما بعد مسحوقاً أبيض يدعى الكوكايين. ويراوح "نقاء" عجينة الكوكا بين أربعين وتسعين في المئة بالقياس على المنتوج الذي يمزج بمواد كيميائية ويباع في الخارج والذي يبلغ "نقاؤه" ١٢ في المئة. وفي معظم أنحاء أمريكا اللاتينية نلحظ أن ثمن لفافتين من عجينة الكوكا لا يتجاوز ثمن رغيف من الخبز. واللافت أن من يستعمل هذه العجينة يدمنها إلى حد يجعل الاقلاع عنها أمراً يكاد يكون مستحيلاً.

أما البرازيل فتعمل على تطبيق خطة لمنع انتشار المخدرات اشتركت في وضعها وزارتا الدفاع والعدل. وقد استخدمت الحكومة البرازيلية الأقمار الصناعية لتصوير المناطق التي يزرع فيها القنّب والكوكا ثم عمدت إلى إتلاف محاصيلهما. وإلى ذلك أعدّت الحكومة دروساً لجميع الذين يؤدون الخدمة العسكرية توضح الأخطار الصحية الجسيمة التي يولدها ادمان المخدرات. ويُتوقع من جميع الذين يتلقون هذه الدروس أن يعملوا على نشر فحواها بعد انتهاء خدمتهم العسكرية.

الحق ان معظم بلدان العالم كان يعوزها الاستعداد لمواجهة وباء ادمان المخدرات. غير أنها جميعاً تبقى أوفر حظاً من الولايات المتحدة التي سبقت البلدان الأخرى في تلقي الأذى، فقد أتيحت لها الفرصة كي تعتبر بالأخطاء التي ارتكبها الامريكيون. وإلى ذلك فان الآباء والامهات الامريكيين هم الذين يتولون مركز القيادة في محاربة انتشار المخدرات.

وفي شهر أبريل (نيسان) ١٩٨٤ دعت مؤسسة "برايد"، وهي مؤسسة تربوية أمريكية أنشأها آباء وأمهات في الولايات المتحدة للاهتمام بمشاكل المخدرات، الى مؤتمر في أطلنطا حضره آباء وأمهات ومختصون بشؤون الادمان من ٣٤ بلداً

تشارك الولايات المتحدة في مشكلاتها المتزايدة ونجاحاتها القليلة وخيباتها الكثيرة المتعلقة بهذا الموضوع.

وفي المؤتمر ألقت مارشا منات، التي شاركت في إنشاء المؤسسة، خطاباً حثت فيه الحاضرين على تحاشي الخطأ الذي ارتكبه الامريكيون في تركيزهم شبه التام على الهيروييين وعدم مبالاتهم بالمخدرات "الخفيفة" كالماريوانا والحشيش. وجاء في خطابها: "عليكم التركيز على المخدرات المستخرجة من القنّب باعتبارها مدخلا إلى مخدرات أشد خطراً. وعندما يرفض الشباب المخدر البسيط أو الحشيش فهذا يعني أنهم سيرفضون المخدرات برمتها."

كذلك تضمّن خطاب مارشا هذه الدروس التي تعلمها أعضاء المؤسسة:

● إن المتخصصين بالادمان وعلماء النفس والأطباء النفسانيين و"الجيران" أيضاً كانوا ينزعون الى لوم الآباء والأمهات على تعاطي أولادهم المخدرات، فينتاب الخجل هؤلاء ويشعرون بالعجز والعزلة والذنب. ولكن عندما بات ادمان المخدرات أكثر شيوعاً "بين الأولاد المنتمين إلى عائلات محترمة" أخذ الأهل يرفضون موقف "الخبراء" ويؤكدون حقوقهم حيال أولادهم وهبّوا إلى العمل.

● إن كثيرين من مديري المدارس كانوا يجهلون مدى انتشار الماريوانا بين التلاميذ بسبب سهولة إخفاء هذا المخدر وآثاره. إلا أن عدداً من المديرين الآخرين كانوا يخشون تشويه صورة مدارسهم فأبوا الاعتراف بأنها تعاني مشكلة المخدرات.

● بعدما شاع أن الدولة أخفقت في تنفيذ القوانين المتعلقة بحيازة المخدرات تجرّأ التجار على ترويج أدوات هذه المخدرات، فعمدوا على سبيل المثال إلى بيع كتيّبات سهلة تعلم الاولاد كيف يلفون سيجارة الماريوانا وبيع "مسدسات فضاء" بلاستيكية تنفث دخان المخدر في جوف الرئتين. وكان القانون يجيز بيع هذه الأدوات، غير أن مؤسسة "برايد" تمكنت من حظر هذا البيع في معظم الولايات الأمريكية.

وكان من نتائج مؤتمر أطلنطا ولادة منظمة جديدة هي الجمعية الدولية لمنع ادمان المخدرات. وقد أصدرت هذه المنظمة التي جُعل مقرّها في أوروبا منشورين عن سبل منع ادمان المخدرات ووزعتهما على الجمعيات التي تضم الاهل وعلى الهيئات الأخرى المعنية بهذا الموضوع في أوروبا والولايات المتحدة.

والسؤال المطروح الآن هو: كيف يسعكم إنشاء جمعية للأهل في المجتمع الذي تعيشون فيه؟ يرى توماس غليتون، وهو من مؤسسي "برايد" الامريكية ومديرها التنفيذي، أن في الامكان تحقيق هذا الأمر باعتماد الخطوات الست الآتية:

الخطوة الأولى: اتصلوا بآباء أصدقاء أولادكم ثم اجتمعوا في بيت أحدكم وابدأوا العمل. وبعد ذلك استعلموا عن مدى انهماك أولادكم في المخدرات بواسطة الشرطة والمعلمين والراشدين الموجودين في مراكز الشباب والأماكن الأخرى التي يختلف اليها المراهقون. وعليكم أن تسألوا الأولاد أنفسهم.

الخطوة الثانية: اطلعوا جيداً على الأضرار الصحية التي تنجم عن المخدرات الشائعة في مجتمعكم كي تشعروا بالثقة عندما تحدثون أولادكم وذوي السلطة في المجتمع عن تلك الأضرار. والواقع أن كثيرين من هؤلاء قد يتعرضون للضغط كي يجعلوا القوانين الخاصة بالمخدرات أكثر ليناً خصوصاً في ما يتصل بتلك التي تستخرج من القنّب.

الخطوة الثالثة: أرشدوا أولادكم وضعوا لهم قواعد وحدوداً في ما يتعلق بذهابهم إلى الحفلات التي تستباح فيها المخدرات وإلى الأماكن الخالية من أي رقابة، وفي ما يختص بنومهم خارج المنزل وقضائهم عطلة نهاية الأسبوع كما يحلو لهم. وإذا اتفق أن التزم جميع الآباء والأمهات هذا النهج فلن يعود في وسع ولد من الأولاد أن يقول: "لكني مضطر إلى ذلك، فالجميع يفعلونه!" لأن الحال تكون تغيرت ولا يعود أحد يفعله.

الخطوة الرابعة: أعدوا خطة للتدخل المبكر بحيث يعمد أحد أعضاء الجمعية أو أحد الأطباء أو أحد المعلمين إلى إخبار الوالدين إذا اتفق أن تعاطى المخدرات واحد من الأولاد، لأن الوالدين هما عادة آخر من يعلم بالأمر.

الخطوة الخامسة: إذا لم يكن في محيطكم برنامج للارشاد والتربية خاص بالأولاد الذين يتعاطون المخدرات وعائلاتهم فاعمدوا إلى إنشاء هذا البرنامج، لأن التدخل المبكر في شؤون مماثلة يبقى أكثر فاعلية وأقل كلفة.

الخطوة السادسة: لا تحتفظوا لأنفسكم بما تعرفونه عن موضوع إدمان الشباب، بل انشروه في مجتمعكم. ففي وسع المجموعات الدينية والمدنية والتجارية أن تسهل لكم عقد الاجتماعات العامة وتساعدكم في نشر برامجكم. وإياكم أن تنتظروا قيام الحكومة مقامكم لأنها عاجزة عن ذلك حتى عندما تزمع العمل على نحو جدّيّ.

وفي هذا تقول مارشا منات: "إن أهم ما ينبغي تعلّمه هو أن في الامكان إيقاف ادمان المخدرات لدى الشباب وأن في وسعنا جميعاً المساهمة في هذا المجال."

بيغي مان ■



شرطة تشرشل

توجه نائب بريطاني شاب نحو السير ونستون تشرشل خلال فترة استراحة في مجلس العموم شاكياً شرطة السير التي لم تحاول إخراجه من الازدحام على أحد الجسور. وقال بغيظ: "الظاهر انهم لم يعرفوا من أنا."

وبادره تشرشل: "ومن أنت في أي حال؟"

مجلة "بانش"، بريطانيا

تندمج الطائرة في زرقة السماء وتحلق
مع التيارات الحرارية كما
ينزلق حجر يقذف فوق صفحة الماء

جَناحُ الريح

الهواء الساخن يرتفع. في هذا اليوم من أواخر شهر أغسطس (آب) كان الهواء يرتفع فوق حقول القطن والمراعي في منطقة سكوري بولاية تكساس فيثير دوامات ريح صغيرة ويحرك التيارات الهوائية الحرارية التي تعلو الى ارتفاع ٣٠٠٠ متر قبل أن تتكثف في أشكال مختلفة من الغمام المدرّج.

قال تشارلز شو: "ها هي،" وأشار شمالا الى طائرة شراعية تمتطيها زوجته وقد انعكست على جناحيها أشعة الشمس حين مالت. وكانت جوان شو عائدة الى مطار سنايدر في المرحلة الأخيرة من مثلث يبلغ محيط أضلاعه ٣٠٠ كيلومتر قطعته بطائرتها.

بعد ذلك هبطت "نمبوس ٢" وهي

طائرة شراعية عالية الأداء يبلغ طول جناحيها ٤٠ متراً، ولامست الارض على عجلة صغيرة واحدة ثم درجت مسافة ٣٠ متراً.

أمسك تشارلز بيده طرف أحد الجناحين، وهو قائد طائرة ماهر. وعدا مع الطائرة حتى توقفت وهدّأ الجناح بينما فتحت زوجته غطاء قمرة القيادة.

قالت الزوجة وهي تفك حزام الأمان ومظلة الهبوط: "كان هذا رائعاً."

محطات وهمية - جوان شو (٥٠ عاماً) واحدة من ثلاث نساء في الولايات المتحدة حققن أرقاماً قياسية عالمية للنساء في الطيران الشراعي. وفي العام ١٩٨٣ حلّقت بطائرتها الشراعية "نمبوس" من سنايدر في ولاية تكساس الى كولبي في ولاية كانساس، قاطعة مسافة ٧٤٨ كيلومتراً. وضمن لها هذا الطيران رقماً قياسياً عالمياً في التحليق في فئة تسمى "مسافة الى هدف". وفي السنة التالية سجلت أرقاماً قياسية أخرى في المسافة والسرعة بطيرانها المدهش في رحلة اتخذت شكل مثلث واستغرقت ثماني ساعات ونصف ساعة.

وسيكون هدفها المقبل، اذا سمحت لها الاحوال الجوية، طيراناً ملحمياً بين قاعدتها في تكساس ونورث بلات في ولاية نبراسكا، تقطع فيها مسافة ٩٧٠ كيلومتراً. واذا نجحت في تحقيق هذا الهدف فانها ستحطم الرقم القياسي الذي سجلته هي نفسها من قبل وتسجل رقماً عالمياً جديداً للنساء في فئة الطيران المستقيم، وهو الطيران الذي تهواه جوان الى أقصى الحدود. انها تجد فيه بساطة وتصميماً يتفق مع قوة ارادتها المميزة.

تملك جوان شو وزوجها طائرة "سيسنا ١٨٠" لاستعمالها في جرّ الطائرة الشراعية ومساعدتها في الاقلاع. وفي أيام الصيف الوترية التواريخ (المفردة) يجر تشارلز زوجته في طائرتها الشراعية للاقلاع والتحليق. وفي الايام الشفعية (المزدوجة) تجر هي طائرته. ومشاركتهما هذه تحل الكثير من المشاكل التنظيمية التي يواجهها ممارسو هذه الرياضة.

تتوافر لربابنة الطائرات الشراعية ثلاثة أنواع من القوة الرافعة، أولاها أمواج الريح التي تهب في زوابع على سفوح الجبال المواجهة للسهول، والثانية مجاري الهواء فوق الجرف الجبلية التي تسبح معها الطائرة الشراعية كما يفعل راكب الزورق الذي يمتطي عباب البحر الثائر، والثالثة تيارات الهواء الساخن (*) في الصحارى والاراضي الجافة المنبسطة والتي تتكون في شكل أعمدة ضيّقة وترتفع بسرعة تصل الى ٣٠٠ متر في الدقيقة.

بالنسبة الى ربانة طائرة شراعية تعبر المسافات الطويلة مثل جوان شو، تماثل تيارات الهواء الساخن محطات وقود وهمية، فيقضي الربان معظم مسافة الطيران في ملاحقتها. وهذه التيارات يحوق بها هواء هابط. ولكي يتجنّب الطيار الجذب الى أسفل ويبقى في قلب

(*) Thermals أو التيارات الحرارية.

التيار الساخن يتعيّن عليه أن يميل بالطائرة الى أقصى حد ممكن ليستغل قوة الدفع الصاعدة. وحين يجد أن الجهد الذي يبذله للبقاء في قلب التيار أصبح يفوق جدواه، ينتقي بقعة أخرى في الجو ويتوجه اليها عبر الهواء الهابط.

ان العثور على تيار حراري يعتمد جزئياً على الحظ وجزئياً على المهارة. فالربابنة الماهرون يلاحظون الحقول التي تعتبر مدارج مقبولة للهبوط الاضطراري. وهذا حدث مألوف وان يكن محفوفاً بالخطر، لأن الطائرة الشراعية يتاح لها أن تهبط مرة واحدة فقط، واذا برز أمامها فجأة خط من الاسلاك الكهربائية فقد تنسحق ومعها ربّانها.

حادث مؤسف – على رغم معارضة والديها بدأت جوان تتلقى دروساً في الطيران في الخمسينات حين كانت طالبة في الجامعة الشمالية الغربية في ايفانستون بولاية ايلينوي. وكانت أمها ربّتها على الايمان بأن كونها امرأة لا يشكل عائقاً أمام طموحاتها مهما تكن.

اقترنت بزوجها الاول ألن هارتلي وهي لا تزال في الجامعة. وبعد تخرجها انتقل الزوجان الي باي سيتي في ولاية ميشيغان حيث ولد ابنهما البكر آرثر. وذات يوم شاهدا شريطاً وثائقياً عن الطيران الشراعي. واستهوى هذا الطيران ألن، غير أن جوان كانت تفضل أن تكون ربانة طائرة ذات محرك تجر بها الطائرات الشراعية لتقلع في الهواء. قالت: "كنت أجر خمس عشرة طائرة شراعية أو عشرين يومياً. وكبر ابني آرثر في المقعد الخلفي من طائرة الجر. وقد صنعنا له قفصاً صغيراً هناك كان يجلس فيه آمناً."

اشترى ألن عام ١٩٦٦ طائرة شراعية جديدة. وحين طار فيها للمرة الثانية قرر أن يقلع بواسطة آلة رافعة بدلا من طائرة الجر. وهذه الرافعة تثبت على شاحنة وتدور بكرتها فتلف الحبل بسرعة كافية لرفع الطائرة الشراعية المربوطة بالطرف الآخر من الحبل. وحين يصل الطيار الى علو ٤٥٠ متراً أو نحوها يتحرر من الحبل.

حتى اليوم لا تعرف جوان ما الخطأ الذي وقع. كانت تراقب الرافعة وهي تجر طائرة ألن الشراعية لترتفع في الهواء. وصلت الطائرة الى علو ٣٠ متراً وفجأة هوت الى الارض وقتل ألن.

بعد وفاة زوجها حصلت جوان على وظيفة محررة في نشرة لهواة الطيران الشراعي. في ذلك الوقت كان تشارلز شو مدير فرقة موسيقية في مدرسة سنايدر الثانوية، فراح يراسلها أسبوعياً ويقدم بعض الانباء الى النشرة.

وحين تزوجته عام ١٩٦٩ وانتقلا الى سنايدر، لم تكن جوان حلّقت في طائرة شراعية منذ ثلاث سنوات. وهي تقول: "وجد تشارلز أن أفضل طريقة ليجعلني أهتم للطيران الشراعي هي أن يتحداني. فكان يقول: أراهنك على أنك لا تستطيعين ابقاء هذه الطائرة في الجو مدة خمس ساعات." وهكذا بدأت في اشرافه تحسين مهارتها.

"هذا جميل!" – في أوائل سبتمبر (ايلول) ١٩٨٤ ذهبت الى مدينة هوبس

في ولاية نيومكسيكو لأطير مع جوان في طائرة شراعية ذات مقعدين من طراز "غروب ١٠٣". وصعدت الى القمرة وجلست في المقعد الخلفي.

حاولت أن أتعرف الى أجهزة القيادة. رأيت مقياس السرعة ومقياس الارتفاع والمقارن المتغير (Variometer) الذي يشير الى التبدلات المفاجئة في الضغط الجوي، اذ حين يصادف الربّان تياراً من الهواء الساخن يشير هذا الجهاز الى سرعة ارتفاع الطائرة بالامتار في الدقيقة.

قالت جوان وهي تغلق غطاء القمرة: "حسناً، نحن على أهبة الانطلاق."

بعد ثوان ارتفعت بنا الطائرة في الجو مربوطة بذيل طائرة الجر التي كانت لا تزال تدرج على الارض. وعندما أقلعت هذه ارتفعنا معها بسرعة.

ولدى بلوغنا ارتفاع ٦٠٠ متر تحررت جوان من طائرة الجر وبتنا وحدنا في الجو. وأخذ شعور لذيذ يتملكني. لم نكن نخترق أديم السماء، بل كنا نندمج فيه.

وبدا تحتنا صقر يحوّم. فقالت جوان: "الصقور عادة ترشدنا الى التيارات الحرارية، فلنلحق به." واستمرت تحلّق فوق الصقر متتبعة خط طيرانه.

وبعد قليل قالت: "يبدو أن هذا تيار هواء ساخن. سأحاول اقتحامه للافادة من كل قوته." وأمالت الطائرة بمقدار ٢٥ درجة. ونظرت من النافذة فرأيت أننا ندور حول محور الجناح الايسر.

قالت جوان: "يجب أن نتحوّل أكثر الى الداخل لنبقى ضمن التيار." وأمالت الطائرة حتى بدا جناحاها في وضع شبه عمودي بالنسبة الى الافق. وأخذ القلق يساورني وخشيت ألا تتحمل معدتي هذه المناورات.

وأصبحنا على ارتفاع ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر. وعزمت جوان على الارتفاع ٢٠٠٠ متر اخرى لتصل الى قاعدة طبقة الغمام. لكن قوة الرفع زالت فجأة.

حرفت مقدم الطائرة الى أسفل وهبطنا بسرعة ٨٠ عقدة (١٥٠ كيلومتراً في الساعة) مع الهواء الهابط في طريقنا الى التيار التالي. وبدت أمامنا غيوم مدرّجة متراكمة وكل منها تشير الى تيار رافع. وتوجهت جوان الى أقربها وهي تقفز بالطائرة من تيار الى آخر كما ينزلق حجر يقذف فوق صفحة الماء الهادىء. وفجأة ارتفعت الطائرة بقوة شعرت معها أن ضغط الجاذبية شد لحم خديّ.

هتفت جوان: "هذا جميل." وكان جهاز المقارن المتغير يشير الى ٣٢٥ متراً في الدقيقة، وتمكنا من الوصول الى قاعدة الغمام.

على الجليد! – حين هبطنا من التيار على ارتفاع ٢٨٠٠ متر اعلنت جوان: "أصبحنا الآن على ارتفاع يتيح لنا أن نتلاعب بالطائرة." ثم رفعت يديها عن المقود قائلة: "الطائرة في عهدتك."

في هذا الموقف فعلت ما كنت أقوى عليه. انتقيت غمامة وتوجهت اليها وأنا أدفع ذراع المقود الى الامام لتحويل مقدم الطائرة الى أسفل وزيادة سرعتها. كنت متوتر الاعصاب ومع ذلك بدا لي في بعض اللحظات أن الطيران كان طبيعياً الى حد مدهش. وتملكتني رغبة قوية في الاندفاع

نحو الأفق والطيران الى أقصى ما أستطيع.

وأخذت جوان المقود مني في طريق العودة الى المطار.

قالت لي: "عندما تكون الاحوال كما يرام يبدو الطيران سهلا ولا يتطلّب مهارة. فكل شيء يعتمد على الاحوال الجويّة."

ذات يوم ستكون الاحوال الجوية مناسبة لها فتطير الى نورث بلات. وستكون هناك قاعدة غمام عالية وريح تهب من ورائها بسرعة ٣٠ كيلومتراً في الساعة، فتدفعها شمالا لتتبع التيارات الساخنة في طريقها الى نبراسكا.

وفيما بدا لي أن الارض تدور حولنا قوي احساسي بأني أحلّق حراً في الهواء. وحين حطّت الطائرة على عجلتها الصغيرة كان هبوطها سهلا وسريعاً حتى اني شعرت كأننا ننزلق على الجليد.

وقبل أن تركب جوان سيارتها نظرت ثانية الى الغمام المدرّج الذي كان مخيماً على ارتفاع سامق وقالت: "آه، كم أتمنى لو كنت هناك تحت تلك الغمامة."

ستيفن هاريفان ■



شهادة الصغار

تشاك جونس منتج الرسوم المتحركة وأحد مبدعي الشخصيات الشهيرة مثل البطة "دافي" و"يوسيميتي سام" و"رود رانر" والهر "سلفسر"، يهوى زيارة حدائق الملاهي حيث يتنكر ممثلون في ثياب الشخصيات التي أبدعها ويؤدون أدوارا لتسلية الاطفال. وهو يقول:

نادراً ما يتاح لمنتج الرسوم المتحركة أن يشاهد جمهوره. واني أبتهج لرؤية الاطفال يعانقون الشخصيات التي صنعتها من أجلهم.

قالت لي فتاة صغيرة ذات يوم: "أنا أعرفك. انك الرجل الذي يرسم صورا للارنب "باغز باني". لم تقل اني أرسم "باغز باني" نفسه، بل اني أرسم صورا له. كان "باغز باني" في عرفها شخصية حقيقية. وهذا هو النجاح بالنسبة الي.

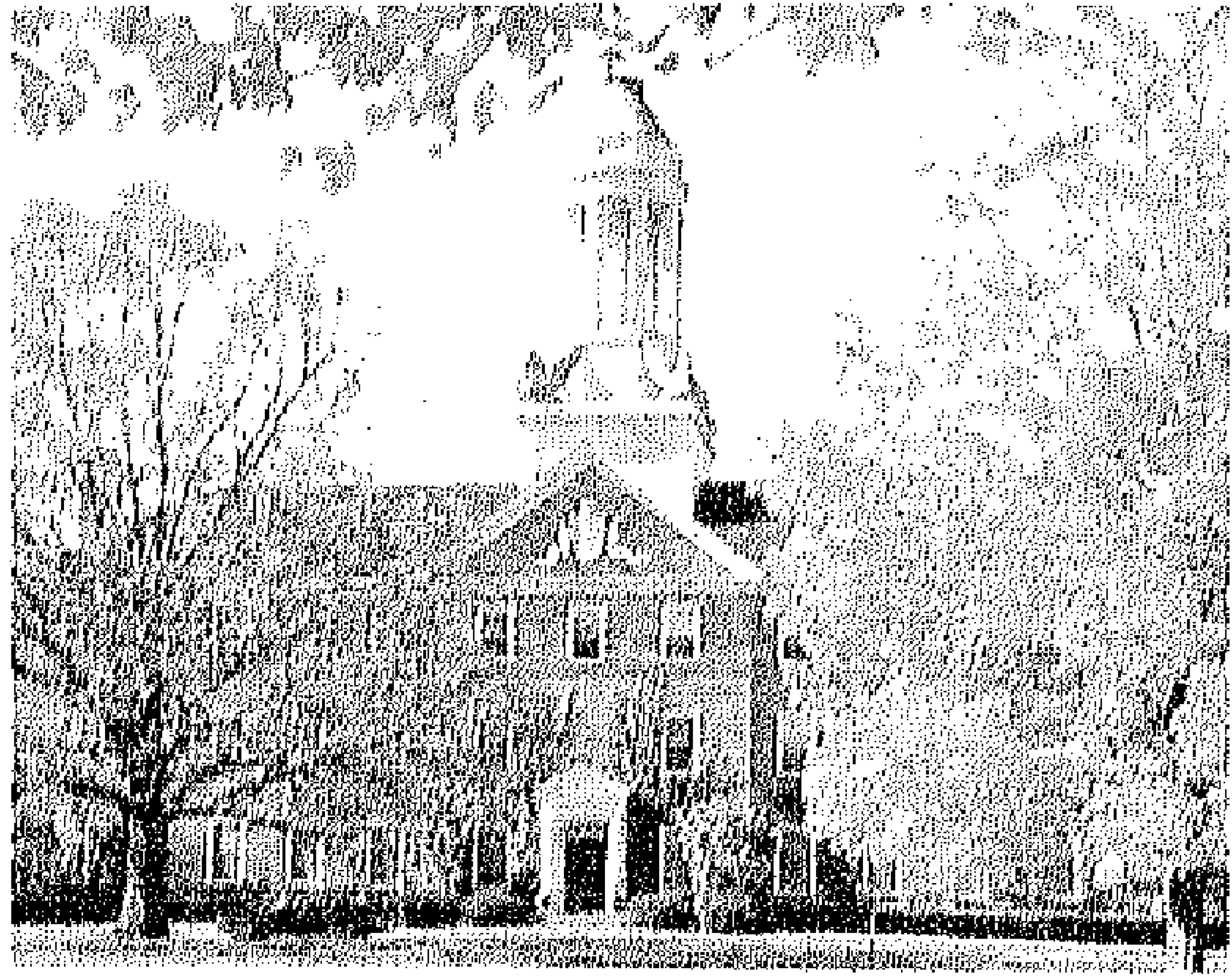
ب.بش.

مفهوم الحرب والسلم

كنت ملازماً أول جديدا حين رافقت المفتش العام وهو يعرض الفصيل الذي أتولى قيادته. وجرى كل شيء على ما يرام حتى وصلنا الى جندي سأله المفتش عن مهمته فأجاب: "أجرف أوراق الشجر يا سيدي." فاستدرك المفتش العام: "لا، أيها الجندي. أعني ماذا تفعل في زمن الحرب." فقال: "أجرف بسرعة أكثر يا سيدي."

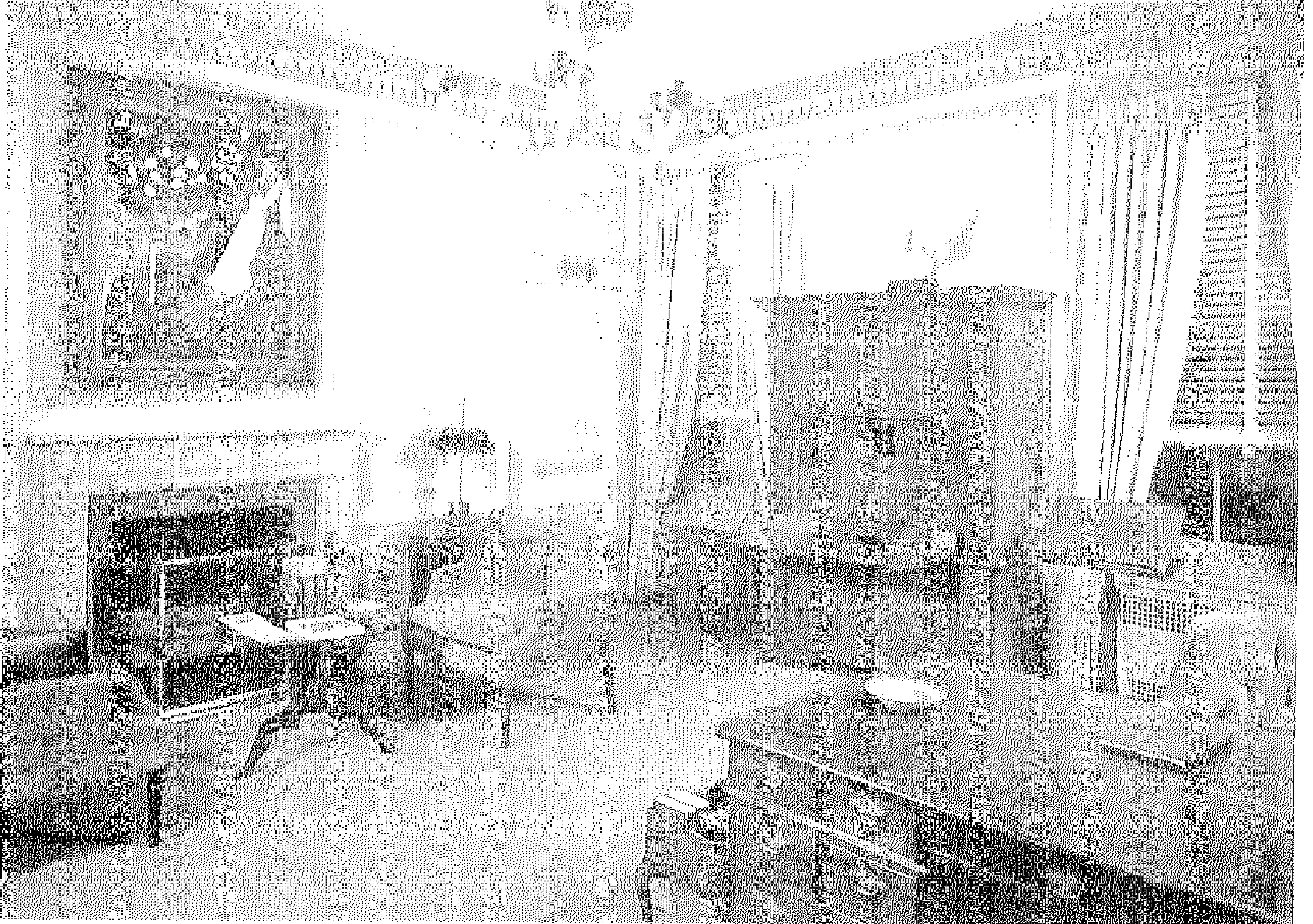
ب.م.

كُنوز
المتعَة الدائِمَة



"ان الفن الرفيع شيء نعجب به ليس في أوقات عزلتنا وتأملاتنا فحسب، بل في كل دقيقة عابرة من حياتنا اليومية الدائبة"

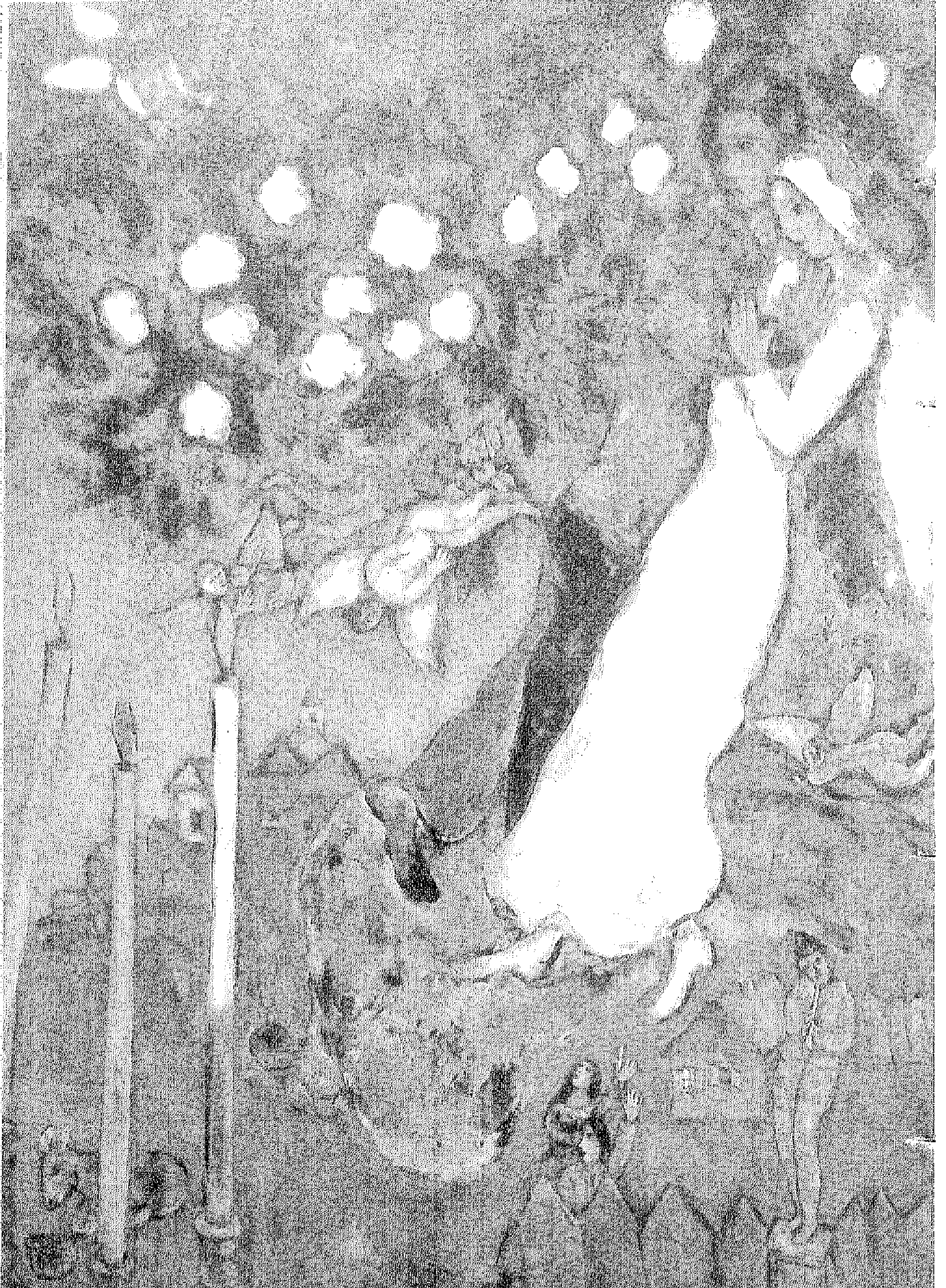
ليلى آنشيسون والاس
احد مؤسسي الـ"ريدرز دايجست"



كانت السيدة والاس تؤمن بأن الفن الرفيع يستطيع تغيير جو العمل. لاحظ وضع اللوحة الرائعة من أعمال شاغال المعلقة في مكتب رئيس تحرير الـ"ريدرز دايجست".

سأل صحافي مرة السيدة ليلى آتشيسون والاس كيف تختار القطع الفنية. فأجابت انها تشتري اللوحات الزيتية دونما اعتبار لقيمتها المحتملة ماديا، بل فقط - وبكل بساطة - "لأنها أغرمت بها." واضافت: "اذا شعرت أني لا أقوى على العيش من دونها، فاني أشتريها. انها كالزوج، لو استطاعت المرأة أن تعيش من دونه، فلماذا تتزوّجه؟"

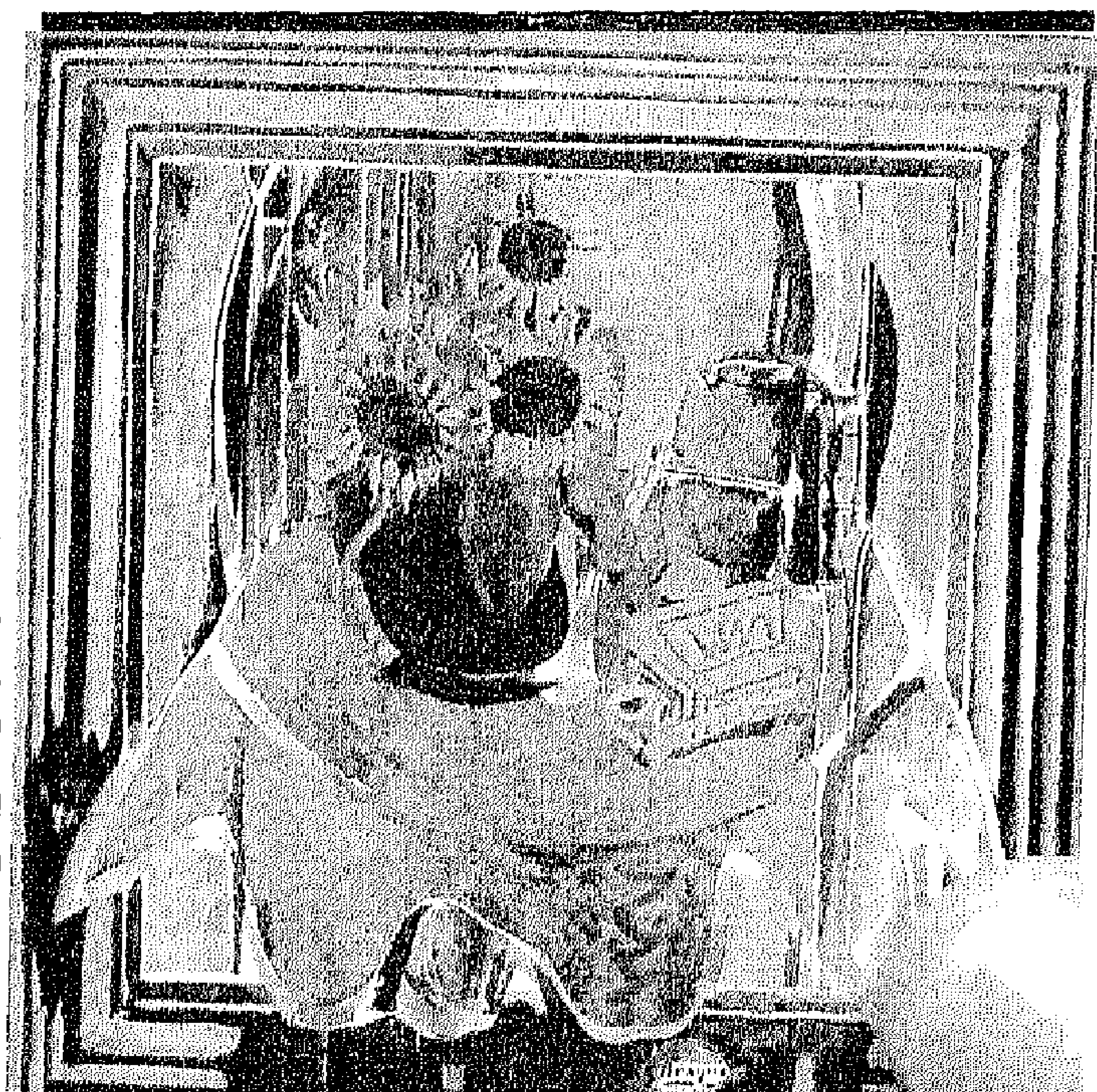
ان مجموعة الـ"ريدرز دايجست" الفنية هي النتيجة المباشرة لغرام السيدة ليلى والاس بالفن الرفيع طوال حياتها. واليوم تضم المجموعة التي بدأت في أواخر الأربعينات أكثر من ٣٠٠٠ لوحة ونسخة وصورة ومنحوتة. ولا يزال عدد كبير من أجمل اللوحات معلقاً في مركز الـ"ريدرز دايجست" في بليزنتفيل بولاية نيويورك. ولكن منذ شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥ والى شهر فبراير (شباط) ١٩٨٦ تعرض مختارات من هذه الروائع الفنية في معارض خاصة تنظم في المدن الآتية: شتوتغارت (ألمانيا) من ٨ الى ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥، ولندن من ١٤ يناير (كانون الثاني) الى ٨ فبراير (شباط) ١٩٨٦، وميلانو (ايطاليا) من ١٥ فبراير (شباط) الى ٥ مارس (آذار) ١٩٨٦، وباريس من ١١ مارس (آذار) الى ٦ ابريل (نيسان) ١٩٨٦، اضافة الى أربع مدن أمريكية كبرى.



"الشمعات الثلاث" بريشة الروسي مارك شاغال. في هذه اللوحة الزيتية التي رسمت عام ١٩٣٩ أبرز الفنان التناقض بين نعمة الحياة الزوجية وصخب العالم المضطرب.

"الراقصات"
من رسم الفرنسي ادغار ديغا
لوحة بألوان باستيل
رسمت بين ١٨٩٥ و١٩٠٠
وتبرز افتتان الرسام
بقوام راقصات الباليه.

Ali Elal



"دوّار الشمس"
ريشة الفرنسي جورج براك.
سطح المنضدة في هذه الزيتية
التي رسمت عام ١٩٤٦
يمتد الى الاطار المطليّ
فيعطي انطباعاً وهمياً.

Lee Boltin



"صورة جين ابيوتيرن"
من أعمال الايطالي آميديو موديلياني.
هذه الزيتيه التي رسمها الفنان عام ١٩١٨
تظهر صديقته في هالة معقدة
من الخطوط المنحنية.

Lee Boltin



"الشابة في الثوب الازرق في طريقها الى
المعهد الموسيقي" بريشة الفرنسي
بيار أوغست رنوار.
رسمت عام ١٨٧٧
تمثل شابة خارجة
لتتلقى دروساً
في الموسيقى.



"طيور النورس"
من أعمال الفرنسي غاستون لاشيز.
تنقض طيور النورس وتحلق في هذه
المنحوتة التي أنجزت عام ١٩٢٤.



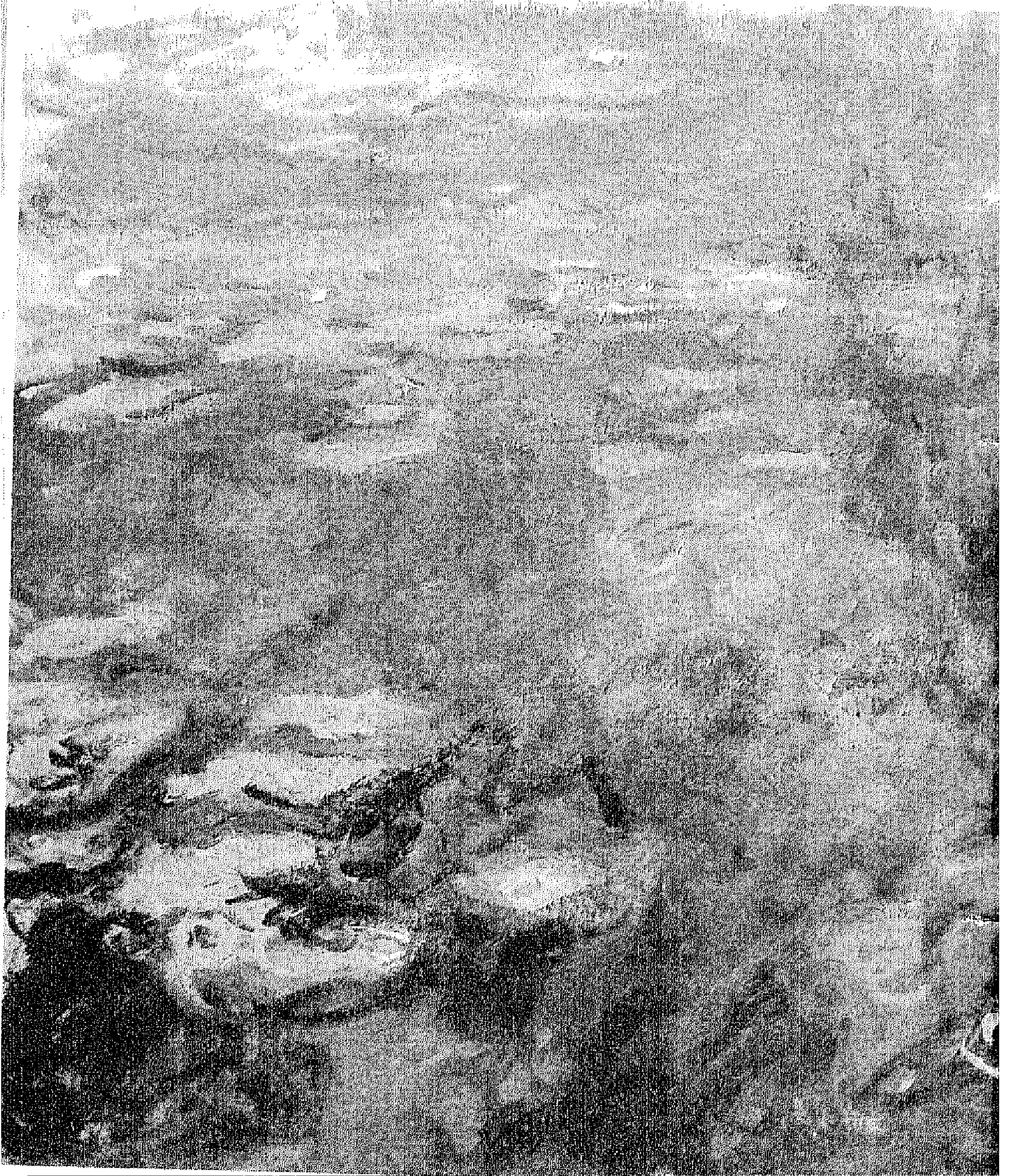
"المهرّج" من أعمال الاسباني
بابلو بيكاسو.
ابدع هذا التمثال النصفي
من البرونز عام ١٩٠٥،
ويبلغ ارتفاعه ٤١ سنتيمتراً.

Lee Boltin



"أزهار النيلوفر" للفرنسي كلود مونيه. هذه اللوحة الضخمة التي رسمها الفنان عام ١٨

بدأ اهتمام ليلى آتشيسون والاس بالفن في صباها حين كانت تقطن في منطقة السهول في غرب كندا. وهي قالت: "كانت أمي فنانة. وكنا كلّنا نحب الصور التي ترسمها (...) ربما لم تكن ثيابنا أنيقة، غير أننا كنا دائما محاطين بالروائع."



.منزله في حبفربي هي احدى لوحاته الاخيرة التي تمثل موضوعاً محبباً اليه.

وكان والدها رجل دين يحضر معه الى البيت ازهارا وبعض القطع الفنية. تخرجت هذه الكندية الشابة في جامعة أوريغون عام ١٩١٧ وتحوّلت الى النشاطات الاجتماعية. فتولت ادارة مركز للخدمات الصناعية تابع لمصنع ذخيرة في نيوجرزي

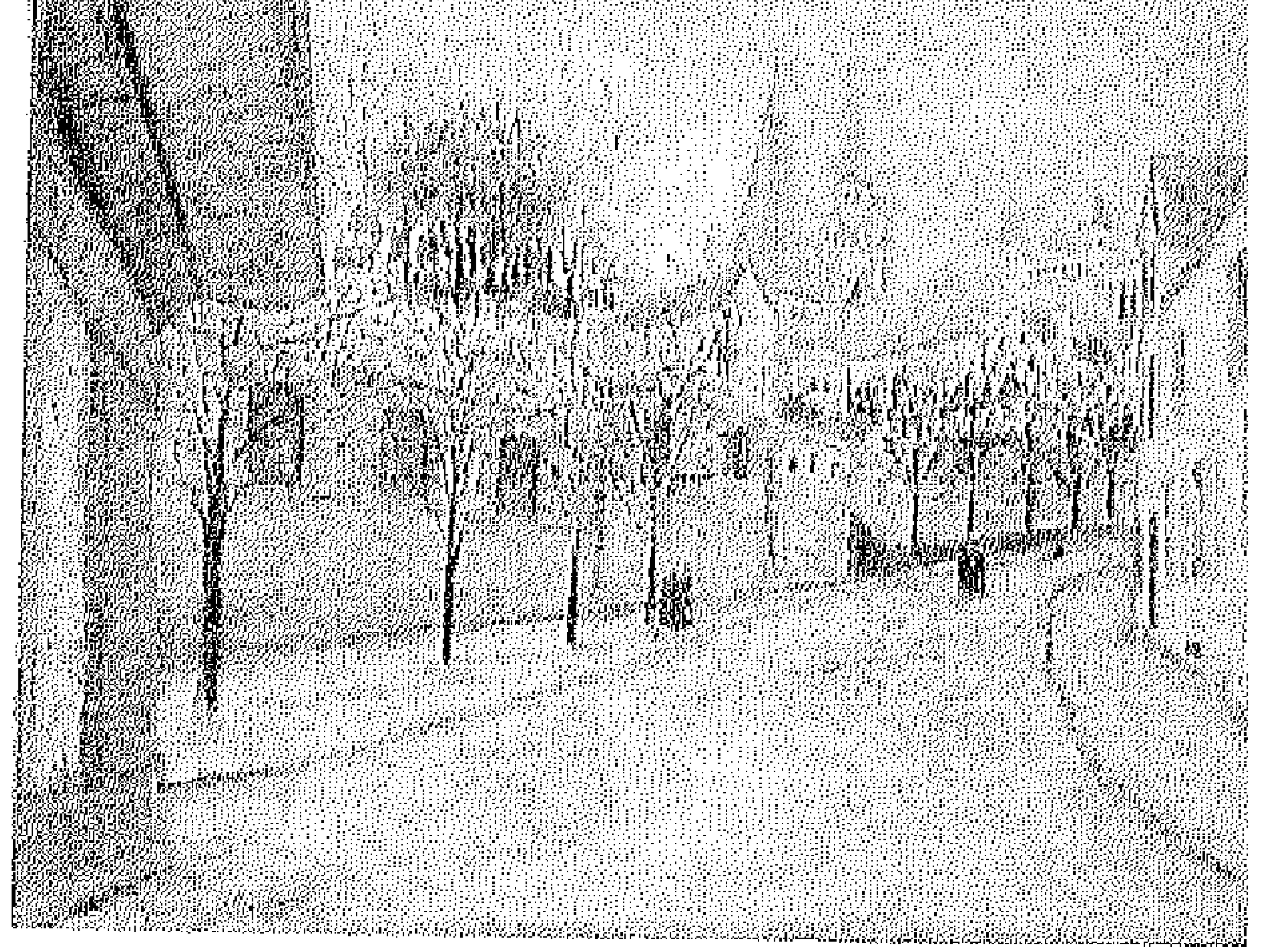
خلال الحرب الأولى. وفي وقت لاحق تمكنت من تحصيل شروط عمل أفضل لعمال المصانع في نيو أورلينز بولاية لويزيانا وأنشأت مركزاً لجمعية الشابات في مينيابوليس بولاية مينيسوتا.

تزوجت دي ويت والاس عام ١٩٢١ وباشرت للحال معاونته في انجاز فكرة عمل على تحقيقها طوال سنوات، وهي اصدار مجلة في حجم الجيب تحوي مقالات مهمة مقتطفة من المنشورات الدورية. وهكذا أسس الزوجان مجلة "ريدرز دايجست" عام ١٩٢٢. وعبر السنين الطويلة التالية الزاخرة بالنجاح لم تغب عن بال ليلى فلسفتها بأن الجمال والعمل يمكن أن يسيرا معاً. وهي أشرفت على التفاصيل المعمارية الدقيقة في المبنى الذي شيد بالقرميد الاحمر على النمط الجورجي ليكون مقراً للمجلة واكتمل بناؤه عام ١٩٣٩، كما أشرفت على تصميم الحدائق حول المبنى التي نالت جوائز في الجمال والاناقة.

وبفضل موهبة دي ويت والاس التحريرية أصبحت الـ"ريدرز دايجست"

"شارتر" بريشة الفرنسي موريس أوتريلو. منظر رائع للمدينة الفرنسية في هذه اللوحة الزيتية التي رسمت عام ١٩١٤

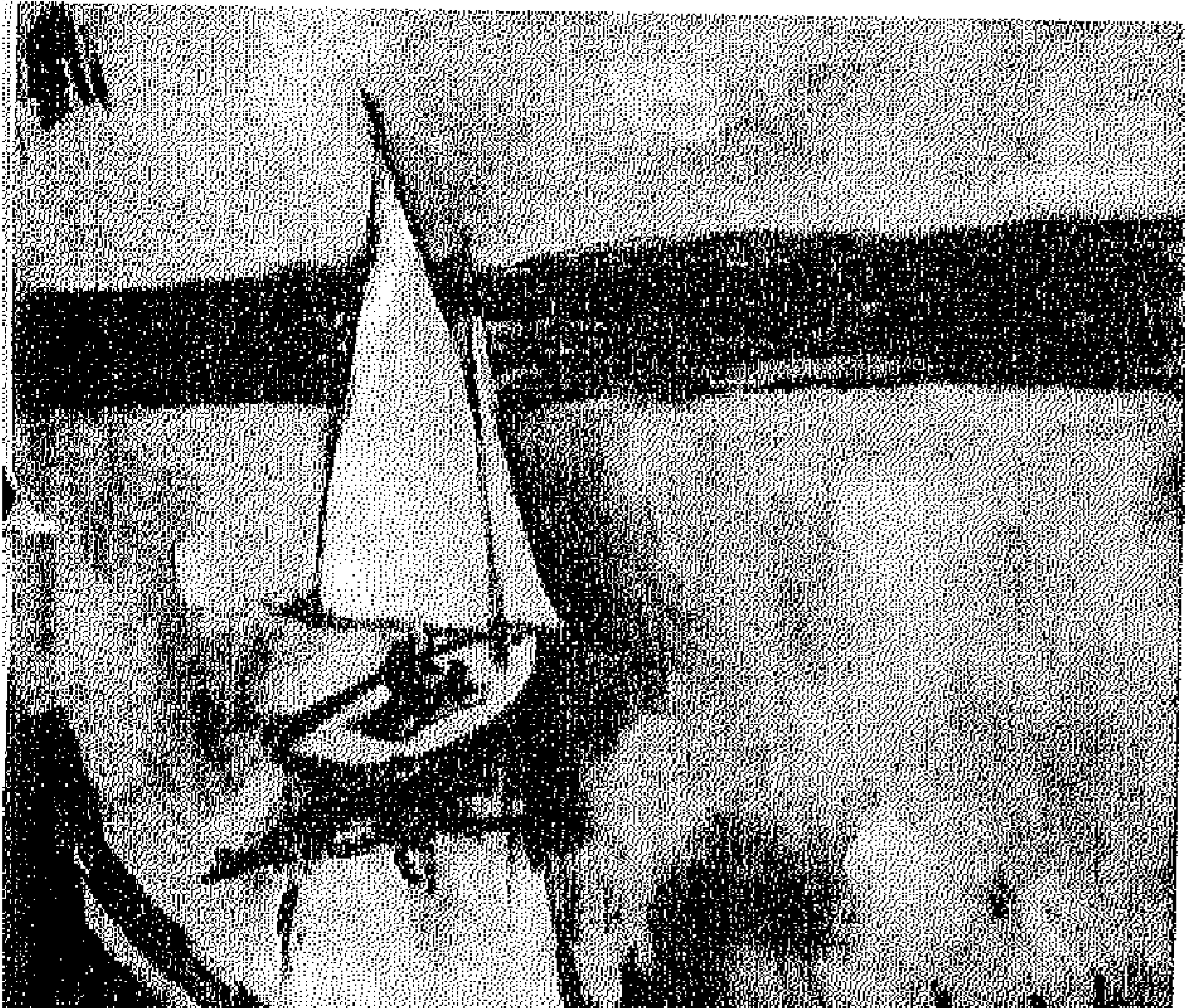
Lee Boltin



Ali Elai



"معبر في جزيرة سان مارتان فينوي" بريشة مونيه. زيتية رسمها عام ١٨٨١ سيّد الرسامين الانطباعيين في فرنسا.



"زورق شراعي في بواسي" للفرنسي موريس دي فلامينك. شكال جريئة وألوان طاغية تهيمن على هذا المنظر البحري في زيتية رسمت عام ١٩٠٩.

"بستان وأشجار" بريشة مونيه. زيتية منمقة رسمت عام ١٨٧٩ أي قبل رسم لوحة "النيلوفر" بتسع وثلاثين سنة، وتظهر الفارق الكبير في الادراك الحسي للفنان.



Ali Elai

"مشهد في ليستاك" للفرنسي بول سيزان. في هذه الزيتية التي رسمت بين ١٨٨٢ و١٨٨٥ تتداخل الاشكال الهندسية مع مشهد غابة في جنوب فرنسا.

أكثر المجلات قراء وأوسعها انتشاراً في العالم أجمع. وكراعية مخلصة للفنون تبرعت ليلى والاس بملايين الدولارات لمتحف متروبوليتان للفن وأوبرا متروبوليتان ومؤسسة مارتا غراهام للرقص ومعهد جوليارد الموسيقي وسواها. ومن آخر مشاريعها الكبرى ترميم بيت كلود مونيه، الرسام الفرنسي الانطباعي الشهير، وحديقتيه في جيفرني القريبة من باريس حيث رسم مونيه كثيراً من روائعه الأخيرة.

توفي دي ويت والاس عام ١٩٨١ وتوفيت ليلى عام ١٩٨٤ لكن الميراث الذي تركاه يبقى حياً في مجلتهما التي لا تزال أكثر المطبوعات رواجاً في العالم، وفي المجموعة الفنية للـ"ريدرز دايجست".

وبعد أن ينتهي المطاف بالمجموعة ستؤوب كنوزها الى موطنها في بليزنتفيل وهناك ستؤدي للمحررين والكتاب والمديرين والعاملين وراء الادمغة الالكترونية والزوار دور الفن كما حددته السيدة والاس ذات يوم: "ان الفن الرفيع شيء يجب ان يبقى في أوقات عزلتنا وتأملاتنا فحسب بل في كل دقيقة عابرة من حياتنا اليومية الذاتية."

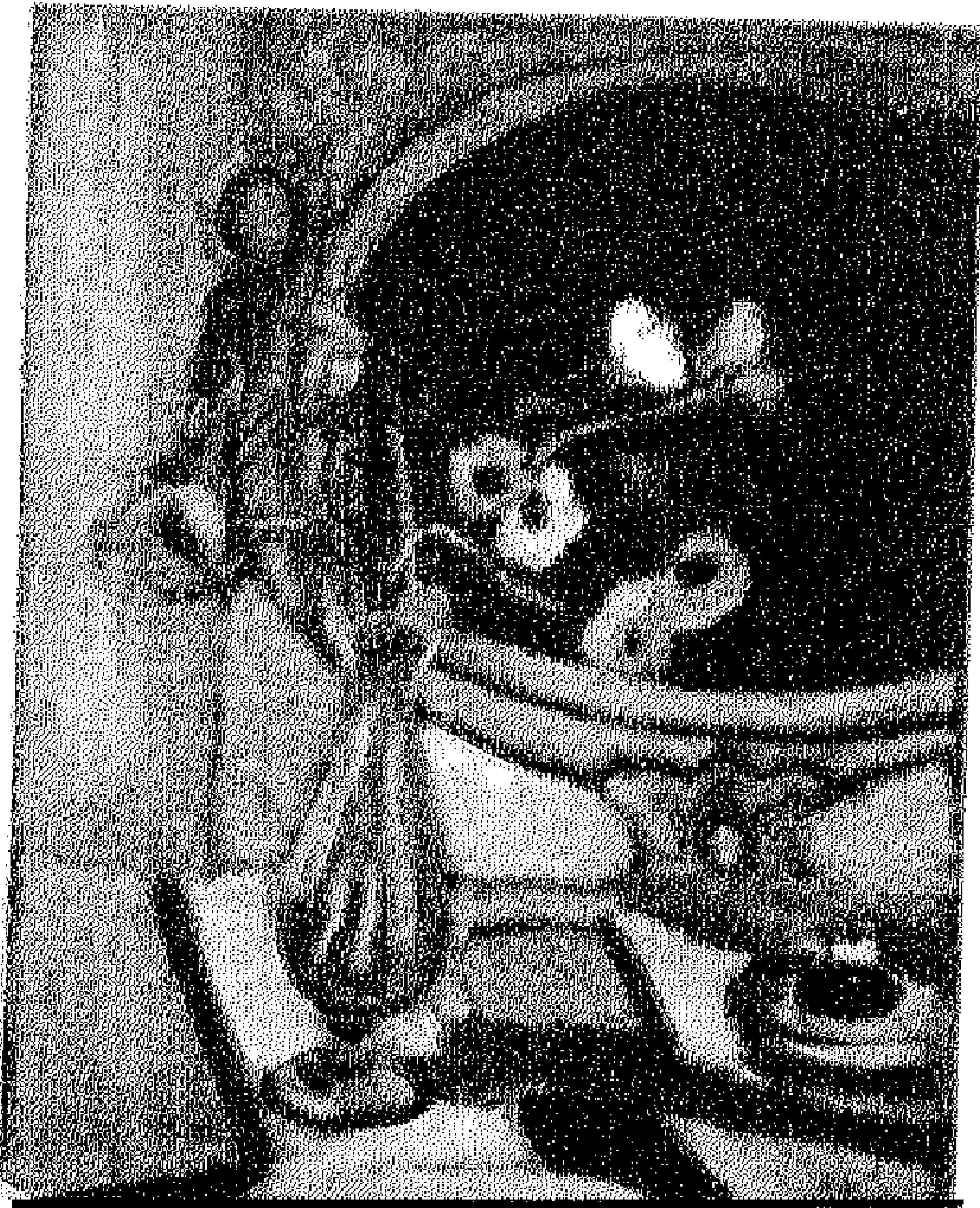
■ طوم لاشنيس

"سطوح القش في أوفير" بريشة الهولندي فان غوغ رسمها قبل شهر واحد من انتحاره عام ١٨٩٠، وهي تكاد تلهب القماش بالألوان والحركة الانفعالية.

Ali Elai



Lee Boltin



"المرآة وشقائق النعمان" للفرنسي هنري ماتيس، رسمت عام ١٩٢٠.

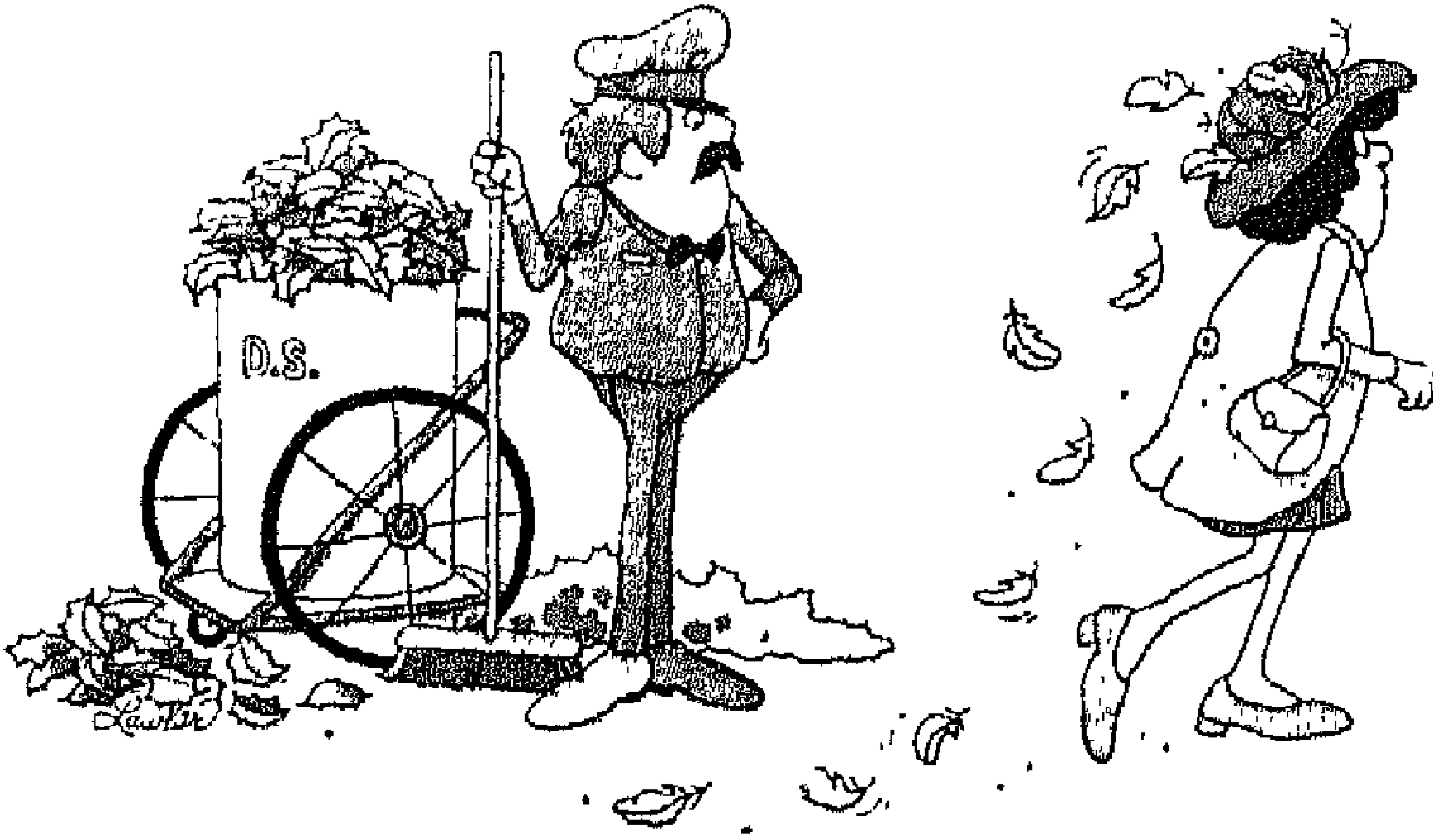
يمكن طلب هذا الملحق الذي طبعت منه نسخ خاصة من مكتب الـ"ريدرز دايجست" في نيويورك، بالكتابة الى العنوان الآتي:

Reprint Editor, Reader's Digest, Box 25, Pleasantville, N.Y. 10570.



علماً أن ثمن النسخة الواحدة هو ٥٠ سنتاً تضاف اليها أجور البريد

البريد، وهناك أسعار خاصة للذين يطلبون أكثر من ١٠ نسخ



صورٌ من الحياة

تهنئة وهدية

بعد تجربته صابوناً لتنظيف الشعر كتب رجل الى الشركة المنتجة رسالة تهنئة حارّة. وفوجىء بعد أسابيع بصندوق كبير أمام بابه يحوي منتجات كثيرة أرسلتها الشركة هديّة اليه شاكرة له تشجيعه، وبينها صنوف الصابون ومعاجين الأسنان ومساحيق الغسل.

وسألته زوجته وهي تبتسم: "حسناً، ما هو تعليقك؟"

- المرة المقبلة سأكتب رسالة الى شركة "جنرال موتورز".

ك.ب.

لغة الغزل

بائع الفاكهة: أنتِ تفاحة قلبي.
طبيب التخدير: أنتِ نسمة حياتي.
تاجر العقارات: أنتِ أفضل ما يشتريه المال.
بائع الساعات: سوف أُحبكِ على مدى الزمان.
الصائغ: أنتِ لؤلؤة حياتي.
المقامر: أنتِ ملكة قلبي.

ت.ب.

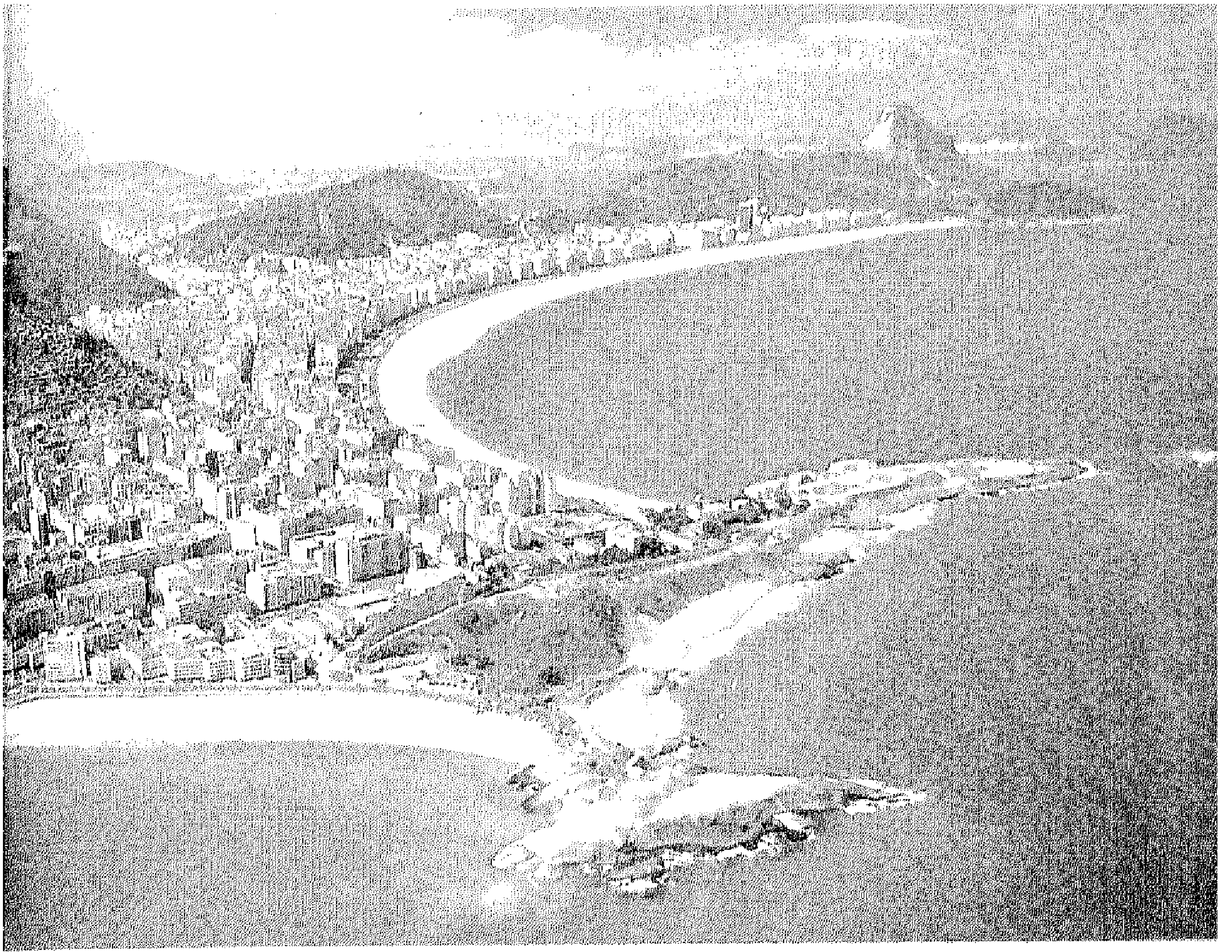
زاد الشدائد

يظن العالم النفساني الامريكي لي سالك أن مهمته هي مساعدة الناس على اكتشاف القدرة الذاتية لحل مشاكلهم. ويقول انه مدين بهذه الفكرة لامه دورا:

"كانت أمي في الثانية عشرة عندما وصلت الى مدينة نيويورك عام ١٩٠١ بعدما أحرق القوزاق جميع منازل قريتها في روسيا. وباشرت العمل فوراً، وهو عمل شاق كان يستغرق ١٦ ساعة يومياً من غير أن يتجاوز أجره أبخس ثمن. وحاولت الالتحاق بمدرسة مسائية، لكنها كانت تنام فوق الكتب من فرط إرهاقها.

"ولم تختفِ المصاعب من حياتها حتى بعدما تزوجت وأنجبت أبناءها الثلاثة. لكن أمي ما فتئت تحثنا على التفكير في ما حصلنا عليه، وليس في ما حُرمناه. وعلّمتنا أن الشدائد تزود المرء قدرة على تذوق الجمال الذي تنطوي عليه أتفه عناصر الحياة. والعبرة التي أخذتها عنها هي الآتية: عندما يشتد حلك السماء، يمكنك أن ترى النجوم."

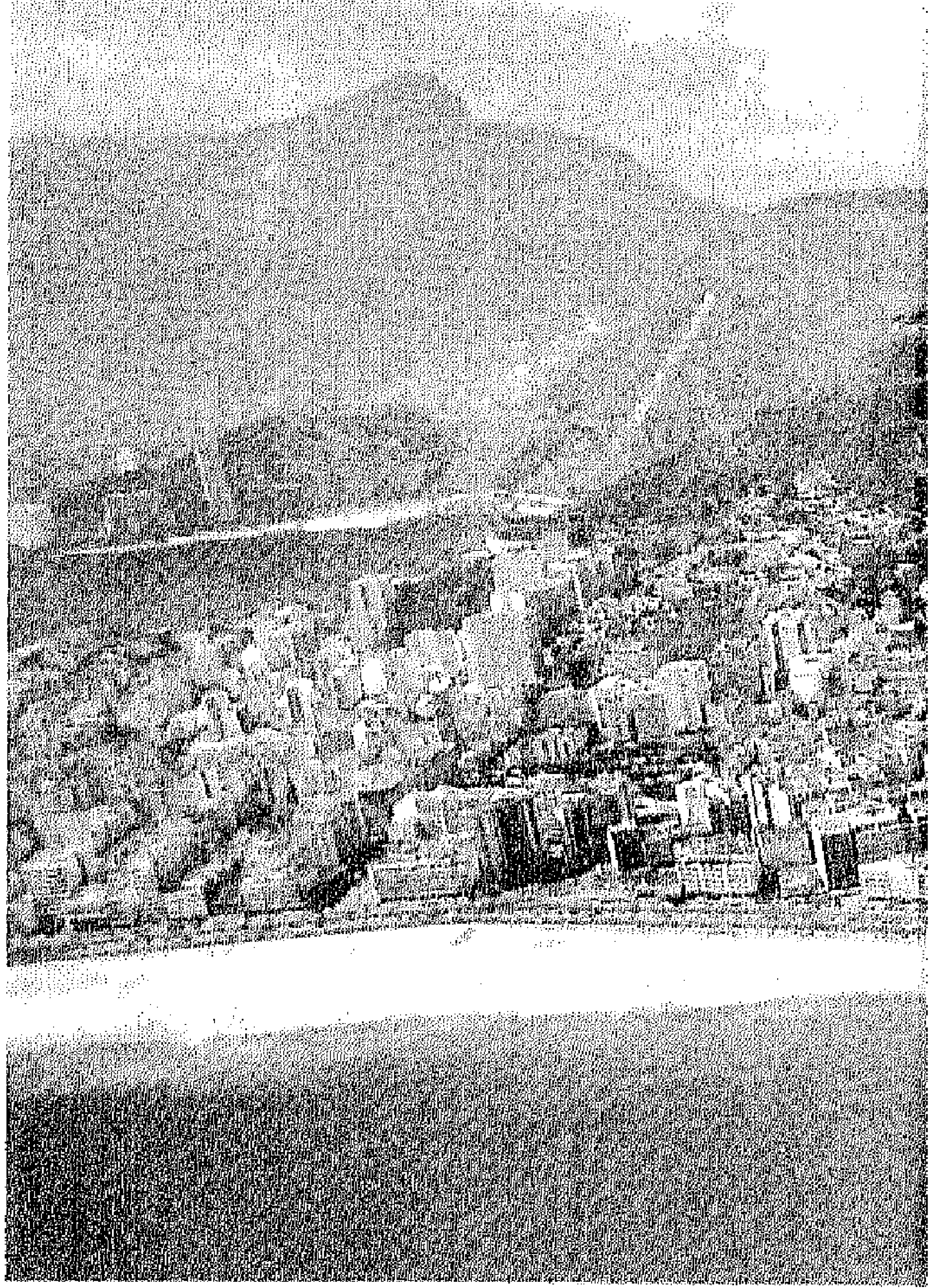
صحيفة "غايدبوسنس"



ريو دي جانيرو

بينما كنا نقترب بحراً من مدينة ريو دي جانيرو التي تعد أعظم مدن البرازيل ظهرت أمامنا الجبال والغابات والبحار والشواطئ لتشكل جميعها لوحة فنية متناسبة. وكانت الشمس ترسل اشعتها السماوية من بين السحب الزرقاء الضاربة إلى السواد. وشاهدت على قمة كوركوفادو الواقعة خلف جبل رغيف السكر نصباً كبيراً فوق قاعدة مرمرية، يبدو طوراً بين السحب ويختفي طوراً آخر، فيما راحت المدينة القائمة على بعد ستمئة متر إلى أسفل تومض بخط متصل من ناطحات السحاب البيضاء. وبدت المدينة شديدة الغرابة فلم يكن ينبعث منها أي ضجيج أو رائحة أو قذارة ولم يكن فيها ما ينمّ عن وجود ساكنيها. وخيل إلي أن الربو الواقعة بين الماء والسماء هي مدينة أحلام، وبدت لي أجمل مكان في العالم.

غير أني لم ألبث من خلال زياراتي المتعاقبة للمدينة أن تعلمت التمييز بين

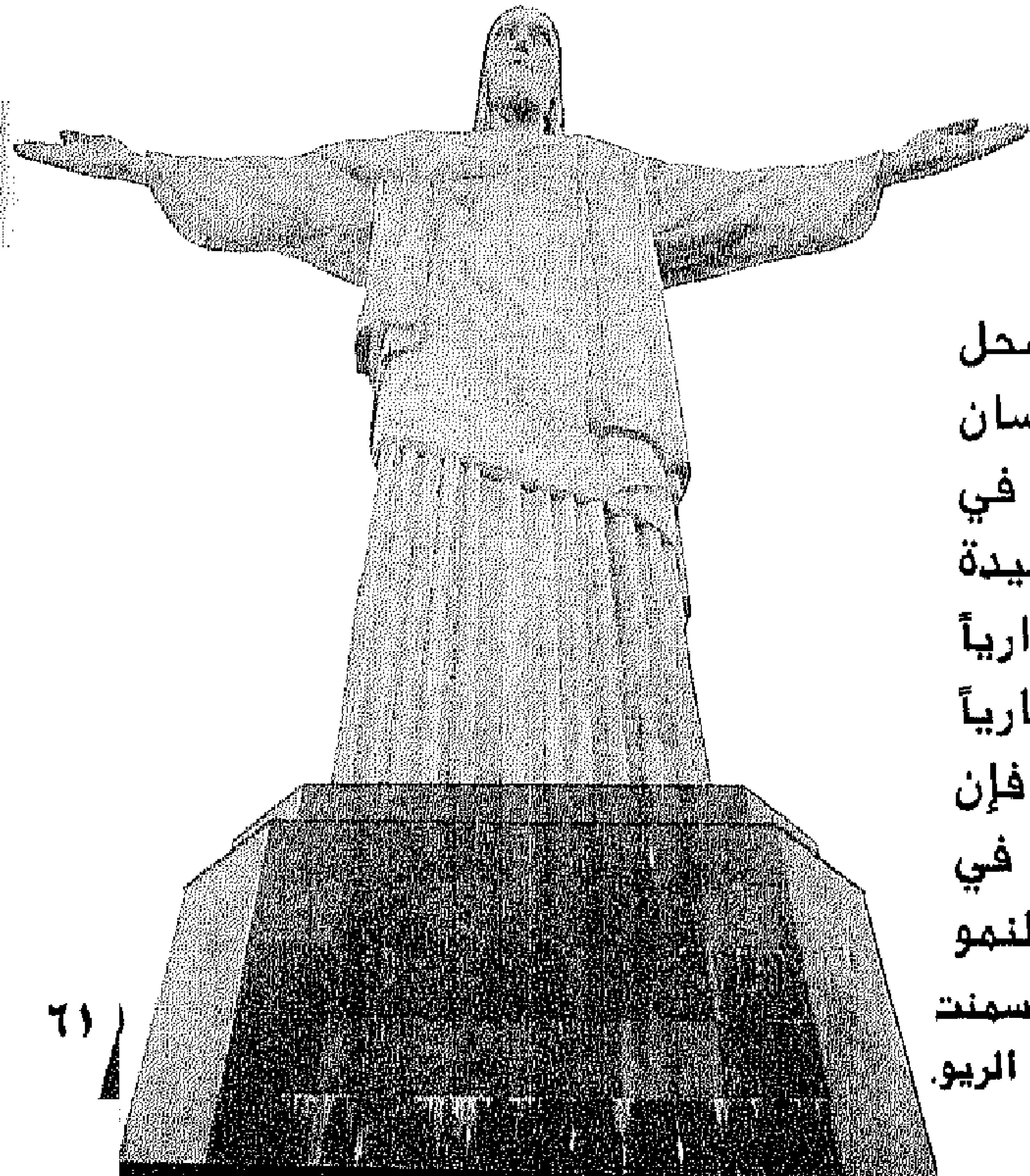


مدينة الريو كما تبدو من المحيط الاطلسي. وفي الجهة الأمامية يظهر شاطىء إيبانيما. والى اليمين نرى شاطىء كوباكبانا. وفي الجهة الخلفية طائفة من الجبال.

مدينة الفرح والحزن والغنى والفقر والعقل والجنون والواقع والخيال

ما هو حلم فيها وما هو حقيقة.

وعلى رغم أن مدينة برازيليا حلت محل الريو لتصبح هي العاصمة، وأن مدينة سان باولو باتت المركز التجاري الأول في البرازيل، فإن الريو تبقى المدينة الوحيدة التي استطاعت أن تكون مركزاً إدارياً وثقافياً وجامعياً وصناعياً وتجارياً ومصرفياً ومركزاً للشحن. وإلى ذلك فإن شواطئها تصلح لأن تكون منتجعاً في فصول السنة جميعاً. واللافت أن النمو



تمثال يزن ١١٤٥ طناً من الاسمنت ويطل من قمة كوركوفادو على وسط مدينة الريو.



خليط من الأكواخ في أحد الأحياء الفقيرة يمتد نزولا من تلة دونا مرتا إلى اطراف المنطقة التي تسكنها الطبقة الوسطى.

السكاني فيها بات ضاغطاً على نحو شديد إذ ازداد عدد سكانها نحو مليوني نسمة بين ١٩٧٠ و١٩٨٠. ولا شك في أن هذه الزيادة كبيرة جداً بالقياس على مجموع عدد السكان الذي يبلغ قرابة خمسة ملايين نسمة.

أغنياء وفقراء - الواقع ان الامتداد الجغرافي للمدينة لا يمكن أن يتجاوز حدود شواطئها. والحاجز الآخر هو جبال الريو الشهيرة. وفي ما يسمى المنطقة الجنوبية تشكل شواطىء كوباكبانا وإيبانيما وليبلون وناطحات السحاب خلفها قطعة من الأرض محشورة بين البحر والجبال بحيث لا يصل الا ثلاثة شوارع الى طرفها الغربي وشارعان الى الطرف الشرقي. على أن هذه المنطقة تشتمل على عُشر سكان المدينة تقريباً وتتضمن ناطحات السحاب فيها بيوتاً للأثرياء تعد من أفخم البيوت وأغلاها في العالم.

أما بقية سكان الريو فيعيشون في الضواحي البعيدة أو في مناطق شديدة الازدحام في قلب المدينة. وتضم الضواحي المنطقة الصناعية وفيها تعيش الطبقة العاملة. والحياة هناك قاسية لا تمت بصلة إلى الحياة الرومنطيقية الفاتنة التي تعمّ شواطىء الريو. بل إن هناك بوناً شاسعاً بين المواطنين الأغنياء وسكان الأحياء الفقيرة التي تعج بالأكواخ وتسمى "فافيلاس". فثمن سكان الريو، أي ما يزيد على نصف مليون نسمة،

يعيشون في هذه الأحياء المزدحمة. وفي الفافيلاس التي بنيت قديماً نجد بيوتاً من القرميد (الآجر). وقد تمكن بعض السكان من الحصول على حق ملكية الأراضي التي بنوا فيها هذه البيوت. أما في الفافيلاس التي قامت حديثاً فقد بنيت المنازل على نحو غير قانوني على التلال أو في الأراضي السبخة.

ويدخل بناء هذه المنازل عادة الخشب والطين والصفيح والحديد المموج. والملحوظ أن بعضها شديد اللصوق بالمنحدرات بحيث تشكل العواصف الاستوائية الممطرة التي تخيم على المدينة خطراً عليها مستمراً. والطرق في هذه الأحياء غير معبدة إلا في ما ندر، والنفايات فيها لا تجمع، وليس فيها شبكات لتصريف المياه. ومعظم هذه الأحياء خلو من المياه الجارية وبعضها لا يعرف نور الكهرباء.

لقد زرت واحداً من هذه الأحياء يدعى منغيرا. وهو كسواه يزخر بالأكواخ المتعددة الالوان والحديد المموّج والاطفال الحفاة والكلاب والغسيل المنشور على الحبال.

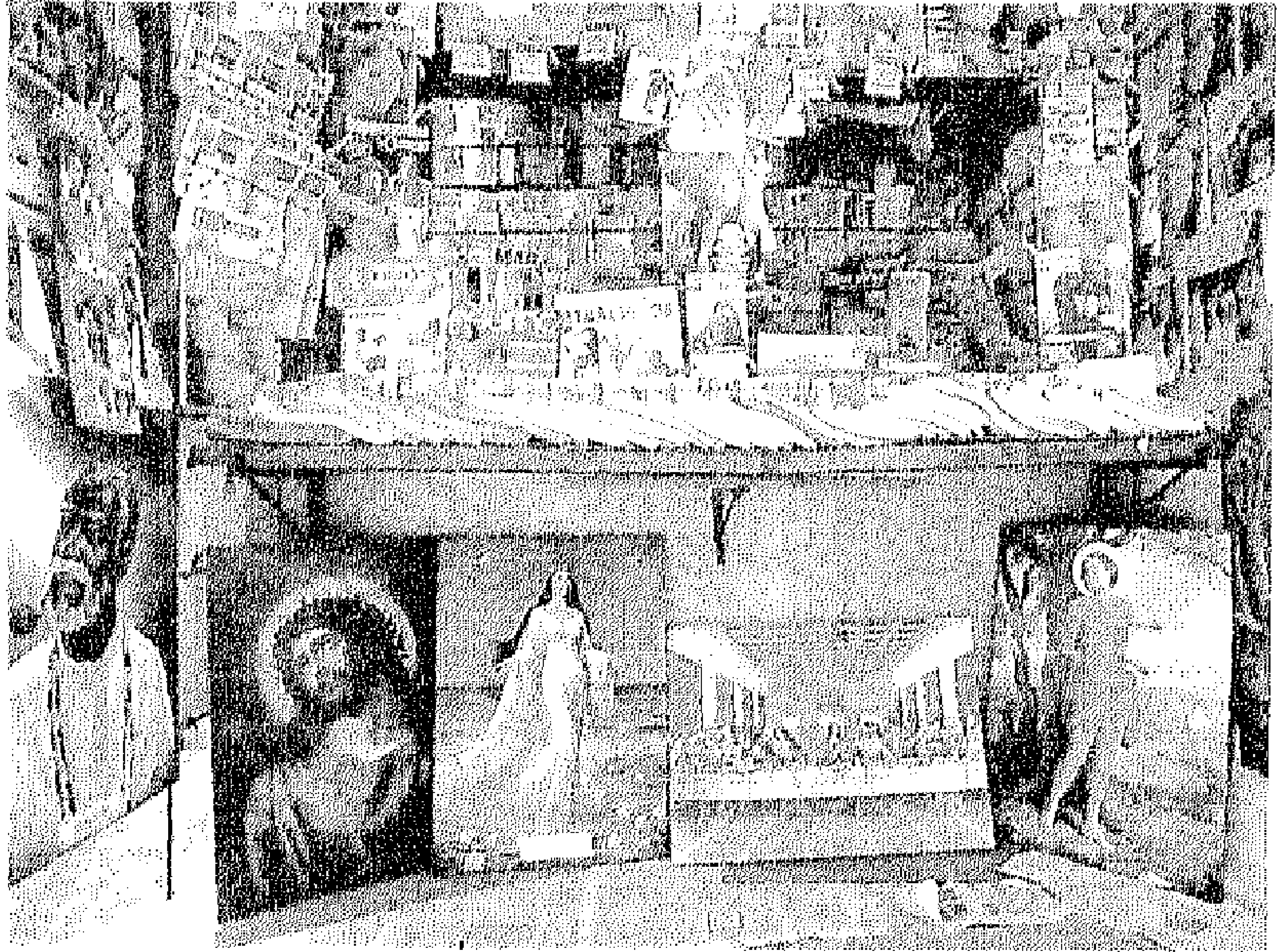
ولكن على رغم تلك الفوضى المتفشية فإن في هذا الحي إحساساً واضحاً بروح الجماعة وبالنظام. ولا شك في أن أكبر الفضل في ذلك يرجع الى معهد منغيرا لتعليم رقصة السامبا. ويقع هذا المعهد في قصر السامبا في أسفل التلة، وهو من أشهر نوادي كرنفال الريو التي تضم ألوفاً من الأعضاء يطوفون عبر المدينة أثناء الاحتفال الذي يسبق الصوم الكبير. وهناك أيضاً شارع يصل إلى أعلى التلة.

من هذا المكان جعلت أنظر الى منطقة الضواحي التي يُتوقع لها الازدهار. وعجبت كيف فات المستثمرين أن يتنبهوا إلى ما في هذه الأحياء من مناظر رائعة.

كرنفال الريو - خلال شهر فبراير (شباط) ترتفع حرارة الطقس في الريو ويرافقها ارتفاع في صخب الناس وهياجهم تمهيداً لمشاركتهم في طقوس الفوضى التي تصحب الكرنفال. وبينما كنت أتناول الغداء يوماً في مطعم في الهواء الطلق طرق سمعي صوت الطبل مؤذناً ببدء الكرنفال. وهذا الطبل هو السوردو الكبير الجهير الذي يستعمل في موسيقى السامبا. ومن الآلات الموسيقية الأخرى التي تستعملها الفرق عندما تعزف في شوارع الريو يوم الكرنفال الدف والطبلة المطوقة بالأوتار والطبلة الصغيرة والبوق والمتردِّدة والسَّكسيّة، تلك الآلات التي تملأ الفراغ بين أنغام الـ"بوم... بام... بوم... بام" المنطلقة من الطبل الكبير.

ولم ألبث أن أخذت أردد متعجباً: "أوبا! أوبا!" ثم شرعت أغني بجرأة أكبر: "أوبابا - أولا - أو - بابا!" وكان الناس حولي ينشدون هذه الكلمات المنتخبة من أغنية سامبا فاتنة أُعدت لمعهد منغيرا. وكانت هذه نشقتي الأولى من أريج الكرنفال.

وتبدأ المهرجانات يوم السبت الذي يسبق أربعاء الرماد وتستمر أربعة أيام وأربع ليال. وتشتمل على كرنفال يقام في مكان مغلق وعلى حفلات راقصة عامة



"كشك" لبيع الصحف والتذكارات.

وخاصة وعلى كرنفال آخر يقام في الهواء الطلق تتخلله عروض يؤديها بعض الهواة في الشوارع، إضافة إلى العروض العامة الكبرى التي تؤديها فرق محترفة تخرّج أفرادها في أشهر معاهد تعليم السامبا.

والواقع ان ملك الكرنفال يذهب بعد ظهر يوم السبت الى النوادي والمراكز في أنحاء الريو آمراً ببدء المهرجانات. فتتدفق على الشوارع فرق موسيقية من كل لون ويتحلق الناس حولها مستمعين متمتعين وهم يرتدون الأزياء التنكرية.

والمعلوم أنه كلما كان الزي مغرقاً في الغرابة كان استحسان الناس له أكبر. وقد رأيت أحد الراشدين يدور في عربة للأطفال كما رأيت طفلا يلبس قناعاً بشعاً لرجل طاعن في السن. كذلك شاهدت رجالا يتنكرون كهياكل عظمية وسوداً طليت أجسادهم باللون الأبيض وبيضاً طليت أجسادهم باللون الأسود.

وكان يطغى على المكان صوت الطبول والدفوف والأبواق بينما استسلم الناس في أرجاء المدينة إلى ضرب من الجنون الجماعي.

وفي المساء أقيمت حفلات تنكرية راقصة خاصة بالأثرياء في نواد خاصة وفي بعض الفنادق.

قناع الحقيقة - يوم الاحد دأب راقصو السامبا طوال فترة بعد الظهر على "النزول من التلة إلى الاسفلت" على حد تعبيرهم. وجعل فقراء الريو يغادرون أكواخهم المظلمة المكتظة وقد أبدلوا ثيابهم بأخرى مبهرجة ليحتشدوا حول رايات معاهد السامبا ويتأهبوا لعرض الكرنفال الكبير.

والحق أنه لا يسعني أن أتخيل شبيهاً لهذا العرض الذي يتسم بأبهة يختلط فيها السرور بالأسى والعقل بالجنون والحقيقة بالحلم. فالفرق المشاركة ظلت تجوب شوارع المدينة ليل الأحد وصباح

الاثنين، وتضمن المشهد منصة كبيرة عائمة عليها الدلافين وأفراس البحر والحيتان كما تضمن يداً بلاستيكية في حجم شاحنة وحورية بحر ذات ذيل فضي طويل ومجموعة يمثل كل من أفرادها الملكة نفرتيتي وفرقة موسيقية من السلاطين والمهراجات وخمسين شمساً في زي ملوك الانكا (*). وأخيراً اقترب راقصو السامبا القادمون من حي منغيرا ومعهم فرقتهم الموسيقية وتعالت ألوف الأصوات تردد: "أوبابا – أولا – أو – بابا."

وشهد مساء الاثنين ونهار الثلثاء ومساؤه مزيداً من الرقص والحفلات الخاصة والعروض والفرق الموسيقية. وعندما بزغ فجر أربعاء الرماد رحت أطوف في شوارع مدينة منهكة وأنا أجر قدميّ بين أعلام الورق القديمة وبقايا أزهار الورق المتناثرة التي تكسو الشوارع. ومن خلال نور رمادي باهت شاهدت أشخاصاً سقطوا عند مداخل البيوت وفي القنوات.

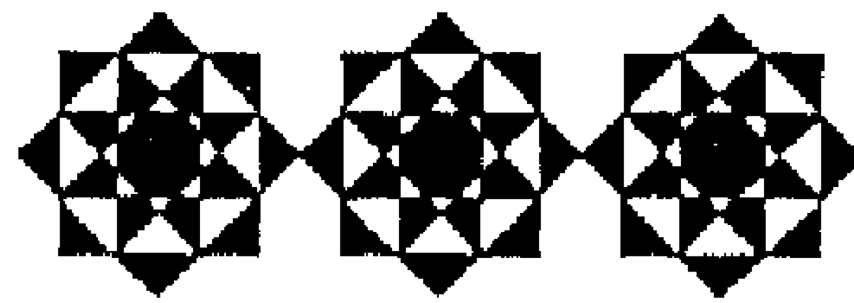
وقد رسخت في ذاكرتي كلمات أغنية رائعة ألفت لمناسبة كرنفال ١٩٧٠ وجاء فيها ما يأتي:

"أنا اليوم لا أريد أن أتعذب،
أنا اليوم لا أريد أن أبكي،
... أريد أن أتلاشى بين الجماعة."

والحق أن الكرنفال هو احتفال ذو معانٍ تحتمل تفسيرات متنوعة. وهذه الأغنية تؤكد ما كنت أراه في الريو عموماً وهو أن القناع الذي يكشف عن ابتسامة عريضة يغلف أحياناً وجهاً مفعماً بالحزن والقلق.

دوغلاس بوتينغ ■

(*) سلالة حكمت البيرو من القرن الثالث عشر الى الاستعمار الاسباني. وكانت لهذا الشعب حضارة غنية.



مفهوم الوقت

سمعت ابن ست سنوات يفسر كيف يعرف الوقت، قال: "أرفع سماعة الهاتف وأطلب الرقم الخاص بالساعة."

بالنسبة الى معاصري الصغير هذا الذي اعتاد رؤية الساعات الرقمية، يبدو أن الصوت الذي يعطيه الساعة والدقيقة والثانية على الهاتف يفي بالغرض. ولكن هل هذا هو الوقت حقاً؟ الصورة الرقمية أو الصوتية تعطي الوقت من دون محتوى. انها تعطي لحظة من الزمن فحسب، من دون أي معنى للماضي أو للمستقبل.

منذ القرن الرابع عشر طوّر الانسان مفهوماً للوقت مرتكزاً على الساعة ذات الميناء، وهي صفحة تظهر العلاقة بين الوقت الذي انقضى والوقت الذي سيأتي. أما القراءة الرقمية فهي صورة للواقع الحالي فقط وليس لما كان (الثالثة والربع) أو لما سيكون (الثالثة الا ربعاً). وتصف الكاتبة ناتالي بابيت كيف تكون الحياة من دون الاحساس بمرور الزمن: "نحن هنا، موجودون فحسب، كصخور على جانب الطريق."

حقاً ان القراءة الرقمية للوقت تظهره جامداً كالحجر.

م.ب.ك.

السّعُوط قاتِلٌ بلا دخَان

كان الشاب الرياضي يتمتع بصحة ممتازة، فما الضرر إذا تناول بعض السعوط؟ وهو لم يدرك حجم الأخطار الكامنة في التبغ غير المدخن إلا بعدما فات الأوان

نظر الدكتور كارل هوك الى البقعة الحمراء الملتهبة بوسطها الأبيض المتحجر وقطرها البالغ نحو ثلاثة سنتيمترات. وتبادر الى ذهنه أن بقعة كهذه يجوز العثور عليها في فم عجوز هرم يتناول السعوط منذ حداثته وليس على لسان الطالب الثانوي ابن الثامنة عشرة الجالس أمامه. وقال طبيب الحنجرة: "إنني متأسف يا شون. فالأمر لا يطمئن، والأحرى بي أن أستأصل قطعة منها لدراستها مجهرياً."

وذهل شون مارسي للخبر. فهو لا يدخن ولا يعاقر خمرة. وكيف له ذلك وهو الحائز

ثماني وعشرين ميدالية في سباق البدل لمسافة أربعمئة متر. وهو عريض المنكبين يبلغ طوله ١٦٥ سنتيمتراً ووزنه ٥٩ كيلوغراماً. ومنذ صغره كان يعتني بجسمه أشد العناية فيراقب غذاءه ويرفع الأثقال ويعدو مسافة ثمانية كيلومترات يومياً ستة أشهر في السنة. والآن فاجأته هذه المصيبة. فكيف ذلك؟ الجواب انه لم يتوقف يوماً عن تناول السعوط (العطوس) وهو دقيق التبغ

الذي يدخل الأنف أو الفم من دون تدخينه. وكان شون يستهلك علبة كاملة من السعوط كل يوم ونصف يوم، يفرغها في فمه ليشعر بمفعول النيكوتين يسري في عروقه. وكانت هذه العادة شائعة في أوساط رياضيي المدرسة الذين يتحاشون التورط في أمور قد تحرمهم الانتساب الى المنتخب الرياضي. وفي حسرة لا توصف قال شون: "لكنني لم أعلم أن للسعوط آثاراً سلبية. فلا وجود لأي تحذير على العلبة. وكل تلك الاعلانات على التلفاز..."

إستقلالية القرار – تعاطى شون تبغ المضغ، ثم السعوط، مذ كان في الثانية عشرة من عمره. وثارت ثائرة أمه بيتي، وهي ممرضة مجازة، عندما دريت بالأمر. ألم يدرك أن التبغ مضر وخطر على الصحة، بدخان كان أم منَ دون دخان؟

لكن شون رفض تصديقها. فهل يعقل أن يروّج أشهر نجوم الرياضة للسعوط على التلفاز اذا كان مضراً؟ حتى مدربه جيم بريغانس الشديد التمسك بالقواعد الصحية لم يبدِ معارضة حين عرف أن لاعبي فريقه يتناولون السعوط. وأخيراً توقفت بيتي عن إثارة هذا الموضوع. فالواضح أن كبير أبنائها الخمسة كان يتمتع باستقلالية القرار.

وكانت تربية الأولاد عبئاً ضاغطاً على بيتي، فهي أرملة وتعمل ليلاً في المستشفى في مدينة أدا بولاية أوكلاهوما. ثم جاءها شون بهذا القرح البشع. وكانت نظرة واحدة إليه كافية لتحطيم فؤادها. وتوصل الدكتور هوك الى نتيجة محتمة: "أنا آسف يا شون، فعلينا بتر هذا الجزء من لسانك."

واستولى صمت مطبق على الطالب التعس الذي سأل أخيراً: "هل سأتمكن من الاشتراك في سباق المضمار الذي تنظمه الولاية هذا الاسبوع؟ ثم ألحق سؤاله بآخر: "وهل سأتخرج الشهر المقبل؟"

وأومأ الدكتور هوك برأسه إيجاباً.

البتر الضروري – يوم السادس عشر من مايو (أيار) ١٩٨٣ أجريت الجراحة في مستشفى فالي فيو في مدينة أدا. وتبين من نتيجتها أن الجزء الذي أزيل من لسان شون كان أكبر مما توقعه الدكتور هوك. والأسوأ من ذلك أن الفحص المجهري أظهر تورماً خبيثاً. وهكذا وافق شون على المعالجة بالأشعة فور زوال الورم من فمه.

ولكن قبل مباشرة هذا العلاج اكتشفت عقدة لمفوية متورمة في رقبته، مما ينذر بأن السرطان تفشى. وبات ملحاً اجراء جراحة جذرية في الرقبة. ونصح الدكتور هوك باللجوء الى الخيار الأصعب والأقسى، ألا وهو إزالة الجهة اليمنى من الفك السفلي ومجمل العقد اللمفوية والعضلات والاوعية الدموية ما عدا الشريان السباتي الذي يمد الرأس بأسباب الحياة. وقد يحدث بعض التغوّر في الوجه، إلا أن الذقن كفيل بحفظ القسمات عموماً.

واستسلمت بيتي للنحيب. ثم طلب من شون أن يوافق على عملية البتر التي ستجرى له. وما أقساها لحظة لفتى نيّق لمظهره كان يؤثر ابتلاع جرعة التبغ على

أن يمسك وهو يتفلها. وجلس وأمه ساكنين لعشر دقائق نطق بعدها بصوت خافت: "أوافق بشرط ألا تمس عظم الفك."

وأجابه الدكتور هوك بعطف: "حسنا يا شون، ولكن علينا ازالة كل ما ذكرت، فهذا هو الحد الادنى."

في العشرين من يونيو (حزيران) أخضع شون لجراحة ثانية استغرقت ثماني ساعات. وفي ذلك الشهر تجمع نحو مئة وخمسين من طلاب مدرسة تاليهينا ومعلميها ليكرموا بطلهم الرياضي المتفوق. ولم يتمكن شون من حضور الحفلة لتسلم جائزته.

وزار المدرب بريفانس يرافقه أحد معاونيه منزل آل مارسي، وهو عربة مقطورة على عجلات، لتقديم الجائزة الى شون والاطمئنان الى صحته. وحاولا ألا يحدقا الى الندب الضخم الممتد من شحمة أذنه الى عظم صدره. وشكرهما شون وبسمة مرة على زاوية فمه.

المرحلة الأخيرة - استعاد شون عافيته على نحو عجيب. فعندما فحصه الدكتور هوك في أغسطس (آب) لم يبدُ عليه أي أثر من محنته سوى ندب الجراحة الأبيض. وكان عولج بالأشعة لخمسة أسابيع. واستقبل شون طبيبه بحماسة شديدة، وكان سعيداً لبقائه في عالم الأحياء. وفيما الطبيب يقود سيارته عائداً الى مسكنه أخذ يفكر: "انه يؤمن بأن بنيته القوية قادرة على قهر المرض. عساه يفوز في هذا السباق أيضاً."

ولكن في اكتوبر (تشرين الأول) بدأ شون يتعرض لنوب صداع حاد. وأظهر مسح بالتصوير الطبقي المحوري الموجه بالدماغ الالكتروني (*) امتدادين توأمين للورم الخبيث، أحدهما يتلوى نزولا في ظهره والآخر يلتف عند قاعدة دماغه.

أخضع شون لجراحة ثالثة في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣. وحدث ما كان يخشاه، فأزيل عظم الفك واستؤصلت أعضاء أخرى عزيزة. وبعد مضي عشر ساعات على طاولة الجراحة كانت أربعة مصارف للافرازات تخرج من جرحه الهلالي الشكل ونتأ أنبوب تنفس من فتحة في حلقه وخرج أنبوب تغذية من أنفه، اضافة الى أنبوبين في أوردة يديه. ورنا شون الى أمه وكأنه يقول: "يا الهي، لم أعرف يا أمي أنني سأتألم الى هذا الحد."

ونقل شون الى بيته لمناسبة عيد الميلاد. وبقي متمسكاً بتفاؤله الى أن اكتشف في أحد أيام يناير (كانون الثاني) ورماً في الجهة اليسرى من رقبته. وفي وقت لاحق ردت بيتي على الهاتف حين اتصل الطبيب ليبلغها نتيجة الفحص المجهري الجديد. وأدرك شون مدى سوء الأخبار من الدموع الصامتة التي ترقرقت على خديها. وما إن أقفلت الخط حتى ارتمى بين ذراعيها. وللمرة الأولى منذ بدء كابوسه المريع انفجر شون مارسي الشجاع الذي لا يقهر بالبكاء كطفل رضيع.

وبعد دقائق انتصب قائلا: "لا تقلقي يا أمي، سأكون بخير." كان لا يزال يؤمن بقدرته على المقاومة الى النهاية.

(*) Computerized Axial Tomography (CAT)

في الأسبوعين الأخيرين من حياة شون احتل سريره الخاص معظم غرفة الاستقبال في البيت. وكان المدرب بريغانس يزوره حاملا في بعض الأحيان مبلغاً من المال جمعه سكان منطقة تاليهينا العارفون بالأحوال المالية الخانقة لآل مارسي.

وحتى النهاية أصر شون على الاعتناء بنفسه، فكان يكمّد جرحه وينظف أنبوب التنفس مراراً في اليوم. ومرة اعترف لأمه بأنه ما زال يلتمس السعوط برغبة شديدة. وأسرّ اليها: "أحياناً أجدني تواقاً لان أمد يدي وآخذ جرعة واحدة." ثم أضاف انه يتمنى لو يستطيع زيارة المدرسة ليرى الرياضيين "كيف يصبح شكلك نتيجة تعاطيه."

وكان يعلم أن منظره كاف لاقناعهم بالانقطاع. فقد سبق أن أغمي على أحد زملائه لدى مشاهدته.

وهناك صديق لم يجفل لمنظره هو جون أوديل (٣٩ عاماً) وهو نجم رياضي سابق. وعندما فقد شون القدرة على النطق طلب منه جون أن يخط ما يريد إبلاغه "لاحقاً" الى الرياضيين الشباب. فكتب رسالتين مقتضبتين. الأولى اعتراف بسيط بايمانه بارادة الله، والأخرى التماس ملح: "لا تتناولوا السعوط."

فجر الخامس والعشرين من فبراير (شباط) ١٩٨٤ ابتسم شون لأخته ماريان ابتسامة متعبة ثم رفع سبابته نحو السماء للحظة. وبعد ساعة فارق الحياة.

قضية ووثيقة — في فبراير (شباط) ١٩٨٥ كانت بيتي مارسي بين الشهود





مأساة شون مارسي في صورتين.

الاربعة والخمسين الذين مثلوا أمام إحدى لجان الصحة العامة في ولاية مساتشوستس. وكانت مهمة اللجنة تحديد ما إذا كان السعوط مادة خطرة أم لا. وكانت عائلة مارسي قررت تعميم قصة شون: "فكيف يمكن أن تتحسن الأمور إن لم نتكلم نحن."

وشهد بعض العلماء بأن هناك علاقة أكيدة بين السعوط وسرطان الفم، وهو سابع أنواع السرطان من حيث التسبب في الوفاة في الولايات المتحدة. والعنصر المميت في السعوط مركّبات كيميائية

خطرة تدعى نيتروسامين، يتكون أحدهما في الفم من جراء تفاعل التبغ مع اللعاب. ويعتقد ستيفن هيكت، وهو عالم بالكيمياء العضوية في مؤسسة الصحة الامريكية، أن جرعة من السعوط تحتوي على كمية نيكوتين موازية لتلك الموجودة في سيجارة واحدة، إلّا أنها تولد عشرة أضعاف كمية النيتروسامين.

وانبرى شهود علميون قائلين ان لا دليل علمياً قاطعاً يثبت تسبب النيتروسامين في أي مرض أو يؤكد خطر ادمانه. وأشاروا الى أن هذه المادة سبّبت السرطان لبعض حيوانات التجارب، لكنها لم تؤذِ أي إنسان.

وانضم مندوبو الجمعية الأمريكية للسرطان الى جمعيات طبية أخرى والى باحثي المعهد الوطني للسرطان في التنديد بتعاطي السعوط. وقد لخص الموضوع مساعد وزير الصحة الامريكي روبرت ماكلنبرغ مدير قسم طب الأسنان في وزارة الصحة العامة: "لماذا نسمح لقنبلة كيميائية موقوتة بأن تنتكّ في أفواه أولادنا؟"

وقبل وقت قصير افتتح عالم الصحة إلبرت غلوفر من جامعة كارولينا الشرقية في مدينة غرينفيل عيادتين لدراسة سلوك الأشخاص المنقطعين عن تناول التبغ غير المدخن. وكانت النتيجة أن واحداً فقط من أصل واحد وأربعين استطاع الصمود لأربع ساعات من دون تناول التبغ. ويقول غلوفر: "هذا يعني بالنسبة إلي أن التبغ غير المدخن يمكن أن يؤدي الى الادمان."

ومنذ جلسة مساتشوستس فرضت الولاية ضرورة وضع ملصق تحذير على كل علبة سعوط. وتدرس ثماني ولايات أمريكية أخرى إمكان تطبيق إجراء مماثل.

وأعلنت منظمة الصحة العالمية ووزارة الصحة الامريكية أن التبغ غير المدخن يشكل تهديداً سرطانياً. كما أنّ الفريق الامريكي للابحاث المتعلقة بصحة المواطن ناشد لجنة التجارة الاتحادية تعميم ملصقات التحذير. وطلبت اللجنة من وزارة الصحة اجراء مراجعة مستفيضة للأدلة العلمية المتوافرة حول تأثير السعوط في الصحة، وذلك قبل اتخاذ أي إجراءات عملية. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٥ عقد عضو مجلس الشيوخ الأمريكي هنري واكسمان، وهو رئيس لجنة شؤون الصحة والبيئة المنبثقة من مجلس الشيوخ، جلسة استماع حول موضوع فرض حظر على كل إعلانات التبغ غير المدخن في التلفاز.

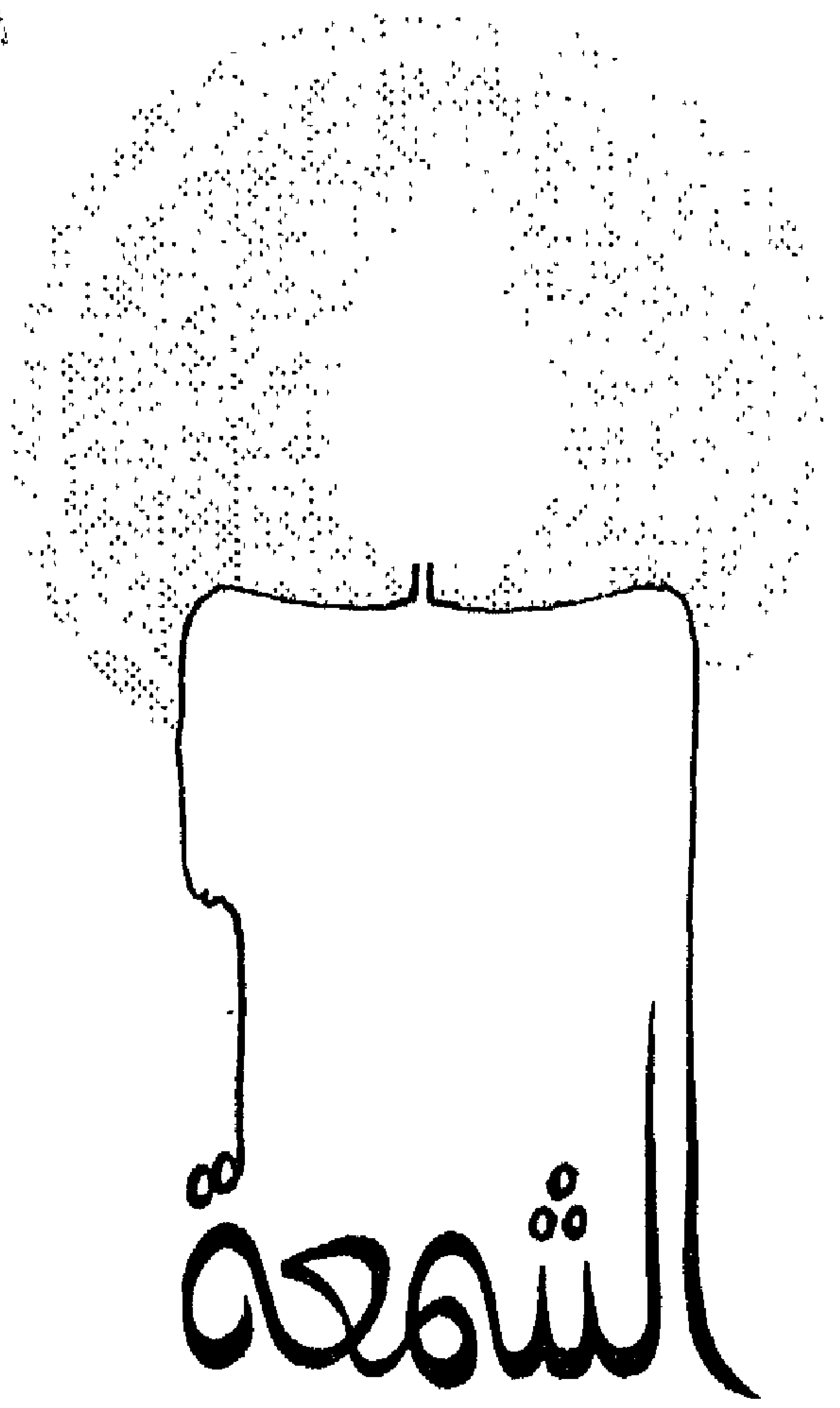
ويعترف الدكتور غريغوري كونولي مدير قسم العناية بالأسنان في دائرة الصحة العامة في مساتشوستس: "لا نعلم تماماً مدى تسبب السعوط في سرطان الفم. ولكن استناداً الى المعهد الوطني للسرطان فان خطر الاصابة يتفاقم بالاستعمال المتواصل لهذه المادة."

قبيل مفارقته الحياة قال شون مارسي لأمه انه يعتقد بوجود سبب جوهري لعدم تدخل العناية الالهية لانقاذه. ورأت بيتي مارسي: "أن السبب هو ما نفعله حالياً: الحفاظ على حياة شباب آخرين. فهذه هي وصية شون."

جاك فينشر ■

[illegible]

ريتشارد لوفلايس، شاعر بريطاني (١٦٤٩)



لا، هذه ليست قصة ميلادية، ولا هي رواية عادية. انها تقرير بسيط عن أمر ما حدث في مكان ما. وحتى من هذا المنظور فهي تفتقر الى الموضوعية التي تتميّز بها التقارير عموماً. فهي حدثت قبل ما يزيد على ثلاثين سنة. ومن يكترث لأحداث كهذه اليوم. ولكن في مطلق الأحوال فإن قصة الميلاد الأصلية لم تكن رواية عادية.

وهنالك وجه شبه آخر لافت على رغم أنك قد تجده بعيد الاحتمال. فقصة الميلاد القديمة حدثت في إسطبل. كذلك جرت أحداث هذه القصة قبل ثلاث وثلاثين سنة في إسطبل. والحقيقة انه لم يكن إسطبلا، بل مكان يشبهه كثيراً. كان سقيفة مظلمة يسودها ظلام دامس يتخلله أحياناً بصيص نور خافت. لكن نوراً مجيداً كان يسطع في الخارج على الدوام. فالسقيفة كانت في منطقة إستوائية معرضة لشمس حارقة. لكنها كانت أيضاً مظللة بسماء بديعة ترصعها نجوم متألقة وقمر مضيء أكبر حجماً من الذي نراه في بلادنا. وكان هناك أشخاص يعيشون في تلك السقيفة. والحقيقة أن كلمة "يعيشون" مبالغ فيها، فهم كانوا محشورين هناك. وفي الجوار كانت الشمس والقمر يعكسان ومضات باهتة على الأسلاك الشائكة التي لم تصدأ على مر الزمان. فقد انقضت سنون، أم هي قرون يا ترى؟ كنت تعباً جداً وعليلا جداً وضعيفاً جداً الى حد اني لم أعد قادراً على التفكير في ذلك. في البداية كنت أفكر. أما الآن فكل هذه الاشياء تنتمي الى الماضي السحيق. وكنت آنذاك أواجه الأبدية أكثر مما أواجه اليوم أو الساعة. فالكثيرون قضوا بالجوع أو الزحار (الديزنطاريا) أو بأمراض استوائية

أخرى أو لأنهم سئموا العيش بعدما فقدوا الرجاء.

وجاهدنا لكي نبقى أحياء في معسكر الاعتقال الياباني ذاك. والحقيقة أننا لم نعد نعي لماذا نفعل ذلك. فنحن توقفنا قبل زمن عن رجاء نهاية الحرب والايمان بالتحرير. وكنا نعيش بملل فاقدين الحس وكأننا مخدرون. وانحصرت كل شهواتنا في واحدة كانت تسري في حلوقنا أحياناً وكأننا وحوش مفترسة: الطعام، الطعام، أي شيء يؤكل. لكننا حُرمناه، وفرض علينا تجويع منظم. وكان أحدنا يمسك بين الفينة والاخرى حية أو فأراً. لكن أحد المعتقلين في المعسكر احتفظ بشيء ليأكله. وكان هذا الشيء شمعة عادية. وهو لم يحفظها أصلا ليقتات عليها، فالشخص الطبيعي لا يأكل الشمع. لكنها في النهاية مادة دهنية لا يجوز الاستخفاف بها، خصوصاً عندما لا تشاهد حولك سوى أخيلة هزيلة ترى فيها نفسك.

ولما تمكّن منه الجوع تناول الشمعة التي أخفاها في حقيبة متجعدة وقضمها بدفق. لكنه لم يلتهمها. فهو اعتبرها ملاذه الأخير. وفي يوم قريب حين يفقد الجميع عقولهم من وطأة الجوع سوف يقتات على تلك الشمعة. وأرجو ألا تعتبر ذلك جنوناً أو انحرافاً. فبالنسبة إلي، أنا صديقه، كان الأمر عادياً جداً. والى ذلك كان وعدني بحصة من الشمعة. وأصبح شغلي الشاغل أن أتأكد من أنه لن يفترسها بمفرده. فرحت أراقبه وأتجسس عليه وعلى حقيبته نهاراً وليلا. ومن الجائز أن هذه المهمة أبقتني حياً.

ومرّ يوم اكتشفنا أننا في عيد الميلاد. وحدث ذلك مصادفة بعد حسابات طويلة أجراها أحدهم مستعيناً بأثلام وعلامات في رافدة خشبية. وأخبر الجميع بالأمر ثم أضاف بصوت خفيض: "سنحتفل بالميلاد السنة المقبلة في بيوتنا." وأومأ البعض برأسه موافقاً فيما لم يكترث البعض الآخر. فقد سبق أن سمعنا أمنيات كهذه لسنوات عدة. لكن بعضهم كان لا يزال يتمسك بهذا الامل.

ثم قال واحد: "في ليلة الميلاد تضاء الشموع وسط قرع الأجراس." ولم أعرف ما إذا كان يضمر فكرة أم لا. لكن قوله كان مستغرباً، وكأني به صوت يكاد لا يسمع صادر من ماضٍ سحيق.

ويجدر بي القول الآن ان تلك الملاحظة لم تعنِ الكثير لمعظمنا، فهي كانت تشير الى أمر لا يمت بصلة الى وجودنا. لكن نتائجها جاءت غريبة وغير متوقعة البتة.

ففي المساء حين استلقى الجميع على ألواحهم الخشبية، كل مع أفكاره، والأصح القول من دون أي أفكار، استولى الأرق على صديقي. ثم تسلل الى حقيبته وأخرج منها الشمعة. وتمكنت من رؤية تلك الشمعة البيضاء وسط الظلام الدامس. وتبادر الى ذهني: سوف يأكلها، فليته لا ينساني الآن. ورحت أراقبه من خلال رموشي المطبقة. ولعجبي وضع الشمعة على سريره الخشبي ومشى الى الخارج حيث كانت نار خامدة. ثم رجع بعود صغير مشتعل يتلوى لهبه الصغير كالشبح في أرجاء السقيفة. وحين وصل الى سريره حدثت الأعجوبة، فقد أدنى العود الملتهب وأضاء الشمعة.

ووقفت الشمعة على سريره وهي تشتعل. ولست أعلم كيف لاحظها الجميع للحال. وسرعان ما اقترب الرجال وهم شبه عراة وأجسادهم عظم يكسوه جلد وخدودهم غائرة وعيونهم تتوقّد جوعاً. وتحلقوا بصمت حول الشمعة المشتعلة.

ونادى أحدهم بصوت أجش: "انه الميلاد. والنور يضيء في الظلمة."

وقال آخر: "والظلمة لم تدركه."

حول الشمعة في تلك الليلة لم تكن هذه مجرد كلمات كتبت في أجيال غابرة، بل كانت حقيقة حية، رسالة لنا في تلك الساعة موجهة الى كل واحد منا.

لأن النور أضاء في الظلمة. والظلمة لم تدركه. ولم نكن نحلل الأمر منطقياً في ذلك الوقت، بل كان هذا شعورنا ونحن نتحلق بصمت حول تلك الشمعة المنيرة.

كانت الشمعة مميزة حقاً. فهي ناصعة البياض ورفيعة جداً كما لم أر شمعة من قبل. وكان اللهب المنبعث منها يصل الى السماء. وفيه تراءت لنا أشياء ليست من هذا العالم الفاني. ومهما حاولت فلن أفلح في التعبير عن ذلك. ويشاطرني هذا الشعور كل رفقائي الذين نجوا من الاعتقال. كان الأمر سراً شاركنا فيه. وقد رنمنا بصمت وصلينا دونما كلام. وسمعت أجراساً تقرع وجمهوراً ينشد. أجل، إنني واثق تماماً من ذلك، وهناك أكثر من مئة شاهد على صحة كلامي. وعلى رغم أن معظمهم فارق الحياة، فهذا لا يعني أنهم لم يعلموا بالأمر.

أما مصدر الأناشيد فسيبقى طي الكتمان. واشتعلت الشمعة متوهجة حتى وصل لهيبها الى السقف، ثم تخطاه الى النجوم وأضاء كل شيء ببهاء أبيض عجيب.

ولم ير أحدنا نوراً كهذا في ما بعد. وغمرتنا السعادة والحرية فارتقينا الى العلى وانتفى كل شعور بالجوع، ولم تشبع هذه الشمعة صديقي وأنا فحسب، بل أطعمت الجميع وقوّتهم.

ثم قال أحدهم بلطف: "سنحتفل بالميلاد السنة المقبلة في بيوتنا." وصدقناه هذه المرّة، لأن الرسالة كانت مكتوبة بأحرف من نار في لهب الشمعة. صدق أو لا تصدق، فأنا شاهد عيان لذلك.

واشتعلت الشمعة طوال الليل. وما من شمعة يمكنها الاشتعال طوال هذا الوقت وبهذا الارتفاع. وعندما انبلج الصبح غنّى بعض الرجال. وهذا ما لم يحدث لسنوات. وخلّصت الشمعة حياة الكثيرين منا، إذ أدركنا حينئذ أن الاستمرار في العيش يستحق العناء، وأننا سنجد بيتاً ينتظرنا في نهاية المطاف مهما يكن اتجاهنا.

وهذا ما حدث فعلا. فغادر بعضنا قبل عيد الميلاد التالي. وهم الآن أحياء يرزقون. وهم يجدون شموع الميلاد اليوم صغيرة الحجم بعدما رأوا نوراً أعظم ما زال يتلألأ الى الآن.

كذلك وصل معظم الآخرين الى "بيوتهم" قبل حلول عيد الميلاد التالي. وساعدت في إنزالهم تحت الثرى خلف معسكرنا في بقعة جافة من المستنقع. لكن عيونهم لم تكن مظلمة ساعة وفاتهم، بل كانت تحمل نور تلك الشمعة الغريبة، النور الذي لم تغلبه الظلمة.

وليم برانت ■

اشترك في يانصيب كندا العالمي الشهير

مليُون دُولار نقـدًا*

قد تكـون من نصيْبك

جوائز فورية تصل الى ١٠,٠٠٠ دولار!

١١٦ سحبا في السنة! لها جوائز مقدارها ٣٠ مليون دولار كل شهر!

٣٦٠ مليون دولار يربحها المشتركون سنوياً في ثلاثة سحوبات كندية رئيسية. وفي كل شهر يربح المشتركون أربع جوائز بقيمة مليون دولار. أكثر من ٥٠٠ من حاملي أوراقنا السعيدي الحظ صاروا أصحاب ملايين خلال السنوات الخمس الماضية. والآن بات في امكانك الاشتراك في سحوبات اليانصيب الكندي، وهي السحوبات التي تعتبر صاحبة الرقم القياسي في المبالغ التي تدفعها للرابحين في العالم. اشترك لمدة سنة واحدة ويصبح لك الحق في الاشتراك في ١١٦ سحبا. ففي كل شهر، ولمدة ١٢ شهراً متتالية، تتسلم البطاقات المشروحة في ما يأتي:

الـ٦٠٠ دولار، قيمة اشتراكك، تخولك في كل شهر ولمدة ١٢ شهراً الاشتراك في عدد مدهش من سحوبات يبلغ مجموعها ١١٦ سحباً:

- بطاقة يانصيب "سوبر".
- بطاقتان اقليميتان (بروفنجال).
- خمس بطاقات "وسترن - اكسبرس".
- بطاقات جوائز فورية تصل قيمتها الى ١٠,٠٠٠ دولار، وهي تبقى في حوزتك للاشتراك في السحوبات السنوية.

تصلك بطاقاتك في كل شهر ضمن مغلف مختوم. وهي تختم حال طباعتها بواسطة نظام الكمبيوتر الخاص بيانصيب الحكومة الكندية الاقليمية. والبطاقات لا تحمل اسماء او عناوين. والارباح لا تخضع للضرائب.

فبطاقات اليانصيب الكندية هذه هي فريدة في نوعها، اذ ان جميع السحوبات تجرى على البطاقات المبيعة فعلا، وليس على ارقام كمبيوترية قد تكون بينها أرقام بطاقات غير مبيعة.

نسبة حظك في الربح هذه السنة هي واحد من أربعة!

اليانصيب الكندي يقدم احتمالات غريبة مستحبة. فخلال الـ١٢ شهرا المقبلة تكون لديك.

- ٤٨ فرصة لربح مليون دولار.
- ١٢٠ فرصة لربح نصف مليون دولار.
- ٤٨٠ فرصة لربح ١٠٠,٠٠٠ دولار.
- ٤٨٠ فرصة لربح ٥٠,٠٠٠ دولار.
- ١٥٢٤ فرصة لربح ١٠,٠٠٠ دولار.
- آلاف الفرص لربح ٥٠ دولارا حتى ٥,٠٠٠ دولار.

زائدا، جوائز فورية تصل الى ١٠,٠٠٠ دولار بالاضافة الى السحوبات المنتظمة.

وبخلاف سحوبات اليانصيب الاخرى، من المضمون اشتراك رابحي الجوائز الفورية وبصورة متتابعة في جميع السحوبات الشهرية.

كيف تعرف انك ربحت؟

في كل شهر تتسلم نشرة رسمية تتضمن الارقام الرابحة خلال الاسابيع الاربعة الاخيرة. وما تربحه لا يخضع لأي ضريبة، وفي امكانك تقديم ورقة اليانصيب الرابحة الى المصرف أو أي عنوان تختاره. وتتم معاملة القبض بالكتمان، ويبقى اسمك غير معروف. وتبقى جميع البطاقات الرابحة صالحة للاشتراك في السحوبات لمدة سنة واحدة.

★ يجرى دفع المبالغ التي تربحها بالعملة الكندية الثابتة. وارباحك تكون معفاة من الضريبة وترسل مكتومة الى المصرف او اي عنوان تختاره. وقد تخضع هذه الارباح لقوانين الضرائب في مكان اقامتك.

تسلم ارباحك المعفاة من الضرائب بسرية تامة

اشترك فيه الآن واستمتع بالاثارة طوال العام!

لا يمكنك ان تربح من دون بطاقة، اشترك اذن الآن، ولن يكلفك الاشتراك لمدة سنة اكثر من ٦٠٠ دولار امريكي. وهذه القيمة تشمل جميع رسوم الخدمات بما فيها اجور البريد وغلافات البطاقات وقوائم الارقام الرابحة المصادق عليها. ولكي تحصل على فرصة العمر للربح الوفير، املأ القسيمة وارسلها مرفقة بشيك (بالدولارات الامريكية فقط).

الشيك مدفوع لأمر **International Lottery Distributors**

ارسل الشيك والقسيمة الى

Capital Distribution Services 1009
220 Portage Avenue
Winnipeg, Manitoba R3C OA5 CANADA
TELEX 07-55-871 PHONE 204-947-6743

او ادفع بواسطة بطاقة **AMERICAN EXPRESS**

املا القسيمة. وارفق شيكاً مدفوعاً لأمر **International Lottery Distributors**

ارسل الشيك والقسيمة الى **Capital Distribution Services 1009**
220 Portage Avenue
Winnipeg, Manitoba R3C OA5 CANADA

- ■ ٦٠٠ دولار لمدة ١٢ شهرا للاشتراك في برنامج السحب الكندي.
- ■ ٣٥٠ دولارا اشتراكا تجريبيا لمدة ٦ اشهر.

الرجاء الكتابة بوضوح او على الآلة الكاتبة:

الاسم الكامل ____________
____
الشارع ____________
____
ص.ب ______ المدينة ______
هاتف ______، تلكس ______

او ادفع بواسطة بطاقة:

American Express
☐ **Card N°** ____________

Expiration
Month ______ **Year** ______

Signature ____________

ARRD 01 86

CAPITAL DISTRIBUTION SERVICES:
OFFICIAL LICENSEE OF CANADIAN GOVERNMENT LOTTERIES.

أغاثا كريستي: المجرمون يولدون في مغطس الحمّام

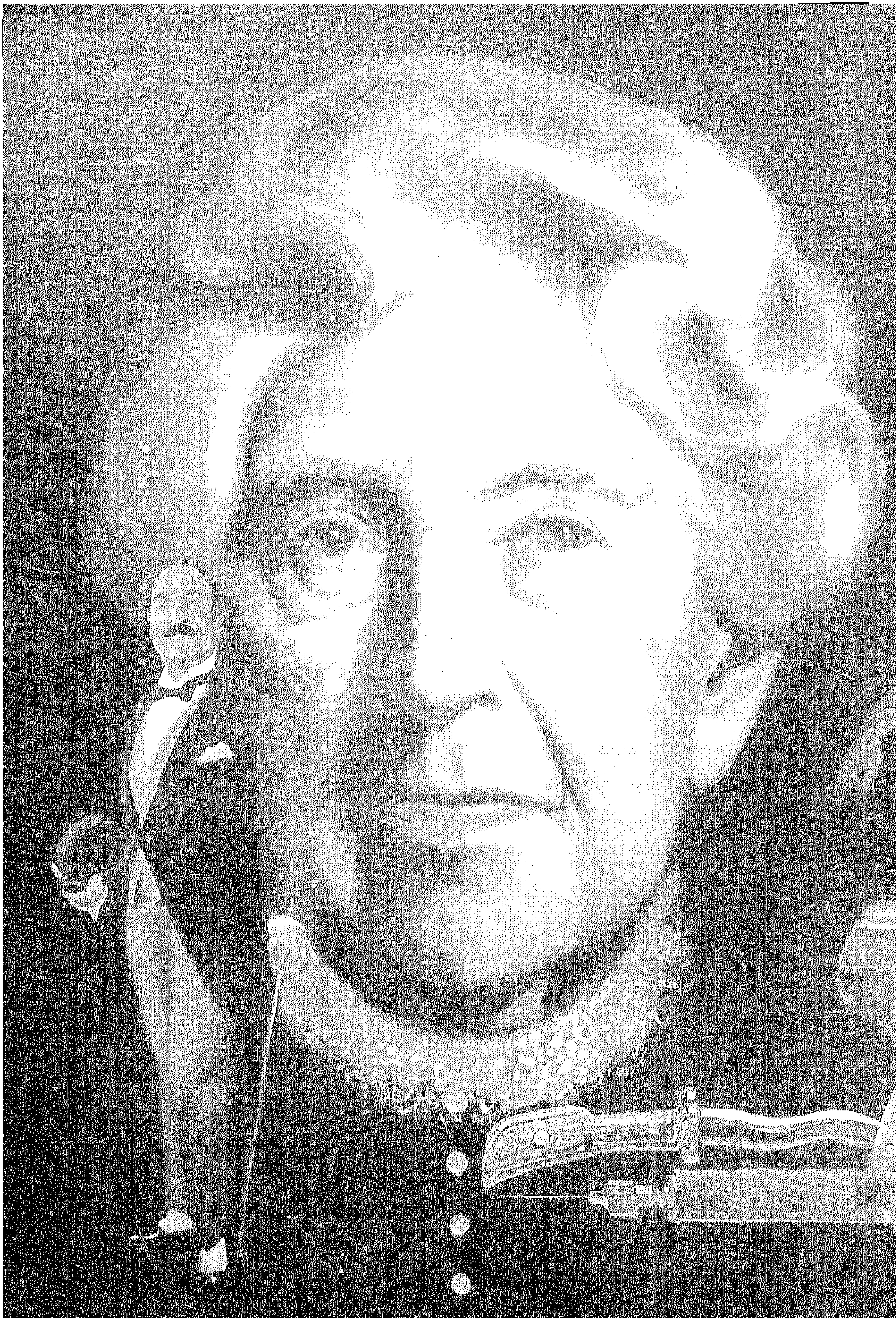
من لم يقرأ لهذه الكاتبة
الخجول التي تبوأت
المرتبة الاولى
بين الادباء البريطانيين
بمن فيهم شكسبير؟

وصلت البريطانية الخجولة المتوسطة العمر الى أكسفورد لتحتسي الشاي بعدما اشترت كتاباً جديداً عن السموم من مكتبة بلاكويل. وتتذكر صديقتها هيتي هاميلتون: "كانت تصغي الينا بانتباه حين نخاطبها. ولكن ما ان نوجه حديثنا الى سواها حتى تسترق النظر الى كتابها. وكان شوقها لا يوصف لمعرفة كل جديد في عالم السموم."

في كل مراحل حياتها الطويلة سعت أغاثا كريستي الى اشباع فضولها اللامحدود للأشياء الغريبة كالسموم. وساعدها ذلك في إتقان جرائمها الخيالية. وهي التي لقبت "أميرة الموت" وحازت رقمين قياسيين عالميين.

وخولها إتقانها ألغاز الجرائم أن تصنف أشهر كاتبة روائية في عصرها. فارتفعت مبيعات كتبها البوليسية الثمانين الى ما يزيد على ٥٠٠ مليون نسخة. ومنحت عام ١٩٧١ لقب "السيدة الضابطة في الامبراطورية البريطانية"

Illustration: Dennis Luzak



تقديراً لانجازاتها. وفي مجال المسرح أيضاً تتألق أغاثا كريستي. فالمعروف أن أطول عرض متواصل أبداً كان لمسرحيتها "فخ الفأر" التي افتتحت في لندن يوم الخامس والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٢ وما زالت مستمرة الى يومنا هذا، وهي ترجمت الى ٢٥ لغة ومثلت في ٤٢ بلداً.

وعلى رغم وفاة أغاثا كريستي قبل عشر سنين، في الثاني عشر من يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦، فما زالت مبيعات كتبها تسجل ارتفاعاً ملحوظاً. ويبدي الجمهور اهتماماً متزايداً بمؤلفاتها. ويعود ذلك جزئياً الى اقتباس السينما والتلفزيون الكثير من رواياتها. وكما كتب جون أوكونور في أحد أعداد فبراير (شباط) ١٩٨٥ من صحيفة "نيويورك تايمس": "يبدو التلفزيون بارزاً وسط كل مهرجانات أغاثا كريستي." وذكر في سياق مقاله برنامج "لغز" الذي قدم فيه التلفزيون قصص كريستي غير المعروفة. كما كشف عن نية شبكة "سي بي إس" الامريكية إعادة هيلين هايس لتمثل دور الآنسة ماربل في رواية "جريمة المرايا". وهنا أسماء قليلة تضمها لائحة طويلة من الافلام المقتبسة عن رواياتها: "جريمة في قطار الشرق" و"ثم اختفى الجميع" و"الموت على النيل".

اهتمامات شخصية – لا ينكر أحد أن كتب أغاثا كريستي ومسرحياتها خالدة لا تنسى. ولكن من أي طينة كانت هذه السيدة التي أنتجت كتابها الثمانين في السن الثمانين وتبوأت المرتبة الاولى كأكثر الكتاب البريطانيين قرّاء في العالم، يليها شكسبير في مرتبة ثانية هزيلة؟

بالنسبة الى ابنتها الوحيدة روزاليند هيكس كانت أغاثا منعزلة وخجولة تجد سعادتها في عمل ما تحب بين أناس تحبهم وفي أماكن محببة. وتفاوتت مسراتها بين العزف على البيانو والغناء في منزلها في غرينواي، وكانت عازفة ومغنية ممتازة، والسباحة مع روزاليند في توربـاي وممارسة كرة المضرب والكروكي (★). ومن طفولتها الى شيخوختها سرّتها المباهج البسيطة كالتهام دراقة طازجة في أحد أطباق الفواكه المتوارثة في العائلة. ولدى قراءة وصفها لهذه الأطباق في مذكراتها ندرك كيف يساهم انتقاؤها التفاصيل المادية الحسية في جعل أسلوبها جذاباً: "حافاتها خضراء صافية موشحة بلون ذهبي. وتتوسط كل طبق ثمرة مختلفة. أما المفضلة عندي فكانت وستبقى ثمرة التين الارجوانية".

وبالنسبة الى حفيدها الوحيد ماثيو بريتشارد، الذي قتل والده في الحرب العالمية الثانية وهو بعد في الثانية من عمره، فهي جدة عجيبة يمكنها تحويل زيارة عادية رحلة ألغاز مثيرة. ويتذكر: "كانت تتلو على مسامعنا كل أمسية فصلا من كتابها الجديد، فنخمّن نحن من الجاني. لكنها كانت تمقت الظهور والشهرة." وكان تصورها للمرح الحقيقي

(★) لعبة بالكرات الخشبية.

في أن تراقب حفيدها يمارس لعبة الكريكيت، وهي من ألعاب الكرة والمضرب.

وكان ماثيو نوعها المحبب من الأولاد. فكتبت عنه عام ١٩٦٥: "سيبقى أبداً في ذاكرتي ذلك الولد المرح السعيد. فهو يتميز بنزعة جلية الى الفرح والبهجة." ويجيب هو: "هذا ما ورثته عن جدتي." ومنذ العام ١٩٧٤ تسلم ماثيو إدارة شركة "أغاثا كريستي المحدودة" التي تملك حقوق النشر لكل مؤلفات كريستي. وقد كان ماثيو في التاسعة فقط حين أهدت اليه جدته المعطاء حقوق نشر "فخ الفأر".

بوارو العظيم – تحت المظهر الهادىء لشخصية كريستي يكمن وعي هائج لوسائل خطف حياة الانسان.

ولدت أغاثا في الخامس عشر من سبتمبر (أيلول) ١٨٩٠ لأب أمريكي وأم بريطانية. وعرفت طفولة وصفتها بأنها "سعيدة جداً" في بيت تحوطه جنائن مشمسة وفي رعاية مربية حنون روت لها قصة القطة التي قصدت لندن لتقابل الملكة. لكنها كانت تعاني كابوساً متكرراً سمته "حلم القاتل" وفيه يتحول شخص محب مألوف غريباً شرساً.

ظاهرياً ترعرعت كريستي كفتاة محافظة خجولة متواضعة وجميلة في آن. ولكن في الداخل كانت مخيلتها النشطة تتصور كيف يمكن أن تسوء الأمور وتتعقد.

وبعيد اندلاع الحرب العالمية الأولى تبدلت حياتها الهادئة فجأة. فتزوجت عام ١٩١٤ أرشيبلد كريستي وهو ضابط وسيم في سلاح الجو الملكي. وحين أرسل في مهمة عسكرية الى فرنسا تطوعت في فرق الدفاع المدني وألحقت بمستشفى للصليب الأحمر في توركاي. وهناك أنجزت قصتها البوليسية الأولى. وبعدما رفضها كثير من الناشرين وصل بها المطاف الى دار جون لاين التي نشرتها عام ١٩٢٠ تحت عنوان "العلاقة الغامضة" (The Mysterious Affair at Styles)

وعرّف هذا الكتاب بالمفتش هيركول بوارو الذي تألق نجمه لاحقاً. فعندما نشرت أغاثا كتابها "ستارة" عام ١٩٧٥ الذي أعلنت فيه موت بوارو بادرت صحيفة "نيويورك تايمس" الى نعيه في صفحتها الاولى. وعبر السنين كانت شخصية بوارو محببة الى كبار النجوم، فمثلها على المسرح تشارلز لوتن وفي السينما طوني راندال وألبرت فيني وبيتر أوستينوف.

وعلى رغم أن بوارو كان أعظم ابتكارات كريستي فانها لجأت أحياناً الى شخصيات بوليسية أخرى كالعانس المسنة الآنسة ماربل التي مكنتها بصيرتها الثاقبة من حل الكثير من ألغاز الجرائم. وكانت أولى من مثل دور الآنسة ماربل على الشاشة النجمة البدينة العريضة الحنك مارغريت روثرفورد. ومثلت أنجيلا لانسبوري الدور في رواية "المرآة المحطمة".

الاختفاء الغامض – بعد الحرب العالمية الاولى عاشت أغاثا كريستي حياة هانئة مع زوجها وكتاباتها وابنتها

روزاليند التي ولدت عام ١٩١٩. واستمر هذا النمط من الحياة حتى الثالث من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٦ حين اختفت أغاثا لمدة أحد عشر يوماً. ووجدت سيارتها متوقفة عند طريق فرعية في بيـركشير. وأعلنت الصحف تخصيص مكافأة سخية لمن يجدها، وشارك مئات من رجال الشرطة والجيش والمدنيين في حملة تفتيش واسعة في أنحاء الريف.

وفي الرابع عشر من ديسمبر (كانون الاول) ارتاب عازفان في أحد فنادق هاروغيت في يوركشير في أمر نزيلة تشبه أغاثا (بعدما رأيا صورتها في صحيفة) فأعلما رجال الشرطة بالأمر. وبلّغت الشرطة النبأ الى العقيد كريستي الذي حضر للحال وقابل المرأة، ثم واجه الصحافة قائلا: "انها زوجتي حقاً، وهي تعاني أسوأ حالات فقدان الذاكرة. تصوروا أنها لم تعرفني!"

وظن البعض أن الأمر مجرد مناورة إعلامية مثيرة لجذب الانتباه الى كتب أغاثا التي ازداد حجم مبيعاتها بعد اختفائها، فيما أكد البعض الآخر أنها كانت تضع مخططاً لكتاب جديد.

لكن الحقيقة كانت مرّة الى حد أن أغاثا كريستي امتنعت عن الاعتراف بها علناً طوال حياتها. فقد مرضت أمها الحبيبة، فكرست أغاثا وقتها لخدمتها. ولكن عندما توفيت فجأة فاتها أن تكون الى جانبها. وفاجأها زوجها بعد زمن يسير برغبته في الطلاق معلماً اياها بصراحة قاسية أنه وقع في حب أخرى. وهكذا تحقق كابوس طفولتها فبدا الرجل الذي أحبته كأنه القاتل. وجاء رد فعل هذه السيدة الحساسة والخجولة هروباً من الواقع المرير ولجوءاً الى فقدان الذاكرة. وفجأة لم تعد تعرف زوجها، ولا حتى نفسها.

عين الكاتبة – بعد معالجة أغاثا لدى اختصاصي ماهر استعادت ذاكرتها. وفي العام ١٩٢٨ طلّقت من زوجها (الذي تزوج سريعاً من جديد) وغدت تمضي معظم أوقاتها في السفر عبر بلدان الشرق الاوسط. وزارت العراق عام ١٩٣٠ حيث التقت ماكس ادغار مالوان الذي كان يعمل في الحفريات الأثرية في مدينة أور السومرية القديمة.

وفي شهر سبتمبر (ايلول) من ذلك العام تزوجت مالوان. ولسنوات عدة رافقته أثناء تجواله في العراق وسورية. والى معاونته في أعماله أكبت على الكتابة والتأليف طوال تلك الفترة (لم ينس مالوان ابداً مدى انزعاجها عندما تمكن مرة من اكتشاف القاتل من دون أي عناء، ولكن لاسباب وتحليلات خاطئة).

وبرزت ملاحظتها الحادة في معرفتها العميقة بالسموم. ففي روايتها "الحصان الشاحب" (١٩٦١) كان السم المميت هو الثاليوم. وبعد أربع عشرة سنة كتبت امرأة من أمريكا الجنوبية أن وصف عوارض التسمم كان من الدقة بحيث مكنها في الوقت المناسب من إنقاذ رجل كانت زوجته الفتية تسممه ببطء بهذه المادة. وفي حال أخرى توفيت الضحية، لكن المحقق استطاع اكتشاف الجريمة بتمييزه عوارض التسمم بالثاليوم كما وردت في القصة.

وعرفت كريستي بلقب "ماكينة النقانق" لأنها بدت قادرة على إنجاز كتاب كامل في غضون أسابيع أو أشهر قليلة ومن دون إجهاد ظاهر (في الحقيقة كان التأليف يكلفها الكثير من العمل المضني) محافظة على ميثاقها مع قرائها باعطائهم مؤلفاً جديداً كل سنة. وتتذكر صديقتها الليدي إلسا بوكر: "كانت تستنبط قصصها وهي في مغطس الحمام."

وتستنتج مواقفها الخاصة أحياناً من خلال التفاصيل الدقيقة في رواياتها. ففي كتابها "إعلان جريمة قتل" تلاحظ الآنسة ماربل في سياق مناقشتها شخصية القاتل: "إن الأشخاص الحاقدين على الدنيا خطرون دائماً. ففي اعتقادهم أن الحياة مدينة لهم. والحقيقة أن سر سعادتك أو تعاستك يكمن داخلك." وحول فترات التعاسة كتبت كريستي: "في اعتقادي يجب على المرء أن يتأمل قليلا ويعترف: نعم، هذا جزء من حياتي، لكنه انقضى الى غير رجعة. فلا وجوب للالتصاق به." وعوض ذلك ركزت على السعادة.

بقي الكثير – لدى بلوغها الخامسة والسبعين دونت أغاثا في مذكراتها: "أنا على استعداد الآن لتقبل الموت. فمعي زوجي وابنتي وحفيدي وصهري العزيز، وهم يؤلفون عالمي الصغير. أنا أستمتع بالحياة حالياً. صحيح أنه ينبغي شطب بند ما من لائحة المسرات مع مرور كل سنة، فالسير الطويل ممنوع، كذلك السباحة، ويتعذر أكل الاشياء الصلبة وقراءة الخطوط الصغيرة. ولكن تبقى أشياء كثيرة. فهناك الأوبرا والحفلات الموسيقية ولذة الاندساس في السرير والاستسلام لنوم هني عميق وأحلام متنوعة.

"وما أكثر الذكريات الحلوة: السباحة في البحر مع روزاليند والجلوس الى مائدة ملكة بريطانيا. كم كان ذلك ليسعد مربيتي! يا قطة، يا قطة، أين كنت؟ أشكر الله على حياتي الجميلة وعلى كل الحب الذي مُنحت."

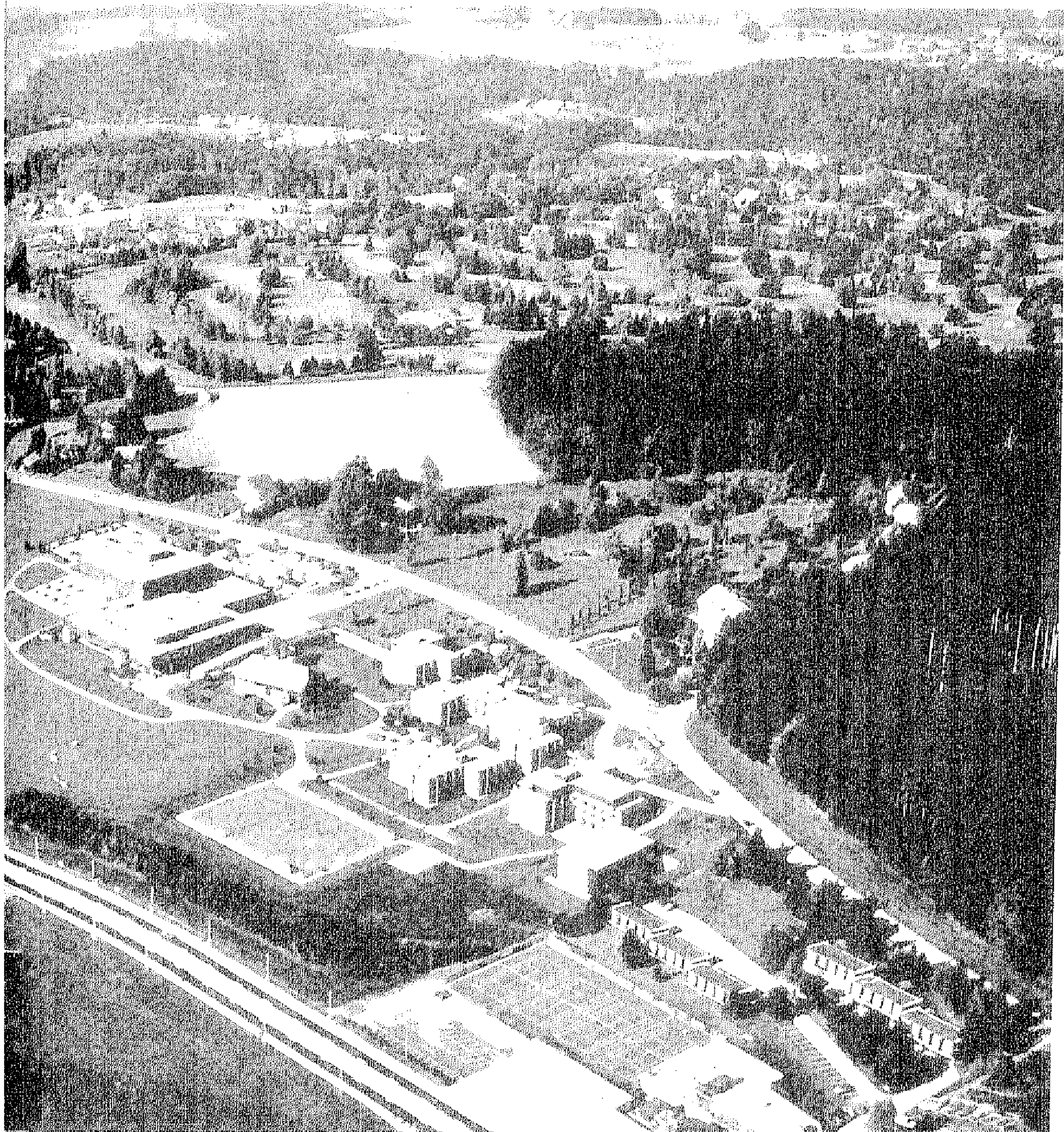
وبعد عشر سنين توفيت أغاثا كريستي وهي في الخامسة والثمانين. وتركت لنا شخصيتين بوليسيتين محببتين في الأدب الانكليزي: بوارو الانيق الذي لا يلين وماربل الداهية الثرثارة. ومن آثارها أيضاً ثمانون مؤلفاً عن ألغاز الجريمة وتسعة كتب أخرى وثماني مسرحيات.

وهي خالدة أيضاً في الملايين منا الذين يزداد شغفهم بالحياة كلما حك بوارو دماغه لكشف جريمة وكلما ساعدت الآنسة ماربل رجال الشرطة في حل لغز من دون أن تتوقف دقيقة عن حبك الصوف.

جون كالهان ■

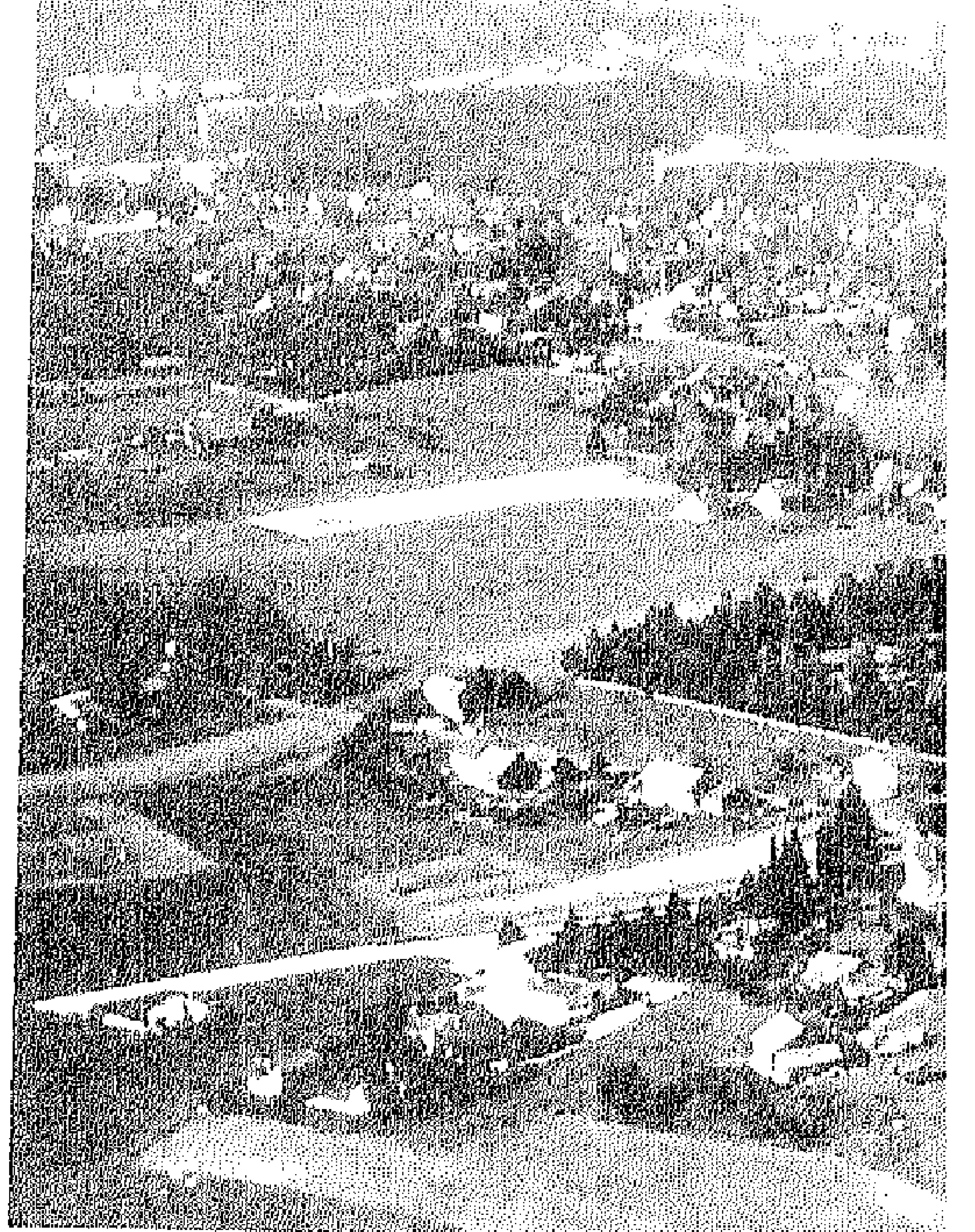
هل سمعت بالرجل الذي سهر طوال الليل يفكر في المكان الذي ذهبت اليه الشمس، فأشرقت عليه الشمس أخيراً؟

ن.ر.



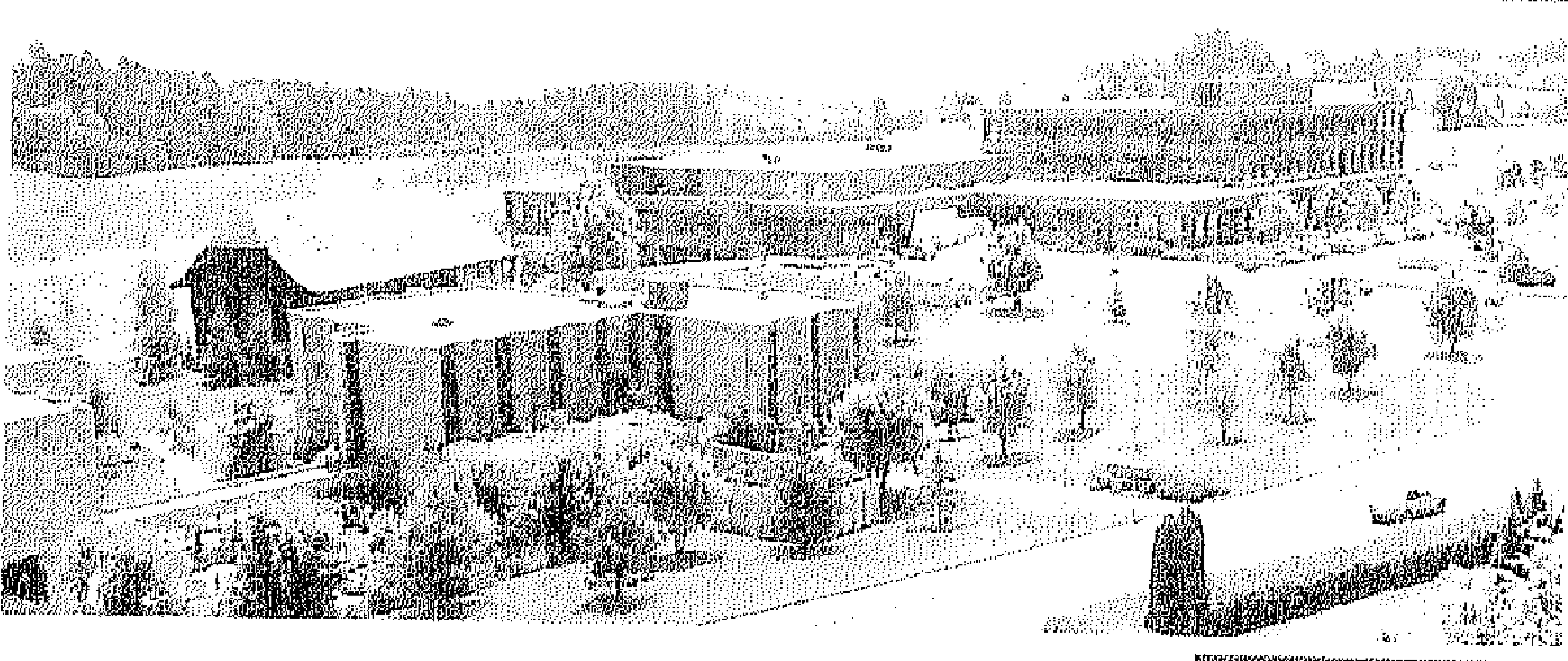
المدرسة الفندقية في لوشاليه آغوبيه (في الوسط) تحوطها التلال المدرجة فوق بحيرة جنيف.

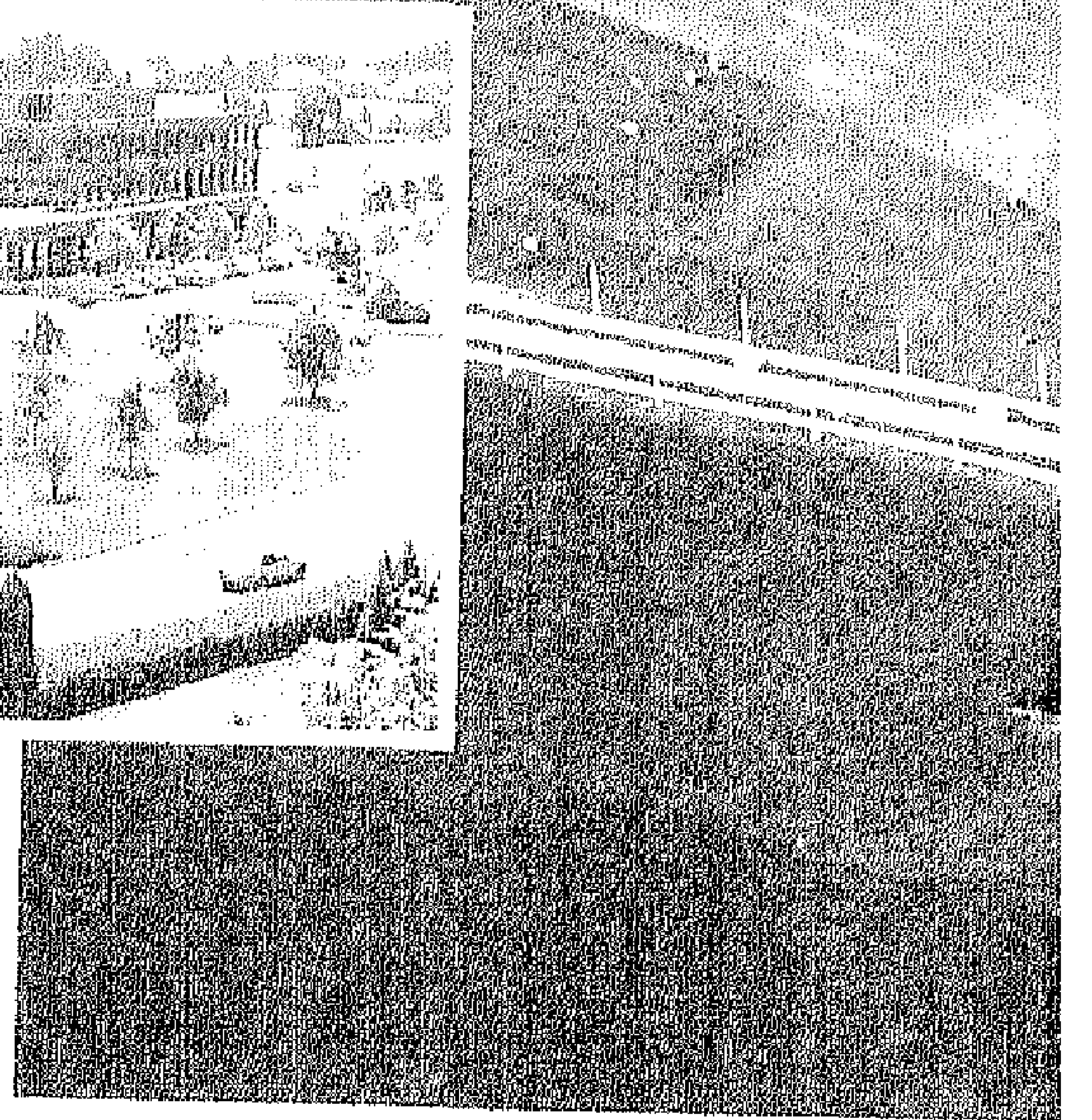
فندقيّة لوزان
جَعلت الضيافة صناعة عالميَّة



حين سألت مجلة "المستثمر" الامريكية (Institutional Investor) مئة من أصحاب المصارف العالميين أن يذكروا أسماء عشرة فنادق مفضلة لديهم، تبين أن الاربعة الاولى منها تدرب مديروها في المدرسة الفندقية في لوزان بسويسرا. وقد نال أكثر من ٤٠ ألف رجل وامرأة من ٩٥ جنسية مختلفة شهادة هذه المدرسة المعتبرة، وقال أحد خريجيها وهو فرنسي: "نحن خريجي هذه المدرسة نحتل مراكز رئيسية كثيرة حتى غدا أصحاب الفنادق يتندرون بالحديث عن مافيا لوزان."

ما سبب هذا التفوق الذي تحظى به





المجمع المشيد حول بيت مزرعة قديم، وهو اليوم استراحة، يضم مرافق للتدريب (في الخلف) وقاعات منامة.

المدرسة الفندقية في لوزان تعلمك كيف تشعر ضيفك بأنه ملك

لوزان؟ غاري هول أحد الفندقيين الناجحين يوضح ذلك على أفضل وجه حين يقول: "يمكنك أن تعلّم فن الضيافة بالقاء محاضرة، أما في لوزان فانك تعيشه وتتنشقه."

لا غرو في أن لوزان كانت أول مدرسة فندقية في العالم. وكانت سويسرا موطن كثير من الرواد الفندقيين الشهيرين

Photographs by courtesy of Ecole Hôtelière Lausanne, Switzerland

أمثال سيزار ريتز "ملك الفندقيين وفندقي الملوك". وافتتحت الجمعية الفندقية السويسرية المدرسة في اكتوبر (تشرين الاول) ١٨٩٣. وانتقل ٢٧ يافعاً الى فندق انكلترا في أوشي، وهي ضاحية للوزان محاذية للبحيرة، كانوا يدرسون في الشتاء حين تكون الفنادق مقفلة ثم يساعدون في ادارة الفنادق في الموسم السياحي. وازدهرت المدرسة. وفي العام ١٩٧٥ توسعت لتصبح مجمعاً تبلغ قيمته ٥٥ مليون فرنك سويسري (★) قائماً في لوشاليه آغوبيه في الريف شمال لوزان. وفيها اليوم ٥٠ مدرساً و٤٦٠ طالباً.

حين زرت المدرسة رأيت يافعين يرتدون الملابس المهنية ويؤدون واجباتهم ويتصرفون كفندقيين حقيقيين. وعندما ضللت سبيلي ظهر طالب من حيث لا أدري ليرشدني، وكان يعدل خطوه ليناسب خطوي، لكنه بقي دائماً يسبقني بخطوة واحدة ليفتح لي الباب. ويقول مدير المدرسة جان شيفالاز: "في المجتمعات المتكلفة والمتأنقة يغدو السلوك الصحيح طبيعة ثانية."

برنامج مرهق - تبلغ كلفة ادارة المدرسة عشرة ملايين ونصف مليون فرنك سنوياً. وعلى رغم الدعم الحكومي والمساعدات المحلية تبقى الرسوم عالية: ١١ ألف فرنك للفصل الدراسي. لكن هذا يشمل الاقامة والطعام واللوازم المدرسية واللباس الرسمي. وتحجز الاماكن في الصفوف قبل خمس سنوات من بدء الدراسة، وتحمل لوائح الانتظار عشرات الاسماء.

(★) الفرنك السويسري يساوي نحو نصف دولار.



بل هو أكثر البرامج شعبية في المدرسة.



في السنة الاولى يتعلم الطلاب كيف يقدمون الوجبات وفقاً للاصول.



[illegible] لمربيات المستقبل.

وعلى المرشحين أن يجيدوا الانكليزية اضافة الى الفرنسية التي هي لغة التدريس. ومن أجل الالتحاق ببرنامج مدته أربع سنوات لتأهيل مدير فندق ومطعم، على الطالب أن يحمل شهادة تعادل البكالوريا السويسرية أو الفرنسية (بالنسبة الى الرعايا السويسريين تقبل شهادة طاه حكومية اذا كان حاملها أتم الدراسة الثانوية). وبعد بضع سنوات من الخبرة يغدو المتخرجون مؤهلين لادارة فندق أو مطعم من الحجم المتوسط.

بيتر بالاس هو المدير الامريكي لسلسلة فنادق "انتركونتيننتال" التي تضم ٤٥ فندقاً في أوروبا وشمال افريقيا والشرق الاوسط. وهو يظهر تقديراً عالياً لمرؤوسيه المتدربين في لوزان، خصوصاً حين يفتتح فندقاً جديداً. ويقول: "يمكنني ان أطلب من أي موظف في مكتب الفندق أن يتسلم المطعم في أي لحظة، وأنا واثق من أنه سيؤدي المهمة على أكمل وجه. وقبيل افتتاح فندق جديد في جاكارتا باندونيسيا تركَنا الطاهي فجأة، فأعددنا نحن خريجي لوزان مأدبة لـ١٦٠٠ شخص وخدمنا ٣٠٠ من نزلاء الفندق بأنفسنا."

ولا تقبل المدرسة بأن يطيل الطلاب شعورهم. وعلى الشبان أن يرتدوا سترة وربطة عنق دائماً. وبعد ٤٠ تغيباً من دون عذر يطرد الطالب من المدرسة ولا تعاد اليه الرسوم المدفوعة. ومن القلائل الذين تجاهلوا هذه التنبيهات نكي هيلتون وارث امبراطورية الفنادق المعروفة. وعلى رغم مركزه طلب منه أن يرحل.

الفندق مسرح. عندما يرتفع الستار يجب أن يجري كل شيء بانتظام كامل.



[illegible] ينبغي أن تعلّم.

ولذا تكون ساعات العمل طويلة وشاقة. وينقل ديتر فويت مالك فندق "فولفلر" في هانوفر بألمانيا الغربية عن أحد المعلمين العبارة المأثورة الآتية: "المعاون الجيد يعمل ٢٤ ساعة في اليوم. واذا كان هذا غير كاف فانه يعمل في الليل أيضاً."

ولكن ثمة وقت للراحة. وأبرز مظاهر السنة حفلة يعد فيها الطلاب مأدبة غداء فاخرة ويكونون هم أنفسهم نجوم الترفيه. وتطغى على الطلاب أحياناً روح المرح. ويتذكر جيلبير اروندبل، وهو مدير فندق "كريون" في باريس، الطالبة التي كانت تغسل الخس فوق حوض ماء كبير: "لم نستطع مقاومة الاغراء. وحين مررنا بتلك الفتاة المسكينة ألقيناها في الحوض."

أربعون في المئة من الخريجين فتيات. وثمة فنادق عدة في العالم يديرها زوجان تخرجا في لوزان.

وبرنامج المدرسة موسع ومرهق. الفصلان الاولان المخصصان لـ"الطعام والشراب" موزعان بين برامج المطبخ وخدمة المائدة. ويعقب كل فصل خمسة أشهر من التدريب العملي في فندق أو مطعم. وفي الفصل الثالث يدرس الطلاب ادارة الفنادق، وتعقب هذا الفصل ايضاً فترة تدريبية خارجية. أما البرنامج الاخير فيشمل المهارات العالية في ادارة الفنادق: تخطيط مشروع فندق أو مطعم ناجح وادارته.

عمل شاق – لم أشهد في حياتي محاضرة ممتعة مثل "مطبخ العرض" وهو احدى المواد الاولى التي تدرس. ويراقب الطلاب عبر مرآة مثبتة في السقف شريحة سمك في مقلاة بينما رئيس الطهاة روبير لوجون يشرح للطلاب وصفة خاصة للصلصة التي تقدم مع هذا الطبق.

ثم توزع على الطلاب قبعات الطهاة والسترات البيضاء ويرسلون الى المطبخ لتطبيق النظريات التي تلقنوها. ومع أن معظمهم لم يقلِ بيضة من قبل، فانهم يتمكنون من اعداد وجبتين يومياً لـ٦٠٠ طالب ومستخدم.

وكانت الوجبات التي تناولتها ممتازة. ولكن لا بد من وقوع كوارث. من ذلك أن كورت فاتشفايتل الذي اختير فندقه "أورينتال بانكوك" أربع مرات كأفضل فندق في العالم، أخطأ مرة فوضع في قشطة "الميرينغ" ثلاثة أضعاف الكمية اللازمة من السكر. وطوال أشهر عرضت "القشطة المتحجرة" التي صنعها كتحذير للآخرين.

ومع أن الطلاب فازوا في مباريات المطابخ في معارض فندقية دولية، ومع ان اثنين من المطاعم الثلاثة في المدرسة يستحقان أن يصنفا في فئة النجوم الخمس، فان أعضاء هيئة التدريس يشدّدون على أن لوزان ليست مدرسة لتخريج الطهاة. ويقول بركات نائب المدير: "ليس في وسع أحد أن يصنع طاهياً في فترة خمسة أشهر. اننا نعطي هؤلاء الشباب الاساس ليصبحوا مديري مؤسسات فندقية. انهم يعرفون كيف يشترون الاطعمة وكم تبلغ كلفتها وما يصنع بها الطهاة."

وبعد أن يتعلم الطلاب كيف يطهى

الطعام يقضون جزءاً من الفصل الثاني في حرم المدرسة حيث يقدمون وجبات الطعام الى سائر أهل المدرسة. وفي السترة البيضاء وربطة العنق الفراشية السوداء يحاولون أن يتصرفوا وكأنهم ندل ذوو خبرة. ويتذكر متعهد الحفلات البريطاني غاري هول كيف أمال طبقاً كبيراً عليه أطعمة منوعة وأغرق زميلا كان وراءه في دفق من المرق الحار، ويقول: "كان جيد التدريب الى حد أنه لم يقل: آه!"

ويؤدي الطلاب كذلك أدواراً، فيمثلون تارة دور الندل وطوراً دور الزبائن. ويقول شاب اوسترالي شارحاً: "نتعلم كيف نخدم من دون تذلل. ننحني من الخصر والقدمان متلاصقتان والساقان مستقيمتان. ولا ننحني في خنوع أبداً. ويتقن الجميع طريقة حمل زجاجات عدة بيد واحدة، كذلك فن السماع من دون اصغاء والرؤية من دون تحديق."

احد المواضيع التي تهم الطلاب هو المشروبات. انهم يتلقنون طرقاً عدة لتقديم القهوة ويتعلمون مميزات عشرات الانواع من المشروبات.

ويلقن الطلاب كذلك أساليب المهنة: من اجل اقامة حفلة استقبال مربحة قدم كثيراً من الخبز المحمص المالح مع الشراب. وعندما تعلق سدّادة زجاجة شراب في الفوهة، اقطع رأسها واسحبها باللولب. إذا كان لديك نوع من الشراب المحلي لا يطلب لأنه رخيص، ضاعف سعره!

وبعد امتحان عسير يخرج طلاب الفصل الثاني لاكمال فترة تدريب عملي مدتها خمسة أشهر في فندق أو مطعم. العمل شاق. ويقول مانويل اي كينتاس المدير العام الحالي لأحد الفنادق البرتغالية الفخمة الذي خبر هذه المشقة في أحد فنادق غستاد السويسرية: "كنت أمسك الحسابات وأمهد الاسرة وأقف في مكتب الاستقبال وأركض لافتح باب المطبخ حيث يقف بائع الحليب منتظراً. وبعد شهر غلبني العياء فطلبت اجازة لبضعة أيام، فأعطوني اجازة لساعتين."

قمة السعادة – الفصل الثالث في ادارة الفنادق يشمل فرز المعلومات والقوانين والاقتصاد والدعاية والسياحة وحتى تصميم جناح جديد في فندق وتمويله.

ايفون فايفر مدرس التشريفات يخاطب صفه قائلا: "الزبون الذي اعتاد النزول في الفندق يجب أن يستقبل بابتسامة ويخاطب باسمه، اذ ان ذلك يشعره بالارتياح وبأنه شخص ذو أهمية. ومن دون طلب منه ينبغي أن يعطى غرفة تشرف على المنظر الذي يحبه وأن تكون الوسادة الاضافية التي طلبها في اقامته السابقة أصبحت في مكانها. ولا أزهار، فالنزيل مصاب بحساسية ضد الرحيق."

ويكشف فايفر السر: بطاقة مفهرسة تحوي أشمل المعلومات عن كل نزيل. ويقول: "بعض الفنادق ينفق مبالغ طائلة على الدعاية. لكن صندوقاً من هذه البطاقات اذا أحسن استعماله يضمن ثقةالزبائن، وهو لا يكلف شيئاً يذكر."

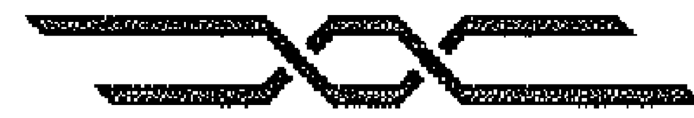
في الفصل الاخير في ادارة الفنادق يتعلم الطلاب كيف يحلّلون بيان الموازنة.

ويقول راوول دي جندر مدير "غران أوتيل دولدر" الشهير في ميونيخ: "في الفندق لا يجوز أن يشعر النزيل بأي تشدّد في الاقتصاد. ولكن في الوقت عينه ينبغي أن يحقق الفندق أرباحاً. وهذا يعني توازناً دقيقاً كالسير على الحبل بين السخاء في ما يتوقعه النزيل وما يمكن الفندق أن يوفره له."

بعض الذين اجتازوا هذا الامتحان العسير حصلوا فعلا على وظائف لدى أرباب العمل الذين أخذوا عنهم انطباعاً جيداً كمتمرنين. ويستعين آخرون بشبكة "أخويات" الخريجين المنتشرة في أنحاء العالم. ويقول آرثر جيرودي مدير نادي "نيكربوكر" في نيوجرزي وراعي الأخوية في الولايات المتحدة: "اتصل بي مرة نائب رئيس شركة فنادق دولية طالباً بضعة عشر مديراً متخصصاً بالاطعمة والمشروبات."

في هذه الاثناء يقشر الجيل الطالع في لوزان جبالا من البطاطا ويصارع أنظمة جديدة في ادارة الاعمال. واذا تخاذل أي منهم حضه ايفون فايفر ذاكراً ما قاله أوليفييه فيتر بعد ١٨ شهراً من تخرجه، وهو الذي أصبح مدير شؤون الموظفين في فندق "الملكة اليزابيث" في مونريال بكندا الذي يحوي ١١٠٠ غرفة: "في حياتي كلها لم أدفع مثل هذا الثمن الباهظ لأقوم بمثل هذا العمل الشاق. كما اني لم أشعر قط بهذه السعادة لأني فعلت."

جيفري لوسي ■



سرادق الاميرال

اهتم ملازم لتدريب جنوده بعدما أوكل اليه أمر تنظيم استقبال على متن بارجة. واستخلص طريقة اداء التحية بالسيف من كتاب التدريب. وأقام سرادقا صغيرا في الليلة السابقة لموعد وصول الاميرال احتياطا لاحتمال هطول المطر.

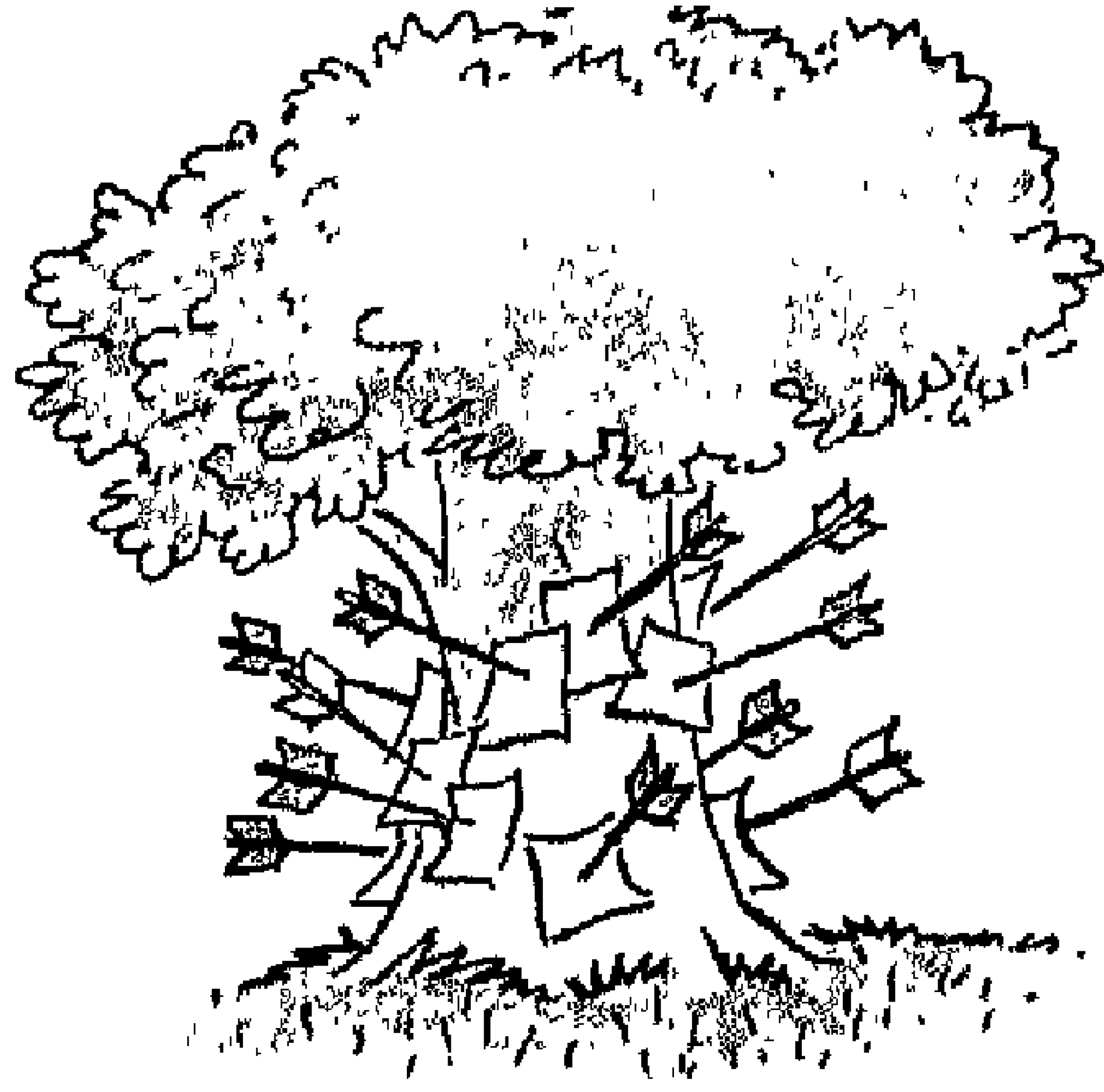
وما ان وصلت سيارة الاميرال الى رصيف المرسى حتى اصطف رجال البحرية في الموقع المحدد لاداء التحية. وتم اداؤها على أكمل وجه... تقريبا. فقد سها الملازم عن السرادق فشقه بسيفه عندما رفعه بالتحية فانهمر عليه ماء المطر الذي تجمع في الليلة السابقة وبلله من رأسه حتى قدميه.

ك.ف.

رياضة الأثرياء

كان الأرستقراطيون الاوروبيون في مطلع القرن السابع عشر، إذا لعبوا كرة المضرب (التنس) طلبوا من أحد الخدم أن يرمي الكرة على الأرض في بداية الشوط، ظنا أن ذلك لا يليق بهم.

صحيفة التايمس، لندن



حكايات من العالم

نفايات فضائية

من مخلفات عصر الفضاء الذي نعيشه نحو ٤٠٠٠ جسم صغير تدور حول الأرض. ويُقدر وزن هذه الأجسام مجتمعة بستة أطنان، بينها بعض الأقذار وعلب الطعام الفارغة. ومن أطرف هذه الأجسام قفاز أضاعه رائد الفضاء الأمريكي اد وايت.

مجلة "انترناشونال وابلد لايف"

التنجيم في الهند

في الهند يكاد الناس لا يفعلون شيئاً من غير استشارة المنجّمين. فبناء الجسور والسدود والأبنية لا يحصل الا في الأيّام الميمونة المبشّرة بالنجاح، كذلك حَرث الأرض وزَرْعها. والأهل يسجّلون تاريخ ولادة كل طفلٍ باليوم والساعة والدقيقة والثانية بغْية الحصول على طالعه الصحيح. والمرء يحمل هذا الطالع طوال حياته ويعرضه على المراجع المختصّة كلما واجه أمراً خطيراً يضع حياته المهنية أو الشخصية على مفترق.

والزواج يُدَبَّر في العادة بعد مقارنة طالع المرشحَيْن، ثم يُحَدَّد الزفاف عبر المنجّم في يوم مُؤاتٍ. ولا يتوانى بعض رجال الأعمال عن استشارة المنجّمين قبل الاقدام على مشروع تجاري. وإذا طلب أحدهم قرضاً، فقد يأخذه مسؤول المصرف الى منجّم ليرى إنْ كانت ثمّة قوّة خبيثة ستمنع طالب القرض عن دفعه عند الاقتضاء.

صحيفة "التايمس"، لندن

آخر اخبار الفنادق

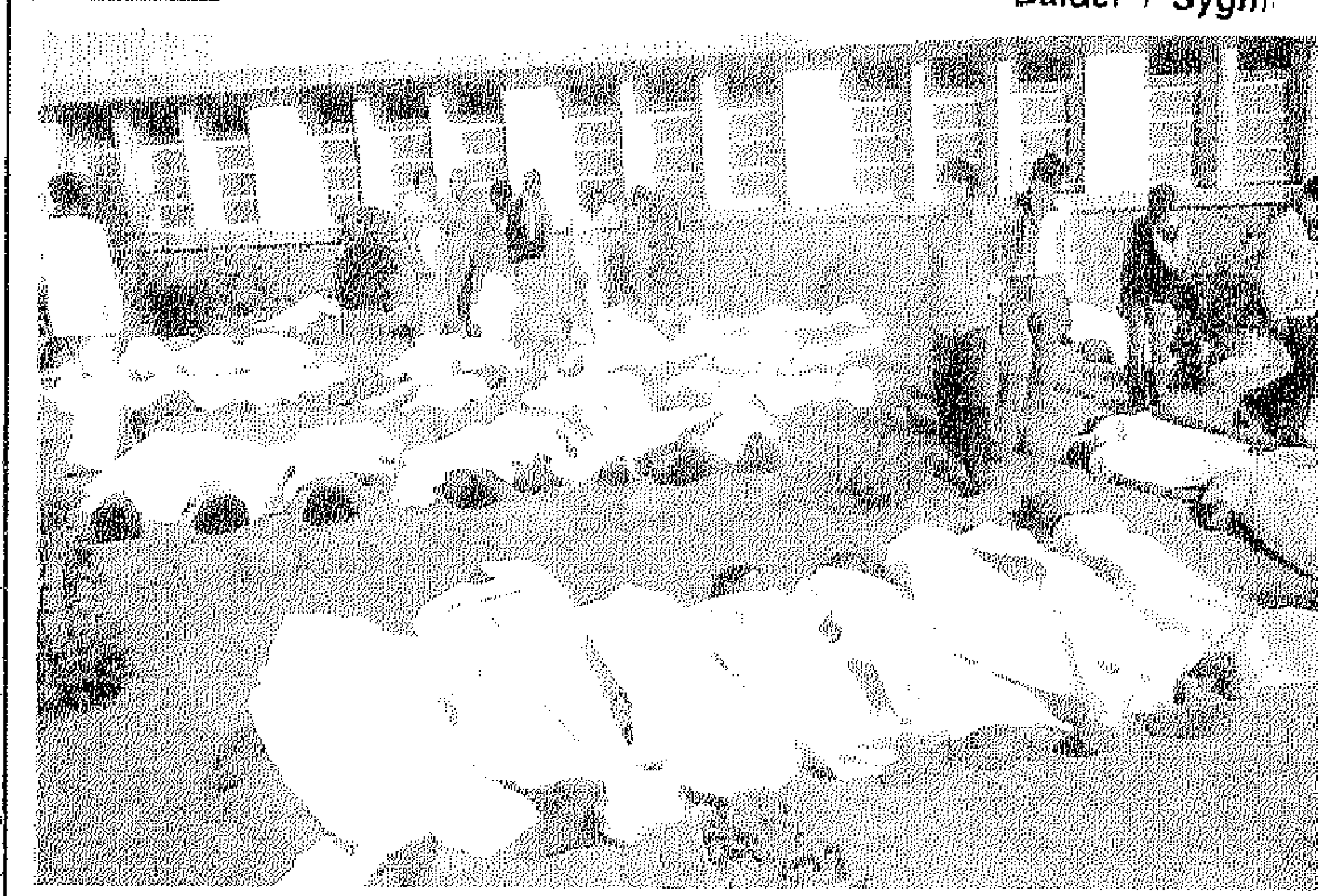
اذا قصدت فندق أندرسون هاوس في بلدة واباشا من أعمال ولاية مينيسوتا الأمريكية، ففي إمكانك طلب غرفة مع هرّ. ووظيفة الهرّ النوم في السرير لابقاء قدميك دافئتين. وبما أن في الفندق ثلاثة هررة فقط، فينصح بحجز الهر والغرفة في الوقت نفسه.

صحيفة "مينيابولس ستار"

رياح

أكواخ البؤس
قرب مصنع يونيون كاربايد.

Balder / Sygma



جثث الضحايا.

في هذه المدينة القديمة وسط الهند كان ألوف الأشخاص نائمين في أكواخ قريبة من المصنع الكيميائي. فزحف سديم أبيض من مخزن وبدأت أسوأ كارثة تلوث صناعية في التاريخ

بدأ كل شيء في سكون الليل، من دون انذار. وكانت بوبال من أعمال الهند تغرق في سبات عميق غير آبهة بالخطر المحدق في الريح المحلقة فوق المدينة الهادئة المكتظة بالسكان. وانطلقت الريح من السهول الفسيحة في وسط الهند وعبر المدينة الآهلة بنحو ٩٠٠ ألف نسمة والواقعة على مسافة ٥٨٠ كيلومتراً الى الجنوب من نيودلهي. وهناك التقطت سحابة من الغاز السام تسربت من خزان في مصنع "يونيون كارבايد".

وفي دقائق اندفع غاز الايسوسيانيت المثيلي (١) عبر الأحياء الفقيرة المجاورة في اتجاه المدينة. وفي غضون ساعة غلف

Condensed from The New York Times (Dec. 10 12'18. 1984).

الموت في بوبال

مساكن عشرات الالوف من الخلق، وبدأت أسوأ كارثة تلوث صناعية في التاريخ مخلفة موتاً مروعاً وآلاماً مبرّحة. وقضى الالوف في أسرتهم، ومعظمهم من الأولاد والعجزة الذين نهكهم الجوع والوهن.

(1) Methyl Isocyanate



Balder / Sygma

ممرضة تعالج عيني ضحية.

واستفاق ألوف آخرون على كابوس من الاختناق والفوضى. وحصد الموت الكثيرين لاحقاً. واندفع الناس الى الشوارع وهم يختنقون ويتقيأون ويذرفون دموعاً حارقة، منضمين الى مجموعات بشرية مذعورة هاربة من جحيم الغاز الذي ملأ الأجواء. وفي خضم الهلع والذعر رهس الكثيرون تحت عجلات السيارات المسرعة. وخارت قوى آخرين فانهاروا وقضوا مع جواميس الماء والبقر والكلاب والعنز والطيور. وقدّرت مصادر رسمية الوفيات بألفين وخمسمئة إضافة الى ١٤٠ ألف جريح.

ويروي أحد الناجين واسمه أحمد خان: "كنا نختنق وعيوننا تحترق. وكدنا لا نميّز طريقنا في الضباب الكثيف فيما صفارات الانذار تصم الآذان. ورحنا نركض متخبطين في كل اتجاه.". ويقول غيريش قمار تيواري المدير المساعد لشرطة بوبال انه نتيجة الارتباك "لم تعرف الأمهات أن أولادهن قضوا، ولم يدرك الأولاد أن أمهاتهم متن، ولم يعِ الرجال أن عائلاتهم محيت بكاملها. وكان الناجون يفرون هائمين على وجوههم."

الغاز القاتل - لاكثر من عشر سنين ظل مصنع يونيون كاربايد أحد معالم الضاحية الشمالية الشرقية لمدينة بوبال. وكان منظره ليلاً غريب الجمال. فأبنيته البيضاء البارزة بدت مثل قاعدة قمرية، وكانت قلائد أنواره القوية تتألق كالالماس ازاء السماء السوداء المخملية. أما في النهار فكان المصنع يبدو كتلة متشابكة عسيرة الوصف من الخزانات والسقائف والأنابيب المتعرجة.

ويوم باشر المصنع أعماله عام ١٩٦٨ لم تكن بعض أحياء الفقراء في ذلك الموقع أنشئت بعد، وهي مستوطنات



Balder / Sygma



Balder / Sygma

اسعاف الضحايا في المستشفيات وعلى قارعة الطريق.

حقيرة مثل جايابراكاش ناغار. ولكن مع التصنيع السريع للمدينة توافد ألوف الناس الجدد، ومعظمهم من عمال البناء والمهاجرين الراغبين في العمل. وشيد هؤلاء أرخبيلا هائلا من أكواخ الطين والقش والخشب والتنك. وكان معظم سكان هذه الأحياء مدقعي الفقر ويعيلون أسراً كبيرة. وهم إما مستخدمون في وظائف وضيعة وإما عاطلون عن العمل.

وكان المصنع يستخدم ٦٥٠ عاملا وينتج سنوياً ٢٥٠٠ طن من المبيدات. وبين العناصر الكيميائية المستعملة فيه الايسوسيانيت المثيلي وهو مادة عديمة اللون سريعة الاشتعال وسامة جداً. والمبيدات المحتوية عليه تعرف باسم كارباميت (٢). وهي خلافاً لمركبات الـ"د.د.ت." القديمة تنحل في وقت قصير مقللة الأخطار على البيئة والحياة البرية.

وكان الايسوسيانيت المثيلي المبرد (ليبقى سائلا) يحفظ في اثنين من ثلاثة خزانات اسطوانية الشكل مطمورة على عمق قليل تحت الأرض. وهي مصنوعة من الفولاذ الذي لا يصدأ وسعة الواحد منها ٤٥ طناً. واذا حمي خزان وتجاوزت حرارة السائل فيه درجة معينة فانه يتحول غازاً.

والتعرض لهذه المادة الكيميائية، وان بكميات ضئيلة، يمكن أن يسبب تهيجاً حاداً للعينين والجلد والجهاز التنفسي. ومن أعراضه أيضاً التقيؤ والسعال الحاد والشعور بالاختناق والعمى الموقت. أما التعرض لكميات أكبر فيمكن أن يتلف خلايا القرنية، وهي غشاء العين الشفاف، مسبباً العمى الدائم. وقد يؤدي أيضاً الى الموت اختناقاً اذ تتشنج شعبتا القصبة الهوائية التي تنقل الهواء الى الرئتين أو

---

(٢) Carbamates





Nogues / Sygma

نازحون من بوبال.

تتجمع سوائل الجسم التي يحفز الغاز المثير افرازها في الرئتين متسببة في احتقان قاتل.

سحابة الموت – بدأت الكارثة قرابة الحادية عشرة والنصف قبيل منتصف ليل الاحد في الثاني من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٤. فداخل أحد الخزانات الفولاذية المحتوية على ألوف الليترات من سائل الايسوسيانيت المثيلي كانت درجة الحرارة ترتفع على نحو خطير. وما ان تخطت الدرجة الفاصلة حتى بدأ السائل يتحول غازاً واخذ الضغط يزداد داخل الخزان.

وفيما الضغط يرتفع كان يتعين تحويل الغاز الى فتحات أجهزة الغسل حيث يحيّد فيزول خطره. واذا تعذر ذلك دفع الى "برج الاشتعال" حيث يحرق قبل أن يتسرب الى الجو. لكن خطأ ما وقع.

واكتشف موظف يقوم بجولة عادية على الصمامات أن مستويي الحرارة والضغط تخطيا "الحدود المقبولة". وأسرع لاعلام أحد المشرفين الذي حاول أن يوقف التسرب الكثيف، فكان من الموظفين القلائل الذين قضوا بالأبخرة المميتة. وأطلق آخرون صفارات الانذار محذرين الناس من الكارثة المحدقة.

ووضع عدد من العمال أقنعة الغاز وحاولوا ضبط التسرب. لكن الغاز كان يتدفق بكميات هائلة يصعب إيقافها.

وسرعان ما غلّف المجمع الصناعي بطبقة بيضاء كثيفة من الغاز. ويتذكر سوريش قمار دوباي وهو عامل صادف وجوده على بعد خمسة عشر متراً من المصنع عندما بدأ التسرب: "كان الغاز كثيفاً الى حد أن الرؤية باتت متعذرة." وأخذ يركض متعثراً فيسقط ثم ينهض. ومن خلال الضباب رأى أشياء مروعة: "رأيت اطفالا ونساء وشيوخاً يموتون في الطرق. كانت لحظات رهيبة رهيبة."

وتسابقت رياح الليل فوق الأحياء الفقيرة المكتظة ناشرة سحابة موت في كل مكان. وكانت الحرارة أربع عشرة درجة مئوية فقط. وأبقى البرد السديم الابيض ملتصقاً بالأرض حيث هو أكثر إهلاكاً. فلو كانت الحرارة عالية لارتفع السديم وتبخر وخف ضرره.

وتوفي أكثر من مئتي شخص في جايابراكاش ناغار وهم بعد في أسرتهم. واستفاق آخرون وهم يتقيأون ويلهثون برئات ذابلة وعيون ملتهبة ضريرة. وتتذكر راهيس بانو ولها عشرون عاماً: "استيقظت مذعورة حين ضاق تنفسي. وكان صراخ جيراني يصم أذني. ثم صدمتني موجة غاز." وسقطت أرضاً وهي



Bartholomew / Gamma — Liaison

ادم تريزا في أحد مستشفيات بوبال.

تتقيأ بشدة. وترنح ولداها قربها بسكرات الموت. فتأبّطت الأقرب إليها وخرجت مهرولة لتنهار مجدداً في الشارع.

وفي الأزقة الضيقة تدافع عشرات الالوف متلمسين طريقهم عبر الضباب الخانق ومنضمين الى أنهر بشرية مذعورة. وقالت إحدى الناجيات التي مات زوجها وأصيب ابنها ذو الاعوام الستة بجروح بالغة: "كنا نبغي الهرب الى أي مكان من الغاز الماحق." وافترق الأهل عن بنيهم وضاع الرضع والعجزة أو تركوا لمصيرهم. وشلت قوى المئات وهم يفرون.

وتعثر المصابون بعمى جزئي وهم ينشجون ويدوس بعضهم بعضاً. ووصف أحد الشهود كيف تراكضت جماعات مذعورة تعد بالآلاف نحو "ملجأ" على تلة في وسط المدينة: "امتلأت الطرق بالسيارات والدراجات والعربات الآلية وبكل ما يسير، وركابها يحاولون جميعاً الوصول الى قمة الرابية. وشاهدت أشخاصاً يخورون على جوانب الطرق."

تفاني الاطباء – تدفق عشرات الالوف من المصابين على المستشفيات وهم في حال هستيرية يحكون عيونهم ويلهثون متألمين. وكان الأطباء أنفسهم يعانون ضيق تنفس ويذرفون الدمع المدرار. لكن الجسم الطبي كان على مستوى المأساة.

كان الدكتور براديب شوراي، وهو جراح متمرن في منستشفى هاميديا، أنموذجاً للأطباء الشباب الذين هبوا لمواجهة الأزمة. ففيما هو هاجع في منامة للاطباء قريبة استفاق بعيد الاولى فجراً عندما استصعب التنفس. واذ ظن أن هواء غرفته فاسد فتح النافذة ليدخل الهواء النقي، فلفحته هبّة من الغاز الخانق، وأحس كأن فلفلاً حاراً نفخ في عينيه.

وأسرع الدكتور شوراي مع عشرات من زملائه الى المستشفى لمواجهة الكابوس المرعب. وبدأت طلائع الضحايا تتوافد الى هاميديا قرابة الثانية فجراً. وبحلول الرابعة والربع كانت طوابير الشاحنات والسيارات العسكرية تصل بأعداد ضخمة من المصابين كل خمس دقائق أو نحوها.

وفي الأيام الأربعة التالية عمل الدكتور شوراي وزملاؤه نهاراً وليلا مسعفين ألوف المتألمين. وكانوا ينامون ساعتين أو ثلاثاً حين يتسنى لهم ذلك وفي أي فسحة غير مشغولة من المستشفى المكتظ. ويؤكد الدكتور ب. ماثور عميد مستشفى هاميديا: "طلبت من الأطباء وطلاب الطب أن يتناوبوا العمل. لكنهم جميعاً أصروا على العمل من دون توقف."

ووضع المصابون في كل مكان، على الشرفات وفي الممرات والباحات، وفي بعض الأحوال من دون بطانيات يضطجعون عليها. وازدحموا في ذلك المكان الضيق ملتصقين بعضهم ببعض. ووجد الأطباء صعوبة في التنقل بينهم. وبدت هاميديا أشبه بساحة وغى، خصوصاً بعدما نصبت عشرات الخيم في الخارج لاستيعاب الفائض من المصابين الذين لا مكان لهم في المستشفى. وكان الأطباء يتجولون وسط غابة من الجنود والحراس ورجال الشرطة، فيما عمل الطلاب المتطوعون على نقل جثث الضحايا.

ولم يتم التعرف الى هوية الكثير من

القتلى. وفي النهار كانت تجرى مراسم دفن جماعية للموتى المجهولين الذين ستروا بملاءات حمر وبيض تحمل كل منها رقماً.

الشيء الجميل – كانت المشاهد متماثلة في المستشفيات الستة الاخرى. في بوبال، فهناك أيضاً كان الأطباء المترنحون يبذلون جهوداً كبيرة للانقاذ. وساعدت الفرق الطبية مصادفة سعيدة. فمصنع يونيون كاربايد لا يبعد أكثر من ثلاثة كيلومترات عن هاميديا وهو مستشفى التعليم الرئيسي لكلية غاندي الطبية التي تعتبر الأولى بين مثيلاتها في ولاية ماديا برادش. وكان في المستشفى مخزون هائل من الأدوية، وبرعت إدارته في نسج علاقات وثيقة مع الجسم الطبي الهندي، وكانت تعلم تماماً كيف تستقطب المزيد من الايدي العاملة والأدوية والمعدات الطبية. وكان الاطباء الخمسمئة المقيمون في بوبال يدعمون من حين الى آخر بثلاث مئة وخمسين طبيباً من مناطق أخرى، الى ممرضات ومساعدين ومتطوعين من جماعات مدنية.

وكانت المشاكل الصحية الرئيسية التي واجهها الناجون إصابات العينين وصعوبة التنفس. وقد اعطي مصابو العينين قطرات من المضادات الحيوية لمنع الالتهابات الثانوية، وفي حال بروز خطر على القرنية كانوا يعالجون بقطرات الأتروبين السريع المفعول الذي كان يريحهم ويمنع أي تعقيدات أخرى محتملة. وأما مصابو الرئتين فأعطوا أدوية خاصة توسع شعبتي القصبة الهوائية فتسهل التنفس. كما استعمل الأوكسجين في الحالات الأخطر. وأجريت جراحات عاجلة لمن تورمت حناجرهم، أدخل خلالها أنبوب عبر فتحة في القصبة الهوائية.

إن الفوضى والبطء في المعاملة والتكليف أمران مألوفان في الهند. لكن الأمور اختلفت هذه المرة. ويقول الدكتور كريشان ميهرا مدير التعليم الطبي في ماديا برادش: "في الأزمات ننتج أفضل أعمالنا. لقد غابت الفوضى هنا لأن الأمور لم تخطط سابقاً. كل الانجازات تمت من دون أوامر مركزية."

كيف حصل هذا التسرب؟ من المسؤول؟ لماذا ارتفع عدد الضحايا على هذا النحو؟ هل كان من الممكن تجنب ما حصل؟

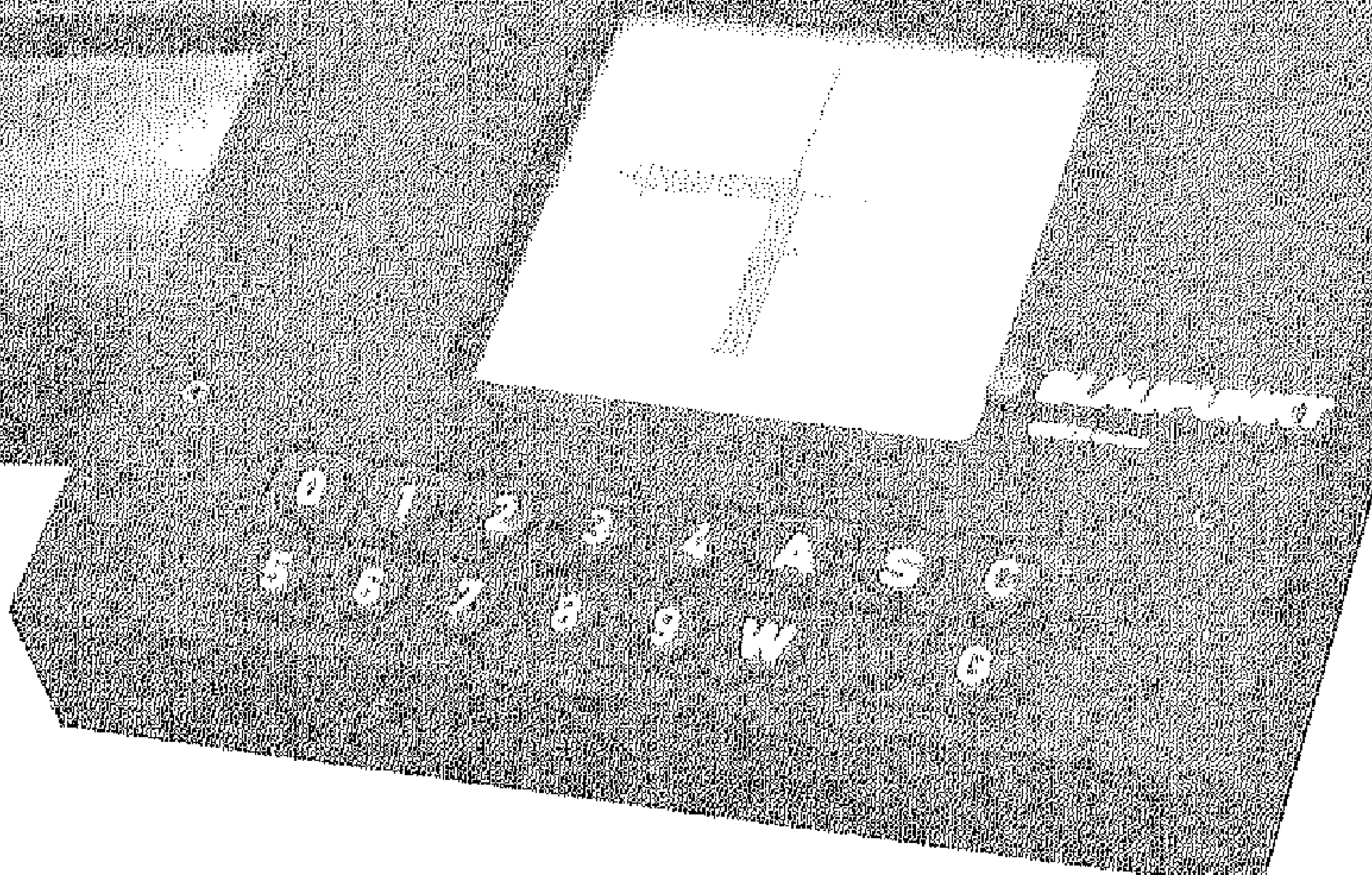
وسط الأسئلة والاتهامات المتنافرة يبرز صوت الأم تيريزا الحائزة جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٩، وهي الملقبة "سيدة كالكوتا" تكريما لأعمال الرحمة التي تقوم بها في أوساط المعدمين والمشردين والمنبوذين والأيتام. وهي طارت الى بوبال لتخفف من آلام الضحايا.

وبعيد خروجها من أحد المنازل في حي فوتا مكبورا المجاور للمصنع قالت: "إنه عذاب فظيع." وعلى رغم صعوبة استخراج أي صلاح من المأساة الماثلة أمام عينيها قامت الأم تريزا بالمحاولة ونجحت: "شيء واحد جميل، أن المأساة أخرجت الطيبة من قلب كل إنسان وجعلت الجميع يشاركون ويتغلبون بالحب على الألم."

روبرت ماكفادن وسانجوي هازاريكا وفيليب بوفي ■

صيانتها أسهل
ومصروفها أقل
وقيادتها أمتع

سيارة الغد
يقودها الدّماغ الإلكتروني



يلج السائقون اليوم العصر الذهبي للسيارة. فبعد عقد من الزمان سعى خلاله صانعو السيارات الى تحقيق أهداف مصلحية خاملة، تراهم عاكفين الآن على محاولة اغواء المستهلكين بمجموعات من المستحدثات التقنية، بدءاً بواجهات الاجهزة المضاءة بالنور التوهجي (الفلوريسان) وناقل السرعة الذي يتحكم به دماغ الكتروني وانتهاء بالسطح الذي "يحس" قطرات المطر فيحرك مسّاحات الزجاج تلقائياً.

في التسعينات من هذا القرن ستبدو

السيارات المتطورة متشابهة أكثر مما هي اليوم، لأنها كلها ستتجه نحو تبني الانسيابية (١) المثالية التي تجعلها تبدو كالأسماك من دون حراشف. ولكن تحت المظهر الخارجي ستكون لكل سيارة شخصيتها المميزة. وتتطور الآن شبكة من الاجهزة التي تجعل السيارة تستجيب لتعليمات سائقها على نحو أفضل وتتكيّف مع أحوال الطرق وتمنع السائق من ارتكاب الاخطاء في القيادة. ستكون قيادة مثل هذه السيارة متعة حقاً كما ستكون اقتصادية وأقل ازعاجاً لمالكها.

ان الثورة في الكترونيات السيارات أحدثت فورة من التسهيلات الداخلية، ومنها المرآة التي تتكيف ذاتيا لتسهيل القيادة في الليل أو في النهار، والمقاعد "ذوات الذاكرة" التي تتهيأ ذاتياً لتتخذ الشكل الذي يلائم أربعة أشخاص مختلفين يقودونها. ومن طريق الدماغ الالكتروني الخاص بالرحلات، الذي يتوافر حالياً في كثير من السيارات الفخمة، يمكنك أن تراقب كم تستهلك سيارتك من الوقود وأن تقيس الحرارة في الخارج وتعرف كم سينقضي من الوقت قبل أن تصل الى حيث تقصد. وفي أواسط التسعينات سيكون في وسع سيارتك أن "تشعر" باقترابك منها بواسطة مفتاح تحمله معك يعمل بالاشعة دون الحمراء، فتفتح لك بابها تلقائياً وتعدّل ضوابط تكييف الهواء والمقعد والمرايا والمقود ومعيار الوقود الذي يؤمن الاستهلاك الاقتصادي الذي يناسبك، ثم تدير لك المحرك.

وتشهد واجهة الاجهزة كذلك تغييرات جذرية. فهناك واجهات تبدّل ألوانها من طريق دماغ الكتروني صغير، وهي متوافرة الآن في كثير من السيارات الفخمة. وتقدم شركة "أولدزموبيل" الى زبائنها واجهات مضاءة بأنوار توهجية بيضاء أو زرقاء مخضرّة، مع جهاز انذار لربط حزام الأمان ومعيار للوقود يتحول الى اللون البرتقالي الفاتح ليشير الى أن مستوى الوقود انخفض في الخزان.

[illegible] – كثيرون من صانعي السيارات أصبحوا يضعون الأجهزة التي يستعملها السائق غالباً في مكان أقرب الى يديه. ونظام الاسلاك المتعددة الاغراض، حيث يكفي سلك واحد حسّاس لنقل اشارات الى أجهزة عدة، سيمكن صانعي السيارات من تجميع عدد وافر من الاجهزة الضابطة حول عمود القيادة. وفي أحد الطرازات التي أنتجتها شركة "فورد" على نطاق محدود تستخدم هذه الاسلاك لوضع عشرة أزرار لاجهزة مختلفة تحت أنامل السائق. وفي طراز ١٩٨٦ لشركة "بويك" لوحة عرض حساسة يستطيع السائق بملامستها تحريك ابرة الراديو وتعديل الحرارة الداخلية وتشغيل الدماغ الالكتروني الذي يراقب سير الرحلة.

وتطور شركة "دايملر – بنز" طرازاً يستطيع فيه السائق أن يطّلع على خريطة محددة قبل الانطلاق في رحلة، ويلقّم الدماغ الالكتروني معلومات عن

(١) Aerodynamics أو الديناميكا الهوائية علم يبحث في حركة الهواء والسوائل الغازية الاخرى وفي القوى المؤثرة في الاجسام المتحركة عبر الهواء.

مكان وجوده والمكان الذي يقصده. وفي أثناء السير يظهر على الواجهة سهم صغير يرشده الى الاتجاه الذي ينبغي أن يتبعه.

وتحت غطاء المحرك تتناول تغييرات التقنية العالية كل وظيفة أساسية في السيارة. والكوابح المانعة لتقبّض العجلات (٢) هي أبرز التطويرات الحالية التي تستأثر بالاهتمام منذ ابتكار أحزمة الأمان. فحين يضغط السائق الكابح العادي على أديم طريق شديد الانزلاق، فان واحدة أو أكثر من العجلات قد تنقبض فتتوقف كلياً عن الدوران وتسبب انزلاق السيارة وفقدان السيطرة عليها. والجهاز المانع لتقبّض العجلات يستبق الانزلاق ويقرر متى يقارب ضغط الكابح حد ايقاف العجلة كلياً، فيرفع الضغط عن الكابح تماماً كما يفعل السائق المجرّب ولكن على نحو أسرع. واحدى فوائد هذا الجهاز أنه يوقف السيارة ضمن مسافة أقصر من المعتاد في معظم الاحوال، وميزته في ذلك أنه يمكن السائق من تحويل وجهة السيارة فيما هو يضغط الكابح، وهكذا يتاح له أن يتحاشى العوائق في الطريق أو السيارات الاخرى المنزلقة.

— قد يكون أفضل التحسينات المقبلة في مجال تشغيل السيارات نظام التعليق "الفعّال" (٣) الذي يتحكم به دماغ الكتروني. وقد بدأت تظهر بضعة طرازات أولية من هذا النظام في سيارات "تويوتا" و"نيسان" و"ميتسوبيشي". ففي طراز "ميتسوبيشي" يمكن السائق أن يضغط زراً في واجهة الاجهزة ليختار التعليق الصلب أو التعليق الآلي، وهذا يجعل السيارة تقرر هي اذا كان وضع الطريق يتطلّب تعليقاً صلباً أو ليناً. وحين تنعطف السيارة بحدة (وهي الحال التي يستنتجها الدماغ الالكتروني من مقارنة حركة المقود بالسرعة) أو في أثناء الكبح الحاد أو الانطلاق السريع، تتولى السيارة ذاتياً تصليب نظام التعليق فيها. أما في أثناء السير البطيء فانها تجعل التعليق ناعماً. وتحقق سيارة "ميتسوبيشي" هذه الغاية من طريق نفخ الرفاصات الهوائية أو تنفيسها وتبديل توزع السائل داخل مقاومات الصدمات.

وثمة نظام تعليق أكثر تطوراً تنفذه شركة "لوتس" بضمان مالي من سبع شركات أخرى. وهذا النظام يستغني كلياً عن الرفاصات ومقاومات الصدمات ويعتمد بدلا منها مكابس تعمل بالزيت. ويؤمّن دماغان الكترونيان التكيّف مع أحوال الطريق والقوى المتفاعلة في الالتفاف السريع. وهذا النظام مهيأ ليؤدي وظائف مدهشة فعلا مثل ابقاء السيارة في وضع أفقي تماماً عند الانعطاف بدل الميل جانبياً كما يحدث عادة.

كذلك ستتحقق درجة أعلى من الفاعلية في تشغيل السيارة بفعل الأدمغة الالكترونية داخلها وهي التي تنظم أدق وظائف المحرك. وينتظر العلماء في مصانع "جنرال موتورز" اليوم الذي ستتولى أجهزة كهرمغناطيسية

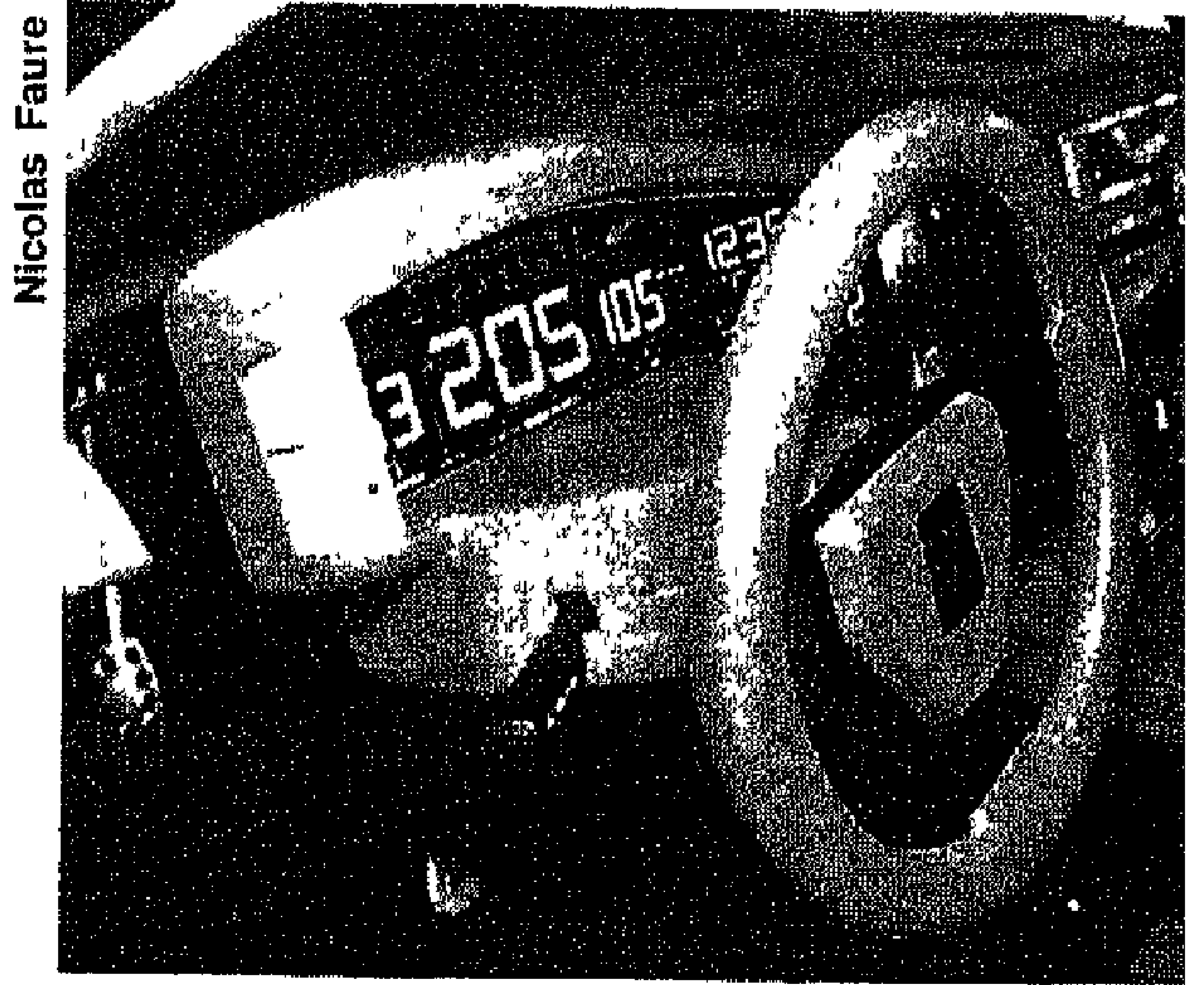
---

(٢) Antilock brakes

(٣) «Active» suspension

صغيرة وقوية مهمة فتح الصمامات واغلاقها فتغني عن عمود الحدبات (٤) الميكانيكي.

- اذا كانت التقنية العالية تخفي بعض المفاجآت السيئة بالنسبة الى المستهلك، فان هذه ستظهر ربما حين تحتاج سيارة الغد الجديدة



جهزت شركة "بيجو" هذه السيارة المصممة بواجهة رقمية وشاشة دماغ الكتروني.

اللمّاعة الى ضبط. ولا يزال صانعو السيارات يحتفظون بالميكانيكيين في وكالات البيع، الا ان الحؤول دون تحول مشاغل التصليح "مواقع تعذيب" يقع على عاتق المصممين. وقد حقق صانعو السيارات تقدّماً كبيراً في اتجاه انتاج السيارة التي لا تحتاج الى صيانة. فالبطارية الكهربائية لم تعد تتطلب عناية، وبعض أجزاء السيارة مثل جهاز نقل الحركة والترس التفاضلي (٥) لم تعد تتطلّب تفريغاً واعادة ملء بالزيت.

وهناك الآن سيارة واحدة على الأقل تنبّهك الى موعد حاجتها الى الصيانة. وبعض السيارات يضبط ذاتياً. وتتولى الادمغة الألكترونية التي تتحكم بالمحركات في معظم سيارات الركاب العادية من انتاج شركتي "جنرال موتورز" و"فورد" تعيير مزج الوقود بالهواء بحيث يستمر محرك السيارة في العمل بفاعلية حتى بعد اهتراء شمعات الاشعال وتجمع الاقذار في المصافي وتبدل نوعية الوقود. وتعمل الأدمغة الالكترونية كذلك على غرار مسجلة الرحلات في الطائرات، فتوفر على صاحب السيارة عناء وصف ما يلاحظه من اضطراب في عمل المحرك في الايام الباردة أو الممطرة للميكانيكي المختص بالتصليح. وما على الميكانيكي سوى أن يستخدم الدماغ الالكتروني في مشغله ليخرج "الجنّي" المتواري في السيارة كي يشخص له كل العلل المحتمل حدوثها.

في التسعينات سيوفر تجار السيارات لزبائنهم ما هو أكثر من "عملية نفض" بتقنية عالية. فالسيارات التي لا تزال اليوم في مرحلة التصميم ستكون قادرة على استيعاب التحسينات الجديدة، مثل ادخال الدماغ الالكتروني الذي يلقّن السيارات أساليب مستحدثة، وتركيب أجزاء جديدة في الهيكل تعيد الشباب الى سيارة تخطت عامها الثالث. وقد تكون هذه أفضل بشرى الى المستهلكين الذين لن يحتاجوا الى شراء سيارات جديدة لارضاء رغبتهم في مجاراة التكنولوجيا المتطورة.

بيتر بيتري ■

(٤) Camshaft

(٥) Transmission & Differential

"لم تعد الأمور كما كانت في الماضي" جملة يرددها المسنون بلا انقطاع

منذ زمن بعيد والشيوخ يثنون على أيام صباهم ويتأسفون على الحاضر وينبئون بالخراب في المستقبل القريب. ففي أي زمان عاشوا تراهم يصرون على أنه قبل بضعة عقود كان الأبناء يحترمون آباءهم وكان المنزل مكان المرأة وكانت الاستقامة منتشرة بين الناس وكان السلوك مثالياً وحسن الذوق سائداً ونكهة الطعام والشراب لذيذة. وكان الشبان يبذلون حياتهم في سبيل الذود عن أوطانهم.

وسخط الشيوخ هذا لا ينصبّ فقط على انحطاط المعايير الاخلاقية ("لم يعد أي شيء مبجلا") وتقلب الفصول ("لم يعد في استطاعتك أن تجزم بأنه الربيع")، بل هو يشمل أيضاً الامور الصغيرة والتافهة. الكسندر ايفانوفيك هرزن ثوري ميسور من القرن التاسع عشر، خصص صفحة من مذكراته مفعمة بالحنين للذة السفر في عربة تجرها الجياد. وكتب: "إنك تتحرك ببطء، فتتقدم تدريجاً داخل بلد جديد وتمتع نظرك بمرأى الطبيعة وتقيم صداقات جديدة وتتعلم لغة أجنبية من دون أن تشعر بذلك، في حين أن السفر في القطار وسط الدخان والهدير الذي يصم الآذان يجعلك تصل بسرعة الريح الى المكان الذي تقصده من دون أن ترى أو تفهم أو تتعلم أي أمر."

غير ان هذا الاريستوقراطي الروسي نسي نومة الأكواخ والأسرّة التي تعج بالبق والتي تتقاسمها مع الغرباء والطعام الذي لا يؤكل والمراحيض التي تثير الاشمئزاز أو التي لا وجود لها على الاطلاق (سأل الشاعر الالماني غوته صاحب النزل في قرية توربل الواقعة في شمال ايطاليا: "أين المرحاض؟" فأتاه الجواب: "في الفناء." فسأل: "ولكن أين هو بالتحديد؟" فأجاب صاحب النزل: "في أي مكان.") ونسي هرزن أيضاً جشع سائقي العربات وأعمال السلب التي يقدم عليها

قطاع الطرق والازعاج الذي يحمله الخروج من العربة ودفعها على المرتفعات وتحت المطر والثلوج أحياناً.

ويذكر أبي قول الشيوخ ان الشراب المستقطر من الكروم الامريكية لم يكن بالجودة التي عرفت قبل أن تتلف آفة الفيلوكسرا(*) الكروم الاوروبية. أما المسنون من أهالي مدينة ميلانو الايطالية فلا يأكلون إلا خبز البانيتوني العريض المسطح الذي يصنعه خبازوهم وليس الخبز الطويل الرفيع الذي يتيح للخبازين ادخال أكبر عدد ممكن منه الافران الصناعية الحديثة. ونشب أيضاً صراع حاد وطويل بين مستعملي الموسى التقليدية وأولئك الذين اعتمدوا آلة الحلاقة، وبين مؤيدي قناديل الكاز ومريدي المصابيح الكهربائية، وبين أنصار الياقة المنشاة التي يمكن نزعها (إذ يسعك أن تبدلها وأنت ترتدي القميص ذاته) وأنصار الياقة الليّنة المعلقة بالقميص. أما أبي فيأسف لحالنا إذ لم نعد نستذوق النكهة الشهية للطعام المطبوخ على الحطب أو الفحم.

لا شك في أن الرائحة المنبعثة من الطعام المطبوخ على الفحم والحطب تسيل اللعاب، لكن النكهة لم تكن تستحق العناء. كنت كل صباح تستفيق على أمل العثور على بضع جمرات في موقد المطبخ تساعدك على اضرام النار لتحضير القهوة. وقلّما تحقق أملك على رغم كل التدابير الاحتياطية التي اتخذتها في الليلة السابقة. ولاضرام نار جديدة كان عليك أن تملأ الموقد بأوراق الصحف والعيدان ثم بالفحم. وتشعل الورق بعد ذلك بعود كبريت وتنفخ اللهب الواهن بكل ما أوتيت من قوة. وهذه العملية كلها تتطلب نحو ١٥ دقيقة صبراً.

ومن الماضي أيضاً تعاودني ذكرى الأيام والليالي الطوال التي أمضيتها في القطار خلال الرحلات التي قمت بها في صباي. وهي رحلات برية لا نهاية لها تخللتها في بعض الأحيان رحلات بحرية كانت تطول وتطول حتى ان هرزن نفسه كان ليستمتع بها. وأذكر أنه في أحد أيام العام ١٩٣٩ كان علي أن أبلغ لندن بأقصى سرعة ممكنة. فركبت إحدى البواخر الراسية في ميناء اوستند في بلجيكا. (لم يكن القطار يومذاك يعبر فرنسا لأن السّكك الحديد هناك كانت مقطوعة بسبب التعبئة العامة). وكان الطقس ذاك اليوم عاصفاً والغيوم سوداء ومنخفضة يطارد بعضها بعضاً في كبد السماء والأمواج عالية تضربها الريح العاتية فتحطمها وتحوّلها سحباً من الرذاذ الأبيض. وعندما أصبحنا في عرض البحر قيل لنا انه يستحيل علينا دخول أي من المرافيء البريطانية. ولم يكن في وسعنا أن نستدير ونرجع الى أوستند. وهكذا أمضيت ٤٨ ساعة في باخرة تتقاذفها الامواج وسط مسافرين شاحبي الوجوه يتقيأون. (في السنة الماضية ذهبت في رحلة ممتعة لم تستغرق سوى ساعتين على متن طائرة أقلّتني من لندن الى روما. ولم يُصب أحد بالغثيان.)

إن هذا الحنين الذي يشعر به المسنون

(*) نوع من قمل النبات.

قد نجد تفسيراً له في ما قاله الشاعر الروماني هوراسيوس: "إن الذي يثني على الماضي أيام كان فتياً لهو صعب الارضاء وكثير التشكي. تراه ينتقد الاجيال الفتية بقسوة ويلقي باللوم عليها. ان السنين التي تمر تجلب معها الكثير من الرفاهات، لكن رفاهات كثيرة أخرى تمضي بمضي السنين."

وهكذا فإن حنين المسنين يركز بلا شك على انحطاط القيم وانهيار المثاليات وضعف الشعور بالوطنية وزوال الصدق والفضيلة والمجاملة وحسن الذوق. لكنهم يتأسفون خصوصاً على زوال الكثير من رفاهات صباهم ومباهجه ومتعه وأذواقه، وهي رفاهات ومباهج ومتع وأذواق قد تكون حقيقية وقد تكون من صنع خيالهم.

أما أنا فلا أجد لهذا الشعور الا تفسيراً واحداً ألا وهو أن العالم يكون صادقاً وفاضلا ورائعاً وممتعاً ومرحباً ومستساغاً وحافلا بالمباهج عندما تكون في العشرين من عمرك. لكنه يصبح كريهاً مع بلوغك سن الرشد، ويتحول مرفوضاً في شيخوختك.

لويجي بارزيني ■

سيارة للسكن

كانت أختي تعمل ساعات اضافية والمقعد الخلفي في سيارتها يمتلىء بالاشياء التي لم تجد متسعاً من الوقت للاهتمام بها. وتراكمت هناك ثياب يجب إيصالها الى محل التنظيف وزجاجات فارغة تجب اعادتها الى البائع وصحف ورسائل وزوج أحذية وكيس بقالة.

ومرة ركبت معها في السيارة زميلة في العمل. فذهلت حين نظرت الى المقعد الخلفي وسألتها: "منذ متى تقطنين هنا؟"

ك.ج.

نشّافة التكنولوجيا

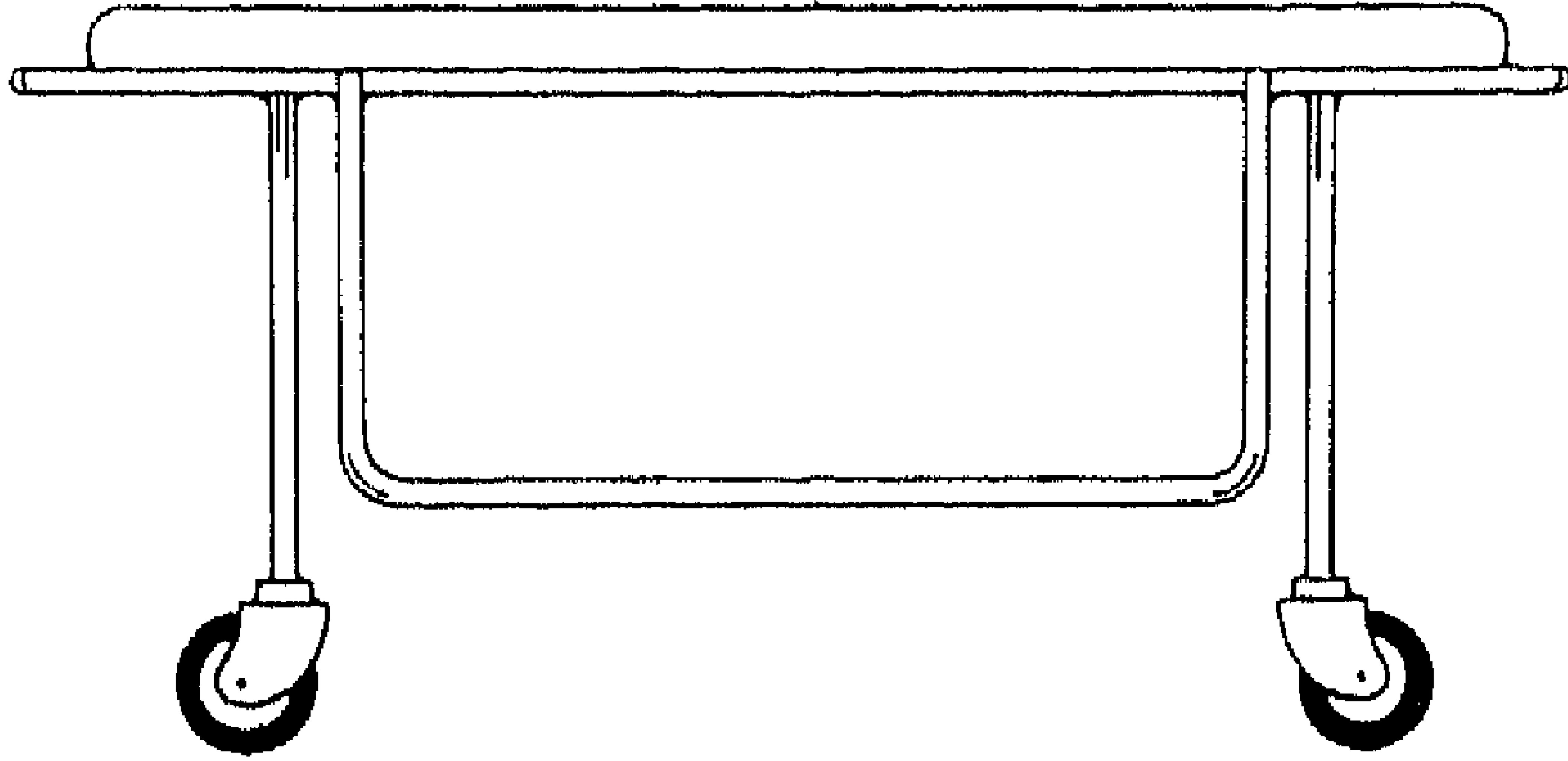
علقت الارشادات الآتية على جهاز تنشيف الايدي بالهواء الساخن في أحد المطاعم: (١) أنفض الماء عن يديك. (٢) اضغط الزر ثم اتركه. (٣) أفرك يديك سريعاً أمام الفوهة. (٤) المنشفة تتوقف تلقائياً.

وأضاف أحدهم تحت هذه التعليمات: (٥) امسح يديك بسروالك.

ر.ب.ف.

لا يستطيع أحد ولوج المستقبل وهو يسير القهقرى.

ج.هـ.



على رغم الكلام الكثير خلال العقود الثلاثة الاخيرة حول العلاقة بين ارتفاع كمية الكولستيرول في الدم وانسداد الشرايين التاجية، فان الباحثين الطبيين لم يبرهنوا فعلا عن أن إنقاص نسبة الكولستيرول يقي المرء الاصابة بالنوبات القلبية. لكن الباحثين اليوم يقولون انهم أثبتوا صحة هذه النظرية، بعد دراسة استمرت عشر سنين وكلفت المعهد الوطني للقلب والرئة والدم في الولايات المتحدة ١٥٠ مليون دولار.

أجريت الدراسة في ١٢ مركزاً في الولايات المتحدة وكندا على ٣٨٠٦ رجال في منتصف العمر كانت كميات الكولستيرول مرتفعة جداً لديهم، ولكن لم تظهر عليهم بوادر أمراض القلب عند بدء الدراسة. وأخضع الرجال أول الامر لنظام غذائي خفض مقادير الكولستيرول لديهم بنسبة ٣،٥ في المئة. وبعد ذلك أعطي نصفهم عقار كولستيرامين الذي يُنقص الكولستيرول، فيما أعطي النصف الآخر حبوباً لا تحوي أي دواء. وتحرّى الباحثون الاحوال الصحية للرجال طوال السنين العشر اللاحقة.

وبيّنت النتائج أن كميات الكولستيرول لدى الذين تناولوا الدواء الحقيقي انخفضت بنسبة ١٣،٤ في المئة، في حين لم يحصل انخفاض مماثل لدى النصف الآخر. كذلك تبين أن خطر النوبات القلبية لدى المجموعة الاولى تدنى بمقدار ١٩ في المئة، وأن الآلام الصدرية المتعلقة بأمراض القلب قلت لديهم.

ولكن ما معنى هذه النتائج؟

يقدر الدكتور باسيل رفكند الذي أشرف على الدراسة أن مئات آلاف الوفيات السنوية في العالم يمكن تجنبها اذا عمد ذوو النسب المرتفعة جداً من الكولستيرول الى انقاص وزنهم. وأضاف أن اعتماد الطعام الذي ينطوي على كميات ضئيلة جدا من الشحم الحيواني يمكنه خفض الكولستيرول بنسبة ١٠ الى ١٥ في المئة. اما العقاقير فلا يجوز وصفها الا لذوي الكميات الكبيرة من الكولستيرول الذين لا ينفع معهم نظام الحمية الغذائية.

مجلة "نيوزويك"

بعدما كان الأطباء يظنون أن العطل الدماغي لا يزول ولا يمكن إصلاحه، تبيّن لجماعة من الباحثين أجروا اختبارات على الحيوانات، خطأ تلك النظرية. ففي الامكان إبراء تلك الامراض عبر زرع خلايا دماغية جنينيّة لقابليّتها على الالتحام والنموّ.

ووصف دونالد شتاين من جامعة كلارك في وستر بولاية مساتشوستس الأمريكية وثلاثة من زملائه نتائج اختباراتهم في مجلة "العلم"، وهي اختبارات أجروها على ٢١ جرذاً نزعت قشور أدمغتها الامامية المتعلقة بتعلّم العلاقات المكانية. وفي هذه الحال يستغرق تعلّم العلاقات ١٨ يوماً. إلا أن العلماء اختاروا ثمانية من تلك الجرذان وغرسوا في دماغ كل منها نسيجاً جنينياً مكان النسيج المستأصل. وكانت النتيجة أن الجرذان الثمانية اكتسبت درسها في ثمانية أيام ونصف يوم. ويتولى العلماء إجراء اختبارات مماثلة على أمكنة أخرى من الدماغ. وهذه الاختبارات قد تؤدّي الى اكتشاف طرائق لشفاء بعض الامراض المستعصية حالياً. مثل الشلل الرعاشي وداء آلزهايمر (نوع من الخَرَف) وداء الرقّاص الذي يصيب الوجه والاطراف باختلاجات عصبية.

مجلّة "تايم"

في دراسة أشرف عليها الدكتور جون وينبرغ أستاذ الطب العائلي في جامعة دارتموث (ولاية نيو هامشير الامريكية) أن الكثير من الجراحات التي يخضع لها المرضى غير ضروري. ومن هذه الجراحات استئصال اللوزتين والرحم والبروستات.

ووجد الباحثون أيضاً أن الناس الذين يسكنون مناطق تفتقر الى الخدمات الطبية والجراحية المتطورة لا يقلون صحة عن سكان المناطق التي تكثر فيها تلك الخدمات. وتخلص الدراسة الى أن ثمة حاجة ملحة الى اعادة تنظيم الجسم الطبي بحيث يُستغنى عن الخدمات غير الضرورية.

صحيفة "شيكاغو تريبيون"

إذا نجح الاختبار الذي يجريه مستشفى القديس يوسف في بلدة مارشفيلد من أعمال ولاية وسكونسن الامريكية، فستشهد البلدة المزيد من محبّي الموسيقى الكلاسيكية بعد عشرين عاماً.

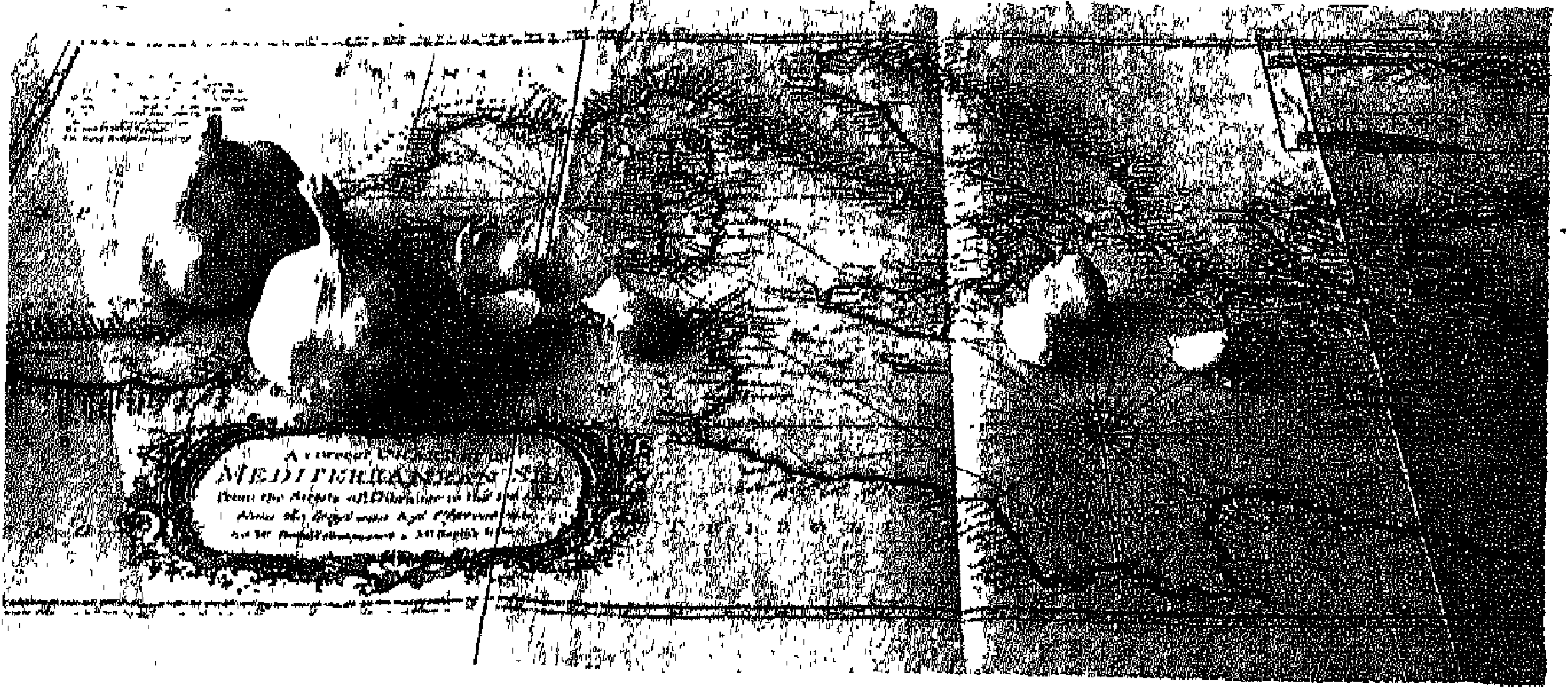
ويجرى الاختبار على الأطفال الذين وُلدوا قبل أوانهم ووُضعوا في غرفة العناية الفائقة داخل المستشفى. ويتولى الفريق الاختباري بث مقاطع من موسيقى بيتهوفن وباخ وبرامس في الغرفة، كجزء من خطة لجأ اليها المستشفى بالنسبة الى جميع المواليد الجدد.

وقد بينت الأبحاث في مستشفى جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس أنّ المولودين قبل الأوان يكتسبون الوزن على نحو أسرع إذا هم وُضعوا في غرفة تدار فيها أشرطة مسجلة تحوي موسيقى كلاسيكية وأصوات أفراد عائلاتهم.

اذاعه وستنغهاوس

هذا مقال آخر عن الثوم (*)
الذي يزعم بعضهم ان نفحة
من ريحه كفيلة بطرد "الارواح الشريرة".
لكن ملك الاعشاب شهي أيضاً،
وقد يصنع الاعاجيب في مجال الصحة

الثــوم مأكل الأبطال



ايزابيلاّ بيتـون "ملكة" المطبـخ الفيكتوري كتبت في الثوم ما يأتي: "رائحة هذه النبتة تعتبر كريهة، ومذاقها هو الاشد لذعاً بين جميع فصائل الابصال. جيء بها الى بريطانيا عام ١٥٤٨ من شواطىء المتوسط حيث تتوافر. وفي القارّة الاوروبية، خصوصاً في ايطاليا، يستعملونها بكثرة. وهي في فرنسا عنصر أساسي في تحضير أطباق كثيرة."

لكن هذا الكلام يفتقر الى الدقة

(*) "المختار" نيسان (ابريل) ١٩٧٩.

التاريخية. فقد عرف الثوم في بريطانيا حتى قبل أن يهزم الساكسونيون البريطونيين القدامى فيفر هؤلاء الى هضاب ويلز. ونظر اليه الانغلوساكسونيون كنوع من الكرّاث ذي أوراق رمحية. وكان الثوم البري ينبت في الافنية. وظلت أكاليله وعقوده لاجيال "تبعد" الارواح الشريرة ومصّاصي الدماء. وليس صعباً على المرء أن يشتمّ السبب.

ان فص الثوم شيء سحري. انّه يؤدي خدعة غريبة على طاولة المطبخ. اضغط فصّ الثوم بكلية يدك فيفر من قشرته الرقيقة عارياً. استخرج العصير بكبسة تحصل على ما يعتقده البعض دواء قادراً على الشفاء من معظم الاوجاع. وقليل ما لا يستطيعه.

اعتدال ومبالغة - أعيش على تخوم منطقة بروفانس جنوب شرق فرنسا حيث يدخل الثوم كل شيء على ما يظهر. أحشو به اللحم بكثرة وأحرص على أن تستقر الفصوص في العمق، اذ يجب ألا يغمق لون الثوم أو يسودّ، والثوم المحروق فظيع. أطبخ الدجاج في وعاء مع "رؤوس" كاملة من الثوم. هذا طبق بروفانسي جداً. أسحن الثوم في هاون مع البقدونس والنعناع والطرخون وحصى البان، وأضع المزيج في حشوة الطيور أو في أطباق اليخنة. ولغذاء خفيف آكل فصوص الثوم مع البندورة (الطماطم) المملحة والجبنة البريطانية (وأفضل جبن الشيدار). لقد أصبح الثوم جزءاً من حياتي.

ان للثوم توزّعاً عالمياً أوسع مما يظن بعض الناس. واذا كانت السيدة بيتون ترفضه برعدة لانها تجد فيه أكثر من مؤكّد على عدم ملاءمته الذوق النسوي، وتابلاً من المطبخ البربري الهزيل، ولا وقع له حتى في الطبقة المتوسطة العليا، فقد نمّ رفضها عن نظرة ضيقة ومتعصبة. فالرومان الذين سمّوه "أليوم" (allium) نشروه في أنحاء أوروبا عبر طرقهم وجيوشهم. ولفظات "آي" (ail)الفرنسية و"آليو" (aglio) الايطالية و"آخو" (ajo)الاسبانية تعود الى الاصل اللاتيني. وللثوم أيضاً مركز مرموق في المطبخين الصيني والهندي. انه منكّه ملائم للحضارات التي لا اعتراض لديها على الروائح الحادّة.

يخيّل اليّ أنّ أحد أهداف الثقافة الانكلو - أمريكية كان إبطال حاسّة الشمّ. لقد أصبح ينتابنا ذعر من معظم الروائح. ويوم يبدأ طهو الثوم فمن المؤكد أنه سيعم.

لكن الثوم بدأ يشق طريقه الى مطابخ شعوب الشمال الهادئة. وأصبح معترفاً به كلاذع محترم وشهي ودليل على سعة أسفار. أما المشكلة التي يواجهها الطباخون الهواة فهي: الى أي مدى يجوز السماح للثوم بفرض "المتوسطية" على أطباق الشمال التقليدية؟

وينزع بعض الامريكيين الى الافراط او المبالغة. لقد دعيت الى عشاء أعدته ربة بيت قديرة وطموحة. بدأ العشاء بالفطائر المثوّمة وانتهى بلحم البط والسلطة المثوّمين مع الخبز المنقوع بزبدة الثوم. ولقد أحسست كأنّ محذراً داخلياً موقتاً هو الذي ردع مضيفتنا عن تقديم الجيلاتي والقهوة مع رشّة من مسحوق الثوم.

ولا أظن أن الثوم يمكن أن يستعمل في قلي البيض صباحاً. فلا يستحسن لطعام الفطور أن يرصّع بفصوص الثوم، ولا حاجة الى الثوم في مسلوق اللحم والبطاطا وبعض الخضر، ولا مع السمك المشوي. ومع ذلك فالثوم يتلاءم تماماً وتلك الاطباق الرائعة التي تحضّر من المتبقيات كفطائر الاسماك والمعجنات المحشوة المقلية.

وبفعل ما يصدر عنه من رائحة فالثوم أفضل ما يكون مع أطباق الجنوب كحساء السمك واليخنة. وهو اليوم ينسلّ الى أطباق الشمال من غير أن يلحظه المتذوق تماماً. ولكن حين يعلن الثوم نفسه بكل عنف فأنت في صميم المطبخ الجنوبي. أنت في مناطق زيت الزيتون وقد تركت الزبدة لمرتفعات الشمال.

"أهل الثوم" - هذه الانطباعات عن الثوم أملتها زيارة الى مدينة سان كلار في مقاطعة غاسكونيا جنوب غرب فرنسا. والعالم يعرف هذه المنطقة التي اشتهرت بابنها سيرانو دو برجيراك الشاعر والجندي ومتذوق الثوم. وتعتبر سان كلار عاصمة الثوم في فرنسا. وفي كل خميس بين يوليو (تموز) ويناير (كانون الثاني) تفتح في العاشرة صباحاً سوق يباع فيها بين ٥٠ و١٢٠ طناً من هذه العشبة في أكياس أو باقات.

في شهر أغسطس (آب) ١٩٨٤ كان مهرجان سان كلار عابقاً برائحة الثوم. كان يرى في كل مكان، وقد أقيمت له نقوش تزيينية. وحضرنا المهرجان أنا وزوجتي، وتعلمنا الكثير.

تعلمنا أن كلاً من العمّال المصريين الذي بنوا الاهرام كان يعطى فص ثوم قبل بدء العمل لكي يقبل عليه برضا وليطرد عنه الامراض. وكان الرياضيون الاغريق القدامى يمضغون فصّاً منه قبل بدء تمارينهم العضلية. ووباء الطاعون الذي اجتاح مارسيليا عام ١٧٢٠ أمكن التغلب عليه بمطهّر ركّب من مزيج الثوم والخلّ.

واليوم؟ يخبروننا أن الثوم الممضوغ والممزوج باللعاب يثير شهيّة قويّة ويحفز العصارات المعدية للتوصل الى هضم أفضل. وهو يقاوم الانفلونزا (النزلة الوافدة) وتصلّب الشرايين بالشراسة نفسها، ويخفض ضغط الدم العالي. الثوم هو الصحة، كلوه!

قد يكون هذا تطرفاً في الادعاء، ولكن له مبرراته في مقاطعة تفاخر بأفضل ثوم في العالم. ويعود ذلك الى التربة الغنية والمناخ والتقاليد القروية التي جعلت الثوم أحد اهتماماتها. وتستطيع دائماً التعرف الى "أهل الثوم" حين تراهم يأكلونه نيئاً. انهم يأخذون قطعة من الخبز يغمسونها في الدهن أو زيت الزيتون ثم يهرسون فيها فصّ ثوم. انهم يعلكون الخبز ثم يبلعونه مع فص ثوم أو فصين وحبة عنب. وفي طهو الثوم يحذّر أهل سان كلار من تركه يغلي طويلاً، فقد يفقده ذلك نكهته.

قد يكون الثوم الوحيد في الاصناف المطبخية الذي يجاز له أن يطلق نزواته على هواها ويصنع الاعاجيب في آن. وهناك أقراص الثوم من أجل الذين لا يستطيعون الحصول على كفايتهم من

هذه النبتة اللاذعة. وفي اعتقادي يكفيك أن تدخل الثوم وجباتك لحمل الكولسترول على الجريان في أجهزتك فلا يغل في الزوايا والخطوط الجانبية من شرايينك.

ولكن مع كل الاجلال الواجب لمدينة سان كلار فالاقتناع بالثوم هو اقتناع بحضارة لا تثقلها الشحوم. انه الابتعاد عن خطوط الدهون الحيوانية وتعوّد زيت الزيتون. وقد يكون التحول عن نظام الزبدة والشحم الى نظام الزيت هو الذي أنقذ حياتي في منتصف العمر. لكن الثوم حتماً أدى دوره أيضاً.

حمِّ زيت الزيتون في مقلاة، أضف فصوص الثوم بسخاء، ذبِّل اللحم أو السمك ثم كل كابطال هوميروس. أنت الآن في صميم المتوسط، تلك المنطقة الساحلية التي علّمتنا كلَّ ما يحسن تعلّمه. ان نفس الشعر الملحمي، عندما لا يكون دماً، هو ثوم صرف.

أنطوني بورغس ■



القبيلة والطائرة

استخدم جون هاملت رجالا من قبيلة مورو في جزيرة مندناو من جزر الفيلبين، لمعاونته في اصطياد قرود بالاشراك من أجل اختبارات طبية حول شلل الاطفال. وقبل مغادرته البلاد أراد تكريمهم. وروى في ذلك:

لم يكن رجال القبائل رأوا طائرة على الارض من قبل، واقتصرت معرفتهم بالطائرات على رؤيتها في الجو، لذلك ظننتهم سيبتهجون بركوب طائرة، فاستأجرت واحدة لهذه الغاية. وبقي رجال المورو هادئين على نحو غير عادي حين أقلعت بهم الطائرة ثم حامت فوق قراهم في الجبال المكسوة بالغابات. وكانوا ينظرون من النوافذ بلامبالاة من دون أن يقولوا شيئاً أو تبدو عليهم أمارات الابتهاج.

وبعد هبوط الطائرة سألتهم متحمساً: "كانت رحلة ممتعة، أليس كذلك؟ تصوروا أنكم كنتم هناك في الجو، تطيرون فوق الاشجار والجبال. كنتم تنظرون الى أسفل لتروا كل شيء من عل. أليس هذا مدهشاً؟"

فحدق الي رئيسهم بوجه كالح وتمتم بعد لأيٍ: "هذا ما يفعله البعوض."

هـ.ك.

آداب الكبار

شاءت معلمة أن تلفت الصغار الى آداب السلوك من طريق استنطاقهم حول توجيهات أهلهم عندما يأخذونهم الى مطعم.

قال أحد الصغار: "لا تلعب بطعامك." وقال آخر: "لا تتكلم بصوت عال." وهكذا.

ثم سألت المعلمة طفلا: "ماذا يقول لك والداك قبل أن يأخذاك الى المطعم؟" فأجاب الطفل من دون تردد: "أطلب طعاماً رخيص الثمن."

ل.ر.

قد يموت والدك فجأة. وقد يحدث هذا في الوقت الذي يكون زوجك فقد عمله وأنت تعانين مشاكل مع أولادك.

قد يسرق بيتك. وربما حدث هذا فيما أنت منهمك في اعداد معاملات الطلاق بعد ابلالك من مرض.

عندما تواجه ضغطا كهذا تصبح مرشحا لما يسمى "انهيار اعصاب" وهو نوع من الشعور المطبق بعدم السيطرة على الحياة وبحاجة الى الاستشفاء من الاضطراب العقلي. لقد اصبحت هذه المعانيات شائعة.

"كل امرىء في بعض ظروف الحياة قد يجد نفسه في موقف يمكن أن يؤدي به الى اختلال في بعض وظائف العقل." هذا ما يقوله الدكتور مورتن سيلفرمان من المعهد الوطني للصحة العقلية في الولايات المتحدة. وحتى الامراض الجسدية العادية قد تتحوّل مشكلة عقلية. ويؤكد الدكتور ميلتون غرينبلات من جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس أن الاعتلال الصحي الطبي يصاحبه ضيق عاطفي في ما يراوح بين ٦٠ و٧٠ في المئة من الحالات. وكلنا الى حدّ ما معرضون للخطر.

لذلك يعتقد خبراء الصحة العقلية أنه يجب أن نتعلم "الاسعافات الاولى النفسانية" التي يمكن أن نطبّقها للاحتفاظ بتوازننا في الشدّة، حتى عندما

يكون العون الاختصاصي ضرورياً. مثل هذه الاسعافات الاولى قد تخفّف الصدمة وتساعد على الشفاء بسرعة. ومهما يكن مدى الارشاد الخبير الذي تحصل عليه، فستبقى لك وحدك مهمة استرجاع نفسك.

ولمساعدة الناس على ذلك أنشئت خلال السنين العشر الفائتة ثلاثون ألف مجموعة للاعتماد على النفس في الصحة العقلية تقوم بمساعدة نصف مليون انسان. ويزداد عدد الاختصاصيين الذين يؤيدون الفكرة.

يقول ألفرد كاتس من جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس وهو خبير صحة عامة: "لا شك في أن هذه المجموعات تعمل." وكشفت دراسة أجريت عام ١٩٧٩ في معهد فلوريدا للصحة العقلية أنّ المرضى العقليين الذين انضموا الى مثل هذه المجموعات، أكان ذلك في المستشفى أم خارجه، بدوا خيراً من الذين لم ينضموا اليها.

ولقد تحرّيت بعض هذه المجموعات فاكتشفت أنها تستطيع تعليمنا كل ما يتعلّق بالتغلب على المشكلات والمصاعب. ففي اللقاءات المفتوحة يتبادل المجتمعون الآراء حول التقنيات التي تزيد في جمالات الحياة وقد تكون نافعة لكل فرد.

(Recovery, Inc.)

بدأها عام ١٩٣٧ طبيب نفساني اسمه ابراهام لو وأصبحت عام ١٩٥٢ تدار كلياً بواسطة المرضى. ولها الآن نحو ألف مجموعة مساندة في الولايات المتحدة وبورتوريكو وبريطانيا وكندا وايرلندا.

وهي تشدّد على تدريب الناس لتأدية أعمالهم بانتظام على رغم المخاوف والاعراض العصبية.

(Grow, Inc.) بدأت عام ١٩٥٧ في سيدني باوستراليا بمشاركة من كون كوغ الذي عانى سابقاً مرضاً عقلياً نفسانياً. فقد فكر كوغ وآخرون في مساعدة بعضهم بعضاً للشفاء من انهيارات عقلية. وصنفوا الاولويات التي هي أكثر افادة لهم وأحدثوا في النهاية أكثر من ٦٠٠ مجموعة للمساندة المتبادلة في سبعة بلدان هي أوستراليا وكندا وبريطانيا وايرلندا وماليزيا ونيوزيلندة والولايات المتحدة.

(Emotions Anonymous International)

بدأت عام ١٩٧١ وحصلت من جمعية "المدمنين المغفلين" على اذن بتهيئة برنامجها ذي المراحل الاثنتي عشرة لتطبيقه على من يعانون اضطرابات عاطفية. مركز عملياتها مدينة سانت بول. ولها الآن ألف فرع في ١٧ بلداً.

في ليلة ممطرة حضرت أحد اجتماعات مؤسسة "الشفاء" في سان دييغو بولاية كاليفورنيا حيث تجمّع ١٥ شخصاً في قاعة. ولم يكن أحد فيهم يبدو قذراً أو غير عادي، وقد تفاوتت مشاكلهم بين الرغبة في الانتحار والتشاجر مع الاصدقاء.

احدى الشابات المتحفظات حكت بصوت متهدج كيف "خربت" أمها مشاريعها لزيارة أخ لها في مدينة بعيدة، قالت: "كان تفكيري في أمي يخيفني

لانها كانت دائماً تفهمني أنني غير كفية. ولم أكن في الماضي أستطيع التعامل مع غضبي حتى كدت أفقد السيطرة على نفسي. لكنني تعلمت في مؤسسة "الشفاء" أن علينا ألا نتصرف بتأثير الانفعالات. وتقاسمت مشاعري مع صديقة لي، وتوصلت الى بلوغ ما أصبو اليه."

ولقد هنّأها الاعضاء لعدم اذعانها للاعراض. وأعلن عضو التحق بالمؤسسة عقب اصابته بانهيار عصبي: "لقد اكتشفنا أننا قادرون على السيطرة على أفكارنا ونزعاتنا." وهكذا ثبت مرة أخرى أن الاسعافات الاولى النفسانية أنقذت أحدهم من "الجنون".

وفي رأي غاري ايمري استاذ علم النفس في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس ان الجنون لمعظم الناس ليس مرضاً يحدّد عيادياً، بل هو شعور بفقدانهم السيطرة على النفس وردّ فعل مذعور لانفعالاتهم الشديدة. انّ الفاصل بين البقاء على الحافّة وحصول الانهيار درجة تستطيع فيها تحمّل الاعراض لتبقى مسيطراً على تصرفك. وجماعات مثل مؤسسة "الشفاء" تعلّم الناس كيف ينمّون قدراتهم لجبه هذه الازمات الحادّة من القلق أو الغضب أو الضغط، والاعراض المرافقة لها كالدوار والخفقان السريع.

يقول كون كوغ أحد مؤسسي "غرو": "في جميع الاضطرابات العقلية تفقد توازنك لانك تبالغ في تجسيم مشاعرك، وتلقي تفكيرك وتصرفك في التشوش. ان عليك أن تتعلم كيف تقوّم الامور على نحو صحيح."

أرلين باص رئيسة فرع "غرو" في هاواي عبّرت عن ابتهاج شخصي في اجتماع عقد في هونولولو، قالت: "ليلة الجمعة أغلظ لي احدهم الكلام الى حد لم استطع النوم. وأحسست بحقارة. ثم أرغمت نفسي على التذكر أنني كائن آدمي ذو قيمة، وأن المشكلة هي في الانسان الذي أساء الي وليست فيّ. وأويت الى فراشي، فنمت."

بتي كنيستون أسست فرع "الشفاء" في سان دييغو عام ١٩٥٨ بعد اخفاق طبيب نفساني في مساعدتها على التغلب على نوبات ذعر. وحلّت مشكلتها بعد تمضيتها سنة ونصف سنة في موسسة "الشفاء". وهي أخبرتني كيف تعالج الآن نوبات القلق الطارئة: "في الليلة الماضية قبل موعد عمل انتابني خفقان قلب وضيق تنفس ومن ثمّ ذعر. وساءلت نفسي لماذا هذه الاعراض. وعرفت أنه التخوف من ألا أستطيع انجاز ما يواجهني في الغد. وحرصت على ألا أبالي بالانفعالات وأن أرخي كل عضلة في جسمي فزالت الاعراض."

هل تشعر في بعض الاحايين أنك أنت أيضاً معرّض للجنون؟

ان مؤسسة "الشفاء" تنصح بالافكار الآتية لمساعدتك:

[illegible] . "لا يمكن أن تضطرب ان لم تكن أعصابك متوترة. لذا أرخِ اعصابك." هكذا تقول بتي كنيستون، ثم انكش الحديقة أو اذهب في نزهة.

بعد ذلك غير اهتمامك. أتلُ جدول

مجلة المتعة الدائمة

- "المختار" مجلة مريحة ومتفائلة، تسلّي من غير تجهيل وتثقّف من غير وعظ وتفيد من غير اضجار.
- "المختار" لافراد عائلتك مجلة انيقة لا يعترض تهذيبها حاجز.
- "المختار" تزيد معارفك وتوسّع آفاقك وتغنيك عن مطالعة عشرات الكتب والمجلات.

للاشتراك في "المختار" املأ القسيمة بخط واضح بالعربية أو الاجنبية، وارسلها بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً امريكياً هو بدل الاشتراك في ١٢ عدداً من المجلة لمدة سنة، الى احد العنوانين الآتيين:

Bank Almashrek S.A.L.
P.O. Box 1524
Beirut — Lebanon

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت - لبنان.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut — Lebanon

البنك المتحد للأعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان.





قسيمة اشتراك

الاسم Name ______________________

____

العنوان Address ______________________

____

المهنة Profession ______________________

التاريخ Date ______________________

التوقيع Signature ______________________

الرجاء وضع العبارة الآتية
على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار"

الضرب. استظهر قصيدة. أنت مضطرب الى حدّ عدم استطاعتك التفكير في المشكلة عقلانياً في الوقت الحاضر. هدّىء نفسك أولا.

حتى اذا صرت أكثر هدوءاً حدد مشكلتك وحلّل بموضوعية ما الذي يتأكلك. وعلى رغم عجزك في هذه المرحلة عن السيطرة على مشاعرك فانك تظل قادراً على امتلاك تفكيرك وخلجاتك.

ان الاعراض مقلقة لكنها ليست خطرة. فاذا تملكك شعور بالاختناق فتذكّر أنه عارض ولا يمكن أن يؤذي. فالاحاسيس ليست وقائع.

تحدَّ أعراضك. واجه ما يضايقك يزُل التضايق. احمل نفسك على النهوض من السرير. عضلاتك ستقوم بما تريدها أنت أن تقوم به. احتفظ بصحّة تصرفك.

تجنّب الحديث المزاجي أو المبالغ فيه. هذا الصداع مثلا لن يقتلك، انه يؤلمك لكنه سينتهي. اذا لم تستطع النوم فلا تقل "انني سأمرض." مجرّد بقائك مستلقياً سيريحك.

لا تدلل انفعالاتك. فالسقوط في هوة الاشفاق على النفس يبقيك مكبّلا. كرهك الآخرين والقاء المسؤولية عليهم يغذّيان سخطك فقط. واطلاق العنان لانفعالاتك يمكن أن يفقدك التوازن.

تعوّد أن تكون وسطاً. ليس شرطاً أن تكون فريداً أو أن تعرف كل شيء. لتكن لديك الشجاعة لأن تخطىء. "اللعبة هي،" كما تقول بتي كنيستون، "ان لا تدع اخفاقك الظرفي يقاضي شخصيتك بكاملها." امنح نفسك مجال افتخار بالجهد.

ينصحك اعضاء مؤسسة "غرو" بأن تلقي على نفسك هذه الاسئلة الاربعة خلال الازمة:

١. "ما هو بالتحديد ما يقلقني؟" لا تقف عند عبارة "لا أستطيع تمالك نفسي." وضّحها بكلام محدد يمكنك التعامل معه. "لقد انهرت، وبكيت اليوم أثناء العمل، وأعرف أن ذلك سيتكرّر."

٢. "هل تكرّره مؤكد أم محتمل أم ممكن؟" هل من المؤكّد أنك ستبكين ثانية؟ يقول كوغ: "معظم ما يزعج الناس ليس مؤكداً، انه محتمل أو ممكن."

٣. "ما مدى أهمية تكرره؟" محتمل ألا تكون أهمية كبيرة، فلن تطردي لمجرد كونك بكيت في العمل.

٤. "ماذا سأعمل في شأنه؟" يقول كوغ: "اعملي الشيء العادي. اذهبي الى عملك ولا تدعي أحاسيسك تغرقك."

لتهدئة نفسك اليك بعض ما توصي به مؤسسة "غرو":

تصرف بما تعرف لا بما تحس. في كل ما يخيف وقائع غير صحيحة وتصورات غير واضحة. فلا تمسرح أحاسيسك. يقول

كوغ: "غالباً ما يشعر أحد الناس بالتعب، فيقرّر ان الحياة لا تستحق أَن تعاش. لكنّ التعب هو التعب لا غير."

حسّن تفكيرك وتصرفك فيتحسن شعورك. يقول كوغ: "اعمل ما هو عادي وعش يومك كل يوم، وستجد أنك تدير حياتك. ان المشاعر المرة لا يمكن أن تدوم اذا كان تفكيرك وعملك صحيحين."

أخرج الحب الذي في داخلك. ردد كلمات التحبب مع عائلتك. ابسط يدك وخذ بيد أحد. ضع الآخرين في الصورة. لا تنصرف الى أحلام اليقظة. يقول كوغ: "لن تستطيع تعلّم النضج الانفعالي على نفسك. استفد من تجارب الناس."

أترك مشكلتك تستريح. لا تبق أفكارك المزعجة وسط المسرح. تعهد النواحي الحسنة في ذاتك.

تعامل بالسلوك لا بالحافز. يقول كوغ: "اننا لا نفهم بواعثنا معظم الاحايين. فاذا تطلع أحد الناس بطريقة معيّنة فلا تظنّن أنه أخطأ اليك. فربما كانت تلك طريقته في النظر. تعامل مع ما يقوله الناس ويفعلونه، لا مع ما تتصوره أنت."

تخلَّ عن الاعتقاد ان جميع مشاعرك يجب أن تبرز. هناك مستشارون كثيرون يتشاركون في الاعتقاد الخاطىء ان لدينا جملة مشاعر غير معلنة أو هي مكبوتة. ويقول كوغ: "غالباً ما يكون العكس هو الصحيح، فالافصاح عن المشاعر هو ما يردينا."

لا لزوم لان تشعر دائماً بالارتياح. المشاعر لا تؤذي أحداً. ولكن عندما لا يكون لتفكيرك أو تصرفك علاقة بالواقع فانك تقع في المشاكل.

أنت المسؤول. لا تلُم والديك أو أيّ انسان آخر. اهتم أنت بحياتك الخاصة.

كن واحداً من السلالة البشرية. تذكر أنه مهما يكن ما يقلقك فمن الممكن حصول مثله للآخرين أيضاً.

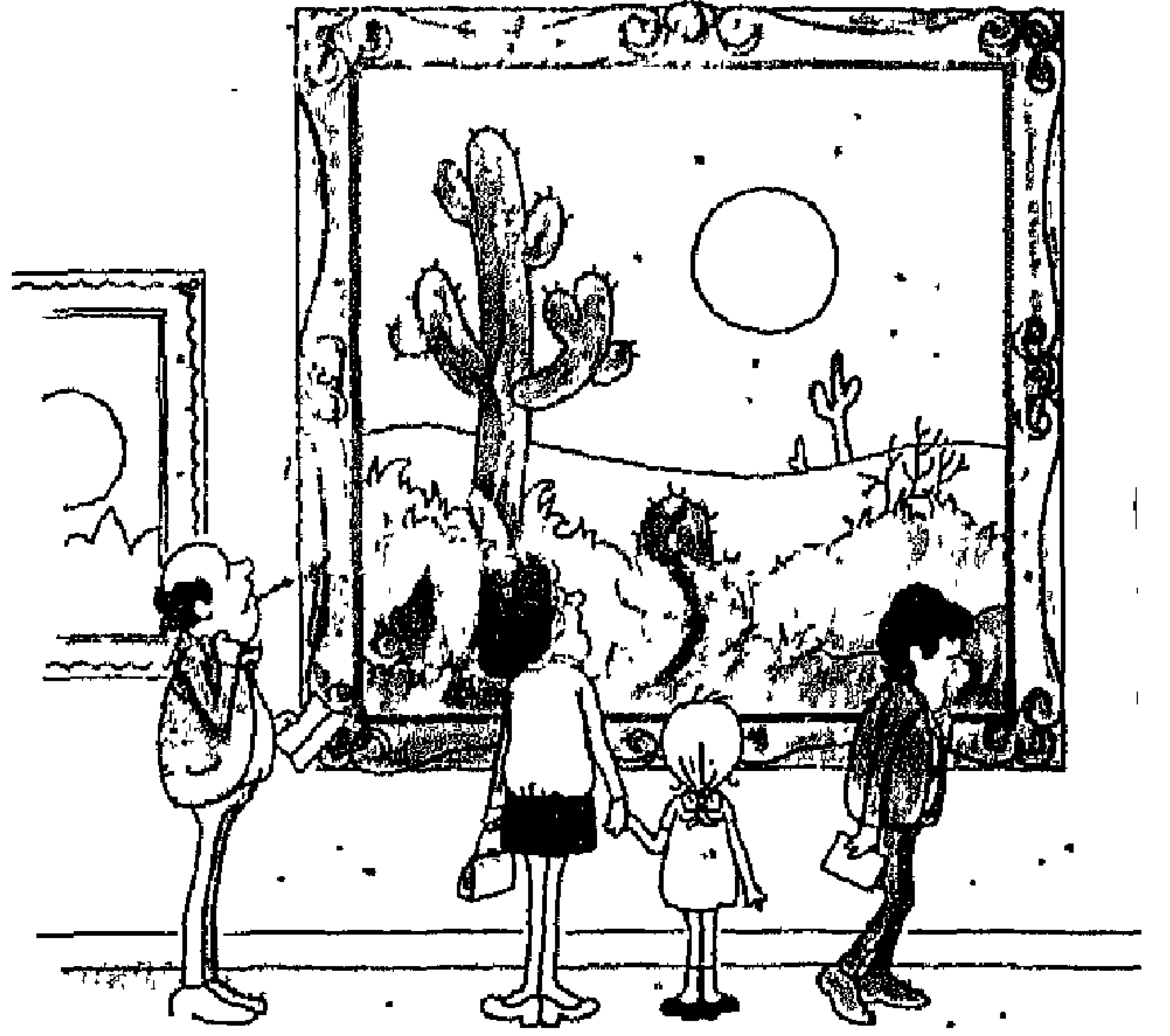
اذا كان ما يجعلك تحس بفقدان السيطرة غماً أو قلقاً أو انحطاط قوى، فمن المريح أَن تتذكر أنّ كثيرين من الناس المحترمين عانوا ما تعانيه تماماً واجتازوه. اختلّوا واعترفوا بحاجتهم الى المساعدة ثم تعلّموا كيف يشقّون طريق العودة الى الصحة العاطفية. لقد علمونا كيف نواجه المشاكل... وننتصر.

زينة كليغ ■

كلام المحامين

قال محام لزوجته لدى عودته الى البيت: "كان يوماً رهيباً في المحكمة. فقد أظهرت سخطا مناقبياً في حين كنت أنوي اظهار نقمة أخلاقية."

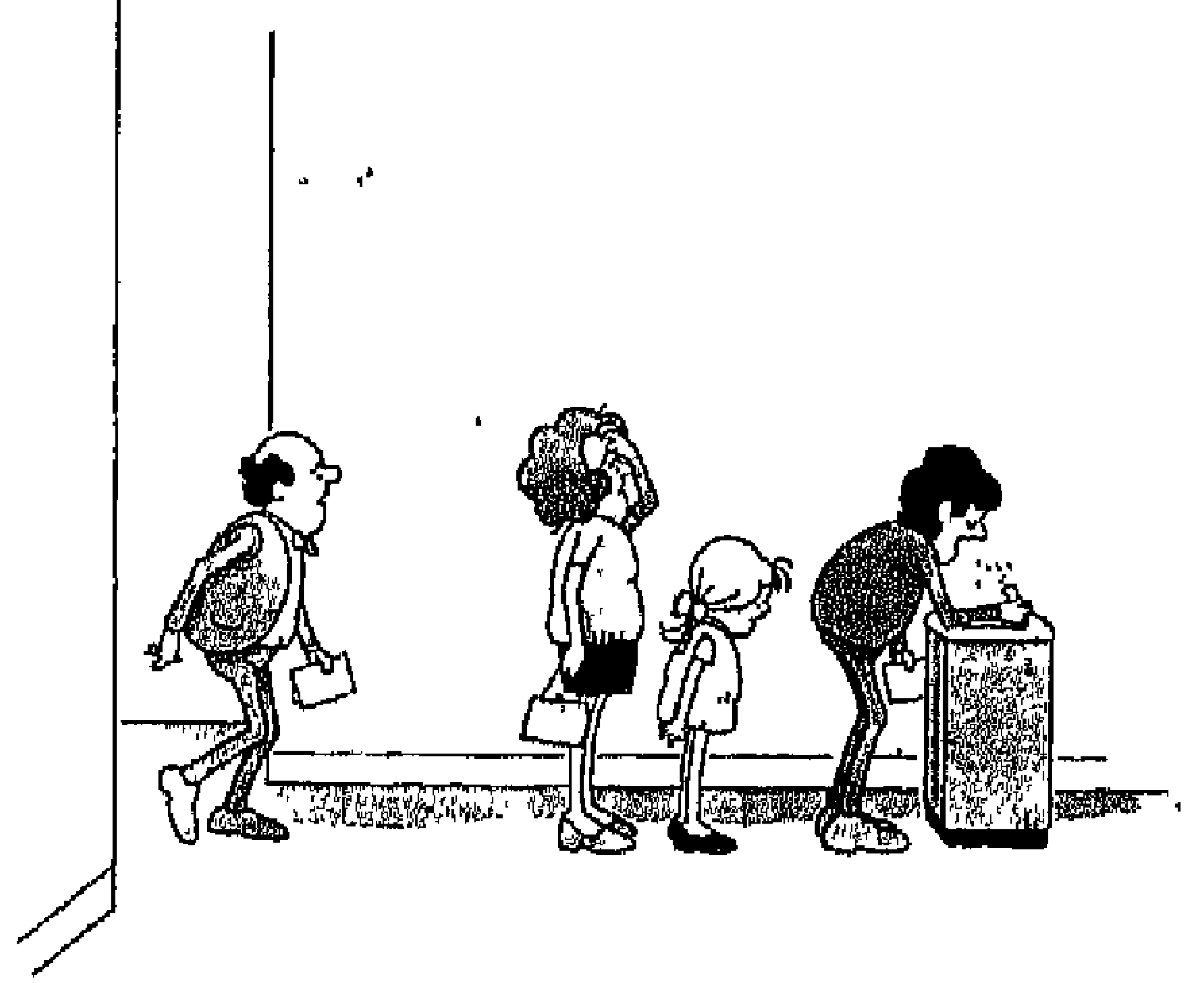
م٠غ٠



دائرة المعارف

الكلمات الآتية تسميات أطلقت على سبيل الاستعارة أو التشبيه أو الوصف. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **الغزالة**: الغيمة الشاردة - الشمس - الحياة - المرأة المتهورة.
٢. **الحاتم**: الموت - الكريم - الحاكم الظالم - الغراب الاسود.
٣. **الفرات**: البغض - الرجل الجبان - البحر - الوادي السحيق.
٤. **الكبيرة**: الاثم الكبير - الثروة - العاطفة - الابنة البكر.
٥. **الفِرِنْد**: حب الرمان - السيف - الصديق - الدر الثمين.
٦. **النقيع**: اللعاب - الماء الآسن - السم في أنياب الحية - العانس.
٧. **الجمان**: الارجوان - الاسنان البيضاء - القلب - اللؤلؤ.
٨. **العقيم**: ريح بلا مطر - الطبيب - الخنجر - البخيل.
٩. **الحيزبون**: الفاحش الثراء - الحية - الفيلسوف - العجوز الداهية.
١٠. **الوحى**: الصوت الخافت - النار - الحلم - أرض المعركة.
١١. **القشعام**: المتكبر - النسر العظيم - المقدام - الثاقب النظر.
١٢. **النبراس**: القلم - الطريق القويم - المصباح - الكتاب.
١٣. **الظَنون**: البئر القليلة الماء - الزوجة - الحامل - ريح الشمال.
١٤. **الأنام**: النوم الهانىء - التراب - الهواء الساخن - الخَلق.
١٥. **الأرقم**: علم الحساب - الحية الخبيثة - العدوّ - الحافي القدمين.
١٦. **الفريدة**: حبة الرمان - العوراء - الجوهرة النفيسة - نجمة الصباح.
١٧. **العِرْنين**: الأنف - بيت الأسد - كوز الذرة - الشاب الوسيم.
١٨. **القَراح**: الماء الخالص - النابغة - الوطن - العاشق الولهان.
١٩. **سُعالِ**: الحبيبة - الرعد - الزلزال - أنثى الغول.
٢٠. **القرطاس**: القلم - الصحيفة - حلية الأذن - الشرف.
٢١. **السبنتى**: البدر - الورد الجوري - النمر - العروس.
٢٢. **الحياء**: ذكر الحية - الأرض العارية - البرعم - المطر.
٢٣. **التامور**: موسم التمر - الحب العظيم - النهر - دم الحياة.
٢٤. **العَرَنْدَس**: الأسد - زهر الرمان - البساط - الربيع.
٢٥. **الخَوْد**: الجبل - البطل - الشابة الناعمة - الخدر.



الأجوبة الصحيحة

١. **الغزالة:** أنثى الغزال والشمس لأنها تمد حبالا كأنها تغزل.
٢. **الحاتم:** الغراب الأسود وغراب البين وهو غراب أحمر المنقار والقائمتين قيل سمي كذلك لأنه يحتم بالفراق اذا نعب بين القوم.
٣. **الفرات:** الماء العذب والبحر. الفراتان: نهرا دجلة والفرات.
٤. **الكبيرة:** الاثم الكبير.
٥. **الفِرِنْد:** السيف ووشيه والورد الاحمر وضرب من الثياب.
٦. **النقيع:** السم في أنياب الحية. ومن الماء العذبُ البارد.
٧. **الجُمان:** اللؤلؤ.
٨. **العقيم:** الريح لم تلقح شجراً ولم تحمل مطراً.
٩. **الحيزبون:** العجوز أو المسنة الداهية.
١٠. **الوحى:** النار والصوت والاسراع والسيد الكبير.
١١. **القِشعام:** النسر الذكر العظيم. وأمُّ قشعم الحرب والداهية والمنية والضبع والعنكبوت وقرية النمل.
١٢. **النبراس:** المصباح والسِنان والجريءِ الجسور والأسد.
١٣. **الظَنون:** البئر لا يدرى أفيها ماء أم لا، والقليلة الماء.
١٤. **الأنام والآنام:** الخَلق.
١٥. **الأرقم:** أخبث الحيات وأطلبها للناس. ويقال للانثى رقشاء وليس رقماء.
١٦. **الفريدة:** الواحدة والجوهرة النفيسة. جمعها فرائد.
١٧. **العِرْنين:** الأنف. وهو المَعْطِس والمَخْطِم والخُرطوم.
١٨. **القَراح:** الماء الخالص.
١٩. **سُعال والسِعْلى والسِعْلاة:** أنثى الغول.
٢٠. **القرطاس:** الصحيفة التي يكتب فيها. وهو الكاغد والطرس.
٢١. **السَبَنْتى:** الجريء. أيضاً النمر سمي به لجرأته.
٢٢. **الحَيا والحَياء:** المطر يحيي الارض، فاذا دام مع سكون فهو الدِيمة، والهطل فوق ذلك.
٢٣. **التامور والتؤمور:** دم الحياة. ومن معانيهما أيضاً القلب والوعاء والولد ووزير الملك.
٢٤. **العَرَنْدَس:** الأسد العظيم والسيل الكثير. ومن الابل الشديدُ الطويل القامة.
٢٥. **الخَوْد:** الشابة الحسنة الخَلق الناعمة.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٦ - ٢٠: جيد جداً
١١ - ١٥: مقبول



نهدت مرتفعة فوق العباب الطامي وانتفخت أشرعتها صلبة كالحديد

في ليالي الشتاء والعواصف الهادرة، حين تعول الرياح، أستمتع بلذتها، أقول: آه أيتها اللبوءة الزائرة، هبّي وتمايلي كما تشائين، ثم اصغي الى حرير العوارض وقرقعة الاخشاب القديمة. ازأري ما طاب لك، فسألبث هنا في انتظار الفجر.

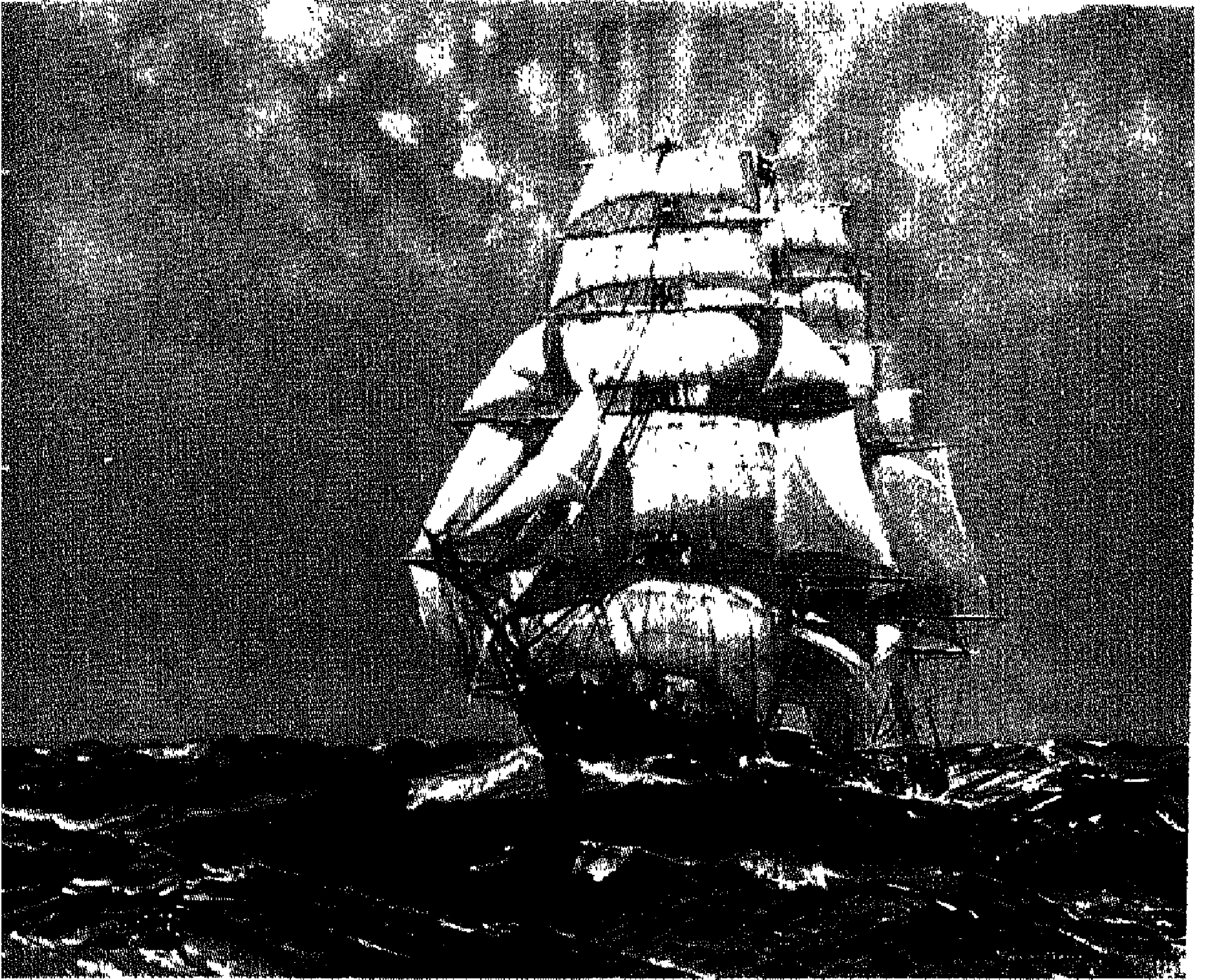
ان في ثوران العاصفة متعة لا تضاهى. ولكن في الأيام الهادئة، حين تمطر السماء وتوحل الارض ويغبّر وجه الدنيا، يستعيد المرء ذكرى أيام الهيجان والجهد الشاق والمغامرة. ألم أكن مخبولا حين عدت الى البر لأحيا هذه الحياة المقيتة. آه، لو بقيت في البحر لكنت اليوم المساعد الثالث في باخرة ركاب كبرى أو ربما المساعد الثاني في سفينة ساحلية، ولما كنت مكباً فوق مكتبي هنا. لو بقيت في البحر لكنت الآن على دفة سفينة مع القبطان، أتحسس انطلاقتها.

في مثل هذه الاوقات أستعيد ذكريات تلك الايام السعيدة المثيرة، أيام الجهد المفعمة بالبهجة. وينفرد يوم بارزاً عن كل أيام حياتي. انه يوم حبور.

كنا في البحر عند مصب نهر لا بلاتا قبالة ساحل الارجنتين وسفينتنا تنطلق جنوباً كالوعل النافر. وكانت الريح منعشة وبقينا طوال اليوم نشق عباب البحر كبارجة حربية ضخمة. قطعنا في ذلك اليوم ٥٠٠ كيلومتر واعتبرنا ذلك انجازاً رائعاً. كانت الريح تهب على مؤخر السفينة مؤاتية كما يشتهى. وقاد قبطاننا السفينة من دون رحمة حتى أخذت تئن من العناء.

طوال ذلك اليوم كانت السفينة تنطلق وتميل وتقفز بجنون وتشق العباب الطامي وترتجف ثم تعلو وهي تهتز. الريح تجأر وتملأ الاشرعة فتنتفخ صلبة كالحديد. كنا نمخر الامواج في قفزات واسعة. أجل، لا يمكن أن يوصف ابحارنا بسوى هذه العبارة. بدا لنا أن السفينة تخرج من صفحة الماء الازرق فوق موجة عارمة لتندفع في قلب موجة تالية. الريح تهدر وقرقعة الحبال والاشرعة تتعالى والامواج حولنا تتكسر وألواح السفينة تئن. هذه كلها كانت تحاكي أنغاماً موسيقية راقصة في آذاننا.

كنا منطلقين بسرعة والزبد يتلاطم وراءنا. نتوجه الى ناحية ونرتد الى أخرى



"سفينة شراعية في المحيط الهندي" زيتية للرسام ماران ماري.

حتى غلبنا العياء. لكننا كنا نغنّي ونصرخ ونحن نكدح وقد استحوذ علينا سحر الريح. كنا في نشوة. خيّل الينا أن السفينة ستقفز من الماء لتخترق أديم السماء.

فوق مقدّم السفينة كان الرذاذ ينهمر في دفق متألق. وابتلّ الشراع الامامي وغدت مصارف المياه جداول جارية وفتحاتها الجانبية شلالات تصب الماء غزيراً. أذكر أيضاً أن ذلك اليوم كان يفرح القلب. الشمس متلألئة في السماء التي بدت لوحة زرقاء صافية. وكنا منطلقين فوق صفحة الماء على نحو يهيج في النفس رغبة في الغناء. الماء يتألق ويتموّج حتى أقصى مدى النظر. بحر أزرق، بل أخضر، ولمعانه تحت أشعة الشمس يخطف البصر.

وارتفعت الامواج كأنها الجبال، وتفجرت زبداً هادراً. وهبطت ثم طمت ثانية لتتهادى من جديد. كانت تعلو وتهبط في ايقاع، في لحن، في موسيقى. ويحس الانسان رغبة في الارتماء في هذا

العباب والاندماج فيه. ذلك الجمال كان عجيباً مجيداً مرعباً، كان ظفراً وأبهة.

بعد ذلك اليوم الشديد جلسنا في جوف السفينة وأحسسنا أنها تعلو وتهبط وسط فجوات في عباب اليم وتهتز في بهجة لا توصف. كانت زاخرة بحياة هائجة لا تستقر. وبدت لنا متوحشة مجيدة خيالية. ينسى المرء أن هذه المعجزة هي من صنع الانسان. ونسينا أننا بشر. كانت هي مفعمة بالحيوية الخالدة الهائجة، وكنا نحن صغاراً ازاءها. كنا خدماً لها. لم نكن سوى الغبار الذي يعج في ذيل مذنب منطلق في الفضاء. ولذا دعوناها "مجد البحار".

مجد الانسان زائل. ومجدنا زال حين جلسنا الى مائدة الغداء. فتح الباب ودخل بحار في معطف واق وأهاب بنا أن نصعد الى ظهر السفينة "من دون أن نتوقّف حتى لارتداء ثيابنا." لقد أزف الوقت ولم تعد السفينة تمخر، بل أصبحت تتعثّر في مهب الريح. كان البحر غائماً وراء ستار العاصفة المقبلة. وتلاشت روعته وطغت عليه غبرة وجهامة. تحول جماله توحشاً، وموسيقى الريح تحولت عزيفاً.

حينئذ أخذنا نخفف من حمولة السفينة لنريحها وحاولنا أن نحد من اندفاعها. وهرعنا الى حلقات الشراع لنشدها، وعندئذ نودي علينا: "الى فوق يا شباب! شدوا الاشرعة!" شراعي كان صغيراً، كان قطعة من شراع تتراقص بين الغيوم، خرقة كبيرة غبراء تنتفض وتتلاعب مع الريح على ارتفاع ٥٠ متراً فوق رأسي. وصفعتني الريح ورمتني فوق عوارض الاشرعة. ضربتني وأطارت الدمع من عينيّ. شعرت كأنها ترفعني عن العوارض الى قمة السارية وحبالها المشدودة الى الجسور. وعلى هذه الجسور تعلّمت ما هي الريح عندما تعصف.

وصدمتني عصفة مرت بي مزمجرة فبهرت أنفاسي. ولم أعد أقوى على شيء سوى النظر الى الشراع الذي كنت أقصده وأجر جسدي اللاهث متسلقاً اليه. وأخيراً وصلت. هذا هو الشراع الذي جئت لكي أطويه. وكان منظره هناك مذهلا. كان ينتفض وينتفخ مع الريح ويتواثب هنا وهناك كالمهر المجفل. كان يعلو فوق السارية ويضربها مرة بعد مرة. كان ثائراً كالعجل يخبط في كل اتجاه. وأخذت السارية تميل تحت وطأة العاصفة وبدت لعيني تلتوي كفكّ حوت.

وتمدّدت على عارضة السارية فلطم الشراع وجهي وقذف بقبعتي في الهواء. انهال علي ضرباً وصفعاً وأفلت من يدي. وسمّرتني الريح على العارضة وتراءى لي أنها تمزّق ثيابي. أحسست أنني ملك، أنني امبراطور. وصرخت عالياً صرخة الفرح، فرحي من صراعي مع ذلك الشراع.

ورأيت السارية الكبرى أمامي وفوقها شاب آخر يصارع شراعاً صغيراً ووراءه آخر بدا أن شراعه التف متعقّداً. وتحتي كانت السفينة تتمايل وتقفز في ثورة من الجنون، وعلى متنها رأيت أشخاصاً بدوا لعينيّ أقزاماً. كلهم رؤوس ومناكب، يشدّون حبالا. وهناك البحر تحتي أغبر ومخطط بالزبد.

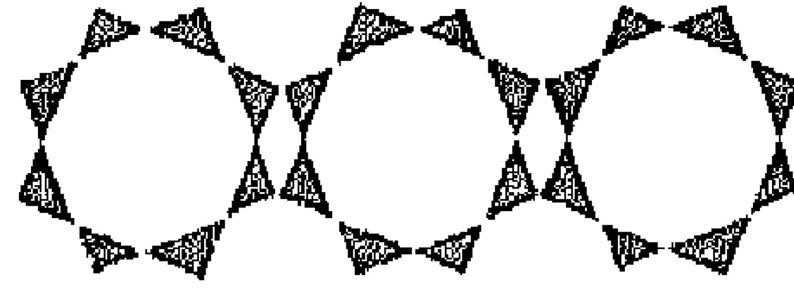
فجأة انهمر المطر علينا مدراراً وأخذ يضرب صفحة الماء ويحجب كل رؤية: لم أعد أرى سوى القتام الأغبر والمطر

الغزير والغيوم التي تتفجر سيولا من الماء والسماء الغبراء التي انشقت فوقنا ليهطل وابلها. كان المطر بارداً كالثلج، وقد أزال الصباغ عن قميصي فباتت قدماي تتركان آثاراً زرقاء حيثما مشيت. وطوال ساعتين بقيت أشد حلقات الشراع وأطويه وأشده الى أسفل. ومع هبوط الظلام أنزلنا الأشرعة الثلاثة العليا وشراع المقدم. وفي اليوم التالي كنا مرتمين تحت غطاء واق نستريح.

ثمة أنواع مختلفة من البهجة. وبالنسبة الى معظمنا، ذلك النوع الذي يسمّى الاثارة هو الأحب. ففي يوم جهم حين تغور الاعشاب في وحل الطرق لتهترىء، تغدو صورة تلك الاثارة وذكراها بهجة للقلب. انها بهجة لهذا السبب من دون سواه. انها تعلّمنا أن شيئاً صغيراً جداً، حفنة من الريح ربما، يكفي ليجعلنا نبتهج ونعتز بما نؤديه في معارج هذه الحياة.

جون مانسفيلد ■

ولد الكاتب عام ١٨٧٨ ولاذ بالبحر في مطلع حياته. وتتغنّى قصائده ومسرحياته وقصصه الكثيرة بأمجاد السفن الشراعية القديمة التي انقضى زمانها وبالرجال الذين عملوا على متونها. وقد ظل مانسفيلد يحمل لقب "شاعر البلاط" في بريطانيا من العام ١٩٣٠ الى يوم وفاته عام ١٩٦٧.



علاج المفاصل

الزوج: "لماذا لا نأوي الى السرير؟ ان الجنس خير علاج لالتهاب المفاصل."
الزوجة: "اني لا أشكو التهاب المفاصل."
الزوج: "ولكن ألا تعرفين أن درهم وقاية خير من قنطار علاج؟"

مجلة "العلم الضاحك"

اللص والسعادة

القاضي للمتهم: "إضافة الى سرقة المال، إذاً، أخذت الساعات والخواتم والمجوهرات."

– أجل يا سيدي. فقد عُلِّمتُ أن المال وحده لا يجلب السعادة.

ج.ا.

خيمة صيف

قالت امرأة لصديقتها: "الأمر الوحيد الذي يزعجني حين أذهب مع زوجي الى مخيم صيفي هو عدم احتواء الخيمة على باب كي أصفقه ورائي عندما نتشاجر."

ن.ك.

كتاب الشهر



أطفال الخريف

ملخص من كتاب

بقلم آلن دولب



أطفال الخريف

علم التوليد أو القبالة عبارة مشتقة في اللغات الاوروبية من اللاتينية ويعني "الترقب". وقد ظلّت هذه الكلمة قروناً عدة تصف مهمة المولدين. وجاء ابتكار ملاقط سحب الجنين في القرن السابع عشر وتطوير أساليب التعقيم والتخدير في أواسط القرن التاسع عشر ليدخلا أولى التغييرات الحقيقية على هذا العلم. ثم أعقب ذلك اكتشاف المضادات الحيوية في القرن العشرين. غير ان عوامل تنطوي على خطورة كبيرة ظلّت ماثلة. فالتغييرات الاجتماعية الحديثة أدت الى تعاظم احدى الفئات المعرضة للخطر الكبير، وهي فئة النساء اللواتي يؤخرن حملهن الى أواخر العقد الرابع من العمر. وهنا يقدّم آلان دولب الكاتب الطبي الخبير تصويراً مثيراً لحال امرأة من هذه الفئة، ويبيّن أن المولّدين العصريين لم تعد مهمتهم مقتصرة على "الترقب"، بل انهم من طريق المهارة والتكنولوجيا والتفهم أخذوا يسخرون علمهم لمساعدة "أطفال الخريف"

Condensed from «Autumn's Children,» copyright © 1985 by Alan Doelp, Published by MacMillan Publishing Co., New York, N.Y. Illustrations: Stan Hunter

بعد المضاجعة استلقى بيل ادواردز وزوجته لوري(١) في سريرهما هادئين. انه وقت النشوة لا وقت المحادثة. لكن بيل سيفاجأ حين تخبره زوجته انها توقفت عن استخدام وسائل منع الحمل. وكان القرار الفصل في هذا الأمر اتخذ قبل أشهر، بل ربما قبل زمن طويل، حين أقرت لوري بأنها لم تعد قانعة بعملها وأنها تحتاج الى طفل يملأ حياتها.

بدا الأمر بالنسبة الى لوري قراراً فردياً، اذ كان بيل منذ زواجهما مستعداً لانشاء عائلة. ومع مرور الزمن تضاءلت آماله في تحقيق رغبته. وكانت لوري دائماً هي التي تحجم عن ذلك.

بعد تخرجه في الجامعة أعلن بيل عزمه على نيل شهادة ماجستير في ادارة الاعمال، كما اعلنت لوري استعدادها للعمل الى أن يحقق رغبته. ولكن في العام ١٩٦٧ كانت الوظائف المتاحة للنساء اللاتي يحملن شهادات عالية في التاريخ نادرة، وأخيراً عثرت لوري على وظيفة كتابية في مكتب محاماة وكان راتبها ٦٠ دولاراً في الاسبوع.

في شهر مايو (أيار) من السنة التالية منح بيل شهادته في ادارة الاعمال وحصل للحال على وظيفة كمتمرن اداري في شركة تأمين كبرى. وعندئذ اخذ الزوجان يبحثان في انشاء عائلة. وعبّر بيل عن أمله في أن يكون له ابن ليأخذه معه الى مباريات الكرة وقالت لوري انها تفضل أن تكون لها ابنة. وأخيراً اتفقا على أن يكون لهما ابن وابنة... انما ليس الآن، بل حين يصبح في امكانهما شراء بيت.

أحضرت لوري الى البيت أول كتاب قانون تقتنيه بعدما طلب منها رئيسها في العمل أن تبحث عن تفاصيل دعوى معينة وتصوّر صفحاتها. وقبل أن تتم لوري هذه المهمة أثارت الدعوى فضولها فانصرفت الى قراءتها. وجاء رئيسها يبحث عنها فوجدها قرب آلة التصوير غارقة في قراءة المجلّد. واحمرّ وجهها خجلا وأخذت تعتذر، الا أن المحامي حدّق اليها مفكراً ثم عاد في وقت لاحق وأعطاها كتاباً مليئاً بقضايا مماثلة لتأخذه الى البيت وتقرأه. وهكذا علقت لوري في دراسة القانون.

وأثارت الموضوع مع بيل وحسم الأمر حين قال لها: "نظراً الى كل الاسباب التي أبديتها لي لتدفعيني الى التخرج في الجامعة، سأجعلك تتخرّجين في كلية الحقوق." وقدّمت لوري طلبات دخول الى خمسة معاهد فقبلت فيها جميعاً. لكن عمل بيل كان في مدينة بالتيمور بولاية ماريلاند. لذا اضطرت الى التخلّي عن عملها ذلك الخريف والتحقت بكلية الحقوق في جامعة ماريلاند. وبعد التخرج عملت سنتين كمتدرجة في السلك القضائي ثم عادت الى الشركة التي عملت فيها سابقاً كسكرتيرة، ولكن هذه المرة بصفة شريكة. وكانت بلغت التاسعة والعشرين من العمر.

"أهنئك!"

طوال ما يقرب من عشر سنين واظبت لوري وزوجها على عملهما. وخلال ذلك

(١) القصص الواردة في هذا الكتاب مبنية على تجارب حقيقية لأزواج حقيقيين. وأسماء الاطباء ومساعديهم حقيقية أيضاً. أما اسما الزوجين فمستعاران.

الوقت أعادا البحث في ما اذا كانا يرغبان في انجاب أولاد. ان انشاء عائلة ينطوي على محاذير كثيرة. فهما لن يتمكنا حينئذ من قضاء صباحات السبت في تكاسل وراحة ولا من الذهاب في رحلات مرتجلة الى نيويورك كلما عنّ لهما ذلك، بل سيجدان أمامهما حفاضات الاطفال وزجاجات الحليب وفواتير الاطباء. وفوق ذلك فانهما سيبلغان الستين قبل أن يشب الطفل الذي سينجبانه.

واتفقا على أن ثمة أسباباً وجيهة ومنطقية ليبقيا من دون اولاد. اذاً لماذا يتحدثان في هذا الموضوع؟ وأجاب بيل عن هذا السؤال: "لأننا نرغب في ذلك حقاً. لأننا نشعر بافتقارنا الى شيء ما."

وتمطّت لوري وتنهدت ثم انقلبت على جنبها وهي تنفض الوسادة وتضعها تحت رأسها. وفكّرت في نفسها: اذاً سيتعين علي أن أنجب طفلا. أريد بنتاً."

في اليوم التالي اتصلت لوري بالطبيب النسائي لاجراء فحص شامل بعد اسبوعين. وعندما أظهر الفحص أنها غير حامل طلبت أن تعرف السبب. ونظر اليها الطبيب مستنكراً وأجاب: "لو كنت حاملا لأدهشني أكثر، اذ يتعيّن على معظم النساء أن يحاولن الحمل على مدى فترة من الزمن. فمن كل مئة امرأة يحاولن بجد أن يحملن تنجح ٨٠ في المئة في تحقيق رغبتهن خلال سنة."

وتساءلت لوري: "ولكن هل يمكنني أن انتظر سنة؟"

قال الطبيب: "دعيني أوضح لك الأمر. ثمة أخطار في الحمل والولادة تواجه الأم والطفل. وتزداد هذه الاخطار كلما تقدمت المرأة في السن. ولكن في الوقت الحاضر وخلال السنتين المقبلتين ستبقى الاخطار ضئيلة نسبياً لديك."

وسألته لوري: "أي نوع من الاخطار تعني؟"

قال الطبيب: "خطر اصابتك بداء السكري أو ارتفاع ضغط الدم. والأقل احتمالا خطر المخاض قبل الأوان. ومن الواضح ان هذه الاخطار تهدد الجنين كذلك. ثم هنالك خطر التشوّه الكروموزومي(٢) الذي يؤدي الى علة داون التي كانت تعرف بالمغولية (Mongolism) والتي تسفر عن ولادة طفل مشوّه الخلقة ومتخلف عقلياً. أنت تعرفين معنى ذلك. ولكن لا تدعي هذا يدفعك الى سوء التقدير، فلديك حظ وافر في أن يمضي كل شيء على ما يرام."

واضاف: "ولكن هناك مسألة التدخين. اذا تابعت التدخين في فترة الحمل فربما جاء طفلك أصغر حجماً وأقل صحة مما ينبغي."

بدأ الطمث لدى لوري في موعده تماماً في الشهر التالي والذي بعده. وبعد ذلك تأخر ثلاثة ايام وشعرت بالخيبة عندما جاءها بعد هذا التأخير.

واستمرت مواعيد الطمث منتظمة، ولكن بعدئذ تأخر طمثها بضعة أيام حدست على نحو ما أن ذلك لم يكن عرضاً. فاتصلت بعيادة الطبيب وطلبت اجراء فحص دم لها. وبعد ثلاثة أيام اتصل بها الطبيب وقال: "أهنئك."

(٢) الصبغي أو الكروموزوم خييط في نواة الخلية يحمل الجينات أو الخصائص الوراثية.

جهدت لوري لكبت مشاعرها والتصرف بواقعية فقالت: "انني الآن في الثامنة والثلاثين، وسأكون في التاسعة والثلاثين عندما أضع المولود. دعنا نتحدث عن الاخطار مرة ثانية." وفيما كان الطبيب يتكلم أطفأت هي سيجارة لم يحترق سوى نصفها ومدت يدها الى حقيبة يدها فأخرجت علبة السجائر وألقتها في سلة المهملات.

ولفتها الطبيب الى "ان الاخطار الآن لا تزال على المستوى الذي كانته قبل سنة. من الناحية الفنية تصنفك سنك حاملا على مستوى عال من التعرض للخطر. لكن ما يعنيه ذلك حقاً هو ان حظك في حمل ناجح يقف عند نسبة ٩٤ أو ٩٥ في المئة بدلا من ٩٧ في المئة، وتستطيعين تحسين هذه النسبة اذا عالجك اختصاصي بطب الأم والجنين."

وسألته لوري: "لو كنت زوجتك، الى أي اختصاصي كنت ترسلني."

فاجاب من دون تردد: "الى الشخص عينه الذي كنت على وشك أن أوصيك بالذهاب اليه للحال، الى الدكتور كرينشو في مستشفى جامعة ماريلاند."

معلومات مطمئنة

ان الفحص الحوضي هو حجر الزاوية في علم التوليد والطب النسائي. وليس ثمة فحص مخبري أو جهاز تصوير الكتروني يمكن أن يغني عنه. فالاجهزة والفحوص قد تضيف بعض الاجزاء من المعلومات الى الأحجية الكاملة، الا أن ما يراه الطبيب بعينيه ويتلمسه بيديه يبقى الاساس الذي يعمل غالباً بموجبه. فالاطباء يتعلمون ذلك بالممارسة وهم طلاب أو أطباء متمرنون. وبعد اجراء مئة فحص أو نحوها، اذا كانوا يقظين، يصبحون قادرين على كشف امور ذات أهمية في فحصهم.

ولدى بلوغه الثانية والخمسين من العمر كان كارليل كرينشو قضى ٣٥ سنة أو أكثر في ممارسة الفحوص الحوضية، أي منذ كان طالب طب في جامعة ديوك. انه يعرف كيف ينبغي أن يبدو كل شيء وأين يجب أن يكون ومتى يجدر به أن يقلق من شيء ما، والأهم من كل هذا يعرف متى ينبغي ألا يقلق.

ان علم التوليد، ومنه التوليد المحفوف بالاخطار العالية، ينطوي غالباً على الكثير من التحدّيات العسيرة. لكنه يبقى طباً عميم الفائدة، والاحتمالات ترجّح كفة النتائج الحسنة.

ويكمن السر في اكتشاف المرأة المعرّضة للخطر. ولهذا السبب مشى الدكتور كرينشو الى طاولة الفحص بعد لحظات من دخول لوري عيادته. وحتى وهو يعدّل وضع كرسيه كانت عيناه تستكشفان منطقة الحوض في جسد لوري وتلاحظان عدم وجود ندوب من أثر جراحة وتقدران محيط الوركين. وفحص الطبيب الجلد بحثاً عن طفح أو خدوش أو التهاب. وكان خليقاً بلوري أن تغضب لو درت أنه كان يبحث عن دلائل مرض زهري. غير أنها لكانت تصاب بالهلع لو علمت كم مرة عثر الطبيب فعلا على آثار مرض زهري بين النساء اللاتي فحصهن.

لم يعثر الدكتور كرينشو على أي أثر لعدوى أو التهاب أو دم أو قيح حول عنق

الرحم ولا على أي نتوءات غير عادية توحي وجود سرطان. لم يكن في عنق الرحم أي نتوءات، وهذه علامات مميزة في النساء اللواتي تعاطت أمهاتهن العقار Diethylstilbestrol الذي كان يظن انه يمنع الاسقاط وأضحى الآن مرذولا.

وبعدما أخذ الطبيب مسحة مهبلية (Pap Smear) للفحص، وضع قليلا من المرهم المعقم على القفاز الطبي الذي يغلّف يده اليمنى وأخذ يفحص عنق الرحم بأنامله: هل العنق طويل أو قصير، صلب أو رخو؟ هل هو في مكانه الصحيح؟ هل هناك نتوءات أو تورمات محتملة في أي جزء منه؟

في هذه الاثناء كانت يده اليسرى تضغط بطن لوري في محاولة لتحسس أسفله. ولم يفلح في ذلك. لا بأس، هذا أيضاً دليل على أنه في حال طبيعية. ولكن هل ثمة تكتلات توحي بوجود دمامل؟ لا. وهذا حسن.

قال الطبيب للوري وهو يبحث عن قناتي فالوب حول الرحم: "أخبريني اذا شعرت بألم." وهو لو عثر على احدى هاتين القناتين لكان ذلك دليلا سيئاً جداً. ولو شهقت لوري ألما لدى عثوره على احداهما لكان الأمر أخطر، فهذا دليل على حمل انبوبي، أي انزراع الجنين داخل احدى قناتي فالوب بدلا من الرحم، أو على وجود دمل في المبيض. لكن لوري ظلت هادئة ولم يشعر الطبيب بأي تورم في قناتي فالوب. كذلك المبيضان كانا في المكان الصحيح. وكان احدهما متضخماً قليلا، تماما كما يجب أن يكون لدى امرأة حملت قبل فترة قصيرة. وتوالت المعلومات الاخرى، كلها سلبية وكلها مطمئنة.

وتجمّعت الدلائل التي كشفتها أنامل الدكتور كرينشو في رأسه صورة مجسّمة لحوض المرأة. وكان الحوض مثالياً في سلامته: فشكله مناسب تماماً وهو على اتساع يكفي لخروج مولود في حجم عادي. ليس ثمة شيء ينذر بمخاض عسير.

ودفع الدكتور كرسيّه الى الوراء ونهض ثم قال للوري: "يبدو أن كل شيء على أحسن حال." ثم عاد الى مكتبه مضيفاً: "اتبعيني الى الغرفة المجاورة وسنتحدث."

قرارات

عندما دخلت لوري مكتب كرينشو وجدته منهمكاً في تعبئة استمارة. ونظر اليها من فوق نظارتيه وابتسم: "ليت جميع مرضاي في صحة مثل صحتك."

سرّت لوري بهذا الاطراء، لكن روح المحامي فيها تناولت الموضوع فقالت: "جئنا لنتحدث عن الاخطار."

استوى كرينشو في مقعده وقال: "ان احتمال وضع الأم، في أي سن كانت، طفلا مصاباً بعاهة خلقية رئيسية يراوح بين ٢ و٣ في المئة. ولكن في السن الثامنة والثلاثين..." وهنا نظر الى جدول أمامه موضحاً: "... التاسعة والثلاثين عندما تلدين طفلك، يراوح خطر الاصابة بعلة داون بين ٦ و١٠ في الألف، ويبلغ خطر الاصابة بأي نوع من التشوّه الكروموزومي نحو ١٢ في الالف.

"ان هذا في علم التوليد يعتبر نسبة

عالية من الخطورة. ولذا أوصيك بأن تحضري لاجراء استشارة خاصة بالوضع الكروموزومي، كذلك بأن يجري لك فحص ماء النخط الذي يسبح فيه الجنين وفحص السلى (Amniocentesis) لنتأكد من خلوهما من أي شيء غير طبيعي.

"واذا وجدنا خللا وراثياً خطيراً يتعين عليك أن تتخذي قراراً حول اسقاط هذا الحمل. ونرجو ألا تضطري الى اتخاذ مثل هذا القرار ابدا، لكن هذا شأن يجب أن تبحثي فيه مع زوجك، لأنك اذا قررت ألا تسقطي، مهما تكن الظروف، فلن يبقى داع لفحص ماء النخط."

وتابع الدكتور كرينشو: "أود أن أتأكد من أنك تضعين قضية هذا الخطر ضمن نطاقها الحقيقي. فحين نقول: مستوى عال من الخطورة، فاننا نتكلم عن نسبة خطر تبلغ نحو ٥ في المئة. انظري الى الأمر من الناحية المعاكسة، ان أمامك أملا يبلغ ٩٥ في المئة بأن يكون حملك طبيعياً وينتهي بولادة طفل في صحة تامة."

ثم تحدث عن الحمية والوزن والتمرين ضمن حدود معقولة وعن الادوية التي يجب أن تتجنبها لوري. وأشار عليها بالاتصال به هاتفياً اذا ساورها أي قلق على صحتها وقال: "اذا احسست بألم في المعدة، اتصلي بي حالا. اذا تبدّل مزاجكِ فجأة أو شعرت أنك متوترة الاعصاب ومضطربة، اتصلي بي. اذا وقع لك حادث سيارة، فقد يتطلّب الامر فحصاً فورياً بالذبذبة الصوتية العالية (Ultrasound exam) لنتأكد من أن الجنين بخير.

"هذا يوصلنا الى الحديث في مسألة مهمة: أحزمة السلامة في السيارات. هناك كثير من سوء الفهم في صدد هذه الاحزمة وفي ما اذا كان ينبغي أن تستعمليها أم لا. أجل، استعمليها."

عادت لوري الى المستشفى بعد انقضاء أربعة أسابيع. وهذه المرة التقت الدكتور ديفيد ناجي، وهو أحد اعضاء فريق الاختصاصيين بشؤون الحمل ذي الخطورة العالية الذين استدعاهم الدكتور كرينشو. وقرأ الطبيب لائحة المعلومات عن صحة لوري ثم تناول آلة بدت كأنها مسماع الكتروني.

أوضح الطبيب للوري أن الآلة هي مسماع دوبلر الذي يعمل من طريق بث اشارات "فوق صوتية" داخل جسمها وقياس موجات الصدى.

ألصق الطبيب الآلة بجسمها ثم رفع اليها السماعتين وهو يقول: "هل تريدين ان تسمعي؟"

سألت: "ما هذا؟"

قال: "اسمعي نبضات قلب طفلك."

وضعت لوري السماعتين على أذنيها فسمعت نبضاً سريعاً حاداً. فغمرتها فورة مفاجئة من المشاعر وترقرقت الدموع في عينيها ثم أعادت السماعتين الى الطبيب.

وأثار الطبيب مسألة فحص ماء النخط فقالت لوري: "فكرت في هذا الأمر كثيراً وبحثت فيه مع زوجي. الفكرة ترعبني، لكني أدرك أنها العمل المعقول."

قال الدكتور ناجي: "لن يكونَ الأمر بمقدار نصف ما تتوهمين. دعيني أعرّفك الى تريش باين."

تريش باين ممرضة يسميها الدكتور ناجي "مكتشفة أخطار الولادة." وهي أوضحت للوري لماذا تعتبر السن الخامسة والثلاثون الحد الذي تبدأ عنده مشاكل الكروموزومات.

قالت الممرضة: "اذا تيّسر لك أن تدرسي احوال عدد من النساء، أصبح في مقدورك قياس مدى الخطورة على نحو متلازم مع السن. نحن نعرف أن السن دون الثامنة عشرة تتسم بخطورة عالية جداً، كما نعرف أن السن بين الـ١٨ والـ٣٥ تمثل الفئة المتسمة بأقل مقدار من الخطورة. لكن الخطر في الواقع يبدأ في التزايد قبل الخامسة والثلاثين بزمن طويل.

"وفي أي حال ثمة خطورة ضئيلة تتصل بفحص ماء النخط كذلك. وهي تزيد الخطورة العادية بنسبة واحد في المئتين. فقط في السن الخامسة والثلاثين يتجاوز خطر الاصابة بعاهة وراثية هذه النسبة."

وسألت لوري: "تعنين أني لا أستطيع اجراء فحص ماء النخط الا اذا تجاوزت الخامسة والثلاثين؟"

اجابت الممرضة: "لا، اي امرأة يمكنها أن تجري هذا الفحص. لكننا نوصي بعدم اجرائه."

ثم قالت الممرضة ان الخطوة التالية تقضي بجمع معلومات عن تاريخ العائلة بحيث تستطيع آن جويل، مستشارة الشؤون الوراثية في المستشفى، تحديد مدى احتمال اصابة الطفل بأي عاهة وراثية.

وفي الليالي التالية أجرى بيل ولوري مشاورات منفردة مع أقاربهما عبر الهاتف للحصول على المعلومات المطلوبة. وحين استقبلتهما جويل بعد ثلاثة أسابيع بادرتهما بالقول: "انه تاريخ عائلي واف جداً. ليس ثمة ما يوحي بخطر غير عادي."

صور على الشاشة

التصوير بالذبذبة الصوتية العالية تمهيد ضروري لفحص ماء النخط. ومع انه ليس أدق الوسائل لفحص الجنين النامي فانه الأسلم. وآلة التصوير الصوتي تشبه جهاز الاستشفاف الصوتي العالي الذبذبة (Sonar transducer) الذي يبث موجات صوتية ويقيس ما يرتد منها. وفي الجسم البشري يبعث اتصال نسيجين مختلفين أصداء. والنبضات الآتية من هذه الاصداء تلقم دماغاً الكترونياً عالي السرعة فيظهرها صوراً على شاشة متوهجة.

في الاسبوع السادس عشر وصل الزوجان لوري وبيل الى المستشفى لاجراء هذا الفحص الحاسم. وأبدلت لوري بألبستها العادية ثوباً خاصاً وعرّفتها آن جويل الى الاختصاصية بالتصوير الصوتي.

وبعد محادثة وجيزة طلت الاختصاصية ظاهر بطن لوري بمادة لزجة وادارت جهاز التصوير ثم تناولت آلة تشبه "المشط الحامي" الذي تستعمله النساء لتجفيف الشعر. وانبعث من الآلة أزيز خافت حاد النغمة. عندئذ أدخل بيل الغرفة وخفتت الاضواء. وألصقت الاختصاصية الجهاز ببطن لوري وباشرت العمل. كانت الصور الاولى التي التمعت على الشاشة مشوشة وغير واضحة، فيما الاختصاصية تحرك

الجهاز ببطء جيئة وذهاباً على بطن لوري وهي تحرفه من جهة الى أخرى.

أخيراً عثرت على النقطة التي تبحث عنها، فأوقفت الجهاز فوقها تماماً وضغطت زراً. وتجمدت الصورة على الشاشة وصدرت قرقعة وخرير فيما الصور تسجل على فيلم. ونقلت الاختصاصية الجهاز الى موقع آخر فاستمرت القرقعة.

وحين ظهرت الصورة التالية انحنت جويل الى الامام وأشارت الى نقطة على الشاشة وقالت: "هذا قلب الجنين."

وأضافت: "انه يبدو طبيعيا." ثم ضغطت زراً فتجمدت الصورة وأعقبت ذلك قرقعة وخرير. وشعر بيل ولوري بالخيبة حين أضيئت الانوار ثانية.

فحص ماء النخط في علم التوليد الحديث ليس بدعة. فالاطباء والعلماء كان يسحرهم دائماً ذلك السائل المتكوّن في السلّى، أي الغشاء الداخلي الذي يحوط الجنين ويحتوي على خلايا جنينية.

وفي وسع العلماء اليوم أن يتكهنوا بالعاهات الوراثية والأيضية من طريق تحليل ماء النخط. ولما كان هذا الماء يحوي عدداً قليلا جداً من الخلايا الجنينية لا يكفي لكشف أي خلل في الكروموزومات، فمن الواجب زرع هذه الخلايا في المختبر على مدى بضعة أسابيع ثم تصوّر بمجهر قوي. وبما أن لكل كروموزوم مواصفات خاصة فمن الممكن تمييز الكروموزومات وترتيبها في ٢٣ زوجاً تمهيداً لدرسها.

وسيتولى الدكتور ماركوس بابكن تحليل ماء النخط لدى لوري.

وحين وصل الدكتور بابكن الى جناح التصوير الصوتي وقف بضع لحظات متأملا الصور التي أخذت للوري والتي كانت معلقة على ألواح مشعة. وأخذ يتكلم مع الاختصاصية بالتصوير.

كانت لوري ممددة على الطاولة وساقاها مستورتان بغطاء. ووقفت آن جويل الى الناحية الاخرى من الطاولة ووقف بيل عند رأس لوري. وفيما أخذ بابكن يحادث مريضته صححت جويل وضع الغطاء ورفعت ثوب لوري لتكشف وسط جسمها. وأدارت الاختصاصية الجهاز الصوتي، ومرة ثانية أضاءت الغرفة أنوار زرقاء خافتة. وألصق جهاز التصوير ببطن لوري، وهذه المرة لاح لها ما بدا بوضوح وجه طفل.

هذا هو الهدف

كانت المهمة الاولى العثور على جيب من ماء النخط أبعد ما يكون عن الجنين. اما المهمة الثانية فكانت تحاشي المشيمة وحبل السرة، اذ ان دم الأم والجنين يمر عبر الاثنين ويفصل بينهما غشاء لا تتجاوز كثافته حجم خلية واحدة. كما كانت المشيمة (الخلاص) في مكانها الطبيعي على الجانب الايمن من الرحم. والجيب من ماء النخط الذي ظهر في الصورة كان في أعلى بطن لوري قرب الية الجنين.

رفعت الاختصاصية الجهاز وضغطت بأصبعها بطن لوري. ثم مع عودة الانوار الى الغرفة رفعت الاختصاصية اصبعها وألصقت في المكان نفسه قطعة من البلاستيك مخروطية الشكل. وحركت

القطعة بين أصابعها برهة وجيزة قبل أن ترفعها وقد تركت على الجلد دائرة حمراء صغيرة.

قال الدكتور بابكن: "هذا هو الهدف. لقد وجدنا جيباً كبيراً مناسباً من ماء النخط تحت هذه البقعة تماماً وقطره حوالى أربعة سنتيمترات."

وبعد تطهير ظاهر بطن لوري ثلاث مراتٍ بمحلول معقّم رفع بابكن أنبوباً زجاجياً يحوي مادة ليدوكايين وهو مخدّر موضعي. وقال للوري: "الجميع يقولون ان هذا أسوأ جزء من العملية. ستشعرين لهنيهة بوخزة كلسعة نحلة."

أمسك الطبيب بالأبرة في وضع أفقي تقريباً ثم غرزها تحت الجلد. وارتجفت لوري قليلا وشهقت من دون أن تنبس بكلمة.

استدار بابكن نحو طبق أبيض من البلاستيك وتناول أنبوباً دقيقاً وطويلا من البلاستيك فلوى طرفه ثم سحب من داخله ابرة طولها ١٣ سنتيمتراً. وحرك الابرة فوق الدائرة الحمراء التي ارتسمت على بطن لوري وقد بهت لونها قليلا. وبعد ذلك وضع سبابته على قمة الحقنة ثم قبض بابهامه واصبعه الوسطى على قصبتها واخذ يضغطها نزولا حتى بلغ نقطة على عمق أربعة سنتيمترات من رأس الابرة. عندئذ وبحركة بطيئة وهادئة ضغط قمة الحقنة فيما هو يغرز رأس الابرة في لحم لوري.

لم تشعر لوري بالوخزة لكنها أحست الضغط. وفجأة اندفعت الابرة نزولا حتى لامست ابهام بابكن واصبعه الوسطى جلد لوري. وهكذا انغرزت الابرة الى عمق أربعة سنتيمترات تماماً في الجسم.

ومن دون أن يرخي بابكن قبضته نقل سبابته عن قمة الابرة وأخذ باليد الاخرى يسحب من داخل الابرة سلكاً صلباً من الفولاذ الذي لا يصدأ يسمى المرود (Stylet). وهذا السلك يملأ تجويف الابرة

تماماً ومهمته منع انسداد مجرى الابرة بخلايا الانسجة فيما هي تنغرز في لحم الأم.

وناولت جويل الدكتور بابكن حقنة صغيرة. وبحركة سريعة وصل بابكن الحقنة بالابرة ثم جذب مكبسها فامتلأت بسائل نقي مصفر قليلا. وبهذه الطريقة ملأ حقنتين أكبر من الاولى ثم ثالثة أصغر منهما.

بعد ذلك استوى قائلا: "حسناً، انتهى الامر." ثم أمسك قصبة الابرة بيده اليمنى وضغط الجلد بأصبعين من يده



اليسرى حول الابرة المغروزة في اللحم وجذبها بخفة. وظهرت نقطة صغيرة من الدم حيث كانت الابرة، فوضع بابكن على المكان قطعة من القطن مبللة بالكحول.

أفلتت لوري يد بيل وأحست أن يدها تنضح عرقاً. ثم أغمضت عينيها.

وكانت اختصاصية التصوير غادرت الغرفة، فتناول الدكتور بابكن جهاز التصوير الصوتي لاجراء فحص اخير.

ومرة ثانية خفضت الاضواء، ومرة ثانية رأت لوري صوراً شبحية لطفلها الذي لم ير النور بعد. وفيما هي تراقب نقل بابكن الجهاز أمكنها أن ترى قلب طفلها ينبض. وتمتم الطبيب: "حسناً، حسناً. يبدو أن الطفل في أحسن حال."

أيام القلق

كان انتظار نتائج فحص ماء النخط بالنسبة الى لوري أشق مراحل هذه العملية كلها.

ونهار الاربعاء من الاسبوع الثامن عشر من الحمل حضرت لوري لاجراء الفحص الدوري وهي تحمل زجاجة مليئة بالبول المأخوذ في الصباح الباكر. وأقرت بأن شيئاً من القلق يساورها حول نتائج الفحص المنتظر. وتساءلت: هل ثمة طريقة لتقدير الوقت الذي سيستغرقه ذلك الفحص؟ فأجاب كرينشو: "لا بد من أن تبلغي خبراً خلال الاسبوع المقبل أو في غضون عشرة أيام."

وبعد ثلاثة أسابيع ويومين من أخذ عينة ماء النخط فتحت آن جويل ملفاً باسم "ادواردز" وألقت نظرة على التقرير داخله ثم مدت يدها الى الهاتف.

في لحظات التوتر الشديد يبدو الوقت كأنه الأبد. انها معاناة الهلع. وأدركت آن ذلك وهيأت نفسها لتكون عباراتها الافتتاحية مناسبة. وعندما ردت لوري سمعت صوت آن جويل: "مرحباً، أنا آن. أخبار سارة. كل شيء على ما يرام."

في الناحية الاخرى من المدينة وعلى الطرف الآخر من الخط مسحت لوري دمعة ثم قهقهت. فهي كانت اعدت نفسها لكل الاخبار السيئة. لكن الفرحة عقدت لسانها الآن.

وأخذ بطن لوري يتضخم بسرعة. وكان وزنها يزداد بمقدار كيلوغرام واحد كل شهر. ولكن الآن أخذ معدل الزيادة يتسارع ليصل الى كيلوغرام ونصف كيلوغرام شهرياً. وأخبرت الدكتور كرينشو بذلك عندما حضرت للفحص الدوري في أسبوعها الثاني والعشرين، فاوضح لها ان هذه الزيادة طبيعية.

ولم يكن فحص الاسبوع السادس والعشرين مختلفاً جوهرياً عن سابقاته في سوى أن لوري امتنعت عن تناول الفطور ذلك الصباح بناء على تعليمات الطبيب. وكان الدكتور بابكن يقوم مقام كرينشو في ذلك اليوم وطلب أن يجرى لها فحص للسكري. فمرض السكري يظهر فجأة في اثناء الحمل حتى بين النساء اللواتي لم يسبق لهن أن أصبن به واللواتي بقي مستوى السكر في دمهن طبيعياً نسبياً في مراحل الحمل الاولى. وتعرف هذه الحالة باسم "سكري الحمل" وتزول بعد الولادة.

الا ان داء السكري يسبب مضاعفات عدة. وأسوأ هذه المضاعفات والتي من

أجلها يجرى الفحص الآن، انه خلال الاسابيع أو الايام الاخيرة من الحمل تموت أجنة الامهات المصابات بالسكري فجأة داخل الرحم ومن دون انذار.

وتكثر النظريات حول سبب هذا الطارىء، وقد تناهى الى بابكن الكثير منها. لكن الحقيقة هي أن لا أحد يعرف تماماً لماذا تموت هذه الاجنة. ويعرف أطباء التوليد أن أسلم طريقة في هذه الحالات هي احداث المخاض عمداً أو اجراء جراحة قيصرية حالما تثبت الفحوص اكتمال نمو رئتي الجنين.

في هذه الاثناء تكون الخطوة الاولى تحديد العوامل المعرضات للخطر. وقد تخطت لوري هذه المرحلة بسلام.

حال طارئة

استمرت حياة بيل ولوري طبيعية. وبعد المضاجعة كان بيل يحب أن يستلقي في عرض السرير واضعاً رأسه على بطن لوري كما لو كان وسادة وثيرة. وفيما هو مستلق هكذا في اليوم الخامس من الاسبوع الحادي والثلاثين من حمل زوجته لاحظ أن شيئا ما ليس على ما يرام.

فقال لزوجته وهو يحف أذنه على أحد جانبي بطنها: "عجيب. هذا الجانب صلب كالحجر. هل أنت تشدين عضلاتك عمداً؟"

فردت لوري مستغربة وهي تتحسس بطنها حول السرة: "أفعل ماذا؟" ثم هتفت: "انك على حق. لم ألاحظ ذلك من قبل. لكني لا أشعر بأي ألم. عجيب. ربما بدأ طلق الولادة."

قال بيل: "توهمت أنك مصابة بتسمم في الدم وبداء السكري وبسرطان عنق الرحم و..." كان يتكلم ويعد هذه الادواء على أصابع يده.

واشارت لوري الى ان التصلّب بدأ يرتخي. وسألت زوجها: "هل تود أن تتحسس الفرق؟ كان صلباً جداً من قبل".

وكانا على وشك الاغفاء حين عاد التقلّص.

وكانت يد بيل لا تزال ملقاة على بطن لوري حين شعر أن العضلات تحت كفه تتقلص من جديد فصاح: "آه... آه..."

ومدت لوري يدها لتتناول الهاتف.

اتجهت الممرضة الى مركزها وجلست بعياء في مقعد خشبي عال. كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة والنصف مساء حين رن جرس الهاتف فمدت الممرضة يدها اليه وقالت: "هنا غرفة التوليد."

كان المتكلم الدكتور كرينشو الذي ابلغ اليها بهدوء ان لديه مريضة خاصة اسمها لورا ادواردز شعرت بطلق الولادة وأصابها تقلّصان فصلت بينهما عشرون دقيقة. انها في الاسبوع الحادي والثلاثين من الحمل وهي في طريقها الى المستشفى. وطلب من الممرضة أن تحضر ملف ادواردز وتخبر الاطباء المداومين في المستشفى ليتأكدوا من وجود سرير خال في قسم "العناية الفائقة" في جناح التوليد.

وصل الزوجان بيل ولوري في الساعة ١١،٥ مساء. وبعد أقل من دقيقتين كانت لوري ممددة على ظهرها على طاولة الفحص. وبينما الممرضة تقيس ضغط الدم أخذ الطبيب المقيم في المستشفى يمطّر لوري بالاسئلة. نعم، انها لا تزال تحس التقلّصات التي تتعاقب على نحو

أسرع الآن. لا، لم يخرج أي ماء من الرحم. نعم، وجدت بقعة دم حين خلعت ملابسها.

قال الطبيب للممرضة: "جهزي حقنة وريدية للحال." ثم تحول الى لوري: "دعيني أفحص عنق الرحم لأرى ما اذا كان بدأ يتمدد."

وبعد الفحص أخذت الممرضة عيّنة معقمة من البول الذي استخرجته من المثانة بأنبوبة طبية، ثم عادت وعلّقت الابرة الوريدية في ذراع لوري اليسرى. وأبلغ الطبيب المقيم الى الدكتور كرينشو ان عنق الرحم متمدد قليلا لكنه متضائل ومسترقّ بمقدار ٥٠ في المئة. وكان الطلق يتوالى مرة كل ست دقائق. وباشر الطبيب اعطاء لوري السوائل وأرسل عيّنات من الدم والبول الى المختبر. وتمتم كرينشو معبرا عن رضاه ثم قال: "اذا لم يستجب الطلق للسوائل في وقت قصير باشر اعطاءها عقار ريتودرين وأبلغني للحال. واذا لم يجدِ هذا فسأنزل الى المستشفى لأولّدها. هل استفسرت عما اذا كان هناك سرير خال في جناح التوليد؟"

أجاب الطبيب المقيم: "أجل يا سيدي. جميع الاسرة مشغولة وقالوا لي انه ليس لديهم متسع للمزيد."

ران صمت طويل على الطرف الآخر من الخط. كان كرينشو والطبيب المقيم يعرفان معنى ذلك. ففي الاسبوع الحادي والثلاثين يواجه المولود احتمالا يفوق ٩٠ في المئة بالعيش بالعناية الفائقة في جناح التوليد. لكن حظه في الحياة ضئيل من دون هذه العناية.

وأخيراً تنهد كرينشو وقال: "سأتحدث اليهم. أما أنت فحاول أن توقف الطلق."

ان عقار الريتودرين بالنسبة الى حامل في المخاض المبكر قد يكون العقار المعجزة لايقاف تقلصات الرحم، غير أن له في الوقت عينه اعراضاً جانبية خطيرة. ويتيسر عادة تجنب هذه المضاعفات بتعيير الجرعة بعناية، لكن هذه المعالجة لا تخلو من الخطر، ولذا أحجم الاطباء عن اللجوء اليها قبل افهام بيل ولوري حجم الخطر والحصول على موافقتهما.

ووافق بيل ولوري على استخدام العقار.

خبر سار!

خلال دقائق نصب عمود ثانٍ بجانب سرير لوري في غرفة التوليد علق عليه جهاز الكتروني صغير أزرق للتعيير. وفي الدقائق العشر الاولى أعطيت لوري جرعة من الريتودرين بمعدل ١٠٠ ميكروغرام في الدقيقة (الميكروغرام يساوي جزءاً من مليون من الغرام) وهي أدنى جرعة فاعلة. وأعلى جرعة يوصى بها تكون بمعدل ٣٥٠ ميكروغراماً في الدقيقة، وعند هذا المستوى قد تكون للعقار أعراض جانبية حادة، لذا فثمة اعتبار آخر حاسم: انه معدّل نبض لوري. فاذا فاق المعدل ١٤٠ نبضة في الدقيقة وجب خفض الجرعة، وحينئذ قد تضع لوري مولودها.

كان الطبيب المقيم والممرضة في حركة دائمة. وكان أحدهما ملازماً لوري لفحص نبضها باستمرار والتدقيق في شريط من الورق يخرج من جهاز مراقبة الجنين بحثاً عن أي دلائل تشير الى أن

الجنين يعاني ضيقاً ولاحتساب الفواصل الزمنية بين التقلصات الرحمية.

وأحست لوري بطلق بعيد اعطائها العقار أعقبه طلق آخر بعد ست دقائق واستقر نبضها على معدل ١٠٠ في الدقيقة. وبعد اربع دقائق زادت الممرضة الجرعة الى ١٥٠ ميكروغراماً وبعد أربع دقائق أحست لوري تقلصاً جديداً. النبض ١٠٥. وبعد ست دقائق دهمتها آلام طلق آخر. وزادت الممرضة الجرعة الى ٢٠٠ ميكروغرام وارتفع النبض الى ١١٥. وبعد ست دقائق أخرى أحست لوري طلقاً جديداً. وانتظرت الممرضة أربع دقائق ثم رفعت الجرعة الى ٢٥٠ ميكروغراماً.

مرت دقيقتان والممرضة تراقب الجهاز ويدها على بطن لوري. انها تراقب النبض: ١٢٠ نبضة في الدقيقة والسرعة منتظمة. انتظار. ست دقائق ونصف دقيقة. النبض ١٢٠ ومنتظم. سبع دقائق. انتظار. سبع دقائق...

عاد الطلق بعد ثماني دقائق فهتفت الممرضة جذلا. الاصول الطبية الصحيحة كانت تقضي بأن الوقت مبكر جداً لطمأنة لوري وبيل، لكن الممرضة لم تقو على اخفاء فرحتها فقالت: "لا يمكنني أن أعدكما بشيء، لكني أظن اننا نجحنا."

وتركت جريان العقار عند حد ٢٥٠ ميكروغراماً وجلست تنتظر. وبعد تسع دقائق ونصف دقيقة عاد الطلق. وبقي النبض مستقراً على ١٢٠.

دخل الطبيب المقيم وبدا مسروراً. واتصل بالمختبر ثم ابلغ الى لوري وبيل النبأ السار الآتي: "انها مصابة بالتهاب في البول."

وسألت لوري متعجبة: "وهل هذا خبر سار؟"

فأجاب الطبيب: "بكل تأكيد. قد يكون الالتهاب هو الذي سبب الطلق."

وبعد دقائق أضافت الممرضة كيساً ثالثاً من السوائل الى شبكة الاجهزة والحقن الوريدية المعلقة بسرير لوري، وكان يحوي المضاد الحيوي أمبيسيلين وهو نوع اصطناعي من البنيسلين.

وعاد الطلق بعد ١٢ دقيقة ثم بعد ١٧ ثم ٢١ وأخيراً توقف.

فحص "الجرَس"

لزمت لوري الفراش في بيتها طوال الاسبوع. وكانت تتناول الريتودرين من طريق الفم جرعة كل أربع ساعات. وفي الاسبوع التالي فحصها الدكتور كرينشو ووجد أنها تعافت، لكنه اشار عليها بالبقاء في الفراش كلما أتيح لها ذلك لاسبوع آخر ومواصلة تناول الريتودرين.

في تلك الليلة حضر الزوجان أول صف تثقيفي عن الولادة قدمته تريش باين في جناح المكاتب في المستشفى. وكانت الغاية من هذا الصف تعريف المتزوجين - وكان هناك ثمانية ازواج - الى عملية الولادة وجعلها تجربة ايجابية الى أقصى حد ممكن. وعرضت تريش في البداية شريطاً مصوراً تخللته مناظر وافية في غرفة التوليد. وفي نهاية العرض لم يبق جزء من تجربة الولادة لم يعرض مرة واحدة على الأقل. وأبرزت تريش أسلوب الاسترخاء، وفي جلسات تالية درّبت المشاهدات على تمارين التنفس التي تساعد في المخاض.

واستقرت زيارات المستشفى على وتيرة أسبوعية منتظمة للفحص أولا ومن ثم لحضور الصف التثقيفي. وبعد ذلك أبلغ كرينشو الى لوري أنها تستطيع العودة الى العمل نصف نهار فقط. وفي الصف تحدث الحاضرون عن المشيمة وتمرنوا على التنفس.

وألفت لوري عادات جنينها في هذا الوقت، حتى انها تعلقت بها على نحو ما. وبدا أن الجنين يستطيب الحركة من أي نوع كانت. فكلما سارت لوري أو جلست تترجح في كرسي هزاز لزم الجنين الهدوء التام. ولكن اذا جلست هادئة في كرسي أو استلقت على السرير، أصبح قلقاً وغير مستقر. وفي بداية الامر كانت لوري تحس داخلها ملامسات خفيفة كما لو كان الطفل يتمطى، ثم يعقب ذلك عدد من الضربات المتقطعة، بعضها على درجة من القوة تبهر الانفاس.

ودأبت لوري على الذهاب الى عملها كل يوم وحضور الاجتماعات وهي جالسة في كرسي هزاز. أما بعد الظهر فكانت تقرأ بنهم خلال ما أصبحت تعتبره فترات هدوئها. وذات يوم غلبها الوسن وهي تقرأ خطة مضجرة لتنظيم شركة. ونامت نحو ساعة. ثم أفاقت متعجبة لانها استطاعت أن تغفو، فالجنين لم يكن يدعها تنام.

والواقع ان الجنين كان هادئاً بعد ظهر ذلك اليوم. وانتظرت لوري مترقبة بانتباه. الطفل لا يتحرك. ولما لم تصدر منه أي حركة حتى الثالثة والنصف عصراً تناولت الهاتف. وأشار عليها الدكتور بابكن بأن توافيه الى عيادته: "من واجبك أن تكوني دائماً يقظة." وكان ينوي أن يتأكد من أن المشيمة ما زالت تؤدي وظيفتها على النحو الصحيح.

المشيمة (Placenta) فريدة في طبيعتها ضمن فيزيولوجيا الكائنات الثديية. انها العضو الوحيد في الدنيا الذي يطرح بعد أن يؤدي وظيفته. انها آلة بيولوجية تستخدم مرة واحدة ثم تطرح.

انها، بمعنى أيضاً، طفيلية، لأنها تمتص الاوكسيجين والمغذيات من مجرى دم الأم ثم تضخ فيه النفايات الجنينية. لكنها تنتج أيضاً الهرمونات التي تتفاعل مع هرمونات الأم لتأمين حمل مستقر. والأهم من كل شيء أن المشيمة، مع الغشاء الجنيني، يشكلان حاضنة صغيرة، أي بيئة محمية، تتكوّن فيها حياة جديدة.

والمشيمة، انسجاما مع حقيقتها كعضو يطرح من الجسم، ليست مكوّنة لتدوم. فالقلب والكلية عضوان وجدا ليصمدا مدى الحياة، أما المشيمة فالحاجة اليها تقتصر على دوامها لمدة ٤٠ أسبوعاً في المتوسط.

وتكوين المشيمة يجعلها تنتهي عند هذا الحد. فبعد ٤٠ أسبوعا تظهر على معظم المشيمات دلائل الضمور. وفي الاسبوع الثاني والاربعين يبدأ القلق يساور المولّدين، اذ ان المشيمة التي ينقضي عليها ٤٢ أسبوعاً لا يمكن الوثوق بها. ويعمد كثيرون الى احداث المخاض اصطناعياً في الاسبوع الثاني والاربعين مفضلين ذلك على الوثوق بصمود المشيمة.

وثمة ثلاثة أنواع من الفحوص التي

يستطيع الدكتور بابكن اجراءها. واثنان منها موثوق بهما جداً لكنهما يستغرقان وقتاً طويلا وهما مزعجان ومكلفان ومحفوفان بالخطر. أما البديل الثالث فيعرف طبياً باسم "فحص الايقاظ بواسطة الصوت" (٣) وهو فحص غير مرهق للجنين لكن موظفي المستشفى يدعونه ببساطة "فحص الجرس" (Gong Test).

جنون الارتياب

أدخلت لوري غرفة التوليد الخالية حيث ساعدتها ممرضة لتصعد الى السرير وطلبت منها أن تكشف عن بطنها. وبعد ذلك حزمت الممرضة حول البطن جهازاً حساساً لمراقبة قلب الجنين وأدارت زراً فتصاعد من الجهاز أزيز وأخذ يرسم خطاً متعرّجاً يمثل نبضات قلب الجنين على شريط متحرك من الورق.

ورفع بابكن أسطوانة من المعدن سوداء اللون داخلها مكبر للصوت، وقربها من أذنه ثم ضغط زراً مرة واحدة ليتأكد من أنه يعمل على نحو صحيح. وبعد ذلك وضع الاسطوانة على بطن لوري على مسافة قصيرة من رأس الجنين.

في الاسبوع الثلاثين من الحمل يكون الجهاز السمعي لدى الجنين تطوّر الى حد التمام، لكن كل ما يسمعه الجنين عادة في هذه الفترة يقتصر على نبض قلب أمه وقرقرة امعائها ورنة صوتها حين تتكلم. وعندما ضغط بابكن الزر ملأ الرحم رنين حاد. هذا الرنين ليس عالياً لكنه غير عادي بالنسبة الى الجنين.

انتفض الجنين داخل الرحم وركل.

وفوجئت لوري فشهقت عندما سدد طفلها اصابة مباشرة الى الحجاب الحاجز. وقالت: "أنا أعرف اني مصابة بجنون الارتياب."

فعلّق بابكن: "يمكنك أن ترتابي كما تشائين." ثم ضغط الزر ثانية فركل الطفل مرة اخرى داخل الرحم وقال: "في ما يختص بطفلك لا يسعك أبداً أن تكوني يقظة أكثر مما ينبغي."

وقام بابكن وأعاد مكبر الصوت الى مكانه ثم قطع شريط الورق الذي كان بارزاً من جهاز المراقبة وابتسم.

وخاطب لوري وهو يشير بيده: "أنظري هنا. انها رائعة. كل واحدة منها رائعة." ففي كل مرة تحرك الجنين كان الخط الذي يرسم نبضات قلبه على الورق يقفز ثم يستقر. وأضاف: "ان الطفل على خير ما يرام."

من العسير تحديد لحظة بدء المخاض. لكن كل كتب الطب تقول ان المرحلة الاولى تبدأ بتضاؤل وتوسع مطردين في عنق الرحم تجاوباً مع تقلّصات الطلق.

وتعلّمت لوري في الصف التثقيفي شيئاً واحداً: ان المخاض هو تماماً ما تعنيه هذه الكلمة، أي الجهد الشاق. وكانت تريش باين تقول: "نعم، انه مؤلم. وكل ما في العالم من تنفس عميق واسترخاء لا يمكن أن يجعله غير مؤلم. وكل ما نرجوه هو أن تدركوا أن الألم جزء طبيعي من الولادة، ويجب أن تتفهمه الام وتقبله، لأن توتر عضلاتها لا يؤدي الا الى تفاقم الألم."

---

(٣) Acoustic Stimulation Non — Stress Test

بدأ الطلق لدى لوري بعد تناول الفطور صباح يوم الأحد من الاسبوع التاسع والثلاثين من حملها. فنادت بيل.

قاس بيل بساعته تواتر التقلّصات، فوجد أنها تتوالى بفاصل زمني يراوح بين ١٥ و١٢ دقيقة. وجلسا ليلعبا الشطرنج، ثم قامت لوري للتمشي مع بيل. وفي الثانية بعد الظهر أخذ الطلق يتوالى بفاصل سبع دقائق ويزداد حدة. وحين تسارع الى تواتر من خمس دقائق اتصلت لوري بالدكتور كرينشو.

الرصانة والحبور

في طريقها الى المستشفى أخذت تفكر في أنها لم تمر بمثل هذه التجربة من قبل. فالطلق كان مزعجا، بل مؤلماً، انما لم يكن خاليا من شعور بالسرور. وما لفتها كان ذلك الشعور الغريب بالرصانة والحبور في آن. كانت متنبهة جداً لأخف الاصوات ولما يعتريها من أحاسيس، الا ان تنبهها العالي لم يكن مترافقا مع أي شعور بالذعر. كانت واثقة بأن كل شيء سيجري حسبما ينبغي.

ومن جهة اخرى كان بيل على وشك الانهيار. كان الوقت أصيل الأحد والسير خفيفاً على الطرق، لكن بيل كان يقود سيارته بتوتر فينحرف يمنة ويسرة ليتحاشى السيارات الاخرى ويطلق النفير ويشتم في حال من الهياج. وتأكدت لوري من سلامة حزام الأمان حولها وهي تهيب بزوجها ان يتمالك أعصابه. فامامهما متسع من الوقت.

قالت الممرضة وهي تسير أمام لوري الى غرفة الفحص: "تعالي يا حبيبتي. يجب أن نتمم الاجراءات الأولية ونلبسك ثوب المستشفى."

وفيما ذهب بيل ليوقف سيارته في المرأب أخذت الممرضة عيّنة من بول لوري وأخرى من دمها. وقاست حرارتها وضغط دمها. وبعد ذلك دخل الدكتور ناجي غرفة الفحص، وفيما هو يتكلم أخذ يضغط بطن لوري بيديه باحثا عن مكان الجنين.

قال الطبيب: "يجب أن افحص عنق الرحم في أثناء الطلق. آسف لأن هذا أشد الاوقات ازعاجاً لك."

انه على حق. فالفحص كان مزعجاً. وحين كانت أصابع الدكتور ناجي تضغط من جهة كان رأس الجنين يضغط من الجهة المعاكسة. وبلغ الألم الدرجة السادسة وفق مقياسها الوهمي المؤلف من عشر درجات. ولكن حين سحب الطبيب أصابعه هبط الألم الى الدرجة الثالثة أو الرابعة التي كان عندها قبل الفحص. وتنفست لوري الصعداء.

وفي ما بعد شدت الممرضة والطبيب المقيم جهاز مراقبة على بطن لوري لتسجيل نبضات قلب الجنين. وتواتر الطلق متلاحقاً. وبعد فترة عاد الدكتور ناجي وفحص شريط الورق البارز من جهاز المراقبة باحثاً عن اشارات "التباطؤ المتقدم" أي الانخفاضات في الخط المرسوم على الشريط التي تنذر بأن الجنين يعاني نقصاً في الاوكسيجين. ولم يجد أياً من هذه الاشارات. ولكن هل الامر كذلك حقاً؟ كانت ثمة اضطرابات أعقبت آخر طلق اعتراها، في مرتين متعاقبتين.

قال الطبيب: "أشعر ببعض القلق بسبب هذه الاشارات. واذا لم يكن لديك

مانع فسأتحول الى جهاز مراقبة داخلي واستعين بقطب كهربائي على فروة الرأس. فهذه توفر لي اشارات أضمن."

وخرج لدقائق وعاد حاملا أنبوباً من البلاستيك برزت من أحد طرفيه أسلاك دقيقة حمراء وخضراء. ولبس قفازين وأخذ يدخل الانبوب في جوف لوري حتى شعر أن الانبوب لامس قمة رأس الجنين. وعندئذ أدار مقبضاً بيده اليسرى فاخترق ملقط دقيق الطبقة الخارجية من فروة رأس الجنين ليثبت جهاز المراقبة في مكانه.

متعة الولادة

في هذا الوقت أصبح الطلق يتواتر بفاصل ثلاث دقائق، وصدرت عن لوري أنّة ألم حين دهمها تقلّص قوي جداً. ولم يفه بيل بكلمة لكنه مد يده يلامس بلطف بطن زوجته ويدغدغه بأصابعه. واسترخت لوري وأطلقت تنهدة عميقة ثم قالت برقة: "آه، هذا حسن."

وحين عاد الدكتور ناجي ليفحص اشارات الجهاز وجدها أكثر استقراراً من ذي قبل، لكنها أظهرت انخفاضات طفيفة بعد كل طلق. فقال للزوجين وهو يشير الى الخط المتعرج: "هذا ليس مقلقاً جداً لكنه كاف ليجعلني حذراً. أود أن آخذ عينة دم صغيرة من فروة رأس الطفل. ومن المؤسف أن هذا أيضاً سيكون مزعجاً لك."

واعترفت لوري: "اني منزعجة في أي حال. ولا أظن أن زيادة قليلة من الازعاج ستضر بي."

وفيما الممرضة تغسل فخذي لوري بمطهر بني فتح الدكتور ناجي حقيبة معدات طبية وأخرج أنبوباً مخروطياً أبيض من البلاستيك. وأدخله بيده اليمنى الى جوف لوري وأخذ يضغط بلطف واطراد حتى شعر أن رأسه لامس فروة الجنين.

وناول الطبيب المقيم الدكتور ناجي زجاجة رش فزرق منها على رأس الجنين بضع قطرات من سائل سريع التبخر. وانتفخت المجاري الدموية في فروة رأس الجنين تجاوباً مع البرودة المفاجئة من التبخر. عندئذ أدخل الدكتور ناجي مبضعاً في المخروط وفتح بعناية شقاً صغيراً في أحد شرايين فروة الرأس فبرزت للحال قطرة دم. وأبدل بالمبضع أنبوباً طويلا من الزجاج وسحب عينة صغيرة جداً من دم الجنين. وسرعان ما تقلصت مجاري الدم في فروة الرأس مع عودة الدفء اليها وتقلصت قطرات الدم. لكن الطبيب كان حصل على كل ما يريد. ودفع الانبوب الزجاجي الى الطبيب المقيم وأخرج المخروط البلاستيكي. وتنهدت لوري عميقاً من دون ان تقول شيئاً.

قال الدكتور ناجي: "انتهى كل شيء، وسنرى النتائج في دقائق."

في مختبر صغير في الناحية الاخرى من القاعة وضع الطبيب المقيم الانبوب الزجاجي في جهاز الكتروني يقيس مستوى الحموضة والقلوية (PH) في الدم، اذ ان هذه هي أضمن طريقة للتأكد من أن الجنين يحصل على ما يكفيه من الاوكسيجين. واذا حرم الجنين الاوكسيجين فان خلايا جسمه تأخذ في افراز الحامض اللبني (Lactic acid) في مجرى الدم فينخفض المستوى عن الحد العادي.

وافاد الدكتور ناجي: "كل شيء يبدو انه سيجري على ما يرام." وما ان انهى كلامه حتى رأى عضلات وجه لوري تتقلص وقد دهمها الطلق من جديد. فقال لها: "اذا كان الطلق أشد مما تحتملين فيمكننا أن نوقفه بحقنة تخدير في النخاع الشوكي (٤) . واذا شئت أن نلجأ الى هذا الاجراء فعليك أن تقرري الآن، فبعد أن يكتمل التمدد يصبح الامر متعذراً."

وفكرت لوري لحظة. فالعرض مغرٍ، وكان الألم اشتد في الساعة الاخيرة حتى بلغ الدرجة السادسة أو السابعة في مقياسها الوهمي، وربما زاد. واعتراها عياء ووهن لكنها قالت بعد تفكير: "لا، لا أريد أن تفوتني متعة الولادة الطبيعية."

اللحظة الحاسمة

أصبح المخاض متواصلا وراوحت شدته بين الوجع والحريق بين طلق وآخر، وكلما بدأ طلق جديد كانت التقلصات المبرحة تصل في شدتها الى ما اعتبرته الحد الأقصى، أي الدرجة العاشرة في مقياسها. واستبد بها الذعر.

أخذ الطلق يتوالى بسرعة الآن حتى كاد أن يصبح مستمراً. وشعرت لوري بضيق تنفس. وكان بيل واقفاً بجانبها متوتر الاعصاب وهو يلامس بطنها ووركيها وكتفيها مهدئاً، كما كان يهمس لها أقوالا لم تفقه منها شيئاً.

وعندما دهمها الطلق التالي صرّت أسنانها وبذلت كل ما فيها من قوة لشد عضلات بطنها. وأخذ الألم يزداد باطراد حتى لم تعد تشعر بسواه. وأخيراً أصبح الألم غامراً فاسترخت لاهثة. وخف الألم حينئذ وكاد أن يزول تماماً.

فقال الدكتور ناجي: "حسناً، هذا مدهش حقاً. كرري ما فعلت وسيغدو لك طفل." وبددت هذه الكلمات ضبابية تفكيرها فرفعت نظرها الى وجه زوجها ثم أغمضت عينيها عندما مسح هذا وجهها بخرقة مبللة بالماء.

وبدأت موجة جديدة من الطلق فشدت عضلاتها بكل قوتها فيما الدكتور ناجي يحضها قائلا: "حسنا... شدي... شدي."

وبلغ الألم ذروته واستقر ثم انحسر مع زوال الطلق. وتفصد جسم لوري عرقاً غزيراً وأخذت ترتجف عياء.

واوضح الدكتور ناجي: "ان الطفل كاد أن يخرج، ويجب أن يخرج مع الطلق التالي." وحض لوري على ان توفر كل ذرة من قوتها "شدي عضلاتك الى أقصى ما تستطيعين."

قالت لوري لزوجها: "تمسك بي." ثم تنهدت عميقاً وصرت أسنانها. وخرجت زمجرة من بين أسنانها المطبقة تحولت أنيناً، لكنها واصلت شد عضلاتها. وبدا أن الألم يتفجر في دماغها.

وفجأة، في شهقة طويلة راجفة، انخفض الألم الى الصفر.

وانتهى الأمر. استرخت لوري وهي ترتجف وكادت أن يغمى عليها. وشعرت بزوجها يحتضنها بذراعيه.

سمعت لوري الدكتور ناجي يهتف من جانب السرير: "عظيم! مدهش! هذا

---

(٤) Epidural block وهو ادخال المخدر بواسطة إبرة رفيعة بين فقرات العمود الفقري في ظهر المرأة فيتخدر نصفها السفلي.

افضل ما رأيت منذ زمن طويل. والآن، من فضلك، توقفي عن الشد لدقيقة فقط. اعطني دقيقة لأسوي الاوضاع هنا."

وجاءت كلماته هادئة فرحة مشجعة. ولم تشعر لوري أن في كلامه ما يوحي بخطب حين قال: "أوقفوا الدم."

شكر الدكتور ناجي في سره القدر الذي لم يجعل لوري تطلب أن توضع بجوارها مرآة. فلو كانت المرآة مرفوعة لاتيح لها أن ترى رأس الطفل كما رآه هو: مواجهاً الأرض والعينان مطبقتان والوجه أرجواني بالدم المحبوس فيه بعدما التف حبل السرة حول العنق يخنقه.

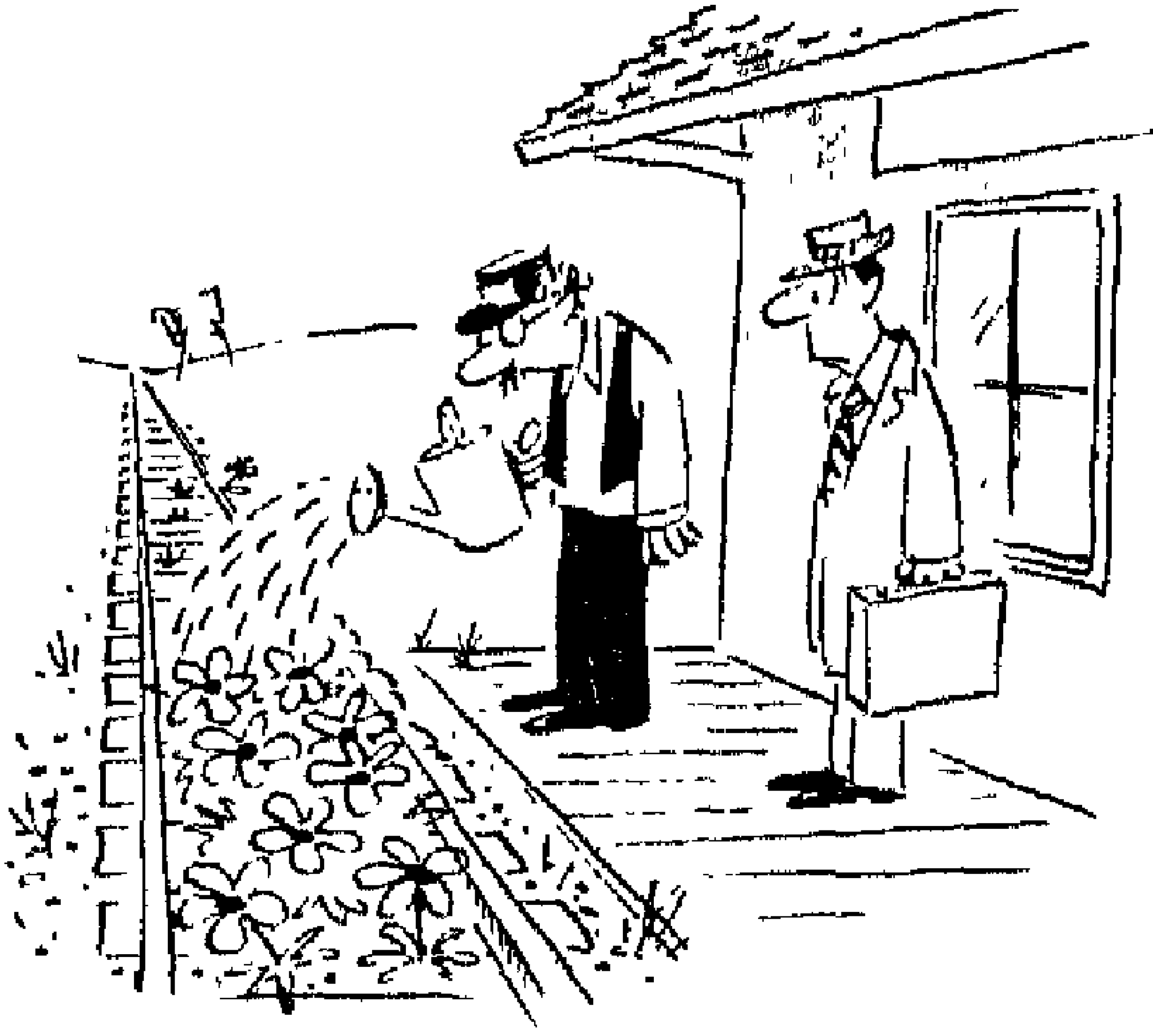
حين انزلق الرأس خارجاً مد الطبيب يده اليسرى تحته ليدعمه. كان على وشك أن يتكلم ليثني على لوري حين برز الرأس كله ورأى حبل السرة ملتفاً حول العنق. وشد عليه ملقطين ثم أمسك بمقص صغير وقطعه.

كان واضحاً أن الدكتور ناجي شعر عندئذ بالارتياح وقال للممرضة: "حسناً، أعدي المحقنة الآن." والمحقنة عبارة عن طابة من المطاط لامتصاص السوائل. واخذ الطبيب يعمل بسرعة. فضغط الطابة ووضع فوهتها في فم الطفل للامتصاص. وكرر العملية لتنظيف المنخرين.

وحالما رفع الدكتور ناجي طابة المطاط سعل الطفل ثم صرخ بصوت خفيض. وشعر الطبيب بفورة من البهجة تغمر كيانه فتنهد عميقاً ليهدىء اعصابه ثم قال مخاطباً لوري: "اسمعي هذا الصوت، انه صوت طفلك."

ورفع الدكتور ناجي الطفل في يديه كما يرفع اللاعب الفائز كأس الظفر وقال للوري: "الآن اصبحت لك ابنة."

آلن دولب ■



- كن قادراً على الانفراد بنفسك. لا تضيع نعمة الوحدة.

السير توماس براون، طبيب وكاتب بريطاني

- كم من أحلام يقظتنا يصبح كوابيس حين يلوح خطر تحوله حقائق!

لوغان بيرسال سميث

- يقول الناس أن فلاناً لم يكتشف ذاته بعد. الا ان الذات ليست شيئاً يكتشف، بل شيء يصنع.

توماس ساس

- الطريق المختصرة هي غالباً أسرع الطرق الى حيث لا تقصد.

ك.ب.

- كن سعيداً. فهذه احدى الطرق الى الحكمة.

كوليت

- يجدر بالمرء أن يتوقف عن الكلام حين يهز المستمع رأسه موافقاً من دون أن يقول شيئاً.

هنري هاسكينز

- لا شيء أقوى من اللين.

هان سوين، مفكرة صينية

- الاناقة هي الذوق السليم مع بعض الجرأة.

كارمل سنو

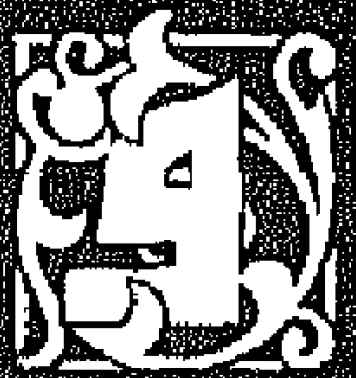
- عندما يقول رجل ان المال يصنع كل شيء ينجلي الامر: انه لا يملك شيئاً منه.

اد هاو، صحافي أمريكي

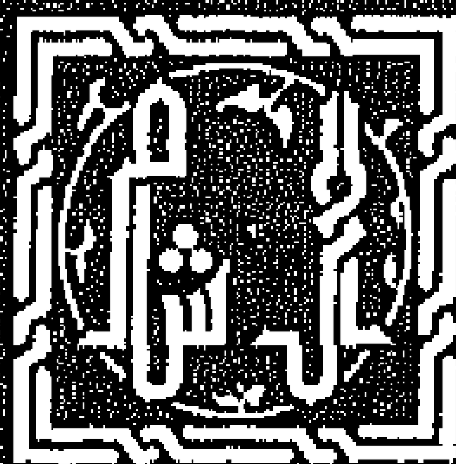
فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة



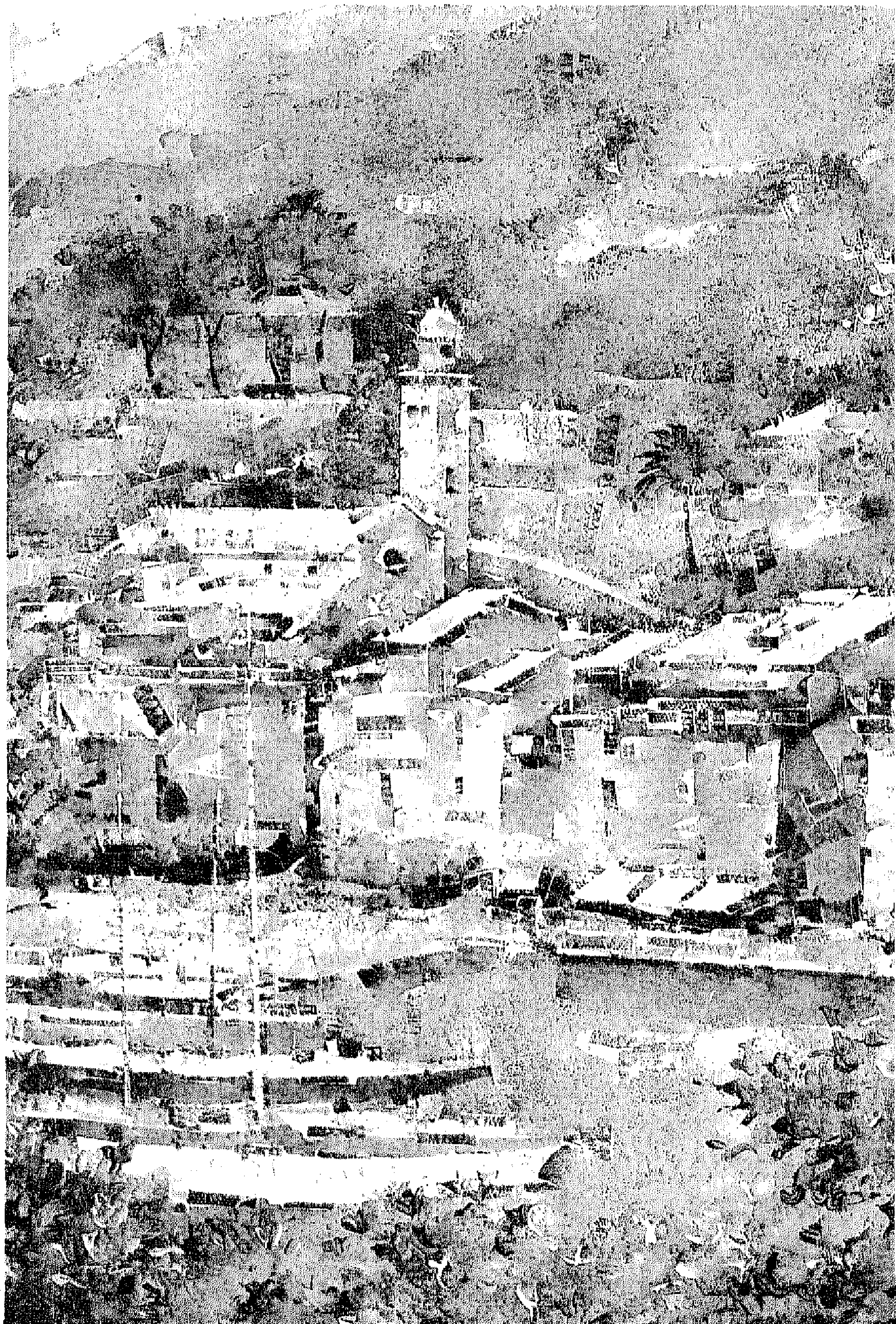
فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة، بل إنه مدينة قائمة بذاتها .. صُمّم على أحدث طراز فني ليوفّر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك، أو كنت منهمكاً في عملك .. فندق الشام يوفّر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحّي وحمّام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة الى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجاريّة .. ولا تنسَ المطعم الدوّار المطلّ على مدينة دمشق التاريخيّة بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميّز بآثار قديمة تُظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها.



للحجز: فندق الشام ـ ص. ب: ٧٥٧٠
تلكس: ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف: ٢٣٢٣٠٠ (٥٠ خط)
تلكس الزبائن: ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



"الشتاء في المتوسط" للايطالي أنطونيو بربارو

فبراير (شباط) ١٩٨٦، جمادى الثانية ١٤٠٦

المختار



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest February 86 N° 87

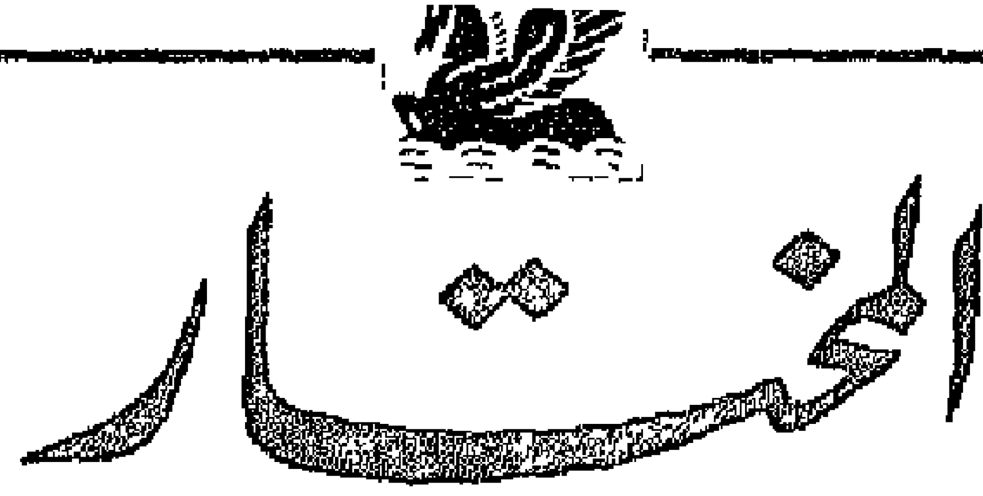


بلاتيني
ملك من ذهب
(ص ٤٢)

بريق أمل في قهر الايدز
(ص ١١)

بازار إسطنبول
(ص ١٧)

... ١٠ل - سورية ١٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف -
...ودية ١٠ر - مصر ٥٠٠م - السودان ١ج - ليبيا ٧٠٠د - ج.ع. اليمنية ٤ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب -
... ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ... - ... وأمريكا الشمالية ...



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - بار.

الاشتراكات: فريال علاف.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠

ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.

الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١-

٣٤٩٤٧٧ التلكس MEM 22288 LE.

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.



Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 - 491630

P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.


MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

February 86 N° 87 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

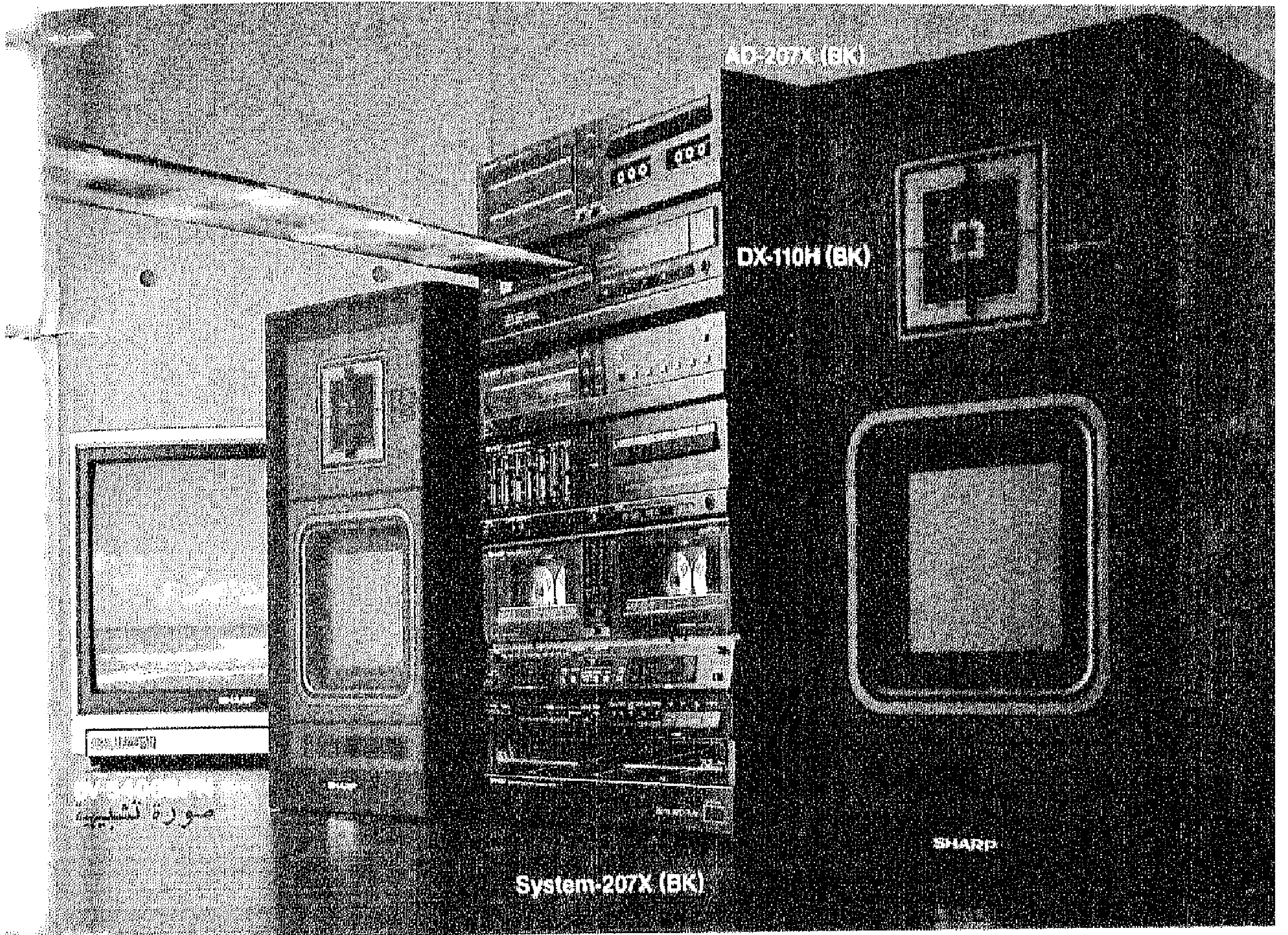
رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية، الى العربية.

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة.

كَـان لـنَـا حُـلـمٌ

كنا نحلم بابتكار اكثر اجهزة التسلية المنزلية شمولاً في عالم الصوتيات والفيديو.



جهاز شارب (BK) 207X الجديد يحقق احلامك في الاجهزة السمعية والفيديو بالدقة الصوتية الرفيعة ومشغل الاسطوانات على الجهتين الفريد والمتميز بذراع ابرة يتحرك في خط مستقيم. وهكذا تنمو احلامك وتكبر ان جهاز الانتقاء السمعي / الفيديو من شارب يمكن توصيله بجهازي فيديو ومشغل اسطوانات فيديو، وتلفزيون وتشكيلة واسعة من الاجهزة السمعية ان كنت لا تصدق ما نقول، فصدّق احلامك

System-207X (BK) نظام قطع هاي ــ فاي متوسط الحجم ومزوّد مشغل اسطوانات على الجهتين، بذراع ابرة يتحرك بخط مستقيم، وتقنية الكاسيت المزدوجة

DX-110H (BK) مشغل اسطوانات سمعي رقمي وصغير الحجم مزوّد اشعة لايزر شبه موصلة وذات ضوء مرئي، لضمان اداء اطول عمراً

AD-207X (BK) جهاز إنتقاء سمعي ــ فيديو مع نظام توصيل لسعة اجهزة وامكان التسجيل المزدوج السمعي / الفيديو

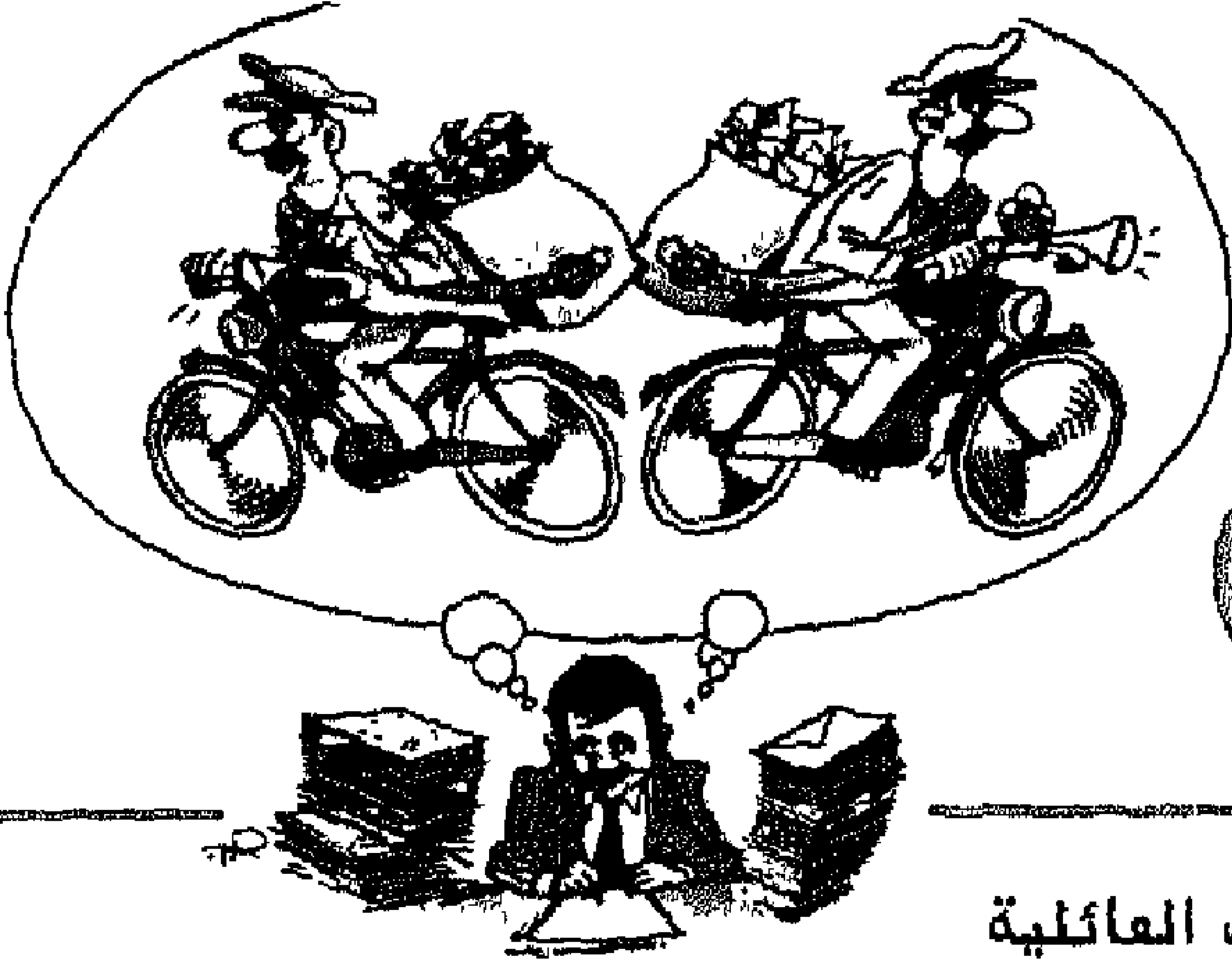
فليكـن حلمك

شارب

SHARP

شركة شارب، اليابان

اكتب واربح



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.



- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان.

"الى أسرة ريدرز دايجست العزيزة،
في خضم القصص المكفهرة التي "تتحفنا" بها الصحف والتلفزيون تبقى الروايات الانسانية في مجلتكم ينبوع حب وامل يثلج قلوبنا "
أ.ج.، نيويورك

السعادة الحقيقية

"أنقذوا أبي!"

أدرك دوغ بيرغ أن مكروهاً وقع حين رأى صبياً يعدو على الرصيف البحري في مدينة فيرهوب بولاية ألاباما. وصاح الصبي:" هناك شخص يغرق! استدعوا الشرطة."

أوعز دوغ الى صديق له بأن يتصل بالشرطة فيما هرع هو نحو طرف الرصيف الذي يمتد في عمق خليج موبيل. وما شاهده بعد ظهر ذلك اليوم في الخامس والعشرين من يونيو (حزيران) ١٩٨٥ سمره في مكانه.

الى يمين دوغ كان مركب شراعي من دون ربان يتجه نحو الشاطىء. وعلى مسافة مئة متر الى غرب الرصيف كانت امرأة تتخبط في الماء مع ولدين صغيرين. وعلى بعد مئات الأمتار داخل المحيط بدا خيال رجل كبقعة صغيرة في الأفق.

كانت عائلة أودونيل أبحرت في رحلة على متن مركبها. وفيما الأم وابنتها وصديقة الابنة يلعبن في الماء قذفت موجة مفاجئة الأب من على ظهر المركب الى المحيط. وسبح في اتجاه المركب، لكن الريح نفخت في الأشرعة وشد الجزر البحري المركب الى العمق. وحين أدرك الأب بعد المسافة التي قطعها في ملاحقة المركب أعياه الارهاق فبات عاجزاً عن العودة. وصار يسبح ثم يطفو في محاولة لاستجماع قواه.



دوغ بيرغ.

غاص دوغ، وهو طالب ثانوي في سنته النهائية، في مياه الخليج المتلاطمة الأمواج وسبح في اتجاه الأم والفتاتين. ولدى وصوله اليهن طمأنه الى أنهن بخير. لكن إحدى الفتاتين زعقت: "أنقذ أبي! أرجوك خلص أبي!"

كان دوغ سباحاً متمرساً قوي البنية طويلها. لكنه لم يتلق أي تدريب على أساليب الانقاذ. وانطلق بقوة وعزم نحو السابح المتعب. واذ التفت خلفه لمح الشابين فريدي كرايل ومارك تونستال في طريقهما لانقاذ الأم والفتاتين.

استغرقت سباحته الى الأب نحو ثلاثين دقيقة. وبقوى منهكة لف يده تحت إبط الرجل وحول عنقه وباشر رحلة العودة الى الرصيف.

وبعد فترة وجيزة غمرت المياه المنقذ والضحية. لكنهما بطريقة عجيبة استمدا القوة للمثابرة. ثم ما لبثا أن نزلا مجدداً تحت الماء مما اضطر دوغ الى الوقوف هنيهة على أرض الخليج والفريق على كتفيه لابقاء وجهه خارج الماء كيما يتنفس.

وبعد دقائق وصل دوغ الى مرمى السمع من كوكبة المتفرجين الذين احتشدوا لمراقبة عملية الانقاذ. ومنحه ادراكه أنه اقترب من شاطىء الامان قوة إضافية. وأخيراً وطأ الاثنان مرتفعاً رملياً الى جانب الرصيف حيث تمكنا من الوقوف على أقدامهما. وسرعان ما حضر مركب نقل الفريق فيما سبح دوغ الى الشاطىء.

شكر ألفرد أودونيل منقذيه الثلاثة وقال لهم: "لو كنت ثرياً لأصبحتم أنتم كذلك."

لكن دوغ بيرغ شعر بأنه نال جزاءه. وهو قال: "أحسست بالفخر لاني ساهمت في إنقاذ حياة بشرية."

غراهام هيث في "برس ريجستر" ■

الجار الصالح

أليسون ديجينيرو رجل في الثانية والسبعين يتمتع بروح الاستقلالية والتحرر. فبعد وفاة زوجته عام ١٩٧٨ اعتمد على منظمة للعون الاجتماعي في تنقلاته اذ كان عاجزاً عن قيادة السيارات. ثم اكتشف هذا الرجل المعول على نفسه أن المنظمة تتلقى دعماً من الحكومة الأمريكية. ولم ترض هذه المعلومات ديجينيرو، أو "دي - جي" كما يحب هو أن يدعى: "كنت في حاجة الى يد معينة لا الى إعانة مالية. ولم أشأ أن تغطي الدولة نفقات تنقلاتي." وهكذا باشر دي - جي نشاطه. فأبلغ المنظمة أنه استغنى عن خدماتها. ثم راح يتصل بالجيران


أليسون ديجينيرو.

Photo: Lowber Tiers

والأصدقاء في فيرو بيتش بولاية فلوريدا سائلا إياهم عن استعدادهم لتأسيس مجموعة عون متطوعة للمساعدة في التعويل على النفس. وتدفقت أجوبة "نعم" بوفرة. وانطلاقاً من مسعى التعويل على النفس هذا تمكن دي - جي من تأسيس مجموعة "جيران يعينون جيراناً" التي تساعد الكثيرين. وهو يؤكد: "نحن نحتاج الى متطوعين لا الى أموال. التبرعات المالية مرفوضة، فنحن لا نتكلف أي مصاريف. لا أموال ولا مجلس ادارة، نحن مكتفون بالحب."

ويساعد المتطوعون جيرانهم في وسائل شتى، فيؤمنون وجبات الطعام وترتيب المنازل والنقليات والاسعاف في حالات الطوارىء. لكن دورهم الاهم هو مساعدة الناس على اكتشاف مواردهم الشخصية واقناعهم بمساعدة أنفسهم.

ويرى دي - جي هذه الجهود مرضية كثيراً. وهو ما زال يتفرغ لعمله الخاص في صنع محلول تنظيف النظارات الذي بدأه عام ١٩٣٩.

ويقول: "أنا رجل سعيد. الحياة جميلة حين تساعد في تعزية الناس وصون كبريائهم وارشادهم الى سبيل استخدام الموارد التي منحهم اياها الله عز وجل."

ويتكلم أليسون ديجينيرو انطلاقاً من خبرة خاصة في الحياة. فهو ضرير منذ ثماني سنوات.

لوبر تيرز في "غايدبوستس" ■



معجزات صغيرة

- أن تقف على الميزان في الصباح الذي يعقب تناولك المعجنات والموز والحلوى وتكتشف أن وزنك لم يزد غراماً واحداً.
- أن تكتشف أن ثمن الشيء الذي اشتريته يفوق المبلغ الذي دفعته.
- أن ترى أمين الصندوق في المصرف يرفع لافتة تقول "الى الشباك الثاني من فضلك" بعد أن يسلمك قسيمة الايداع.
- أن تكتشف بعد اغلاق أبواب السيارة والمفاتيح داخلها أنك أغفلت رفع زجاج احدى النوافذ.

ج.غ.

الجمال مسألة مالية!

دخلت امرأة محلا لبيع الازهار وسألت هل يسعها شراء "باقة حسنة ونضرة بـ٣٥ دولاراً." وبعدما شرحت لها البائعة ماذا يمكنها أن تأخذ بهذا المبلغ قالت المرأة: "آه، ألن يكون ذلك جميلا؟ "فأجابت البائعة: "كلا، سيكون حسناً. فالجميل يبدأ بـ ٤٥ دولاراً."

ج.ل.



حكمة اسكافي

حمل رجل حذاءه وقصد إسكافياً في الشارع ليجده نائماً. وأيقظه من نومه وراح يؤنبه على خموله قائلا: "اذا عملت باجتهاد، فستجمع المال وتؤسس محلا. واذذاك تتخلص من العمل هكذا على الرصيف."

- وماذا بعد ذلك؟

"إذا ثابرت على عملك، أمكنك توسيع المحل وتوظيف العمال لمعاونتك. وعندئذ تستطيع النوم كلما شئت." وهنا ابتسم الاسكافي وقال: "أليس هذا عين ما أفعله الآن؟"

ف.م.

من المعجم السياحي

من يكثر الاسفار لا بد من ان يتعلم تفسير العبارات الخاصة بالنشرات السياحية. فوصف احد الامكنة بأنه "يبعث على الاسترخاء التام" يعني انه مكان مهجور. والقول انه "ذو جو ساحر وعلى شيء من البساطة الريفية" يعني عدم توافر الماء في الداخل. وقولنا: "ادارة واحدة وملكية واحدة طوال ٣٥ سنة" يعني ان احداً لم يرغب في اقتنائه خلال ربع قرن. وعبارة "مسبح قريب" مرادفة لقولنا ان الفندق يخلو من مسبح خاص. اما وصفه بأنه قائم على مساحة واسعة فيعني ان على السائح ان يقطع ثلاثة كيلومترات على القدمين من شقته الى غرفة الطعام.

ب.ب.

قسائم الجدود

في أحد الاعياد اجتمعنا كلنا على الغداء في منزل أهل زوجي. وبعد فراغنا من الطعام جاءت حماتي وفي يدها وعاء مملوء قسائم. وطلبت من كل منا نحن البالغين سحب قسيمة. وتبين أن كلا منها تدعو صاحبها الى تأدية عمل معين، كتنظيف الصحون وتجفيفها واعادة كل شيء الى موضعه. ولما أنطلق كل الى عمله توجه والدا زوجي الى الدار للاستمتاع بأحفادهم خلال ذلك الوقت.

م.ا.

اشترك في يانصيب كندا العالمي الشهير

مليون دولار نقداً *

قد تكون من نصيبك

جوائز فورية تصل الى ١٠،٠٠٠ دولار!

■ ١١٦ سحباً في السنة! ■ جوائز مقدارها ٣٠ مليون دولار كل شهر!

٣٦٠ مليون دولار يربحها المشتركون سنوياً في ثلاثة سحوبات كندية رئيسية. وفي كل شهر يربح المشتركون اربع جوائز بقيمة مليون دولار. اكثر من ٥٠٠ من حاملي اوراقنا السعيدي الحظ صاروا اصحاب ملايين خلال السنوات الخمس الماضية. والآن بات في امكانك الاشتراك في سحوبات اليانصيب الكندي، وهي السحوبات التي تعتبر صاحبة الرقم القياسي في المبالغ التي تدفعها للرابحين في العالم. اشترك لمدة سنة واحدة ويصبح لك الحق في الاشتراك في ١١٦ سحبا. ففي كل شهر، ولمدة ١٢ شهراً متتالية، تتسلم البطاقات المشروحة في ما يأتي:

الـ ٦٠٠ دولار، قيمة اشتراكك، تخولك في كل شهر ولمدة ١٢ شهراً الاشتراك في عدد مدهش من سحوبات يبلغ مجموعها ١١٦ سحباً

- بطاقة يانصيب "سوبر".
- بطاقتان اقليميتان (بروفنجال)
- خمس بطاقات "وسترن - اكسبرس"
- بطاقات جوائز فورية تصل قيمتها الى ١٠،٠٠٠ دولار، وهي تبقى في حوزتك للاشتراك في السحوبات السنوية.

تصلك بطاقاتك في كل شهر ضمن مغلف مختوم وهي تختم حال طباعتها بواسطة نظام الكمبيوتر الخاص بيانصيب الحكومة الكندية الاقليمية، والبطاقات لا تحمل اسماء او عناوين، والارباح لا تخضع للضرائب

فبطاقات اليانصيب الكندية هذه هي فريدة في نوعها، اذ ان جميع السحوبات تجرى على البطاقات المبيعة فعلا، وليس على ارقام كمبيوترية قد تكون بينها أرقام بطاقات غير مبيعة.

نسبة حظك في الربح هذه السنة هي واحد من أربعة!

اليانصيب الكندي يقدم احتمالات غريبة مستحبة. فخلال الـ١٢ شهرا المقبلة تكون لديك:

- ٤٨ فرصة لربح مليون دولار.
- ١٢٠ فرصة لربح نصف مليون دولار.
- ٤٨٠ فرصة لربح ١٠٠،٠٠٠ دولار.
- ٤٨٠ فرصة لربح ٥٠،٠٠٠ دولار.
- ١٥٢٤ فرصة لربح ١٠،٠٠٠ دولار.
- آلاف الفرص لربح ٥٠ دولارًا حتى ٥،٠٠٠ دولار.

زائدا، جوائز فورية تصل الى ١٠،٠٠٠ دولار بالاضافة الى السحوبات المنتظمة. وبخلاف سحوبات اليانصيب الاخرى، من المضمون اشتراك رابحي الجوائز الفورية وبصورة متتابعة في جميع السحوبات الشهرية.

كيف تعرف انك ربحت؟

في كل شهر تتسلم نشرة رسمية تتضمن الارقام الرابحة خلال الاسابيع الاربعة الاخيرة. وما تربحه لا يخضع لأي ضريبة، وفي امكانك تقديم ورقة اليانصيب الرابحة الى المصرف او اي عنوان تختاره. وتتم معاملة القبض بالكتمان، ويبقى اسمك غير معروف. وتبقى جميع البطاقات الرابحة صالحة للاشتراك في السحوبات لمدة سنة واحدة.

★ يجرى دفع المبالغ التي تربحها بالعملة الكندية الثابتة وارباحك تكون معفاة من الضريبة وترسل مكتومه الى المصرف او اي عنوان تختاره وقد تخضع هذه الارباح لقوانين الضرائب في مكان اقامتك

تسلم ارباحك المعفاة من الضرائب بسرية تامة

اشترك فيه الآن واستمتع بالاثارة طوال العام!

لا يمكنك ان تربح من دون بطاقة، اشترك اذن الآن، ولن يكلفك الاشتراك لمدة سنة اكثر من ٦٠٠ دولار امريكي وهذه القيمة تشمل جميع رسوم الخدمات بما فيها اجور البريد وغلافات البطاقات وقوائم الارقام الرابحة المصادق عليها ولكي تحصل على فرصة العمر للربح الوفير، املأ القسيمة وارسلها مرفقة بشيك (بالدولارات الامريكية فقط).

الشيك مدفوع لأمر **International Lottery Distributors**

ارسل الشيك والقسيمة الى

Capital Distribution Services 1009
220 Portage Avenue
Winnipeg. Manitoba R3C OA5 CANADA
TELEX 07-55-871 PHONE 204-947-6743

او ادفع بواسطة بطاقة **AMERICAN EXPRESS**

املأ القسيمة. وارفق شيكا مدفوعا لأمر **International Lottery Distributors**

ارسل الشيك والقسيمة الى **Capital Distribution Services 1009**
220 Portage Avenue
Winnipeg, Manitoba R3C OA5 CANADA

- ٦٠٠ دولار لمدة ١٢ شهرا للاشتراك في برنامج السحب الكندي.
- ٣٥٠ دولارا اشتراكا تجريبيا لمدة ٦ اشهر.

الرجاء الكتابة بوضوح او على الآلة الكاتبة:

الاسم الكامل ______________________
____
الشارع ______________________
____
ص.ب ________ المدينة ________
هاتف ________ تلكس ________

او ادفع بواسطة بطاقة·

American Express
☐ Card N° ______________________

Expiration
Month ________ **Year** ________

Signature ______________________

ARRD 02 86

CAPITAL DISTRIBUTION SERVICES:
OFFICIAL LICENSEE OF CANADIAN GOVERNMENT LOTTERIES.

المختار
من ريدرز دايجست
فبراير (شباط) ١٩٨٦ — السنة الثامنة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

مرض خطر، يضرب جهاز المناعة في الجسم ويصيب الرئتين والدماغ والجلد والجهاز الهضمي، وينتشر بين الشاذين ومدمني المخدرات. العالم يحاول وقف زحف هذا الداء الذي يهدد كل المجتمعات

إليزا تطارد الايدز والناس في هلع

طوال شهرين ظل مريض عمره ٣٨ سنة يكافح غدداً متورمة وسعالا عنيفاً واسهالا متواصلا وطفحاً جلدياً مؤلماً. وظن أنه التقط عدوى استوائية خلال اجازة أمضاها في مصر. وبعدما أخفقت الادوية المنزلية قصد مستشفى كلود برنار في باريس.

أدهشت لائحة الاعراض الدكتور ويلي روزنبوم، وهو اختصاصي بالامراض الوبائية يتلقى تقارير من وكالة مراكز مكافحة الامراض في الولايات المتحدة التي تدير برامج وطنية للوقاية من الامراض ومكافحتها وتشرف على أبحاث تقصي مصادر الاوبئة وتقديم المعلومات

عن الامراض المعدية. وقبل دقائق من دخول المريض مكتبه قرأ آخر نشرة تلقاها وهي مؤرخة ٥ يونيو (حزيران) ١٩٨١ تصف خمس اصابات بداء غريب سمي في ما بعد "علة نقص المناعة المكتسبة" أو "ايدز" (١).

وجاء في التقرير أن هذا المرض يسحق ضحاياه عبر شل جهاز المناعة لديهم فيخلفهم من دون دفاع في مواجهة الامراض التي تدعى "الانتهازية". هذه الامراض تسببها جراثيم موجودة دائماً في الجسم، وحين لا يصدها جهاز المناعة الذي نهكه "الايدز" تستشري وتهاجم الرئتين والدماغ والجهاز الهضمي والجلد. وكان جميع المصابين شباناً وذكوراً وشاذين جنسياً.

بدا أن هذه الاوصاف تنطبق تماماً على مريض الدكتور روزنبوم. وأجريت له فحوص طوال أسبوعين لاستبعاد أي أسباب أخرى لمرضه، وعولج بالمضادات الحيوية وعقاقير الشحيمات (ستيرويد) من غير جدوى.

ثم وصل تقرير من وكالة مراكز مكافحة الامراض يورد عشر حالات أخرى بينها مريضان أصيبا بسرطان نادر يدعى "ورم كابوسي". وعلى غرار الحالات الخمس الاولى كان جميع المصابين يعانون نوعاً نادراً من ذات الرئة يدعى "نوموسيستس كاريني" ويقول الدكتور روزنبوم: "كنا شخصنا ذات الرئة في مريضنا، غير أننا لم نجزم بنوع الجرثومة المسببة للمرض." وأخيرا بعد ساعات في المختبر استطاع الدكتور روزنبوم كشف الجرثومة المجهرية التي نادراً ما كانت تُرى. وهو يقول: "عندئذ اصبحت على يقين من أننا نواجه العلة عينها التي وصفتها وكالة مراكز مكافحة الامراض."

وفي النهاية قضى المريض بعدوى فيروسية في الدماغ. ترى هل كانت هذه الاصابة حالا مفردة التقطت من اتصال بجهة خارجية أم ان الداء الوبيل بدأ يضرب في أوروبا؟

تذكر الدكتور روزنبوم مريضين أقر أحدهما بانه شاذ، ماتا من جراء اصابتهما بذات الرئة في العامين ١٩٧٨ و١٩٨٠. وأخذ يستفسر من زملائه ومن الاطباء في مستشفيات أخرى في باريس طوال الاشهر القليلة التي تلت، فعثر على ثلاثة مرضى آخرين ارتاب في كونهم مصابين بالايدز. ولكن باستثناء هذه الحالات بدا انه لم تقع أي اصابات بهذا الداء.

وفي شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١ أرسل اليه أطباء من مستشفيات أخرى في فرنسا أوصافا لاصابتين: شابان، ذكران، شاذان، يعانيان انهيار المناعة وورماً كابوسياً. فوجد روزنبوم أن "لا مناص من مواجهة الحقيقة، لقد ظهر الأيدز في فرنسا."

أطفال وعجائز – بقي لغزان محيّران: كيف التقط المرضى هذا الداء، وما العامل الذي قضى على جهاز المناعة لديهم؟ في الولايات المتحدة حيث أعلنت وكالة مراكز مكافحة الامراض أكثر من ١٥٠ اصابة بالايدز وبضع اصابات جديدة كل أسبوع، أخذ الاختصاصيون بالأوبئة

Acquired immune deficiency syndrome (AIDS) (١)

يتقصون أنماط حياة ضحايا هذا الداء. السواد الاعظم منها كان من الشاذين النقّالين، وكان بعضهم يقيم علاقات مع ٦٠ شخصاً وأكثر سنوياً. وهذا هو الدليل الحقيقي الاول الذي لفت الى عامل عدوى، وربما كان فيروساً ينتقل داخل مجتمع الشاذين.

بعد ذلك وردت تقارير من الولايات المتحدة عن مدمني مخدرات التقطوا العدوى وأصر كثيرون منهم على أنهم من المستقيمين جنسياً. وظن الاطباء أن هؤلاء ربما التقطوا الداء من طريق إبر ملوثة استعملها قبلهم شاذون مصابون بالداء ومدمنون للمخدرات.

ثم جاء تشخيص الايدز في بنسلفانيا لدى طفل عمره ١٠ أعوام مصاب بالنزاف (هيموفيليا). وتبين أن عامل تخثر الدم الذي تلقاه جاء من دم أخذ من متبرع كان مصاباً بهذا الداء.

وفي سان فرنسيسكو ظهرت أعراض الايدز على طفل عمره ٢٠ شهراً. وحدث ذلك بعد سلسلة من عمليات نقل الدم اليه، وبينها عملية نقل صفيحات (لويحات) دموية مستخرجة من دم رجل تبين في ما بعد انه كان مصاباً بالداء. وهذه الملاحظات كشفت سبب الداء في ما يزيد على ١٣ مريضاً آخر مصابين بالنزاف وفي مرضى نقل اليهم دم بمن فيهم جدة عجوز عمرها ٨٠ سنة.

يقول الدكتور روزنبوم: "أضاف ذلك بعداً مخيفاً الى واقع الحال. فنتيجة وجود فيروس الايدز في موارد الدم بات المئات، بل الالوف أو حتى الملايين من الناس، معرضين للاصابة بالداء."

ويتعذر عملياً منع الشاذين من التبرع بالدم. وكثيرون من الذين يمكن أن يشكلوا خطراً ينكرون كل ما من شأنه أن يقطع عنهم مصدر الرزق.

والى ذلك فان حاملي الفيروس الآخرين، أي الذين تبدو عليهم أعراض طفيفة أو لا تظهر عليهم أعراض قطعاً، يستحيل ابعادهم عن التبرع بالدم من دون ابتكار فحص يفرزهم عن سواهم. لكن ابتكار مثل هذا الفحص يوجب اكتشاف فيروس الداء وعزله أولا.

ولكن بما أنه سجلت في أوروبا كلها عشرون اصابة فقط، سبع منها في فرنسا، فان الاهتمام بمثل هذا المشروع الاستقصائي جاء ضئيلا في البداية. وفي شهر فبراير (شباط) ١٩٨٢ نشر روزنبوم بياناً في صحيفة باريسية وصف فيه أعراض الايدز وذكر رقم هاتف مكتبه. ويقول متذكراً: "في غضون يومين تأكدت لدينا ثلاث حالات أخرى." ولم تعد ثمة مشكلة في تأليف فريق للتقصي، ولكن انقضت تسعة أشهر قبل أن تظهر الدلالة الاولى.

"بصمات" القاتل - أواخر ١٩٨٢

أدخل مستشفى بيتييه - سالبتربيير حيث كان روزنبوم يعمل، رجل شاذ في الثالثة والثلاثين تجلت عليه أعراض الايدز الخفيفة. وأخفقت الصور الاشعاعية والتحاليل الكيميائية في كشف عامل العدوى. وأعرب أحد أعضاء فريق الاستقصاء عن رأيه في أن تورم الغدد اللمفاوية في جسم المريض ليس من أعراض الداء، بل هو رد فعل قناعي ضده،

وهي الطريقة التي يفصح بها الجسم عن صراع يجري داخله.وحتى ذلك الحين كان معظم الابحاث يجرى على مرضى في مراحل متقدمة من الداء بحيث تكون المناعة لديهم انهارت تماماً. ولكن في حال عدوى حديثة العهد نسبياً فان تحليل الانسجة اللمفاوية يمكن أن يكشف الفيروس القاتل.

ان تحديد أنواع الفيروسات يتطلّب مهارات اختصاصيين بالفيروسات وبالكائنات المجهرية. لذلك استدعى فريق الاستقصاء ثلاثة اختصاصيين بارزين بالفيروسات هم الاستاذ لوك مونتانييه والطبيبان جان - كلود شرمان وفرنسواز باريه - سينوسي من معهد باستور. وبعد جلسة مناقشة شاملة اقتنع العلماء الثلاثة بأن داء الايدز، على ما يبدو، ينجم عن فيروسٍ رجعي، وهذه عائلة من الفيروسات ظن لمدة طويلة انها لا تغزو الا الحيوانات.

وتقرر اجراء فحوص مخبرية لتأكيد دور الفيروسات الرجعية او استبعاده. وسحن الباحثون عينة في حجم حبة الحمص ووضعوها في مزيج مغذ كي تتكاثر فيها الخلايا والفيروسات التي تضيفها طوال أسابيع. واذا كان عامل العدوى فيروساً رجعياً فان الفحص بالمواد المشعة الذي يجرى كل ثلاثة أيام خليق بكشف أي نشاط لخميرة تدعى "المناسخ العكسي" (٢) وتنطوي عليها كل الفيروسات الرجعية.

وأبرزت المحاولة السادسة دليلا لا ريب فيه على المناسخ العكسي. وأوضح الاستاذ مونتانييه ذلك قائلا: "هنا انحصر نطاق البحث في هذه العائلة من الفيروسات." وبعد ذلك حاول فريق الاستقصاء اكتشاف ما اذا كان الفيروس المسبب للداء هو أحد نوعين من الفيروسات الرجعية المعروفة بمهاجمتها الخلايا البشرية. غير أن مقابلته بعوامل مناعية مختلفة لم تؤكد انطباقه على أي منها. وكشفت صورة للفيروس أخذت بالمجهر الالكتروني ظواهر شكلية تختلف جوهرياً عن العوامل المقارنة. وأخيراً أطلق الفريق على هذا الفيروس الخفي اسم "الفيروس المترافق مع الورم اللمفاوي" واختصاراً «LAV» (٣).

غمرت الاثارة أعضاء فريق باستور، فدأبوا طوال أسابيع على تعقب آثار الفيروس القاتل. ومع أنهم لم يتمكنوا من رؤيته وهو يقوم بعمله، فانهم اكتشفوا تحت المجهر أن خلايا "ت - ٤"، وهي فصيل من العناصر الطليعية في جهاز المناعة لمكافحة الداء، تتعرض للعدوان ويقضى عليها، وهكذا يغدو الجسم مجرداً من أي دفاع ضد العدوى. وعلى رغم ذلك بقيت أسئلة عدة من دون أجوبة: ما هي العلائم المميزة لهذا الفيروس؟ ما نوع الاجسام المضادة التي ينتجها؟ هل يمكن وقف نشاطه؟

كخطوة أولى عمد أعضاء فريق المختبر الى استدراج الفيروس الى جينات (مورثات) البكتيريا لكي تنسخها ألوف المرات. وبعد ذلك استخدموا الذبذبة فوق الصوتية لتفسيخ "الجدائل" الوراثية

(٢) Reverse transcriptase
(٣) Lymphadenopathy — associated virus

هل أنت في خطر؟

هل يمكن أن تلتقط العدوى من اتصال عرضي بشخص شاذ؟ يقول الاستاذ لوك مونتانييه من معهد باستور: "لم يتوافر دليل حتى الآن على أن الفيروس ينتقل عبر أي طريق اخرى غير الدم والمنيّ. والمعلومات المتوافرة من علماء الاوبئة تؤكد هذه الحقيقة. فلو كانت ثمة وسيلة لانتقال العدوى غير هذين السائلين من سوائل الجسم، لظهرت اصابات بداء الايدز أكثر مما ظهر فعلا."

وفي حين يبقى الشاذون أكثر الناس تعرضاً للعدوى، فقد تم تشخيص داء الايدز لدى مدمني المخدرات الذين يتشاركون في الابر مع حاملي الداء، ولدى نساء يعاشرن رجالا يمارسون الجنس الطبيعي والجنس الشاذ معاً، ولدى أطفال ولدتهم أمهات موبوءات. وتتجمع الادلة على أن المرض نشأ في افريقيا الاستوائية حيث هو واسع الانتشار ويصيب النساء مثلما يصيب الرجال. وباعتماد فحص التشخيص الجديد لمنع التبرع بالدم الموبوء، فان المصابين بالنزاف وسواهم ممن يحتاجون الى مشتقات الدم أو الى عمليات نقل دم كامل لم يعودوا معرضين للخطر.

المنسوخة واستخدموا الخمائر لاعادة تشكيلها في مجموعات مستقلة. وبعد تحليل المحتوى الكيميائي لكل مجموعة حددوا موقعها في الجديلة الوراثية. وأخيراً استعان عالم المجهريات البريطاني سيمون واين - هوبسون بدماغ الكتروني ليخرج صورة طباعية طولها ثلاثة أمتار تظهر "بصمات" الفيروس القاتل (٤).

فحص الزامي - في أقل من سنتين من الجهد العلمي الباهر استطاع فريق الاستقصاء أن يعزل فيروس الايدز ومناسخه ويحلله ويفرز صفاته المميزة، وهو الذي يعتبر أحد أكبر "المجرمين" الذين جرى تعقبهم في تاريخ الطب. وقال الدكتور روزنبوم في ذلك: "لم يكن ثمة شك في أننا حققنا خطوة جبارة نحو قهر هذا الداء."

وحالما تأكدت طريقة عمل الفيروس باشرت فرق أبحاث عدة، بما فيها فريق معهد باستور، تجربة الادوية التي من شأنها وقاية جهاز المناعة منه أو تخفيف أعراضه.

ويقول شرمان: "قد يستغرق العمل سنوات. ولكن حتى الآن أظهر عقارنا HPA 23 قدرة على كبح هذا الفيروس لدى عدد من المرضى." ولوحظت نتائج مماثلة في التجارب التي أجريت بمركبات مختلفة في الولايات المتحدة.

وأدى كشف بصمات الفيروس «LAV» الى تحقيق تقدم نحو تطوير لقاح ضده. وهذا أيضاً سيستغرق سنوات من الجهد. وأخيراً يأتي الفحص التشخيصي

(٤) نشر الدكتور روبرت غالو وفريق من المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة صورة مماثلة لبصمات فيروس الايدز الذي دعاه «HTLVIII»

"اليزا" (٥) وهو اليوم يمنع انتشار الداء عبر التبرع بالدم الموبوء في الولايات المتحدة وفرنسا وبضعة بلدان أخرى. ويتم هذا الفحص باستخدام طبق مسطح من البلاستيك فيه تجاويف غير عميقة تحوي مقادير صغيرة من فيروسات الايدز الخامدة التي لا خطر منها. ويوضح ذلك أحد الفنيين في مصرف للدم: "عندما يتبرع أحدهم بدمه نضع قطرات من مصله في أحد التجاويف ونضيف اليها بعض الكيميائيات ثم نراقب تغيّر لونها." فاذا ظهر عليها صبغ خفيف دل ذلك عادة

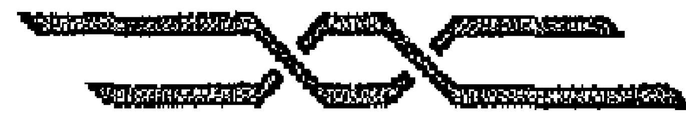
(٥) فحص الماصّ المناعي المتصل بالخمائر أو Enzyme-Linked immuno-sorbent assay (ELISA)

على أن في دم المتبرع أجساماً مضادة من نوع «LAV — HTLVIII» مما يعني أنه حامل للفيروس أو موبوء بالداء. وفي الحالين يطرح الدم الذي تبرع به.

ان فحص "اليزا" سيساعد على اغلاق الباب في وجه أرهب وسيلة لنقل العدوى. وقد أقرت الحكومة الفرنسية من فورها بامكانات هذا الفحص وجعلته إلزامياً لجميع المتبرعين بالدم.

وتتقدم أعمال البحث والاجراءات الحكومية سريعاً منذ ظهور الفيروس. ويقول روزنبوم: "بفضل جهود معهد باستور وجهات أخرى كثيرة يبني العلماء اليوم سوراً لمحاصرة فيروس الايدز."

ستانلي انغلبارت ■



متى عرف السبب...

قطعت مسافة طويلة لألقي خطاباً في مأدبة. وكان المضيف أكد لي أن عدد الحاضرين لن يقل عن ٢٥٠، ولذا شعر بالحرج حين لم يحضر سوى ٣٠ شخصاً. وظل طوال الوقت يعتذر الي ويلقي باللائمة على الطقس وعلى ارتباط المدعوين بمناسبات اجتماعية أخرى. ثم نظر الي وقال: "لا يمكنني ان أتصور ماذا حدث لكل هؤلاء الناس، فأنا أكدت لهم أنك ستأتي."

ب.ل.

العجة والشجاعة

كانت المذيعة تقدم ذات ليلة عرضاً تلفزيونياً لطريقة قلب عجة البيض. واكدت لمشاهديها أن كل ما يحتاجون اليه هو استمداد الشجاعة من قناعاتهم. ثم قذفت العجة في الهواء فسقطت وانفلشت على الموقد. لكن المذيعة لم تفقد رباطة جأشها بل قالت: "وكما ترون، اني لم استمد الشجاعة من قناعتي."

ا.ك.



بازار اسطنبول

آه من سحر الأغاني

• التي ينشدها التجار في بازار اسطنبول الأسطوري

"يا سيد، هل تحب مشاهدة بعض السجاد البديع؟ انه الأبخس ثمناً في البازار الكبير. لا تشتر. أنظر فقط. لا؟ غداً ربما؟ حسناً، خذ بطاقة المتجر!"

قبيل التاسعة صباحاً دخلت بازار اسطنبول الكبير، وهو أشهر الاسواق المسقوفة في العالم وأكبرها. وكانت بواباته السبع عشرة الضخمة مفتوحة. في هذه المدينة العظيمة التي يناهز عدد سكانها الملايين الستة والتي عرفت باسم القسطنطينية حتى العام ١٩٢٦، يبرز البازار الكبير مثل "صندوق فرجة" للجمهورية التركية التي تأسست في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٣.

Photo: Kurt Scholz / Shostal Assoc.

"نبيع غلايين صغيرة ثمن الواحد منها ١٧٠٠ ليرة تركية(★) وما فوق. هل تبغي شراء أحدها؟ أنت لا تدخن؟ حسناً، ما رأيك في أحد هذه الغلايين الكبيرة؟"

في وقت من الأوقات عكس البازار ثراء امبراطورية امتدت من هنغاريا (المجر) الى شبه الجزيرة العربية ومن مصر الى جبال القفقاس (القوقاز). وهو يضم نحو ٣٥٠٠ متجر، ويتغير هذا العدد كلما قرر متجران مجاوران الاندماج في متجر واحد وكلما انقسم متجر الى اثنين. وينتشر البازار على مساحة مئتي ألف متر مربع مشكلا مدينة مغلقة ضمن اسطنبول. وفي أيامنا يكسب نحو ٣٥ ألف تاجر وبائع وساع وحمّال رزقهم ضمن تخوم البازار. وتقدر قيمة السلع المعروضة للبيع في أي لحظة بأكثر من مليار دولار.

أبواب مشرعة – "أتريد جرس الجمل هذا؟ انه برونزي. وزنه خمسة عشر كيلوغراماً. ربما كان الجائزة الأولى في مباراة مصارعة الجمال قبل مئة وخمسين سنة. انه يرفع قيمة دكاني. سعره ٨٥ ألف ليرة فقط. هل تريده؟"

شيد البازار على يدي السلطان محمد الثاني الفاتح الذي أخضع القسطنطينية عام ١٤٥٣. وكانت آنذاك من أغنى مدن العالم وأكثرها حيوية، وهي التي تقف بين قارتين وتسيطر على خطوط التجارة بين آسيا وأوروبا. وبني البازار، مثل قصر السلطان والجوامع العظيمة، وفقاً لمقاييس مهيبة. فالقناطر تعلو ستة أمتار وتمتد فوق شوارعه وأزقته الأربعة والستين المتشابكة.

ونتيجة الحرائق والترميم الكيفي تحول البازار متاهة يضيع فيها الغرباء. ولم يعد التجار يلتزمون الشوارع المخصصة لهم، كشوارع صانعي المرايا وصانعي اللحف والصاغة والاسكافيين، بل انهم يشيدون حوانيتهم حيثما يجدون فسحة لذلك. وتتفاوت المتاجر بين حوانيت ضيقة مغلقة ومؤسسات مترفة تزينها ثريات ومفروشات فخمة وواجهات أنيقة. ويبلغ سعر المبيع الحالي لمتجر في شارع فوركاب الانيق، طوله أربعة أمتار وعرضه ثلاثة، نحو ١٥٠ مليون ليرة تركية. ويتهافت الصاغة على متجر كهذا.

ويمكن الزائر أن يشتري سلعاً مختلفة تراوح بين قلادة حجار كريمة بثمانين مليون ليرة وسروال بسيط. ويعتبر تجار البازار أنفسهم أفراد عائلة واحدة. والحقيقة أن هناك أواصر قربى تربط الكثيرين منهم. وكثيراً ما يرشدونك الى دكان مجاور منافس لتجد فيه مطلبك. والأمن مستتب تماماً، فلا خوف من السرقة. ويترك التجار أبواب حوانيتهم مشرعة حين يغادرونها ليتحدثوا الى جيرانهم.

بعد الشاي – دخلت دكاناً غريباً يملكه "لويس" شلبي، وهو رجل نبيل المظهر تبدو عليه أمارات الأناقة والكياسة ويتكلم لغات عدة ويعتبر ملك البازار غير المتوج. قدم الي قدح الشاي التقليدي ثم بادرني: "لقد أسس جدي هذا الدكان قبل

(★) المبالغ النقدية الواردة في هذا المقال هي كلها بالليرة التركية، والدولار الامريكي يساوي نحو ٥٧٥ منها.

ما ينيف على القرن." وكانت الصواني الفضية واللوحات الزيتية والأواني البلورية تملأ أرجاء المكان.

وفيما نحن نتحادث باع مساعدوه عدداً من السلع الصغيرة. أما شلبي فاشترى خلال عشرين دقيقة صحناً صينياً نادراً وطاساً فضية من صنع البرتغال وسواراً فيروزياً قال لبائعه: "سعره مرتفع جداً، لكنني سأتحنن عليك وأشتريه."

وفجأة انتصب كالرمح وصرخ بالفرنسية: "أين كنت يا سيدتي؟ كنا نسأل عنك طوال السنة! وها أنت! كيف حال أولادك؟ وكيف باريس؟ أرجوك أن تتفضلي وتجلسي. كم يسعدني مرآك!" وانسللت خارجاً من دون أن أنبس بكلمة.

لا تجرى أي صفقة في السوق بطريقة مختصرة وناشفة. فمن دون متعة المفاصلة تفقد الحياة بهجتها عند تجار البازار. فبعد أن يقدم اليك التاجر قدح شاي ساخن يعتبر رفضه بمثابة اهانة، تبدأ اللعبة:

"دعني أريك الآن شيئاً سوف يعجب خاطرك."

– حسناً، أرني اياه، ولكني قد لا أقرر شراءه اليوم.

"يا سيدي، أؤكد لك أن هذا لا يهم."

والحقيقة تقال أن ما يقدمه اليك جميل فعلا. وتعلم علم اليقين أنه سيبدو رائعاً حين تضعه في دارتك. وتعود في اليوم التالي فترى الشيء حيث تركه بالأمس. وتستمع الى خطابه حول الطقس فيما أنت تسترق النظر الى الشيء. ثم يستفسر عن أحوال عائلتك متحفاً إياك بأخبار أهل بيته.

وتذهب في اليوم التالي المصادف الاحد في رحلة يكون أرشدك فيها الى المكان الافضل لتناول الغداء. لكنك تعود اليه صباح الاثنين لتسأله عن زكامه. ويؤكد لك أنه أفضل حالا شاكراً لك اهتمامك. وبعد تردد هنيهة تجمع قواك وتسأله ما هو السعر النهائي والادنى لتلك السلعة.

ويجيبك مبتسماً: "يقول دليلك السياحي: أعط التاجر نصف مطلبه ثم اقتسم الباقي معه. لكن هذه قطعة ثمينة ونادرة. أنا متأكد من أن كل أصدقائك سيعجبون بها. واليك اقتراحي الأخير: أعطيك اياها مع حسم ١٥ في المئة. أسعار جيدة للقوم الجياد. ماذا قلت؟"

وبعد مصافحة حارة تخرج حاملا رزمة تحت ابطك وبركات الله تنهمر على رأسك.

الذهب والسجاد – الذهب هو ربما أكثر السلع تداولا في البازار. ويتم بيعه في أشكال مختلفة، من رقيات تعلق فوق مهود الرضع وتبلغ قيمتها ٨٥ ألف ليرة الى سلاسل ثقيلة وعملات مختلفة. وهناك نحو ٨٠٠ تاجر ذهب في البازار.

ومعظم السلع المبيعة في البازار متجذرة في التراث التركي. وعلى رغم أن هذه السوق العظيمة تعكس الحنين الى عهد ولى الى الابد فان التركيز يبقى على حيوية الفنون الشعبية التركية وتنوعها وسحرها. فهناك الجزع أو العقيق اليماني، وهو حجر شبه شفاف ضارب الى الخضرة أو البياض وتشتهر به الأناضول. وينحت هذا الحجر الكريم في شكل آنية

وعلب ومنافض وفناجين قهوة وحجار شطرنج. والمرشوم ومعناه بالألمانية "رغوة البحر" معدن رخف ضارب الى البياض يكثر في السهول الفرينية الواقعة غرب الأناضول (أرض الشمس) وتصنع منه الغلايين الشهيرة التي تمتص القطران الضار حسبما يدعي المدخنون.

الكثير من السلع المعروضة في الدكاكين العتيقة أما مزيف واما مستعمل. وعلى رغم ذلك يمكنك اكتشاف أشياء جميلة. ففيما أنا أنقب في محتويات أحد الحوانيت الصغيرة وقعت على فخارة مصقولة ومدهونة تبين لي لاحقاً أن عمرها ٤٠٠ سنة. وهي من صنع نيقية (ازنيق حالياً) المدينة الأناضولية التي زخرف فنانوها الخزف الزهري الرائع لمساجد اسطنبول في القرن السادس عشر. ورسم على هذه الفخارة التي كانت في حال ممتازة باقة زنبق. واقتصرت ألوانها على أبيض "مقلة العين" التقليدي وأحمر البندورة (الطماطم) وأخضر التفاح من العصر الذهبي لصناعة نيقية الخزفية.

ولسوء حظي كان البائع يعرف قيمتها. ولكن حتى ان كنت مستعداً لدفع ٧٨٠ ألف ليرة طلبها لما تمكنت من أخذها معي. فالاثريات الأصيلة يمنع تصديرها، ومن يحاول تهريبها الى خارج البلاد يعاقب بشدة.

أما السجاد الشرقي فهو السلعة الأكثر رواجاً في البازار. فهناك نحو مئتي دكان لبيعه. أما أفضل بائع سجاد في السوق فهو برهان أونلوسوي، وهو رجل بارع قوي البنية ناحلها في عقده الرابع. انه أنموذج للشباب المفعمين بالنشاط الذين يضطلعون تدريجاً بمقدرات البازار. يتقن الألمانية والفرنسية فضلا عن التركية، ويمارس مهنته بتكريس جدي لا يتميز به سوى العلماء. ويقول لي: "أبي ملك دكاناً في البازار قبلي. وأصابتني حمى السجاد وأنا دون العشرين." ويخزن برهان في محله نحو ألفي سجادة.

أيام السلاطين – انبهرت عيناي من توهج الألوان الأولية التي تطغى على السجادة التركية، خصوصاً الأحمر الفاقع. كما حيرتني الرسوم المعقدة على سجادات الصلاة. وأوضح لي برهان: "السجاد نتاج الحياة البدوية. انه ينسج على أنوال محمولة. وكان يصنع أصلا لاضفاء الدفء والراحة على الخيم الباردة."

يبلغ ثمن سجادة عادية طولها متران وعرضها متر ونصف متر نحو ١٢٥ ألف ليرة. لكن برهان باع عدداً من النماذج النادرة بملايين الليرات. وأوضح لي أن تمدين تركيا هو الذي أدى الى طرح هذه الكمية الكبيرة من السجاد في الاسواق. ففي كل سنة يتدفق نحو مئتي الف فلاح أناضولي الى اسطنبول طلباً للعمل فيبيعون أمتعتهم المتوارثة. ومنحت هذه السوق الناشطة بعض القرى فرصاً جديدة للازدهار، اذ أخذت الشركات تسوّق إنتاج سكانها من السجاد المصنوع يدوياً.

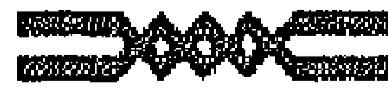
ويعبر البازار يومياً قرابة مليون شخص كطريق مختصرة بين منطقة وأخرى. فالسوق المسقوفة هي أفضل ملجأ أثناء انهمار المطر. وفي الصيف

تشكل جدران المحال الكثيفة عازلا للحرارة الخارجية اللاهبة. كما يتوافد كثير من السكان المحليين الى البازار للتنزه وتمضية الوقت. ولا يزيد عدد القاصدين للشراء على خمسة عشر ألفاً يومياً. ومعظم هؤلاء من ذوي الدخل المتوسط الذين يؤمون البازار لشراء أثواب القماش والسلع الجلدية والأواني المطبخية التي غالباً ما تكون أسعارها هنا أرخص مما هي في المدينة.

ومررت بواجهات مليئة بأخفاف الحريم المطرزة بالذهب وسترات الجلد المغطاة بالفرو والمسدسات المزيفة المرصعة بعرق اللؤلؤ. وفيما أنا أتسكع في الجهة الخلفية المنعزلة للسوق خلتني أجول في أيام الملكة فيكتوريا أو أيام السلاطين والقياصرة. وبدا لي كأن حضارة كاملة تتحفز للانبعاث. فهنا نظارات أوبرا بالية استعملت بالتأكيد في مسرح اسطنبول الملكي الفخم. وهناك خناجر مطلية بالفضة تستخدم حالياً كفتاحات رسائل. وهنالك علب سجائر فضية وذهبية. وترى ساعات جيب بريطانية الصنع في حال ممتازة، ومجموعات فاخرة من خزف السيفر ربما احتست فيها سيدات الحريم الشاي المعطر.

وحانت ساعة الاغلاق في السابعة والنصف مساء. فانضممت الى الجماهير المرهقة السائرة نحو أقرب بوابة. وفي الخارج هاجمتني المدنية بكل عصبيتها: سيارات الأجرة تطلق أبواقها بغضب وعربات النقل الكبيرة المكتظة تجتاح الشوارع العريضة. وأحسست كأنني خرجت لتوي من كبسولة الزمان التي تحفظ روح الشرق الغامض.

ارنست هوسر ■



كذبة احتياطية

كان شقيقي يملأ استبياناً يهدف الى تأمين الانسجام بين الطلاب الجامعيين في غرف المنامة. وجواباً عن السؤالين: "هل تمهّد أغطية فراشك دائماً؟" و"هل تعتبر نفسك شخصاً مرتباً؟"، وضع علامة امام كل سؤال تفيد بـ"نعم".

وقرأت أمي أجوبته وسألته لماذا يكذب وهي تعرف أن ما كتبه ليس صحيحاً. فصاح "ماذا؟ هل تريدين أن يضعوني في غرفة مع شخص زري؟"

د.ك.

المعرفة القليلة

سألني أستاذي هل أعرف القول المأثور: "ان المعرفة القليلة شيء خطر."
ولما أجبته بنعم قال لي بلهجة لاذعة: "حسناً يا عزيزي، أنت اليوم خطر داهم على البشرية."

ف.ر.

بلاتيني
ملك على كرة

تمريراته ذهبية وشوطاته الحرة هائلة
ورفساته القصيرة نحو المرمى تكاد تكون خارقة.
وأهم من كل ذلك أنه يسجل أهدافاً
بقدمه اليمنى وقدمه اليسرى وبرأسه على السواء

دخلت مباراة نصف نهائي بطولة كرة القدم الاوروبية للعام ١٩٨٤ الوقت "الضائع". واستبد القنوط بالفريق الفرنسي. فلم يبق حتى نهاية المباراة سوى خمس دقائق والفريق البرتغالي متفوق بهدفين في مقابل هدف واحد.

ومرة ثانية بدا أن حلم فرنسا في الفوز بأولى دوراتها العالمية الكبرى أخذ يتلاشى.

فجأة مرّر ميشال بلاتيني الكرة الى جان – فرنسوا دوميرغ الذي ركلها مسجلا هدف التعادل. وهبّ ٥٦ ألف متفرج ملأوا



ملعب مرسيليا يهتفون في فورة جنونية من الابتهاج. وقبل انتهاء المباراة بثوان سدّد بلاتيني الكرة وسجل الهدف الذي حقق الظفر. وهكذا تأهل ذوو القمصان الزرق للمباراة النهائية ضد اسبانيا.

هل سيفلت "الفوز العظيم" من فرنسا؟

يعرف الفريق الفرنسي بالاداء الباهر، لكنه أخفق غالباً في تحويل هذا الاداء أهدافاً في مباريات حاسمة. ولكن هذه المرة كان في يده سلاح ماض هو اللاعب ميشال بلاتيني البالغ من العمر ٢٨ سنة، وهو أعجوبة في الهجوم والدفاع. بلاتيني

Photo: Mundial / Gamma

هذا يمكنه أن يحقق كل شيء. فتمريراته ذهبية وشوطاته الحرة هائلة ورفساته القصيرة نحو المرمى تكاد تكون خارقة. وأهم من كل ذلك أنه يسجل اهدافا بقدمه اليمنى وقدمه اليسرى وبرأسه على السواء.

كيف تسنى لهذا الشاب أن يكتسب هذه البراعة؟

يقول بلاتيني: "في طفولتي لم أهتم لشيء سوى كرة القدم.". وجيران آل بلاتيني في مدينة جوف بمقاطعة اللورين يتذكرون جيداً الصخب الذي كان يحدثه الصبي كل مساء بعد عودته من المدرسة وهو يقود مباريات لا تنتهي بكرة القدم مع أولاد الجيرة. حتى في تلك المرحلة تفوق في هذه اللعبة. ولكي يحفظ التوازن كان يلعب وحده ضد ستة أو سبعة من أنداده. وشجعه والداه في ميوله الرياضية ولم يعترضا حين ترك المدرسة لدى بلوغه السابعة عشرة من العمر ليخصص وقته لكرة القدم مع فريق مدينته الذي كان والده مدرباً له.

عام ١٩٧٢ بعد تسجيل ثمانية أهداف في بطولتين دوليتين للناشئين، وقّع ميشال عقداً مع الشعبة الاولى في نادي نانسي - لورين الرياضي، وأصبح قلب الهجوم في الفريق ويحمل الرقم ١٠ على قميصه، وهو رقم السعد الذي لا يزال محتفظاً به.

واصل ميشال تحسين مهاراته. وحين اختير للعب مع المنتخب الفرنسي للمرة الاولى عام ١٩٧٦ سجل هدفاً حاسماً ضد تشيكوسلوفاكيا. وبين العامين ١٩٧٦ و١٩٧٨ فاز فريقه في المباريات التسع التي لعبها في "بارك دي برانس" بباريس الذي يعتبر محجة كرة القدم الفرنسية، وكان هذا انجازاً مدهشاً توّج بالهدف الذي سجّله بلاتيني قاهراً فريق باريس - سان جرمان وحائزاً بطولة فرنسا للعام ١٩٧٨. وعندما شارف تعاقده مع نانسي الانتهاء حاولت كبرى الاندية الفرنسية أن تتعاقد معه. غير أنه تعاقد لمدة ثلاث سنوات مع فريق سانت - اتيان الذي كان حينئذ نبراس اللعبة في فرنسا.

لن أنساكم أبداً - في تصفيات كأس العالم للعام ١٩٨٢ واجه الفريق الفرنسي مصاعب في الصمود. وكان يتألف في معظمه من لاعبي فريق سانت - اتيان. وكان لقاؤه وفريق هولندا في ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١ فرصته الاخيرة للتأهل. وفي الدقيقة الحادية والخمسين، والنتيجة على تعادل سلبي، استحق فريق القمصان الزرق ضربة حرة من مسافة ٢٢ متراً من المرمى. وكالعادة نيطت الضربة ببلاتيني. وحقق اللاعب الماهر احدى أروع شوطاته وأحرز للقمصان الزرق بطاقة دخول مباريات كأس العالم التي أجريت في اسبانيا في يوليو (تموز) ١٩٨٢.

ومع اقتراب دورة كأس العالم أخذت شهرة بلاتيني تتنامى. وبذل نادي جوفنتوس الايطالي الشهير في تورينو كل جهد لاصطياد ملك الكرة الفرنسي عارضاً عليه دارة تشرف على مدينة تورينو وسيارة "مازيراتي" فخمة وراتباً

شهرياً قيل انه بلغ ١٠٠ مليون لير ايطالي (نحو ٥٨ ألف دولار)، ويعتقد أن هذا أكبر أجر يدفع لاي لاعب في الفريق.

رضخ بلاتيني للاغراء. وربما كان جوفنتوس أعظم ناد في أوروبا، اذ ضم أكبر عدد من النجوم بمن فيهم باولو روسي وروبرتو بيتيغا. ويقول بلاتيني موضحاً: "لم يسعني أن أضيّع الفرصة في ممارسة كرة القدم على أعلى مستوياتها."

في شهر مايو (أيار) أصبح انتقاله رسمياً على أن يبدأ تنفيذه في شهر أغسطس (آب). ولا ريب في أن ذلك كان ضربة قاسية للفرنسيين. ولكن قبل شهرين من دورة كأس العالم، كان التساؤل الذي شغل الناس على رغم أن بلاتيني ما زال كابتن الفريق الفرنسي: ماذا سيكون مصير الفريق في اسبانيا؟

وحدثت المفاجأة وتأهلت فرنسا للدور نصف النهائي الذي ستواجه فيه الالمان الغربيين حاملي اللقب. وفي النهاية بعد فترة من الوقت الاضافي وضربات الجزاء الحاسمة فازت ألمانيا بشق النفس وبثماني نقاط في مقابل سبع، وتفوقت عليها ايطاليا في المباراة النهائية بثلاثة أهداف في مقابل واحد.

وآلمت هذه الخيبة بلاتيني فوجه كتاباً مفتوحاً الى الفرنسيين نشرته مجلة "باري - ماتش" وجاء فيه: "سأكون في ايطاليا بعد أسبوعين، لكني لن أنساكم أبداً. ولقد حرصت على ادخال فقرة خاصة في العقد تضعني في تصرف الفريق الفرنسي. وهذا أقل ما أستطيع فعله."

"توريني" في فرنسا - انتقال بلاتيني الى تورينو جلب له المجد الذي يرافق النجم الاجنبي، الا أن ذلك لم يجعل الغرور يقوى عليه. فزوجته كرستيل التي اقترن بها وهو في فريق نانسي وولداه مارين (٤ أعوام) ولوران (٦ أعوام) هم أهمّ ما في حياته. انه مولع بالاطفال ويريد أن ينجب ولدين بعد. وفي يوم عطلته يطير الى "الملعب الكبير" في سانت - سيبريان. فهذا المجمّع الرياضي الذي يرعاه بلاتيني مع نجم كرة المضرب الفرنسي يانيك نواه يعلّم لعبتي كرة القدم وكرة المضرب للاولاد وللبالغين.

خلال الموسم الاول الذي قضاه بلاتيني مع جوفنتوس (١٩٨٢ - ١٩٨٣) لم يحقق الفريق نجاحاً بارزاً، غير أن بلاتيني احتفظ بامجاده بتسجيله ١٨ هدفاً والفوز بلقب "كابوكانونيير" الذي يمنح لمن يسجل أكبر عدد من الاهداف في البطولات الايطالية.

لكن الموسم الثاني جاء بسلسلة من الانتصارات له وللفريق: بطولة ايطاليا وكأس الكؤوس وأفضل هداف في كالشاو و"الكرة الذهبية الاوروبية" التي تقدمها الى أفضل لاعب أوروبي هيئة محكمين دوليين من الصحافيين الرياضيين.

هتف جيوفاني آنييلي مدير شركة "فيات" للسيارات ورئيس نادي جوفنتوس: "بلاتيني هو عبارة عن مانوليتي مضافاً اليه نيجنسكي." وقد استحوذ ولع جنوني على هواة الكرة في ايطاليا. وكلما دخل فريق جوفنتوس باحة الملعب هب ألوف الايطاليين واقفين

لينشدوا المارسييز (النشيد الوطني الفرنسي) ويلوحوا بالاعلام الفرنسية.

لكن القدر كان يخبىء ضربة لبلاتيني. ففي شهر أكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٨٣ قضى الحظ بأن ينتقى فريق جوفنتوس من بين ١٤ منافساً محتملا في مباريات كأس اوروبا لمنازلة فريق باريس - سان جرمان الذي يضم أصدقاء بلاتيني القدامى. وتعين عليه أن يبذل قصاراه للتغلب عليهم في ملعب بارك دي برانس وتحت أنظار الامة الفرنسية كلها.

وكانت المباراة أسوأ من أشد مخاوف بلاتيني. وباستثناء شوطتين ممتازتين أذهلتا المشاهدين كان النظارة يصفّرون هازئين بـ"التوريني" كلما مسّ الكرة. وقال بلاتيني: "في ذلك الوقت آليت على نفسي ألا ألعب في فرنسا مرة أخرى."

ركلة النصر - في يونيو (حزيران) ١٩٨٤ انضمت فرنسا الى الدول المؤهلة لدورة كأس أوروبا في كرة القدم. وكان غياب بلاتيني خليقاً بأن يعتبر كارثة وطنية. ألم يقطع وعداً عام ١٩٨٣: سألعب على نحو أفضل في المرة المقبلة؟ وهو لم يكن بالرجل الذي يخالف وعده.

ونزل الفريق الفرنسي المؤلف من أحد عشر نجماً الى الملعب بقيادة بلاتيني. وأجاد من دون أخطاء وسحق الفريق البلجيكي بخمسة أهداف في مقابل لا شيء. وقهر الفريق اليوغوسلافي بثلاثة في مقابل اثنين وتخطى فريق البرتغال بثلاثة الى اثنين في الثواني القليلة الاخيرة من المباراة المثيرة التي أجريت في مرسيليا. وسجل بلاتيني ثمانية أهداف من الاحد عشر التي سجلتها فرنسا في المباريات الثلاث.

في ٢٧ يونيو (حزيران) ١٩٨٤ بدأت المباراة النهائية بين فرنسا واسبانيا. وملأ الهواة الفرنسيون مدرج بارك دي برانس وهم يصلّون ليتحقق لهم الفوز "مرة واحدة بعد." وفي النصف الاول من المباراة بقي الفريقان متعادلين سلباً، صفراً الى صفر. وفي الدقيقة السادسة والخمسين أعطى الحكم الفريق الفرنسي ضربةحرة من مسافة ١٧ متراً من المرمى. وأخذ الجمهور يصيح "بلاتيني! بلاتيني!" وسدّد بلاتيني ركلة قوية طيرت الكرة فوق خط الدفاع. وانقض حارس المرمى وأمسك الكرة بين مرفقه ووركه، لكنها انزلقت من تحت ذراعه واستقرت وراء خط المرمى. وقال بلاتيني في ما بعد: "لم تكن هذه أصفى ضربة حرة لي، الاّ أنها كانت الاهم بلا ريب." فهي منحت فرنسا أفضلية نفسية حاسمة وفوزاً بهدفين في مقابل لا شيء.

وتوهج وجه بلاتيني وهو يتسلم أول كأس ظفر دولية حظيت بها فرنسا أبداً، ليس اعتزازاً بانجازه الشخصي بمقدار ما هو لفرحة الملايين من الناس الذين علقوا آمالهم عليه. فما يهم قبل كل شيء هو أن يقدم الى المعجبين به انجازاً رائعاً يرضيهم. وفي ذلك يسع المرء دائما أن يثق بملك الكرة الفرنسي.

كاترين غالينزين ■

١٠ أطعمة تضمن رشاقتك وتحفظ صحتك

الموز. النخالة. القنبيط. الدجاج. السمك. الحليب. الفطر. البرتقال. المعجنات. البطاطا

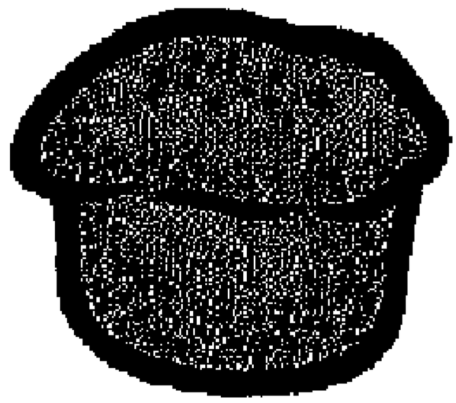
تزخر لوائح الكتب الأكثر مبيعاً هذه الايام بأسماء مؤلفات تتناول الحميات الغذائية. ويجد فيها القارىء من الاخبار المثيرة أكثر مما يجد من المعلومات الواقعية. وحتى ان استطعت فرز المعقول من السخيف فسيتعين عليك أن تواجه معضلة التكيف مع خطة غذائية تختلف عن الخليط الذي اعتدته. فكيف يتسنى لنا اذاً أن نحسّن عاداتنا في تناول طعامنا من دون الغوص في تغيير غذائي جذري؟ احدى الخطوات الصحيحة السهلة التطبيق تقتضي التأكد من ادخال مقدار أكبر من أنواع الاطعمة المفصلة في ما يأتي لانتقاء وجباتنا:



الموز

النافع فيه: البوتاسيوم.

الموز طعام ذو محتوى منخفض من الوحدات الحرارية والدهن، وهو المثال الاكمل للغذاء اللذيذ العميم الفائدة. انه يحوي عدداً من العناصر المعدنية أبرزها البوتاسيوم الذي هو أحد أهم عناصر الجسم. وللبوتاسيوم فعل موازن للصوديوم وصلة مباشرة بالموازنة الصحيحة للسوائل وبتقوية العضلات اجمالا. ويؤدي نقص البوتاسيوم الى الضعف والارق وحتى اختلال انتظام نبض القلب. حافظ على مؤونة جسمك الطبيعية من البوتاسيوم بتناول موزة واحدة يومياً مقطعة مع مشتقات الحبوب (cereal) او محشوة في زلابية أو مثلجة على سيخ.



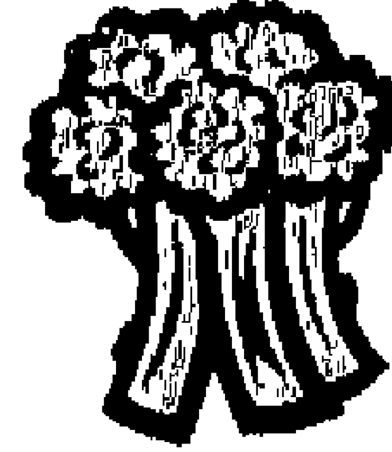
فطائر النخالة

النافع فيها: الالياف.

تحوي نخالة القمح (قشره) كمية ذات شأن من مادة السيلولوز الليفية التي يعتقد أنها تساعد في درء خطر سرطان القولون وسواه من الامراض المعوية. كما تبين أن الاطعمة الغنية بالالياف تساعد في خفض مصل الكولسترول ذي العلاقة

Condensed from Bruce Jenner's Better Health & Living (August '85), © 1985 by Decathlon Corp., New York, N.Y. Illustrations: Bill Silbert

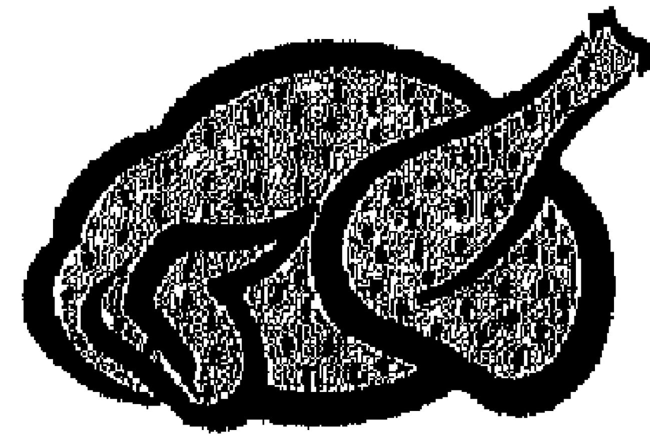
بالامراض التاجية واختلالات الدورة الدموية. وتناول فطيرةالنخالة (bran muffin) طريقة مستطابة لادخال الالياف في غذائك.



القنبيط

النافع فيه: الفيتامينان "أ" و"ج".

ان مقدار كوب من القنبيط (broccoli) المسلوق سلقاً خفيفاً يحوي ٤٠ وحدة حرارية فقط. ومع ذلك فانه يوفر ما بين ٧٥ و١٠٠ في المئة من الحاجة اليومية المقدرة لشخص بالغ من الفيتامين "أ". وهذا الفيتامين ليس ضرورياً لصحة البصر فحسب، بل انه يساعد أيضاً في المحافظة على وظيفة المناعة في الجسم كما يبقي العظام والاسنان سليمة. والى ذلك يحوي القنبيط الفيتامين "ج" (C) الذي، على غرار الفيتامين "أ"، يظن أنه حلقة لدرء خطر السرطان. ان القنبيط في وجبة سريعة أو ممزوجاً مع السلطة أو كطبق اضافي مستقل يجب أن يدخل لائحة طعام كل انسان.

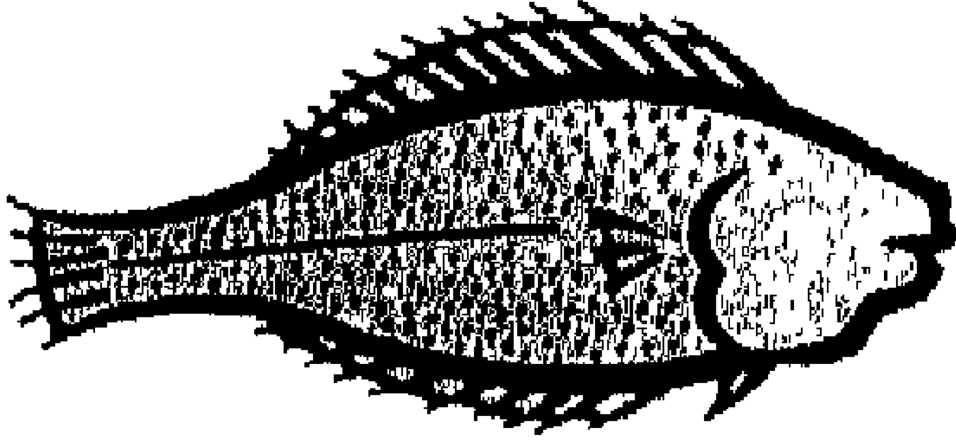


لحم الدجاج

العنصر المفيد فيه: البروتيين المبر.

يتركب البروتيين من الاحماض الامينية. ويشمل الدور الاساسي الذي تؤديه هذه الاحماض في حفظ الصحة انتظام عمل المناعة في الجسم والتوازن الهرموني وتناسق القوة العضلية وحتى مرونة الجلد. ولحم الدجاج من أفضل مصادر البروتيين. انه سهل الهضم ويحوي مقداراً أكبر من البروتيين في الغرام الواحد بالمقارنة مع لحم البقر. كما أنه مصدر جيد لعناصر الكبريت والفوسفور والسيلينيوم والنحاس.

ملاحظة: لضمان أدنى محتوى من الدهن يستحسن نزع الجلد ثم شي اللحم.



السمك المفلطح

النافع فيه: الدهن غير المشبع.

تشير الابحاث التي أجريت حديثاً الى أن الدهون غير المشبعة (polyunsatura-ted fats) في لحم السمك المفلطح تساعد فعلا في تحسين الصحة العامة للشخص من طريق خفض مستوى الكولسترول في الدم. ولحم السمك المفلطح يحوي مستويات من الدهون غير المشبعة أدنى كثيراً مما في اللحم الهبر الاحمر أو حتى لحم الدجاج. وهو مصدر ممتاز للبروتيين، اذ ان مقدار ١١٥ غراماً منه يوفر أكثر من ثلث الكمية الموصى بها للشخص البالغ يومياً.

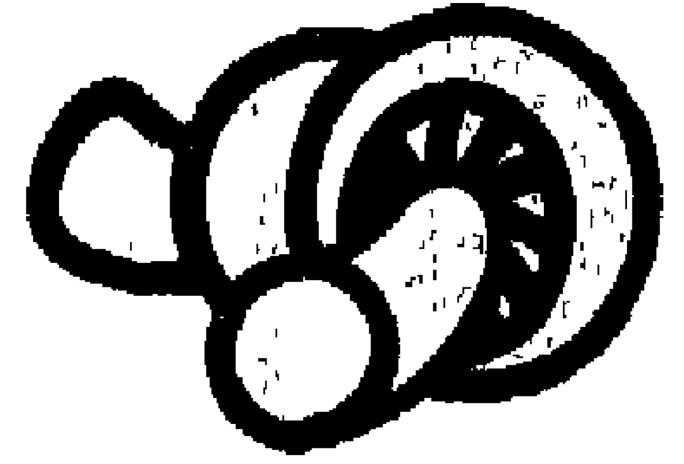


الحليب الخالي من الدسم

العنصران المفيدان فيه: الكلسيوم والفوسفور.

هذان المعدنان الاساسيان والمتكاملان يتوافران في الحليب بنسبة مؤاتية لامتصاص هذين العنصرين والافادة

منهما. الكلسيوم ضروري لتنظيم الوظائف العضلية ولحفظ الاسنان والعظام قوية (★) ويدخل الفوسفور في معظم الوظائف الايضية بما فيها انقباض القلب والعضلات وعملية الهضم وتحول الطاقة الخلوية. أما ما لسنا في حاجة اليه فهو الدهن الفائض في منتجات الحليب الكامل الدسم. والحليب الخالي من الدسم بنسبة ٩٩ في المئة يوفر الحل الامثل: كمية قليلة من الدهن تساعد في امتصاص المغذيات وخصوصاً الفيتامينين "أ" و"د" اللذين ينحلان في الدهن، وهما يضافان عادة الى الحليب.

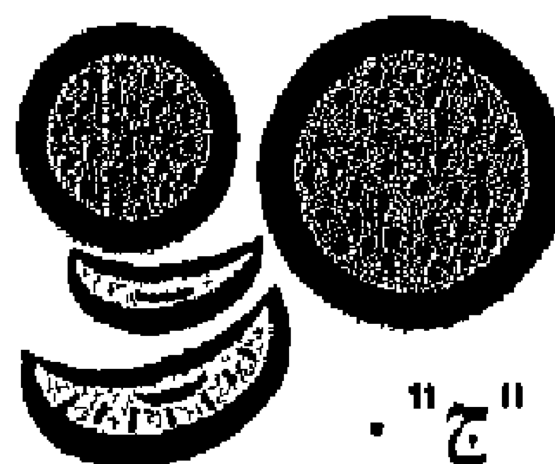


الفطر

النافع فيه: محتوى منخفض من الوحدات الحرارية والدهن.

ان الذين يستصعبون قضم الجزر أو جذوع الكرفس يجدون في الفطر النيء بديلاً مستطاباً. ان مقدار كوب من الفطر الطيب يحوي ٢٠ وحدة حرارية فقط. والفطر أيضاً عنصر مطيب يضاف الى السلطة والحساء والاطباق الرئيسية.

والفطر غني بالبوتاسيوم والفوسفور ومعزز بكمية نافعة من البيوتين من عائلة الفيتامين "ب". لكن الفطر قد يكون لبعض الناس مصدر ازعاج من فعل حساسية. لذا تناوله بحذر اذا كنت تشكو من حساسية للاطعمة التي تحوي خمائر.



البرتقال

الفائدة فيه: الفيتامين "ج".

البرتقالة ثمرة ذات نفع عظيم توفر طوال أيام السنة مصدراً ممتازاً للفيتامين "ج". كما انها تحوي مجموعة مفيدة من المغذيات في شكلي الكلسيوم والبوتاسيوم، وهي مصدر غني للفيتامين "أ" وللحصول على أكبر فائدة من معذبات البرتقال، اضافة الى نفع الالياف فيه، يجب أن نؤكل الثمرة كلها ولا يكتفى بشرب عصيرها. ان البرتقالة الكاملة أقل حلاوة من عصير البرتقال (الذي يضاف اليه السكر أحياناً كثيرة) ولذا فهي مفيدة للذين يساورهم قلق على مستوى السكر في دمهم.

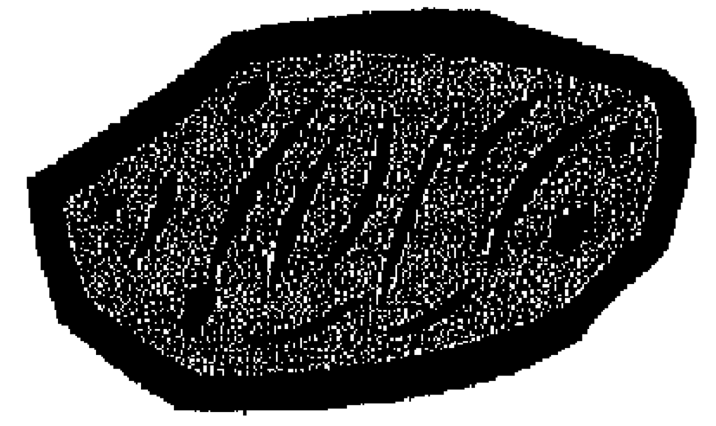


المعجنات

النافع فيها: الكربوهيدرات - الفئة الاولى.

في الماضي كان يظن أن المعجنات تؤدي الى السمنة، لكنها ظفرت أخيراً بالاقرار الحق بأنها مصدر ممتاز للكربوهيدرات التي هي المورد الرئيسي للطاقة التي تحرك كل وظائف الجسم، بدءاً بالعمل العضلي وانتهاء بعملية الهضم وتمثل الطعام. فالعملية الطويلة لهضم الكربوهيدرات المعقدة في المعجنات تساعد على خفض مستوى السكر في الدم وعلى اطلاق متواصل للطاقة وتوفير نشاط اضافي.

(★) راجع موضوع "نخار العظم داء صامت يرعب النساء" في الصفحة ٥٧ من هذا العدد.



البطاطا

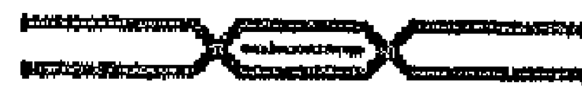
النافع فيها: الكربوهيدرات - الفئة الثانية.

البطاطا، على غرار المعجنات، لها سمعة لا تستحقها بأنها محرمة على متبعي الحمية. والواقع ان ثمرة بطاطا معتدلة الحجم تحوي قرابة ١١٠ وحدات حرارية فقط. لكن الزبدة أو القشدة التي تضاف اليها هي التي تحوي المادة الدهنية. ومن جهة أخرى فطبق البطاطا المسلوقة او المشوية المتوج بالخضر وبقليل من الجبن القليل الدسم يؤلف وجبة مشبعة وصحية.

والى الكربوهيدرات المعقدة تحوي البطاطا مجموعة من العناصر المعدنية كالمغنيزيوم والحديد والفوسفور والبوتاسيوم. استمتع بتناول البطاطا مع قشرتها لتحظى بأقصى منافعها الغذائية.

هنيئاً لك ومريئاً!

جوان فريدرينتش ■



فندق "يا ليت"

شاء بائع متجول أن ينزل بفندق في بلدة صغيرة ليس فيها سوى فندقين في حال مزرية. وقاد سيارته في الشارع الرئيسي الى أن رأى أحد السكان فسأله: "في أي من الفندقين تنصحني بالنزول؟"

أجاب الرجل: "لا فرق. اذا نزلت في أي منهما فستتمنى لو نزلت في الفندق الآخر."

ب.ت.

كلاب وأرانب

كانت غرفة الانتظار في عيادة الطبيب البيطري مزدحمة حين دخلت وشقيقتي مع عزيزنا "سنوبي". وأتى بعدنا رجلان مع كلبين كبيرين وجلسا في المقعد بجانبنا وسرعان ما لفتا الحاضرين.

قال الرجل الجالس الى جانبي: "لم أعرف في حياتي أعظم من كلبي تروبر في مطاردة الارانب." وقال الآخر مناظراً: "أفهم ماذا تقصد. وأنا لم أر أرنباً في مزرعتي منذ ثلاث سنوات بعدما اقتنيت كلبتي كويني."

واستمر الصيادان في هذه المناظرة على مدى نصف ساعة بينما كلباهما نائمان عند أقدامهما. وأخيراً التفت أحدهما الي وقال: "أحسنت في وضع هرتك في صندوق نظراً الى وجود كل هذه الكلاب هنا."

وفي تلك اللحظة ظهرت مساعدة الطبيب وقالت لي ولشقيقتي: "الطبيب مستعد لفحص أرنبكما."

غ.س.

بحر ويدبل

شبه جزيرة
انتارتيكا

القطب الجنوبي ×
محطة أموندسين - سكوت

جبال ترانس انتارتيك

محطة ماكموردو

رحلة الى أسفل الكرة الارضية

كتب أحد الرواد الأوائل: "يا الهي! انه مكان رهيب!" لكن زائراً حديثاً وجد القطب الجنوبي منطقة مذهلة رائعة الجمال

وطأت قدماي القطب الجنوبي ورحت أتفرس في نواحي العالم. فرأيت في اتجاه الهند قبة الالمنيوم لمحطة أموندسين - سكوت الأمريكية وهي تعكس السماء المتألقة. واتجهت جرافة صوب أوستراليا لتحفر بعض ثلج يستخدم كماء استقاء. وفي الجوار خفقت أعلام ست عشرة دولة تشترك في الأبحاث الجارية في منطقة القطب الجنوبي (انتارتيكا). وتراقص العلم الامريكي فوق رأسي محدداً المحور الدقيق الذي

تدور حوله الأرض كلها. وباستثناء هذه المعالم القليلة لم أكن أرى سوى مساحات الثلج الباهرة على امتداد نظري.

تنبسط الصحراء الثلجية المتلألئة على امتداد خمسة آلاف كيلومتر. ويبلغ معدل كثافة الطبقات الثلجية نحو ثلاثة كيلومترات. وهي في حركة دائمة. فجبال الجليد الضخمة تنحدر ببطء الى الشاطيء. ويولد هذا التحرك صدوعاً يصل عمقها الى مئات الأمتار. وغالباً ما تكون هذه الصدوع الغادرة مخفية تحت جسور ثلجية قد تنهار بمجرد دوسها.

وخلافاً لقمة العالم حيث القطب الشمالي (آرتيكا) هو محيط مغطى بطبقة ثلجية رقيقة تجرفها المياه، فان القطب الجنوبي قارة مزنرة بمحيط عاصف جداً. أما أرض هذه القارة فهي شبه دائرية، ما عدا ناحيتين منها يقضمهما المحيط. كما أن هنالك شبه جزيرة هي سلسلة قنن وجزائر لها ضعفا طول ايطاليا وتنتأ نحو رأس أمريكا الجنوبية.

ويغمر الجليد ٩٧٫٦ من مساحة القطب الجنوبي، وقد دفنت تحته سلاسل جبال بكاملها. فلو قدر لهذا الجليد أن يذوب لارتفع منسوب مياه البحار حوالى ستين متراً غامراً تمثال الحرية في نيويورك الى الخصر.

في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٤ طرت الى أسفل الكرة الأرضية وبالتحديد الى مضيق ماكموردو الذي يبعد ٣٤٠٠ كيلومتر عن جنوب نيوزيلندة. وفي تلك البقعة على جزيرة روس تقوم المحطة الرئيسية لبرنامج الأبحاث الامريكية في القطب الجنوبي. وتشغّل هذه المحطة المؤسسة الوطنية الأمريكية للعلوم. ومن تلك النقطة طرت مسافة ١١٨١ كيلومتراً الى الداخل في اتجاه مركز القطب الجنوبي. وكانت الرحلة فوق نجد جليدي يعلو نحو ثلاثة كيلومترات.

في العام ١٩١٢ ارتحل الربان البريطاني روبرت سكوت بصعوبة فائقة الى أن وطأ قلب هذه القارة المتجمدة. لكنه ذهل حين اكتشف أن الرحالة النروجي روالد أموندسين سبقه الى القطب. فكتب في يومياته: "يا الهي! انه مكان رهيب!" ورأيت عبارته هذه منقوشة على قطعة خشبية معلقة داخل حانة في محطة القطب الجنوبي.

أنشئت المحطة القطبية المتقدمة في العام ١٩٥٦. وهي مزيج غريب من مختبر فضائي ومخيم في برية. وتظلل قبتها الجيوديسية غير المدفّأة ثلاثة أبنية جاهزة يعلو كل منها طبقتين وتحميها من رياح الشتاء العاتية. وهذه الأبنية مدهونة باللون البرتقالي ومجهزة بأبواب عازلة وليس لها نوافذ. وهي تؤوي في فصل الصيف ما يصل الى سبعين رجلا وامرأة.

وقائع باردة – في صباحي الأول في القاعدة ارتديت الزي القطبي المؤلف من ملابس تحتية طويلة وقميص وسروال صوفيين وسروال مانع للهواء وصدرة محشوة بالصوف وسترة فرائية مقلنسة وجوارب غليظة وحذاء عازل وقفازين ونظارات شمسية وأخرى واقية للوجه ولفاع يُلف حول العنق. ثم تمشيت خارجاً

Illustration: Geoffrey McCormack

في جولة سريعة حول العلم الأمريكي. فالفرصة غير متاحة كل يوم كي تتمشى "حول العالم" قبل الفطور. لكن الاجهاد ضغط رأسي وسبب الهواء البارد الجاف نزفاً في أنفي.

وتوقفت في عيادة المحطة حيث عاينتني الدكتورة نانسي ساكس وذكرتني: "انك تعلم أن هذا أبرد مكان على وجه البسيطة، لكنك كالآخرين تنسى أن المناخ هنا أجف منه في الصحارى والارتفاع يزيد على ١٦٠٠ متر." ثم أضافت: "انك تشكو من غثيان المرتفعات الموقت، وجسدك يخسر كميات من الماء مع كل نفس تأخذه."

تركت ساكس عملها كطبيبة طوارىء في ولاية ايلينوي لتمضي سنة في القطب الجنوبي. وعما قريب ترحل طائرة الامدادات الاخيرة لتنعزل ساكس مع ثمانية عشر شخصاً آخرين لأشهر طويلة من الشتاء المظلم المكفهر. ولا أمل لهم في الرحيل طوال هذه الفترة إلا في حالات الطوارىء الملحة جداً.

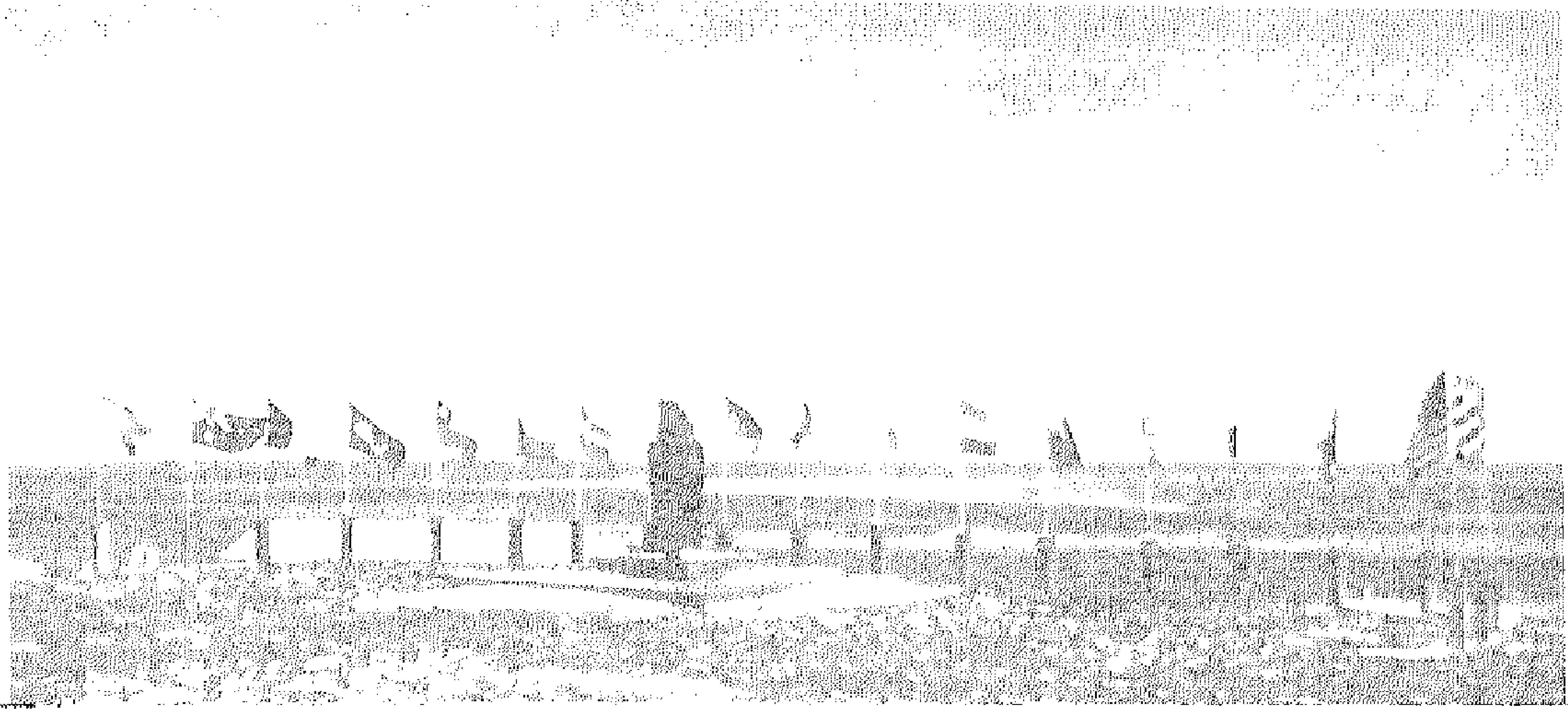
في ذلك الصباح عينه كانت الحرارة "مرتفعة" الى ٣٥ درجة مئوية تحت الصفر. وهو نهار صيفي ممتاز بالنسبة الى القطب الجنوبي (الفصول معكوسة في الجنوب). وخلال فصل الشتاء تهبط الحرارة الى مستويات متدنية جداً قد تبلغ ٧٣ درجة مئوية تحت الصفر. ومع ذلك يبقى ٩١١ عالماً وموظفاً ينتمون الى ١٣ بلداً في ٣٦ قاعدة في القطب.

وهنالك ١١٥ أمريكياً يشتون في ماكموردو وفي القطب وفي محطة بالمر، يفوقهم عدداً ٣٠٠ سوفييتي يخدمون في محطاتهم على مدار السنة. لكن هذا الخلل في التوازن العددي ينقلب في الربيع حين يتوافد نحو ١٢٠٠ عالم ومقاول وعسكري تابعين للمؤسسة الوطنية الأمريكية للعلوم. ومع استحداث مخيمات ميدانية صيفية يرفرف العلم الامريكي فوق ٤٥ موقعاً أو نحوها.

وتبدأ العملية في أواخر أغسطس (آب) عندما تحط في ماكموردو طائرات تنقل فرق بناء. وفوق الجليد العائم يستخدم الرجال الجرافات الضخمة والمكاشط وناسفات الثلج والمحادل العملاقة لانشاء مدرجين مستقلين.

وبحلول نوفمبر (تشرين الثاني) تشرق الشمس على مدار الساعة وتنشط ماكموردو وكأنها مدينة الذهب. وتقف أبنيتها وسقائفها وأكواخها المعزولة الخمسة والثمانون عند السفح المغطى بالرماد لجبل اريبوس، وهو بركان يرتفع نحو ٣٨٠٠ متر وينفث بخاراً من فوهته الجليلة. ويتناول أكثر من ٨٠٠ شخص وجباتهم في غرفة الطعام، وهي مآكل تجلدت منذ وصولها بالسفينة السنة الماضية. ويحتفل الجميع بعيد الشكر الموافق الخميس الرابع من نوفمبر (تشرين الثاني) بمباراة تقليدية في كرة القدم على الجليد. وفي يناير (كانون الثاني) تشق كسارة طريقاً لسفينة شحن وناقلة نفط. ومن ثم يقبل فصل الشتاء فتنعكس وجهة الهجرة. وتغادر الطائرة الأخيرة في أواخر فبراير (شباط).

ألواح الشوكولاتة – صرح الرئيس الامريكي رونالد ريغان عام ١٩٨٣ أن



أعلام الدول المشاركة في أبحاث قارة القطب الجنوبي.

الهدف من هذه العملية التي تكلف ١١٠ ملايين دولار سنوياً هو الحفاظ على "الوجود الأمريكي الناشط والمؤثر" في القارة. ويعود هذا الالتزام الى العام ١٩٥٧ حين تعاونت الولايات المتحدة مع اثنتي عشرة دولة في الأبحاث الجيوفيزيائية على الجليد. وبرهن هذا التعاون الدولي عن نجاح باهر تجلى في المعاهدة التي أبرمتها الأطراف المعنية عام ١٩٥٩ لتكريس القارة مع محيطها الجليدي وبحارها للسلام والعلم.

ومع حلول العام ١٩٨٥ باتت ست عشرة دولة أطرافاً استشارية في معاهدة انتارتيكا. بعض هذه الدول، كالولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، لا يطالب بملكية أراض في القارة ولا يعترف بشرعية أي مطالبة من هذا النوع. لكن سبع دول أخرى تطالب بحقوق ملكية مستندة الى ما تسميه حقوق الاكتشاف. وقد وافق الجميع على ترك المسألة من دون بت وعلى الالتزام ببنود المعاهدة (*) . وعلى رغم أن الفائدة الرئيسية من الأبحاث في تلك الاصقاع هي التقدم العلمي، إلا ان بعض الدول يأمل أن تنطوي الموارد المعدنية في القارة على قيمة اقتصادية.

وفي الموسم الأخير وفد ٣٦٥ رجلا وامرأة ينتمون الى جامعات ومؤسسات دراسات ليعملوا في ١١٠ مشاريع أقامتها المؤسسة الوطنية الأمريكية للعلوم في القطب الجنوبي.

وشاركت بعض العلماء في تحمل الهدير الراعد لمحركات طائرة "ل س - ١٣٠ هيركوليز" فيما نحن نحلق على ارتفاع سبعة آلاف متر فوق سطح الجليد اللامع. وأطلق هؤلاء العلماء في وقت سابق غاز ميثان خاصاً وراحوا الآن

(*) الدول المطالبة هي بريطانيا وفرنسا والنروج والارجنتين وتشيلي وأوستراليا ونيوزيلندة. والدول غير المطالبة هي الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي واليابان والمانيا الغربية والبرازيل وبولونيا والهند وبلجيكا وجنوب افريقيا.

يجمعون عينات من الهواء لمراقبة اتجاهات الريح وسرعة انتشار الغاز. وفي تجويف متجمد راقبت علماء الحياة المجهزين ببزات مطاطية خاصة ينبثقون كالفقمات من البحر القارس حاملين إسفنجاً ومحاراً جمعوهما من القعر. وفي محطة اذاعة لاسلكية سمعت "الصافرات" الغريبة التي تبثها ومضات البرق في شمال كندا، فتحلق بعيداً في الفضاء قبل أن تعود الى نقطتها المغناطيسية المعاكسة على الأرض. ويحلل العلماء هذه الصافرات لجمع معلومات دقيقة عن امتدادات غلافنا الجوي.

وبدأت أهمية القارة القطبية في الحفاظ على التوازن الهش لمناخ الأرض تظهر حديثاً. فجليدها يؤدي دور مكيف هواء عملاق في الجزء القاعدي من أرضنا. وهو أحد المحركات الأساسية للمناخ العالمي.

وحتى الأشياء التي تبدو تافهة ظاهرياً، كالنباتات البنية المغمورة التي تنمو تحت بحر الجليد، تؤدي دوراً بعيد الأثر. فعندما يذوب الجليد في الصيف تترسب المواد الغروية الى قعر البحر لتصبح أساس سلسلة الغذاء في المحيط البارد.

ويؤدي الجليد أيضاً دور مختبر فضائي ثابت. فالنيازك المتساقطة هناك تحفظ لمئات آلاف السنين. وفي العام ١٩٨٢ وجدت شظية تزن واحداً وثلاثين غراماً ونصف غرام، وتبين أن مصدرها القمر.

واحات الراحة — قدت عربة شحن صغيرة تسير على سلاسل عوض الإطارات، وبصحبتي مارتن بوميرانتز من معهد بارتول للأبحاث التابع لجامعة ديلاوير في نيوارك. وتوجهنا لزيارة فلكيين أمريكيين وفرنسيين قرب محطة القطب الجنوبي. وهناك شاهدت مراقب (تلسكوبات) دقيقة ومعدات حساسة تقيس تقلبات الشمس. وأوضح بوميرانتز: "هنا لا وجود لظلمة تعترض النهار. كما تنعدم الرطوبة واضطرابات الهواء فلا تشوه أعمال الرصد."

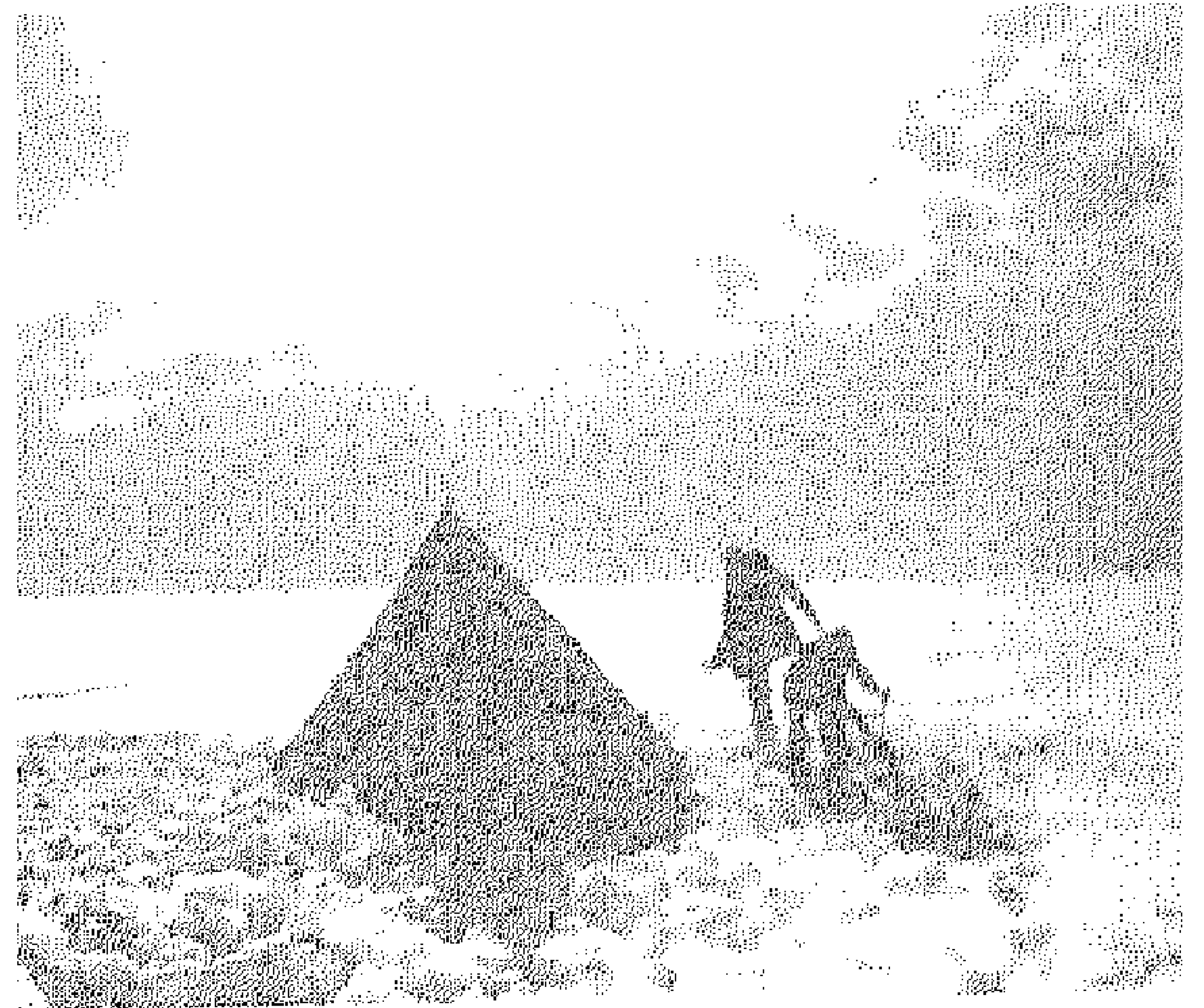
ان هذا التعاون الدولي هو السمة المميزة للعلوم الانتارتيكية. ففي العام ١٩٨١ مثلا تشارك ثلاثة عشر أمريكياً مع عدد مماثل من الروس في رحلة أبحاث في بحر ويديل دامت ٤٧ يوماً. وفي ذلك يقول جون بيريندت من المعهد الجيولوجي الأمريكي في ولاية دنفر: "لسنوات ونحن نمازح زملاءنا السوفيات بأننا نحصل على المال اللازم للأبحاث بسبب وجودهم هنا وأنهم ينالون أموالهم بسبب وجودنا."

وتنسق اللجنة العلمية للأبحاث الانتارتيكية، وهي منظمة دولية غير حكومية، عدداً من المشاريع. وأكبر هذه المشاريع "بيوماس" الذي يبحث في بيولوجيا مياه القارة القطبية ويشارك فيه ١١ بلداً. ويركز المشروع على دراسة الكريل الشبيهة بالقريدس (الاربيان) والتي تعتبر أكبر مصدر بروتييني بحري غير مستغل.

وأنجزت الولايات المتحدة وسيلة هبوط رائعة وفريدة في نوعها بغية تأسيس مخيمات علمية في أماكن نائية. وعاينت ذلك شخصياً حين انضممت الى بعثة إنزال حاولت نصب مخيم في جبال ترانس

انتارتيك على مسافة ٤٣٥ كيلومتراً من القطب.

بعد ثلاث ساعات طيران مالت طائرة "هيركوليز" الضخمة المجهزة بزحالق على ارتفاع مئة وخمسين متراً فوق موقع الهبوط. ولم يظهر أي أثر لصدوع خطرة أو لجليد أزرق صلب على الثلج المحتفظ بنقائه الأصلي. ولكن كيف لأي طيار أن



Tobias Heldt/The Image Bank

موقع أبحاث على سهل الجليد.

يجزم بذلك؟ وما لبثت الزحالق الخلفية أن لامست الثلج. وراحت الطائرة تهدر فوق السطح الناصع وهي تسير بسرعة ١٦٠ كيلومتراً في الساعة، مخلفة سحابة من رذاذ الجليد في شكل ذنب الديك طولها كيلومتر ونصف كيلومتر. ثم اندفعنا مجدداً في الهواء وتفحص الطيار الشق الحاصل على مسافة ثلاثة كيلومترات. وأكد لنا: "انه يبدو نظيفاً. هلموا لنهبط."

وحطت الطائرة بهدوء في المكان الصحيح. وفيما هي تبطىء دفع الرجال أكياس الحمولة من الأبواب الخلفية. وسرعان ما قفز قائد المخيم وتبعه مساعدوه الثلاثة. وكانت أولى مهماتهم تختصر برفع العلم ونصب خيمة ومن ثم الاتصال لاسلكيا بمحطة ماكموردو.

ومع وصول طائرات أخرى ينمو المخيم ليصبح واحة راحة بيتية. فتجهز الأكواخ المدفأة ذات الأرضية الخشبية بالأواني المطبخية وماكينات صنع القهوة وأجهزة الفيديو. وبعد موسمين أو ثلاثة يفكك ذلك كله ويخلى بواسطة الطائرات. وآخر ما ينقل هو العلم.

زمن الاستحقاقات – ليست كل المخيمات الميدانية متقنة. فمرة انطلق غانتر فور، وهو عالم بالكيمياء الحية في جامعة ولاية أوهايو، من ماكموردو ليمضي شهرين في خيمة صغيرة على النجد الجليدي. ورافقه في هذه الرحلة طالب دراسات عليا. واقتصرت مهمتهما على دراسة رقعة غامضة من الجلاميد لم تعاين حتى الآن إلا بالصور الجوية.

وأخبرني فور: "إن ما ينال منك هناك هو الريح. ففيما أنت تعمل تحت سماء رائعة تخرج الريح فجأة من مخازنها المجهولة المصدر. وتتعذر عليك الرؤية لأكثر من ستة أمتار. وتصدر الخيمة جلبة صاخبة تشل قدرتك على التفكير. واذا ما انهارت الخيمة فإن أملك الوحيد في النجاة هو الاحتماء في الكهف الجليدي حيث تخزن معدات الطوارىء. وقد تبقى العاصفة اثني عشر يوماً متتالياً، وأنت تواجه مصيرك في كل لحظة. ومع هذا كله تصر على العودة دائماً. والله وحده يعلم السبب."

وعلى رغم أن القارة المتجمدة تعتبر مكاناً قاسياً على البشر فان بيئتها

حساسة جداً. فخارج أحد المخيمات النيوزيلندية مسدت جلد فقمة نفقت بعدما ضلت طريقها. وقد حفظ جلدها المكسو بالفرو على نحو عجيب بعد مرور ٧٨٠ سنة على نفوقها بحسب التحاليل العلمية. ووجدت في أماكن أخرى جيف حيوانات نفقت قبل ألفي سنة.

ويحرص العلماء على نقل القمامة جواً مهما تكن ضئيلة. فحيث يحفظ الهواء البارد والناشف اللحم الحي لفترات تتجاوز الألفي سنة، لا بد من أن تبقى الصحون الورقية وبقع الزيت الى الأبد.

وفيما أنا أقف على القطب الجنوبي مراقباً امتدادات الجليد الفسيحة، كنت أرى أنتارتيكا التي قد تكون على عتبة عصر جديد. صحيح أن دول المعاهدة أبرمت اتفاقات مهمة حول صيد الأسماك وحماية البيئة، لكن الكثير من الأمور يبقى معلقاً. فان صادف أن اكتشف هناك مخزون كبير من النفط والمعادن قبل وضع نظام ثابت للتنقيب والاستثمار، فاننا قد نشهد تسابقاً دولياً مشابهاً للهجمة على الذهب إبان تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية. وبطبيعة الحال ستكون النتيجة فوضى شاملة.

جون ديسون ■

آرمسترونغ والتمساح

روى لويس آرمسترونغ، موسيقي الجاز الامريكي الراحل:

"كنت صبياً في لويزيانا حين طلبت مني امرأة عجوز أن أملأ لها دلواً ماء. وذهبت الى النبع. وعندما غطست الدلو في الماء رأيت عينين شريرتين تحدقان الي. فقفزت مرتاعاً وعدوت من حيث أتيت. فقالت لي العجوز: "يا لويس، أين الدلو" فأجبتها: "يا آنسة هالي ماي، لا أستطيع ملء دلوك، ففي النبع تمساح كبير."

قالت العجوز: "يا لويس، ان التمساح يعيش هناك منذ سنوات طويلة، وربما ارتاع منك بمقدار ما ارتعت أنت منه." فأجبتها: "يا آنسة هالي ماي، اذا كان ذلك التمساح ارتاع مني حقاً بمقدار ما ارتعت منه، فلا بد من أن الماء أصبح ملوثاً ولم يعد صالحاً للشرب."

ج.د.

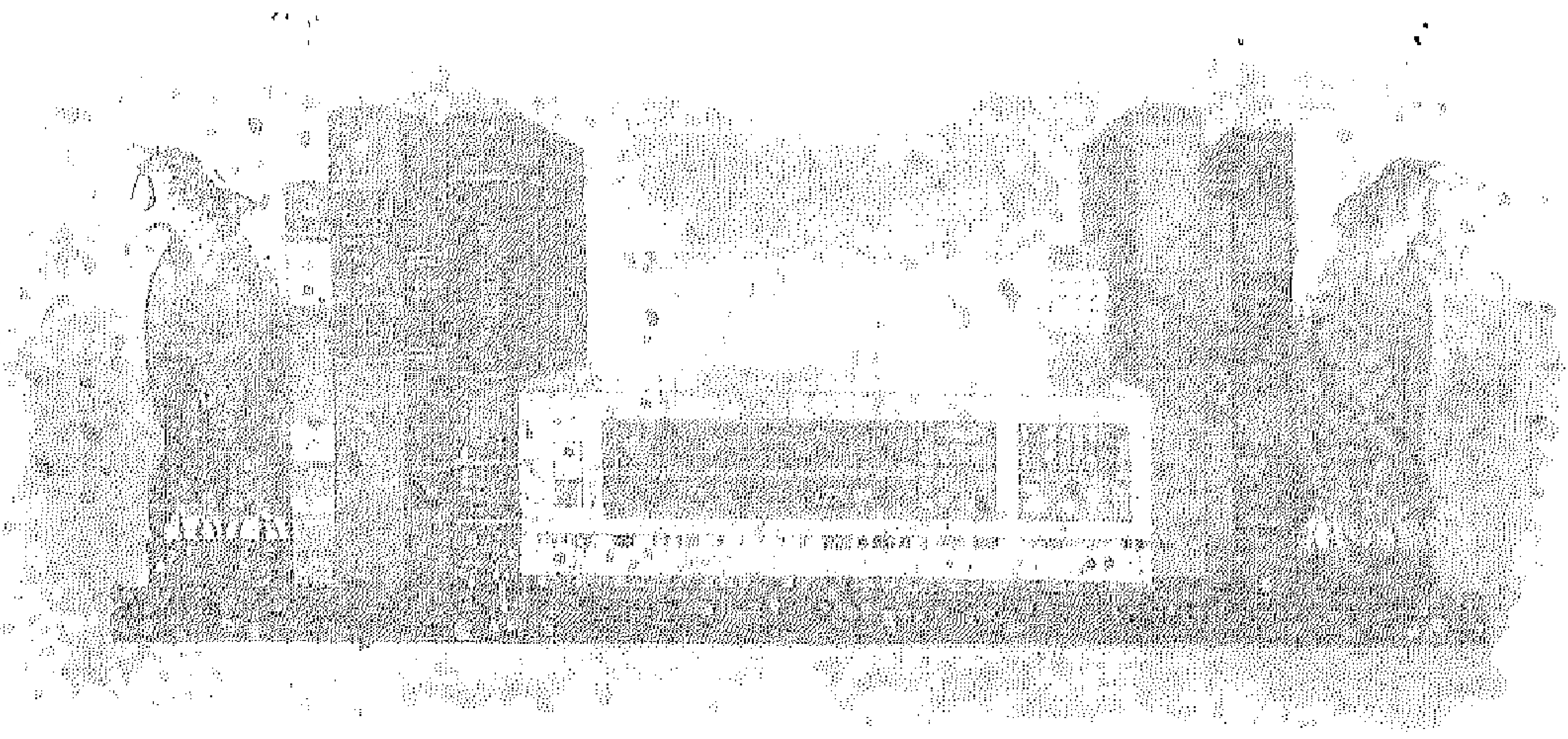
السائحة والحوذي

وقفت امرأة تزور مدينة نيويورك لتتأمل عربة خيل أنيقة متوقفة أمام متنزه سنترال بارك. وتفحصت الحصان من رأسه الى ذيله وتلمست رأسه وجسّت قوائمه. وأخيراً تحولت الى الحوذي قائلة: "هل أنت الحوذي؟"

– كلا، أنا الحصان. ومعظم الناس لا يميزون بيننا.

ج.ب.

لو كانت النمور تحسن القراءة...



...لما انقرض النمر المسيّف الأسنان

ان كنت انتصرت مرة في مصارعة مع نمر مسيف الأسنان، فالرجاء رفع ما تبقى من يدك اليمنى.

وتجيب: "النمر المسيف الأسنان انقرض قبل آلاف السنين!"

حسناً، اني أرضى بأي من أقربائه بديلا: أسد الجبل أو النمر أو الوشق.

ماذا؟ أما من جواب؟ ان ذلك لا يفاجئني. فلو انحصر الامر في عراك بالأسلحة الطبيعية التي ولدنا بها مع أي من أصدقائنا المكتسين الفرو، لكانت النتيجة محتومة.

إن أسناننا وأظفارنا تكاد تكون عديمة الجدوى. وحواسنا ليست مدعاة الى الفخر. فمجال الرؤية لدينا أخف منه لدى الطيور، وقدرتنا على السمع أقل كثيراً من قدرة الخفافيش. وحين نصل الى حاسة الشم فإن كلباً مزكوماً قادر على جلب العار الينا والخزي.

لكن إذا صح كل ما قيل، فكيف يا ترى بقينا نحن بهذه الأعداد الوافرة فيما انقرض النمر المسيف الأسنان قبل زمن بعيد؟ والجواب بسيط. هو لم يحسن القراءة، خلافاً لنا.

على رغم كل ضعفنا فنحن نملك ميزتين رائعتين نتفوق بهما على كل منافسينا ذوي الفرو: نحن يمكننا استنباط أفكار معقدة، كما يمكننا شرحها للآخرين من بني جنسنا.

دعونا نرجع الى العصر الحجري للحظات قليلة:

في احدى الليالي خاطب جورج أحد جيرانه من سكان الكهوف بعد تناولهما طعام العشاء: "أتدري يا فريد؟ النمر

الهرم الذي يقطن هذه المنطقة يفترس الكثير من الأيائل، وسينتهي بنا الأمر الى الرحيل اذا كنا حريصين حقاً على تأمين مأكل عائلتينا".

وأجاب فريد: "كنت في معرض التفكير ذاته. فذلك الهر هو من الضخامة بحيث يفوق قدرتنا على مواجهته."

ووافق جورج: "هذا صحيح. لكن اذا حفرنا جورة الى جانب الينبوع حيث يستقي ورمينا قطعة لحم فيها، فقد يكون مغفلا الى حد القفز الى الجورة ليحظى باللحم".

وهتف فريد: "فكرة عظيمة!" وأضاف: "واذا ركزنا قضيباً مسنوناً في قعر الحفرة فقد يقع عليه، مسهلا لنا عملية التخلص منه."

وهكذا استنبط فريد وجورج طريقة للتفوق بالحيلة على النمر المسيف الأسنان. ومع مرور الزمن أصبح في الامكان تشييد ناطحات السحاب واختراع التلفاز والطائرة.

لقد حل جورج وفريد وكل الآخرين مشاكلهم بمناقشتها والتحدث فيها. والكلام مجد ما دمنا نتذكره بحذافيره. لكن هذا أمر غير مستطاع في بعض الأحيان. ولحسن الحظ توفر لنا اختراع مدهش يسمى الكتابة.

تعتبر الكتابة تقدماً هائلا على الكلام لأنها لا تنسى. فهي مثالية لحفظ السجلات عن ممتلكاتنا وديوننا واكتشافاتنا العلمية والتقنية. ونظراً الى القيمة العالية لهذه السجلات فاننا نحفظها في المكتبات.

ولا تملك المكتبة أجوبة متكاملة عن كل أسئلتك، لكنها حتماً تحتوي على كتب ومقالات دوّن في طياتها مدى تقدم الفكر البشري في مسألة معينة. فاذا كانت الفئران تزعجك مثلا، فلست مضطراً الى أن تقبع في المطبخ الليل بطوله وأنت متسلح بمقلاة، منتظراً متى يطل فأر برأسه من الفتحة تحت المجلى. فهناك أشخاص آخرون واجهوا المشكلة نفسها ودرسوها عن كثب واستنبطوا فخاً لا ينهكه نعس ولا يزعجه انتظار.

غالباً ما يخيل إلينا أننا أول من واجه المشكلة التي نحن في صددها. وهنا يكمن خطأنا. وفي سياق الفكرة هذه أتذكر ولداً عرفته ظن أن أحداً لم يتعرض لمصابه. ففي الخامسة من عمره فقئت عينه بعصا، واستؤصلت لاحقاً بعدما تسببت في التهاب امتد الى العين السليمة وأتلفها. ولدى بلوغه السادسة من عمره أصبح ضريراً. ثم أرسل الى مدرسة داخلية حيث انغلق على نفسه متحرقاً بمشاعر الحنين الى أسرته.

ولم يكن بدري بأمر لويس، ذاك الصبي الصغير الذي عاش قبل زمن بعيد في فرنسا. كان لويس إبن سرّاج، لذا وجد في متناوله الكثير من الأدوات المستعملة في صناعة الجلود. وكان مرة يلهو وهو بعد في الثالثة من عمره، فوجد مخرزاً سمل به عينيه فبات ضريراً. وحين شب لويس تحسر لعجزه عن القراءة والكتابة. فاستعان بمرقم، وهو آلة شبيهة بالمخرز الذي أعماه، خرم به نقطاً صغيرة على ورقة. وهكذا اخترع أسلوب كتابة للمكفوفين لا يزال يحمل اسم عائلته: برايل.

لم يكن على صديقي أن يخترع أسلوباً، بل يكفيه تعلم أسلوب برايل. وساعده ذلك فعلا، لكنه كان بطيئاً في القراءة فواصل ازعاج أهل بيته الى أن أتاه أخوه بفونوغراف مع علبة أسطوانات خاصة. ووضع اسطوانة في الآلة فتلا عليه صوت قصة "المخمل الوطني". لقد فكر أحدهم في وسيلة أخرى لحل مشكلة القراءة لدى المكفوفين، ألا وهي "الكتاب الناطق".

وحين التحق صديقي بالجامعة راح زملاؤه يقرأون له فروضه.

وتعلم الطباعة على الآلة الكاتبة بحيث تمكن من تدوين مقالاته وامتحاناته.

ومرة طرح عليه أحد أساتذته الجامعيين سؤالا: "ماذا تنوي أن تفعل بكل هذه الشهادات؟" وكان صديقي على وشك الحصول على شهادة الماجستير.

أجاب: "سأعلِّم."

- في مدرسة العميان، إيه؟ حسناً، ستكون لك مهنة مثيرة.

"لا، في الجامعة."

وذهل الاستاذ: "آه! وكيف ستتمكن من قراءة ما يكتبه طلابك؟"

أجاب صديقي بثقة: "لا بد من وجود طريقة لذلك." وقد صدق حدسه.

في بادىء الأمر قرأ له الأصدقاء والأهل مقالات طلابه، فيما كان هو يملي التصحيحات والعلامات. ثم دخلت آلة التسجيل، فراح طلابه يسجلون عليها كل أعمالهم. وبات في امكانه الانفراد بمسجلته والاستماع اليها وطبع ملاحظاته واقتراحاته على آلته الكاتبة الكهربائية. انها عملية أنعم من الحرير!

وسأعترف لكم: ان الصديق الذي أصفه هو أنا.

قبل ما يزيد على خمسين سنة أمسكت بمرقمي الأول، وبجهد مضن نقشت الأحرف الأولى على لوحة برايل. والآن أجلس في مكتبي الخاص في قسم الأدب الانكليزي في جامعة مرموقة وأنا أحرر هذه المقالة مستعيناً بجهاز الكتروني. ولأن هذا الجهاز مزود مركّب جمل ناطقاً ففي امكانه إعادة قراءة ما كتبت على مسمعي.

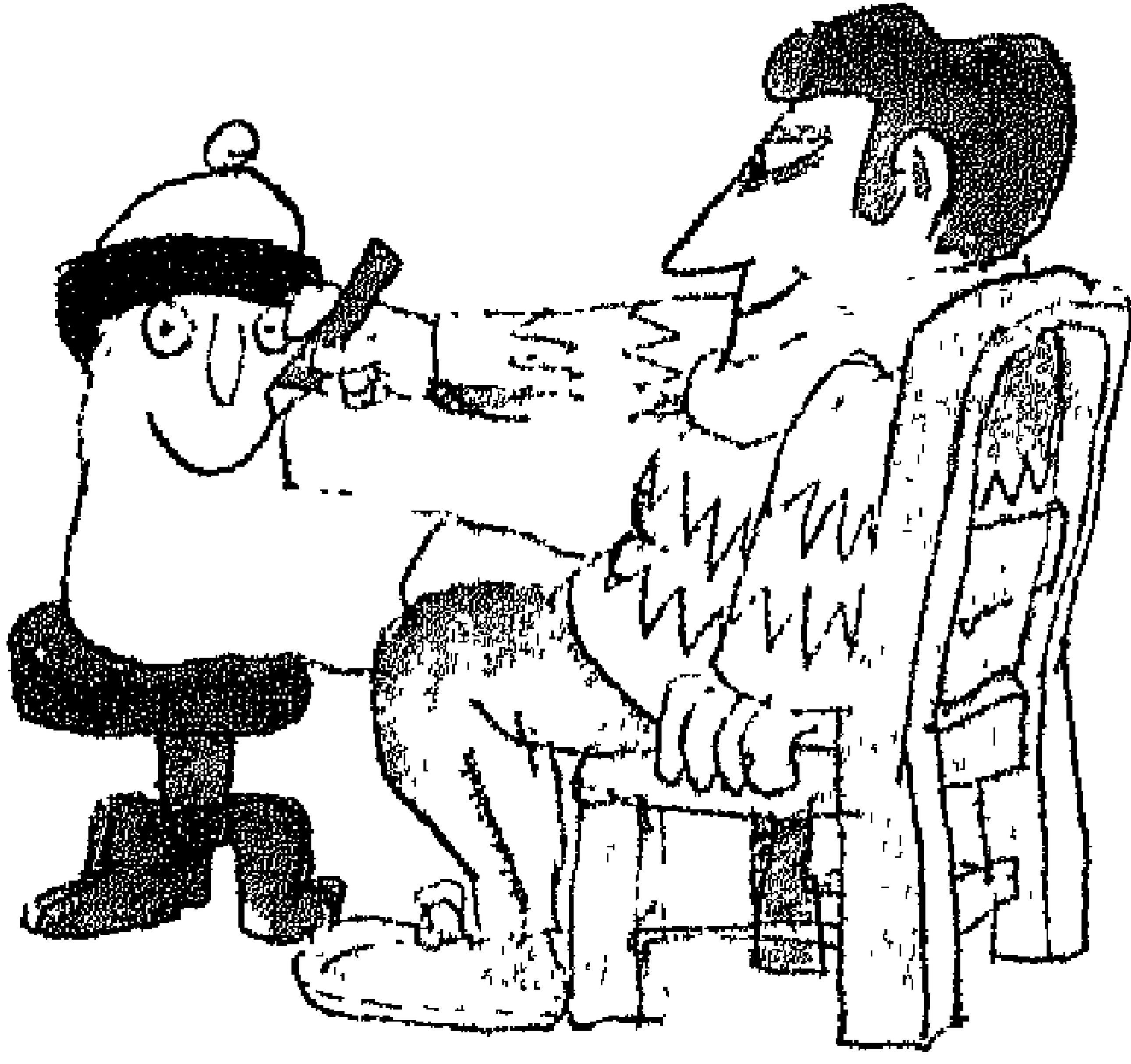
طوال أكثر من ثلاثين سنة من ممارستي مهنة التعليم قلّ اتكالي على العائلة والأصدقاء وازداد اعتمادي على التكنولوجيا. وأنا مدين خصوصاً لمنظمات مثل "التسجيل للمكفوفين" التي يسجل قارئوها المتطوعون كتباً على أشرطة سمعية يستعملها أناس مثلي. إن هذه التطورات جعلت مهنتي ممكنة، وأكثر من ذلك جعلتها سهلة.

وحالي ليست فريدة في نوعها. انها مجرد إيضاح انه مهما تكن حالك فلا بد من أن يكون أحد قبلك اختبر الوضع نفسه. كما لا بد من أن يكون شخص فكر في المشكلة وأتى بحلول ناجعة لها.

لا تسنَّ أسنانك بل فطنتك. اكتشف ما فكر فيه من سبقوك، فقد تفيدك أفكارهم في حل مشكلتك. بهذه الطريقة حافظ جنسنا البشري على بقائه في حين أخفقت أجناس أخرى. فاذا توقفنا عن تشغيل رؤوسنا فنحن نخاطر بأن نرمى على رف التاريخ لنجمع الغبار مع كل الذين عجزوا عن التكيف مع ظروفهم.

روبرت راصل ■

الضحك خير دواء



شاهد فضولي رجلين واقفين قرب بئر وهما يرددان: "اثنا عشر... اثنا عشر..." فاقترب منهما وسألهما: "لماذا ترددان هذا الرقم؟" واذذاك حملاه وأسقطاه في البئر وراحا يرددان: "ثلاثة عشر... ثلاثة عشر..."

سملالي عبدالله
تارودانت، المغرب

راحت امرأة تفتش عن كتاب أضاعته، فسألها زوجها: "ما عنوان الكتاب؟" أجابت: "كيف تعمّر مئة سنة." وانبرى الزوج قائلا: "لقد أخفيته في القبو بعدما أخرجته أمك من المكتبة."

د.خ.

دخل موزع بريد شاب منزلا من غير أن يطرق على الباب. وفوجئت ربة البيت بدخوله وقالت: "اسمع: لا يجوز أن تفتح باباً قبل أن تقرعه وتسمع الجواب، إذ ربما كان المرء في الداخل عارياً."
– لا تجزعي يا سيدتي. فعادتي ألا أفتح الباب قبل أن أنظر جيداً من ثقب المفتاح.

ب.ب.

قال طبيب نفسي مرموق لزوجته: "اني مرهق كثيراً، وأظن أن علي استشارة طبيب نفسي."
– الا أنك أشهر طبيب نفسي في البلد يا عزيزي!
"أعرف ذلك، لكن الأجر الذي أتقاضاه على المعاينة مرتفع جداً."

صحيفة "سلكتا"، المانيا

حين سألت القاضية امرأة من الشهود عن سنها أجابت: "في مثل سنك يا سيدتي."

صحيفة "لا أوبينيون"، بوينس آيرس

لا يسع أحداً أن يفهم لماذا ترغب سيدة ثرية وأنيقة كالآنسة ديدس في تعليم الصف الابتدائي الثالث في مدرسة ديلمور بلايث. لكنها في أي حال جاءت الى المدرسة يفوح منها عبق العطور والثروة وقد تكوم شعرها الكستنائي فوق رأسها.

وقفنا مشدوهين نكاد لا نصدق أن حسن حظنا جعل هذه المرأة الجميلة معلمتنا.

وقعنا كلنا، نحن الصبيان، في غرام الآنسة ديدس. ولكن لم يكن بيننا من بلغ به الوله الحد الذي بلغه لدى أعز أصدقائي إدي ملدون المجنون. في البداية كان إدي يتطوع لتنظيف مماسح اللوح الأسود مضحياً بفترة الاستراحة، سواء أكانت مماسح اللوح الأسود تحتاج الى تنظيف أم لا. ولكن بالنسبة الي كان الحب شأناً والاستمتاع بالاستراحة شأناً آخر. فالله تعالى لم يشأ أن يخلط أحد بين هذين الشأنين. غير أن إدي بات يتخلى عن كل الاستراحات ليقدم المساعدة الى الآنسة ديدس. وهكذا حرمتني الآنسة رفقة صديقي فبدأت أحس كراهية نحوها.

وزاد الطين بلة أن إدي أخذ يدرس بجد لكي يبرهن عن حبه للآنسة ديدس. وأضحى البطل المجلي في مسابقاتنا الاسبوعية في التهجئة. وكانت هي تبدي اعجابها بادائه حين يتهجأ احدى تلك الكلمات السخيفة التي لن يستعملها أحد في صفنا كله أبداً، فتهتف: "أحسنت يا ادوارد. هذا مدهش!"

لكن الآنسة ديدس ارتكبت خطأ فادحاً حين قالت لنا ذات صباح: "أيها التلاميذ، أحسب ان من المهم لكل منكم أن يتعلم كيف يتحدث الى جمهور من الناس. ولذا سنطبق على مدى أسابيع برنامجاً تدريبياً ندعوه: اعرض واشرح. وفي كل يوم يحضر أحدكم شيئاً ذا أهمية مما عنده ويعرضه على الصف ثم يتحدث عليه."

ارتعدت فرائص ثلاثة أرباع التلاميذ وأنا منهم، واستبد بنا الهلع. فنحن أبناء

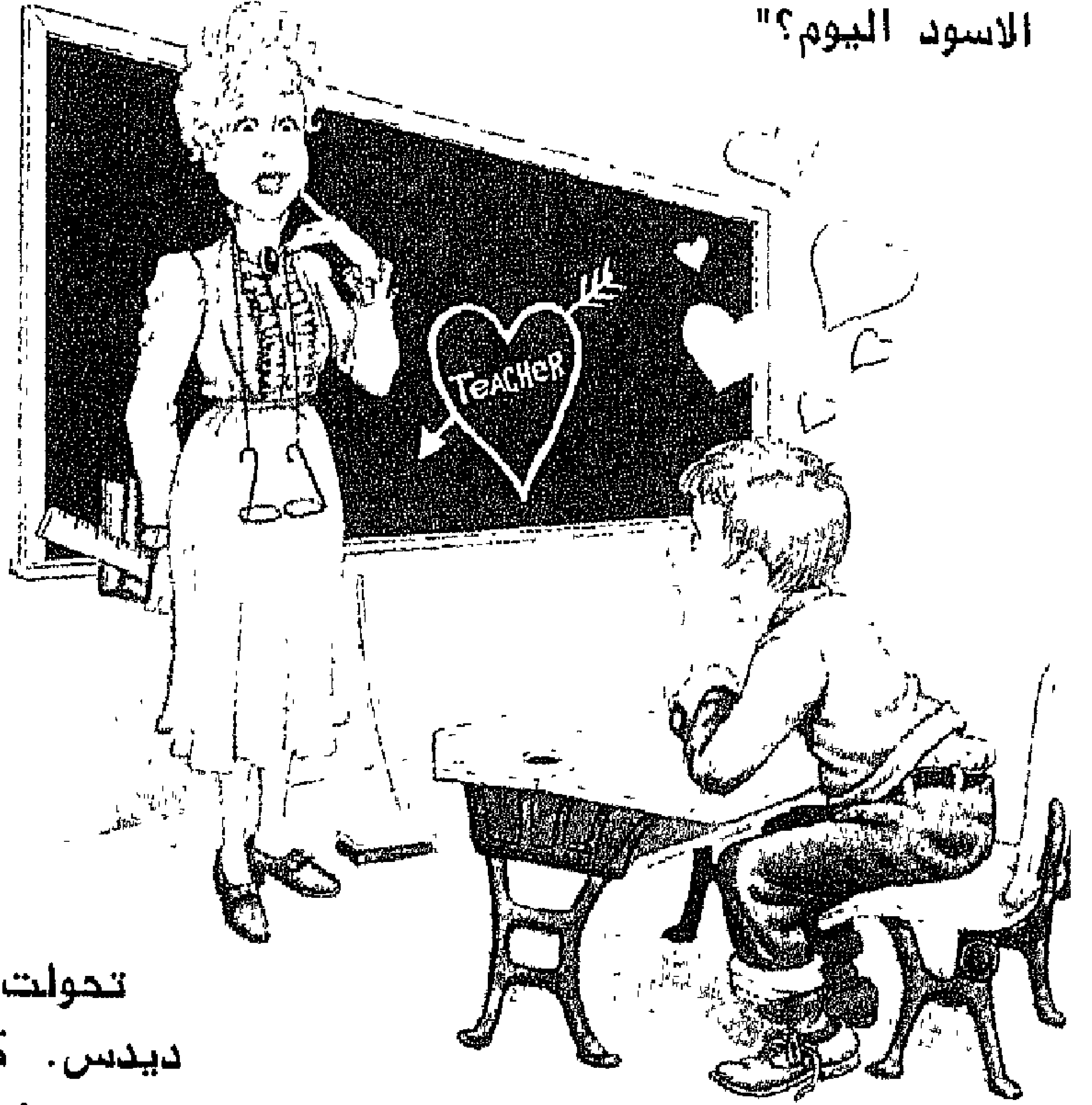
حين وقع ملدون المجنون في حبائل الغرام بات لا يعي كيف يسترعي اهتمام الحبيبة

الريف لا نملك شيئاً على الاطلاق، ناهيك بالشيء ذي الاهمية. ونظرت الي الآنسة ديدس ثم ابتسمت قائلة: "باتريك، هل تريد أن تكون البادئ؟"

أحسست أن أحشائي تعتلج في جوفي. وتساءلت: ماذا يسعني أن أحضر الى الصف؟ هل أحضر الحفارة من مزرعتنا؟

وقالت الآنسة موجهة كلامها الى أحد أبناء المدينة الذي كان يلوح لها بشدة: "حسناً، أنت يا لستر ستكون البادئ."

في اليوم التالي أحضر لستر الى الصف مجموعة الطوابع البريدية التي يملكها وألقى علينا محاضرة حولها استغرقت نحو ساعة خيم خلالها جو ثقيل من الملل على الصف كله. وأخيراً قالت الآنسة ديدس: "أحسنت يا لستر، كان ذلك مدهشاً. هل لك أن تنظف لي مماسح اللوح الاسود اليوم؟"



ونظرت من فوري الى إدي المجنون. رأيته يتثاءب. وكان من عادته أن يتثاءب ليخفي سورات الغضب التي تستبد به أحياناً. وسررت في دخيلتي.

في الاستراحة وقف إدي ويداه غارقتان في جيبي سرواله يراقب لستر في الباب الخلفي لصفنا وهو يضرب المماسح بقوة.

الدجاجة المنتوفة – يوماً بعد يوم دأب التلاميذ من أبناء المدينة على احضار أشياء مختلفة وكل منهم يحاول أن يبز سابقيه. أحضروا مجموعات نقود ومجموعات بطاقات بريدية ومجموعات دمى وسوى ذلك، حتى انتهى الامر أخيراً عندنا نحن أبناء الريف.

وقف رودي غريدل أمام الصف وهو يرتعش والعرق يتفصد من كل عرق في جسده، ثم فتح علبة سيجار مهشمة وقال: "هذه مجموعتي من أعقاب السجائر. اني ألتقطها عن الطريق. وتلاحظون أن ليس بينها ما ينقص طوله عن ٣٥ مليمتراً. واذا بلغ طول العقب هذا الحد او تجاوزه فاني احتفظ به. بعض الناس يلتقطون أعقاب السجائر ليدخنوها. غير أني أجمعها لأغراض تثقيفية فقط. شكراً لاصغائكم." وعاد الى مقعده.

تحولت أنظار التلاميذ كلهم الى الآنسة ديدس. كانت شفتاها مزمومتين في تعبير بليغ عن القرف. وفجأة أخذ إدي ملدون المجنون يصفق. وسرعان ما حذونا جميعاً حذوه فصفقنا لرفيقنا رودي وهتفنا له استحساناً ونحن وقوف. لقد أرشدنا الى السبيل الذي سنتبعه. ومنذ الآن سيصبح برنامج "اعرض واشرح" عرضاً مثيراً للاهتمام حقاً.

أحضر فارلي كارب جلد ظربان دبغه بيديه وألقى علينا محاضرة شائقة حول طريقة الدبغ، حتى انه أقر بارتكابه بعض الاخطاء في العملية. لكنه أمل بعد ما

تعلمه من تجربته الاولى أن جلد الظربان التالي الذي سيدبغه ستنبعث منه رائحة كريهة أقل بنسبة ٥٠ في المئة من هذا في أدنى تقدير.

ومن حسن طالع ماني فوغ أنه جرح قدمه بضربة فأس ذات حدين قبل موعد عرضه بثلاثة أيام. وهكذا أتيح له أن يفك الضمادات ويعرض علينا الجرح الذي قطّبته أمه بخيط رفيع يستعمل لربط شص صيد السمك. كان منظراً يثير الاشمئزاز، لكن المحاضرة تبقى مفيدة خصوصاً اذا تعيّن على احدنا يوماً أن يقطع الحطب بفأس ذات حدين كما يفعل السواد الأعظم من أبناء الريف.

وبدأت آثار برنامج "اعرض واشرح" تظهر على الآنسة ديدس واكتسى وجهها مسحة من الجهامة وأضحت نزقة ومتوترة الاعصاب. وأظنها اختلت بنفسها مرة في غرفة المعاطف وبكت، إذ بدت عيناها حين خرجت محمرتين وجاحظتين. وفي هذا الوقت أحضرت لورا آن سترادل فرخة بدا أن جميع الفراخ الأخرى في دار آل سترادل نقدتها حتى نتفت نصف ريشها. أوقفت لورا آن الفرخة على طاولة الآنسة ديدس وحملت قضيباً لتشرح لنا الظاهرة. وفي هذه الأثناء اقترفت الفرخة المسكينة عملا غير لائق تحت وطأة الارهاق الذي تعرضت له.

وشهقت الآنسة ديدس من هول ما رأت، فيما أطلقنا نحن تلاميذ الصف الثالث ضحكة مدوّية.

هنريينا! – أحضر التلاميذ الى البرنامج عدداً كبيراً من الاشياء حتى شعرت باليأس والضيق. وأخيراً جئت الى الصفّ بضفدع رهسته سيارة، وأخذت أشرح كيف أن شاحنة ضخمة مرت فوق الضفدع التعس وأحالته رقاقة ملتصقة بأديم الرصيف حيث جفت، الى أن جئت وسلختها عن الرصيف واحتفظت بها لتغدو أثراً للأجيال المقبلة. وكانت محاضرة ناجحة. وعلى رغم ذلك ظلت الآنسة ديدس جالسة هناك متهالكة في مقعدها تهوىء وجهها بحزمة من أوراق مسابقة الحساب. وتراءى لي أن لونها اكتسب روعة خضراء، ولكن ربما كان ذلك وهماً.

ولم يبق من تلاميذ الصف سوى مرغريت فيشر وصديقي إدي. وكنت أعرف أن إدي عازم على احضار بعض أعضاء ذبيحة نحرت حديثاً بحيث لا يكون النتن دب فيها. لكن مرغريت قلبت خطته.

أحضرت مرغريت صندوقاً من الورق المقوّى وحملته مزهوة الى مقدم غرفة الصف. وتراجعت الآنسة ديدس الى زاوية قصية ويداها ترتعشان خوفاً وتغطيان فمها بينما مرغريت ترفع غطاء الصندوق. وفجأة برز من الداخل رأس هرة ورؤوس أربعة جراء ناعمة. واذا بالجميع يعبرون عن دهشتهم بالآه والأوه. وأثنت الآنسة ديدس على مرغريت وقالت لها ان فكرتها كانت مدهشة باحضار الهرة وجرائها الى الصف، ثم كافأتها بأن طلبت منها أن تنظف مماسح اللوح الأسود في ذلك اليوم.

وجُنّ جنون إدي وقال: "لم يعد في امكاني أن أستعين بأشلاء الذبيحة بعد

هذا. ويتعيّن عليّ أن أفكر في شيء له صفار في رقة جراء الهرة."

قلت له: "ما رأيك في هنري؟"

قال: "أجل، هنري يصلح للمهمة، ولكن ليس له صفار."

قلت: "آه، ولكن ثمة أشياء يمكننا أن نزعم أنها صفار هنري. إنما في هذه الحال ينبغي أن تطلق على هنري اسماً مؤنثاً."



كان الجميع يراهنون على أن إدي المجنون سيفاجئهم بشيء مميز يكون خاتمة مدهشة لهذا البرنامج الاستعراضي. ودخل إدي حاملا دلواً معدنياً كبيراً. وخيم جو من الترقب على الصف كله، وتقدم إدي ليعرض ما لديه. حتى الآنسة ديدس كانت تترقب الحدث، ربما لأنها كانت تتوقع أن يأتيها أحد ذوي الحظوة لديها بشيء يخلّف أثراً لا يُنسى.

وفي زهو عارض مجرّب رفع إدي غطاء الدلو وقال: "والآن، سيداتي وسادتي، أقدم اليكم هنرييتا ملدون، الأفعى التي أربيها." ثم رفع الصلّ عالياً ليراه الجميع.

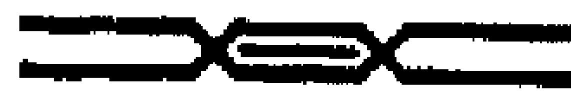
وشهقت الآنسة ديدس هلعاً حتى اهتزت الأوراق على الطاولات.

وأضاف إدي: "...هذا ليس كل شيء، اليكم فراخها أيضاً." ورفع بيده حفنة من ديدان الثرى راحت تتلوى بين أصابعه. عندما طرق الصوت مسمعي للوهلة الاولى حسبته صادراً عن صفارة سيارة اطفاء. وتعالى الصوت ببطء وأخذ يزداد حدة وارتفاعاً مما جعل زجاج النوافذ يهتز وكل شعرة في رؤوس الطلاب تقف في منبتها ذعراً. وصعقنا حين أدركنا أن الأوتار في الحنجرة البشرية يمكن أن تصدر مثل هذا الصوت الراعد الغريب، خصوصاً أوتار حنجرة معلمة في الصف الابتدائي الثالث.

وهرع الاستاذ كوب مدير المدرسة الى الصف وأخرج الآنسة ديدس ليهدىء روعها. وبعدما أغلقا الباب وراءهما تحولتُ الى إدي وقلت له: "أظنك لن تنظف ممسحة اللوح الأسود بعد اليوم كرمى للآنسة ديدس."

أجاب إدي بصوت حزين: "أجل، أظنك على صواب." ثم أشرقت تقاطيع وجهه وهتف: "لكن عليك أن تُقر بأن ما قدمته كان عرضاً مدهشاً حقاً."

باتريك ماكمانوس ■



الطريق الى قلب امرأة هو باب مطعم فاخر. ا.ج.

بحثاً عن الذهب

صباح يوم مشرق من أيام يوليو (تموز) ١٩٨٢ أكب منقبان هاويان على رفع الوحل من قاع نهر أميريكان في كاليفورنيا بحثاً عن الذهب. وكان مايك أستل طالباً جامعياً في الثالثة والعشرين يرتدي لباساً من المطاط خاصاً بالغطاسين للوقاية من المياه الجليدية، ويوجه خرطوم مضخته الى قعر النهر المليء بالحصى. أما ابن خاله ديف بورغس فهو مندوب مبيعات في السادسة والعشرين، وكان يشرف على عملية رفع الوحل وهو واقف في الماء على مقربة من الضفة. كان ينتعل حذاء قديماً من المطاط الخفيف ويرتدي سروالا قصيراً ويرتعش برداً من رطوبة النهر.

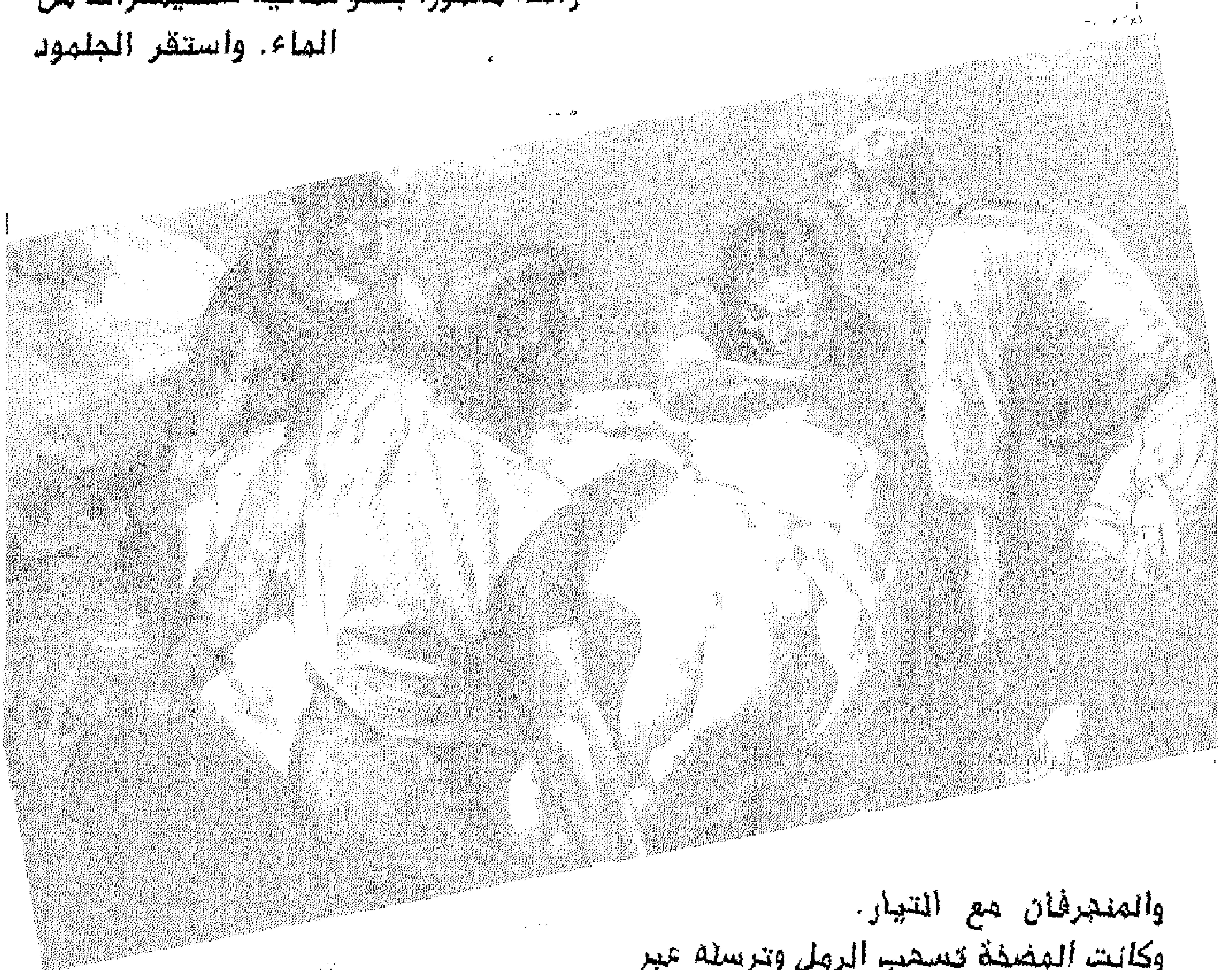
وما ان طفا مايك على سطح المياه حتى صرخ في ابن خاله محاولا أن يطغى على هدير رافعة الوحل وقال له: "لا بد من أنك ترتعش. إرتدِ لباس الغطس علّه يقيك البرد." فأجابه مايك: "لا تقلق فأنا بخير."

لكن مايك ظل قلقاً عليه، فالقرابة لم تكن الرابط الوحيد بينهما، اذ كانا صديقين حميمين ترعرعا معاً وترافقا في صيد الطيور والأسماك وكثيراً ما خيما سوية في العراء.

وكان مايك يعلم جيداً أن على المرء أن يكون شديد الحذر في هذه الجبال.

وأعاد مايك أنبوب التنفس الى فمه وغطس ثانية ثم راح يضخ الحصى والرمل من ثغرة عمقها متران وطولها متران حفرها مع ابن خاله الليلة الماضية كي يتراكم فيها الحصى والرمل اللذان يحملان *الذهب*

يريان صخرة ضخمة تهوي من الأجمة فوقهما وتندفع نحوهما. فصرخ مايك: "حذار يا ديف!" لكن الاوان كان فات، فاصطدمت الصخرة بصدر ديف وقذفته الى الوراء فانقلب في النهر مسمراً تحت الجلمود في احدى زوايا الحفرة. وكان رأسه مغموراً بنحو ثمانية سنتيمترات من الماء. واستقر الجلمود



والمنجرفان مع التيار.

وكانت *المضخة* تسحب الرمل وترسله عبر *الخرطوم* الى شبه صندوق لغسله ثم يتولى ديف نخله.

وبينما مايك ماضٍ في عمله سمع صوتاً حسبه في البدء صوت الرعد في البعيد. ثم عاد فحسبه صوت مدفعية. وما لبث أن أدرك مذعوراً أنه جلمود صخر.

فاندفع الى سطح الماء في وقت كان ديف يلتفت نحو مصدر الضجة. واذا بهما

الذي يبلغ عرضه نحو مترين ونصف متر على رجليه.

وما كان من مايك الاّ أن اندفع الى قاع الحفرة وثبّت رجليه في الارض ووضع يديه حول الجلمود محاولاً تحريكه بكل ما أوتي من قوة. لكن الصخرة لم تتحرك قيد أنملة.

وحدق ديف الى مايك بعينين ملؤهما

Illustration: Ken Laager

الرعب، وكان خدّاه منتفخين لأنه حاول أن يضبط نفسه تحت الماء. وسرعان ما نزع مايك جهاز التنفس من فمه ووضعه في فم ديف الذي نال منه الذعر فبدأ يتخبط. فانتبه مايك عندذاك الى أن جهاز التنفس تعطل.

أما ديف فشعر أن صدره يكاد ينفجر من شدة الضغط. وتاق الى الشمس والهواء اللذين لا يبعدان سوى سنتيمترات عن وجهه. وفكر في زوجته لوري التي تنتظره بفارغ الصبر في منزلهما في ساكرامنتو وهي حبلى بطفلهمَا الاول في شهرها الخامس. وراح ديف يصلي في نفسه: "رباه، أتوسل اليك أن تخرجني من هنا." وبدى يشعر بحواسه تتوقف عن العمل وبالحياة تفارقه تدريجاً. وردد في داخله: "عليّ أن أصمد." لكنه سرعان ما فقد الوعي.

في هذه الاثناء كان مايك يحاول إقحام قطعة حديد تحت الصخر، لكنها غارت في الوحل والحصى. عندذاك نظر الى ديف فلاحظ انه اصبح بلا حراك وقد شحب وجهه على نحو مخيف وازرقت شفتاه وجحظت عيناه وهما تحدقان الى لا شيء.

وصعد مايك الى الضفة وأطفأ محرك آلة التنقيب فعمّ السكون المكان. وراح ينادي بصوت خافت محاولا أن يستعيد أنفاسه: "النجدة!" ثم صرخ بصوت أعلى: "ساعدونا! في النهر رجل عالق تحت الماء."

[illegible] — على بعد حوالى ٦٥ متراً كان المنقب ستيف هاغر (٢٩ عاماً) يحفر بمعول يدوي ثقباً في أحد الصخور. فتوقف عن العمل وسأل منقباً آخر يعمل الى جانبه ويدعى بوب اليس (٣٧ عاماً): "ما هذا الصوت؟"

فأجابه اليس: "قد تكون صخرة تدحرجت من أعالي الجبل كما يحصل عادة في هذه المنطقة." وبعد لحظات رفع ستيف رأسه ثانية وكان هدير المحرّك في أعلى النهر توقف. فسمع صرخة. عندذاك نادى اليس وقال له: "انها لصخرة حقاً! هيا لنرى ماذا جرى."

وكان بوب دور (٤٣ عاماً) وهو مهندس يعمل في أجهزة التبريد يتناول وجبة الفطور مع زوجته جويس في مقطورتهما قرب الجسر القديم على خليج شرتيل. وكان يحتسي قهوته عندما سمع صراخاً بعيداً فخرج محاولا تحديد مصدره.

وقالت له زوجته: "إنه آت من النهر." فأجابها: "معك حق، يبدو أن أحدهم في مأزق. تعالي نرى ما الأمر."

وما إن وصلا الى ضفة النهر حتى توقفا وقد صعقتهما الدهشة أمام المنظر الذي رأياه: جسد ديف بلا حياة يرقد تحت سطح الماء. وانضم دور الى الرجال الثلاثة وراحوا يصارعون الجلمود الذي لم يتزحزح.

أما جويس فوضعت يديها حول فمها وشرعت تركض في كل اتجاه طالبة النجدة. ثم جثت على ركبتيها وبدأت تصلي بصوت خافت.

وكان جو سول (٣٣ عاماً) قطع مع اثنين من أصدقائه مسافة ٧٢٥ كيلومتراً من لوس انجلس بحثاً عن الذهب. وخيّموا على مقربة من الجسر القديم على ضفة النهر.

وعندما تعطّلت رافعة الوحل لديهم قرروا أن يقصدوا أقرب مدينة لاصلاحها. وكانت تربط الرجال الثلاثة صداقة متينة. فقد هاجر جو من هنغاريا (المجر) عام ١٩٧٥ وأصبح مواطناً أمريكياً في العام ١٩٨٢ وراح يعمل في حقل الميكانيك. أما صديقه وزميله السابق أندراس سزافوست (٣٣ عاماً) فهنغاري الاصل أيضاً. وأما الرجل الثالث فيدعى كريستوف (كريس) كليزكز (٢٨ عاماً) وهو أستاذ الرياضة البدنية في احدى جامعات كراكوف في بولونيا يزور الولايات المتحدة للمرة الاولى. ولما كان كريس لا يجيد الانكليزية فقد راح الاصحاب الثلاثة يتحدثون بمزيج من البولونية والهنغارية.

وكانوا سحبوا رافعتهم من الماء عندما سمعوا نداء الاستغاثة. وهرول جو الى الجسر ورأى تجمعاً في النهر. فصرخ في كريس وأندراس: "تعالا، في الأمر خطب."

لا نبض! – وصل كريس الى ضفة النهر وراح يحدق الى المشهد المريع. وكان في العام ١٩٧٣ متطوعاً في جمعية إنقاذ الغرقى في كراكوف حيث تعلّم الانعاش بالتنفس عبر الفم. لكن الفرصة لم تسنح له سابقاً لتطبيق ما تعلّمه.

واذ انضم جو وأندراس الى الرجال الأربعة الآخرين أمسك كريس رأس ديف وضغط أنفه ثم غطّس رأسه في الماء وأطبق بفمه على فم ديف وراح ينفخ بقوة. واحد، اثنان، ثلاثة. وعندما ضاق نفسه رفع رأسه خارج الماء وتنفس ملء رئتيه وعاد لينفخ ثانية.

وكان كريس تعلّم في الدروس التدريبية التي تلقاها أن رئتي الغريق لا تمتلئان دائماً بالماء. فبعد انغمار مفاجىء في الماء البارد غالباً ما تنقبض الحنجرة وتغلق مجرى الهواء الى الرئتين. فكان عليه اذاً أن ينفخ بشدة حتى يخرق هذا الحاجز. وراح يعيد الكرة، فيغطس لينفخ ويطفو ليتنفس، حتى شعر بصداع قوي وبدوران كاد يفقده الوعي. فنادى جو طالباً منه أن يحل مكانه.

وبعدما تعلم جو طريقة الانعاش بدأ ينفخ في فم ديف. وبعد بضع نفخات انبعثت فقاقيع هواء من فم ديف، فراح جو ينفخ بقوة أكبر وقد اطمأن قليلا، اذ كان يعلم أن الفقاقيع تدل على أن الحنجرة انفتحت والهواء بدأ يملأ الرئتين.

وفي هذه الاثناء انضم كريس الى الآخرين محاولا رفع الصخرة. لكنها لم تتحرك من مكانها. وتذكر بوب أن لديه جهاز ارسال في سيارته يمكن استعماله لطلب النجدة، فهم اذا استطاعوا انقاذ الغريق سيحتاجون الى سيارة اسعاف. وقال: "سأطلب سيارة اسعاف وأعود للحال."

وفي غضون لحظات وصل بوب دور الى مقطورته وأدار جهاز الارسال وشرع يطلب النجدة: "الموجة ١٩، الموجة ١٩. حوّل. لدينا حال طارئة." لكن أحداً لم يجبه. وأدرك درو أن الجبل يشكل حاجزاً يصدم الارسال. فما كان منه الا أن قاد سيارته الى موقع مكشوف لا تشكل الجبال فيه حاجزاً وأعاد الاتصال: "الموجة ١٩، لدينا حال طارئة." فرد عليه صوت طلب منه

تحديد موقعه لارسال المساعدة اليه.

وكان مايك حلّ مكان جو في عملية الانعاش بالتنفس. وبات يشعر بارهاق شديد ويرتعش من البرد، فطلب من كريس أن يساعده. فهرع كريس وجسّ نبض ديف. لا نبض!

ثم نظر الى مايك بصمت وتمنى لو يمكنه أن يخفف القلق الشديد الذي رآه في عينيه. وخطر له أنه حتى لو أتقن الانكليزية لعجز عن ايجاد الكلمات المناسبة.

وفجأة طرأت على بال مايك فكرة. فأسرع الى ضفة النهر وأدار محرك رافعته ثم هرع الى جوار ديف ممسكاً بخرطوم المضخة الذي وجهه الى الرمل تحت جسم رفيقه آملا أن تسحب المضخة الحصى والرمل من تحته وتخفف من ضغط الصخرة عليه. ونجحت الفكرة وبدأت المضخة تسحب الحصى فاتحة ثغرات صغيرة تحت جسد الغريق.

"يحيا! يحيا!" — في هذه الاثناء عمل ستيف وبوب على إقحام قضيب فولاذ يزن ١٢ كيلوغراماً تحت الصخرة بهدف رفعها. واذ راح الخرطوم يبتلع الحصى شعرا فجأة أن الصخرة تحرّكت قليلا فأصبحت إحدى رجلي مايك طليقة وسرعان ما تحررت الثانية. وسارع مايك الى حمل ابن خاله من ذراعيه في حين أمسكه كريس برجليه ورفعا الجسد الهامد من تحت الصخرة. وصرخ مايك: "لقد نجحنا."

ونقلا ديف الذي بقي عالقاً تحت الماء مدة ربع ساعة الى ضفة النهر حيث ألقياه على ظهره وأدارا رأسه جانبياً.

عندئذ طلب كريس من جو أن يتابع عملية الانعاش في حين بدأ هو يضغط صدر ديف بقوة واتزان ويدلك قلبه. وفجأة سمعت قرقرة في معدة ديف وخرج سائل من فمه الى فم جو. فأجفل هذا وانقلب على جنبه يتقيأ. وصرخ كريس بالبولونية: "انه ما زال حياً!" وانسابت الدموع من عينيه، فرفع ذراعيه الى السماء وقال بالانكليزية متلعثماً: "يحيا! يحيا!"

وعانقه ستيف وبوب ورددوا معاً بفرح: "يحيا!" وما لبثت سيارتا اسعاف واطفاء أن وصلتا بعد ١٥ دقيقة. وكان ديف الذي بدأ يستعيد وعيه يسعل ويبصق الدم بغزارة، الأمر الذي يدل على تمزق أوعية دموية في الرئتين.

وللحال وضع المسعفون ديف على حمالة وأدخلوه سيارة الاسعاف لنقله الى مستشفى أوبرن فيث كوميونيتي.

وعندما خرج طبيب الطوارىء الدكتور وليم بوريس من غرفة المعاينة خاطب مايك: "الامل ضئيل، وهو قد يفارق الحياة في أي لحظة."

وبعد ساعتين وصلت لوري الى المستشفى فقال لها ديف بصوت منخفض: "سأكون بخير." وأضاف مازحاً: "اذا كنت تعتقدين أنني سأموت قبل أن يرى طفلنا النور، فلا بد من أنك جننت."

والغريب أن الاشعة لم تظهر أي كسور في العظم، وتوقف النزف في الرئتين. وأعطي ديف البنيسلين لمعالجة ذات الرئة التي أصيب بها ومسكنات لتخفيف الألم الناتج من الرضات.

وبعد يومين من الحادث غادر ديف المستشفى متكئاً على عكازين.

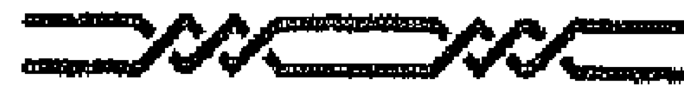
اما اليوم فقد تعافى كلياً الا من بعض الاوجاع التي يشعر بها بين حين وآخر في وركه الأيسر.

ويعتقد أطباء المستشفى أن شباب ديف وصحته الجيدة ساهما في انقاذه. ويقول الدكتور بوريس ان الانعاش عبر الفم والاسعافات الاولية التي تلقاها ديف بعيد الحادث هي من العوامل الاساسية التي أدت الى انقاذه.

أما ديف فيقول: "أنا مدين بالكثير للذين رفضوا التخلي عني والاستسلام لليأس. لذا فانني لن أعيش بعد اليوم من أجلي أنا فقط، بل سأعيش ايضاً من أجلِ الذين أعادوا الي الحياة."

وأضاف: "وأخص بكلامي هذا كريس كليزكز. وهو عاد الى بولونيا، لكنني كلما تنشقت الهواء شعرت أنه لا يزال معي."

كريس ماكاي ■



نقطة اللقاء

بدأتُ محاضرتي في صف الممرضات والممرضين الذين يتابعون دورة حول "الجوانب النفسية للشيخوخة" بالآتي: "لدي مريضة لا تتكلم ولا تفهم الكلام. وهي تمضي الساعات الطوال في نطق كلمات غير واضحة. وليس لديها الحس الكافي لتمييز الاشخاص والامكنة والاوقات. الا أنها تعرف اسمها وتستجيب له. ولقد عملت معها طوال الأشهر الستة الماضية، وما برحت لا تكترث لمظهرها ولا تبذل أي جهد لمساعدة المعتنين بها. ولا بدّ من هرس طعامها لان فمها خال من الاسنان. وقميصها مبلل معظم الوقت لأن لعابها لا يكفّ عن السيلان. وهي لا تمشي ولا تنام في مواعيد منتظمة. وغالباً ما تصحو في منتصف الليل وتزعج الآخرين بصراخها. وتبدو غالب الاحيان قريبة الى القلب وسعيدة، لكنها تثور مراراً كل يوم لأسباب غير ظاهرة. وتبقى ثائرة الى أن يأتي أحد إليها ويهدىء روعها." وسألتُ طلابي عن رغبتهم في الاعتناء بهذه المريضة، فلم يتطوّع أي منهم للامر. وحينَ قلت اني استمتعت كثيراً بعملي معها نظروا اليّ كلهم كمن لا يصدّق. وإذذاك عرضت عليهم رسم الشخص المقصود، وهو طفلتي ذات الاشهر الستة.

ترى ما الذي يجعل العناية بامرأة في التسعين أصعب منها بطفلة في شهرها السادس، علماً أن الاثنتين تتشابهان في امور كثيرة؟ ان المسألة تتجاوز كون الطفلة تزن سبعة كيلوغرامات والعجوز ٤٥ كيلوغراماً. وبعد مناقشة الموضوع قرّ رأينا على أن الطفلة تجسد الحياة الجديدة والامل والامكانات التي لا تُحدّ. أما العجوز فتجسد نهاية الحياة وآخر النموّ. ولكن علينا تبديل موقفنا بحيث نعترف بأنّ اولئك الذين شارفوا النهاية يستحقون عنايتنا كمن هم على عتبة البداية. فهؤلاء وأولئك اذا تركوا وحدهم لا يستطيعون البقاء.

الدكتور بول رسكن، "مجلة الاتحاد الطبي الامريكي"

الجدة امرأة أُعطيت حظاً اضافياً في الأمومة.

العصفور الأعمى

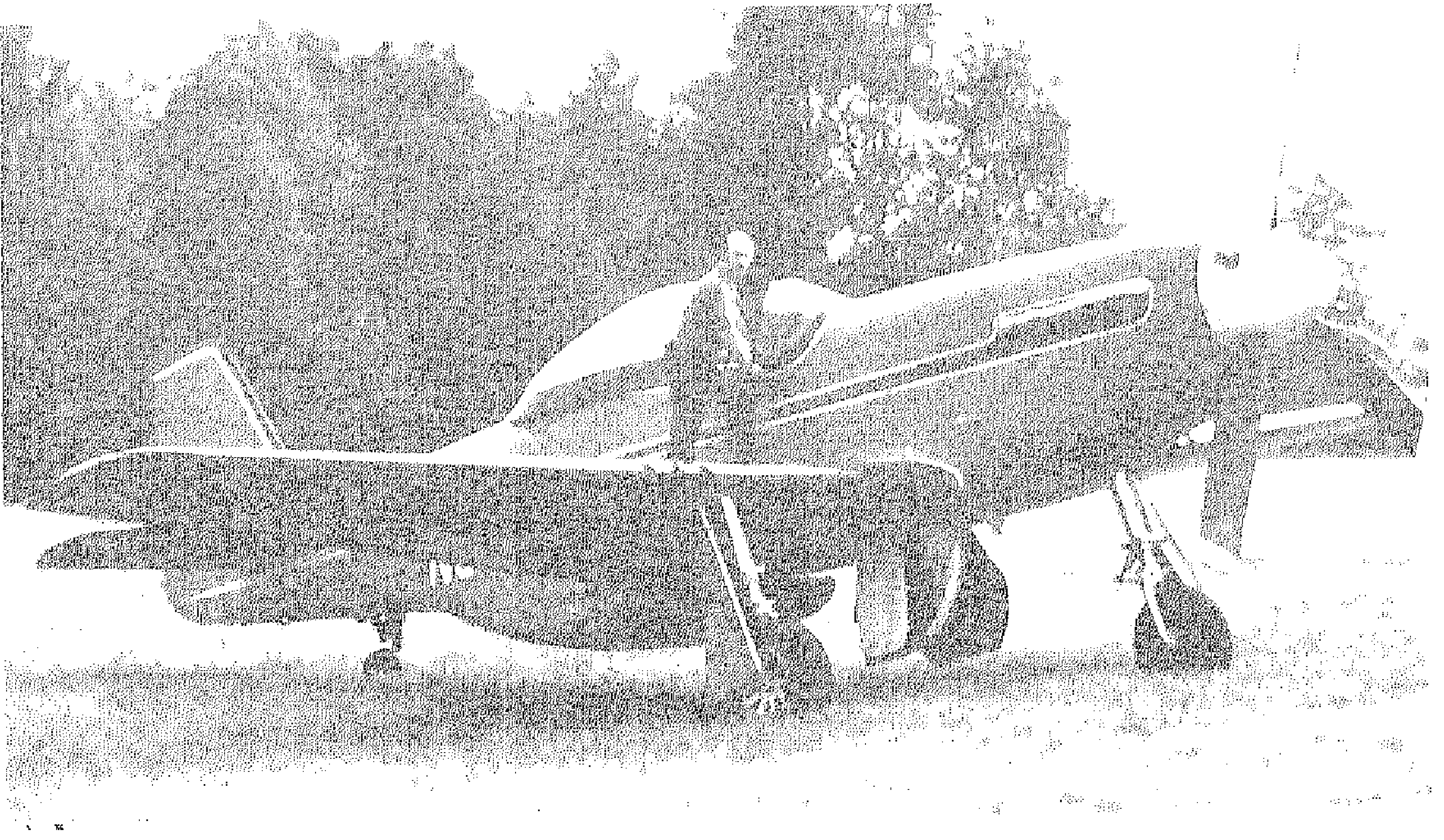
" انك تذكرني بعصفور أعمى يجيد الطيران لكنه لا يستطيع أن يحلق"

كان الطقس رائعاً صباح ذاك اليوم من شهر نوفمبر (تشرين الثاني). وكنت أحلّق فوق مدينة فريدريكسبورغ بولاية فرجينيا في طائرتي المقاتلة وهي من طراز "ب ٥١ موستانغ" وتعود الى الحرب العالمية الثانية وقد أعيد تصميمها. ورأيت أمامي المكان الذي كنت أبحث عنه: بلدة كالبيبر في ولاية فرجينيا.

كنت على ارتفاع ٤٦٠٠ متر، فعمدت الى انزال طائرتي بسرعة ووجدت البقعة التي أبحث عنها، ثم انحدرت. وكانت سرعتي تزيد على ٦٥٠ كيلومتراً في الساعة عندما أعدت الطائرة الى وضعها السوي. وحلقت في مستوى الأشجار وتوجهت الى الطريق الريفي الصحيح. ثم عددت ثلاث ثوان وأديت أفضل تحليق عمودي في حياتي.

أدركت انني خرقت عدداً من قوانين الطيران الامريكية، بما فيها الطيران المنخفض والطيران في محاذاة الابنية وتأدية البهلوانيات دون ارتفاع ٤٥٠ متراً. خرقتها جميعها أنا الموظف في جمعية الطيارين المحاربين وأستاذ الطيران الصارم! لكنني لم أشعر بالأسف لخروجي المفاجىء الوحيد على قوانين الطيران وأنظمته. وما همّ أن أكون على خطأ أو صواب، فاللحظة لحظتي الى الأبد.

شتات طفولة – كنت في سني السادسة عندما طلّق أبي أمي وتركنا بلا معيل في مدينة نيويورك. كنا في العام ١٩٤٣ والمرحلة عصيبة. وعملت والدتي في مصنع أسلحة ثم تزوجت رجلا يدعى جاك. وكان جاك يصاب بنوبات غضب شديدة فأصبحت الحياة معه سلسلة من المشاجرات الليلية الحادة تتبعها في بعض الأحيان أصوات ضرب. وأذكر ان امي كانت تبكي باستمرار.



دادلي هنريك يركب طائرة من طراز "ب ٥١ موستانغ".

في احدى الليالي قال لي جاك انه سيخرج مع والدتي وأمرني بملازمة الفراش. ثم أطفأ النور وخرج.

وكان من عادتي أن أتسلل من الفراش وأراقبهما من النافذة وهما يبتعدان في السيارة. واذ عبرت الغرفة في الظلام أضيء النور فجأة واذا بزوج امي يقف في الباب وبيده حزام وحبل صغير. وشتمني وراح يزعق في وجهي لانني لم أمتثل لاوامره. ثم رماني على الفراش وقيّد يدي وقدمي بهيكله وانقض علي يضربني الى أن بدأت أنزف. وبينما هو ماض في ضربي أصاب رباط الحزام فمي فقلع احدى اسناني الأمامية. عندئذ فك جاك قيودي وغادر الغرفة. ولا بد من أن تكون أمي سمعت ما جرى تلك الليلة.

وعشت على هذا المنوال مدة سنتين. وفي احدى الليالي قدمت والدة أبي لزيارتنا من مدينة ويلمينغتون في ولاية ديلاوير. وبعد شجار عنيف مع والدتي قادتني جدتي الى سيارة كانت تنتظر في الخارج وابتعدنا. وكانت تلك المرة الاخيرة أرى فيها والدتي.

أمضيت السنوات الثماني اللاحقة في ويلمينغتون. وكانت جدتي امرأة طيبة لكنها صارمة جداً. فهي تكاد لا تستعمل أبداً كلمة "حب" في حديثها. وفي هذه الاثناء تزوج والدي ثانية وذهب ليعيش مع زوجته الجديدة في ولاية تكساس. كان يأتي لزيارتنا بين الحين والآخر. لكنني لم أعرفه جيداً. فهو بالنسبة اليّ مجرد رجل وهبني كثيراً من الهدايا.

أما جدتي فكانت تعمل في مؤسسة كبرى ولا يتوافر لها الوقت لرعايتي. وكنت أراها قبل ذهابي الى المدرسة وبعد السادسة مساء عندما تعود الى المنزل. وفي المدرسة كنت فظاً ومشاكساً أتشاجر دائماً مع سائر الأولاد.

وهكذا ما ان بلغت الخامسة عشرة من عمري حتى طردت من المدرسة. فسجلتني جدتي في مدرسة خاصة ذات نظام صارم في برين ماور بولاية بنسلفانيا عُرفت بتدبير أمر الاولاد أصحاب المشاكل. وأظن أن انتسابي الى هذه المدرسة كان اول الأمور الايجابية التي حدثت لي، اذ رسخت في نفسي التربية الحسنة والصارمة في آن. لكنني لم أستطع الخضوع للنظام هناك ايضاً فطردت مرة اخرى وكان لي من العمر ١٦ عاماً.

فجر جديد – عدت الى احدى مدارس ويلمينغتون الحكومية. ومرت نهايات الاسبوع مملة اذ لم يكن لي أي عمل أؤديه. وفي يوم سبت ركبت حافلة أوصلتني الى قاعدة نيوكاسل الجوية التي تقع خارج المدينة. وفي حظيرة طائرات الحرس الوطني في ديلاوير رأيت طائرة للمرة الاولى عن كثب. كانت مقاتلة من طراز "ب ٥١ موستانغ" من الحرب العالمية الثانية. فأخذت بسحرها ورحت أدور حولها وألمس جناحيها ومروحتها ثم قفزت على الجناح وانسللت الى الركن الخاص بالطيار. وللحظة ظهر أحدهم وراح يصرخ: "يا ولد، أخرج من الطائرة!" فأصابني الذعر وشرعت أنزل منها. عندذاك أحسست يداً تربت كتفي وتدفعني الى داخل الطائرة. فاستدرت واذا بي أواجه ضابطاً يرتدي بزة الطيران ويقف على الجناح بشعره الأحمر وعينيه الودودتين.

كان الطيار يدعى جيمس شوتويل. وقبل أن أغادر المدرج ذاك اليوم أصبحت أناديه "جيم". وفي ما بعد رحت أزور نيوكاسل في نهاية كل أسبوع. وأخبرني جيم أنه كان طياراً مقاتلا في المحيط الهادىء إبان الحرب. وبعد عودته تخرّج في الجامعة وحاز اجازة في الهندسة الكهربائية ومضى ليعمل في شركة هندسة في مدينة جورجتاون بولاية ديلاوير.

وكانت الاسابيع التي تمر تقربني أكثر من جيم شوتويل. فأخبرته بما عانيته في حياتي. وكان يواسيني بمودة وحرارة. فأدركت انني وجدت أول صديق حقيقي لي، لذلك كان لا بد من أن يطرأ تغيير جذري على حياتي.

كنت اجلس مع جيم تحت جناح طائرته ونتحدث في الطائرات وفي بعض المواضيع كالرياضيات والتاريخ والفيزياء. كان الأمر رائعاً. وهو عرّفني الى سائر الطيارين، فأثّر ذلك في نفسي إذ أحسست للمرة الاولى في حياتي انني أنتمي الى مجموعة.

وفي يوم من الأيام أخبرت جيم أنني عازم على ترك المدرسة والبحث عن عمل. فنظر اليّ برصانة وقال لي: "انك تذكرني يا دادلي بعصفور أعمى. انه يتقن الطيران لكنه لا يستطيع أن يطير لأنه لا يرى. فكلما ارتفع عن الارض اصطدم بأشياء تثبط عزيمته. تراه هائماً لا ينجز أمراً في حياته. فهو لا يدري كيف يتجه. أما أنت يا داد ففي يديك كل الوسائل. استخدمها إكراماً لله. فمهما عملت في حياتك عليك أن توطد أمراً واحداً: أن تدرك اهدافك في هذه الحياة. فكدّ في الأمر."

ولكن بعيداً عن جيم وعن القاعدة الجوية لم تتغير حياتي قط. وبقيت أجلب المتاعب لنفسي وبقيت علاماتي المدرسية سيئة. وأخيراً قررت جدتي إرسالي الى كاليفورنيا لأعيش مع عمتي. وأخبرت جيم بالأمر. وبعد بضعة أيام أتى لزيارتنا وسمعته يحادث جدتي لساعات. لكن مجيئه لم يغير شيئاً. وفي نهاية شهر أغسطس (آب) ١٩٥٣ حزمت أمتعتي وركبت طائرة الى لوس انجلس.

كانت عمتي لطيفة جداً، وحاولت مساعدتي بجميع الوسائل. وافتقدت نيوكاسل وجيم لكنني سعيت جاهداً لأتكيف مع محيطي الجديد. وكانت رسائل جيم تبهج أيامي.

وفي احدى ليالي مارس (آذار) ١٩٥٥ رنّ جرس الهاتف. فأجابت عمتي. وأحسست في كلامها خطباً. وعندما وضعت السماعة أخبرتني برفق أن جيم شوتويل لقي حتفه. فقد تعطل محرك طائرته وهو عائد من مهمة تدريبية الى نيوكاسل. وكان في وسعه أن يهبط بمظلته، لكنه اختار أن يبقى في الطائرة ويقودها بعيداً عن المناطق الآهلة حتى فاتت فرصة النجاة. وتفجرت داخلي أحاسيس لم أعهدها من قبل. حاولت أن أتمالك نفسي فلا أبكي، لكنني لم أفلح. فالامور كلها بدت لي متفككة مضطربة.

وتوقفت تدريجاً عن ذرف الدموع وبدأت أفكر في جيم وفي الامور الكثيرة التي قالها لي. وظلت ذكرى تشبيهي بالعصفور الأعمى تعاودني. ولطالما عرفت أن ما قاله جيم فيّ صحيح. ولكن حتى تلك الليلة عجزت عن جمع شتات حياتي. وفي النهاية غلبني النعاس واستيقظت مع الفجر وأنا أتصبب عرقاً بارداً. لكن فكري كان جلياً، فقد عرفت بادراك غريزي أن شيئاً ما تبدل. أصبحت الآن أدرك أين أسير في حياتي وماذا أفعل لأبلغ غايتي.

على طريق النجاح – في تلك السنة تطوعت في سلاح الجو الامريكي وأصبحت موجهاً في برج المراقبة. فأتمت وظيفتي العمل الذي بدأه جيم، إذ انعكس موقفي السلبي خلال مدة خدمتي وتجدد إيماني بالله والانسان. وعزمت على النجاح.

وفي العام ١٩٥٩ بدأت بحماسة سنة من الدراسة المكثفة والعمل الشاق ونلت اجازة طيار. وسرعان ما توظفت كأستاذ طيران. وتبين أنني موهوب في الطيران البهلواني. وبفضل التعليم والعروض الجوية التي أديتها في نهاية كل اسبوع ذاع صيتي.

ولما أتى العام ١٩٧١ كان رصيدي ألوفاً من ساعات الطيران وكنت أديت أكثر من مئة عرض وألقيت المحاضرات على اساتذة الطيران المتدرجين.

وفي خريف ذاك العام عرض علي أحد أطباء نيويورك أن أقود طائرة من طراز "ب ٥١ موستانغ" من مصنعها في نيوارك بولاية نيوجرزي الى القاعدة الجوية في ماناساس بولاية فرجينيا. فرسمت بدقة خط طيران يوصلني الى الجنوب من ماناساس. وحسبت انني اذا ملأت الخزانات ٦٨٠ ليتراً من الوقود لتمكنت من زيادة ٣٠ دقيقة طيراناً قبل أن أبلغ مقصدي.

وفي ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) في تمام السابعة والنصف صباحاً صعدت الى الطائرة المتوقفة في نيوارك وانعطفت جنوباً فوق رأس ماي البحري في ولاية نيوجرزي ثم توجهت الى كامبريدج وأدرت ميمنة الطائرة نحو كالبيبر.

أما المكان الذي خرقت فيه قوانين الطيران الامريكية ذاك الصباح فكان مقبرة ماونت كارمل بابتيست. تحت شاهدة ضريح هناك ترقد بقايا صديقي الكابتن جيمس شوتويل. لقد مضت ١٦ سنة قبل أن أجد الفرصة الملائمة لازور قبر الرجل الذي غيّر مجرى حياتي. وأنا زرته محلقاً بطائرة مماثلة للتي ركبتها يوم التقيته في نيوكاسل. وكان هذا التحليق العمودي صرخة نصر عرفاناً بالجميل وتحية للطيار المقاتل.

أما اليوم فتحيي هذه اللحظة في بالي امثولتين عظميين. اولاهما ان في وسع الانسان أن يؤثر في حياة الآخرين كما أثبت جيم شوتويل، وثانيتهما أن المرء يستطيع انجاز كل أمر تقريباً بالعمل الدؤوب وبمساعدة ضئيلة يقدمها صديق.

دادلي هنريك ■



صلاة

ربِّ اجعلني لا أصلي كي أتقي الاخطار، بل لاواجهها من دون خوف.
اجعلني لا أستعطف لتخفيف آلامي، بل لتكون لي القوة للتغلب عليها.
اجعلني لا أبحث عن حلفاء لاخوض معركة الحياة، بل عن قوتي الذاتية.
اجعلني لا أتمنى الخلاص من لهفة خوفي، بل الصبر حتى أكسب حريتي.
هبني الا أكون جباناً فأشعر برحمتك في نجاحي لوحدي.
ولكن اجعلني أشعر بسندك في خيبتي.

طاغور، شاعر هندي

حيث الوسامة عاهة!

الممثل ايلاي والاش، الذي لا يمكن أن يخلط أحد بينه وبين النجم الوسيم كاري غرانت، قال ساخراً: "ممثل ووسيم؟ عندما يفترض في ممثل وسيم أن يقاسي معاناة، لا يمكنكم أن تصدقوه. فالوسامة حينئذ تغدو عاهة فيه."

وأضاف: "أنا مثلا أشبه الحرباء. وجهي طري وتقاطيعه يمكن أن تتخذ أي شكل. يمكنني أن أحاكي أي عرق تريد وأي لون: مكسيكي، ايطالي، صيني، راعي بقر أمريكي. وما كنت لاقدر على ذلك لو كنت مجرد وجه وسيم آخر."

د.ف.

سرّ النجاح أن تنضج أفكارنا من غير أن نشيخ.

ك.س.

يبدأ في الخامسة والثلاثين ويتفاقم ببلوغ سن اليأس فيقصر القامة ويتسبب في كسور قد تكون مميتة

نخار العظم داء صامت يصيب النساء

حين كانت آن ترنر في أوائل الأربعينات من عمرها صدمت سيارتها من الوراء. وشعرت لاحقاً بألم في الظهر ظنته نتيجة للحادث الذي سبب تمزقاً عضلياً. ووصف لها الاطباء المعالجة الفيزيائية والتدليك والمعالجة الصوتية بالذبذبة العالية، لكن الألم تفاقم وقالت: "أصبحت عاجزة عن النهوض من سريري في الصباح."

وبعدما قاست آلاماً متقطعة طوال عشر سنين استشارت طبيباً أخذ في معالجتها منحى مختلفاً. وهي تقول: "قاس طول قامتي وقارنه بطولي المسجل على اجازة السوق التي حزتها وأنا في الخامسة والعشرين. واكتشف أن طولي نقص بمقدار خمسة سنتيمترات."

عرفت آن ترنر حينئذ لماذا كان ظهرها يؤلمها: ان فقراتها العظمية تنهار. والسبب ترقق العظم (١) وهو مرض يفقد العظام حجمها وقوتها. وبما أن تناقص عظامها كان تدريجاً وبطيئاً فان الصور الاشعاعية الاولى لم تكشفه. وتبين أن نقصاً في امتصاص المواد المعدنية (الفوسفور في حال ترنر) كان سبب الداء. وعندما عولج خف الالم. كذلك أبطىء تقلص حجم عظامها ولكن تعذرت اعادتها الى حالها الاولى.

ويقول الدكتور وليم بيك رئيس الاطباء في أحد مستشفيات سانت لويس بولاية ميسوري ورئيس هيئة الاحصاء الطبي لمرض ترقق العظم التابعة لمعاهد الصحة الوطنية: "ترقق العظم داء صامت لا يعطي أي انذارات مبكرة. وأول أعراضه في معظم الاحيان كسر عظمي في العمود الفقري أو الورك أو الرسغ. وتصبح العظام هشة الى حد أنها قد تنكسر لدى النهوض من السرير في الصباح.

ولما كان هذا الداء يصيب النساء بنسبة تراوح بين ستة وسبعة أضعاف أكثر مما يصيب الرجال فقد دعي داء نسائياً. وجميع النساء اللاتي تجاوزن الخامسة والثلاثين يصبن بتناقص في

---

(١) Osteoporosis نخار العظم أو تخلخله.

العظم الى حد ما، وهذا يزداد بحدة في بعض الحالات مع اقتراب المرأة من "سن اليأس" (انقطاع الطمث).

يسبب داء ترقق العظم ملايين الكسور في العظام كل سنة لدى أشخاص بلغوا الخامسة والاربعين أو تجاوزوها. بعض ضحاياه يعاني انكساراً في فقرات الظهر لا تقتصر نتائجه على نقص في الطول وازدياد في الألم، بل تتعداهما الى تقوس الظهر والتحدّب الذي يدعى "سنام الأرملة". وقد يكون أشد مظاهر الداء انكسار عظم الورك المفاجىء. ففي بعض الحالات تنكسر عظمة الورك قبل السقوط والاصطدام بالارض، وربما يكون الانكسار سبب السقوط.

مقاييس الخطر - لكي نفهم ما هو ترقق العظم ينبغي أن نعرف كيف تنمو عظامنا.

نحن نعتقد أن عظامنا مادة صلبة حجرية. لكنها ليست كذلك. انها كتلة متبدلة على الدوام غنية بالكولاجين (٢) وتحوي مواد معدنية عدة أبرزها الكلسيوم والفوسفات. وثمة مقادير متناهية في الصغر من العظام تتفتت في استمرار وتبدل. وهذه العملية التي تدعى "اعادة الصياغة" تساعد على بقاء العظام قوية. وفي السن الخامسة والثلاثين نصل عادة الى ذروة الكتلة العظمية في أجسامنا. وتستمر عملية اعادة الصياغة، لكننا في هذه المرحلة نخسر العظم بدلا من أن نكسبه. ويصاب الرجال بنقص جزئي في العظام ولكن بنسبة مستقرة. أما النساء فأنهن قد يخسرن اثنين أو حتى أربعة في المئة من كتلتهن العظمية سنوياً على مدى السنوات التي تعقب سن اليأس. وبعد الخامسة والستين يستقر معدل نقص العظام لدى الانثى. وفي السبعين يصبح المعدل لدى النساء عموماً على مستوى النقص لدى الرجال.

وتحتاج عملية اعادة الصياغة الى الكلسيوم وسواه من المغذيات التي تختزن داخل العظام. لكن الجسم يحتاج الى الكلسيوم في وظائف عدة أخرى. فالكلسيوم الذي يجري مع الدم يؤدي دوراً مهماً في تنسيق الحوافز العصبية التي تنظم نبض القلب والتقلّصات العضلية. وتنشأ معضلات صحية عندما يتدنى منسوب الكلسيوم في الدم تدنياً بالغاً. في هذه الحال يتعين على الجسم أن يسترد الكلسيوم من العظام. ومع مرور الزمن يسبب هذا الاسترداد نخراً في العظام وضعفاً فتتخذ مظهراً اسفنجياً مسامياً. وهذا هو داء الترقق.

حتى وقت قريب لم تتوافر وسيلة لاكتشاف هذا المرض في طور مبكر. فالصور الاشعاعية تكشف تناقص العظم حين يبلغ نسبة ٣٠ أو ٣٥ في المئة، وحينئذ يكون الداء متقدماً جداً. وثمة ثلاث تقنيات غير ضارة بالانسجة تعطي نتائج جيدة. الاولى مقياس امتصاص الفوتون المنفرد (٣) الذي يحدد تناقص العظم في الرسغ والقدم. والثانيـة مقياس امتصاص الفوتون الثنائي (٤) الذي يحدد تناقص العظام في العمود

---

(٢) مادة غروية.
(٣) Single-photon absorptiometry
(٤) Dual-photon absorptiometry

الفقري والورك ويعتبر تقدماً مهماً على التقنية الاولى. هذان الجهازان يعملان على أساس مقارنة طاقة الاشعة السينية (أشعة اكس) قبل اختراقها العظم وبعده، مما يتيح للاطباء ان يقيسوا كثافة العظم (ثقله النوعي) ومحتواه من المعادن. والجهازان كلاهما لا يعرضان المريض لمقدار كبير من الاشعاع. أما التقنية الثالثة فهي تطبيق للتصوير الطبقي المحوري (٥) وتقيس مدى تناقص العظام في العمود الفقري. ويقول الدكتور بيك: "هذه الاجهزة دقيقة جداً في حساباتها. لكنها غير متوافرة على نطاق واسع حتى الآن."

ويعتقد الدكتور بيك والباحثون في داء ترقق العظم أنه في غضون بضع سنوات قد يصبحون قادرين على اكتشاف المرض في مرحلة مبكرة من طريق فحص الدم. والمستويات المحدّدة لبعض المواد ذات الصلة بالعظام يمكن أن تبين متى يصبح تناقص العظام أسرع مما يجوز.

ومثل هذه الفحوص سيكون لها أعظم نفع بالنسبة الى النساء المعرضات لأقصى نسبة من الخطر، أي النساء اللواتي هن من العرق الأبيض والمتحدرات من أصل أوروبي شمالي والنساء الآسيويات. الطويلات القامة والناحلات معرضات أكثر من القصيرات القامة وذوات البنية القوية. والسمراوات أقل تعرضاً للخطر، وذوات البشرة السوداء هن الاقل تعرضاً.

الحمل يزيد حجم الكتلة العظمية، لذا فالنساء اللواتي لم ينجبن معرضات للداء بدرجة أعلى. أما العوامل الاخرى التي تساهم في انقاص الكتلة العظمية فمنها تأخر البلوغ وانقطاع الطمث (سن اليأس) واستئصال المبيضين جراحياً وفقدان الشهية العصبي وملازمة الفراش لمدة طويلة والنشاط المفرط للغدة الدرقية أو للغدد المجاورة للدرقية (وهي غدد صغيرة تساعد في تأييض الكلسيوم والفوسفور) أو للغدد الكظرية وأمراض الكلى وبعض أشكال التهاب المفاصل وبعض أنواع السرطان. وهناك عقاقير مثل الكورتيزون والستيرويدات المتصلة به تزيد من سرعة تناقص العظم. كما يمكن أن يساهم في هذا التناقص التعاطي المزمن للملينات المعوية ومضادات الحموضة المحتوية على ألومنيوم والافراط في الكحول والتبغ.

خط السلامة - بالنسبة الى بعض الناس يساعد اكتشاف الداء مبكراً في ابطاء معدل تناقص العظام قبل أن تحدث الكسور. ولكن في حالات أخرى يعجز الاطباء عن ابطاء التناقص او وقفه. وحتى الآن ليست هناك طريقة مؤكدة بالبرهان لزيادة الكتلة العظمية أو عكس تقدم الداء. ويقول الدكتور جون كاناري أستاذ الطب والمدير المشارك لبرنامج معالجة ترقق العظم في جامعة جورجتاون في العاصمة الامريكية واشنطن: "لهذا السبب لا نزال نصر على الوقاية."

وقد كشف الباحثون ثلاثة أساليب أساسية لتحسين حظ المرأة في تجنب داء ترقق العظم:

---

(٥) Computerized axial tomography (CAT) scan

المصادر الرئيسية للكلسيوم

الطعام	المقدار	الكلسيوم بالمليغرام
● الالبان ومشتقاتها		
حليب قليل الدسم (١ أو ٢ في المئة)	كوب	٣١٠
حليب مقشود	كوب	٣٠٠
حليب كامل	كوب	٢٩٠
مخيض الحليب	كوب	٢٩٠
حليب جاف من دون دسم	ملعقتان كبيرتان	١٠٥
بيض مخفوق بالقشدة	كوب	٣٣٠
لبن كامل الدسم	كوب	٣٠٠
لبن قليل الدسم	كوب	٤٠٠
جبن موتساريلا (مقشود جزئياً)	٢٨ غراماً	٢١٠
جبن بارما	٢٨ غراماً	٣٤٠
جبن سويسري	٢٨ غراماً	٢٧٠
جبن أبيض (٢ في المئة دسماً)	كوب	١٦٠
● الخضر		
ملفوف أخضر	كوب	٣٦٠
لفت	كوب	٢٥٠
كرنب	كوب	٢٠٠
قنبيط صيني	كوب	٢٥٠
بروكولي (قنبيط افرنجي)	كوب	١٥٠
● الاسماك		
سردين معلب (مع الحسك)	١١٢ غراماً	٥٠٠
سلمون أحمر معلب	١١٢ غراماً	٢٩٠
اسقمري معلب	١١٢ غراماً	٣٠٠
● البندق واللوز		
بندق برازيلي وعادي	نصف كوب	١٢٥
لوز	نصف كوب	١٦٠

الغذاء. من الواضح أن الغذاء المتوازن حيوي لصحة العظام. وتناول مقدار كاف من الكلسيوم هو حجر الزاوية في أي نظام غذائي يهدف الى الوقاية من داء ترقق العظم. وتوصي هيئة معاهد الصحة الوطنية النساء في السنوات التي تسبق سن اليأس بتناول ١٠٠٠ مليغرام من الكلسيوم يومياً، أي مقدار ما في ثلاثة أكواب من حجم ٢٤٠ سنتيمتراً مكعباً من الحليب القليل الدسم. أما بعد سن اليأس فعلى النساء اللاتي لسن تحت المعالجة لتعويض الأستروجين أن يتناولن ١٥٠٠ مليغرام يومياً.

ومهما يكن فان كثيرات من النساء المعرضات للداء، بدءاً بأواسط العقد الخامس من العمر، يتناولن ما يراوح بين

٤٥٠و٥٠٠ مليغرام من الكلسيوم في طعامهن اليومي. ويشير بعض الدراسات الى اتجاه مثير للقلق نحو تناول مقادير دون هذا الحد.

واليوم يساور الباحثين شك قوي في أن تناول مقدار مناسب من الكلسيوم قبل السن الخامسة والثلاثين يقلل من احتمالات الاصابة بترقق العظم في المراحل اللاحقة من الحياة.

ويشير الباحثون الى أن الجسم يمتص ألكلسيوم الذي في الطعام أفضل مما اذا كان في شكل جرعات مكملة. ويقولون: "في امكانك أن تدخلي في طعامك مقداراً وافراً من الكلسيوم بطريقة فعالة ورخيصة. رشّي مسحوق الحليب المجفف القليل الدسم على الصلصة والمرق والحساء. رشّي الجبن المبشور على الخضر وداخل الشطائر. كما ان بعض أنواع الجوز والبندق والفستق واللوز والسردين وأوراق الخضر الداكنة واللبن والحليب القليل الدسم أو المقشود هي كلها مصادر جيدة للكلسيوم." كذلك توصي هيئة معاهد الصحة الوطنية بتناول الكلسيوم في جرعات مكملة اذا تعذر تأمين المستويات الكافية منه في الطعام. ويقول الدكتور بيك: "ان مكملات الكلسيوم التي تصنعها شركات الادوية ذات السمعة الحسنة هي عموماً سهلة الامتصاص." لكن المكمل الذي يستعمل على أوسع نطاق، وهو كربونات الكلسيوم، لا يمتصه الجسم جيداً لدى بعض الناس الذين تجاوزوا الستين الا اذا أخذ مع وجبات الطعام.

ويشدد الدكتور بيك على أن اللاتي يعانين أي مشكلة صحية، خصوصا اللاتي لهن تاريخ شخصي أو عائلي بالاصابة بحصى الكلى، يجب أن يتناولن الكلسيوم المكمل في اشراف طبيب. ويقول: "إقرأي التعليمات المرفقة بكل عناية لتتأكدي من محتوى الكلسيوم في العقار." ويحذر من ان ادارة الغذاء والدواء الامريكية وجدت مقادير ضئيلة من مواد معدنية ثقيلة مثل الرصاص في عقارين مكملين للكلسيوم هما الدولوميت ودقيق العظم.

وكشف الباحثون كذلك صلات أخرى بين ترقق العظم وما نتناوله من طعام:

• الفيتامين "د". انه ضروري لامتصاص الكلسيوم. والغذاء المتوازن والتعرض لنور الشمس أحياناً يكسباننا مقداراً وافراً منه. ولكن مع تقدمنا في السن، تضعف قدرة أجسامنا على انتاج النوع الفعال من هذا الفيتامين. وبعد السبعين، استناداً الى الدكتور بيك، قد يحتاج الجسم الى ضعفي – أو ثلاثة أضعاف – مقدار الجرعة اليومية الموصى بها. ويضيف أنه ينبغي الا يتناول المرء الفيتامين "د" من دون اشارة طبيب لان تناول مقدار مفرط منه قد يزيد نسبة الكلسيوم في مجرى الدم.

• الكحول. قد تكون الكحول مضرة بالعظم بمقدار اضرارها بالكبد. والكحول لا تؤثر عكسياً في تأيض الفيتامين "د" لكنها تزيد من اهدار الكلسيوم. ويقول الدكتور كاناري: "لا نعرف تماماً عند أي مستوى تؤدي الكحول الى اهدار الكلسيوم. ولكن حتى مقدار ٣٠ سنتيمتراً

مكعباً منها يؤدي الى اهداره وان بنسبة ضئيلة."

• الكافيين والنيكوتين. الكافيين مادة منبهة، وتناولها بمقادير كبيرة يعجل افراز الكلسيوم والمعادن الاخرى من الجسم. ويؤدي النيكوتين كذلك الى افراز الكلسيوم من الجسم. وثمة قرائن تشير الى أنه يعجل سن اليأس.

التمرين. التمرين الرياضي يزيد حجم الكتلة العظمية ويقلل من تناقصها. ولكن ليس معروفاً على وجه اليقين ما هو النوع الافضل او المقدار الافضل من التمرين لتحقيق هذه الغاية. وممارسة الغولف وكرة المضرب والجمباز قد تكون مفيدة. ويقول الدكتور كاناري: "أي شيء يلقي عبئاً حركياً على عظامك يكون مساعداً. فالمشي كل صباح وانتقاء البقالة من المتجر وحتى لَيّ الذراع حركات تجدي."

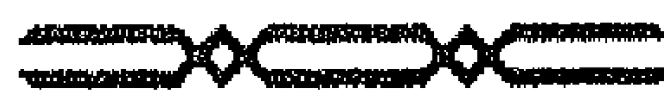
علاج تعويض الاستروجين. حين ينقطع الطمث ينخفض مستوى هرمون الاستروجين بحدة وتنخفض معه قدرة جسم المرأة على امتصاص الكلسيوم. وهذا يؤدي الى زيادة سرعة تناقص العظام. وأفضل طريقة لوقف هذا التناقص هي تعويض الاستروجين، على أن يبدأ مباشرة بعد انقطاع الطمث. وتنصح هذه التوصية أيضاً على النساء اللواتي استؤصلت مبيضاتهن جراحياً.

وتطرح المعالجة بالاستروجين مسألة الجدوى قياساً الى الخطر. لأن هذا الهرمون يزيد قليلا خطر الاصابة بالسرطان في بطانة الرحم (بالنسبة الى النساء اللاتي استؤصلت ارحامهن لا يحمل هذا العلاج أي خطر). ولكن مع ادخال هرمون آخر هو البروجستيرون يبدو أن خطر سرطان بطانة الرحم يتضاءل، ويتباطأ تناقص العظام بنسبة أكبر. ولا يعرف حتى الآن تأثير تضافر هذين الهرمونين على المدى الطويل. وهذه المسألة يقررها المريض مع طبيبه.

ويقول الدكتور كاناري: "ان احتمال الاصابة بسرطان بطانة الرحم يبقى دون واحد في المئة نتيجة علاج تعويض الاستروجين. ولكن من دون هذا العلاج يبلغ خطر الاصابة بكسور الورك نسبة تزيد على ٩٨ في المئة. كما ان الوفيات المتصلة بكسور الورك هي أكثر بكثير من الوفيات بسرطان بطانة الرحم."

ويتفق الباحثون على أن ثمة حاجة الى معرفة المزيد عن داء ترقق العظم. ولكن بتطبيق المعارف المتوافرة يستطيع الملايين اتقاء تأثيراته المؤلمة.

جون بيكانن ■



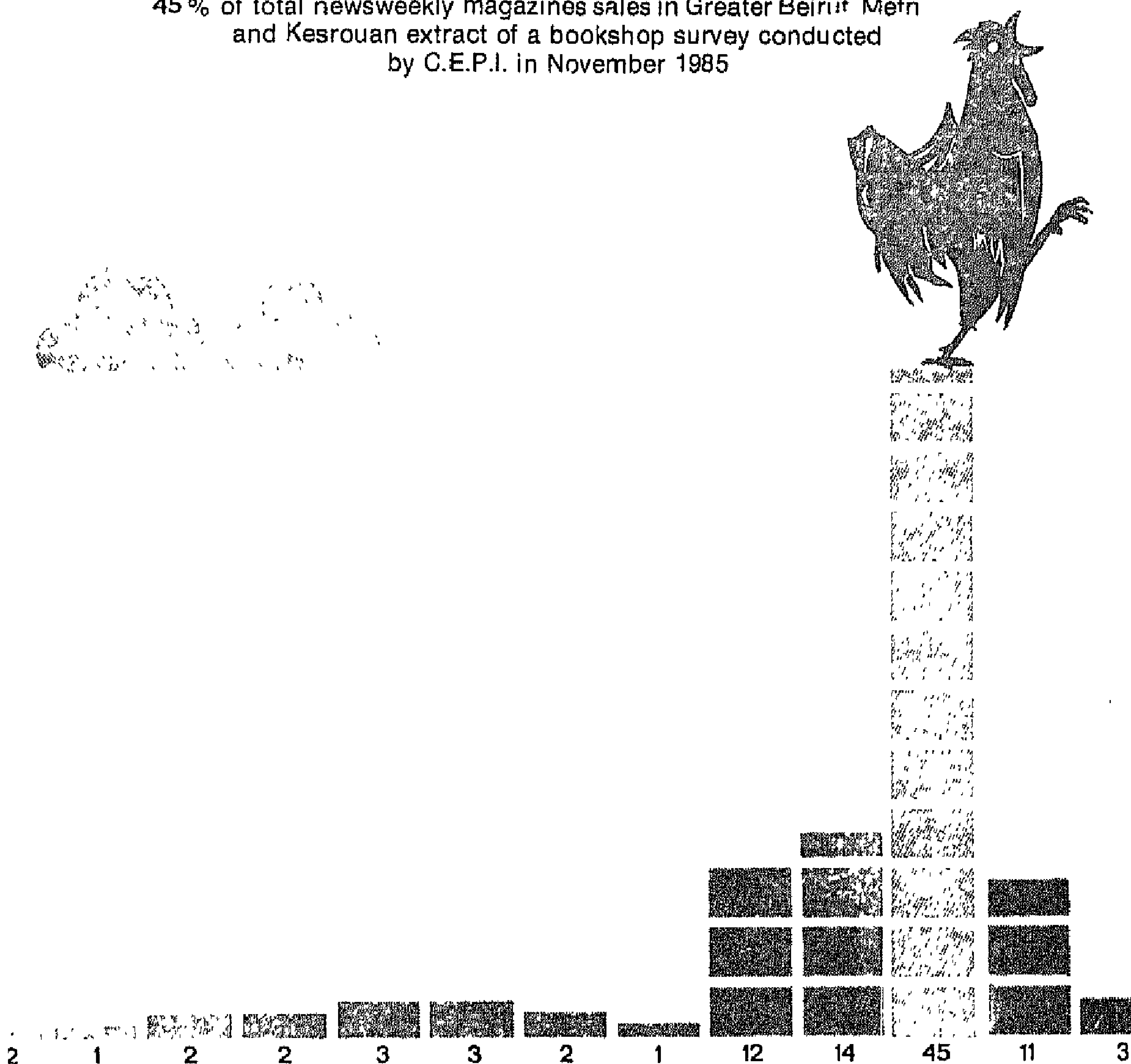
أستاذ الادب

خاض أستاذ الادب الانكليزي وأحد تلاميذه نقاشاً حاداً حول أحد الكتّاب فسأل التلميذ أستاذه هل قرأ آخر قصة لذلك الكاتب، فأجاب: "قرأتها؟ اني لمّا أدرّسها بعد."

ت.ب.

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn and Kesrouan extract of a bookshop survey conducted by C.E.P.I. in November 1985

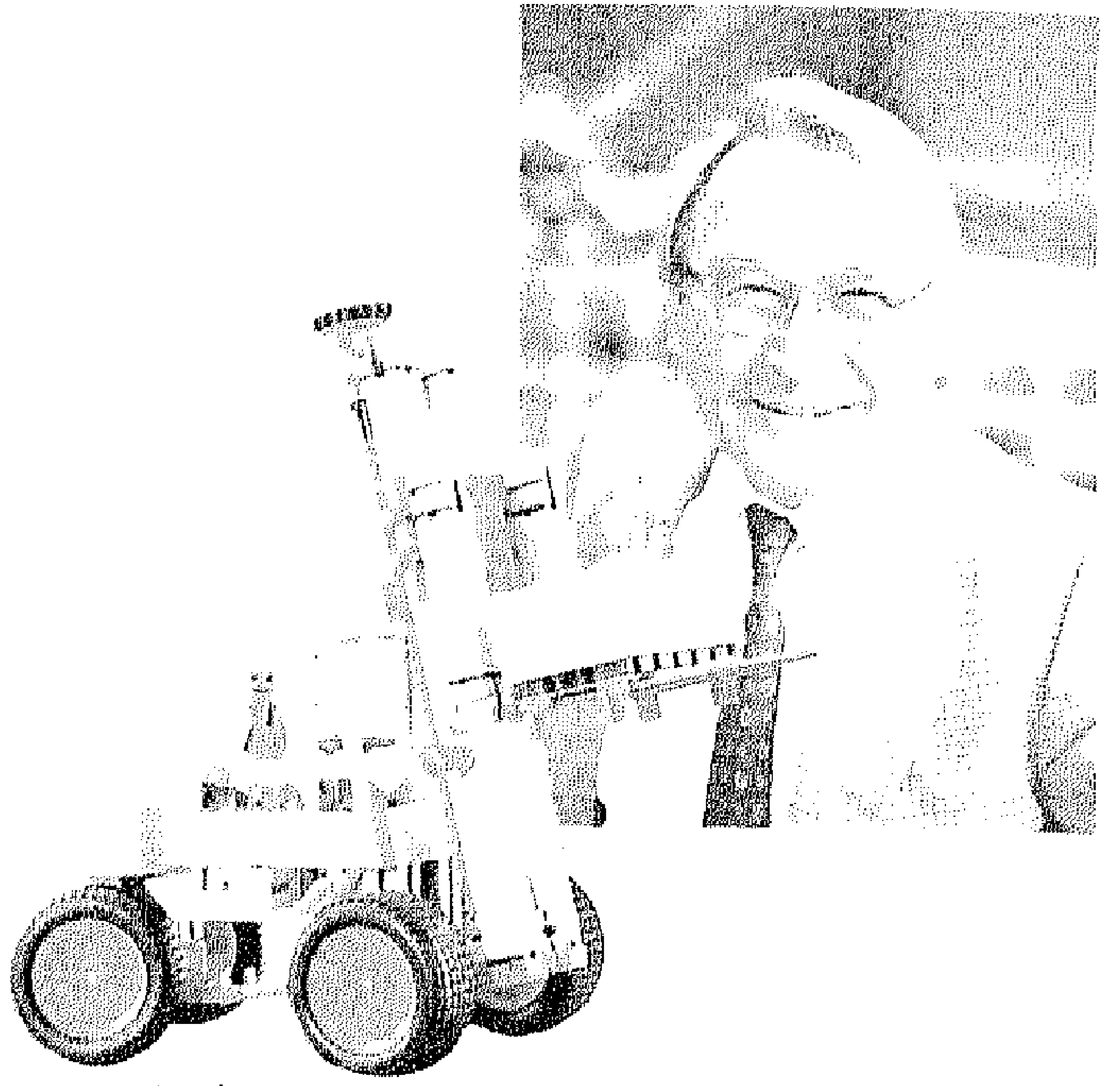


النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative TAMAM S.A.L



آرثور فيشر عالِمُ ألعَاب

ان يوماً ينقضي من دون الخروج بفكرة جديدة يشبه يوماً لم تشرق فيه الشمس

آرثور فيشر

يعلق عامل مرآة ثقيلة بعقيفة مثبتة في جدار. ويدور وامض ضوئي (فلاش) فيما أحد المصورين الهواة يلتقط صوراً في لقاء عائلي. ويدير طفل مقبضاً من البلاستيك الملون ويبتهج حين يدرك أنه صنع آلة رافعة تعمل على أكمل وجه.

هذا العامل وذاك المصور وذلك الطفل استخدموا جميعاً مصنوعات صممها آرتور فيشر المخترع الالماني العبقري وصاحب المشاريع الذي يجمع بين صفتين نادراً ما اجتمعتا في رجل، فهو الحالم والعملي في آن.

القابس الجداري البلاستيكي الذي أبدعه فيشر والمألوف لدى كل من تعيّن عليه أن يثبت برغياً في جدار، بات شيئاً عادياً حتى ليخيل الى الناس أنه بين أيديهم منذ القدم. والواقع ان فيشر صمم هذا القابس الصغير الذي يشبه رصاصة دقيقة مسننة الجوانب قبل ٢٧ سنة. ومنذ ذلك الحين بيعت منه مليارات. والوامض الضوئي المكعب (Flashcube) كان السابق للمكعب الحالي الذي يسمح للمصورين بالتقاط أربع صور في تعاقب سريع وقد بيع منه عدد لا يحصى في قارات العالم الخمس.

ولكن أحب هذه الاختراعات الى قلب فيشر مجموعة الالعاب التي يركبها الاطفال وتعرف باسم "فيشرتكنيك".

Photo: Wolf P. Prange

وهي سهلة التركيب بحيث يستطيع طفل أن يصنع منها سيارة سباق أو رجلا آلياً أو "منحوتة" تجريدية وسوى ذلك. ويعتبرها الخبراء أكثر الالعاب تنويراً للعقل في سوق الدمى. وهي غدت بالنسبة الى ملايين الاطفال جزءاً من حياتهم كما القفز فوق الخطوط ولعبة الاغماءة (الغميضة).

صاحب الحلول – قد يبدو الانتقال من القابس الجداري الى الوامض الضوئي ثم الى الالعاب قفزات منحرفة عن الهدف. ولكن يتضح منطق الامور حين يتعرف المرء الى هذا الرجل. فالطفل لا يزال كامناً في جنانه. آرثور فيشر رجل كث الحاجبين يضع نظارات طبية ويبلغ طوله ١٦٧ سنتيمتراً. ولا تفارق الضحكة شفتيه، فهو يضحك من نفسه ومن عجائب هذه الحياة وسخافاتها. وتلتمع عيناه حبوراً فيضرب رجله بكفه.

ولد فيشر في ٣١ ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩١٩ في قرية توملينغن الهادئة بين أشجار الصنوبر المخضلة في الغابة السوداء بألمانيا، لأب امتهن الخياطة في تلك الناحية. وهو ورث ميله الى الميكانيك عن أمه التي أنجبت عائلتها أجيالا من المهندسين. وكان في طفولته يقضي ساعات وهو يلهو بتركيب مجموعة ألعاب أو صنع محرك بخاري صغير.

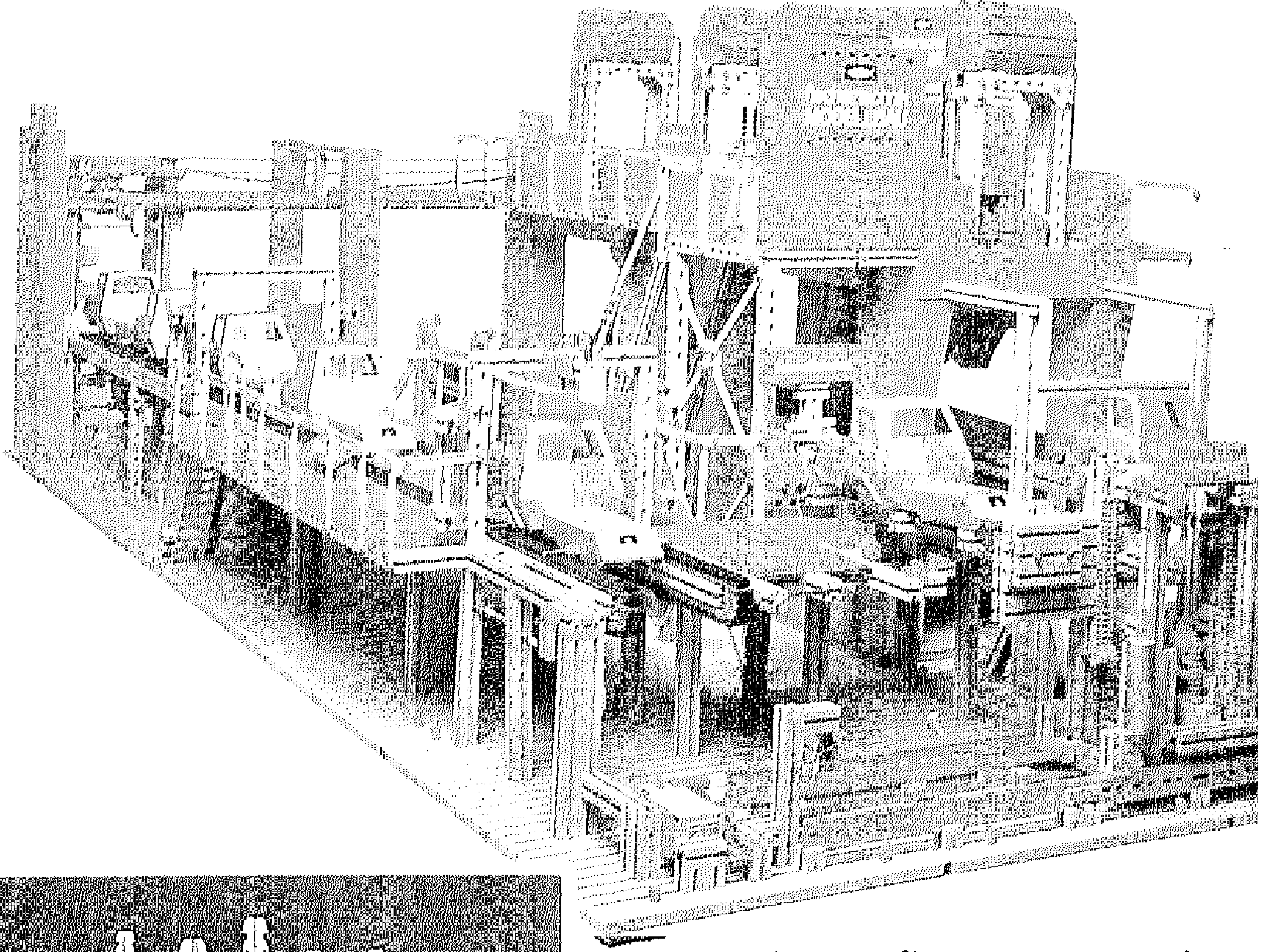
كان يطمح الى أن يصبح سائق قاطرة. ولدى بلوغه السابعة عشرة من العمر بعدما ترك المدرسة الثانوية وعمل فترة كمتدرب لدى صناع اقفال، ذهب الى محطة القطار في مدينة شتوتغارت وفتح الموضوع مع رجل يغطي السخام وجهه في قمرة قاطرة. وابتسم الرجل وقال للفتى: "أنصحك بالتخلي عن فكرة العمل كسائق قاطرة. ففي الشتاء تقاسي من البرد القارس وفي الصيف تقاسي من الحر اللاهب وطوال أيام السنة يظل وجهك مغطى بالسخام الاسود."

وبعد وقت قصير استدعي فيشر الى الخدمة العسكرية بصفة عامل صيانة. وفي عمله نال اعجاب رؤسائه في ايجاد حلول عبقرية لمعضلات فنية بدت عاصية لكل حل. كان يصلح محرك طائرة بقطع غيار بديلة موقتة في برهة قصيرة فيتيح لها أن تتأهب للطيران ثانية.

وبعد عودته الى قريته عام ١٩٤٦ تزوج حبيبة طفولته ريتا. ولكي يقوم بأودهما عمل في اصلاح الاعطال الكهربائية وصنع قداحات كهربائية كان يقايضها بالخبز والبيض واللحم.

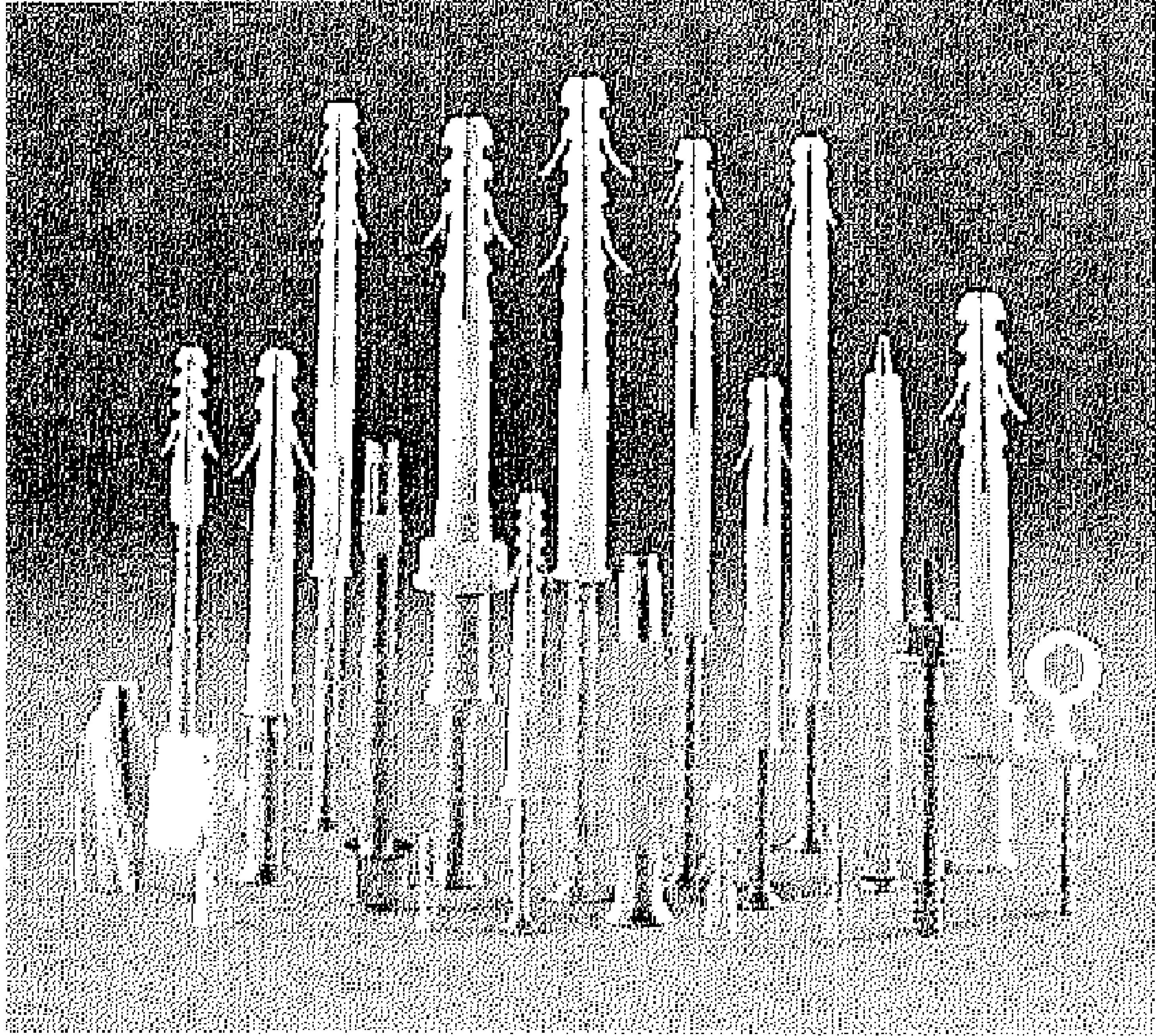
وأعلن مصنع حياكة حاجته الى شخص يصنع جهازاً يوقف النول كلما انقطع الخيط. واستعار فيشر مثقباً ومخرطة وصنع انموذجاً بدائياً في مشغل صغير استأجره، واستخدم في صنع الملامسات الكهربائية نحاساً استخرجه من قذيفة مدفعية قديمة. وبعد أسابيع قليلة أصبح فيشر صانع مفاتيح كهربائية يساعده في العمل نحو ٣٠ عاملا.

عبقرية البساطة – عام ١٩٤٧ ولدت ابنته مارغو، وأحب الوالدان الفخوران أخذ صور لها. لكن بيتهما كان مظلماً، والوامض الضوئي المتوافر في ألمانيا



أنموذج خط تلحيم هياكل السيارات.

آنذاك من النوع البدائي الذي تشتعل فيه عبوة من المغنيزيوم على طبق معدني. وكان الامر يتطلب مهارة فائقة وحظاً حسناً لكي ينجح المصور في اشعال العبوة في اللحظة التي يعتق مصراع آلة التصوير. ولذا صمم فيشر آلة مزامنة تعتق المصراع وتشعل العبوة في اللحظة عينها. وأصبحت براءة هذا الاختراع واحدة بين أكثر من أربعة آلاف أخرى سجلها فيشر. وفي العالم ١٩٥٠ لفت نوع محسّن من هذا الوامض شركة "أغفا" الجبارة في ميدان التصوير. وهو كان، قياساً على أجهزة هذه الايام، ضخماً وذا عاكسة من الالمنيوم في حجم صحفة الحلوى. ولكن في ذلك الحين لم يكن هناك ما يضاهيه، فطلبت الشركة من فيشر ان يزودها ٤٠



مجموعة قوابس جدارية بلاستيكية وفولاذية.

ألفاً منه على الفور و١٠٠ ألف أخرى في غضون السنة التالية.

استخدم فيشر كل العمال الذين أمكنه أن يجدهم في توملينغن. وعمل الجميع ساعات اضافية، بما في ذلك أيام السبت والاحد لتلبية طلب الشركة.

Photos: Fischertechnik

وظل فيشر يزود "أغفا" هذه الاجهزة طوال ٢٧ سنة. وكان يطورها لتغدو أصغر حجماً وأخف وزناً. وأخيراً عام ١٩٦٣ حصل على براءة اختراع وامض هو سلف الوامض الحالي المكعب الشكل الذي يطرح بعد الاستعمال. وهو عبارة عن مجموعة مصابيح حول قاعدة دوارة ذات عاكسات في الداخل. وباع الاختراع الى شركة "أغفا" بمئة ألف مارك ألماني (*).

وازدهرت شركة فيشر، لكنه بقي يحس بضعف موقعه كمتعهد صغير ازاء شركة ضخمة. ولتنويع منتجاته أخذ يصنع قوابس الجدران بموجب اجازة من شركة بريطانية. لكن تلك القوابس كانت كبيرة ومعقدة وكثيراً ما تسقط من الثقوب. وهكذا تناقصت الكميات المطلوبة، فعمد فيشر الى تصميم قابس من النايلون أصغر حجماً وله أسنان تنغرز في جوانب الثقب فيبقى القابس ثابتاً في مكانه سنوات عدة.

واليوم ينتج مصنع فيشر ملايين من هذه القوابس يومياً في مئات الاشكال والاحجام. والمدهش بين هذه قابس الأمان "زيكون" الذي يتطلب ثقباً لا يتعدى قطره ٤٠ مليمتراً ومع ذلك يصمد تحت ثقل يبلغ ١٤٠٠ كيلوغرام. وهذا النوع استخدم في شتوتغارت لتعليق ألواح حجرية على واجهات مبنى من بضع طبقات. وينصح فيشر المخترعين الطامحين: "لا تضيعوا وقتكم في صنع سفن فضائية متطورة، من الافضل لكم أن تصمموا شريط حذاء لا تنحل عقدته على الدوام."

فيزياء للاطفال — ولدت مجموعة ألعاب "فيشرتكنيك" قبيل عيد الميلاد عام ١٩٦٤ بينما كان فيشر يستحم في الصباح. وكان تملكه القنوط من أصناف الهدايا التي يقدمها الى زبائنه لمناسبة عيد الميلاد عاماً بعد عام من تقاويم ومفكرات وأقلام. فقرر أن يبدع شيئاً مختلفاً يقدمه اليهم هدية يأخذونها الى منازلهم ويهدونها الى أطفالهم. وفي دقائق نضجت الفكرة في رأسه: مجموعة مكعبات من البلاستيك ذات أخاديد ونتوءات تلصق الواحدة بالاخرى في أي جنب. وأضاف في ما بعد محاور تدخل الاخاديد وألواحاً وعجلات. وهكذا أصبح في الامكان تركيب القطع في أشكال لا يحصرها عد.

أول انتاج سنوي من هذه الالعاب قدّم هدية الى مؤسسة خيرية لرعاية الاطفال المعاقين. وفضلا عن مساعدة المعاقين على تطوير قدراتهم في استخدام أيديهم، استهوت هذه الالعاب الاطفال الى حد جعل فيشر يفكر في انتاجها تجارياً.

واليوم تبيع الشركة أكثر من نصف مليون مجموعة سنوياً في ١٧٦ نوعاً تضم ما مجموعه ١٥٠٠ قطعة مختلفة. ومعظم القطع يستخدم في أكثر من غرض، وجميعها يتآلف بعضه مع بعض. والى المحركات والعجلات هناك مفاتيح ومضخات وأجهزة قيادة وصمامات وعشرات الاجزاء الاخرى لاجهزة حركية مائية وهوائية والكترونية. وتقدم

(*) الدولار الامريكي يساوي اليوم نحو ٢٠٥ مارك.

المجموعات كل ما يحتاج اليه الطفل لصنع انموذج سيارة أو جرس انذار أو سيارة اطفاء وأي شيء يمكن أن يحلم به.

وهناك مدارس عدة تستعين بهذه الالعاب لتعليم الاطفال المبادىء العلمية. ففي هيدلبرغ مثلا طلب من أطفال في التاسعة أن يصنعوا عربة ذات عجلات يمكنها أن تقطع أطول مسافة في خط مستقيم بعد أن تنحدر على لوحة خشبية مائلة. وكانت الغاية تعليم الاولاد مبدأ الاحتكاك في الفيزياء.

اشراقة الرئيس - منذ ولادتها نالت ألعاب "فيشرتكنيك" جوائز عدة في أنحاء العالم بما فيها "أوسكار الالعاب" في فرنسا وجائزة "شبيل غوت" الالمانية من "اللجنة العاملة على الالعاب الجيدة". وبين الاشادات التي يعتز بها فيشر كثيراً اطراء جاءه من فرنر فون براون راعي برنامج الفضاء الامريكي. ففي العام ١٩٦٨ أرسل فيشر مجموعة من ألعابه الى بيتر ابن فون براون كهدية لمناسبة عيد الميلاد. وكتب اليه العالم الشهير: "لقد تفهت جميع هدايا الميلاد الاخرى ازاء هديتك غير العادية."

ولا يقتصر هوى هذه الالعاب على الاطفال. فالقطع مصنوعة بدقة متناهية - حتى ٣ في المئة من المليمتر - بحيث أضحت تستخدم لصنع نماذج لآلات ومصانع. وفي مونشنغلادباخ صنعت شركة "شرمان" للمعدات أنموذجاً دقيقاً لخط تجميع تبلغ كلفته ٣٥ مليون مارك ألماني. وصممت شركة "أودي" في انغولشتات منصة تجارب لصدمات السيارات بمجموعة من ألعاب فيشر، كما صنعت شركة "رينو" الفرنسية للسيارات وشركة «BBC» في هيدلبرغ نماذج لخطوط النقل. وفي أليسوند بالنروج صنعت "موروغ رومسدال انجنيوروغسكول" انموذجين طبق الاصل لمصعد ورجل آلي.

وعلى رغم نجاحه ظل آرثور فيشر رجلا قنوعاً. انه يقطن بيتاً متواضعاً يبعد ١٠٠ متر فقط عن مصنعه. ومن الرفاهيات القليلة التي يتمتع بها سكة قطار بخاري صغير أقامها في جوار مركز أبحاث الشركة الذي شيّد حديثاً. وهو يقضي جزءاً كبيراً من وقت فراغه مع أحفاده على متن ذلك القطار، فيحقق حلم طفولته بأن يصبح سائق قاطرة. وتنتهي الرحلة وقد غدا الجميع سود الوجوه وفي منتهى السعادة.

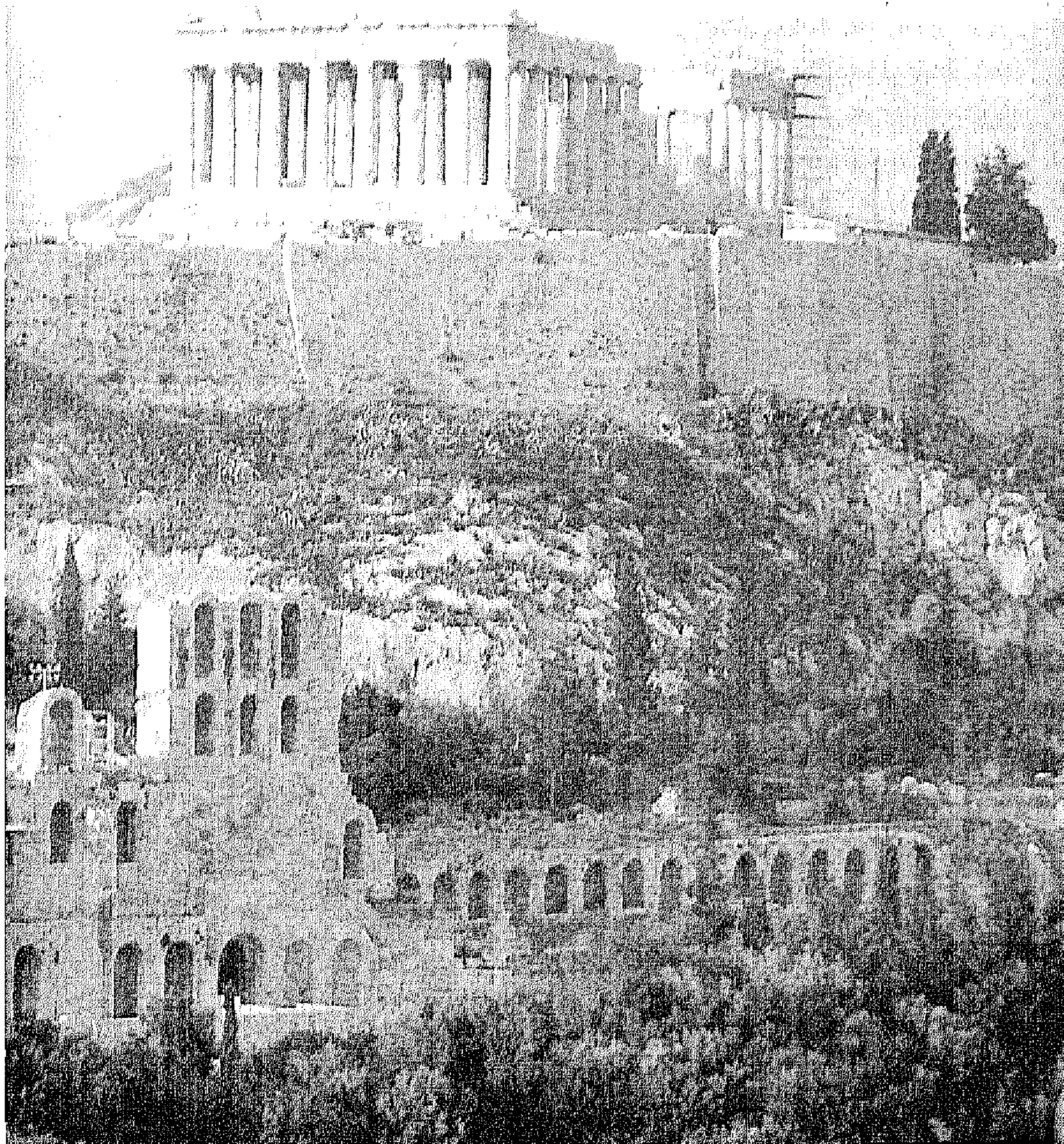
واليوم يدير ابنه كلاوس الشركة، الا أن آرثور لا يزال رئيساً لمركز الابحاث. ففي عرفه أن أي يوم ينقضي من دون الخروج بفكرة جديدة يشبه يوماً لم تشرق فيه الشمس. ويقول أحد مساعديه: "حين تشرق أسارير رئيسنا ندرك أنه هبط عليه الهام جديد."

كريستوفر ماثيوس ■

الفرح أقوى من السعادة. واذا كانت السعادة حصيلة كسب وقتي، فالفرح هو النور الذي يملأنا على الدوام ايماناً ورجاء ومحبة.

الأكروبول في «العناية الفائقة»

آثار الاكروبول التي وقعت ضحية الانسان والطبيعة تعاد اليوم الى سابق جلالها



في أوائل العشرينات من القرن التاسع عشر عند بدء حرب الاستقلال، ثار اليونانيون على الاتراك الذين حكموا بلادهم قرابة أربعة قرون. وبعد قتال ضار لجأ الاتراك الى قمة الاكروبول، تلك الكتلة الصخرية المطلة على سهل أتيكا. وهناك تحصنوا في كنف البارثنون الذي بني في القرن الخامس قبل الميلاد تكريما لشفيعة المدينة أثينا. وهذا الهيكل يعتبر أعظم عمل هندسي كلاسيكي اغريقي ورمزاً حقاً للمدنية والديموقراطية في العالم الغربي.

الاتراك في يأس. ذخيرتهم نفدت، فشرعوا يجردون جدران المعبد الرخامية لنزع الصفائح الرصاصية التي تكسوها عن الاوتاد المعدنية القديمة. وكانت هذه استراتيجية ممتازة غير مقصودة ذعر لها اليونانيون فطلبوا وقفاً فورياً للنار. والذي أذهل الاتراك أكثر أن اليونانيين بعثوا الى الاكروبول بامدادات حربية سخية. وبعد ذلك أستؤنف القتال.

الاكروبول المرتفع ٨٠ متراً فوق سهل أتيكا كان موضع اجلال الاثينيين منذ غابر الازمنة. واليوم بعد ٢٥ قرناً من التفتت والهزات الارضية والانفجارات والامطار الحمضية بقي البارثنون (الى اليمين) منتصباً على عتبة الاطلال.



واليوم عاد اليونانيون الى الكفاح من أجل صيانة الاكروبول وتحفه الكلاسيكية العظيمة الاربع: البارثنون، والاركثيوم، وهو هيكل صغير، والبروبيلايا، وهو مدخل خلاب، وهيكل صغير لطيف.

وأخذت الحكومة اليونانية على عاتقها، بجهد طموح يكلف ملايين الدولارات ويقتضي عقداً من الزمن، ترميم البارثنون الذي أصبح بعد خمسة وعشرين قرناً في حال عليلة جداً. فعبر السنين تضررت حجاره وأعمدته الرخامية من جراء الحروب وتشققت نتيجة النيران اللاهبة وتزعزعت بتأثير الهزات الارضية. ومنذ أواسط الخمسينات أحدث فيها تلوث الهواء تأكلات مخيفة.

وربما أسوأ من كل ذلك ما عانته على يدي المهندس اليوناني نيقولاس بالانوس الذي كان شغوفاً بآثار الاكروبول فقضى السنوات الاربعين الاولى من هذا القرن في محاولة تحصين البارثنون والاركثيوم ضد عاديات الزمن.

وفكّك قسماً كبيراً من أجزاء هذين الاثرين وأعاد جمعه مثبتاً حجارة بأطواق ومسامير، لكنه استعمل لسوء الحظ فولاذاً خاماً. وتضخمت تلك الاطواق والمسامير بفعل التآكل خلال أربعين سنة، فكانت النتيجة أن تهشم الرخام الذهبي المقتطع من جبل بنتليكون الشهير برخامه.

لكن اليونان الآن هي في صدد اصلاح العطل. وبعد عشر سنين من الجهد الخلّاق الدقيق أصبح ترميم الاركثيوم قريباً من النهاية، وبدأ العمل في البارثنون وهو أصعب المهمات وأدقها.

أحجية الصورة المقطعة – كلمة "أكروبول" (accropolis) اليونانية تعني مدينة محصنة تعلو كل ما عداها. وقبل تشييد البارثنون بزمن بعيد كانت تلك القمة الصخرية الاثينية قلعة دفاعية ومحراباً. وعام ٤٨٠ قبل الميلاد حوّل الجيش الفارسي المعابد والنقوش والكنوز الفنية أنقاضاً. ولكن بعد عقود قليلة استيقظ العالم الاغريقي على عهده الكلاسيكي الاكثر اشراقاً في تاريخه، فانطلقت فكرة الديموقراطية وظهرت أثينا مدينة ذات سلطان طاغ في حلف دول الاغريق. وازدهرت الفلسفة والفنون فكان عالمها جديداً ولكنه اقتضى مجداً يتوجه.

كان الجواب: البارثنون، وهو الهيكل المشيد تكريماً لاثينا بنت زفس. واشترك في بنائه ثلاثة موهوبين: بيريكليس حاكم اليونان الحكيم الذي أجاز المشروع، وصديقه فيدياس أشهر نحاتي العالم القديم الذي أشرف على البناء وصمم النقوش، وإكتينوس الذي أبدع البناء الرخامي المتناسق الذي لا يزال مبعث وحي للمصممين الحديثين.

المهندس المشرف على الترميم هو مانوليس كوريس، (٣٧ عاماً). وهو رجل حيي دمث ناحل الجسم تحوط عينيه خطوط نتيجة تعرضه للشمس ساعات طويلة. وليس في العالم أحد سواه يفهم البارثنون كما يفهمه هو. انه قاس كل سنتيمتر من الهيكل ووضع لائحة بكل حجر ونقب عن كل ما كتب حوله في قصاصات جمعها من مئات المصادر، لأن ما كتبه البناؤون لم يبق منه شيء.

أهم الادلة يأتي من الحجار ذاتها. الشقوق العميقة في العمودين القائمين في منتصف الواجهة الغربية تحدّث عن عضادات الابواب الخشبية التي أحرقها البرابرة التوتونيون في القرنين الثالث والرابع. والتغير الخافت في لون الرخام يحكي عن تحرك الحجار بفعل الزلازل القديمة. والثقوب التي هي في حجم اطباق الطعام والظاهرة على الاعمدة الجنوبية تشهد على قنابل الفينيسيين (اهل البندقية) التي كانت تطلق من منحدرات التلال المجاورة في القرن السابع عشر.

هذه القنابل كانت مقدمة لنكبة موروسيني. وكان فرنسيسكو موروسيني حاكم البندقية قاد جيشاً وحاصر الاكروبول عام ١٦٨٧. واذ علم أن الاتراك جعلوا البارثنون مخزناً لذخيرتهم أمر بقصفه، لكن القنابل لم تقو على اختراق السقف الرخامي الكثيف. غير أن قنبلة واحدة نفذت من كوة ففجّرت البارود واندكّ السقف بكامله وتحطمت غالبية الجدران الداخلية وسقط عدد كبير من أعمدة الجانبين الشمالي والجنوبي. وفي لحظةٍ تحول ذلك الهيكل أنقاضاً.

وسيجرى الترميم طوال السنين العشر المقبلة على مرحلتين: علاجية وترميمية. في المرحلة العلاجية ستهدم الحجار التي عالجها بالانوس وتبدل بمساميرها وأطواقها الفولاذية المتأكلة مشابك جديدة مصنوعة من معدن التيتانيوم المقاوم للتأكل. أما الاجزاء الرخامية المفقودة فسيؤتى بمثلها من الجبل الذي اقتطعت منه.

وفي المرحلة الثانية سيكون العمل أشد اثارة. فالحجار التي تناثرت حول البارثنون، وعددها يقارب الألف، ستعاد الى مواضعها الاصلية التي يعرفها كوريس بالتحديد. وهو يقول: "ان هذا العمل يشبه أحجية الصورة المقطعة. ولكن لا صورة هنا، ولا القطع كلها في متناول اللاعب."

واذا كان جمع قطع غير كاملة لاحجية مضى على نشوئها ٢٥ قرناً لا يعتبر تحدياً قوياً، فكيف بتحريك صخور يزن الواحد منها أكثر من عشرة أطنان؟ لقد ساعد كوريس على تصميم رافعة تنشل أكثر من ١٣ طناً أي بزيادة طن واحد على وزن كبرى عتبات البارثنون. وركّبت هذا الرافعة على قضبان سكة حديد فوق أرض الهيكل على بساط من الرمل والاسمنت والخشب. وللرافعة بكرات متينة لُفّ حولها شريط فولاذي اثنتي عشرة لفة، وبها تعاد الاعتاب والحجار الى مواضعها الاصلية.

الأحماض الآكلة – الاركثيوم الواقع في الجهة الشمالية من الاكروبول كان صالحاً كمختبر لتقنيات الترميم. فخلال السنوات السبع الماضية فكّك حتى أساسه ونُظِّف من الحديد تماماً ثم جُهِّز بمعدن التيتانيوم وبقطع رخامية جديدة وأعيد بناؤه من دون خسارة قطعة صغيرة واحدة.

أكثر من ٧٠٠ قطعة رخام وألوف الاجزاء الصغيرة انزلت من الاركثيوم. وقبل تحريك أي منها كان العلماء يفتشون عن مسامير بالانوس الفولاذية



عاملان يشتغلان بقطع الرخام الجديدة وسقالة البناء وراءهما.

بواسطة جهاز اشعاعي شديد الفاعلية يعمل بنظائر الكوبالت. ويُنزع الحديد والصدأ بأدوات خاصة ومواد كيميائية تذيب الرواسب الدقيقة المستعصية. ثم تبدل بالمسامير القديمة مُثبّتات من المعدن الجديد المقاوم للتأكل أكثر من الفولاذ المقاوم للصدأ بخمسمئة مرة.

الرخام الجديد والقديم المجموع جنباً الى جنب في جدران الاركثيوم يشكل ترقيعاً حجرياً. ومع الوقت تتمازج الالوان بحيث يصفرُّ الرخام الجديد ليصبح بالتألق الدافىء الذي اشتهرت به آثار الاكروبول. ولم تجرِ أي محاولة لتمويه الحجار، فكل واحد منها وسم بتاريخ نحته فجاءت، كما قال أحد النحاتين، نموذجاً أميناً لعلم الآثار.

ولكن ثمة مشكلة حجبت الجهد الذي تم به الترميم هي أجواء أثينا الحمضية. فبعدما كان هواء المدينة يعتبر أنقى هواء في العالم اذا به اليوم يغدو شديد التلوث، علماً أن نصف سكان اليونان تقريباً يعيشون في أثينا وضواحيها، وأكثر من ٦٠ في المئة من صناعات البلاد قائمة هنا، اضافة الى نحو ٨٠٠ ألف سيارة تجوب طرق العاصمة يومياً مما يجعل الزوار في حال تذمر. ونتيجة ذلك يغطي الاكروبول ضباب سام مرئي مكوَّن من كميات كبرى من ثاني أوكسيد الكبريت وأوكسيد النيتروجين ومركبات الهيدروكربون وهباءات أخرى.

أما العاملان الرئيسيان المسببان للتأكل فهما ثاني أوكسيد الكبريت وأوكسيد النيتروجين، ومتى امتزجا بالماء تحولا مطراً حمضياً. أما اذا امتزجت الرطوبة المنخفضة بثاني أوكسيد الكبريت فذلك كاف لبدء عملية التكبرت التي تحوّل الرخام ذروراً جبسياً. والجدير بالذكر أن البيئة البحرية العالية الرطوبة كالتي في أثينا قاسية لا ترحم. لذلك سنّت الحكومة قوانين تشدد على الاّ يُحرق سوى الوقود الذي يحوي نسبة منخفضة من الكبريت، كما انها تثني المواطنين عن استعمال السيارات الخاصة. لكن ثمة حدوداً لما يعمله الاثينيون.

وكأن مشكلة الجو لم تكن كافية فاذا بعامل تفتت يظهر في آثار الاكروبول تثبّت منه عالمان ايطاليان عام ١٩٧٩. هذا العامل هو بكتيريا (جرثومة) تعيش على الرخام وتتغذى بالكبريت الذي في الهواء. وهي تحفر ثقوباً صغيرة في الرخام تسهل على المركّبات الكيميائية

الحمضية اختراق الصخر بسرعة غير عادية. ولانقاذ المنحوتـات من هذه البكتيـريا رشهـا الايطاليـان بعقار يستعمل عادة لمعالجة اعتلال الجلد البشري. ويقول تيودور سكوليكيدس أستاذ الفيزياء الكيميائية في الجامعة التقنية الوطنية في أثينا وعضو لجنة صيانة آثار الاكروبول: "البكتيريا موجودة في كل جزء من الآثار."

ما هو الجواب؟

لا جواب الى الآن.

المنحوتات التي عولجت وضعت في صناديق زجاجية في متحف الاكروبول حيث طوقت بالنتروجين لمنع ازدياد التفتت. وموقتاً يبحث سكوليكيدس وزملاؤه عن طلاء متقن يفضل أن يكون مادة شفافة تمنع التـأكل وتقـاوم البكتيريا من دون أن تغيّر المظهر الخارجي لاي من الآثار.

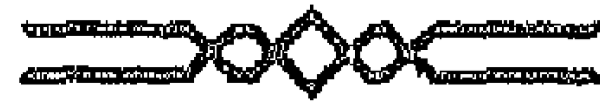
وفي هذه الاثناء يسير العمل جاداً. الذين يرممون الآثار يقفون أنفسهم على ما هو أبعد من طموحهم واعتزازهم المهني، على الايمان بأن لا شيء في العالم يستطيعون تطبيق مواهبهم عليه أهم من هذا العمل.

في ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٨١ قبيل الحادية عشرة ليلا وقعت في أثينا هزة أرضية بلغت قوتها ست درجات وثمانية أعشار الدرجة. واذ تعرقل السير واستولى الرعب على الناس ارتقى كورّيس درجات الاكروبول المبللة بالمطر فوجد سلماً ومقياساً شريطياً وبقي بضع ساعات يتفحص البارثنون آخذاً قياسات دقيقة ومقدراً الخسارة ومتجاهلا احتمالا قوياً بحدوث هزة أخرى.

وبينما هو كذلك اذا بهزة أخرى تقع، لكنها كانت أخف من الاولى. فصعد الى أعلى البارثنون ليرى ما اذا كان توازنه اختل. ولما تأكد من أن كل شيء سليم أبلغ ذلك هاتفياً الى عدد كبير من أعضاء لجنة الترميم.

أما رئيس اللجنة جورج ميلوناس البالغ من العمر ٨٦ عاماً فقال: "كانت لنا جميعاً ليال في الاكروبول لم ننمها، لان المسؤولية كبيرة جداً. نحن لا نريد نتائج تدوم عشرين سنة أو ثلاثين فحسب، بل نريد أن نتثبت من دوامها مئتين أو ثلاثمئة سنة. وهذا ما يجب أن نكون نحن منه متأكدين."

طوني ليتون ■



مغامرات حبّوب

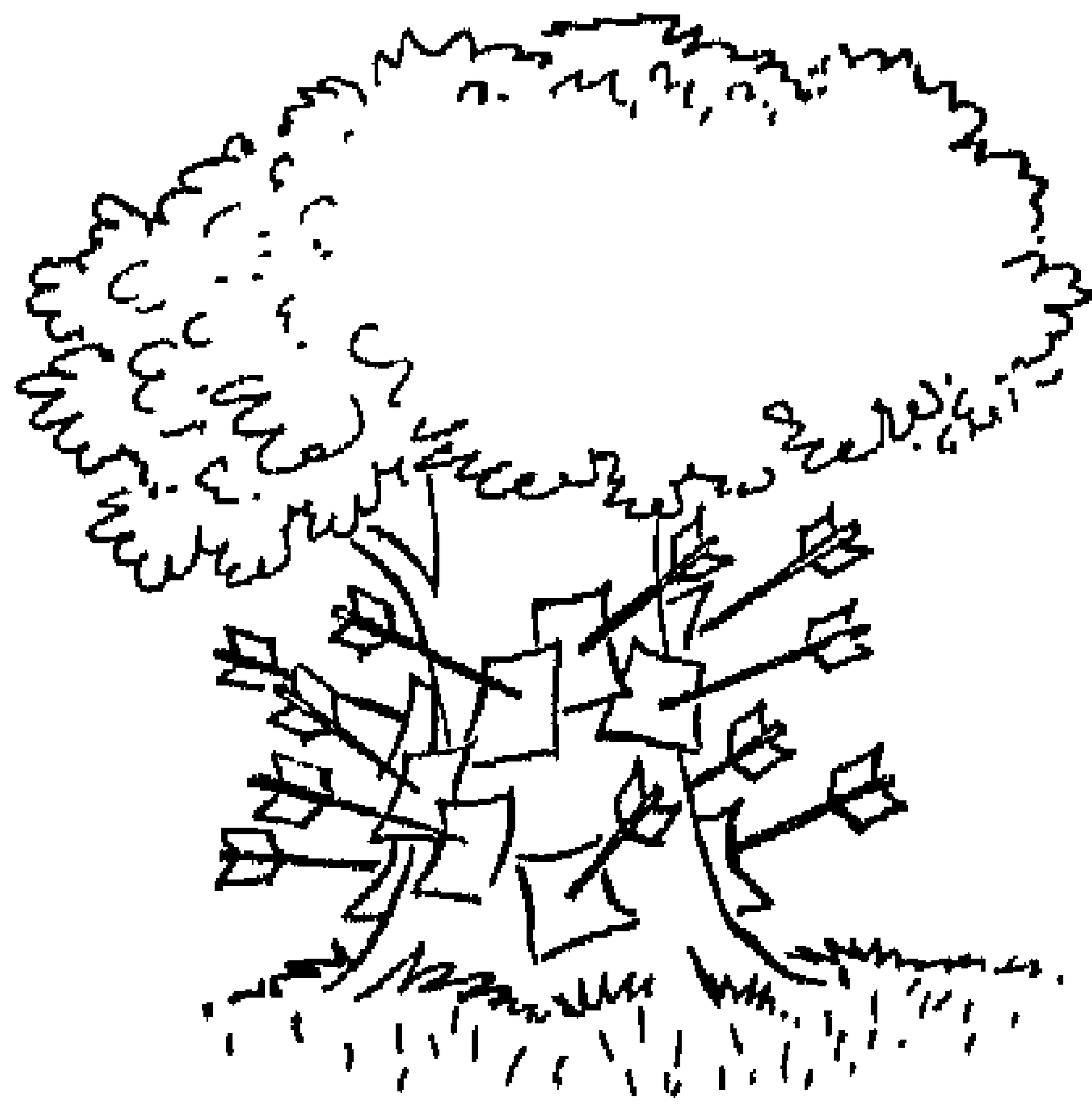
كان حبّوب فتى خجولا جداً. لذلك دُهش اصدقاؤه حين قال لهم انه سيقابل فتاة. وبعد ساعة امضاها استعداداً انصرف ليعود بعد نصف ساعة. فبادره احد اصدقائه: "هيا اخبرنا ما حصل."

- إنه لأمرٌ عظيم حقاً!

"وهل رأيتها؟"

- بالتأكيد رأيتها. وأؤكد لكم انها كانت هي أيضاً رأتني لو لم أختبىء خلف سياج.

ن.و.



حكايات من العالم

تربية البطريق

أضخم طيور البطريق المائية حجماً هو "الامبراطور" الذي يعيش في القارة القطبية الجنوبية. ومن العسير جداً دراسته، إذ ان ذلك المكان هو أشد مناطق العالم صقيعاً وتعرضاً لهبوب الريح. والحرارة هناك قد تسقط الى ما دون ٨٨ درجة مئويّة تحت الصفر. لذلك حاول فريق من العلماء في كاليفورنيا تربية عدد من طيور البطريق لأهدافهم الاختبارية. ونجح مسعاهم بعد عقد من الزمن.

والفضل في نجاحهم يعود أكثر ما يعود الى دمية هي عبارة عن كلب كبير حُشي بالاسفنج واتخذ بديلا من الأم. وصغار البطريق الامبراطوري في القطب الجنوبي تستريح على أقدام أمّاتها مستمدّة الدفء والأمان. وقد خدم الكلب - الدمية هذه الغاية على خير وجه. وبات العلماء يحملون البيض عوضاً عن الفراخ من القارّة المهجورة، ويباشرون تربية البطريق منذ خروجه من القشرة.

مجلة "ناشونال وايلدلايف"

ضرائب متأخرة

تلقّت جمعية هونغ كونغ الفيلارمونيّة رسالة من مصلحة الضرائب تطلب تفاصيل عن حفلات أقامها في المستعمرة عدد من الموسيقيين الزوّار، وهم يوهان سيباستيان باخ وجيوفاني بوتيسيني وكميل سان سانس وجاك ايبير. ويبدو أن مسؤولي الضرائب حصلوا على الأسماء من ملصّقات دعائية. ولا شك في انهم جهلوا بعض المعلومات المهمّة، وهي أن ايبير توفي عام ١٩٦٢ وسان سانس عام ١٩٢١ وبوتيسيني عام ١٨٨٩ وباخ - أراحَ الله روحه - عام ١٧٥٠.

س. هـ.

شعارات على الواح

كل صباح في التاسعة ترفع أربعة ألواح كبيرة سوداء في مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية. وقد سميت هذه الالواح "أكتب ما تشاء"، ويدعى سكان المدينة الى تناول الطبشور وكتابة ما يريدون على هذه الالواح بما فيها الملاحظات الشخصية والشكاوى والتعليقات السياسية فضلا عن الشعر.

وهذه التجربة الناجحة كانت الرد الناجع لسلطات المدينة على كاتبي الشعارات الذين دأبوا على تشويه جدران الابنية الحكومية ومعالم المدينة على نحو مريع بكتابة الشعارات عليها بالطلاء المرشوش.

ويقول رئيس البلدية مارسيلو النكار ان المدينة كانت تتكبد نحو ٢٥٠٠ دولار شهرياً لمحو هذه الكتابات. ويقر بأن السلطات قررت أن تعالج المشكلة بعدما بدأت وكالات الاعلان حملة دعائية للفت الجمهور الى هذه المناظر البشعة. والآن ترفع هذه الالواح يومياً وبالتناوب بين قطاعات المدينة.

وكالة "أسوشيتد برس"

شرطة الاوز

بعضهم يقول انها سخافة، لكن الطريقة التي لجأ اليها سكان بلدة غرنزنغ احدى ضواحي فيينا عاصمة النمسا لتخفيف سرعة القيادة، أقل ما يقال فيها انها مستغربة. فعندما وجد السكان أن الغرامات واشارات السير والمراقبة بالرادار لم تجد، أخذوا يستخدمون رفوف الاوز مع راع لها يقودها ذهاباً واياباً عبر الشارع الرئيسي على أمل تخفيف سرعة السيارات.

ويقول فرانز هنغل وهو صاحب حانة: "بعض السائقين يغضبون، لكنهم يخففون سرعتهم. وسنتابع هذا المشروع ونزيد عدد الاوز. انه الحل الافضل: رخيص وبسيط وفاتن."

أ.ك.

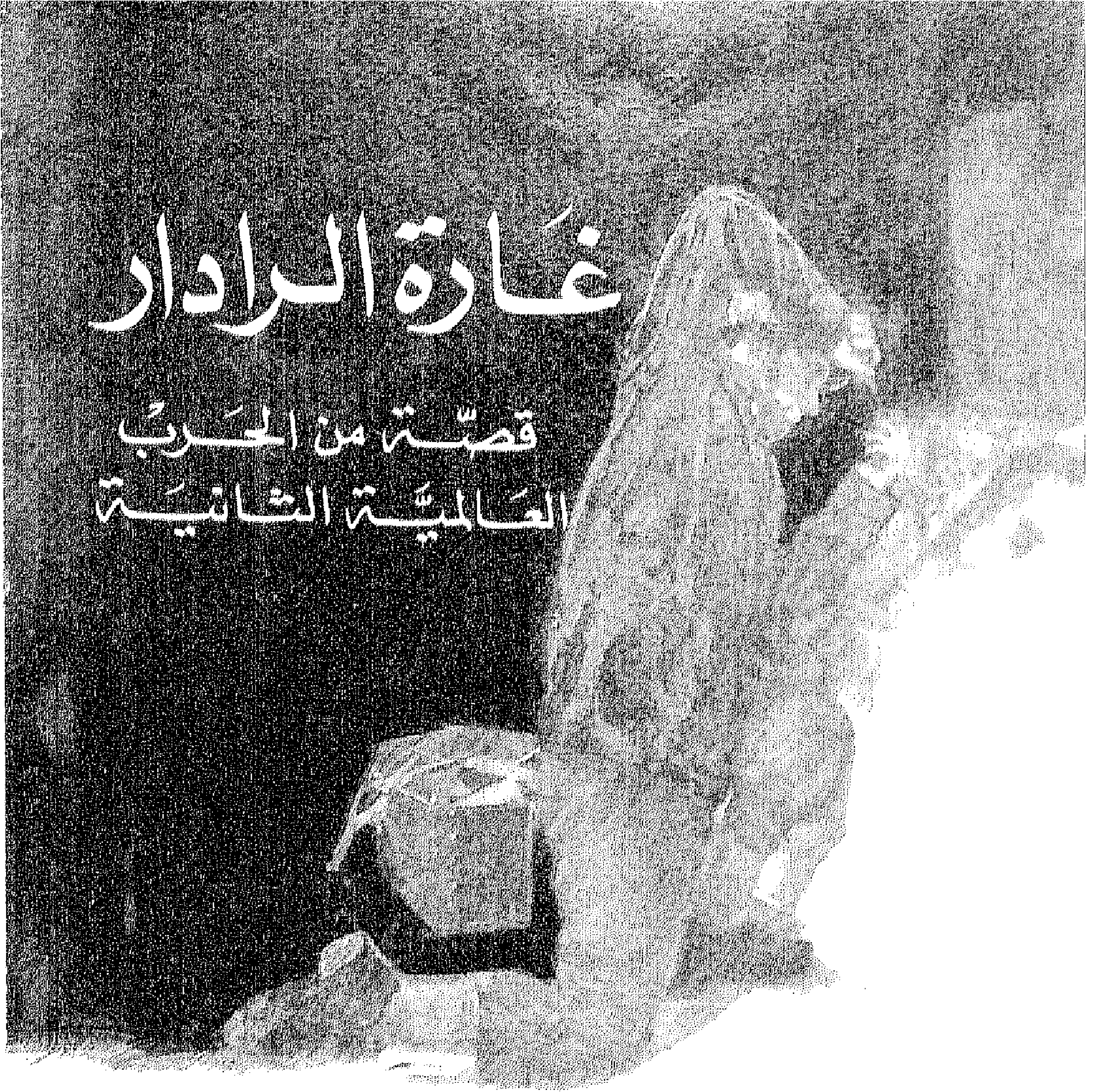
العلم في مالي

يتجمع القرويون بانتظام في أنحاء مالي بافريقيا الغربية لسماع صوت مألوف يطرح أسئلة تتعلق بحياة القرية ويقترح الاجابة عنها ويدعو الى البحث فيها، وذلك بواسطة آلة تسجيل. هذه الندوات المسجلة تقدم نظريات عصرية في الصحة والزراعة والطاقة وسواها وتحافظ على التراث الثقافي للشعب.

هذا البرنامج الذي تنظمه الهيئة الوطنية المالوية للفنون والثقافة بالتعاون مع منظمة التربية والعلم والثقافة التابعة للامم المتحدة (الاونيسكو) يوفر وسيلة لتثقيف الشعب الذي تبلغ نسبة الامية فيه ٩٠ في المئة، وذلك من طريق تعزيز التراث الشفهي في الاتصال والتعلم.

وتقول الفيا رستريبو المستشارة الفنية السابقة في هذا المشروع: "أعظم تشجيع لنا جميعاً كان ادراك هؤلاء الناس أنهم يستطيعون أن يتعلموا وان يكونوا غير قادرين على القراءة والكتابة. ويتلقى الاطفال أساساً للتعلم في المستقبل، أما الكبار فتتاح لهم فرصة أخرى فاتتهم من قبل."

أ.س.



في يونيو (حزيران) ١٩٨٢ وفي حضور الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران أزاح ولي عهد بريطانيا الستار عن لوحة برونزية على جرفٍ يعلو مئة متر قرب قرية برونفال في مقاطعة النورماندي الفرنسية على بعد ١٩ كيلومتراً شمال مدينة الهافر. وأحيت الحفلة التي حضرها ألف شخص، ذكرى غارة جوية نفذت قبل أربعين سنة ووصفها الامير بأنها واحدة من أخطر عمليّات الحرب العالمية الثانية.
بعيد منتصف ليل ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٤٢ هبط ١١٩ رجلا في برونفال. وهنا قصة أحدهم.

"هكذا اذاً أيها الرقيب كوكس" قالها العميد في سلاح الجو فيكتور تيت بعذوبة مريبة، "لقد تطوعت لمهمة خطرة."

والرقيب تشارلز كوكس (٢٨ عاماً) ميكانيكي اتصالات في سلاح الجو الملكي. وهو لم يكن يعلم شيئاً عن مخاطبه، فاتخذ وضع التأهب مدهوشاً وقال: "لا يا سيدي."

وظهر العجب على العميد مدير الرادار في سلاح الجو الملكي وقال: "غريب هذا. ان اسمك مدرج بين المتطوعين." وساد صمت مربك، ثم تابع: "حسنا، هل تريد أن

Illustration: Cecil Vieweg. Diagram Tony Richards

تتطوع؟ لا يمكنني أن أخبرك ما هي المهمة، لكنني أعدك بفرصة لا بأس بها في النجاة."

كان كوكس القصير الناحل يعمل في حياته المدنية عارض أفلام سينمائية وهاوياً للراديو في بلدة ويزبيتش الريفية بمقاطعة كمبريدجشاير. وهو التحق بسلاح الجو عام ١٩٤٠ حين كان الناجحون في الامتحان التقني بالراديو يتقاضون خمسة شلنات يومياً بينما يدفع للملتحقين العاديين شلنان.

أما الان وقد استدعي بسرّية الى لندن من موقع الرادار الهادىء في شمال ديفون، فها هم يطلبون منه ان يصبح بطلا. ولم يكن لديه من الوقت ما يزن فيه الحسنات والسيّئات، فالعميد لا يزال في الانتظار.

ولكي يضع حداً للموقف الحرج بأي ثمن قال: "حسناً يا سيدي، انني أتطوع."

المغامرة – بعد أربعة أسابيع طالعت كوكس أولى دقائق الظلام من ليلة ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٤٢ وهو يغنّي "وردة ترالي" لتسعة رجال من كتيبة المظليين. وهم جلسوا في الهيكل المعدني البارد لطائرة مقاتلة من طراز "ويتلي" متوجهة الى فرنسا التي يحتلّها النازيون. وكان كوكس منذ قابل تيت رقي الى رتبة رقيب جوي وطار في رحلته الجوية الاولى وأدى ثماني قفزات تدريبية بالمظلة وركض كيلومترات وغطس في مياه البحر الثلجية لركوب زوارق الانزال.

وأطلقت نيران المدفعية المضادة للطائرات بلونين أحمر وبرتقالي فيما طائرة الويتلي، وهي واحدة من اثنتي عشرة طائرة تحمل كل منها ١٢ رجلا، تطير على علو منخفض فوق شاطىء النورماندي. وراقب كوكس خمسة رجال وهم يقفزون، ثم وجد نفسه مترجحاً في الهواء، وحط في الثلج الكثيف على رأس كلسي فوق قرية برونفال.

وتبعه في الهبوط صندوق معدني فيه حقيبة تحوي قواطع ومفكّات طويلة ومطارق وأدوات أخرى لانجاز العمل الذي جاء من أجله. وفيما راح أكثر من مئة مظلي يشغلون الالمان كان كوكس يسرقهم، يعاونه ضابط وأربعة من مهندسي السلاح الملكي.

طرأت فكرة الغارة على برونفال عندما رأى الدكتور ريجنالد جونس مساعد مدير الاستخبارات في سلاح الجو صورة استكشافية لشاطىء النورماندي تظهر هدفا في شكل اسطوانة كهربائية بلغ قطرها نحو ثلاثة أمتار. انه تجهيز راداري يهدي الانوار الكاشفة والمدفعية الالمانية المضادة للطائرات مما يوقع خسائر في سلاح الجو الملكي. وبعد جهود مضنية من الاستطلاع العلمي عرف جونس وزملاؤه الكثير عن الرادار الالماني. ولكن اذا هم سرقوا الجهاز، كما أوصى جونس، فانّ فحصاً دقيقاً له قد يكشف لهم أفضل وسيلة لشلّه أو تزويده معلومات خاطئة. وكان الموقع على قمة الجرف، وهناك شق كبير في الارض يؤدي اليه من الشاطىء تحته. وأشار جونس باصبعه الى الموقع في الصورة: "في امكاننا الوصول اليه."

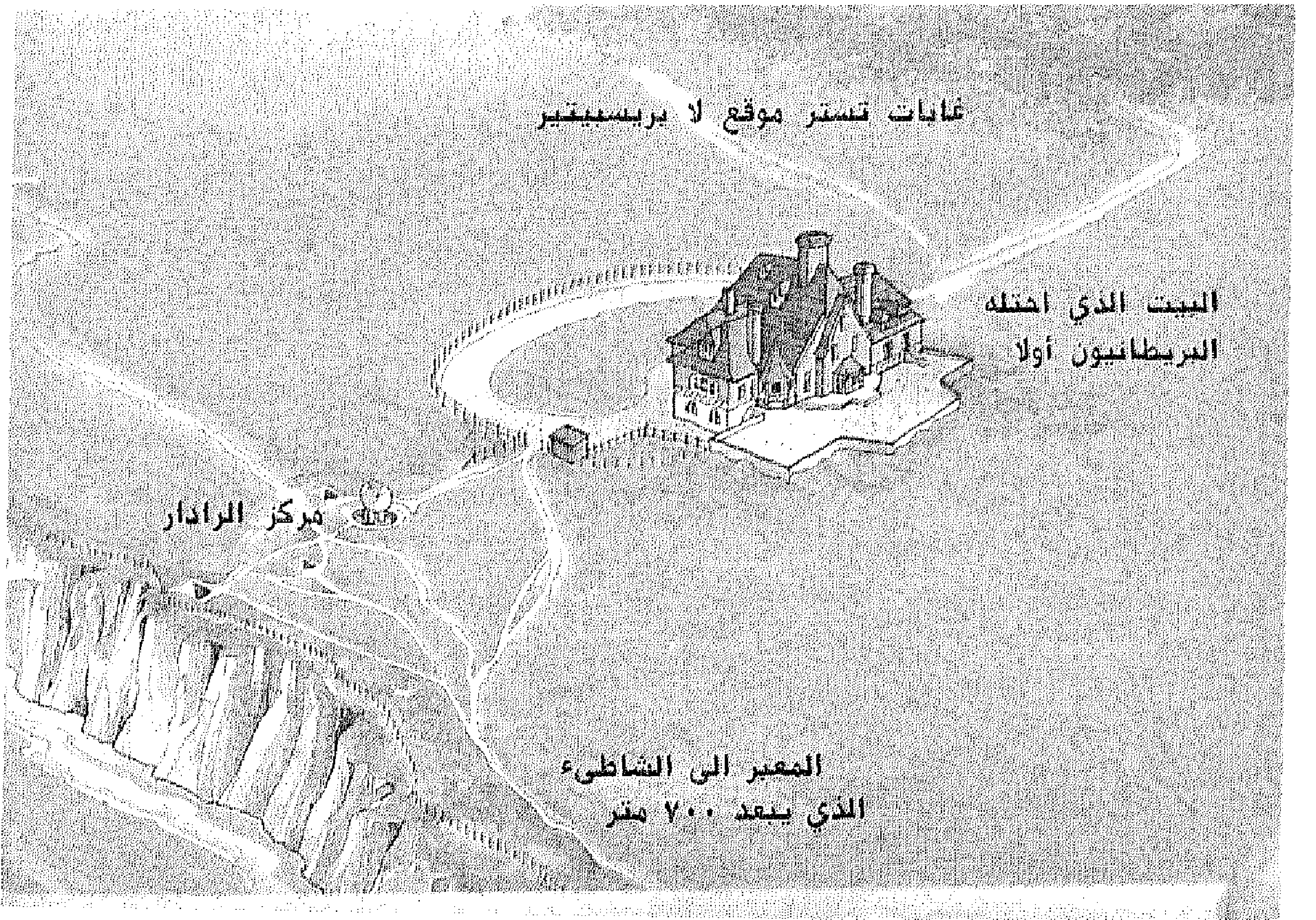
وهكذا، في الثلج المضاء بنور القمر خلف تلة غير عالية، جثم كوكس غارقاً

في مغامرة من النوع الذي شاهده عشرات المرات على الشاشة الفضية من حجرة تشغيل آلات العرض.

التنفيذ - بدا المشهد مألوفاً جداً وقد درسه كوكس على نموذج من عجائن الورق خلال التدريب. وكان رادار "اسطوانة النار" في العملية التي اطلق عليها الاسم الرمز "هنري" قائماً قرب حرف الجرف على مسافة تقل عن ٦٠٠ متر. وعلى بعد حوالى ١٥٠ متراً في البر لاح بيت كبير. وفي الغابات وراء البيت عدد من مباني المزارع عرفت باسم "لا بريسبيتير" أقام الالمان فيها مقراً. وراح كوكس والمهندسون الخمسة يراقبون المظلّيين وهم يتحركون فوق الثلج في ثلاث مجموعات للهيمنة على لا بريسبيتير، وتطويق البيت واخضاع حرّاس هنري.

ودوى صوت صفارة عكر السكون. انه أمر الهجوم من الرائد فروست وقد اقتحم البيت. وعلى طلقات رشاشات "ستن" ركض كوكس والمهندسون صوب الارض الوعرة وهم يلعنون ثقل العربة التي ألقيت من الجو، وهي صندوق ذو عجلات. وما ان وصلوا الى هنري حتى فتحت نار المدافع الرشاشة من لا بريسبيتير.

وفيما مفكّ البراغي يدور بين أصابع كوكس لاحظ أن الجهاز مصنوع من اجزاء تتداخل آلياً فيسهل ابدالها وارسالها الى المصنع للتصليح. وهو نظام سهّل مهمته. وفي الوقت نفسه سجل الجزء الآخر من تفكيره أن الرصاص الحقيقي لا يئنّ كما في الافلام. انه يهمس وهو يمرّ متخطّياً



أذنيه. انه صوت سيظلّ قادراً على تذكّره وتقليده حتى اليوم الاخير في حياته.

أمل كوكس ان ينزع الاجزاء سليمة، لكنّ جندياً قتل وجرح آخرون. وراحت الاصوات تتعالى مطالبة الفريق بالاسراع. ومضى كوكس في عمله. أما الاجزاء التي كان عليه أن يتركها فقد راح مهندس ينتزع منها صفائح معدنية تحمل الارقام التسلسلية وتواريخ الانتاج، وهي تدل على عدد الاجهزة المنتجة في شهر.

وكان جهاز الارسال، ذو الاهمية الكبرى، مثبتاً ببراغٍ في تجاويف عميقة. فقال كوكس لكبير المهندسين: "ان اطول ما لديّ من مفكات البراغي لا يصل اليها." وراحا يترجحان معاً على ساعدي الجهاز فيما مضى مهندس يخلخل الجهاز بعتلة (مخل) حتى تخلّع.

واشتدت نار بنادق الالمان وغدت أكثر تصويباً. وتراءت على الطريق من الهافر أضواء آليات تحمل تعزيزات. وبعد مضي ٣٠ دقيقة من الدقائق الثلاثين المقررة للعملية حان وقت الذهاب. وأعطى فروست الامر بالانسحاب الى الشاطىء على بعد ٧٠٠ متر حيث كان مفترضاً ظهور قطع بحرية تتولى نقل المغيرين الى الوطن.

الخطر المحدق – حمل كوكس ورفقاؤه المقطورة التي وضعوا فيها الاسلاب وراحوا ينزلون المنحدر. وهو كان أكثر انحداراً مما بدا على النموذج وأكثر تسبباً في الانزلاق بفعل الثلج غير المتوقع. وطرح الرجال المقطورة وراحوا ينزلقون وغنائمهم في أيديهم.

ودوّى انفجار شديد وراءهم علم منه كوكس أن أحد حرس الانسحاب فجّر بقايا هنري لاخفاء السرقة وتضليل الاعداء كي يعتقدوا ان البريطانيين انّما جاؤوا للتخريب فقط. ثم انصب رصاص البنادق والرشاشات من دارة محصّنة وراء المنحدر. واخترقت رصاصات الجسم المعدني لجهاز الارسال بين يدي كوكس ومزقت احداها حذاءه وخدشت أصابعه. وصاح صوت من الشاطىء: "لا تنزلوا، ان الشاطىء غير آمن."

وبدا المخطط خطأً فادحاً يكاد ينقلب كارثة. كانت طائرتا الويتلي أصيبتا بنار المدفعية وأخطأ الطياران تقدير الموقع. والنتيجة أن عشرين رجلا، وهم نصف الذين عهد اليهم في تأمين الشاطىء، أُنزلوا على بعد حوالى كيلومترين وتعين عليهم أن يشقّوا طريقهم عبر القرية للاتصال بالآخرين. وسُمر فريق الشاطىء بالنار الالمانية المنطلقة من خنادق حَول الدارة المحصّنة. وتقدم الالمان بحذر من لا بريسبيتير وراحوا يطلقون النار من البيت وراء هنري. وبدا أن المغيرين وقعوا في المصيدة.

هنا سمع كوكس صرخات الحرب الاسكوتلندية وانفجارات القنابل اليدوية على المنحدر المقابل. لقد وصل المظلّيون المتخلّفون واستولوا على الدارة من الخلف.

واصبح الشاطىء سالكاً، وأمن أحد المهندسين الطريق بكاشف ألغام. لكن الرجال لم يلمحوا علامة لزوارق البحرية.

وتجمهر المغيرون تحت الجرف مكشوفين يحدّقون من خلال ضباب البحر

منصتين علهم يسمعون صوت محركات. وهم عرفوا أن الوقت يركض ضائعاً. حتى اشارة الراديو من السفن تعذر عليهم التقاطها. ولم يظهر أي رد على الاضواء الصادرة من مصابيح كانت تضيء وتخبو في أيديهم.

وبدأت ثقة كوكس تتداعى وهو رابض تحت الجرف. وفكر في أن الجيش الالماني المنتشر على مئات الكيلومترات سيطبق عليهم من كل اتجاه.

وعلت صرخة كأنها البشير: "بارك الله البحرية!" ومن الضباب برزت ستة زوارق انزال. وامحى التوتر واندفع الرجال الى الزوارق. وكان الالمان عاودوا هجومهم. وتفجرت قذائف الهاون ودوت مدافع الفرق المنجدة فصمّت آذان الرجال عن الاوامر التي راح يبثها ضباط البحرية في مكبرات الصوت للاسراع في الركوب. وامتلأ الزورق الاول الذي كان فيه كوكس والجرحى وبات يحمل فوق طاقته فغاص واستقرّ على الرمل. وتعين على الركاب أن يقفزوا الى الماء ويدفعوه ليعوم. ونقل كوكس الى زورق مدفعية في أول رحلة بحرية في حياته. وأصيب بدوار حادّ. وحمله البحارة الى قمرة القبطان وقدموا اليه كوباً من الكاكاو وشطيرة لحم. وحين أفاق وجد نفسه في بورتسموث ببريطانيا.

مهمة صغيرة - قتل اثنان من الجنود البريطانيين في برونفال وأسر ستة. وقتل خمسة ألمان وأسر اثنان.

ومن القطع التي جاء بها كوكس جمع خبراء الرادار البريطانيون ثروة من المعلومات. ويذكر الدكتور جونس أن غارة برونفال لم تعطِ البريطانيين فكرة متقدمة عن تقنية الرادار الالمانية فحسب، بل بينت لهم أيضاً امكان تضليل الجهاز بالتشويش. وهذا ما فعلوه بعد وقت قصير.

وجاءت الغارة بكسب اضافي، اذ سرعان ما عمد الالمان الى احاطة مواقع راداراتهم بأسلاك شائكة. ونبت العشب تحت هذه الاسلاك مظهراً دوائر على صور الاستكشاف لطياري سلاح الجو الملكي تحدد بدقة مواقع رادار العدو. وقبل أسابيع من اليوم المقرر للهجوم كانت الطائرات قادرة على تدميرها تماماً في أي لحظة. أما الرادارات التي أبقي عليها فزودت معلومات مضللة جعلت الالمان يعتقدون أن القوة الغازية آتية من شرق موقعها الحقيقي.

بعد بضعة أسابيع من تنفيذ غارة برونفال دخل تشارلز كوكس محلا لبيع الثياب العسكرية في لندن وطلب شريط الميدالية العسكرية. وأنزل البائع العجوز نظارته عن أنفه وتفحّص زبونه. فلحظ انه يحمل شارة المظليين المجنحة الزرقاء.

وسأله البائع: "أي مهمة أنجزت؟"

فأجاب بحياء: "مهمة صغيرة."

كوكس اليوم رجل نشط في الثانية والسبعين يملك محلا للراديو في ويزبيتش ويعيش مع زوجته مارجوري يجمعهما حب المرح. ومنذ ذلك اليوم المشحون من فبراير (شباط) ١٩٤٣ لم يعترض حياته حادث يمكن أن يسمّى مغامرة.

جون انيس ■



ناقد سينمائي أثارته الحال التي تدهورت اليها الافلام الامريكية فاستقال من وظيفته المرموقة. وها هو يعرض مقترحات لاخراج أفلام أفضل

السّينما اليَوم دَمٌ وجنسٌ وبَذاءة!

انها خير وظيفة في العالم. كان ذلك رأي أناس كثيرين في وظيفتي. ولفترة كان ذلك رأيي أنا أيضاً. فكر في هذا: كان متاحاً لي أن أشاهد مجاناً كل ما أرغب في مشاهدته من الافلام السينمائية. وكان رب عملي يدفع كل المصاريف حتى ثمن المآكل الخفيفة التي أتناولها. وكانت الشركات السينمائية تنقلني جواً في مقصورة الدرجة الاولى على حسابها عبر الولايات المتحدة لاجراء مقابلات مع نجوم السينما والمخرجين. وكنت أنزل في أفخم الفنادق وتسدد عني جميع النفقات.

وظلت المقالات النقدية التي أكتبها طوال ثلاث سنوات ونصف سنة تذاع مع نشرة أخبار المساء من احدى محطات التلفزيون في سان دييغو بولاية كاليفورنيا، وبلغ مجموعها نحو أربعمئة. وكانت وظيفتي مضمونة ما دمت راغباً فيها، بل قادراً على احتمالها.

Condensed from San Diego Magazine (January '85), © 1984 by San Diego Magazine Publishing Co., San Diego, Calif. Photo: © Jim Coit

في الافلام التي كتبت عنها كان التأليف ومعظم التمثيل متوسطين أو دون المتوسط. ووجدت في تلك الافلام قليلا من الاصالة والايحاء والفكاهة الحقيقية والنماذج ذات الطابع الايجابي والمواضيع التي تحث على التفكير. ونتيجة ذلك كانت اشادتي بها واطرائي لها نادرين حقاً.

وكنت أتلقى تعليقات على مقالاتي النقدية من المشاهدين. وكان معظمهم يثني على صراحتي وانتقادي العنف والجنس والبذاءة المتفشية على شاشات السينما. واعتاد الناقدون الاعتراض على آرائي. وقد تعرضت لضغط من زملائي لكي أخفف من صرامة تعليقاتي.

وعلى رغم ذلك لم أتردد في ابداء رأيي بصراحة. كنت أؤمن بأني أخدم المصلحة العامة عبر رفض هذا الدفق الغامر من القذارة والسخف الذي تمطرنا به هوليوود. وسارت الامور على نحو مرض فترة كنت خلالها أقوى على مشاهدة الفيلم ونقده ثم، كما بدا لي، ازالة آثاره من فكري كلياً. وظننت أن ما كنت أشاهده لن يؤثر في نفسي.

وكان أشق جزء في عملي اختيار الافلام العشرة الاولى كل سنة. ونادراً ما كنت أجد أكثر من ستة يمكن اعتبارها رائعة حقاً. وهذا أمر لافت لان نحو ٣٠٠ فيلم جديد كان يعرض في الولايات المتحدة سنوياً. وكان بين أفلامي المفضلة "رحمات رقيقة" (Tender Mercies) و"إي. تي." (E.T.) و"بريكر مورانت" (Breaker Morant) و"الثعلب والكلب" (The Fox and the Hound) و"لا تصرخ: الذئب" (Never Cry Wolf) و"غريستوك: اسطورة طرزان" (Greystoke: The Legend of Tarzan) و"عربات النار" (Chariots of Fire) .

أما اختيار أسوأ أفلام السنة فكان شأناً آخر. كانت لائحة المتنافسين على هذا "الشرف" طويلة دائماً، والتحدي يكمن في تقرير أي منها أكثر اثارة للاشمئزاز.

وما دعاني الى أن أقول "كفى" وأتخلى عن عملي هو أني كلما شاهدت فيلماً جديداً تفاقم ما يطرأ على نفسي من تغيير. وبت أحتاج الى مدة أطول لامحو من ذهني تلك الصور والعبارات والمشاعر المقلقة. وغالباً ما أصبت بانقباض نفسي وتصرفت بانفعال غاضب رداً علَى أدنى اثارة من زوجتي وأولادي. وأخيراً لم أجد مفراً من الانكفاء.

ظهرت للمرة الاخيرة بصفة ناقد سينمائي في شهر اغسطس (آب) عام ١٩٨٤. ومنذ ذلك الوقت لم أشاهد فيلماً سينمائياً قط.

ما هو المطلوب لكي أعود، ويعود معي ملايين المشاهدين، الى دور السينما؟ قدموا الينا أفلاماً سينمائية فيها:

[illegible] دعونا نعيد النظر في الوقائع. ان أحد أسياد الترقب والمفاجأة في الافلام، آلفرد هيتشكوك، نادراً ما لجأ الى مناظر التأثير الدموي المرعب. كان يجعل مشاهديه يتخيلون في عقولهم الرعب الذي جاء دائماً أسوأ مما شاهدوه فعلا على الشاشة. أما اليوم فالمخرجون

السينمائيون يصورون المناظر الدموية التي تقشعر لها الابدان ويعرضونها أمام المشاهدين.

[illegible]

العبارات النابية لا تسبغ صفة واقعية على المنظر ولا تضفي عليه درجة أعلى من براعة الاخراج. انها تعكس عجز كتاب القصص السينمائية ومنتجي الافلام عن الارتفاع فوق مستوى القاذورة. ان اللغة يمكن ان تكون معبرة من دون أن تكون بذيئة.

[illegible]

[illegible] التعرية هي في غالب الاحيان الاسلوب المتبع اليوم لتصوير المناظر العاطفية الحميمة. لكن المخرجين القدامى الموهوبين لم يضطروا الى اعتماد التعرية الكاملة للتعبير عن موقف عاطفي حميم.

[illegible] ان نماذج الادوار الايجابية أخذت تختفي عن شاشات السينما اليوم. ربما كان جيمس دين متمرداً من دون قضية، لكن أفلام اليوم تصور التمرد من دون مبالاة.

[illegible] على رغم العنف الذي حفل به فيلم "العراب" (The Godfather) فانه ظل يبعث على التفكير ويتسم بالاناقة والابداع. لقد اظهر المخرج أبطاله كأنهم أناس حقيقيون في أدوار تناسبهم. وهذا ما أمن له النجاح. أما فيلمي المفضل فهو "اللسعة" (The Sting) الذي كان ابداعياً الى اقصى حد يمكن أن نرجوه.

٧. فكاهة أكثر ووحشية أقل. في السنوات القليلة المنصرمة أخذ طابع الفكاهة يتحول باطراد الى القسوة. ترى كيف نسينا متعة تلك الضحكة التي أطلقناها مع صورة جاك ليمون عن "إنساين بالفر" في فيلم "السيد روبرتس" (Mister Roberts) ؟ لماذا نحرم مزيداً من الفكاهة الحقيقية كما في فيلم "توتسي" (Tootsie) ؟

أحد العوامل التي تحول دون التحسين هو العقلية المتحجرة التي يتمسك بها معظم الشركات السينمائية الكبرى. لقد ضاع الابداع في ثنايا البيروقراطية. ويلاقي كتاب الافلام الجدد صعوبة في ايجاد الاذن التي تصغي اليهم، ناهيك بالعين التي تقرأ ما يكتبون.

الربح الاوفر هو الهم الاول لكثير من أصحاب دور السينما. اسألهم عن مواضيع الافلام التي يطلبونها فيعجزون عن اعطائك أي معلومات، لان السواد الاعظم منهم لا يتاح له أن يطلع على كل الافلام التي تعرضها دوره.

ثمة من يقول ان القيم والمواقف التي صورتها السينما في الخمسينات والستينات لم تعد ذات موضوع في الثمانينات. اني أوافق على هذا الرأي في ما يختص بمعاملة النساء والاقليات. ولكن في مجالات اللغة المستعملة والعنف وتصوير الجنس على الشاشة، فاني أعتقد أن القيم القديمة لا تزال جديرة بالتقدير.

ان رواد السينما يمكنهم أن يعربوا عن عدم رضاهم بالشكوى الى أصحاب دور السينما من النوعية الرديئة وبمقاطعة الافلام المهينة للذوق.

جون كوليا ■

فن التجسيم يكشف المجرمين

ان تجسيم الوجه لكشف هوية الضحية بات وسيلة تعتمدها الشرطة لحل القضايا المستعصية

● حدث كل شيء بسرعة خاطفة ووقف آلمر كلايتون فنين محدقاً الى جثة صديقته الممددة على أرض مقطورته. لقد ماتت جانيت بودارد نتيجة انسحاق قصبتها الهوائية بضربة كاراتيه.

وسجلّ فنين (٣٢ عاماً) حافل بالجرائم. انه سدد هذه الضربة الى عنق صديقته جانيت بودارد في سورة مجنونة من الغضب، وبدا أنه ارتكب الجريمة الكاملة التي لا تنكشف. لقد تعرف الى هذه المرأة في كاليفورنيا على بعد ٢٤٠٠ كيلومتر من مكان الجريمة. كانت امرأة هادئة الطبع بسيطة ضئيلة الجسم سمراء البشرة، سرعان ما ينساها من يتعرّف اليها. وهي كانت عاملة مهاجرة ولا يحتمل أن يفتقدها أحد.

ما على فنين سوى ان يدفن جثتها فتتعهد الحيوانات البرية وعوامل الطبيعة بقية المهمة. وحتى إن عثر على أشلائها في نهاية الامر فان أحداً لن يستطيع أن يتعرف الى هوية صاحبتها، ولا أن ينسبها اليه.

وكوّم فنين الجثة في صندوق سيارته

وتوجه بها الى غابات القطن الكثيفة خارج المدينة.

بعد شهرين عثر صيادو سناجيب كانوا يعبرون وادي ستيلووتر على جمجمة بشرية وعظمة فك. وفي قبر غير عميق في الجوار اكتشف رجال الشرطة قفصاً صدرياً وعموداً فقرياً وبقايا اخرى من هيكل عظمي. وكانت في القبر خصل شعر بني وبعض الثياب. وقرأ آلمر كلايتون فنين هذه التفاصيل في الصحف ولم يأبه لها.

لكن نائب الشريف(١) جو ستايلي محقق عنيد. وهو دقق في الثياب فلم يجد عليها أي علامة تعريف. ومرر جهاز كشف معدنياً فوق الموقع حيث وجدت الجثة فلم يكشف عن حلى. أسنان الضحية سليمة وليس فيها حشوات تمكن مقارنتها مع سجلات أطباء اسنان. واتصل هاتفياً بمنازل بضعة عشر شخصاً في المنطقة أبلغ عن اختفائهم في السنة المنصرمة واستبعد الجميع.

لم يبق لدى ستايلي أي دليل، فاستشار مكتب التحقيقات في ولاية أوكلاهوما فأشار عليه المسؤولون بأن ينهي التحقيق في القضية ويسجله ضد مجهول. لكنه أبى ذلك. واقترح عليه أحدهم أن يرسل الجمجمة والعظام الى المعهد المدني للطب الجوي الذي أخذ على عاتقه مهمة اكتشاف هويات ضحايا حوادث سقوط الطائرات التي تحترق جثثها.

بعد انقضاء تسعة أسابيع أصيب آلمر كلايتون فنين بصدمة أذهلته اذ وجد أن جانيت بودارد "بعثت" من قبرها وبدأت تلاحقه. فها هي صورتها تحدق اليه من ملصق معلق في واجهة محل في مدينة بركنز المجاورة في ولاية اوكلاهوما.انها صورة تمثال صنع لوجه الضحية ويشبهها تماماً.

● في شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٧٧ وجدت جثة متآكلة ملقاة في مكب قمامة خارج مدينة آلبوكرك في ولاية نيومكسيكو. وتولى أحد الاختصاصيين بالتجسيم الوجهي في المنطقة فحص الجمجمة، وعرضت الصورة التي خرج بها على محطة تلفزيون خاصة أمام عائلة مزارع متقاعد اختفى في السنة السابقة. وهكذا أمكن التعرف الى صاحب الجثة. وبعد ذلك اعترف صديق لزوجة القتيل بأنه أطلق النار على الضحية ودين بجريمة القتل عمداً.

● اكتشفت بقايا مهشمة ومحروقة لجثة امرأة في غابات أوكلاهوما الوسطى قبل عشر سنين. وفحص خبير أنثروبولوجي(٢) الجمجمة السليمة وبعض العظام فقدر أن الضحية في الستين وما فوق. وبعد اضافة نظارتين وتجاعيد وشعر مستعار وخطه الشيب الى التجسيم الوجهي أصبحت الصورة دقيقة الى حد أن شقيق الضحية الذي أبلغ عن اختفائها حسب الصورة حقيقية لشقيقته. وقبض على القاتل وأودع السجن.

---

(١) الشريف (Sheriff) هو المسؤول عن الأمن في القرى والبلدات الامريكية.

(٢) الانثروبولوجيا أو علم الانسان يبحث في أصل الجنس البشري وأعراقه وعاداته ومعتقداته.

القبور المغفلة – ان فن تجسيم وجه انسان باعتماد جمجمة كاملة أو أجزاء منها يرتكز على جداول أنثروبولوجية تحدد "معدل عمق الانسجة" في ١٨ نقطة أساسية في الجمجمة البشرية(٣). وهذه المهارة التي تقف في موقع بين العلم والفن وفرت للمحققين قرائن عدة للتعرف الى الضحايا وادانة مرتكبي جرائم القتل في العقد المنصرم، لكنها بدأت اليوم اثبات دورها في مختبرات تعقب الجرائم.

وبعتمد كشف هويات الضحايا مجموعة مهارات أنثروبولوجية وفنية وبعض المتغيرات كالنظارات وقصة الشعر والعادات الشخصية للضحية.

ستانلي راين اختصاصي أنثروبولوجي قضائي في جامعة نيومكسيكو، كان مرة ينجز مجسماً من هذا النوع فلاحظ في أسنان الضحية اهتراء غير عادي مما يشير الى أنها كانت تدخن غليوناً لمدة طويلة. وأعاد ستانلي تشكيل الانسجة على الجمجمة. وبعد فراغه من صوغ المجسّم تبين أن نظريته كانت صائبة. وقال أحد رجال التحري وهو يعاين المجسّم: "آه، حقاً، غاب عن بالي أن أخبرك. لقد عثرنا على غليونين قرب الجثة."

ان جرائم القتل التي ترتكب في غموض مطلق قليلة نسبياً، لكنها ترهق رجال التحري الى أقصى الحدود.

ولا ريب في أن أي تجسيم وجهي يبقى قطعة منحوتة بلا فائدة اذا لم يتيسر أن يراها من يستطيع التعرف الى صاحبها. وكشف الهوية ليس بالضرورة مرادفاً لتوقيف المجرم وادانته.

وعلى رغم الاخفاقات يشير دعاة هذا الفن في المعهد الامريكي لعلوم الطب الشرعي الى نسبة النجاح التي تبلغ ٥٠ في المئة، ويحضون على استخدام هذه الوسيلة على نطاق أشمل لكشف هويات مئات الضحايا التي لا وجوه لها من بين الالوف التي تكتشف سنوياً ثم تدفن في قبور مغفلة.

الضحية والقاتل – بعد وصول رفات جانيت بودارد الى المعهد المدني للطب الجوي أخبر الاختصاصي الانثروبولوجي كلايد سنو نائب الشريف ستايلي أن الجثة لامرأة من العرق الابيض يبلغ طولها ١٥٠ سنتيمتراً ويراوح عمرها بين ٣٠ و٤٠ عاماً. وأضاف أن الصور الشعاعية كشفت في الجمجمة والعظام آثار كسور عظمية لم تلتحم تماماً مما يشير الى أن الضحية اصطدمت بواجهة سيارة أو بزجاجها الامامي في حادث قبل سنوات.

ترك هذا الحديث انطباعاً في ستايلي. لكن المهمة الصعبة كانت لا تزال أمامه. وباشرت خبيرة التجسيم في المعهد عملها مستعينة بمسماك(٤) ومسطرة وعدسة مكبرة وأدوات نحت أخرى.

قبل كل شيء تناولت ١٨ أسطوانة من المطاط ذات كثافات مطابقة لجداول معدل عمق الانسجة، ولصقتها على المعالم المحددة لهيكلية الجمجمة ووصلتها بالطين المستخدم في التشكيل النحتي. بعد ذلك ملأت الفجوات الباقية

(٣) القياسات المعتمدة في الولايات المتحدة هي نتيجة دراسة ٣٠٠ جثة من اعراق مختلفة.

(٤) المسماك (Caliper) اداة لقياس سماكة الشيء.

بعناية وفق الاعماق التي حددتها الاسطوانات، ثم مهدت كل شيء بطبقة رقيقة من الطين لاخراج شكل تقريبي يحاكي تقاطيع وجه الضحية. بعد ذلك وضعت عينين زجاجيتين في المحجرين.

هناك تفاصيل مثل الجفون والانف وسعة الفم وكثافة الشفتين وشكل الاذن لا يمكن استخلاصها من الهيئة العامة للجمجمة. وهنا تدخل الاعتبارات التقديرية: الفم يكون أوسع قليلا من الاسنان الست الامامية ومتلاقياً مع مركزي المحجرين وأوسع نقطتين في الذقن في حال فقدان الاسنان. والجفن ملتف عل المحجر. وطول الأنف ثلاثة أضعاف النتوء في عظمه. وأخيراً الاذن، انها في طول الانف تقريباً وشكلها الدقيق ليس بذي أهمية في هذه الحال لان صيوانها يغطيه الشعر المستعار.

بعد الفراغ من التجسيم أخذت صور للوجه وزعها جو ستايلي على وسائل الاعلام في أنحاء ولاية أوكلاهوما. وبعد قرابة أسبوع لاحت له أول بارقة كان ينتظرها، اذ اتصل به شخص هاتفياً قال انه رأى رجلا يعرفه باسم آلمر كلايتون فنين مع امرأة تشبه الصورة المنشورة. عندئذ تذكر ستايلي. فقبل أيام أوقف رجل يدعي فنين بتهمة نقل سلاح مخفي وأطلق بكفالة.

وبعد التحقيق تبين أن فنين غادر المدينة. لكن ستايلي حصل من طريق رب عمل سابق للرجل على عقد تأمين عين فيه فنين امرأة اسمها جانيت بودارد كمستفيدة من تعويضاته.

وأذيعت نشرة كاملة عن فنين وبودارد في أنحاء البلاد. وبعد أيام وردت مكالمة هاتفية من الرقيب في الشرطة روي فاندربول من مدينة كريسنت في ولاية كاليفورنيا، قال انه يعرف بودارد. وأضاف: "انها أصيبت في حادث سير هنا عام ١٩٧٣."

وأكدت السجلات الطبية في المستشفى التفاصيل الاخرى التي حددتها معالم المجسّم الذي صنعه كلايد سنو بدقة كادت تكون تامة. كان عمر جانيت بودارد ٣٤ عاماً، وهي من العرق الابيض، ناحلة القوام وطولها ١٤٩ سنتيمتراً. وقد اصطدم رأسها بالزجاج الامامي لسيارة كما حدس سنو.

وتعقب جو ستايلي المجرم الى ولاية أركنساس حيث اعتقله. وفي وقت لاحق في قاعة المحكمة في ستيلووتر اعترف آلمر كلايتون فنين بارتكاب جريمة قتل غير متعمد وحكم عليه بالسجن مدى الحياة.

واقترح المدعي العام في المنطقة منح ستايلي جائزة "الشرطي اللامع" لتلك السنة. لكن جو ستايلي نفسه يعتقد أن معظم الفضل في كشف الجريمة يجب أن يعزى الى كلايد سنو وزملائه في المعهد المدني للطب الجوي "تقديراً لانجازهم المدهش."

جاك فنشر ■



الأحلام هي تخيلات النوم، والتخيلات أحلام اليقظة. ت.ب.

مَملكَة النحْل

انه مجتمع الاناث الذي لا يرحم حيث تترك الذكور القلائل بعد الزواج لتواجه الموت جوعاً

كيف يبدو عالم تديره النساء؟

تمالكوا نفوسكم أيها الرجال. فعالم كهذا قائم حقاً. وهو رائع التنظيم وآمن جداً ويتمتع بأيد عاملة متخصصة وبنية اجتماعية متقنة ونظام اتصالات مذهل. ويقطنه سكان حسنو التغذية. انه فردوس مدمني العمل المضني. لكن هذا العالم قاس لا يرحم. فذكوره القلائل يتركون ليواجهوا الموت جوعاً بعد اتمام مهمتهم الطبيعية.

يشكل مجتمع الشقيقات العالم الفريد للنحلة العسالة، أثمن أنواع النحل وأكثرها عدداً. وهي عضو في عائلة الحشرات العظيمة "أبويديا" التي تضم



عشرين ألف نوع بينها النحلة الطنانة والنحلة النجارة.

والنحلة العسالة غريبة أصلا عن أمريكا الشمالية، لكن المستوطنين البريطانيين أدخلوها ولاية فرجينيا عام ١٦٢٠. وسرعان ما تكاثرت.

وتعشش المجموعات البرية من النحل العسال في الأشجار الجوفاء وفي الكهوف والأماكن الأخرى حيث يمكنها أن تبني قفرانها.

ويعيش النحل المدجن في قفران خشبية من صنع الانسان. وهي مبنية بحيث يسهل سحب الأطباق التي تحمل أقراص العسل بأدنى حد من الازعاج للنحل. ويقطن كل قفير نحو ستين ألف نحلة.

مراتب النحل - للوهلة الاولى يبدو النشاط مسعوراً داخل قفير نموذجي. لكنه في الحقيقة مضبوط كما لو كان عملية اطلاق مكوك فضائي. فالفئتان القاطنتان فيه، النحل البيتي والنحل الميداني، تنفذان تشكيلة من الأعمال النظامية. ويضم النحل البيتي "المدبرات" اللواتي يعملن على ازالة الأوساخ. واذا كان أحد الأجسام ضخماً بحيث يتعذر نقله، كفأر اقتحم القفير وتم لسعه حتى الموت، فان المدبرات يزلن شعره ثم يحنطنه بشمع العكبر (propolis) وهو مادة راتينجية تجمع من الأشجار.

ويضم النحل البيتي أيضاً "المراوح" اللواتي يقفن في المدخل ويحركن أجنحتهن فيحدثن طنيناً. وبذلك يكيفن الهواء داخل القفير. وهناك "المتعهدات" اللواتي ينقلن النحل النافق خارج القفير.

أما "العاملات" فتقتصر مهمتهن على بناء أقراص جديدة لتخزين العسل. وينبثق شمع العسل، وهو مادة دهنية، من الغدد الكائنة في بطون العاملات. وبعد أن تزيل النحلات الشمع بقوائمهن يمضغنه في شكل كرات صغيرة يبنين بها إحدى المعجزات الهندسية: قرص عسل بطبقتين وستة أجناب يستخدم لتنشئة الصغار وتخزين العسل.

وتصلح "المرممات" الأقراص القديمة، بينما تنشر "الساقفات" الشمع على الطبقات المنجزة حديثاً. وقد كتب تشارلز داروين: "غبي هو الرجل الذي يعاين التركيب المتقن لقرص العسل المهيأ بابداع مطلق لتحقيق غاياته، من دون أن يعتريه إعجاب مفعم بالحماسة."

وتشيد أولئك المهندسات المبدعات شبكة طرق معقدة من "فسحات النحل" يراوح عرضها بين ٥ و١٠ مليمترات وتنتشر بين الأقراص وحولها.

ويضم النحل الميداني الكشافة والغزاة. وتجول الكشافات باحثات عن مصادر جديدة لرحيق الأزهار. ويستعنّ بالشمس لمعرفة وجهتهن ثم ينقلن أخبار اكتشافاتهن برقصة خاصة تحدد الاتجاه والمسافة.

وصف العالم النمسوي كارل فون فريش أحد رواد النحالة (تربية النحل) رقصتين من رقصات النحل: "الدائرية" و"الاهتزازية". في الرقصة الاولى تدور النحلة الكشافة بقوة لمدة ثلاثين ثانية الى اليمين أولا ثم الى اليسار. وتستخدم

Illustration: John F. Eggert

هذه الرقصة اذا كان مصدر الطعام قريباً. أما اذا كان بعيداً فتلجأ الكشافة الى الرقصة الاهتزازية: تسير في خط مستقيم مسافة قصيرة وهي تهز بطنها، ثم تدور دورة كاملة الى اليسار وتتقدم قليلا لتدور مجدداً الى اليمين. وهي تهز بطنها طوال الرقصة. وكلما كان مصدر الطعام أغنى عنفت الرقصة أكثر.

ويساعد أيضاً في ارشاد النحلات الاخريات عطر تفرزه غدد في بطن الكشافة، إضافة الى رائحة الأزهار التي تنقلها من المكان الذي اكتشفت فيه الرحيق.

وحالما يتحدد مكان رحيق الازهار ولقاحها تنطلق النحلات الغازيات الى العمل. فيتغبّرن باللقاح ويمشطن شعيرات أجسادهن بأذيالهن جامعات اللقاح في "السلال" السلكية الدقيقة على السطح الخارجي لقوائمهن الخلفية.

وبالنسبة الى الرحيق فان النحل مزود معدة عسل خاصة في حجم رأس الدبوس. ولجمع ملء كشتبان من الرحيق على النحلة أن تملأ تلك المعدة وتفرغها ثم تعود لتملأها نحو ستين مرة، كما عليها أن تزور ما يزيد على ألف زهرة. ومما لا يصدق أن الغازيات في قفير واحد يمكنهن جمع ما يصل الى سبعة كيلوغرامات من الرحيق في يوم واحد.

حين تصل النحلة الغازية الى قفيرها تتقيأ كل ما أكلته من الرحيق. فتأخذه نحلتان "متسلمتان" وتحولانه عسلا بالترويح عليه لتخفيف رطوبته وباستعمال خميرتين صنعتاهما سابقاً في جسديهما.

تخفر مخزون العسل "مقاتلات" يقفن في مدخل القفير ويستخدمن فكوكهن وقرون الاستشعار وقوائمهن وزبانياتهن (الملاسع) لمقارعة الذباب السارق وعث الشمع والنحل المعادي الذي يحاول نيل العسل دونما عناء. كما تطير أولئك الخفيرات الى خارج القفير لمساندة أخواتهن اللواتي يبعثن بروائح انذار. ولدى اللسع تفرز النحلة زباناها السامة الشائكة في جلد الضحية وتنترها فتنقطع من جسد النحلة متسببة في نفوقها.

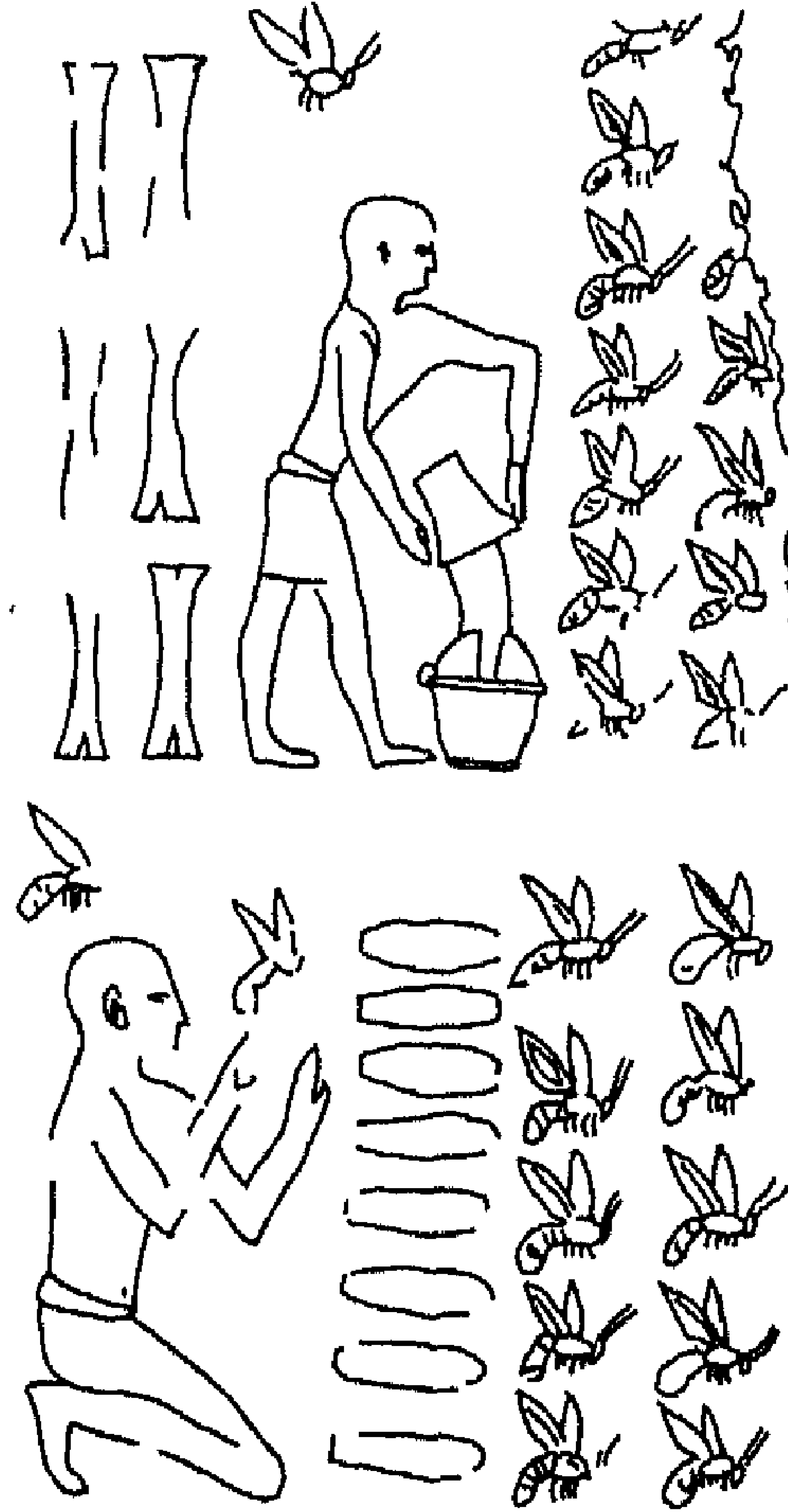
الملكة الاسيرة – ليس كل النحل مشغولا. فاليعاسيب، أي ذكور النحل، تشكل نحو خمسة في المئة من السكان. ويبدو أن مهمتها الوحيدة هي مزاوجة الملكة. وهي كسولة جداً بحيث تطعمها أخوات حنونات يعملن كحاضنات.

أما الملكة، وهي اكبر الاناث حجماً، ففي استطاعتها وحدها وضع البيض وتقوية النسل. انها تغتذي بالعسل "الملكي"، وهو مادة تفرزها غدد خاصة في رؤوس "الحاضنات". وتحرس حاشية خاصة الملكة وتعنى بها على الدوام. لكن أولئك "الوصيفات" اليقظات يهجرن الملكة إن لم يكن اداؤها فاعلا.

والملكة أشبه بالأسيرة داخل القفير. فقبيل بلوغها وهي بعد في عمر أسبوعين تكون أدت ما يراوح بين اثنين وأربعة تحليقات زواج. وعلى بعد كيلومترات من القفير تطير الملكة على ارتفاع يراوح بين ستة أمتار وثلاثين متراً. وتجذب عطورها الكيميائية ذكور الخلية الشهوانيين الى مطاردة حامية. وبعد

التزاوج مع ذكور عدة تصرع من شدة الصدمة أثناء العملية تكون الملكة لقحت بنحو خمسة ملايين نطفة. وعلى رغم أنها قد تعيش خمس سنوات تواصل خلالها انتاج العاملات فانها لن تتزوج مجدداً. وبعد تزوج الملكة تجر الذكور الباقية الى الخارج وتترك لتهلك على بعد أمتار قليلة من القفير. أما الملكات العتيدات في شكل يرقان ملكي فتبيدهن الملكة الحاكمة اذ تجد فيهن منافسات لها على الزعامة.

تضع الملكة بيضها في "حضانة" القفير حيث نظفت الخلايا ولمعت بعناية. ويتحول هذا البيض يرقاناً دورياً صغيراً ناصع البياض في غضون يومين أو ثلاثة أيام. وتطعم الحاضنات اليرقان الوليد عسلا ملكياً لفترة يومين. ثم ينتقلن الى "خبز النحل" وهو مزيج من العسل ولقاح الزهر. والجدير بالذكر أن إطعام يرقانة واحدة يتطلب نحو ألفي زيارة للنحلة الحاضنة. وبعد نحو ستة أيام من التفقيس تغزل اليرقانة شرنقة حول جسدها لتصبح خادرة في طور انتقالي بين اليرقانة والحشرة الكاملة. ثم بعد اثني عشر يوماً تنبثق العاملة المجنحة. وتستغرق عملية التحول من البيضة الى النحلة الكاملة واحداً وعشرين يوماً.



نحّالان ينقلان العسل من القفران الى الجرار في مصر القديمة.

الشمع الثمين -

تضع الملكة بيضاً مخصباً وبيضاً غير مخصب. والطريف أن النوعين يفقسان. أما البيض المخصب فهو كله إناث يتمتعن بمورثات (جينات) من الملكة ومن الذكور التي زاوجتها. وأما البيض غير المخصب فينتج ذكوراً تحمل مورثات الملكة وحدها.

والنحل المنبثق من طور الخدر كإناث مجنحة يتولى مهماته للحال دونما تلقي أي تعليمات من النحل الأكبر سناً. وتؤدي أولئك العاملات وظائف حقيرة كتنظيف الخلايا وتهوئة القفير والتقاط الأوساخ لفترة عشرين يوماً أو نحوها. ولدى اتمامهن الاسبوع الثالث يصبحن جاهزات للاشتراك الكامل في مهمتهن الأساسية، ألا وهي صنع العسل.

منذ أكثر من ٤٥٠٠ سنة والبشر يفيدون من النحل للحصول على العسل

Drawing: M.B. McCarthy / American Bee Journal

والشمع. وأقدم دليل بياني في هذا الشأن نقش مصري يعتقد أنه نحت قرابة العام ٢٤٠٠ قبل الميلاد. وهو يمثل نحالا يدخن قفيراً لتدويخ النحل وعمالا يصفّون العسل ويجمعونه في جرار خزفية.

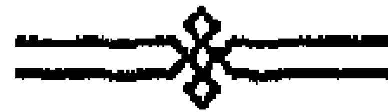
والى أطنان العسل التي تسوّق كل عام تباع كيلوغرامات وافرة من شمع النحل. وهو ظل قروناً طويلة الشمع الوحيد المتوافر للانسان. واستعمله المصريون للتحنيط. ويستخدم شمع النحل اليوم لا في صناعة الشموع فحسب، بل أيضاً في صنع شمع تلميع المفروشات ومستحضرات التجميل والأدوية وقوالب الأسنان.

وعلى رغم أهمية كل هذه المنتجات فان النحل يساهم بما هو أهم في اقتصادنا العالمي. ففي اثناء جمع الرحيق يفرك النحل الأعضاء التناسلية في البراعم فينشط عملية التلقيح. وتنتفع الأشجار والنبتات على اختلافها من الحشرات عموماً ومن النحل خصوصاً، بل تعتمد عليها للتلقيح والاخصاب.

وتقدر وزارة الزراعة الأمريكية أنه في مقابل ما قيمته دولار واحد عسلا يؤمن النحل ما قيمته مئة دولار تلقيحاً.

وهكذا تعمل الأخوات الكادحات من أجلنا جميعاً.

جاك دنتون سكوت ■



أولاد الهجران

كان لامرأة ١٤ ولداً راوحت أعمارهم بين عام و١٤ عاماً. وذات يوم رفعت دعوى طلاق من زوجها بحجة الهجران.

فسألها القاضي: "متى هجرك؟"

- قبل ١٣ سنة.

"اذا كان هجرك قبل ١٣ سنة، فمن أين جئت بكل هؤلاء الاولاد؟"

- كان بين حين وآخر يرجع الي معتذراً.

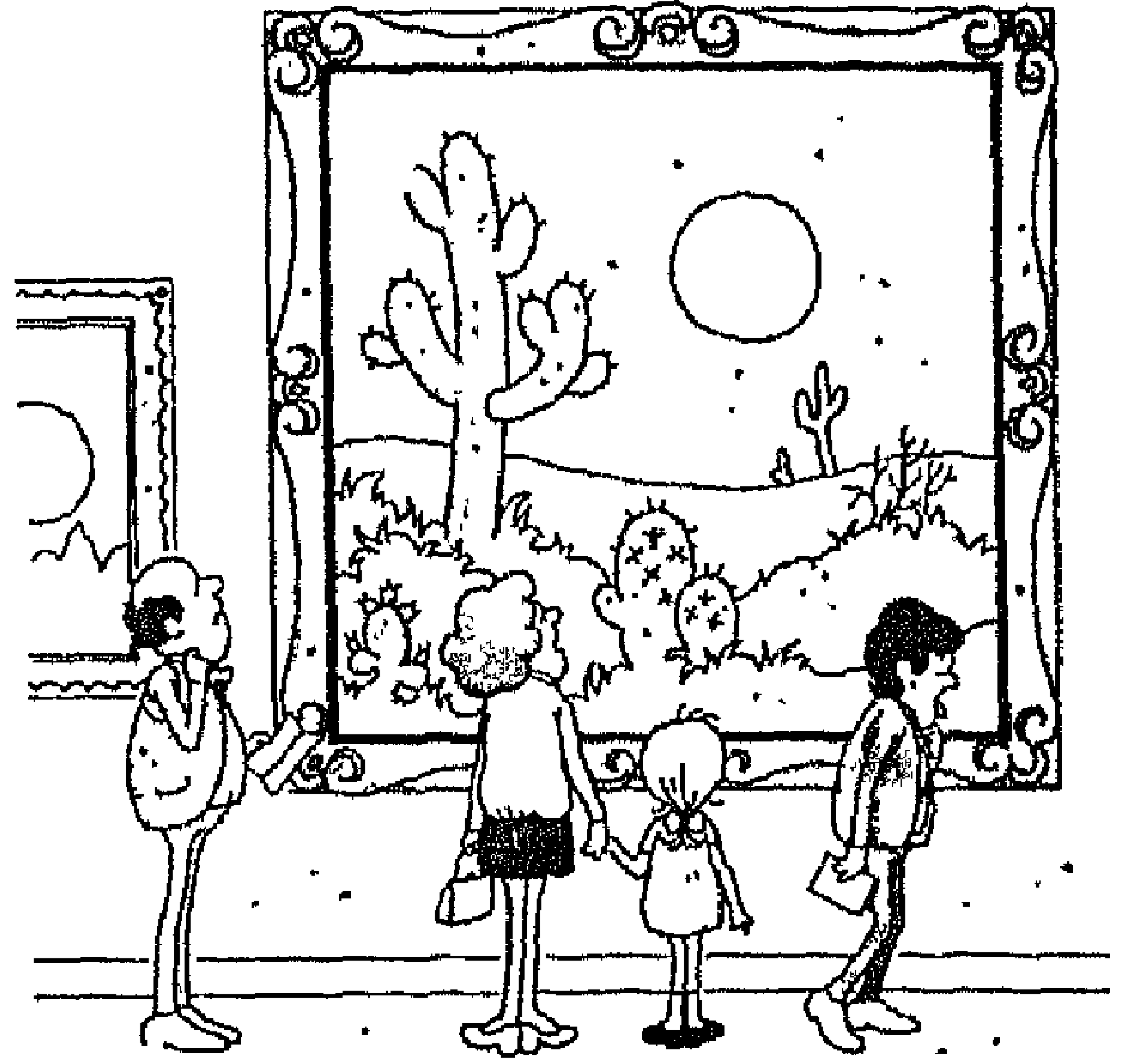
ج.د.

رابطة الاجيال

بعد العشاء تجمع الكبار في غرفة الاستقبال لاستعادة ذكريات ايام زمان بينما احتشد الصغار في غرفة الجلوس. ولاحظت المضيفة أن احدى القريبات العجائز لم تكن بينهم فسألت: "أين العمة الظريفة؟"

وجاءها صوت خشن من الغرفة يقول: "انها مع الاولاد، تحاول سد الثغرة بين الاجيال."

هـ.م.



دائرة المعارف

نادراً ما نلجأ الى القاموس لنبش معاني المفردات العربية التي نقع عليها في قراءاتنا. لكن هناك كلمات قد نخطىء معانيها على رغم سهولتها الظاهرة. وهنا كلمات منتقاة من الاعداد الاربعة الاخيرة من "المختار". وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. مُنِيَ: أسبغت عليه نعمة - وُفِّق - مات لوعة - ابتلي.

٢. أضرم: نصب خيمة - أوقد - غضب - بيّت الشر.

٣. أودى: هلك - أظهر الود - أوصل - أطعم.

٤. الجَلَد: السوط - الماء المتجمد - القوة والصبر - الزجاج.

٥. الأبهة: الدلال - العظمة والكبر - الاهتمام - الجمال.

٦. الشفا: العطش - الماء الخالص - الهاوية - الحرف والحد.

٧. قفل: قطب جبينه - اقشعرّ بدنه - جُنَّ - رجع.

٨. روَّح: أنعش - ثكل - سرّب - ندب الميت.

٩. هفا: نظف - نام خفيفاً - أسرع - نصع بياضه.

١٠. الشائبة: الحية العظيمة - العيب - الشامة - أرض الثلج.

١١. السغب: الفوضى - التمهل - ريش العصفور الصغير - الجوع.

١٢. تَتْرى: واحداً بعد واحد - فجأة - باكراً - دفعة واحدة.

١٣. الخِزعة: الجبان - المكيدة - القطعة من اللحم - الليلة.

١٤. قَرَض: ضفر - تغزل - قال الشعر - روى قصة.

١٥. انبهر: انشقّ - انقطع نفسه - تُخِم - انطفأ.

١٦. أوشع: أزهر - توهم الرؤية - شتم - أعطى.

١٧. الوبيل: المقبل - الغزير - الصائب الهدف - السيىء العاقبة.

١٨. الأرعن: النبيه - الاحمق والاهوج - القليل الشعر - الطويل.

١٩. جلّى: غادر - سبق - طار وعلا - ابتسم.

٢٠. تلكأ: تعكز - أجفل رهبة - أبطأ - استهزأ.

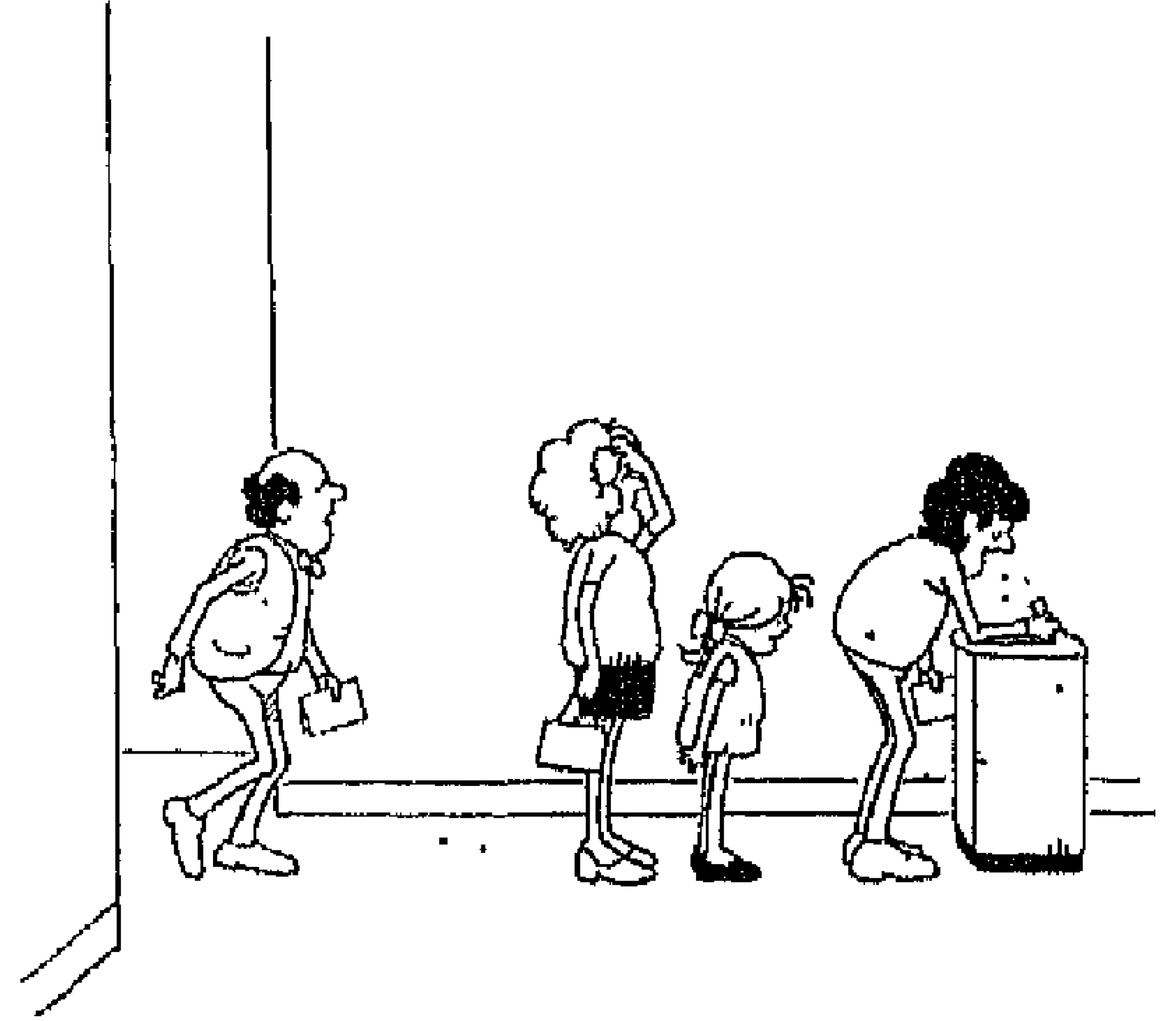
٢١. القنوط: التفاؤل - الملل - هدية الزواج - اليأس.

٢٢. الفحوى: المعنى - الرائحة الذكية - النسمة - صوت الحية.

٢٣. أوعز: أشار - أوغر الصدر - أزعج - أفقر.

٢٤. تبوّأ: أخفق - أقام - انتحب - تنطح للكلام.

٢٥. الحبائل: الجدائل - سنوات الخير - المصايد - السحب الماطرة.



الأجوبة الصحيحة

١. مناه الله بكذا: ابتلاه به وأصابه.
٢. أضرم النار: أوقدها وألهبها. الضرَم: الحطب يرمى به في النار، ومنه المثل: نفخت في غير ضرم، يضرب لمن يعالج ما لا فائدة في علاجه.
٣. أودى: هلك. أودى به الموت: ذهب به.
٤. الجَلَد والجلادة: القوة والصبر. الجلد أيضاً: السماء أو القبة الزرقاء.
٥. الأُبْهة والأُبّهة: العظمة والكبر. أيضا: النخوة.
٦. الشفا: حرف كل شيء وحده. أيضاً: بقية الهلال قبل أن يغيب.
٧. قفل: رجع. القافلة: الرفقة الراجعة من السفر أو المبتدئة به تفاؤلا بالرجوع.
٨. روّح قلبه: أنعشه. والرجلَ: أراحه.
٩. هفا: أسرع وزلّ وجاع. والطائرُ: خفق بجناحيه وطار. والفؤادُ: خفق.
١٠. الشائبة: واحدة الشوائب وهي العيوب والادناس والاهوال.
١١. السغب والسغاب: الجوع.
١٢. جاء القوم تَتْرى: أي واحدا بعد واحد، وأصلها وَتْرى.
١٣. الخِزْعة: القطعة من اللحم. الخَزْعة: الغمز أو الظَلَع في احدى الرجلين.
١٤. قرض الشعر: قاله. وقرض: قطع. يقال: قرض رباطه، أي مات.
١٥. بهر: غلب وأضاء وقذف بالبهتان، انبهر: انقطع نفسه.
١٦. أوشع الشجر: أزهر.
١٧. داء أو طعام وبيل: يُخاف وبالُه أي سوء عاقبته.
١٨. رعن رعناً ورعونة: حمق أو كان أهوج في كلامه فهو أرعن.
١٩. جلّى الفرس: سبق في الميدان. المجلّي: السابق.
٢٠. تلكأ عن الامر: أبطأ وتوقف. لكأه بالسوط: ضربه به.
٢١. القنوط: اليأس.
٢٢. الفحوى والفحواء من الكلام: مذهبه ومعناه.
٢٣. أوعز اليه في كذا: أشار.
٢٤. تبوأ المكان وبه: أقام به. بوّأ له منزلا: هيأه له وأنزله فيه.
٢٥. الحبائل: المصايد. واحدتها حِبالة.

---

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٦ - ٢٠: جيد جداً
١١ - ١٥: مقبول

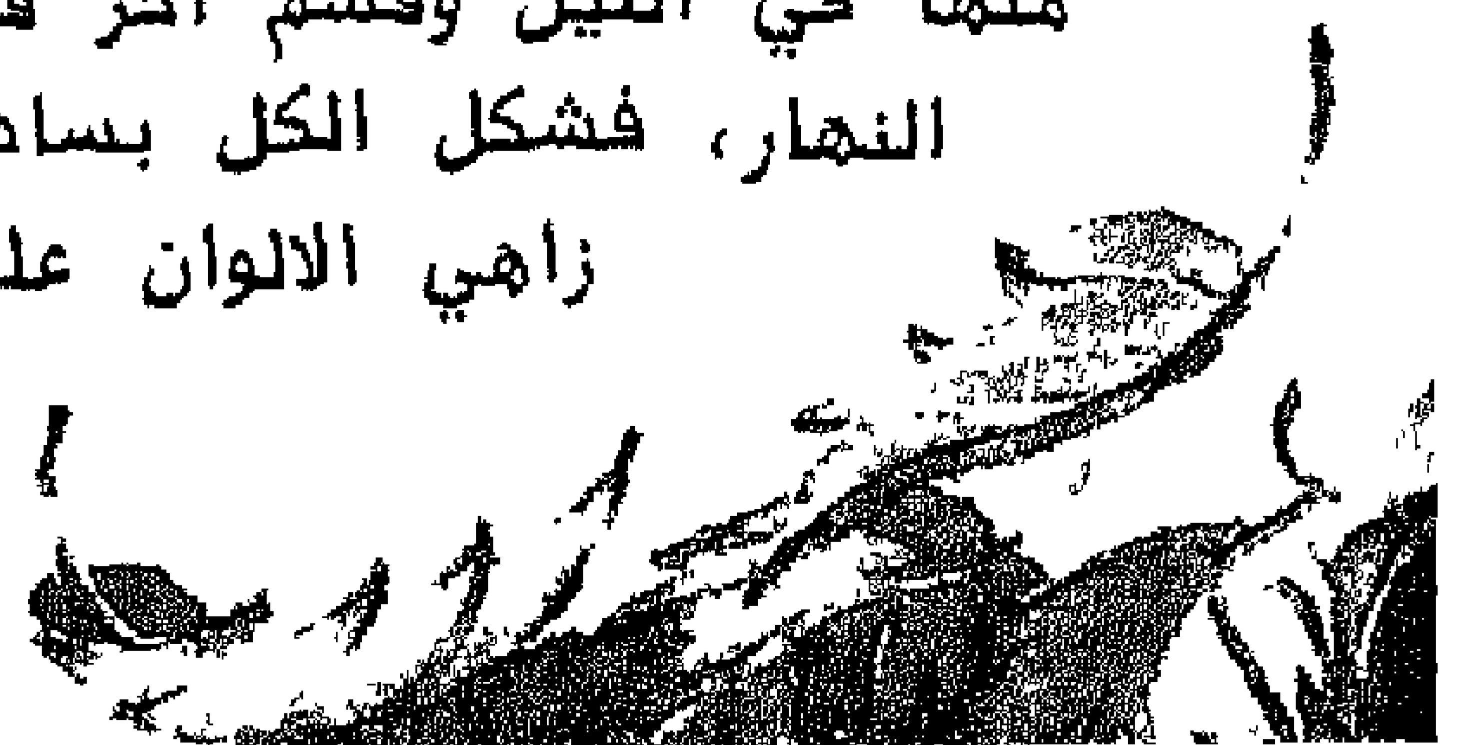
قصة قصيرة

أول وتروفا

قصة ورقتين عاشقتين



الغابة مترامية الأطراف تكسوها الاشجار المورقة. ومن الطبيعي أن يغدو الطقس بارداً في مثل هذا الوقت من السنة، وقد تسقط بعض الثلوج. إلا أن نوفمبر (تشرين الثاني) جاء دافئاً نسبياً. فلولا الاوراق المتساقطة التي تغطي الغابة كلها لظننته فصل الصيف. بعض هذه الاوراق أصفر كالزعفران وبعضها أحمر كالارجوان وهناك أوراق بلون الذهب أو بمزيج الألوان الثلاثة. وهي انتزعت عن أمهاتها بفعل الامطار المنهمرة أو الريح المزمجرة. وسقط قسم منها في الليل وقسم آخر في النهار، فشكل الكل بساطا زاهي الالوان على ارض الغابة. وفاحت الروائح الزكية من هذه الأوراق على رغم جفاف عصاراتها، وسطعت عليها الشمس من خلال الأغصان الحية، ودبت فيها الديدان والحشرات التي نجت من جنون عواصف الخريف، ووجدت الجداجد وفئران الغابة وسواها من الكائنات الضعيفة ملجأ تحتها.



وعلى قمة شجرة تعرت من كل أوراقها بقيت ورقتان تتدليان من أحد الأغصان. انهما أول وتروفا. لسبب تجهلانه استطاعتا الصمود وسط الأمطار الغزيرة والليالي الباردة والرياح الشديدة. فمن يعلم السبب في بقاء ورقة وسقوط أخرى؟ قدّر أول وتروفا أن السبب يكمن في الحب العظيم الذي يكنه أحدهما للآخر. وكان أول أكبر قليلا من تروفا ويزيدها عمراً

ببضعة أيام. لكن تروفا كانت أجمل شكلا وأنعم ملمساً. ولا تستطيع ورقة الشجر مساعدة رفيقة لها حين تصفر الريح أو يهطل المطر أو يرجم البرد. لكن أول كان يشجع تروفا في كل مناسبة. وفي أسوأ العواصف حين يقصف الرعد ويلتمع البرق وتنتزع الريح الأغصان من جذوعها كان أول يتوسل الى تروفا: "تشبثي جيداً يا تروفا! تشبثي بكل قواك!"

وفي بعض الليالي العاصفة القارسة كانت تروفا تهمس يائسة: "لقد دنت ساعتي يا أول، ولكن أصمد أنت في كفاحك!"

ويجيب أول: "لماذا أصمد؟ فلا معنى لوجودي من دونك. اذا وقعت فسوف ألحق بك فوراً."

- لا يا أول، اياك أن تفعل؟ فما دامت الورقة قادرة على الصمود وجب عليها التعلق بالحياة.

"الأمر يتوقف على بقائك معي. ففي النهار أنظر الى جمالك وأعجب بك. وفي الليل أشتمّ شذى عطرك. وتريدينني أن أبقى الورقة الوحيدة على الشجرة؟ لا، هذا مستحيل!"

- أول، ان كلماتك عذبة لكنها غير صحيحة. أنت تعلم أنني لم أعد جميلة. أنظر الى تجاعيدي، بل لاحظ ذبولي. لم يبقَ فيَّ حسن سوى حبي الكبير لك.

"أوليس هذا كافياً؟ بين كل مواهبنا وقوانا يبقى الحب هو الأسمى. وما دام هذا الحب يجمعنا فسنبقى، ولن تقوى علينا ريح ولا مطر ولا عاصفة. واعلمي يا تروفا أنني لم أشعر مرة بحبي لك كما أشعر الآن."

- ولكن لماذا يا أول؟ لماذا؟ ألا ترى أنني أصبحت صفراء؟

"ومن قال ان الأخضر جميل والأصفر قبيح؟ كل الالوان بديعة بالتساوي."

وفيما أول ينطق هذه الكلمات حدث ما كانت تروفا تخشاه طوال هذه الأشهر. هبت ريح هوجاء سلخت حبيبها عن الغصن. وسرت قشعريرة في جسم تروفا فجعلت ترتعش حتى بدا أنها ستنقلع هي أيضاً من موضعها. لكنها تمسكت بكل قواها. وراحت تراقب أول وهو يهوي مترنحاً في الهواء. ونادته بلغة الأوراق: "أول! عد اليَّ يا أول! أول!"

لكن قبل أن تنهي صيحتها اختفى أول عن الانظار. اختلط مع الأوراق الأخرى على الأرض تاركاً تروفا وحيدة على الشجرة.

في النهار استطاعت تروفا تحمّل مصابها. ولكن ما ان خيم الظلام وبدأ المطر البارد ينهمر حتى استسلمت المسكينة لليأس المطلق. وشعرت بأن اللوم في كل مآسي الأوراق يقع بطريقة أو بأخرى على الشجرة، وخصوصاً على جذعها الضخم بفروعه الجبارة. فالأوراق تسقط، لكن الجذع ينتصب شامخاً غليظاً متجذراً بقوة في الأرض لا تزعجه ريح ولا أمطار ولا برد. فماذا يهم شجرة قد تعيش الى الأبد ما يكون مصير ورقة ضعيفة؟ الجذع أناني، يغطي نفسه بالأوراق لبضعة أشهر ثم ينفضها عنه. يغذيها بنسغه ما شاء ثم يتركها تموت ظمأ. وناشدت تروفا الشجرة أن تعيد اليها حبيبها وترجع أيام الصيف، لكن الشجرة لم تعر توسلاتها اهتماماً.

لم يمر في بال تروفا أن الليل قد يكون

طويلا ومظلماً وبارداً الى هذا الحد. وراحت تناجي أول آملة أن يجيبها، لكنه بقي صامتاً.

وخاطبت تروفا الشجرة: "لقد سلبتني أول، فخذيني أنا أيضاً." لكن الشجرة لم تلتفت اليها.

وبعد فترة وجيزة استسلمت تروفا لنوم خفيف. وفي الحقيقة لم يكن ذلك نوماً، بل استرخاء عجيب. ثم أفاقت لتكتشف أنها لم تعد معلقة على الشجرة. فقد حملتها الريح الى أسفل وهي نائمة. واختلف شعورها الآن عن الايام التي كانت فيها تستيقظ مع الشروق وهي معلقة على الشجرة. وتبددت كل مشاعر الخوف والقلق، وحملت اليقظة وعياً لم تختبره تروفا من قبل. أدركت أنها ليست مجرد ورقة تتقاذفها نزوات الريح، لكنها جزء عزيز من هذا الكون. وبقدرة غامضة فهمت أعجوبة جزيئاتها وذراتها وبروتوناتها وكهيرباتها، أعجوبة القوة الهائلة الكامنة فيها والمخطط الجليل الذي هي جزء منه.

والى جانبها استلقى أول. وسلّما بحب لم يدركاه قبلا، حب ليس مجرد نزوة أو مصادفة، بل هو قوي وأبدي كالكون. وتبين أن ما خشياه طوال الفترة الممتدة بين ابريل (نيسان) ونوفمبر (تشرين الثاني) لم يكن موتاً بل انعتاقاً. ثم حملتهما نسمة خفيفة فحلقا في نعيم لم يختبره سوى الذين تحررت نفوسهم في الابدية.

ازاك سينجر ■

الكاتب حائز جائزة نوبل في الآداب للعام ١٩٧٨.



اختبار زوجي

ظننت أن صمماً أخذ يلمّ بزوجتي ويثقل سمعها. وعزمت على أن أجري لها اختباراً فدخلت عليها خلسة ووقفت على بعد عشرة أمتار وراءها وقلت: "بربارة، هل تسمعينني؟" فلم أسمع منها أي جواب. وتقدمت الى مسافة ستة أمتار منها وخاطبتها: "بربارة، هل تسمعينني؟" فلم أسمع أي جواب أيضاً. عندئذ اقتربت الى مسافة ثلاثة أمتار منها وسألتها: "والآن هل يمكنك أن تسمعيني؟"

فأجابت: "نعم يا عزيزي، للمرة الثالثة أقول لك نعم."

و.ل.ف.

الصندوق يفكر بالمطعم

كان طابور طويل من الزبائن ينتظر أمام صندوق أحد المتاجر. وحين جاء دوري أخذت المحاسبة في فرز محتويات سلتي الزاخرة، وعندما فرغت من ذلك تنهدت قائلة: "ألم يعد أحد يأكل في المطاعم؟"

ج.أ.

حُلمُ الراعي[٧]

في تلك الليلة اكتشفت رابطاً غامضاً بين الانسان والحيوان

أمضيت ذاك اليوم العجيب من شهر مايو (أيار) مؤدياً أموراً تافهة، وباشرت عدداً من الأعمال لم أنجز واحداً منها. فكانت تعاودني ذكريات من الماضي لأشخاص وأصوات وحوادث حصلت قبل خمس وستين سنة في هذه المزرعة التي أمضيت فيها معظم أيام حياتي، وهي واقعة في منطقة دير لودج في ولاية مونتانا. كنت قلق البال مشاكساً في بعض الأحيان كذئب علقت شوكة في قدمه، وكان ينتابني في أحيان أخرى حَدْس غريب لم يسعني أن أسبر غوره.

ولم يبارحني كلبي الألماني درو طوال النهار. فان مشيت مشى إلى جانبي وان جلست استلقى بقربي. وشعر حصاني

Duane Taylor

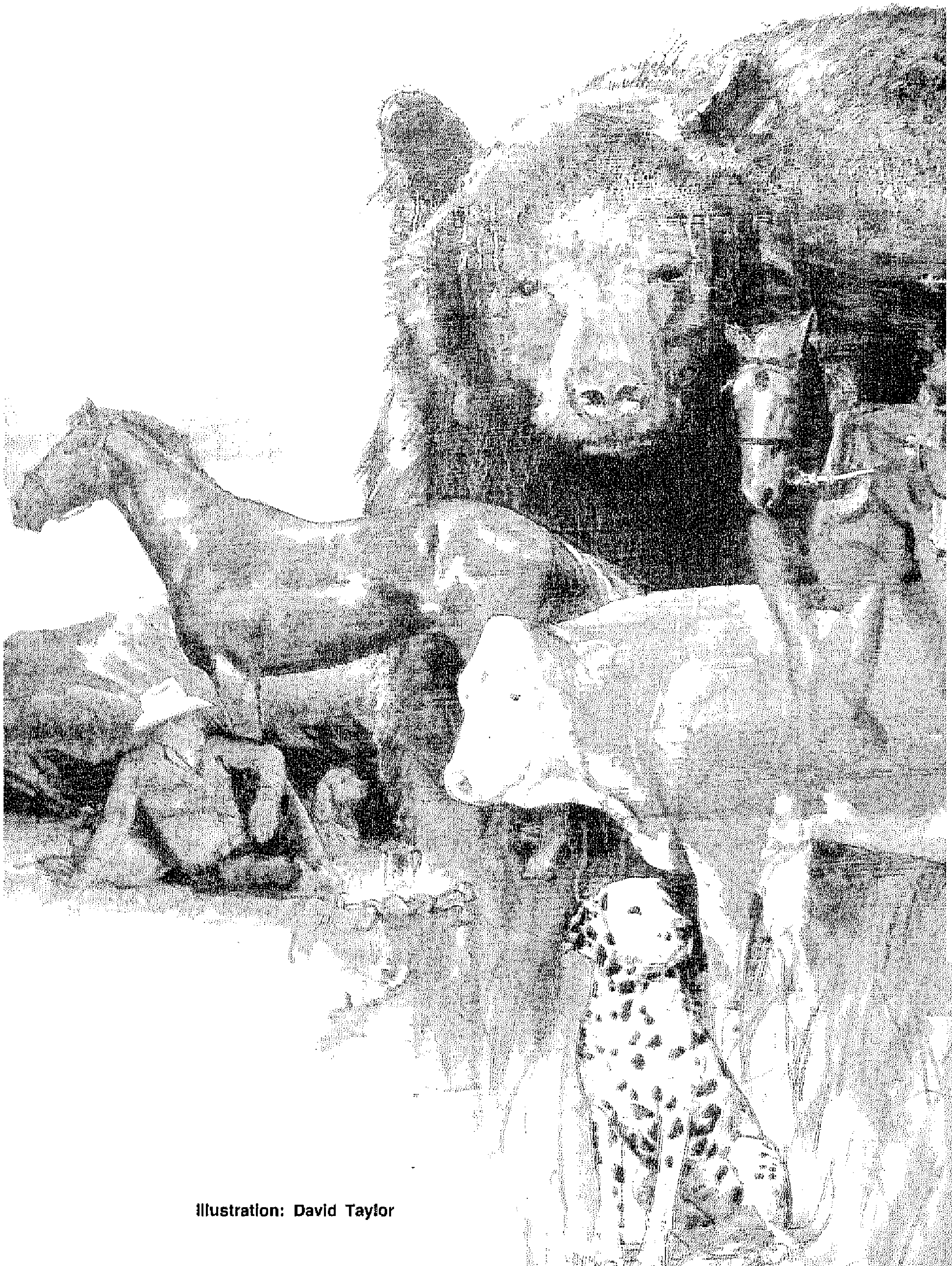


Illustration: David Taylor

ويزكي هو أيضاً باضطرابي. فعندما ذهبت لاعلفه ذاك الصباح تقدّم لملاقاتي وهو يصهل صهيلا خفيفاً. ثم تبعني الى الحظيرة وراح بين الحين والحين يدفعني بلطف. وبعدما أكل اقترب من باب الحظيرة وشرع ينظر اليّ.

في تلك الليلة خيّم سكون عميق على المزرعة، إذ همدت الريح الشمالية الغربية وهدأ حفيف الورق في الأشجار. فجلست بصمت وترقّب. واذا بصوت خافت نابع من داخلي لم أسمعه من قبل يقول لي: "يجدر بك أن تسرع والاّ وصلت متأخراً."

فانتصبت واقفاً والتقطت قبعتي ومعطفي وقفّازي وتوجهت إلى الحظيرة حيث أسرجت حصاني بعناية وتفحّصت المعدّات بدقّة كأنني أستعد لرحلة طويلة. ثم انتزعت بطّانية الحصان الصوفيّة عن الرفّ وطويتها وغلّفتها بمشمّع. وأخيراً ملأت القربة ماء وعلّقتها بقربوس السرج. ثم ألبست ويزكي اللجام وقدته إلى الخارج. وفي أثناء هذه التحضيرات كلّها كان درو يقف بجانبي وعيناه مليئتان بأسئلة لم أملك الاجابة عنها.

امتطيت حصاني وقد لامست الشمس قمم الجبال والتهبت السماء بالألوان غرباً وبلغت الظلال الارجوانية الوهاد. فشمخت الجبال المكلّلة بالثلوج في البعيد وناءت المناطق المشجرة تحت وطأة السواد والظلال.

لم أكن أدري وجهة سيرنا فأطلقت لحصاني العنان. ومررنا بأبنية المزرعة التي عرفتها يوم كنت زاخراً بالحياة وقد أصبحت اليوم خالية ومهجورة.

واضمحلت كآبتي عندما انحدرنا الى مرج هواؤه مفعم بأريج العشب النضر ورائحة النعناع الذكية. وعبرنا الجسر فوق النهر حيث تعبق رائحة الصفصاف. واشتد تيقّظي، وكلّما تقدمنا الى هدفنا المجهول عمق النداء في داخلي وتعاظم حدسي.

وانطلق ويزكي غرباً فعبر القناة تلو القناة حتى وصلنا الى قمة المرج البعيد. وبدأ الليل يرخي سدوله. أما الصوت في داخلي فكان يقول: "إنزل واشعل ناراً." فترجّلت وجمعت بعض الأغصان المقطوعة ووضعت القهوة على النار لتغلي. ثم نزعت السرج عن ويزكي لأريح ظهره وتدثرت بالبطانية. ودنا كلبي مني فأسند رأسه إلى ركبتي.

في هذه الأثناء راح الهلال ينحدر في سماء الغرب. وكان ضوؤه خافتاً لكنني تمكنت من رؤية كِفَاف المضاب. وامتد المرج أمامي وانتصبت المضاب البعيدة شرقاً. لم أكن أسمع الاّ فرقعة النار والصوت الذي يصْدره ويزكي وهو يقطع الحشيش ورائي. فجلست وقد أخذت بروعة الليل الذي تحلّى بصوفية عجزت عن تحديدها.

وبدأت النجوم تتلألأ في كبد السماء. ودب فيّ الارهاق فوددت لو أعود إلى منزلي، لكنّ قوة نابعة من داخلي أمدتني بالبقاء. فأسندت رأسي الى ذراعي المكتفتَين على ركبتَي وغلبني النعاس.

الحلقة الكبرى – أيقظني ثقل على قدمي. ففتحت عيني واذا بي أرى كلبي الدلماسي سبوتش الذي ظل رفيقي مدة

١٥ سنة. فرحت أداعب رأسه الحريري. وعندما نظر اليّ لمعت عيناه كأنّه عرفني.

وتحلّق حولي عدد أكبر من الكلاب راحت تهز أذيالها وقد غمرتها النشوة. فدعوت كلا منها باسمه. بوب الكلب الراعي الذي أبى أن ينام داخل البيت حتى في أبرد الليالي، وكويني التي ملأت البيت بجرائها، وبيت الكبير الذي كان يرعى البقر، وركس صاحب الوجه الأسود. حييتني جميعها. وعندما تأكدت من أنني ما زلت أحبها استلقت أرضاً واستسلمت للنوم، أما درو فلم يأت أي حركة تدلّ على أنه رآها.

ثم ظهرت الأحصنة التي عملت في المزرعة قديماً، فحول بلجيكية وأفراس مصحوبة بمهارها وجياد ركوب مع عدد من الثيران الانكليزية، فشكّلت جميعها حلقة كبرى. ولم يتحرك أي منها بل ساد الصمت المكان. وفجأة بدا ضوء القمر أكثر اشراقاً ولفّ اشعاعه القطيع المجتمع بنور كلّي. أما القطيع فلم يُلقِ ظلالا على الأرض.

وما لبث أن تدفّق سيل القطعان من كلّ جهة وصوب فأحدق بالحلقة الكبرى. أتت بالآلاف كلّ الحيوانات التي رعيتها وسقتها واهتممت بها وأحببتها. وزاد الصمت. لم نكن نسمع وقع حوافر حيوانات راكضة ولم تكن في المرج عجول تفتش عن أمّاتها.

واتحدنا. فعلي رغم مرور السنين بقي رباط الحب قائماً بيننا.

شبح الماضي – جلست من دون أن آتي حركة، شأن القطيع بكامله. وتحرّكت ذاكرتي بسرعة فائقة وبوضوح لم أعهده من قبل. ومن السكون السائد حولي عادت الي تفاصيل نسيتها قبل زمن بعيد، تفاصيل بدت لي غير مهمة آنذاك لكنّها أصبحت الآن أساسية بعدما تاهت بعض الوقت في دنيا الحقائق.

وفجأة وعلى مقربة مني رأيته واقفاً على الهضبة. الذئب صاحب الاصبع الواحدة. كان بين يديّ، وما ان أدرك أنني رأيته حتى رفع رأسه عالياً وكأنه على وشك أن يرسل عواءه الكئيب.

وتذكّرت لقاءنا الأول قبل سنوات. ففي يوم عاصف من شهر مارس (آذار) بعدما بحثت من دون جدوى عن بقرة مفقودة توجهت الى المنزل. وعندما مررت في محاذاة النهر أجفل حصاني مونتي. فصعدت الى الجزء المرن من الجسر المتحرك ورأيت ذئباً عالقاً في أحد الفخاخ وقد قُطعت أصابعه الثلاث الخارجية. لكن الفخ كان لا يزال يقبض على اصبعه الداخلية وجزء من قدمه. وكان الذئب متمدداً على جنبه وقد أرهقه الألم والنزف. وترجلت بسرعة. وما ان أصبحت على مسافة ستة أمتار منه حتى نهض بوهن وراح يحدّق اليّ.

ورأيت في عينيه مزيجاً من التحدّي والخوف والحقد والحاجة الماسة الى منقذ. وخطر لي أنه يجب أن أخلّصه.

واقتربت منه محتمياً بسترتي الصوفية الضخمة. فكشّر عن أنيابه وأصدر زمجرة مخيفة وحاول أن ينقضّ عليّ، لكن قدمه العالقة حالت دون ذلك. فسقطت عليه مثبتاً رأسه تحت كتفيّ. ثم مددت يدي وقبضت على الفخ الفولاذي المضرّج

بالدم ورحت أضغط بكل قواي علي الفكين الى أن انفصلا. فانزلق الذئب من تحتي وانقضّ كالسهم على ذراعي اليسرى وغرز فيها أنيابه. لكنني استغربت عدم شعوري بالألم.

ثم ركض حوالى ١٢ متراً ووقف رافعاً قدمه المبتورة عن الأرض والدم ينزف منها. واستدار وراح يحدّق الي وقد اختفى التحدي والحقد من عينيه ولم يبق فيهما الاّ نداء استغاثة. ثم شرع يشب ببطء على قائمة واحدة الى أن بلغ ضفة النهر حيث مرّغ جرحه بالوحل.

نظّفت زوجتي نيلي ذراعي ولفت جرحي برباط. ولمّا أتى الطبيب ختمه بثماني قطب. فاندمل جرحي على نحو سليم، لكن الذئب ترك بصمته على جسدي. لقد اختلطت دماؤنا فأصبحنا اخوة بالدم.

ومضى أسبوعان قبل أن أرى الذئب من جديد. وكان يومذاك يحمل في فمه احدى بطاتي. وكان رد فعلي الطبيعي أن أخرجت بندقيتي وحشوتها باروداً. واسترعت حركتي هذه انتباهه فوقف واستدار جانبياً نحوي. كان في امكاني أن أعدّ ضلوعه، ورأيت ذيله يمتد وراءه على الأرض. خفضت بندقيتي. أما هو فلم يفلت البطة ولم يحاول الهرب. وعندما أدرك أنني لا أضمر له الشر استأنف مشيته العرجاء حاملا قدمه المبتورة.

أما أنا فاستأنفت عملي، لكن صورته لم تبارحني قط. وشعرت أنّ عليّ أن أساعده كي يستعيد عافيته. وهكذا كلما ذبحنا بقرة لنقتات بلحمها كنت أملأ كيساً بفضلات الذبيحة وأرميه حيث يتمكّن الذئب من العثور عليه. وكنت أيضاً أترك له بعضاً من طعام الكلاب.

وهكذا اذا عملت في الحقول جلس ليتفرّج عليّ. وإذا امتطيت صهوة جوادي رافقني مسافة كيلومتر أو اثنين. وفي الخريف وجد زوجة وعاد الينا في الربيع التالي مصحوباً بجراء ثلاثة. وعندما كبرت الجراء وأصبحت قادرة على الارتحال غادرت جميعاً إلى منطقة أخرى. ولكن عشية السفر وقف الذئب في الناحية المقابلة للمزرعة وأنشد لي أغنية وداع. ولم أره بعد ذلك. وها هو الآن يشرف من هضبته الصغيرة على القطيع النائم.

رفيقي الدب – استدرت فاذا بي أرى الدب الكبير واقفاً ورائي على التلة العالية. وعاودتني ذكرى ذاك اليوم الربيعي قبل سنوات عندما غادرت المنزل باكراً متوجّهاً الى المنحدر الشمالي. أوقفت شاحنتي الصغيرة ومشيت في محاذاة قناة الري. ولمّا انعطفت حول زاوية رأيت دباً أسود كبيراً يقترب. فما كان منه الاّ أن توقّف فجأة. ثم رأيت حلقومه يرتفع غضباً لأنني انتهكت حرمة أرضه. فانتابني شعور بالخوف لجمته، ووقفت أمام الدب أعزَل غير قادر على الدفاع عن نفسي. وأدركت أنّه لو هاجمني لسحقني بضربة واحدة من قدمه الامامية الضخمة.

وفجأة اختفت نظرة الحنق من عينيه، فوقف على قائمتيه الخلفيتين مرتفعاً فوقي كالبرج العالي ومظهراً لي ضخامة حجمه ومدى قوّته. ثم استدار ووثب على احدى الصخور. وعندما نظر اليّ من عل بدا كأنه يقول لي: "مر بسلام أيها الرفيق،

فأنت لا تخيفني ولا تقلق راحتي." فمشيت في سبيلي وساقاي ترتجفان. وبعد ثلاثين خطوة توقفت ونظرت خلفي لكنه تواري.

وها هو الآن على الهضبة وصورته الظلية تبرز على خلفية السماء. وما ان أدرك أنني أنظر اليه حتى وقف على قائمتيه الخلفيتين كأنه يحييني. فعرفت عندذاك ان الرباط ما زال قائماً بيننا.

وأدركت أن عليّ واجباً لا بدّ من تأديته. فرحت أتمشى أمام القطيع في صحبة درو وأحيي الحيوانات التي عرفتها وأحببتها.

مررت أمام الثيران الانكليزية والفحول البلجيكية والبغال الأربعة والأحصنة التي عملت في المزرعة. وكنت كلّما ناديت أحدها باسمه رأيت في عينيه وميضاً كأنه عرفني.

وإلى جانبها وقفت الأحصنة التي ركبتها في صباي: بينتو أول جواد امتطيته في صغري، وباك الجواد الرمادي الذي ركبته عندما سقت قطيعي الأول، ومونتي وهو أفضلها على الاطلاق. وبينما أنا أحيي كلا منها تذكرت العلاقة الحميمة التي ربطتنا، فشعرت بغصّة في حلقي وعاودني فيض من الذكريات.

حقيقة أم خيال – غاب القمر وراء الجبال، فخبا الضوء وتلاشى المشهد ثم اضمحلّ وقد غمره الليل. وشعرت بالبرد وخارت قواي فغلبني النعاس. لكنّ درو دفعني بأنفه وأيقظني. ورأيت أن النار خمدت فأسرجت حصاني ويزكي وتوجهت الى المنزل.

في صباح اليوم التالي عزمت على العثور عمّا يثبت حوادث ليلة أمس. فامتطيت الحصان وعدت الى المرج البعيد. وفيه وجدت حلقة الحجار حيث أضرمت النار وقد برد الرماد واسودت الحجار. وكان العشب مسحوقاً حيث جلست وكلبي درو. لكن المكان لم يحمل أي علامة تدلّ على أن قطيعاً كبيراً من الماشية والخيل احتشد هناك. ولم أجد أي أثر لذئب أو لدب ضخم. وأغمضت عيني فظهر مشهد ليلة أمس من جديد: حلقة الأحصنة والماشية والبغال وحشد الحيوانات التي ملأت الوادي من تلاله الشرقية الى تلاله الغربية. ورحت أحفظ التفاصيل بدقة كي لا تغيب عن بالي أبداً.

وبدأ ويزكي يتململ ضجراً فبَطَل السحر. وتلاشى شعور الضيق والخيبة الذي لازمني لأيام وحلّ مكانه شعور بالهدوء والطمأنينة. وأحسست بالراحة وأنا جالس على سرجي وحصاني وبدت لي شمس الربيع دافئة. فتوجهت ببطء الى المنزل وكلبي درو يسير أمامي.

كونراد وارن ■

الجوع والسمنة

الحياة زاخرة بالمتناقضات. ويبدو أن أعظم معضلتين تواجهان الجنس البشري هما: كيف يمكن انقاذ نصف بني البشر من الجوع وكيف يمكن انقاذ النصف الآخر من السمنة.

ج.ت.

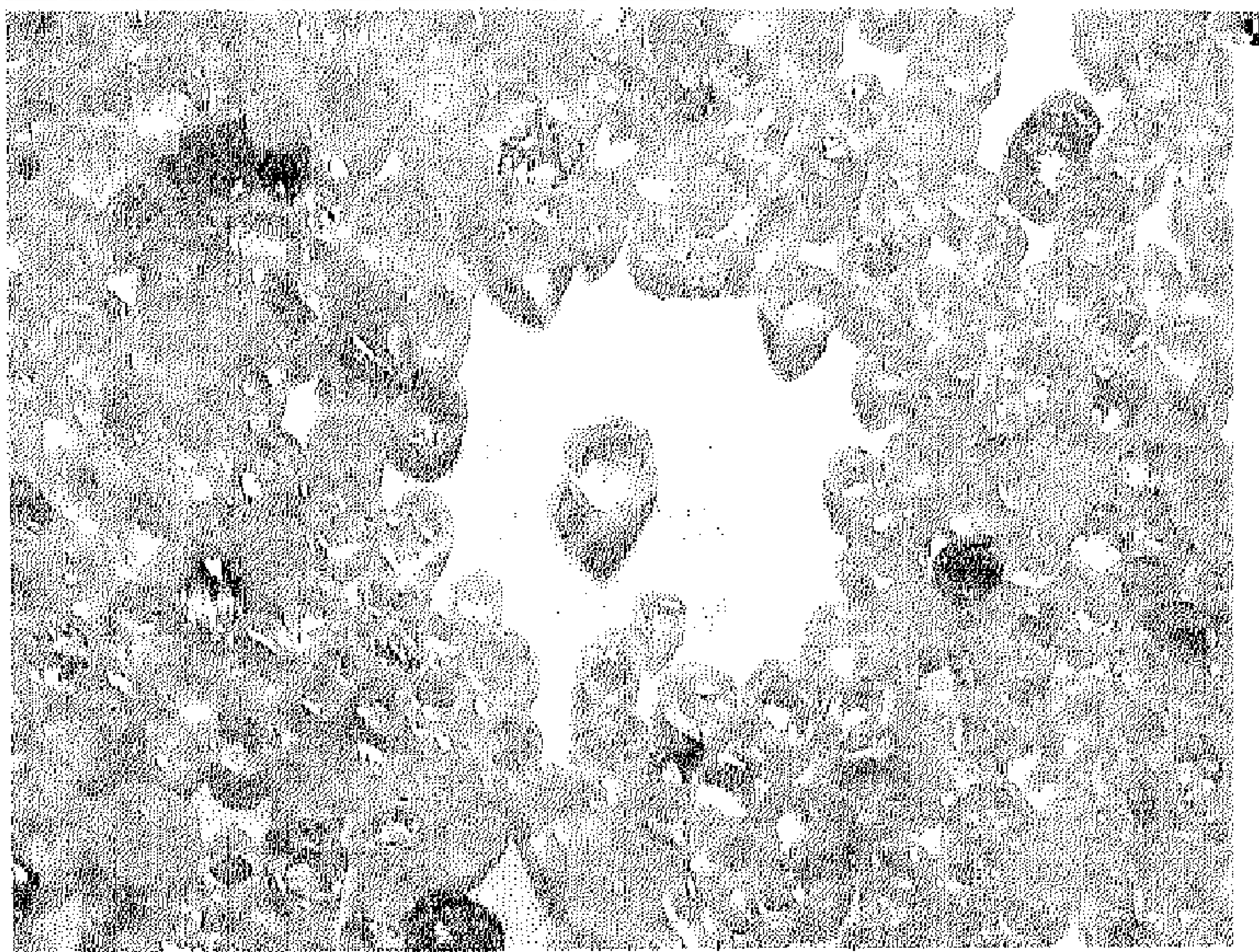
في منطقة منعزلة
من أوستراليا الغربية
عثرت عالمة جيولوجية وزوجها
على أعظم منجم
للالماس في العالم



الجيولوجيان مورين ماغريدج وزوجها جون توي (بالسترة ذات المربعات) محاطان بزملائهما. وكانا أول من جمع عينات من الحصى تحوي ألماساً في جدول الدخان. ثم قام التسابق للحصول على حصة أكبر من ثروة اوستراليا الغربية.

Condensed from the Telegraph Sunday Magazine (March 6, 1983)

كنز الماس في جدول الدخان



كان ذلك في يوليو (تموز) ١٩٧٩ والطائرة المروحية تندفع فوق مجرى النهر المتلوي وركابها يتفحصون أرضه الجافة بحثاً عن مؤشرات تنبىء بوجود ألماس. وبعد كل هبوط متخبّط كان جيولوجيو فريق مورين ماغريدج يقفزون من الطائرة ويندفعون بين الحصى والصخور حاملين الرفوش والمجارف والمناخل وأكياس العيّنات. فينقلون نحو ٤٠ كيلوغراماً من الاتربة والرمل ويعودون الى الطائرة بسرعة ويتابعون بحثهم. وبلغت تكاليف المروحية ٣٠٠ دولار(*) في الساعة، فلم يكن هناك وقت للاستمتاع بالمنظر الذي هو واحد من أروع ما في العالم.

كانت هذه مقاطعة كيمبرلي في الشمال المداري من أوستراليا الغربية، وتبلغ مساحتها ضعفي مساحة بريطانيا ولا يقطن فيها سوى ١٨ ألفِ نسمة. انها متسع من السهول الحرجية والجبال الحمراء المنحوتة، ترقد بسكون حالم طوال فصل

(*) الارقام في النص بالدولار الاوسترالي، وهو يعادل نحو ٢٦٨، دولار أمريكي.

الجفاف لتتحول مسرحاً تدب فيه الحياة حين تهب الريح الموسمية وتغرق الاودية المخبوءة في مياه الفيضان. ولانعزالها لم تُدرس أصقاعها الكبيرة الا من الجو.

قصة الالماس – نحن في فصل الجفاف. ومن طوافة المنقبين بدا "جدول الدخان" أخدوداً آخر بلا مياه محفوفاً بالاوكالبتوس والاشجار الاستوائية. وعرفت مورين أن هذه قد تكون محاولتها الاخيرة للبحث عن الالماس قبل أن تترك عملها. فهي في شهر حملها السادس، وقد فكّر رب العمل في أن الوقت حان لذهابها في اجازة الامومة.

كانت مورين امرأة انكليزية طويلة القامة نشيطة تعمل لدى شركة "كونزنك ريوتينتو أوستراليا" (CRA) كجيولوجية أدغال. وهي مهنة بقيت حكراً للرجال حتى وقت قريب. وكان زوجها جون توي المنقّب الكندي يرافقها في البعثة الى كيمبرلي. وكان يعمل لشركة التعدين الشمالية، وهي شركة صغيرة في ملبورن يديرها والده ريس. وقد احيل على "مشروع آشتون المشترك" الذي تديره "كونزنك ريوتينتو أوستراليا" وتساهم فيه شركة التعدين الشمالية وغايته التفتيش عن الالماس.

لكن المشروع المشترك لم يعط خطته أولوية قصوى. ففي أوائل السبعينات كانت مجموعة "دي بيرس" تحتكر صناعة الالماس، فصرفت ١٨ مليون دولار بحثاً عن الحجار الكريمة في هذه المنطقة ولم تجد شيئاً. وفي العام ١٩٧٥ أخبر أحد مديري دي بيرس ريس توي انه على استعداد لالتهام كل الالماس الذي يجده أي انسان في منطقة كيمبرلي الاوسترالية.

ويظهر الالماس في صخرة بركانية تسمى "كمبرليت" تكونت في صهر عمقي ووصلت الى سطح الارض في "أنابيب" دقيقة يصعب رصدها. وحتى في حال اكتشاف الانبوب فالترجيح بوجود الالماس هو ٥٠ الى ١.

واذ يتحلل الكمبرليت يحمل الماء حبيباته المعدنية. فاذا كانت حصباء مجرى الجدول غنية بمؤشرات معينة هي العقيق الاحمر والبيكروالمنيت وديوبسيد الكروم، فهذا يعني أن الجدول مر بالكمبرليت في مكان ما. وانطلاقاً من جدول كهذا يصبح التفتيش عن أنابيب محملة بالالماس أسهل قليلا. وأثناء فصل الجفاف في غرب أوستراليا تنكشف ألوف الكيلومترات من قيعان الانهر للمنقبين الذين يفتشون عن عينات. ويجب أن يكون جامع العينات مثابراً وشديد التدقيق وأن يستحوذ عليه عشق التنقيب. مورين مثلا كانت قادرة على أن تستعيد في ذاكرتها ألوف المواقع التي زارتها أثناء بحثها عن الالماس.

اللقية الجديدة – وصلت أكياس عيّنات جدول الدخان الى مختبر في مدينة بيرث في منتصف أغسطس (آب). وفي آخر ذلك الشهر جلست مورين وجون واجمين في مكتب كونزنك ريوتينتو أوستراليا في شمال غرب كيمبرلي. وكانت مورين على وشك العودة الى بيرث استعداداً للوضع. ودلت الظواهر على

أنهما لم يجدا شيئاً. ثم جاءهما تلكس: هناك الماس في حصى جدول الدخان.

في الاسابيع التالية تتبّعت فرق أخرى أثر الالماس انطلاقاً من منطقة تنقيب مورين وعبر مسافة ١٥ كيلومتراً الى منبع الجدول. وعثر على الالماس هناك بكمية مذهلة.

في ذلك الوقت بلغ الانتاج العالمي للالماس نحو ٥٠ مليون قيراط سنوياً، ٢٨ مليوناً منها جاءت من افريقيا و١١ مليوناً من الاتحاد السوفييتي والبقية من البرازيل وفنزويلا وغيانيا والهند واندونيسيا. وثمة من يعتبر ان في الامكان استخراج ٢٥ مليون قيراط سنوياً من جدول الدخان ولمدة ٢٠ سنة على الاقل.

ويقول جون ماكلود كبير اقتصاديي كونزنك ريوتينتو أوستراليا: "من غير الممكن واقعياً التفكير في أي سلعة أساسية تغيِّر انتاجها بنسبة ٤٠ في المئة دفعة واحدة."

أما بالنسبة الى دي بيرس فلقيّة جدول الدخان بدت تهديداً اضافيا للارباح المتقلصة في سوق راكدة. وكان سيسيل رودس انشأ دي بيرس من طريق شراء الانتاج وضم مناجم كيمبرلي في جنوب افريقيا الى مؤسسة احتكارية اواخر القرن التاسع عشر. ودافعت عائلة اوبنهايمر التي تدير دي بيرس عن تقاليد رودس. وفي العام ١٩٣٤ أسس السير ارنست اوبنهايمر مؤسسة البيع المركزية التي تسيطر اليوم على نحو ٨٠ في المئة من السوق العالمية لحجار الالماس الرفيعة النوعية، وتحدد حجم العرض من اجل تأمين استقرار الاسعار.

وخشيت مجموعة دي بيرس هبوط قدرتها على ضبط أسعار الالماس حين تناهت اليها الاشاعات عن اللقية الجديدة. وراح السياسيون والصحافيون يتساءلون هل مصلحة أوستراليا مضمونة أكثر بمؤسسات أوسترالية صغيرة تنمي حقل الالماس الجديد بدلا من شركات تعدين عالمية.

الكل أو لا شيء – نشبت معركة الحق في تعدين جدول الدخان على خطين: الاول في الميدان مع خصم هو شركة تنقب في منطقة تدعي كونزنك ريوتينتو اوستراليا ملكيتها، والثاني في المحاكم. لكن المشروع المشترك وجد صديقاً في السير تشارلز كورت رئيس وزراء أوستراليا آنذاك. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١ بعد مضي ستة أسابيع على اصدار المذكرات الرسمية لجلسة المحكمة العليا التي ستفصل في قضية الخصومة على جدول الدخان، أصدرت حكومة السير تشارلز تشريعاً رسّخت فيه صلاحية جميع ادعاءات المشروع المشترك.

وكان لمجموعة دي بيرس نفوذ لدى أعضاء الاتحاد الممول باستثناء شركة التعدين الشمالية. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨١ عندما اقترحت كونزنك ريوتينتو اوستراليا أن يباع جميع ألماس أوستراليا الغربية من خلال دي بيرس، وهي صفقة كان يرجى أن تحقق حتى العام ٢٠٠٠ أرباحاً لا تقل عن ٣،٥ مليارات دولار بالسعر الحالي للالماس، اعترض ريس بشدّة.

ومع نمو الخصام أصبح واضحاً أن على دي بيرس أن تقدم تنازلات لم يسبق لها مثيل. وفي فبراير (شباط) ١٩٨٢ اعترف رئيس مجلس ادارة دي بيرس هاري أوبنهايمر بان الاتفاق مع الاتحاد الممول "سيتخذ شكلا مختلفاً عن الاتفاقات مع الآخرين." كما ثبت أن أحسن تدبير يمكن أن تقوم به دي بيرس هو شراء معظم حصة الاتحاد في الحجار الكريمة ذات النوعية الممتازة والتي تراوح بين خمسة وعشرة في المئة من الانتاج، وثلاثة أرباع محصول "الجواهر الرخيصة" (بين ٣٠ و٤٠ في المئة) والالماس الصناعي. أما البقية فتسوّق مباشرة.

وسيعاد النظر في الصفقة عام ١٩٩٠ في وقت تكون أوستراليا عرفت الكثير عن الالماس.

سلم ريس توي شركة التعدين الشمالية الى مجموعة "بوند" وهي اتحاد مختلط في غرب أوستراليا. وقد اعلنت أنها ستبيع حصتها في الالماس التي تبلغ خمسة في المئة على نحو حر بواسطة عميل من انتورب ببلجيكا. وهكذا وصلت حرب الالماس الى نوع من هدنة، لكن تهديد دي بيرس "الكل أو لا شيء" في سياسة البيع يبقى له مدلوله.

وكانت مورين ماغريدج وضعت طفلها في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٩ عندما تلقت اتصالا هاتفياً من كونزنك ريوتينتو اوستراليا تسأل عن اسم الطفل.

"نيقولاس،" قالت مورين.

وهكذا سمي مخيم التنقيب في جدول الدخان "مخيم نيقولاس".

بروس بيج ■



ممرضة قيد التمرين

تتدرب طالبات التمريض على ترديد ما يقوله المرضى للتأكد من أنهن سمعن ما قالوه. وفي دار للعجزة كانت احداهن تعنى بامرأة هرمة قالت لها: "أشعر أني لست على ما يرام."

فسألتها الممرضة: "تشعرين أنك لست على ما يرام؟"

– لست قادرة على الاكل كثيراً.

"أنت لا تأكلين كثيراً؟"

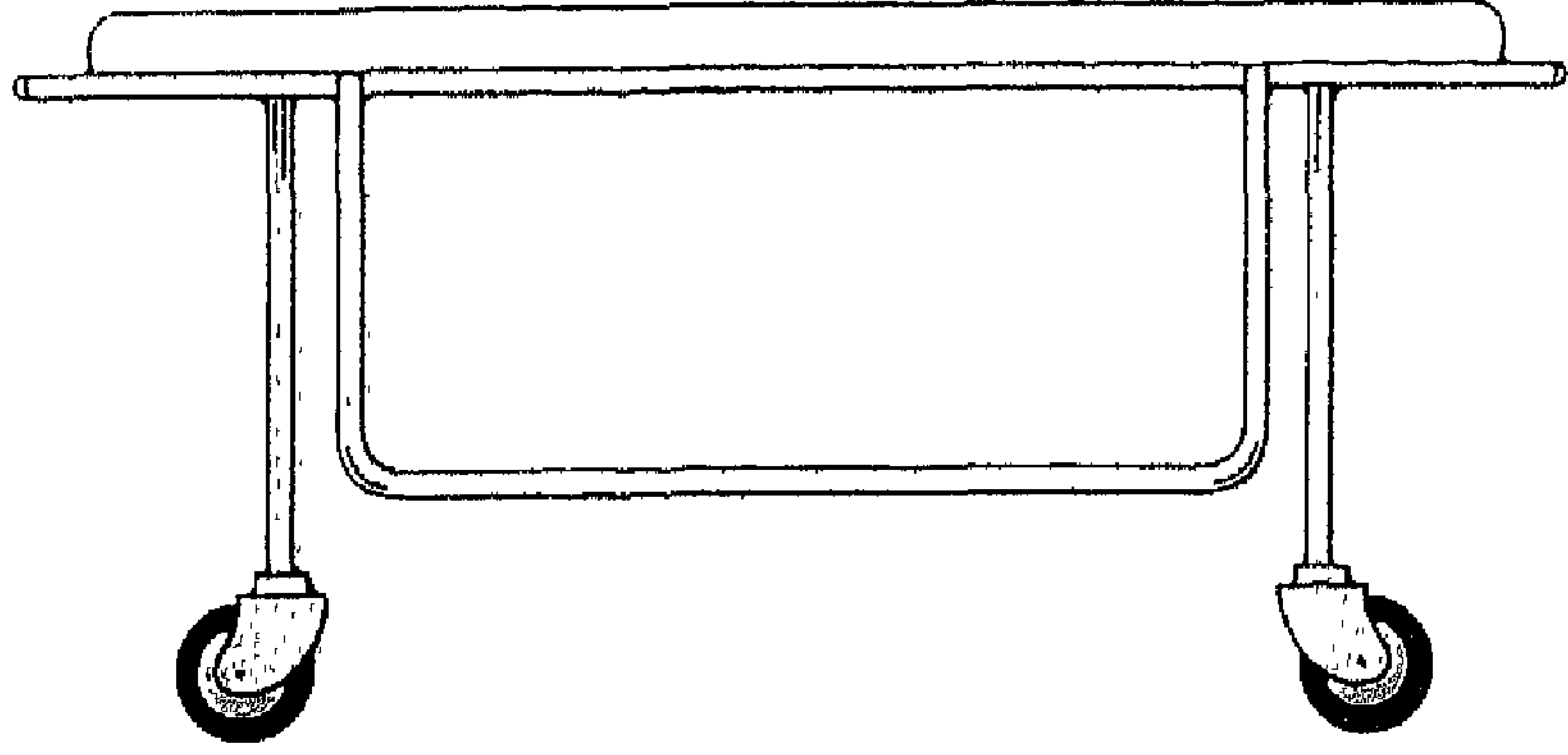
– وأتعب بسرعة.

"تتعبين بسرعة؟"

وهنا قالت المرأة الهرمة: "يبدو يا حبيبتي أننا كلتينا نعاني المشكلة عينها: سمعنا ضعيف."

ب.ك.

عش حياة لا تضطرك الى اخفاء مذكراتك. ر.ا.



منع الحمل

ابتكر العلماء آلة صغيرة لمنع الحمل تزرع تحت الجلد ويدوم مفعولها خمس سنوات. والآلة اسمها "نوربلانت" وقد تم صنعها في فنلندا.

ويُقدَّر أن تكون هذه الآلة ذات فائدة جمّة في بلدان العالم الثالث. وسيجري استخدامها في حال النسوة اللواتي تجاوَزنَ الثلاثين وأشار عليهنّ الأطبّاء بوقف حبوب منع الحمل فيما يرفضنَ الخضوع للتعقيم.

والآلة مكونة من ستة أنابيب صغيرة متساوية الحجم وقد مُلئت بكميات اصطناعية من البروجستين، وهو هورمون موجود في الكثير من حبوب منع الحمل. ويتم إقحام هذه الأنابيب تحت الجلد في أعلى الذراع على نحو غير مرئي ولا يعرقل حركة الذراع. وهي تعتق الهورمون باستمرار، الأمر الذي يمنع الاباضة في نصف الدورات الشهريّة. كما انه يكثّف المخاط في عنق الرحم، وهذا يعوق انسياب المني في طريقه. المعتادة ويوقف النمو الشهري للأنسجة في بطانة الرحم فلا تغذّي البييضة اذا تمّ تلقيحها. وبما أن الجرعة اليومية من البروجستين ضئيلة ولا تحوي مادّة الاستروجين، فانّ هذه الطريقة خالية من أخطار بعض الحبوب من حيث إحداثها السكتات الدماغية والجلطات الدموية.

مجلة "نيوزويك"

منافع اللبن

اللبن الرائب العادي يمكن أن يكون مصدراً حسناً للبروتيين وسواه من المغذيات بالنسبة الى ملايين البالغين في العالم الذين لا يستطيعون شرب الحليب.

ومعظم البالغين في العالم، باستثناء سكان أوروبا الشمالية، لا يتحملون الحليب لأنه يولد ألماً في أمعائهم. وقد بينت الدراسة أن اللبن يمد اولئك البالغين بخميرة تساعد على الهضم وتسهل انحلال مادة اللاكتوز السكرية التي يحتوي عليها الطعام. وأجسام الاطفال تنتج هذه الخميرة التي تمكنهم من هضم الحليب حسناً. الا أن ثلاثة أرباع البالغين في العالم يفتقرون اليها.

وكالة "اسوشيتدس برس"

الفيتامين "ج" والسرطان

في مطلع السبعينات أطلق الكيميائي لينوس باولينغ رأياً مؤدّاه أن الجرعات الكبيرة من الفيتامين "ج" (C) قد تساعد في شفاء السرطان. وأجريت التجارب آنذاك في اسكوتلندا لاختبار صحة هذه النظرية. وتبيّن أن المرضى الذين عولجوا بالفيتامين "ج" طالت حياتهم على نحو ملحوظ.

الا أن الباحثين في عيادة مايو الشهيرة في ولاية مينيسوتا الأمريكية أثبتوا بطلان هذه النظرية، ونشروا نتائج دراستهم الحديثة في "مجلة نيو انغلاند للطب." وهم تابعوا مجموعتين من المرضى أعطيت الاخرى جرعات وهمية. ولكن لا الأطبّاء ولا المرضى عرفوا من الذي تناول العقّار الحقيقي ومن الذي تناول العقار الوهمي. ويقول الدكتور تشارلز مورتل أحد كاتبي التقرير ان هذه الطريقة "تلغي التحيز المقصود أو غير المقصود من أذهان الباحثين."

وكانت عيادة مايو أنجزت اختباراً عام ١٩٧٩ بيّنت فيه أن لا أثر للفيتامين "ج" في علاج السرطان. لكن باولينغ ارتأى إعادة الاختبار لأنّ بعض المرضى الذين خضعوا له تلقّوا العلاج الكيميائي الذي يُضعِف جهاز المناعة.

وهكذا أقدمت العيادة على اختبار جديد اقتصر على المرضى المصابين بحالات متقدمة من سرطان المعي الغليظ الذين لم يخضعوا لأيّ علاج بالموادّ الكيميائيّة. وهي مجموعة مشابهة لمجموعة الاختبار الاسكوتلندي. ووجد الباحثون في عيادة مايو أن نسبة التعمير واحدة بين الذين تناولوا الفيتامين "ج" وأولئك الذين أعطوا العقّار الوهمي. والواقع أن ثمّة ارتفاعاً ضئيلا في نسبة المعمّرين الذين تناولوا العقار. وربما كان هذا الارتفاع من قبيل المصادفة. ويخلص باولينغ الى القول إنّ نتائج دراسة عيادة مايو لا تبطل نتائج الدراسة الاسكوتلنديّة، إذ ان مرضى الدراسة الأمريكية أعطوا الفيتامين "ج" خلال شهرين ونصف شهر، في حين تناوله مرضى الدراسة الاخرى طوال حياتهم. الا أن الباحثين في عيادة مايو على قناعة تامّة بأنّ الفيتامين "ج" ليس علاجاً للسرطان.

مجلة "أخبار العلم"

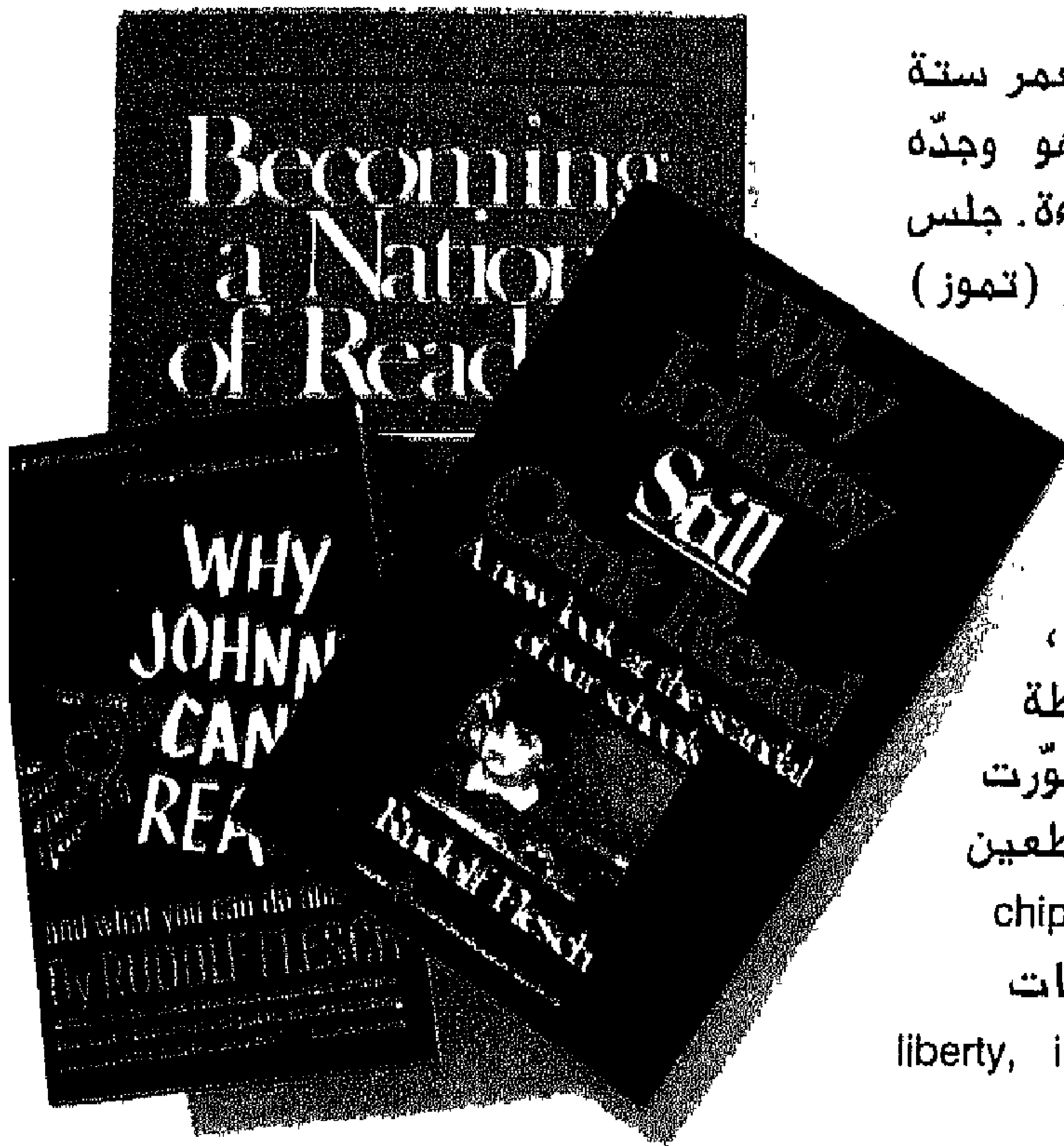
الطب المنزلي

أظهرت الاختبارات التي أجريت على برنامج أمريكي حديث للعناية الصحية الذاتية أن من الممكن معالجة بعض الأمراض الثانوية في البيت وبالتالي خفض التكاليف الطبية الباهظة. وفي مجلة الاتحاد الطبي الأمريكي يخبرنا الدكتور دونالد فيكيري أستاذ الطب العيادي في جامعة جورجتاون في واشنطن كيف ان ١٦٢٥ عضواً في جمعية للرعاية الصحية الذاتية اشتركوا في برنامج تعليمي دام سنةً كاملة. وقسمت المجموعة فئتين، دُرّبت احداهما على مبادىء الطب العائلي بمساعدة الكتب والمناشير والخدمات الطبية الهاتفية، فيما لم تتلقّ الفئة الاخرى أي تدريب من هذا النوع. وجاءت النتيجة أن زيارة أفراد الفئة الاولى للأطباء تدنت بنسبة ١٧ في المئة، مع ما يستتبع ذلك من انخفاض في التكاليف الطبية.

اذاعة "وستنغهاوس"

يبين الامور التي يخجل بها الامريكي أن في بلاده ٢٧ مليون أمي! ويعزو بعض المربين هذه الظاهرة الى الاسلوب في تعليم اللغة الانكليزية والذي يعرف باسم "أنظر وانطق" ويقترح بديلا منه نظام "الاصوات أولا" الذي يقوم على العودة الى الابجدية. هل تفيد من هذا الاسلوب الدول العربية التي تعتبر الانكليزية اللغة الثانية فيها، علماً أن العربية هي أصلا لغة صوتية.

هل جرّبتم الأسلوبَ الصّوْتي في تعليم الإنكليزية؟



بعدما أنهى لوك البالغ من العمر ستة أعوام صفوف الروضة، باشر هو وجدّه مشروعاً صيفياً: تعليم لوك القراءة. جلس الاثنان ذات صباح من شهر يوليو (تموز) وأمامهما لائحة بالكلمات التي تتألف منها الدروس الاثنان والسبعون الاولى. وسرعان ما تعلّم لوك كيف يلفظ خمسة احرف صوتية و١٧ حرفاً ساكناً، ومن ثم بدأ يقرأ كلمات بسيطة مثل: jam, nip, wag, hop . وتطوّرت اللوائح لتشمل كلمات من مقطعين أو أكثر مثل: chipmunk, kangaroo, snowball . وأخيراً تناولت كلمات طويلة مثل: liberty, independence, blueberries.

بعد ستة أسابيع استطاع لوك وهو في

مطعم مع العائلة أن يقرأ ورقة الحظ التي ترفق بقطع الحلوى للاطفال وعليها الجملة الآتية: "التخطيط الصحيح يعود بفوائد جمّة."

كيف استطاع لوك أن يتعلم القراءة بهذه السرعة؟

لقد استعان جدّه بالطريقة التي لا تخطيء لتعليم القراءة والمرتكزة على رمز الابجدية (١). فجميع الكلمات في اللغة الانكليزية، الا استثناءات قليلة، تنطبق تهجئتها على هذا الرمز الذي يتألف من أقل من ٢٠٠ حرف أو مجموعة حروف وكل منها يمثل واحداً أو أكثر من ٤٤ صوتاً في اللغة الانكليزية. وما ان يتعلّم التلميذ هذا الرمز حتى يصبح قادراً على القراءة.

جد لوك هو رودولف فليش رائد اصلاح أسلوب القراءة. ولا يزال كتابه الشهير "لماذا لا يجيد جوني القراءة" الذي نشر عام ١٩٥٥ يعاد طبعه حتى اليوم، وهو يحوي الدروس الاثنين والسبعين التي تعلمها لوك. وفي كتاب ملحق نشر عام ١٩٨١ بعنوان "لماذا لا يزال جوني عاجزاً عن القراءة كرر المؤلف فكرته لحل الازمة في مدارس الولايات المتحدة. واليوم تبنى تقرير رسمي أعد في وزارة التربية الامريكية الحاح فليش على وجوب تدريس الرمز الابجدي.

سيناريو للعالم الثالث – في كتابه الاول قال فليش: "ان أسلوب القراءة في الولايات المتحدة يتعارض مع كل منطق ومعقول." وأضاف موضحاً انه في الثلاثينات، من أجل وضع حد لما دعاه أحد الأساتذة "الجهد المضني" في المدارس، بدأ مدرسو اللغة في الولايات المتحدة يتخلّون عن الرمز الابجدي ويعلّمون الاطفال كيف يحدسون – ويتذكرون – معاني عشرات الالوف من الكلمات التي يرونها مطبوعة أمام أعينهم.

وأعلن فليش حديثاً: "ان ما أقترحه هو في منتهى البساطة: عودوا الى الابجدية. علموا التلاميذ الصغار الاصوات الاربعة والاربعين في اللغة الانكليزية وطريقة تهجئتها. وعندئذ يصبحون قادرين على لفظ كل كلمة في الصفحة سطراً بعد سطر." والاسلوب الذي دعا اليه أصبح يعرف بأسلوب "الاحرف الصوتية أولا".

يوضح فليش فكرته: "عندما تبدأ بالاحرف الصوتية، فأنت تعلم الطفل كيف يقرأ كلمة fish (سمكة) مثلا بتلقينه كيف يلفظ الحرف f ثم i ثم sh. بعد ذلك تطلب منه أن يمزج هذه الاصوات بحسب ترتيبها فيلفظ الكلمة fish . أما التعليم بطريقة "أنظر وأنطق" فبه تعطي الطفل صورة سمكة طبعت تحتها كلمة fish وتحضّه على تذكر هذه المجموعة من الاحرف التي تتركب منها الكلمة. وتكرر ذلك مرة بعد مرة آملا أن يتذكر الطفل شكل كلمة fish وما تعنيه. وتتبع الاسلوب نفسه لتلقينه ألوفاً من الكلمات."

يصرّ فليش على أن معظم ما في هذا الاسلوب ليس قراءة، بل حدس. ويقول: "ان ٩٠ في المئة من المدارس الامريكية لا تعلّم القراءة أبداً. توضع الكتب أمام التلاميذ ويطلب منهم أن يحدسوا كيف

---

(١) Alphabetic code

تقـرأ الكلمات المطبـوعة، او انهم ينتظرون حتى تقرأ المعلمة لهم." وهكذا تستمر القراءة بالحدس.

ويحمّل فليش أسلوب "أنظر وانطق" مسؤولية تفشّي الامية على نحو مخيف. ان ٢٧ مليون أمريكي هم أميون عملياً، و٤٥ مليوناً آخرين يحسنون القراءة بنسبة ضئيلة. ويزداد عدد البالغين العاجزين عن القراءة في الولايات المتحدة بنحـو مليونين و٣٠٠ ألف سنوياً. وعلى أساس هذه النسبة، يقول فليش، "ستنضم أمريكا بعد زمن قصير الى صفوف الدول ذات المستوى الثقافي المتدني مثل بنغلادش وهايتي وأوغندا."

الاحرف الصوتية اولا – أطلقت انتقادات فليش الصارمة فيضاً من الاتهامات من دعاة الوضع القائم الذين لا يزالون متمسكين بطريقة "أنظر وانطق". ونعته بعض الصحف بأنه دجال وجاهل ويشكل خطراً على الثقافة.

اما فليش الذي نال درجة دكتوراه من دار المعلمين في جامعة كولومبيا، فيرد ان منتقديه يتصرفون وكأن القارىء المبتدىء يتعلم لغة أجنبية. ويضيف: "لكن الابحاث الحرة أثبتت أن الطفل الامريكي العادي يأتي الى المدرسة وهو يجيد نطق ٢٤ ألف كلمة في لغته وسماعها ايضاً. وتعليم القراءة هو، ببساطة، تلقين الطفل نظاماً من الرموز يمثل اللغة التي يعرفها جيداً."

وذكر فليش في كتابه الاول: "منذ العام ١٥٠٠ قبل الميلاد، وحيثما استخدم نظام أبجدي للكتابة، ظلّ الناس يتعلمون القراءة بكل بساطة من طريق استظهار صوت كل حرف من حروفهم الابجدية، الا في أمريكا القرن العشرين. اننا طرحنا ٣٥٠٠ سنة من الحضارة."

الطريقة الحديثة "أنظر وانطق" بدأت لدى أساتذة التربية في جامعتي كولومبيا وشيكاغو. وهناك طوّرت سلسلة كتب "ديك وجين" (Dick and Jane) وسواها من سلاسل كتب القراءة "الاساسية". ويقول فليش: "زعمت هذه الكتب انها تجعل القراءة غير مرهقة أبداً للاطفال." واليوم تتبع ٩٠ في المئة من مدارس الولايات المتحدة طريقة "أنظر وانطق".

في غضون ٥٥ سنة انقضت على طريقة "أنظر وانطق" أجريت أبحاث عدة حول فاعليتها. وذكر فليش في كتابه الثاني: "أجرت ١٢٤ دراسة من هذه مقارنة بين طريقة "تعلم الاصوات أولا" وطريقة "أنظر وانطق"، ولم تثبت واحدة منها تفوق الطريقة الثانية."

"ها! لم أفهم" – تجاهلت الهيئات التعليمية القائمة أسلوب فليش، لكن حكومة الولايات المتحدة اهتمت له، فأقرت في تقرير أعد حديثاً بعنوان "لكي نصبح أمة من القرّاء" أن فرضيات فليش الأساسية صحيحة. وهذا التقرير الذي أعد باشراف وزارة التربية جاء نتيجة جهد استغرق سنتين للجنة من تسعة أعضاء في رئاسة ريتشارد آندرسن من جامعة ايلينوي عينت لدرس موضوع القراءة. وينصح التقرير بأن "يقدم مدرّسو القراءة الابتدائية تلقيناً للصوتيات مصمماً على نحو صحيح."

ويضيف التقرير ان معظم برامج تعليم القراءة يستخدم الصوتيات (phonics) على نحو عَرَضي. فيكتب المعلم على اللوح الاسود لائحة من الكلمات مثل: sand, soft, slip ويدع الصغار يكتشفون أنها كلها تبدأ بحرف «S» . عندئذ فقط يقال لهم ان الحرف «S» يمثل الصوت الذي يسمعونه في بداية هذه الكلمات. ويؤكد فليش ان مثل هذا "التحليل الصوتي" ليس تلقيناً صوتياً أبداً، فالتلاميذ يحفظون أشكال الكلمات sand, soft, slip قبل وقت طويل من تلقينهم سر صوت الـ «S» .

ينتقد فليش كذلك الافراط في استخدام الكلمات الشائعة التي لا تكتب كما تلفظ تماماً. والنتيجة أن كتب "أنظر وانطق" تعوق التلميذ عن ادراك الصلة التي قد يلاحظها الصغير بين الحروف وصوت الكلمة التي تؤلفها.

ويقدم نصاً انكليزياً من ثلاث جمل يحوي ١٧ كلمة (٢) لا تنطبق قواعد التهجئة على معظمها حين يقارن التلميذ كلمة بأخرى مشابهة لها شكلا ومختلفة لفظاً. فبحسب هذه القواعد ينبغي أن تلفظ have مثل save و come مثل home و said مثل maid و to مثل so و you مثل thou. ويقول ان التهجئة الشاذة لهذه الكلمات تمنع التلميذ من تعلّم الرمز الابجدي. وكلما رأى كلمة غير مألوفة لم يسبق أن حفظها، لا يسعه سوى أن يحدسها من مجمل النص." ويخلص فليش الى القول ان أمريكا أصبحت "أمة تتبع خللا مبرمجاً."

في كتاب "جوني" الاول فصل يبيّن مساوىء طريقة "أنظر وانطق" جاء فيه: "ان طفلا قرأ كلمة "أولاد" في بطاقة عرض مدرسية لكنه عجز عن قراءتها في كتاب، وهو أصرّ على انه لم يرَ هذه الكلمة من قبل. وحين عرضت عليه البطاقة وسئل كيف استطاع قراءة الكلمة عليها أجاب: عرفتها من هذه اللطخة على طرفها."

يؤكد فليش أن تطبيق الاسلوب الصوتي في التعليم يتيح للتلميذ أن يتعلّم القراءة في منتصف الصف الاول. ويزيد: "يجب ألا تكون ثمة "مستويات" في القراءة. وعندما يتعلم الطفل كيف يقرأ يبدأ القراءة. ولا يتعيّن عليه أن يقضي ساعات في رسم دوائر حول الحروف الصامتة في دفاتر التمرين."

ويشير تقرير اللجنة التي كلفت دراسة موضوع القراءة الى أن "التلاميذ الصغار يدركون غالباً عدم جدوى ملء دفاتر التمارين صفحة بعد صفحة. وقال أحدهم: "ها! لم أفهم المطلوب. لكنني أكملت التمرين."

قصص نجاح – تحقق صناعة كتب القراءة الاساسية في الولايات المتحدة عائدات تصل الى ٣٠٠ مليون دولار سنوياً. والكلفة الاجمالية لنسخة واحدة من مواد القراءة للتلميذ الواحد في برنامج كامل قد تزيد على ٣٠٠ دولار. وجاء في تقرير اللجنة: "ان دور النشر الكبرى تستثمر ما يربو على ١٥ مليون دولار في انتاج برامج جديدة للقراءة

(٢) «We have come, Grandma,» said Ana. «We have come to work with you.»
«Come in,» Grandma said.

الاساسية." وقال التقرير: ان معظم هذه البرامج يبدأ في روضة الاطفال ويستمر حتى الصف الثامن. والبرنامج الكامل للقراءة الاساسية يقتضي كدسة من الكتب يبلغ ارتفاعها ١٢٥ سنتيمتراً.

بارقة الضوء وسط هذه الظلمة لاحت في روشستر بولاية نيويورك. ففي العام ١٩٧٤ أخذت مدارسها تسجل طلاباً يعانون مشاكل في القراءة بمعدل تجاوز قدرة المدرسين المتخصصين على حلها. وتقول احدى هؤلاء وهي ماري بوركهارد في مقدمتها لكتاب "لماذا لا يزال جوني عاجزاً عن القراءة": "المشكلة كانت أن تلاميذ الصف السادس ظلوا يحدسون في قراءة الكلمات." ونتيجة ذلك بقي الطلاب دون المستوى العام لهذا الصف.

في تلك السنة عين مجلس المدارس في روشستر السيدة بوركهارد مديرة لتعليم القراءة. وأدى هذا التعيين الى ادخال أسلوب "الاصوات أولا" على ٤٦ مدرسة ابتدائية. وتقول بوركهارد: "كان التغيير عسيراً. ورأت احدى المدرسات القديمات أننا نرتكب خطأ كبيراً. ولكن في غضون بضعة أشهر جاءت لتخبرني: انني درّست القراءة طوال عشرين سنة، لكن تلاميذ الصف الاول لم يسجلوا تقدماً كما في هذه السنة. كنت أحسب من قبل أني أدرّس القراءة حقاً."

بعد مضي خمس سنوات بلغ طلاب روشستر قدرات تخطت المستوى العام للصفوف الابتدائية. وبادرني أحد أصحاب المكتبات: "ان أولادنا في الصف الثاني اليوم يقرأون كما كان يقرأ تلاميذ الصف الخامس."

ويروي المسؤولون في مدارس مونت فرنون (نيويورك) وكوربوس كريستي (تكساس) وسكوتسدايل (آريزونا) وعدد من المدارس الرسمية في مدينة نيويورك قصص نجاح مماثلة. وتحولت مدارس أخرى في غراس فالي (كاليفورنيا) وبواز (ايداهو) وبيتسبرغ الى أسلوب "الاصوات أولا" متأثرة بقصص نجاحه.

لماذا لا يلغى أسلوب "أنظر وانطق" نهائياً ليحل محله أسلوب "الاصوات اولا"؟ يقول مايكل برونر أحد كبار المسؤولين في وزارة التربية الامريكية: "معظم أعضاء الهيئة التعليمية القائمة يرفضون، نظرياً وعملياً، المنحى الصوتي في تعليم القراءة. وكثيرون من الاساتذة الذين يؤلفون الكتب لا يزالون متمسكين بأسلوب أنظر وانطق."

ماذا يستطيع ولي الطالب أن يفعل؟

عليه أن يتحرى الاسلوب المطبق في مدرسة ولده ويطالب بتطبيق أسلوب "الاصوات أولا". وأفضل الطرق لمعرفة ما اذا كان الكتاب يعتمد الطريقة الصوتية هي أن يرى ما اذا كان الفصل الاول فيه يعالج الاحرف الصوتية وغير الصوتية، منفردة وفي كلمات.

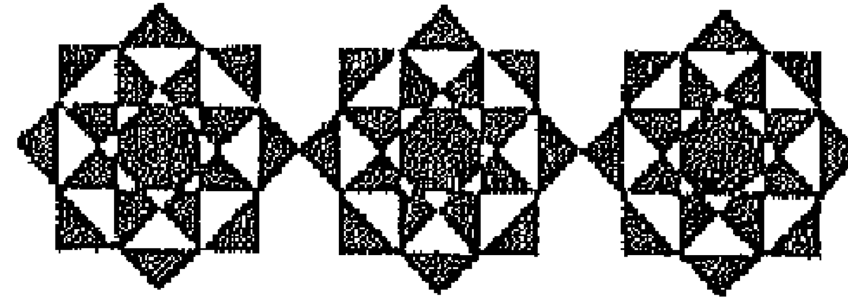
من بين أعز مكاسب معركة فليش التحارير التي ترده من أولياء طلاب يعبرون عن تقديرهم بعدما استعانوا بالدروس التي ذيل بها كتابه "لماذا لا يجيد جوني القراءة" وهي الدروس التي تلقاها لوك. وكتبت أم من لويسفيل بولاية كنتاكي ان ابنها ذا الاعوام التسعة كان عاجزاً عن تعلم القراءة واعتبر معاقاً. وأضافت: "استعنت بالتمارين التي

وضعتها. ولدى بلوغ دان الصف السادس أصبح في المستوى العام للصف ومتقدماً ثلاث سنوات في حفظ المفردات."

وكتب أب من نيوجرزي: "قبل ٢٠ سنة وقعت على كتابك "لماذا لا يجيد جوني القراءة" واستعنت به لتعليم أولادي الذين كانوا دون سن الالتحاق بالمدرسة.

واليك الآن تقريراً عن تقدمهم في العلم: سنثيا تخرجت في جامعة برنستون عام ١٩٨٠، فيليب تخرج في كولغايت عام ١٩٨٣، ادوارد تخرج في جامعة بوسطن عام ١٩٨٥، فريدريك سيتخرج في جامعة هارفرد عام ١٩٨٨. شكراً لك."

ادوارد زيغلر ■



طبيبة بيطرية

وعدتنا طالبة متخرجة في الطب البيطري، نحن الذين تقاسمنا واياها غرفة العمل والمختبر، بأنها ستذكرنا جميعاً في أطروحتها حيث تقر بفضل الذين عاونوها.

ولم تخلف الوعد. وجاءت الاطروحة المجلدة تشكر لنا تعريف الزميلة بالمعنى الحقيقي لكلمة «Pygalgia» . وسارعنا الى البحث في المعجم الطبي واكتشفنا أن هذه الكلمة تعني: "ألماً غير محدد في عضلات المؤخرة."

م.ج.

بريد القراء

يتلقى بريد القراء في الصحف الرائجة ملايين الرسائل من اناس يسعون الى اقامة علاقات يتقاسمون فيها مشاغلهم. ومنهم الممتنعون عن التدخين والمتحررون من قيود المجتمع ومحبو المسارح والاسفار والتمشي في الخلاء.

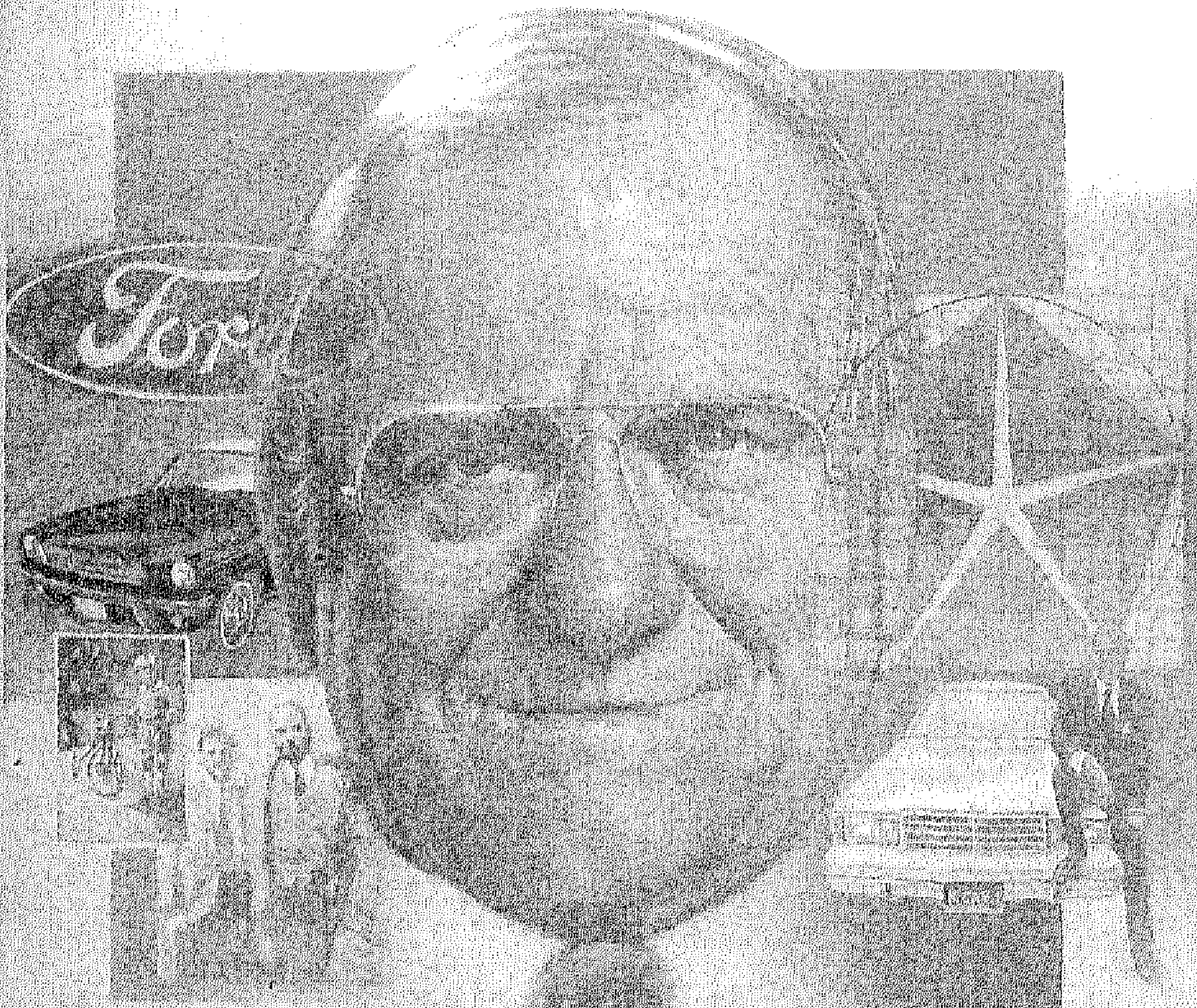
وعلى غرار البريطانية التي كتبت متسائلة عما اذا كانت تعيش على غير الكوكب الذي خلقت له، هناك أناس كثيرون غير واثقين من صحة وضعهم في هذا الكون. كثيرون يعتقدون ان "الافضل هو ما سيأتي به الغد،" على رغم وفرة الدلائل على نقيض ذلك.

الامريكيون يسارعون الى القول انهم يبدون أصغر سناً مما هم في الحقيقة. ولا يحاول أي منهم أن يعرّف بنفسه بتواضع امرأة انكليزية عمرها ٣٣ سنة قالت انها "امرأة عادية".

ان يكون المرء عادياً، بينما كل من حوله يتباهى بأنه نشط وذكي وحساس وجذاب، يعني ان هذا المرء هو غير عادي. ولهذا السبب نراهن على أن المرأة العادية هي التي تلقت رسائل للتعارف أكثر من جميع المراسلين الآخرين.

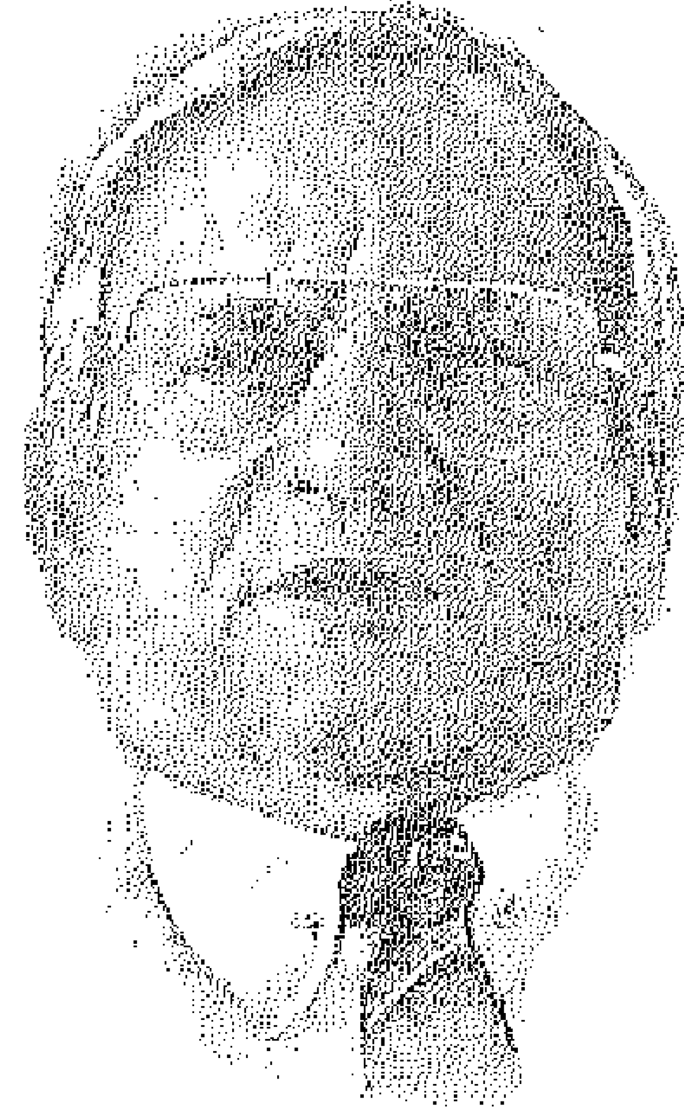
صحيفة "نيويورك تايمس"

كتاب الشهر



ياكوكا الإيطالي الآخر

ياكوكا



الأيطالي الآخر

رجل الأعمال لي ياكوكا، الايطالي الاصل، هو أسطورة، فقد تمكن هذا الرجل الذي يتسم بالصراحة وشدة المراس من إنقاذ شركة كرايزلر الامريكية من كارثة محققة. وها هو الآن يكشف في سيرته الذاتية أسراراً عن حياة حافلة بالكفاح والنجاح يتضح من خلالها أنه لم يكن فقط واحداً من أصلب الرؤساء الاداريين وأكثرهم فلاحاً بل كان أيضاً تجسيداً لحلم

لم أكن في صغري أختلف كثيراً عن سواي من أبناء المهاجرين، غير أني لم ألبث أن تدرّجت في حياتي لأصبح رئيس شركة فورد للسيارات. وعندما وصلت أخيراً إلى هذا المنصب أحسست أني بتّ في قمة هذا العالم. إلا أن القدر كان لي

بالمرصاد فخاطبني قائلا: "تريّث أيها الرجل، فقد آن الأوان كي تنزل من عليائك التي أنت فيها!"

في ١٣ يوليو (تموز) ١٩٧٨ طردت من شركة فورد بعدما امضيت في رئاستها ثماني سنوات وبقيت موظفاً فيها مدة ٣٢ سنة. والواقع أني لم اعمل قبلا في أي مكان آخر، وفجأة ألفيت نفسي عاطلا عن العمل فانتابني كرب شديد.

في ١٥ اكتوبر (تشرين الاول) الذي كان آخر يوم عمل لي في الشركة، أوصلني سائقي إلى "مركز فورد للعالم" في مدينة ديربورن (ولاية ميشغان). وقبل أن أغادر منزلي ذلك اليوم قبّلت زوجتي ماري وابنتيّ كاثي وليا اللواتي برّح بهنّ الألم في الأشهر الأخيرة التي أمضيتها لدى فورد. ثم خرجت وقد استبد بي الغضب فقلت في نفسي: إذا كنت أنا مسؤولاً عن مصيري فما ذنب ماري والفتاتين؟ ولا ريب في أن الألم الذي أصابهن لا يزال يرافقني الى اليوم.

والواقع أن "استقالتي" قضت بإعطائي حق استعمال أحد مكاتب الشركة إلى أن أحظى بعمل جديد. ولم يعدُ هذا المكتب أن يكون مستودعاً للبضائع يشبه المهجع ويحوي طاولة صغيرة وهاتفاً. وقد سبقتني اليه سكرتيرتي دوروثي كار التي كانت الدموع تترقرق في عينيها. ولم تنبس دوروثي بأي كلمة، لكنها أشارت الى أرض الغرفة المغطاة بمشمّع مهترىء وإلى فنجانَي القهوة الموضوعين على الطاولة. وبدا لي أنني أعيش في المنفى.

لقد كنا نعمل أنا ودوروثي قبل يوم واحد فقط في مكان بادي الفخامة إذ كان مكتب الرئيس يضاهي في حجمه جناحاً في فندق ضخم. وكان لي فيه حمام خاص وموضع أخلد فيه الى الراحة. وكان في المكتب أيضاً خدم بيض الثياب متأهبون لتنفيذ أوامري طوال النهار.

لا شك في أن المرء يواجه في حياته ألوفاً من الصعوبات الطفيفة، الا أنه يواجه أيضاً صعوبات كبيرة حقاً هي في الواقع لحظات حساب أو ساعات مواجهة الحقيقة، وعلمت أنه مرّت عليّ آنذاك لحظات مماثلة. فهل أتخلى عن مهنتي وأتقاعد؟ الحق أني كنت في الرابعة والخمسين وتمكنت من تحقيق إنجازات كبيرة. ولم تكن لدي أي مشكلة من الناحية المالية إذ كان في وسعي أن أترك العمل وأنصرف إلى لعب "الغولف" بقية حياتي. غير أني أحسست أن هذا الخيار لم يكن صحيحاً وعلمت أنّ عليّ ان استجمع قواي وأتابع طريقي.

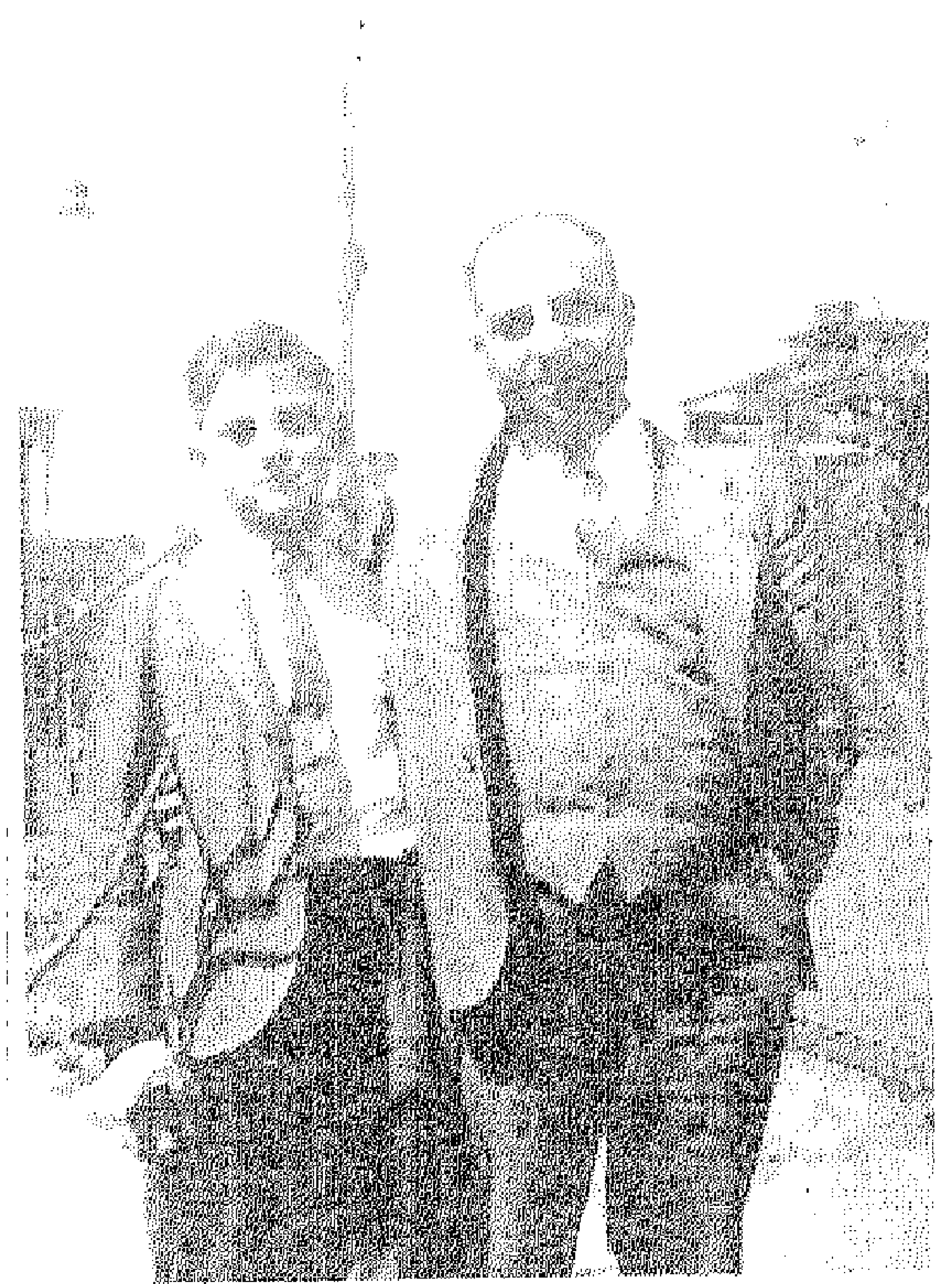
لقد كان في مقدوري أن أتحمل الألم الشخصي، إلا أني كنت عاجزاً عن تحمل الاهانة التي وجهت إليّ عمداً أمام الملأ. فحنقت أشد الحنق ووجدت أنّ عليّ اختيار أحد أمرين، أولهما أن أنتقم من نفسي وأصل إلى ما لا تحمد عقباه، وثانيهما أن أزوّد نفسي جزءاً من تلك الحيوية وأحاول إنجاز عمل بنّاء.

والواقع ان ذلك الصباح الذي أمضيته في المستودع حداني على قبول منصب رئاسة شركة كرايزلر بعد أسابيع معدودة. وبدا أني كنت كمن يستجير من الرمضاء بالنار، لكني غدوت اليوم بطلاً بعدما تمكنت من التغلب على محنتي بقوة

عزيمتي وحسن حظي ومساعدة طائفة من ذوي النفوس الطيبة. وسأشرع الآن في رواية قصتي.

سوف تشرق الشمس

عندما وصل والدي نيكولا ياكوكا إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٢ كان لا يزال فتى في الثانية عشرة تبدو عليه أمارات الفقر والوحدة والخوف. وكثيراً ما كان يقول إن الأمر الوحيد الذي كان يعلمه يقينا لدى وصوله هو أن الأرض كروية. ولم



مع أبي عام ١٩٣٤

يكن من سبب في ذلك سوى أن فتى إيطالياً آخر يدعى كريستوفر كولمبوس كان سبقه الى أمريكا بنحو اربعمئة وعشرة أعوام. وفيما كانت السفينة تدخل ميناء نيويورك وقع نظره على تمثال الحرية الذي يعتبره ملايين من المهاجرين رمزاً للأمل عظيماً. وكان نيكولا يرى أنّ أمريكا هي بلد الحرية وأنّ المرء يمكنه أن يحقق فيها ما يشاء إذا عقد العزم على تحقيقه وعمل جاداً في هذا السبيل.

كان هذا هو الدرس الوحيد الذي علّمنا إياه والدي. وأرجو أن أكون وفقت إلى الاقتداء به.

لقد ترعرعت في ألنتاون (ولاية بنسيلفانيا) وتبين لي أن العلاقة بين أفراد أسرتي وثيقة جداً حتى إنني كنت أحسّ أحياناً أننا شخص واحد مكوّن من أربعة أجزاء. وكان والداي يدأبان عليِ أن يجعلاني ويجعلا أختي دلما نُحس بأهميتنا وبمكانتنا الخاصة لديهما. ولم يكن انهماك والدي في شؤون أخرى كثيرة يحول البتة دون أن يمنحنا جزءاً من وقته. أما والدتي أنطوانيت فلم تكن تدّخر أي جهد كي تطبخ لنا الطعام الذي نشتهيه. وكان والداي، على غرار سواهما من الايطاليين، يبديان عاطفتهما أمام الناس ولا يقتصران على إظهارها في المنزل. وكنت أَلْحَظ أن معظم أصدقائي لا يعانقون آباءهم. وأظن أنهم كانوا يخشون أن يُعدّ ذلك لوناً من ألوان الضعف وعدم الاستقلال. أما أنا فلم أكن أدع فرصة تفوتني كي أهبّ إلى معانقة والدي، وكنت أشعر أن هذا أمر طبيعي جداً.

وربما كان والدي مسؤولاً عن نزوعي إلى التجارة. وأذكر أنه كان يملك في إحدى الفترات دارين للسينما. وقد أخبرني بعض سكان ألنتاون القدامى أن والدي

كان ماهراً جداً في الترويج لأفلامه بحيث كان الاولاد الذين يحضرون لمشاهدتها بعد ظهر السبت يتمتعون بعروضه الخاصة أكثر مما يتمتعون بالأفلام التي يشاهدونها. ولا يزال الناس يتحدثون بأنه أعلن مرة أن الاولاد العشرة الذين يبزّون أترابهم في اتساخ وجوههم سيشاهدون الفيلم مجاناً.

وفي ما يتصل بوضعنا الاقتصادي فقد مرّت على أسرتي أوقات فرج وأوقات شدة. ففي العشرينات كنا في حال حسنة نحن وكثيرون من الأمريكيين، بل إنه مرت علينا سنوات كنا نعدّ فيها من الموسرين. إلا أن مرحلة الانهيار الاقتصادي لم تلبث أن أطلّت وتركت في نفوس الذين عايشوها آثاراً لا تمحى. وفي تلك الفترة خسر والدي ماله جميعاً وكدنا نفقد منزلنا. وأذكر أني سألت مرة أختي التي تكبرني ببضع سنوات إذا كان علينا أن نتخلى عن ذلك المنزل وكيف يمكننا العثور على منزل آخر. وعلى رغم أني كنت في السادسة أو السابعة آنذاك فإن الخوف من المستقبل لم يفارقني إلى الآن.

وفي تلك السنوات العسيرة بدت والدتي واسعة الحيلة وأظهرت أنها أم مهاجرة حقاً وأنها عمود الأسرة الفقري. وكثيراً ما كان طعامنا يقتصر على حساء العظام الرخيص، لكننا كنا نجد دائماً كفايتنا من الطعام. وحين أخذ الانهيار الاقتصادي في الازدياد بدأت والدتي تخيط القمصان في مصنع للحرير. واللافت أنها كانت تؤدي عملها هذا وسواه من الأعمال التي تضطر إلى تأديتها برضا.

ومن الواضح أن إيماننا بالله كان خير معين لنا في تلك المرحلة.

وكانت فكرة والدي المأثورة هي أنّ في الحياة يسراً وعسراً وأنّ على كل امرىء أن ينال نصيبه من البؤس والشقاء. وكثيراً ما كان يقول لي حين يجدني مضطرباً في أثر إحساسي بالخيبة: "عليك أن ترضى بمقدار من الحزن في هذه الحياة لأنك لن تعرف حقاً معنى السعادة إذا لم يكن لديك ما تقارنه بها." وفي الوقت نفسه كان يكره أن يرانا متكدرين فيقول لي عندما تبدو الأشياء قاتمة: "كل ما عليك أن تفعله هو الانتظار، فالشمس ستشرق لأن هذا دأبها."

وعندما علمت أننا من أصل إيطالي كنت جاوزت الحادية عشرة من عمري. وكل ما كنت أعلمه قبل ذلك هو أننا ننتمي إلى بلد حقيقي من دون أن أعرف اسمه أو حتى موقعه.

والواقع أن الايطاليين كانوا يحاولون في تلك الحقبة إخفاء حقيقة أصلهم إذ كان معظم سكان ألنتاون من أصل ألماني. وقد عانيت في طفولتي الظلم وسوء المعاملة من هؤلاء السكان لأنني كنت مختلفاً عنهم.

وأذكر أنني لم أكن في صفي الضحية الوحيدة لهذا التعصب الأعمى بل شاركني في تحمل الجور تلميذان آخران.

والصحيح أن ما كابدته في صغري من جراء هذا التعصب ترك في نفسي أثراً لا يزول. ومن سوء الحظ أني شهدت ألواناً منه حتى بعد مغادرتي ألنتاون. وهو لم يبدر هذه المرة من تلاميذ في المدرسة بل بدر من رجال ذوي مناصب كبيرة وسلطة

عالية ومكانة مرموقة في ميدان صناعة السيارات.

على أن حياتي في المدرسة كانت في ما عدا ذلك سعيدة جداً. وكان أهم ما تعلمته فيها أن أحسن التعبير عن نفسي وأجيد الاتصال بالآخرين. وقد كانت الآنسة رابر، أي معلمتنا في الصف الأول التكميلي، تطلب منا أن نقدم اليها صباح كل اثنين موضوعاً من خمسمئة كلمة. وفي الصف كانت تمتحن مقدرتنا اللغوية من خلال مجلة "ريدرز دايجست" فتعمد إلى الصفحة الخاصة بالمفردات(★) وتنزعها من المجلة وتطلب منا الاجابة عن الأسئلة المطروحة فيها من دون إنذار سابق.

في طريق الصعود

في شهر أغسطس (آب) ١٩٤٦ بدأت أعمل في شركة فورد كمهندس متمرن بعدما حزت شهادات في الهندسة من جامعتي لهاي (ولاية بنسيلفانيا) وبرنستون (ولاية نيو جرزي). وكان برنامجنا في الشركة يكوّن حلقة كاملة إذ كان على المتمرنين أن يمضوا وقتاً كافياً في التدرب على كل مرحلة من مراحل صناعة السيارة. وأذكر أني أنفقت أربعة أسابيع في الطور النهائي الذي تجمع فيه أجزاء السيارة. واتفق أن حضر والداي يوماً لزيارتي، وعندما شاهدني أبي في ثوب العمل ابتسم قائلا: "لقد أمضيت سبعة عشر عاماً في الدراسة، فانظر كيف يكون مصير الأغبياء الذين لا يتفوقون على أقرانهم في الصف."

بعد تسعة أشهر على التحاقي بهذا البرنامج قررت التوقف عن متابعة الهندسة وبتّ أتشوق إلى العمل في ميدان أشد إثارة أي في التسويق والمبيعات. وعرفت أني أفضل العمل مع الناس على العمل مع الآلات الصماء. ولم ألبث أن تركت البرنامج والتحقت بوظيفة في قسم المبيعات في شستر (ولاية بنسيلفانيا). وقد كنت خجولاً تعوزني اللباقة آنذاك وكان يبدو عليّ الاضطراب كلما أمسكت سماعة الهاتف.

ويرى بعض الناس أن البائعين الناجحين يولدون كذلك لأن البراعة في البيع موهبة وليست علماً. غير أني كنت أفتقر إلى تلك الموهبة الفطرية وكان معظم زملائي يبدون أكثر راحة وانفتاحاً مني. وفي السنتين الاوليين اللتين صرفتهما في عملي الجديد كان يغلب عليّ التفكير النظريّ والتكلف. والواقع أن تعلم مهارات البيع يحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير، وهذا أمر يفوت ادراكه عدداً من الشباب. فهم يتطلعون بإعجاب مثلا إلى رجل أعمال ناجح من دون أن يفكروا في الأخطاء التي ربما كان ارتكبها في شبابه. فالأخطاء جزء من الحياة وتحاشيها ليس ممكناً. وكل ما نستطيعه في هذا المقام هو أن نأمل في أن تكون كلفة هذه الأخطاء غير باهظة وألا نكرّر الخطأ الذي نرتكبه.

لقد تعرفت أثناء عملي في شستر إلى رجل فذّ يدعى شارلي بيشام ترك في حياتي أثراً عميقاً لا يفوقه سوى الأثر الذي تركه والدي. وكان هذا الرجل أولاً بارزاً يرجع أصله إلى الجنوب ويشغل في

(★) ما يوازي "دائرة المعارف" في "المختار".

شركة فورد منصب مدير عام لمنطقة الساحل الشرقي. وقد بدأ شارلي حياته المهنية مهندساً متمرناً مثلي ثم انتقل إلى مجال المبيعات والتسويق. ولم أعرف في حياتي المهنية رئيساً يضاهيه إخلاصاً في إسداء النصائح إلى الموظفين. فهو كان يرضى بأن يرتكب الموظف أخطاء بشرط أن يتحمل مسؤوليتها. وكان يقول في هذا الصدد: "تذكروا دائماً أن كل إنسان يرتكب أخطاء، لكن المشكلة هي أن معظم الناس لا يتحملون مسؤولية أخطائهم. فعندما يرتكب شخص ما خطأ يحاول أن يلقي اللوم على زوجته أو خليلته أو أولاده أو كلبه أو الطقس لكنه لا يلقيه أبداً على نفسه. فإذا ارتكب أحدكم خطأ فأرجو ألّا يقدم إليّ أعذاراً وآمل في أن ينظر إلى نفسه في المرآة أولا قبل أن يأتي إليّ."

عام ١٩٥٣ أصبحت مساعداً لمدير المبيعات في منطقة فيلادلفيا. وفي ١٩٥٦ قررت شركة فورد التركيز على ضمان السلامة في صناعة السيارات بدلا من التركيز على السّرعة وقوة المحرك.

إلا أن الحملة الاعلامية التي تبعت هذا القرار أخفقت في الترويج للسيارات المصنوعة على أساسه وتدنت نسبة البيع على نحو واضح وعرفت منطقتنا أدنى نسبة في البلد كله، فقررت أن أتيح للزبون فرصة الحصول على سيارة فورد جديدة من صنع عام ١٩٥٦ في مقابل أن يدفع عشرين في المئة من ثمنها على أن يدفع ٥٦ دولاراً شهرياً في السنوات الثلاث التالية. وكان تقسيط ثمن السيارة على هذا النحو في متناول كل شخص تقريباً فأملت في أن يحقق هذا العرض في منطقتنا زيادة في المبيعات ودعوت فكرتي "٥٦ في مقابل ٥٦."

في ذلك الوقت باتت فكرة التمويل لشراء سيارات جديدة أكثر انتشاراً وراجت سيارات فورد في منطقتي رواجاً كبيراً. وفي خلال ثلاثة أشهر فقط غدت نسبة المبيع في منطقتي أعلى منها في أي منطقة أخرى. وفي ديربورن (ولاية ميشغان) ابدى روبرت س. ماكنمارا (الذي كان نائباً لرئيس شركة فورد بالوكالة وأصبح وزيراً للدفاع في عهد الرئيس جون كينيدي) اعجابه بالخطة التي اعتمدتها وجعلها جزءاً من استراتيجية التسويق القومية في الشركة. وتبين له في ما بعد أنها كانت صاحبة الفضل في بيع ٧٥ ألف سيارة إضافية.

وهكذا حققت النجاح ما بين غمضة عين والتفاتتها بعدما أنفقت عشر سنين في الاستعداد لهذه اللحظة. وفجأة شاع ذكري في الشركة وباتوا يتحدثون عني في المراكز القومية. ولم ألبث أن أصبحت مدير منطقة واشنطن العاصمة.

ولم يمض وقت طويل حتى تزوجت ماري ماك كليري التي كانت موظفة لاستقبال الزبائن في مركز تجميع سيارات فورد في شستر. وكان مضى على لقائنا الأول ثماني سنوات كنا نتلاقى في أثنائها بين فترة وأخرى. غير أن سفري المستمر جعل علاقتنا تطول قبل الزواج. وأخيراً تم زواجنا في ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٦.

وقد امضيت أنا وماري أشهراً عدة

ونحن نبحث عن منزل في واشنطن. إلا أننا لم نكد نشتري واحداً حتى اتصل بي شارلي بيشام وقال لي: "سوف تنقل من مكانك هذا." فقد بات شارلي الرئيس المسؤول عن بيع السيارات والشاحنات في شركة فورد ونقلني الى ديربورن كي أكون مديره المحلي لتسويق الشاحنات. وفي خلال عام أصبحت رئيس قسم تسويق السيارات، وفي شهر مارس (آذار) ١٩٦٠ بت أشغل كلا الوظيفتين.

والحق ان رئيسي الجديد روبرت ماكنمارا كان رجل أعمال ناجحاً لكن زوجته كانت أقرب إلى عقلية المستهلك. فهو كان من دعاة الفكرة القائلة بأن السيارة النافعة التي تلبي حاجات الناس الضرورية هي خير السيارات. ولم يكن يرى أي جدوى في صنع معظم السيارات الفخمة ذات الاشكال المتنوعة. غير أنه كان يوافق على صنع هذه السيارات لأنها تزيد في أرباح الشركة. وعلى رغم ان ماكنمارا كان ذا رأي مستقل فقد استمر يعمل وفاقاً لنظام الشركة لكونه مديراً فذاً وذا قيمة كبيرة جداً في هذه الشركة.

ومع أن الرجل كان يتطلع إلى رئاسة فورد فهو لم يكن يتوقع أن يصل اليها. وقد قال لي مرة: "لن أصل إلى هناك لأني لا اتفق اتفاقاً تاماً مع هنري." واتضح أن توقعه لم يصحّ، إلا أني أظن أنه لم يكن مخطئاً في المدى البعيد. فقد كان روبرت رجلا قوياً يناضل بشدة في سبيل ما يؤمن به. أما هنري فورد الثاني فكان ذا عادة قبيحة هي التخلص من الرؤساء الأقوياء. وفي التاسع من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٠ بات ماكنمارا رئيساً للشركة وعينت أنا في منصبه أي نائباً ومديراً عاماً.

في ١٩٥٩ ظهرت سيارة "الفالكون" التي كان ماكنمارا يدعو الى صنعها. وكانت هذه السيارة الأمريكية الصغيرة الاولى. وهي في الوقت نفسه لم تكن غالية الثمن. وقد راجت هذه السيارة رواجاً عظيماً فبيع منها في السنة الاولى التي تلت ظهورها ٤١٧ ألفاً. وبدا واضحاً أن هذا الانجاز لم يسبق له مثيل في تاريخ صناعة السيارات.

ولكن على رغم هذا الرواج فان "الفالكون" لم تحقق الأرباح التي كنا ننشدها. فكونها سيارة اقتصادية صغيرة جعل هامش أرباحها محدوداً. وإلى ذلك فإنه لم نصنع منها نماذج كثيرة مختلفة تمكن الشاري من الاختيار بينها وتزيد مدخولنا بمقدار كبير. من هنا عمدت، بعد تعييني في منصبي الجديد، إلى تطوير أفكاري القائلة بضرورة صنع سيارة تكون في آن مرغوبة وتحقق لنا الأرباح الطائلة.

"ياكوكا صنع هذه السيارة"

كانت السنوات التي أنفقتها وأنا مدير عامّ لشركة فورد أسعد سني حياتي. ففي عام ١٩٦١ كان التفاؤل يشع في الولايات المتحدة كلها. وبعث وجود كينيدي في البيت الأبيض نفحة جديدة راحت تهب على البلد برمته. ولا شك في أن كلمة "الشباب" تختصر هذا الواقع الجديد.

في تلك الفترة جمعت حولي فريقاً من الشباب اللامعين المبدعين وبتنا نتلاقى أسبوعياً في ديربورن في فندق "فيرلين

إن" الذي يبعد بضعة كيلومترات عن مكان عملنا كي نتناول العشاء ونتبادل الحديث. وكنا نجتمع في الفندق لأن كثيرين من موظفي الشركة الاداريين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر أن نمنى بإخفاق ذريع. فقد كنت نائباً للرئيس ليس له أي رصيد في إنتاج السيارات. ولم تكن هناك أي سيارة يشير اليها الناس ويقولون: "ياكوكا صنع تلك السيارة."

وتبين من الابحاث التي أجريناها على السوق أن الصورة الفتية التي تميزت بها الحقبة الجديدة كانت لها جذور راسخة في الواقع السكاني. فقد كان هناك ملايين من المراهقين الذين باتوا مستعدين لاستهلاك السلع التي يُدفع بها إلى الأسواق المحلية. وبدا واضحاً أن السوق كانت تبحث عن سيارة مناسبة.

ولا ريب في أن السيارة التي يمكن أن يعجب بها هؤلاء الزبائن الشباب ينبغي أن تتحقق فيها خصائص ثلاث هي: جمال الشكل والسرعة ورخص الثمن. ومن نافل القول ان تصميم سيارة كهذه ليس بالأمر السهل. ولكن إذا نحن تمكنا من صنعها فستتاح لنا الفرصة كي نصيب نجاحاً عظيماً.

في السبعة الاشهر الاولى من العام ١٩٦٢ أنتجت الشركة ما لا يقل عن ١٨ نموذجاً من الصلصال للسيارة المرجوّة. وكان عدد من هذه النماذج ذا شكل مثير إلا أن أياً منها لم يفِ بالغرض المطلوب.

وراح الوقت يمضي من دون أن نصل إلى مبتغانا فقررت إجراء مباراة بين المعنيين بهذا الشأن. وكان الفوز من نصيب ديف آش مساعد جو أوروس رئيس محترَف فورد. وعندما أنهى جو نصف العمل دعاني الى القاء نظرة على ما أنجزه. ولم أكد أرى النموذج حتى أدهشني. فعلى رغم أنه كان مجرد شكل مصنوع من الصلصال فقد خيِّل إليّ أنه يتحرك. وحين رأى جو وديف سيارتهما أشبه بالحيوانات السنورية أطلقا عليها اسم "كوجر" (أي الأسد الأمريكي).

وكثيراً ما يكون اختيار اسم ملائم للسيارة أمراً بالغ الصعوبة. ومما يذكر في هذا الشأن أن جون كونلي الذي كان موظفاً في وكالة إعلانات ج. والتر تومبسون التابعة لنا، كان متخصصاً في تسمية السيارات وهو الذي تولى في الماضي تسمية سيارتَي "الثندربيرد" و"الفالكون" بعدما أنفق وقتاً في دراسة أسماء الطيور. وقد أرسلناه هذه المرة إلى مكتبة ديترويت العامة كي يبحث عن أسماء الحيوانات فجاء يحمل ألوف الأسماء التي استقرّ رأينا أخيراً على ستة منها. ولم نلبث أن اخترنا من بينها اسم "موستنغ" الذي يطلق في الوقت نفسه على ضرب من الخيل البرية وعلى لون من الطائرات المقاتلة في الحرب العالمية الثانية. والواقع أننا أحببنا جميعاً هذا الاسم "الذي ينطوي على الإثارة الماثلة في طبقات الفضاء المشرعة والذي هو جزء حيوي من التراث."

وفي ٩ مارس (آذار) ١٩٦٤، أي بعد مضي ٥٧١ يوماً على اختيار النموذج الذي أنجزه أوروس وآش، انطلقت سيارة "موستنغ" الاولى من المركز الذي تجمع فيه أجزاء السيارات. وقد تمكنا من انتاج

ما لا يقل عن ٨١٦٠ سيارة من هذا النوع قبل ١٧ نيسان وهو اليوم الذي عرضت فيه السيارة في الأسواق. وبات في وسع جميع تجار فورد أن يعرضوها في صالاتهم.

وفي السابع عشر من نيسان احتشد الناس أمام تلك الصالات. وفي شيكاغو اضطر أحد التجار إلى إغلاق صالته لأن عدد الناس في الخارج كان كبيراً جداً. وفي غارلاند (ولاية تكساس) كان على أحد التجار الاختيار بين خمسة عشر من الزبائن أراد كل منهم الحصول على "الموستنغ" الوحيدة القائمة في صالة العرض فعمد إلى إجراء مزاد علني وباع السيارة لمن دفع الثمن الأغلى. وكان الذي اشتراها رجلا أصر على تمضية ليلته في السيارة بحيث لا يشتريها أحد سواه في انتظار مصادقة المصرف على شيكه المدفوع. وفي سيتل (ولاية واشنطن) أخذ سائق إحدى شاحنات الاسمنت بمشهد "الموستنغ" المعروضة فبات عاجزاً عن التحكم بشاحنته ولم تلبث الشاحنة أن جنحت إلى صالة العرض.

وكنت أصبو إلى أن يكون رواج "الموستنغ" في السنة الاولى أكثر من رواج "الفالكون". وفي وقت متقدم من مساء ١٦ ابريل (نيسان) ١٩٦٥ اشترى شاب من كاليفورنيا سيارة "موستنغ" حمراء ذات غطاء قابل للطي فبلغ عدد السيارات المبيعة في السنة الاولى ٤١٨٨١٢ سيارة وسجلنا بذلك رقماً قياسياً جديداً.

ولم يكن هذا مفاجئاً بالنسبة إليّ إذ قرأت مرة ملصقاً على نافذة أحد الأفران جاء فيه: "إن شطائرنا الساخنة تضاهي في رواجها سيارات الموستنغ."

الزمن السعيد

عام ١٩٦٨ بتّ على قاب قوسين أو أدنى من رئاسة شركة فورد غير أن مشيئة القدر حالت دون فوزي بهذا المنصب.

والواقع أنه كان في شركة جنرال موتورز آنذاك نائب للرئيس يدعى سيمون كنودسن ويلقب "بنكي" ويحتل مكانة مرموقة جداً في الشركة. وعلى رغم هذه المكانة اختارت شركة جنرال موتورز اد كول رئيساً مقبلا لها ففهم بنكي أن حياته المهنية توقفت عند هذا الحد.

وكانت شركة فورد تدأب على مراقبة شركة جنرال موتورز عن كثب، وكان هنري خصوصاً من أبرز مراقبيها والمعجبين بها فرأى أن ما حدث هو هبة من السماء لأن في حوزة بنكي معلومات قيمة جداً عن النظام القائم في شركة جنرال موتورز. وقد ذكّرني فورد بأن كنودسن يكبرني باثنتي عشرة سنة وطلب مني أن أتحلى بالصبر. والحق أني لم أكن واثقاً من قدرتي على الصبر إذ كنت آنذاك أسعى لاهثاً إلى بلوغ القمة. وكان مجيء بنكي صدمة لي كبيرة على رغم تطمينات هنري وتأكيداته. فقد كنت أبغي الرئاسة أياً تكن الظروف ولم أكن أوافق هنري في أنه بقي عليّ أن أتعلم الكثير قبل بلوغها. وظللت أسابيع عدة أفكر جدياً في الاستقالة لكني قررت في النهاية البقاء لدى فورد. فقد كنت اهوى العمل المتعلق بالسيارات وأحب شركة فورد نفسها، ولم أتخيل أني سأنتقل الى أي مكان آخر.

ولم يكد كنودسن يصل الى الشركة حتى شرع في إدخال تعديلات على "الموستنغ" بحيث تغدو أثقل وزناً وأكبر حجماً. كذلك أخذ على عاتقه اعادة تصميم سيارة "الثندربيرد" بحيث تصبح شبيهة بسيارة "البونتياك". إلا أن عمله هذا كان كارثة تامة.

وكم كنت أود القول إن بنكي طرد من الشركة لأنه هدم "الموستنغ" أو لأن افكاره كان خاطئة كلها. غير أن السبب الحقيقي في طرده لم يكن يمتّ بصلة إلى هذا كله. فهو طرد لأنه كان يدخل مكتب هنري من دون أن يقرع الباب.

وفي هذا يقول اد اوليري أحد معاوني هنري: "عندما كان الباب يفتح وينظر هنري إلى بنكي ماثلا أمامه كان يجن."

لقد كان هنري شخصاً لا يحتمل أن يكون أحد صنواً له. ويبدو أن بنكي لم يستوعب قطّ هذا الأمر. فقد كان يحاول أن يقيم مع هنري علاقة حميمة، لكن ذلك كان خطأ كبيراً إذ لم يكن مباحاً في شركة فورد أن يتجاوز أي شخص حداً معيناً في اقترابه من هنري.

في السنة التالية حصلت أخيراً على ما كنت ابتغيه وبتّ رئيساً لشركة فورد في العاشر من شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٠. ولم يكد الخبر يبلغني حتى اتصلت بزوجتي ماري ثم بوالدي في ألنتاون كي أنقل اليهما الخبر السار. ولست أشك في أن والدي عرف في حياته الطويلة المفعمة بالنشاط أوقاتاً كثيرة سعيدة غير أني على يقين أن تلك اللحظة كانت من أكثرها إسعادا له.

ولئن يكن هنري فورد هو الملك المتوج فقد كنت أنا ولي العهد. وليس من شك في أن الملك كان يحبني. وذات مرة تناول هو وزوجته العشاء في بيتنا والتقيا والديَّ. وامضى هنري نصف سهرته وهو يخبرهما عن عظمتي ويروي لهما أن وجود شركة فورد للسيارات وقف على بقائي فيها. وفي مناسبة أخرى اصطحبني للقاء صديقه القريب ليندون جونسون (أحد رؤساء الولايات المتحدة السابقين). فقد كان هنري يرى حقاً أني في حمايته وكان يعاملني على هذا الأساس.

العكَر في النعيم

مما لا شك فيه أن تلك الأيام كانت حافلة بالسعادة. فجميع الذين يشغلون مناصب إدارية بارزة في "البيت الزجاجي"، وهو الاسم الذي كان يطلق على المركز الرئيسي للشركة، كانوا يعيشون في نعيم. فقد كنا جزءاً من طبقة عليا وكان في وسعنا الحصول على ما نشتهيه. وعلى رغم أنه كان في امكاننا أن نطلب الطعام الى مكاتبنا في جميع فترات النهار فقد كنا نتناول الغداء في غرفة الطعام الخاصة بكبار الموظفين.

ولم تكن هذه الغرفة "كافتيريا" عادية بل كانت تضاهي أفضل مطاعم البلد. فكان السمك يصل إلينا من بريطانيا يومياً وكنا نتمتع بمذاق أطيب الفاكهة في جميع فصول السنة. وإلى ذلك كنا نحصل على ألذ أنواع الشوكولا وعلى الأزهار الغريبة النادرة.

لم أكن أعرف هنري فورد معرفة وثيقة قبل أن أصبح رئيساً للشركة. أما الآن فقد

بات مكتبي إلى يمين مكتبه في البيت الزجاجي وكلما ازدادت معرفتي به ازداد قلقي على مستقبل الشركة ومستقبلي الشخصي.

كان هنري ذا سلطة مطلقة. وحين كان يدخل مبنى الشركة كانت الأصوات تردد قائلة: "لقد وصل... لقد وصل." أما كبار الموظفين فكانوا يتباطأون في مشيتهم عند دخوله لعلهم يلتقونه وهو في طريقه الى مكتبه. وإذا اتفق ان حالفهم الحظ في ذلك فلم يكن غريباً أن ينتبه اليهم فورد ويرد لهم التحية.

وعندما كان هنري يدخل لحضور اجتماع ما كان الجو يتغير على نحو مفاجىء إذ كان مصيرنا جميعاً بين يديه. فقد كان في وسعه أن يقول فجأة: "اقطعوا رأسه،" وكثيراً ما كان يفعل هذا. فمن المألوف في شركة فورد أن يطرد موظف ناجح من دون أن يعطى فرصة كافية للدفاع عن نفسه.

والواقع ان هنري كان يولي الامور السطحية اهتماماً كبيراً. وكان إلى ذلك مولعاً بالمظاهر. فلا غرو أن يحوز موظف ما إعجابه لمجرد كونه يرتدي الثياب اللائقة مثلا. أما إذا غاب هذا المظهر الخادع فلا مجال أبداً لذلك الاعجاب.

وقد طلب هنري مني مرة أن أطرد أحد المديرين لأنه كان يظنه لوطياً. فقلت له: "لا تكن سخيفاً. فالرجل صديق لي حميم وهو متزوج ولديه طفل. وسألتقيه لتناول العشاء." فكرر هنري طلبه قائلا: "اطرده فهو لوطي." فأجبته: "عمّ تتحدث أيها الرئيس؟" فقال: "انظر اليه. فسرواله ضيق جداً."

واللافت ان هذا الاستعمال الجائر للسلطة لم يكن مجرد خلل في شخصية هنري لأن هذا الرجل كان "يؤمن" حقاً بما يفعله.

ولم يمض عليّ وقت طويل في رئاسة الشركة حتى أخبرني هنري عن فلسفته في الادارة فقال: "إذا استخدمت شخصاً ما فلا تدعه يفرط في الشعور بالارتياح ولا تبالغ في تقريبه اليك وادأب على فعل ما ليس يتوقعه. فعليك أن تبقي موظفيك في قلق واضطراب دائمين."

والحق أن ١٩٧٤ شكل نقطة تحول في نظرتي إلى هنري. ففي ذلك العام عُقد اجتماع حضره كبار الموظفين ونوقشت فيه مسألة تكافؤ الفرص. وطلب من كل دائرة في الشركة أن تقدم تقريراً عن التقدم الذي أحرزته في مجال توظيف السود وترقيتهم. وبعدما أصغى هنري إلى التقارير بدا عليه الغضب وقال لنا: "إنكم لا تولون هذه المسألة سوى اهتمام كلامي كاذب."

ومن ثم ألح في دعوتنا إلى إيلاء السود مزيداً من اهتمامنا وقال إن مكافآتنا السنوية قد تربط قريباً بالتقدم الذي نحرزه في هذا النطاق.

وكانت الملاحظات التي أبداها في الاجتماع مؤثّرة إلى حد جعل الدموع تنهمر من عينيّ فقلت في نفسي: لعله مصيب في ما يقول وقد يكون في وسعنا أن نفعل المزيد في هذا الشأن. وإذا كان هذا هو شعور الرئيس فأظن أن علينا بذل جهد أكبر لتحقيق ما يصبو اليه.

وعندما انتهى الاجتماع ذهبنا إلى غرفة الطعام لتناول الغداء وجلست إلى

جنبه كعادتي. ولم نكد نجلس حتى راح يسهب في ذمّ السود قائلا: "إنهم يدأبون على المرور بسياراتهم من أمام منزلي وأنا أكرههم وأخافهم وأظن أني سأرحل الى سويسرا حيث لا وجود لهم."

ولا ريب في أنه لن يكون في وسعي نسيان تلك اللحظات. فقد جعلني الرجل أذرف الدمع ثم شرع بعد ساعة يشن على السود هجومه العنيف. وقد تعلمت في ألنتاون أن التعصب أمر سيىء جداً. وأذكر ان زملائي في المدرسة لم يحاولوا قط نفي هذه الصفة عن أنفسهم. أما هنري فكان يجمع بين التعصب والنفاق. وكان الايطاليون الوحيدين الذين نجوا من شتائم هنري حتى عام ١٩٧٥، إلا أنه تمكن في ما بعد من تعويض ما فاته في هذا الشأن.

كذلك كان هنري يحاول ان يكون متميزاً عن سواه وأن ينسج في عاداته على منوال الاوروبيين.

مطاردة الساحرات

عام ١٩٧٥ شرع هنري فورد في تنفيذ خطة تقضي بتحطيمي تدريجاً. وفي العام نفسه أخذ يحس آلاماً في صدره وظهرت عليه أمارات التعب وبدأ يدرك أن نهايته قد دنت.

وبات هنري شبيهاً بالحيوان. ويخيل إليّ أن أول ما خطر له هو: "ماذا يحلّ بأعمال العائلة اذا أصبت بنوبة قلبية وقضيت نحبي؟ إنني لا أريد أن يتولى هذه الأعمال متطفل إيطالي."

ألقى هنري قنبلته الاولى حين كنت خارج البلاد في جولة في الشرق الاوسط دامت بضعة أسابيع. وعندما رجعت إلى الولايات المتحدة علمت انه دعا فجأة كبار الموظفين الى اجتماع خاص بعدما أقلقه وضع منظمة "اوبيك." وكان هنري على اقتناع راسخ بأن هناك انهياراً اقتصادياً كبيراً لا مفرّ منه فأمر باقتطاع ملياري دولار من الموازنة الخاصة ببرامج الانتاج المقبلة أي أنه ألغى كثيراً من المنتجات التي تمكننا من منافسة الشركات الأخرى وتتضمن على سبيل المثال السيارات الصغيرة وتلك التي تعتمد في إقلاعها العجلتين الاماميتين.

وقد جن جنوني بعد اتخاذه هذا القرار لأن شركتي جنرال موتورز وكرايزلر كانتا تعملان بجدّ محموم لصنع نماذج جديدة من السيارات الصغيرة. غير أن صاحب شركة فورد كان دفن رأسه في الرمال وتجاهل هذه الحقيقة.

في تلك الفترة كانت لديّ سكرتيرة رائعة تدعى بتي مارتن. ولولا نظام الشركة الذي يستبعد المرأة من المناصب العالية لكانت بتي أصبحت نائبة للرئيس إذ كانت خيراً من معظم الموظفين الذين كانوا يساعدونني في العمل.

وكانت بتي دائماً على علم بما يحدث في الشركة من أمور فأتت إليّ يوماً وقالت: "لقد علمت الآن أن الاتصالات الهاتفية التي تجريها على حساب الشركة تسجّل وترسل إلى مكتب السيد فورد."

وقالت لي بعد بضعة أسابيع: "كثيراً ما أجد الأغراض التي على طاولتك مبعثرة فأحاول أحياناً أن أرتبها لك قبل ذهابي إلى المنزل. وأنا أذكر دائماً اين أضع هذه

الاغراض، الا اني أجد مواضعها قد تغيرت صباح اليوم التالي. وهذا الأمر يتكرر كثيراً وأظن أنّ عليك أن تعلم به. ولست أرى أن السيدات اللواتي يتولين تنظيف المكتب يفعلن شيئاً مماثلا."

بعد ذلك أخذت الأمور تبدو أكثر غرابة. فقد عمد هنري إلى إجراء تحقيق شامل عن أعمالي وحياتي الشخصية متستراً بأنه يريد التدقيق في نفقات كبار الموظفين التي تدفعها الشركة. واستدعت عملية "التدقيق" هذه إجراء ٥٥ مقابلة مع كبار موظفي الشركة ومع كثيرين من وكلائنا وعدد كبير من وكالات إعلاننا.

بدأت الحملة بالتركيز على اجتماع لوكلاء فورد عُقد في لاس فيغاس (ولاية نيفادا) وتولى الاشراف على نفقاته وندل كولمان رئيس مكتب مبيعاتنا في سان دييغو (ولاية كاليفورنيا). وقد استدعي كولمان للاستجواب فغضب غضباً شديداً وأرسل إليّ تقريراً شاملا عن الأمر.

وفي ٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥ استدعي كولمان الى "مركز فورد للعالم" حيث أجرى معه "مقابلة" موظفان في الدائرة المالية. وبدأت "المقابلة" بذكر حقوقه ثم تناول الحديث عدداً من مآدب العشاء التي أقيمت للوكلاء في لاس فيغاس. وسئل كولمان هل كانت هناك نساء في إحدى الحفلات التي اقيمت لكبار الموظفين في أحد المطاعم الفخمة وسئل بالتحديد إذا كانت في صحبتي أنا امرأة ما. ومن ثم سألاه لماذا أعطى النادل قطعة نقدية قيّمة وهل شاهد بعض الموظفين الكبار يقامرون وهل زوّدهم المال لهذا الغرض. وعندما اعترض كولمان على هذه الأسئلة طُلب منه ان يجيب فوراً عن السؤال الآتي: "هل اتفق ان أعطيت ياكوكا مالا يقامر به؟" فقال: "لا."

وأخبرني كولمان أن الأمر بدا أشبه "بمطاردة الساحرات إذ كانوا يبحثون عن أمر يدينونك به كالقمار أو النساء أو أي شأن آخر."

غير أن ذلك التحقيق أخفق في إلحاق أي أذى بي أو بأصدقائي على رغم ما بذلت فيه من جهود خارقة.

ولا ريب في أن أثر هذا كله في الادارة العليا كان كبيراً جداً إذ بتنا نسدل الستائر ونتكلم همساً كلما خطر لنا الكلام، وسرى في الموظفين خوف عظيم من أن تصدر عليهم أحكام بالاعدام.

المكاشفة

بعد إخفاق التحقيق في بلوغ هدفه حاول هنري الوصول إلى غايته بوسيلة أخرى. وسرت في الشركة اشاعات تقول ان لديه لائحة بأصدقاء ياكوكا وانه عازم على طردهم. ولم يطل الوقت لأعرف أن في الأمر ما يتعدى الاشاعات.

ولم يلبث هنري ان اتصل يوماً بالسيد ليو - أرثر كلمنسن رئيس وكالة إعلان كنيون واكمرت، وهي الوكالة التي تتولى حسابات لنكولن - مركوري، وقال له مزمجراً: "يا ليو عليك ان تطرد بل ون." ولم يكن لقراره ذاك أي سبب ظاهر.

والصحيح أن بل ون كان واحداً من أقرب أصدقائي فلم أفهم آنذاك لماذا عمد هنري الى طرده. ولا يمكن أن يكون وقع

بين الرجلين أي نزاع إذ لم يكن بينهما لقاء قطّ. وإلى ذلك فقد كان بل يؤدي ما نطلبه منه على نحو رائع.

غير أني علمت في ما بعد ان قرار هنري الاعتباطي بطرد بل لم يكن سوى هجوم أخرق وغير مباشر على لي ياكوكا.

ثم أتى دور هال سبرلش الذي كان احدى شخصيات ديترويت الاسطورية والذي كان الناس يقولون "إن عروقه مليئة بالبنزين." وعندما طلب مني هنري أن أطرده قلت له: "لا شك في انك تمزح، فهو أفضل موظف لدينا." فقال هنري: "اطرده الآن."

لقد كان الوقت عصراً وكان علي أن أذهب من فوري إلى نيويورك فسألت هنري إذا كان يمكننا الانتظار الى ما بعد رجوعي فأجاب: "إذا لم تطرده الآن فسأطردكما معاً." وعرفت أنني عاجز عن ان اثنيه عن عزمه لكني حاولت مع ذلك اللجوء الى المنطق في مخاطبته فقلت له: "لقد صنع سبرلش سيارة "الموستنغ" وحقق لنا أرباحاً تقدّر بملايين الدولارات." فكان رده: "إنني لا أحبه وليس لك أن تسأل عن السبب، فهذا مجرد إحساس لديّ."

لقد بدأ هنري منذ ذلك الحين يقطع لحمي فيجعلني أفقد كل يوم جزءاً من جسدي. وكثيراً ما سألت نفسي لماذا لم أعمد الى تقديم استقالتي. الحق أنه كان لذلك سببان، الأول أني أنفقت كهولتي كلها في شركة فورد ولم أكن أود أن أعمل في أي مكان آخر. ولم أكن أتوقع أن يقوم بيني وبين فورد نزاع حاسم، غير أني كنت على استعداد لخوض المعركة إذا لم يُجْدِ في تحاشيها دواء. وكنت أعلم جيداً أن لوجودي في الشركة قيمة كبيرة. وحدتني سذاجتي على الظن أن أفضلنا سيكون هو الفائز لأن شركتنا كانت شركة مساهمة.

والسبب الثاني في إحجامي عن الاستقالة هو أنني كنت جشعاً أيضاً. فقد أغرتني سعة العيش ووجدت من المستحيل أن أرضى التخلي عن مدخول سنوي يبلغ ٩٧٠ ألف دولار. وأنا الآن على يقين أن الجشع هو شرّ الآثام المميتة.

أخيراً اتصل بي كايث كرين ناشر صحيفة "اوتوموتيف نيوز" الاسبوعية التي تقتصر موضوعاتها على صناعة السيارات وقال لي: "قل لي إن الخبر غير صحيح."

لقد كان ما يعنيه واضحاً. وفي وقت لاحق دعتني سكرتيرة هنري إلى دخول مكتبه حيث مكثت ٤٥ دقيقة. ولم يعطني خلال هذه المدة أي سبب للقرار الذي اتخذه وقال لي: "إنه أمر شخصي وليس لديّ ما أضيفه."

وشرعت في سرد إنجازاتي في شركة فورد للسيارات منبهاً إياه الى أن طردي يضر بمصلحته. ثم ذكّرته بان السنتين اللتين لم يمض على انصرامهما سوى زمن قليل كانتا خير سنتين في تاريخنا. وأردته أن يعلم بدقة حقيقة ما يفعله. وعندما أنهيت كلامي قلت له: "انظر إليّ." والحق انه كان عاجزاً حتى تلك اللحظة عن أن ينظر إليّ. وأخذ صوتي يرتفع بعدما عرفت أن حديثنا هذا سيكون الأخير فقلت له: "إن توقيت طردي هو عمل منافٍ للأخلاق. لقد بلغت

أرباحنا هذه السنة ملياراً وثمانمئة مليون دولار وبلغت في السنتين المنصرمتين ثلاثة مليارات ونصف مليار دولار. ولكن تذكر كلماتي هذه يا هنري. فقد لا يكون في وسعك تحقيق أرباح مماثلة في المستقبل. وهل تعلم لماذا؟ لأنك في المقام الأول لا تعرف كيف حققنا هذه الأرباح!"

عثرات خفية

عندما رجعت الى البيت بعد الظهر اتصلت بي ابنتي ليا التي كانت في ملعب لكرة المضرب. فقد سمعت خبر طردي في الاذاعة وأجهشت في البكاء. وحين تعود بي الذاكرة الى ذلك الاسبوع المروّع فان أول ما أتذكره على نحو واضح هو ليا التي كانت تذرف الدمع وهي تكالمني.

وإذا قدّر لي الرجوع إلى الماضي فهل يسعني أن أحمي أسرتي على نحو أفضل؟ والواقع أن ما حدث ترك في الأسرة أثراً سيئاً جداً إذ أصيبت زوجتي ماري بنوبتها القلبية الاولى بعد طردي بأقل من ثلاثة أشهر وراحت حالها تزداد سوءاً.

ولم يمض على طردي قليل من الوقت حتى تناقلت الصحف الصادرة في ديترويت خبراً ورد على لسان "ناطق باسم عائلة فورد" يذهب إلى أني طردت لأنه كانت تعوزني الكياسة ولأني كنت عجولا ولأن هناك بوناً شاسعاً بين سليل مهاجر إيطالي مولود في ألنتاون (ولاية بنسيلفانيا) والطبقة العليا."

بعدما طردت من شركة فورد سرت في المدينة اشاعات تقول إني قد أتولى رئاسة شركة كرايزلر. فأنا لم أكن مربوطاً بأي عمل، وشركة كرايزلر كانت تواجه صعوبات جمّة، فهل يعقل ألّا يقيم الناس صلة بين الأمرين؟ والواقع أني تلقيت عدداً من العروض للعمل في شركات لا علاقة لها بصناعة السيارات فلم يكن في وسعي أن أفكر في قبولها على نحو جدّيّ لأن حب السيارات كان سارياً في عروقي.

أخيراً اتصل بي جون ريكاردو رئيس مجلس إدارة شركة كرايزلر وقال لي: "إننا نفكر في إجراء تغيير في الشركة لأن رياحنا تجري بما لا تشتهيه السفن." وبدا كلامه شديد الوضوح إذ كان يحاول ان يعرض عليّ وظيفة من دون أن يذكر هذا على نحو صريح. واتضح لي أنه يود معرفة رأيي في الأمر فسألته على نحو مباشر: "ما الذي تريد أن تقوله حقاً؟" فأجاب: "إني أعرض عليك وظيفة فهل تروقك العودة إلى ميدان صناعة السيارات؟" فقلت له إنّ لديّ أسئلة عن وضع شركة كرايزلر قبل أن نخوض في تفصيلات أخرى.

في اللقاءين التاليين رسم ريكاردو صورة قاتمة لوضع الشركة. إلا أني رأيت أنه يمكن تغيير هذه الصورة في خلال سنة. ولست أظن أن جون أو سواه من موظفي كرايزلر كانوا يحاولون خداعي. وتبين لي أن الشركة كانت تعاني مشكلات كثيرة من أبرزها أن موظفيها، وحتى كبارهم، لم يكونوا يعلمون جيداً ما كان يحصل في الشركة. فقد كانوا على علم بأن كرايزلر تنزف إلا أنهم لم يتنبهوا إلى خطورة ذلك النزف.

كان ذلك في فصل الخريف وبدا الأمر بالنسبة إليّ ضربا من التحدي الكبير. وبعدما فرغت من تلك الاجتماعات وعدت الى المنزل بحثت المسألة مع ماري فقالت: "إنك لن تعرف السعادة إلا إذا عملت في ميدان صناعة السيارات. وأنت لا تزال أصغر من أن تتقاعد وتمضي وقتك في البيت. والى ذلك فلماذا لا نكيل الصاع صاعين لغريمك هنري ونلقنه درساً لا ينسى؟" وهكذا باتت ماري منشرحة الصدر. ولم ألبث أن بحثت الأمر مع ابنتيّ فقالتا لي: "إذا كان هذا يسرّك فحاول أن تفعله."

في ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨ أبرزت صحيفة "الصحافة الحرة" في صفحتها الاولى عنوانين اثنين.أولهما ان "شركة كرايزلر لم تعرف مثيلا لخسائرها الحالية" وثانيهما ان "لي ياكوكا التحق بشركة كرايزلر". وفي اليوم الاول لمباشرتي عملي الجديد أعلنت شركة كرايزلر ان خسارتها بين شهري يوليو (تموز) وسبتمبر (أيلول) بلغت نحو ١٦٠ مليون دولار، وهذه خسارة لم يسبق لها نظير في تاريخ الشركة. فقلت في نفسي: "حسناً، فعندما يبلغ وضع الشركة هذا الحدّ من السوء فهذا يعني أنه لا محالة صائر إلى التحسن."

غير أن توقعي خاب سريعاً إذ كانت كرايزلر عام ١٩٧٨ أشبه بدولة إيطاليا في ستينات القرن التاسع عشر. والواقع ان الشركة كانت عبارة عن طائفة من الامارات الصغيرة يحكم كلا منها امير ذو سلطة مطلقة. فهي كانت تضم ٣١ نائباً للرئيس لكل منهم منطقة نفوذ خاصة به.

ولم يكن هناك لجان بالمعنى الصحيح كما لم يكن هناك نظام يقضي بعقد اجتماعات محددة للموظفين. ولم يسعني أن أصدق أنّ المسؤول عن قسم الهندسة لم يكن على اتصال مستمر بزميله في دائرة الانتاج. والمعروف أن على العاملين في قسمي الهندسة والانتاج الا يتفارقا في أثناء العمل.

والحق أنه كان عليّ إنجاز الكثير في وقت ضيق جداً. وكان من بين ما ينبغي عمله إلغاء الإمارات الصغيرة الإحدى والثلاثين وتحقيق لون من الانسجام والوحدة في الشركة والتخلص من موظفين كثيرين لا يحسنون تأدية وظائفهم وابدالهم بآخرين يملكون الخبرة ويستطيعون التحرك على نحو سريع. كذلك كانت الحاجة ملحة إلى إنشاء نظام للمراقبة المالية.

وعمدت الى اختيار فريق من الموظفين لمعاونتي وبتّ واثقاً أن شفاء كرايزلر لم يعد مستعصياً. غير أنه لم يكن في حسباني آنذاك التدهور الاقتصادي وتغيّر الحال السياسية في إيران.

ولم يمض على وجودي في الشركة ثلاثة أشهر حتى اضطر شاه إيران إلى مغادرة عاصمته في ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩. وكانت أسعار النفط تضاعفت تقريباً قبل ذلك بوقت طويل. وفيما كان مصانعنا التي تنتج السيارات الكبيرة تعمل أوقاتاً إضافية كان على أرصفة الموانىء الامريكية نحو سبعمئة ألف سيارة يابانية صغيرة. على أن تلك السيارات الصغيرة بيعت كلها قبل نهاية شهر نيسان لأن الامريكيين كانوا يبتغون

التوفير في استهلاك البنزين. وقبل أن نتعافى من هذه الضربة طرأ تراجع واضح على الاقتصاد الامريكي كاد يقضي علينا قضاء مبرماً. فقد تدنت النسبة السنوية في مبيع السيارات الامريكية على نحو مروّع. والمعلوم أنه ليس في العالم صناعة يمكنها الاستمرار عندما تغدو الدعوة الى مضاعفة الاستثمار من الخصائص البارزة في الحياة الاقتصادية في حال يتدنى المدخول الى نصف ما كان. وبتنا نرى أن نجاحنا في إنقاذ الشركة هو ضرب من المستحيل. والحق أن ذلك كله لم يكن في الحسبان.

وتبين لنا منذ بداية صيف عام ١٩٧٩ أن إنقاذ كرايزلر بات يحتاج الى إجراءات خارجة عن المألوف. لذلك فإننا لم نألُ جهداً في عصر نفقاتنا. إلا أن الوهن الاقتصادي كان آخذاً في الازدياد ونحت خسائرنا نحواً مماثلا ولم يعد في مقدورنا الاستمرار من دون مساعدة.

ولست أغالي إذا قلت إن طلب المساعدة من حكومة الولايات المتحدة هو آخر ما يمكن أن يمرّ بخاطري. غير أني عندما عقدت العزم على هذا الأمر قررت أن أنفذه من دون أي تردد.

لقد كنت أرفض دائماً أن تضع الحكومة أي قيد على المبادرة الفردية وأقول بضرورة بقاء الأنسب. وعندما كنت رئيساً لشركة فورد أنفقت في واشنطن وقتاً يكاد يوازي الوقت الذي أنفقته في ديربورن. وكنت أذهب إلى العاصمة لسبب واحد فقط هو محاولة إقناع الحكومة بأن تكفّ عن مضايقتنا. وحين رجعت إلى واشنطن رئيساً لشركة كرايزلر كي أطلب مساعدة الحكومة قال لي الجميع: "كيف يمكنك طلب هذه المساعدة؟ وكيف تجرؤ على ذلك؟" فأجبتهم: "وهل لديّ أي خيار آخر؟ إنه ليس في الامكان أبدع مما كان."

لم يخامرني أي شك في أني أدّيت واجبي على النحو الملائم. ولم ألبث ان علمت أنّ الحصول على قرض بكفالة حكومية ليس بدعة في أمريكا. فقد حصل على مثل هذا القرض شركات تعهدات كهربائية وعدد من صغار رجال الأعمال وطلاب جامعات وشركات طيران.

طور الكفاح

الواقع أن مجموع القروض والكفالات الحكومية كان بلغ ٤٠٩ مليارات دولار عندما طلبنا اقتراض مبلغ مليار دولار. إلا أن المسؤولين الذين عرضنا عليهم هذا الأمر كانوا جميعاً يجهلون هذه الحقيقة فقالوا إن منح شركة كرايزلر كفالة مالية يشكل سابقة خطرة.

وكان عليّ أن أؤكد لهؤلاء أن كرايزلر ليست فريدة في هذا المقام. فنحن كنا نشكل جزءاً طفيفاً من الخطل الذي كان قائماً في أمريكا ولوناً من الاختبار يمكن إجراؤه على الآخرين. والمعروف أن الأذى الذي أصاب صناعة السيارات في العالم لم يكن يضاهيه أي أذى آخر في المجال الصناعي. وكانت القوانين الحكومية وأزمة الطاقة والتدهور الاقتصادي تكاد تكون كافية لتدميرنا.

والحق أنّ ما قلته لم يكن موافقاً لما كان الناس يريدون سماعه. وكان متوقعاً أن يكون رجال الأعمال أكثر هؤلاء تذمراً. فمعظمهم رأوا أن مساعدة حكومة

الولايات المتحدة شركة كرايزلر تشكل انتهاكاً للحرمات وبدعة في النظام الامريكي. وراحوا ينفضون الغبار عن مفهوماتهم القديمة المبتذلة ويقولون: إن تصفية أعمال شركة ما وإغلاقها عندما تدعو الحاجة إلى ذلك هما دليلان على أن العافية لا تزال تدب في السوق التجارية. ومن أقوالهم في هذا الشأن أيضاً ان تقديم الحكومة ضمانات مالية هو انتهاك لجوهر المبادرة الفردية الحرة وجزاء حسن للإخفاق. وهو الى ذلك يوهن روح النظام السائدة في السوق التجارية. كذلك فإن المجتمع الخالي من ركوب المخاطر هو مجتمع خال من الثواب.

ولا ريب في أن النظام الرأسمالي الذي يشجع على المبادرة الفردية الحرة هو خير نظام عرفه العالم. ولكن أين تكمن قوة هذا النظام؟ إنها تكمن في قدرته على التكيف مع الحقائق المتغيرة وليس في بقائه جامداً وغارقاً في الماضي. والصحيح هو أن معنى المبادرة الفردية الحرة بات الآن مختلفاً عما كان في السابق.

إن النظام الاقتصادي القائم على تشجيع المبادرة الفردية الحرة تكيّف مثلا مع الثورة الصناعية. وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر تكيّف مع الحركة العمالية. وقد عمد ارباب العمل وكبار المديرين في الشركات إلى محاربة تلك الحركة، إلا أنهم كانوا هم المسؤولين الحقيقيين عن قيامها إذ أفرطوا في استغلال العمال من الرجال والأولاد وارتكبوا مظالم كثيرة لم يكن بدّ من التكفير عنها.

وكان رجال الأعمال في تلك الحقبة على اقتناع تام بأن نشأة النقابات العمالية الجديدة ستؤدي الى نهاية المبادرة الفردية الحرة ورأوا أن أمريكا باتت على شفير الاشتراكية. غير أنهم أخطأوا في تقديرهم وتمكنت المبادرة الفردية الحرة من التكيف مع الحركة العمالية.

ومن الواضح أن ركيزة المبادرة الفردية هي مبدأ المنافسة. وليس في تقديم الحكومة ضمانات مالية إخلال بهذا المبدأ بل إن فيه تشجيعاً عليه. فاستمرار شركة كرايزلر مثلا في العمل يضمن تحقيق منافسة بينها وبين شركتي جنرال موتورز وفورد.

كذلك فإن إنقاذ كرايزلر يضمن المحافظة على عدد كبير جداً من الوظائف يبلغ نحو ستمئة ألف.

وكان بعض الناس يرون أن في وسع عمالنا الانضمام إلى شركتي فورد وجنرال موتورز إذا توقفت شركتنا عن الانتاج. غير أن هذا لم يكن مطابقاً للواقع. فإذا صحّ أن هاتين الشركتين كانتا قادرتين على بيع ما تنتجانه من السيارات الصغيرة فهذا لا يعني أنه كان في مقدورهما استيعاب مزيد من العمال. لذلك كان معظم موظفينا سيعانون البطالة في حال توقفنا عن العمل.

والحق ان الاستيراد وحده هو الذي كان يمكن أن يلبي إقبال أمريكا المفاجىء والملحّ على السيارات الصغيرة. وهذا يعني أن توقف كرايزلر عن العمل كان سيؤدي الى زيادة الاستيراد وإلى تصدير الوظائف.

لذلك كان لموضوعَي المنافسة

والتوظيف نصيب في جدلنا، لكننا أولينا الناحية الاقتصادية اهتمامنا الأكبر. فقد جاء في تقديرات الخزينة أن انهيار شركة كرايزلر سيكلف البلاد في السنة الاولى وحدها مليارين وسبعمئة وخمسين مليون دولار يدفعها صندوقا البطالة والضمان الاجتماعي. فقلت لأعضاء الكونغرس: "عليكم الاختيار بين أن تدفعوا هذا المبلغ الآن او أن تضمنوا لشركة كرايزلر قروضاً بنصف هذا المبلغ، وهي قروض هناك امل كبير في استرجاعها في ما بعد. فهل تؤثرون أن تدفعوا الآن أم تؤثرون أن تدفعوا في وقت لاحق؟"

وكان شائعاً آنذاك ان كرايزلر هي شركة كبيرة تنتظمها وحدة تامة، لذلك فهي لا تستحق المساعدة. فعمدنا إلى شرح حقيقة الأمر وقلنا إن الشركة في الواقع لا تعدو كونها خليطاً من الناس يضم ١٩ ألف موزّع و٤٤٠٠ وكيل. إلا أن هؤلاء هم من صغار رجال الأعمال وليسوا من الصناعيين الأثرياء.

ومن الراجح أن أعضاء الكونغرس لم يكونوا يوافقون على مساعدتنا. غير أنهم سرعان ما غيروا موقفهم بعدما عملنا على تزويدهم معلومات مفصلة عن الانهيار الذي يصيب ولاياتهم في كل ما له علاقة بأعمال كرايزلر وموظفيها. وبات علينا الان أن نكافح كي نبقى قادرين على الاستمرار بعد موافقة الكونغرس على ضمان القروض المطلوبة.

بدأت بخفض راتبي إلى دولار واحد سنوياً ثم عمدت إلى خفض رواتب كبار الموظفين بنسبة بلغت أحياناً عشرة في المئة، وهذا أمر لم يسبق له مثيل في ميدان صناعة السيارات. كذلك عمدنا إلى خفض رواتب الموظفين الآخرين واستثنينا ذوي الرواتب الزهيدة والسكرتيرات.

ومن ثم توجهت إلى العمال وصارحتهم قائلاً: "أيها الشباب، أنا الآن مكره على إخباركم أنّ في وسعي تأمين ألوف الوظائف لكم على أن يكون أجركم ١٧ دولاراً في الساعة ولا يسعني تأمين أي وظيفة لكم بعشرين دولاراً في الساعة."

وبعد سنة باتت وضع الشركة أشد سوءاً فكان عليّ أن أعود ثانية إلى هؤلاء العمال وأطلب منهم تنازلات جديدة تقضي بخفض أجورهم ١،١٥ دولار في الساعة. وفي خلال سنة ونصف سنة بلغ هذا الخفض دولارين في الساعة. وفي مدة ١٩ شهراً بلغ متوسط ما تخلى عنه العامل الواحد عشرة آلاف دولار.

النهج القديم

الواقع ان ما تعلمته في الثلاث السنوات التي امضيتها في شركة كرايزلر فاق ما تعلمته في السنوات الاثنتين والثلاثين التي أنفقتها لدى فورد. واكتشفت ان لدى الناس استعداداً لقبول الضيم إذا شاركهم الآخرون في تلقيه. وهذا ما أدعوه المساواة في التضحية وبه تمكنت كرايزلر من التغلب على مشكلاتها. فالذي أنقذنا لم يكن القروض التي حصلنا عليها، على رغم حاجتنا الملحة اليها، بل كان تخلي العاملين في الشركة عن مئات الملايين من الدولارات.

كان هذا خير مثال على التعاون والديموقراطية. ومن الجلي أني لا أتحدث

في هذا المقام عن عبرة مستقاة من الكتب بل أتحدث عن واقع الحياة. فقد خضنا التجربة بنجاح تام وأتت نتائجها مدهشة.

لقد كان الأمل بصنع "سيارة ك" هو النور الذي ظل يضيء النفق المظلم في أحلك أيامنا. وهذه هي السيارة التي ثابر هال سبرلش على صنعها منذ التحاقه بشركة كرايزلر عام ١٩٧٧ بعدما طرد من شركة فورد. والواقع أن "سيارة ك" كانت من وجوه كثيرة السيارة التي كنا أنا وهال نود أن نصنعها لو لم يكن هنري فورد شديد المعارضة لصنع السيارات الصغيرة.

والمعروف أن "سيارة ك" كانت دائماً مريحة، تشتمل على اربع اسطوانات وتقلع بواسطة عجلتيها الأماميتين. وهي يمكنها ان تقطع بليتر واحد من البنزين ١١ كيلومتراً داخل المدن و١٧ كيلومتراً خارجها. ويكمن نجاح سبرلش الكبير في ان هذه السيارة قوية، ثابتة وصلبة. والى ذلك فهي ليست قبيحة الشكل كبعض السيارات الصغيرة الأخرى المعروضة في الأسواق.

وقد أعلنا في حملتنا الدعائية أن "سيارة ك" هي بديل أمريكي من السيارات الاجنبية الصغيرة. وعمدنا إلى كتابة عدد كبير من الملصقات الدعائية بالأحمر والأزرق والأبيض (وهي الالوان التي يتألف منها العلم الامريكي) كي يكون لها أثر عميق في نفوس الامريكيين. كذلك أشرنا إلى أن "سيارة ك" تتسع "الستة أمريكيين." وكان هذا ضربة خفيفة لمنافسينا اليابانيين.

وعندما توقف دخان المعركة عام ١٩٨٢ بدأ وضع شركتنا يتحسن. وفيما راح الاقتصاد الامريكي يستردّ عافيته كانت مبيعاتنا آخذة في الازدياد. وفي نهاية السنة حققنا قليلا من الأرباح. وفي السنة التالية بلغت الأرباح حداً لم يسبق له مثيل في تاريخ كرايزلر.

لقد مضى وقت طويل على نيلنا الضمانات الحكومية. واذكر أننا حين كنا نحاول إقناع الكونغرس بالموافقة عليها قطعنا على نفوسنا عهوداً كثيرة من بينها جعل مصانعنا أكثر حداثة واللجوء الى أحدث الوسائل التقنية لتطويرها. كذلك وعدنا الكونغرس باخضاع جميع سياراتنا "لتكنولوجيا العجلات الأمامية" وبالتفوق على سوانا في مجال التوفير في استهلاك البنزين وبإبقاء نصف مليون موظف في أعمالهم وبصنع منتجات رائعة.

وفي خلال ثلاث سنوات وفينا بجميع وعودنا وفاء حسناً ورددنا ثلث قروضنا. وبعد بضعة أسابيع اتخذنا قراراً خطيراً بردّ الثلثين الباقيين على نحو فوري أي قبل استحقاق المبلغ بسبع سنوات على رغم اعتراض عدد من موظفي كرايزلر على ذلك القرار. فالذي يتخلى عن مبلغ طائل من المال على غير اضطرار ينبغي أن يكون واثقاً من النجاح في السنوات التالية.

إلا أني كنت آنذاك على ثقة بمستقبلنا إضافة إلى أني كنت أود التخلص من تدخل الحكومة في شؤوننا في أقرب وقت ممكن.

وفي ١٣ يوليو (تموز) ١٩٨٣ أعلنت

سدّ القرض في نادي الصحافة الوطني بواشنطن. ومن غريب الاتفاق أن هذا التاريخ كان هو نفسه تاريخ طردي من شركة فورد قبل خمس سنوات.

ومما قلته في هذا الصدد: "هذا هو اليوم الذي يجعل سنوات البؤس الثلاث الماضية خليقة بما حملته. فنحن في شركة كرايزلر نقترض المال على النحو القديم أي أننا نرده إلى أصحابه في ما بعد." ثم أضفت وقد بدت عليّ أمارات السرور: إن للمسؤولين في واشنطن معرفة واسعة بالقروض التي تسفح، لكن إرجاع تلك القروض هو أمر يبعث الدهشة في نفوسهم. لذلك ربما كان ينبغي أن يكون بيننا الآن كبير المستشارين الطبيين في الولايات المتحدة كي يهبّ إلى إسعاف من يغمى عليه عندما يرانا نعيد مالنا المقترض."

لقد بتنا الآن في منأى عن الخطر وبات علينا أن نفكر ثانية في إدخال المتعة الى نفوسنا. والواقع ان ديترويت كانت توقفت منذ عشر سنين عن صنع سيارات ذات سقف من القماش فوجدت نفسي أحنّ حقاً إلى هذا اللون من السيارات.

وفي ١٩٨٢ طلبت، على سبيل التجربة، أن تصنع لي سيارة ذات سقف من القماش من طراز "كرايزلر لو بارون"، فكنت أقودها أثناء الصيف وأنا أشعر بزهو كبير. وكثيراً ما كان سائقو سيارات "المرسيدس" و"الكاديلاك" يتبعونني ويسألونني: "ما هذه السيارة التي تقودها؟ ومن صنعها؟ وكيف يمكننا الحصول على نظير لها؟" فقد كانوا جميعاً يريدون معرفة ذلك.

وعندما رجعت إلى المكتب اتخذنا قراراً بتجاوز الدراسات التي كنا نجريها في هذا الشأن والشروع في صنع تلك السيارة. وكان موقفنا هو الآتي: "إننا لن نحقق أي ربح من صنعها لكنها ستكون خير دعاية للشركة. وإذا حالفنا الحظ فاننا لن نمنى بأي خسارة."

على أنه لم يكد يشيع اننا نعمل على صنع سيارة "لوبارون" ذات غطاء من القماش حتى بدأ الناس في جميع أنحاء البلاد يدفعون العرابين للحصول عليها قبل أن تعمد شركتا فورد وجنرال موتورز إلى صنع مثيل لها. وهكذا باتت سيارة "كرايزلر" الصغيرة القديمة رائدة بين السيارات.

وعام ١٩٨٤ أنزلنا إلى الأسواق سيارة جديدة تجمع بين المنفعة والمتعة هي سيارة "الميني فان" إذ كان الناس يتطلعون إلى سيارة أضخم من السيارة الكبيرة العادية وأصغر من الشاحنة.

والواقع ان فكرة صنع هذه السيارة ولدت في شركة فورد. فبعد أزمة "اوبيك" الاولى عام ١٩٧٣ عمدت أنا وسبرلش إلى وضع مشروع "الميني ماكس" وانفقنا خمسمئة الف دولار على الدراسات الضرورية المتصلة به. وفي أثناء ذلك تعلمنا أموراً ثلاثة. الاول هو أن العتبة التي يستعان بها لركوب هذه السيارة يجب أن تكون منخفضة بحيث تروق النساء اللواتي كن في الغالب يرتدين "التنورة" آنذاك. والثاني هو الا يزيد علوها على حدّ معين كي تتمكن من الدخول الى المرآب. والثالث هو أن يكون بين محركها ومقدّمها مسافة كافية تحول

دون إعطاب المحرك عند اصطدامها بسيارة أخرى.

وكانت الدراسات تشير إلى أن أخذَنا هذه الامور في الاعتبار يعني ان في الامكان بيع ثمانمئة ألف سيارة من هذا الطراز سنوياً. وكان هذا في عام ١٩٧٤.

وتوجهت من فوري للقاء هنري الذي رفض إجراء التجربة. وهكذا تأخر صنع "الميني‌فان" الى عام ١٩٨٤ بعدما كان يمكن أن يتمّ عام ١٩٧٨.

تحسس القيم

إلا ان نجاحنا كان له في الوقت نفسه جانب مظلم. فعندما عرضنا انتصاراتنا أخيراً كان غاب عنا كثيرون من جنودنا. لقد ربحنا الحرب حقاً، غير ان إصاباتنا كانت بالغة إذ خسرنا عدداً كبيراً من العمال والموظفين الاداريين والوكلاء الذين كانوا معنا عام ١٩٧٩ وفارقونا قبل أن يقطفوا ثمرات الانتصار.

على أن السبب الرئيسي الذي جعل سروري بالنصر الذي حققته شركة كرايزلر مشوباً بالألم هو الحزن العميق الذي اعترى حياتي الخاصة. فقد كانت زوجتي ماري أقرب الناس إليّ وخير حافز لي وأحسن مسدّد لخطاي إبان عملي في شركتي فورد وكرايزلر.

غير أن ماري كانت تشكو داء السكري الذي يؤدي الى تعقيدات أخرى كثيرة. مثال ذلك أن ولادة كل من ابنتينا كانت على النحو القيصري. كذلك اضطرت ماري إلى الإجهاض مرات ثلاثاً. وأهم من هذا كله أنّ على المصاب بداء السكري تحاشي الإجهاد. الا ان النهج الذي اخترته جعل تحقيق ذلك أمراً متعذراً. وقد أصيبت ماري بنوبتها القلبية الاولى عام ١٩٧٨ في أثر طردي من شركة فورد. والحق أنه كان مضى عليها فترة أحست في أثنائها ببعض الآلام، لكن ذلك الحدث زاد حالها سوءاً.

وفي شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ أصيبت بنوبة قلبية ثانية. وبعد نحو سنتين أي في ربيع عام ١٩٨٢ أصيبت بجلطة دماغية. وكان يعقب كلا من هذه الإصابات فترة ضغط شديد في كرايزلر.

ولم يكن جسم ماري يقاوم داء السكري مقاومة فاعلة. فالبنكرياس لم يكن يعمل الا على نحو جزئي. والواقع انها كانت تلتزم نظام حمية خاصاً، الا انها كانت تحقن نفسها بالانسولين مرتين يومياً. والمعلوم ان استعمال الانسولين كثيراً ما يولّد اضطرابات جسدية تحصل عادة في منتصف الليل وتستدعي أحياناً نقل المريض الى المستشفى.

وكثيراً ما كنت اضطر الى السفر فأتصل بها هاتفياً مرتين أو ثلاثاً يومياً. وبت قادراً على معرفة درجة الانسولين عندها من خلال نبرتها. وحين كنت اضطر إلى الغياب عن المنزل في الليل لم أكن أتركها وحدها خشية ان تصاب بصدمة أو أن تدخل في غيبوبة.

وفي ربيع عام ١٩٨٣ اشتد المرض على ماري وتوقف قلبها المتعب عن الخفقان ففارقت الحياة في الخامس عشر من مايو (أيار) وهي في الثالثة والخمسين. وكانت لا تزال جميلة جداً.

وفي الملمات كانت ماري تؤدي ما عليها وهي في أحسن حال. وإذا اتفق ان

تحدثتَ الآن إلى بعض أصدقائنا عن ماري فسيقولون لك: "إن أبرز ما نذكره عنها هو صلابتها في أوقات الشدة."

وكانت ماري تولي الابحاث المتعلقة بداء السكري اهتماماً كبيراً وتتطوع لتجرى عليها بعض التجارب المتصلة بهذا الداء. وكانت تواجه وضعها بشجاعة فائقة وتترقّب انتهاء أجلها برباطة جأش. وكثيراً ما كانت تقول لي: "أتظن أن حالي سيئة؟ كان عليك إذاً أن تشاهد الناس الذين كانوا معي في المستشفى."

وكانت تقول بضرورة تزويد الناس معلومات عن داء السكري. وقد انشأنا معاً "منحة ماري ياكوكا للبحث العلمي" في مركز جوسلين لأمراض السكري في بوسطن (ولاية ماساشوستس). ووهبت الكثير مما أجنيه للأبحاث المتعلقة بداء السكري. وتقول ماري إن مرض السكري يأتي في المرتبة الثالثة بين الأمراض المميتة في حين يحتل مرضا القلب والسرطان المرتبتين الأوليين. غير أن كلمة "السكري" يندر ظهورها على شهادات الوفاة فيظن الناس أن داء السكري لا ينطوي على خطر كبير. وبعد وفاتها عمدت إلى التأكد من أن شهادة وفاتها تنمّ عن الحقيقة. وقد جاء في تلك الشهادة ما يأتي: مضاعفات ناجمة عن داء السكري.

والحق أننا أنفقنا معاً أوقاتاً كثيرة طيبة لكن ماري لم تجد لذة قطّ في الحياة الاجتماعية. وكانت الحياة العائلية هي مبتغانا. إلا أن هذا لم يحل دون تأديتها واجباتها الاجتماعية الضرورية وهي تبتسم. والصحيح أننا لم نكن نؤثر على المنزل أي مكان آخر.

وقبل وفاتها بأسبوعين اتصلت بي مساء الى تورنتو لتقول لي إنها جد فخورة بي. وكان ذلك في أثر إعلاننا عن أرباح الربع الأول من ١٩٨٣. أما أنا فلم أخبرها قطّ في تلك السنوات الأخيرة الصعبة كم كنت فخوراً "بها."

لقد أعطتني ماري القدرة على الاستمرار ومنحت ابنتينا كاثي وليا كل ما لديها. ولئن يكن صحيحا

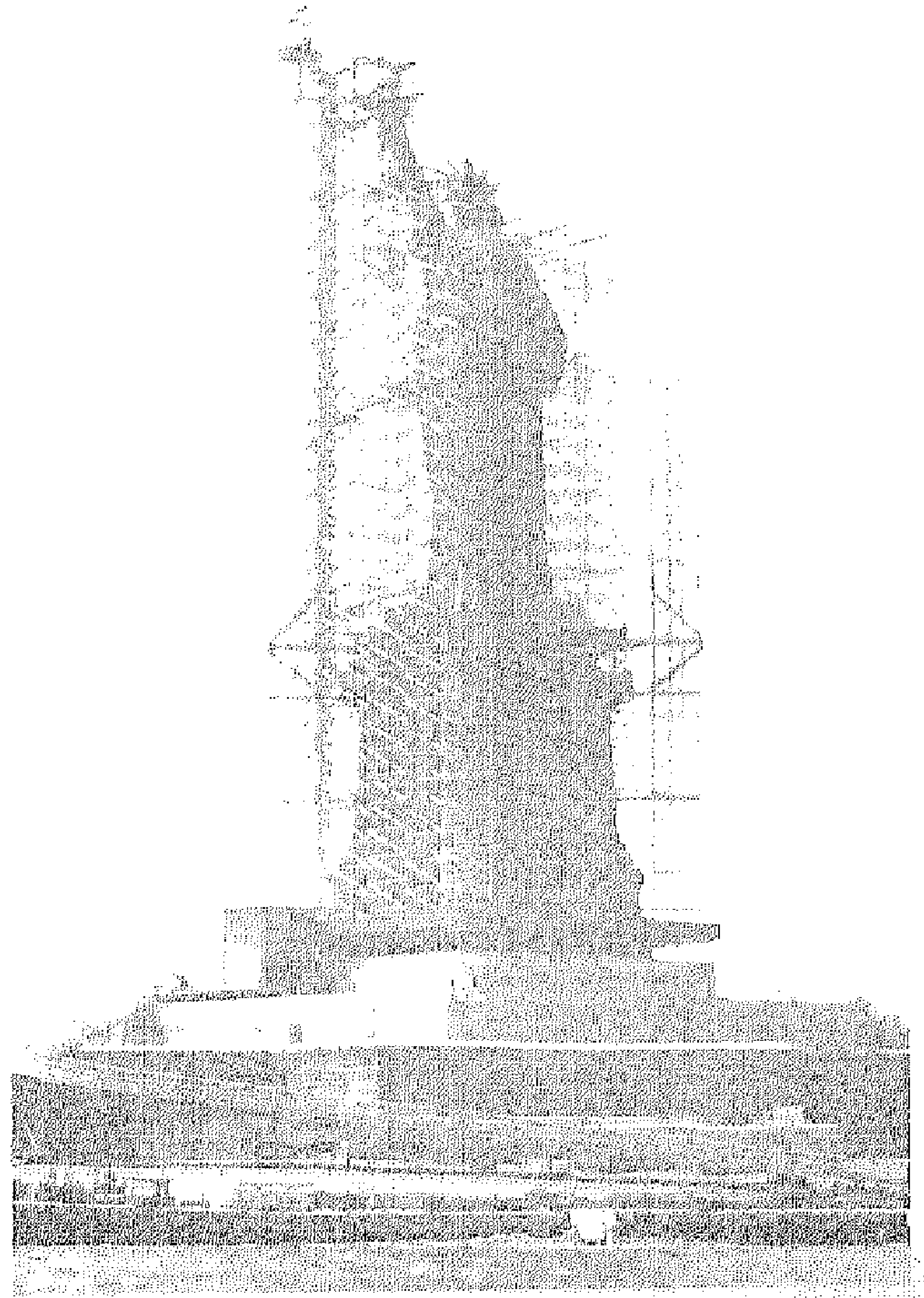


Photo: Fred R. Tannary

أن حياتي المهنية كانت ولا تزال رائعة مكللة بالنجاح فالصحيح أيضاً أن أسرتي تبقى همي الأول.

افعل شيئاً ما

عندما طلب مني الرئيس رونالد ريغان أن أرئس الجمعية المئوية لتمثال الحرية في اليس ايلاند كنت شديد الانهماك في عملي في شركة كرايزلر لكني لم أرفض طلبه. فبادر الناس إلى سؤالي: "لماذا قبلت تحمل هذه المسؤولية؟ أليس لديك ما يكفيك من العمل؟"

غير أن قبولي ذلك العمل الجديد كان إعراباً عن حبي لأمي وأبي اللذين كانا يحدثانني عن اليس ايلاند. وكان والداي من المهاجرين البسطاء الذين يجهلون اللغة الانكليزية ويجهلون ما ينبغي عمله بعد وصولهم الى أمريكا. وكانا فقيرين لا يملكان شيئاً. وكانت الجزيرة جزءاً مني بسبب الرمز الذي تمثله وليس لكونها موضعاً أؤثره على سواه. وقد اتضح لي الآن أن معظم الامريكيين الذين التقيهم لديهم الشعور نفسه.

وبدهي أن ملايين الناس الذين كانوا يمرون من أبواب اليس ايلاند أنجبوا عدداً كبيراً من الاولاد، وقد بلغ نسلهم نحو مئة مليون نسمة. وهذا يعني أن قرابة نصف عدد سكان الولايات المتحدة تمتد جذورهم إلى ذلك المكان.

ولا ريب في أن بلدي يحن الآن إلى تلك الجذور وفي أن الناس يتحرّقون للعودة إلى القيم الأساسية. وليس من شك في أن تمثال الحرية واليس ايلاند هما رمز للعمل الشاق والكرامة والكفاح في سبيل الحق.

إن تمثال الحرية لا يعدو أن يكون رمزاً جميلا لمعنى الحرية. أما اليس ايلاند فهي تجسد الحقيقة. فالحرية ليست سوى بطاقة دخول. فإذا أردت البقاء على قيد الحياة وصبوت الى النجاح فعليك ان تدفع الثمن الملائم.

وكثيراً ما أسمع الناس يقولون لي: "إنك نجاح مُدَوٍّ، فكيف تيسّر لك ذلك؟" فأجيبهم: إني أعود دائماً إلى ما علمني إياه والداي. فقد كانا يقولان لي: عليك أن تجتهد وتحصّل من العلم ما استطعت ومن ثم "افعل" شيئاً ما! فلا تكتفِ بأن تقف مكتوفاً بل كن مقداماً. إن هذا ليس بالأمر السهل. غير أن العمل المضني والمثابرة يكفلان لك في المجتمع الحرّ أن تتقدم على النحو الذي تريد. وينبغي بالطبع أن تشكر النعم التي يُحلّها الله عليك.

لي ياكوكا ووليم نوفاك ■



وجبة على الحساب

الرجل لنادل المطعم: "أسرع، فالبطاقة التي تخولني تناول الطعام على الحساب ينتهي مفعولها عند منتصف الليل."

م.ب.

شوق المختار الشهر المقبل

٩ نصائح قد تنقذ زواجك

تسع نصائح من اختصاصي مرموق لابقاء جذوة الحب مشتعلة بعد ٣٠ أو ٤٠ أو ٦٠ سنة.

سيبيريا، حلم الرواد

يعمل السوفييت على إنماء هذه الاصقاع النائية الزاخرة بالخيرات. فهل تشوه التكنولوجيا جمال الصحراء الثلجية؟

طيارن على طوف جليدي

وسط المياه المتجمدة في ألاسكا رجلان يصارعان للبقاء ودقائق تفصل بينهما وبين الموت.

أم نادرة لعالم البراءة

سيرة ممرضة بريطانية في منتصف العمر فتحت قلبها وبيتها لعشرات الاطفال.

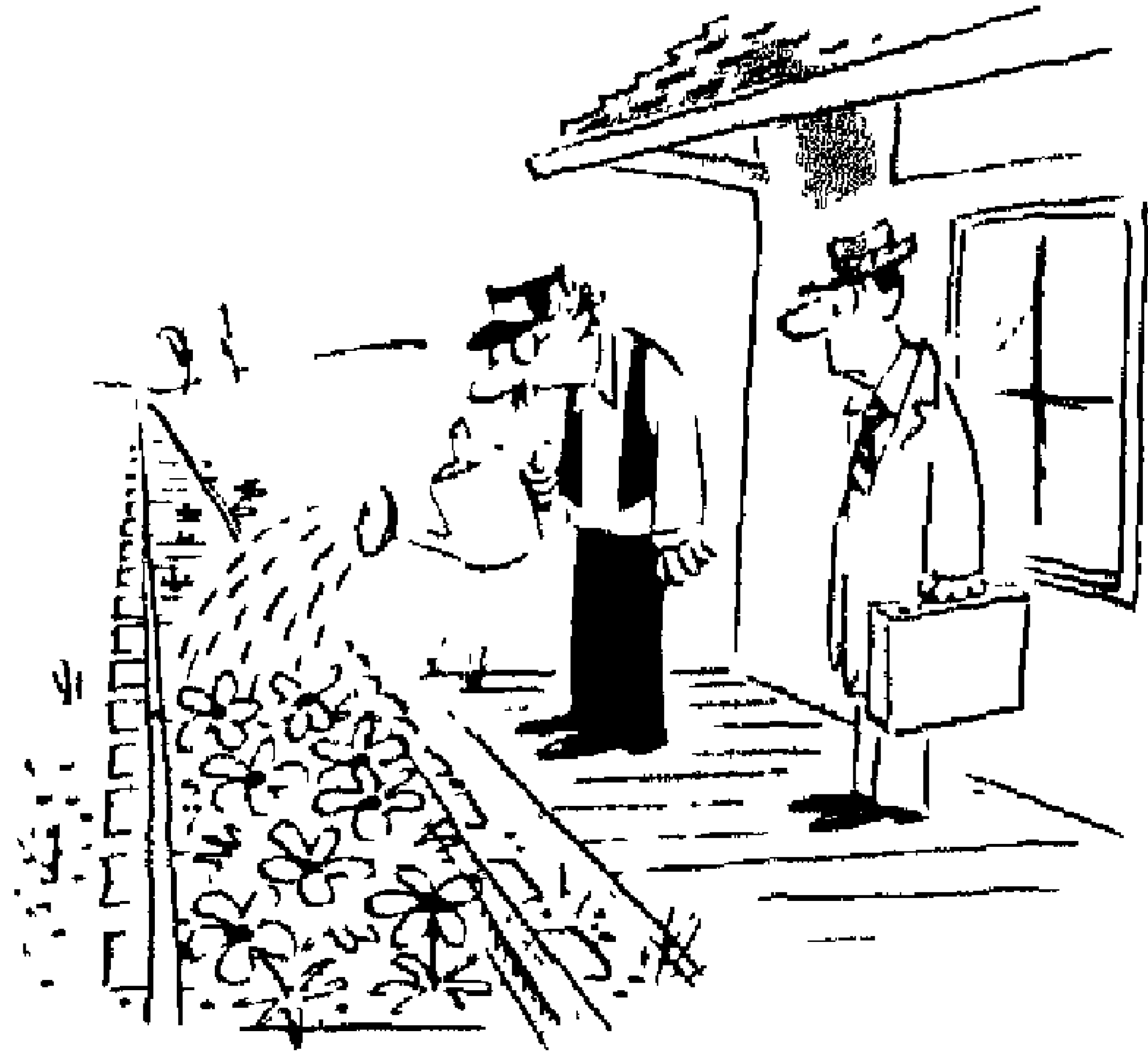
عار أمريكا... الامِّية!

واحد من كل خمسة راشدين في أغنى الدول وأقواها لا يعرف القراءة والكتابة. انه العالم الثالث الامريكي...

أين الخطر في المحلِّيات الاصطناعية؟

غزت بدائل السكر الاسواق لتلبية متبعي أنظمة الحمية. لكنها باتت موضوع جدل حاد. فماذا يفعل المستهلك؟ الجواب في العدد المقبل.

إضافة إلى مَقالات أخرى شائقة وقصص مُسَلّية



حديقة أفكار

■ الذي لا تحبه لنفسك لا تطلبه لي. — مثل اسباني

■ درهم عمل خير من قنطار كلام — فرنسيس دوسال

■ وحدها الكلمة المكبوتة تشكل خطراً. — ل.ب.

■ الطفل جزيرة دهشة محاطة ببحر من علامات الاستفهام. — ش.ا.

■ الزواج طبق مغطى. — مثل سويسري

■ أحياناً يترك أفقر الرجال أغنى إرث لأولادهم. — ر.ر.

■ وحده لابس الحذاء يعرف قياسه الحقيقي. — ب.ر.

■ ما من أحد يكبر كفاية ليعرف أكثر. — هـ . ج.

■ العمل يعلمك كيف تؤديه. — مثل قديم

■ لا تتوقع أن يأتيك الصدى بأي جديد. — ك.ك.

■ من أعظم مصادر القوة افتخارنا بما نفعله. — ن.ا.

■ ان يمد المرء يده الى الآخرين هو أن يمد كيانه كله اليهم. — ر.م.



"جوردان في عرس" للامريكية جسيكا زمسكى

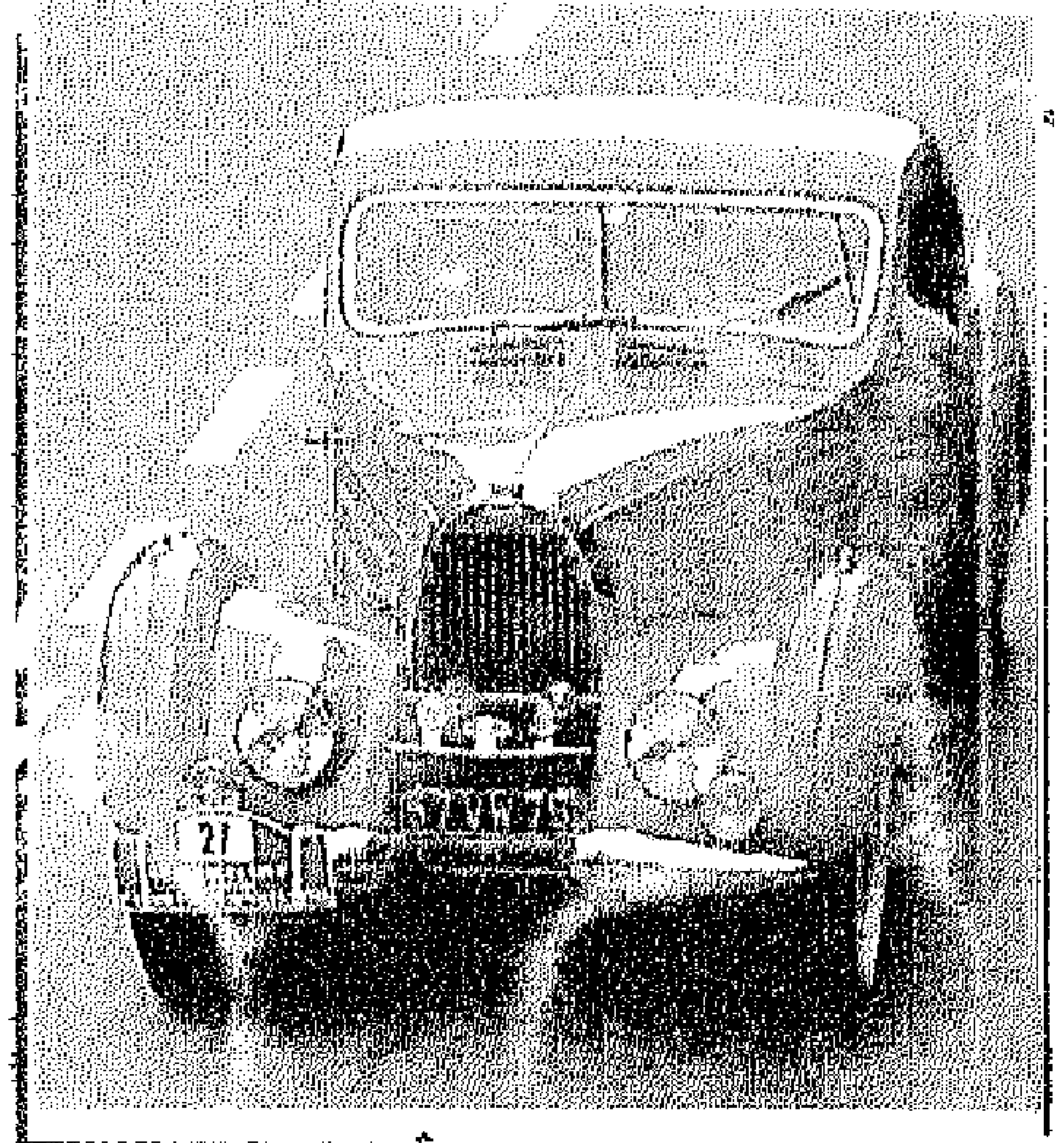
مارس (آذار) ١٩٨٦، رجب ١٤٠٦

المختار



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest March 86 N° 88



جياد بوغاتي

(ص ١٠٠)

كيف نتفادى السكتات القلبية

(ص ٥٦)

القبلة تخفض الوزن!

(ص ٧٣)

لبنان ١٠ل - سورية ١٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف -
السعودية ١٠ر - مصر ٥٠٠م - السودان ١ج - ليبيا ٧٠٠د - ج.ع. اليمنية ٤ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب -
تونس ٨٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - إنكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

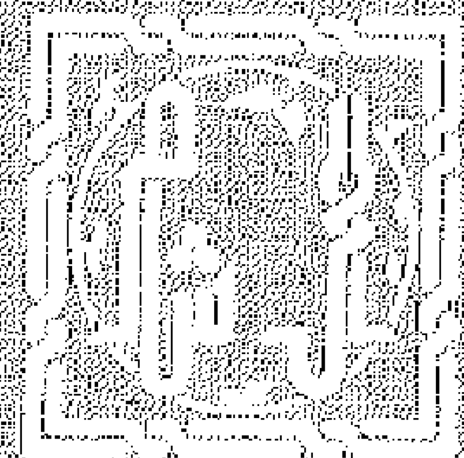
فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة



فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها .. صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة التي تصبو إليها سواء كنت تستريح في غرفتك أو كنت منهمكاً في عملك .. فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة الى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية .. ولا ننسى المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تعبر عن حضارتها وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .



للحجز : فندق الشام

فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج عالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

الاشتراكات: فريال علاف.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠

ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.

الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١-٣٤٩٤٧٧ التلكس MEM 22288 LE.

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.



Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 - 491630

P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

March 86 N° 88 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية، الى العربية

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة.



الأخ الكبير

كان في سن تخوله حمل المسؤولية. ولكن هل يجوز الوثوق بالمراهقين هذه الايام؟

خرجتُ في احدى الامسيات تاركة ابني ذا الاعوام السبعة عشر ليرعى اخاً في الثامنة من العمر وأختاً في الرابعة. وأؤكّد لكم أنَ ذلك كان بادرة ثقة.

وكنت أوليته هذه المسؤولية من قبل وطلبت منه أن يبقي لي الباب الجانبي مفتوحاً. وذلك عين ما فعل. وحين عدت الى البيت في تلك الليلة العاصفة وجدت الباب مفتوحاً على مصراعيه. ومن حسن الحظ لم يدخل أي متطفل، لكن برداً قارساً دخل.

أنا على ايمان راسخ بأَنّ لكل انسان الحق في فرصة أخرى وأنّ على كل فرد أن يؤدي عملا في البيت. ولا أرى غضاضة في أن يتولى أخ أكبر رعاية طفل في غياب

والديه. وفي هذه المناسبة كان العمل أقل مشقة بسبب وجود صديقته معه. وخرجت من البيت واثقة تماماً بأن الكبيرين سيقومان بعمل رائع في رعاية الصغيرين اللذين سيقومان بعمل رائع أيضاً في السهر على حسن سلوك الكبيرين.

وفي وقت لاحق تلك الليلة اكتشفت أَن الثقة كانت آخر ما يجب أن يخامرني وأنا أغادر البيت.

وقرّرت العودة أبكر مما رسمت سابقاً، فاتصلت بالبيت لأنقل الى ابني النبأ السار. ولكن بدلا من أن أستمع الى صوته المبتهج الممتنّ كان كل ما سمعته رنين هاتف لا يجيب.

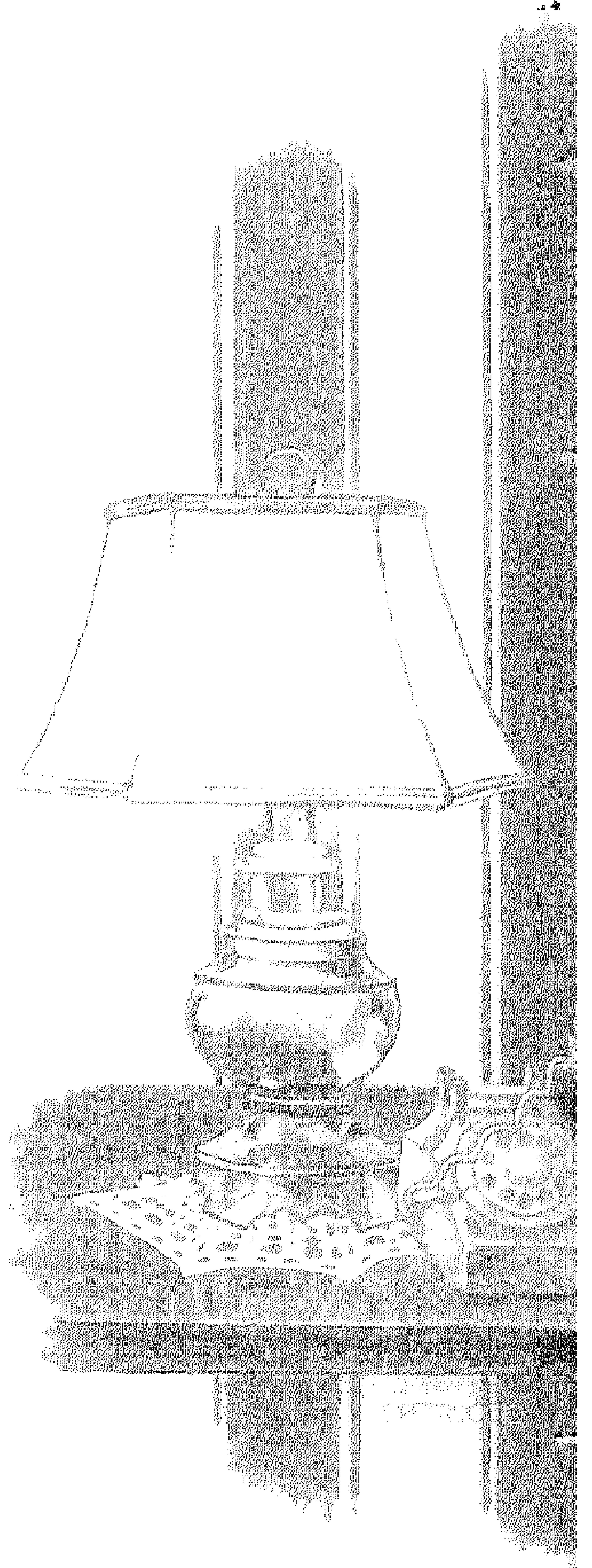
وكان الوقت تجاوز العاشرة مساء، أي ان الصغيرين يجب أن يكونا في سريريهما والكبيرين يجب أن يردا على الهاتف.

من الواضح أنني طلبت الرقم الخطأ. وأعدت ادارة القرص بانتباه.

لا أحد يرد. وبدأ الذعر ينتابني.

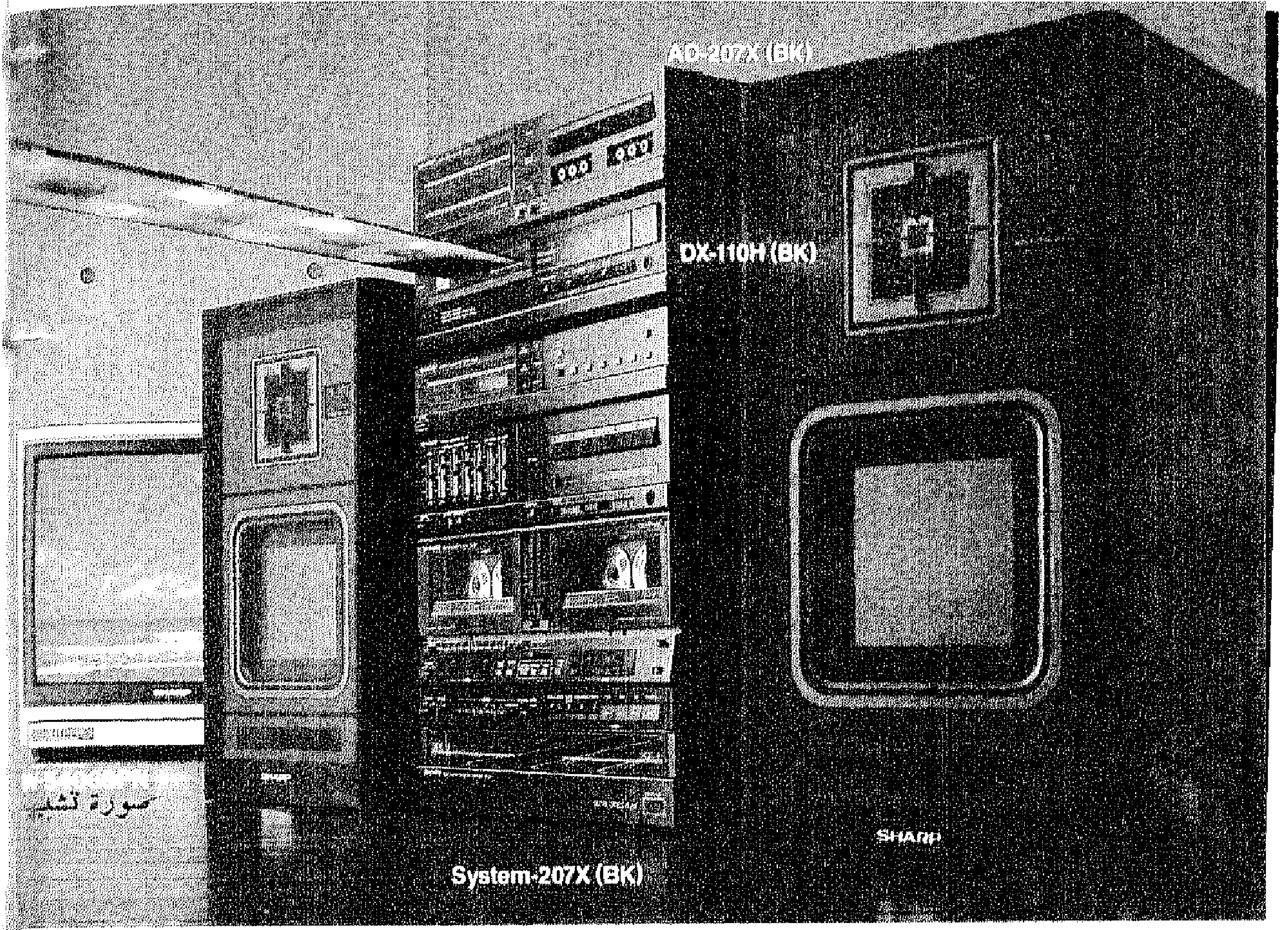
"سألوي رقبته!"

وقدّرت أنهما في الخارج. لماذا يخرجان في العاشرة والنصف في ليلة ممطرة؟ هذا ما لم اكن اعلمه، لكنه كان التفسير الوحيد الذي تبادر الى ذهني. وانتظرت بضع دقائق واتصلت ثانية فلم أتلقّ رداً.



كان لنا حلم

كنا نحلم بابتكار اكثر اجهزة التسلية المنزلية شمولاً في عالم الصوتيات والفيديو.



جهاز شارب (BK) 207X الجديد يحقق احلامك في الاجهزة السمعية والفيديو بالدقة الصوتية الرفيعة ومشغل الاسطوانات على الجهتين الفريد والمتميز بذراع ابرة يتحرك في خط مستقيم وهكذا تنمو احلامك وتكبر. ان جهاز الانتقاء السمعي / الفيديو من شارب يمكن توصيله بجهازي فيديو ومشغل اسطوانات فيديو، وتلفزيون وتشكيلة واسعة من الاجهزة السمعية ان كنت لا تصدق ما نقول، فصدق احلامك.

System-207X (BK) نظام قطع هاي ــ فاي متوسط الحجم ومزوّد مشغل اسطوانات على الجهتين، بذراع ابرة يتحرك بخط مستقيم، وتقنية الكاسيت المزدوجة.

DX-110H (BK) مشغل اسطوانات سمعي رقمي وصغير الحجم مزوّد اشعة لايزر شبه موصلة وذات ضوء مرئي، لضمان اداء اطول عمراً

AD-207X (BK) جهاز إنتقاء سمعي ــ فيديو مع نظام توصيل لسعة اجهزة وامكان التسجيل المزدوج السمعي / الفيديو

فليكن حلمك

شارب
SHARP
شركة شارب، اليابان

"سأقتله!"

وأخيراً، في لحظة يأس، اتصلت ببيت صديقته. وبعد رنين لا يُعدّ حدثت الاعجوبة وردّت صديقته لتقول ببهجة: "نعم، انه هنا."

وتناول السماعة ليكلمني. ولم أكن أنا في هدوئي المعتاد. فمن قواعد حياة الاهل العصريين عدم الثقة بالمراهقين العصريين. وسألته: "أين الصغيران؟" فأجاب انهما معه. وشرح لي خطأ كل أفكاري المخيفة والتي كانت في غير محلها. انهم لم يخرجوا ليركبوا رؤوسهم ولم يشعلوا البيت ولم يدخنوا سيجارة.

انه أخذ الصغيرين الى بيت صديقته ليأكلوا البوظة (الجيلاتي) والكعك هناك.

ولكن هذا ما لم يفعله مراهقو أمريكا منذ الخمسينات. انه أروع من أن يصدق. والواقع انه كان يجب ألا أصدق هذا الكلام، فهو كان جزءاً من الحقيقة.

مساء السبت كنا في منزل والديّ نحتفل بذكرى ميلادي. وتلقيت هدايا بديعة كما تلقيت هدايا مضحكة، هذا اذا اعتبرتم الفيتامين "هـ" (E) وعصيّ السير هدايا مضحكة.

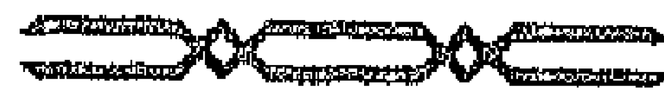
ثم قدّم الي ابني الاكبر هدايا الاولاد.

كانت مجموعة من الصور الفوتوغرافية المؤطّرة بدا فيها أولادي يرتدون أحسن ثيابهم وقد رسموا على وجوههم أجمل ابتسامات. كانت تلك الصور كنزاً يجدر حفظه مدى الحياة، وقد التقطها كلها والد صديقة ابني.

هذا ما فعله أولادي حين ذهبوا تلك الليلة الى بيت الصديقة لكي يأكلوا البوظة والكعك.

وكانت تلك أغلى ما تلقيت من هدايا.

جودي مان ■



اهتمامات آن لاندرز

تتذكر مارغو هاورد ابنة الصحافية الشهيرة آن لاندرز اهتمام والدتها بالجنود الامريكيين في فيتنام:

"عام ١٩٦٧ ذهبت أمي في رحلة لزيارة الجنود في المستشفيات الميدانية. وكانت تتحدث الى كل واحد منهم. وأبدى ضابط اداري ملاحظة اذ قال: "ان معظم المشاهير يسيرون عبر مماجع بعض المرضى وتؤخذ لهم الصور ثم يغادرون. أما هذه المرأة فقد زارت المرضى فرداً فرداً. انها الساعة الحادية عشرة ليلا، وأنا أعرف انها لم تسترح منذ الصباح. فمن أين تأتي بكل هذه الطاقة؟"

وحين عادت أمي الى الولايات المتحدة اتصلت بعائلات جميع الجنود الذين التقتهم وطلبوا منها أن تتصل بأحبائهم في الوطن. وهذه الاتصالات البسيطة أفعمت قلوب الاهل بالبهجة:

ريك يرسل اليك حبة ويود ان يعرف كيف حال الحديقة الآن."

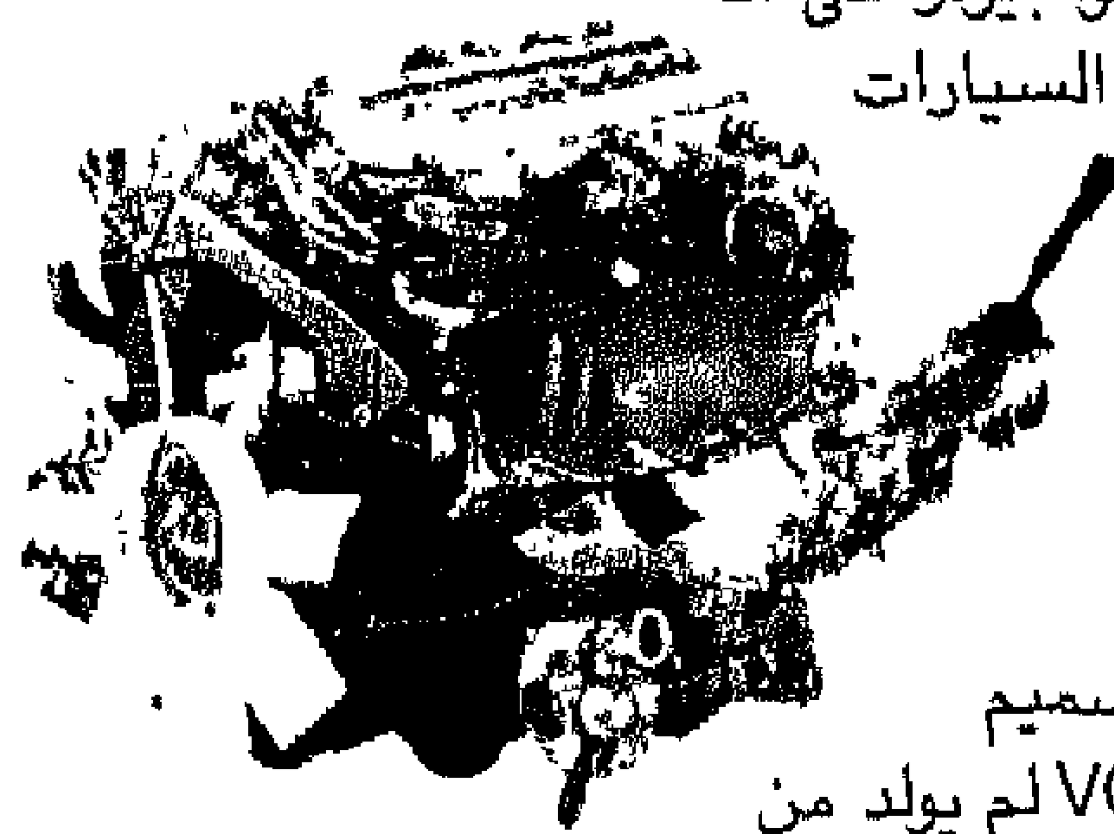
من "قصة آن لاندرز"

آفـــاق ن

الابتكار

يختار الناس سيارات نيسان لأسباب مختلفة.

فبعضهم يرى فيها القوة والاداء، ويرى فيها البعض الاخر أناقة الشكل والتكنولوجيا المتقدمة. وكل من هؤلاء على حق. لأن سيارات نيسان تحتوي على كل هذه العناصر مجتمعة. فمحركات VG30ET مثلاً، ليست قوية وحسب بل تجمع بين القوة والهدوء والدقة. لقد قدم المحرك V6 ذو القوة الهائلة والذي يعمل بالكومبيوتر على انه فتح جديد في تكنولوجيا السيارات ومع ذلك فهو صغير الحجم، خفيف الوزن، اقتصادي في الوقود وهادىء جداً أثناء تشغيله.



إن محركات VG30ET تستخدم احدث معجزات التكنولوجيا لتحقيق ادائها ودقتها غير العادية

وباختصار فإن التصميم المبتكر للمحرك VG30ET لم يولد من مجرد الرغبة في نيل اعجابك بقوته فقط، بل هو ابتكار يمنحك الافضل في كل شيء.

فلا عجب إذن أن يكون مطلوباً بشكل كبير من جانب سائقي السيارات الذين يرغبون في الموازنة بين القوة ورهافة الحس التكنولوجي.

ومثل ملايين السائقين في جميع أنحاء العالم، إجعل نيسان إختيارك الأمثل ففي كل سيارة منها يمكنك إيجاد مزايا غير مرئية لكنها حقيقية وتنفرد بها نيسان عن الاخرين — إنها آفاق نيسان.

الجودة فـــي حركتهـــا





الصيدلي ومعجون الأسنان

كاتب فكاهي سويسري يروي قصته مع معجون أسنان

تتولى زوجتي عادة شراء ما تحتاج اليه العائلة من معجون اسنان. وقبل فترة وجيزة كنت مسافراً وافتقدت المعجون والزوجة معاً.

لكن شراء معجون الأسنان ليس مشكلة بالنسبة الى رجل في عمري. ونصحني موظف الاستقبال في الفندق بالذهاب الى صيدلية قريبة. وهناك استقبلني شاب تبدو على وجهه سيماء أستاذ في الطب وسألني عما أريد.

قلت له: "أريد شراء معجون أسنان." وعبس وتولى كأني سألته عن كِلية أزرعها.

وهمس الشاب: "تعال." وجذبني الى زاوية في المحل مستفسراً: "هل تريد المعجون لك شخصياً؟"

ظننت للوهلة الاولى أني وقعت على متجر تستخدم فيه كلمة "معجون" كرمز لحشيشة الكيف. وأجبته: "أريده لنفسي." وأضفت أن زوجتي وأولادي قد يستعملونه أيضاً.

قال البائع بلهجة جادة: "فهمت. هذا يعني أنك تريد معجوناً متعدد الاغراض."



واعترضت: "لا، أريده لتنظيف أسناني فقط." وبدا لي كأنه لم يسمع قولي فمضى يشرح: "لدينا ٤٥ صنفاً من معجون لاسنان المتعدد الاغراض." ثم حدجني بنظرة فاحصة واستطرد: "هل تستعمل فرشاة أسنان كهربائية أم فرشاة من النوع اليدوي القديم؟"

أجبت ووجهي يكاد يحمرّ خجلا: "لدي فرشاة أسنان يدوية من النوع القديم."

نظر الشاب الي باشفاق وأخذني الى الجانب الآخر من العارضة وقال: "عندنا ٣٢ صنفاً من معجون الأسنان المخصص للفراشي اليدوية العادية."

قلت محاولا التخلّص من هذه الورطة: "سآخذ واحداً من هذه الأصناف."

وحدّق الي من خلف نظارتيه ثم تناول أحد الانابيب وقال: "لا ريب في أنك تريد معجوناً يطيّب أنفاسك وينظّف أسنانك."

أجبت ويدي تمتد لتمسك بالانبوب: "تماماً." لكنه كان أسرع مني فأخفى الانبوب وراء ظهره وهمس: "هذا الانبوب يحتوي على مادة ايليريديوم."

- وما هذه؟

"انها تجعل أسنانك بيضاء كالثلج الجديد. ويدوم مفعولها ١٢ ساعة ويمكن أن ترى مشعة في الظلام من مسافة ثلاثة أمتار."

وتخيلتني وزوجتي يبتسم كل منا للآخر في ظلام غرفة نومنا. ولكن عند هذا الحد بت على استعداد لشراء أي شيء. فقلت متساهلا: "حسناً، سأشتري المعجون الذي يحتوي على الايليريديوم."

لكن البائع أصر على الاطالة: "هل تريد واحداً يحتوي على عنصر ز ٦٨.. المقوي للثة أم واحداً من النوع العادي المحضر للأسنان التي ستتساقط في أي حال؟"

- من النوع الذي يحتوي على عنصر ز ٦٨..

"مع الفلورايد طبعاً."

- طبعاً.

"انه متوافر بخطوط مستطيلة حمراء أو بنقشة مرقطة." ثم تراجع وأخذ يمشطني بنظراته من قمة رأسي الى قدمي، وتابع: "أنت نحيف، لذلك أنصحك بشراء النوع المرقط. انه يجعل منكبيك يبدوان أعرض."

وتنهدت الصعداء: "حسناً، سآخذ المرقط بالأبيض والأحمر."

لكن الشاب عاد يقول: "ينبغي ألا ننسى أن زوجتك ستستعمل المعجون أيضاً. هل شعر السيدة أشقر أم أسود؟"

- أشقر.

"في هذا الحال أنصحك بالمرقط بالأزرق."

ووافقته على رأيه. لكنه لم يسكت: "اننا نبيع المعجون في أربعة أحجام: العائلي والاقتصادي والعادي والصغير."

قلت من فوري: "أعطني الحجم الصغير للسفر من فضلك." ولكن سبق السيف العزل اذ استدار صاحبنا وغاب ثم برز ثانية وهو يحمل ١٢ أنبوباً من الحجم الصغير.

ولذت بالباب هارباً وسمعته يقول: "هل لي أن أسألك الى أي بلاد أنت مسافر؟ لأن عندنا..."

ولم أسمع بقية كلامه لأن الباب انصفق ورائي.

هانس موزر ■

المختار من ريدرز دايجست
مارس (اذار) ١٩٨٦ — السنة الثامنة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة بوفر لكم منعة دائمة

أمٌّ نادرة

سيرة ممرضة بريطانية في منتصف العمر فتحت قلبها وبيتها لعشرات الاطفال

احدى أشهر الامهات في بريطانيا هي في السابعة والاربعين من العمر. انها ممرضة سابقة فتحت قلبها وبيتها لنحو ثلاثين طفلا.

جانيت بيترز العزباء هي من القطاع الشرقي في لندن، وأولادها كما تقول "هم أولئك الذين نبذهم جميع الآخرين."

لقد رفضت الاقرار بان هناك طفلا تستحيل استمالته. وكان نجاحها العظيم مدعاة لان يطلق عليها لقب "صانعة العجائب".

أكبر أبناء جانيت هو الآن في الثانية والثلاثين من العمر، وبين أصغرهم صبي في الثالثة وتوأمان ذكران في الرابعة مصابان بالتخلف المنغولي(١).

تبنت جانيت تسعة منهم رسمياً، وهي الوصية الشرعية على ثلاثة آخرين. ومع أنها ترغب في تبني الباقين فقد ظلوا أربّة(٢) لكي لا تنقطع عنهم المخصصات الحكومية التي لا يسع جانيت الاستمرار في رسالتها من دونها.

وجميعهم الا واحداً اختاروا أن يحملوا اسمها. وكل واحد منهم يناديها "ماما".

زرتها في بيتها الذي سكنته مدة سنتين. وهو عبارة عن بناءين من أربع طبقات على الطراز الفيكتوري في شارع هادىء من القطاع الشرقي. ورحبت بي في غرفة استقبال ناصعة النظافة تزيّنها طرائف يدوية وصور للاولاد مؤطرة وموضوعة في كل متسع.

ولم يلبث الاولاد أن عادوا من المدرسة.

---

(١) المنغولية Mongolism أو داء داون Down's Syndrome بلاهة خِلقية يكون المصاب بها منحرف العينين مسطح الجمجمة عريض اليدين قصير الاصابع.

(٢) جمع ربيب، وهو ابن بالتربية.

ولا يزال منهم ١٥ صبيا وست بنات يعيشون في البيت مع مجموعة حيوانات مدللة. وعندما اندفعوا نازلين السلالم لتناول الشاي وقفت جانيت بينهم هادئة شقراء بشعر معقوص وجسم ممتلىء وكأنها قائدة في حلقة كشفية.

مشوار طويل – جاء معظم أولاد جانيت من بيوت رعاية محلية. خمسة منهم أيتام، وبعضهم مصاب بعاهات جسدية أو عقلية. إيان (١٨ عاماً) مقعد نتيجة سوء تغذية عضلي(٣). وإيفي (٢٣ عاماً) مصنفة "دون المستوى التربوي". وكولين (٢٠ عاماً) وُلِد كالتوأمين مصاباً بالتخلف المنغولي.

الشيء الوحيد الذي يجمع بينهم عمر من التشرد والرعب وسوء المعاملة. "انه الجحيم المطلق" بكلمات فتاة وصفت ما مر بها. وتحتدم افتخاراً وهي تباهي بأن اسمها الآن روبرتس وان هذا هو بيتها الى الابد. أما كارين (٢٦ عاماً) التي باتت تعمل وتعيل نفسها فتعود الى البيت يومياً. وهي رفضت أن تحدثني عن ماضيها، لكنها تهللت عند ذكر جانيت وقالت: "انها رائعة الى حد الغرابة. فهي تدرك جميع حاجاتنا وتهتم لها وتذهب في سبيل تحقيقها كل مذهب."

بعض الصغار اختبروا تنقلات أكثر من أن يستطيعوا تذكرها. وأحدهم عاش في أكثر من ١٩ منزلا. وتقول جانيت: "بعد أن يصلوا الى هنا يبقون حقائبهم محزومة لاشهر متوقعين التحرك مرة أخرى، حتى اذا حلّوها عرفنا أننا ربحنا الرهان."

ولكن في معظم الحالات لا يكون ذلك سوى بداية مشوار طويل. وتلفت جانيت الى أن "العسف الجسدي والعقلي يترك جروحاً تقتضي وقتاً طويلا للاندمال. أحد الاطفال ترك على باب جانيت وهو في السادسة من عمره مع بطاقة من أمه تطلب العون. لقد تسببت نوبات عنف كانت تصيبه في زيادة حدة العنف في طبع الام مما أغرق الطفل في دوّامة من الاذى الجسدي. وتروي جانيت انه "مرت على الطفل ثلاث سنوات قبل أن يستقر ويصفو، وكان علي أن أؤكد له المرة تلو الاخرى أننا نحبه ونريده." أما الآن وقد كبر فهو يعيش في بيت مستقل ويعمل مع أناس ناضجين.

وهناك آخر في السادسة كان معتاداً السرقة. وهو صنّف متخلفاً عقلياً ولم يحرز أي تقدم في تعلم القراءة والكتابة. وأعلن اساتذته أنه غير مؤهل للعلم لكن جانيت لم تصدقهم: "كنت أعلم أن ذلك غير صحيح. ولقد كانت في ذهنه خريطة كاملة لهذا الجزء من المدينة." لذلك أعدّت له برنامجا تعليمياً خاصاً. وخلال سنتين استطاع الالتحاق بأحد الصفوف في مدرسة عادية. انه الآن في الجيش، ويقوم بعمله جيداً. وتشير جانيت بفخر الى الجوائز الرياضية التي نالها.

حب مكثف – جانيت روبرتس امرأة خارقة على جميع المستويات. انها خجولة وغير مدعية. وتنكر وصف انجازاتها بالعمل البطولي وتقول: "اننا نعيش كعائلة كبيرة. وليس في ذلك أمر غير

(٣) Muscular dystrophy

عادي." وتتابع بلهجة لندنية لطيفة: "أهم ما أمنح أولادي هو الاستقرار. وعندما يتقبلون فكرة أن هذا هو بيتهم يصبح ما أعمله قليلا جداً."

ان تأثير جانيت بارز خصوصاً في اطار النظام الصارم الذي وضعته. فكل واحد من الاولاد يستيقظ في السابعة يومياً. الكبار يُعدّون الفطور ويحضرون المائدة ويغسلون الصحون، والصغار يرتبون الغرف والاسرة ويكنسون ويمسحون. وتعقد بعد الفطور جلسة عائلية تدوم ٣٠ دقيقة وتتخللها صلاة ومناقشة لمخططات مستقبلية، بما فيها قدوم طفل جديد، وحل أي مشكلة قد تواجه الاولاد. ويتشكى أحدهم من عدم نظافة شريكه في الغرفة. وتطلب أخرى مساعدتها في عمل منزلي. وتقول الزائرة الصحية كارول سنكر التي تعرف العائلة منذ عشر سنين: "جميع مخاوفهم وأسباب قلقهم وازعاجهم يباح بها وتعلن. ليست بينهم أسرار."

ولا شك في أن التكافل المتبادل بين الاولاد هو القوة الكبرى في بيت آل روبرتس. وتصفهم جانيت بانهم "يضعون تجاربهم الشخصية في خدمة بعضهم بعضاً." وعندما ينفجر قادم جديد في نوبة غضب أو هياج يأخذه الاولاد جانباً ويقولون له: "عليك الا تفعل ذلك هنا. نحن لا نريد أخاً يتصرف على هذا النحو."

وتكافل هذه الجماعة صنع العجائب مع التوأمين المتخلفين الذين لم يكونا يستطيعان الجلوس باستقامة يوم تسلمتهما جانيت في يونيو (حزيران) ١٩٨٣. فمنذ لحظة وصولهما أحيطا بالحوافز الدائمة الضرورية لنموهما. وخلال ستة أشهر كانا يناغيان ويجلسان ويحبوان في جميع الاتجاهات. وترى إلسي لويس وهي معلمة محلية وصديقة للعائلة: "ان الحب المكثف الذي أغدق على هذين الطفلين لا يمكن وجوده في أي مكان آخر."

عناية خاصة – نشأت جانيت روبرتس في شرق لندن في جو مماثل للاجواء التي ربي فيها معظم أبنائها. كان والداها دائمي الشجار، وهما طلقا عندما كانت في الرابعة عشرة من العمر. وتدربت كممرضة في مستشفى "مايل إند" في لندن، ثم تابعت دراستها لتصبح قابلة وتحصل على شهادة مربية اطفال. وخطبت للزواج، لكنها فسخت خطبتها لان خطيبها كان يريد أربعة اطفال فيما كانت هي لا تريد الانجاب في ذلك الوقت.



وفي العام ١٩٦٧ أثناء عملها الاول كممرضة في لندن، صادفت عدداً من الاولاد الذين نبذتهم الفرق الكشفية والجماعات المحلية الاخرى بحجة كونهم غير انضباطيين. وقررت أن تنشىء لهم نادياً خاصاً متوقعة حضور بضعة عشر منهم على الاكثر في اللقاء الاول. وأدهشها أن جاءها نحو ثمانين.

وعلى رغم ازدهار النادي فقد أدركت جانيت أن الاولاد في حاجة الى المزيد. كثيرون منهم لم يكن لهم منزل ولا عائلة. وسرعان ما أمّنت لبعضهم مأوى ليلياً في بيتها الذي يحوي غرفة نوم واحدة. ولم تلبث وحدة الخدمات العائلية في المدينة، وقد اعجبتها مقدرة جانيت في معالجة مشاكل الاولاد، أن طلبت منها العناية بفتاة في الرابعة عشرة تعاني "تمزقاً" مسلكياً. وتعلن جانيت: "هنا كانت بداية كل شيء."

وسرعان ما كثر العدد. وكلما انتقلت جانيت الى منزل أوسع كانت تأخذ أولاداً آخرين. والمسألة في نظرها سهلة جداً: "رأيي انه كلما آويت طفلا نقص عدد الاطفال الذين لا مأوى لهم واحداً."

كانت المهمة شاقة. وكانت جانيت لا تزال تعمل ممرضة. لذلك ساعدها الاصدقاء. وقد باتت احداهن، وهي جويس ناش، من أفراد العائلة. انها ممرضة محاضرة في معهد بوليتكنيك شمال شرق لندن، وكل مساء تصبح "خالة" للشلة.

واذ ازداد عدد الافواه في العائلة تفاقمت المشكلة المالية. ولم تكن جانيت تتلقى في تلك الايام الاولى إعانات كافية للقيام بأود الاطفال.

ومع مرور الوقت اعتُبر معظم الاولاد أربّة رسمياً، وحق لجانيت الحصول على مخصصات حكومية مما سمح لها بالتخلي عن عملها ووقف نفسها كلياً على عائلتها مخصصة وقتاً اطول لاولئك الذين كانوا، مثل إيفي، في حاجة الى عناية خاصة.

عندما جاءت إيفي كانت في السن الثالثة عشرة وتعاني اضطراباً عاطفياً وانغلاقاً كلياً على التعلّم وعجزاً عن التكلّم. وراحت جانيت ترفع من معنوياتها كأن تعهد اليها في مهمات معينة كتحضير الشاي والعناية بالصغار. وخلال أشهر كبرت ثقة إيفي بنفسها وباتت تتكلم بوضوح. وهي اليوم تعطف على "اخوتها" وتشعر بالمسؤولية تجاههم وتقلق اذا تأخروا في العودة من المدرسة.

حفلات عائلية – كلما زاد عدد أفراد العائلة واحداً تقول جانيت انها وصلت الى الكفاية وليست لديها القوة ولا الموارد لاستقبال المزيد. ولكن ليس من طبيعتها أن ترد طلباً. وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٨٤ كانت احدى صديقاتها تحتضر، وهي أم لثلاثة أولاد في الثانية والثالثة عشرة والسابعة عشرة من أعمارهم. وطلبت من جانيت أن تكون الوصية الشرعية على الاطفال، فوافقت. ومن دون جلبة زادت ثلاثة أسرّة ورحبت بالقادمين الجدد بعناق أمومي. وتعترف: "ان أصعب الامور قول: لا!"

ومع كون جانيت آخر من يتذمر فهي تقر بأن هناك أياماً تشعر فيها بأنها

متعبة جداً وبأنها نالت حصة لا بأس بها من سوء الحظ، كمعاناة الاضطراب العاطفي والمسلكي في الاطفال وهرب بعض المراهقين من البيت، وقد بقي أحدهم هارباً مدة ستة أشهر.

وأكثر ما يقلقها المعاناة المالية الدائمة. فشهية الفتية ترفع فاتورة الطعام الى ٥٠٠ جنيه أسبوعياً، في حين انها تتلقى مخصصات اسبوعية تراوح بين ٣٠ و٤٠ جنيهاً عن كل ربيب، ويزاد المبلغ اذا كان الولد معاقاً أو تصعب رعايته، وتخصص مبالغ صغيرة للاولاد المتبنين الذين يقتضون عناية خاصة. وتساهم جويس "بكل فلس" من راتبها. وتقدم مؤسسات وأفراد حسنو النيات هدايا نقدية وعينية. لكن الاصدقاء لا يزالون يتساءلون: كيف تتدبر جانيت أمرها؟ فيجيب أحدهم: "ان الله معها."

وعلى رغم الافتقار الى المال فلا تنسى مناسبة واحدة للاحتفالات السارّة. فجانيت وجويس تتذكران جميع أعياد الميلاد وهداياها، فيُصنع قالب الحلوى وتقام الحفلة. وفي عيد غي فوكس انضم الى العائلة حول النار في الحديقة نحو عشرين صديقاً، ولبست جانيت ثوباً تنكرياً وراحت تقدم الهامبرغر والبطاطا المشوية. أما أجمل الحفلات فهي حفلة عيد الميلاد حين تقدم جانيت وجويس طعام العشاء لخمسة وثلاثين شخصاً على الاقل بمن فيهم الابناء الكبار الذين غادروا البيت، وبعضهم يأتي وهو يسحب وراءه ابناءه.

في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ انتقلت عائلة روبرتس مرة أخرى الى بيت أكبر شيد على مساحة هكتارين ونصف هكتار من الارض قرب سيلمسفورد في مقاطعة ايسكس، وقربه بستان يوفر فرص العمل للاولاد الاكبر سناً.

وكانت جانيت منذ وقت طويل ترغب في الانتقال الى الريف، لكنها أرادت أن تتأكد اولا من أن الاولاد الذين كبروا وتركوا البيت كانوا سعداء ومستقرين. وتقول: "ما يسعدني انهم ما زالوا يتعاونون ويتبادلون الزيارات والاتصالات. وعندما يرزق أحدهم طفلا يتنادون للمساعدة. ان في استطاعتي الآن الانتقال وأنا مطمئنة الى أنهم سيتكافلون."

وتتحدث جانيت عن "أولادها" بفخر: "لقد أعطوني اكثر بكثير مما أعطيتهم، وكل أملي الآن أن يكبروا ويسعدوا في الزواج ويهبوني الكثير من الاحفاد."

ثم تتوقف متأملة وتتابع: "لكنني لا أزال افكر في جميع اولئك الذين لن يتعرفوا الى فرح العائلة وليس لهم في العالم من يعنى بهم. وقد قال لي مرة صبي في التاسعة: أريد انساناً يصرخ من اجلي. وهذا ما يريده كل طفل: انسانا يهتم به."

ديبورا كاولي ■

الانسان كالكسر الحسابي، يتألف من صورة ومَخرج. الصورة هي ما هو حقاً، والمخرج هو ما يعتقده في نفسه. وكلما كبر المخرج تضاءل الكسر.

ليو تولستوي

أين الخطر في المحلّيات الاصطناعيّة؟

غزت بدائل السكر الاسواق لتلبية مرضى السكري ومتبعي أنظمة الحمية، لكنها باتت موضوع جدل حاد وارتباك شعبي عارم، اذ اتهم بعضها بالتسبب في السرطان والتخلف العقلي وايذاء الدماغ، فيما نسبت الى البعض الآخر أعراض آلام الرأس والدوار واضطرابات المعدة وعدم انتظام الطمث. فأين هامش السلامة في المحليات الاصطناعية؟

مضى على نزول المحليات الاصطناعية الى الأسواق اكثر من مئة عام، ومنذ البداية قام جدل ناشط حول مدى سلامتها. ويستمر الجدل حالياً فيما يزداد استهلاك هذه المحليات.

يدخل الأسبارتام والسكرين، إما منفردين وإما معاً، في المرطبات الخالية من السكر والأطعمة الحبوبية (cereals) والحلوى والفواكه المعلبة واللبان (العلكة) ومطهرات الفم والأدوية. ويستخدمان كمادتين بديلتين من السكر في ملايين الأطباق والمآكل. وفي العام ١٩٨٥ ارتفعت نسبة استعمال الأسبارتام من ٣٥ الى ٦٥ في المئة من الاستهلاك العام لبدائل السكر.

ويأتي التحدي الأخير للمحليات الاصطناعية من مجلة "كومون كوز" ومن عضو مجلس الشيوخ الامريكي هوارد ميتزنبوم، فيشككان في صحة موافقة إدارة الغذاء والدواء الأمريكية على سلامة هذه المستحضرات. ومن ناحية أخرى أقرّ مجلس الشؤون العلمية التابع للمؤسسة الطبية الأمريكية، إضافة الى مراجع أخرى، أن الأسبارتام مادة غير ضارة للأولاد والبالغين الطبيعيين.

فهل المحليات الاصطناعية غير ضارة بالصحة حقاً؟

أحلى من السكر – اكتُشف الأسبارتام مصادفة عام ١٩٦٥ حين عمد الكيميائي جايمس شلاتر من شركة "ج.د.سيرل" في سكوكي بولاية ايلينوي الى مزج حمضين أمينيين هما الفينيل ألانين والحمض الأسبارتي، وكلاهما من المكونات

الأساسية للبروتيينات. وحدث ذلك عرضاً أثناء بحثه عن دواء لقرحة المعدة، اذ لمست أصابعه المزيج المسخن، وحين لعقه اكتشف مذاقه الحلو.

وكان في الأسواق الأمريكية آنذاك نوعان فقط من المحليات ذات الوحدات الحرارية المنخفضة، وهما السكرين والسيكلاميت. أما الأسبارتام فيحتوي على الوحدات الحرارية ذاتها الموجودة في السكر العادي، لكنه أحلى بنحو مئتي مرة. لذا فان وحدة حرارية واحدة منه تحلي علبة صودا وتمنح مرضى السكري ومتبعي أنظمة الحمية الفوائد نفسها التي توفرها المحليات الأخرى. ولما كانت عناصر المركّب متوافرة في البروتيينات الطبيعية وفي عصير الفاكهة، فقد صمّمت "سيرل" على طرحها في الأسواق كبديل سليم من السكر.

في بادىء الأمر طلبت الشركة اذناً بتسويق هذه المادة في شكل مسحوق محلّ يضاف الى الطعام. ونالت موافقة إدارة الغذاء والدواء الأمريكية عام ١٩٧٤. لكن الأسبارتام لم ينزل الى الأسواق، إذ انتقدت أطراف فاعلة قرار ادارة الغذاء والدواء.

تساؤلات شعبية – في العام ١٩٧٨ تبددت شكوك إدارة الغذاء والدواء حول أبحاث "سيرل" حين ناقشت الموضوع هيئة من الباثولوجيين (علماء الأمراض) فخرجت بنتيجة في مصلحة الشركة. ثم طرحت تساؤلات أخرى من تجمعات مستقلة للمستهلكين حول ما إذا كان الأسبارتام يسبب تخلفاً عقلياً واذى للدماغ. ولكن في العام ١٩٨٠ اجرت لجنة عامة مستقلة تضم ثلاثة علماء جامعيين تحقيقات وناقشت هذه التساؤلات مع عدد من المعنيين فقررت بنتيجتها أن المحلي لا يسبب أياً من هذين العطلين. لكن اللجنة اقترحت تأخير إعطاء الاذن بتسويق الاسبارتام ريثما يعاد إجراء بعض التجارب على الأورام الدماغية في الجرذان.

في غضون ذلك رأس المفوض آرثر هال هايس ادارة الغذاء والدواء، وهو طبيب واختصاصي بالصيدلة. وفي العام ١٩٨١ رأى هايس ان لا حاجة الى تأخير الاذن لاعادة التجارب على الجرذان. واستشهد بدراسة يابانية لم تظهر فيها أي أورام دماغية. وهكذا وافق هايسٍ على صلاحية الأسبارتام كمسحوق محلٍ يضاف الى الطعام. وأيد قراره اثنان من اعضاء اللجنة الثلاثية، ولم يدلِ الثالث برأيه البتة. وأنزل الأسبارتام الى الأسواق في المستحضرات الحبوبية والأطعمة المجففة.

وعام ١٩٨٣ أُعطيت الموافقة على استخدام الأسبارتام في المشروبات الغازية. وطالب معارضو القرار بمناقشة عامة له قبل السماح باستخدام هذه المادة في الصودا المخصصة للحمية. إلا أن الطلب رُفض.

وسرعان ما تصدّر الأسبارتام كل المواد المستعملة في المشروبات الباردة. وبلغت قيمة مبيعاته العالمية عام ١٩٨٤ نحو ستمئة مليون دولار. لكن شعبيته لم تنهِ الجدل حوله. فثمة مئات بين ملايين الأشخاص الذين استخدموه شكوا من

عوارض تفاوتت بين أوجاع الرأس والدوار واضطرابات المعدة وعدم انتظام الطمث وسوى ذلك. ولما كانت المستحضرات المحتوية على الأسبارتام تذكر ذلك بوضوح، فقد أرتأت ادارة الغذاء والدواء أن يتحاشاها كل من يظن انها قد تسبب له إزعاجاً أو اضطراباً.

الكمية المقبولة – إن العنصر الاكثر اثارة للقلق في الاسبارتام هو الفينيل ألانين. فهذا الحمض الاميني يدخل نحو أربعة في المئة من معظم البروتيينات، ويعتبر مادة ضرورية للحياة ومع ذلك فهو قد يسبب اضطرابات لقلة من الناس. فالذين يعانون مرضاً وراثياً نادراً يسمى "فينيل كيتونوريا" يجب أن يتحاشوا تناول البروتيينات ما أمكنهم ذلك.

وحدَّدت إدارة الغذاء والدواء "الكمية المقبول تناولها يومياً" من الأسبارتام بخمسين مليغراماً لكل كيلوغرام واحد من وزن الجسم، وهكذا فان شخصاً بزن سبعين كيلوغراماً يتعين عليه – اذا شاء الحصول على هذه الكمية – شرب سبع عشرة زجاجة من الكولا الخاصة بالحمية.

وتوالت الدراسات حول الأسبارتام. ويقول غاري فلام المسؤول في إدارة الغذاء والدواء: "انها المادة التي حظيت بالتدقيق الاوفى بين كل المواد المضافة الى الأطعمة." وبناء على هذه الدراسات وضمن حدود الاستهلاك المعقولة، فان عشرات المؤسسات الطبية في الولايات المتحدة وفي اكثر من أربعين بلداً آخر تعتبر الأسبارتام بديلا صحياً من السكر.

وعلى رغم كل ما ذكر ما زال بعض النقاد يعتقدون أن موافقة إدارة الغذاء والدواء على استخدام المحليات تحتاج الى مزيد من التمحيص والتدقيق.

السكرين قيد الاستعمال – اكتشف السكرين عام ١٨٧٩، وهو المحلي الاصطناعي الاكثر استعمالا في العالم ويتوافر في ثمانين دولة. ويعتبر أحلى من السكر الطبيعي بثلاثمئة مرة.

ظل السكرين لاكثر من خمسين سنة أساس طعام المصابين بداء السكري ثم أجريت دراسة عام ١٩٧٢ في الولايات المتحدة أخضعت جيلين متعاقبين من الجرذان لجرعات عالية جداً من السكرين (ما يعادل ١٢٥٠ علبة صودا يومياً لانسان راشد). وكانت النتيجة أن أصيبت ذكور الجيل الثاني بأورام في المثانة. ورداً على هذه النتيجة بادرت إدارة الغذاء والدواء الى محو السكرين من لائحة المستحضرات المضافة الى الأطعمة



و"المتعارف عموماً على سلامتها." وعندما أكدت دراسة كندية لاحقة تفشي سرطان المثانة في ذكور الجرذان اقترحت الادارة عام ١٩٧٧ حظر استعمال السكرين كلياً.

في تلك الفترة كان السكرين المحلّي الاصطناعي الوحيد المتوافر في الأسواق الأمريكية، فعلت صيحات الاحتجاج من المصابين بداء السكري ومن مجموعات أخرى. فما كان من الكونغرس (البرلمان) الأمريكي إلا أن أصدر سلسلة قرارات تعلّق الحظر حتى العام ١٩٨٧.

لكن دراسات لاحقة أجرتها إدارة الغذاء والدواء ألقت ظلالا من الشك على تسبب السكرين في السرطان عند الفئران. ويقول رونالد هارت مدير المركز الوطني لأبحاث السموم التابع لادارة الغذاء والدواء: "أظهرت النتائج بوضوح أن السكرين لا يحدث سرطاناً ولا يسبب أورام المثانة. وعلى رغم أن تناول السكرين أظهر هذه الاعراض في الجرذان، فانه لم يفعل شيئاً البتة في الفئران."

وأضاف: "السؤال الذي يطرح تلقائياً هو: هل ان الناس يشبهون الجرذان أم الفئران في تأثرهم بالسكرين؟"

ومن المستبعد أن تسبب هذه المادة السرطان عند الآدميين، إذ انها لا تتمثل في الجسم، بل تُفرز بسرعة عبر الكلي. وهي أيضاً لا تؤثر في الحمض النووي «DNA» الذي يخزن كل المعلومات الوراثية في الخلايا.

ان مئات الملايين استخدموا السكرين في طعامهم منذ أكثر من ثمانين سنة، وكثيرون من هؤلاء كانوا مصابين بالسكري. ومرضى السكري يُعتبرون الأكثر تعرضاً للأمراض السرطانية ذات العلاقة بالمحليات الاصطناعية، اذ انهم يستعملونها اكثر من سواهم. وقد أظهرت دراسة أمريكية أجريت على ٢١،٤٧٧ مريضاً بالسكري أن إصابات سرطان المثانة بينهم لا تتجاوز الـ ٧١ في المئة من الاصابات المتوقعة بين عدد مماثل من الاشخاص الطبيعيين.

السيكلاميت – كان السيكلاميت المحلّي الاصطناعي الآخر الوحيد الذي وصل الى السوق الأمريكية. وهو اكتشف عام ١٩٣٧ ويعتبر من مشتقات المواد البتروكيميائية. انه كالسكرين خال من الوحدات الحرارية ويفوق السكر حلاوة بثلاثين مرة. وفي ذروة رواجه في الستينات غالباً ما خُلط بينه وبين السكرين. ثم أظهرت تجارب على الجرذان أن السيكلاميت قد يسبب سرطان المثانة، فحظرته إدارة الغذاء والدواء عام ١٩٧٠.

ولكن بعد تجارب جديدة قدمت الشركة المنتجة (مختبرات أبوت) ومجلس ضبط الوحدات الحرارية (اتحاد منتجي المستحضرات الفقيرة بالوحدات الحرارية) التماساً الى ادارة الغذاء والدواء لرفع الحظر عن السيكلاميت. وهكذا قررت الادارة في العام ١٩٨٤ أن السيكلاميت مادة غير مسببة للسرطان. وبطلب منها أعاد المجلس الوطني للابحاث في الولايات المتحدة النظر في كل الدراسات السرطانية المتعلقة بالسيكلاميت، وقرر عام ١٩٨٥ "ان كل

الدلائل المتوافرة تظهر أن السيكلاميت لا يسبب السرطان." ودعا الى اجراء مزيد من الأبحاث. وعلى رغم أن السيكلاميت ما زال محظوراً في الولايات المتحدة، فانه يستعمل في ٥٩ بلداً آخر.

وفي هذه الأثناء ينتظر محلّ اصطناعي رابع هو "سونيت" موافقة ادارة الغذاء والدواء لتسويقه في الولايات المتحدة. وهو لا يباع قانونياً الا في بريطانيا وسويسرا وألمانيا الغربية. انه أحلى من السكر بمئتي مرة، وهو خال من الوحدات الحرارية ولا يتمثل في الجسم ولا يبقى له مذاق في الفم.

إن الاسبارتام هو المحلي الاصطناعي الوحيد المرخص له من إدارة الغذاء والدواء الامريكية. وهو متوافر في معظم أنواع الأطعمة.

ويعتقد مجلس ضبط الوحدات الحرارية أن الوضع سيتحسن حين يُرخَّص لمزيد من المحليات الاصطناعية. فالتعدد يمنح المنتجين والمستهلكين مجالا أوسع للاختيار، كما يقلل من امكان الاستهلاك المفرط لأي من المستحضرات.

ويؤكد الدكتور لويس ستيفينك أستاذ طب الأطفال والكيمياء الحية في كلية الطب بجامعة ايوا أن ليس هناك أي محل اصطناعي، أو أي مادة أخرى، سليم كلياً وفي كل الأحيان ولكل الأشخاص وبجميع الكميات. ويضيف: "المسألة هي ما إذا كان المركب مؤذياً لدى استعماله على نحو طبيعي ولدى اساءة استعماله."

ووفقاً لهذه المعطيات العلمية فان الأسبارتام مأمون العاقبة، والسكرين مأمون على الأرجح، والسيكلاميت والسونيت يؤمل أن يكونا مأمونين.

ولتر روس ■

ببغاء الرئيس

أعيش وحيدة مع ابنتي وهي في العاشرة من عمرها، وأدرك أنها اعتادت الحرمان من كماليات كثيرة. ولكي أعوضها بعض ما تفتقده وعدتها قبل مدة بشراء دمى لها حالما أنال زيادة على راتبي. ثم ذهب رب عملي في اجازة وطلب مني أن أعتني بكلبه وقططه وببغائه في غيابه. وفي اليوم السابق لعودته ذهبت مع ابنتي لاطعام الحيوانات، وفيما هي تعنى بالببغاء سمعتها تمطر ذلك الطائر التعس بالقول: "أمي تحتاج الى علاوة... أمي تحتاج الى علاوة... أمي تحتاج الى علاوة."

وهكذا حصلت الام على العلاوة والابنة على الدمى.

ر.و.

اذا أعيتك الحيلة في جعل الآخرين يصغون الى ما تقول، أوح اليهم أن لديك سراً تريد أن تبوح به.

ف.د.

تسع نصائح من اختصاصي مرموق
لابقاء جذوة الحب مشتعلة بعد ۲۰ أو ٤٠ أو ٦٠ سنة

أعطوا الحبّ أفضل ما لديكم

هناك لحظتا اثارة غير عادية يتذكرهما هنري وأليس. حدثت الاولى في بداية علاقتهما، عندما نظر واحدهما الى الآخر عارفاً تماماً أنه محبّ ومحبوب. حينئذ أحسّا بروعة الحياة.

وبعد سنوات نظر واحدهما الى عيني الآخر فرأى غريباً. فتصرفاتهما باتت مقولبة بالاذى والغضب.

وجاء الزوجان يستشيرانني لانهما أرادا معرفة ما اذا كان في الامكان احياء الشعلة التي اتّقدت بينهما يوماً. وكانا كلاهما خجلين وكأنهما عرفا أنهما ملكا مرة شيئاً ثميناً خاناه من غير ادراك.

طرحا علي سؤالا سمعته مراراً خلال ممارستي الاستشارية: "هل هناك طريقة معينة يتصرف بموجبها الازواج الذين يبقون سعداء معاً تختلف عن تلك التي يتصرف بها أولئك الذين لا يبقون سعداء؟"

وأجبتهما أن نعم. فالازواج الذين يبقون على حبهم وينعم أحدهم بالآخر لسنوات بعد الزواج لا يأخذون علاقتهم على علّاتها، بل يعبّرون عن مشاعرهم كل يوم بطرائق مختلفة.

وتبيّن أبحاثي الخاصة وأبحاث مستشاري الزواج الآخرين أن أي زوجين سعيدين يتصرفان كالآتي:

الزوجان

السعيدان يعبران عن حبهما بكلمات. انهما لا يقولان: "لماذا هذا السؤال؟ هل احبّك؟ لقد تزوجتك، ألم أفعل؟"

قالت احدى النساء: "ان نطق هذه الكلمة نوع من الملامسة."

الزوجان

المحبان يتماسكان بالايدي ويتعانقان ويتضامان.

قال أحدهم: "ان أولى ممارسات الطفل للحب هي من خلال اللمس. ونحن لا نكبر أبداً على هذه الحاجة."

أروع موضع تسلّط عليه الاضواء. وأملي الوحيد أن أعبّر عن اعجابي به. وسأخبرك سراً: أن تكون محبوباً هو ثاني أروع ما في العالم، أما أن تحب انساناً آخر فهو أروع ما في العالم."

الزوج

السعيد يتقاسم حياته مع الشريك اكثر منه مع أي انسان آخر. انهما يتقاسمان الافكار والمشاعر والآمال والطموحات مثلما يتقاسمان الآلام والغضب والشوق وذكريات الاذى والاحراج.

وهناك غالباً شريك تعوزه الرشاقة في التعبير عن الافكار والمشاعر الحميمة. ولكن حتى الشخص الاقل كلاماً يأتمن شريكه وينتظر منه التفهم والعون أكثر مما يفعل مع أي انسان آخر.

يبقى الجنس حيوياً بالنسبة اليهما حتى بعد انقضاء سنوات العاطفة المشبوبة. ولا يعني هذا أنهما ينظران اليه وكأنه الشأن الاهم في زواجهما.

الزوجان الناجحان يتحدثان عما يحب أحدهما في الآخر.

أخبرتني احداهن: "كان زوجي دائماً جمهوري الأفضل، سواء في حادث حصل معي في العمل أو في ملاحظة أبديتها في احدى الحفلات او بالطريقة التي أرتدي بها ملابسي او بوجبة اعددتها. انه يبدو وكأنه يلاحظ كل شيء. وهو يدعني أرى اعتزازه ورضاه. فأحس كأنني واقفة في

. الزوجان السعيدان حاضران دائماً في أوقات المرض والشدة. فهما أفضل الاصدقاء، وواحدهما يحضن الآخر ويرعاه.

والرعاية تعني دعم نمو انسان آخر والاهتمام لمشاعره ورغباته. واذا كنا نرى حاجاتنا ونعمى عن حاجات الشريك فعلاقتنا كعلاقة الولد بوالديه وليست علاقة أنداد. ولقد قال لي أحدهم: "ان أهم ما نفتش عنه في الحب هو شخص يكرّس نفسه بصدق لاجل سعادتنا. وطبيعي أن يكون هذا ما ينتظره الآخر في المقابل."

يقدم الزوجان السعيدان هدايا في اكثر

من المناسبات التقليدية، ويؤديان مهمات استثنائية لتخفيف أعباء الشريك. والعبرة ليست في ثمن مثل هذه الهدايا، بل هي في النية المبيتة: منح المسرة للشريك. والمكافأة هي في تعابير البهجة والرضا على وجهه.

المطالب والمعايب متممات

لحل علاقه سعيدة. كذلك طيب الخاطر والعطف اللذين يتجاوب بهما الزوجان الناجحان. انهما لا يتعذبان ولا يعذبان الشريك بسبب النواقص. فكلاهما يعرف أنه غير كامل، وكلاهما يفهم أن فضائل الشريك ترجح معايبه. انهما يختاران أن يتمتعا بالايجابيات بدلا من اغراق علاقتهما في الانشغال بالسلبيات.

وهذا لا يعني أنهما لا يطلبان تغييراً في تصرفات غير مرغوب فيها يكتشفها أحدهما في الآخر، ويتحقق لهما أحيانا ما يطلبان. لكنهما لا يضخمان الصعوبات.

فالاستمتاع بعلاقتهما يجيء في رأس الاولويات. انهما يتفهمان أن الحب يتطلب عناية ووقتاً، ولذا يقاومان ممارسة نشاطات تفرّقهما.

وفي ملاحظاتي أن أعظم ما يهدد الوقت الخاص ليس عمل الزوجين بل ما يسميانه "واجبات اجتماعية". فزيارة الاصدقاء والاقارب معاً قد تكون مدعاة سرور لكنها ليست بديلا من بقائهما وحيدين معاً. لا شيء بديلا. والازواج الناجحون يعرفون ذلك.

ان لم تكن علاقتكما على ما يرام، فكيف يمكنكما تحسينها؟

الطريقة الفضلى الى ذلك هي البدء باعتبار هذه القواعد المسلكية وممارستها. فاذا تصرفت مع شريك على نحو أكثر محبة واحتراماً، فسرعان ما تشعر بالرضا عن نفسك. وعندما تحسّ أنك أهل للحب ستدرك لذة التبادل والتكامل. ونتيجة ذلك ستنمو علاقتكما وتزدهر.

هذا ما شرحته للزوجين هنري وأليس. وأضفت: "أنتما تعلمان أن المأساة الحقيقية في معظم العلاقات هي أن الناس يخشون اعطاء افضل ما لديهم. انهم يخافون ألا يكون أفضل ما لديهم كافياً أو ألا يحظى بالتقدير، لذلك ينكمشون عن العطاء. فاذا شئتما أن تثابرا لفترة وتعطيا أفضل ما لديكما، فقد تكتشفان أن دواعي حسنة أوقعتكما في الحب أولا، وأن الحب لا يزال موجوداً."

ولديّ قناعة بأن لدى هنري وأليس فرصة جيدة لانقاذ زواجهما، وانهما هذه المرة سيعرفان كيف يصونان حبهما ويغذّيانه، وينميانه.

ناثانيل براندن ■



لم يأبه الصغار يوماً لنصائح الكبار، غير أنهم ما انفكوا يسيرون على خطاهم.
جايمس بولدوين، كاتب امريكي أسود



فوق المياه المتجمدة في خليج كوك في الاسكا كان مساح الاراضي مارف ميلام (٣٦ عاماً) يقود طائرته الـ"سيسنا ١٨٠" والى جانبه رئيسه وصديقه كين بروسار (٣٢ عاماً).

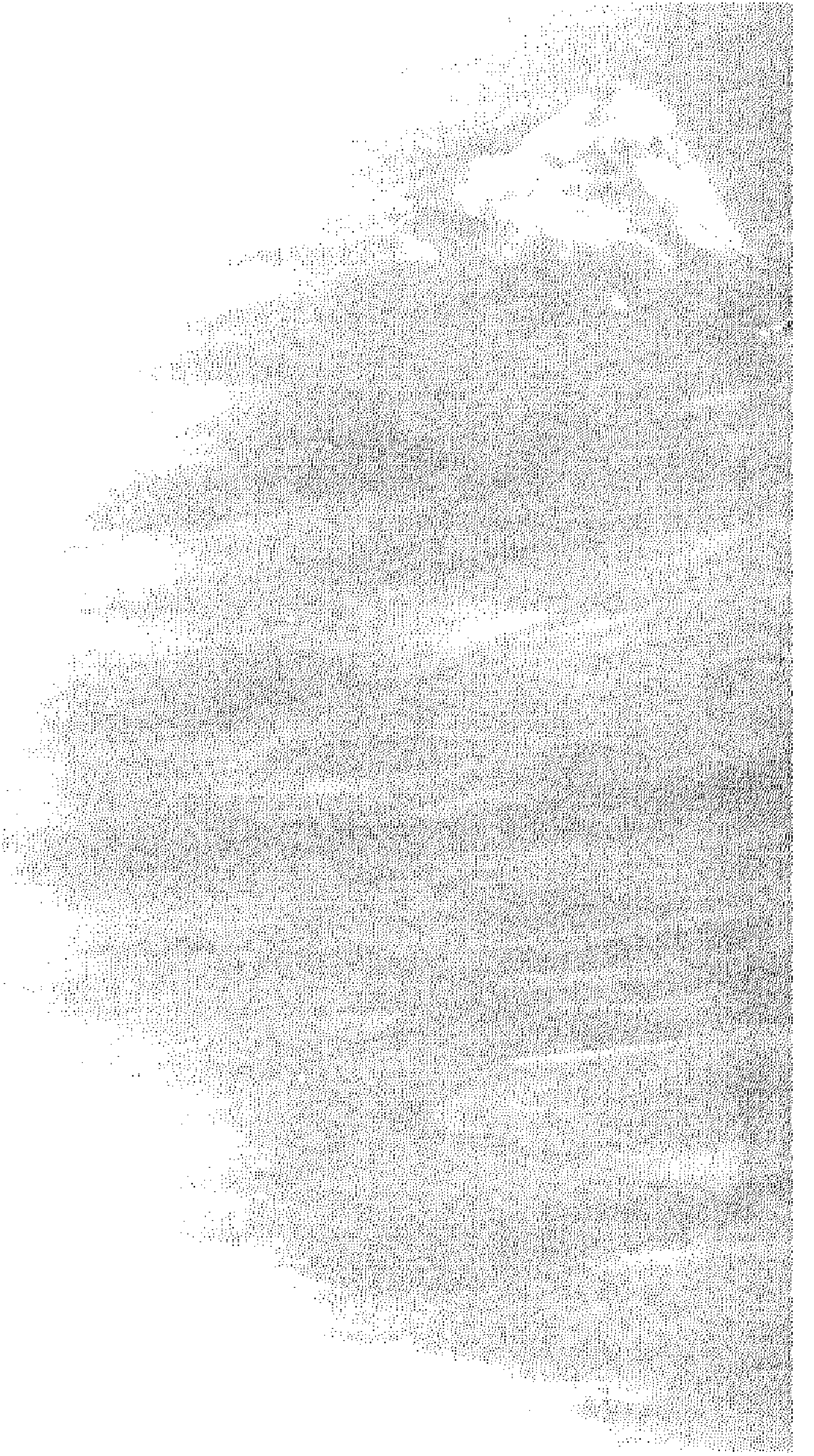
كان الرجلان عائدين الى مكتبيهما في أنكوراج بعد غداءٍ في استراحة بيغ ليك على بعد ٤٠ كيلومتراً شمالا. وقد جمعهما شغف بالصيد والطيران وبالجمال الراعب لبراري ألاسكا. وكثيراً ما وضعا خططاً لصيد الموظ في شمالها.

ونظر كين من النافذة فأدهشه منظر جبال تشوغاس المكللة بالثلج والمبقعة بغابات زمردية. ولم يكن فصل الشتاء انتهى، لكن الربيع لم يعد بعيداً.

صاح كين فوق هدير الطائرة: "سيكون الصيد عظيماً هذا العام."

لكنّ مارف الذي حال صوت مفاجيء في المحرك دون سماعه كلام رفيقه راح

Illustration: Paul Jennis



طيّاران علىٰ طوفٍ جَليْدي

وسط المياه المتجمدة في ألاسكا رجلان يصارعان للبقاء ودقائق تفصل بينهما وبين الموت

يتفقد الاجهزة ثم قال: "اننا نفقد الارتفاع!"

اتصل مارف ببرج المراقبة في ميريل فيلد: "نحن على بعد ثمانية كيلومترات شمالا وعلى ارتفاع ١٨٠ متراً. اننا نسقط في الخليج ونحتاج الى مساعدة."

وراح يفتش عن مكان للهبوط. وبين كتل الجليد الطافية والمتواثبة في المياه غير المستقرّة وجد امتداداً رملياً. وبعد ثوان لامست الطائرة المنبسط الموحل.

ارتجّت وانزلقت ثم ترنّحت وتوقفت. فقال مارف: "قاعدة المندورف الجوية تبعد ستة كيلومترات أو ثمانية. وسترسل الينا طوافة سريعاً."

فجأة أجفل الرجلان لسماعهما صوتاً غريباً. ومن شق تحت الباب تسللت حية من المياه العكرة الى وسط القمرة.

قال مارف وقد أحس ان الطائرة بدأت تغوص: "إنه المد يدخل الينا، وعلينا أن نخرج للحال."

كان يعلم أن خليج كوك يشهد إحدى أعلى حركات المد في العالم مما يسفر عن تيارات قوية وخطرة تحت سطح الماء. وقلما يستطيع انسان أن يعيش في الماء لاكثر من نصف ساعة.

الفرصة الوحيدة – أمسك مارف جهازي ارسال صغيرين للاستدلال في حالات الطوارىء، أحدهما رخيص الثمن اشتراه قبل ١٥ سنة وفكر في نبذه. ربما كان لا يعمل، لكنه دسّه في جيب سترة كين ودس الجهاز الاصفر الأجدّ في جيبه. وقال لرفيقه: "هذان الجهازان سيرسلان اشارات الى طائرة النجدة. فاحرص على ألا يغمر الماء جهازك، انه ليس مانعاً للماء."

رفس كين الباب فانفتح وخطا الرجلان خارجاً. كان كين يرتدي قفازين، أما مارف فنسي قفازيه في المكتب. وابتلعت موجة الطائرة والتوت ساقا مارف في التيار التحتي الجارف. وانقلب كين على ظهره في الماء المثلج، ثم برز الى السطح بعد لحظات ملوحاً بذراعيه.

وصاح والماء يتناثر من شفتيه ورئتاه تناضلان من أجل التنفس: "مارف! أنا بردان وعاجز عن التقاط انفاسي..." واختنق صوته في نوبة من السعال.

وناداه مارف: "لا تسبح. تشبث بذاك الطوف الجليدي وحاول أن تخرج جسمك من الماء."

كان الماء في علو الخصر مزبداً كحيوان برّي. وشعر مارف بحذائه يغوص في الوحل. وفي لحظة أدرك الحقيقة: انها رمال متحركة. ومثل فخ فولاذي أطبق الطمي الجليدي على الرجل وسمّره في مكانه.

جذب ساقاً واحدة فلم تتزحزح. وراح يشدّها ويجذبها بهياج الى أن حررّها من الحذاء. ثم حاول بالرجل الاخرى الى أن تحررت هي أيضاً.

وكان الماء بلغ مستوى الصدر، فسبح مارف صوب كين ماداً ذراعيه عبر كتلة الجليد. وصاح فيه آمراً: "هات يديك! مدّهما!"

ودفع كين ذراعيه موهناً فوق الطوف الذي بلغ عرضه متراً.

وناداه مارف: "تمسك بياقة سترتي وسأتمسك أنا بياقتك. وسنشبك أذرعنا فوق الجليد. هذا سيبقينا عائمين وخارج الماء جزئياً الى حين. انها فرصتنا الوحيدة."

كانت حياة كل منهما في يدي الآخر. وكان كين بروسارد يعرف أن صديقه صلب العود، فوظفه مساحاً قبل سنتين. وقد جاء مارف الى ألاسكا من أريزونا عام ١٩٧٦ وعمل مهندس سفن وعامل بناء وطياراً في الادغال، وصادف مغامرات كافية وهو يطير في الشمال.

وصرخ كين: "قد يدفعنا المد الى الشاطىء." لكنّ مارف كان يعرف نقيض ذلك تماماً. فقال لصاحبه: "ابق متمسكاً جيداً. ردد من ورائي: "انني متمسك كالفولاذ... كالفولاذ."

وبدأ كين يردد وأسنانه تصطك: "انني... متمسك... كالفولاذ."

الدقائق الطوال – كانت طائرة النجدة "كينغبيرد" في مهمة تدريب عندما وجه

اليها مركز تنسيق عمليات الانقاذ في قاعدة إلمندورف في انكوراج التي تبعد ١٧٧ كيلومتراً الى الشمال الشرقي أمراً بالتوجه الى الموقع: "هناك طائرة سيسنا على متنها شخصان سقطت في مكان ما من الخليج. حظهما في البقاء على قيد الحياة لا يزيد على بضع دقائق."

ما ان ادار القبطان فرانك مايسون وجهة الطائرة صوب انكوراج حتى بدأ عامل الراديو التقاط اشارات جهاز ارسال. واستطاع جهاز التعقّب المتطور تحديد مكان الطائرة المنكوبة. وتساءل مايسون: "ولكن هل ما زالا حيّين؟"

سرت رعشة في جسد مارف وتيبس فكّه من البرد. لقد لواه المد وجره فيما اصطدمت بجسده قطع هائلة من الجليد.

الرجلان غائصان حتى الابطين وأذرعهما متشابكة حول الطوف الجليدي. ان في استطاعتهما البقاء حيّين ٣٠ دقيقة أو ربما ٤٥. هذا ما قدّره مارف. وأنعم النظر الى عيني كين. كانتا كالزجاج، وبدت شفتاه أرجوانيتين. لقد أمضى الرجلان دقائق حسباها ساعات.

ومن خلال غمامة ألم فكر كين في زوجته دي المعلمة في مدرسة ابتدائية، وهي في السادسة والعشرين من عمرها وقد تخرجت في الجامعة في بلدته لافاييت بولاية لويزيانا. وعندما غادر كين البيت ذلك الصباح كانت دي تعد للاحتفال بعيد ميلاده. كانا سيسافران بعد ثلاثة أسابيع الى هاواي في اجازة وُعدا بها قبل سنتين. وتساءل في نفسه: "هاواي! يا رب، هل سيعود اليّ الدفء ثانية؟"

وكان هوائي جهاز الارسال البارز من جيبه غائصاً تحت سطح الماء. وفكر مارف: "يجب أن يبقيه خارج الماء." وأمسك ياقة رفيقه بيده اليسرى ومد يمناه الى الهوائي.

وتمتم كين: "انك تنفصل عني، لا تدعنا ننفصل!"

– علي أن أرفع الهوائي.

قال كين خائراً: تشبث بي، ان أمل أحدنا هو في الاخر."

"ها هما!" – في قاعدة اطلاق الطوافات في إلمندورف لخّص قائد العمليات الوقائع لفريق انقاذ أرسله في طوافة.

شعر مارف بألم شديد في عينيه وأحس أن التيار يجرفه ورفيقه الى عمق الماء.

فجأةً مال الطوف الجليدي بحدّة. وبدا البحر والسماء يترنحان ويترجحان بعنف. وتقيأ كين وسعل. وتمطّى مارف ليحسن التشبث. ثم راح يراقب الافق وما فوق في الجو. لمح طائرة لكنها تابعت طريقها. ونظر الى كين الذي رأى الطائرة أيضاً. وجاهد مارف ليتكلم، كان يحرّك فمه ويلوي قسماته ولكن لم يصدر عنه صوت. وقدر كين أن ٣٠ دقيقة مضت وهما في الماء.

أنزل القبطان بستر هامبتون طوافة النجدة الى علو ٩٠ متراً. وتحته كانت التيارات المتضاربة تتكسر الواحد على الآخر محدثة دوّامات رهيبة. وراح يفكّر: "يا للطريق المخيفة التي سنسلك!" وأجال نظره باحثاً عن الطائرة

"كينغبيرد". بحسب التعليمات، يجب أن تكون على اتصال به. إن هامبتون يحتاج الى توجيه.

في سكون قمرة الطائرة "س ١٣٠" أحس المقدم الطيار والتر ستيفنسون بالحر والتوتر. ثم اتصل بالطوافة وقال بحدة عبر مذياعه: "الى قوة النجدة ٨٠٧، هنا قوة النجدة ٩٨٦. لقد كشفنا جهاز الارسال الى الغرب من موقعكم. انكم تبتعدون شرقاً."

وجاءه الجواب: "حسناً، نحن نتجه الى هناك. سنصل في دقائق."

نظر مارف الى صديقه وهزه بكل قواه فلم يتلق جواباً. كانت عينا كين باهتتين ولا حياة فيهما. ثم لفتت مارف حركة فوقهما. انها طائرة! وشدّ قبضته على ياقة كين ونبهه بهزة خفيفة. ففتح كين عينيه وأغمضهما.

في قسم الحمولة من الطوافة كان المنقذ أليكس واسوتا يحاول أن يتطلع من خلال باب الطوارىء. ولرؤية أفضل دفع الباب فانفتح وجمع قواه في مواجهة هبة ريح مجمّدة وأطل برأسه خارجاً ونادى: "ما هذا؟ تحتنا تماماً."

وصاح هامبتون: "ها هما! الرجلان!"

بين الوعي والغيبوبة – كان مهندس الطيران الرقيب بوب هوك المكلف تشغيل رافعة النجدة يعرف أن هبات الهواء من شفرات الدوّار قد تدفع الرجلين بعيداً عن الطوف. وكانت البراعة في موازنة الطائرة فوقهما مباشرة، فذلك قد يخفف إضطراب الماء. وأدرك هوك أن عليهم النجاح في المرة الاولى، فنادى هامبتون الجالس أمام لوحة القيادة: "انزل متراً ونصف متر. حول الى اليمين متراً ونصف متر."

وكان واسوتا رابضاً الى جانب هوك يحدق الى الرجلين بين الوحول المتلاطمة. انهما بلا حراك.

وقال هوك: "يا للّه! انهما في حال سيئة. لنصل اليهما بسرعة. ثلاثة أمتار الى الامام. أربعة أمتار ونصف متر الى اليمين."

كان الجميع متوترين. وصاح هوك: "ابقَ محوماً." ورفع ابهامه مشيراً الى واسوتا للخروج من باب الحمولة.

عندما اقترب واسوتا من سطح البحر انزلق عن مقعد الرافعة وقفز الى الماء. لم يلتفت اليه أي من الرجلين. وبسرعة علق حزام أمان بسترة مارف. وتمطى من البرد ثم وضع كين في مقعد الرافعة.

وصاح واسوتا رافعاً صوته فوق هدير الطائرة: "سنسحبكما واحداً واحداً." ثم رفع ابهامه معطياً الاشارة الى هوك.

وفيما مقعد الرافعة يهتز في صعوده الى الطائرة انزلق عنه كين وهو على مسافة متر تحت الباب. وبات معلقاً برباط دقيق وراح يترجح وكأنه على مشنقة. وفكر واسوتا: "ربما وصلنا متأخرين جداً." ثم أُمسك كين من كتفيه وجُرّ داخل الطوافة. ووضعت ضمادات ساخنة تحت ابطيه وفي حنيتي فخذيه. ثم رُفع مارف ووضع قرب جهاز التسخين في الطوافة.

"معنا ناجيان!" قال هوك متهللا عبر جهاز الاتصال.

وخلال الرحلة الى المستشفى في

انكوراج عانى مارف ارتجافات حادّة وراوح كين بين الوعي والغيبوبة فيما كان يعطى الاوكسيجين. وتدنت حرارة جسم مارف الى ٣٤ درجة مئوية وحرارة كين الى ٣٢، كانا على قابي قوس أو أدنى من الغيبوبة التامة. لقد دام عذابهما الفظيع في المياه الثلجية مدة ٤٢ دقيقة.

وبأعجوبة لم يصب أي منهما بما يستدعي علاجاً طويلا، وغادرا المستشفى بعد ثلاثة أيام، وهما عرفا لاحقاً أن جهاز الارسال الجديد ابتلّ وتوقف عن العمل، وأن الجهاز القديم البالي هو الذي أرسل اشارات حددت موقعهما.

وفي ٥ مارس (آذار) مّن كل عام يلتقي الرجلان وجمع من اصدقائهما ليحتفلوا بالنجاة ويشربوا نخب جهاز الارسال العتيق المعلق في سقف الفندق الذي يملكه مارف وزوجته جين.

ويسترجع الصديقان ذكرى تجربتهما المريعة. ويقول مارف ميلام: ألاسكا أرض قاسية تعلمك كيف تكون قوياً وغير متوكّل. ولكن قد تمر في بعض الاوقات بمثل ما مررت أنا وكين وتتعلم أنك مهما ظننت نفسك صلباً فسيجيء وقت تحتاج فيه الى مساعدة الآخرين."

مارغريت ريس ■

الخيال الجامح

قال المخرج الامريكي ستيفن سبيلبرغ الذي اشتهر بأفلامه العلمية الخرافية:
تنتابني كل المخاوف التي تنتاب الصغار، فأتخيل أن تحت سريري يحتشد جمع من العفاريت وأن وحوشاً هائلة تقطن في خزانتي متربصة بي. وكانت غابة تمتد خارج نافذتي في ولاية نيوجرزي، وفي الليل تتراءى لي الاشجار كأنها سواعد ورؤوس وأذرع ومجسّات.

لكني كنت أحب ما ينتابني من رعب. وحتى في طفولتي كنت أهوى أن أدفع بنفسي الى شفا الهلع ثم أنكفىء. وفي الصباح كنت أجرأ الغلمان. وما زلت أرى ستيفن ابن السابعة يدور في غرفته الضيقة أو يخاطب الاشجار قائلا: "أنا لا أهابك." وما ان يهبط الظلام حتى يتراخى وتتلاشى شجاعته.

د.و.

كأس الصداقة

لا يمكننا أن نعرف في أي لحظة تنشأ الصداقة. فالكأس تمتلىء نقطة بعد نقطة، ولا بد من أن ينتهي الامر بنقطة تجعل الكأس تطفح. كذلك البادرات الكريمة المتلاحقة، تأتي أخيرا واحدة تجعل القلب يفيض.

جيمس بوسويل، كاتب سيرة المؤلف البريطاني صموئيل جونسون

اختراع نقال مصحح للأخطاء
أحدث تغييراً اجتماعياً كاسحاً يتعذر إبطاله

لا ريب في أن أهم ابتكارات العصر هو قلم الرصاص "الشخصي" أو "البيتي". فهو أحدث سلسلة من التحولات ندعوها "ثورة قلم الرصاص". ولدى ظهور أقلام الرصاص غليظة غير ماضية في أول عهدها، لم يتكهن سوى القلائل بأثرها الكبير المحتمل. وهي لم تنتشر إلا مع توافر الأقلام السهلة الاستعمال التي تلازمها مبراة.

بادىء الأمر اقتصر استخدام أقلام الرصاص على التجارة لصنع الرقع التي تبين الأسعار. ولكن سرعان ما اكتشف لها الناس استعمالات أخرى. وضاعفت مهنة القانون مبيعاتها أربع مرات حين ابتكر أحدهم العَقْد المكتوب.

وبعد زمن قصير دخلت أقلام الرصاص مؤسسات التعليم العالي، ونشأ في الجامعات طلب للأداة المستحدثة. وثار لغط حول أهمية قلم الرصاص. وكان أحد الآراء الشائعة: "إن حيازة قلم رصاص لا تعني تثقيفاً حسن المستوى." ومع ذلك انضمت المدارس الكبرى الى المسيرة.

ويردّ كثيرون نقطة التحول هذه إلى المؤتمر الرابع عشر للعمداء والعلماء والكتاب الذي انعقد عام ١٣٤٨، حين استل العميد نيكولو من بادوا (ايطاليا) قلم رصاص من عباءته في احدى المآدب وسجل به عنوان كلود من نافار (فرنسا). وداخل الروعُ الحشد. ولا تزال تلك اللحظة تذكر، لا لأثرها في قلم الرصاص فحسب، ولكن ايضاً لما جاءت به من مؤتمرات إلى بادوا.

إثر تلك الواقعة باشر عدد من المدارس السباقة تزويد نخبة الصفوف أقلام رصاص شخصية. وأجرت جامعة ويتنبرغ دراسة شهيرة استغرقت ثلاث سنوات حول تأثير امتلاك قلم الرصاص في عادات الدرس والتفاعل

الاجتماعي والانجاز الاكاديمي العام. وجاءت النتائج مفاجئة حتى لغلاة المتحمسين لقلم الرصاص. وأضحى في وسع التلاميذ الحائزي الأقلام أن يحسبوا الأعداد ويشكلوا الكلمات أسرع من اندادهم الذين لا يملكون أقلاماً. وتمكن تلاميذ كثيرون من معرفة حاصل ضرب رقمين من فئة المئات في اقل من ٣٠ ثانية.

وبرز الأثر الكبير في اختبارات الذاكرة، اذ أورد التلاميذ اجابات عن اسئلة حول قصة رويت لهم أقل صحة من اجابات اولئك الذين استعملوا أقلام الرصاص لتسجيل القصة والبحث عن الأجوبة.

وفي ضوء نتائج تلك الابحاث عقدت غرفة التجارة في لشبونة (البرتغال) اتفاقاً مع عدد من الجامعات للمساعدة في دفع كلفة بناء محطات خاصة باستخدام اقلام الرصاص واحداث شبكات اعلامية للتلاميذ الذين يتقنون استعمالها.

ومع اتساع السوق ازدهرت صناعة أقلام الرصاص. وفي المكان المدعو "وادي الرور الرصاصي" تضاعف عدد شركات الأقلام. وكان أحد الابتكارات المهمة إلحاق ممحاة من المطاط بالطرف المنبسط للقلم، فأشرق عهد قلم الرصاص النقال مصحح الأغلاط. ومن الأمور الجديرة بالذكر اضافة الالوان بانتاج قلم الرصاص الأحمر. وقبل مضي وقت طويل نمت صناعات متكاملة وبدأت صناعة علب الأقلام والمساطر وملحقاتها.

وحالما تفشت أقلام الرصاص في المدارس استنتج عدد من الأهالي الواعين وجوب شراء أقلام بيتية كي يواكب أبناؤهم التطورات. لكن الكمية الهائلة من المنتجات المتنوعة وافتقار الاهل الى الخبرة أديا الى وقوع عدد منهم فريسة القلق. وقال أحدهم من كراكوف (بولونيا) متنهداً: "أحار في أمري، أسأل في محل بيع القرطاسية عن قلم رصاص رقم اثنين، أنا لم أستعمل هذه الكلمات في حياتي. أشتري الاداة، ثم يجيئني ابني من المدرسة قائلا ان كل رفاقه باتوا مهووسين بالغرانيت."

لكن الجدل الأكثر حدة انفجر حين تبين أن قلم الرصاص يشترى ظاهراً لأغراض تعليمية فيستخدم في الألعاب. وعبرت الجمعية الملكية للأساتذة عن قلقها من أن الأطفال الذين يقبعون وحدهم لاهين بالأقلام لا ينمّون المهارات الاجتماعية أو الذهنية الكافية. وانبرى أحد العلماء الأكاديميين قائلا: "إن العبث بالأقلام لن يفيد أحداً في اكتشاف طريق جديدة إلى الهند. (★)"

وكما في كل الابتكارات الجديدة وجد بعضهم في التغيير بذور كارثة. وتضرر آخرون اقتصادياً. ووفقاً لتصريح كليمنت من ساكسوني (ألمانيا) وهو المدير التنفيذي لنقابة الخطباء والقصاصين والمنادين في القرى: "الكل يرغب اليوم في المواد مكتوبة. لكني أعتقد أنها بدعة زائلة. فلا أحد يبدو مستعداً لطرح آلاف السنين من التقاليد الشفوية."

(★) هذه العبارة تذكّر باكتشاف كريستوفر كولومبس لامريكا خلال بحثه عن طريق جديدة توصله بحراً الى الهند (الملاحظة من التحرير).

وتم التعرف إلى عيوب أخرى. فقد عالج الاطباء اعتلالات جسدية ذات علاقة باستعمال اقلام الرصاص، ومنها العيون الحمراء المحتقنة وآلام الظهر وتشنجات الكتّاب. وباشرت الشرطة الأوروبية تبادل معلومات سرية حول طرائق كشف التزوير. وعمد المستشارون في الامن القومي في كل مكان إلى اعادة فحص وسائلهم على هدي حادث نابولي، حيث دوّنت مجموعة من الطلاب الثانويين تعليمات بقلم رصاص موجهة من الدوق إلى قائد عسكره يأمره بمهاجمة فلورنسا. وحدثت مناوشات عدة قبل فضح أمر الدعابة.

وكانت الطلبات الجديدة تظهر يومياً. واستعمل الناس أقلام الرصاص في تسوّقهم وفي معاملات المصارف وكتابة الملاحظات والملصقات. ونشرت في الصحف اعلانات عن "مخيمات أقلام الرصاص". وفي أحد هذه الاعلانات تقول بنت مفعمة بالحيوية: "الرياضيات والادب واللغات الأجنبية والفنون، كل هذه يمكنك أن تدرسها بقلم رصاص."

وفي المآل، فان العالم تقبل قلم الرصاص، بل اعتبر أن الحياة المتحضرة لا يمكن أن تعاش من دونه. لكن المؤرخين سيعجبون في المستقبل للوقت الذي أهدر قلقاً حول هذه الاداة التي تختصر الجهد، عوض التوقف للتفكير في الاشغال الواجب انجازها وتلك التي تحتمل الانتظار.

بيل لايسي ■

نصف عضو

كان أحد لاعبي كرة المضرب يعتبر نفسه "نصف نباتي". وحين اكتشف أن المطاعم التي تقدم أطعمته المفضلة تمنح حسومات لاعضاء جمعية النباتيين قرر أن ينضم الى الجمعية.

وحين ملأ طلب الانتساب أقر بأنه يتناول السمك والدجاج "في المناسبات."

وبعد وقت قصير تلقى هذا الجواب الحذر: "تمت الموافقة على انتسابك، لكنك محروم من حق الاقتراع."

ب.ك.

زوجة خطيب

تأثرت زوجة أحد الخطباء لدى خروجها مع زوجها من منزل مضيفهما، اذ رأت جمعاً أمام البيت. وكانت رأت هؤلاء في احتفال ذلك الصباح، لذلك صافحتهم فرداً فرداً وشكرت لهم مجيئهم لوداعها مع زوجها. لكن حماستها خمدت حين وصلت الحافلة وصعد اليها الجمع الذي استبدت به الحيرة من تصرف المرأة.

س.غ.



"رامبرانت الراعي" بريشة غوفرت فلينك.
هنا صوّر فلينك معلمه كراع، وهو اختيار لرسم اللوحات كان رائجاً في امستردام عام ١٦٣٥.

مدرسة رامبرانت
Rembrandt

ذات يوم سمع الرسام الهولندي رامبرانت فان ريجن أحد تلاميذه يتفوه كلاماً مخلا بالآداب، فطرده من محترفه. ولا يخبرنا التاريخ ما اذا كان طرد هذا الشاب خسارة لنبوغ فني عظيم، لكنه كان بالنسبة الى رامبرانت خسارة أحد تلاميذه. فقد كان لديه ٣٥ تلميذاً فقط، وهم فنانون يافعون أو أولاد عائلات ثرية دفعوا له ١٠٠ غيلدر سنوياً ليعلمهم الفن.

Photos: Rijkmuseum, Amsterdam



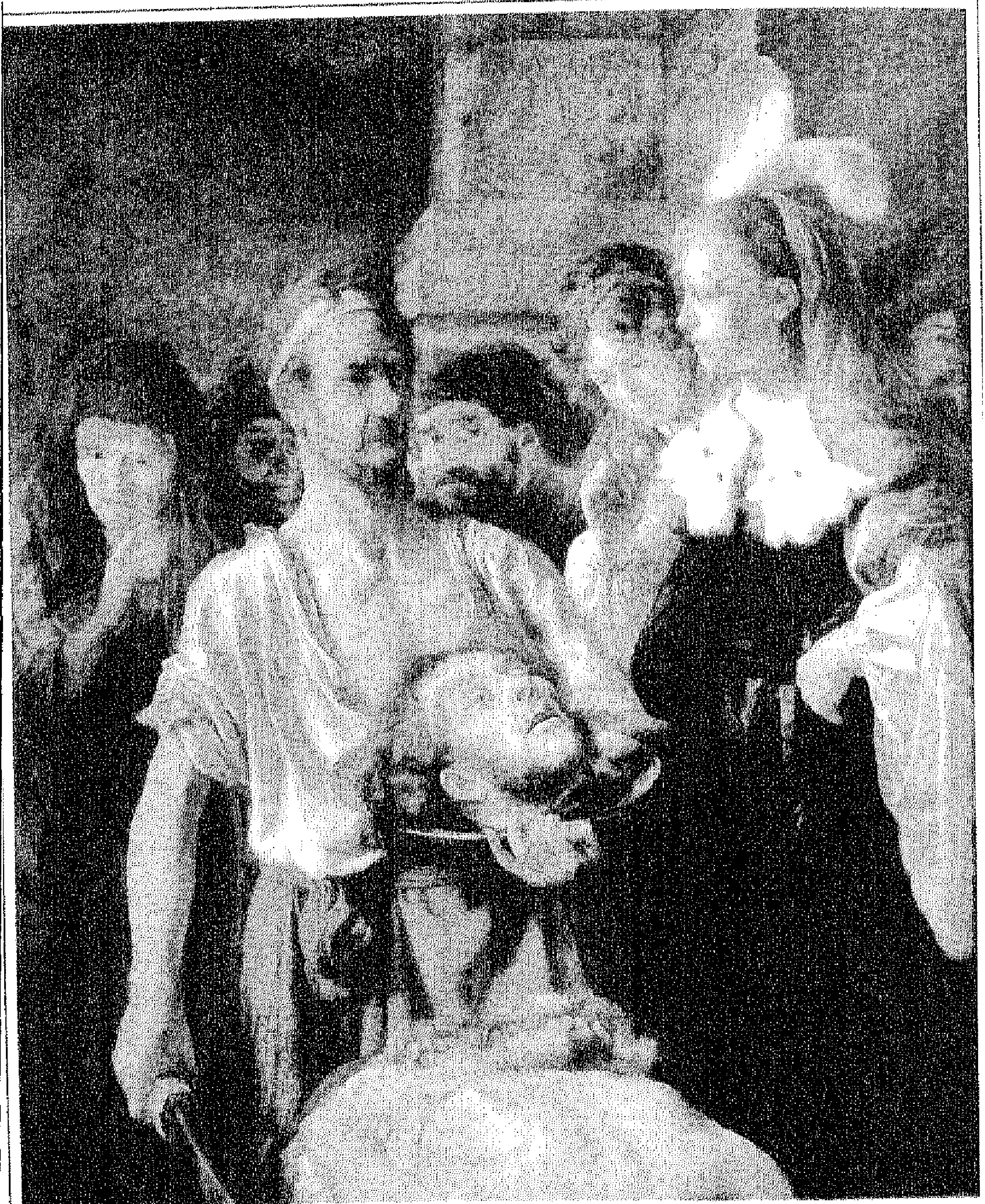
"ارنست فان بيفرين" بريشة آرت دي غلدر. ان اسلوب دي غلدر، وهو نوع من فن معلمه أكثر تموجاً، جعله أحد أبرز الرسامين الهولنديين في أيامه. وهو في هذه اللوحة اعتمد أسلوب رامبرانت في رسم التطريز: اللون يطرح بكثافة ثم ينزع جزئياً بالجانب المسطح من الريشة.

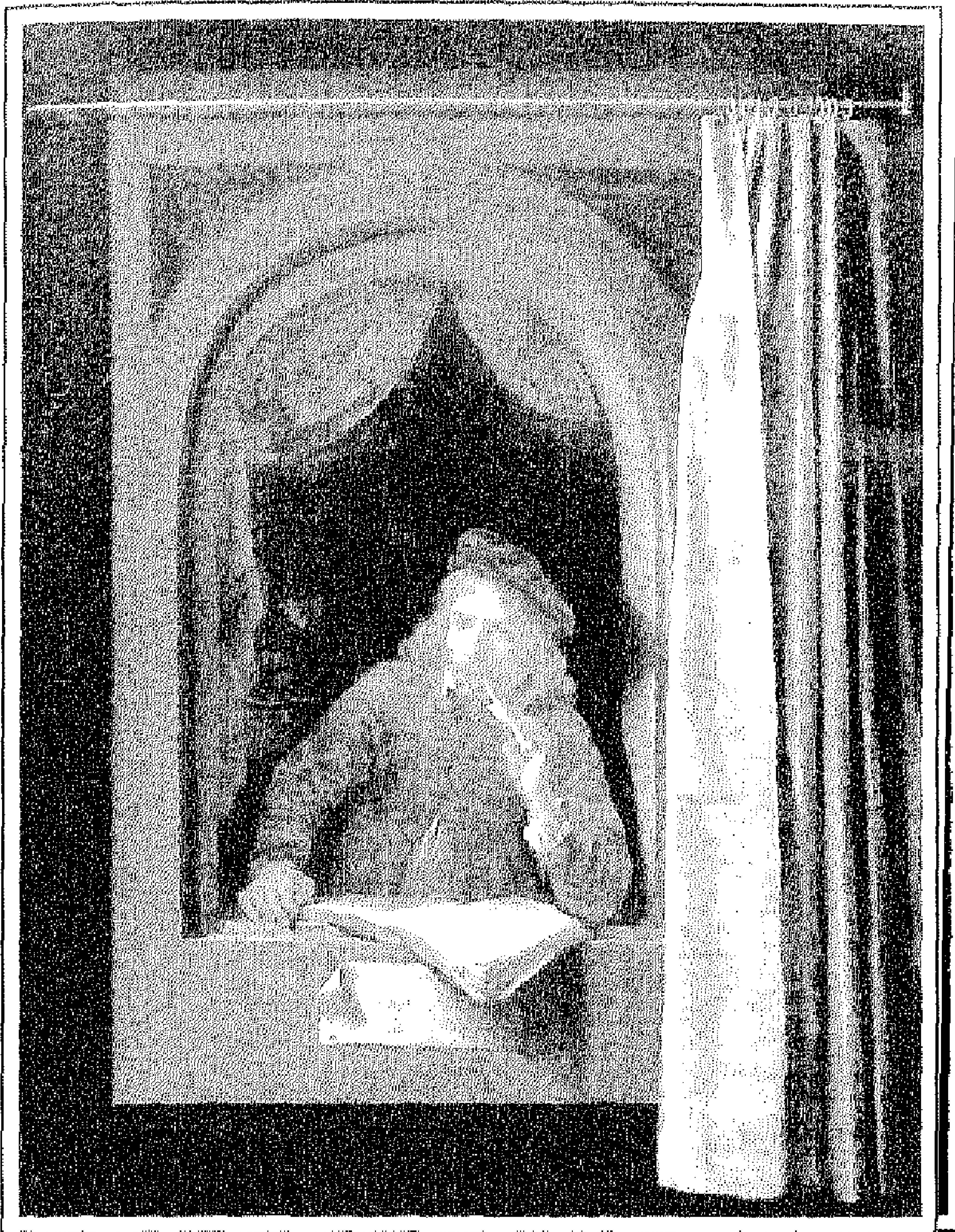
اعتبر الفنان في القرن السابع عشر حرفياً، وكانت رابطة القديس لوقا توجب عليه أن يعمل ثلاث سنوات متدرباً على معلم، وخلال هذه الفترة يحق للمعلم أن يبيع لوحات تلاميذه باسمه. وكان المال الذي يقبضه رامبرانت من تلاميذه ذا أهمية قصوى لديه، اذ اشتهر بتقتيره الشديد. ويروى أن فناناً شاباً خدعه غير مرة برسم قطع نقدية على أرض المرسم، فكان المعلم ينحني ويحاول التقاطها.

وبلغ عدد تلاميذ رامبرانت سبعة أو ثمانية في كل دورة. وكان الكبار يعلمون الصغار أسرار المهنة: كيف تصنع الفراشي والاقمشة الممتازة وكيف تسحن الاصباغ وتمزج الالوان الزيتية. ولكن في ما يختص بفن الرسم كان المعلم يعطي دروساً فردية لكل تلميذ. كان يعطيهم تمارين ويراقب عملهم بانتظام، فيضيف هنا ظلا الى ثوب منسدل ويزيد هناك بلمسة من ريشته بريق قصب ذهبي على حواشي عباءة.

نادراً ما كان رامبرانت يجد الرضا في ما يرى، فيطلب من تلميذ أن يغير قسمات وجه مرة بعد مرة، وينصح تلاميذه

"قطع رأس يوحنا" بريشة كاريل فابريتيوس.
رسم الفنان هذه اللوحة عندما كان في العشرين من عمره
فيما رامبرانت يكمل رسم لوحته الشهيرة "الحراسة الليلية".
وتتشابه اللوحتان في ترتيب وضع الاشخاص،
غير انهما تختلفان بوضوح
في اظهار الضوء مما يميز الاسلوب الخاص لهذا التلميذ
الموهوب حتى فى هذه المرحلة الباكرة.



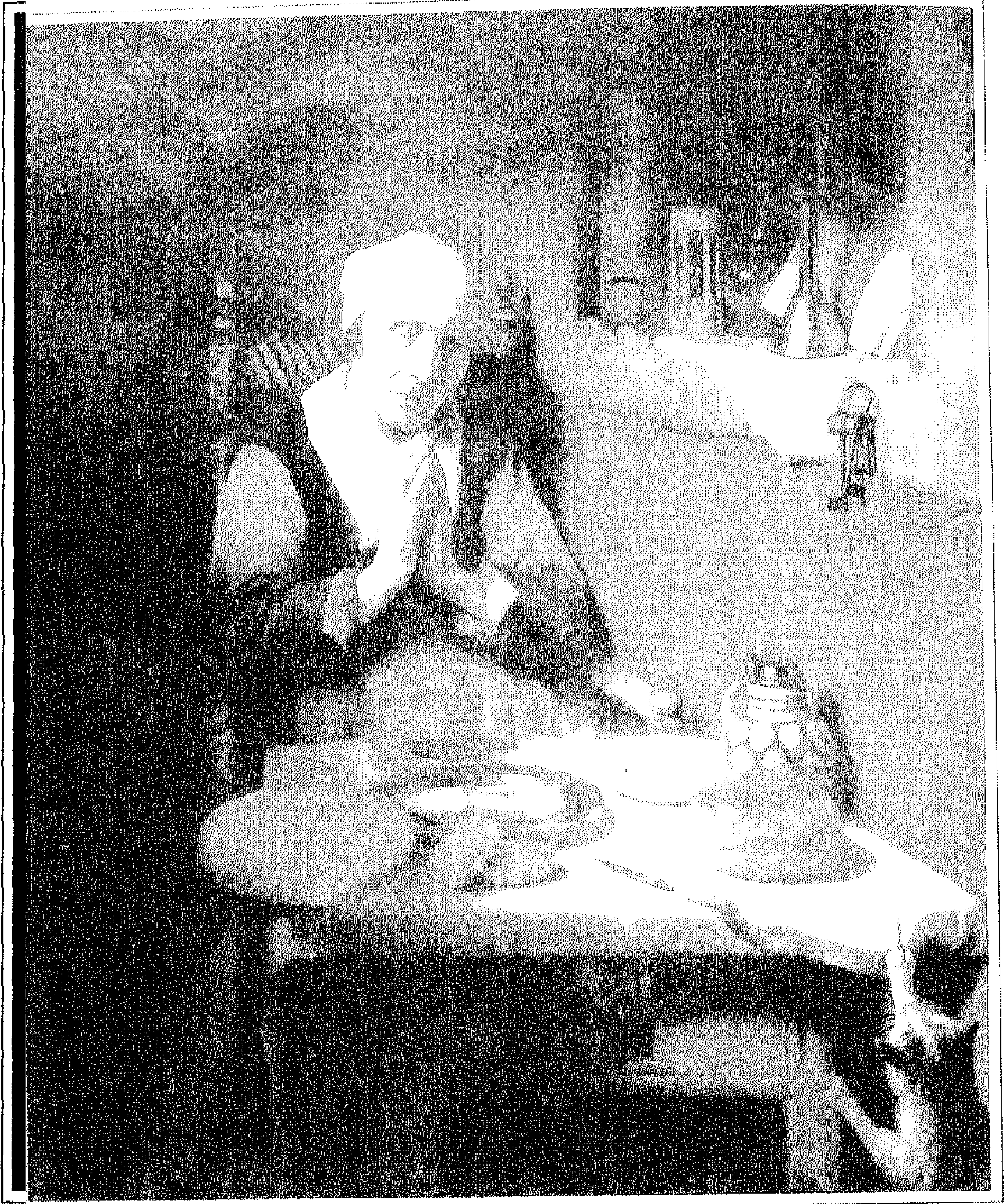


"رسم ذاتي" بريشة جيرارد دو. أشهر ميزات لوحات دو تصويره الاشخاص كما يرون من خلال نافذة مما يعطي المشاهد انطباعاً عن حياة حقيقية. ومع اعتنائه بالتفاصيل في هذه اللوحة ضاعف دو تأثير خداع العين من طريق تثبيت ورقة مثلثة الشكل تحمل اسمه على عتبة النافذه وتعليق ستارة في المقدم كما لو كانت من أجل وقاية لوحة ثمينة من أشعة الشمس.

بالتمرن والممارسة الدائمين، فالنظريات تعقب الممارسة تلقائياً. وذات مرة سأله تلميذه صموئيل فان هوغسراتن كيف يمكنه أن يصبح رساماً جيداً، فأجابه: "تأكد من ممارسة ما تعرفه، وعندئذ تكتشف ما لا تعرف وما أنت تواق الى سماعه مني."

وبعد انتقال رامبرانت الى امستردام عام ١٦٣٢ افتتح أحد أوائل تلاميذه في لايدن مدرسة هناك، وهو جيرارد دو وعمره ١٨ سنة. وذاعت شهرة دو نظراً الى تقنيته الرائعة، غير أنه استبد به هوس التفاصيل. وهو جعل امرأة تجلس أمامه خمسة أيام ليرسم يدها. وبسبب طول الوقت الذي كان يستغرقه رسمه أخفق في فنه كرسام لوحات شخصية، لكن لوحاته عن المناظر والاشياء الساكنة حققت له ثراء.

ومع أن شهرة رامبرانت واصلت الانتشار في أنحاء أوروبا فان كثيرين من هواة الفن الهولنديين شرعوا مع العام ١٦٥٠ يتحولون عنه مفضلين الاتجاهات الجديدة في الفن. ولم يفرض رامبرانت نهجاً معيناً على تلاميذه، فانطلق كل



"عجوز نصلي" بريشه نيكولاس مايس.
على نقيض رامبرانت الذي لم يتردد في رسم أي شيء كان مايس يفضل المواضيع المألوفة في الحياة اليومية وذات النكهة الروائية. لكن استخدامه الضوء والظل، كما يتضح من هذه اللوحة، يكشف أثر رامبرانت.

منهم في طريقه. كان غوفرت فلينك من أوائل الذين أذعنوا للأذواق الجديدة لدى الرأي العام، مع أن ذلك اقتضاه "مقداراً كبيراً من الصعوبة والجهد" لكي ينسى ما تعلمه من رامبرانت. وكان نيكولاس مايس تلميذاً آخر نال من الشهرة ما جعل الجلوس أمامه كنموذج (موديل) للرسم منّة تسبغ على ذوي الحظوة. واعترضت سيدة مرة على الندوب والتجعدات في رسمها، فتناول مايس فرشاة وغطى الندوب بحمرة خجل على الوجنتين. ولم يضره عدم التزامه الدقة، تماماً كصاحبة اللوحة.

ولكن بقيت حفنة من أتباع رامبرانت على اخلاصها للمعلم. ويروى عن آرث دي غلدر انه كان يرسم الاشخاص على نحو مطابق للواقع الطبيعي، وفق تقاليد رامبرانت الفضلى، بحيث يمكن المشاهد أن يحدس ما يجري بينهم من حديث.

والاكثر موهبة بين تلاميذ رامبرانت كان كاريل فابريتيوس الذي قتل وعمره ٣٢ عاماً حين انفجر مخزن البارود في مدينة دلفت. ولو قدّر له أن يعيش لربما تفوق على معلمه. ولم يطبق تلميذ سواه طريقة رامبرانت الايحائية في الرسم بمثل هذا الكمال. وكان فابريتيوس حلقة الوصل بين رامبرانت وخليفته يان فيرمير آخر عظماء الفنانين الهولنديين في القرن السابع عشر.

وبصرف النظر عن الطريقة التي تطور بها تلاميذ رامبرانت فقد ساهم كل منهم بأسلوبه الخاص في ذيوع شهرة الطريقة التجديدية للمعلم في أنحاء هولندا وأوروبا. وهم أغنوا أجيالا من الفنانين والهواة الى مدى يقصر عنه كل تقدير.

إميل ليبون ■



شَعْر عصري

كانت معلمة تسبل شعرها دائماً. وذات يوم قررت أن تصفّفه مجعداً. ورآها تلميذ صغير عرف بطبعه المرح غير انه بدا مهموماً ومدهوشاً لدى رؤيتها، فسألته: "ما بالك؟ هل يزعجك شيء؟"

وتمتم الطفل: "شعرك."

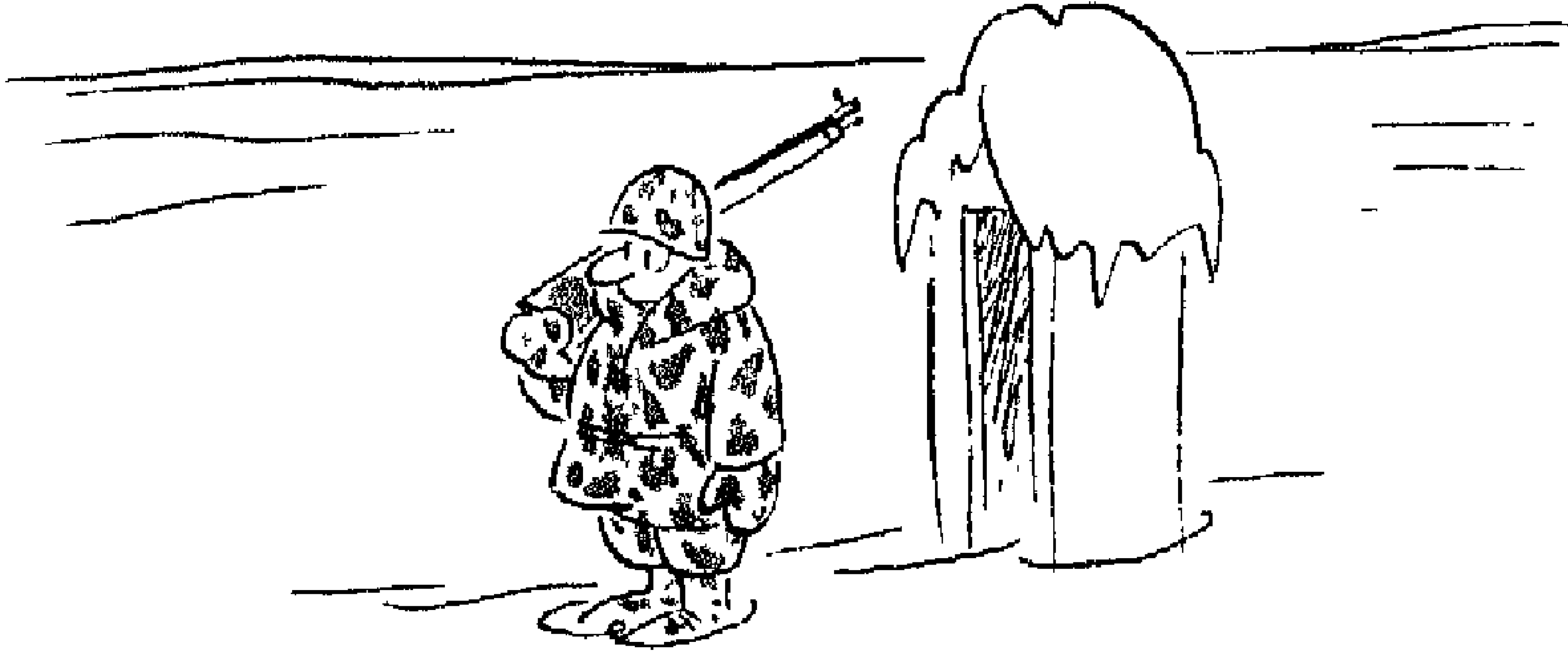
قالت: "هل لاحظته؟ اني جعلته مجعداً، ولقد أحببته هكذا كثيراً."

فرد الطفل بصوت خفيض: "أحببته؟ وهل رأيته حقاً؟"

م.ب.

ما أجمل قيادة سيارة في الليل حين تسير درر الالماس في اتجاه ودرر الياقوت في اتجاه آخر.

ج.و.



زوج نابوليون

قال الطبيب النفساني لمساعدته بعدما غادر المريض العيادة: "هذه حال مؤسفة جداً وغير عادية، فهذا الرجل يظن أن زوجته هي نابوليون بونابرت."

ب.ف.

شاعر "حي"

أرسل شاعر ناشىء الى محرر صحيفة قصيدة عنوانها "لماذا أنا حي؟" ويقال ان المحرر كتب اليه الجواب الآتي: "انك حي فقط لانك أرسلت قصيدتك بالبريد ولم تحضرها الي بنفسك."

هـ.س.

لص غبي

دخل لص مصرفاً بقصد السلب، ودفع بورقة الى أمينة الصندوق كتبت عليها العبارة الآتية: "ضعي الأموال في الكيس أيتها الغبية ولا تتحركي."
وقرأت أمينة الصندوق الرسالة ثم اعادتها الى اللص مع العبارة الآتية: "صحح وضع ربطة عنقك أيها الغبي، فجهاز المراقبة يلتقط صورتك."

م.ت.

واحدة بواحدة

نظرت امرأة بعبوس الى فتى يدخن في الشارع وسألته: "هل تعرف أمك أنك تدخن؟"
فاجابها على الفور: "قولي لي يا سيدتي، هل يعرف زوجك أنك تتحرَّشين بالفتيان في الشوارع؟"

ج.م.

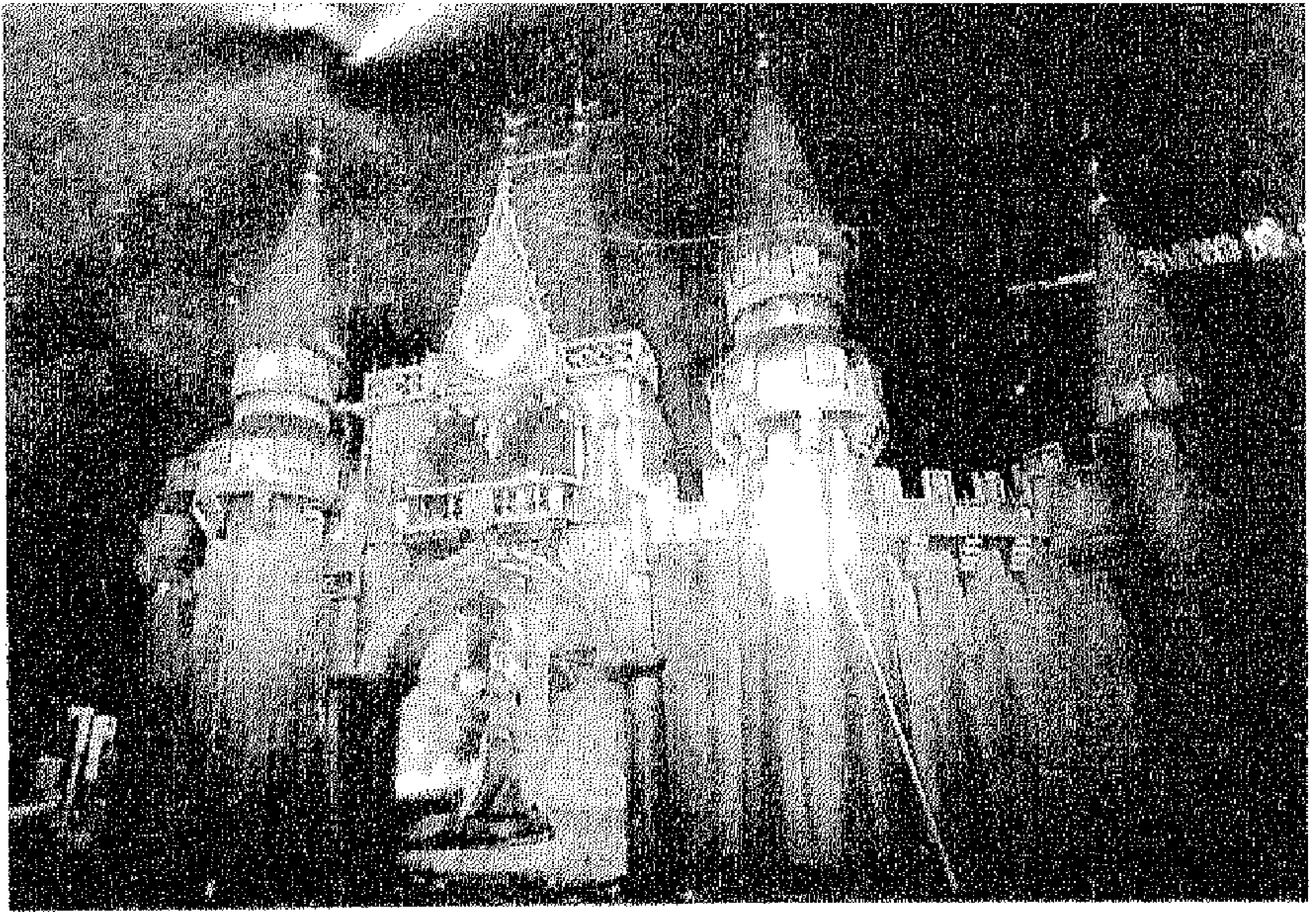
سائح أمريكي

في مطار كينيدي بنيويورك سئلت امرأة عائدة من أوروبا عما اذا كان كلبها أخضع للمعاينة وسمحت له دائرة الصحة العامة في المطار بالدخول. فأجابت بكبرياء: "أود أن تعرف يا حضرة المفتش أن لا ضرورة لذلك. فهذا الكلب مواطن أمريكي!"

ل.س.

ليلة النار في بلنسيا

مهرجان لا نظير له زاخر بالالعاب النارية
والعروض ومئات التماثيل الرائعة
التي تضرم فيها النار
أمام مئات الألوف
من المشاهدين المهللين



ليلة النار في بلنسيا

يتعالى هيكل مصنوع من الخشب والكرتون في شكل غليون بارتفاع بناء من ثلاث طبقات، شامخاً فوق رؤوس الناس المحتشدين في الجادة العريضة. وموضوع المهرجان: "الرذائل والأهواء".

وعلى قمة الهيكل رجل متنكر برداء أحمر يتراقص وهو ينفخ في قصبة الغليون الصفراء فيقذف حجار نرد وأوراق لعب (كوتشينة) فتنهال من وعاء في شكل رأس انسان. وعلى مستوى الشارع ينتصب نحو خمس وعشرين دمية في حجم الانسان تمثّل النواحي المختلفة من موضوع الاحتفال: مدمن مخدّرات يبحث عن ابرة حقن، زوجان هرمان الى مائدة يراقبان مضيفاً تلفزيونيا يقدّم جثثاً وتوابيت.

وقال أحد المارة معلقاً على هذه المشاهد: "عمّا قليل ستحترق كلها في منظر رائع."

في ربيع كل سنة توقد النيران في أنحاء أوروبا في احتفالات طقسية يعود عهدها الى قرون عدة. ولكن في التاسع عشر من شهر مارس (آذار) في مدينة بلنسيا الاسبانية تبقى "ليلة النار" هي الأروع بين كل هذه الاحتفالات. انها ذروة مهرجان سنوي يدوم خمسة أيام وتتخلّله الموسيقى والالعاب النارية والعروض ومصارعة الثيران. وفي كل ناحية تتأجج النار في الساحات وزوايا الشوارع وتلامس ألسنتها الشرفات وتقفز فوق السطوح وتضرم في ٣٦٠ هيكلا أو أكثر تمثل أنواع حماقات البشر.

هذه العادة متأصلة في التقاليد القديمة لنجّاري بلنسيا الذين يحتفلون بعيدهم في التاسع عشر من مارس (آذار) فيوقدون النار في بقايا أخشاب النجارة. وقد باتت هذه المناسبة مسرحاً للنقد الاجتماعي والتنديد في طقوس ربيعية تجتذب زهاء مليون زائر.

ويعمل نحو ٨٠ ألفا، أي واحد من كل عشرة من سكان بلنسيا، لتمويل هذا المهرجان وتحضيره من طريق "اللجان" المحلية. وهم يعيشون هذا الحدث كتجربة اجتماعية وثقافية تدوم طوال السنة.

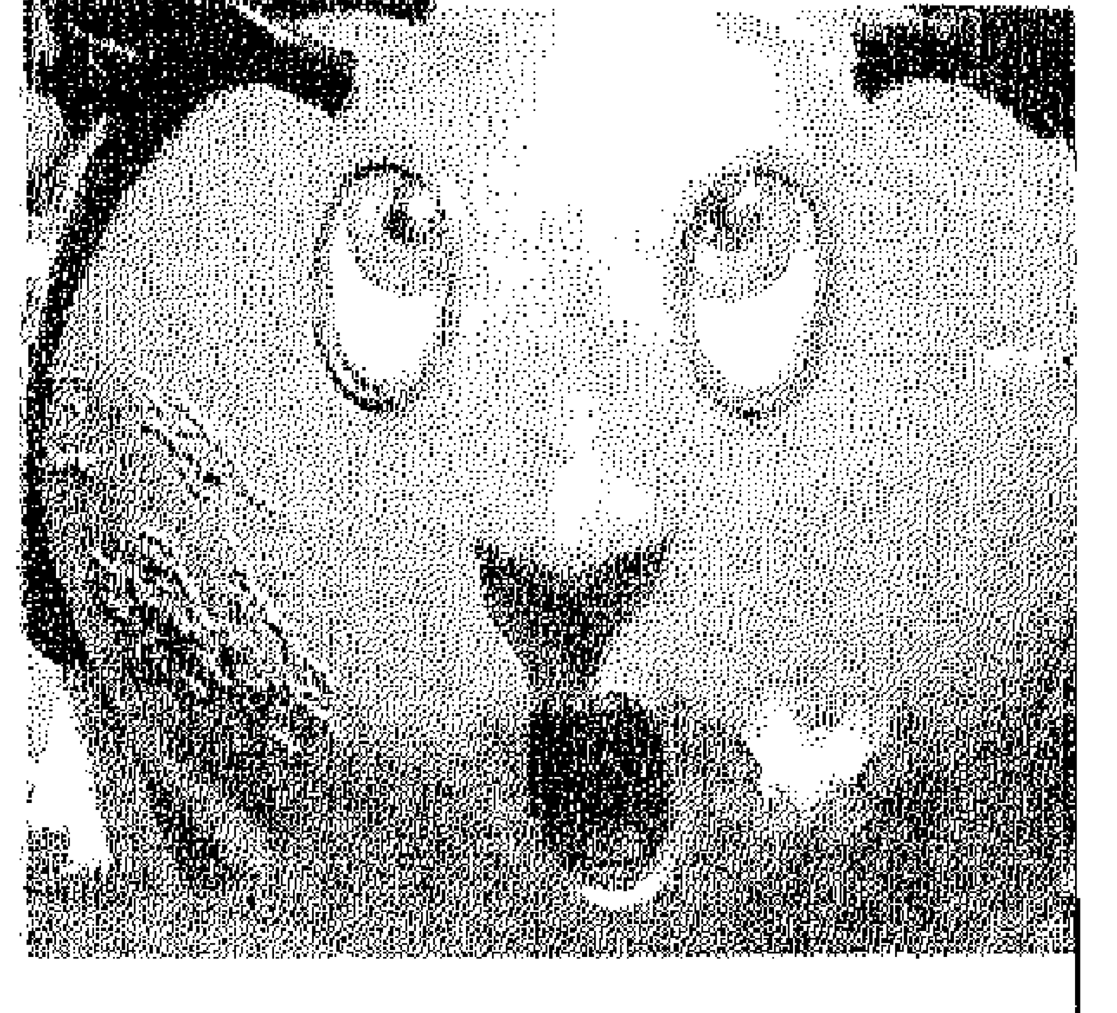
هدف كل لجنة أن تربح علماً من الحرير لهيكلها. وتتنافس الهياكل في نحو ١٢ فئة تصنّف وفقاً لتكاليفها، بدءاً بفئة المئة ألف بيزيتا المتواضعة (نحو ٦٥٠ دولاراً امريكياً). لكن "صراع الجبابرة" هو الذي يستحوذ على اهتمام الجميع. والفائز بين هذه الهياكل الضخمة التي يراوح ارتفاعها بين ١٥ و٢٠ متراً وتصل كلفتها الى بضعة ملايين من البيزيتا، يعتبر البطل المطلق.

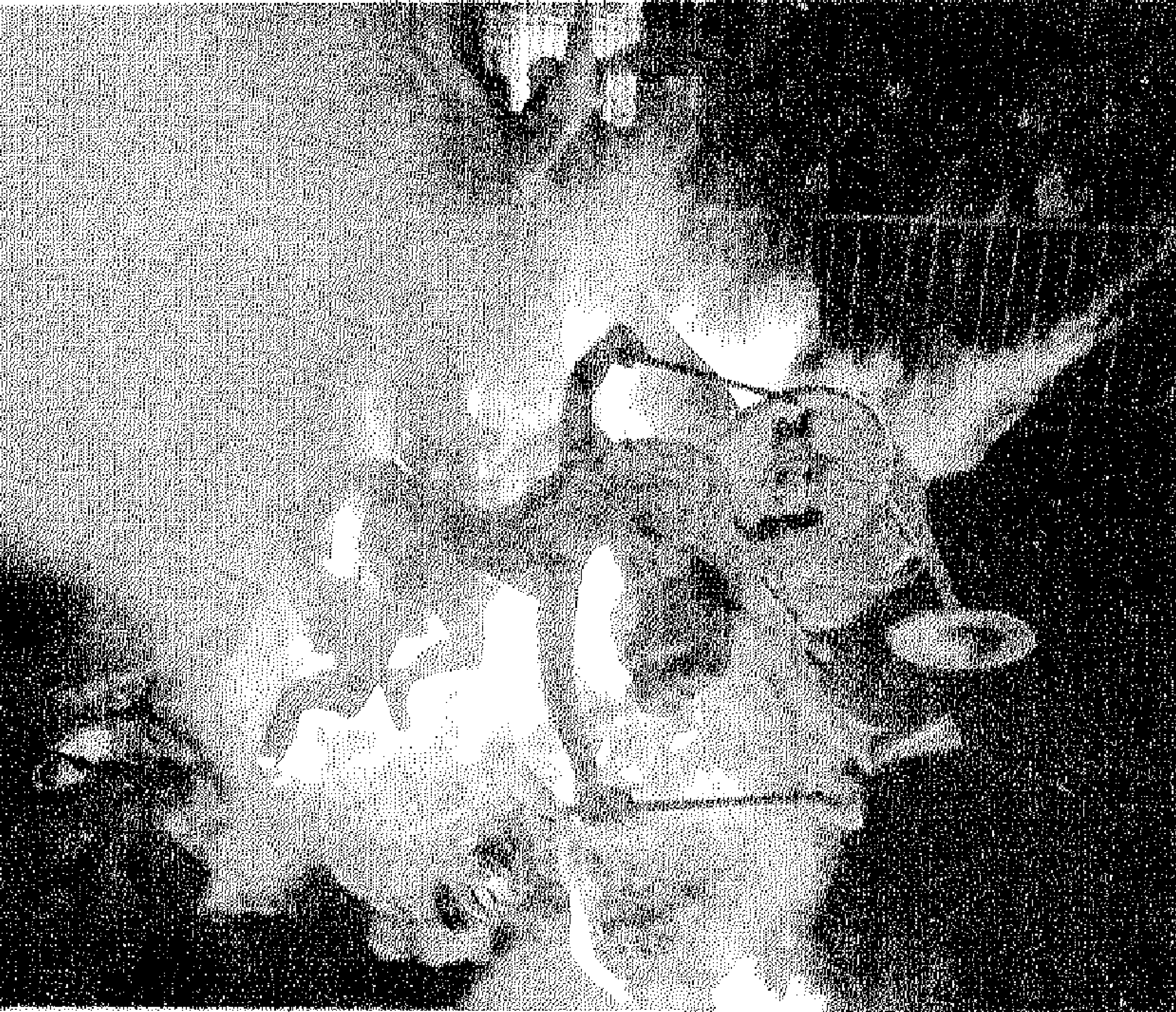
وهناك قرابة ٢٠٠ فنان يكرسون كامل وقتهم لهذه الهياكل. وهم يحضّرون المخططات لتقديمها الى اللجان والموافقة عليها في منتصف ابريل (نيسان). ويبدأ البناء في أوائل الصيف في "مدينة الهياكل" وهي مجمع مبني

Photos: White Star / Hamburg

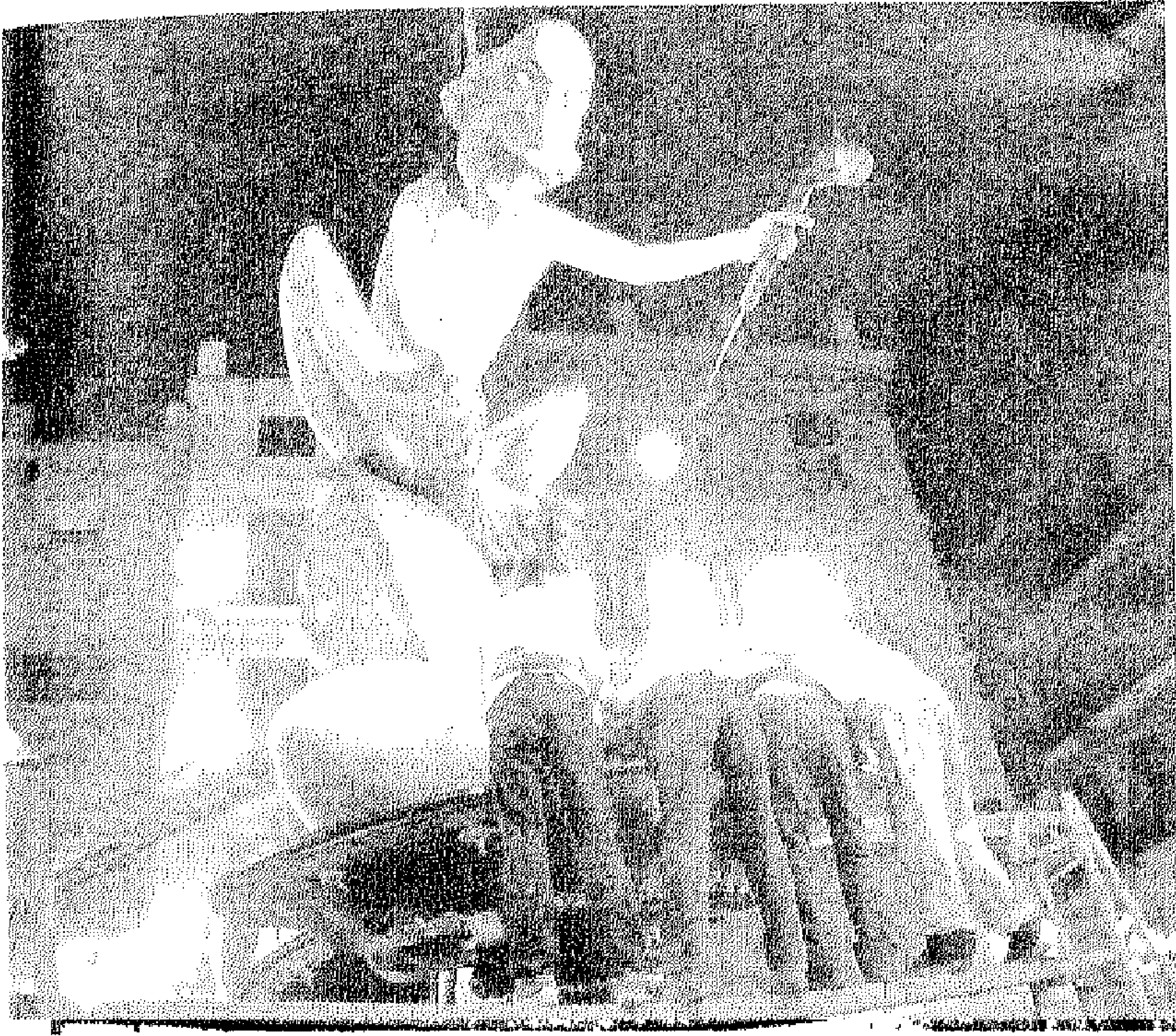








اعلى اليمين: الارض المعذبة ترتكز على كعك الجرائم والعنف، والنسر فرّخ عقباناً.
أعلى اليسار: الالعاب النارية تفتتح ليلة النار.
تحت: النار تضرم في المياكل.











اعلى اليمين: الالعاب الاولمبية في لوس انجلس عام ١٩٨٤.
اعلى اليسار: هيكل ضخم يمثل زوال السلطان وانقضاء الزمن.

بالقرميد الاحمر يضم ٦٢ مشغلا كبيرا ويقع في الطرف الشمالي للمدينة. يصنع النجارون الهيكل الاساسي من الخشب، وهو الشكل الاولي للتمثال المجوف. وبعد ذلك يمد الفنانون الطين على الهيكل ويبدأون النحت. وتصنع قوالب الجص وتبطّن بألواح من كرتون منقوعة في الماء، وحين تجف هذه تُغدو ناتئة وسريعة الاشتعال فتثبت على الهياكل الخشبية ثم تدهن بطلاء لمّاع.

وفي أوائل يناير (كانون الثاني) تمتلىء المشاغل الواسعة بالاشكال المضحكة، ومن بينها دمى مهرّجين ترتفع ستة أمتار وأشكال طيور في حجم طائرات مروحية. ويحمل الهيكل العادي نحو عشر دمى صغيرة عند قاعدته، لكن بعض الهياكل الضخمة قد يحمل أكثر من ٥٠ دمية. وتصنع هذه الهياكل الجبارة قطعاً منفصلة لكي يسهل اخراجها من بوابات المشاغل، ثم تجمع في الخارج.

عبر السنين عكست هذه الهياكل أذواق الناس وميولهم المتبدلة. وتمثل هياكل هذه الايام غالباً مناحي مستقاة من القضايا العامة التي تشغل الناس، كالجرائم والمخدّرات والتلوّث والبطالة. ويقول بيري ماروتو الامين العام لمجلس الهياكل المركزي الذي ينظم المهرجان وينسق أعماله: "ان رموز الجور والشر والحماقة تمحق كلها في اللهب."

في الخامس عشر من مارس (آذار) أول أيام المهرجان يستيقظ سكان بلنسيا ليجدوا مدينتهم وقد غزاها جيش من الهياكل الهازجة. واعتباراً من ذلك الصباح لا تنفك المدينة تنبض بالاثارة. فتحتشد الناس في مقاهي الارصفة ويتمشى المحتفلون بين الهياكل. وبعد الظهر تدوي الهتافات في حلبات مصارعة الثيران، وتزين الشوارع أقواس من المصابيح الملونة، وتقام الولائم في الهواء الطلق ويتواصل الرقص حتى ساعة متقدمة من الليل، وينهمك نحو ألف اختصاصي بالالعاب النارية في ملء جو المدينة دوياً وارتجاجاً وتوهجاً.

وأخيرا تأزف ليلة النار. وبدءاً من منتصف الليل تطلق الألعاب النارية التي تخطف الابصار في سيل من الصواريخ والاضواء المتوهجة، فتلهب سماء المدينة بدفق غزير من الألوان المتفجرة والشرر المتطاير. ثم تهدر أولى النيران المتأججة.

ولا يني المسؤولون في المدينة عن اتخاذ كل الحيطة اللازمة. فثمة ٤٠٠ اطفائي يقفون على أهبة حول الهياكل المنصوبة في الشوارع الضيقة وتقاطعات الطرق والأزقة. ويصب خبراء الالعاب النارية الوقود من دلاء كبيرة على الهياكل ويفتحون بقضبان حديد منافذ للهواء في الاغطية الورقية.

ثم يشعل فتيل. وخلال ثوان تلف ألسنة اللهب أحد الهياكل الضخمة وفيه تماثيل ترمز الى "الاعراق الخمسة على الارض" وتحمل كوكباً في شكل يقطينة. انه انتقام جماهيري وحل حاسم لكل معضلات العالم. ويبتهج الجمهور المحتشد في الساحة، فهذه المشاكل عينها ستعود في اليوم التالي، لكنها في هذه الليلة على الاقل حُلّت في نفوس المتفرجين.

وخلال ساعة ينتهي كل شيء. يوجه الاطفائيون خراطيم المياه الى الجمر المتّقد بينما ينصرف الجمهور بهدوء والجميع يشعر بالتعب والرضا. وسرعان ما يشرع عمّال التنظيف في كنس الشوارع وجمع الرماد من انحاء بلنسيا. ومع انبلاج الفجر لا يبقى أثر لتلك المحرقة المثيرة. لكن الوقت لا يتسع للحنين، فبالنسبة الى عشرات الألوف من المشاركين يوشك مهرجان السنة المقبلة على البدء.

روي فرغسون ■



الانتظار أسوأ من المعرفة. فالحزن يمزق القلب بنظافة متيحاً له ان يلتئم، أما الانتظار فيمزق الروح.

م.ل.

روح الجبال

تخترق عقلنا وعضلاتنا وعظامنا وتصل الى صميم روحنا



أمر غريب ينتابك في الجبال. تتحرر من رائحة الاحتراق المخدرة وتنتعش بعبير عفن الخشب والصنوبر. وتجد أشياء جديدة رائعة. يهزك الرعد حتى عظامك ويفلق الجليد الصخر الاصم. وتهدر الشلالات ويغرغر ماء الثلج الذائب. واذ

ترى هذه الاشياء وتسمعها تحس التجدد فتبدأ حياتك ثانية.

نحن قوم نحب الجبال. حين نتقوقع في المدن تغدو الجبال البديل الاخير من حياتنا المكتظة. ففي حين تقطّع الاراضي المنبسطة لتتحول شبكات من الطرق والحقول والملكيات المخصصة لأغراض مزعومة، تبقى الجبال سليمة. يدعها الناس وشأنها لأنها لا تصلح للزراعة، فالجليد يغطيها في الشتاء والبناء فوقها باهظ الكلفة.

الجبال صورة الصيف في عقولنا. نختزن ذكرياتنا الشخصية عنها متعة ورجاء. هناك المنحدرات المغطاة بالنبت والمتألقة بأشعة الشمس والنابضة بتغريد العصافير. هناك الجرف العالية من الصوّان الأسود تتوهج بروعة بيضاء في ضوء القمر. هناك المروج الفسيحة المغطاة بالجليد والغابات الكثيفة من أشجار السرو والضباب يتعالى كالاشباح فوق الأنهار عند بزوغ الفجر. هذه كلها تبعث في النفس لحظات حيوية وراحة.

اننا نكتسب قوة وصفاء رؤية في سكنى الجبال. حين تحتك مناكبنا في شوارع المدن يظهر زيف أخلاقنا، أما في الجبال فالأخلاق تنمو من قلوبنا.

ولا يقتصر الامر على أن الجبال غير مأهولة. فالجبال مفعمة بالأحاسيس. انك تجد علائم واضحة وبنية حية ودفئاً في الشمس التي لا يشوبها غيهب. عليك أن تجهد نفسك، ان لم يكن من أجل الدفء فلكي ترى ماذا يمتد وراء الاكمة التالية. حين ترتقي الصخور وجذوع الاشجار تشعر ببهجة تحكم العضل بالعظم وتستعيد مرح الطفوله حيث الجسم يقود العقل. عندئذ ترى في تسرب أشعة الشمس خلال أغصان الصنوبر قوة سحرية مخدرة.

ينطلق عقلك التحليلي ويتولى جزء أكبر سناً في دماغك تحديد نقلة قدمك أو مدى بسط ذراعك لحفظ توازنك. وتصبح عاجزاً عن التدقيق في دفتر حسابك المصرفي أو كتابة الرسائل. واذا تماديت في حض نفسك أوغل عقلك في التبدل. الهواء الاقل اوكسيجيناً يوقف دورات تفكيرك العقلي. ويضخ دماغك الأندورفينات، وهي العناصر الكيميائية التي تشعرك بالخفة. متسلقو الجبال يدمنون هذه الخفة التي تشعرهم بأنهم مخلوقات من خارج هذه الارض. والصيادون الواقفون ساعات في مجاري المياه الباردة يشعرون بشيء من هذه السعادة.

يتيه العقل في عالم الخيال. هناك الصمت بليغ. الغيوم تغطي القمم. والخيال الذي يحفزه نقص الاوكسيجين يفقد معالمه الحادة. وتمتطي أفكارنا صهوات الرياح فنرى حولنا أشباحاً هائمة.

كان الناقد جون راسكين يعتبر أن الناس يجب أن يُصدموا بين حين وآخر ليفقدوا توازنهم فيتاح لعواطفهم أن تغدو "على جانب من القوة للانتصار جزئياً على العقل." وأي وسيلة تصدم وتفقد التوازن خير من السير في الجبال؟

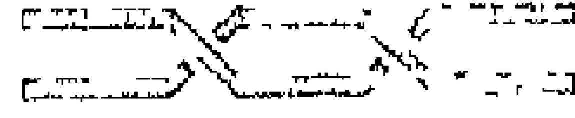
وفيما كان الكاتب المسرحي جون دنيس يعبر جبال الألب عام ١٦٨٨ تحدث عن شعور من "الرعب البهيج" و"الفرح المرعب".

يسعى الرحالة الى الجبال ليحظوا

بالاحاسيس المهيبة السامية التي تبعثها الطبيعة. وهي ملامح العظمة في الانسان. لقد أصبحت الجبال الاماكن التي تستكشف فيها النشوة. قال توماس جفرسون ثالث رؤساء الولايات المتحدة الامريكية في الجسر الحجري الطبيعي بولاية فرجينيا: "يستحيل أن نشعر بالأحاسيس النابعة من الروعة أكثر مما نفعل ازاء ما يتمثل امامنا هنا. فنشوة المُشاهد تبلغ حداً يفوق الوصف."

ولا تزال الجبال جزءاً من الوسيلة التي تكشف لنا من نحن. انها فرصة متاحة لنا لنجهد أنفسنا، لنشعر بالاشياء التي لم نحسها من قبل، لنكتشف ذُرى لمّا ترسم بعد على خرائط. وهذا يضفي علينا الفرح. من أجل ذلك نزحف على الصرود ونهبط الشعاب ونتحرى أسرار الوهاد المكسوة بالغابات وهامات الذرى الشاهقة. نود أن نفتح قلوبنا للشمس ونرى العاج في صلب الغمام. نود أن ننظر الى الأشياء فنرى فيها ملامح من ذواتنا.

بيتر شتاينهارت ■



فلسفة صغيرة

تشارلز شولتز مبدع شخصيات "بيناتس" الفكاهية (تشارلي براون وسنوبي وسواهما) يلقي الضوء على الناحية الفلسفية في شخصياته الصغيرة في كتابه "أمور تعلمتها بعد فوات الاوان - وحقائق أخرى تافهة":

الثقافة الجيدة هي أفضل شيء يأتي بعد الام القديرة.

لا تنم في فراشك ليلا وأنت تسأل نفسك أسئلة لا تستطيع الاجابة عنها.

أفضل الرحلات تلك التي تسمح لك بالعودة الى البيت ظهراً.

أنا دائماً واثق من الاشياء التي تتحمل أكثر من رأي واحد.

تكون الحياة أسهل اذا خشيت من أيامها واحداً واحداً.

الصيف يطير والشتاء يمشي الهوينا.

ي.ف.

جواب مناسب

أخذت امرأة والدتها العجوز المصرّة على العيش وحدها الى دار للعجزة آملة أن تقنعها بفوائد الاقامة هناك بدلا من البيت العائلي القديم الواسع. وقالت الابنة: "الا ترين كم يستمتع هؤلاء الناس هنا بلعب الورق؟ حين أتقدم في السن سيبهجني أن أعيش هنا."

فأجابت الام بجفاء: "وسآتي لزيارتك بلا ريب."

ا.د.

انه ضرب تجاري بدائي ومكلف.
الا ان الديون المستفحلة على الدول النامية،
والفيض العالمي في الانتاج،
تجعله خياراً وحيداً لا بد منه

نظام المقايضة للدول المفلسة!

● اشترت الحكومة السويسرية مقاتلات من طراز "ف – ٥"، وفي المقابل تعهدت شركة "نورثروب" الأمريكية التي تنتج هذه المقاتلات زيادة حجم الصادرات السويسرية بقيمة مئتي مليون دولار أمريكي. وهكذا وجدت نورثروب شارياً للمصاعد السويسرية في مصر، كما وجهت السويسريين الى مشروع انشاء مصنع للاسمنت في أندونيسيا. وقد أفاد نحو مئتي شركة سويسرية من معونة نورثروب.

● بعد منافسة حامية فازت شركة "جنرال الكتريك" الأمريكية بعقد لتقديم محركات توربينية الى رومانيا تبلغ قيمته ١٥٠ مليون دولار. وهي نالت هذا العقد في مقابل موافقتها على تسويق بضائع رومانية بالقيمة نفسها. وتمكنت جنرال الكتريك من استعمال بعض الصلب الروماني ووضعت برامج تسويقية لبيع مواد أخرى في الشرقين الاوسط والأقصى.

ويقدر الخبراء في وزارة التجارة الأمريكية أن نحو ١٥ في المئة من المبادلات التجارية الدولية تخضع الآن لاحد أشكال التجارة بالتبادل (countertrade) وهي امتداد للمقايضة (barter) التي كانت شائعة قديماً.

عبر آلاف السنين استمرت المقايضة وسيلة أولية للتجارة. ففرضت القوى

الاستعمارية مقايضات ثنائية على الدول الخاضعة لها، ملزمة اياها شراء بضائع مصنعة باهظة الثمن في مقابل مواد أولية تؤخذ بأثمان زهيدة، ومحظرة عليها المبادلات التجارية مع الدول الأخرى. وبات لزاماً تحرير التبادل التجاري الدولي من القيود المفروضة على المقايضات. ففي يوليو (تموز) ١٩٤٤ عقد مؤتمر الأمم المتحدة للنقد والمال في بريتون وودز بمقاطعة نيوهامشاير، وتوصل رجال الاقتصاد والديبلوماسيون المجتمعون الى اتفاقات وضعت الأسس لصندوق النقد الدولي وأدت الى تنظيم تسعير العملات عالمياً.

ودخل التبادل التجاري بين الأمم حقبة جديدة، فانحلت الربط التي قيدت التجارة بين القوى الاستعمارية والدول الدائرة في فلكها. وانفتحت الأسواق العالمية على جميع الدول فازدهرت التجارة المتعددة الجنسية. وغدا من الطبيعي أن تسوّق البلدان انتاجها في أفضل مكان يلائمها، وتبتاع حاجاتها من المصادر الأبخس ثمناً. واذ أصبحت العملات قابلة للتحويل غدت الصفقات تتم بأموال تدفع نقداً. وتحولت المقايضة ممارسة بالية تخطاها الزمن، أو هكذا بدت ظاهرياً.

[illegible] الاقتصادي — خلال السنوات القليلة الماضية بدأ النظام النقدي الدولي يرزح تحت متغيرات اقتصادية عدة. وأحد أهم الاعباء الديون الهائلة المترتبة على دول العالم الثالث والتي تقدر بثمانمئة مليار دولار أمريكي. ويقول ديفيد يوفي الاستاذ في كلية ادارة الاعمال في جامعة هارفرد: "الحقيقة المجردة هي أن كثيراً من الدول يعاني حالا من الافلاس."

أما البلدان الرازحة تحت عبء الديون الضخمة، كالمكسيك والبرازيل والأرجنتين، فاضطرت الى تكريس معظم عائدات صادراتها لدفع فوائد الديون المترتبة عليها، مما تركها من دون فائض لتغطية المستوردات. لكن المقايضة تتيح للدول المدينة مواصلة استيراد حاجاتها مع كتم حقيقة صادراتها عن الدائنين.

لكن تجارة التبادل ليست حكراً على الدول المدينة. وفي هذا الموضوع يرى ديفيد يوفي "ان الدول القوية بميزانها التجاري، مثل أوستراليا وكندا واندونيسيا، باتت تصر على تجارة التبادل في مجالات عدة. فمن الثابت أن ربط الواردات بالصادرات هو من وسائل الضغط على الشركات العالمية. والدول التي تفتقر الى الخبرة في التسويق العالمي تلجأ الى تجارة التبادل كوسيلة فاعلة للتعامل مع الشركات الكبرى."

وتستخدم الدول تجارة التبادل كوسيلة مموهة لدعم الصادرات. ويقول يوفي انه اذا شاءت احدى الدول أن تزيد صادراتها النفطية مثلا، ففي امكانها اللجوء الى خفض الاسعار. لكن خطوة كهذه لا بد من أن تضعف اتحاد منتجي النفط. أما اذا باعت دولة نفطها بحسب تسعيرة منظمة "أوبيك"، ورتبت في صفقة لا ضجة فيها أن تدفع علاوة من نفطها في مقابل بضائع مستوردة، فإن طرفي الصفقة لا بد منتفعان، وذلك حتماً على حساب منتجي

النفط الآخرين. ان أكثر من ربع صفقات دول أوبيك هذه الايام يتضمن نوعاً من تجارة التبادل كتدبير احتياطي ملحق.

ان المقايضة في شكلها التقليدي، أي التبادل المباشر للبضائع المتعادلة القيمة، باتت نادرة نسبياً. اما أنواعها العصرية فهي:

[illegible] (١)، ويشمل عادة طرفاً يبيع البضائع أو الخدمات ويطلب في المقابل بضائع أخرى تعادل قيمتها بالضرورة كلفة المشترى. فمثلا، حين باعت شركة "ماكدونيل دوغلاس" طائرات مدنية الى يوغوسلافيا في الستينات وافقت على شراء بضائع من تلك الدولة، بما فيها شرائح اللحم التي قدمت في مطاعم الشركة. كما وافقت على تسويق بضائع يوغوسلافية في الولايات المتحدة. وشجعت الشركة موظفيها على تمضية عطلاتهم في يوغوسلافيا. وساهمت دولارات السياح في ايفاء التزامات الشركة.

اتفاقات التعويض (٢)، وتعتمد أحياناً للفوز بعقود انشاء المصانع. فعندما باعت شركة "ليفي شتراوس" مصنعاً لألبسة الجينز الى هنغاريا (المجر) وافقت الشركة الأمريكية على تسويق نحو نصف مليون سروال جينز سنوياً في ألمانيا الشرقية وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا.

اتفاقات المقاصة (٣)، وهي في معظم الأحيان مواثيق ثنائية بين الحكومات وعبارة عن تبادل بضائع تعادل قيمتها رقماً متفقاً عليه. إن كميات كبيرة من البضائع الغربية تدخل الاتحاد السوفييتي عبر اتفاق مقاصة بين الاتحاد السوفييتي والهند. فالهند تحتاج الى زيادة صادراتها الى الاتحاد السوفييتي كيما تعادل وارداتها. لذا شرعت الأبواب أمام بعض الشركات الغربية التي، لولا ذلك، ما استطاعت غزو الاسواق السوفييتية.

شركة "زيروكس" البريطانية مثلا لاقت صعوبة في بيع ناسخاتها (فوتوكوبي) الى الاتحاد السوفييتي لأن موسكو رفضت التخلي عن بعض عملتها الصعبة. ففتحت معملا مشتركاً لتجميع أجزاء الناسخات في الهند التي تصدر الناسخات الى الاتحاد السوفييتي. وهكذا وجدت "زيروكس" منفذاً الى تلك السوق.

ويخشى المسؤولون في الحكومة الأمريكية أن يؤدي النمو السريع للتجارة بالمقايضة الى ضعضعة أسس النظام التجاري العالمي. ويقول أحد ممثلي الهيئات التجارية الأمريكية انه باخفاء حقيقة الأسعار في الصفقات فان المقايضات قد تخفي الضعفات الاقتصادية وتثبتها في الأسواق.

ويمكن أن تكون المقايضة أيضاً عملا محفوفاً بالخطر. ويلاحظ ديفيد يوفي: "ان كثيراً من الشركات يخسر لأنه يبلى ببضائع سيئة النوعية أو ذات مواصفات خاطئة."

---

(١) Counterpurchase
(٢) Compensation Agreement
(٣) Clearing Agreement

شيكاغو [illegible] – كثيراً ما يكون تنظيم صفقات التبادل عملية معقدة. وفي العام ١٩٨٣ شرعت شركة "كرايزلر" في بيع شاحنات الى دولة جمايكا التي خنقتها الديون. ولانجاز الصفقة اتفق الطرفان على أن تتولى شركات التعدين الأمريكية والكندية التي تستخرج البوكسيت وتنقيه ليصبح ألومينا (أوكسيد الالومينيوم) تسليم نحو ٥٠ ألف طن من المعدن المنقى الى شركة تجارة البوكسيت والالومينا التابعة للحكومة الجمايكية.

وصدرت هذه الشركة الألومينا الى "متالغزلشافت"، وهي شركة معادن ألمانية باعت المعدن الى معمل تكرير حوَّله ألومينيوم. وذهبت الأموال التي قبضتها شركة المعادن الى المصرف الذي تتعامل معه كرايزلر، وهو المصرف الأوروبي الأمريكي الذي دفع قسماً من هذه الأموال الى شركة تجارة البوكسيت والألومينا الجمايكية.

أما بقية المبلغ فموِّلت اعتماداً لشركة كرايزلر التي بدورها أرسلت الشاحنات الى جمايكا. وتولت شركة حكومية أخرى في الجزيرة بيع الشاحنات الى وكيل كرايزلر المحلي. فدُفع ثمن الألومينا الى شركات التعدين وبات في امكان المستهلك الجمايكي شراء شاحنات أمريكية.

والحقيقة أن المقايضة في التجارة الدولية هي عملية غير فعالة فضلا عن كونها مكلفة بالمقارنة مع التجارة بالمال. ويلفت ديفيد يوفي الى "ان الشركات العالمية تلجأ الى رفع أسعار منتجاتها لتغطية التكاليف الاضافية التي تتحملها اذا ما أجبرت على الاخذ بمبدأ المقايضة." ويرى في المقايضة وسيلة لحماية الانتاج الوطني.

ومن ناحية أخرى يؤكد دانيال سكشين مدير قسم التبادل التجاري في شركة "بنك أمريكا للتجارة العالمية" أن زيادة التجارة بالمقايضة تؤمن حلولا عملية لمشاكل الديون في النظام النقدي العالمي. "وبالنسبة الى عدد متزايد من الدول العاجزة عن الحصول على تسليفات بالعملة الصعبة، فان التجارة بالمقايضة هي الخيار الوحيد." أما ديفيد يوفي فيسلم بأن هذه التجارة باقية في المدى المنظور، ويضيف: "من دونها يتعذر على دول كثيرة استيراد أي شيء. وهي بالنسبة الى آخرين أداة فاعلة لدخول أسواق متخمة."

جاي ستولر ■

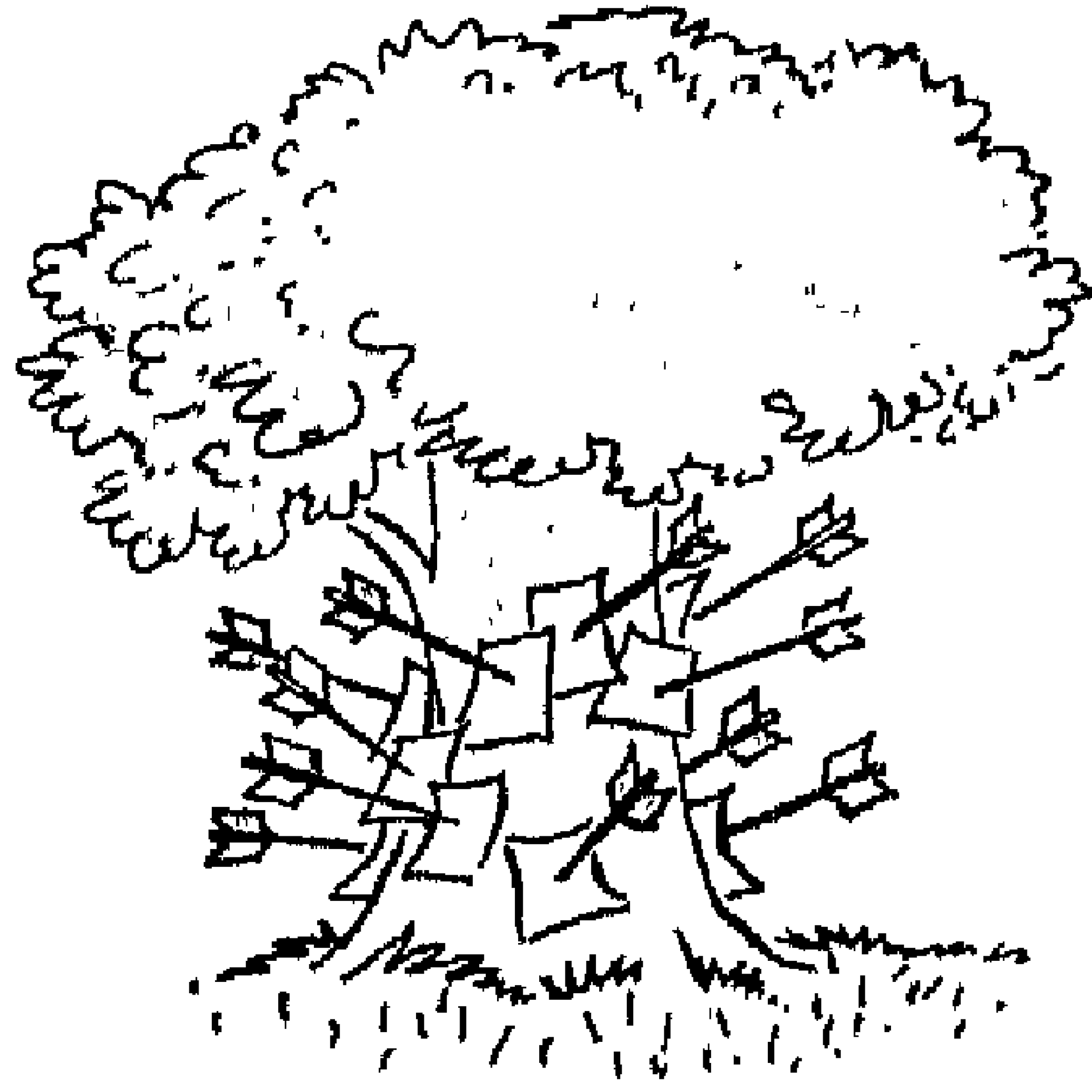


تخطيط غذائي

عادت الزوجة الى البيت من عملها. وكانت متعبة ووقتها ضيقاً فأعدت طعاماً من بقايا وجبات سابقة. وحين جلست مع زوجها الى المائدة قالت له: "يرهقني جداً التخطيط لوجبات الطعام."

وحدّق اليها زوجها سائلا: "وهل خططت لهذا؟"

ن.هـ.



الى طلاب الزواج

نشـــر قســـم الاعـــلام الاقتصـــادي والاجتماعي التابع للامم المتحدة وثيقة يمكن أن تفيد الرجال والنساء الباحثين عن النصف الآخر. وقد جاء في هذه الوثيقة: "ان أفضل مكان للنســاء البالغات اللواتي يردن الزواج هو غرينلاند، حيث هناك ستة بين كل عشرة رجال مستعدون للزواج. وأفضل مكان للرجال هو جزيرة ريونيون الفرنسية شرق مدغشقر في المحيط الهندي، حيث تبلغ نسبة النساء المستعدات للزواج ٦٩،٨ في المئة."

صحيفة "نيوبوك بوست"

الحيتان الخجولة

احتجز نحو ٣٠٠٠ حوت، أي نحو خمسة في المئة من مجموع الحيتان في العالم، وراء جدار ضخم من الجليد في مضيق سنيافينا في بحر بيرنغ (بين سيبيريا وألاسكا). وأمرت السلطات في موسكو كاسحة الجليد "موسكفا" بفتح منفذ، لكن الحيتان الخجولة لم تخرج من هناك.

ومر في بال أحد البحارة أن الحيتان تهوى الموسيقى، فأخذ وزملاءه يبثون موسيقى مسجلة بأعلى صوت ممكن من على متن الكاسحة. ولم تلق الحيتان بالا لموسيقى الجاز الصاخبة. ولكن حين أديرت أسطوانة موسيقى كلاسيكية انتفضت الحيتـــان حماســة وأخذت تتعقب السفينة المنقذة خارجة الى عرض البحر.

مجلة "لايف"

أنوار سياحية

اذا تجولت في دنكلسبول بألمانيا الغربية بعد الساعة التاسعة مساء فلن تستطيع تمييز المعالم الاثرية، وذلك لانك لم تضع مالا في صندوق النقود. ففي مقابل ١،٧٠ دولار تعطيك البلدة ساعة من الانارة لمشاهدة تماثيلها.

ج.أ.

رسالة إلى الصديق

لماذا لا نجد متسعاً من الوقت لابقاء الاتصال مع من نحب؟

لا بد من أن سائق سيارة الاجرة كان مستغرقاً في القراءة اذ تعين علي أن انقر على زجاج سيارته لألفته الى وجودي.

وسألته عندما انتبه أخيراً: "هل سيارتك جاهزة للانطلاق؟" فأومأ برأسه ايجاباً وجعل يعتذر الي بعدما جلست في المقعد الخلفي: "آسف، كنت أقرأ رسالة." وبدا لي من لهجته كأنه مصاب بزكام.

قلت: "الرسائل من الاهل تعني الشيء الكثير."

وقدرت أن عمره يراوح بين ٦٠و٦٥ سنة فحدست: "هل هي من ولد لك أو حفيد؟"

– انها ليست من أحد أفراد عائلتي، مع أن اد قد يعتبر من الأهل. كان أخلص أصحابي. وكان أحدنا يدعو الآخر "يا صديقي" عندما نلتقي. غير اني لست ممن يكتبون كثيراً.

"لا أظن أحداً منا يواصل المراسلة كما ينبغي. أعتقد أن صداقتكما دامت فترة طويلة."

– في الواقع دامت طوال حياتي. كنا رفاق صف في سنوات الدراسة.

"قلة من الناس تحتفظ بصداقتها مدة طويلة كهذه."

– لم نكن نلتقي الا مرة أو مرتين في السنة خلال السنوات العشرين الماضية لاني انتقلت بعيداً عنه وفقد الاتصال بيننا. كان رفيقاً مدهشاً.

"لاحظت أنك قلت "كان." هل يعني ذلك انه...؟"

– أجل، توفاه الله قبل أسبوعين.

"آسف. ان فقد صديق صدمة قاسية."

لم يجب، وران الصمت بيننا بضع دقائق. وحين تكلم أخيراً بدا كأن كلامه موجه اليه أكثر مما هو الي: "كان ينبغي أن أحافظ على الاتصال بيننا."

وقلت مؤاسياً: "علينا جميعاً أن نحافظ على الاتصال بأصدقائنا القدامى أكثر مما نفعل حقاً. ولكن يبدو أننا لا نجد الوقت لذلك."

وهز كتفيه: "بل كنا نجد الوقت، وهذا وارد في الرسالة." ثم ناولني الرسالة وأضاف: "ألق نظرة عليها."

قلت: "شكراً، لكني لا اود أن أقرأ رسالتك. انها قضية شخصية."

– صديقي مات. وليس في الرسالة شيء شخصي. هيا اقرأها.

كانت الرسالة مكتوبة بقلم رصاص وتبدأ بالتحية: "يا صديقي القديم." وذكرتني الجملة الاولى بنفسي: "كنت مزمعاً على الكتابة منذ مدة، لكني أرجأت ذلك مرات عدة." كتب الصديق انه يتذكر الاوقات السعيدة التي قضياها معاً. وأشار الى حوادث تخص السائق والى قصص عن عبث الشباب وذكريات حميمة لزمن انقضى.

وسألت: "هل عملتما معاً؟"

– لا. غير اننا كنا نقضي الوقت معاً في زمن العزوبة. وبعد زواجنا دأبنا على تبادل الزيارات. ولكن بعد ذلك اقتصر الامر على تبادل بطاقات المعايدة في المناسبات. وكنا طبعاً نضيف الى البطاقة عبارة شخصية نتحدث فيها عما يفعله الاولاد وسوى ذلك. لكننا لم نتبادل رسائل حقيقية.

"ثمة شيء مهم هنا حيث يقول: ان صداقتك عبر كل هذه السنين ظلت تعني لي الكثير، أكثر مما يمكنني أن أعبر عنه لاني لست بارعاً في التعبير عن مشاعر كهذه."

ووجدتني* أهز رأسي موافقاً وأقول للسائق: "لا بد من أن هذا القول أسعدك."

وتمتم السائق كلاماً لم أفهمه فتابعت: "كم أود أن أتلقى رسالة كهذه من أعز أصدقائي."

واقتربنا من المكان الذي قصدت، فتجاوزت النص الى الجملة الاخيرة وقرأت: "أعتقد أنك تود أن تعرف أني ما زلت أفكر بك دائماً." وبعد ذلك، التوقيع: "صديقك القديم توم."

وحين توقفنا أمام الفندق أعدت الرسالة الى السائق وقلت له وأنا أخرج حقيبتي من السيارة: "شكراً لك، كانت محادثتنا ممتعة."

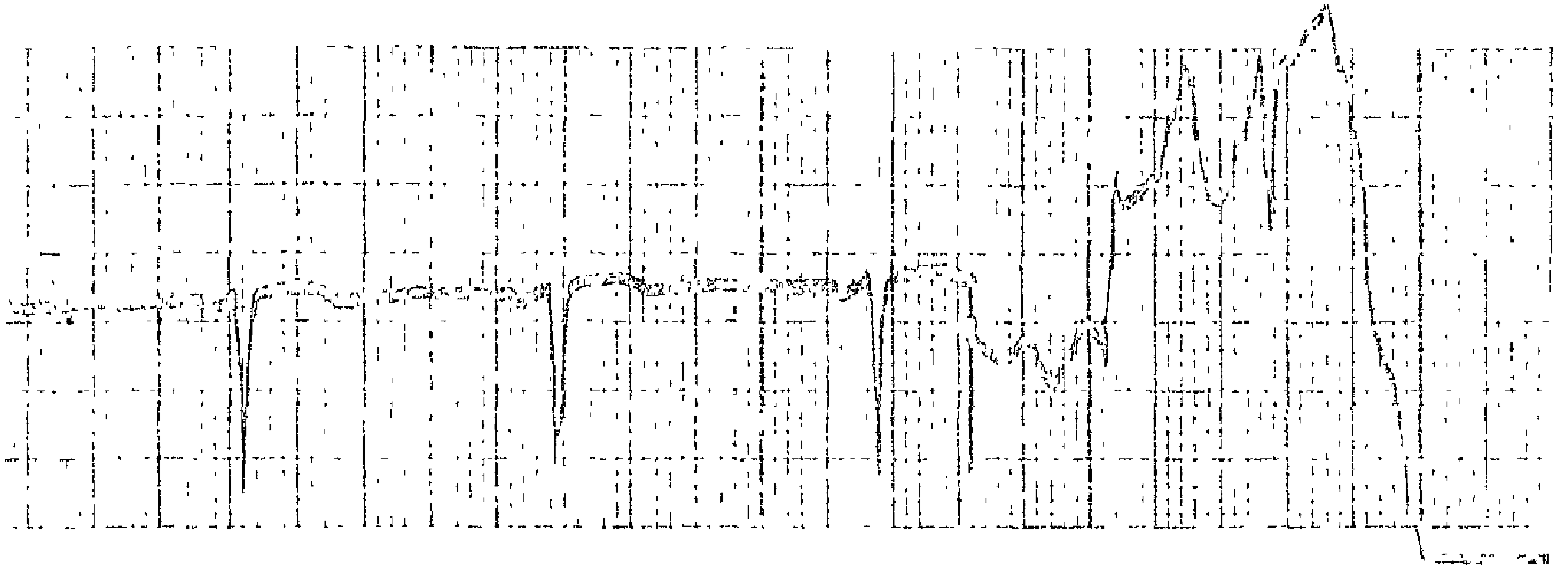
توم؟ وخاطبت السائق: اعتقدت أنك قلت لي ان اسم صديقك هو إد، فلماذا وقع الرسالة باسم توم؟"

أجاب السائق: "الرسالة ليست من إد الي. أنا اسمي توم. وهذه رسالة كتبتها اليه قبل أن أعرف بوفاته. غير أني لم أرسلها قط. كان ينبغي أن أرسلها اليه قبل ذلك."

حين دخلت الفندق لم أفتح حقائبي من فوري. لقد وجب علي أن أكتب رسالة وأضعها في البريد.

فوستر فوركولو ■

السكتات القلبية يمكن تفاديها قبل فوات الأوان



اختصاصي شهير بأمراض القلب يروي لنا كيف امكنه ان يتعافى من سكتة قلبية

حدث ذلك في الثالث عشر من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧. الاختصاصي الامريكي الشهير بامراض القلب الدكتور ارفين بايدج (٧٦ سنة) بدأ نهاره كالعادة. في الخامسة صباحاً جلس يتابع كتابة عدد من المؤلفات والمقالات الطبية اذ انه اعتاد العمل على مؤلفات مختلفة في آن. وبعدما امضى ثلاث ساعات في الكتابة تناول الفطور مع زوجته ثم توجه الى العيادة حيث يعمل في مدينة كليفلاند، ولاية اوهايو.

والدكتور بايدج مدير سابق للعيادة وهو الآن متقاعد ويعمل مستشاراً فنياً لقسم الابحاث فيه. وهناك يقضي تسع ساعات كل يوم يستقبل المرضى ويشرف على الابحاث العلمية ويلقي المحاضرات ويرد على الرسائل والمكالمات التي ترد عليه من اطباء في اقطار العالم.

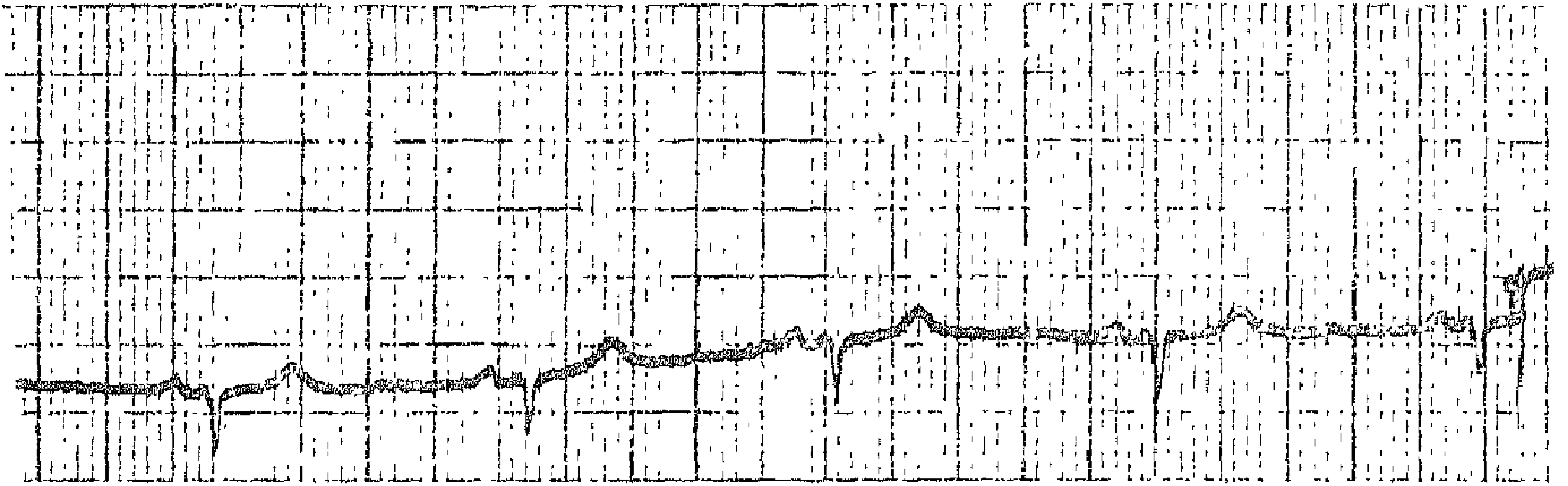
"بدأت اشعر بالتعب في الساعات الاولى من بعد الظهر. واذ اعتدت اللجوء الى كرة المضرب (التنس) لاتغلب على الارهاق فاني اقبلت على هذه الرياضة بعد العمل. ولم

احسن اللعب يومئذ، لكني طمأنت نفسي الى اني سأجد كوباً من الشراب ينتظرني لدى عودتي الى البيت، اضافة الى وجبة عشاء لذيذة وحديث شائق مع زوجتي بيا. لكني ما ان تناولت الشراب حتى سقط الكوب من يدي وتحطم على الارض. وكنت قد رأيت اعراضاً مشابهة في السابق، فادركت للحال اني فريسة سكتة قلبية."

واذ ادرك الدكتور بايدج ما اصابه توجه الى غرفة النوم في الطابق الاعلى من منزله، لكنه تعثر على السلم فهتف

سبب السكتة، فمن المعروف ان هناك اربعة مسببات للتلف الدماغي تنتج من عطل في الدورة الدموية: الجلطة الدموية او الخثر، وكتلة من الغلاف الداخلي لوعاء دموي تنطلق نحو الدماغ فتسد مجرى الدم في احد شرايين الرأس، وانفجار في انسجة شريان معطوب، ونزف من شأنه اتلاف قسم كبير من انسجة الدماغ.

واثبت الامتداد البطيء للشلل في جسم الدكتور بايدج انه لا يشكو نزفاً بل



بزوجته: "اتصلي بالعيادة واطلبي من احدهم ان يأتي ليصحبني الى هناك". وشعر بخدر في ذراعه وساقه اليمنيين.

"واذ ادخلوني غرفة في المستشفى كان جل ما اريده ان انام واستعيد نشاطي. لكن رهطاً من الاختصاصيين والاطباء المقيمين والممرضات اقبلوا علي يجسون نبضي ويفحصون استجابات اعضائي اللاارادية ويأخذون عينات من دمي ويطرحون اسئلة لا نهاية لها."

تحركي! – شاءت سخرية القدر ان يصاب الدكتور بايدج بعَرَضٍ طبي كان قد كرس وقته لمكافحته. فهو عانى ازمة قلبية في العام ١٩٦٧، وها هو الآن يصاب بسكتة. وكان هم الاطباء ان يكتشفوا

هناك كتلة صغيرة تسد وعاء دموياً صغيراً في الرأس.

والدكتور بايدج متعدد المواهب. فهو نشأ في ولاية انديانا ابناً لطبيب، وعرف في جامعة كورنيل بمهارته في العزف على آلة البانجو وكان يقود فرقة موسيقية لحفلات الرقص الشعبي. ولاحظ عدد من الاساتذة ابعاداً اخرى في طاقات الطالب الشاب ووجهوه نحو دراسة الطب. وبعدما عمل كطبيب مقيم في مدينة نيويورك دعي الى تأسيس دائرة لكيمياء الدماغ في معهد كايزر فيلهلم في ميونيخ، المانيا الغربية. وهناك تعرف الى بياتريس آلن وهي راقصة امريكية قدمت الى ميونيخ للاشتراك في مؤتمر دولي

للباليه، فتودد اليها وفاز بقلبها. ولدى عودته الى الولايات المتحدة انصرف الى ابحاث ضغط الدم وامراض الكلى. في ذلك الحين، اي في بداية الثلاثينات، كان معظم الاطباء يعتقدون ان ضغط الدم المرتفع هو وسيلة يستخدمها الجسم لتوزيع التغذية. وما لبث الدكتور بايدج ان نقض تلك النظرية اذ اوضح ان ضغط الدم المفرط قد يؤدي الى تلف في الاوعية الدموية تنتج منه سكتة مميتة.

"اول ما خطر لي عندما افقت هو ما كنت رددته للمرضى طوال سنوات: الجلطة القلبية ليست قاتلة بالضرورة، كما ان معظم اعضاء الجسم يواصل عمله الا اذا انعطب الجزء الاكبر من الدماغ. صحيح اني كنت فقدت الحس في جانبي الايمن، لكني بقيت قادراً على الكلام والتفكير. ورحت اناجي اناملي وقدمي وذراعي وساقي فاشجعها كي تتحرك وتتلوى وتلبي حاجة ما. وايقنت ان ادنى استجابة قد تكون مفتاح شفاء ذراع او ساق بكاملها. وهكذا باشرت برنامج تأهيل شخصياً."

مبادىء الرقص – عندما اقترح الاطباء على الدكتور بايدج الافادة من خدمات اختصاصي بالمعالجة الطبيعية (التدليك والتمارين الرياضية وسواها) رفض هو قائلا: "انا وحدي استطيع ان اكشف بصيص استجابة في عضل ما". ولكن عندما سمح له بمغادرة المستشفى بعد عشرة ايام خرج بكرسي متحرك اذ لم يكن احرز تقدماً يذكر ولم يستعد حركة ذراعه وساقه اليمنيين.

"اهم ما في الامر ان بيا كانت تنتظرني في البيت. واذ كانت راقصة فانها الملمت بأهمية تناسق العضلات. وقالت لي مؤكدة: لسنا في حاجة الى اثقال وآلات. ان الراقصين يسيطرون على عضلاتهم بتمارين بسيطة في المرونة والجمباز.

"في الاشهر الاولى ركزت على تمييز عضلات قليلة في ذراعي وساقي تستجيب لارادتي، وعملت على تمرينها. واذ نجحت في استخدام يدي لاقبض على الاشياء وفي رفع عقب قدمي عن الارض، شجعتني بيا على تنسيق حركات كهذه مع حركات عضلات اخرى متاخمة. وكنا نواصل التمرين على حركات بسيطة حتى اتمكن منها."

ومر الدكتور بايدج بفترات تقاعس. ولم يكن ذلك مجرد اهمال من ناحيته اذ انه شعر بفترات تعب مضنٍ ولامبالاة، خصوصاً في السنة الاولى من مرضه.

"بيد اني كنت اعلم ان ادنى وقف للتمرين، مهما قصرت مدته، قد يتعذر بعده الشفاء. فاذا اهملنا استخدام عضلاتنا فانها تتقلص وتفقد مرونتها."

اخيراً استطاع بايدج ان يتغلب على التعب بفضل بيا التي حثته على التمرين، واستعاد نشاطه حتى انه اعتمد فترة تمرين اضافية. قال: "كنت اضبط المنبه في غرفتي ليوقظني في منتصف الليل، فأقوم بتمارين جمباز مدة نصف ساعة". لماذا منتصف الليل؟ لانه كان، على رغم ما اعتراه، عاد الى عمله يداوم طوال النهار. حتى انه كان يشارك في مؤتمرات طبية خارج كليفلاند.

طفل كبير – لم يكن تعافي الدكتور بايدج امراً يسيراً. قال: "بعد ١٨ شهراً من التمارين اليومية المضنية لم اتوصل الى تناسق بين ذراعي وساقي اليمنيين." لكنه اخذ يمارس العدو البطيء على الشاطىء قرب منتجع

يملكه، ويرد بمضربه كرة يرميها اليه احد الاصدقاء.

"اذا ما عملتَ على استعادة مهاراتك البدنية بعد ازمة قلبية فانت في ذلك تشبه طفلا رضيعاً، اذ عليك ان تتعلم بعض الامور من جديد. فقبل اصابتي بالسكتة كان خطي كبيراً وسيالا، ولكن بعد مضي عامين قضيتهما اتعلم الكتابة من جديد، اصبح خطي صغيراً وغير متقن. وحدث الامر ذاته في لعبة كرة المضرب، اذ كان علي ان اتعلم كل حركة من جديد."

اما اليوم، وقد بلغ الدكتور بايدج عامه الرابع والثمانين، فلا اثر يذكر عنده للسكتة التي اصابته قبل نحو ثماني سنوات. وهو يؤكد انه متقاعد الآن، لكنه ما زال يستيقظ في الخامسة صباحاً ويعمل ثلاث ساعات في مكتبه حيث تتراكم الكتب والاوراق. وهو ما زال يمارس لعبة كرة المضرب نصف ساعة كل يوم ويمشي ٣،٥ كيلومترات ويفيق في منتصف الليل ليقوم بتمارين الجمباز مدة نصف ساعة.

"اذا فكرت في الماضي ادركت ان بعض الامور كانت ساعدتني في تفادي ما اعتراني لو اني اعرتها الاهمية الكافية، وأهمها معالجة ضغط الدم المفرط. فمع اني كنت اعلم اني لم اتمتع بضغط طبيعي، الا اني لم احاول معالجة الامر. ونصيحتي لمن يشكو ادنى ارتفاع في ضغط الدم ان يحاول خفضه بالامتناع عن تناول الملح وان يعمل على تخفيف وزنه ويثابر على التمارين الرياضية والعلاج.

"امر آخر تعلمته من خبرتي هو ان اكون اكثر حذراً في نمط معيشتي. فبعد اصابتي بأزمة قلبية عام ١٩٦٧ امتنعت عن التدخين وتناول المأكولات الدهنية فخففت وزني، وواصلت رياضة كرة المضرب. وانا متأكد من ان هذه ساهمت في شفائي وخففت من وطأة السكتة. ولكن لا يسعني الا ان اتساءل عما اذا كان في وسعي تفادي الكثير لو اني فعلت ذلك قبل سنوات."

ويخلص الدكتور بايدج الى القول: "ابسط ما في الامر ان احداً لا يمكنه ان يساعدك. عليك ان تساعد نفسك. انت وحدك يمكنك ان تلتزم برنامجاً حياتياً وقائياً. ومع ان الشفاء يتطلب جهوداً مشتركة بين الطبيب والمريض وافراد عائلته، فانت وحدك يمكنك ان تستعيد حركة عضل او طرف اذا تعرضت لازمة قلبية."

الدكتور ارفين بايدج
بالاشتراك مع ستانلي انغلبارت ■

زلزال البندورة

ذهبت وزوجتي الى متجر بقالة ووقفنا أمام ثمار البندورة (الطماطم) الباهظة الثمن. فجأة وقع زلزال من الدرجة ٥،٨ بمقياس رختر. وحالما مدت زوجتي يدها الى ثمار البندورة ارتجت الارض واهتزت مناضد المتجر وتساقطت القوارير والعلب وتخلعت النوافذ.

وبعدما عدنا الى البيت وأخذنا نوضب مشترياتنا لاحظت أن زوجتي لم تشتر البندورة. وحين سألتها عن السبب قالت: "وحي داخلي قال لي لا تشتري."

ل.ب.

المحامي الصالح

كانت من الفرص التي تسيل لعاب محامين كثيرين، لكنه رفضها

قبل نحو ست سنوات تلقى ديفيد مورفي، وهو محام من شيكاغو كان آنذاك في الثلاثين من عمره، اتصالا هاتفياً من زنجية مسنة في كاليفورنيا.

ارادت الأرملة آني سوسيبير انجاز بعض المعاملات القانونية المتعلقة بصفقة عقارية بسيطة في شيكاغو. ودلّها على المحامي الشاب أحد زملائه أيام الدراسة في كلية الحقوق.

وقبل مورفي المهمة، اذ لم يكن مشغولا ذلك اليوم. وكوّن انطباعاً أن العجوز معدمة، فأخذ منها جزءاً بسيطاً من أجره العادي.

وفي وقت لاحق اتصلت به المرأة مجدداً. وعرضت له مشكلتها المتعلقة بسند ملكية بيت متداع في ضاحية شيكاغو الجنوبية. وتولى مورفي الأمر من دون أن يرسل اليها فاتورة. ثم توفي أخوها في شيكاغو عن واحد وتسعين عاماً. فاتصلت بمورفي سائلة اياه أن يتولى ترتيبات المأتم ويعنِى بالميراث الضئيل لأخيها.

وأعجب مورفي بالسيدة العجوز المفعمة بالنشاط والحيوية على رغم كبر سنها، فأنجز ترتيبات الدفن من دون أن يأخذ منها شيئاً.

وفي صيف ١٩٨٤ رجعت سوسيبير الى شيكاغو ولها آنذاك اثنان وثمانون عاماً. ولم يمضِ وقت طويل حتى فاجأتها نوبة قلبية.

وذهب مورفي الى المستشفى ليعودها. وذهل حين وجدها تتشبث بدفتري توفير في أحد المصارف يضمان حساباً بقيمة ٣٥ ألف دولار وشهادة ايداع بقيمة ١١٠ آلاف دولار. والى ذلك كان لها خمسة آلاف دولار في حساب توفير آخر وعقارات تزيد قيمتها على مئة ألف دولار. وبادرته سوسيير أنها تشعر بقرب النهاية وتريده أن يخط وصيتها.

لم يكن لها أولاد، فأرادت أن تترك العقارات وبعض المال لعدد من أولاد اخوتها الذين احسنوا التصرف معها. ولم تشأ أن تعطي أقرباءها الآخرين شيئاً، اذ لم يحسنوا معاملتها. ثم أعلنت رغبتها في ترك بقية أموالها للمحامي مورفي تقديراً منها لما فعله من أجلها.

كانت تلك من الفرص التي تسيل لعاب الكثير من المحامين. لكن مورفي رفض قائلا انه ليس من الأقرباء. ولم تكن سوسيير لتتزحزح عن موقفها. أرادت أن تكتب وصيتها، وأصرت على ترك أموالها لمورفي.

لم يكن مورفي غنياً، بل يسعه استخدام المال في أمور كثيرة. فأمه مصابة بمرض مقعد، وهو أدخلها داراً للعناية مرتفعة التكاليف.

وبعد نقاش طويل قبل مورفي أن يأتي بمحام آخر ليحرر الوصية.

ونقلت سوسيير الى منزلها، وفارقت الحياة في نوفمبر (تشرين الثاني). وكما أوصت، ورث مورفي معظم التركة التي بلغت مئة وأربعين ألف دولار.

وتباحث مورفي في أمر الوصية مع محامين متخصصين بشؤون العقارات، فأكدوا له أن الوصية ثابتة قانونياً كالصخر. وفي ما يختص بالنواحي الانسانية من القضية قالوا ان العجوز أرادت بقواها العقلية الكاملة أن تمنح مورفي أموالها، لذا عليه قبول المنحة.

واذا كان هناك من مغزى لهذه القصة فهو انه لا يضر أن تحسن الى الناس وان لم يكن لك في ذلك منفعة مباشرة. ومن يعلم؟ فقد تصيب نجاحاً باهراً كما حصل مع مورفي.

انه مبلغ محترم، ١٤٠ ألف دولار. تبتاع به سيارة فخمة وتذهب في رحلة حول العالم وتشترك في ناد مرموق وتحقق أمنيات أخرى عزيزة على قلوب الكثير من المحامين الشباب.

ولكن قبل أن تحسد مورفي دعني أخبرك سراً صغيراً: انه لم يحتفظ بشيء من هذه التركة لنفسه. فهو وزع المبلغ كله على أقرباء سوسيير القلائل المخلصين.

هو ليس من النوع الواعظ، لكنه يقول: "يُنظر الى المحامين كلصوص ووحوش، وهي نظرة حقة في كثير من الأحيان. لكن معظمهم ليس كذلك. ولو قبلت الهدية لربما عززت هذه السمعة السيئة. فالمحامي الصالح يجب أن يتحلى بمبادىء أخلاقية. والمسألة لا تنحصر في ما هو قانوني."

كثيراً ما نقرأ عن السماسرة والمحامين الذين يعاونون العصابات المنظمة في تخطيط عملياتها، لذا رأيت من الجيد أن نلفت الى وجود محامين من أمثال ديفيد مورفي.

■ مايك رويكو

واحد من كل خمسة راشدين
في أغنى الدول وأقواها لا يعرف القراءة والكتابة.
وهذا المقال عن الامية في الولايات المتحدة
نقدمه نموذجاً الى الدول العربية
التي فاتها قطار التعليم الالزامي ونقول:
اذا القطار فات فان فرصة اللحاق به لا تزال متاحة.
فالعلم نور والامية عار



الآفة الاجتماعية الأكثر انتشاراً في الولايات المتحدة مخفية عن الأبصار. لماذا؟ لأن الأفراد الأكثر تضرراً، وهم البالغون الاميون، يختبئون وراء ستار من الخوف والخجل. وبين الفينة والفينة يبرز خبر ليرفع هذا الستار ويكشف الحقيقة المروعة:

● في شيكاغو أفنى عامل قطيع مواشٍ لانه اميّ لم يستطع قراءة كلمة "سم" على كيس ظن انه يحوي علفاً.

● في سيراكوز بولاية نيويورك نقلت طفلة الى المستشفى لأن أمها التي تجهل القراءة حسبت مسحوق تنظيف قرنفلي اللون دواء مضاداً للحموضة.

● خرب أحد رجال البحرية معدات بقيمة ٢٥٠ ألف دولار لانه عجز عن قراءة كتاب التعليمات.

واليوم يعتبر ٢٧ مليون أمريكي بالغ – أي نحو واحد من كل خمسة – أميين فعلا. قد يجيدون كتابة أسمائهم، لكنهم عاجزون عن قراءة اشارات السير والتفتيش عن رقم هاتف وتعبئة طلب عمل والاخذ بالارشادات المدونة على علب الأدوية، فضلا عن عجزهم عن عد النقود. انهم تائهون في مجتمع أصبحت فيه ملكة القراءة ضرورية جداً.

وهناك ما هو أبعد المآسي الشخصية المترتبة على هذه الآفة. فالعبء الاقتصادي الناتج من الأمية مذهل. وقدرت دراسة أجراها مجلس الشيوخ

الامريكي عام ١٩٧٣ أن "التعليم غير الكافي"، بما فيه الأمية، سيكلف الولايات المتحدة ٣٠٨ مليارات دولار كتحصيل انتاجي وعائدات ضرائب غير محققة، إضافة الى مليارات أخرى من أموال الانعاش الاجتماعي وعواقب الجريمة (واحد من كل اثنين من نزلاء السجون أمي).

والربح الناجم عن خفض عدد الاميين يلخص بوضوح قصة زنجي في السادسة والاربعين من مدينة فيلادلفيا. كان باتريك قارئاً بطيئاً في المدرسة. وأخذ يتأخر في دراسته حتى صنف "متخلفاً عقلياً". فطرد من المدرسة واصبح عالة على الانعاش الاجتماعي. وقبل سنوات لجأ الى مركز محو الامية في المدينة، اذ خجل أن يعترف لابنته بأنه يجهل القراءة. وأخضعت مديرة المركز مارلين ديويت الرجل "المتخلف" لاختبار ذكاء خاص بالاميين. وصعقت للنتيجة وقالت: "ان معدل ذكائه ١٤٤، أي أعلى من معدل ذكائي!"

وبعدما ساعده مدرس متطوع على تعلم القراءة والكتابة نال باتريك شهادة ثانوية. وهو اليوم موظف في السلك التعليمي في المدينة، وقد استغنى عن اعانة الانعاش. كما أصبح مدرساً متطوعاً مفعماً بالحماسة في مركز محو الامية في فيلادلفيا.

حياة جديدة - كيف انزلقت الولايات المتحدة في هذه النقطة الحساسة؟ ليس السبب انها بخيلة، فالانفاق العام على المدارس ارتفع من ٣،٤ في المئة من الانتاج الوطني الاجمالي عام ١٩٥٠ الى ٨ في المئة عام ١٩٧٥. ولكن في غضون الفترة ذاتها انخفض النجاح في امتحانات دخول الجامعات الى مستوى "أدنى وأدنى وأدنى" كما جاء على لسان الرئيس الامريكي رونالد ريغان.

ويعزو بعض المراجع ارتفاع معدل الأمية الفعلية الى التلفاز، فيما يُلقي آخرون اللوم على تدفق المهاجرين الجدد أو على التساهل التربوي في الستينات أو على التدني في نوعية الاساتذة أو على النسبة العالية للتغيب عن الصفوف والانقطاع عن الدراسة أو على اهمال الاهل واجباتهم نحو أولادهم. لكن أحداً لا يملك الجواب الأكيد. وعلى كل حال فمن العبث أن نضيع وقتنا في توجيه أصابع الاتهام، كما يقول لستر بوفورد الرئيس الأسبق للاتحاد التربوي الوطني. ويضيف: "حري بنا أن نستنفر كل طاقاتنا ونواجه هذا الواقع الأليم."

والحق ان اهتمام الناس بهذا الموضوع في ازدياد. فهنالك حالياً ٦٥٠٠ برنامج لمحو الأمية في الولايات المتحدة، ومعظم البرامج التطوعية منضو تحت لواء احدى المنظمتين الرئيسيتين في هذا الحقل: "لاوباخ لمحو الأمية" و"متطوعو أمريكا لمحو الأمية". وتمارس هاتان المنظمتان نشاطهما في معظم الولايات وتعلمان طلاباً من جميع الأعمار دونما مقابل.

والمتطوعون في البرامج التي زرتها شديدو الحماسة. فالطلاب والمدرسون يلتقون مرة أو مرتين أسبوعياً لمدة سنة أو أكثر. وغالباً ما تتوطد علاقاتهم حتى يصبحوا كأنهم أفراد عائلة واحدة. ويسود

الجميع جو من المثابرة والتصميم على الانجاز.

نالت جين الشهادة الثانوية ولها من العمر ٣٦ عاماً. وهي عملت طوال سنوات موزعة للبريد في إحدى ضواحي مدينة مينيابوليس. وعلى رغم جهلها القراءة تدبرت أمرها، اذ كانت تعمل في الأحياء التي ترعرعت فيها حيث تعرف كل بيت وكل ناحية. وطوال هذه الفترة عاونها في فرز الرسائل أصدقاء لها في مكتب البريد عرفوا سرها.

وجاء يوم نقلت جين الى منطقة جديدة. وعلى رغم وجود اشارات وأرقام واضحة ضلت طريقها. وهنا صممت على الخروج من دوامة الجهل فقصدت مركزاً لمحو الأمية كانت سمعت عنه. وعُهد الى المتطوعة بيت فينتون في تعليم موزعة البريد التعسة. ونظراً الى تلهفها الى العلم تقدمت جين بسرعة فائقة.

وتقول بيت: "لن أنسى أبداً الفرحة التي غمرتني حين قررنا أخيراً أن نضع ما تعلمته جين موضع الاختبار. قدت السيارة في أنحاء منطقتها الجديدة واستطاعت هي قراءة كل الاشارات. ولشدة حماستها كانت تقفز عن كرسيها. أما أنا فأحسست بالابتهاج نفسه الذي اختبرته لدى انجابي طفلي الاول."

نحن في حاجة الى ملايين المتطوعين أمثال بيت فينتون. وعلينا اقناع ملايين الاميين أمثال جين بالسعي الى المساعدة من دون خجل.

قصص نجاح – في ولاية كنتاكي استهلت شارون دارلينغ أحد أفضل برامج محو الأمية في الولايات المتحدة. استعانت بالصحف والاذاعة والتلفاز والمحاضرات والهاتف وحتى باللافتات في المطاعم لجذب المتطوعين والطلاب الى مشروعها. وهي تؤمن السرية التامة لجميع الطلاب، لكنهم عادة يتكلمون عن تقدمهم فور مباشرتهم البرنامج. وفي لويزفيل تحدثت الى أحد ألمع طلابها.

إدي رجل أبيض في الرابعة والأربعين من عمره قضى سني رشده في محاولات دائبة لكتمان أميته. فتعلم الحيل كلها: حمل الجريدة اليومية تحت إبطه، وتظاهر بقراءة لوحة البلاغات، وتذرع بنسيان نظاراته في البيت. وبعيد زواجه وظف في شركة كبرى. ولما كان حاذقاً وجاداً في عمله تقدم في رتبته. وأخيراً عين مسؤولا عن خمسمئة شخص. لكنه كلما ارتفع في منصبه زادت أعماله الكتابية.

ولدى تسلمه رسائل كان يختلق الأعذار كي لا يقرأها، فيستدعي سكرتيرته لتهتم للأمر. وفي المنزل كانت زوجته تنجز الأعمال المكتبية التي يأتي بها كل ليلة.

وفي أحد الأيام وصلت حيلته الى طريق مسدود. ففيما سكرتيرته خارج المكتب وصل مديره فجأة ودفع اليه برسالة عاجلة طلب منه قراءتها ومناقشتها واياه للحال. وشعر ادي بأنه على شفير انهيار عصبي، فقدم استقالته. ولكن بعد دراسة متواصلة لفترة ١٤ شهراً مع متطوع في مركز لويزفيل لمحو الامية أصبح إدي جاهزاً لوظيفة جديدة.

وتكثر قصص النجاح المشابهة لقصة إدي بفضل الاهتمام المتعاظم للأوساط

الاقتصادية. وأحد الرواد في هذا المجال هارولد ماغرو الابن رئيس ادارة شركة النشر العملاقة "ماغرو - هيل". فقبل سنتين صعق ماغرو للاهتمام القليل الذي توليه الاوساط الاقتصادية لمشكلة الامية. فأسس "مجلس الاعمال لمحو الامية" بهدف توعية الشركات على المشكلة وتجنيد كل امكاناتها لمعالجتها، كما ساهم في تحريك الحملة الاعلانية الوطنية الناشطة لمحو الامية. وحالياً تقدم ثلاثون في المئة من كبرى الشركات في البلاد برامج لتعليم القراءة الى موظفيها.

انجاز مؤثر - في شركة "برات ووتني" في ولاية كونتيكت اشترك أكثر من ثلاثة آلاف موظف في برامج تعادل الصفوف الثانوية في المدارس وفي برامج أساسية لمحو الامية. وحقق المشروع نجاحاً باهراً وباتت العودة اليه رهناً بالحاجات المستجدة.

وهناك شركة أخرى تساهم في هذه الجهود هي "ب. دالتون" الشهيرة لتوزيع الكتب. وقد خصصت الشركة مبلغ ثلاثة ملايين دولار لتشجيع برامج محو الأمية ومساعدة مؤسسات وطنية مختلفة في أنحاء البلاد. وتشجع دالتون موظفيها الذين يبلغ عددهم ٨٥٠٠ على التطوع كمدرسين، وتغطي تكاليف دروس محو الامية التي يتابعها الموظفون وعائلاتهم.

وابتكر نورمان منسى مدير مشروع واشنطن التربوي أسلوباً مشوقاً لتجنيد المتطوعين. فحين كان طالب بكالوريوس في جامعة ميامي كان يتدبر منحاً للطلاب الراغبين في التعليم في المدينة والسجون ومخيمات المهاجرين ومؤسسات المعاقين. ويعتقد منسى بأن برنامجه يمكن ان يلاقي النجاح نفسه على مستوى وطني أشمل. ويقول: "الأمر كله غير مكلف للطلاب وللمدرسين على السواء. والمؤكد أن المدرسين يساهمون في نشر البحبوحة اذ ييسرون العلم والمعرفة لجماعة هي في أمس الحاجة اليهما."

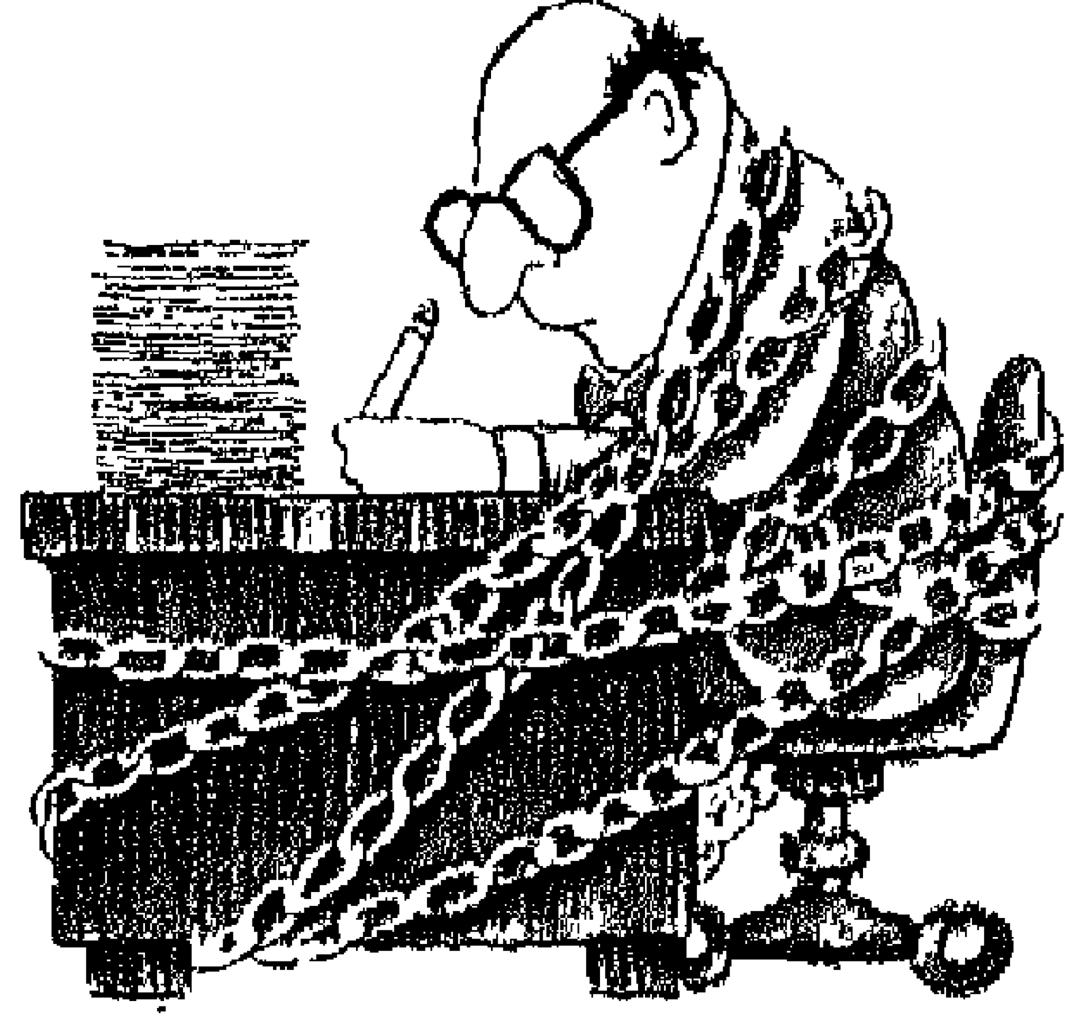
والمواطنون المسنّون مصدر آخر غير مستغل للمدرسين المتطوعين. ويقول اينز واورويك وهو مدرس متقاعد في بلاسنتيا بولاية كاليفورنيا: "يفرح قلبك حين ترى ذلك النور يشع في عيونهم."

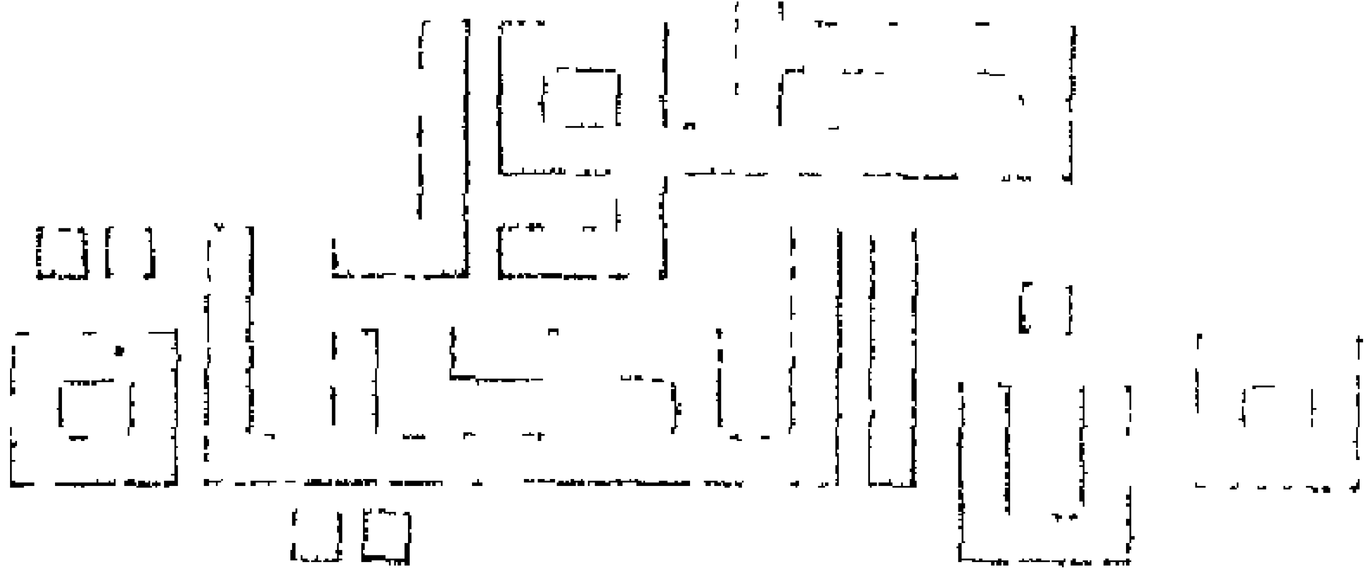
ونتيجة الشعور بضرورة تحريك الشعب الأمريكي في هذا الاتجاه على نطاق واسع، تشكل عام ١٩٨١ ائتلاف لمحو الامية من أحدى عشرة مؤسسة تتصدرها مؤسسة المكتبة الأمريكية. ونظمت لهذا الغرض حملة إعلانية مجانية رفعت شعارات مثل "الشهادة الوحيدة المطلوبة هي شهادة عطف واهتمام." وعين الائتلاف مركز الاتصال العلمي في لينكولن بولاية نبراسكا مقر استعلامات للمدرسين المتطوعين والطلاب.

إن ٢٧ مليون أمي يطرحون مشكلة هائلة تبدو معها جميع الجهود الفردية عديمة الجدوى. لكن هذا غير صحيح. فكما يلاحظ جوناثان ماكاليب من متطوعي أمريكا لمحو الامية: "ان تعلم شخصاً واحداً القراءة انجاز يؤثر كثيراً، على الاقل بالنسبة الى ذلك الشخص."

وسيكون مؤثراً في حياتك أنت أيضاً.

راول تانلي ■





دعاية مجانية

كان أستاذ الاعلان في الجامعة يشدّد دائماً على قيمة الدعاية المجانية. وذات يوم دخلت حرم الجامعة شاحنة لتسليم بضائع، وكانت مكسوة بالغبار. ويبدو أن موضوع محاضرة الاستاذ في ذلك اليوم لم يذهب عبثاً. فعند خروج الشاحنة من حرم الجامعة ظهرت على أحد جانبيها العبارة الآتية محفورة بحروف ضخمة في طبقة الغبار الكثيفة: "دراجة سوزوكي طراز ٧٥٠ صنع العام ١٩٧٨ معروضة للبيع. الثمن ١٠٠٠ دولار، الاتصال برقم الهاتف ٨٤٣٠ - ٧٣٩ بين السادسة والتاسعة مساء." ولم ينل كاتب هذه العبارة العلامة القصوى من أستاذه فحسب، بل تمكن من بيع الدراجة أيضاً.

ن.ر.

بريد منزلي

اعتاد رجل أن يترك لزوجته رسالة يطلب منها أن تقوم بعمل ما في غيابه. وكان يستاء حين لا تلقي بالا لهذه الرسائل. وذات صباح رأت الزوجة ورقة نقدية على طاولة المطبخ. وحين حدقت اليها رأت تحتها رسالة جاء فيها: "حبيبتي، لا تنسي أن تلصقي الاشعار بدفع الرسم على زجاج السيارة. ملاحظة: الورقة النقدية لجذب انتباهك فقط."

ل.ف.

الكاتب وقسم البقالة

يروي المؤلف ثيو آرونسون القصة الآتية:

"جلست في متجر كبير منهمكاً في توقيع نسخ من كتابي الاخير. وكانت أكوام من الكتب واللافتات تحوقني من كل جانب حين تقدمت مني زبونة ظانة اني الموظف في مكتب الاستعلامات وسألتني أن أدلها الى قسم البقالة في المتجر.

وهرع اليها أحد الموظفين وقال لها: "لا، هذا هو المؤلف ثيو آرونسون. وهو يتكرم بتوقيع نسخ من كتابه الجديد." ونظرت المرأة الى الكتاب ثم الي وقالت: "اذاً أنت لا تعرف الطريق الى قسم البقالة؟"

س.ت.





قسم من واجهة المحطة المركزية.

ميلانو عروس ايطاليا

المشوق في ميلانو ذلك الاحساس الغريب بأنها مكان غير عادي

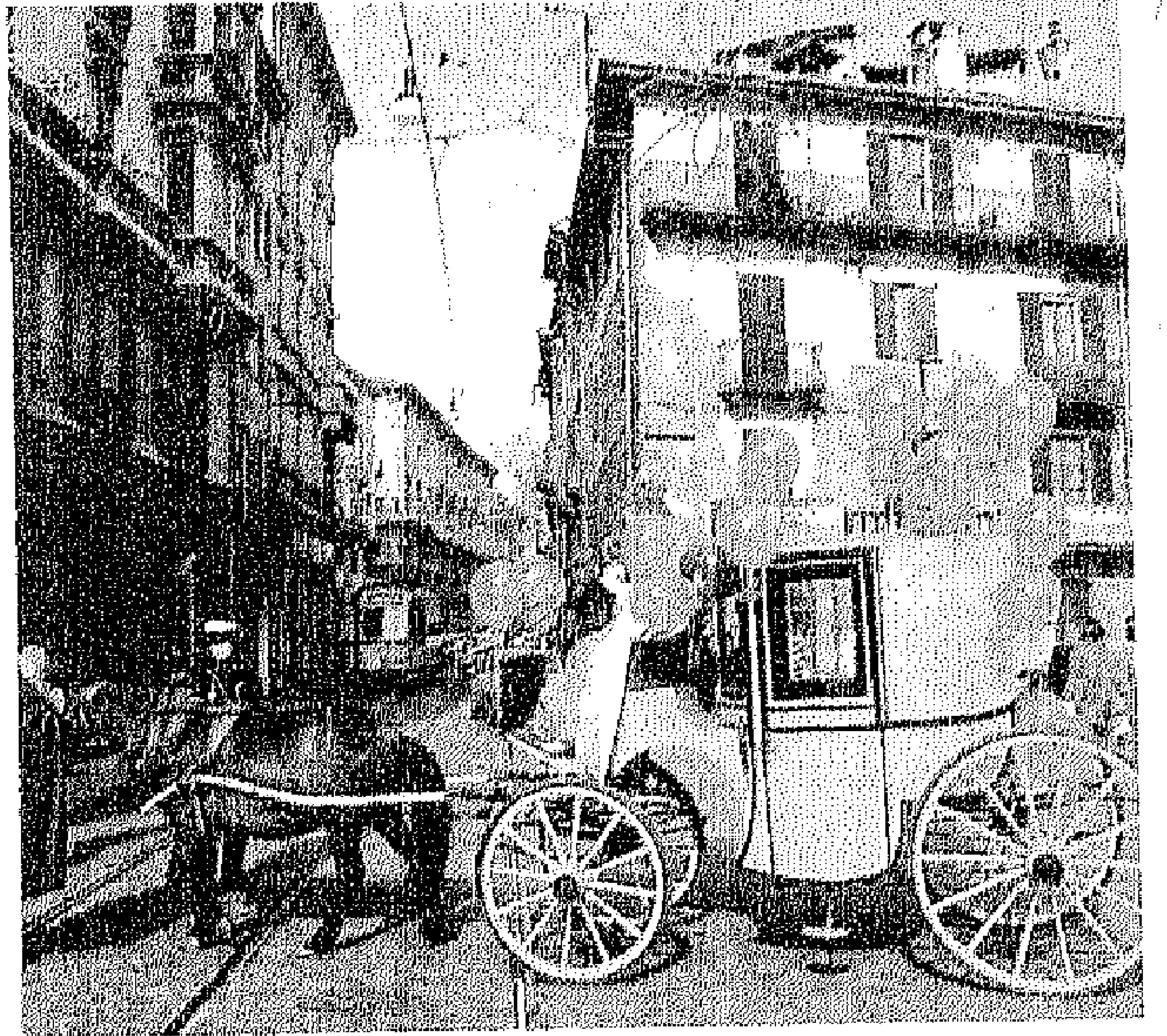
عندما يسألني الناس: "أتعتقد أن ميلانو جميلة أم بشعة؟" أجيب انني لا أستطيع الحكم بذلك على مدينة ولدت وترعرعت فيها. أنا لا أعتقد أنها جميلة مثل روما أو البندقية أو باريس، لكنها ممتعة. والوقوع في حب امرأة "ممتعة" اخطر من الوقوع في حب امرأة جميلة، اذ لا يمكنك التغلب على شعورك حينذاك

Condensed from Milano è Milano, text by Carlo Castellaneta, photos by Enzo Pifferi,

لانك تكون أحببتها أيضاً لصوتها غير المأنوس ولتجعدها.

حتى الواجهة "الاشورية - البابلية" في المحطة المركزية، والتي بنيت قبل خمسين عاماً، أصبحت مقبولة. وحينما كنت عائداً الى ميلانو وأنا في العشرين من عمري في اجازة من امبريا حيث أديت خدمتي العسكرية، ترك مشهد تلك القناطر الحديد الخمس من نافذة القطار جفافاً في حلقي.

ميلانو قدر مذيبة وجبّالة ضخمة للاسمنت حيث يمتزج الجمال بالبشاعة ويتجددان. انها عجّانة تنتج الكعك الميلاني "بانيتوني" والمنصات والانصاب وناطحات السحاب.



مهرجان في ساحة بريرا.

ميلانو كتومة، متواضعة، غير خجولة، لكنها حذرة وحريصة على الاّ تكتشف ذاتها. انما تكون سعيدة اذا ما اكتُشفت، وهي تستسلم تدريجاً لمن يحبونها حباً جماً. ان وقفة أمام مدخل بناء في شارع بورغونيوفو أو سانت أندريا او بيغلي كافية لمشاهدة ساحات ظليلة خلابة تشهد على المعالم المميزة للمدينة.

المشوّق في ميلانو هو الاحساس الغريب بان الاشياء تحدث هنا قبل حدوثها في أي مكان آخر. ولادراك ذلك يكفي تصفح أي كتاب تاريخ. هنا ولدت حركة التنوير الايطالية كما ولدت أولى الاتحادات العمالية. ثم نشبت الثورتان الشعبيتان: الاولى ضد النمسويين عام ١٨٤٨ والثانية ضد البييمونتيين بعد ٥٠ سنة. وفي أوائل القرن العشرين ولدت "الحركة المستقبلية" الفنية والموسيقية والادبية في غاليريا على موائد مطعم سافيني. وبعيد ذلك برزت الفاشية في غرفة التجارة في بياتزا سان سيبولكرو. وهنا تمركزت قيادة المقاومة، وبدأت "استراتيجية التوتر" بانفجار في بياتزا فونتانا نشر الرعب في كل ايطاليا. واخيرا خطا "الارهاب الاحمر" خطوته الاولى في ميلانو.

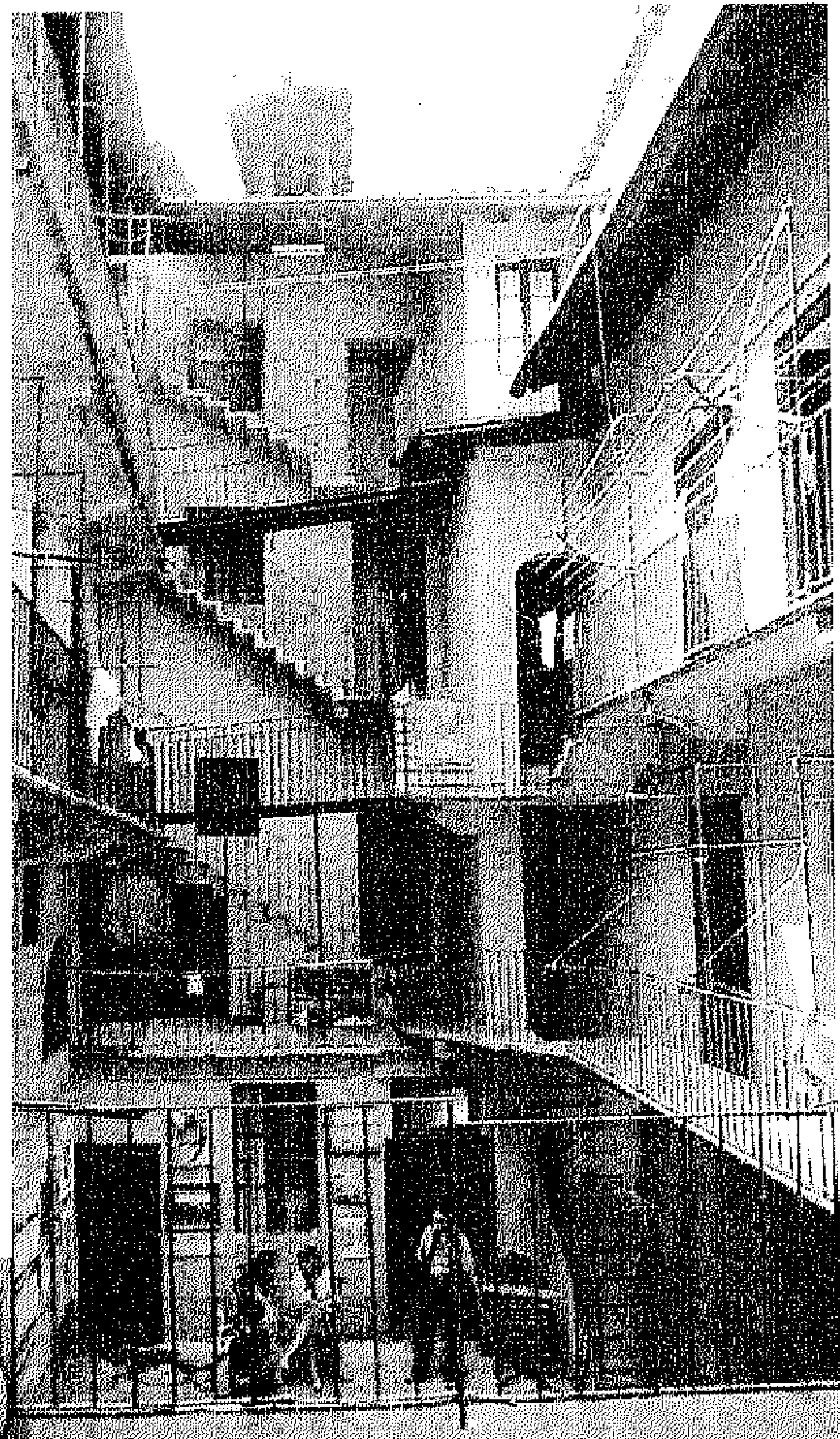
مسرح الاحداث - ميلانو تغيرت، ومع ذلك فانها لم تلتهم ذاتها ولا ماضيها. قلبها القديم ما زال ينبض في المنطقة المحمية المجاورة لقناة نافيليو وعلى طول ضفاف القناة المكللة بالضباب وفي متاجر الحي القديم وفي الساحات المحاذية لأرصفة الشواطىء وعلى الشرفات الحديد للمنازل. والشواهد الحسية على المدينة القديمة لا تزال قائمة هنا كالحانات والتعريشات (١)

(١) ممشى مظلل تلتف النباتات والزهور حول أعمدته.

ولافتات متاجر القرن التاسع عشر وصالات العرض الملأى بنبتات الخبازى وبالحرفيين الذين يتكلمون لهجة عامية.

في تاريخ المدينة مظاهر حياتية اختفى بعضها ثم عاد بعد سنوات، ولم يعد البعض الآخر أبداً. ومن هذا، لسوء الحظ، المقاهي الكثيرة الشهيرة التي أدت حتى القرن التاسع عشر دوراً اجتماعياً مهماً. فهي كانت مسارح لاحداث مدنية وسياسية ولمباريات فنية ايضا. ولا ننسَ "مقهى الطرب" الذي كان يتباهى بتقليده العظيم في ميلانو حتى العشرينات من هذا القرن.

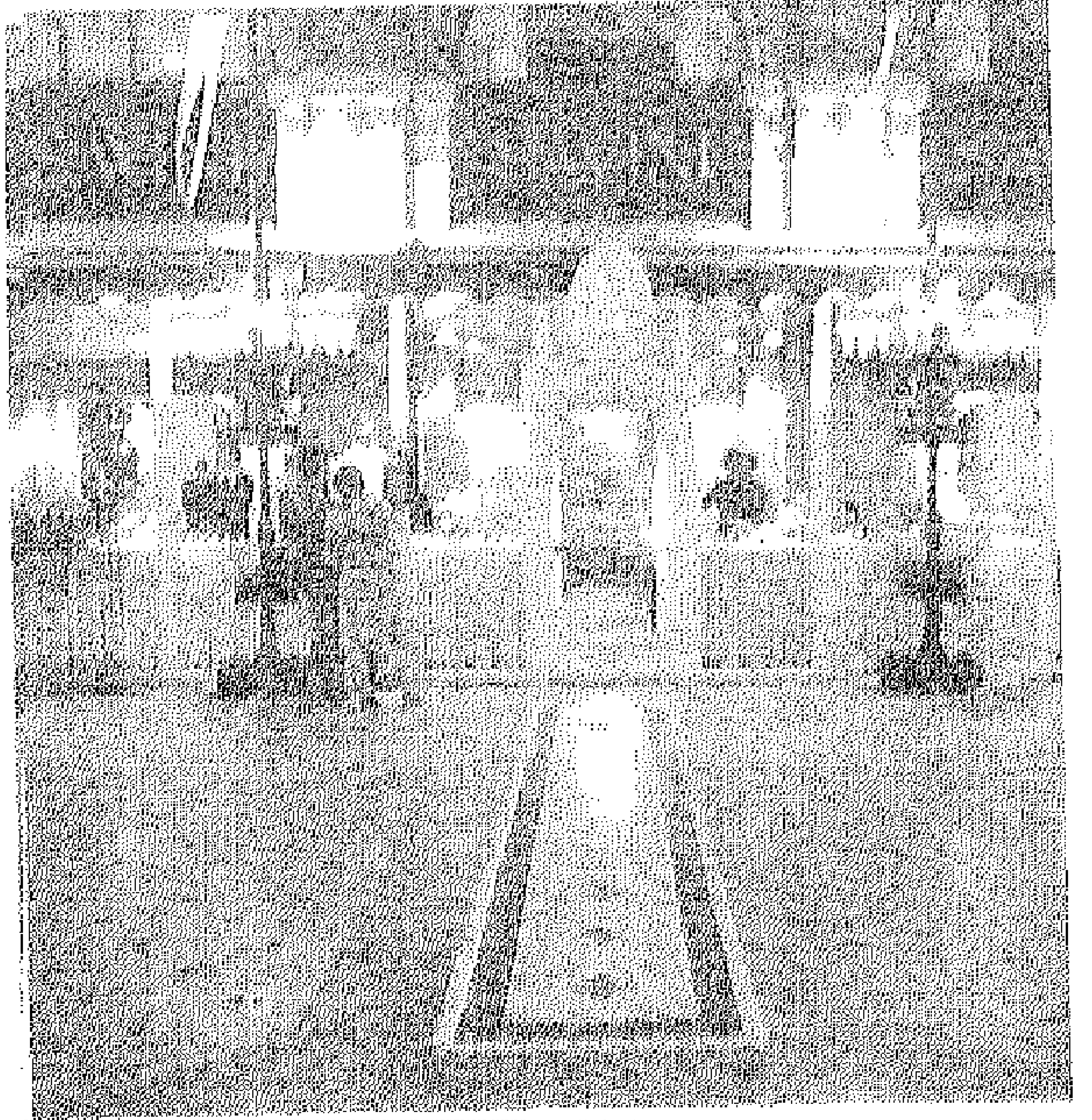
وذكريات طفولتي ملأى بمقاهي الهواء الطلق حيث الطاولات في الشوارع والساحات. واذا كان ثمة ما أشكو منه في مسقط رأسي فهو ابدال دكاكين الحلوى



باحة نموذجية مسقوفة لبناء على ضفة قناة نافيليو.

بمصارف كثيرة والمقاهي بمتاجر كبيرة. وان نجاح الحانات على حساب المقاهي مرده الى تأثير امريكا الشمالية وليس الى تأثير أوروبا الوسطى. فميلانو من هذه الناحية أشبه بنيويورك منها بباريس، فما لك الا أن تتناول فنجان قهوة "كبوتشينو" من امام منضدة امين الصندوق في حانة وتشربه بسرعة ثم تتابع طريقك.

عاصمة الازياء والتجارة - أفضل مكان بقي للتجول هو حي بريرا. انه شبيه بصالة العرض التي أعطته اسمها، يدعو المارة الى التمهل في الخطو كما يفعلون في صالة. انه مساحة صغيرة خارج المدينة، فيه حانات تفتح ليلا


Amedeo Vergani

مطعم سافيني حيث يلتقي المشاهير.

داخل مسرح سكالا ذي الشهرة العالمية.

شارع ديلا سبيغا الأنيق.

واجهة محل أنيق في شارع مونتي نابوليون.



وفيه حلقات ثقافية ومكتبات متخصصة.

ان اختيار هذه المنطقة العمالية مقراً للمتاجر الانيقة التي يمكنها ان تزدهر أيضاً في شارع ديلَّا سبيغا هو طبعاً لمسة استكبار. لكن وضعها هذا أظهر جاذبيتها بحيث تجد محلا لبيع الالبسة الى جانب مطعم وحانوتاً لبيع الخردة الى جانب محل للاثريات وحانة يلتقي فيها أهل الفن قرب زاوية مكتظة بمدمني المخدرات.

وأهم ميزات المدينة حبها للحرف والتجارة والنشاط العملي. ولولا هذا الاندفاع الى العمل لما ولد معرض ميلانو التجاري، وهو ليس رمزاً لصناعة المدينة فحسب، بل ثمرة جهد الشعب اللومباردي نفسه (٢). انني اتكلم هنا عن العناد

(٢) لومبارديا مقاطعة في شمال ايطاليا، عاصمتها ميلانو.

القوي وحب الانتاج المتقن اللذين جعلا من دوقية ميلانو في العصور القديمة مركزاً لافضل النصال والمهاميز والدروع في أوروبا، واليوم يجعلانها عاصمة لصناعة الازياء.

وتفتخر المدينة بواجهات متاجرها التي تبيع السلع الممهورة بتواقيع كبار المصممين، وبالمتاجر التي بدأت في شارع مونتي نابوليون والشوارع القريبة منه ثم امتدت الى بوند ستريت في لندن أو الجادة الخامسة في نيويورك.

ما الذي يجعل متجراً في ميلانو ركناً بارزاً؟

أعتقد انها طريقة عرض البضائع وجذب الانظار من دون أي ابتذال. رشاقة من غير مباهاة، تحفظ، حصافة، زي سيدة حقيقية، كل هذه تجدها في عرض المجوهرات والالبسة والسيارات.

ميلانو الفخورة بكونها عاصمة الاعمال والمؤتمرات والمعارض التجارية، والمتباهية بالاحتراف والاتقان في صناعتها، لم تلتفت أبداً الى وجهها الثقافي كما ينبغي. فالثقافة هنا تأتي في المرتبة الثانية، تجرها عجلة التكنولوجيا.

ربما من أجل هذه الطبيعة العنيفة الدينامية ينشأ حب ميلانو ويكبر مع الوقت في الذين ولدوا في أماكن أخرى واختاروا السكن في هذه المدينة. اما أنا الذي ولدت هنا فلا أستطيع العيش في أي مكان آخر من هذا العالم.

كارلو كاستيلانيتا ■



تاجر بالفطرة

انعزل فريق من البائعين في فندق خلال عاصفة ثلجية قاسية. وراحوا ينتظرون بفارغ الصبر انحسار الثلج عن الطرق ليتمكنوا من اجراء بعض الاتصالات. وكانوا يتألبون على كل قادم جديد يدخل الفندق صباحاً ليسألوه عما اذا كانت الطرق فتحت مما يسمح لهم باجراء بعض الصفقات. وطرحوا هذا السؤال على رجل عركه الدهر، فصمت برهة منعماً النظر في ذلك الفريق المتجمع هناك ثم قال: "الامر يتوقف..."

وقاطعه البائعون بلهفة: "يتوقف على ماذا؟"

– على ما اذا كنتم تعملون براتب أو بعمولة.

خاربة البيوت

دعي زوجان الى حفلة أقامها الجيران. وحين وصلا استقبلتهما مضيفتهما على الباب مرحبة وأبدت اعجابها بثوب الزوجة. فقالت هذه باستخفاف: "هذا الثوب القديم؟ انه عندي منذ الرابعة والنصف بعد ظهر اليوم."

ج.ل.

كم وحدة حرارية في القبلة المتوسطة؟

هذا اختبار معلومات في الطعام والغذاء والحمية

س. عليك أن تقبّل ٣٨٩ مرة لتنقص وزنك نصف كيلوغرام. صواب أم خطأ؟

ج. صواب. يقول أحد خبراء الحمية ان القبلة المتوسطة الحرارة تستهلك نحو تسع وحدات حرارية.

س. هل تحوي الخضر المجلدة مغذيات أقل مما تحويه الخضر الطازجة، ام اكثر ام انهما متوازيتان؟

ج. من المدهش أن الخضر المجلدة والخضر الطازجة تحوي المقدار عينه تقريباً من المغذيات. وثمة خضر كثيرة تبرّد بسرعة في الحقل وترسل مباشرة الى مخازن البقالة، وهكذا تفقد القليل من المغذيات.

س. أي منهما يحوي وحدات حرارية أكثر: الزبدة أم السمن النباتي؟

ج. كلاهما يحوي المقدار عينه. فكلاهما مادة دهنية، والمواد الدهنية تحوي قرابة تسع وحدات حرارية في كل غرام وزناً. لكن معظم أنواع السمن النباتي يصنع من دهون نباتية، وهو خال من الكولسترول.

س. هل ينبغي وضع الدجاجة النيئة المرزومة في الثلاجة كما هي؟

ج. لا، بل يجب اخراجها من الرزمة وغسلها وتجفيفها ثم وضعها في أكياس التبريد واحكام صرها. فاذا وضعت كما هي وكان في غلاف الصر ثقب فقد تفقد بعض محتواها الغذائي، كما قد تتغير نكهتها ويتغير ملمسها كذلك.

س. هل يحتاج البالغون الى الكلسيوم بمقدار ما يحتاج اليه الصغار؟

ج. نعم. معظمنا يعتقد خطأ أن المرء متى اكتمل نمو أسنانه وعظامه لا يعود في حاجة الى الاطعمة الغنية بالكلسيوم. غير أن الكلسيوم يؤدي وظائف أخرى، منها تعويض أي نقص في العظام.

س. الفيتامينات مصدر جيد للطاقة. صواب أم خطأ؟

ج. خطأ. الفيتامينات في ذاتها لا تعطي أي طاقة، مع أنها تساعد جسمك على تحويل الاطعمة التي تتناولها الى طاقة.

س. هل الفيتامينات المتوافرة في الاطعمة أفضل من الفيتامينات التي تؤخذ في برشامات (كبسولات)؟

ج. لا انها مماثلة لها تماماً.

س. تناول التفاح والخس والحبوب وسواها من الاطعمة الغنية بالالياف يمكن أن يقلل من خطر الاصابة بأي من هذه السرطانات: سرطان المعدة، سرطان القولون، سرطان الكبد؟

ج. انه يقلل خطر الاصابة بسرطان القولون. لقد بينت أبحاث المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة ان الذين يتناولون أطعمة ذات محتوى عال من الالياف هم أقل تعرضاً، الى حد بعيد، للاصابة بسرطان القولون.

س. ان نشويات كالخبز والبطاطا والمعجنات هي فقيرة بالوحدات الحرارية. صواب أم خطأ؟

ج. صواب. فالنشويات التي تحوي الكربوهيدرات ليست كلها مسمنة، وفيها مقادير مهمة من المغذيات. والمشكلة في الكربوهيدرات تكمن في ما يترافق معها.

فثمرة البطاطا مثلا تحوي قرابة ٩٠ وحدة حرارية، لكن مقدار ملعقة من الزبدة أو الزيت معها قد يضيف اليها ١٠٠ وحدة.

س. أي مكان أفضل لاذابة الجليد عن الاطعمة: طاولة المطبخ أم البراد؟

ج. البراد. فعلى طاولة المطبخ قد تتكاثر الجراثيم وتسمم الطعام، والطهو لا يقضّي دائماً على الجراثيم.

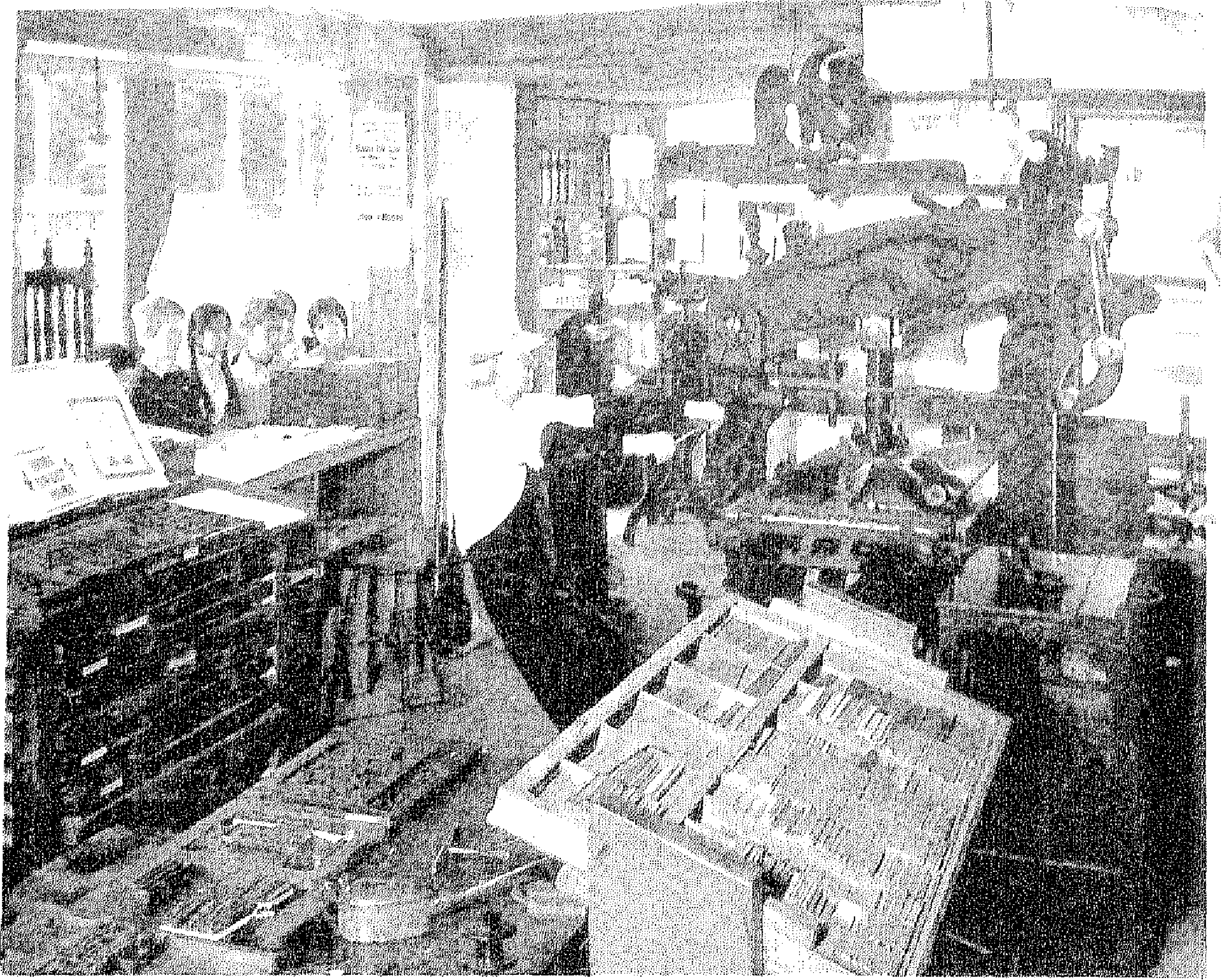
س. انك تستمد غذاء أكثر من طعامك اذا مضغته جيداً. صواب أم خطأ؟

ج. خطأ. ان مضغ الطعام جيدا له تأثير ضئيل في مقدار الغذاء الذي يمتصه الجسم، لان معظم عملية الهضم تتم في المعدة والمعي الدقيق. ولكن اذا مضغت طعامك على مهل فانك تستغرق وقتاً أطول في تناوله مما يقلل احتمال افراطك في الاكل.

س. اخترعت الشطائر (السندويش) من أجل النزهات الاسبوعية في القرن الثامن عشر. صواب أم خطأ؟

ج. خطأ. لقد اخترعت الشطائر لتخدم هوى أحد المقامرين. ففي القرن الثامن عشر كان دوق ساندويتش البريطاني يحب المقامرة ٢٤ ساعة يومياً. وكان يطلب أن تصنع له لفائف من الخبز واللحم لكي يأكل وهو يلعب الورق (الكوتشينة).

فرانك فيلد ■



Ironbridge Gorge Museum Trust

تلاميذ يراقبون العمل في مطبعة بليستس هيل التي تعود الى القرن التاسع عشر.

آلاتٌ من الماضيّ

عام ١٩٥٨ زار عالم تاريخ بريطاني شاب يدعى نيل كوسونز وادي نهر سيفيرن في شروبشاير غرب بريطانيا حيث تم انتاج حديد رخيص ووافر للمرة الأولى عام ١٧٠٩. وفيما هو يخطو بين الشجيرات الكثيفة الخضراء تعثّر بفتات أفران آجر وآلات لف بالية كانت تستعمل في المناجم ومستودعات مهجورة قبالة النهر. ومشى كوسونز على أول جسر حديد بني في التاريخ، وهو الذي بقي سليماً

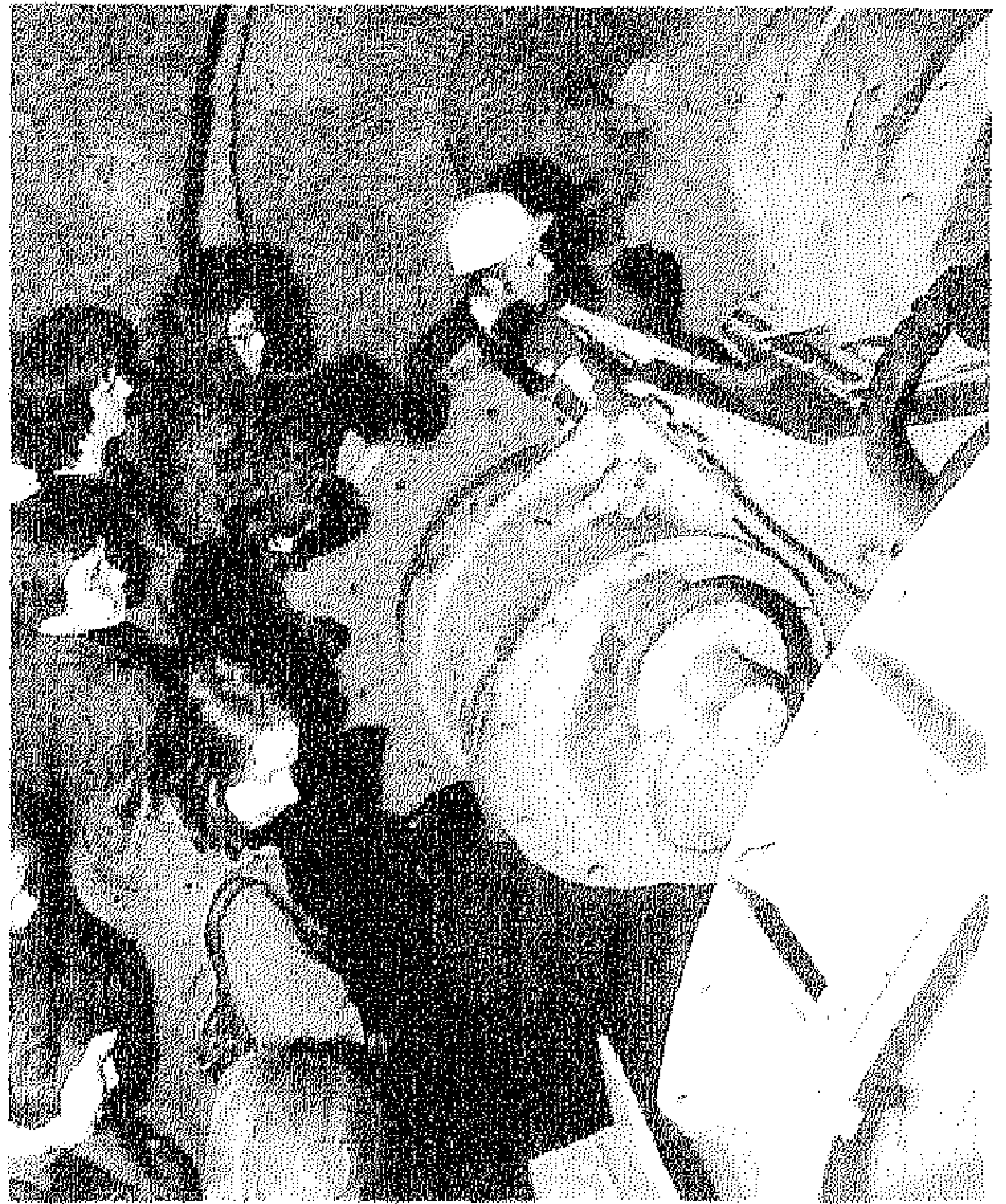
Ironbridge Gorge Museum Trust

جسر الحديد الاول في العالم في متحف آيرونبريدج في شروبشاير ببريطانيا.

بعد قرنين وأطلق اسمه على البلدة المجاورة: آيرونبريدج (الجسر الحديد). ويعتقد أنه في هذا المكان جرى تطريق قضبان السكك الحديد والقاطرات والزوارق الحديد للمرة الاولى.

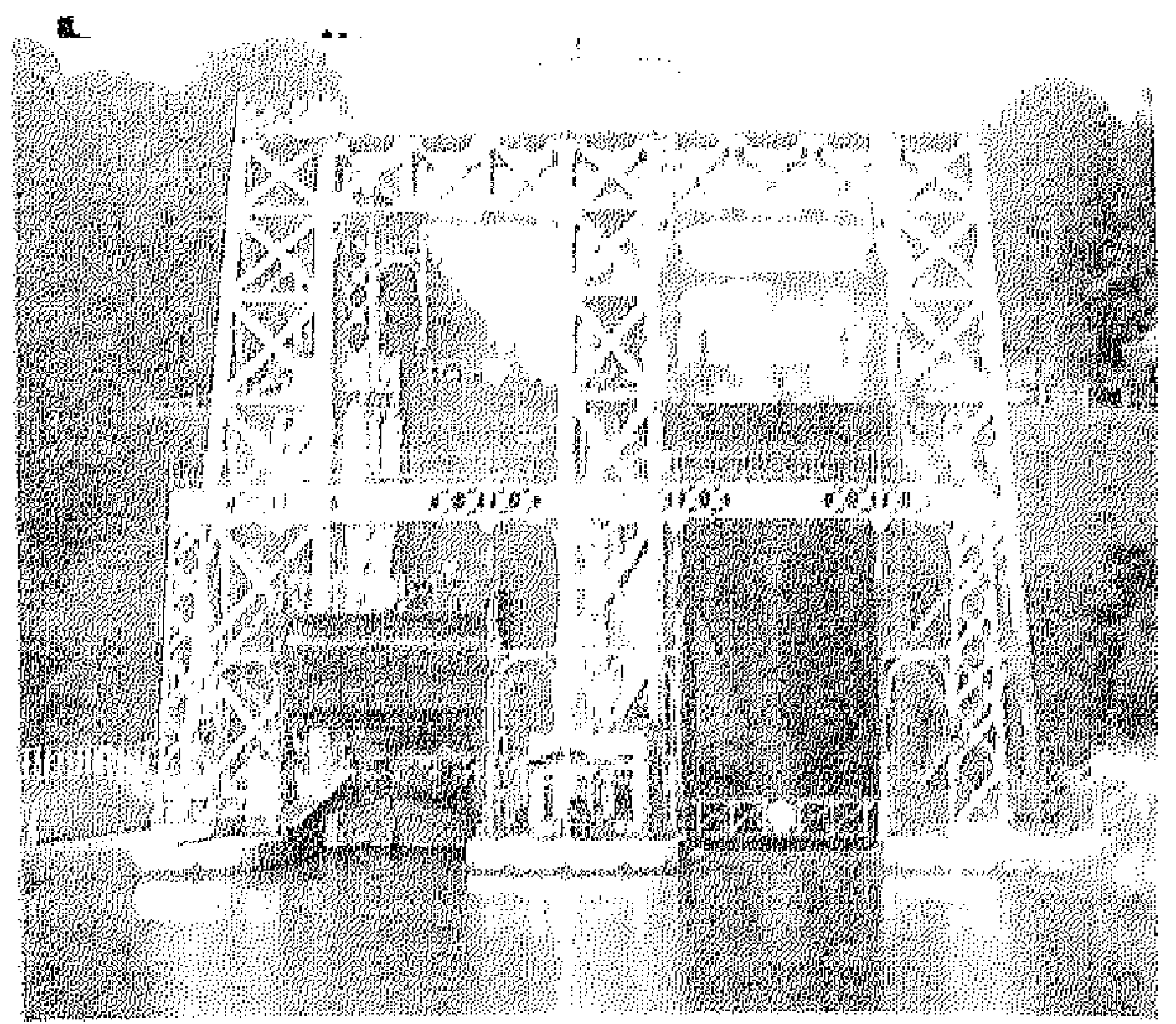
يقول كوسونز: "أخذت أحدق مسحوراً الى هذا الكنز التاريخي. وأذكر أني فكرت في أن هذه البقايا يجب أن تستعيد مجدها التليد."

أما اليوم فان هذا الشغف بالماضي الصناعي وبأهمية المصانع الريادية ومحطات السكك الحديد المهجورة ومحركات البخار المعطلة والزوارق



Deutsches Bergbau — Museum Bochum

آلة لشق الأنفاق في منجم متحف بوكم.


J.P. Gailliez

مركب يغادر احدى الرافعات المائية الاربع في قناة سنتر في بلجيكا.

البخارية الصدئة، انتقل إلى ألوف المتحمسين في أرجاء العالم. وفي رأي بيتر شيرمبيك مدير متحف بلدة روسلشايم في المانيا الغربية "ان آلات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر هي اكثر عوناً على فهم الانسان العصري من هيكل قديم."

"قنبلة" الامان - ازداد الاهتمام بجذور الصناعة في الستينات حين عمدت اعداد متزايدة من العلماء إلى نشر كتب عن علم الآثار الصناعية. وفي العام ١٩٦٨ عين نيل كوسونز أول مدير لاتحاد انشيء بهدف دراسة منطقة الجسر الحديد وصونها. وفي ١٩٧٥ انتخب رئيساً لجمعية علم الآثار الصناعية التي هدفت إلى تنسيق الابحاث البريطانية. وظهر الاهتمام بهذا الشأن في أماكن أخرى في اوروبا الغربية والولايات المتحدة وكندا واوستراليا واليابان. وفي العام ١٩٧٨ تشكلت اللجنة الدولية لصيانة التراث الصناعي بعضوية مندوبين من ١٧ بلداً وهي اليوم تضم ممثلين من ٢٧ دولة.

ان الافتتان بالثورة الصناعية، ذلك الازدهار المذهل للمنجزات التقنية والطفرة الاقتصادية التي تفجرت عالمياً في القرن الثامن عشر، أمر مفهوم. ومع ان عباقرة التقنية ظهروا قبل ذلك، وقد وضع ليوناردو دا فنشي تصميم طائرة في بداية القرن السادس عشر، لكن أفكار التقدم من طريق التقنية نادراً ما تجاوزت دفاتر الرسم، إلى أن أحدث ابراهام داربي تغييراً أساسياً في انتاج الحديد وأتم جيمس وات تحسين المحرك البخاري وابتكر ريتشارد آركرايت غزل القطن.

وفي حقبة النمو الاقتصادي السريع هذه الايام حيث يتوانى المصنع التقليدي عن اللحاق بالعصر ما بعد الصناعي، عصر سيادة الرجل الآلي والدماغ الالكتروني، فان الناس ما زالوا تواقين إلى رموز الثورة الصناعية. ويقول مايكل ستراتون وهو خبير بريطاني محاضر في بلدة الجسر الحديد: "هذه الرموز ينبوع أمل والهام، فهي تدل على ان الانسان استطاع تغيير عالمه آنذاك، كما تومىء إلى قدرته على ذلك ثانية."

ان متاحف الصناعة تفتح في أنحاء أوروبا. وقد أضحى متحف آيرونبريدج مجمعاً تبلغ مساحته ١٥،٥ كيلومتراً مربعاً ويجتذب ربع مليون زائر سنوياً. وفي أحد مواقعه الستة منشآت أعيد تشييدها لتحاكي العصر الفيكتوري

بشوارعه المضاءة بالغاز وحوانيته ومصانعه الصغيرة.

وشيد في بلجيكا ما يزيد على ٨٠ متحفاً صناعياً، ومنها متحف في بلدة هاسلت مخصص لعرض عمليات التقطير. وهناك يمكن الزائر ان يستقطر الشراب المحلي.

والأكثر مدعاة الى العجب متحف التعدين العملاق في مدينة بوكم في وادي الرور بألمانيا الغربية. ويجوب نحو ٤٠٠ ألف زائر سنوياً قاعاته الملأى بآلات الثقب الضخمة والمضخات المائية والتروس الجاذبة للأسلاك التي ترقى إلى الخمسينات من القرن الماضي. لكن الاثارة تتبدى بأروع مظاهرها حين يهبط المرء إلى نفق منجم الفحم الحجري.

هتف دليلي فيلي شميت: "غلوكوف!" (أي "حظاً سعيداً!") وهي التحية التقليدية للمعدّنين وهم يدخلون الحفرة. وأجبته بمثلها: "غلوكوف!" فيما نحن نتجه إلى ظلام النفق. وزعقت آلة الثقب التي اخترعها الالماني كروب: "ييييااااووو!" حين ضغط فيلي زراً ليديرها. ثم غمغم ضاحكاً: "هل أنت خائف؟ ان المكان آمن هنا الآن، ولكن تخيل كيف كان في الأيام السالفة." وأومأ برأسه نحو أنبوب فولاذ غليظ مربوط إلى قضيب طويل وأخذ يشرح: "انها قنبلة دالبوش. ففي حال انهيار صخري كبير، كان في وسع المعدّن أن يصعد داخل الانبوب (أو "القنبلة") حتى يتم سحبه."

رائعة كيركالدي – قام الفرنسيون بعمل رائد اذ ابتكروا نوعاً من المتاحف سموه "متحف البيئة" (ecomusée) وهو من بنات أفكار المتحفي الشهير جورج هنري ريفيير. وثمة ٤٧ من هذه المتاحف اليوم. ويشتمل متحف لو كروزو على كوخ للحارس يقع على قناة. وهو يركز على آثار القنوات وعلى المعارف المتصلة بها، ويتعهده سكان احدى القرى القريبة.



Ironbridge Gorge Museum Trust

معمل خزف (فاخورة) في متحف آيرونبريدج.

وفي بوفيه ينظم المتحف المحلي للبيئة معارض جوّالة في القرى المجاورة، مركزاً على الصناعات التقليدية والمعاصرة في المنطقة كالفراشي والفخار والصوف. والمتحف الموجود في بلدة فورمي الشمالية هو معمل نسيج مهجور. ويتولى مهندس نسيج سابق هناك اسمه هنري زامبيني ترميم الأنوال

التي يقدر عمرها بمئة عام، وذلك لتبيين طريقة تحويل الصوف ملابس جاهزة.

وفيما يفسح القديم في المجال للجديد بين ليلة وضحاها، فإن المنادين بصيانة التراث هم في عجلة من أمرهم للحفاظ على رميم العصر الصناعي. وقد اكتشف آدريان لنترز مدير المتحف الاقليمي للتراث الصناعي في مقاطعة ليمبورغ ببلجيكا مصنعاً قديماً لحياكة السجاد في كنيسة عتيقة. وأظهرت الأبحاث أن السلطات الباريسية عمدت ابان احتلال الفرنسيين للبلاد بعد الثورة الفرنسية، الى بيع عدد من ابنية الكنائس إلى الصناعيين المستقلين الذين هدموا شرفات الخورس لوضع أفران صهر المعادن.

ولربما كان مصنع السجاد الذي اكتشفه لنترز آخر نموذج ماثل عن "الكنيسة الصناعية". ويا للأسف، فقبل أن يحصل على اقرار رسمي باعتبار المصنع أثراً تاريخياً بيعت الانوال للكسر. ويتنهد لنترز قائلا: "انها كارثة."

وكان دنيس سميث أفضل حظاً، وهو حامل شهادة دكتوراه في الهندسة ورئيس جمعية الآثار الصناعية في لندن الكبرى. فقد قادته إحدى الملاحظات التي أفضى بها أحد أعضاء الجمعية عام ١٩٧٤ إلى اكثر اكتشافاته اثارة. فقد سأله أحد زملائه: "أرأيت ذلك البناء المهجور في الرقم ٩٩ من شارع ساوثوارك؟ على بابه لافتة كتب عليها: كيركالدي، فحوص واختبارات."

وصعق سميث لما سمع، وهو يتذكر اليوم: "كان اسم كيركالدي وارداً في نصف الهوامش التي تذيّل كتبي الهندسية."

كان ديفيد كيركالدي خبيراً في فحص قوة مواد البناء. وهو ابتكر في القرن التاسع عشر آلة تسحب القضبان المعدنية وتمدها وتفتلها (الى حد تدميرها) وتسحق الصوّان وكتل الاسمنت والآجرّ والخشب. وكان الزبائن، بمن فيهم شركة كروب، يتزاحمون للتعامل معه.

هرع دنيس سميث إلى البناء الواقع في شارع ساوثوارك ووجد داخله معدات من العام ١٨٦٠، وفي وسط الغرفة لاحت له الآلة الضخمة. وهو يقول: "كانت لحظة أوقعت في نفسي رهبة." وشكل اثر ذلك اتحاد من المتاحف، وشيد معرض دائم حول رائعة كيركالدي.

تحف معمارية – ومن بين عشاق البقايا الصناعية يعتبر هواة المحركات البخارية الاكثر عدداً وحماسة. "كان البخار في قلب الثورة الصناعية،" هذا ما يقوله الهولندي يان فيربروغن الذي يعمل محللا للدماغ الالكتروني، وله ولع خاص بأكبر محرك بخاري للضخ في العالم في محطة كروكيوس القديمة لضخ المياه قرب هارلم وهي غير بعيدة عن منزله.

استخدم المحرك البريطاني الصنع في العامين ١٨٤٨ و١٨٤٩ للمساهمة في تفريغ بحيرة كبيرة أغرقت قرية بعد أخرى ووصلت مياهها الى أطراف امستردام وهارلم ولايدن. وهو لم يتوقف عن العمل إلا عام ١٩٣٣.

وها هو يقف اليوم في مكانه ساكناً، وقد تم الحفاظ على كل شيء فيه الا

المراجل. ويتوافد الى المكان نحو ٣٠ ألف زائر سنوياً، ويحدقون فاغري الأفواه إلى هذا التذكار المعبر عن صراع هولندا المستمر ضد البحر.

ولما كانت أسعار العقارات في ارتفاع فان صيانة البقايا الصناعية تتوقف على ايجاد استعمالات تطبيقية لها. وفي قرية رولاندسك ذات المشاهد الخلابة والمشرفة على الراين جنوب بون في ألمانيا الغربية شيد أثرياء القرن التاسع عشر محطة فخمة للسكة الحديد يمتد منها خط خاص يصل قصورهم بالمكاتب الواقعة في كولونيا. وفي العام ١٩٧٠ تخلت مصلحة السكك الحديد في المانيا عن مبنى المحطة. غير أن يوهان واسموث، وهو فنان ومدير فرقة موسيقية، عزم على انقاذها. وبفضل جهوده ودعم المستشار الألماني الغربي هلموت كول الذي كان آنذاك وزيراً ورئيساً لمقاطعة راينلاند - بالاتينات، تستخدم هذه التحفة المعمارية لاقامة المعارض الفنية والحفلات الموسيقية.

رافعات المراكب - ترى كيف يولع الناس بالآثار الصناعية؟

يحدث ذلك مصادفة في غالب الاحيان. وهذا ما حصل مع جان - بيار غابيز، وهو بلجيكي في الاربعين يدرّس اللغة الانكليزية، حين اصطحب تلاميذه عام ١٩٧٧ في جولة على غرب المناطق الوسطى في بريطانيا متنقلين بمركب في محاذاة قناة ترنت ومرسي. واذ دنت المجموعة من قرية آندرتون في شيشاير لاحظ غابيز سلسلة من أعمدة الحديد شديدة الشبه بأربع منشآت ضخمة على قناة سنتر قرب مسقط رأسه لورول. واستفسر عن الامر فعلم أن رافعة المراكب في اندرتون التي تم تركيبها عام ١٨٧٥، صممتها الشركة البريطانية ذاتها التي أعدت خطط النماذج البلجيكية بعد ١٣ سنة.

ولدى عودة غابيز إلى بلجيكا علم أن الرافعات الأربع ستباع خردة. وارتاع لذلك، فالآلات قادرة على أن ترفع مركباً وتخفضه ١٧ متراً من مستوى في القناة الى مستوى آخر خلال ١٢ دقيقة، وهذا أسرع كثيراً من أي مجموعة من الهويسات (★). والأمر الأكثر أهمية هو وجود أربع رافعات منها فقط في العالم. لذا شكّل غابيز جمعية محلية لادارة حملة لصيانة هذه المنشآت البلجيكية. ونجحت الحملة في انقاذ الرافعات موقتاً على الاقل. وحينما زرت المكان برفقة غابيز صعدت إلى إحداها منتشياً. وكأن ما رأيت حلماً من أحلام دعاة المحافظة على البيئة، فلا ضجة ولا دخان ولا أبخرة غازية. كما أنها آمنة.

أي مهارات هندسية عجيبة أبدعت آلات كهذه قبل قرن من دون استعمال أي من أجهزة القياس الدقيقة المتوافرة اليوم؟ أوَلا يحق تصنيف الجسور ومخارط الخشب والأنوال التي خرجت بها الثورة الصناعية مع المسلّات المصرية وجسور روما القديمة؟

ادوارد هيوز ■

(★) الهويس (Lock) آلة ترفع المراكب أو تخفضها من مستوى الى آخر.

زرع الأعضاء: عفن يروّض المناعة

مئات المرضى قضوا
في التجارب الاولى لزرع الاعضاء.
أما اليوم فقد باتت عمليات الزرع تجرى
كل يوم وفي معظم المستشفيات الكبرى.
ويعود هذا التقدم الى عقار استخرج من عفن نروجي!

بعيد منتصف ليل ١٤ فبراير (شباط) ١٩٨٤ رن جرس الهاتف في بيت جراح القلب الشهير (اللبناني الاصل) الدكتور مايكل دبغي في هيوستن بولاية تكساس. وكان على الطرف الآخر من الخط زميل في المستشفى الميثودي بالمدينة الذي قال له: "هناك قلب صالح في طريقه الينا." فطلب منه دبغي ان يباشر اعداد المريض "وسأكون هناك في غضون ٢٠ دقيقة." وبحلول الساعة الثالثة فجراً بات المريض، وهو رجل في الثانية والأربعين من فلوريدا يعاني مرضاً في القلب بلغ مرحلته النهائية، صاحب قلب جديد تبرعت به أسرة شاب في السابعة عشرة من عمره قضى في حادث.

كانت هذه أول جراحة زرع للقلب أجراها دبغي منذ العام ١٩٧٠ حين توقف عن اجراء هذا النوع من الجراحات لان "النتائج لم تسوغ كلفة العملية وصعوبتها." وآنذاك كان قرابة ٨٠ في

المئة من المرضى المزودين قلوباً مزروعة يموتون خلال السنة الاولى بسبب رفض نظام المناعة في اجسامهم قبول عضو جديد. وما يزيد على ٥٠ في المئة من الذين بقوا على قيد الحياة أصيبوا خلال سنتين بنبذ مميت أو بعدوى جرثومية.

فما الذي حدث وبدّل رأي الدكتور دبغي في إجراء جراحات زرع القلب؟

يجيب الجراح الكبير: "انه عقار جديد يدعى سايكلوسبورين(١)" يوقف عمل الخلايا التي تسبب نبذ العضو المزروع من دون أن يؤثر أبداً في الخلايا التي تحمي الجسم ضد الجراثيم. وبالنسبة الى جراحات زرع الاعضاء، خصوصاً الكلية والكبد ومخ العظم والرئة والقلب، فيعتبر ذلك العقار من مآثر العلم العظيمة.

– منذ العام ١٩٧٨، تاريخ بدء استعمال سايكلوسبورين "أ" في زرع أعضاء في جسم الانسان، شهد معدل بقاء العضو المزروع سليماً لمدة سنة واحدة ارتفاعاً مذهلا. وللمثال فإن نجاح زرع الكلية قفز من نسبة راوحت بين ٤٥ و٥٥ في المئة في نهاية السبعينات إلى نسبة تراوح بين ٧٥ و٨٥ في المئة حالياً، وارتفع معدل بقاء مرضى الكبد المزروعة على قيد الحياة لسنة واحدة من ٣٠ في المئة إلى ما ينوف على ٦٠ في المئة. ويشفي زرع مخ العظم قرابة ٨٠ في المئة من اصابات فقر الدم اللاتقويمي (aplastic anemia) وهو في العادة من أمراض الدم المميتة. كما ان معدل البقاء على قيد الحياة سنة واحدة بعد زرع القلب يناهز اليوم ٨٠ في المئة.

ان العقار الذي أتاح كل ذلك يمثل نكوصاً إلى حقبة كانت فيها غالبية الأدوية متوافرة في الطبيعة. وبعد اكتشاف البنسيلين في العفن مصادفة عام ١٩٢٨ انطلقت شركات الأدوية تبحث عن منتجات جديدة عبر الاختبار المنتظم لكل أصناف العينات "القذرة". وفي حين تم اكتشاف بعض المضادات الحيوية المهمة بهذه الطريقة، شهدت أواخر الستينات تخلياً عن معظم هذه الابحاث لمصلحة تصاميم الدماغ الالكتروني والتركيب الكيميائي لعقاقير جديدة. وعلى رغم ذلك كان قسم علم الأحياء المجهرية في شركة "ساندوز" في بال بسويسرا، يذكّر موظفيه بانتظام بألاّ ينسوا ان يجلبوا معهم تراباً ولحاء شجر وفتات صخور (وهي الأماكن التي يرجّح نمو العفن فيها) لدى أوبتهم من رحلاتهم إلى الخارج. وفي العام ١٩٦٩ أوتي هذا الجهد ثماره فأفضى إلى اكتشاف مفيد.

فبين ألوف أكياس النايلون المتراكمة على رفوف قسم علم الأحياء المجهرية في الشركة ثمة كيس أحضره تقني مساعد في المختبر أمضى عطلته في جنوب النروج. وجاءت نتائج الاختبارات الأولية على جزء من العينة النروجية غير ذات أهمية، اذ كان العفن ينتسب إلى طائفة من الفطريات تعرف باسم توليبوكلاديوم انفلاتوم(٢). ولم تظهر خلاصة نصف مطهرة سوى فاعلية هامشية مضادة

(١) خلال الفترة الاختبارية عرف العقار باسم Cyclosporin A . أما اسمه الحالي الذي أقرته منظمة الصحة العالمية فهو Ciclosporin.

(٢) Tolypocladium inflatum Gams

للفطريات، غير أن تركيبتها الكيميائية بدت استثنائية، لذا ألصقت عليها رقعة كتب عليها "المركّب ٣٤ - ٥٥٦" واستبقيت لاختبارات لاحقة.

– وجد البحاثة عام ١٩٧١ متسعاً من الوقت لاجراء سلسلة ثانية من الاختبارات، وهذه المرة على القوارض المخبرية. ويثور هنا سؤال: لمَ الاستمرار في اختبار مركّب سبق اطراحه؟

يجيب الاستاذ جان فرنسوا بوريل: "لأننا كنا نبحث أيضاً عن عقاقير تقاوم نبذ الجسم الأعضاء المزروعة أو السرطان." لقد أبطلت الخلاصة عمل جهاز المناعة، وهي خاصية ترتبط عادة باتلاف الخلايا. وحار بوريل عندما حقن الفئران المصابة بالسرطان، فقد أوقف المحلول عمل جهاز المناعة لدى تلك الفئران لكنه لم يترك أثراً في نمو الخلايا.

ويقول بوريل في ذلك: "لم نصادف أمراً كهذا في ساندوز على الاطلاق. وفي آخر الامر ثبت أن فاعلية المحلول استثنائية."

وفي الفترة الواقعة بين يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣ وربيع ١٩٧٦ أجرى العلماء الاختبار تلو الاختبار، بالعقار "٣٤ - ٥٥٦" باديء الامر ثم بالمركّب المطهر سايكلوسبورين "أ". واحرز كل اختبار على الحيوان نجاحاً. وكما في الاختبارات السابقة كان عمل العقار انتقائياً على نحو غير معقول، فقد عطل خلايا الدم البيضاء التي تنبذ الأنسجة الدخيلة، لكنه لم يؤثر في الخلايا البيضاء التي تكافح الجراثيم الممرضة.

وما لبث بوريل أن عرض مشاهداته على مجموعة من علماء المناعة البريطانيين، وبينهم الدكتور ديفيد وايت من دائرة الجراحة في جامعة كامبريدج الذي أعد عينات لاستعمالها في زرع الأعضاء في الحيوانات. وهو يقول في ذلك: "لقد جاءت النتائج واعدة إلى حد بعيد." ففي حين أن العقاقير التقليدية المعطلة للمناعة أبقت الحيوانات حية مدة معدلها ستة أيام بعد عملية زرع القلب فإن حقن سايكلوسبورين "أ" أبقتها حية مئات الأيام. وسجلت نتائج مماثلة في تشكيلة من الأعضاء المزروعة من رئات وكلى وأكباد.

وكانت الخطوة التالية عملاقة: اختبار العقار على البشر. ويقول بوريل: "واجهنا مصاعب من فورنا." فالعقار كان يعطى كمسحوق في برشامة هلامية فلا يذوب في الماء، مما يعني أنه يمر عبر الجهاز الهضمي من دون أن يمتصه الجدار المعوي إلى مجرى الدم. وقد وجد العلماء في التجارب المخبرية السابقة ان سايكلوسبورين "أ" قابل للذوبان في مزيج صابوني مؤلف من مطهّر وكحول إثيلي (سبيرتو) بنسبة ٩٥ في المئة.

ولكن من سيبتلع المحلول؟

تطوّع بوريل وازدرد العقار في جرعة واحدة. ولبرهة وجيزة لم يحدث شيء. ثم انتابه تحول جلي في الشخصية واصيب بدوار، لكن ذلك لم يكن بسبب سايكلوسبورين "أ" بل من جراء الكحول في المزيج. وفي هذه الاثناء كشفت اختبارات الدم كمية كافية من العامل

المضاد للمناعة تم امتصاصها إلى مجرى دمه.

[illegible] – بقيت خطوة أخيرة، ففي يونيو (حزيران) ١٩٧٨ قرر روي كالن أستاذ الجراحة في جامعة كامبريدج زرع كلية لمريض يخضع لعملية غسل الكليتين (٣). وكانت الكلية ممنوحة من شخص غير ملائم ولا قرابة تربطه بالمريض. فاستخدم الطبيب هذه المرة مزيجاً سائغاً غير مسكر من زيت الزيتون وعقار سايكلوسبورين "أ". واختير زرع الكلية بالذات لأنه أقل خطراً من اي عملية زرع أخرى، ففي حال عدم نجاح العقار تمكن إزالة الكلية ومعاودة علاج المريض بغسل الكليتين. غير أن العقار حال دون نبذ الجسم للعضو المزروع، وأدت الكلية وظيفتها واستأنف المريض حياته الطبيعية.

واذ ذاع نجاح كالن راح جراحو زرع الأعضاء يتهافتون على العقار الجديد. وفي العام ١٩٨١ نظمت شركة ساندوز اختباراً على مرضى اوروبيين يخضعون لغسل الكلى اشتركت فيه ثمانية مراكز لزرع الأعضاء في بريطانيا وألمانيا الغربية والنمسا وسويسرا. وشمل الاختبار ١١٧ مريضاً أجريت لهم جراحة زرع الكلى وتناولوا العقار و١١٥ مريضاً تلقوا العلاج "التقليدي" المضاد للمناعة. وبعد انقضاء سنة واحدة بقيت الكلى سليمة لدى ٧٣ في المئة من أفراد المجموعة الاولى بالمقارنة مع ٥٣ في المئة من أفراد المجموعة الثانية.

وفي محاولة لزيادة معدل البقاء على قيد الحياة أجرى الجراح الكندي الدكتور كالفن ستيلر اختباراً ضخماً رعاه المجلس الكندي للبحوث الطبية في ١٢ مركزاً لزرع الكلى، وذلك باستعمال عقارين اثنين وجرعات مختلفة. وقد تناول قرابة ٣٠٠ مريض جرعات خفيفة من سايكلوسبورين "أ" مع كميات أقل من عقاقير الستيرويدات القشرية (٤). وفي نهاية العام بقيت ٨٠ في المئة من الكلى المزروعة تعمل على نحو ممتاز. وقبل مضي وقت طويل تمت تجارب زرع أعضاء أخرى مع تناول العقار في مراكز طبية عدة مما أدى إلى زيادات كبيرة في معدل البقاء على قيد الحياة.

صورة مشرقة – ان فكرة ابدال الأعضاء المصابة أو التالفة بأخرى سليمة قديمة قدم الطب نفسه. لكن البحاثة لم يدركوا قبل منتصف القرن العشرين كيف تهاجم الخلايا البيضاء في جهاز المناعة النسيج الدخيل على الجسم وتبيده. فالمسألة في الجوهر هي تمييز "الذات" عن "الغير". وأول عملية ناجحة لزرع الكلية تمت عام ١٩٥٤ بين توأمين متطابقين (٥) لديهما نوع الأنسجة نفسها. ولكن لم يكن من سبيل لمساعدة غالبية المرضى الذين كانوا في حاجة الى زرع أعضاء جديدة، اذ ان نسبة العثور على واهب لديه النوع نفسه من الانسجة الحية ضئيلة جداً (واحد في المليون) وبدلا من ذلك عمل العلماء على استنباط وسائل تعطل

(٣) الديلزة أو dialysis
(٤) Corticosteroid drugs
(٥) Identical twins

استجابة جهاز المناعة. وفي البدء استخدموا مقادير كبيرة من الاشعة. ثم استخدم كالن عام ١٩٦٠ دواء مضاداً للسرطان، وسرعان ما أصبح العقار الثلاثي، المكون من ذلك الدواء وعقار ستيرويد ومصل، الطريقة النموذجية لمنع نبذ الجسم العضو المزروع.

وفجأة تصدرت عمليات الزرع عناوين الصحف. ولعل اكثر الانباء اثارة جاء من جنوب افريقيا حيث أجرى الدكتور كريستيان برنار أول عملية لزرع قلب عام ١٩٦٧. لكن ثمة منجزات سابقة لا تقل أهمية عن ذلك: أول زرع للرئة والكبد عام ١٩٦٣، وأول زرع للبنكرياس عام ١٩٦٦، وأول جراحة في سلسلة طويلة من جراحات زرع القلب أجراها عام ١٩٦٨ أحد رواد جراحة القلب وهو الدكتور نورمان شومواي من جامعة ستانفورد في كاليفورنيا.

وفي معظم هذه الحالات فسحت العقاقير القوية المضادة للمناعة في المجال لعمل الأعضاء الجديدة، لكنها أيضاً أضعفت قدرات المرضى على مقاومة الجراثيم والفيروس والفطر. وتسببت هذه النقيصة في وفاة معظم المرضى الاوائل الذين أجريت لهم عمليات الزرع. وقد أدى ابتكار عقار سايكلوسبورين إلى جعل الصورة أكثر اشراقاً (٦).

وما دام المريض يتابع تناول العقاقير من طريق الفم، وبعض أصحاب الاعضاء المزروعة يتلقون هذا العلاج منذ أكثر من سبع سنوات، فإن جسده يستطيع تقبّل العضو الجديد من دون أن يقع فريسة لكل داء عارض.

غير أن السايكلوسبورين ليس دواء عاماً لجميع الأمراض، وهو باهظ الثمن إذ تبلغ كلفته نحو أربعة آلاف دولار في السنة الواحدة، وما زالت مدة تناوله غير محددة. وقد لوحظ بعض التلف في كلى المرضى الذين يستعملونه لأمد طويل، وان يكن معظم جراحي زرع الأعضاء يعتقدون بإمكان اجتناب ذلك عبر تخفيف الجرعات وتناول عقاقير أخرى اضافية. وفي ذلك قال أحد الاطباء: "إننا نزيد معرفتنا بالتجربة والمثابرة."

أما اليوم فان الجراحين يستخدمون السايكلوسبورين في اجراء تجارب على جميع أنواع الزرع، بما فيها زرع القلب والرئة. وهم يتوقعون نسب نجاح عالية.

وما زالت أعداد المرضى الذين يخضعون لعمليات الزرع قليلة، وبعضهم لا ينجون. غير ان ابدال الاعضاء بلغ مرحلة النضج. ويقول الدكتور دبغي: "اننا ننقذ أناساً لم يكن لهم حظ في الحياة قبل سنوات قليلة. وهذا هو المهم."

ستانلي إنغلبارت ■

(٦) يتوافر السايكلوسبورين اليوم في أوستراليا والنمسا وبلجيكا وكندا والدانمرك وفنلندا وفرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا وايطاليا وهولندا ونيوزيلندة والفيلبين وجنوب افريقيا وسويسرا وتايوان والولايات المتحدة، وبرخصة خاصة في النروج وأسوج (السويد).



لا تشترِ المنزل، بل اشترِ الجار. مثل روسي

قاموسٌ عقاريّ

العبارات المغرية المستخدمة في ترويج العقارات تخفي حقائق مرعبة. وهذا ما يكتشفه كثيرون بعد فوات الاوان!

الاثاث: فرصة تتيح لك شراء طاولة مطبخ وستائر نوافذ مهترئة بسعر باهظ جداً.

الانكشاف: كلمة مبهمة غالباً (خذ معك بوصلة).

الباحات: كلما كانت موحشة وصفت لك بأنها تحد من الضوضاء.

التوقيع (الخاتمة): نهاية المطاف حين تكتشف كل الالتزامات التي يمكنك التخلص منها اذا كنت بائعاً ولا يمكنك التخلص منها اذا كنت شارياً.

الثمن: يخضع دائماً للمساومة وتصل اليه بعد موازنة المبلغ الذي أنت على استعداد لدفعه مع ما يأمل البائع اقتناصه ثم اضافة عمولة الوسيط ورسوم التسجيل.

الجدار: فاصل بين غرفتين ينهار اذا قرعته بكلمة حادة.

الجمال: نقيض المركز والمقام والاعتبار. لا يقدر بثمن.

الجيـران: لن تلتقيهم قط لانهـم متحفظون جداً أو مرضى أو غائبون في اجازة.

الحديقة: كلمة قد تعني أي شيء بدءاً بمرجة خضراء واسعة وانتهاء بكومة من الحصى.

المرّاق: عملي أكثر حين يكون وقوده نفطياً، واقتصادي أكثر حين يحرق الغاز، وأقل تلويثاً للهواء حين لا يكون له وجود.

الخزائن: جزء من البيت ذو قيمة ضئيلة لكن الجميع يتحدثون عنه على الدوام. يقولون ان بيتاً خالياً من أي جاذب يحوي خزائن مدهشة مثلما يتحدثون عن شخص قبيح الوجه له عينان ساحرتان.

الشمس: كانت تغمر المكان بأشعتها قبل أن تأتي. وستعود بعد أن ترحل.

الضوضاء: حين تسمعها يقال لك انها غير مألوفة هناك.

العليّة: جزء لم يستخدم منذ انشاء البناء، لكن بعض التعديلات الطفيفة يمكن أن تحيله "غرفة خدم" مدهشة.

غرفة الاستقبال: غرفة جلوس مصممة لتترك انطباعاً جيداً لدى مدير المصرف الذي تطلب منه القرض الذي لولاه لما استطعت استقباله. ويا لها من حلقة جهنمية.

القبو: يُسمى أيضاً "قاعة الاحتفالات" اذا أصر الشاري على عدم اعتباره غرفة.

المرأب: يمكن تحويله غرفة للضيوف عند الحاجة، خصوصاً اذا كان الضيوف لا يضيرهم النوم في سيارة.

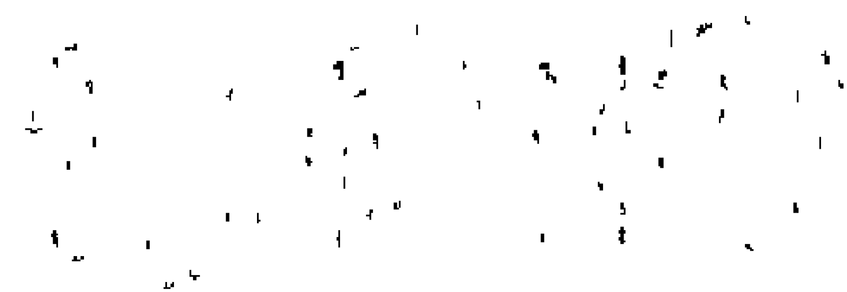
المركز: نقيض الجمال. لا يقدر بثمن.

المساحة السكنية: مساحة مربعة تشمل السلّم والخزائن والمراحيض وعتبات النوافذ.

المنتفعات: كلمة تطلق من دون تمييز بحيث يشمل معناها المراحيض وموقف الحافلات القريب.

المنطقة السكنية: جزء من الارض في نطاق المدينة ليس فيه متجر واحد.

فيليب بوفار ■



لولا كيسينجر...

كانت صديقتي تجلس في ردهة فندق في سان فرنسيسكو حين رأت وجهاً مألوفاً. وكانت واثقة من أن الرجل هو أحد زملائها القدامى، فنهضت وسارت نحوه. وفي تلك اللحظة دخل هنري كيسينجر وجلس في المقعد الذي توجهت اليه. وهكذا أنقذها من ورطة. فهي أرادت ان تباشر حديثاً مع هلموت شميت والمستشار السابق لألمانيا الغربية بقولها: "ألم نعمل معاً في مكتب فلان؟"

غ.ب.

Fred Mayer / Magnum

سيبيريا
حلم الرواد

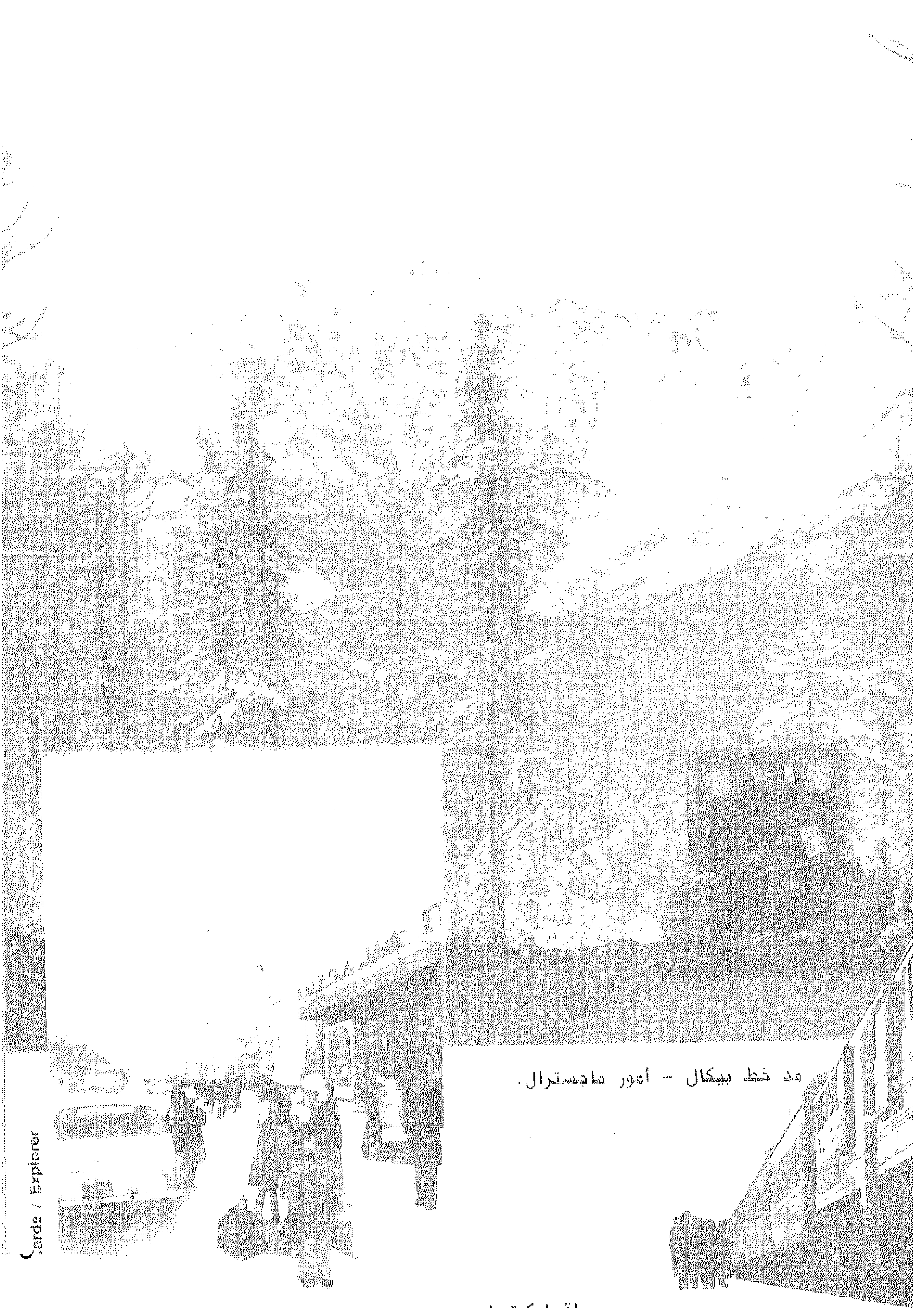
يعمل السوفييت على إنماء هذه الاصقاع النائية الزاخرة بالخيرات. فهل تشوه التكنولوجيا جمال الصحراء الثلجية الحالمة؟



ليل نهار، في صيف سيبيريا القصير وشتائها الذي لا ينتهي، تتوافد قوافل قطارات الشحن التي تنقل الآلات والاخشاب والحديد الخام والنفط الى محطة إركوتسك. وهذه البلدة الرابضة على ضفاف نهر أنغارا في منتصف الطريق بين جبال أورال غرباً وفلاديفوستوك شرقاً، تثير ذكريات المغامرة العظيمة الاولى التي تمت عبر سيبيريا.

بدأت المغامرة عام ١٨٩١ عندما قرر القيصر الكسندر الثالث ان يمد خطاً حديداً طوله ٧٥٠٠ كيلومتر من الاورال الى بحر اليابان. وبعد ثلاث عشرة سنة افتتح

١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤: القطار الاول ينطلق من تيندا الى موسكو. والعبارة الظاهرة على القطار ترجمتها: "تيندا - موسكو، رحلة سعيدة."



مد خط بيكال - أمور ماجسترال.

Malishev / Tass

محطة إركوتسك.

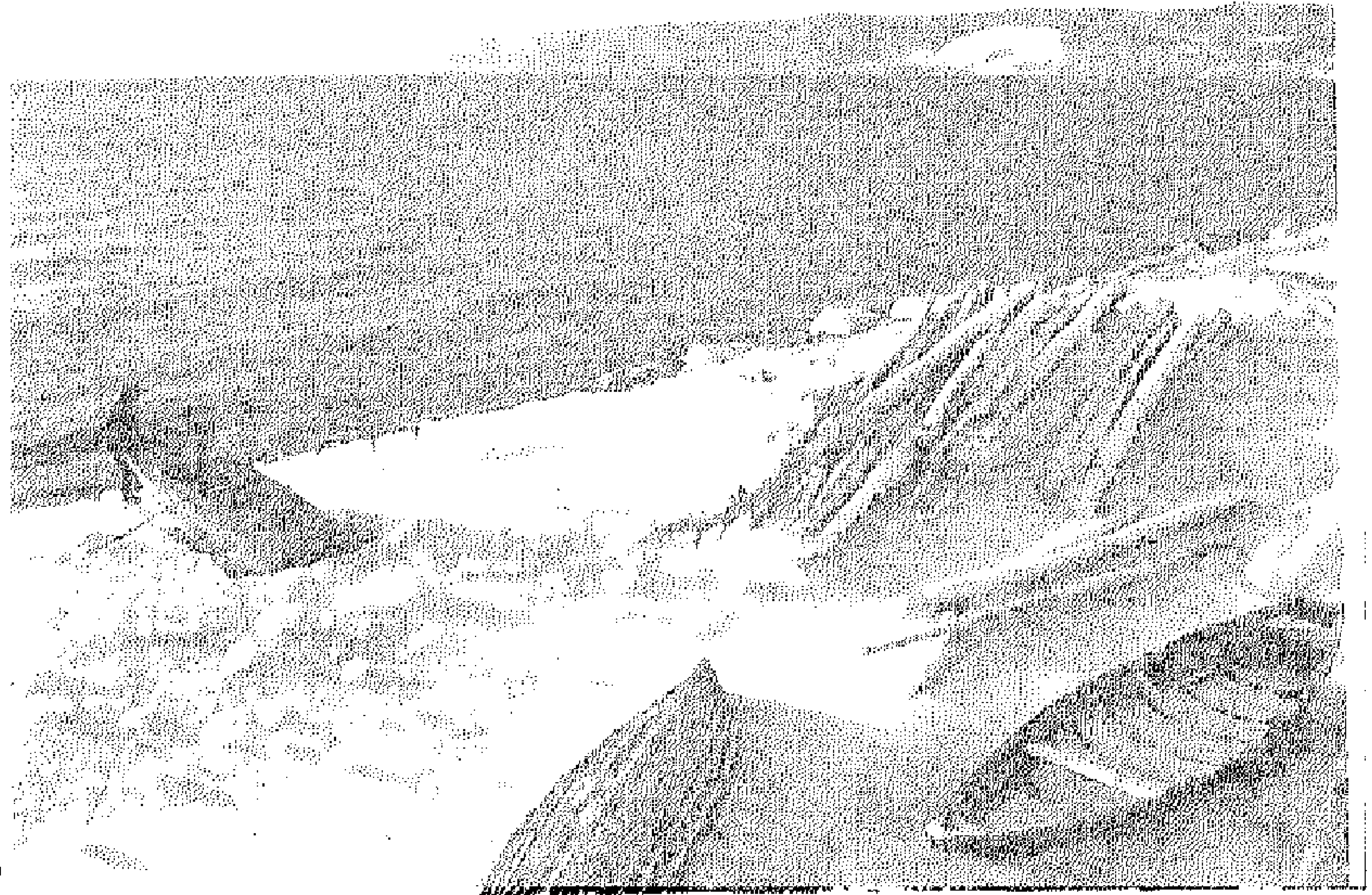
Garde / Explorer

هذا الخط الذي غذا، وما يزال، حزاماً حيوياً وحساساً يلف الحدود مع الصين على امتداد ألوف الكيلومترات.

واليوم في محطة إركوتسك يضغط المسافر زراً فيضيء مصباح كهربائي يدله على وجهة السفر التي يختارها الى احدى المحطات الست والتسعين المنتشرة على طول الخط. لكن حركة قطارات الركاب في هذه المحطة سكنت، اذ ان معظم السياح هذه الايام يأتي في الطائرات والزوار الذين اختاروا رحلة الايام الثلاثة ونصف اليوم في القطار خاب املهم من فرط ما شاهدوا من سهول وغابات لا حد لها. والسيبيريون يعرفون من دون شك أن أمتع مراحل الرحلة وأقلها تكراراً للمناظر هي الرقعة الممتدة بين إركوتسك وفلاديفوستوك.

وأنجز السوفييت مغامرة كبيرة أخرى هي مد خط حديد آخر. فعلى بعد ٤٠٠ كيلومتر شمال الخط القديم مد خط طوله ٣١٤٥ كيلومتراً يتصل بخط سابق بحيث يبلغ طول الخطين معاً ٤٣٤١ كيلومتراً. ويسير هذا الخط في موازاة الخط القديم، ولكن في حين يتاخم هذا الطرف الجنوبي لبحيرة بيكال، يلتف الخط الجديد حول طرفها الشمالي ثم يتجه نحو أمور والمحيط الهادىء. لذلك سمي الخط بيكال - أمور ماجسترال (★).

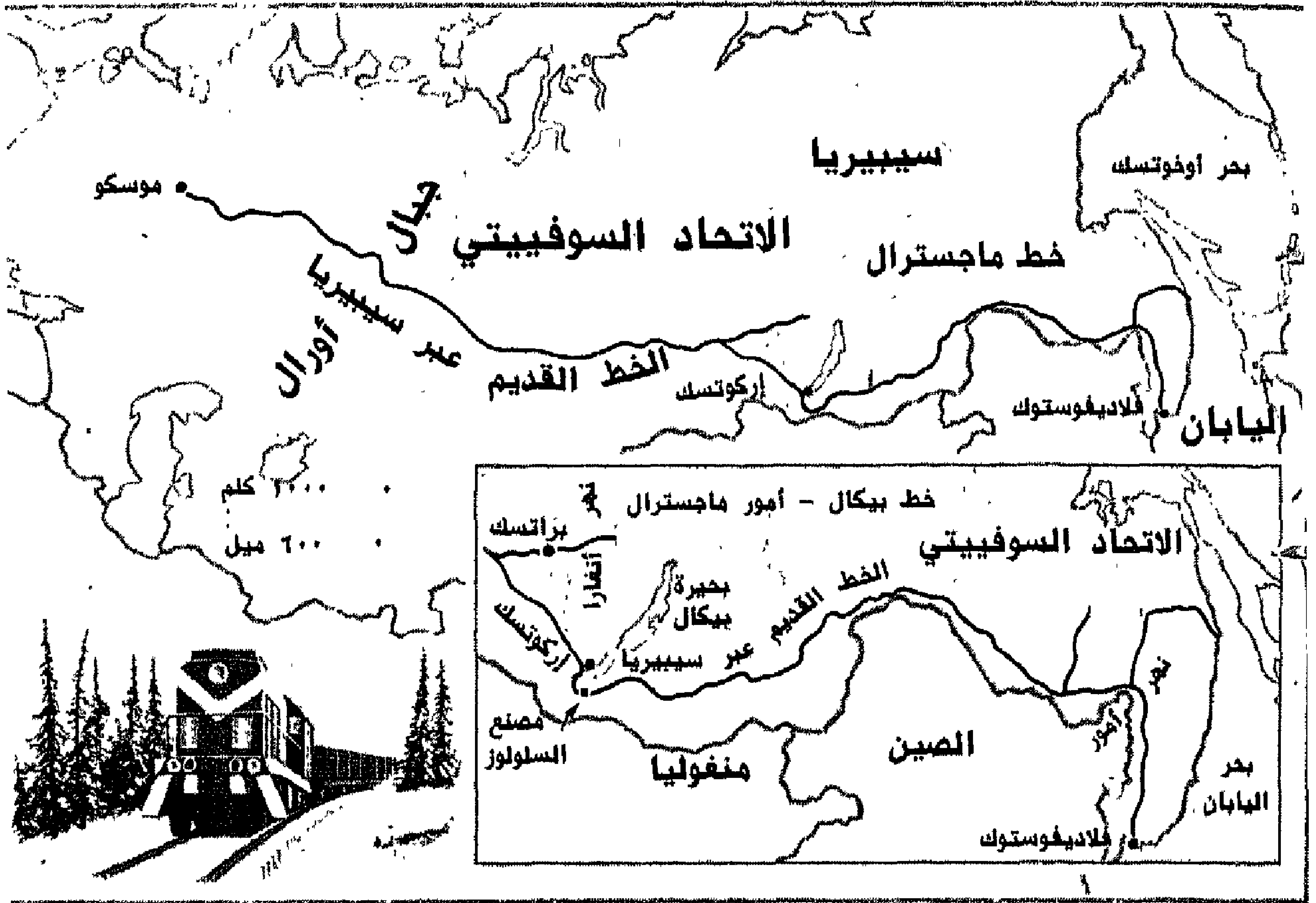
- ان اعتبارات سياسية واقتصادية واستراتيجية أملت مد هذا الخط، تماماً كتلك التي أملت مد سلفه. فسيبيريا تحتاج الى سكان، والرواد الذين عاشوا على طول الخط الحديد لم يفعلوا أكثر من نكش جزء بسيط من سطح هذه "الارض النائمة" التي تفوق مساحتها مساحة الولايات المتحدة الامريكية. والسوفييت عاقدون العزم على



G. Carde / Explorer

بحيرة بيكال.

(★) Magistral في الروسية تعني "الخط الرئيسي".



ترويض سيبيريا مثلما كان الامريكيون عاقدين العزم على ترويض الغرب الاقصى في القرن التاسع عشر.

وسيبيريا ليست حلماً للرواد فحسب بل هي قلعة الاتحاد السوفييتي وضمان ذهبي ثابت لرخائه الاقتصادي الان وكل آن. وكلما تقدم الخط الجديد كيلومتراً اكتشف مرج من الكنوز: أطنان من الذهب ومليارات الامتار المكعبة من الاخشاب غير المقطوعة في الغابات العذراء وجبال من الحديد الخام والمعادن الثمينة وعروق عملاقة من الفحم الحجري تحت سطح التربة وأنهار عظيمة تنتظر مولدات كهربائية.

وتوفر سيبيريا حالياً ما يفوق نصف انتاج البلاد من الفحم الحجري والغاز الطبيعي والنفط. وكل شيء في هذا الاقليم ذو حجم غير عادي، كذلك الخطط المرسومة له. والشعب القاطن على طول الخط الجديد لا يتكلم على مصنع او بلدة ولا حتى على مجمع صناعي، انما يتكلم على مجمعات واسعة متكتلة تضم محطات لتوليد الكهرباء ومناجم ومعامل لانتاج المواد الاساسية ومراكز مدينية تقدم خدمات متنوعة متكاملة.

ومن الناحية الاستراتيجية أيضاً يستحسن انشاء خط حديد ثان للافادة من مجموعة الكنوز هذه الملاصقة للصين. ان خط بيكال – أمور ماجسترال أراح السيبيريين المرهقين، وأهم من ذلك انه قوّى هذا الاقليم الحدودي الحساس باستقدام أعداد أكبر من المصانع والناس.

وعلى رغم التكنولوجيا الحديثة كان

Map: George Buctel

بناء الخط الجديد صعباً، وربما في الصعوبة ذاتها التي واجهها الخط الاول عبر سيبيريا. ان مد خط حديد طوله ٣٠٠٠ كيلومتر معناه نكش ٣٥٠ مليون متر مكعب من التراب وحفر ٣٠ كيلومتراً من الانفاق وبناء أكثر من ألفي جسر وستين محطة سكة حديد. ولسوء حظ البنائين قاومت سيبيريا مد الخط الجديد.

اغراءات العمل – شرق بحيرة بيكال تقع منطقة تايغا، وهي أرض مستنقعات وغابات شربين وتنوب وبتولا. انها بقعة ماحلة تقطعها أنهار عدة حملت مهندسي الخط الجديد على اقامة جسور بمعدل جسر كل ١٥٠٠ متر. ويمر هذا الخط بسبع سلاسل جبلية وبصحراء رملية عرضها ٤٠ كيلومتراً لم يتمكن أي واضع خرائط من رسم خريطة لها.

وثمة تضاريس أرضية تكونت بفعل الزلازل المتتالية وبتأثير المناخ. وعندما يذوب الثلج تتدفق الانهار سيولا جارفة. وعلى خط العرض هذا تبقى التربة متجمدة الى عمق بضعة أمتار. وفي الصيف عندما تحفر الآلات طبقة من التراب ويبدأ الجليد الذوبان قد يحدث اي شيء: كهوف داخلية ومزالق طينية وسواها. وفي الشتاء تكثر الانهيالات الثلجية ويسود برد قارس. وتعمل فرق البناء غالباً في جو حرارته ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر، وتبقى الآلات مُدارة طوال الوقت خوفاً من أن تتجمد. ويصبح الفولاذ الصلب هشاً كالزجاج وتتقصف محاور العجلات فجأة.

مئة ألف رجل وأكثر عملوا في الخط الجديد حتى انجازه في شتاء ١٩٨٤ – ١٩٨٥. وهم استعملوا أفضل الآلات المتاحة: جرافات أمريكية ذات شفرات يبلغ عرض الواحدة منها أربعة أمتار، وشاحنات يابانية تبلغ حمولة الواحدة منها ١٨٠ طناً ويعادل علوها بناء من ثلاث طبقات. وفي الوقت ذاته وضعت السلطات مجموعة اغراءات لحمل العمال على الذهاب الى سيبيريا. فضاعفت الاجور مثنى وثلاثاً وملأت المتاجر مؤناً وشيدت مساكن فسيحة مريحة مُدَّفأة في بعض المناطق. وكان المتطوعون يتنقلون مجاناً ولهم بعد ثلاث سنوات اجازة ادارية سخية، ولهم امتيازات الشخصيات المهمة في شراء سيارات. وعلى رغم كل ذلك كان ثلث العمال يتركون العمل بعد مضي سنة واحدة. كان في امكانهم أن يجمعوا ثروة العمر لو بقوا، لكنهم سئموا سيبيريا.

"بحر" بيكال – وقع الخط الجديد في مشكلة أخرى هي أن سيبيريا ليست أرضاً قاسية فحسب، بل هي أيضاً أرض هشة جداً. والعلماء السوفييت لا يفتأون ينبهون المهندسين الى وجوب عدم تعكير البيئة. والجدير بالذكر ان بحيرة بيكال هي موضع الاهتمام المباشر للعلماء، وهذا الامر كان مدار جدل حام بين علماء البيئة ودعاة التصنيع.

وبحيرة بيكال ليست بحيرة عادية. فطولها ٦٣٥ كيلومتراً ومعدل عرضها ٤٠ كيلومتراً. انها أشبه ببحر داخلي يحوي كمية من الماء تفوق ما يحويه البلطيق

ويضفي مناخاً معتدلا بالنسبة الى مقاييس سيبيريا. في هذه البحيرة نوع من المحار يدعى "ابيسكورا" يهتم لنظافة البحيرة على نحو عجيب. فهو يلتهم المواد العضوية بشراهة فينقي مياه البحيرة مرات عدة في السنة. وفي "الحزام الزمردي" من الجبال والغابات التي تلف البحيرة يعيش الدب والذئب والايّل والغزال والماعز السيبيري والسمّور.

العلماء السوفييت قلقون حول نقاوة البحيرة. وتملك مؤسسة دراسة المياه النقية، المكلفة حراسة البحيرة، أسطولا من ثمانية زوارق على الاقل وجانباً كبيراً من القوة. وموظفو هذه المؤسسة اعترضوا مهندسي الخط الجديد عندما أرادوا مد السكة على طول البحيرة، وذلك خوفاً من خطر التلوث. ويذكر أن ادارة الخط الجديد، بناء على الحاح المؤسسة، تركت كيلومتراً من الارض فاصلا بين الخط والبحيرة.

وتستأثر أوضاع البيئة هذه الايام برعاية السلطات السوفييتية، لان المخططين يعلمون أن مشروع بيكال - أمور ماجسترال سيساعد على فتح أبواب سيبيريا أمام السياح.

تسهيلات سياحية - إركوتسك هي الآن الجاذب الاول للسائح في القسم الاسيوي من الاتحاد السوفييتي. وعلى ضفة نهر أنغارا قرب محطة السكة الحديد القديمة شيد فندق من عشر طبقات يتسع لـ ٥٣٠ زائراً. وعلى رابية تطل على بحيرة بيكال وتبعد ٤٠ كيلومتراً الى الشرق أقيم برج فندقي يستوعب ١٧٠ زائراً. والمراكب البخارية السريعة تنقل السياح للتنزه في البحيرة.

ويتوافد ألوف الاجانب من بلدان بعيدة ليراقبوا تبديل الحرس عند النصب التذكاري للحرب العالمية الثانية في إركوتسك ويشاهدوا الكنائس المرممة في البلدة. وكم يعجبون بالمنازل المتعددة الالوان وغير المتوازية الجوانب التي لا تزال قائمة في قلب البلدة القديمة. ومن جملة الذين يودون الاستمتاع بسيبيريا الحقيقية الصيادون الذين يسمح لهم بصيد عدد قليل من الدببة سنوياً ومتتبعو آثار الايائل الذين يخيّمون في الاحراج ومربو العصافير الذين يأتون من أقاصٍ كبريطانيا وألمانيا ليلقوا نظرات خاطفة على الانواع السيبيرية الفريدة.

وفي الشتاء يقدم المكتب السياحي في إركوتسك تسهيلات للتزلج في منطقة البحيرة.

أيتلف هؤلاء السياح الارض التي لا تزال محافظة على طبيعتها؟

السلطات تجيب: لا. فهي تصر على أن تبقى الرقابة شديدة على القنص وصيد الاسماك وارتياد المتنزهات الطبيعية. وتلوث البحيرة غير مسموح به. ويطيب للسلطة أن تستشهد بكاتب من إركوتسك قال: "بحيرة بيكال موقوفة على بهجة الانسان وبهجة الاجيال الآتية."

سيبيريا تريد أن ترحب بالسياح، لكنها لا تريد أن تقع فريسة لهم. أما اذا كانت ستنجح، فهذه مسألة فيها نظر.

مارك أمبرواز - راندو ■



الدروس التي علمتني إياها تخطت القراءة والكتابة والحساب

مُعلّمة لاتُنْسىٰ

كان طولها متراً ونصف متر وربما لم يتجاوز وزنها الخمسين كيلوغراماً. لكن حضور الآنسة بيسي في الصف كان قوياً. وهي المرأة الوحيدة التي حملتني على قراءة الكتب الصعبة وايهامي بأني أحب مضامينها.

عندما كنت أتابع دراستي في مدرسة برنارد الثانوية في ماكمنفيل بولاية تنيسي بين العامين ١٩٣٨ و١٩٤٢ علمتني الآنسة بيسي الانكليزية والتاريخ والتربية المدنية ومواضيع أخرى كثيرة فاقت تصوري.

Illustration: Christopher Calle

ولن أنسى أبداً يوم وبختني لأنني لم اقرأ ملحمة "بيوولف" (١).

قلت محتجاً بانكليزية عامية: "لكنني غير مهتم بها يا آنسة بيسي."

زمّت عينيها البنيتين الكبيرتين وقالت: "كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه اللغة أيها الفتى؟ لقد علمتك عبارات أفضل."

قلت متوسلا: "يا آنسة بيسي، انني مرشح لأكون رئيس فريق كرة القدم. واذا تكلمت بلغة صحيحة فسيهزأ مني الشباب ويبعدونني عن الفريق."

أجابت: "ستبرز في كرة القدم أيها الفتى لأنك تملك الشجاعة. ولكن هل تعرف ما هي الشجاعة الحقيقية؟ هي أن ترفض خفض مستواك الى مستوى الجماعة. أنت تحتاج الى الشجاعة كي تحيا وتكون مهماً بعد خمسين سنة من اعتزالك كرة القدم."

وبدأت منذ ذلك الحين أتكلم بلغة صحيحة. وبقيت اللاعب الماهر والطالب الذي يلقي خطبة الوداع في حفلة التخرج من دون أن يخسر احترام رفاقه.

"الخيوط" والقنديل - خلال ٤٤ سنة من الخدمة علمت الآنسة بيسي تايلر غوين مئات الاطفال السود المحرومين، ومن بينهم أمي وأخي وأخواتي وأنا. وأتذكرها الآن بامتنان ومحبة بعدما بات المعلمون المؤهلون المخلصون نادرين جداً. كانت الآنسة بيسي مثال المعلمة المحترفة التي كرست وقتها لرسالتها فأصبحت نعمة للأولاد ومصدر قوة للأمة.

ولدَتْ عام ١٨٩٥ في جو من الفقر وترعرعت في أثنز بولاية آلاباما. وتعلمت في مدرسة ترينيتي وهي مؤسسة خاصة للسود تديرها الجمعية الارسالية الامريكية. ثم تخرجت عام ١٩١١ في مدرسة نورمال وهي مدرسة ثانوية ذات مستوى رفيع في جامعة فيسك في ناشفيل بولاية تنيسي. ولم تتكلم السيدة غوين أبداً على السنوات التي أمضتها في أثنز اذ كانت كتلة من الكبرياء والتكتم.

ولم تكشف الا قبيل وفاتها انها لم تدرس في جامعة فيسك نفسها لعجزها عن دفع تكاليف سنوات الدراسة الاربع.

تعلمت الآنسة بيسي الكثير عن شكسبير في مدرسة نورمال. لكن معظم ما اكتسبته كان حول الاهمية العميقة للتربية، خصوصاً بالنسبة الى الذين يحاولون الخروج من العبودية. وهي قالت ذات مرة: "ما تدخله عقلك أيها الفتى لن يقتلعه أي شخص أو أي قوة في الارض."

كانت تصرفاتها النبيلة توحي الى كل من يلتقيها أنها "مثقفة" بكل ما في الكلمة من معنى. لم تواجه أبداً مشكلة في ضبط الصفوف. وكيف نجروء على التلاعب مع امرأة تعرف معركة هاستينغز (١٠٦٦) ووثيقة ماغنا كارتا (٢) وميثاق الحقوق (١٧٨٩) وتعزف على البيانو.

تلك المرأة ذات المظهر الضعيف كانت تفهم حقيقة شكسبير وميلتون وفولتير وتحيي أفكار المعلمين السود أمثال بوكر واشنطن وإ.ب. دوبوا.

---

(١) قصيدة ملحمية من القرن الثامن تدور على حياة أمير محارب.

(٢) وثيقة الحقوق التي أكره النبلاء البريطانيون الملك جون على توقيعها عام ١٢١٥.

وايماناً منها بأهمية معرفة الموظفين الرسميين الذين ينفقون الضرائب التي يدفعها الشعب والذين يصنعون السياسة العامة، جعلتنا نحفظ أسماء جميع العاملين في المحكمة العليا وفي المجلس الرئاسي. وكم كنا نرتبك حين تسأل أحدنا على حين غرة: "انهض واخبر الصف من هي فرنسيس بيركنز وما رأيك فيها."

كانت الآنسة بيسي تعرف أن عائلتي عاجزة عن الاشتراك في صحيفة، مثل عائلات كثيرة إبان الأزمة الاقتصادية. وكانت تعرف أننا لا نملك حتى جهاز راديو. وعلى رغم ذلك كانت تحثني على طلب المعرفة قائلة: "فتش عن مستقبلك واستنبط طريقة تجعلك دائماً على علم بما يجري في هذا العالم." وهكذا أصبحت موزعاً لصحيفة "تايمس" في تشاتانوغا بولاية تنيسي. وقلما كسبت دولاراً في الأسبوع، لكنني تمكنت من قراءة الصحيفة كل يوم.

وكانت الآنسة بيسي تلاحظ أموراً لا علاقة لها بالأعمال المدرسية لكنها حيوية في مرحلة الشباب.

هزىء رفاق صفي مرة بمعطفي البالي فلقبوني "الخيوط". وربتت الآنسة بيسي ظهري فيما أنا أغادر المدرسة بمعطفي ذاك وقالت: "لا تتحسر أبداً على ما لا تملك. ولكن أفد ما استطعت مما تملك، وهو العقل."

وكانت الكهرباء من الأشياء غير المتوافرة في بيتنا الخشبي الصغير الذي بناه والدي بأربعمئة دولار هي تعويض خدمته في الحرب العالمية الأولى. لكنني

بوحي من الآنسة بيسي أمضيت الساعات الطوال أقرأ لشكسبير وثورو وساموبل بيبيز ووليم برايينت بعينين نصف مغمضتين قرب قنديل الكاز.

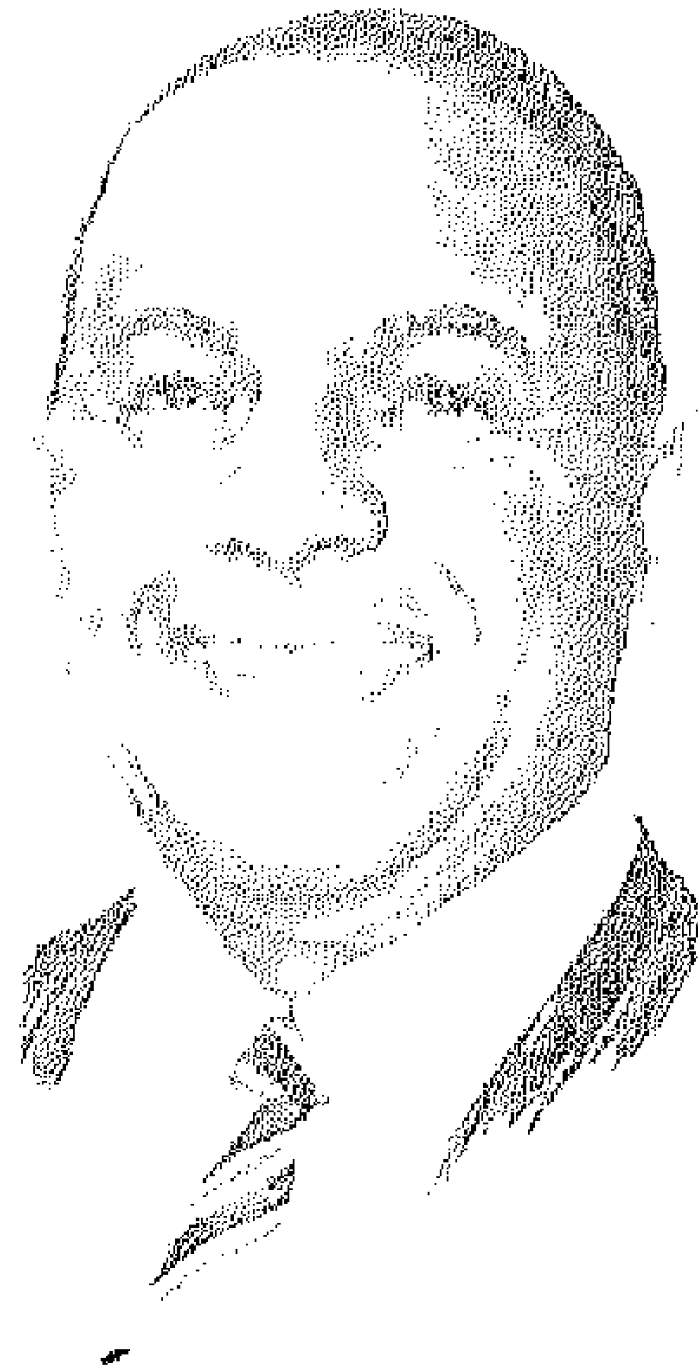
مهرِّبة الكتب – لم يتخرج أي من أفراد عائلتي في المدرسة الثانوية، لذلك لم يكن في بيتنا توجه تقليدي حازم الى طلب العلم. وكنت مثل ملايين الفتيان في الغيتو الأسود وأحياء البؤس في حاجة الى معلمة مهتمة تدفعني وتحضني على العمل. وقد أعطتني الآنسة بيسي الدافع الوافي عندما أغرقتني في عالم رائع من التشابيه والمجازات وحتى الكلمات التي توحي ألفاظها بمعانيها. وهي حملتني على الاعتقاد ان في استطاعتي كتابة السونيتات(٣) مثل شكسبير ونظم الأشعار الموزونة بحيث أجعل ألكسندر بوب يخجل من محدودياته.

وكان نظام مدرسة ماكمنفيل في تلك الأيام يسوده التمييز العنصري. وكان على الأطفال السود الفقراء المكافحة من أجل ادخال المعارف رؤوسهم. ومدرستنا أكبر قليلا من المدرسة الصغيرة التقليدية ذات البناء الاحمر، لكن مكتبتها من الضيق بحيث كنت أتخيل أن تلميذين اذا وجدا فيها وأراد أحدهما قلب صفحة كتاب توجب على الثاني أن يخطو خارجاً.

ولم يكن يسمح للعبيد، كما كنا نسمى آنذاك، بدخول مكتبة المدينة الا لمسح الأرض أو نفض الغبار عن الطاولات. لكن الآنسة بيسي ظلت تهرِّب الكتب من مكتبة البيض من خلال الترتيبات السرية في الجنوب الامريكي في ذلك العهد الذي شهد تلاشياً تدريجياً للقيود القانونية المفروضة على الزنوج. وهكذا عرفتني الى الاخوات برونتي والى بايرون وكولردج وكيتس وتنيسون. وهي قالت لي مرة: "اذا لم تقرأ فلن تستطيع الكتابة، وقد تتعطل حتى أحلامك."

لذلك قرأت كل ما أعطتنيه الآنسة بيسي. وحاولت تذكر الأشياء التي أصرت على حفظها. وبعد خمس وأربعين سنة ما زلت قادراً على تلاوة "الحقائق التي نحيا بها" مثل أسطر هنري وادسورث لونغفلو في "سلَّم أغسطين":

"ان المعالي التي وصل اليها كبار الرجال وحافظوا عليها لم تتحقق في انطلاقة واحدة.
لكنهم حين نام
رفاقهم
كانوا يكدحون
ليلا الى العلى."



وأثمر ايحاؤها وحضها وتملقها وغضبها. وبعد سنوات كثيرة جاء ذلك اليوم الرائع حين كتبت الي الآنسة بيسي تقول: "انني فخورة جداً بقراءة مقالاتك في صحيفة تنيسيان."

معلمة ملهمة – كانت الآنسة بيسي امرأة نشطة في الثمانين عندما عدت الى ماكمنفيل وزرتها في غرفتها في أحد

(٣) قصائد من ١٤ بيتاً.

المباني المخصصة للمواطنين المسنين. وتناولت قدحين وزجاجة شراب وأخبرتني باعتزاز أن في المبنى الذي تقطنه تمازجاً عرقياً.

وانتابني شعور جديد بالمساواة، ثم كشفت معلمتي عن حنو ورقة لم أعهدهما فيها كتلميذ.

قالت: "لم أنسَ ابداً يوم الامتحان ذاك عندما رفع باستر مارتن سبع أصابع طالباً منك مساعدته في السؤال السابع كما كان واضحاً: "سمٌّ شركة نقل معروفة." وما زلت أتصورك تنظر الى ورقة امتحانك مهمهماً: "تشاتانوغا تشو تشو." ورحت أضحك في قرارتي ولم أقدر على معاقبة أي منكما."

كانت الآنسة بيسي تحاول أن تقول لي وهي تشعر بالراحة والاسترخاء انني لم أستطع خداعها لحظة واحدة.

وعندما توفيت الآنسة بيسي وهي في الخامسة والثمانين ارتدى المئات من تلاميذها السابقين ثياب الحداد. انهم عرفوا مقياس المعلمة الكبيرة: الحب والمثابرة. ولقد ترقرقت حكمتها وتموج تأثيرها عبر الاجيال.

كان طبيعياً أن يبقى تلاميذها فقراء. لكن كثيرين منهم ثابروا ليصبحوا أطباء ومهندسين وأساتذة جامعات، وحذا كثيرون حذوها فأصبحوا معلمين.

وتقول غلاديس وود من نوكسفيل بولاية تنيسي وهي معلمة لغة محترمة جداً أمضت ثلاثاً وأربعين سنة في المدارس الحكومية: "أثرت فيَّ الآنسة بيسي وطريقة ادارتها الصفوف أكثر من أي شيء تعلمته في الجامعة، وكنت أسأل نفسي كلما واجهت مشكلة في الصف: كيف يمكن أن تعالج الآنسة بيسي هذه المشكلة؟ فاتذكر أنها كانت تعالجها بالضحك والمحبة."

لا يمكن أن يتلقى أي طفل العون الكافي في البيت. وملايين الاطفال الفقراء كانوا لا يتلقون أي عون. وهنا تكمن أهمية معلمة حكيمة ومثقفة ومحبة كالآنسة بيسي في تنمية عقول أطفال بلادي وقلوبهم وشخصياتهم.

كارل روان ■

سفير سابق في فنلندا ومدير وكالة الاستعلامات الامريكية ومحرر متنقل في الـ"ريدرز دايجست".



الكرز والخوخ

طُلب من معلم مدرسة أن يحلّ مكان زميل ذهب في إجازة. ودخل المدير الصف ليقدم المدرس الجديد. واستهل الكلام بإعلان أسفه لتغيب المعلم الأصلي ثم أضاف: "ولكن يسعدنا أن ينوب عنه هذا الاستاذ الشاب الواسع الثقافة."

وشكر الاستاذ لمدير المدرسة ثقته وأضاف: "يعيدني هذا الكلام الى وقت كنت أقضي اجازة أخذتني الى بلدة سياحية صغيرة. وفي أحد شوارعها عُلّقت لافتة كُتب عليها: مهرجان الكرز السنوي. ولكن أُضيفت تحت هذا الاعلان الملاحظة الآتية بخط صغير: نظراً الى القحط في هذا الموسم، نستعيض عن الكرز بالخوخ."

ن.ك.

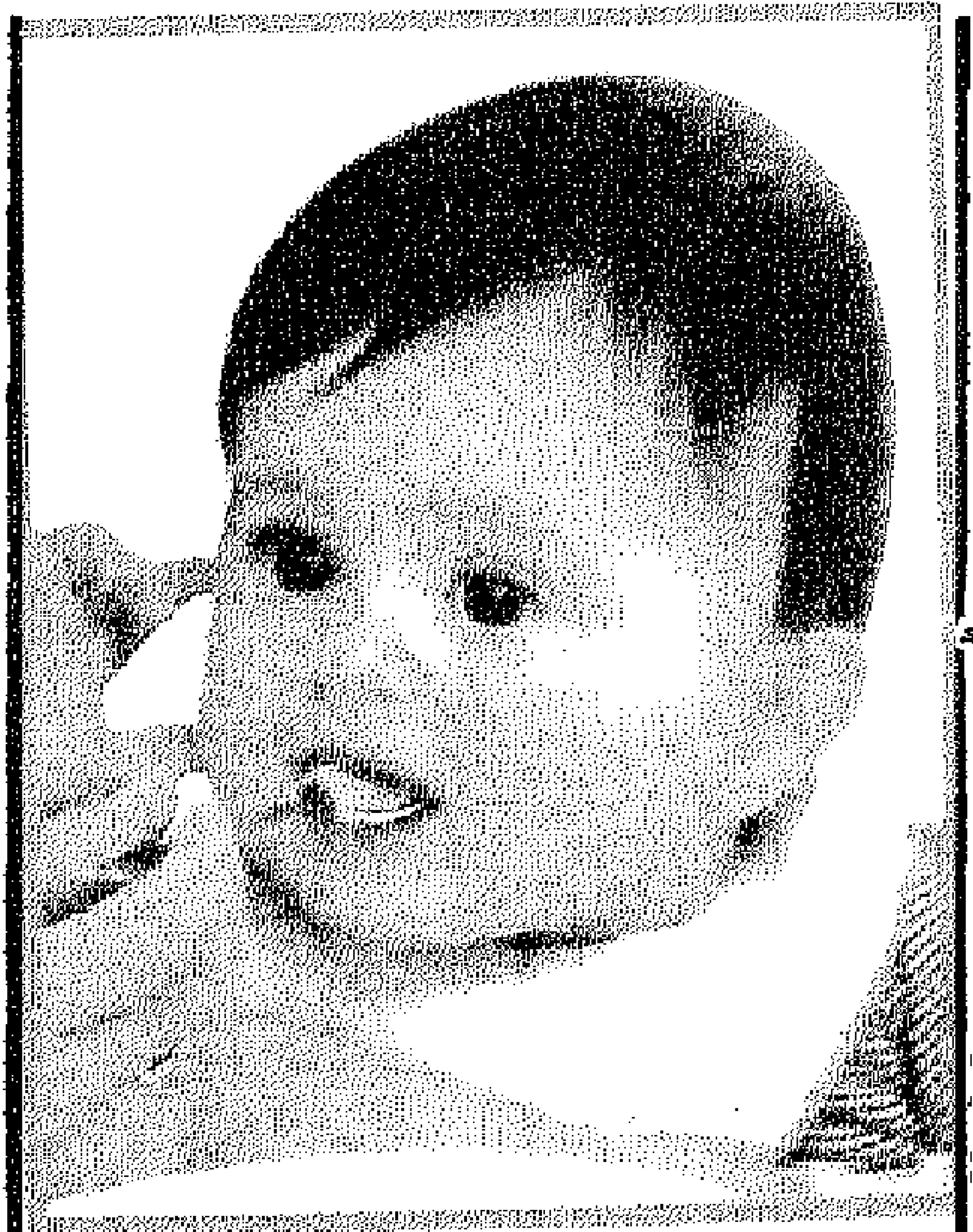
جديد من سيريلاك

القمح، الأرز والحليب المغذّي يجعل سيريلاك
أول طعام كامل يُعطى لطفلكِ بالملعقة بعد شهره الرابع.

وبينما ينمو طفلكِ دعيه يتذوّق سيريلاك الجديد بالموز
وسيريلاك الجديد بالأربع فواكه، وجميعها تحتوي على
البروتين والاملاح والفيتامينات التي يحتاج اليها طفلكِ.

امزجي سيريلاك بالماء المغلي لحصولكِ على طعام كامل
ومغذي.

سيريلاك الغذاء الكامل لطفلكِ، متوفر الآن بأربعة أنواع.



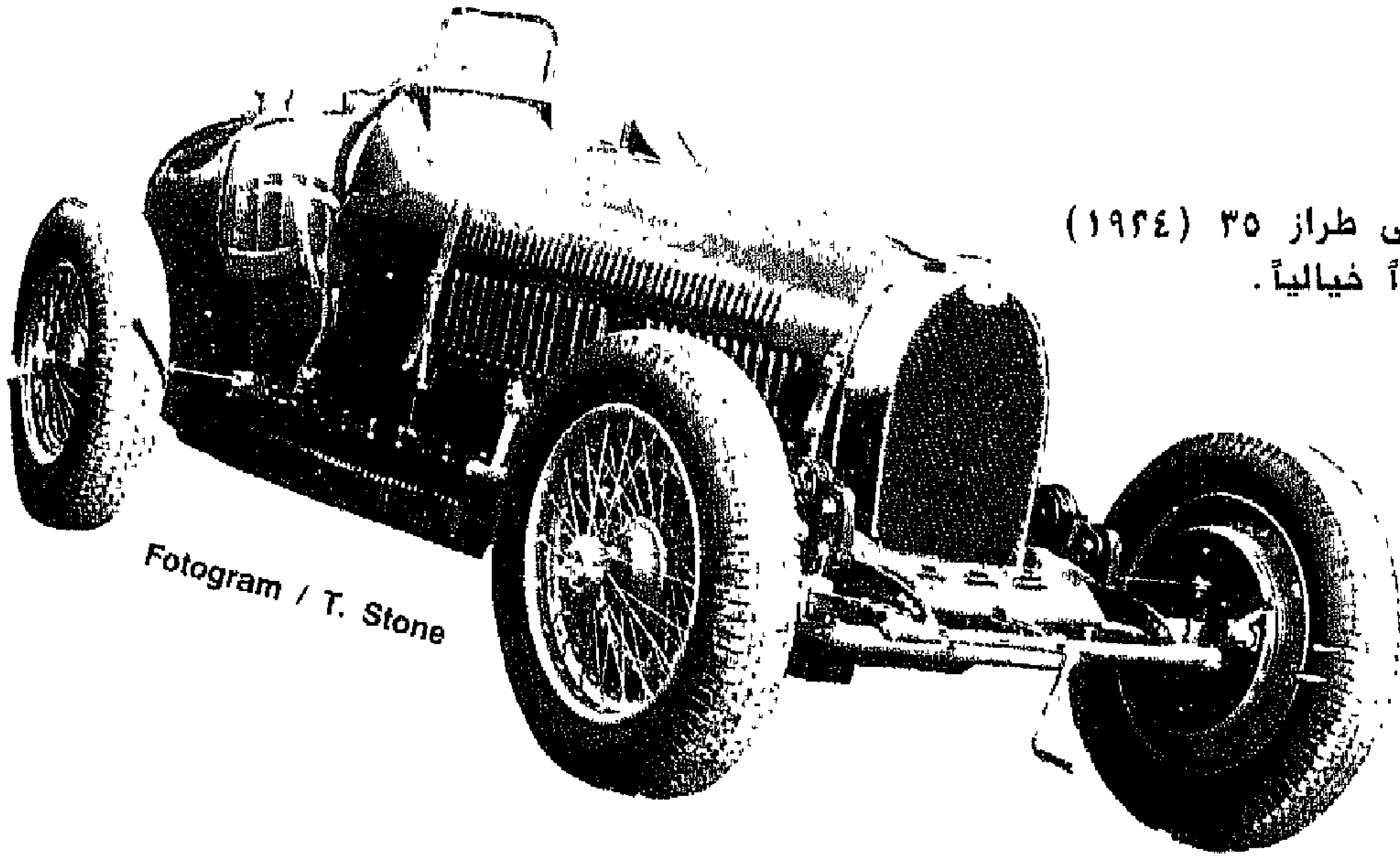
سِيرِيلاك

أول طعام كامل

يُعطى لطفلكِ بالملعقة

تضمنه نستله

Nestlé



المزايدة على طراز ٣٥ (١٩٢٤) قد تبلغ حداً خيالياً.

انه ربيع ١٩٨٢. في الباحة الرئيسية لقصر فونتينبلو في فرنسا يجرى بيع بالمزاد العلني. والمزايدة على أشدها بين هواة جمع السيارات القديمة الاثرياء:

- ٦٠٠ ألف فرنك.

" ٧٠٠ ألف."

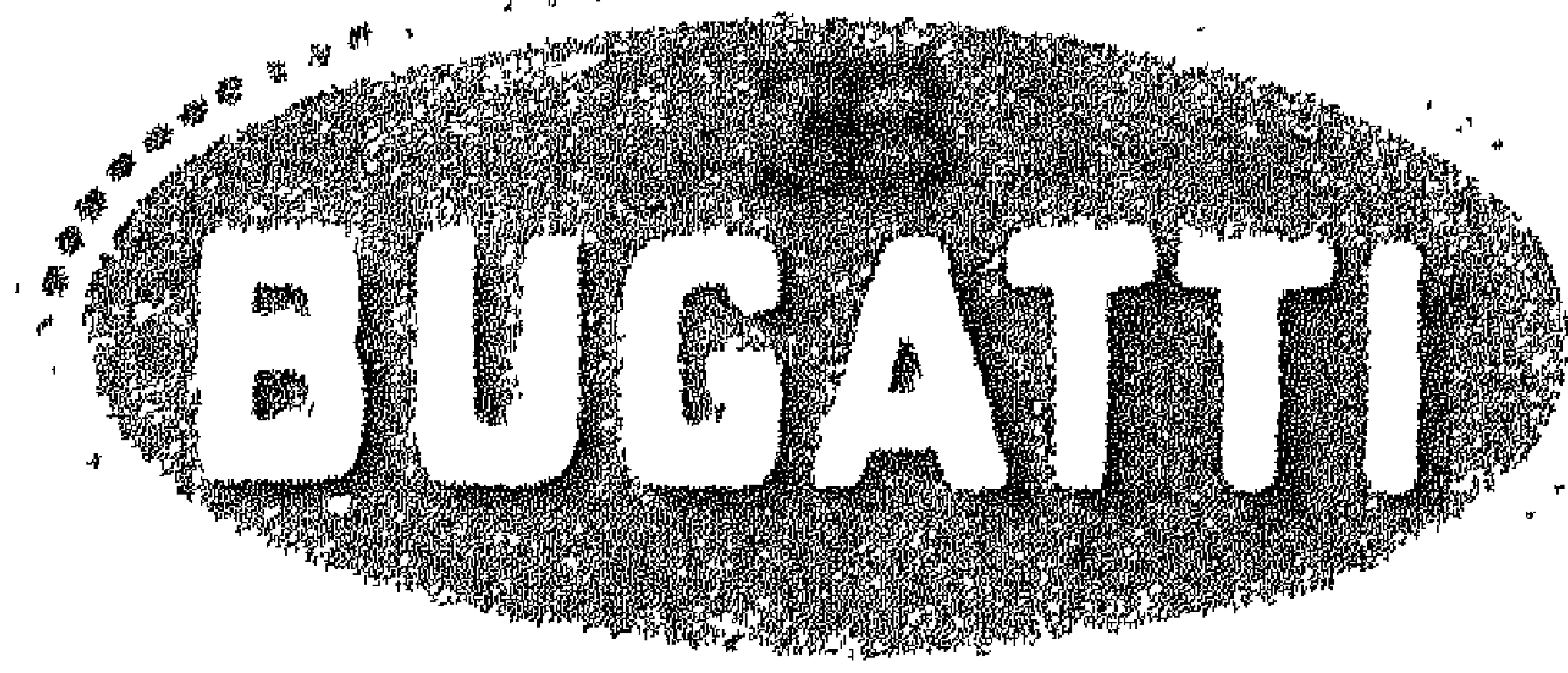
- ٧٥٠ ألفاً.

"هيّا، من يزيد؟ واحد، اثنان..." ثم أهوى الدلّال جان بيار بمطرقته صائحاً: "... ثلاثة." وتم البيع.

الشيء الذي اشتراه هاو باريسي مجهول بهذا المبلغ الخيالي لم يكن لوحة فنية رائعة ولا عقداً من الألماس، بل سيارة سباق "بوغاتي" من العام ١٩٢٦ عرضها الممثل جاك دوفيلو للبيع. وهي بهيكلها الأزرق السماوي ومقدّمها الطويل ومقاعدها الجلدية السوداء وواجهتها الفولاذية المصقولة تحفة فنية في الانسيابية (aerodynamics) والاناقة. ويقول الدلّال هرفي بولان الاختصاصي ببيع السيارات الاثرية: "تلك السيارة من طراز "٣٧ آ" لا يصعب بيعها اليوم بـ٨٥٠ ألف فرنك. ومع ذلك فهي ليست أغلى سيارات"بوغاتي". فسيارة من طراز ٥٥ أو ٥٩ يقدر ثمنها بمليون فرنك(*) على الاقل. والعربة من طراز ٥٠ المصنوعة عام ١٩٣٠ قد تجذب شارين يدفعون ثلاثة ملايين فرنك."

ولكن قبل ٣٠ سنة كان يمكنك ان تشتري سيارة بوغاتي مستعملة بثمن

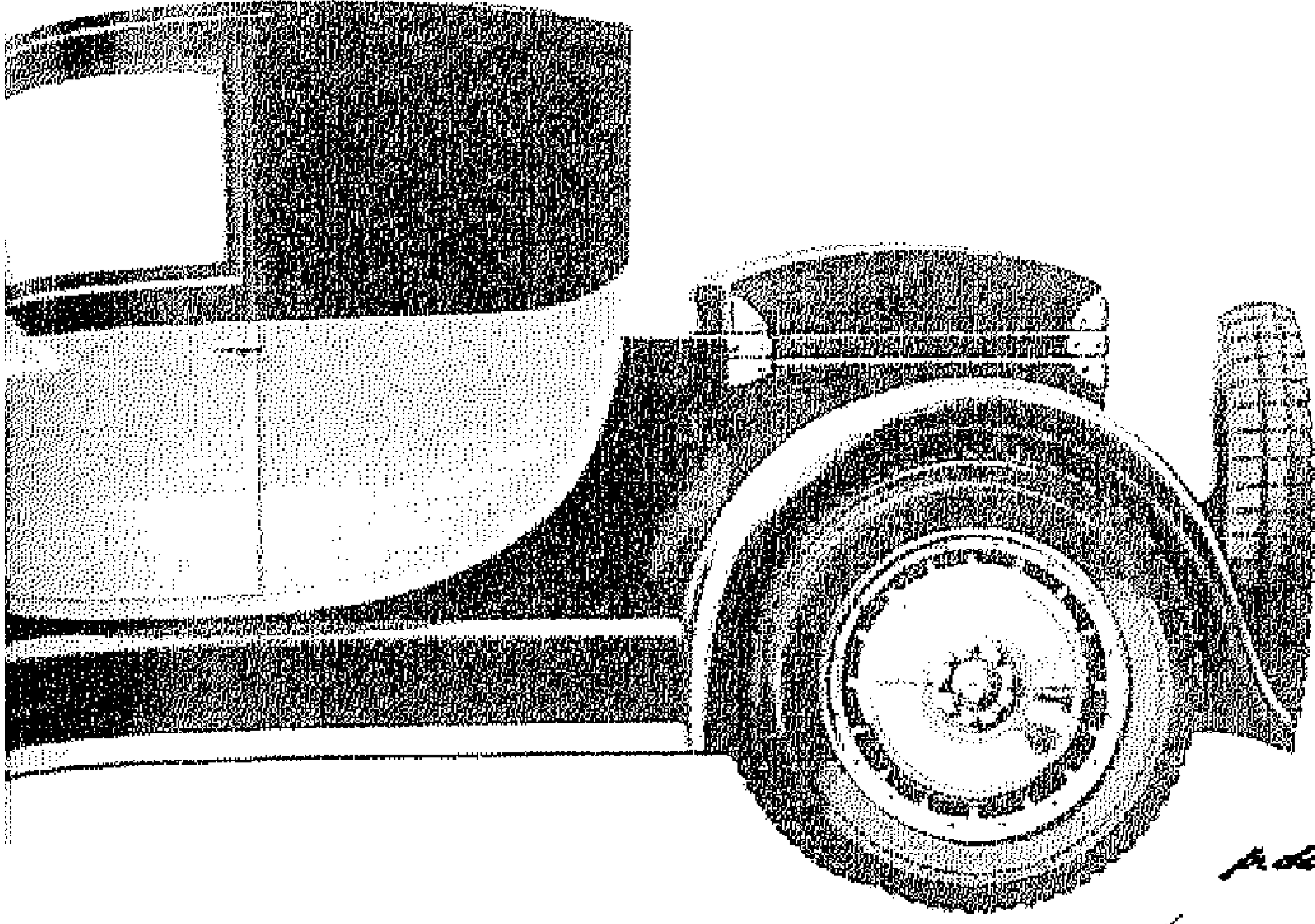
(*) الدولار الامريكي يعادل حاليا نحو ٧،٦ فرنكات فرنسية.



سريعة وأنيقة وجميلة.
تلك هي سيارات إيتوري بوغاتي الرائعة

لم يصنع من طراز "أتلانتيك كوبيه" (١٩٣٨) سوى ثلاث سيارات.

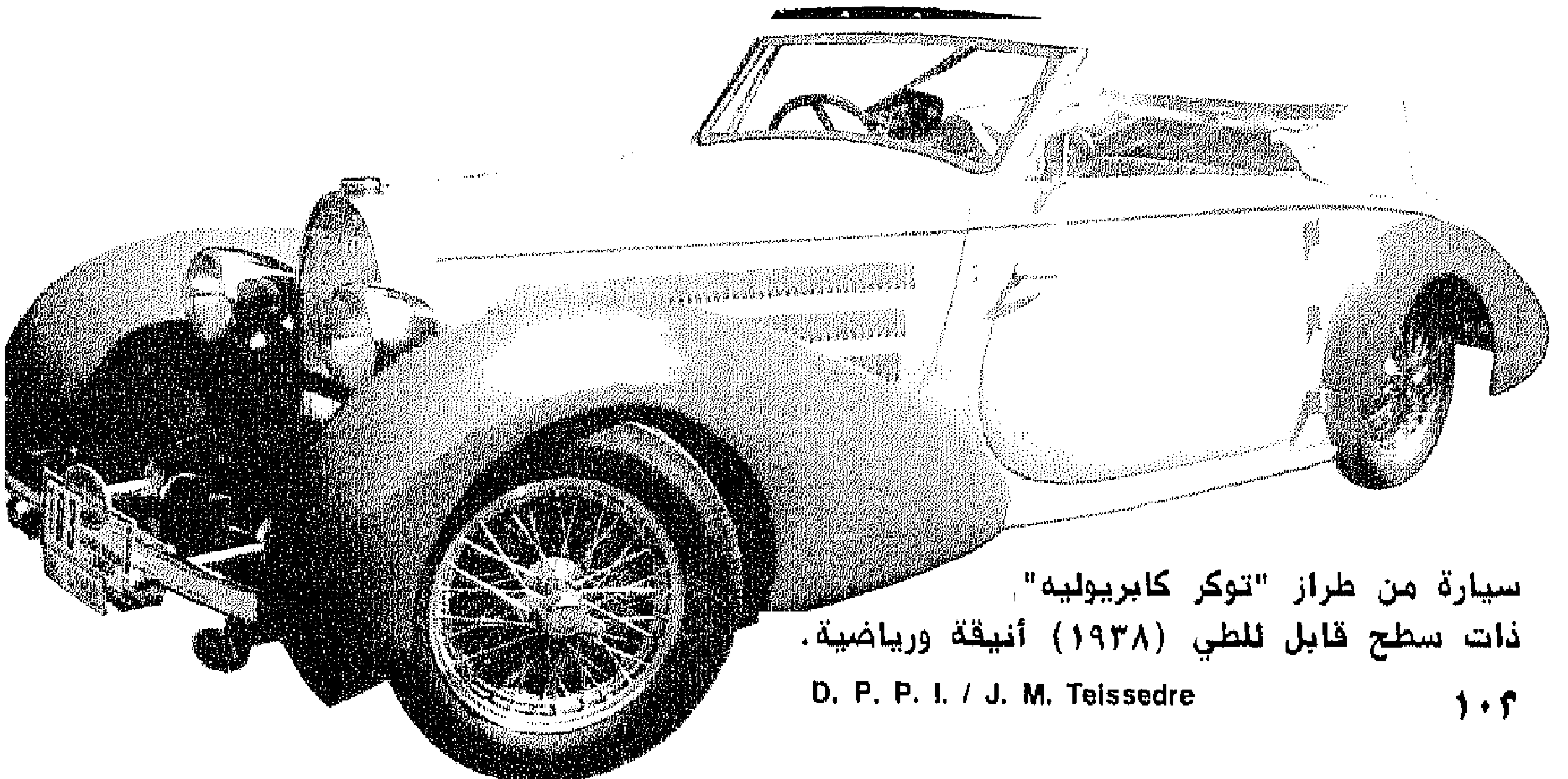
D. P. P. I. / J. M. Teissedre



"رويال" الفخمة أول انموذج من طراز "نابوليون كوبيه" (١٩٢٧)

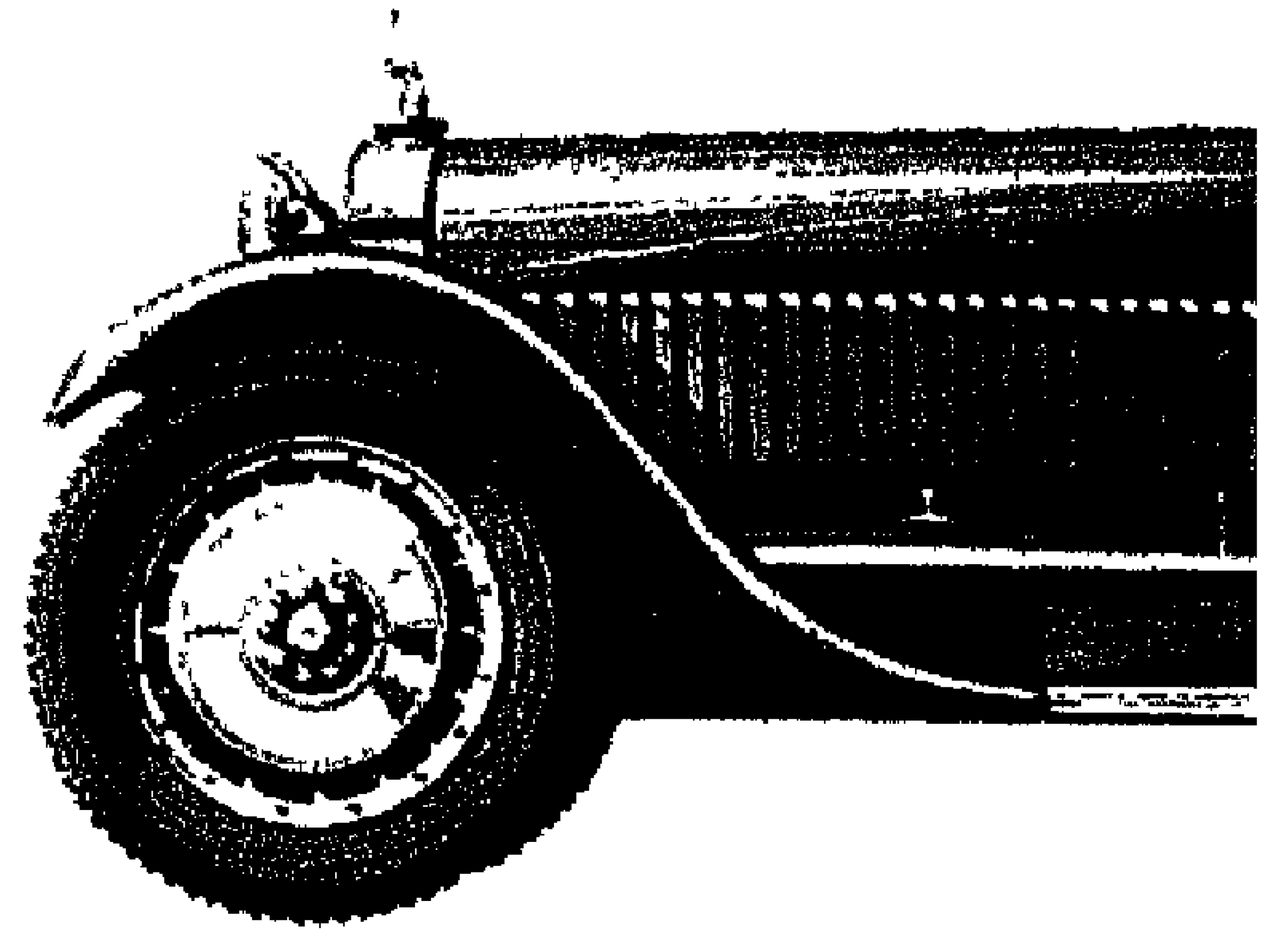
زهيد جدا في تلك الايام اشترى فرنسيس مورتاريني الذي ملك مرأباً لاصلاح السيارات في نوبي - سور - سين، نحو ٤٠٠ سيارة بوغاتي من "مقابر" السيارات ومن المزارعين الذين كانوا يبيتون دجاجاتهم داخلها. وفي أوائل الخمسينات اجرى الهاوي الامريكي بريغز كانينغهام مقايضة مع عائلة بوغاتي، فأخذ سيارتين من طراز "رويال" الافخم في مقابل ثلاجتين وبضعة آلاف من الدولارات. والآن، تعرض في المتاحف خمسون سيارة بوغاتي من تلك التي اشتراها مورتاريني. ويقدّر الخبراء قيمة كل من سيارتي "رويال" اللتين قايض عليهما كانينغهام بنحو ٣٠ مليون فرنك.

ولد ايتوري بوغاتي مبدع هذه السيارات الخارقة في ميلانو بايطاليا عام ١٨٨٠ لعائلة تهوى الفن والتكنولوجيا. وعندما بلغ العشرين من العمر صنع بيديه سيارته الاولى. وكانت مكشوفة وذات مقعد واحد. ونال على هذا الانجاز جائزة من معرض ميلانو العالمي.



سيارة من طراز "توكر كابريوليه"، ذات سطح قابل للطي (١٩٣٨) أنيقة ورياضية.

D. P. P. I. / J. M. Teissedre



Archives E. P. A. / Collection: «Prestige De L'Automobile»

وفي الوقت عينه أخذ يهتم بسيارات السباق وبدأ ينال الجوائز.

دخل بوغاتي عام ١٩٠٤ شراكة مع منتج السيارات الفرنسي إميل ماتيس. وحين اتضح أن هم بوغاتي كان الابداع وهمّ ماتيس الربح فحسب انفصل الشريكان. وفي العام ١٩٠٩ اشترى ايتوري مصنع صباغ مهجوراً في مولشايم بمقاطعة الألزاس. وهناك قدّر له أن يحقق شهرة كمصمم للسيارات الباهرة وصانع لها.

ولدى نشوب الحرب العالمية الاولى فرّ بوغاتي الموالي لفرنسا من مولشايم التي كانت في قبضة الألمان، وانتقل الى باريس حيث طوّر محرك طائرة عسكرية اشترت الولايات المتحدة الامريكية اجازة تصنيعها عندما دخلت الحرب. ولم يرجع بوغاتي الى مولشايم الا بعدما أعيدت مقاطعة الألزاس الى فرنسا.

عيّن بوغاتي ضابطاً في جوقة الشرف تقديراً للخدمات التي قدمها الى الصناعة الفرنسية خلال الحرب العالمية الاولى.

وهكذا بدأت انطلاقته في معارج المجد والتي استمرت ٤٠ سنة. ومما أذهل منافسيه أن أولى السيارات التي صنعها قهرت أفضل ما انتجته شركات السيارات التي اشتهرت قبله في حلبات السباق الرئيسية في أوروبا. وفي العام ١٩٣٠ احتلّت سيارات بوغاتي المراكز الستة الاولى في سباق جائزة موناكو الكبرى، فبزّت سيارات "مرسيدس" و"الفا روميو" و"مازيراتي". وكان هذا الظفر طليعة عشرة آلاف انتصار حققها بوغاتي، بما فيها ٣٦ جائزة كبرى بين ١٩٢٠ و١٩٣٩. وأضحت زرقة سيارات بوغاتي اللون الرسمي لفرنسا في السباقات الدولية.

في الثلاثينات كان اقتناء سيارة بوغاتي رمزاً للجاه مما حدا صانع ثياب فرنسياً وطبيباً ألمانياً على الاسراف في البذخ بشراء سيارة "رويال" يبلغ وزنها ثلاثة أطنان وحجم محركها ١٢،٧ ليتراً وسرعتها ١٦٠ كيلومتراً في الساعة. أما



D. P. P. I.

هذا الطراز "أتالنته كوبيه ٥٧" (١٩٣٨) صممه جان بوغاتي للهواة الاثرياء.

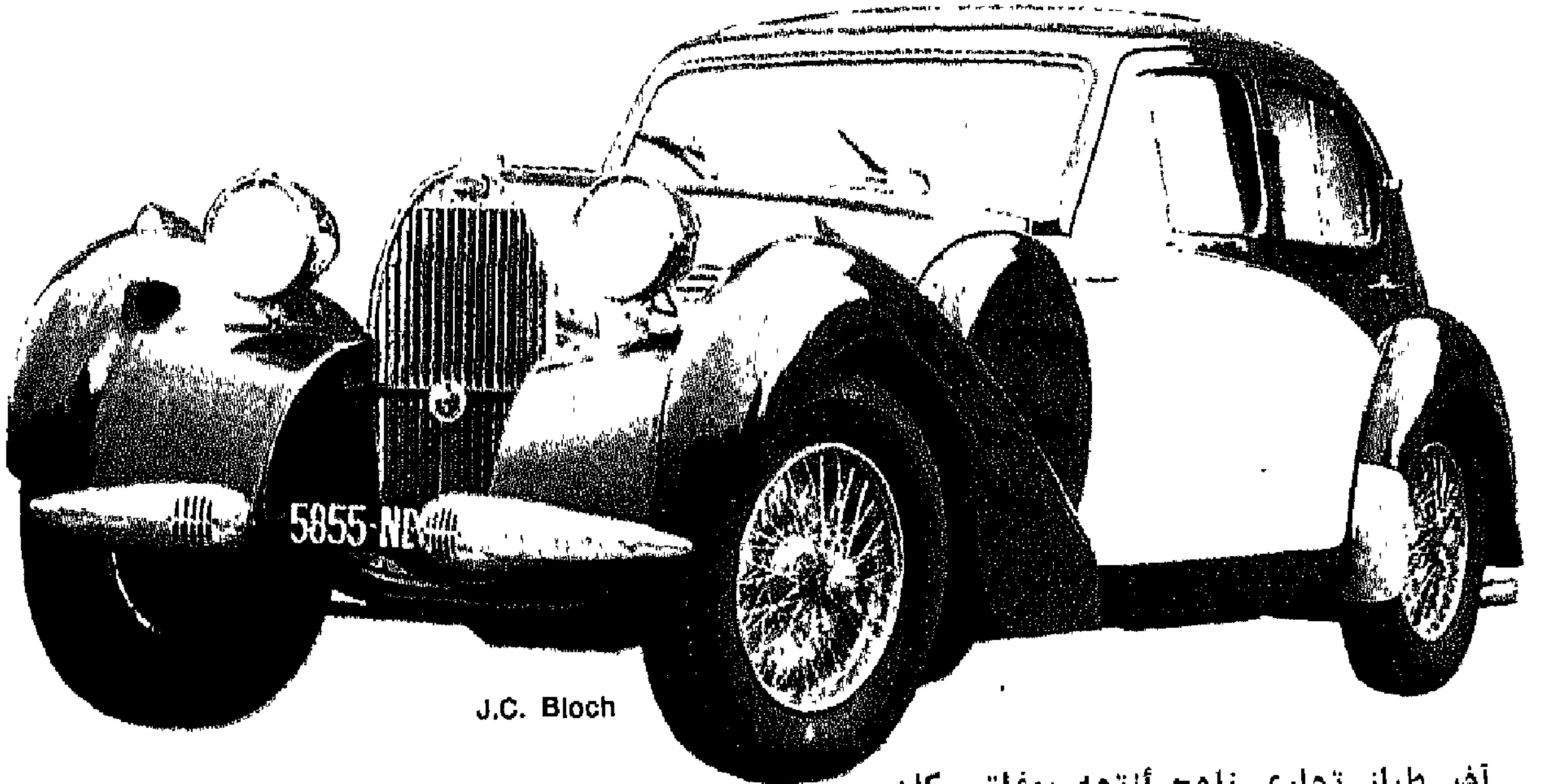
المشاهير الذين اقتنوا طرازات أقل فخامة فمنهم الراقصة ايزادورا دونكان التي اختنقت حين علق لفاعها الطويل بمحور عجلة السيارة والرسام أندريه ديرين والثري الكبير في عالمي العطور والصحافة فرنسوا كوتي والمغني جورج أولمر.

لقبت الطرازات الاولى من سيارات بوغاتي "الجياد الأصيلة". وكان بوغاتي فارساً مبرّزاً كما كان سائقاً من الدرجة الاولى، فاعتبر أن السيارات ينبغي أن تكون سريعة وقوّية وجميلة كجياد السباق، وربما لهذا السبب صمّم لوحة المشعاع (رادياتور) في شكل حدوة حصان. كان يأبى أن يفرّق بين الفاعلية والجمال، وردد دائماً: "السيارة القبيحة لا يمكن أن تكون جيدة." وهو لم ينتج الا ٧٥٠٠ سيارة في غضون ٣٧ سنة أمضاها في هذه الصناعة. ولكن كما ذكر كاتب سيرته بيار دومون: "هذه السيارات هي أصدق تعبير عن الفن مطبّقاً على السيارات."

وأشرف بوغاتي على تصميم الطرازات الاساسية الثلاثة والثلاثين التي أنتجها في مولشايم، بدءاً بأصغر قطعة فيها وانتهاء بأبرز مظاهرها.

ولم يكن بوغاتي مدافعاً عن دقة الصناعة فحسب، بل كان مجدداً مدهشاً. ومن اختراعاته المهمة العجلات ذوات الشفار والكوابح التي تعمل بالزيت. وهو الذي عنت له فكرة عربة قطار تسيّر ذاتياً، فأنتجها واستخدمتها شركة السكك الحديد الوطنية في فرنسا. كما سجل ٣٠٠ براءة اختراع راوحت بين قصب صيد السمك وسفينة مصممة لعبور المحيط الاطلسي في ١٥ يوماً.

في ١٠ أغسطس (آب) ١٩٣٩ نزلت كارثة ببوغاتي العظيم اذ قضى ابنه جان في حادث وهو يختبر احدى سيارات الشركة.



آخر طراز تجاري ناجح أنتجه بوغاتي كان الطراز ٥٧، كسيارة الليموزين "غاليبييه" الفخمة هذه من العام ١٩٣٨.

وبعد ثلاثة أسابيع اندلعت الحرب العالمية الثانية. وحين احتل الألمان مصنع مولشايم للمرة الثانية أنشأ بوغاتي مصنعاً في بوردو لانتاج قطع غيار الطائرات. وانتقل بعد ذلك الى باريس وأسس مكتباً سرياً للتصميم الصناعي. وحين وضعت الحرب أوزارها عاد بوغاتي اليائس الى مولشايم وحاز الجنسية الفرنسية عام ١٩٤٦ كي يتسنّى له رفع دعوى لاسترجاع مصنعه. لقد مات ابنه وقضى اثنان من أفضل سائقيه في معسكرات الاعتقال النازية وأخذت سيارات بوغاتي تفقد شعبيّتها. وأصبحت المواد الأولية نادرة حقاً ولم يعد ثمة مجال للترف في نظام التقشّف الذي التزمته فرنسا بعد الحرب، غير أن النسيان الذي طوى سيارات بوغاتي كان عجيباً. وأصيب بوغاتي الواهن القوى بالانفلونزا، وتوفي في ٢١ اغسطس (آب) ١٩٤٧. وفي العام ١٩٥٥ صنعت آخر سيارات بوغاتي.

يؤلف مالكو سيارات بوغاتي اليوم "عصبة" دولية تضم نحو ٢٥٠٠ عضو. وفي العام ١٩٨١ احتفل بالذكرى المئوية لمولد ايتوري فنظم سباق سيارات اجتذب ١٥١ سيارة بوغاتي من ١٥ بلداً. ولا يزال معظم سيارات بوغاتي القديمة صالحاً للعمل على نحو مدهش. فسيارة من طراز ٣٨ مصنوعة عام ١٩٢٧ يمكن أن تبلغ سرعتها ١٣٠ كيلومتراً في الساعة وداخلها ثلاثة ركاب على رغم أعوامها الثمانية والخمسين. ويقول فرنسيس مورتاريني: "أي سيارة عادية اليوم يمكنها ان تنطلق بمثل هذه السرعة. لكن رؤيتك وراء مقود بوغاتي تساوي مشاهدتك شابكاً ذراعك بذراع نجمة سينمائية."

بعضهم أوصلهم ولعهم بسيارات بوغاتي الى الافلاس. فصانعا الاقمشة السويسريان هانز وفريتز شلومب خرّبا أعمالهما بشراء مئات السيارات التقليدية القديمة بما فيها ١٢٣ من "جياد" بوغاتي. ومجموعتهما معروضة الآن في المتحف الوطني للسيارات في مولهاوس بالرين الأعلى.

ويقدر الخبير البريطاني هيو كونواي أن ثمة ما بين ٣٠ و٥٠ سيارة بوغاتي لمّا يعثر لها على أثر بعد. وقد يكون معظمها لا يزال في فرنسا في سقائف مغمورة في الضواحي أو المزارع. والأروع بين هذه الكنوز المخبوءة سيارة سباق من طراز ٥٤ قادها مرة مارسيل ليهو. ويروى أن صاحبها دفنها في قبر سري من الاسمنت قبل ذهابه الى الحرب عام ١٩٣٩. ومات الرجل في معسكر اعتقال. وكل ما يعرف حتى الآن هو أن هذه الرائعة لا تزال مدفونة في مكان ما في جوار شاتو - تييري بمقاطعة اين.

فاذا حالفك الحظ وأصاب رفشك هذه السيارة المدهشة التي تبلغ قوتها ٣٠٠ حصان ناري وتصل سرعتها الى ٢٥٠ كيلومتراً في الساعة، فستحظى بثلاثة ملايين فرنك في شكل سيارة قديمة. لكنك تحظى كذلك برائعة جاءت نتيجة اقتران الفن بالتكنولوجيا والخيال بحب الكمال. وقد لا تتخلّى أبداً عن هذه التحفة وان في مقابل ثروة طائلة.

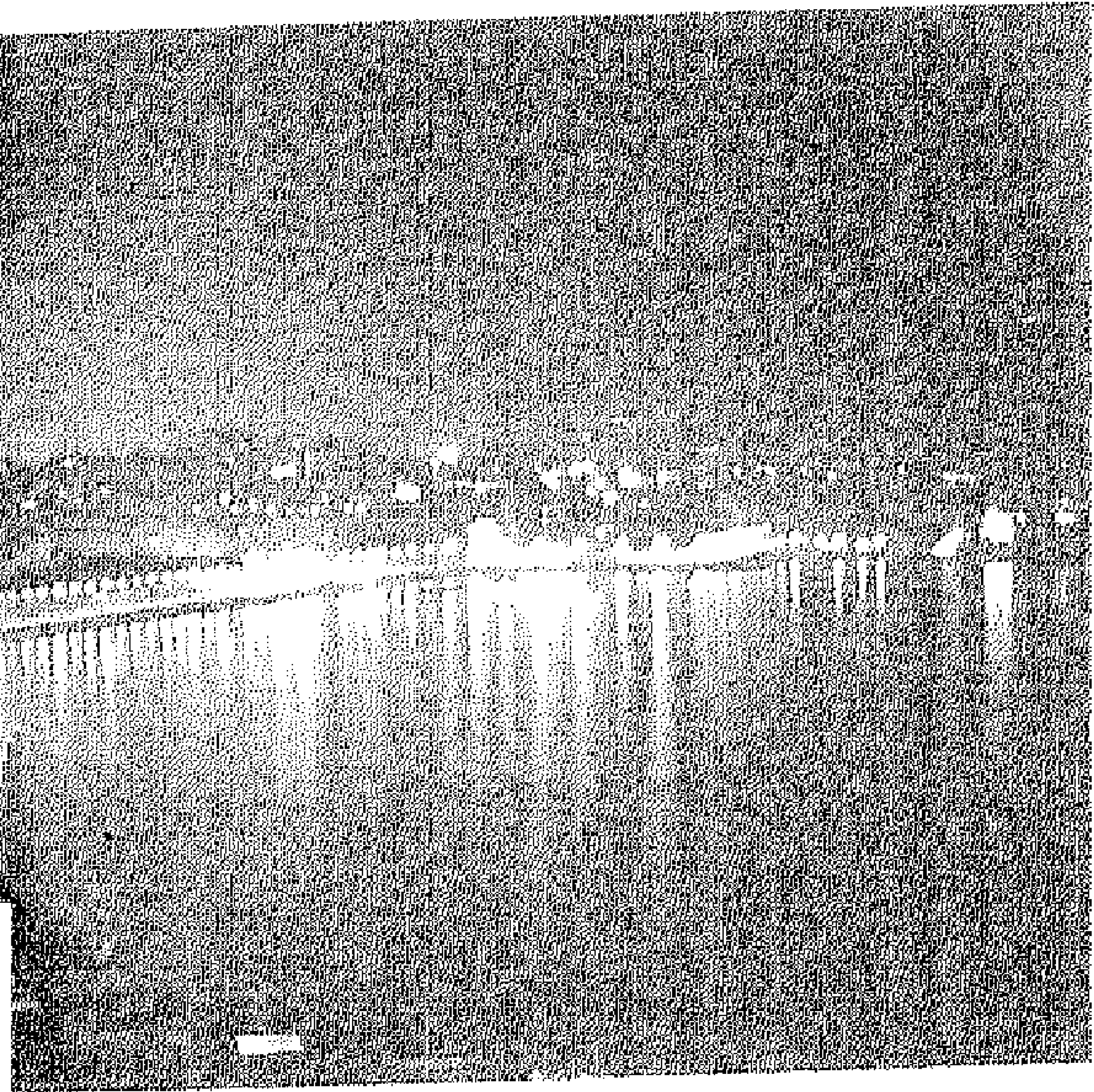
نيكولا بولان ■

تنظيف المتوسّط مَهمّة عربيّة ودوليّة

عام ١٩٥٩ دق جاك كوستو ناقوس الخطر: "البحر الابيض المتوسط يموت." فبينما كان يغوص قبالة شاطىء فرنسا الجنوبي وجد صحراء بحرية كانت قبل سنوات قليلة مكتظة بالسمك والنبات. وأنحى باللائمة على السموم التي تأتي من المجمعات المدينية والصناعية القريبة من البحر.

بلوَرَ كوستو اهتماماً شعبياً متزايداً بتلوث بحار العالم ومحيطاته. ففي الستينات حوّلت الزيوت والكيميائيات ومقذوفات المجاري مناطق عدة في البلطيق برَك أوساخ سامة. فالمعادن الثقيلة والمبيد "د.د.ت." تجمعت في السمك والاصداف من المحيط الاطلسي الى بحر الصين، مما تسبب في نفوق أعداد هائلة من الطيور التي تقتات عليها وفي تسميم أناس كثيرين.

والتلوث كثيراً ما يكون قرب البحر، ومعظم طعامنا البحري مأخوذ من مساحة في نطاق ٣٧٠ كيلومتراً من اليابسة. وملايين الناس يستحمون في المسابح. ولكن في هذه المناطق الساحلية ذاتها لا تزال البلدان تلقي بأقذار مجاريها في المحيط. وعلى سبيل المثال، لا يُعالَج من الروث المرمي في البحر الكاريبي سوى عشرة في المئة. ونصف الملايين



Fred M. Dole / FPG, Naples

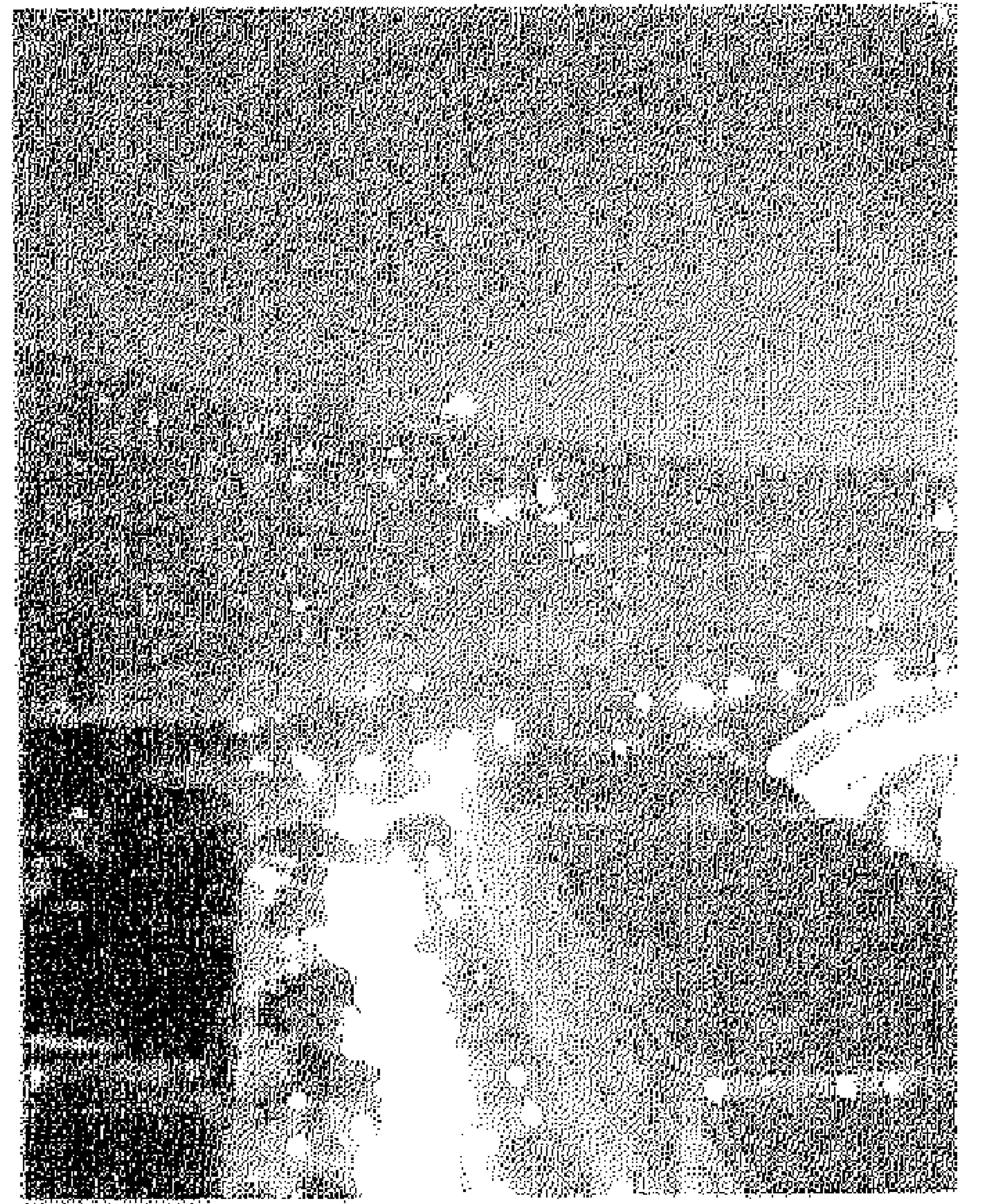
المنظر الليلي الفتان في نابولي الذي يتذكره السياح يناقض التلوث الشديد الذي يهدد مياه المتوسط.

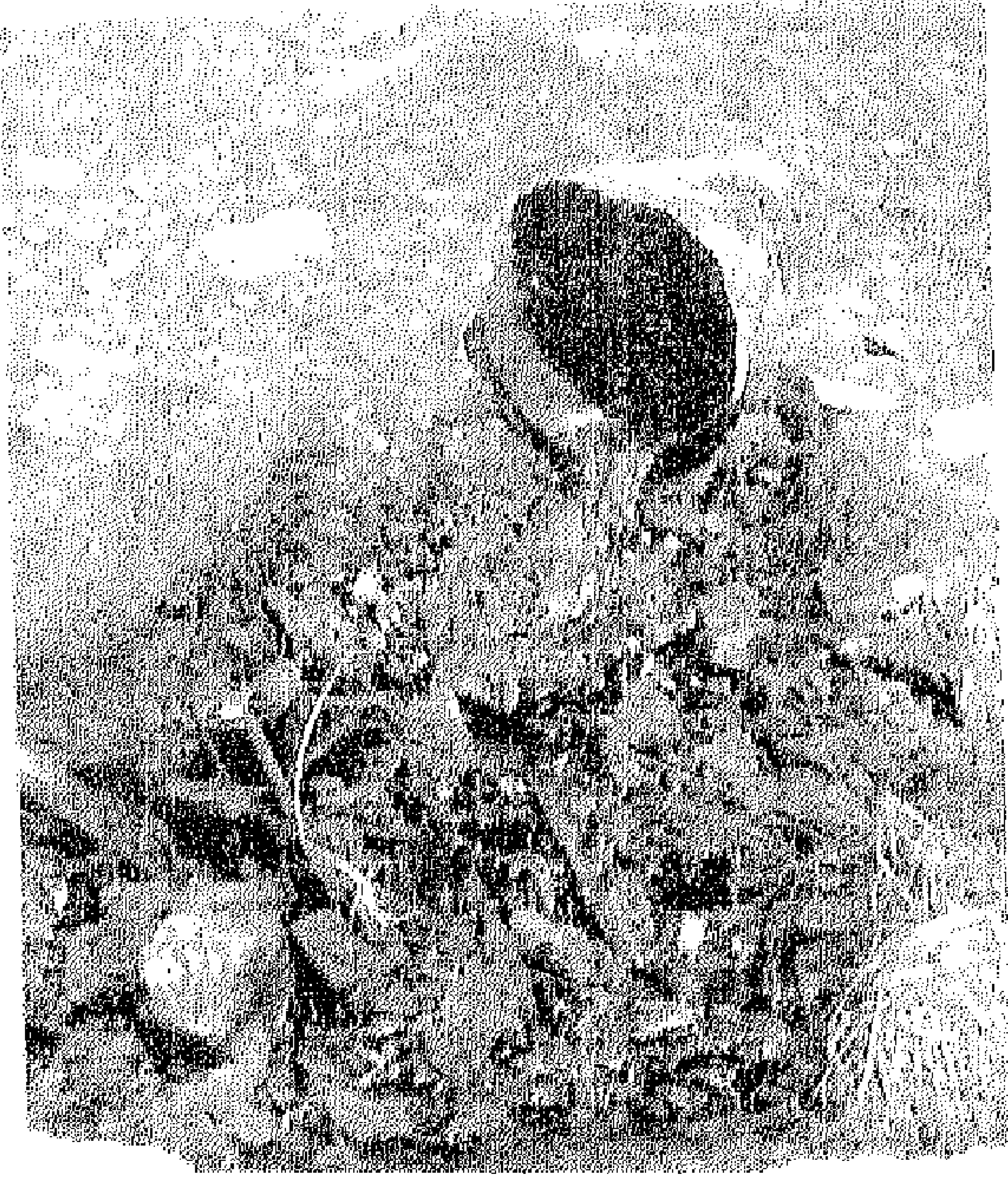


عالم الحياة البحرية ستجيبان كيكس
يدير مركز نشاطات برنامج المحيطات
والمناطق الساحلية.
United Nations Environment
Program, Geneva

جعل التلوث من الابيض المتوسط أحد أقذر البحار في العالم.
والدول العربية السبع الواقعة على شواطئه
مدعوة مثل غيرها الى كبح هذا الخطر وحماية البيئة البحرية.
والخطة الكويتية تعتبر الاكثر تقدماً في هذا الشأن

Giansanti / Sygma





مليارات الاطنان من الاقذار تطرح سنوياً في البحر الابيض المتوسط.

التسعمئة والخمسين الذين يعيشون في البلدان المحاذية للمحيط الهندي لا يفيدون من شبكات المجاري.

الحكومة الاسوجية التي تنبهت للاخطار المتزايدة على البيئة دعت الى مؤتمر دولي عاجل هو الاول من نوعه للاهتمام بالتلوث على نحو شامل. وفي يونيو (حزيران) ١٩٧٢ اجتمع في استوكهولم عاصمة أسوج (السويد) ممثلون عن ١١٣ دولة. وبدا هذا اللقاء أشبه بأي اجتماع عاصف للامم المتحدة، لكنه توصل الى اجماع مدهش سرعان ما تحول عملا.

مهمة شاقة - أول انجاز رئيسي نتج من لقاء استوكهولم كان انشاء برنامج الامم المتحدة للبيئة (UNEP) الذي تعاقد مع عالم بارز بالحياة البحرية هو اليوغوسلافي ستجيبان كيكس. هذا العالِم ساعد على تأسيس "مركز نشاطات برنامج المحيطات والمناطق الساحلية" وأصبح في ما بعد مديراً له. ومهمة كيكس تنظيف الشواطىء والمياه الساحلية في أكثر من مئة بلد وايجاد الطرق الكفيلة بوقايتها.

كان كيكس الرجل المثالي للقيام بهذه المهمة. وكعالم من دولة غير منحازة كان موضع ثقة الجميع. وهو خبير بالبحر الابيض المتوسط الذي أعطي الاولوية كأحد أكثر بحار الارض تلوثاً. كما انه ديبلوماسي لبق، وهذه صفة لا تثمن لمن عليه أن يتصل بالدول ويملقها ويقنعها بالعمل المشترك، خصوصاً أن بين بعضها عداوة دم.

ومع أن المتوسط يغطي أقل من واحد في المئة من المساحة البحرية في الارض فهو ملوث بعشرين في المئة من النفط العائم في العالم. وهو يكاد يكون منغلقاً، وليس فيه حركة مد وجزر تذكر. أما مياهه فتحتاج الى أكثر من ثمانين سنة لتتجدد عبر مضيق جبل طارق. وتعج شواطئه بالسكان المتزايدين الذين يفوق عددهم مئة مليون، يضاف اليهم مئة مليون زائر سنوياً هم ثلث سياح العالم. ويشحن عشرون في المئة من نفط العالم عبر المتوسط، وتقذف اليه مليارات الاطنان من الاقذار المنزلية سنوياً اما مباشرة واما عبر الانهار من مدن مثل برشلونة ومرسيليا وروما ونابولي وأثينا والقاهرة والاسكندرية وتونس والجزائر. وألوف الاطنان من المعادن والكيميائيات تنفث في الهواء أو تصب في المتوسط من المجمعات الصناعية الضخمة في فرنسا وايطاليا واسبانيا وسواها.

ان اقناع الدول الثماني عشرة(١) الواقعة على امتداد المتوسط بالمساهمة في رد الاعتبار الى بحرها مهمة شاقة. وقد قال بيتر تاتشر النائب السابق للمدير التنفيذي لبرنامج الامم المتحدة للبيئة: "اذا تمكن البرنامج من النجاح في مثل هذه المنطقة الصعبة سياسياً، ففي وسعه ان يكون فاعلا في أي بحر."

ميراث مشترك – عام ١٩٧٥ دعا برنامج البيئة الدول المتوسطية الثماني عشرة الى اجتماع في برشلونة للبحث في خطة عمل لتنظيف البحر. وهنا تجلت صعوبة اقناع الدول بالاتفاق على ما يجب أن تفعله.

عرض كيكس المشاكل صراحة مركزاً على خطورتها الاقتصادية التي لا تقبل الشك. قال: "الشعوب المتوسطية تعيش على السياحة وصيد الاسماك وخدمات الشحن، فعليها اذاً أن تنقذ بحرها من التلوث. ولا مفر لها من ذلك. وكلما تباطأت في هذا المسعى ازدادت الكلفة."

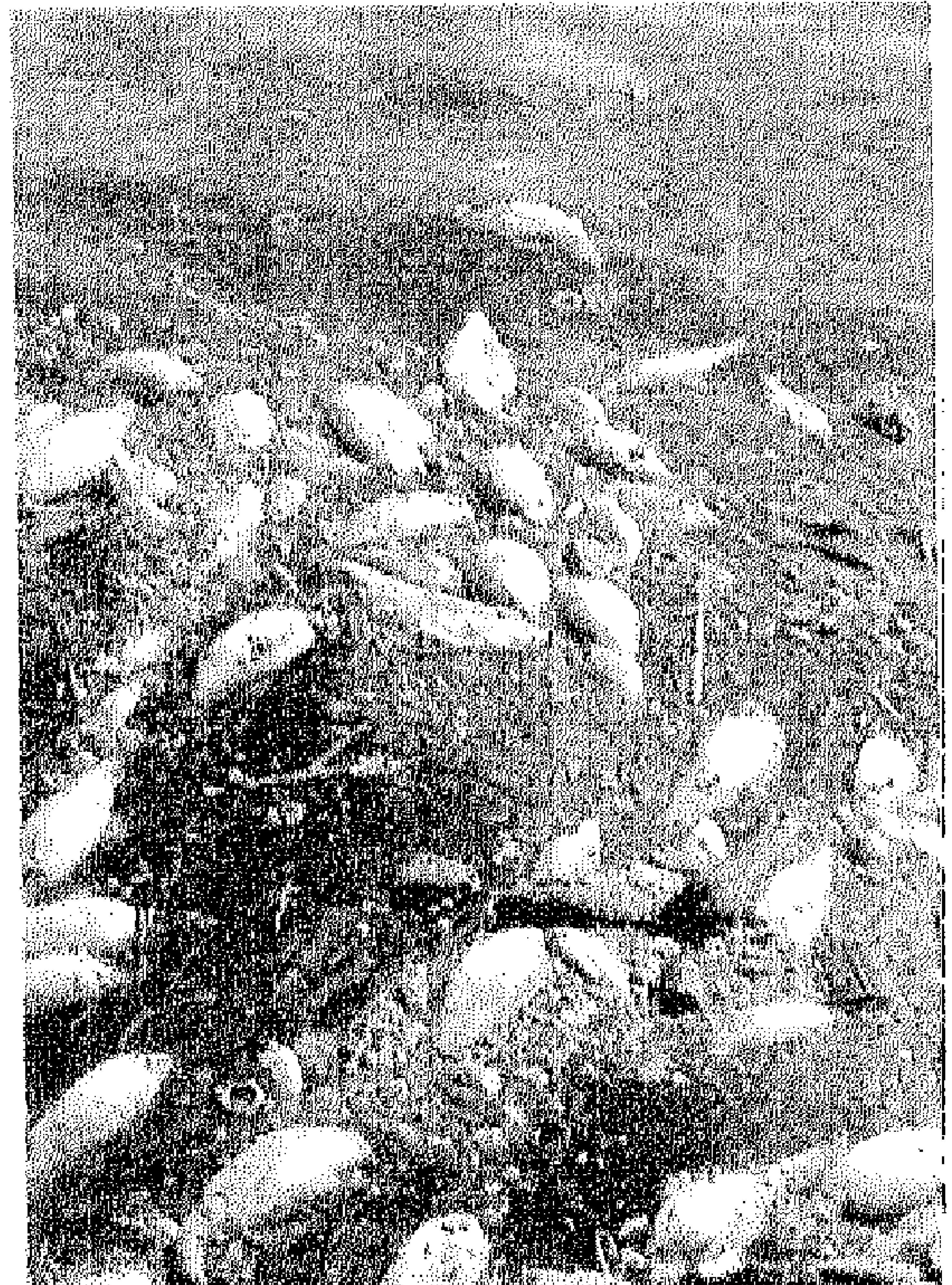
ونجح العرض.

الاتفاق المتوسطي الاساسي تم تبنيه عام ١٩٧٦، ومنذ ذلك أبرمته ١٧ دولة اضافة الى المجموعة الاقتصادية الاوروبية. وهو يتحمل "مسؤولية حفظ الميراث المشترك الاقتصادي – الاجتماعي – الصحي – الثقافي لحوض البحر المتوسط ووقايته من خطر التلوث لمنفعة الاجيال الحاضرة والمقبلة."

البروتوكول الاول الملحق بالاتفاق والذي أبرمته هذه الدول يحظر رمي المواد المدرجة في "اللائحة السوداء"، كالزئبق، وينص على وجوب الحصول على ترخيص لرمي مواد معينة مدرجة في "اللائحة الرمادية" بما فيها الزرنيخ والفاناديوم والزنك.

اما البروتوكول الثاني الذي أبرمته الدول ذاتها والمتعلق بالتعاون لمكافحة تلوث المتوسط بالنفط فأسفر عن تأسيس "المركز الاقليمي لمكافحة التلوث بواسطة النفط" في جزيرة مانويل بمالطا. وهذا هو المرفق الاول في العالم لحماية بحر بكامله.

اما مبنى المركز الرمادي المؤلف من طبقتين فهو أقل انهماكاً من مبنى اطفائية وسط النار. لكن ذلك دليل خير، اذ ان السنوات التسع الاولى شهدت انذارات قليلة ولم تعرف اي كارثة.


Alain Nogues / Sygma

لما كان صيد الاسماك صناعة متوسطية رئيسية، فان الجهود تبذل لمنع ظهور مشاهد كهذا الشاطىء الفرنسي.

---

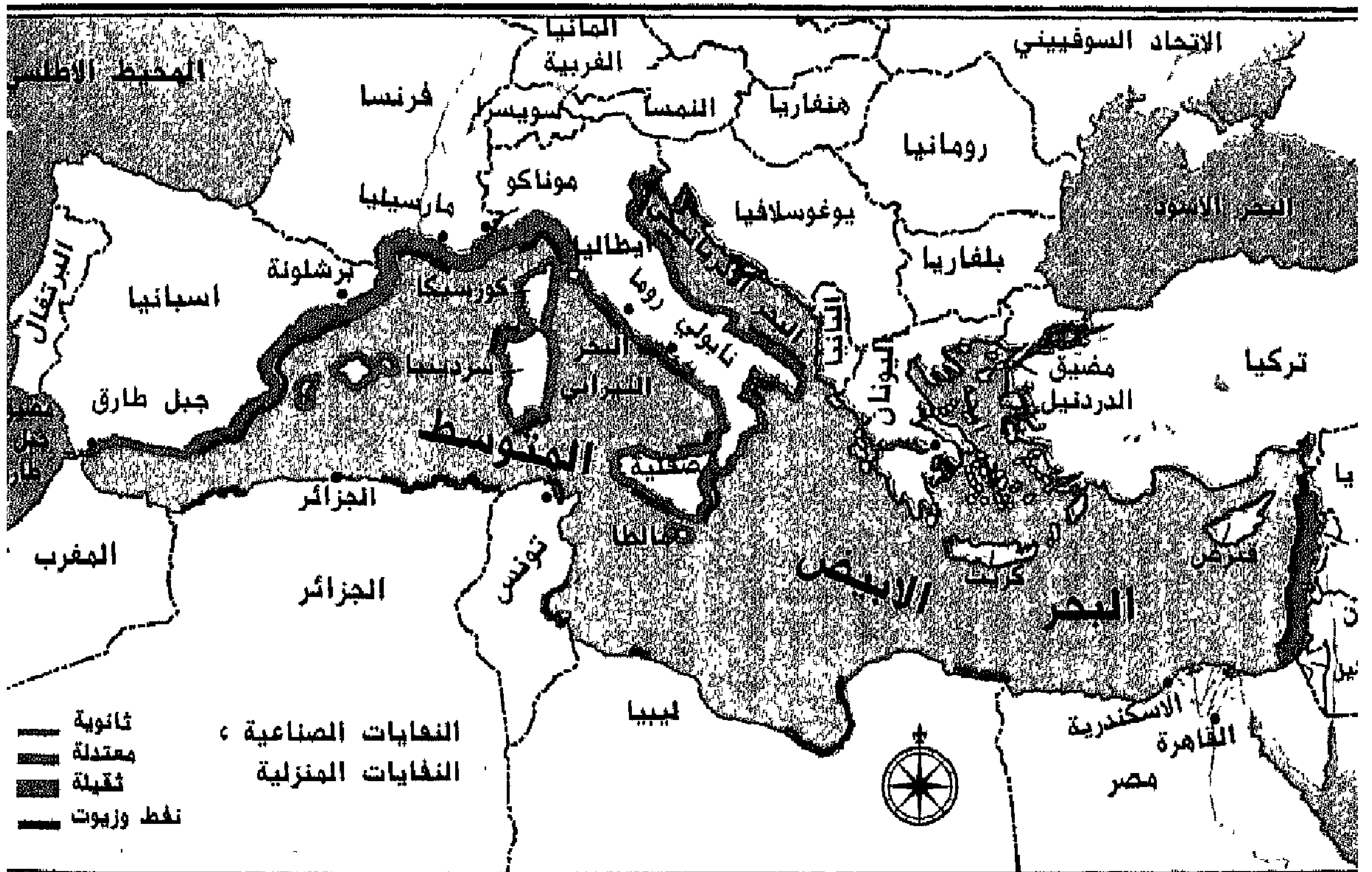
(١) اسبانيا وفرنسا وايطاليا وموناكو ومالطا ويوغوسلافيا وألبانيا واليونان وتركيا وقبرص وسوريا ولبنان واسرائيل ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

والبروتوكول الثالث هو الاشد تصلباً اذ يعالج القسم الاكبر من التلوث (٨٥ في المئة) والآتي من اليابسة. وعلى الدول المشتركة في البروتوكول دفع نفقات تقدر بين ١٠ مليارات دولار و١٥ ملياراً خلال السنين العشر المقبلة. وتعهدت الدول السبع التي أبرمت هذا البروتوكول، وبينها الدول الاكثر تلويثاً، اضافة الى مجموعة الدول الاوروبية، وضع أجهزة مضادة للتلوث في مصانع قائمة حالياً وفي ما سيشيد من مصانع مستقبلية، كما تعهدت تطوير معامل النفايات القائمة وبناء معامل جديدة، ومد الانابيب لجر الاقذار الى المياه العميقة بعيداً عن الشاطىء. ومن المعلوم أن المعالجة الكيميائية للنفايات تقتل جراثيم المرض. وما تبقى يصبح قابلا للانحلال خلال أيام قليلة، أما في المياه العميقة فيتحول غذاء للنبات والاسماك.

أخطار خفية – ان كيكس، وقد أنجز كل هذا في وقت قصير نسبياً، برهن عن مقدرة فائقة على اقناع الدّ الاعداء بالتعاون الفاعل. ففي هذه الايام يتلاقى في المركز موظفون عراقيون وايرانيون كبار ويبحثون في شؤون البيئة بينما بلداهم في حال حرب.

العنصر الاساسي في مكافحة التلوث هو معرفة نوعه ومصدره وتأثيره. ومما يجدر ذكره انه عندما بدأت خطة البحر الابيض المتوسط لم يكن هناك سوى مختبرات قليلة مجهزة بشرياً ومادياً لجمع المعلومات. أما الآن فهناك ٩٠ مختبراً في ١٧ دولة، جميعها مرتبطة بشبكة عمل برنامج البيئة التي تزود مكافحي التلوث المعلومات الاساسية المدهشة او المريعة ليعملوا في ضوئها.

من ذلك أن ٣٠ في المئة من زيوت المتوسط التي لوثت شواطىء كثيرة، لا



تأتي من ناقلات النفط وانما من مصادر داخلية بما فيها السيارات. فزيوت ملايين المحركات التي تغير على الدوام تطرح في المجاري التي تصب في البحر.

وهناك اكتشافات اخرى. فنحو ٨٥ في المئة من نفايات المتوسط لا تعالج. وأخطر ما يتعرض له السابحون وآكلو الاصداف ليس الاقذار المرئية أو ذات الروائح الكريهة، وانما الجراثيم غير المرئية. لذلك نجد ان نحو ربع الشواطىء في ١٤ بلداً متوسطياً على الاقل غير آمن للسباحة. وكل الشواطىء التي تربى فيها الاصداف في الدول الأربع التي فحصتها هي ملوثة. ومما يلاحظ أن البحر الابيض المتوسط لم يعد أكثر تلوثاً من البحار الاخرى بالاشعاع الذري والمعادن السامة والكيميائيات (باستثناء بعض المناطق الساحلية الساخنة) ولا يزال دون مستوى الخطر.

مسابح نظيفة! - الدمار الذي أبرزه كوستو ناتج من التلوث "الميكانيكي" مثلما هو ناتج من السموم الصناعية. ففي السنوات الاخيرة شيدت على شاطىء فرنسا الجنوبي وعلى شاطىء اسبانيا ألوف الابنية السكنية والفنادق والمنتجعات، وصب الاسمنت ورفعت الدعائم مما غيّر وجه الشاطىء وأتلف مواضع تكاثر الاسماك والنبات.

الدولة المثالية في مراقبة التلوث هي فرنسا، اذ لها وزارة خاصة بالبيئة وشبكة عمل من ٤٣ محطة ساحلية تراقب البحار ليل نهار، ومنها ١٥ محطة على شاطىء المتوسط. لكن النمو الصناعي في خليج "ايتان دو بير" الواقع على المتوسط والمحصورة مياهه الا من فتحة ضيقة تصب في البحر قرب مرسيليا، جعل هذه المنطقة من أكثر سواحل العالم تلوثاً. فمصافي النفط والمصانع البتروكيميائية تنفث سحباً من الغاز في الهواء وتقذف كيميائياتها الى البحر، حتى بات أكل ثمار البحر شبيهاً بلعبة الروليت الروسية(٢).

وعام ١٩٧١ بعدما قررت فرنسا زيادة مشاريع التنمية على خليج فوس المجاور كانت تعليمات السلطة العمل على خفض تلوث المياه في المنطقتين بنسبة ٩٠ في المئة وخفض تلوث الهواء الى مستوى مقبول، وذلك خلال خمس سنوات. فاضطرت المصانع القائمة هناك الى اتخاذ ترتيبات تقضي بتكرير المواد واعادة استعمالها وادخال أجهزة للتنقية. أما المصانع الجديدة فأجبرت على اعتماد أجهزة لمراقبة التلوث.

كلف تنظيف شاطىء فوس - ايتان دو بير مليار فرنك فرنسي (نحو ١٣٥ مليون دولار) ساهمت في دفعها المصانع والمنظمات الاقليمية. وهكذا خفضت مشكلة التلوث وحصرت ولم يعد المرء يحتاج الى السفر بعيداً عن المجمعات الصناعية الهائلة ليجد مسابح نظيفة.

برامج اقليمية - الى المتوسط، يعمل برنامج الامم المتحدة للبيئة في عشر مناطق بحرية هي: منطقة الكويت،

(٢) في لعبة الموت هذه توضع رصاصة واحدة في ماسورة المسدس، وتدار الماسورة. ثم يضغط اللاعب الزند فيكون حظه الموت او الحياة.

افريقيا الغربية والوسطى، البحر الكاريبي، بحار آسيا الشرقية، بحار آسيا الجنوبية، جنوب شرق المحيط الهادىء، جنوب المحيط الهادىء، البحر الاحمر وخليج عدن، افريقيا الشرقية، جنوب غرب المحيط الاطلسي. وقد وقعت ١٣٠ دولة مستقلة اتفاقات تبنت مجالسها الوطنية عدداً منها كقوانين محلية. وتهدف هذه الاتفاقات الى تنظيف ألوف الكيلومترات من المناطق الساحلية وحمايتها.

منطقة الكويت، ببرنامجها البحري الاقليمي الأكثر تقدماً بعد برنامج البحر الابيض المتوسط، أحرزت نجاحاً مهماً في وضع خطة لضبط التلوث الناتج من اليابسة في ثماني دول(٣). وتقضي أهم مواد الخطة بفرض قيود على طرح الكيميائيات الخطرة. وعقد حديثاً في المنطقة اجتماع موسع للعلماء بغية ايضاح دقة تخطيط الدماغ الالكتروني لقاع البحر الذي يتيح التكهن بحركة بقع النفط الطافية.

أما خطة البحر الكاريبي التي تشمل ٢٨ دولة، اضافة الى المجموعة الاوروبية، فلديها مشاريع رئيسية عدة قيد التنفيذ، ومنها تنظيم اعمال الطوارىء في حوادث اندلاق النفط وحماية الانظمة البيئية (ecosystems) الهشة (كمستنقعات شجر المنغروف والحيود البحرية المرجانية) والحفاظ على الاجناس المعرضة لخطر الانقراض (كالسلاحف البحرية) ودراسة تلوث المياه الساحلية ومراقبته.

أما دول منطقة افريقيا الغربية والوسطى الثلاث والعشرون فمنح بعضها بعضاً امتيازاً غير عادي: حق الاسطول الحربي في المطاردة "الساخنة" للبواخر الملوثة، بحيث تستطيع القطع البحرية لاحدى دول المنطقة مطاردة كل باخرة تسبب التلوث وتوقيفها في المياه الاقليمية لجارتها.

كثيراً ما ترمى الامم المتحدة بالعقم، ومع ذلك فعشرات الدول، في ظل برنامج الامم المتحدة للبيئة ومركز نشاطات برنامج المحيطات والمناطق الساحلية، تعالت على خلافات ونزاعات خطيرة لتجتمع بهدف حماية بيئتها المشتركة. لقد اعتبر برنامج البيئة أحد الانجازات التتويجية للامم المتحدة، واعتبر مركز النشاطات جوهرة مشرقة في التاج.

ولتر روس ■

(٣) البحرين والعراق وايران والكويت وقطر وعُمان والمملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة.

كتاب للشاطر

روى أستاذ في احدى الجامعات الامريكية حديثاً جرى بينه وبين أحد طلابه. قال الاستاذ: "يا عزيزي انك تسقط في الامتحان للمرة الثالثة، وفرصتك الاخيرة للنجاح بعد ثلاثة أسابيع."

أجاب الطالب: "أعرف يا أستاذ. هل تعتقد أني تأخرت كثيراً في شراء الكتاب؟"

س.ب.

سقط المغامر جريحاً في الوادي المنعزل وبات مهدداً بالغرق مع أول زخة مطر

سَجينُ الــواديـ

عالياً على الجبل الاسكوتلندي وقف تون بيترز البالغ الثانية والثلاثين من العمـر يستمتـع بـالجمـال الطبيعي للمرتفعات الغربية. وبخطوات رياضيّ نفذ في خط مستقيم الى الجانب الوعر من باين نان ايفينان.

نظر الى ساعته. كانت الثالثة من يوم الجمعة الواقع فيه الثالث من اغسطس (آب) ١٩٨٤. وكان أستاذ الرياضيات الناحل الرشيق العازب من ألكمار في هولندا يهدف الى تسلق مرتفع باين نان ايفينان والقمة المجاورة بن ستاراف قبل أن يُخيِّم للمبيت.

بعد عشر دقائق وجد تون طريقه مسدودة بوادٍ عمقه ١٢ متراً. ورأى شلّال ماء يهوي الى الوادي يغذّيه جدول ضحل يستطيع اجتيازه. وراح يرتقي الهضبة. صعد حافة الوادي الى حيث المجاز. وفجأة أحس الارض تميل تحت قدميه. وانهارت طبقة رقيقة من الخلنج والنبات المتعفن تحت ثقل وزنه وهوى.

كان تون ممدداً في المجرى في قعر الوادي مذهولا. وفيما هو يحاول التخلص من الحقيبة الثقيلة على ظهره كان صراخ ألمه يرتد صدى على الجدران الصخرية. وأدرك أن ساقه اليسرى التوت تحته. وللحظة تولّاه الذعر. يا اللّه! لن أخرج من هنا أبداً.

ثم زالت الدهشة وعاد اليه صفاء تفكيره. كان أقرب مكان جاف يستطيع الوصول اليه بلاطة صخرية ضيقة فوق مستوى الماء على الجانب الآخر من الوادي الذي يبلغ عرضه ستة أمتار. وبحرص زائد دفع تون جسمه الى الوراء معتمداً يديه وساقه السليمة ومحتملا عذاباً مؤلماً وساقه المكسورة تستقيم وتنسحب وراءه.

هكذا جر تون نفسه في اتجاه البلاطة ساحباً الحقيبة معه. كل حركة كانت عذاباً. واذ حدب جسمه المخدّش فوق نواتىء الصخر أحس احتكاك عظام فخذه المكسورة. ومضى نصف ساعة قبل أن يتمكن من الوصول. وبذل أقصى الجهد ليرفع قامته، التي يبلغ طولها ١٨٣ سنتيمتراً، من الجدول الى الصخرة ويجلس مسنداً ظهره الى جدار الوادي.

Illustration: Brian Sanders



كان بارداً ومبتلا في قميصه وسرواله القصير، فسحب من حقيبته سترة عازلة للماء والتف بخيمته وغطى ساقيه بكيس للنوم.

وبأعجوبة بقيت نظّارتاه سليمتين. وجثم تون فوق صخرته وراح يدرس الفخ الذي وقع فيه. الى يمينه كان الوادي مسدوداً بالشلال على بعد تسعة أمتار. والى يساره مسقط للجدول بعلو ١٢٠ سنتيمتراً، وكان يرى سلسلة شلالات أخرى قبل ان ينحرف الوادي الى زاوية.

زحف الشمس – عرف تون انه قد لا يُكتشف قط. ولانه كان مخيماً وحده في الغابة فلم يترك كلمة تنبيء بوجهته. اذاً لا سبب يدعو أي انسان الى التفتيش عن هولندي منعزل على علو ٤٥٠ متراً في الجبل وعلى بعد ٤٢ كيلومتراً من أقرب طريق. هنا تذكر أنه في وقت سابق من النهار رأى كوخاً للصيد في عمق الوادي، وهو المسكن الوحيد ضمن مسافة ١١ كيلومتراً.

كانت هذه فرصته الوحيدة، وعليه أن يتسلّق خارجاً ويصل الى الكوخ، فلعل أحداً يكون هناك. وأنعم النظر في الجدران العمودية للوادي، فرأى أن مماسك اليد المتوافرة هي رقع من نباتات شجرية وبعض شقوق في الصخر. إن التسلق ليصعب حتى بساقين سليمتين. لكنها مسألة حياة أو موت، وهذا المغامر المؤمن بالتفكير الايجابي رفض مجرد التفكير في الاحتمال الثاني.

ولفتته رفّة جناح في المستطيل الازرق فوقه في الجو. كان هذا صقراً يحلّق في الريح. فقال لنفسه: "شغّل فطرتك الصحيحة يا ولدا كيف يتصرف الحيوان في موقف كهذا؟ ربما رقد يلتمس الراحة ليحفظ قواه قبل محاولة الفرار." كان في كيسه طعام يكفيه خمسة أيام. وما دام لا يستخدم طاقته فلربما كفاه عشرة أيام.

راح تون ينقب في مؤنه. وصنفها بعناية منهجية: غلافات الحساء والرز، بسكويت، زبدة، حبوب وفواكه مجففة، حليب مجفف. وبلع قرصي أسبيرين غير آمل أنهما سينفعان. وفي احد الجيوب وجد أربعة أقراص من مسكنات الالم الفاعلة متروكة منذ سنوات اثر جراحة أجريت في أسنانه. وقاوم فكرة استعمالها آنذاك، فهو قد يحتاج اليها عندما يحين الوقت للتسلق والخروج.

في تلك اللحظة انصب اهتمامه كلياً على نيل الراحة. لكن الليلة الاولى كانت سيّئة جدّاً، فهو لم يستطع التمدد على بلاطة يبلغ طولها ١٨٣ سنتيمتراً وعرضها ٩٠. وظل يرتجف مؤرّقاً من الالم في فخذه ومن دوي الماء الساقط.

تناول فطوره صباح السبت وكان قبضة من حبوب مجففة، وراح يراقب شريطاً من نور الشمس يزحف نزولا على الجدار المقابل من الوادي الى أن بلغه في منتصف النهار. ولمدة ساعتين نعم تون بدفء الحرارة، ومن ثم عاد الى الظل. كانت ثيابه نشفت وبدأ يحس بالارتياح.

الطوفان – كانت علامة الحياة الوحيدة في الوادي غمامة من الذباب الواخز. وبدأ تون يفقد الاحساس بالوقت. فساعة يده انكسرت عند السقوط وباتت لا تدور الا

بعد خضّات. ونام في النهار نوماً متقطعاً، وفي الغسق أشعل طباخ التخييم ليعدّ وجبة من الحساء والرز والشاي. وفيما هو يراقب النجوم وقد راحت ترصع السماء استعاد في ذهنه الرحلة التي أوصلته الى هذه المنطقة الجبلية النائية من اسكوتلندا.

انه من نوع الرجال الذين يقتنصون التحديات التي تفرض ثقلها عليهم. وهو شارك في اكثر من عشرين سباق ماراثون في بلاده. وأيامه الستة الاولى في بريطانيا دارت كلها حول سباقات طويلة ومشي فردي. وفي ١٩٨٤ خطط لرحلة خاصة: هضاب مونرو. فمتسلقو الجبال أطلقوا على القمم الاسكوتلندية الـ٢٧٧ التي تعلو أكثر من ٩٠٠ متر اسم "قمم مونرو" نسبة الى قاطع الجبال الفيكتوري السير هوغو مونرو. وهم يضعون نصب عيونهم تسلّق أكبر عدد ممكن منها. وكان تون ينوي ارتقاء ثمانين منها بين غلاسغو وفورت وليم في ستة أيام، وقد شطب ٣٥ منها على خريطته.

أطل فجر الاحد لطيفاً وناشفاً، وأحسّ تون بعودة قواه اليه. وبحذر شديد حاول تحريك ساقه المصابة، فوجد أنه قادر على ذلك من دون ألم شديد. وعادت اليه ثقته بنفسه: طقس جيّد، مؤونة كافية، ساق تتحسن. بعد يوم أو يومين سأكون في طريقي الى الدنيا.

عندما استفاق صباح الاثنين، وهو يومه الرابع في الوادي، كانت ساعته توقفت مجدداً. وغاظته غيوم دكناء انتشرت فوق الجبل. وقرابة الساعة العاشرة، في حسابه، بدأ المطر ينهمر.

وانكمش تون في سترته وكيس نومه وجلس بائساً ساعة تلو ساعة تحت السيل المنهمر. وبعيد الظهر لاحظ أن الماء حول البلاطة يرتفع ببطء. وبعد قليل عامت الاواني التي وضعها الى جانبه. ولكن ليس هذا الا وادياً، ولا شيء يستدعي الخوف.

ووقعت الكارثة بسرعة لا تصدّق. فقبل ساعة من غروب الشمس أحس الماء يجري تحته ويملأ كيس النوم جاذباً قدميه فوق حافة البلاطة. وبرفسة من ساقه السليمة استطاع التملص. ورأى الكيس يبتعد طافياً والخيمة في اثره. وأمسك حقيبته بارتباك ليربطها لئلا تتناثر محتوياتها.

لكن وابلا مفاجئاً فوق الجبل أحال الجدول سيلا. وخلال ثوانٍ انجرفت الحقيبة بعيداً. وانجرف تون نفسه الى الشلال الصغير القريب منه ثم عبْر الوادي الى شلال آخر. وراح يفتش عن نتوء في الصخر يوقفه. وناضل بيأس للتشبث بممسك محاولا تغيير اتجاهه، لكن يده ظلت تنزلق على الصخر. وسقط مجدداً في الماء الذي أصبح عميقاً. وسرعان ما وجد نفسه غائصاً تحت السطح.

لحظة ذعر – قُذف تون بلا حيلة من شلال الى آخر مرتطماً بالصخور. وبعد مئة متر أوقفه جذع شجرة ممتد عبر الوادي. وكان تون شبه غريق، فتمسك بالجذع ورفع ساقه المكسورة بالساق السليمة وجرّ نفسه متثاقلا على الجذع الى نقطة جافة قرب جدار الوادي.

كان رأسه تكدم وتخدش وكانت ساقه المصابة ترتجف. وفتش في جيوب سترته

فعثر على أحد الاقراص المسكنة التي ادّخرها لمحاولة نجاته، فابتلعه. أمّا وقد ذهبت مؤنه والماء يواصل ارتفاعه، فعليه أن يبدأ محاولته الآن في نور النهار.

بدا الوادي هنا أقل عمقاً، ربما أربعة أمتار ونصف متر. لكن تون كان يعلم أنه يستحيل على المرء بساق واحدة أن يتوازن على الصخر المبلل الزلق ويواجه المستجدات. ولفتته نقطة يشكل الصخر عندها زاوية. وافترض أنه ربما استطاع حشر ظهره فيها والتسلق للخروج! وقد يوفّر له الاحتكاك تشبثاً أفضل. وتفاقمت مشكلته حين تبين له أن قدمه السليمة حافية. انه حافٍ منذ آذى عقب قدمه اليمنى عند سقوطه.

قرابة الثامنة ليلا تراجع تون الى الزاوية. ونشر ذراعيه كالنسر على الجدار وراح يتلمس بعقبه العاري مرتكزاً في الصخر. وقوّم ساقه غير المصابة ليدفع بجسمه بضعة سنتيمترات الى أعلى. ثم تلمّس متمسّكاً يرتكز عليه في محاولته الثانية. وعلى علو أمتار انزلق وسقط على جذع الشجرة. ونهض بعناد ليحاول من جديد.

كان التسلق بطيئاً جداً. فهو يتسلّق في الظلام، والعثور على متمسّك يستوجب دهراً من التلمّس. ولم يكن هناك مجال لاراحة الساق السليمة من الارهاق، فازداد خدرها. وعظم خوفه من أن تخور قواه فينهار.

ووصل الى أعلى وبات رأسه وأعلى جذعه فوق حافة الوادي. لكنه لم يجد ما يتمسك به ليرفع جسمه. فالعشب كان يقتلع من التربة المبتلة.

لاكثر من ساعة راح يحاول مرة بعد مرة. وفيما كل ثقل جسمه مرتكز على ابهام قدمه المدسوسة في الصخر، أحس كأنه ينزلق الى الوراء. وبذعر غرز ذقنه في النباتات العفنة وأسنانه ويديه في الخلنج. وفي النهاية شكّ مرفقيه ورفع جسده الى الحافة ثم انهار متلاشياً. وكان الليل انتصف. لقد اقتضاه تسلّق أربعة أمتار ونصف متر أربع ساعات.

ملحمة شجاعة – ألقى تون نظرة الى الوادي تحته فرأى بصيصاً من نور. وغمرته موجة كبرى من الارتياح. هناك أناس في كوخ الصيد. لكنه كان من التعب بحيث لم يستطع التحرك أكثر، فقرر أن ينتظر الصباح، واذا اقتضى الامر جرّ نفسه مسافة سبعمئة متر أو ثمانمئة عبر الارض الوعرة.

وجعل يرتجف من البرد وهو يعاني ألماً متواصلا من ساق تورمت الى ضعفي حجمها العادي. وجلس مستنداً الى صخر ضخم طوال الليل. فلما أشرق نور الثلثاء، وهو اليوم الخامس لسقوطه، جهدَ ليرى ما اذا كان هناك أيّ نشاط في الكوخ. وتراءت له حركة فطفق ينادي. ولكن ربما كانت الحركة من طير، أو ربما عيناه المتعبتان خدعتاه. وفجأةً تلاشى الشك. لقد رأى سيارة "لاندروفر" على الطريق الى الكوخ. وعندما توقفت نادى تون بأعلى صوته وأخذ يلوّح بسترته الحمراء.

ترجل تيم هيلي مطارد الايائل من سيارته ووقف منصتاً يحاول أن يستطلع مصدر الصوت البعيد مستعيناً بمنظار. ومشط المنحدرات فلمح رفرفة حمراء.

ومن الجبل رأى تون اشارة نارية تنطلق من الكوخ، وعرف أن أناساً لحظوا مكانه.

عندما وصل تيم هيلي ودليل الصيد أليستر لودر الى تون قرابة التاسعة وجداه في بهجة مذهلة. كان كل همه أن يعرف هل سيمكنه أن يركض مرّة أخرى.

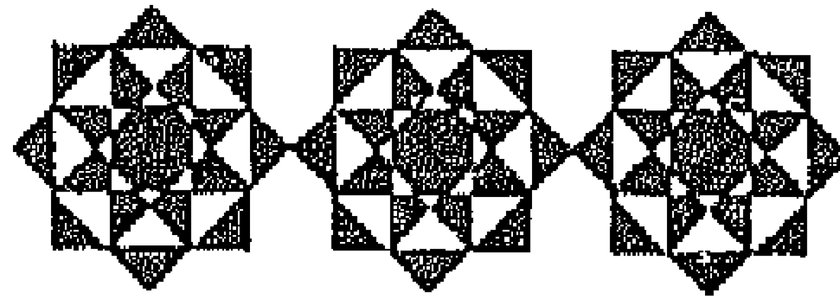
وأطلقت اشارة أخرى لاستدعاء فريق انقاذ من الكوخ، ولكن تقرر أن اصابة تون لا تسمح بنقله. ولم يكن في الكوخ هاتف، فاضطر هيلي الى الاسراع في النزول من الجبل ليقود السيارة ١١ كيلومتراً الى منزله ويتصل بالشرطة.

وسرعان ما شوهدت طوافة من السرب ٨١٩ في قاعدة برستويك تحوّم فوق المكان، ولما كان المنحدر شديداً فقد تعذر الهبوط بالطوافة، فأنزل فريق طبي لتجبير فخذ تون المكسورة وحقنه مسكناً للالم قبل نقله الى المستشفى.

قال الدكتور ساذرلاند ماكيكني الذي اعتاد حوادث الجبال وضحاياها انه لم يرَ من قبل أحداً بدا غير متأثر بمحنته كهذا الهولندي المرح: نبض منتظم ولون صافٍ ولا أثر للصدمة، والى ذلك فهو مرتبك لان هذا العدد من الناس تكلف عناء نجدته. وتعجب الطبيب كيف استطاع رجل بكل تلك الاصابات أن يتسلق جدار الوادي ويخرج منه. ثم قال: "انه صلب حقاً."

ولا أحد في ألكمار يعارض هذا الرأي. فلم يمر شهران حتى عاد تون بيترز يتجول في البلدة وقد جبرت كسوره وبقيت العصا في يده الشاهد الوحيد على أن العضلات لا تزال في طور النقاهة. وبدت نجاته لكثيرين ملحمة من الشجاعة وحب البقاء. لكن تون غير معنيّ بالبطولات. والآن وقد شفي تماماً وأتم ماراثون أمستردام القاسي في مايو (أيار) ١٩٨٥ فهو يخطط للعودة الى اسكوتلندا في اجازة اخرى الى الجبال التي أحب. وكلما تناول الحديث مغامرته أنهاه بابتسامة عريضة: "كل انسان يحتاج الى قليل من حظ."

بيتر براون ■



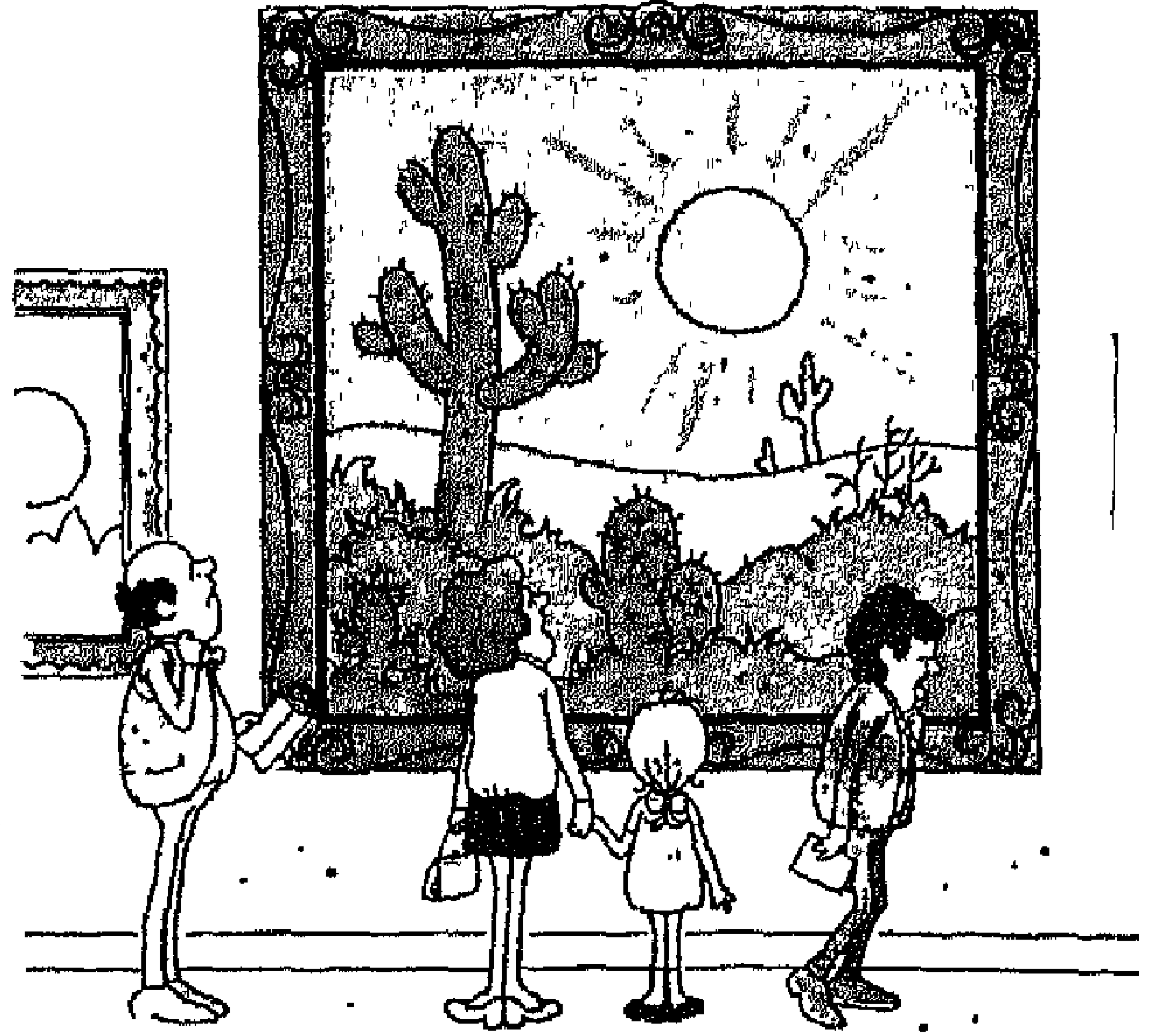
دماغه في رجليه!

كثير من المدربين الرياضيين في جامعة كورنيل بنيويورك يدرجون رياضة السلالم في التدريبات اليومية. وذات يوم وصل أحد الطلاب متأخراً فطلب منه المدرّب أن يعدو على السلم صعوداً وهبوطاً عشرين مرة. وتابع الطلاب تمارينهم الى أن لاحظ أحدهم أن رفيقهم استغرق وقتاً طويلا في تمرينه.

وصاح المدرب: "ما بالك يا مايك، أسرع!"

فأجاب مايك لاهثاً: "اني أعدو بكل ما أوتيت من قوة. لقد قطعت السلم عشرين مرة صعوداً، وأكاد أكمل العشرين هبوطاً."

س.ز.



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد تنتهي كلها بألف ونون، لكنها ليست مثنيات. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. خوان: خيانة - أخ بالرضاعة - منامة - ما يوضع عليه الطعام.

٢. أرجوان: عشب بحري - صبغ أحمر - طيب - زهر أصفر.

٣. إذعان: إنقياد - إرتحال القوافل - إصغاء - إكراه.

٤. عُقْرُبان: عنكبوت كبير - سم - ذكر العقارب - من الكواكب.

٥. أرونان: أخضر - شجي الصوت - طري - صعب.

٦. مرجان: صغار اللؤلؤ - أسد - سهل - ورد أحمر.

٧. وَسْنان: غافل - شديد النعاس - جائع - تائه.

٨. إدمان: شرب حتى الارتواء - عشق - إدامة - إنعام النظر.

٩. أتان: حمارة - رباط - موقد - أنثى الحصان.

١٠. لَبان: بياض ناصع - غمد السيف - جبل - صدر.

١١. هَتَلان: جنون - مطر دائم - غليان - هذيان.

١٢. إبّان: رثاء - ميدان المعركة - حين - ميزان.

١٣. إيوان: ملجأ - سجن - قصر - قديم الزمان.

١٤. رَزان: كتوم - جميلة - ممشوقة القوام - وقور.

١٥. هَيْمان: سائد - شديد الهيام - مرفرف - دائم الغلبة.

١٦. مِعْيان: كثير الاصابة بالعين - مريض - وجيه - مسعف.

١٧. فَيْنان: حَسَن الشعر - ظليل - فتان - طويل القامة.

١٨. مهرقان: مطرقة - تاجر - خادم - ساحل البحر.

١٩. أسوان: آسف - قاسي القلب - حزين - عادل.

٢٠. عنفوان: أوّل الشيء - شموخ - تسلّط - من الازهار.

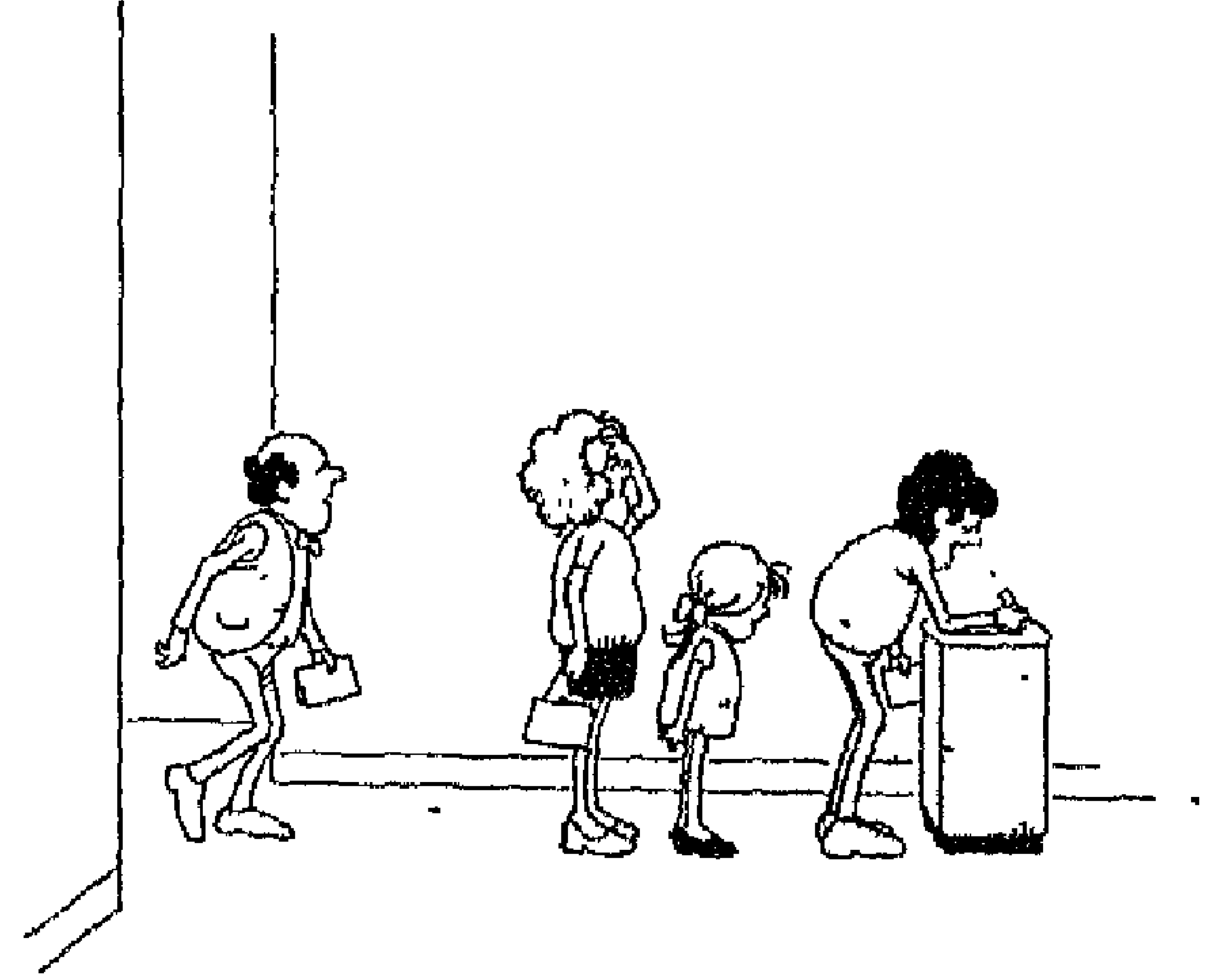
٢١. هذربان: قزم - سريع الكلام - زهر الرمان - طائر غريد.

٢٢. تُكْلان: عجز - فقد الولد - عبء - إعتماد.

٢٣. هَوان: دود الأرض - تشتت الفكر - سهولة - ذل.

٢٤. قُسْطان: خيمة - ثوب مقصب - قوس قزح - معلم.

٢٥. بهتان: ظلم - إفتراء - نسيان - إحتقار.



الأجوبة الصحيحة

١. **الخوان:** ما يوضع عليه الطعام ليؤكل. الخان: الحانوت ومحل نزول المسافرين.

٢. **الارجوان:** صبغ أحمر استخرجه الفينيقيون من صدفة الموركس.

٣. **أذعن له إذعاناً:** خضع وذل وانقاد. وبالحق: أقرّ.

٤. **العقرب:** دويبة سامة تلسع بذنبها، وكنيتها "أمّ عِرْيَط" و"أمّ ساهرة". ويقال للذكر عُقْرُبان.

٥. **يوم أرْوَنان:** صعب أو حار.

٦. **المَرْجان:** صغار اللؤلؤ. أيضاً: عروق حمر تنمو في البحر. واحدته: مرجانة.

٧. **الوسِن والوسنان:** من اشتد نعاسه. ويقال للانثى وَسِنة ووَسْنى.

٨. **أدمن الشيء إدماناً:** أدامه. الدِمْنة: الحقد القديم الثابت.

٩. **الأتان:** الحمارة.

١٠. **اللَبان:** الصدر، خصوصاً صدر الفرس. اللُبان: الصنوبر.

١١. **هتلت السماء:** تتابع مطرها. الهَتّلان: المطر الضعيف الدائم. سحائب هُتّل: متتابعة المطر.

١٢. **الابّان:** الحين، وأوّل الشيء. يقال: كُل الفواكه في إبانها أي في حينها.

١٣. **الايوان:** القصر. أيضاً: المكان المتسع من البيت يحيط به ثلاثة حيطان.

١٤. **امرأة رَزان:** وقور، ولا يقال رزينة. قال الشاعر: "حَصان رِزان لا تُزَنُّ بريبة" أي عفيفة وقور لا تتهم.

١٥. **الهَيْمان:** العطشان. أيضاً: المحب الشديد الهيام.

١٦. **العَيون والعَيّان والمِعْيان:** الكثير الاصابة بالعين.

١٧. **الفَيْنان:** الحسن الشعر الطويله. الفَيْنة: الحين والساعة.

١٨. **هرق الماء وأهرقه:** صبه. المهرقان: البحر أو ساحله.

١٩. **الاسوان:** الحزين.

٢٠. **عُنفوان الشباب:** أوله.

٢١. **الهُذْرُبان:** الخفيف السريع في خدمته وكلامه.

٢٢. **وَكَل إليه الامر:** سلمه وفوضه إليه. اتكل وتوكل عليه: اعتمد عليه ووثق به. التُكلان: الاعتماد والتفويض.

٢٣. **الهَوان:** الذل والخزي، أيضاً: الضعف والسكون. وفي المثل: "إذا عز أخوك فهُنْ" أي اذا تعزز وتعظم فتذلل وتواضع واذا عاسرك فياسره.

٢٤. **القُسطان والقسطانة:** قوس قزح. القَسْطان: الغبار.

٢٥. **البهتان:** الكذب والافتراء.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٦ - ٢٠: جيد جداً

١١ - ١٥: مقبول

كتاب الشهر

إنكليزي في الصين





إنكليزي في الصين

ملخص من كتاب

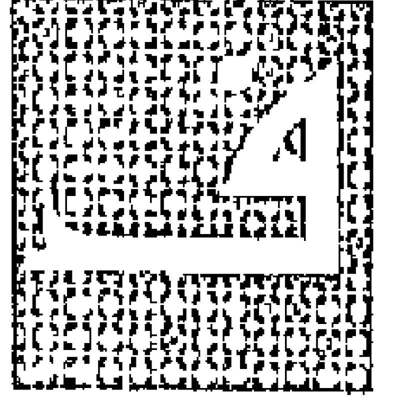
بقلم أوستن كوتس

عام ١٩٤٤ ساقت الأقدار أوستن كوتس إلى آسيا لتأدية خدمته العسكرية إبان الحرب، فاتخذ هذه القارة مكاناً يعيش فيه ولم يبرحها إلا قبل زمن قريب.

وبقي أوستن في هونغ كونغ سبع سنوات عيّن في أثنائها مساعداً لأمين سر المستعمرة وقاضياً أعلى ثم أصبح مسؤولا عن الشؤون الصينية وأمين سر لحاكم مقاطعة سراواك.

ولا ريب في أن علاقة كوتس بالصين الازلية كما تتجلى في ريف هونغ كونغ هي قصة حب طويلة الأمد تجمع بين القبول والرفض والثقة والشك واللهو والغضب وتقرن الصلة الوثيقة بالاحترام المتبادل. واليكم هذه القصة

Condensed from «Myself a Mandarin,» © 1968 by Austin Coates
and published by Heinemann Publishers Asia Ltd., Hong Kong, Singapore and Kuala Lumpur



فُتح الباب ودخل السيد لوه، وهو موظف صيني ممتلىء الجسم طيب القلب يتسم بالوعي والحذر ويتولى الترجمة بيني وبين زائريّ الذين لا يتكلمون الا الصينية. وكانت مضت عليه عشرون سنة وهو يعمل في مقاطعة هونغ كونغ الريفية حيث عُيّنت حديثاً محافظاً وقاضياً أعلى (١).

ولم يلبث لوه أن بادرني: "هل يسعك الاستماع إلى إحدى القضايا؟" فأجبته: "طبعاً يا سيد لوه." فأشار بالدخول إلى ثلاثة رجال وامرأتين من الفلاحين يلبسون جميعاً ثياباً سوداء. فجلس هؤلاء في مكان مقابل لي وقد أطبق عليهم صمت مقيت فقلت للسيد لوه: "حسناً، ما الخطب؟"

فأجاب الفلاح الذي يجلس في الوسط من دون أن ينظر إليّ، على غرار ما يفعل الفلاحون الصينيون عندما يواجهون أجنبياً غريباً: "القضية تتعلق بهذه البقرة التي تأكل العشب في قريتنا."

فسألته من خلال السيد لوه: "وما الضرر في ذلك؟"

فقال: "إنها لا تأكل العشب اينما اتفق، بل تدأب على أكله في قريتنا."

وأضاف الرجل الثاني الذي بدا واضحاً أنه كبير القوم في القرية: "إنها تمرّ من أمام بابي يومياً."

فسألته مستطلعاً: "هل تعني أنها بقرة من قرية أخرى؟"

فتنفس الفلاح الصعداء لكوني أدركت المسألة. ولم ألبث أن سألته: "من أي قرية تأتي هذه البقرة؟"

فأخبرني السيد لوه أنها تأتي من قرية بعيدة تفصل بينها وبين قرية اولئك الفلاحين مسافة كيلومتر تقريباً. فسألت الرجل: "ومن يأتي بها إلى قريتكم في الصباح؟"

– لا أحد.

وأخذت أمارات الغضب تظهر علي وعلى السيد لوه فقلت: "إذاً كيف تأتي هذه البقرة إلى هناك؟"

فردّد الرجل بصوت مرتبك: "إلى هناك؟"

قلت: "نعم. كيف تأتي من قريتها إلى قريتك؟"

– إنها لا تأتي.

فقال له السيد لوه بصوت أقرب الى الصراخ: "لكنك ذكرت قبل قليل أنها تأتي!"

– لا، ليس يومياً.

قلت: "أصغ إليّ جيداً. هناك احتمالان، الاول أن هذه البقرة تأتي من القرية الأخرى يومياً وتأكل عشبك والثاني أنها لا تأتي. فإذا كانت تأتي من القرية الأخرى فلا بدّ من أن يأتي بها شخص ما."

– لا، لا أحد يأتي بها.

ولم تلبث علامات الغضب أن ظهرت على القروي. فسألته: "من يحلب البقرة؟" وكرر السيد لوه سؤالي غاضباً قبل أن يثوب إلى رشده. واعترت الفلاحين الخمسة رعشة استياء لسؤالي الذي أتى في غير موضعه، فالبقر في الصين تقتنى لجر الاثقال وليس للحليب الذي تدره، ومعظم الصينيين لم يكونوا

---

(١) District Officer and Special Magistrate

يشربون حليب البقر. فسألته وقد بدا عليّ الذهول التام: "كيف ترجع البقرة إلى حظيرتها ليلا؟"

- إنها لا ترجع.

"حسناً. وأين تنام البقرة إذاً؟ هل تنام في الجبل؟"

- لا، بل تنام في قريتنا.

أسندت ظهري الى مقعدي وأخرجت سيجاراً وهمست للسيد لوه: "هل يليق بالقاضي أن يدخن وهو يصغي إلى الدعاوى؟"

فأجاب: "إن معظم الموظفين المسؤولين في المقاطعة يجدون في ذلك عوناً لهم يا سيدي."

قلت: "حسناً." وارتفع في الغرفة ضباب من الدخان الأزرق فتابعت: "والآن، من هو الذي يبدي تذمره من هذا كله؟"

فرد الرجل: "صاحب البقرة."

تشبثت بطاولتي وسألت: "ومن هو صاحب البقرة؟"

فأجاب الرجل بفظاظة: "هي،" وأشار الى المرأة الجالسة الى يمينه. فبادرتها: "لقد أحرزنا تقدماً، هل أنت صاحبة البقرة؟"

- نعم يا حضرة القاضي.

"هل أنت من القرية الأخرى؟"

- نعم يا حضرة القاضي.

"وهل تريدين أن تستعيدي بقرتك؟"

- نعم.

"كي تستخدميها في حقولك أنت؟"

- ليس لدي حقول يا حضرة القاضي.

"إذاً لماذا تريدين استرجاع بقرتك؟"

تجهم وجهها الصغير وقالت: "إنني أريد استرجاعها."

فاقترحت عليها الآتي: "أنت لا تملكين حقولا، فلماذا لا تسمحين لهذا الرجل باستخدام بقرتك على أن يدفع لك أجراً معيناً في المقابل؟"

فصاح الرجل بحدة: "لن أدفع لها شيئاً." وبدا من لهجته أنه يكتم أمراً ما.

وعنّت للقاضي الذي استعاد هدوءه فكرة بارعة: "يا سيد لوه، إن بين هذين الشخصين علاقة ما، فهل يمكنك معرفتها؟" وألقى المترجم سؤالا سريعاً أعقبه صمت مطبق ثم لم يلبث الرجل أن نطق كلمة واحدة. واتضح أن المتخاصمين زوجان. فقلت للزوجة: "آه! إنك تريدين العودة الى قريتك وتودين أن تأخذي بقرتك معك. أليس الأمر كذلك؟"

وتبين أن هذا هو الواقع وأن القضية هي قضية طلاق.

أعزل في هونغ كونغ

كان ذلك عام ١٩٥٢ وكنت في التاسعة والعشرين. وقبل ثلاث سنوات عُيّنت في لندن موظفاً مدنياً لدى حكومة هونغ كونغ، وأبلغت في الوقت نفسه أنني سأحتاج إلى سيف في وظيفتي الجديدة فأزعجني هذا الأمر كثيراً. فقد شهدت الصين آنذاك انتصار جيوش ماو تسي تونغ الشيوعية على قوات تشانغ كاي شيك الوطنية. وكان هذا يعني أن هونغ كونغ ربما تعرضت للخطر خلال بضعة أشهر. وبدا واضحاً أن على الحكومة البريطانية أن تقدم إليّ وسيلة أدافع بها عن نفسي. ولكن ما جدوى السيف في مقام كهذا؟

ولم أكد أقرأ المزيد في المذكرة المطبوعة التي تلقيتها حتى عرفت أن لا

علاقة بين السيف والحرب الاهلية الصينية، فالسيف مجرد رمز ملائم للباس الانيق الابيض الذي تعلوه خوذة قوية من العهد الفيكتوري. وظهر لي لون من التشابك بين قرنين من الزمن. ففي حين احتدمت الحرب الاهلية الصينية في القرن العشرين بدت هونغ كونغ كأنها تعيش في العصر الفيكتوري.

في هذه الاثناء اكتشفت في مذكرتي المطبوعة مصدراً آخر للازعاج، اذ تعين عليّ الخضوع لامتحان في القانون قبل انتهاء السنوات التجريبية الثلاث في وظيفتي الجديدة وقبل تثبيتي في هذه الوظيفة. والحق أني لم أكن أفقه شيئاً في القانون وعرفت أن لا أمل لي في اجتياز الامتحان المطلوب. وعلى رغم ذلك أبحرت إلى هونغ كونغ وقد انتابني شعور بالصغارة والتفه ولم يكن في حوزتي أي سيف.

كان مشهد هونغ كونغ في العام ١٩٤٩ يبعث الدهشة في النفوس. فمدينة فيكتوريا الواقعة في جزيرة هونغ كونغ وشقيقتها مدينة كولون الواقعة في البر الصيني إلى جهة الميناء واجهتا اكتظاظاً سكانياً ضخماً. ففي العام ١٩٤٥ كان عدد سكان المستعمرة قبل الانتفاضة الشيوعية نحو ستمئة الف. وبعد تلك الانتفاضة تدفق عليها أكثر من مليون لاجىء. وفي نهاية العام ١٩٤٩ بلغ عدد سكانها مليوناً و٨٦٠ ألفاً. وازدادت المجمّعات السكنية والمتاجر والبيوت بسرعة مذهلة. وشيد كثير من هذه الابنية على نحو مخالف للقانون ولقواعد البناء هناك. وإلى ذلك بنيت عشرات ألوف الأكواخ المتداعية خارج المدن بسرعة مماثلة. وكان من المشاهد المألوفة آنذاك رؤية الجنود المشوهين القادمين من الصين وهم يعرجون في الشوارع أو يستجدون المارّة.

كانت الحال أقرب الى الكارثة. غير أن الأزمة بدت نعمة عليّ إذ لم يبق هناك مجال لحمل السيوف أو لاعتمار الخوذ. وفي حين أصدرت الي تعليمات بأن أجدّ في دراسة القانون في أوقات فراغي كنت أرى أمامي أكداساً من الملفات في أمانة سر المستعمرة توجب عليّ الاطلاع على محتواها.

■"لي مان فو"■

كتب لي أن أجلس إلى تلك الطاولة في أمانة السر مدة ثلاث سنوات. وفي هذه الأثناء تحولت كومة الملفات جداراً حجب عني الرؤية. ولم يبق لتثبيتي في وظيفتي الجديدة سوى وقت قليل.

ولم تلبث أن وقعت الواقعة فتلقيت أمراً بالذهاب الى مكتب النيابة العامة صباح الاثنين التالي لتقديم امتحان القانون. وكنت لا أزال أجهل مادة الامتحان جهلا تاماً، بل إني لم أكلف نفسي عناء النظر في كتب القانون التي وجبت عليّ دراستها. إلا أنه كان في هونغ كونغ قرار يسمح للموظف بالتغيب عن عمله لأسباب صحية مدة يومين من دون أن يقدم تقريراً طبياً. واتفق أني أصبت بنوبة عنيفة من التقلصات المعوية في اليوم المقرر لذهابي الى النيابة العامة. وحضرت يوم الأربعاء الى أمانة السر حيث اتصل أحد الموظفين بالنائب العام الذي

أسهب في الكلام معه. وبعد انتهاء المكالمة الهاتفية أخبرني الموظف أن الأمر يدعو الى الأسف الشديد. فهو لم يقصّر في الاعتذار عما حصل، غير أن النائب العام كان منهمكاً في العمل بحيث تعذر عليه أن يحدد لي موعداً آخر.

كان ما حدث مؤسفاً حقاً، إلا أنه لم يمكن تلافيه وبات تثبيتي أمراً واقعاً. وبعد ستة أشهر عينت محافظاً وقاضياً أعلى في المقاطعة الجنوبية من الأراضي الجديدة (٢).

والواقع أن شهرة مدينة هونغ كونغ تقوم على كونها ميناء بحيث ينسى المرء أن لها مقاطعة. غير أننا لا نكاد نبعد عن المدينة مسافة ساعة حتى نشاهد الريف الصيني أشبه بما كان قبل ألف سنة.

والمعلوم أن الصين تخلت لبريطانيا عام ١٨٤٢، والى اجل غير محدود، عن جزيرة هونغ كونغ وعن جزر صغيرة متاخمة لها، وفي العام ١٨٦٠ حصلت بريطانيا على شبه جزيرة كولون التي تبلغ مساحتها ٦،٧ كيلومترات مربعة وتتألف من تلال صخرية ناتئة من البرّ الصيني إلى ميناء هونغ كونغ. (زادت مساحة كولون منذ ذلك التاريخ من طريق طمر جزء من البحر. وبلغت ١٠،٥٦ كيلومترات مربعة فباتت مدينة متألقة من أكثر مناطق العالم السكنية كثافة.)

وفي العام ١٨٩٨ عقدت بريطانيا اتفاقاً يقضي باستثمار المنطقة الواقعة خلف كولون والتي تبلغ مساحتها ٧١٤ كيلومتراً مربعاً مدة ٩٩ سنة. وتضم هذه المنطقة أرضا جبلية وعرة مكسوّة بالأعشاب وأودية مثلّمة ونحو ٢٣٠ جزيرة بعضها صغير جداً وبعضها تبلغ مساحته ضعفي مساحة هونغ كونغ نفسها.

وقسمت هذه "الأراضي الجديدة" ثلاث مقاطعات، اثنتان منها برّيتان تقعان وراء الجبال التي تمكن مشاهدتها من ميناء هونغ كونغ. أما مقاطعتي الجنوبية فكانت تضمّ كل البر الذي يُرى من الميناء كما تضم الجزر التي يقع معظمها في جنوب هونغ كونغ وغربها.

وتبين لي أن أجزاء كثيرة من مقاطعتي أخذت بأسباب التمدن. إلا أني عرفت ما ينتظرني في وظيفتي الجديدة منذ اليوم الأول لدخولي مكتبي في كولون. فعلى رغم موقعه في قلب المدينة فإنه تميز عن المكاتب الأخرى بعدد القرويين الذين يدخلون اليه أو يخرجون منه أو يحتشدون أمامه. وعلمت منذ لحظة عبوري باب ذلك المكتب أنني لن أكون منتمياً إلى المدينة، بل الى التلال والجزر التي لم يغيرها الزمان، حتى ان لقبي الجديد "لي مان فو" بدا أشبه بالألقاب التي عرفت في العهود الامبراطورية القديمة.

ولم ألبث أن دخلت المكتب بعدما ودّعت في ذهني العالم الحديث. وكان المكتب يقع في نهاية رواق طويل. وقبل أن يصل المرء إلى مكتبي الذي هو أعلى مكاتب الرواق شأناً، عليه المرور أولا بالحمام ثم بغرفة إعداد الشاي وبمكاتب المسؤولين عن التراخيص والمراسلة والشؤون المالية وشؤون الأراضي وبغرفتي السكرتيرات والمترجمين. ولم أكد أخطو إلى المكان حتى خفتت الأصوات واتزنت

(٢) New Territories Southern District

الحركات وارتفعت العيون مترقّبة. فبعدما كنت في أمانة السر مجرد رقم بتّ هنا شخصية بارزة قدّر لها أن تباشر عملها بمواجهة قضية طلاق بين زوجين ريفيين.

عظة على الطراز القديم

رحت أحدق إلى الفلاحين المتجهمي الوجوه الماثلين أمامي. وقررت أن الوقت حان كي يبدأ الموظفون العاملون معي باجهاد أنفسهم بدلا مني فقلت: "يا سيد لوه، أرجو أن تخرج هؤلاء القوم من هنا، وحين تنتهي من توضيح وقائع قضيتهم أرجعهم إليّ."

وبدأت معالم القضية تتضح. فالمرأة الصامتة في الجماعة كانت الزوجة الثانية. أما الزوجة الأولى فأبدت تذمرها من إهمال زوجها اياها وأظهرت رغبتها في الطلاق منه والعودة ببقرتها إلى قريتها الأصلية. وبدا لي أن من واجب القاضي الحؤول دون الطلاق. ولكن كيف يتيسر ذلك؟

عمدت الى سؤال الزوجة الاولى: "هل أنت الزوجة ذات الحظوة عند زوجك؟" والمعروف أن "الزوجة ذات الحظوة" تتقدم على أي زوجة أخرى قد يتخذها زوجها بعدها.

أجابت: "نعم." قلت: "يا سيد لوه، هل يحق للزوج أن يطلّق الزوجة ذات الحظوة؟

فأجاب: "لقد بات ذلك مقبولا في أيامنا."

وتبين لي أن محاولتي الاولى أخفقت فسألتها: "هل لديك أولاد؟"

– لديّ بنتان.

والمعلوم في القانون والتقليد الصينيين أن الصبيان يبقون مع الأب عند حصول الطلاق فيما تبقى البنات مع الأم. فسألتها: "كيف يمكنك أن تؤمّني لهما القوت؟"

– سأبذل جهدي.

"لماذا لا تفكرين في الأمر أسبوعاً ثم تعودين الي. فأنا لا أريد أن أجدك هنا بعد شهر تطلبين مالا من الانعاش الاجتماعي تستعينين به على تربية طفلتيك، لأن الحكومة ستنحي باللوم عليّ أنا."

أخذت الزوجة تنظر الى عينيّ وتتأملني للمرة الاولى، إذ لم يكن خطر لها قطّ أنها يمكن أن تسبّب لي المشاكل.

وبعد أسبوع رجع الزوجان. ورأى الموظفون أنني احتاج الى مساعدة. ولم يفت السيد لوه في هذا المقام أن يزوّدني بعض المعلومات اذ أخبرني أن للزوجة الثانية طفلا ذكراً. فأسندت ظهري الى الكرسي وقد سُرّي عني. وهكذا ظهرت الحقيقة جلية. فالزوجة الثانية رزقت الصبي الذي يحفظ نسل العائلة. وعجبت كيف فاتني أن أسأل عن هذا الأمر. بل فكرت في ان الزوجة الاولى ربما كان لها عشيق، إذ حجبت عني تلك البقرة الرؤية الواضحة.* ولم ألبث أن قلت للسيد لوه: "أطلب من الزوجة الاولى أن تدخل وحدها."

وتوضحت لي المسألة. فتلك المرأة أحسّت أنها فقدت اعتبارها بعد ولادة ابن الزوجة الثانية. وآليت على نفسي أن أقنعها بالبقاء مع زوجها. غير أنها كانت تزداد حدة كلما أبديت مزيداً من اللين والتفهم. وكلما اقترحت عليها أمراً كانت

تشرط على زوجها شرطاً جديداً في مقابل رضاها بالبقاء معه. ومما زاد الحال سوءاً أني تسببت في إزعاج السيد لوه الذي أخذ غضبه في الازدياد. فصرخت بالمرأة وقد استشطت غضباً: "لم يعد في وسعي أن أتحمل المزيد من هذا الهراء! فلا مناص لك من البقاء مع زوجك أيتها اللعينة!"

وهدأت من فورها ولم تنبس ببنت شفة. فأحسست تأنيباً في ضميري وقلت لها: "لا تجزعي، قد يرزقك الله صبياً في المرة المقبلة."

وارتسمت على وجهها ابتسامة وهممت كأنها تقول إن هذا ليس بالأمر المستحيل. ولم يعد في وسع القاضي الأعلى أن يفعل المزيد.

قلت: "ما الذي علينا أن نفعله يا سيد لوه؟"

– قد يحسن أن توبخهما يا سيدي.

"وهل ألقي عليهما عظة من الطراز القديم؟"

– أظن أن هذا يفي بالغرض.

فأمرت بادخال الزوجين مكتبي وألقيت عليهما العظة. والحق أني لم أتكيف البتة مع هذه الطريقة الصينية في تسوية الأمور، اذ ألفيت مواعظي تلك سطحية ومحرجة. على أني علمت في ما بعد أن كثيرين من الذين يحضرهم شيوخ القرى إليّ إنما يأتون لهدف واضح هو الاصغاء إليّ ما ينبغي عمله. وبعد ذلك يسود الوئام لأن كلام القاضي هو القانون. وكل كلمة يتفوه بها القاضي هي القانون في هذا العالم الصيني القديم الذي لا تزال تخيم عليه ظلال السلالات المنقرضة.

لذلك أحجمت عن الحكم بطلاق الزوجين وقلت للزوج إن اتخاذه زوجة ثانية كان ضرباً من الحمق. فقد كان ممكناً أن ينجب صبياً من زوجته الاولى، إلا أنه كان عجولا. وعليه الآن أن يتحمل تقريع الزوجتين معاً وأن يعدل بينهما.

وقلت للزوجة الاولى إن عليها أن تطيع زوجها دائماً وإنها أحسنت صنيعاً بعرض قضيتها عليّ وإنها ينبغي أن تأتي إليّ إذا ألمّت بها المحنة ثانية. ولم يكن هناك الكثير مما يحملها على التذمر. فهي الزوجة ذات الحظوة، وعلى الصبي الذي أنجبته الزوجة الثانية أن يناديها "يا أمي." والى ذلك فليس هناك ما يدعوها الى القلق إذ إن لها بقرتها الخاصة وهي زوجة فلاح نشط ذي مكانة حسنة في القرية.

وقلت للزوجة الثانية إنني سررت لكونها أنجبت صبياً. فهي امرأة محظوظة تزوجت رجلا طيباً. وبما أنها هي الزوجة الثانية فعليها أن تطيع الزوجة الاولى. وأضفت أن سلوكها في المحكمة جعلني واثقاً بأن هذا أمر يروقها. وأنهيت كلامي قائلا: "أرجو أن يرزقكما الله مزيداً من الذكور."

أمر قضائي

من القوانين المتبعة في محكمة المقاطعة أن للمتقاضين حق الاختيار بين القوانين البريطانية والاعراف والعادات الصينية. ووجدت منذ البداية أن التقيد الصارم بالاعراف والعادات الصينية له ميزات ظاهرة. ومن الصعب أن نتخيل شخصاً يعمل في الشؤون القانونية من

دون أن يكون على معرفة واسعة بالقوانين البريطانية، باستثناء هذا القاضي الأعلى العجيب. ولئن يكن كُتب الكثير في القوانين البريطانية، فإن ما كتب في الاعراف والعادات الصينية لا يعدو كتباً قليلة.

وعلى رغم ذلك تمكنت من الحصول على بعض ما كتب في هذا الموضوع. ولم يمض وقت طويل حتى ترسخت خبرتي في هذا المجال وصار من عادتي أن أسرع الى مخاطبة السيد لوه كلما بدأت في معالجة قضية ما فأقول: "أظنك تؤثر أن نحكم في هذه القضية وفاقاً للاعراف والعادات الصينية، أليس كذلك؟"

وتمكنت مدة سنتين من تحاشي اللجوء الى القوانين البريطانية في جميع القضايا التي حكمت فيها. وكلما طلب أحد المدّعين أن يُحكم في قضيته وفاقاً لتلك القوانين ظناً منه أن ذلك يؤمن مصلحته، كان يكفي أن يصدر عن القاضي الأعلى تلميح بسيط كي يصر المدّعى عليه على الاحتكام إلى الاعراف والعادات الصينية. ولما كان من حق القاضي الأعلى وحده الاختيار بين الأمرين، فلم يكن ريب في أنه سيأخذ برأي المدعى عليه. وأثبتت هذه الوسيلة جدواها فترة تزيد على سنتين.

غير أني تلقيت في أثناء سنتي الثالثة في القضاء مكالمة هاتفية من محام أوروبي بارز. واتفق أن كانت بيني وبينه صداقة شخصية، فبادرني: "إن لديكم دعوى تتعلق برجل يدعى لو."

فأجبته من دون اكتراث: "هل لدينا مثل هذه الدعوى حقاً؟"

– وهو يبدي احتجاجه لأنكم أبقيتم دعواه معلقة أكثر من خمسة أشهر.

"أحقاً ما تقول؟ ما فحوى هذه الدعوى؟"

– أنه يحاول أن يطرد من أحد حقوله رجلا يزرع الارض من دون حق قانوني.

"آه، أنا على علم بتلك الدعوى. لكن مثل هذه الدعاوى مضيعة للوقت."

وبدا واضحاً أن كلامي أزعجه كثيراً فقال بتهذيب متكلف: "أعذرني، إلا أنه ليس من شأنك القول إن قضية ما هي مضيعة للوقت."

فوافقته: "هذا صحيح، لكن هذه القضية هي حقاً كذلك."

والواقع أني تعمدت تأجيل النظر في هذه الدعوى التي عرفت لها من قبل دعاوى مشابهة. فعندما غزا اليابانيون هونغ كونغ عام ١٩٤١ انتقلت عائلة لو، كسواها من العائلات الصينية الموسرة، إلى قرية الأجداد في الصين ولزمت السكون. وقبل أن تغادر هونغ كونغ التمس أحد الخدم، وهو شاب في نحو الثانية والعشرين، أن يُسمح له بالبقاء في هونغ كونغ ويزرع حقلين كبيرين تملكهما العائلة في منحدرات قمة كولون، فيكون بذلك ساعد العائلة وانتفع في آن.

وحين رجعت العائلة الى هونغ كونغ وجدت أن الرجل لم يعد خادماً بسيطاً، بل أصبح مزارعاً يعتمد على نفسه ويملك أفكاراً خاصة به. ولم يكن بالشخص الذي تود العائلة استخدامه، فتخلصت منه السيدة لو بقولها إن في إمكانه المضي في زراعة الحقلين.

ولم تلبث أسعار الأراضي وقيمة

تأجيرها أن ارتفعت باطراد. وتلقى السيد لو عرضاً حسناً لتأجير الحقلين لشركة كانت استأجرت مساحة كبيرة من الأرض المحيطة بأرضه. غير أن المزارع رفض إخلاء الحقلين، ولم يكن بينه وبين العائلة أي اتفاق مكتوب. لذلك قلت إن القضية هي مضيعة للوقت. ففي المحكمة لن يتمكن أي من الفريقين من إثبات ادعائه. فإذا أرادت عائلة لو أن يخلي خادمها السابق الأرض فعليها أن تؤمن له في المقابل عملا حراً بسيطاً أو أن تقدم إليه هدية مماثلة. بيد أنها رفعت عليه هذه الدعوى كي تضيع وقتنا في المكتب.

على أن صديقي المحامي لم يكن ليتركني أتملص من هذه القضية فقال بهدوء: "ولكن إذا لم تحدّد موعداً الآن فسأطلب من المحكمة العليا أن تصدر اليك أمراً قضائياً."

سألته متعجباً: "وماذا يعني ذلك؟"

فسعل وقال: "أنه يعني أنّ في وسعنا أن نطلب منك سماع الدعوى."

قلت: "إنه لأمر رهيب. حسناً، أظن أن عليّ الاستماع اليها. لكن موكلك يرتكب خطأً كبيراً. فلا نفع في أن يأتي أهل المدن هؤلاء إلى هنا ويصرّوا مثله على أن نحكم في دعاواهم على أساس القوانين البريطانية لأنها غير مجدية في خلاف من هذا النوع..."

فردّ صديقي: "إعلم يا أوستن أنه إذا طلب المدّعي أن تنظر في شكواه وفاقاً القوانين البريطانية فعليك أن تنظر فيها وفاقاً للاعراف البريطانية!"

وبدا لي أن الوقت حان كي أكيل له الصاع صاعين فقلت: "حسناً، ولكن ما العمل إذا رفض المزارع أن ينحو هذا النحو؟"

أجاب: "أنا أعلم أنه سيوافق."

أحسست ألماً شديداً في معدتي وقلت لاهثاً: "آه!" ثم أنهيت المكالمة.

وخاطبت السيد لوه: "حاول أن تقنع المزارع بأنه يرتكب خطأً كبيراً برفضه الاحتكام إلى الاعراف والعادات الصينية، مع علمي أن محاولتك هذه لا تراعي المعايير الاخلاقية تماماً."

العدالة البريطانية

الحق أن السيد لوه كان يعرف ضيق اطلاعي على القانون. وهو يشاركني في الرأي أن تطبيق الاعراف الصينية أكثر عدلا من تطبيق القوانين البريطانية في ما يتعلق بقضايا الصينيين. لذلك بذل جهداً كبيراً كي يجعل المزارع يغيّر موقفه، لكنه مُني بالخيبة.

وهكذا لم يعد في وسعي تحاشي اللحظة التي أواجه فيها فريقين متخاصمين يطلبان الاحتكام الى القوانين البريطانية. وبدا لي الأمر مروّعاً حقاً.

في اليوم المحدد نظف زجاج طاولتي ووضع ورق نشاف جديد عليها وأمنت حزمة من الورق، إذ كان ينبغي تدوين كل ما يقال في الجلسة. والمعلوم أن المحاكمة على أساس القانون البريطاني تقضي بالطلب من المتخاصمين أو الشهود أن يقسموا بأنهم سيقولون الحقيقة. ولم يكن هذا الأمر سارياً في المحاكم الصينية حيث يُتوقع أن يعمد الجميع الى الكذب وأن يمحّص القاضي أكاذيبهم كي يتمكن من اتخاذ القرار الصحيح. ولا ريب في أنه

كان يُستحسن في هذه الدعوى النموذجية أن يباح الكذب على الطريقة الصينية.

ولم يلبث الخصمان أن دخلا الغرفة وبدأ السيد لو كلامه بعدما أقسم أنه سيقول الحقيقة. ولمّا كان عليّ أن أدوّن أقواله جميعاً فقد فعلت ذلك ببطء شديد فيما اشمئزازي آخذ في الازدياد. والواقع أن السيد لو الذي كان يرتدي بذلة أوروبية أنيقة، بدا لي شخصاً متّزناً. وربما كان إصراره على الاحتكام الى القانون البريطاني يعود إلى احترامه العدالة البريطانية وظنه أن سلوكه هذا السبيل هو السلوك الصحيح. وعلى رغم اقتناعي بأن قراره لم يكن سليماً فإن الأمر القضائي المسلط على رأسي جعلني عاجزاً عن أي حركة.

أما المزارع فكان رجلا قاسياً، صلباً ذا جبهة منخفضة وعينين حسوبتين. وظهر جلياً من دخلته المتعالية أنه لم يكن على استعداد لأن يتزحزح عن موقفه قيد أنملة.

وكان في حيازة المزارع رخصة قانونية تبيح له زرع الحقلين، إلّا أنه يمكن إلغاؤها متى شاء صاحب الارض ذلك. غير أن العرف الصيني لا يسمح لصاحب الحقل بأن يطلب إخلاءه قبل نضج الزرع الذي فيه. وزعم المزارع أن الحقلين كانا مزروعين كرنباً صينياً لم ينمُ بعد. فسألت السيد لو هل لديه تعليق على هذا الكلام، فذكّرني بأنه أرسل إلى المدعى عليه مذكرة خطية قبل ستة أشهر. وعندما رفض المزارع تسلمها رفع عليه السيد لو هذه الدعوى.

ولم يكن السيد لو يحتاج الى مزيد من الكلام لأن نمو الكرنب لا يستغرق تلك المدة كلها. وبات واضحاً أن المزارع باع محصولا وزرع آخر بعد تلقيه المذكرة باخلاء الأرض. وأضاف السيد لو أن المزارع بنى إلى جنب كوخه حظيرة للبقر وجعل فيها ثماني بقرات. فسألت المزارع: "ثماني بقرات؟ هل تعني أنك اشتريت بقرة وضعَت سبع بقرات؟"

فأجاب متجهماً: "لا."

وتبين أنه اشترى البقرات الثماني. فقلت له: "لقد دفعت فيها ثمناً باهظاً، أليس كذلك؟"

أثاره كلامي وارتكب الخطأ الذي أحبط قضيته إذ قال: "ليس في وسعهم طردي من الأرض اذ مضت علي عشر سنين وأنا أدفع أجرتها."

فأسرعت الى سؤاله: "تدفع أجرتها؟ هل لديك إيصالات؟"

– لا، لقد رميتها كلها.

"ومتى دفعت الايجار الاخير؟"

– قبل ستة أشهر.

وبدا واضحاً أنه يكذب فقلت له: "هل أنت واثق بأنك كنت تدفع أجرة الأرض؟" فأجاب أنْ نعم. فقلت: "وقد مضى عليك ستة أشهر من دون أن تدفع الأجرة؟"

– هذا صحيح.

"وتوقفك عن الدفع يعني أنك وافقت على مذكرة المدعي بوجوب ترك الأرض، ولذلك ينبغي أن تتركها."

وأمرته بمغادرة الحقلين خلال عشرة أيام وأنذرته بمصادرة كوخه وبقراته وممتلكاته الأخرى إذا هو لم يفعل.

بعد خمس دقائق دخل مساعدي المختص بالأراضي، وهو شاب برتغالي

مرح مولع باستشفاف الأخبار، وقال لي بلطف: "تناهى إليّ أن ذلك المزارع الذي كان عندك يتمتع بدعم جماعة نافذة."

فهممت: "حسناً." وفجأة اتضحت لي الأمور الغريبة التي لحظتها في أثناء المحاكمة. فالمزارع لم يكن ليستطيع شراء البقرات بماله الخاص. وعرفت أن القسوة التي ارتسمت على ملامحه كانت متعمدة وأن كذبه في ما يتعلق بأجرة الأرض كان مقصوداً. فقد أراد النافذون أن يكون حكمي في الدعوى على النحو الذي حصل. ولذلك طلبوا من المزارع الاصرار على الاحتكام الى القانون البريطاني. وتبين أن كل ما جرى كان مقصودا وأنه يهدف إلى التسبب في نشوء حدث ما.

عملية السيجار

في اليوم التالي أبرزت صحيفتان مهمتان في هونغ كونغ قصة المحاكمة ووصفتا بؤس الفلاح الذي يحرث الارض ويتعرض لاضطهاد المالك الثري.

ومضت عشرة أيام من دون أن يتحرك المزارع من الأرض. فتعين عليّ أن أطلب من مأمور التنفيذ إزاحة ممتلكاته، وحددنا لذلك وقتاً معيناً. وأخبرني السيد لوه أن عدداً كبيراً من المزارعين قد يقاومون مساعدي المأمور، فأجريت اتصالا هاتفياً بالشرطة. ولم نكن نتصل بالشرطة الا في ما ندر، لأن لجوءنا إلى الأعراف الصينية قلّما أحوجنا اليها. فلما كالمت مدير الشرطة الذي كان يجيد اللغة الصينية ويملك حسّاً سياسياً ممتازاً أتى إليّ بنفسه وسألني: "كم تتوقع أن يبلغ عدد المزارعين؟"

فأجبته: "قيل لي إنه يبلغ نحو ثمانين، ولكن قد تكون في هذا الكلام مبالغة."

قال: "لست أرى رأيك. فهل نظرت ملياً في الصحف الصينية؟"

والواقع أن الصحف راحت تنشر يومياً مقالات جديدة حول الاقطاع، وقد رأى مدير الشرطة في هذه المقالات تلميحاً إلى قضيتنا التي تحمل في أضعافها بذور حادث بشع. وليس أدلّ على ذلك من توقع قيام حشد من المأمورين الاوروبيين بانتزاع الكرنب الصيني وسط جمع من المزارعين الثائرين ورجال الشرطة. ولا ريب في أن أخبار الحادث ستصل الى الصحافة وإلى راديو بكين بعيد وقوعه.

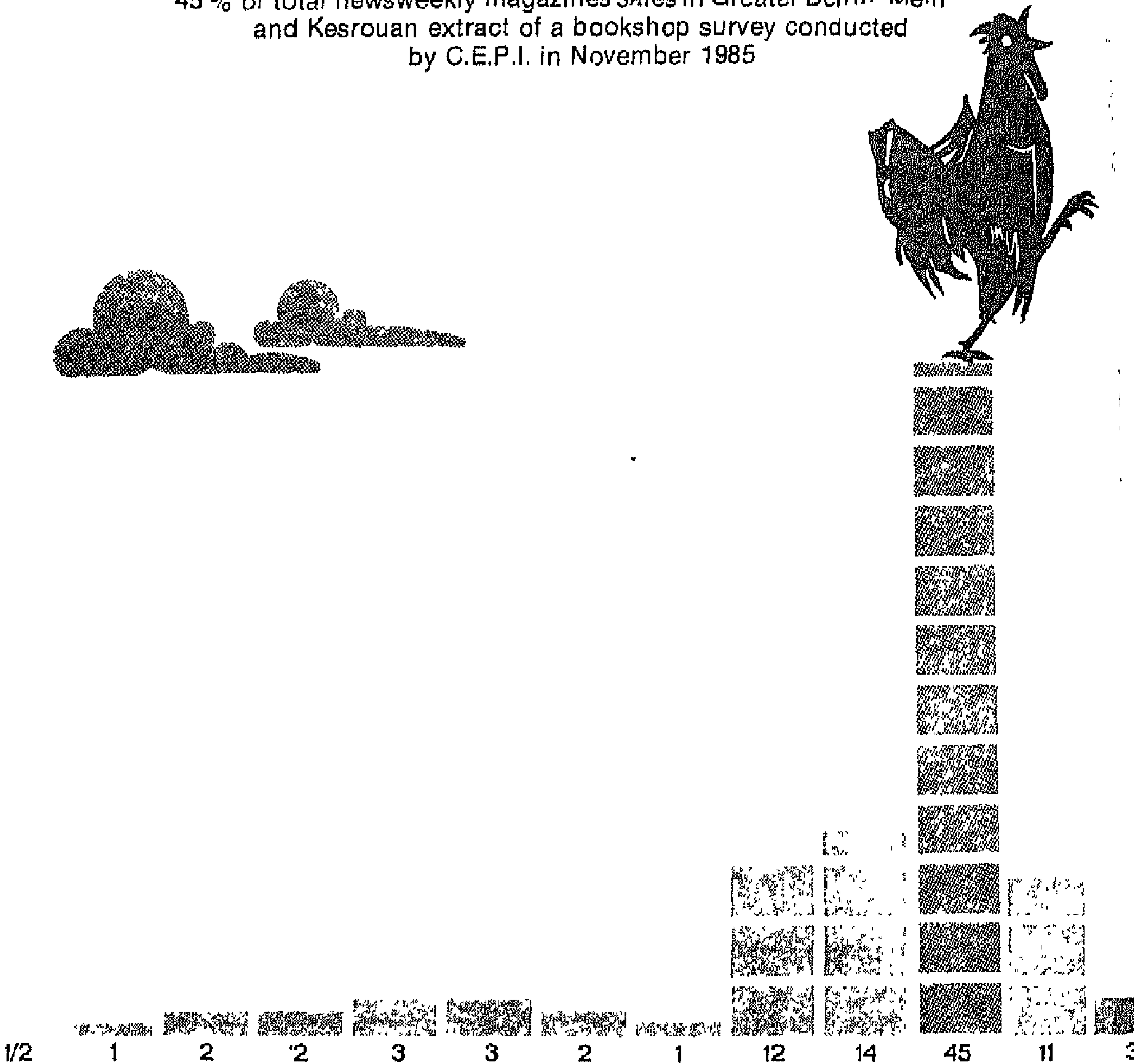
على أن الموظف المسؤول عن منح الرخص أجاز لنفسه أن يأتيني ببعض معلومات رأى أنها يمكن أن تستأثر باهتمامي. والواقع أنه كان مصيباً في ظنه، إلا أني لم أفشِ شيئاً من هذه المعلومات الى مدير الشرطة وقلت له: "أظن أنه لا تزال لدي فرصة لتسوية هذه القضية على نحو مرضٍ. ولكن إذا تعذر عليّ ذلك فسنحتاج إلى مساعدة الشرطة على نحو سريع. فهل من الممكن أن يختبىء رجالك في مكان قريب من الحقلين كي لا نعطي انطباعاً أننا نتوقع حصول مشاكل؟"

- هذا سهل جداً. وسنُعدّ أربعمئة شرطي كي يكونوا في إمرتك.

"حسناً. أطلب من الضابط المسؤول أن يراقبني بانتباه. فإذا أخفقت خطتي واضطررنا إلى الاستعانة بالشرطة فإني سأشعل سيجاراً."

ثم أرسلت في طلب السيد لوه وقلت

The sky is still our limit



النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative TAMAM

مجلة المتعة الدائمة

- "المختار" مجلة مريحة ومتفائلة، تسلّي من غير تجهيل وتثقّف من غير وعظ وتفيد من غير اضجار.
- "المختار" لافراد عائلتك مجلة انيقة لا يعترض تهذيبها حاجز.
- "المختار" تزيد معارفك وتوسّع آفاقك وتغنيك عن مطالعة عشرات الكتب والمجلات.

للاشتراك في "المختار" املأ القسيمة بخط واضح بالعربية أو الاجنبية، وارسلها بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً امريكياً هو بدل الاشتراك في ١٢ عدداً من المجلة لمدة سنة، الى احد العنوانين الآتيين:

Bank Almashrek S.A.L.
P.O. Box 1524
Beirut — Lebanon

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت - لبنان.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut — Lebanon

البنك المتحد للأعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان.



قسيمة اشتراك

Name ____________________ الاسم

Address ____________________ العنوان

Profession ____________________ المهنة

Date ____________________ التاريخ

Signature ____________________ التوقيع

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار"

له: "أرجو أن تتصل بالسيد لو وتقول له أن يوافيني إلى الموضع المحدد عندما يأتي المأمورون. فهو الذي تسبب في جميع هذه المشاكل وأنا أريده أن يشهد النتائج. وأخبره أنه إذا لم يأتِ فسيقبض عليه ويؤتى به قسراً."

وكم كان أسفي شديداً لاضطراري إلى لزوم مكتبي في اليوم المحدد لمعالجة شؤون طارئة، فبعثت في طلب هنري، الموظف البرتغالي المختص بالأراضي. وكان هنري يحب المغامرة. وعندما حضر قلت له: "عليك أن تقوم مقامي في قضية المزارع. فهل معك سيجار؟"

أجاب وهو يتكلف الابتسام: "إني لا أدخن يا سيدي."

قلت: "قد تضطر الى ذلك بعد ظهر اليوم. خذ سيجاراً مما لديّ وأصغ إليّ. ستجد عند وصولك عدداً من الناس كبيراً. قف حيث تمكن مشاهدتك من جميع الجهات. وحين يصل المأمورون لا تدع الشك يخامر أحداً في أنك على قابي قوس من إعطاء أمرك ببدء التنفيذ. وبدهي أن يبدي الحاضرون استياءهم. ودع السيد لو يرى هذا الاستياء ويشعر به. ثم قل له انه إذا أثار الحادث صباح غد هياجاً دولياً فسيكون هو السبب."

ابتسم هنري ابتسامة عريضة. فتابعت: "اسأل السيد لو هل يوافق على الاحتكام الى الأعراف الصينية إذا أنا ألغيت جميع الاجراءات التي اتخذت في هذه القضية وفاقاً للقانون البريطاني. وامنحه وقتاً كافياً كي يفكر في الأمر وقل له إن قراره سيكون خطيراً. فإذا رفض، ابتعد عن المكان وأشعل السيجار. ثم اطلب من السيد لو أن يركب سيارته وينطلق بها بأقصى سرعة ممكنة."

– ولكن ماذا نفعل إذا رضي السيد لو باقتراحك؟

"تقول للجميع، بمن فيهم المأمورون، إن في إمكانهم الذهاب الى بيوتهم."

– الذهاب الى بيوتهم؟

"نعم، وأنت أيضاً. ولكن تعال لرؤيتي أولا."

انتصار العرف الصيني

رجع هنري قبيل الوقت المحدد لانصراف الموظفين وقال وهو يمسح العرق المتصبب من جبينه: "أفٍّ! كان ذلك حدثاً ذا شأن!"

وأخبرني أنه عندما وصل الى المكان المحدد رأى ما يزيد على تسعمئة رجل قد أحكموا الاحاطة بالحقلين. ووجد الصحافيين والمصورين على أهبة الاستعداد. أما المأمورون فوصلوا (كما كنت أتوقع) في سيارة بريطانية صغيرة مثيرة للسخرية وهم يرتدون ثيابهم الريفية. وبدأ صبري ينفد فقلت: "حسناً، وماذا حدث يا هنري؟"

فوضع السيجار على مكتبي وكان لا يزال غير مشعل. فهممت: "ماذا قال السيد لو؟"

فجعل هنري يصفق في الهواء مقلداً السيد لو وأجاب: "قال إنه يفعل كل ما يريده حضرة القاضي."

قلت وأنا أحاول إخفاء شعوري بالراحة: "وهكذا ذهبتم جميعاً إلى البيت؟"

– نعم يا سيدي.

"وتركتم الرجال التسعمئة هناك؟"

- بالطبع يا سيدي!

"ليباركك الله يا هنري! هذا تماماً ما كنت أبغيه. والآن أرجوك أن تطلب من الموظف المسؤول عن الرخَص أن يأتي إليّ."

فغادر هنري المكتب وبعد برهة دخل لاو، الموظف المسؤول عن الرخص، فقلت له: "أنت تذكر أنك أخبرتني يوماً أن زوجة ذلك المزارع تملك دكاناً للخضرة في مكان آخر من المقاطعة، فهل هذا المكان هو تسوين وان؟"

فهز رأسه موافقاً وهو يترقب ما سأضيفه فقلت: "ابعث اليها من فورك رسالة بالبريد المضمون وأبلغها أنك ستلغي رخصة الدكان بعد سبعة أيام."

فهز رأسه ثانية وتوجه الى الباب ثم توقف لحظة فأضفت: "شكراً لك يا لاو."

وبعد أربعة أيام بات حقلا السيد لو خاليين من الكوخ والحظيرة والبقر والمُزارع وانتزع منهما عدد رمزي من الكرنب وترك الباقي ليفسد.

والحق أني لم أكن أتوقع أن يتمّ ذلك بهذه السرعة. وكثيراً ما تساءلت لماذا تعيش زوجة المزارع بعيداً عنه. وقد اتفق أننا اهتدينا الى مصدر رزقه الأساسي.

وبعد بضعة أشهر التقيت السيد لو في حفلة استقبال بارزة في المدينة فسألني: "كيف تمكنت من فعل ذلك؟"

فأجبته بصفاء: "بالاحتكام الى الأعراف الصينية. وأرجو أن تتفضل عليّ بإعلام ممثليك القانونيين بالأمر."

ولم يكن من اليسير أن أخبره أن تسوية ذلك الشأن وسواه من الشؤون لا تكون إلا بالخداع.

وبدهي أننا أحجمنا عن إلغاء رخصة زوجة المزارع بعدما وافق على مغادرة أرض السيد لو.

سبع سنوات في مركب

اليكم الآن قصة زوجين من صيادي السمك مضى على زواجهما سبع سنوات من دون أن ينجبا أولاداً. وكان الرجل ينتمي الى قبيلة من الصيادين الرحل القادمين من فوجيان. وكان أهل كانتون يطلقون على أبناء هذه القبيلة اسم هوكلو. ولم يكن الرجل يتكلم الكانتونية ولا الهكّـه اللتين كـانتـا اللغتين الرئيسيتين في المقاطعة، ولم يكن في مقدور أحد في المحكمة أن يفهم لهجته. واستطاع السيد لوه بعد لأي أن يجد شخصاً من قبيلة الهوكلو يمكنه ترجمة كلامه الى الكانتونية.

أما الزوجـة فكانت من مقـاطعة غوانغكسي الريفية التي تبعد مئات الكيلومترات عن هونغ كونغ. وكانت هي أيضاً تحتاج الى مترجم لأنها لم تتكلم بلهجات المقاطعة. ووجدنا صعوبة جمة في إيجاد شخص يفهم لهجتها، لكننا وفقنا الى ذلك في نهاية المطاف. وبدأت المحاكمة في حضور عدد كبير من الاشخاص لمساعدتنا.

وكان منظر الزوجين يبعث السرور في النفس. فقد ظهرت عليهما أمارات العافية والاستقامة ولوّحت بشرتهما أشعة الشمس. وبدا الرجل في الخامسة والثلاثين وقد فعلت فيه عناصر الطبيعة. وكانت الزوجة امرأة ريفية جميلة حقاً ذات قـوام رائع وعينين صـافيتين

جميلتين تنمّان عن صدق بيّن وأمانة واضحة.

وجلس الزوجان أمامي متحليين بصبر ظاهر على رغم طول الوقت الذي استغرقه تخاطبنا. فقد كنت أطرح سؤالي بالانكليزية فيعمد السيد لوه الى ترجمته الى الكانتونية ومن ثم ينقله مترجم آخر الى الهوكلو. وعندما كان الزوج يجيب كنا نمرّ بالمراحل ذاتها على نحو معكوس. ولم يكن الامر مختلفاً عن ذلك عندما كنت أوجه أسئلتي الى الزوجة وتجيبني بلهجتها الخاصة.

واتضح أن الزوجين عاشا معاً سعيدين في مركب صغير مكشوف مدة سبع سنوات. ثمّ عنّ للزوجة أن تطلق زوجها وترجع الى قومها. وبدا واضحاً أنهما كانا متحابّين ولم يكن الزوج يريدها أن تتركه، لكنها رأت أنها خذلته لأنها لم تنجب له طفلا، ورغبت في أن تحرّره كي يتخذ زوجة ثانية وتعود هي إلى مقاطعة غونغكسي حيث يمكن أن تجد لها زوجاً قبل فوات الأوان. والحق أن كلا منهما كان يفكر في مصلحة الآخر فقط، ووجدت ذلك مفطّراً للقلب فسألت الزوج: "لماذا لا تطلب من زوجتك أن تغيّر رأيها؟"

وتلقيت منه عبر المترجمين جواباً غريباً هو: "لا أستطيع ذلك."

قلت له بلطف: "ماذا تعني بقولك هذا؟ أطلب منها ذلك الآن أمامي ولا تكن خجولا!"

فقال بهدوء: "لا أستطيع."

وجعل المترجمون الحاضرون يتبادلون التساؤلات في ما بينهم ومع الزوجين. ولم يمض وقت طويل حتى لاحظت المترجمين يحاولون إخفاء ابتساماتهم. فقد عاش الزوجان سبع سنوات في مركب صغير من دون أن تربط بينهما لغة مشتركة. وهززت رأسي مستغرباً فيما ارتسمت على وجه السيد لوه ابتسامة بريئة لم أشاهدها من قبل. ثم لم يلبث أن تنهد وقال بلهجة ودودة تنم عن خبرته في الحياة: "آه! إنها لغة الحب!"

ورحت أنظر إلى الزوجين فخطر لي أننا وان بلغنا من العمر مئة عام لما أمكننا أن نتبادل الحديث. وعلى رغم ذلك جرى بيننا في تلك اللحظة لون من الكلام. وعرفت أننا لن ننسى أبداً تلك اللحظة. ولم ألبث أن قلت للسيد لوه: "هل تظن أنهما كانا متزوجين حقاً؟" وسرعان ما أمسكت عن الكلام. فقد كانا يرغبان في إنجاز جميع الاجراءات على النحو الصحيح كي يحافظ كل منهما على مستقبل الآخر، غير أني وجدت الحكم عليهما بالطلاق أمراً مزعجاً جداً. فهممت مخاطباً السيد لوه: "سبع سنوات في مركب! إنه لإنجاز عظيم، ومما يؤسف له أنهما لا يستطيعان متابعته."

فتنهد قائلا: "إني أوافقك في الرأي، ولكن كيف يمكن إبلاغهما ذلك من خلال هذا العدد الكبير من المترجمين؟"

فعمدت إلى المجلد الضخم وألغيت الزواج على مضض.

▪ انقلوا الرابية ▪

إن واجب المسؤول المحلي هو تسوية الأمور بين المدينة والريف وتحقيق الانسجام بين المصالح المتضاربة ومراقبة عملية بناء البيوت والتدريب على تربية

المواشي والاشراف على زراعة الاشجار والدعوة إلى مكارم الأخلاق وتشجيع إقامة علاقات بنوية وأخوية طيبة وحث الناس على إطاعة الحكومة والعيش في سكينة ويسر.

والحق ان تحديد واجباتي على هذا النحو أخذ من تعاليم الفيلسوف الصيني هسون تسو الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد وكان ذا خبرة في الادارة. ومما يدعو الى الدهشة أن هذا التحديد لا يزال دقيقاً جداً بعد مرور ٢٢٠٠ سنة على وضعه. فقد صرفت معظم وقتي في المقاطعة في "تسوية الأمور بين المدينة والريف." فمدينة هونغ كونغ كانت آخذة في الامتداد السريع، ووجبت عليّ محاربة هذا الامتداد الذي يشكل اعتداء على الريف، وحماية القرويين والحياة القروية جهد المستطاع كي أجنب الريفيين مكابدة آثار التغير السريع.

كذلك كان من واجباتي اظهار حدود الأراضي للتوفيق بين المصالح المتضاربة. أما "التدريب على تربية المواشي" فكان لحسن الحظ من شأن دائرة الزراعة. إلا أنه بقي عليّ تحديد القرى التي ينبغي تزويدها البقر والدجاج وضروب الحيوان الأخرى. وأما "الاشراف على زراعة الاشجار" فكان لا يزال أمراً حيوياً كما في زمن هسون تسو.

وفي ما يتعلق بـ"الحث على مكارم الاخلاق وتشجيع إقامة علاقات بنوية وأخوية طيبة" فقد كثر الكلام جداً على هذا الأمر. فالحث على مكارم الأخلاق كان هو مفتاح العمل، إذ لم يكن من واجب القاضي إطلاق الاحكام الأخلاقية على الناس، بل واجبه إرشادهم الى الافعال الصحيحة المستحسنة.

وكانت "تسوية الأمور بين المدينة والريف" تهمّ تسوين وان خصوصاً انها كبرى مدن المقاطعة. وكانت هذه المدينة في الأصل مكونة من ثماني قرى ذات بيوت من حجر بنيت في القرن الثامن عشر في منطقة خصبة يزرع فيها الرز وتواجه خليجاً يكثر فيه صيد القريدس (الجمبري). وتعد تسوين وان اليوم المركز الصناعي الثاني بعد كولون.

على أن القرى الثماني الاصلية التي غرقت الآن في خضم التشوش الصناعي، لا تزال محتفظة بطابعها الريفي. وكان من شأن ارتفاع أسعار الاراضي ان يدفع القرويين الى بيع أراضيهم الزراعية. غير أن هذا يعني انتهاء معظم السكان الاصليين إلى البطالة لأنهم لا يصلحون للأعمال الصناعية. لذلك لزم علينا أن نحتفظ بأراضي تسوين وان المستعملة لأغراض زراعية أطول مدة ممكنة كي يتاح للسكان الأصليين وقت كاف للتكيف مع محيطهم الجديد.

أما تضارب مطالب الصناعيين ومستثمري الاملاك مع المصالح الحكومية والمنافع العامة فبلغ حداً من التعقيد جعلني أركب السيارة مع الموظفين المسؤولين عن الأراضي أملا في تكوين انطباع عام عن منطقة تسوين وان. وأوقفنا السيارة على مسافة ثمانمئة متر من المدينة وجعلنا نراقب المنظر من منحدر قريب.

وشاهدنا المدينة والخليج. ورأينا الى جهة اليابسة تلة وحيدة اقترحت دائرة

التربية بناء مدرسة كبيرة عليها. وحول المدينة والتلة بدت لنا حقول الرز الأخضر والأراضي المنسقة المزروعة خضراً.

وكانت مشكلة تسوين وان المباشرة حاجتها الملحة إلى مزيد من بيوت العمال والدكاكين والمحلات التجارية. وكان وسط المدينة (أي القرى الثماني الاصلية والأبنية التي شيدت فيها خلافاً للقانون) بلغ من القذارة والازدحام حداً لم يبق معه مفر من هدم معظم الابنية القائمة فيه. إلا أن ذلك لم يكن ممكناً من دون تأمين مساكن للاهالي. واقتضى تأمين هذه المساكن إنشاء شوارع جديدة في الأماكن الموازية لوسط المدينة، ولم يكن ذلك ممكناً إلا باللجوء الى مزيد من الحقول الزراعية.

وبدا كل ذلك صعباً بحيث انصرفت موقتاً عن التفكير في الموضوع. وشرعت أفكر في التلة والمدرسة التي ستقوم عليها. ثم رحت أتخيل المدرسة نفسها. وتذكرت أني كنت أكره الذهاب إلى المدرسة عندما كنت صبياً. وخلتني صبياً صغيراً يجرّ كتبه صاعداً التلة في حرّ الصيف متوجهاً الى المدرسة فيصل الى صفه والعرق يتصبب من جسده، ثم يضطرّ إلى الاصغاء الى أحد الدروس المملة. وعلمت أني سأكره تلك المدرسة فقلت: "أظن أني عرفت ما ينبغي عمله."

فأخذ المسؤول الأول عن شؤون الاراضي، وهو رجل أوروبي ضخم الجسم، يقلّب فيّ بصره كأنما ينظر إليّ من علٍ. فأحسست أني ارتكبت حماقة ما، وحاولت أن أبدو ذا سلطة فتابعت وأنا أشير الى التلة: "نعم، اهدموا تلك التلة وارد موا بها البحر من الجهة الأمامية للمدينة فيؤمّن لنا ذلك الشوارع التي نحتاج اليها لتشييد الابنية السكنية والمحلات التجارية، ونبني المدرسة في موضع التلة المسطح.

ورحت أنتظر ردّه خائفاً أن يكون مجرد قهقهة. غير أنه خلافاً لما توقعت أخذ يقدر مساحة التلة ثم قال: "نعم، هذا يحل المشكلة."

وبعد أقلّ من سنتين امّحت التلة بكاملها وعبدت شوارع جديدة في ناحية تسوين وان المواجهة للبحر. أما في طرف المدينة فكان أكثر من خمسمئة صبي يذهبون الى المدرسة يومياً من دون أن تتصبب على جباههم قطرة عرق واحدة.

والواقع ان موظفي دائرة شؤون الاراضي في هونغ كونغ كانوا أكثر مني الفة لفكرة نقل التلال. فمنطقة كولون هي في الحقيقة مجموعة من التلال المسطحة. ولا ريب في أن "تسوية الأمور بين المدينة والريف" تبعث السرور في نفس المرء أحياناً، ومعظم الناس لا يسعهم الانكار أن قدرة المرء على نقل التلال هي مبعث سرور في النفس.

■ عصائب القاضي ■

كان قرب مكتبنا في هونغ كونغ واحد من أشهر محلات العصائب (٣). وكان في المحل صبي يحضر لي للغداء أحياناً طبقاً من العصائب الساخنة مغطى بورق معدني وموضوعاً على صينية فيها وعاء من مرق

(٣) العصائب (noodles) ضرب من المعكرونة المسطحة الشائعة في الصين.

الصويا وآخر من الخردل ومرق الحر الاحمر وعودان للاكل (chopsticks) مغلفان بمنديل من ورق. وكان كثير من الموظفين يفيدون من هذه الخدمة خصوصاً عندما تشتدّ وطأة العمل.

وذات يوم بعد انقضاء فترة الظهيرة، ألفيت أمامي زوجاً وضرّتين متخاصمتين أتى بهم إليّ أحد شيوخ القرى. وكانت إحدى الضرتين هي الزوجة ذات الحظوة عند زوجها فيما كانت الثانية مجرد جارية. غير أن الجارية كانت هي التي تزوجها الرجل أولا وأنجبت له صبياً. ومن ثم عمد إلى تزوج الثانية التي باتت هي الزوجة ذات الحظوة، الا أنها لم تنجب له صبياً. وهكذا بدت الزوجتان متساويتين على نحو ما في مقامهما الزوجي.

ومضت سنوات لم يعرف الزوج فيها طعم السعادة. فقد ناصرت كلا من الزوجتين المتخاصمتين بعضُ نساء القرية ونشأ في القرية فريقان متصارعان. ورأى الشيخ أن تذهب إحدى الزوجتين لتعيش في بيت أصغر يملكه الزوج في إحدى التلال المشرفة على القرية بحيث يزورها على نحو منتظم.

وكان السؤال المطروح هو أي الزوجتين تذهب. فالزوج لم يكن قادراً على اتخاذ القرار لأنه لم يرغب في أن تغدو حياته أكثر مرارة. كذلك عجز الشيخ عن اتخاذ القرار لأن أي قرار يتخذه سيؤلب عليه نصف القرية. فلو كان الأمر خالياً من العقد لقضى القرار ببقاء الزوجة ذات الحظوة في البيت الأساسي وانتقال الجارية إلى البيت الآخر. غير أن المشكلة كانت أكثر تعقيدا وذلك لوجود الزوجتين في وضعين متكافئين، ففي وسع الزوجة ذات الحظوة أن تطلب بقاء الصبي معها على رغم أنها ليست أمه الحقيقية. وربما أيد الزوج هذا الطلب رغبة منه في البقاء مع ابنه مما يتسبب في افتراق الأم الحقيقية عن ابنها.

وكانت الزوجتان متكدرتين جداً. ولئن أمكن أن تكون كل منهما على حدة زوجة صالحة فإنهما لم تكونا تطاقان مجتمعتين.

ويمكن اختصار حجة كل من الزوجتين بما يأتي: لماذا أترك هذا الرجل مع تلك المرأة التي تسيء معاملته؟

وبدا لي أن مسألة "العطف" على الزوج هي النقطة الأساسية في الأمر. فالشيخ كان يعلم أي الزوجتين أكثر عطفاً، لكنه في ما يظهر لم يستطع إخباري بذلك. وهكذا تعين عليّ أن أكتشف الحقيقة بنفسي. إلا أن الزوجتين راحتا تمطران احداهما الاخرى بوابل من الشتائم لم أكن بمنأى عنه أحياناً، فأخفتا عني بذلك حقيقة عطفهما.

وفي الاولى بعد الظهر أخذ اليأس يطبق عليّ. وفجأة فتح الباب ودخل صبي العصائب وعلى وجهه ابتسامة عريضة وهو يرفع غدائي عالياً. ولم يكن الصبي على علم بانعقاد الجلسة، فوضع الصينية أمامي ورفع الغطاء عن طبق العصائب ثم خرج من الغرفة. وانبعثت من الطبق سحابة من البخار وعمّت المحكمة رائحة مسيلة للعاب.

ولم ألبث أن خاطبت الحاضرين: "انتبهوا أيها الناس. هذا يوم حافل بالعمل بالنسبة إليّ، لكني لا أريد

مقاطعتكم. فسأستمرّ في الاصغاء اليكم، ولكن هل لكم أن تتفضلوا بمعذرتي إذا أنا تناولت غدائي الآن؟"

ونظرت الى أعلى لمعرفة ردّ المرأتين. فألفيت الزوجة ذات الحظوة تحدق إليّ بازدراء. أما الجارية فظهرت على شفتيها ابتسامة ساحرة وقالت: "بالطبع يا سيدي القاضي، يجب أن تأكل طبق العصائب."

وتبين لنا أي الزوجتين ألطف في معاملة الرجل، غير أني تركت القضية تطول قليلا كي أخفي عنهما القرار الذي لم اتخذه أنا، بل اتخذته العصائب. ومن ثمّ أمرت الزوجة ذات الحظوة بالانتقال الى البيت القائم في الرابية حيث يزورها الزوج على نحو منتظم، وطلبت من الجارية البقاء في القرية.

ووقف الحاضرون استعداداً للذهاب. والحق أنهم كانوا جميعاً يعلمون الحقيقة لكنهم احتاجوا الى شخص ذي سلطة يخبرهم بها.

ولست أشكّ في أن ذلك المحل الذي يبيع العصائب هو محل ممتاز!

▪ ثلاث بقرات وامرأتان ▪

كانت مظاهر كثيرة من حياة الاراضي الجديدة تزعجني كأوروبي اكثر مما تزعج موظفيّ الصينيين. لذلك سرّني دائماً ان أرى أحد هؤلاء الموظفين عاجزاً عن ملك نفسه أمام بعض القادمين الى المحكمة، فهذا يدل على أن العجز لم يكن وقفاً عليّ. وكم تمنيت أن أجد الموظفين جميعاً في حال مماثلة.

وتحققت امنيتي مرة واحدة من خلال قضية استدعى الحكم فيها بضع جلسات في المحكمة، وكان غضب الموظفين في كل من هذه الجلسات يزداد عنه في الجلسة السابقة.

والسبب في هذا الازعاج الذي دام ثلاثة أشهر امرأتان ربطت بينهما صلة قربى وعاشتا في قريتين نائيتين على الروابي. وهما ركبتا الحافلة نفسها في المرة الاولى، وعندما وصلتا الى المكتب جلستا بهدوء الى أن حان موعد البحث في قضيتهما. وهكذا كانت البداية. فقد جعلت كل منهما تشتم الأخرى بأعلى صوتها وأتت شتائمهما مصحوبة بهزات للاكتاف معبرة عن الاستياء وبنظرات ازدراء. وتعالى صراخهما معظم الوقت على نحو متزامن وانبعثت منه ضجة رهيبة.

وكان موضوع خلافهما ثلاث بقرات تدعي كل منهما أن لها نصف الحصة فيها. ولما كانتا تعيشان في قريتين مختلفتين فقد تسبب ذلك في نشوء مشكلة بينهما. وكان بدهياً أن يصير في المقام الاول تقدير ثمن البقرات. ولكن كانت بين هذه البقرات عجلة. واذ تعذر على أي منا أن يقنع المرأتين بالاتفاق على أمر من الامور فقد كنا نطلب منهما كل مرة الذهاب الى منزليهما للتفكير في ما اقترحناه. وفي أثناء ذلك كانت العجلة تكبر وثمنها يزيد فاضطررنا الى بدء كل جلسة جديدة باعادة تقدير ثمن البقرات، فتعمد المرأتان الى صب جام غضبهما علينا. لذلك كان كل من يتعامل معهما يستشيط غضباً ويرد على صراخهما بصراخ مشابه.

وعلى رغم ذلك خطر لي بعيد مجيئهما للمرة السادسة أن ألجأ الى أسلوب مختلف. فعندما انبعث الضجيج في المرة التالية من المكتب الخارجي علمت بقدومهما ثم جلست أصغي اليهما بهدوء.

وكم كان سروري عظيماً حين رأيت أن أحداً من الموظفين لم ينج من آثار هذه القضية وأن الغضب الشديد انتقل من مكتب الى آخر فاستبد بهم جميعاً. وأخيراً جيء بالمرأتين الي بعدما أخذتا تطلقان أصواتاً كالشخير غير آبهتين بالموظفين. ووقفتا أمامي وقد بدت عليهما أمارات الحنق المستعر. وكنت في مناسبة سابقة ذكرت لهما أني سآمر بذبح العجلة وقسمتها بينهما بالتساوي إذا هما لم تلزما الهدوء.

ولم ألبث أن قلت للسيد لوه: "اسألهما من فضلك هل لهما أقرباء في أمريكا فقد اتفق أن مررت في قريتهما في اليوم السابق وعلمت أن معظم أهلهما من الرجال يعيشون في نيويورك".

وتبين أن للمرأتين قريباً يعيش في نيويورك هو زوج إحداهما وأخو الأخرى وقد مضى على وجوده في الخارج إحدى عشرة سنة. فقلت لهما: "أرجو أن تعطيا السيد لوه اسم قريبكما وعنوانه قبل ذهابكما، وليس لديّ ما أضيفه اليوم وشكراً."

وبدا عليهما الارتباك للمرة الاولى فراحتا تحملقان فيّ مغضبتين ثم غادرتا الغرفة وعاد الصخب خارج المكتب.

واتضح أن العنوان هو عنوان أحد المطاعم الصينية الفخمة في نيويورك.

وعمدت الى إملاء رسالة جاء فيها ما يأتي:

سيدي،

إننا لا نزال منذ بضعة أشهر نعاني إزعاج امرأتين من عائلتك أبدتا رغبتهما في أن ننظر في قسمة ثلاث بقرات بينهما بالعدل.

ونحن لا نود مناقشة حقك في الهجرة الى أمريكا والبقاء هناك إحدى عشرة سنة من دون أن تزور عائلتك. لكننا نود ببساطة أن نلفتك الى أننا نرى أن تكليفنا حل مسائل رياضية مستعصية أمر يتعدى نطاق عملنا. فإذا كنت تزمع الاستمرار في نمط حياتك الحالي، فنرجو أن تتدبّر شؤونك العائلية على النحو الذي يروقك بحيث تغدو حيازة البقرات الثلاث امراً ممتعاً لزوجتك وشقيقتك وبحيث تكفّان عن إزعاجنا.

ولئن تكن هذه الرسالة في الانكليزية لا تخلو من الحدة فانها بدت في الصينية رسالة عاصفة. وفيما كنت أضع عليها ختمي الاحمر أحسست أني امبراطور حقاً.

الاحساس بالعظمة

لم يكن مناص من أن تنتهي يوماً خدمتي في المقاطعة، وبات عليّ أن أغادرها في وقت معين.

ولست أشك في أنكم اكتشفتم من خلال هذه الصفحات نقائص كثيرة في القاضي الأعلى، غير أنه كان يندر أن تعوزه الثقة بالنفس. وعلى رغم ذلك فكثيراً ما تساءلت عن حقيقة نظرة الموظفين إليّ. والواقع أني عودت نفسي على اعتبار معرفة هذه الحقيقة ضرباً من المستحيل. على أن السيد لوه المحافظ والصموت فاجأني مرة قبيل مغادرتي المقاطعة قائلا، بعد تأمل طويل: "حسناً.

في المختار الشهر المقبل

لماذا يضرب الرجال نساءهم؟

إن ضرب الزوجات قصة قديمة. فهناك امرأة تضرب كل ١٨ ثانية، وأكثر من مليون يحتجن الى معالجة طبية سنوياً، وتموت أربع يومياً.

دليل الـ"ريدرز دايجست" الى اللياقة البدنية

برنامج رياضي منزلي وضعته مجموعة من خبراء اللياقة البدنية في تصرف قراء الـ"ريدرز دايجست".

وحده ضد القراصنة

طوال أسابيع روّع القراصنة اللاجئين الفيتناميين الذين جنحت قواربهم الى جزيرة نائية. وعلقت الآمال على شاب واحد قادر على وقف هذه الاعتداءات.

نهب كنوز الفن

تتعرض المواقع الأثرية والمتاحف والمعارض لسرقات فردية أو منظمة. وهذه مأساة حرمتنا أعمالا فنية لا تقدر بثمن.

السكري لم يعد مميتاً

لم يكتشف الطب بعد علاجاً شافياً من هذا المرض، لكن السيطرة عليه ممكنة بالمعالجة والمتابعة.

أمل للمحرومين من الاولاد

بات في وسع الاطباء مساعدة نصف الازواج المصابين بعقم على... الانجاب!

كتاب الشهر: رحلة الجبل الأحمر

عرض للعوامل الطبيعية في القطب الشمالي وأثرها في الجبل الجليدي الذي جاس البحار شاقاً طريقه جنوباً في موعد مع الموت.

إضافة إلى مَقالات أخرى شائقة وقصص مُسلّية

لم تمرّ بحياتي كلها سنوات بذلت فيها جهداً مماثلا، غير أني لم أعرف من قبل متعة تضاهي تلك التي عرفتها في هذه السنوات."

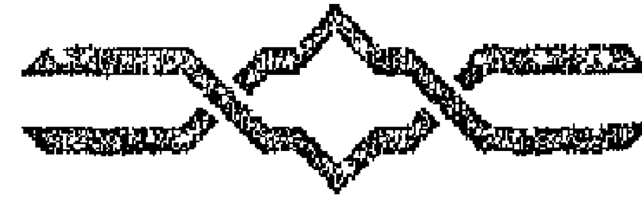
والحق أني لن أنسى أبداً هذا الثناء.

أقلعت الطائرة من مطار كاي تاك في اتجاه البحر، وأمكنني أن أشاهد تحتي لبضع دقائق الجزء الشرقي من المقاطعة. فجعلت أنعم النظر في واحد من أبعد الاودية وأكثرها خصباً، فاكتشفت بقعة بيضاء صغيرة هي جسر قوي ثابت بني بالاسمنت فوق أرض صخرية عبر نهر يطوف موسمياً. وكان الى جانب ذلك الجسر حجر ضخم من الصوّان الأبيض نُقش عليه تاريخ بناء الجسر وأسماء الذين ساعدوا في بنائه. وكان الحجر سجلا تاريخياً لم يرغب القرويون في فقده. فاذا اتفق أن أبدل الجسر يوماً ببناء آخر فإن الحجر يبقى محفوظاً (يمكن إدخاله جدار أحد الهياكل).

وكان اسمي أوِل الاسماء المنقوشة على ذلك الحجر، وذُكر قرب الاسم لقبي الرسمي. والاسم المنقوش كان اسمي الصيني "كاو تسي" وليس فيه ما يدل على أني غير صيني. إلا أن لقبي أشعرني بعظمتي الكبيرة.

ولم ألبث أن جلست مرتاحاً في مقعدي. والحق أن تفكير الغرب أو الانسان الغربي في إمكان حدوث تغيير في الصين ضرب من الوهم. فكل ما يستطيع الغربي إنجازه هناك هو أن يضيف حبة ملح الى ماء البحر لأن الصين هي كالبحر من مادة لا تتغير. غير أن الحجر المنقوش الى جانب الجسر سيؤكد على مدى سنين طويلة أني كنت أنا من ذوي الشأن العظيم.

أوستن كوتس ■

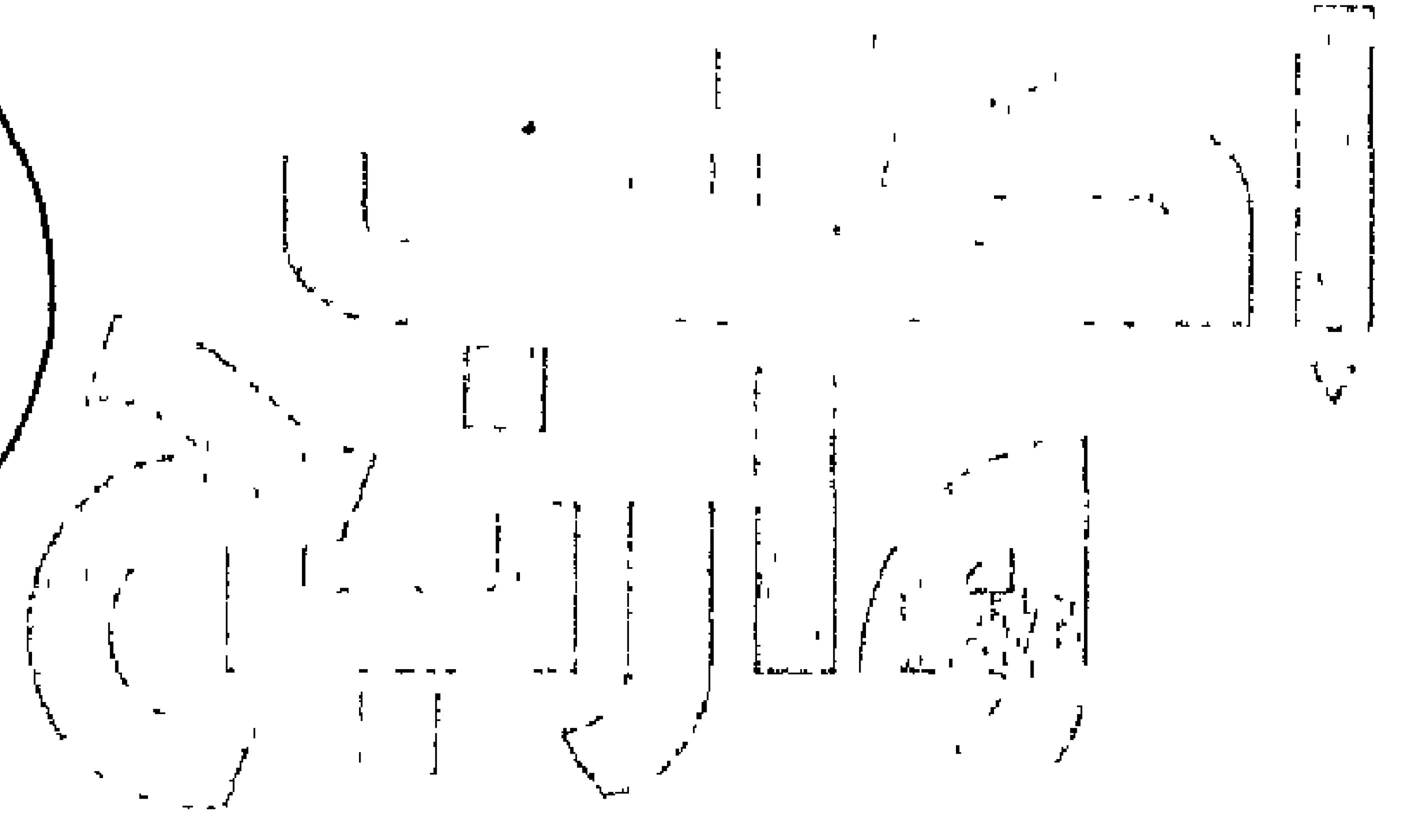


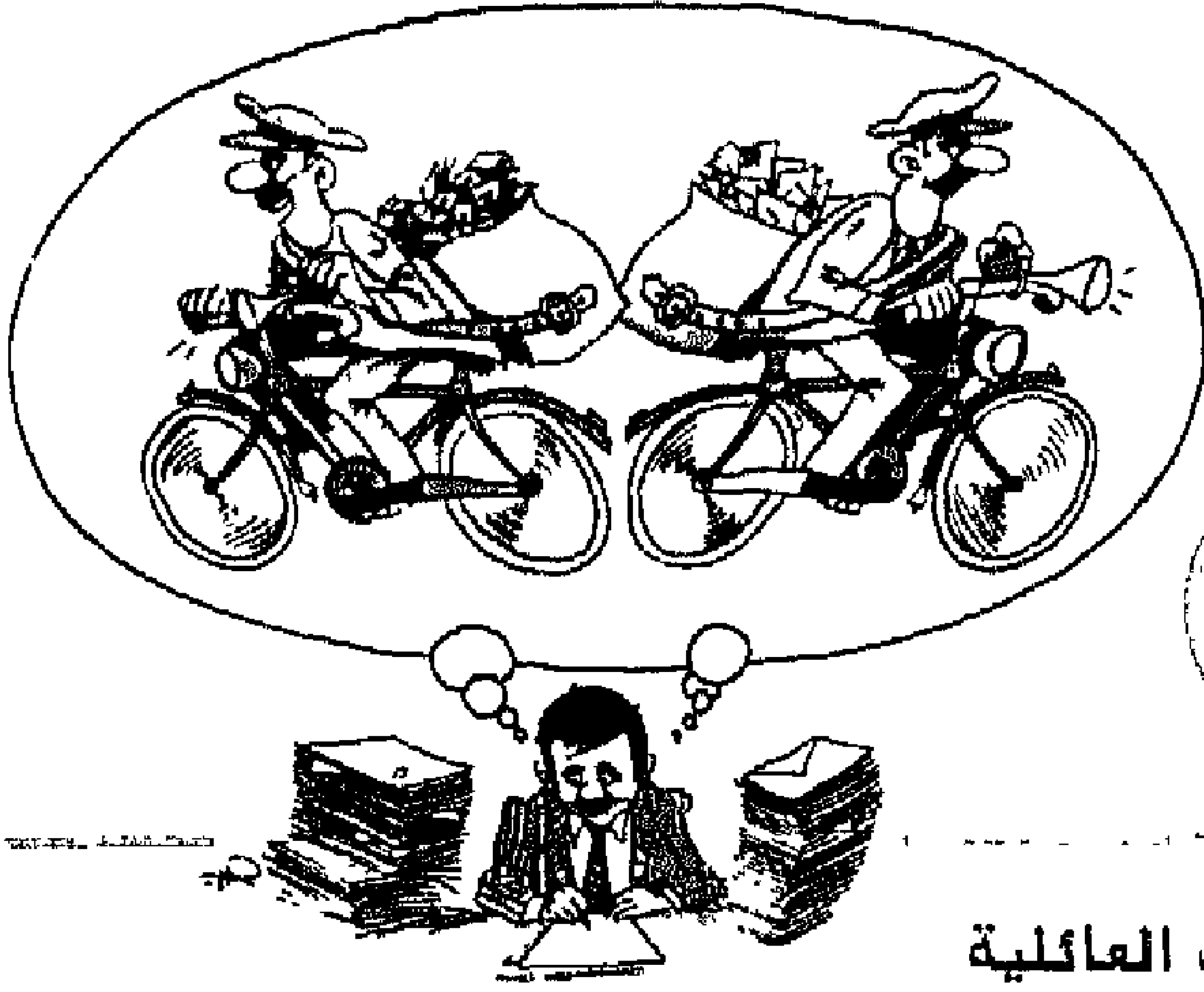
مستشفى المباحث

بصفتي كاتباً ليلياً في مكتب التحقيق الاتحادي (FBI) كنت في أحيان كثيرة أتلقى مكالمات هاتفية يقصد بها مستشفى يشبه رقم هاتفه رقم مكتبنا. وحين رفعت السماعة ذات ليلة وأجبت: "مكتب التحقيق الاتحادي" تناهت الي شهقة دهشة من الجانب الآخر. وأدركت أن المتكلم أخطأ الرقم وحاولت مساعدته فقلت: "لا بأس، أنت تريد مستشفى نورث كانساس، أليس كذلك؟" وقبل أن أتمكن من اعطائه الرقم الصحيح للمستشفى سمعت شهقة أخرى وصوتا متلعثماً: "عجباً، انكم معشر رجال المباحث تعرفون كل شيء حقاً."

ش.س.

الحقيقة لا تترك أثراً الا في المستعد لتلقيها. ك.م.





هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

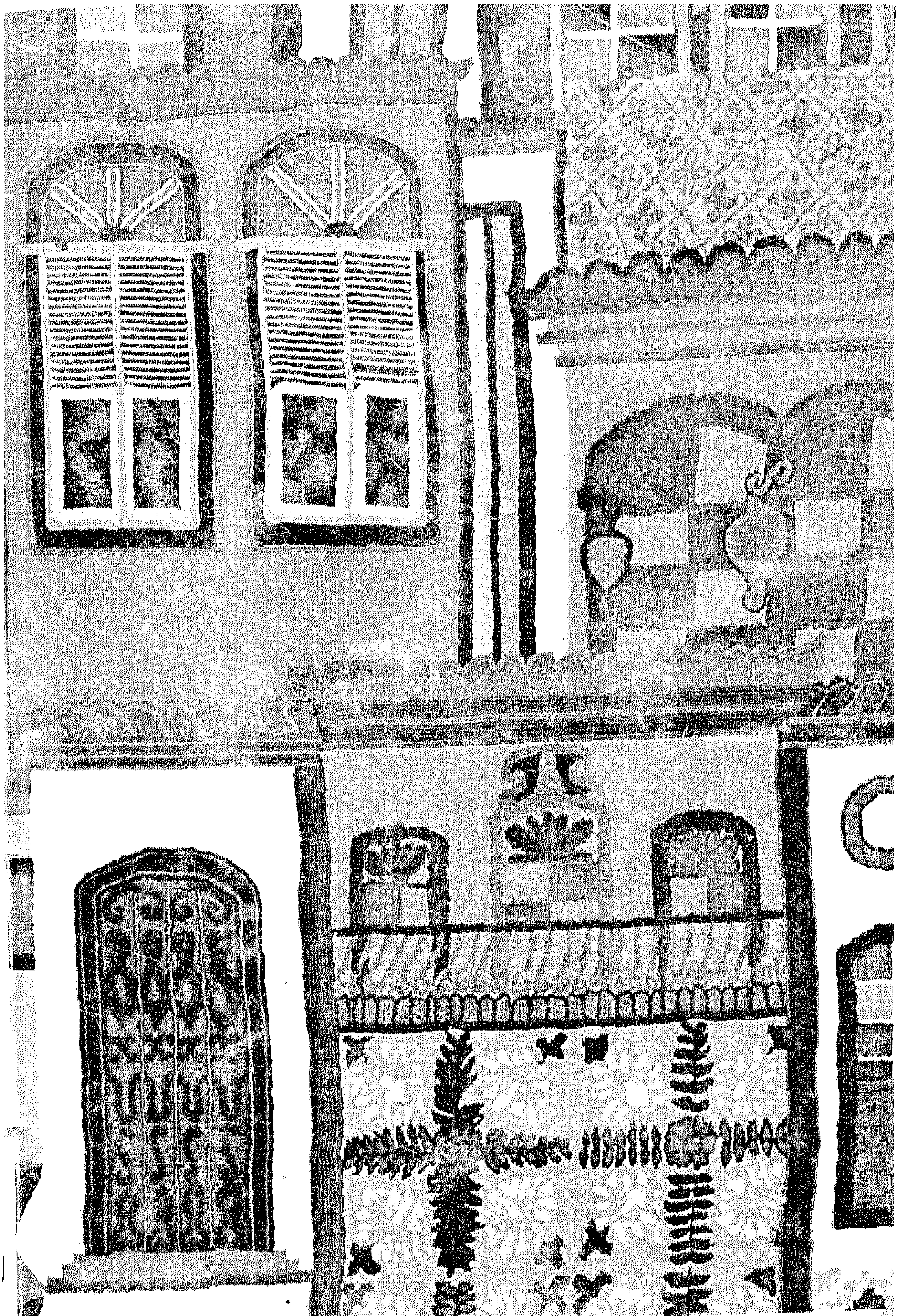
حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدادات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٣٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٣٢٨، المتن الشمالي، لبنان.



"واجهات ساو لويز" للبرتغالية مادلين كولاكو

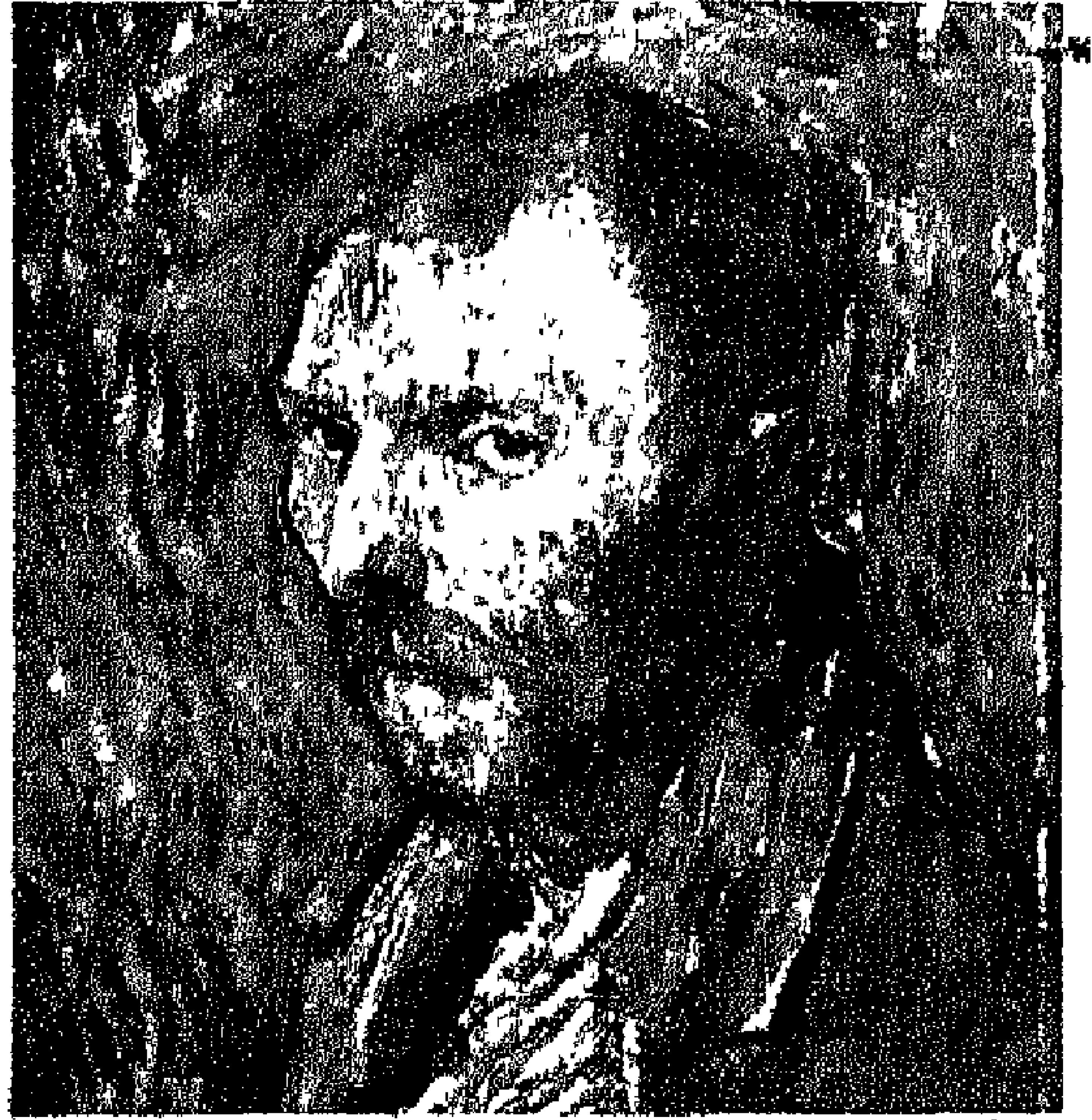
ابريل (نيسان) ١٩٨٦، شعبان ١٤٠٦

المختار



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest April 86 N° 89



لصوص الروائع

(ص ٥٠)

لماذا يضرب الرجال نساءهم؟

(ص ٣٤)

السكري لم يعد مميتاً

(ص ٦٨)

دليل الصحة والرشاقة

(ص ٨١)



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

الاشتراكات: فريال علاف.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠

ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.

الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس MEM 22288 LE.

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.



Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 — 491630

P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

April 86 N° 89 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية، الى العربية.

ثمن العدد

لبنان ١٠ل – سورية ١٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١ج – السودان ١ج – ليبيا ٧٠٠د – ج.ع. اليمنية ٤ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٦٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

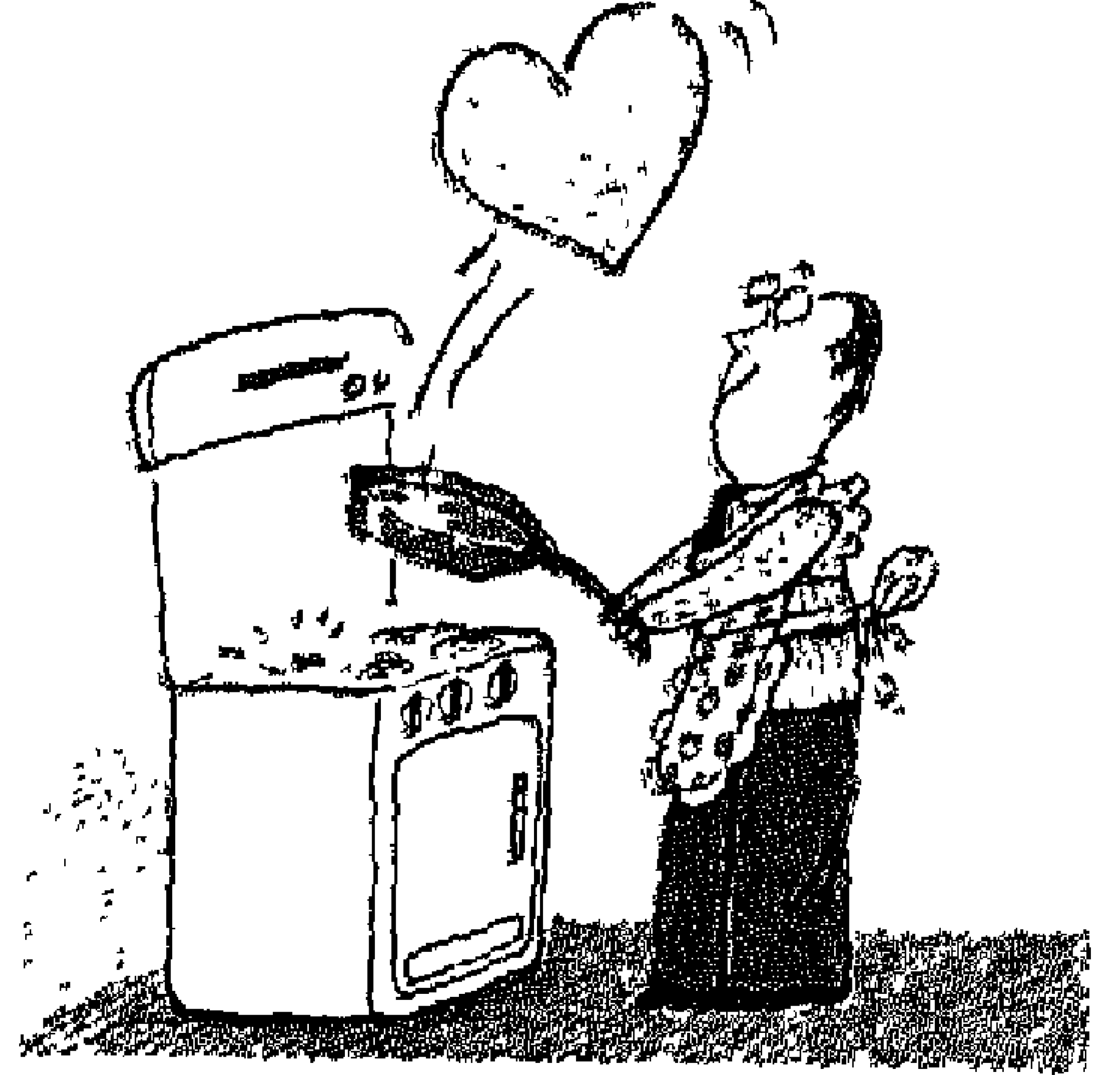
مزايا فائقة

تتركز صيانة الخطوط الجوية الفرنسية على أحد أفضل ما تم تجربته من وسائل متقدّمة ومتطوّرة في العالم. فنظام الصيانة هذا مثالي لدرجة أن عددًا كبيرًا من شركات الخطوط الجوية العالمية الاخرى قد اعتمدته لها في صيانة طائراتها.

نظام الصيانة في الخطوط الجوية الفرنسية: انه واحد من الامثلة العديدة للمزايا الفائقة والكفاءات العالية التي يمكنك لمسها عندما تسافر مع طيران الخطوط الجوية الفرنسية.



AIR FRANCE
دومًا نحو الافضل



حديقة أفكار

- أفضل الاشياء التعلم. فالمال يسرق، والصحة تعتل والقوة توهن، غير ان ما تخزنه في عقلك يبقى لك مدى الحياة.

لوي لامور، كاتب أمريكي

- الايمان بالخرافات حماقة وسخف وسذاجة، انما هل تخسر شيئاً بالدق على الخشب؟

هانس سيلي، باحث كندي

- السر الحقيقي في التحلّي بالصبر هو أن تجد شيئاً تفعله فيما أنت تحتمله.

د.ب.

- الحب لعبة يمارسها اثنان ويربحان كلاهما.

ايفا غابور، فنانة مجرية المولد

- الحكمة هي المكافأة التي تنالها بعد قضاء عمرك مصغياً الى الآخرين في حين كنت تؤثر أن تتكلم أنت.

د.ل.

- ان تسعة وتسعين في المئة من الاخفاقات تأتي من الناس الذين اعتادوا تقديم الاعذار.


جورج واشنطن كارفر، باحث ومربّ أمريكي أسود

- ان بلوغ المركز الاول أسهل من البقاء فيه.

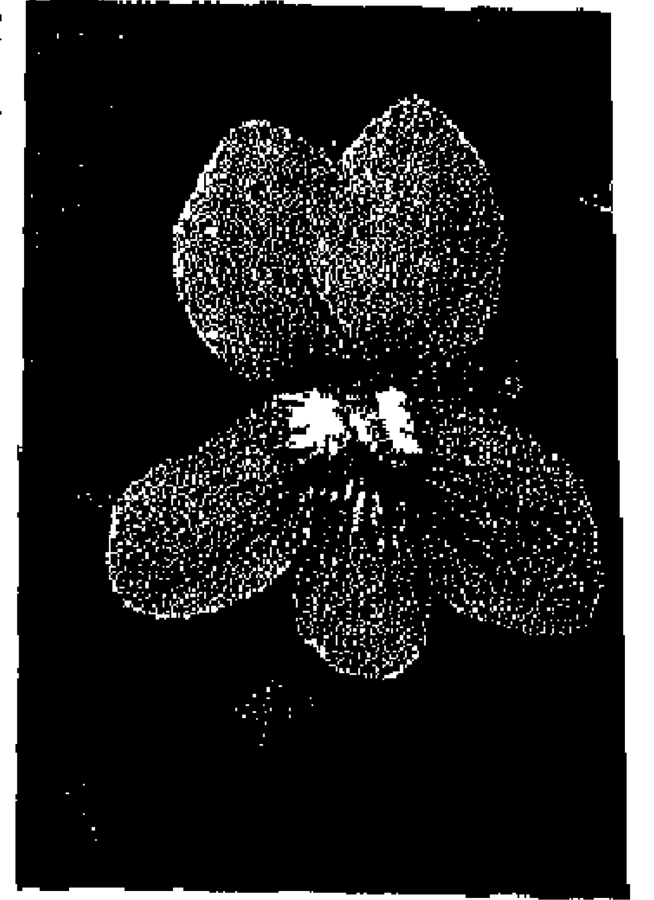
بيل برادلي، عضو الكونفرس الامريكي

- اننا ننسب شعورنا بالتعب أو القلق أو الجوع الى عكر مزاجنا، بينما ننسب المرح الى أنفسنا.

س.س. لويس، كاتب بريطاني


قصائد قديمة
في طبعة جديدة

أني نظرت تر عالم الشتاء البارد الهرم
يتحول شباباً جديداً بريئا



بنفسج المستنقعات

تصل رائحة التغيير قبل أن تتحرى العين ما يجري.الموعد الدقيق لا يمكن توقعه. ولكن بعد ظهر يوم من أيام ابريل (نيسان) الدافئة تحسه في الهواء: انه الربيع.

الربيع أكثر من أشعة شمس غامرة وأكثر من دفء. انه حضور تتنشقه وتحسه في أشياء جذابة: الرائحة الغنية الخصبة المنبعثة من الاوراق العفنة والاماليد المهترئة، والرائحة السلسة المنبعثة من المياه المتدفقة في الجدول، والرائحة الغامضة المنبعثة من الحجار المبللة بالماء، والرائحة الرطبة الخضراء المنبعثة من الطحالب، والروائح اللزجة المنبعثة من البراعم المتفتقة في الحور والصفصاف . انه اول عبير للحياة النابضة، عبير أرق من الغمام وأكثر دفئاً من شعاع الشمس.



زهر الاجاص

يتلاشى الشتاء ويزحف الربيع مع الايام التي تزداد طولا. تستيقظ الجذور ويرتفع النسغ ويجري في الغصون فتستجيب له البراعم. الاوراق والازهار والأماليد تتخذ شكلها وهي محصورة داخل تلك المراشف الرقيقة الدكناء. الحياة، أعجوبة الحياة، تضغط جدران محبسها منطلقة نحو النور. وأخيراً ينفلق البرعم وتكتمل المعجزة.

قليلة هي الاشياء التي تبدو في جدتها أروع من الاوراق الصغيرة عندما تأخذ في التفتح. البراعم ترقد هنا طوال فصل الشتاء، لكنها لا تبرز حتى اقبال شهر ابريل. ينبغي أن يهيئها النسغ ونور الشمس وكل الحاجات هذا الشهر لتبلغ المستوى المحدد من الاستعداد قبل أن تتفتح.



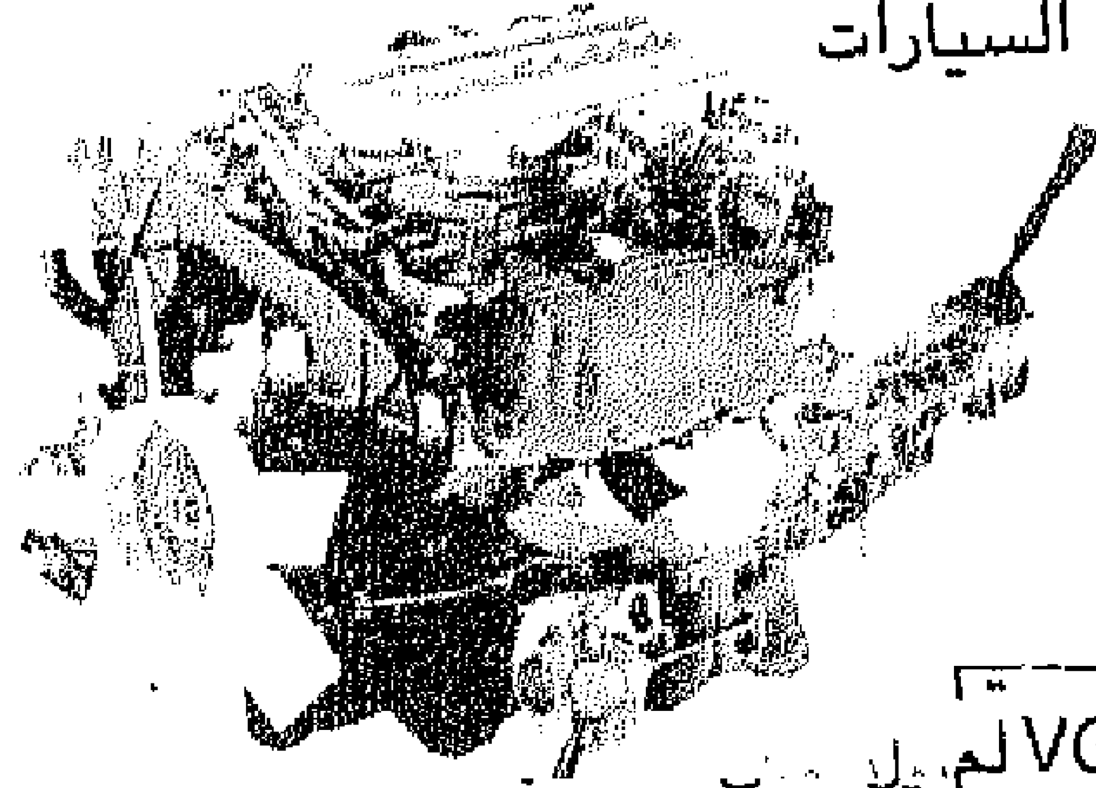
صفصاف

من يتصور حين ينظر الى شجرة الاجاص في شهر يناير (كانون الثاني) أن أوراقاً فضية وأزهارا بيضاء كالحليب محتضنة في تلك العقد الصغيرة السمراء على الاغصان الهاجعة؟ أو أن الاماليد الباردة في اشجار الحور التي تقضقض كالعظام في عواصف فبراير (شباط) ستكتسي أوراقاً رقيقة ناعمة؟

آفـــاق نـ

الابتكار

يختار الناس سيارات نيسان لأسباب مختلفة. فبعضهم يرى فيها القوة والاداء، ويرى فيها البعض الاخر أناقة الشكل والتكنولوجيا المتقدمة. وكـل من هؤلاء على حق. لأن سيــارات نيسـان تحتوي على كل هذه العناصر مجتمعة. فمحركات VG30ET مثلاً، ليست قوية وحسب بل تجمع بين القـوة والهدوء والدقة. لقد قدم المحرك V6 ذو القوة الهائلة والذي يعمل بالكومبيوتر على انه فتح جديد في تكنولوجيا السيارات ومع ذلك فهو صغير الحجم، خفيف الوزن. اقتصادي في الوقود وهادىء جداً أثناء تشغيله.



وباختصار فإن الـــ... المبتكر للمحرك VG30ET لم ... مجـرد الرغبة في نيل اعجابك بقوته فقط، بل هو ابتكار يمنحك الافضل في كل شيء.

إن محركات ...30ET تستـــخـدم ... منجزات التكنولو... لتحقيق ادائها و... غير العادية

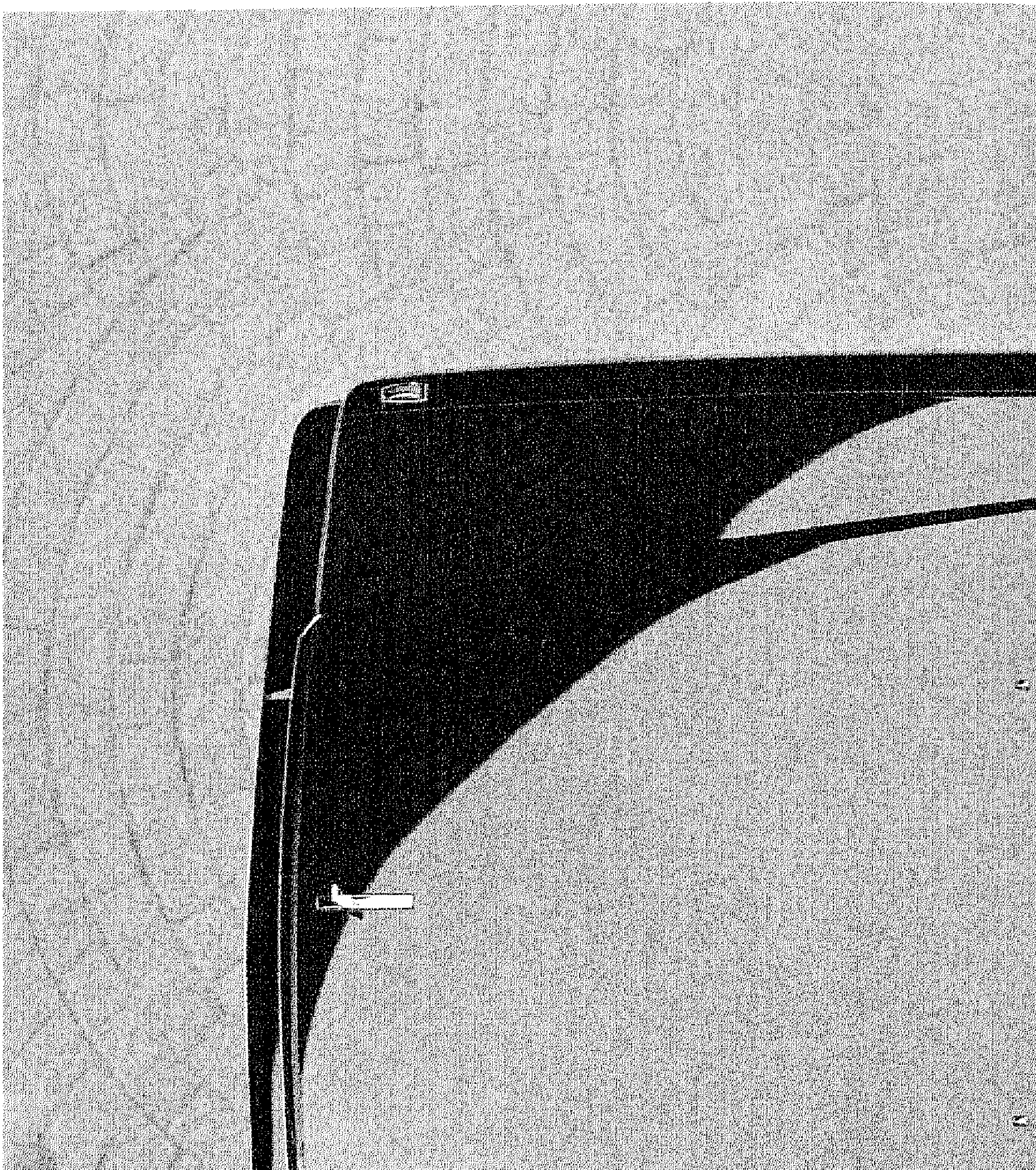
فلا عجب إذن أن يكون مطلوباً بشكل كبير من جانب سائقي السيارات الذين يرغبون في الموازنة بين القوة ورهافة الحس التكنولوجي.

ومثل ملايين السائقين في جميع أنحاء العالم، إجعل نيسان إختيارك الأمثل ففي كل سيارة منها يمكنك إيجاد مزايا غير مرئية لكنها حقيقية وتنفرد بيها نيسان عن الاخرين — إنها آفاق نيسان.

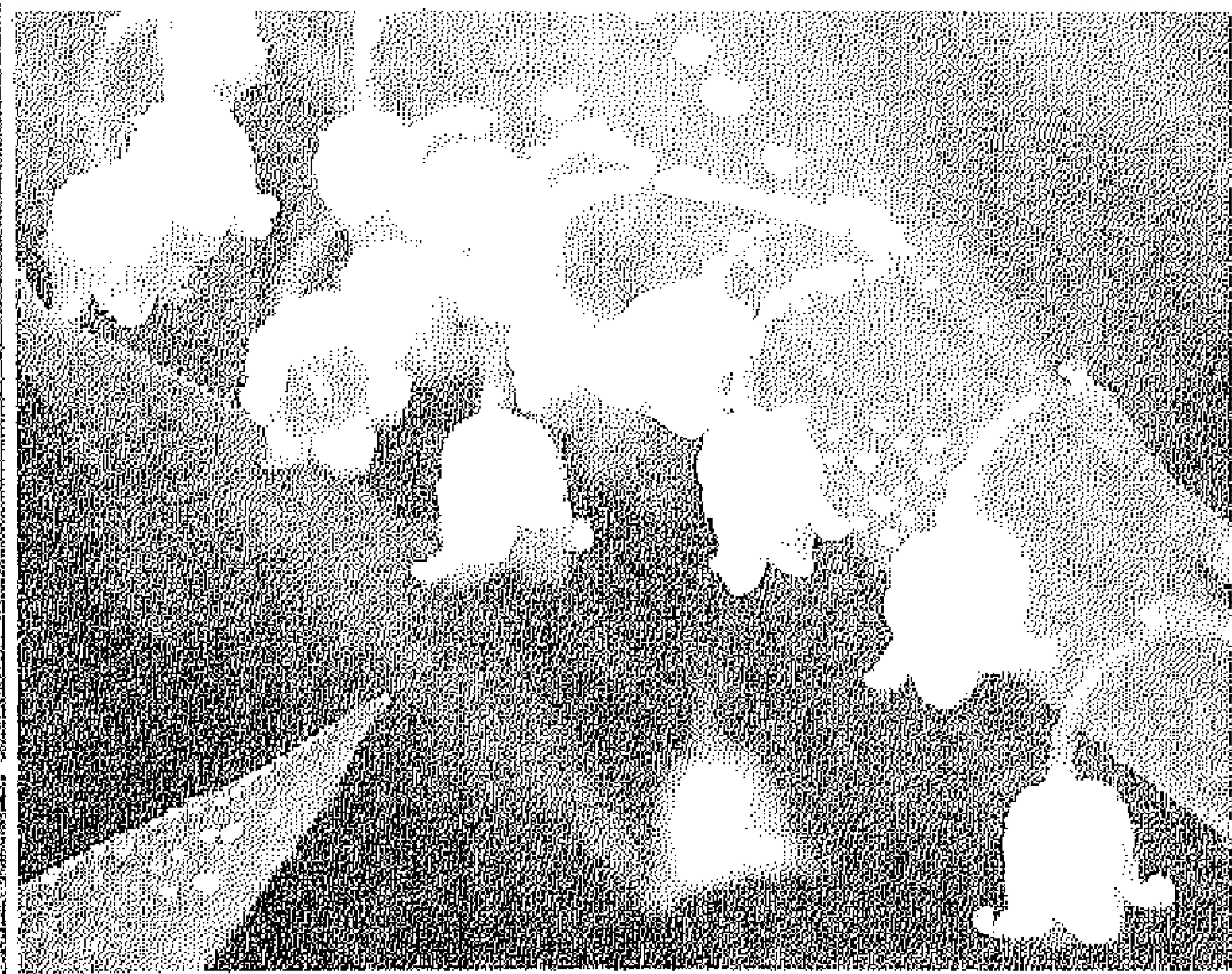
الجودة فـــي حركتهـــا



نيسان



Clyde H. Smith / The Stock Shop





Walter Chandoha

Peter Jeffrey Kaplan / The Stock Shop



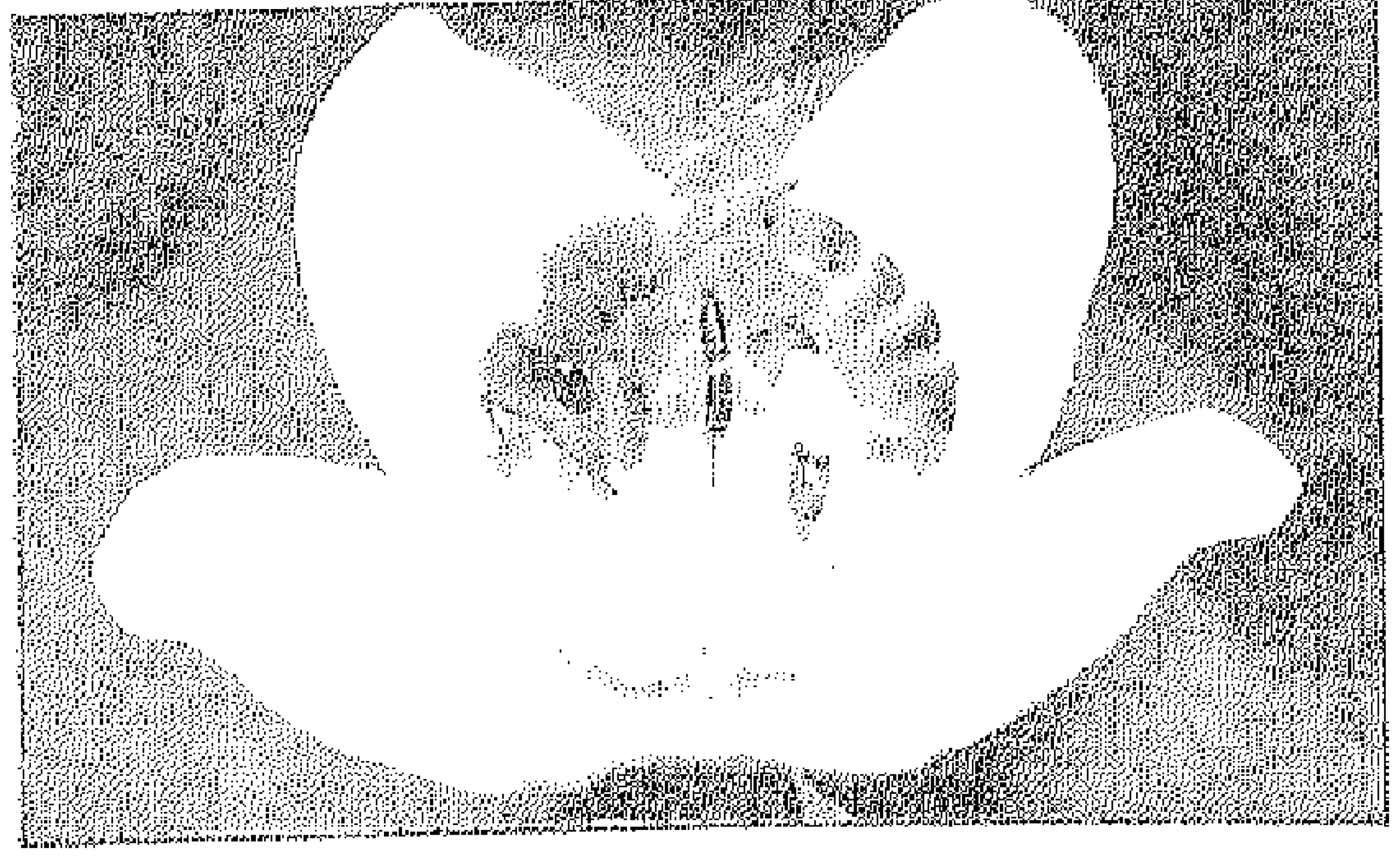
ohn Shaw



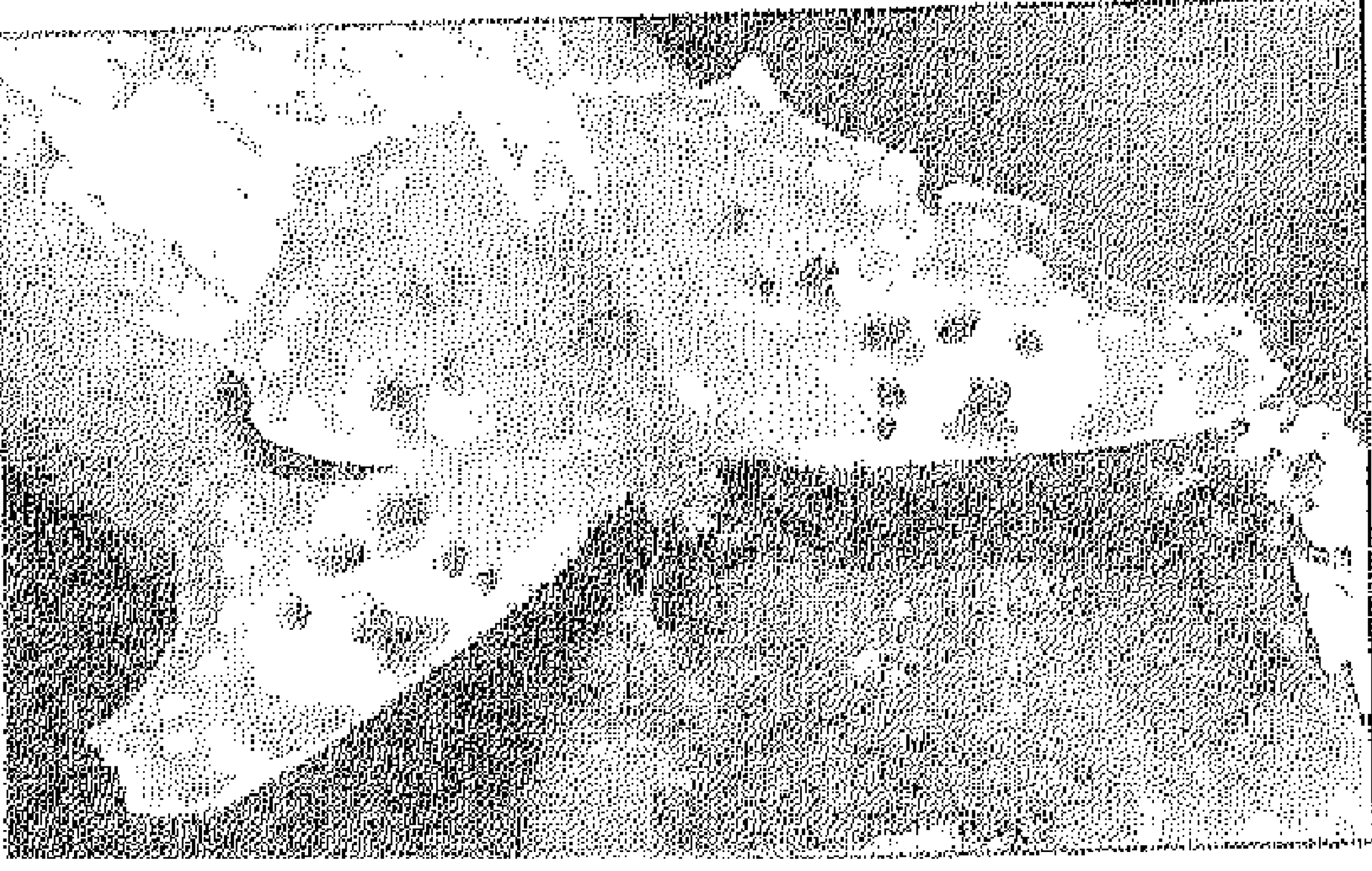
Walter Chandoha



أعلى اليمين: زنبق البيضاء. أعلى اليسار: سوسن الوادي. في الوسط: شجرة كرز مزهرة.
أسفل اليمين: خشخاش دموي. أسفل اليسار: شقائق النعمان في غابة الربيع.



نحلة على قطيفة

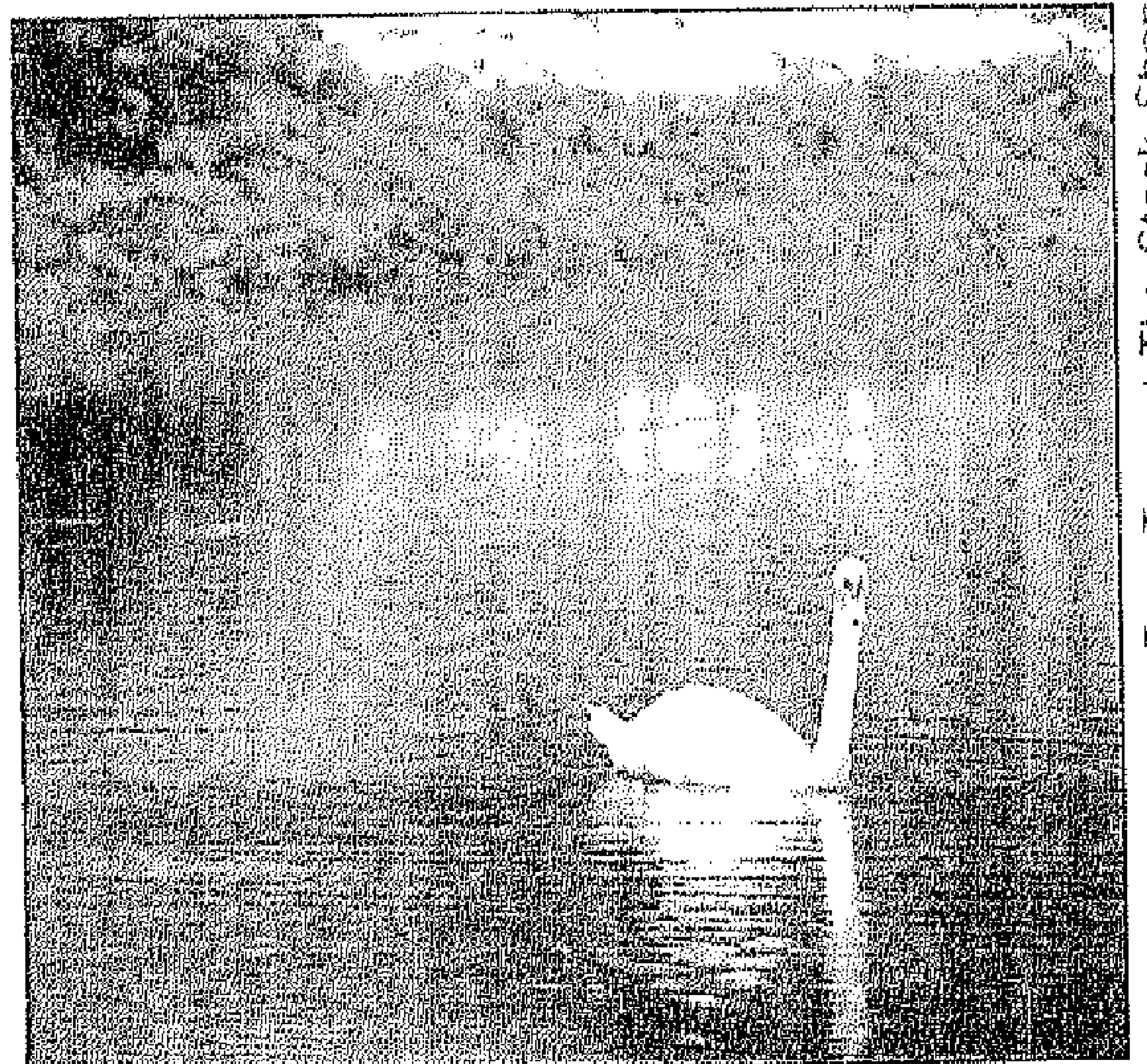


فراشة مرقطة

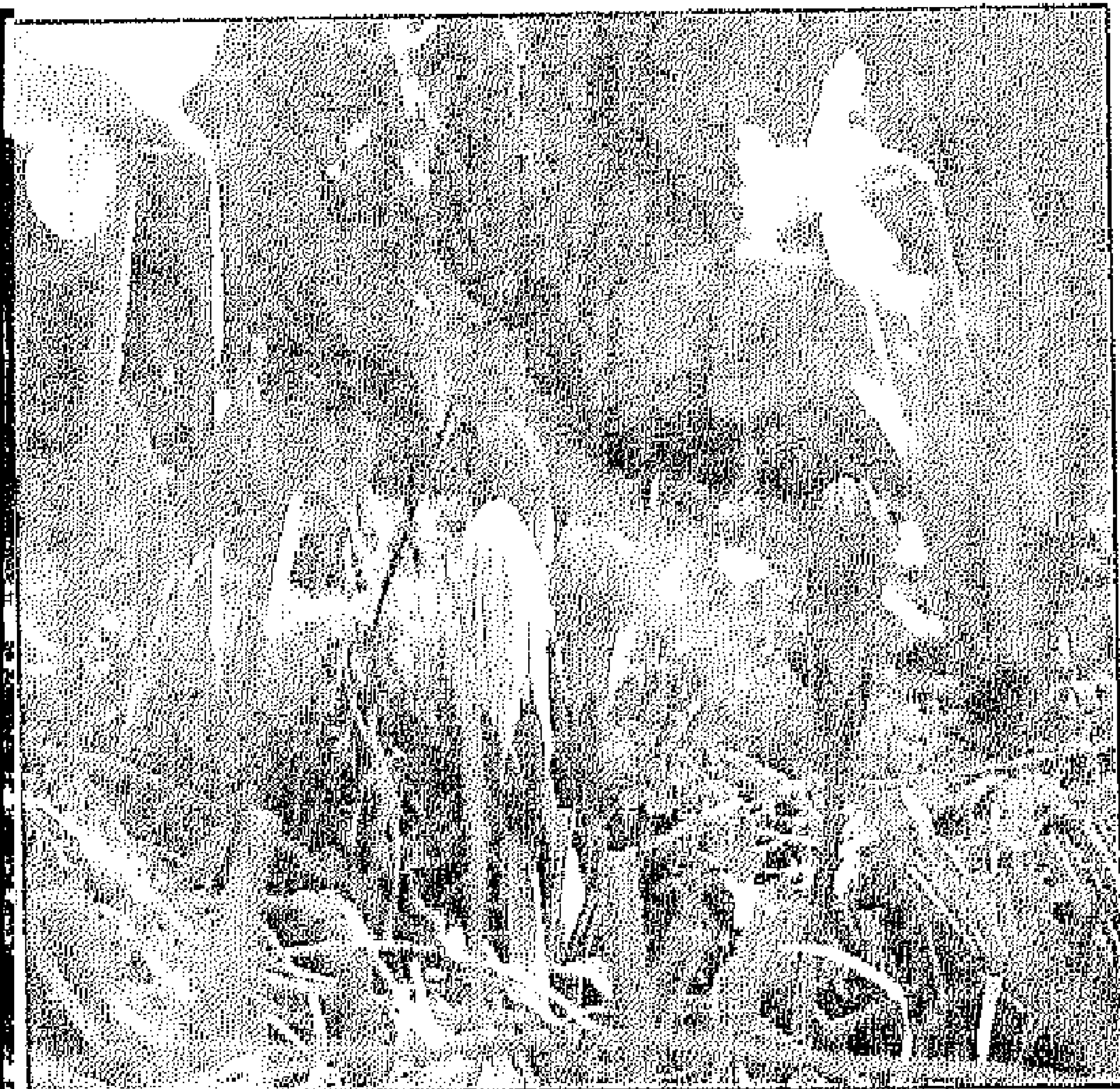
نرحب دائما بلمسة الربيع، الا أن منظر الربيع هو الذي يبهج القلب. فابريل ألوان. انه عرض مدهش: أوراق متفتحة من البراعم بنعومة اهاب طفل ومتألقة بروعة الزهري والازرق والليلكي والاصفر والذهبي. تبقى عليها سمة الطفولة حتى يفعم اليخضور الخلايا ويبدأ عمله. وعلى غرار فراشات نقفت للتو من شرانقها تتفتح الاوراق وتتمطى لتتدفأ وتنشط بأشعة الشمس.

ثم يبرز كل الاخضرار في الطيف الضوئي، فنرحب به بحرارة بعد الشتاء الطويل. عيوننا تتوق الى الراحة في موجة ضوئية أخرى غير تلك التي تنعكس عن حافة ثلجية. تبرز الاعشاب أولا، فيفقد المرج غبرة الشتاء وتدفئه الخضرة الزاحفة تحته. أكوام الثلج المجتمعة في الغابة تتقلص وتذوب في سواق جارية. ومع روعة الورقة الاولى ترى الخضرة ازاء زرقة السماء رقيقة كالشاش، ترسم شكل أملود وغصين، وهجة لماعة من وشي الربيع. فتستمتع العين ويحتفل القلب.

يتلاشى الزعفران ويرتكض النرجس في البراعم. تتفتح الهندباء وشقائق النعمان. أولى أزهار المروج تختلف بين البيضاء والصفراء والبنفسج الارجواني. وتزهو أواخر ابريل بغبرة الحور وذهب اللقاح وأرجوانية البنفسج وصفرة



اوزة صفارة



نرجس وزعفران

القطيفة. أزهار القبقب تلون الوهاد بـالاحمـر، وتـوشي التـويجـات المروج.

وينقضي السكون. ها هي أصوات الحياة بدأت تسمع وسرعان ما تعلو في مجمـوعهـا عـويـل الـريـح. بـدأت هـذه الاصوات مع تقطر الماء الذائب وخرير الجدول واندفاع التيار في النهر، ومع النحلة المبكرة التي تئز مرحبة.

عصافير الشتاء تغرد ثانية، ليس في جوقات كاملة ولكن في تجارب لضبط الايقاع. وقبل مضي وقت طويل ستصل العصـافيـر العـابـرة، وهي المغـردة الحقيقيـة، وتمـلأ صبـاحـاتنـا موسيقى عالية. وستزداد جوقات الحشرات يوماً بعد يوم وتخرج الضفادع من سباتها في الاوحال لتهز جو المستنقعات احتفالا بانبعاث الحياة.

يحلق الاوز مع تعالي أصوات الحرية والمغامرة. تسمع مناداته في هدأة الليل وكأنه نباح كلاب في البعيد، أو تمر قرب بركة ماء في الريف فتشاهده في الاصيل وهو يستريح ويغتذي.

بقبقة الاوز البري تحرك أفئدتنا وتطلق تخيلاتنا. ربما كان اتفاقاً أن يوفر هذا الطائر ريشاً للسهام ولاقلام الشعراء، ولكن يخامرنا الشك في ذلك كل ربيع حين تقبل رفوف الاوز البري في طريقها الى الشمال. انها التوق والحلم والسعي والعجب.

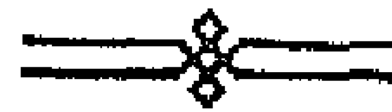
شآبيب (★) الربيع تبدو لنا نعمة ويرتفع خريرها المحبب وهي تغور في المجاري. ويسعد المرء بحياة قانعة مع أمطار الربيع وهو يدرك أنها تروي الجذور وتفرخ البذور.

ثم تأتي حماسة النمو واصراره. ولبضعة أسابيع نكاد نعجز عن مجاراة التغيير، فهو يشمل كل مكان. يتأثر كل شيء فيه دم أو نسغ، وهما عصارتا الحياة. كل يوم يغدو لحظة أخرى عجيبة في ولادة سنة جديدة لا مناص منها. ويستمر الخلق ساعة فساعة. ونصبح شهوداً على ذلك الظهور الكبير.

شهر ابريل عالم هرم يجدد شبابه فيغدو جديداً كشروق الشمس وتحدث فيه المعجزات كل يوم. انه ريح لطيفة ومطر دافىء. تبدلاته الغريبة تستقطب الوعي وتضيف مقاطع جديدة الى القصائد المخطوطة على السفح وفي المرج وعلى ضفة النهر. انها قصائد قديمة كالزمان، لكنها تنشر في طبعة جديدة منقحة مع كل ابريل.

هال بورلاند ■

(★) الشؤبوب دفعة من المطر.



بحر المعرفة

في أحد صفوف علم النفس اعترف أستاذ لطلابه بأنه يشعر وكأنه يقف أمام بحر من المعرفة وليس في يده سوى ملعقة. وهنا هتف تلميذ كسول: "أنا أشعر وكأن في يدي شوكة يا أستاذ."

ب.ج.



اخبار العلم

الحيوانات المدمنة

راقب الباحثون في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلس أكثر من الفي حالة لجأت فيها الحيوانات الى تناول العقاقير الطبيعية التي علّمتها الخبرة جدواها. ويقول عالم النفس الصيدلي رونالد سيغل: "ان الحالات التي تولّينا درسها، وعددها ٣١٠، بيّنت أن الحيوانات تأكل تلك الاطعمة عمداً وتعتادها."

وهناك حيوانات لبونة وطيور وحشرات وزحافات وأسماك تعتمد هذه الطريقة الطبيعية للتخلص من الآلام والأمراض. وقد لاحظ الباحثون أن الربّاح، وهو سعدان ضخم قصير الذيل، يمضغ التبغ، والفيل والراكون والماعز والبقرة والخروف تسعى الى المواد الكحولية، وأيّل الرنّة والأرنب والماشية تأكل الفطر المخدّر.

وتولّى سيغل حصر مجموعة أفيال في أرض ضيّقة، فتبين له أن استهلاكها الكحول تضاعف ثلاث مرات. وعزا ذلك الى الهرب من القلق الذي ولّده الأسر. وقال ان تصرف الفيلة يعكس جوانب من السلوك البشري.

مجلة "اخبار العلم"

توليد الاوكسيجين

تولّى باحثان من المركز الطبي البيولوجي للبحار في جامعة ديوك الأمريكية، هما جوزف وسيليا بونافنتورا، ابتكار خيشوم اصطناعي يفصل الاوكسيجين عن ماء البحر. والآلة تعتمد الهيموغلوبين، أي البروتيين الدموي الذي يستخرج الاوكسيجين من الهواء الداخل الرئتينْ البشريتين ومن الماء الداخل خياشم السمكة.

وفي طريقة بونافنتورا يتمّ مزج الهيموغلوبين (أو مادّة مشابهة له من حيث حمل الاوكسيجين) برغوة اصطناعية تشبه تلك التي تُستخدَم لصنع الوسائد. ومع مرور ماء البحر في هذه الاسفنجة، يتولى البروتيين امتصاص الاوكسيجين. ثم يُستخرج ذلك الاوكسيجين بواسطة علبة خالية من الهواء توضع فوق الاسفنجة أو بواسطة هزة كهربائية ضعيفة. ويمكن تزويد الغواصين كيساً يحوي هذه الآلة ويوضع على الظهر. وفي إمكان وعاء قطره متر وطوله ثلاثة أمتار إنتاج كمية من الاوكسيجين تكفي ١٥٠ شخصاً.

مجلة "المحيطات"

الحلم والواقع

هل تخبر الأحلام شيئاً عن المستقبل، أم تحقق التوازن العقلي، أم تعين المرء على تحقيق الرغبات التي يحرمه إياها ضميره؟

هذه الآراء التي بدت صائبة بالنسبة الى فرويد وأتباعه، لم تَبْدُ كذلك بالنسبة الى انصار نظرية جديدة في الاحلام نشرتها مجلة "الطبيعة" الانكليزية بقلم العالمين البيولوجيين فرنسيس كريك وغريم ميتشيسون.

تذهب هذه النظرية الى أن معظم الأحلام تتم عبر "حركة العين السريعة" خلال النوم. ولئن صحّ أن لهذا النوع من الحركة هدفه، فليس من السهل معرفة هذا الهدف. غير أن الذين يُحْرَمون حركة العين السريعة خلال النوم في إحدى الليالي يختبرون هذه الحركة الليلة التالية.

ويعود اهتمام كريك بالدماغ الى ثلاثين سنة خلت. وفي نظريته الجديدة يذهب مع زميله ميتشيسون الى أنّ شبات الخلايا المعقدة في القشرة الخارجية للدماغ لا بدّ من أن تسفر غالباً عن روابط مخطئة، خصوصاً في الكائنات الحديثة العهد. وليس غريباً أن تؤدي هذه الروابط الى صنوف من الأوهام والتصورات. ويضيف العالمان أن ما يحدث خلال حركة العين السريعة، فيما قشرة الدماغ الخارجية منعزلة عن عالمها، هو لجوء منطقة اخرى في الدماغ، أقلّ تطوراً، الى إثارة ذلك النوع من التصورات التي نسميها الاحلام. ون الأدلة على ضعف ذلك الجزء المخي الذي ينسج الاحلام أن المرء ينسى معظم أحلامه. وربما ألقى هذا بعض نور على حاجة الأشخاص الاصغر سناً الى المزيد من النوم الذي تتخله حركة العين السريعة.

ويعترف العالمان المذكوران بصعوبة إخضاع نظريتهما للبرهان العلمي. لكن صحة النظرية، في رأيهما، تعني أن الأحلام تقيم الدليل على تخلّي الدماغ عن ضعفاته.

صحيفة "نيويورك تايمس"

زوال الارض؟

في منجم ذهب على عمق ١٦٠٠ متر تحت سطح الارض يبدو أن جماعة من العلماء الهنود واليابانيين توصلت الى اكتشاف خطير جداً، وهو أن البروتونات تتضاءل تحت الارض الهندية.

ومع النيوترونات، تشكل البروتونات تكوين كل نواة. والى هذه العناصر تعزى نسبة ٩٩،٩ في المئة من وزن أي جسم. وبعدما ظُنَّ طويلا أنها تبقى الى الأبد، ها هي توضع موضع الشك.

وقد تولى العلماء جمع ١٥٠ طناً من الحديد في المنجم بعيداً عن مؤثرات الاشعة الكونية. وما لبثوا أن تبيّنوا ان واحداً من بروتونات الحديد يختفي كل بضعة أشهر، وأنه يخرج ضمن هبة شبه نووية. ويستخدم العلماء ١٦٥٠ جهاز عد اشعاعياً لقياس نسبة البروتون المفقودة.

والامر الحاصل في منجم الذهب هذا وفي أمكنة اختبارية أخرى ربما كان يحدث في العالم على نطاق واسع. وهذا يعني أن الارض والنجوم وذرات هذه المجلة ربما كانت تتبخر وتختفي باطراد. لكن معدل اختفاء البروتونات الذي سجله العلماء الهنود ليس بالامر المخيف. وهو يعني أن قروناً بعدد رمل البحار في العالم كله سوف تمر قبل ان تزول الارض التي نعيش فوقها.

مجلة "العلوم"

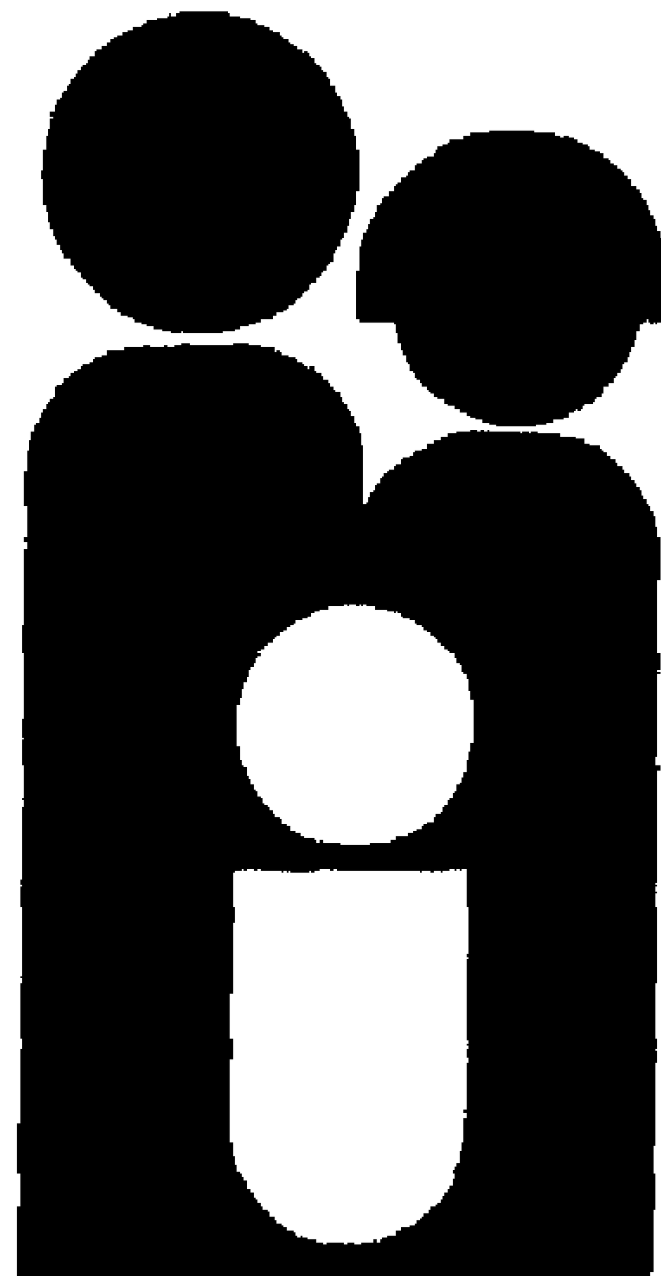
المختار
من ريدرز دايجست
بريل (نيسان) ١٩٨٦ السنة الثامنة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسه توفر لكم متعة دائمة

صُراخ أطفال في بيوت الأزواج المصابين بالعقم!

بات في وسع الاطباء مساعدة نصف الازواج المصابين بعقم على الانجاب

ملايين الازواج يلاقون العذاب بسبب العقم الذي يحدد طبياً انه عدم القدرة على الحمل بعد سنة على الاقل من المحاولة.

ذلك هو الخبر السيىء، اما البشرى فهي أن خبراء الانجاب يستطيعون الآن مساعدة ما يزيد على ٥٠ في المئة من هؤلاء الازواج. وثمة تخصص جديد في علم التوليد والطب النسائي يتناول الغدد الصم التناسلية(١) . وهناك عدد متنام من أطباء المسالك البولية الذين يتخصصون بالعقم الذكري، يستخدمون الفحوص والمعالجات الحديثة.



ومع ذلك، ولتوافر معالجات عدة جديدة، فان أزواجاً كثيرين يتجاهلون الادوية التقليدية "البيتية". ولكن قبل السعي الى مساعدة طبية ينبغي أن يجرب الازواج هذه الاساليب. ومن دواعي ذلك ان التدخل الطبي في ذاته يسبب الاجهاد غالباً، وهذا يمكن أن يعوق الخصوبة. وفي أي حال، وبما أن عدداً متزايداً من الاختصاصيين يُعلّمون مرضاهم في أول الأمر أن يعتمدوا هذه الاساليب التي تطبق ذاتياً، فان الأزواج الذين يعتمدونها

(١) Reproductive endocrinology

يستبقون العلاج بمدى أشهر. واليك ما ينصح به الاختصاصيون:

● **لا تؤجل الانجاب طويلا.** أحد أهم أسباب العقم عند النساء اليوم الفكرة أنهن يستطعن الانتظار حتى يبلغن الخامسة والثلاثين قبل مباشرة تأسيس عائلة. ويقول الدكتور واين ديكر مدير مؤسسة ابحاث الخصوبة: "الواقع ان المرأة تبلغ أوج خصوبتها حين تكون في الرابعة والعشرين من العمر. بعد ذلك يبدأ الانحدار المستمر." والرجال كذلك يصبحون أقل خصوبة مع تقدمهم في السن.

● **راقبي تغذيتك.** الدكتور غ. وليم بايتس الاختصاصي بالغدد الصم التناسلية وأستاذ التوليد والطب النسائي وزميله نيل ويتورث الاختصاصي بفيزيولوجيا التناسل، وكلاهما يعملان في المركز الطبي بجامعة مسيسيبي في جاكسون، اكتشفا حديثاً ان المرأة يمكن ان تغدو عقيماً بمجرد هبوط وزنها بمقدار يراوح بين كيلوغرامين وخمسة كيلوغرامات دون ما يعتبر الوزن المثالي للجسم. وقد حملت ١٩ امرأة من هؤلاء، من بين ٢٦ شملتهن الدراسة، بعد ازدياد وزنهن قليلا. وعمدت ١٣ امرأة سمينات وعقيمات الى انقاص وزنهن نصف كيلوغرام كل اسبوع حتى غدون "ممتلئات" فحسب، وحينئذ حملت عشر منهن من دون أي معالجة اضافية. ويقول بايتس: "يبدو أن المرأة تستطيع البقاء بدينة من دون أن يؤثر ذلك في خصوبتها. لكن مجرد هبوط وزنها قليلا دون الحد قد يكون له أثر سلبي ملحوظ."

أنظمة الحمية يجب التخلي عنها اذا كنت تحاولين الحمل. وعلى النباتيات (اللاتي يقتصر طعامهن على النبات) ان يستشرن أطباءهن لان البروتيين الحيواني الذي يعتبر افضل مورد للزنك هو عنصر حيوي للنطفة المناسبة. وينطوي بعض أنظمة الحمية على مستويات منخفضة من الكلسيوم والحديد الضروريين للنساء.

● **أيتها النساء: قللن من الهرولة.** وجد بايتس وسواه من الباحثين أن الهرولة المفرطة يمكن أن تضر بانتاج الهرمونات. ويقول ادوين ديل عالم الفيزيولوجيا في دائرة التوليد والطب النسائي في كلية الطب بجامعة ايموري في اتلانتا بولاية جورجيا: "النساء اللاتي يركضن أكثر من ٥٠ كيلومتراً في الاسبوع يتعرّضنَ لخطر تغير طبيعة دورة الحيض والاباضة. ومعظم هؤلاء النسوة يمكنهن ان يحملن خلال مدة تراوح بين ثلاثة اشهر وستة بعد خفض مسافة الركض."

● **أيها الرجال: التزموا البرودة.** ان الخصيتين المنتجتين للمني في الكيس الصفني هما عادة ابرد من بقية الجسم بمقدار درجتين مئويتين. وحين ترتفع حرارتهما تتوقف خلايا المني عن النضج الصحيح.

ويجدر بالرجال تفادي البقاء فترات طويلة في حمامات حارة أو بخارية وتجنب السراويل الداخلية الضيقة والدافئة

● **ابتعدوا عن التبغ والكحول والمخدرات.** ان الافراط في الكحول لمدة طويلة قد يؤثر في الخصوبة. وقد أظهرت دراسة على ٦٠ مدمناً أن الخصوبة تأثرت بدرجة ملحوظة.

التبغ ايضاً قد يكون له تأثير بارز على الانجاب. وتشير الابحاث الاولية الى أن التدخين المفرط عامل مؤثر في اختلال شكل خلايا المني. وفي دراسة أجريت على ٦٧٨ حبلى تبين أن المدخنات كن عرضة بنسبة ٣،٤ اضعاف أكثر من غير المدخنات لتأخر الحمل مدة تزيد على سنة.

«THC» هو العنصر الرئيسي في الماريوانا، ويمكنه أن يحبط افراز هرمون التستوستيرون ويؤذي المني كما يعطل دورة الحيض وتكون له تأثيرات سميّة في الجنين. وثمة قرائن على أن الافراط في تعاطي الكوكايين يؤذي عملية التناسل.

● **نظمي دورتك الشهرية.** ان دورة الحيض عند المرأة العادية هي في حدود ٢٨ يوماً وتراوح بين ٢٦ و٣٠ يوماً في أشهر مختلفة. وفي وقت ما في منتصف الدورة تحين فترة خصوبة مدتها ٢٤ ساعة أو نحوها. ولما كان الذكر العادي يحتاج الى ما بين ٣٠ و٤٠ ساعة بعد القذف لاعادة انتاج الكمية المثلى من المني، فان الاطباء ينصحون الزوجين بالجماع مرة واحدة كل يومين بين اليوم العاشر واليوم السادس عشر من دورة الحيض. وبما أن النطفة تعيش ما بين ٤٨ و٧٢ ساعة، فان الجماع قبل يوم من موعد خصوبة المرأة قد يبقي كمية كافية من المني في قناة فالوب الى حين انطلاق البييضة. ويقول الدكتور ديكر: "لكن النساء اللاتي يعانين دورة غير منتظمة أو غير عادية ينبغي ان يحصلن على مشورة طبية."

أما الطريقة التقليدية لفحص توقيت الاباضة فهي قياس حرارة الجسم في وضع الراحة وتسجيلها. وهي تقضي بأن تقيس المرأة حرارتها كل صباح قبل نهوضها من السرير. وخلال النصف الاول من الدورة تبقى الحرارة مستقرة أساساً. وحين تنخفض قليلا ثم ترتفع يفترض أن تكون الاباضة تمت وحان الموعد.

ان معالجة الاخصاب ذاتياً تنجح لدى كثير من الازواج الذين واجهوا مصاعب. ولكن بعد انقضاء سنة من دون نجاح ينبغي على كلا الزوجين ان يراجعا طبيباً. والمتقدمون في السن يجب أن يسارعوا اليه قبل سواهم.

يتقاسم الرجل والمرأة ٨٠ في المئة من حالات التسبب في العقم، ولكن في ما لا يقل عن ٢٠ في المئة يعود السبب الى الزوجين كليهما او انه يعتبر من فئة "الأسباب المجهولة". ويقول الدكتور ديكر: "في غالب الاحيان يكون للعقم أكثر من سبب."

اذاً عليك بالسعي الى مقابلة اختصاصي. اسأله عن نسبة عمله المخصصة لمعالجة العقم. واليك ما ستتعلمه في عيادته:

● حل مشاكل الرجال ●

السبب الرئيسي في عقم الرجل هو النطفة المعطوبة. لذلك تكون الخطوة

الاولى فحص المني. وثمة ثلاث صفات مهمة في النطفة:

اولا: شكلها، اذ يعتقد ان النطفة ذات الشكل غير الطبيعي غير قادرة على تلقيح ببيضة.

ثانياً: حركيتها اي قوتها وقدرتها على السباحة.

ثالثاً: تعداد النطف. فالقذف العادي يحوي ما بين ٣٠ و٢٠٠ مليون نطفة. وان سوء التغذية والتعب والارهاق والمخدرات عوامل تخفض عدد النطف.

ولارتفاع حرارة الخصيتين دور حاسم في العقم الذكري. ومن الاسباب الشائعة التي تؤدي الى "سخونة المني" الدوالي الصفنية (Varicoceles) اي انتفاخ الاوردة في الكيس الصفني الذي يسبب ارتداد الدم البطني الساخن واحتقانه في الخصيتين مما قد يؤدي الى ارتفاع سخونة المني. وهذا يحدث لدى نحو تسعة في المئة من الرجال. ولكن في احدى الدراسات التي اجريت على ١٢٩٤ مريضاً عقيماً تبين ان الدوالي الصفنية كانت سبب العلة في نحو ٣٠ في المئة. وهذه الحال يسهل اصلاحها جراحياً، ونصف الرجال الذين اجريت لهم جراحة رزقوا أولاداً في ما بعد.

الدكتور ادريان زورنيوتي أستاذ طب المسالك البولية في كلية الطب بجامعة نيويورك اكتشف حديثاً ان نصف مرضاه المصابين بالعقم والذين صنفوا في فئة "الأسباب المجهولة" كانوا في الواقع مصابين بارتفاع حرارة الخصيتين. وابتكر زورنيوتي والمهندس الالكتروني أندرو سيلفون جهازاً يخفض حرارة الخصيتين، وهو عبارة عن حمالة قطنية للخصيتين تبقى مرطبة بالماء الذي تستمده من علبة صغيرة تربط حول الخصر.

ارتدى سيلفون الذي كان عقيماً، جهاز تبريد الخصيتين(٢) لمدة عشرة أسابيع فحملت زوجته. عندئذ جرب الجهاز على ٦٤ رجلا عقيماً. وتحقق الحمل لدى ٥٠ في المئة من الذين كانت مواصفات المني لديهم عند الحدود العليا للخصوبة الجزئية ولدى ١٩ في المئة من الذين كان المني عندهم ضعيفاً جداً. وقد أقرت ادارة الغذاء والدواء الامريكية عام ١٩٨٤ استخدام جهاز تبريد الخصيتين، وهو معروض في السوق الامريكية منذ شهر مايو (أيار) ١٩٨٥.

وثمة سبب شائع آخر للعقم عند الذكور هو المني الموبوء. ويقول الدكتور آنيلا توث مدير مختبر ماكلود للعقم في مستشفى نيويورك: "ان العدوى الجرثومية غير المعالجة قد تكون السبب في انخفاض قدرة النطف على الحركة في قرابة ٣٠ في المئة من الرجال العقيمين. وقد تقتل العدوى النطفة. وجراثيم كلاميديا وميكوبلازما والسيلان (التعقيبة) التي تنتقل بالجماع هي من الجراثيم الأشد خطراً."

واذا اكتشف الداء في الوقت المناسب فان علاجه هو المضادات الحيوية. وكل رجل يدرك انه التقط داء تناسلياً يجب ان يراجع طبيباً متخصصاً بالعقم قبل أن ينتظر سنة كاملة في محاولة اخصاب زوجته.

---

(٢) Testicular Hypothermia Device

وثمة أدوية جديدة اخرى:

للرجال الذين يقذفون سائلا منوياً دون المستوى المنشود، الحقن الهرمونية التي تنشط انتاج التستوستيرون يمكن أن تحل المشكلة. وبالنسبة الى العشرة في المئة الذين يشكون من عقم سببه عائق فيزيائي (جسدي) هناك أساليب جديدة في الجراحة المجهرية تم تطويرها في غضون العقد الفائت.

● حل مشاكل النساء ●

ان مشاكل الخصوبة عند الاناث كثيرة ومختلفة الاسباب. لكن كثيراً من الاختصاصيين يعتقدون أن العامل المؤثر الرئيسي الذي يؤدي الى ازدياد نسبة العقم عند النساء هو الامراض المنتقلة بالجماع. وهناك ٢٤ نوعاً على الاقل من هذه الامراض التي تصيب ملايين النساء. واذا لم تعالج فانها تؤدي الى تعطيل الخصوبة وغالباً الى العقم. ويقول الدكتور ديكر: "ان معدل الاصابة بالسيلان الذي ازداد بين الشابات الامريكيات في السنين العشر المنصرمة، كذلك معدل الاصابات بجراثيم كلاميديا، هما السبب المباشر لمشكلات الخصوبة لدى النساء الامريكيات في هذه الايام، وذلك بالدرجة الاولى نتيجة الندوب التي تخلفها هذه الجراثيم في قناتي فالوب."

وفي رأي خبراء الخصوبة قد تكون الامراض المتناقلة من طريق الجماع هي السبب في الاحصاء المثير الآتي: فمنذ ١٩٦٥ ازداد معدل العقم بين النساء الامريكيات اللاتي تراوح أعمارهن بين ٢٠ و٢٤ عاماً، وهي الفئة التي تنجب ثلث الاطفال في الولايات المتحدة، بنسبة ثلاثة أضعاف. وعدوى كلاميديا هي حالياً الاعم والأفتك بين الامراض المنتقلة من طريق الجماع في تلك البلاد. وهي تنشأ عن جرثومة تصيب المجرى التناسلي على نحو رئيسي. ولا يكون لها عادة أي اعراض، بل يكون العقم أول اشارة الى وجودها.

وعلى رغم ذلك فثمة بشرى: اذا تم التشخيص في الوقت المناسب فان المعالجة بالمضادات الحيوية ناجعة ضد معظم الامراض المنتقلة بالجماع. وحين تصاب قناة فالوب بضرر بالغ تصبح الجراحة ضرورية. ولكن هنا أيضاً أدى استخدام أساليب الجراحة المجهرية الى تحسن جذري في النتائج.

الجراحة أيضاً هي العلاج لداء البطانة الرحمية (endometriosis) وهي حال تنمو فيها الانسجة الرحمية خارج الرحم فتسد المجاري وتعطل أجزاء اخرى في الجهاز التناسلي. ان ثلث المريضات العقيمات مصابات بهذا الداء الذي يسبب العقم في ثلث هذه الفئة.

"عدائية عنق الرحم" عامل آخر في العقم. وهنا تهاجم الاجسام المضادة في مخاط عنق الرحم النطف المنوية "وكأنها أجسام معادية." وتمكن معالجة هذه الحال بالمركبات الشحمية (ستيرويد) او بادخال المني جوف الرحم مباشرة. ويعتقد أطباء كثيرون ان ثمة معضلة أخرى وهي مخاط عنق الرحم الكثيف الذي لا يتمتع باللزوجة المطلوبة عند الاباضة كي يسمح للنطف المنوية بالانطلاق عبر عنق الرحم. ومن العلاجات الممكنة أدوية

السعال المصنوعة أساساً لاذابة الطبقة المخاطية في الشعب الرئوية، فبعض العناصر التي تتركب منها هذه الادوية قد يجعل الغشاء المخاطي في عنق الرحم أقل كثافة وأكثر لزوجة.

خمس النساء العقيمات يعانين مصاعب في الاباضة تمكن معالجتها بالعقاقير الحافزة. ومعدل الشفاء هنا مرتفع جداً ويبلغ ٨٠ في المئة. وبعد اتمام عملية اثارة الاباضة، من المفيد الاستعانة بابتكار جديد هو السونوغرام، وهو جهاز مراقبة صوتي يعطي "صدى" مصوراً للبييضة النامية مما يتيح تحديد موقع المشكلة ونوعها.

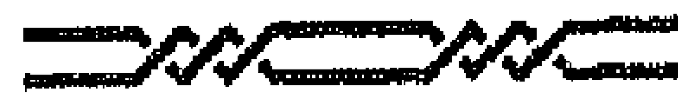
ومن احدث الاساليب التلقيح الانبوبي، حيث يتم الاخصاب في وعاء شفاف ضحل (Petridish) تبقى فيه المضغة حتى تصبح قابلة للحياة ثم تنقل الى الرحم. ويعزى معدل النجاح الهزيل لهذه الطريقة الى الصعوبة في توقيت اعداد البطانة الرحمية والجنين النامي.

وأحدث أساليب التغلب على هذه المشكلة، وهو لا يتطلب سوى أنابيب عادية، يقضي بنقل الخلايا التناسلية مباشرة داخل قناة فالوب، وقد ابتكره الدكتور ريكاردو آش من مركز العلوم الصحية في جامعة تكساس في سان أنطونيو. ففي عملية بسيطة توضع الخليتان التناسليتان (البييضة والنطفة) معاً في القسم الاعلى من قناة المرأة حيث يحدث التلقيح عادة. بعد ذلك تعبر البييضة الملقحة القناة وتدخل الرحم في الاطار الزمني الطبيعي. وهذه الطريقة يمكن أن تتخطى بضع مشاكل عقم بما فيها انخفاض عدد النطف وداء البطانة الرحمية وعدائية عنق الرحم والاختلالات المناعية (وجود أجسام مضادة مقاومة للخلايا التناسلية) وتلك العشرون في المئة من الحالات التي لا تظهر فيها أسباب واضحة أو معروفة للعقم.

ويقول الدكتور ديكر: "ان الازواج الذين يحظون بالعون المناسب لمعالجة مشاكل العقم يتمتعون بحظ وافر في تحقيق الحمل. فثمة نساء يحملن اليوم لم يكن ليتوافر لهن أي رجاء قبل عقد.

انه الرجاء الذي يحمل أجمل مكافأة: طفل صغير.

بيغي مان ■



زوجة الكترونية

تملّك الفرح امرأة نجحت في الحصول على وظيفة في برمجة الادمغة الالكترونية. ومع أن زوجها لم يكن يفهم شيئاً عن الادمغة الالكترونية فانه تجاوب مع حماستها ورحب بها لدى عودتها الى البيت في اليوم الاول من العمل، وسألها: "كيف كان يومك؟"

وراح يصغي بانتباه فيما زوجته تسهب في شرح ما عملته خلال الساعات الثماني التي قضتها بين برامج الدماغ الالكتروني.

ولدى عودتها الى البيت مساء اليوم التالي وجدت زوجها ينتظرها على الباب كما في اليوم السابق. لكنه اكتفى بالسؤال: "ماذا تناولت على الغداء اليوم؟"

هـ.م.

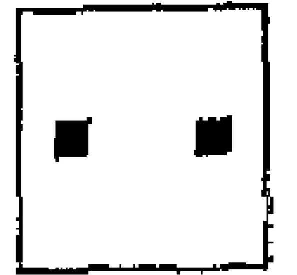
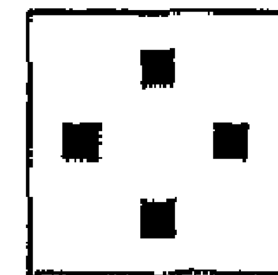
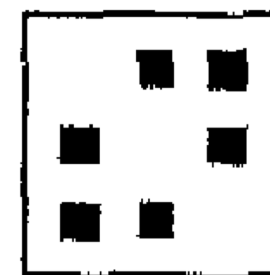
هل أنت عبقريّ؟

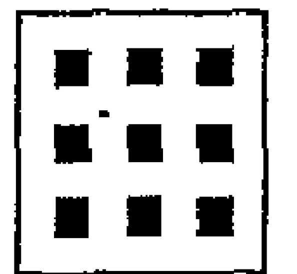
اليك مجموعة أخرى من الاحاجي التي وضعتها جمعية "منسا" (Mensa) التي تعنى بمؤشر الذكاء (I.Q.) العالي. هذا الامتحان الموضوع لتسليتك و"استنفار" عقلك في آن قد يساعدك على معرفة ما اذا كنت مؤهلا للانضمام الى أعضاء هذه الجمعية البالغ عددهم ٧٠ ألفاً من أنحاء العالم. والاحاجي التي نشرت سابقاً في عددي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٩ وأكتوبر ١٩٨٣ من "المختار" اجتذبت الالوف من رسائل القراء. وبين هؤلاء من استحق عضوية جمعية "منسا".

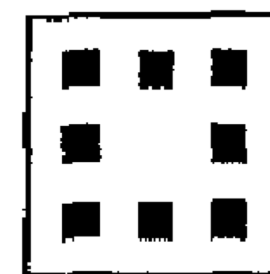
تذكر أن تحدد الوقت لنفسك. انك تنال علامات تقدير اضافية اذا حللت هذه الاحاجي في أقل من ٤٥ دقيقة.

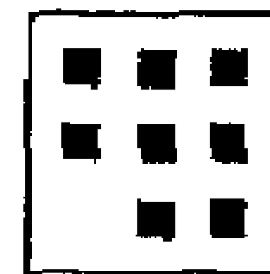
١. نقفت قطعة نقود معدنية فوقعت ووجهها الى أعلى عشر مرات متتالية. ما هو احتمال وقوعها على هذا النحو في النقفة الحادية عشرة، فرضاً ان القطعة بقيت سليمة من أي تلاعب؟

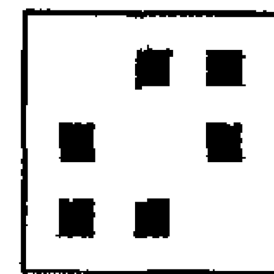
٢. أي من مربعات الصف الاسفل يكمل التسلسل الصحيح في الصف الاعلى؟


(أ)


(ب)


(ج)


(د)

٣. انك مدير توظيف في بلاد سكانها اما كاذبون فلا يصدقون أبداً واما صادقون فلا يكذبون أبداً. وجاءك طالب وظيفة لمقابلتك وبدا انه أمين. وقال لك ان الامرأة التي ستقابلها بعده أخبرته انها كاذبة. فهل كان كاذباً أم صادقاً في ما قال؟

٤. أي من الكلمات الآتية التي اختلطت حروفها غريبة بين الثلاث الباقية اذا أعيد ترتيب حروفها على النحو الصحيح؟

تيبور، قمشد، قرناة، طارلبا.

٥. تنافس خمسة أشخاص في سباق سيارات ولم يكن في النتيجة تعادل. وليد لم يأت الاول. جهاد لم يأت الاول ولا الاخير. سعيد جاء بعد وليد بمرتبة واحدة. جميل لم يأت الثاني. شريف جاء بعد جميل بمرتبتين. فكيف كان تعاقب وصول المتسابقين؟

٦. ما هو الرقم الناقص في التسلسل الآتي؟

٣ ٧ ١٥ ... ٦٣ ١٢٧

٧. اذا كان ٤٠ خبازاً يخبزون ٤٠ قطعة بيتزا في ساعتين، فكم ساعة يقضي خبازان في صنع ١٠ قطع؟

٨. ان نسبة جزيرة سيلان الى سري لانكا تشبه نسبة القسطنطينية الى:

(أ) القسطنطينية الجديدة.

(ب) لنينغراد.

(ج) نيويورك.

(د) لندن.

(هـ) اسطنبول.

٩. المثل القائل "ان الطيور على أشكالها تقع" يعني:

(أ) ان كل الطيور المغردة تتجمع دائماً في أسراب.

(ب) ان العصافير المريشة تحيا في هناء.

(ج) ان الناس ينزعون الى الاجتماع بأشباههم.

(د) اذا رأيت عصافير كثيرة معاً فالمرجح أنها من لون واحد.

(هـ) الطيور غير المريشة منبوذة لدى الطيور المريشة.

١٠. اذا كانت ابنة سلوى هي أم ابني، فما قرابتي بسلوى اذا كنت رجلا؟

١١. مروى لا تأكل السمك ولا السبانخ. سلوى لا تأكل السمك ولا الفاصوليا. سعيد لا يأكل القريدس (الجمبري) ولا البطاطا (البطاطس). هدى لا تأكل لحم البقر ولا البندورة (الطماطم). جميل لا يأكل السمك ولا البندورة. اذا أقمت وليمة لهؤلاء المتعنتين، فأياً من الاصناف الآتية تقدم اليهم؟

الفاصوليا.

الكرفس.

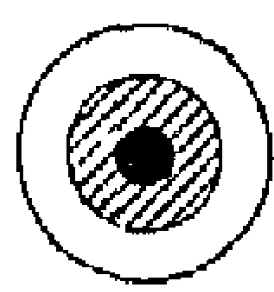
الخس.

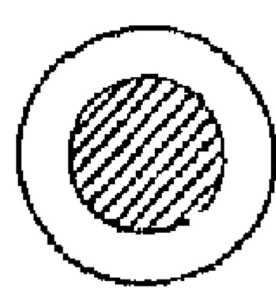
السمك.

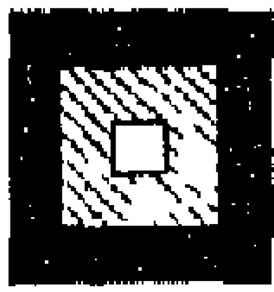
لحم البقر المشوي.

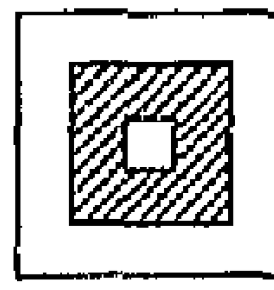
الدجاج المحمر.

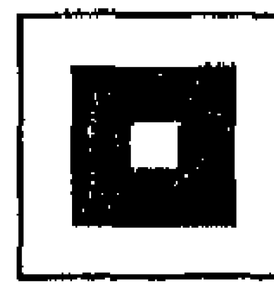
١٢. الرسم ١ بالنسبة الى الرسم ٢ هو كالرسم ٣ بالنسبة الى:


(١)

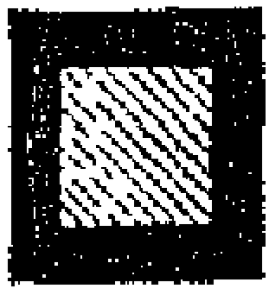

(٢)


(٣)


(أ)


(ب)


(ج)


(د)

١٣. جميع أحفادي دون السابعة عشرة من العمر. جميع حفيداتي جميلات. جميع أحفادي شقر الشعور زرق العيون. لأكبر احفادي شعر أحمر طويل. السن القانونية للاقتراع ١٨ سنة. أي عبارة من هذه يمكن اثباتها من المعلومات الآنفة؟

(أ) أكبر أحفادي لا يحق له أن يقترع.

(ب) أكبر أحفادي فتاة جميلة.

(ج) أصغر أحفادي لا يقود سيارة.

(د) لأصغر أحفادي شعر أحمر قصير.

١٤. البطاطا بالنسبة الى الفستق كالتفاح بالنسبة الى:

(أ) الخيار.

(ب) الزنبق.

(ج) الدراق.

(د) البندورة.

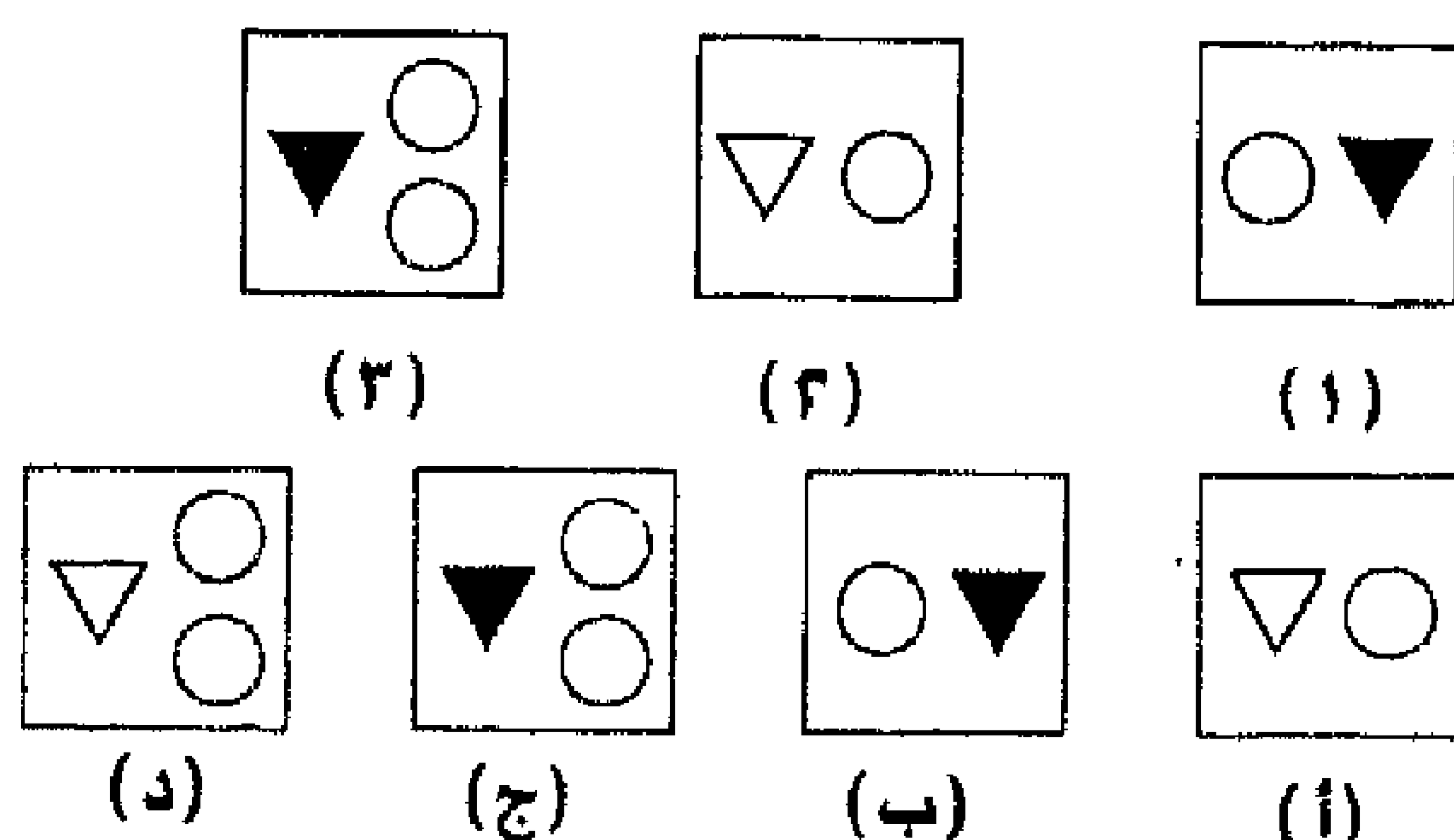
١٥. يتسلق حلزون جدار بئر. عمق البئر ٦ أمتار. كل نهار يتسلق الحلزون متراً واحداً وكل ليلة ينزلق الى الوراء مسافة نصف متر. بعد كم يوم يخرج الحلزون من البئر؟

١٦. على الرف مجموعة من ثلاثة مجلدات عربية مرقمة ١ و٢ و٣ من اليمين الى اليسار. وعلى الرف ايضاً سوسة تنخر الكتب. سماكة صفحات كل مجلد ٥ سنتيمترات وسماكة كل غلاف سنتيمتر وربع سنتيمتر. اذا بدأت السوسة النخر خارج الغلاف الامامي للمجلد الاول واستمرت في النخر حتى الصفحة الاخيرة من المجلد الثالث، فكم سنتيمتراً تنخر في ذلك؟

١٧. ستة آلاف وستمئة وستة قروش تكتب هكذا: ٦٦٠٦ ق. فكيف تكتب أحد عشر ألفاً واحدى عشرة مئة وأحد عشر قرشاً بأسرع ما يمكن؟

١٨. يهوى رجل جمع علب السعوط (العطوس) الاثرية. اشترى علبتين لكنه سرعان ما احتاج الى المال فباع كلا منهما بـ ٦٠٠ دينار. فربح في احداهما ٢٠ في المئة وخسر في الاخرى ٢٠ في المئة. فهل ربح أم خسر مالا في هذه الصفقة؟ وما مقدار الربح أو الخسارة؟

١٩. الرسم ١ بالنسبة الى الرسم ٢ هو كالرسم ٣ بالنسبة الى:



٢٠. كان شاب يعمل مع بعثة للتنقيب عن الآثار، فاتصل برئيسه وهو في حال بالغة من الاثارة وأخبره أنه عثر على قطعة نقود ذهبية نقش عليها أنها سُكّت في العام ٦ قبل الميلاد. فما كان من رئيس البعثة الا ان طرده من عمله. لماذا؟

الاجوبة الصحيحة في الصفحة ٣٢



راتب الرئيس

كتب رجل الاعمال روبرت تاونسند:

حين استخدمني اندريه ماير لادير له شركة "آفيس" لتأجير السيارات كان راتبي هو الموضوع الاخير الذي بحثه معي فقال: "سيكون راتبك خمسين ألف دولار في السنة."

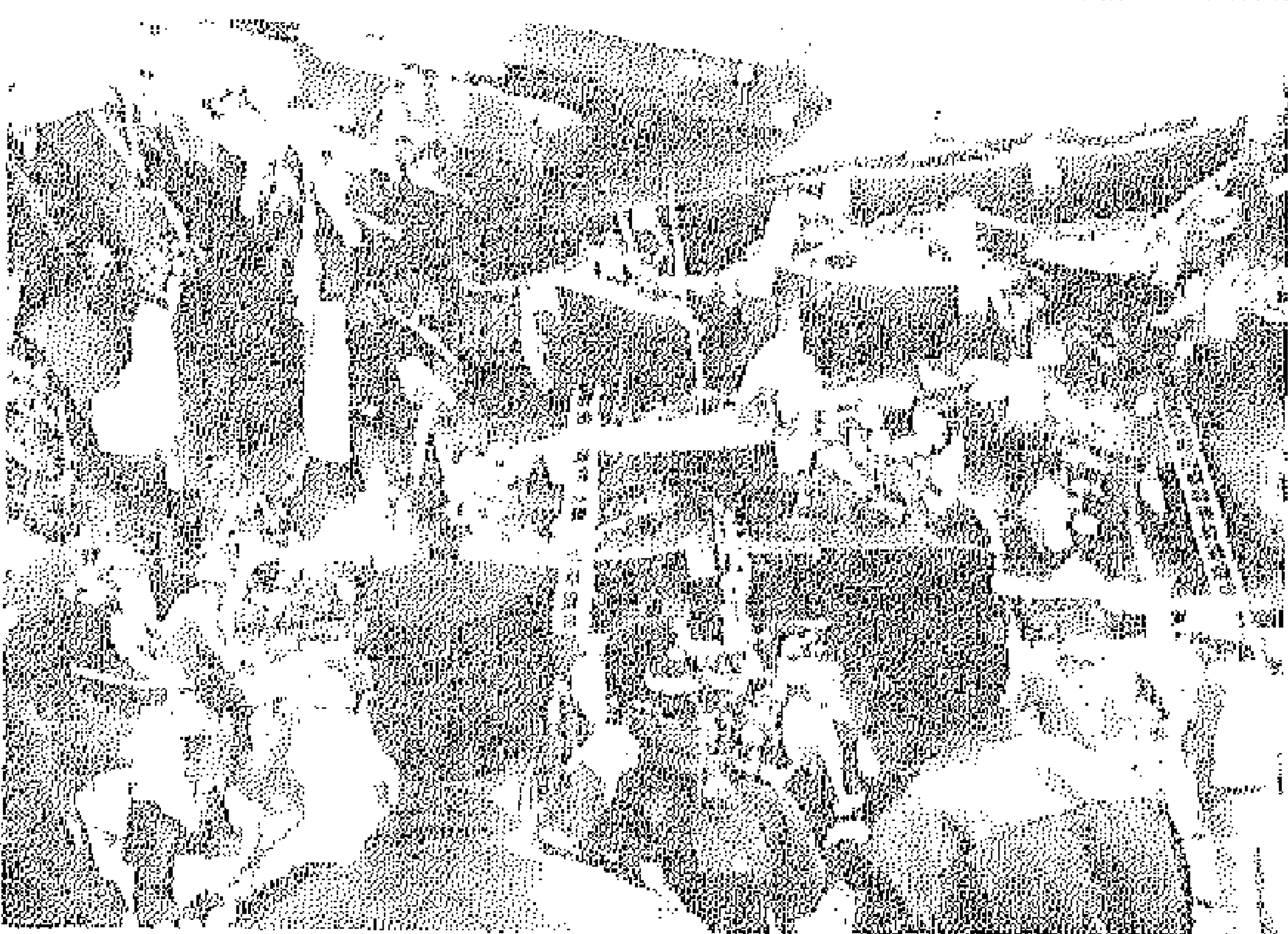
قلت: "لا، لا أوافق. فبصفتي أحد المساهمين الكبار في المؤسسة مستقبلا، أصر على أن يكون راتب الرئيس ستة وثلاثين ألف دولار فحسب. وهذا ينبغي أن يكون الراتب الاعلى في شركة لم تستطع حتى الآن أن تدفع سنتاً واحداً لحاملي أسهمها."

ووافق أندريه، اذ كان يدرك دائماً متى يقر بحجة سواه.

ف.أ.

زلــزالُ

في ١٩ سبتمبر (ايلول)
١٩٨٥ دمّر أحد أسوأ زلازل
هذا القرن الجزء
الأكبر من عاصمة المكسيك.
وفي اليوم التالي
ضرب المدينة زلزال ثان
وكأن الطبيعة الغضبى
في هذه الأرض القديمة لم
تفرغ من عملها تماماً.
وكانت الحصيلة سبعة
آلاف قتيل و٣٠ ألف جريح





و٥٠ ألفاً بلا مأوى.
ومن بين الخرائب الداخنة
انبعثت قصص عن الموت
واليأس وأعاجيب البقاء.
وفي ما يأتي مقتطفات
من مصادر مكسيكية
وأمريكية تؤالف الآمال
المتناثرة بين الدمار

المكسيك ٨٥ مَدينة تسقط في حفرة سَوداء

٧،٣٣ صباحاً. توقف الزلـزال "إل تمبلور" ضربة وحشية موجعة أيقظت المدينة من نومها.

٧،٣٤ صباحاً. صوت مكروب يذيع من محطـة للشـرطـة: "مبنى وزارة الاتصالات يتداعى، أرسلوا إليّ فرق نجدة وسيارات اسعاف!"

٧،٤٠ صباحاً. تعاقب أصوات مضطربة في اذاعة الشرطة: "في افينيدا شابولتيبك تتساقط صفائح الـوقود. أسرعوا! أرسلوا رجال الاطفاء!"

"برج التلفزيون انهار!"

"مبنى نافينسا يسقط!"

في المبنى السكني نويفو ليون ترمق السيدة ماريا ايلينا بويندبا دو سانشيز الانقاض بألم وتتمتم: "أطفالي الأربعة في الداخل. لقد عدت من عملي على عجل، أترى ما وجدت؟ أطلالا. أين اطفالي؟"

الشرطة والجيران والجنود يحاولون أن ينقذوا من بقي حيا. صفارات الاسعاف وصرخات الاستغاثة تملأ الهواء. مئات الأشخاص هائمون على وجوههم. انه جو جنوني. وأخيراً يصيح ضابط في الجيش آمراً بالصمت كي يمكن سماع الأصوات الآتية من ركام الحجار.

خورخي غيرا لوبيز يقتحم الحطام المتداعي ويتسلق الى بقايا احدى النوافذ صائحاً: "ليديا، هل أنت هناك؟" كان يسكن هنا مع زوجته روزا موسكيز وابنتيه ليديا ذات السبعة الاعوام واريكا ذات العشرة. والثلاث مفقودات.

ينبعث في حي روما صوت صغير: 'أبي... أبي!" ولا مجيب. الألم مرتسم على وجه البنت الصغيرة وعيناها لا تفارقان الحفرة السوداء التي كانت منزلا، حيث يحفر الرجال بحثاً عن أحياء.

"أبي... أبي!"

"يونوماسونو" ■

شجاعة نادرة

في ١٩ سبتمبر (أيلول) المشؤوم احتجزت مارتا دي لوس انجلس توريس غـرانيـو، الاختصـاصيـة بـالتخـديـر بـالمستشفى العمومي، في الطبقـة الأرضية قرب سلّم حاولت جاهدة أن تبلغها عندما انهارت أربع طبقات وسقطت عليها. وبقيت ستة أيام ونصف يوم قابعة في فسحة ضيقة، ذراعها اليسرى ملوية وراء ظهرهـا ورجلها اليسرى مسحوقة وقدمها اليمنى مسمرة تحت عارضة اسمنت تزن ٤٠ طناً.

يوم الثلثاء ٢٤ سبتمبر (أيلول) قرابة العاشرة صباحاً استدعيت الى الموقع فرقة انقاذ فرنسية تضم الجراح موريس بريزار والمخدّر فرنسوا لوريفيرن. وبعد نصف ساعة من وصولها حددت الفرقة موقع مارتا توريس غرانييو وباشرت شق طريق اليها في الركام.

يقول لوريفيرن: "بعد ثماني ساعات من العمل وبعدما أنعم المنقذون النظر الى احدى الحفر، رأوا يد مارتا اليمنى، وأنا أول من لمسها. كنت شبه مشلول الحركة في قناة ضيقة وأكاد لا أستطيع تحريك ذراعي، لكنني بلغت ذراعها أخيراً. ووقعت على وريد تمكنت من حقن سائل فيه مما اتاح لنا أن ننعشها قبل مباشرة رفع أطنان المواد التي تداعت عليها."

استخدمت في تحطيم العارضة مطارق ثقيلة ومثاقب الهواء المضغوط ومواقد اللحام ورافعات هيدروليكية (مائية). واحدثت في الوقت نفسه فتحات للهواء. ويقول الدكتور بريزار: "كان علينا أن نقتطع قسماً من العارضة بثاقبة للصخر. وكانت كل ضربة موجعة لمارتا، ولكن لم نملك وسيلة أخرى."

في الرابعة من فجر اليوم التالي أعطيت مارتا توريس غرانييو حقنة أخرى. وتم تحرير ساقها وذراعها اليمنيين. وتبين أن ساقها اليسرى المسحوقة مصابة بالغنغرينا. وقالت مارتا إذذاك: "يا أطباء، انكم تعرفون واجباتكم."

وبعد إعطائها العقار المخدر تولى الاطباء بتر الساق المصابة وهم منبطحون ووجوههم الى أسفل وأذرعهم ممدودة.

وأخيراً في التاسعة والربع صباحاً انتشلت مارتا توريس غرانييو من بين الانقاض. ويقول الدكتور بريزار: "اننا لم نر مثيلا لشجاعتها. ولقد تعاون الجميع ولم يطلب أي من أفراد الفريق المكسيكي الاطباء والمهندسين والعمال وأصدقاء مارتا إبداله بمناوب طوال ثمان وعشرين ساعة متواصلة. لقد كان عملا جماعياً رائعاً."

ماري بيار تول في "ذي نيوز" ■

صور لا تمحى

صرّح عامل الانقاذ: "كانت نداءات الاستغاثة في أفظع أشكالها خلال اليوم الأول الذي تلا زلزال إل تمبلور. كانت هناك جبال من الأنقاض. ولم تكن في حوزتنا رافعات أو جرافات. كل ما توافر كان مثاقب ومجارف يدوية وكماشات. يا للعجز الذي يحسه المرء في مواجهة الآلام وسكرات الموت على بعد خطوات منه! هذا أسوأ ما واجهني في حياتي. ومن ثم يأتي الرعب الذي يتملك المرء اذ يجد أصابع وسيقاناً وأذرعاً وآباء وأمهات يحتضنون أطفالهم وأطفالا يعانقون لعباً. من يقدر على محو هذه الصور من الذاكرة؟"

يتذكر أحد المتطوعين: "كان كابوساً. تداعت مدرسة واحتجز مئات الاطفال في الداخل. وحين وصلت وجدت الأهالي هناك يتوسلون ويصلون. كانوا يصرخون ويشدون شعورهم حين لم يجدوا أطفالهم بين الناجين. وحاول الآباء أن يخلدوا إلى

الهدوء ويدعوا رجال الاطفاء يتولون المهمة."

كارلوس مونسيفايس في "بروسيسو" ■

القضاء والقدر

يقول العجوز ابن الثانية والسبعين وهو في ملجأ لضحايا الكارثة: "ها أنت ترى كيف يكون القضاء والقدر. اني شيخ طاعن في السن وحيد، وقد أنقذتني أعجوبة. ولكن كم من الأمهات والآباء مضوا الى حيث لا رجوع؟ أنا غير ذي شأن بعد اليوم فأنا مرتحل. ولكن ما هو مستقبل الذين بقوا بلا بيت ولا مال؟ بلا عائلة؟ انهم يواجهون غداً لا أمان فيه".

سايد سيسين في "يونوماسونو" ■

حياة جديدة

يقول روبين فيرا رودريغز: "قد أكون مباركاً من الرب، فأنا حي فيما ينبغي أن اكون ميتاً." فهذا الموظف ابن الثامنة والثلاثين دفن تحت أربع طبقات من الحطام مدة أربعة أيام.

بدأت محنته في السابعة والدقيقة الثامنة عشرة من صباح يوم الخميس، حين ضربت الصدمة الاولى المدينة. وكان يعمل في الطبقة الثالثة من أحد مباني وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

انبعجت الجدران وانهارت الأعمدة وتهشمت الطبقات الأربع فوقه. وسقط على الارض. وتوقف سقوط السقف فوقه على ارتفاع نصف متر عن الارض المائلة. وهو وقع ورأسه إلى أسفل وقدماه إلى أعلى. ويقول: "لم أستطع تحريك قدمي. لم أستطع رفع ذراعي. لقد دفنت حياً."

وتناهت إلى رودريغز أصوات زملائه وهم يطلبون النجدة وأصوات رفع الحطام. واطمأن الى أن انقاذه سيتم سريعاً. ولكن مضى يومان من دون نجدة. وسكتت أصوات الزملاء.

ومنذ اليوم الأول لاحتجازه أبصر نوراً من أعلى منعكساً أمامه، فزحف شاقاً طريقه إلى الوراء في اتجاه الضوء، وكان جسمه يتجرح في محاولته. زحف بثبات وألم إلى أعلى حيث السقف. وكان يتوقف بين الفينة والاخرى محاولا ان يجمع قوته.

وكلما ضعف النور أدرك أن الظلام آتٍ، لكنه كان يتابع دبيبه. وعلى بعد ثلاثة أمتار من الفتحة أعاق تقدمه لوح اسمنت وقضيب فولاذ، فصاح: "هنا، هنا، فوق! انجدوني! أرجوكم!"

وهو قال لاحقاً: "لقد ذهل المنقذون. كنت على قيد الحياة في حين ظنوني ميتاً."

وبعد ساعة من الحفر تم تحريره، وكان ذلك قرابة العاشرة من ليل الأحد. قال: "شعرت انني خارج من رحم أمي. لقد ولدت ثانية ومنحت حياة جديدة."

وكالة "يونايتد برس" ■

قصة طبيب

كان الطبيب المتمرن خوسيه خوان ارنانديز كروز (٢٣ عاماً) يقوم بجولته الصباحية في مستشفى خواريز حين تضامّت الطبقات الثلاث عشرة من المبنى واستحالت ركاماً من خمس طبقات. واحتجز الطبيب في جيب هوائي.

وبعد يومين ونصف يوم، قرابة الساعة التاسعة من مساء السبت، سمع أحدهم

صرخة مكتومة في كومة الحجار التي كانت، في ما مضى، مستشفى.

واستدعيت فرقة انقاذ من رجال الاطفاء في البحرية الفرنسية. وحاول هؤلاء في البدء أن يحددوا مصدر الصرخات باستعمال كلاب بوليسية وأجهزة تنصت الكترونية. وشقوا نفقاً يعلو حوالى أربعة أمتار عن مستوى الأرض وبدأوا الزحف صوب ارنانديز كروز.

واقتصرت أعمال الحفر على المطارق الخشبية وعضلات الرجال، خوفاً من الشـرارات المنبـعثـة من الأجهـزة الميكانيكية. وتناوب أعضاء الفريق العمل وهم منطرحون في النفق الضيق.

قرابة السابعة مساء الاحد فتـح الاطفائي برنار غانيفنك ثقباً صغيراً ليمرر الماء عبره إلى ارنانديز كروز. وصباح الاثنين الباكر ذاع الخبر أن فريق الانقاذ يقطع آخر القضبان التي تسد اسطوانة الدعامة. وتعالت الصرخة: "انه يخرج!" وبدأ رجال الاطفاء يتراجعون في النفق الذي كان يهتز ويمطرهم بالتراب. وقال غانيفنك لاحقاً: "لقد خلت أن كل شيء سيسقط علينا."

وتعالت موجة تصفيق اذ دبّ الطبيب المتمرن منهكاً على مرفقيه مسافة الأمتار الأخيرة. ورفع رأسه مرتبكاً ثم انهار على حمالة الجرحى. وأسعفه الأطباء بالأوكسيجين وشقوا قميصـه المدمى ليفحصوا تنفسه ونبضه. كانت عظامه سليمة والدلائل الأساسية ايجابية. واذ خيم ليل الاثنين كان يتماثل للشفاء.

والتر غاديز في "ذي نيوز"
وجوزف تريستر في "النيويورك تايمس" ■

نباح الفرح

أتت من أنحاء العالم، من ألمانيا الغربية وسويسرا وكندا وفرنسا، كلاب رشيقة لانقاذ المنكوبين الأحياء في مكسيكو. وصلت الى حيث لا يستطيع رجل، الى الشقوق وصدوع المباني التي تقوضت بفعل الزلازل.

مساء يوم السبت اشتمت كلاب الانقاذ رائحة ثلاثة أشخاص في خرائب مستشفى خواريز المتداعي. واذ أطلقت نباحها الفرح دب أحدهم داخل المبنى المنهار. وما لبث أن نقل رجل وفتاة مع أبيها إلى حيث الأمان.

لكن الأمور ساءت في اليوم التالي. فقد عثرت الكلاب على اثنتي عشرة جثة مدفونة في البناء ذاته. ويقول جيل رايوم الذي كان يعمل مع كلبه: "انه لأمر محبط أن تنهي الكلاب بحثها من دون العثور على أحياء. ولو ان كلبي عثر على حي لكان سعيداً جداً. انه ينبح عندئذ ويحاول أن يحفر الأرض. واذا كان الشخص ميتاً فإنه يقعي ويكون بالغ الحزن."

لينيت مايرز في "شيكاغو تريبيون" ■

امر غير عادي

أوقف عمال الانقاذ محركات الرافعات والجرّارات ليصغوا إلى أصوات الأحياء. وفي تلك الساعة الاولى من صباح الاربعاء، بعد ستة أيام من الزلزال، ارتفع نحيب طفل بين أطلال المستشفى العمومي.

كان صوتاً غير معقول في محيط من العارضات الفولاذية المتكسرة وألواح الاسمنت النافرة وصخب المعاول. وتشير

التقديرات إلى ان نحو ٨٠٠ من الأمهات والاطفال والاطباء والممرضات دفنوا في مجمع الاطباء وفي مبنى قسم التوليد وأمراض النساء. وبدا كأن لا شيء سيخرج حياً من دمار كهذا. ولكن من أعماق الحفرة ارتفعت الصرخات متهدجة.

وقال أحد رجال الانقاذ وهو يزيح الجثث جانباً ليحفر عميقاً بين الانقاض: "انه رضيع!" واخترق موقد اللحام اطارات السرير المعدنية وشرط سكين البطانية وقطع مقض أسلاكاً ملوية وقذفت الأيدي فتات جص وقرميد. وانتهى التنقيب المحموم بصيحة فرح في الثانية عشرة والدقيقة السادسة والثلاثين بعيد الظهر. ووثب أحد العمال من النفق حاملا جسداً غضاً راح ينتفض ويلوح بيدين صغيرتين في الظلمة.

كان على المعصم شريط يعرّف بهوية الطفلة. انها ابنة كريستنا نونيز أورتيغا. ولم يعثر على أمها التي يظن انها ماتت. وبعد ظهر الاثنين في البقعة نفسها عثر المنقذ على طفل ثان بلغ طوله ٥١ سنتيمتراً وقد التصق بجثة أمه. وكان الطفلان مصابين بالجفاف (dehydration) وبجروح في البطن والركبتين وبالتهابات. لكنهما بقيا حيين.

وتوضح الدكتورة دينا فيلا نويفا رئيسة قسم المواليد في مستشفى الاطفال ان الرضيعين احتميا من الحطام المتساقط بالاثاث وأجساد البالغين التي ساعدت على حفظ حرارة جسديهما. وبما ان الرضيعين خرجا للحال من رحمي والدتيهما، فلم يكن وجودهما في مكان ضيق مظلم تجربة جديدة. كما أن دماغيهما غير المكتملي النمو أعاناهما على اجتناب الرعب والصدمات التي تستنزف الضحايا الراشدين. ولكن كيف استطاع ابنا اليوم الواحد أن يعيشا هذه الفترة من دون ماء أو حليب؟ انه أمر غير عادي."

جيمس لوموان في "النيويورك تايمس" ■

سبحان الله

يتجمهر المصورون يومياً في المستشفى العمومي والمركز الطبي الوطني ومستشفى خواريز ومجمع خواريز السكني حيث تستمر عمليات الانقاذ بانتظام مؤثر.

لم يذهب أحد إلى تيبيتو أحد أقدم الأزقة في المدينة حيث يترعرع اللصوص والملاكمون والمغنون.

أما اليوم فقد اختفى تيبيتو الذي كان الضجيج سيده: خليط من أجهزة الراديو الصادحة والصيحات والقهقهات والاشاعات والصفقات والشجارات والدعابات والاطفال الباكين والأمهات الشحاذات والأزواج المتميزين غيظاً.

تيبيتو يرين عليه الصمت الآن، الا من جهاز راديو في مكان ما ينبعث منه لحن كئيب. وهنا متسكع لا يمكن تحديد عمره، أشيب قذر يجلس على ركام آجر متكسر وهو يخاطب نفسه بانفعال. وهناك سمكري يبحث بفضول في خرائب دكانه وصبي صغير قربه تبدو عليه الكآبة.

لقد انتقل سكان تيبيتو بالالوف إلى العراء حول آفينيدا دل ترباخو. وهم يعيشون في الخيم. وشكّلوا فرقاً للبحث عن الماء، وهم يتآسون ويطعم بعضهم

بعضاً ويكيلون السباب لرجال السياسة والشرطة وينشرون الاخبار في ما بينهم: "لقد استحالت دار باهيا للسينما انقاضاً. هه، يا صديقي، وأين نذهب الآن لنلتقط البراغيث؟"

وفي ايفي سنترال لازارو كارديناس تقوضت الطبقات الأربع جميعاً فوق مطعم "سوبر ليتشي" مما أدى الى مقتل كثيرين كانوا يتناولون فطور الصباح. ويقول أحدهم: "يا صاحبي، لكن القهوة قتلت أكثر من هذا العدد." إنهم يهزلون كمعظم المزّاحين، لكنهم رجال جادّون ولا شك.

ويقول أحد عمال صقل الخشب واسمه خيسوس توريس: "نريد أن نعود إلى منازلنا، ولكن لا مكان نذهب إليه."

ولكي تختبر مكسيكو بعد الزلزال كان عليك ان تقصد ملعب كرة القاعدة (baseball) التابع لمؤسسة الضمان الاجتماعي حيث مددت الجثث تحت الخيم البلاستيكية الزرقاء في انتظار من يتعرف اليها.

وكان صف كئيب من الرجال والنسوة ينتظرون بفارغ الصبر ادخالهم للبحث عن موتاهم، فيما راح الموظفون يحضرون لوائح بأسماء الضحايا. والتقطت صور للجثث وأخذت بصمات الأصابع. أما الجثث التي لا يتعرف أحد اليها فكانت توضع في أكياس بلاستيك وتنقل بعيداً.

ونقل بعض الجثث إلى مقبرة سان لورنزو تيزونكو. وراح قرابة عشرين من حفاري القبور يوجهون ضربات معاولهم إلى تلك الأرض المعشبة.

وفي اليوم الخامس بعد الزلزال قال رجل دين لأحد الصحافيين: "في هذه المأساة وضعنا الله جميعاً في مقام واحد. ففي دقائق حين اهتزت الأرض أتاح لنا الله أن نفقه عظمته ومن نكون نحن. اليوم ندرك اننا لا نملك شيئاً في هذه الفانية."

بيت هاميل في "صوت القرية" ■



الأمان من الايمان

تعيّن على خيّال جبان أن يذهب في رحلة طويلة، فحمل معه كل ما يحتاج اليه وما قد يلزمه: أخذ سيفاً ودرعاً ليصدّ الاعداء، ووعاء كبيراً من الدهن لاتقاء حر الشمس وسموم الطبيعة، وفأساً لقطع الحطب، وخيمة وأغطية وأوعية وعلفاً لحصانه.

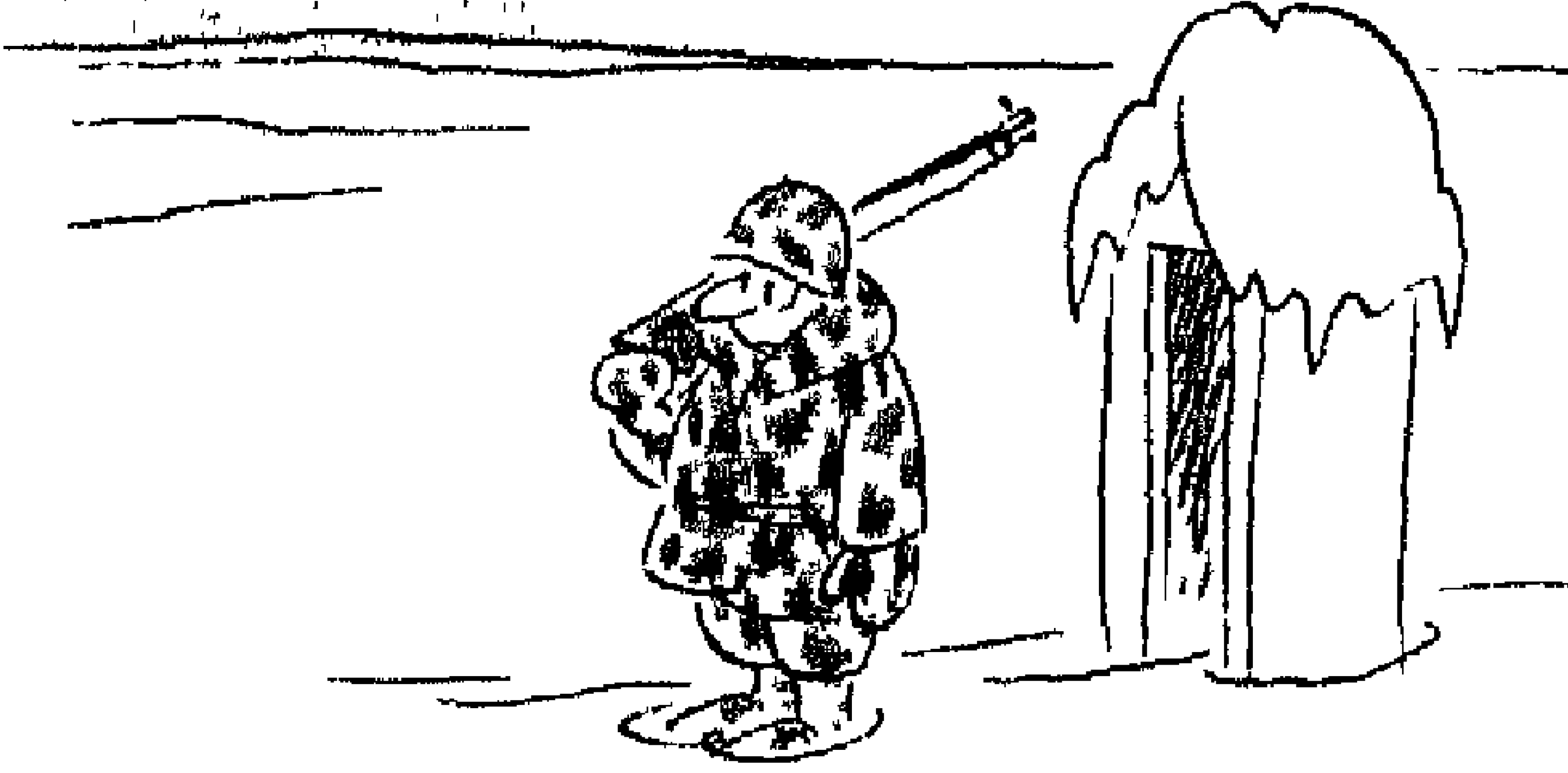
وفي منتصف الطريق سقط وحصانه عن جسر. وإذ فاته أن يحمل معه طوفاً يعوم عليه، قضى غرقاً.

والعبرة من هذه الرواية أننا، مهما حاولنا الوقاية، فالقدر يبقى لنا بالمرصاد. وهو قد يضع في طريقنا مشكلات لم تخطر في بالنا البتة، ولا في أحلامنا.

واعتقادي أن من يسافر والايمان رفيقه هو الذي يختار طريق الأمان.

م.ب.

الضحك خير دواء



دب المرطبات

كان عمل أحد الشبان يقضي بأن يتنكر في أهاب دب قطبي لترويج بيع المرطبات في متنزهات عامة. وذات يوم كان رجل يتمشى في متنزه، فاقترب من الشاب وسأله: "ألا تخجل من نفسك وأنت ترتدي هذا الثوب الزري؟"
فرد الشاب قائلا: "ولماذا أخجل أنا؟ فأنت من يتحدث الى دب."

م.م.

الزوجة والسيارة

كانت محطات غسل السيارات تتنافس على اجتذاب الزبائن. ورفعت احدى المحطات لافتة تعرض حسماً على غسل السيارات الحمراء. وفي الاسبوع التالي كان الحسم من نصيب السيارات الزرقاء. وسرعان ما نفدت الالوان، وأخذت أتساءل عما سيفعل صاحب المحطة بعد ذلك.
ومررت بالمحطة بعد أيام فرأيت السيارات واقفة في صف طويل تنتظر دورها، ولكن لم يكن ثمة اعلان عن أي حسم. ثم رأيت لوحة جديدة كتب عليها: "اتصلت زوجتك بنا كي نذكرك بأن تغسل سيارتك."

أ.ن.

ملاكم على الساعة

كان ملاكم يخوض مباراته الاولى، فطرح أرضاً في الجولة الثانية اثر لكمة قوية سددت اليه. ولما حاول رفع رأسه نهره مدربه: "دع الحكم يعد النقاط، واياك أن تنهض قبل الثامنة."
فهز الملاكم المرهق رأسه وتمتم بصوت خافت: "وكم الساعة الآن؟"

ش.و.

حب أعمى

بادرت فتاة حالمة أمها: "سعيد هو فتى أحلامي. فهو لطيف وظريف وذكي ونشيط وجميل وقوي..."
فقاطعتها أمها: و... متزوج!"
– ومن منا كامل؟

د.ب.

الأجوبة الصحيحة لأحجية «هل أنت عبقري؟»

١ . الاحتمال واحد من اثنين، اذ ليس لقطعة النقود ذاكرة.

٢ . ب. عدد المربعات يزداد اثنين اثنين، وهي مرتبة على نحو متناسق.

٣ . كان يكذب، لان الكذاب لا يقر بأنه كذاب.

٤ . الحروف المختلطة اذا أعيد ترتيبها تؤلف أسماء العواصم الآتية: بيروت، دمشق، أنقرة، الرباط. أنقرة هي الغريبة لانها ليست عاصمة عربية.

٥ . جميل كان الاول. وجاء في اثره جهاد ثم شريف ثم وليد ثم سعيد.

٦ . ٣١. يضاعف كل رقم ويضاف الى الحاصل واحد.

٧ . ٢٠ ساعة.

٨ . هـ. اسطنبول هو الاسم الحديث لمدينة القسطنطينية كما أن سري لانكا هو الاسم الحديث لجزيرة سيلان.

٩ . (ج).

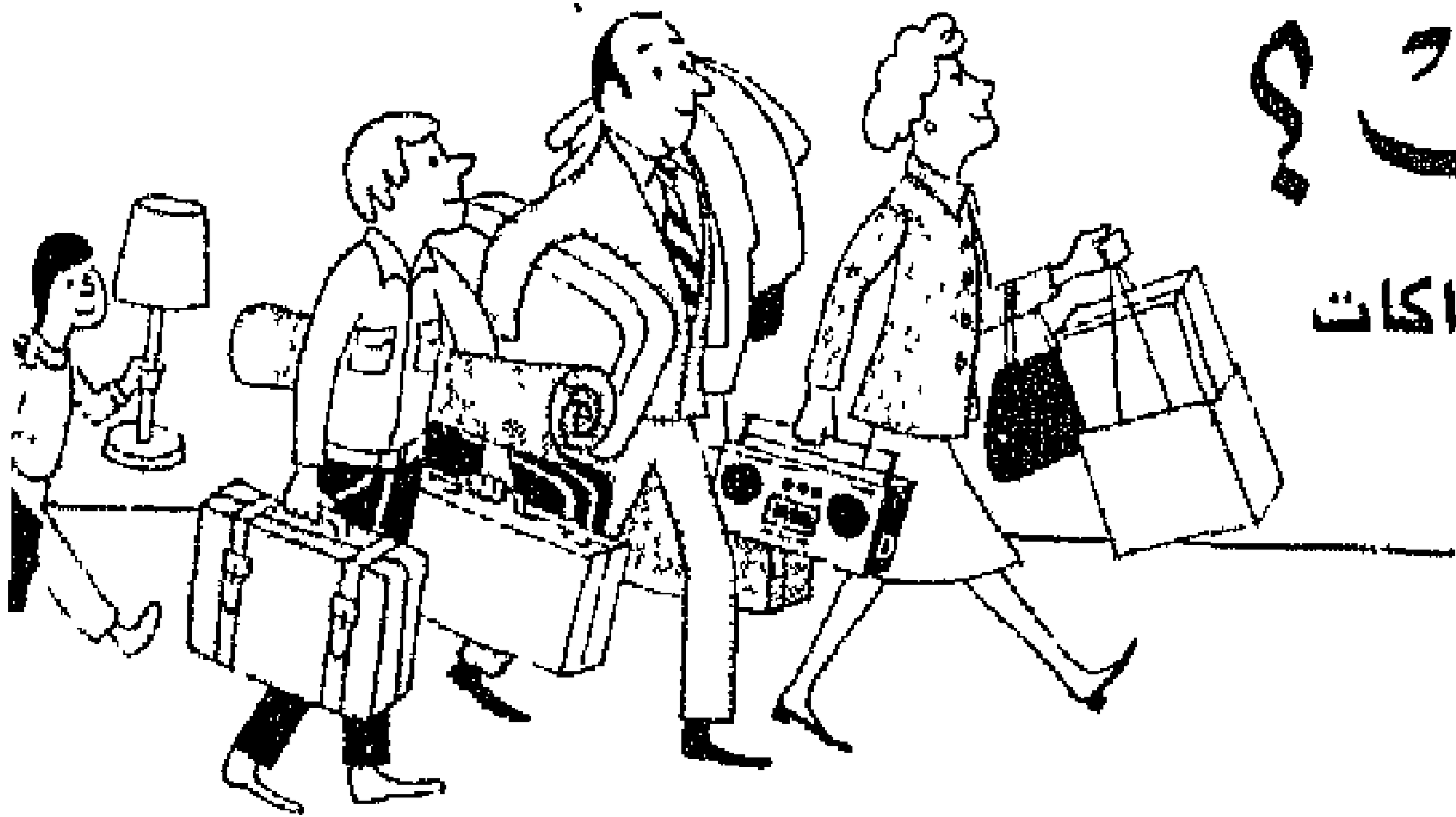
١٠ . صهر سلوى.

١١ . دجاج محمر وكرفس وخس.

١٢ . د.

١٣ . أ. العبارات الاخرى يمكن أن تكون صحيحة أو مغلوطة. ولكن لا يمكن

هل تغيّر عنوانك؟



املأ هذه القسيمة وارسلها الى قسم الاشتراكات في "المختار" على العنوان الآتي:
مجلة المختار من "ريدرز دايجست"
شارع المقدسي، بناية الشرتوني
ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

Name ______ الاسم

New Address ______ العنوان الجديد

______

Date ______ التاريخ

Subscription N° ______ رقم الاشتراك

Signature ______ التوقيع

الجزم بها اعتماداً على المعلومات المتوافرة. مثلا: اكبر الأحفاد قد يكون صبياً وليس بنتاً.

١٤. ج. التفاح والدراق ثمار تجنى من الاشجار كما أن البطاطا والفستق يجنيان من الثرى.

١٥. أحد عشر يوماً. الحلزون يرتقي مسافة نصف متر كل يوم. في اليوم العاشر يصل الى ارتفاع خمسة امتار، وفي اليوم الحادي عشر يبلغ فوهة البئر ويخرج منها ولا ينزلق بعد ذلك.

١٦. ثمانية سنتيمترات وثلاثة أرباع سنتيمتر. ضع ثلاثة مجلدات على الرف وانظر اليها. اذا بدأت السوسة خارج الغلاف الامامي للمجلد الاول فانها لا تمسه. ثم تنخر المجلد الثاني كله وتتوقف عند الصفحة الاخيرة من المجلد الثالث وهكذا لا تنخر سوى غلافه الخلفي. فيكون مجموع ما نخرت بالسنتيمترات ما يأتي:

المجلد الثاني بصفحاته وغلافيه: ٧،٥٠ سنتيمترات.

الغلاف الخلفي من المجلد الثالث: ١،٢٥ سنتيمتر.

المجموع: ٨،٧٥ سنتيمترات.

١٧. تكتب هكذا: ١٢١١١.

١٨. انه خسر. من المعلومات المعطاة نستنتج أنه اشترى العلبة الاولى بـ٥٠٠ دينار. والثانية بـ٧٥٠ ديناراً. فيكون دفع ١٢٥٠ ديناراً في الاثنتين وباعهما بـ١٢٠٠ دينار. خسارته اذا ٥٠ ديناراً.

١٩. (أ). الأشكال تعكس واللون يلغى.

٢٠. لا يمكن أن ينقش على قطعة نقود أنها سُكّت في العام ٦ قبل الميلاد. فكيف تؤرخ قطعة نقود بالنسبة الى ميلاد لم يحدث بعد؟

المستوى

أعط نفسك علامة عن كل اجابة صحيحة. أضف علامة تقدير واحدة الى مجموعتك اذا أكملت حل الاحاجي في أقل من ٢٥ دقيقة وعلامتين اذا أكملته في أقل من ٢١ دقيقة وثلاثاً اذا أكملته في أقل من ١٨ دقيقة.

١٨ - ٢٣: ذكاؤك خارق وأنت مرشح مثالي لعضوية جمعية "منسا".

١٦ - ١٧: حاصل ذكائك يضعك في فئة المتفوقين، وهي الفئة المطلوبة للجمعية.

١٤ - ١٥: أعلى من المعدل الوسط. قد ترغب في محاولة الانضمام الى الجمعية.

دون الـ١٤: جمعية "منسا" قد لا تناسبك. ولكن لا تبتئس، فبعض الناس لا ينجحون في الامتحانات لكنهم يفلحون في الحياة العملية.

إذا كنت ترغب في معلومات اضافية، أكتب الى:

Mensa International
Bond House
St. John's Square
Wolverhampton WV2 4AH
England

"لا يمكن من يعرفني أن يصدق ما ارتكبت."

انه في الخامسة والثلاثين، شعره بني فاتح وعيناه زرقاوان وابتسامته تنم عن براءة. وتعلو وجهه أمارات الذهول وهو يروي كيف ضرب زوجته التي يحب وكيف حاول خنقها وكيف، في مرات أخرى، مرغ وجهها في الوحل وسلط سكين مطبخ على رقبتها. ويتهدج صوته حين يتذكر أطفاله الأحباء وهم يراقبون المشهد مذعورين.

ثم يتساءل: "كيف فعلت ذلك؟ كل الناس يعرفونني رجلا طيباً. كما انني

لماذا يضرب الرجال نساءهم؟

ان ضرب الزوجات قصة قديمة. فهناك امرأة تضرب كل ١٨ ثانية، وأكثر من مليون يحتجن الى معالجة طبية سنوياً، وتموت أربع "مضروبات" يومياً

سيد عملي، لا أشرب الخمر ولا أدخن ولا أخون زوجتي."

انه مثل حي لرجال من كل العصور والعروق والطبقات الاجتماعية يرتكبون الجرم السري الذي قد يحدث في المنزل المجاور لأي منا. وتشير إحدى الدراسات الى أن هناك امرأة تضرب كل ١٨ ثانية، واكثر من مليون من أولئك النسوة يحتجن الى معالجة طبية سنوياً، وتموت أربع منهن يومياً.

الحب الضال - يتذكر رجل من كاليفورنيا في التاسعة والثلاثين: "كنت

أضرب زوجتي بقسوة وانفعال مدركاً أنني قد أقتلها. واكثر ما أرعبني أن هذا ما أردته فعلا."

ان ضرب الزوجة هو جريمة الغضب والقوة. وكما تفسره سوزان سكيكتر الباحثة في معهد التربية للاناث في مدينة نيويورك ومؤلفة كتاب "عنف النساء والرجال": "انه نمط من التسلط القسري. فهنا شخص يسيطر على آخر، فيجعله يخاف فعل ما يرغب فيه وقول ما يضمر."

وكثيراً ما يشعر الزوج المعتدي بأن له الحق في أن يسيطر على زوجته، بل ان ذلك واجب عليه. واذا كان نشأ في بيت تسوده أجواء العنف، فالأرجح أنه سيلجأ الى العنف أيضاً مع زوجته. وبين "نوبة" ضرب وأخرى يسيطر عليها بالصراخ والشتائم والتهويل وبصدمات عاطفية أخرى. انه ملاحق أبداً بالخوف من أن يخسر امرأته التي يحب. ورغبة منه في استبقائها لنفسه فانه يُرهبها. وما هذا سوى حب ضل طريقه.

وفي حلقة استشارية للرجال الذين يمارسون العنف في دولوث بولاية مينيسوتا يصرح أحد المشاركين انه يراقب يومياً عدّاد المسافات في سيارة زوجته. ويقهقه الحاضرون، إذ إنهم يفعلون الشيء عينه. وبينهم زوج غيور الى حد انه عطّل جرس المدخل كي لا تسمع زوجته قرع الضيوف.

وفي حلقة لمساندة الزوجات اللواتي يتعرضن للضرب، في دولوث أيضاً، تسأل إحداهن: "كم واحدة منكنَّ اتهمت باقامة علاقات خارج الزواج؟" وترتفع كل الأيدي على رغم أن معظم أولئك النسوة بريئات.

وضرب الزوجات جرم تقليدي. فقد احتفظ الرجال لمئات السنين بحق تأديب زوجاتهم. ولم تُعلن لاشرعية هذا العمل في معظم البلدان الغربية الا هذا القرن.

ولكن حتى في هذه الأيام يبقى ضرب الزوجات هو الاعتداء الوحيد الذي لا يحبذ رجال الشرطة القبض على مرتكبيه. ويلاحظ القاضي في محكمة دولوث وليم سويني: "ما زال الناس ينظرون الى الأمر على أنه مسألة شخصية. والأحرى بنا معالجته كمشكلة عامة لا يجوز التغاضي عنها."

حصار مطبق - يقول معلّم مدرسة من بوسطن بولاية ماساتشوستس: "كنت أصرخ فيها وأنا أنهال عليها ضرباً: لماذا تجبرينني على ما أنا فاعل؟ وكنت أضرع الى الله في وقت لاحق ليهديها الى سواء السبيل كي لا أضطر الى اقتراف مثل هذا العمل القذر."

وغالباً ما يلقي الرجال اللوم على زوجاتهم. ومن العبارات التقليدية التي يختبئون خلفها: "لو أنها تغير طباعها فقط." ولكن نظراً الى رغبة متأصلة في السيطرة، فان الزوج قد يطالب بتغييرات لا حدَّ لها. ويعترف معلم المدرسة: "إذا طلبت منها أن تقفز ولبّت طلبي، فاني أطلب منها القفز أعلى."

وكثيراً ما يلوم المجتمع الضحية أيضاً: "لماذا تصر على البقاء تحت رحمته؟" وتتفاوت الأجوبة. فبعض النساء المضروبات يبقين على حب أزواجهن، على الأقل بين اعتداء وآخر. وتحاول

أخريات تجاهل العنف الذي يتعرضن له. وتقول زوجة شابة: "لم أكن أصدق أن هذا يحدث لي. فما ان تبرأ جروحي حتى أتظاهر بأن كل شيء طبيعي."

وإذ تتواصل الاعتداءات يفقد كثير من النسوة كل احترام للنفس. وتتذكر امرأة: "كان ينهال ضرباً على وجهي بوحشية، ثم يدفعني الى المرآة ويصرخ: انظري الى نفسك، من سواي يطيق العيش معك؟"

ويجبر الخوف نساء أخريات على البقاء مع ازواجهن. فقد يهدد الزوج امرأته: "اذا حاولت هجري، فسأجدك وأقضي عليك." والواقع ان الكثير من أحداث القتل والاعتداء يقع فعلا لدى محاولة النسوة الفرار.

وغالباً ما تشعر النساء المضروبات بأنهن محاصرات. وفي هذا يقول عالم الاجتماع ريتشارد جيلز من جامعة رود أيلاند في كينغستون ومؤلف كتاب "العنف العائلي الحميم": "تصوَّر نفسك امرأة كهذه، وعليك أن تتخلى للحال عن وظيفتك وحقيبتك بكل ما فيها من وثائق ثبوتية، ولا تأخذ معك شيئاً سوى بطاقة سفر من دون رجعة الى مدينة غريبة. فهل أنت قادر على ذلك؟ وهل ستتمكن من اصطحاب الأولاد معك؟"

الجرم المشروع-في العام ١٩٨٤ وقف رجل مذنب أمام لجنة قضائية مختصة بمنع العنف العائلي واعترف: "يجب اتخاذ الاجراءات المناسبة في حق امثالنا وإلا استمرت هذه المشكلة الى الأبد."

ولكن ما هو القصاص الذي يناسب هذا الجرم؟

اللجنة المختصة اقترحت الاعتقال "كأفضل اجراء." لكن استطلاعاً أجري عام ١٩٨٥ وشمل دوائر الشرطة في المدن الأمريكية الكبرى أظهر أن ٣٠ في المئة منها فقط "تشجع" عناصرها على اعتقال الرجال الذين يضربون زوجاتهم.

ولكن تأمل ما قد يحدث إن لم تعتقل الشرطة المعتدين. فبين اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٢ ويونيو (حزيران) ١٩٨٣ في تورينغتون بولاية كونتيكت اتصلت زوجة غير مرة بدائرة الشرطة وزارتها مستجدية الحماية من زوجها الغريب الأطوار. ولما كانت المسألة عائلية فلم تحمل الشرطة شكواها على محمل الجد.

وحدث الاعتداء الأخير خارج المنزل فطعنت الزوجة في غير موضع. وفي تلك الاثناء مر شرطي كانت المرأة اتصلت به في وقت سابق، فتدخل سائلا الرجل أن يسلم سكينه لكنه لم يحاول اعتقاله أو وضع الأصفاد في يديه. وبعدما داس الرجل وجه زوجته ركض الى المنزل وعاد مصطحباً ابنه الصغير وأخذ يلعن أمه أمامه، وأخيراً ركلها في رأسها تاركاً اياها في حال شلل جزئي.

وعاين المشهد ستة من رجال الشرطة. ولكن استناداً الى شهادة المرأة لم يعتقل زوجها إلا حين حاول مهاجمتها مجدداً فيما هي ممددة على الحمالة.

وتوضح النساء اللواتي يتعرضن للاعتداء، ان العنف يبدأ خفيفاً عادة، بدفعة أو صفعة. فان لم يتدخل أحد لوقفه تطور الى الأسوأ. وفي مركز بحوث العنف العائلي في مينيابوليس بولاية مينيسوتا تبين أن امكان معاودة الاعتداء

يتضاعف اذا اقتصر الحل على التوسط والفصل بين الطرفين عوض اعتقال المعتدي.

أعذار واهية - يهتف ميكانيكي في الرابعة والأربعين: "السجن! شعرت بالغضب من نفسي وأحسست كم أنا غبي وكأنني حيوان شرس في قفص. أرغمني السجن على النظر الى حقيقة ذاتي لاني لا أريد أن أحتجز ضمن تلك القضبان الحديد بعد الآن."

في العام ١٩٨١ باتت دائرة الشرطة في دولوث الأولى في الولايات المتحدة التي تشرع الاعتقال في حالات العنف العائلي، مما يعني أن الشرطي هو الذي يقدم الشكوى وليس الضحية. فاذا اشتبه شرطي بوقوع اعتداء أسفر عن جرح الضحية، فله الحق في اعتقال الزوج يوماً واحداً ريثما يتم استجوابه. وفي اليوم التالي يعترف معظم الرجال بجرمهم، وهم عادة يختارون ستة أشهر من الاستشارة الالزامية عوض قضاء ثلاثين يوماً في السجن.

وينسق برنامج "التدخل في الاعتداءات العائلية" في دولوث نشاطات كل الجهات ذات العلاقة بحياة الزوجين، بما في ذلك الشرطة والمحاكم و"ملاجئ" النساء والحلقات الاستشارية التي يشارك فيها الرجال. وتبين نتيجة دراسة شملت نساء اختبرن هذا النظام أن ٨٧ في المئة منهن يعشن من دون عنف بعد انقضاء سنتين. أما العنف بين بقية النساء فكان أخف وطأة وأقل حدوثاً.

إن هدف الاستشارة هو وضع حد للعنف الجسدي والنفسي على السواء. ويُفهم المعتدون ان عليهم ان يكفوا عن لوم الآخرين على التصرفات التي هم مسؤولون عنها وأن يمتنعوا عن تقديم أعذار واهية مثل: "كنت ثملا،" ويتحملوا مسؤولية أفعالهم. كما انهم يتعلمون كيف يميزون بوادر الغضب كالقبضة المتكورة والأسنان المطبقة والنبض السريع، وكيف يتنبهون الى الضغوط التي تثير هذا الغضب. وهم يتعرفون الى الوسائل المناسبة للتصرف من غير عنف، كالخروج من العراك في الوقت المناسب. ويقول أحدهم في هذا الشأن: "اذا وجدت ان الحوار متعذر اخرج في نزهة."

ويتعرف الرجال بحقيقة أنفسهم عبر قصص زملائهم، وهذا جزء مهم من العلاج. ويتعلم بعضهم "الأجوبة الصحيحة" بسرعة فائقة. فيقول أحدهم: "مهما بدر منها فلا حق لي في ضربها." ويقول آخر: "هي مسؤولة عن تصرفاتها وأنا مسؤول عن تصرفاتي." وقد لا يؤمن هؤلاء بما يقولون، لكنهم على الأقل يتدربون على استيعاب هذه الافكار. ويقول دون لونغ أحد مؤسسي جمعية استشفائية للرجال الشرسين في سانت لويس: "يستطيع التغيير من يريد ذلك حقاً."

عقدة القوة - في الجلسات الاستشارية يتحدث الرجال عن "حسنات" العنف. وتقول ألين بينس مديرة برنامج التدخل في الاعتداءات العائلية: "كل معتد يمكنه تبرير فعلته. فهو يريد السيطرة على امرأته ويصر على مواقفه." ويناقش المشاركون في البرنامج حسنات تغيير

تصرفاتهم. ففي دولوث مثلا، هناك حسنة البقاء خارج السجن. ويروي بعض الرجال أن تغيير تصرفاتهم يزيد احترامهم لأنفسهم.

ويفسر ريتشارد ستيب المستشار في البرنامج: "حتى الآن لم يعِ هؤلاء الرجال سوى شعور واحد هو الغضب. ونحن نتكلم عن مشاعر الاساءة والخوف والوحدة وبقية المشاعر التي حجبوها بالغضب."

في وقت سابق عاش هؤلاء الرجال تحت تأثير صورة معينة للرجل القوي حاولوا أن يتقمصوها. أما الآن فهم يتعلمون أن في امكانهم أن يصبحوا من يريدون وليس من "يجب" أن يكونوا. ومعظمهم ينهون الدورة الاستشارية ويعودون الى محاولة السيطرة على زوجاتهم: قلة منهم بوسائل عنيفة وكثرة بوسائل تخلو من العنف. لكن بعضهم يتعلمون دروساً تقلب حياتهم.

ويقول تشاك وايلدر أحد المستشارين في جمعية مساعدة الزوجات المظلومات وأطفالهن في سالم بولاية ماساتشوستس: "يحتاج الذكور دائماً الى الشعور بالقوة. ولا أعلم سبب ذلك، لكنه الواقع. وحين تتعمق في درس الموضوع تجد أن المسؤولية تقع عليك وأن قوتك في ذاتك. فلا أحد يلزمك تعاطي الكحول والمخدرات اذا كنت غير راغب فيها. واذا كانت السمنة مشكلتك فيمكنك اتباع حمية مشددة. كما تستطيع التوقف عن ضرب زوجتك اذا كانت هذه نقطة ضعفك. فالقرار قرارك، لذا تمكنك السيطرة على نفسك. وهنا تكمن القوة الحقيقية."

كلير سافران ■



يوم لك ويوم عليك

في كتاب حديث يخبر لي ياكوكا، رئيس شركة "كرايزلر" للسيارات، هذه الطرفة:
تلقى رجل مكالمة هاتفية من مصرفه تعلمه أنه سحب ٤٠٠ دولار فوق رصيده. فطلب من الموظف أن ينظر الى كشف حسابه للشهر الأخير. وجاءه الجواب ان الرصيد كان ٩٠٠ دولار.

– والشهر السابق؟

"اثنا عشر ألفاً."

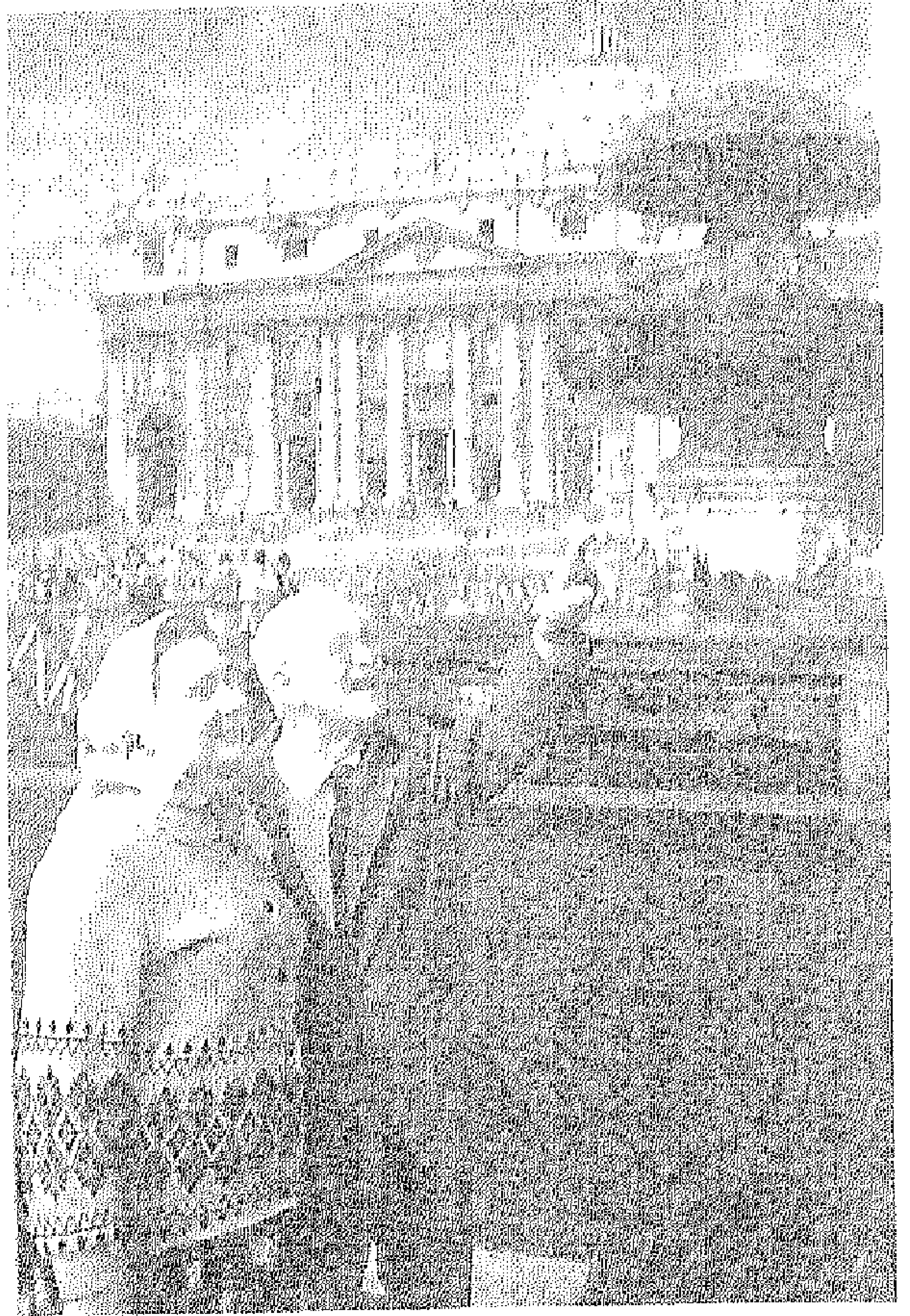
– والذي قبله؟

"خمسة عشر ألفا."

– قل لي إذاً: هل أزعجتك على الهاتف، كما تفعل معي الآن، عندما كان حسابي وافراً؟

ت.هـ.

الخطوة الاولى الى حل مشكلة هي أن تخبر شخصاً آخر عنها. هـ.ف.



بريمو وليدا
في شهر العسل في روما.

التقيا في أحد معسكرات الاعتقال في ألمانيا. وبعد أربعين سنة وصلت الى الاوكرانية رسالة من إيطاليا

جمعهما الحبّ

كانا مثل أي عريس وعروس في روما، يسيران متشابكي اليدين ويرسلان البطاقات البريدية الى الاهل والاصدقاء، هو في الخامسة والسبعين من عمره وهي في الخامسة والستين.

غريبة قصة بريمو غرازيلي وليدا تيتورنكو. كانت هي من أوكرانيا وهو من ايطاليا. التقيا في أحد معسكرات الاعتقال الالمانية وتبادلا الحديث من خلال عشر كلمات او ربما خمس عشرة كلمة يعرفها كل منهما من لغة الآخر. ووقعا في الحب. وقدّر لهما أن ينجوا من انفجارات وحرائق. ثم افترقا وعاد كل الى موطنه، هي الى بلدتها الصغيرة في الاتحاد السوفييتي وهو الى ايطاليا. ولاربعين عاماً كان الواحد منهما مجرّد

ذكرى في ضمير الآخر. حتى جاء ذلك اليوم... لن استرسل في الكلام، سأدعكم تقرأون قصتهما كما روياها لي.

بريمو:

ولدت في الخامس من فبراير (شباط) ١٩٠٩ في ريف سانت انجيلو في بونتانو على مسافة ٢٩ كيلومتراً من ماسراتا. كانت عائلتي من الفلاحين. وبعدما أمضيت ثلاث سنوات في المدرسة عملت مع والدي في الحقول.

عندما بلغت الرابعة عشرة من عمري أخذني والدي الى روما حيث ابتدأت عملي الأول كسائق عربة. وكنت أراسل فتاة في قريتي وما لبثت أن تزوجتها في العام ١٩٣٣.

وفي ١٩٤٣ سئمت عملي كسائق عربة. وكان مكتب البريد في حاجة الى سعاة، فتقدمت للوظيفة بعد دراسة وجيزة ونجحت في الامتحان لافاجأ بعد ذلك بما يشبه زخة من الماء البارد. سئلت اذا كنت عِضواً في الحزب الفاشستي، وعندما أجبت انني على استعداد للانضمام الى الحزب قيل لي ان باب الانتساب مقفل وان في امكاني ان أتطوع في الجيش وأتوجه الى الجبهة. وكان يدفع للجندي ثمانية ماركات في اليوم، أي ستون ليراً، وهذا اكثر ممّا حلمت به في حياتي.

وقّعت الاوراق وسرعان ما أصبحت في الطريق الى ليبزيغ التي وصلت اليها في منتصف ليل ٢٢ يونيو (حزيران) من العام ١٩٤٣. وكان عملي الأول اقامة سياج من الاسلاك الشائكة تحضيراً لمعسكر اعتقال جديد.

ليدا:

ولدت في ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩١٩ في فنيتسا باوكرانيا. وكنّا عائلة من الفلاحين ولي ثلاثة أشقاء وشقيقة واحدة. وفي صغري كنت أهوى الدراسة والركض بين الزهور. وعندما كبرت قليلا درست الاسعاف الطبي (Paramedics) أي أكثر قليلا مما يطلب من الممرضة وأقل قليلا مما يطلب من الطبيب. وكان أحد زملائي في الدراسة يتودد إلي ويغازلني، لكنه كان في أول دفعة استدعيت الى الخدمة عندما نشبت الحرب وبين أول من قضوا فيها.

وفي العام ١٩٤١ كنا أنا وأمي وأختي ثلاث نساء وحيدات في المنزل، اذ توفي أبي والتحق اخوتي بالجندية في فنلندا وكييف وبولونيا. وعندما وصل الالمان لم يتركوا بيتاً الا فتشوه وكانوا يرسلون الشباب الى ألمانيا. وتسلقت أختي شجرة وأختبأت بين الأغصان، أما أنا فأخذوني لكنني تمكنت من الهرب في الفوضى التي عمّت المحطة. وبقيت أياماً في الاحراج حتى بتّ أتضور جوعاً. وفي احدى الليالي تسللت عائدة الى المنزل. ويبدو أنني سمحت لنور خفيف بان ينساب من النافذة، وهذه المرّة لم أتمكن من الافلات ورُحِّلت فوراً الى ليبزيغ.

بريمو:

وصلت السجينات الى ليبزيغ بعد يومين من وصولي، وكنّ من الفتيات الروسيات. بَدَوْن كأشباح تنتعل القباقيب، وقد انهكهنّ السفر في عربات الماشية وبدّل سحنهنّ. وسرعان ما أتانا

التحذير: اياكم والتحدث اليهن، انهن من الاعداء. وقلت في نفسي: حتى ان كنّ من الاصدقاء، فمن منا يعرف الروسية ليتكلم معهنّ؟

وفي أحد الايام أفهمتني احدى الفتيات بالاشارات انها تريد قميصي. وعندما سألتها عن السبب ابتسمت وأفهمتني انها تريد غسله.

ليدا:

بدا لي العمال وكأنهم سجناء، مثلنا تماماً. ولاحظت أن أحدهم اكثر رقة واستعداداً للاستجابة من الآخرين. أفهمته أنني أريد أن أغسل قميصه لأنه راقني. وهكذا كان لقائي الأول وبريمو.

وذات يوم قال لنا الالمان ان بعض الاوكرانيين يحاربون الى جانبهم. وهذا الامر اكسبنا امتيازاً خاصاً فسمح لنا بالخروج أيام الآحاد.

بريمو:

مثل أي متحابَّيْن، كنت أنا وليدا نمضي يوم الأحد معاً خارج المعسكر. ولم تكن ليبزيغ بالمكان الجميل اذ كانت تُقصف بغزارة. وفي احدى المرات تلقى كوخ السجينات قذيفة مباشرة ولم تُصب أي منهن بأذى إذ كُنّ في احد الملاجىء، غير أن النار أتت على جميع مقتنياتهن. وتعين عليّ أن أصرف ما كان معي من ماركات لشراء حاجات لليدا.

ليدا:

كان بريمو حذرني من انه متزوج وله أولاد وسيعود الى بلاده حالما تنتهي الحرب. ولم يجل في بال أي منا أننا سنخرج سالمين. لم يكن هناك شعور بما قبل أو بما بعد. كان في وسعنا أن نتبادل الحب من دون أي تحفظ أو ندم.

بريمو:

لكن الحرب انتهت وما زلنا على قيد الحياة.

ليدا:

واحد فقط من اخوتي عاد الى فنيتسا بعد الحرب وكان مشوهاً. واضطررت الى العمل لأعيل العائلة. وهكذا أصبحت رب العائلة ومعيلها الوحيد.

الزواج؟ طلبت غير مرة للزواج، لكنني كنت أشعر بأنني متزوجة. يتكلم الروس عن "الحب المر". هذا بالضبط ما عرفته.

انقضت اكثر من ثلاثين سنة، وأصبح بريمو أرمل. على انه كان يحتفظ بعنوان ليدا وقرر أن يكتب اليها رسالة. فقصد مترجماً. ويبدو أن هذا المترجم لم يأخذ أقواله المتلعثمة على محمل الجدّ وظن الامر دعابة شيخ، أو انه نسي أن يضع الرسالة في البريد. وكان على بريمو أن يكتب رسالة اخرى. وهذا ما فعله في العام ١٩٨١.

ليدا:

حالما رأيت الطوابع عرفت أن الرسالة من بريمو. كتب عارضاً علي الزواج اذا كنت ما زلت عزباء وراغبة فيه. ورحت أصرخ. كنت أمام معجزة ولم أدر ان كنت استطيع تلبية النداء. وعندما فهم افراد

عائلتي الوضع أقنعوني بالقبول وقالوا لي انه لا يجوز أن أدير ظهري للسعادة وان أتت متأخرة.

بريمو:

تلقيت الجواب بعد شهر. ورتبنا أمورنا لكي نلتقي في أحد فنادق فنيتسا. وانطلقت في سيارتي الفيات، وهي قديمة وقد قطعت فيها ١٣٠ ألف كيلومتر.

استغرقت رحلة بريمو الى الاتحاد السوفييتي مروراً بيوغوسلافيا وهنغاريا (المجر) ستة أيام. وعندما وصل الى فندق "انتورست" في فنيتسا وجد ليدا في انتظاره: بابوشكا حقيقية ترتدي مريولا مزهراً وجوارب من الصوف الثخين وعلى رأسها منديل. عرفته للحال، لكنها لم تجد القوة الكافية لتتفوه باسمه، وراحت تتمتم "بريمو، بريمو."

بريمو:

كان صوتها هو هو لم يتبدل. كان الصوت نفسه الذي تعالى فوق أصوات القنابل في ذلك المعسكر وبقي دليل الحياة الوحيد بعد كل غارة.

قبل اتمام الزواج توجب على بريمو ابراز اوراق ووثائق تحمل اختاماً حكومية. وفي خريف ١٩٨٣ بعد زيارته قنصلية الاتحاد السوفييتي في روما توجه الى الحدود الروسية حيث راح موظف الجمارك يتفحص الاختام مرة بعد أخرى. وعندما اتضح أن الاختام ينقصها واحد اقترح بريمو أن يعود الى بلاده لتأمينه. وأدار سيارته وانطلق عائداً الى ايطاليا. وفي مكان قريب من سان دونا دو بيافا غلبه النعاس فاستسلم للنوم وهو وراء المقود، واذا بالسيارة تنحرف عن الطريق وتقع في حفرة. ونتيجة ذلك أصيب بريمو بكسور في ثلاثة أضلع وفي احدى فقرات ظهره وبجروح في وجهه. وعندما شفي من اصابته حصل أخيراً على الختم الناقص.

وفي العاشر من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ تم زواج بريمو وليدا في فنيتسا وبعد ثلاثة أشهر توجها الى سانت انجيلو مسقط رأس بريمو.

خاتمة قصة بريمو وليدا لا تخرج عمّا يتوقعه القارىء. انهما يعيشان الآن حياة سعيدة في سانت انجيلو. على ان مشكلة اللغة ما زالت تعترضهما علماً أن معرفة ليدا للايطالية في تحسن مستمر. أما بريمو فإن معرفته للروسية تحسنت قليلا. ومهما يكن فإن حبهما كان، وما زال، أعمق من أن يحتاج الى كلمات.

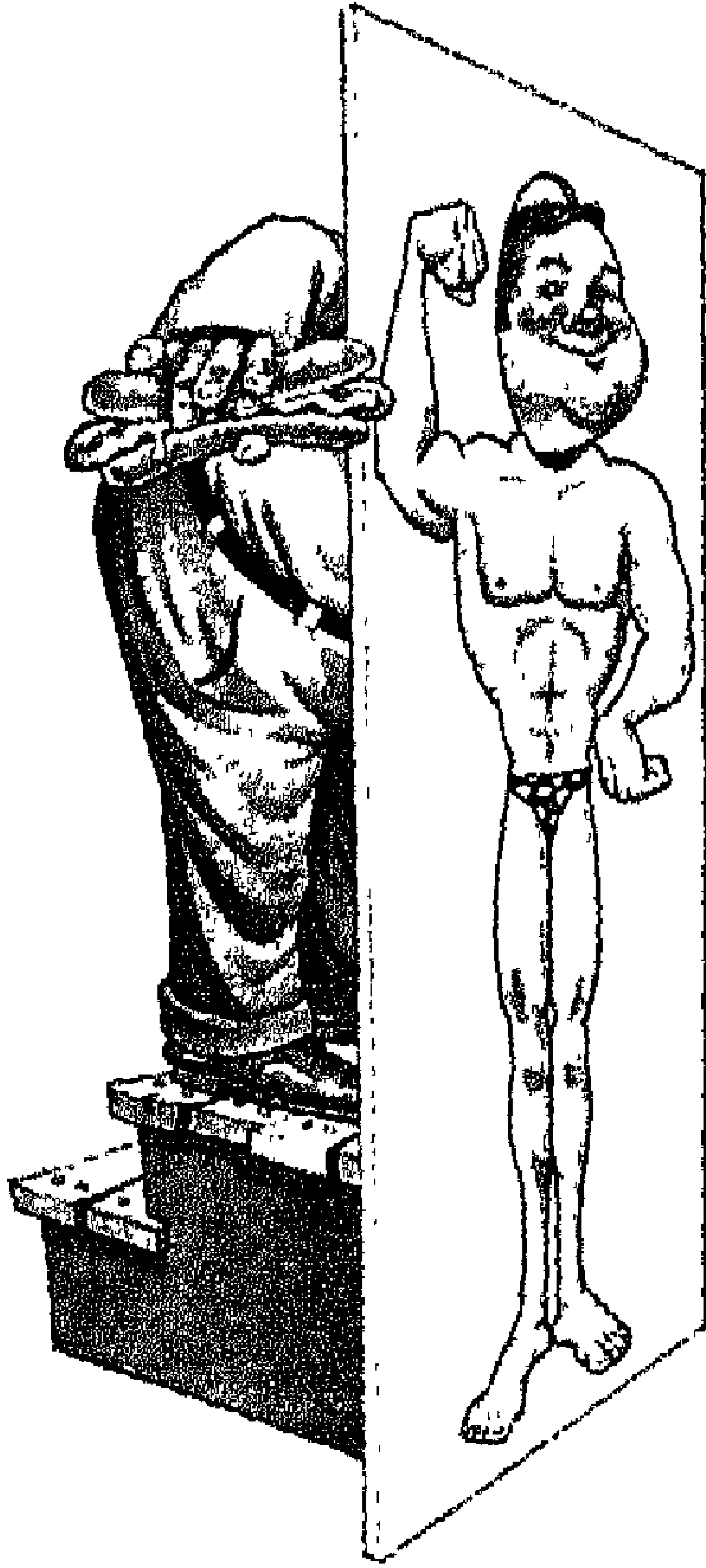
برونو روسي ■



نور العلم

بعدما روّضنا الهواء والريح والمد والجزر والجاذبية، سنتمكن ذات يوم من السيطرة على طاقات الحب. وعندئذ للمرة الاولى في تاريخ العالم، سيكتشف الانسان النار.

تيار دو شاردان، فيلسوف فرنسي



سَخافَاتُ الحمَية

يستهدف هذا الكاتب خصورنا حتى العظام

الحقائق المبدئية البسيطة عن انقاص الوزن

من الواضح ان الطريقة السليمة الوحيدة لانقاص وزنك هي أن تتبع برنامجاً منتظماً ومخططاً وعقلانياً لشراء الكتب الحديثة التي تنشر عن الحمية، واليك بعضها:

"الحمية الطبية التي يوصي بها الطبيب العشوائي المخلص الوسيم" و"حمية إلفيس برسلي التـذكاريـة" و"الحمية الاجمالية للدودة الشريطية" و"كيف تنقص وزنـك خـلال الازمـة الاقتصادية المقبلة" (*).

وربما كان أفضل كتب الحمية ذلك الذي عنوانه "الحلوى بعد الطعام تسبب لـك السمنة" والـذي ألّفـه ارنست فيوفايندر. وتقوم نظرية هذا الخبير على انك تسمن لانك تأكل كثيراً من الحلوى بعد الطعام، وتهدف حميته الى حضك على الانقطاع عن أكلها. وهو يقترح لائحة الطعام المثالية الآتية:

الفطور

حبوب مسلوقة محلاة بالقطر السكري.
أصابع المعلّل مع اللحم المعلب.
الحلوى: شريحة من الخبز المحمص.

(*)The Handsome Sincere Random Doctor Medical Diet, The Elvis Presley Memorial Diet, The Total Tapeworm Diet, and How to Lose Weight in the Coming Depression.

الغداء

رقائق الشكولاته.
بطاطا مقلية.
أي عدد من شطائر الجبن واللحم.
الحلوى: جبن أبيض.

العشاء

كوب من المثلجات المشبعة بالسكر.
حساء الكاراميل المذوب.
الحلوى: خس من دون مطيبات.

هل وزنك مناسب؟

لتحظى بالجواب راجع الجدول المنشور في مكان آخر ومن المرجح أنك ستجد أن وزنك يتعدى الحد المناسب لجسمك. وما هو السبب؟ انك تتناول أطعمة وافرة مشحونة بالوحدات الحرارية، وهي وحدات صغيرة جداً تقاس بها طيبة طعام معين. فالكاراميل مثلا يحوي مقداراً عظيماً من الوحدات الحرارية، بينما الكرفس، وهو ليس طعاماً في الحقيقة بل نوع من فصيلة الخشب المعاكس، لا يحوي منها شيئاً.

لماذا يجب أن تراقب ما تأكله؟

في أيام جد جدك لم يكن أحد يهتم لمقتضيات التغذية الصحيحة لان الناس كانوا يعيشون في مزارع ويأكلون الطعام الصحي الطبيعي. وكلما احتاجوا الى لحم كانوا يخرجون ويقتطعون إرباً من بقرة العائلة. وكلما احتاجوا الى خبز كانوا يحصدون بعض السنابل ويدرسونها ثم يطحنونها ولكن سرعان ما كانوا يسأمون هذا الجهد فيقولون: "دعونا نأكل ارباً آخر من البقرة هذه الليلة."

اختبار للأنثى و الذكر

الجنس: أنثى

البنية

السن	صغيرة	وسط	ضخمة
١٨ - ٢٥	هـ	و	أ
٢٦ - ٣١	و	أ	ب
٣٢ - ٣٩	أ	ب	جـ
٤٠ - ٥٠	ب	جـ	د
فوق الـ٥٠	جـ	د	هـ
متوفاة	د	هـ	و

الجنس: ذكر

البنية

السن	صغيرة	وسط	ضخمة
١٨ - ٢٥	ب	جـ	د
٢٦ - ٣١	جـ	د	هـ
٣٢ - ٣٩	د	هـ	و
٤٠ - ٥٠	هـ	و	أ
فوق الـ٥٠	و	أ	ب
متوفى	أ	ب	جـ

أ. يمكنك بلا ريب أن تخفض وزنك.
ب. انك تواجه مشكلة سمنة بلا شك.
جـ. نظراً الى وزنك ينبغي أن تعتمد حمية.
د. لن يضيرك أن تخفض وزنك قليلا.
هـ. انك تحمل عبئاً ثقيلا بالنسبة الى قامتك.
و. عليك أن تبذل جهداً أكبر للسيطرة على وزنك.

أما اليوم، فمن سوء الحظ أن معظم الابقار تربيها شركات ضخمة متعددة الجنسية تقدم الى المواشي علفاً ممزوجاً بالادوية المضرة نهاراً وليلا في تعمد صريح لقتل المستهلكين الابرياء. ان

Condensed from «Stay Fit & Healthy Until You're Dead,» copyright © 1985 by Dave Barry, published by Rodale Press, Inc., Emmaus, Pa, Illustration: Bill Cleaver

عـدداً كبيـراً مـن الابقـار مفعـم بالكيميائيات الى حد أنها تنفجر من تلقائها وسط المراعي مخلفة سحباً من الابخرة الخضراء يهطل منها مطر حمضي حارق.

وانك تواجه المشكلات عينها في الدقيق الابيض والسكر المصفى، فكلاهما يسببان الموت السريع اذا أكلا. لذلك من المهم جداً في عالم اليوم أن تراقب طعامك، على الاقل حتى يصبح داخل فمك. لانه بعد ذلك يغدو كريه المذاق.

كيف يعمل جهازك الهضمي؟

مهمة جهازك الهضمي تحويل الطعام أجزاء مفيدة من الجسم. ولكي يتفادى جهازك الهضمي كثيراً من المتاعب فانه يعتمد سياسة يحول بموجبها الطعام أجزاء من الجسم تشبه الطعام ذاته. وهكذا يصبح البيض المسلوق مقل عيون والقنبيط أدمغة وهكذا. أما اذا تناولت طعاماً لا يشبه أي جزء معروف من أجزاء الجسد، مثل عـرق السوس المغلف بالمعلل، فأن جسدك يحـوله دهنـاً فحسب.

ماذا تتعلّم من البيانات الملصقة على الاطعمة المعلبة؟

انك في الواقع لا تتعلم منها شيئاً. فجميع بيانات الاطعمة المعلبة تكتب بتعابير تختص بتلك الصناعة من دون سواها مثل: "هذا الطعام يحوي ما لا يقل عن ٠٫٠٣ في المئة من الغلوتونيوم المعاد تشبيعه بالماء أو خلاصة فول الصويا المموثق." وكلما كثرت هذه التعابير ازداد الاحتمال بأن لدى كاتبها سراً يريد أن يخفيه.

ماذا عن الفيتامينات؟

الفيتامينات حبوب صغيرة تسمى "أ" و"ب" و"ج" و"د" و"هـ" يوصى بتناولها بجرعات محددة. الاطباء عادة يسخرون من قيمة هذه الفيتامينات، غير أن السبب في ذلك أنك تستطيع ادخالها جسمك من دون مساعدتهم. ولو كانت الطريقة الوحيدة لادخال الفيتامينات جسمك هي أن يعمد فريق من الجراحين الى زرع أنبوب خاص في جمجمتك بجراحة تكلف ٢٦٣ الف دولار، لاعتبر الاطباء أن الفيتامينات هي أعظم الانجازات منذ صنعت السيارات الفخمة.

أما الحقيقة فهي أن الفيتامينات نافعة جداً لك. وعليك كل صباح أن تتناول حبة من الفيتامين "أ" تتبعها بحبة من الفيتامين "د" وبأخرى من الفيتامين "هـ". وقد يكون هذا المقدار مفرطاً بالنسبة اليك، ولكن ما عليك الا ان تحاذر علامات الانذار الرئيسية الثلاث على نقص الفيتامين وهي: أولا، الرعاف. ثانياً، ظهور شعر كثيف على الديدان. ثالثاً، الموت.

متى تبدأ حميتك الجديدة؟

ليس اليوم بكل تأكيد، فقد أجهدت نفسك اليوم. وأستبعد غداً، اذ انه يعقب اليوم بسرعة. لذلك اقول ان الوقت الافضل لبدئها هو بعد العيد مباشرة... طبعاً ليس بعد العيد المقبل.

ديف باري ■

نحن اذ نحفظ قرشنا الأبيض ليومنا الأسود
قد نخسر نعمة التمتع بيومنا الأبيض

المَالُ جَلّابُ السَّعْدْ

في المجمَّع السكني "الشعبي" حيث قطنت بعد زواجي كان الكل أبداً مفلساً. وكنا جميعاً نقتات على لحم الطون ونقود السيارات القديمـة ونخطط لتحسين منازلنا. وقبل الانتقال الى جيرة أفضل كان لدى معظمنا رواق أو فناء أو عليَّة مرمَّمة، مما يعني فسحة إضافية للعيش.

ولم يستثن من نمط التفكير هذا سوى آمي وفرانك الابوين لخمسة أولاد. فطالما حلما بحمام إضافي، لكنهما لم يتمكنا أبداً من اقتنائه. وجلُّ ما تمكنا من دفع ثمنه رحلات تزلج منتظمة: ١٤ زلاجة وأحذية وعصي وملابس خاصة بالتزلج وبطاقات المصعد. أما نحن فكنا نقوِّم تصرفاتهما على أنها جنون مطبق.

والتقيت فرانك حديثاً. وعلمت منه أن أولاده تفرقوا فيما لا يزال هو يعيش مع آمي في البيت نفسه ذي الحمام الواحد. وبادرني: "لسنوات عدة عانينا ضائقة مالية خانقة. ولكن قبل حين كتب الينا أحد الأولاد: "لن أنسى رحلات التزلج الرائعة ما حييت." فهل تظنين أنه كان ليكتب: "لن أنسى ذلك الحمام الاضافي الرائع ما حييت" لو اختلفت الظروف؟

ان آمي وفرانك اكتشفا في وقت مبكر سراً يزيد الحياة حلاوة: حدِّد أولوياتك واسعَ اليها جاداً وان بدت كلفتها باهظة. فاذا كان مرادك منزلا له حديقة خلفية، فقد تضطر الى التضحية بسيارة. أما إذا اكتشفت أن سعادتك تتجسد في قيادة

سيارة "مرسيدس" فقد تكتفي بمنزل متواضع. المسألة ببساطة مسألة اختيار للأولويات.

ويمكن التعامل مع الدخل المحدود بأسلوبين مختلفين: فإمّا أن تكون عاقلا فتجزّىء دخلك بين الطعام واللباس والنقل والايجار، وإمّا أن تكون متهوراً. وإذا كانت حالك المتواضعة لا تمنعك من التعلق بأحلام النجاح، فإنّ أفضل مسلك تتخذه هو التبذير المحسوب، أي التقتير في الأمور غير المهمة بالنسبة اليك والانفاق بلا حساب على كل ما يسعدك.

إن بعض الأشخاص يتأثرون بأسطورة الفقراء الذين أثروا بالعمل الدؤوب ونكران الذات. هؤلاء يتمسكون بالعصفور في اليد وان يكن دُورياً لا يؤكل، ويهملون الطائر الجاثم على الشجرة وان يكن طاووساً. وهم يخبئون قرشهم الأبيض ليومهم الأسود فيخسرون لذة التمتع باليوم الأبيض.

أعرف زوجين تملّكهما هاجس التأمين وهما بعد في العشرينات من عمرهما. وفي حين انشغل أبناء جيلهما بتأسيس عائلاتهم أكبّا هما على تكديس المال لتأمين المستقبل. وحين شعرا بالقدرة على تأسيس عائلة كانت الزوجة بلغت التاسعة والثلاثين. وهي تحاول جاهدة منذ ثلاث سنوات أن تنجب طفلا، إلا أن كل محاولاتها أخفقت. إنها قصة غريبة، أليس كذلك؟ لكنها تمثل واقعاً حقيقياً. فاذا رغبت في شيء ما بكل جوارحك، وإذا وجدت أن طفلا أو رحلة أو جهاز فيديو سيغني حياتك، فقد لا تجد بداً من اقتنائه.

تعلمت هذا الدرس في صغري حين كان والدي عاطلا عن العمل وكنا نأكل اليخنة المحضّرة بفضلات سوق السمك. ففي أحد الأيام كنت أتفرَّج على واجهة أحد المحلات، فوقع نظري على حلية حمراء اشتهيتها بجنون. وأسرعت الى البيت أستجدي من فيه عشرة سنتات. وتنهَّدت أُمي لدى سماعها طلبي. عشرة سنتات تشتري نصف كيلوغرام سمكاً! لكن أبي قال: "دعيها تشتري تلك الحلية. فهل ستتمكنين من شراء سعادتها بهذا الثمن الزهيد في المستقبل؟"

كل ما أدركته آنذاك أن السنتات العشرة اشترت لي ذهباً لا يفسد أتاح لي التباهي والافتخار.

وعندما أفكر في الأصدقاء الذين يبدون سعداء أعجب لمواقفهم الغريبة من موضوع الانفاق. فآل جونسون لا يملكون سيارة، لكنهم أمضوا عطلتهم العام المنصرم في هاواي. وإيف التي تقطن غرفة واحدة تملك فستاناً رائعاً تبدو فيه مثل عارضة أزياء شهيرة. وأدا التي طافت بأولادها الأربعة في رحلة بالسيارة عبر الولايات المتحدة توقفت لاحتساء الشاي في أحد المطاعم الفاخرة. وهي تتذكر: "كان الندل يرتدون قفازات بيضاً فيما الفرقة الموسيقية تعزف في غرفة الطعام. أكلنا قطعاً من الحلوى المجلدة. وكانت على الطاولة صحائف لغسل الاصابع تطفو فيها أوراق الورد على الماء المعطر. ولقد اكتفينا بأكل الخبز والجبن في اليومين التاليين. لكن الاولاد نسوا الضائقة المالية التي عشناها طوال فصل

الصيف، وجلّ ما يتذكرونه هو احتساء الشاي ذاك اليوم."

هب أنها ليست مسألة تخلّ عن شيء ما في مقابل شيء آخر. هب أنك لا تملك ثمن ما تريده. إن الحلم الكبير حقاً يحمل القدرة على تحقيقه. وفي هذا السياق أتذكر صديقين أظهر ابنهما الوحيد علامات مبكرة لموهبة موسيقية فذة. ففي السن الثالثة تمكن من التقاط النغمات بأذنيه وعزف "أغنيات" على البيانو. وقرر والداه اعطاءه أفضل الدروس الموسيقية، وان اقتضى ذلك السفر مسافة مئة كيلومتر الى مدينة بوسطن. وتسلمت الأم وظيفة جديدة في مكتبة، فيما بدأ الاب اعطاء دروس خصوصية.

وتوالت نصائح الأصدقاء: "لماذا تجهدان انفسكما لتأمين أساتذة متفوقين لطفل؟" ولكن ما هي إلا بضع سنوات حتى غدا الأساتذة المسرورون يعطون "الطفل" دروساً مجانية. وهو اليوم في السابعة عشرة وقد عزف مع أهم الفرق الموسيقية في الولايات المتحدة. كما أعطي منحتين لمتابعة دراسته في معهدين موسيقيين رفيعي المستوى. فهل كان هذا النجاح ليتحقق لو ارتضى أهله اعطاءه دروساً رخيصة؟

تجيب أمه ان ذلك ما كان ليحصل، وتضيف: "أنا أيضاً كنت طفلة موهوبة. لكن أساتذتي كانوا من النوع الممل ففقدت كل رغبة في الموسيقى. ونحن وفرنا أجواء التشويق والايحاء لابننا منذ البداية."

وأظن أن ذلك يظهر أهمية اعتبار المال أمراً ثانوياً. فالعيش على مستوى يفوق وسائلك المتاحة لا يعني العيش بما يتخطى دخلك – وهنا الكارثة – بل بما يتناسب ورؤيتك لمستقبلك وامكاناتك. لذا قرر ما يسعدك وامتلكه بسرعة. قد تكون موازنتك ضيقة جداً، ولكن يبقى من حقك أن ترسل ابنك الى مخيم رياضي أو أن تسوّي أسنانك. إن التنعم أو الاسراف أو التبذير، أو سمّه ما شئت، قد لا يتناسب البتة وبقية شؤون حياتك. وهذا لا يزيد الأمر إلّا حسناً. فهو لا بدّ يرفع معنوياتك ويحلّي مزاجك.

فريديل ماينار ■



المعكرونة تدخل الاختبار

كان رجل يستعد للمقابلة الرابعة والاخيرة في مسعاه للحصول على وظيفة في شركة، وكانت المقابلة ستجرى خلال غداء عمل مع مدير قسم التسويق. وشاء الرجل أن يعطي أفضل انطباع عن نفسه، فاستشار ابنته التي تتخصص باجراء المقابلات التجارية في الجامعة. وبعدما أسهبت الفتاة في شرح سبل ابراز النقاط المهمة والامكانات الادارية والاهداف طلب منها والدها تلخيص شروحها في نصيحة موجزة. ففكرت الفتاة لحظة ثم قالت: "لا تطلب طبق معكرونة على الغداء."

ف.ك.

تأملات معاصرة



لسانك حصانك

عبارات يجب ألا تقولها مرة قبل أن تفكر فيها مرتين:

- "هذا لا يسبب لي أي ازعاج."
- "أنا أحب الكلاب."
- "لدينا مكان متسع".
- "اتصل بي في أي وقت تشاء."
- "هل يمكنني أن أساعدك؟"
- "زوجي طبيب أو محام أو محاسب."
- "سأجرب أي شيء وان مرة واحدة."
- "طبعاً، أحضروا الاولاد معكم."
- "لماذا لا تمكثون لتناول العشاء معنا؟"
- "في أسوأ الحالات يمكنك أن تستعين بالذي عندي."

هـ.م.

زهرة الحب

الحب ليس زهرة تربى في البيوت الزجاجية، بل هو نبتة برية تولد من ليل مشبع بالرطوبة ومن ساعة من أشعة الشمس، وتفرخ من بزرة برية تحملها الريح العاتية الى الطريق. انه نبتة برية، حين تزهر مصادفة ضمن سياج حدائقنا ندعوها زهرة، وحين تزهر في الخارج ندعوها عشبة برية ولكن سواء أكانت زهرة ام عشبة برية فأن عطرها ولونها يظلان دائماً بريين.

جون غالسوورثي، روائي بريطاني

فلسفة البقاء

جلس قربي الى مائدة الغداء رجل ذو لحية كثة جللها الشيب. كانت عيناه زرقاوين وكان يتكلم عن الابحار في المانش باليخوت. قال:

"ليس في الامر أي خطر، بشرط ألا تتعلم السباحة."

سألته متعجباً: "ماذا تقول؟"

أجاب: "اذا حلت كارثة وكنت تحسن السباحة، فانك تحاول السباحة الى الشاطىء البعيد فتغرق لا محالة. أنا لا أجيد السباحة، لذلك أتعلق بالحطام. هذه فلسفتي: حين تقع في ورطة، تعلق بالحطام."

وهي نصيحة ثمينة اتبعتها طوال حياتي.

جون مورتايمر



تتعرض المواقع الاثرية والمتاحف والمعارض لسرقات فردية أو منظمة. وهذه مأساة حرمتنا أعمالا فنية لا تقدر بثمن

● كان بين زوار المعرض الوطني النروجي في شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٢ بضعة رجال صمموا على عمل يتعدى مجرد الاعجاب بالمجموعة المعروضة. ويُعتقد أنهم حين أقفل المعرض تواروا خلف سلّم. وفي تلك الليلة ثقبوا الجدار فوق الباب المؤدي الى القاعة حيث تعلق روائع التحف. وفر اللصوص بثمان من أغلى اللوحات وهي "سلة الزهور" و"السيدة غوغان" من أعمال غوغان ولوحة ذاتية بريشة فان غوغ و"منظر ليلي من ديوان التفتيش" للفنان غويا واثنتان من اعمال رامبرانت احداهما لوحة "شقيق الرسام" واثنتان من أوائل أعمال بيكاسو. وتبلغ القيمة الاجمالية لهذه المسروقات نحو ٢٥ مليون كورون نروجي (نحو ٣،٥ ملايين دولار).

وللحال أبلغت الشرطة النروجية أوصاف اللوحات المسروقة الى الامانة العامة للانتربول (البوليس الدولي) في سان كلو على مقربة من باريس. فعممت مذكرة باللوحات على ١٣٥ بلداً. وأخذ رجال الشرطة يترقبون قيام اللصوص بالخطوة التالية.

Photos: Nasjonalgalleriet, Oslo

وفي ابريل (نيسان) ١٩٨٤ بعد انقضاء ١٨ شهراً تلقى توري تانوم الملحق الثقافي في السفارة النروجية في بون بألمانيا الغربية اتصالا هاتفيا من مجهول قال ان اللوحات المسروقة على وشك أن تباع. وبعد اتصالات عدة أوصل تانوم المتكلم المجهول بالمعرض وتم الاتفاق على استرجاع اللوحات في مقابل خمسة ملايين مارك ألماني (نحو مليونين و٤٠٠ ألف دولار) تودع حساباً مصرفياً في فرانكفورت. وقضت الترتيبات بأن تسلم اللوحات الى محام في مدينة هانو الالمانية. وهناك أوقف أربعون شرطياً ألمانياً سيارة مرسيدس بنية اللون واعتقلوا السائق الذي تبين أن له سوابق جنائية. وعثروا على سبع من اللوحات المسروقة في صندوق السيارة. واستعيدت اللوحة الثامنة من خزانة مغلقة في محطة السكك الحديد في اينسبورك بالنمسا في ٢٥ فبراير (شباط) ١٩٨٥. واعتقل رجال الشرطة ثلاثة شركاء آخرين في الجريمة، واتهم الاربعة بالتصرف بممتلكات مسروقة.

• ذهل الكهنة في هيكل شيفابورام في ولاية تاميل نادو الهندية حين علموا أن التمثال البرونزي الثمين "شيفا الراقص" الذي يرقى تاريخه الى ألف سنة خلت يعرض في متحف نورتون سيمون في كاليفورنيا. اذاً ما هو التمثال القائم في معبدهم؟

تبين انه مجرد نسخة عن الاصل. ويعتقد أنه أبدل قبل عقد أو نحوه بفعلة نحات محلي كلف اصلاح التمثال الاصيل. ورفعت الحكومة الهندية دعوى على مؤسسة نورتون سيمون مطالبة باسترداد التمثال. وتمت تسوية القضية خارج المحكمة، ووافقت الهند على ابقاء التمثال معروضاً في كاليفورنيا حتى شهر يونيو (حزيران) ١٩٨٦ ليعاد بعد ذلك الى موطنه الاصلي.

• احدى أكثر السرقات اثارة في هذا العقد تلك التي حدثت في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣ في متحف بودابست للفنون الجميلة في المجر (هنغاريا). فقد تسلق اللصوص سقالة وتسللوا من نافذة في الطبقة الاولى ثم فروا بخمس لوحات من عصر النهضة ورائعتين من الفن الباروكي تبلغ قيمتها ٣٥ مليون دولار. واستعادت الشرطة اليونانية في ما بعد ستاً من هذه اللوحات، أما السابعة فعثر عليها في المجر. واعتقل ثلاثة مجريين وخمسة ايطاليين اتهموا بهذه السرقة.

كنوز الشرق – أصبحت سرقة القطع الفنية في أرجاء العالم وباء متنامياً يسلب المعابد والمجموعات الخاصة والمتاحف العامة، بل يسلبنا نحن جميعاً، كنوز الحضارة. ويقول راينر شميت – نوثن الرئيس السابق لاحدى دوائر الانتربول: "اصبحت سرقة القطع الفنية تجارة رئيسية. فألمانيا الغربية وحدها تبحث حالياً عن أكثر من ٤٥ ألف قطعة مسروقة، والبلدان التي تمتلك ميراثاً ثقافياً أعظم تواجه مشكلة أضخم."

معظم السرقات الكبرى يخطط له بعناية ويكون الشاري متواطئاً مع اللصوص، كما يقول نيبر ريد الذي يعمل





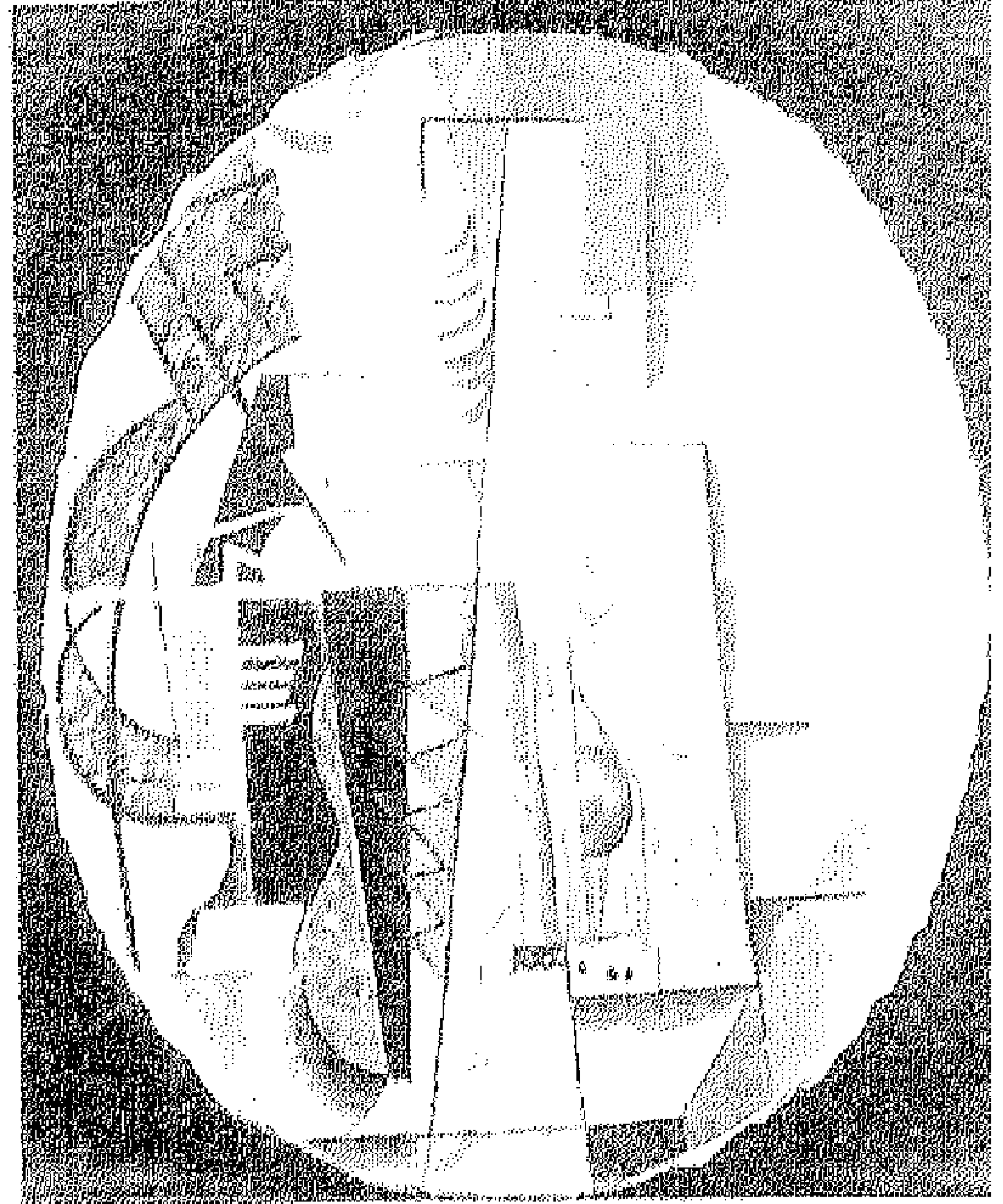
بين الروائع التي سرقت من المعرض الوطني النروجي لوحة ذاتية بريشة فان غوغ ولوحة بيكاسو "القيثارة" (في الصفحة المقابلة) ولوحة رامبرانت "فارس في الطبيعة" (فوق) ولوحة غويا "منظر ليلي من ديوان التفتيش" (الى اليسار).

في المعرض الوطني بلندن وهو مستشار الأمن الوطني لدى لجنة المتاحف والمعارض.

ان تقديرات قيمة التجارة العالمية بالقطع الفنية المسروقة تصل الى ثلاثة مليارات دولار مما يضعها في المرتبة الثانية، ربما بعد تجارة المخدرات.

ويرى بعض الخبراء من رجال الشرطة والامن أن ثمة علاقة بين سرقة الآثار الفنية وتجارة المخدرات المتنامية على نطاق عالمي. فمهربو المخدرات يستعان بهم لتهريب القطع الفنية بعد أن يسرقها اللصوص المحترفون، كما ان كبار تجار المخدرات يستخدمون القطع الفنية المسروقة كنوع من الاستثمار المالي.

وفي هذه الايام يمارس لصوص الفن





سرقاتهم خصوصاً في بلدان العالم الثالث التي تفتقر الى مقومات الحفاظ على آثارها الفنية. ان بعض أثمن القطع الاثرية في الهند محفوظ في المعابد النائية التي تتعرض لنحو ٤٠٠ سرقة سنوياً استناداً الى ساداشيف غوراكشكار مدير متحف أمير ويلز في بومباي. ويتم عدد كبير من هذه السرقات بالتواطؤ مع الحراس الضئيلي الاجور.

كذلك تجرد المعابد في أنحاء جنوب شرق أسيا من أخشابها الزخرفية المحفورة ورسومها المذهبة. وقد حظرت تايلند تصدير جميع القطع الفنية والاثرية تحت طائلة غرامات باهظة وعقوبة السجن، الا اذا حصل مالكها على اذن من الدائرة الحكومية للفنون الجميلة وعلى رخصة تصدير من دائرة التجارة الخارجية في وزارة التجارة. لكن السوق المزدهرة لشراء القطع الفنية المسروقة توفر اغراءات لا تقاوم. وفي شهر ابريل (نيسان) عام ١٩٨٤ حكم على راهب بوذي بالسجن ٣٥ سنة لسرقته بضعة رسوم من معبد وات تري دارماران الذي يبعد ٣٠ كيلومترا عن بانكوك (تايلند) واغتياله رئيس الكهنة تسهيلا للسرقة.

وقد أضحت القطع الاثرية المسروقة من معابد كمبوديا القديمة مشاهد مألوفة في المخازن التي تبيع التحف في مدينة هو شي منه. وقبل مدة قصيرة عرضت للبيع في مركز تجاري في سنغافورة ثلاثة رؤوس "بوديساتفا" من الحجر الرملي تعود الى عهد سلالة آنغكور التي ازدهرت بين القرنين التاسع والخامس عشر. وقال أحد أصحاب المركز ان هذه الكنوز وصلت الى السوق من طريق الجنود الكمبوديين الذين نهبوا المعابد غير المحروسة وقايضوا مسروقاتهم بألبسة وأطعمة.

كذلك في الفيلبين غزا جامعو التحف الاثرياء المناطق الوسطى والجنوبية من البلاد واشتروا تحفاً ثمينة من الكنائس

لينقلوها الى متاحفهم الخاصة في مانيلا او ليبيعوها الى هواة جمع الآثار اليابانيين والالمان. ويحظر القانون الفيلبيني اخراج الاثريات من البلاد الا اذا ألصق عليها طابع من المتحف الوطني في مانيلا. لكن الحصول على هذا الطابع ليس بالامر العسير على البائع الذي لا يتورع عن شيء. وكانت النتيجة أن خسرت البلاد معظم تحفها الاثرية.

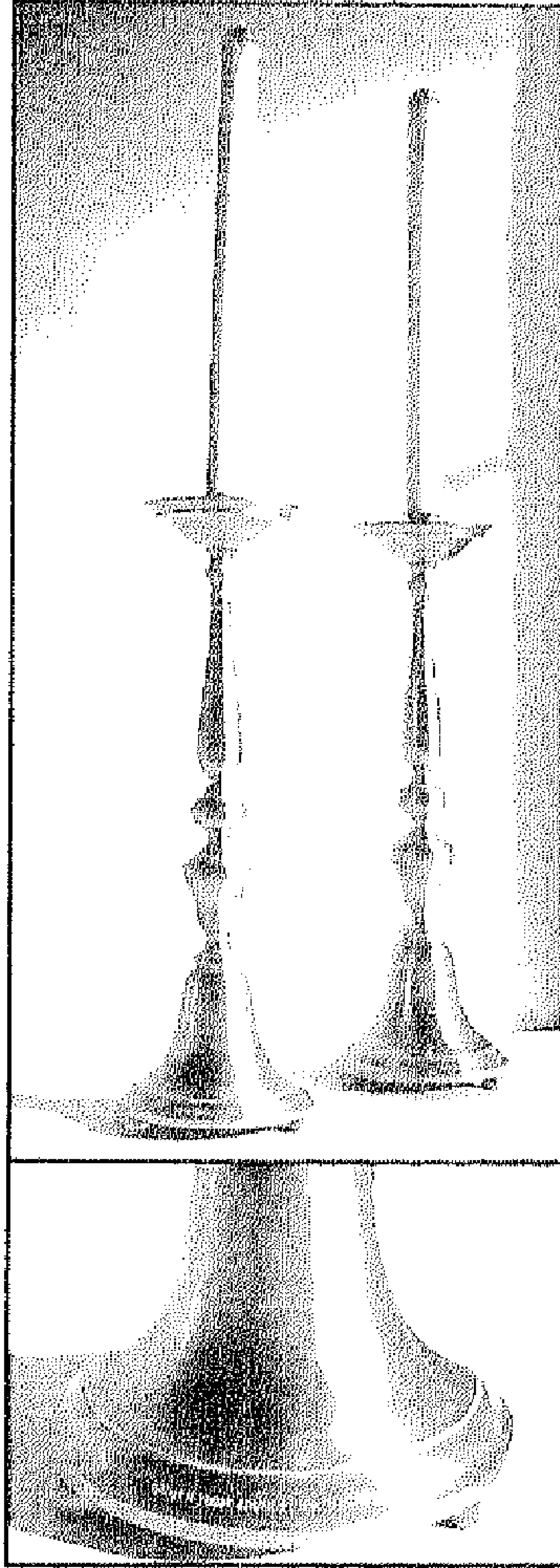
تدابير احترازية.- ماذا يمكن عمله لوقف تجارة سرقة الكنوز الفنية؟

يبدو أن الطريقة الفضلى هي زيادة التعاون الدولي في هذا السبيل. ومن أجل مساعدة البلدان الفقيرة على حماية كنوزها الوطنية، تبنت منظمة التربية والعلم والثقافة التابعة للامم المتحدة (الاونيسكو) عام ١٩٧٠ قراراً يدعو الى حظر "استيراد الممتلكات ذات القيمة الثقافية وتصديرها ونقل ملكيتها على نحو غير مشروع."

ووقعت الولايات المتحدة ميثاقاً يقضي بالمساعدة على استرداد التحف المسروقة من المتاحف والمؤسسات الاخرى. لكن الكونغرس (البرلمان) أضاف شرطاً يتعلق بالقطع المسروقة من المواقع الاثرية والعرقية، وينص على "أن الولايات المتحدة ستساعد على استرداد هذه القطع بعد أن توافق جميع البلدان الرئيسية المتعاملة بها على الامتناع عن استيرادها."

والى ذلك اتفقت الولايات المتحدة و١٣ دولة في أمريكا اللاتينية على حظر الاستيراد غير المشروع للآثار المعمارية التي يرقى تاريخها الى ما قبل عهد كولومبوس. وهذا تدبير يهدف الى وضع حد لنهب المواقع الاثرية.

وربما كان النظام الافعل لتعقب الاعمال الفنية المسروقة ذلك الذي يستخدمه الانتربول. فبعد دقائق من اكتشاف سرقة اللوحات الفنية السبع من متحف الفنون الجميلة



العبارة المحفورة على قاعدتي الشمعدانين في كاتدرائية آروندل ردعت لصاً كاد أن يسرقهما.

عممت شرطة بودابست أوصاف هذه التحف لاسلكياً على ١٣٦ بلداً أعضاء في الانتربول من طريق الامانة العامة القائمة في جوار باريس. وهناك تولت "المجموعة ج" تنسيق عملية التقصي. ومن المهمات الرئيسية لهذه المجموعة مراقبة الممتلكات والقطع الفنية المسروقة.

وعمد فريق يرئسه ب. برويفيه الى

استخدام المعلومات والصور التي قدمتها بودابست عن القطع المسروقة لوضع نشرة في اربع صفحات تضمنت صورة لكل لوحة مع مواصفاتها الفنية وثمنها التقديري عند اعادة بيعها. بعد ذلك أرسلت "المجموعة ج" هذه النشرات الى شرطة كل بلد عضو في الانتربول، فوزعت الشرطة نسخاً منها على المعارض الفنية المحلية والمتاحف وقاعات المزاد وموظفي الجمارك.

وبعد انقضاء أسبوعين على سرقة اللوحات بات العاملون في هذه النقاط الرئيسية لنقل التحف الفنية في حال استنفار وترقب. ويقول بروبغيه: "لا ريب في أن تلك النشرات عن القطع الفنية المسروقة عسرت على اللصوص التصرف بها. وهذا الامر وفر للشرطة متسعاً من الوقت لتعقبهم."

ويحتاج الانتربول الى قاعدة دماغ الكتروني قياسي يلقم معلومات عن القطع الفنية تكون متاحة في أي لحظة للدول الاعضاء. ويدرس فريق من الخبراء الدوليين امكان تحقيق هذه الفكرة. وفي بعض البلدان يتكاتف أمناء المتاحف والتجار لحماية مصالحهم. وتصدر جمعية المتاحف البريطانية نشرة شهرية فيها تفاصيل القطع المسروقة. أما المؤسسة الدولية للابحاث الفنية، التي تمولها مصادر خاصة فتنشر "انذاراً عن التحف المسروقة" عشر مرات سنوياً وتوفر وثائق عن نحو ٣٠٠٠ من أهم هذه المسروقات.

وتقدم اسكوتلنديارد (شرطة المباحث البريطانية) والانتربول الى المتاحف وهواة جمع التحف النصيحة عينها: "تأكدوا من توثيق كل التحف وتسجيل أوصافها وحفظ صور ملونة لها. ولاحظوا المظاهر المميزة للقطع الفنية كالتفسخات وعلامات الترميم." وقد تكون ولاية تاميل نادو الهندية أرشدت عالم الفن الى طريق المستقبل حين قررت حديثاً أخذ صور ثبوتية بأشعة لايزر لكل التماثيل المعروضة في متاحف الولاية.


ولكن حتى الاحتراز البسيط قد يكون فعالا. ففي شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٣ أخرج لص شمعدانين من كاتدرائية آروندل الرومانية في منطقة ساسكس الغربية ببريطانيا. لكنه اضطر الى طرحهما ارضا قبل الهروب من الجوار. والسبب أنه رأى على قاعدة كل من الشمعدانين الكلمات الآتية محفورة: "مسروق من كاتدرائية آروندل."

روبرت باركر ■

ذكريات عروس

كان زوجان يزوران والدة الزوج، فأخذت هذه تستعيد ذكرى عرسها قبل ٥٠ سنة. وأخرجت باعتزاز الهدايا التي تلقتها آنذاك واحتفظت بها في حرز حريز طوال تلك السنوات. فقالت الكنة الشابة: "عجيب. الشيء الوحيد الذي بقي لي من عرسي هو زوجي."

ج.و.


حرارترول

مثل المصيدة، يغري متسلقيه ليضمهم في أحضانه ثم يبتلعهم

التاريخ: ٦ يوليو (تموز) ١٩٨٤.
لوقت: بعد منتصف الليل، وكارل بونيش (٤٣ عاماً) يستعد للقفز من قمة أعلى جدار صخري عمودي في أوروبا.

"خمس عشرة ثانية."

وقف المظلي الآتي من كاليفورنيا يتفحص عدّة المظلة مرة أخرى وهي مشدودة الى بدلته الحمراء. ثم أنعم النظر الى أسفل من حافّة الجدار. على مسافة تزيد على كيلومتر تحته، في المستنقعات والمزارع المكسوّة بالثلج خارج بلدة اندالسنس النروجية التي تقع على بعد ٣٤٠ كيلومتراً من شمال غرب أوسلو، كان مئات من المشاهدين يمدون رقابهم بغية رؤية جسم بونيش الصغير الذي بدا مثل ظل في الوهج الخفيف لسماء ليلة صيف.

"عشر ثوان."

ارتسمت على وجه بونيش ابتسامة عريضة حين نظر الى زوجته جين (٢٤ عاماً) وهي واقفة بجانب سلسلة من الصخور قرب الشاطىء. لقد أيقنت أن كارل كان عصبياً. فهما قفزا معاً عن ناطحات سحاب وجسور وجبال، لكن أيّاً منهما لم يقفز عن صخرة بذلك العلو، عن قمة جدار ترول النروجي الشهير.

"خمس ثوان."

بلع بونيش ريقه وتقدّم الى حافة الجدار.

"ثلاث ثوان، ثانيتان، ثانية واحدة..."

قفز الامريكي في الفراغ وأخذت سرعته تزداد، وصدر عن جسمه شبه صفير في عتمة تلك الليلة وهو يهوي أمام الجدار بسرعة ١٩٣ كيلومتراً في الساعة. وبعدما بسط يديه كجناحين انحرف بعيداً عن الجدار ليحقق لبضع ثوان حلم الانسان في القدرة الذاتية على التحليق.

وفي اللحظة الأخيرة، فيما أرض الوادي "تسرع صعوداً" نحوه، فتح بونيش مظلته ذات اللونين الأحمر والأصفر وهبط برفق على أرض حقليّة. وبذلك احتفل أمام عدسات التلفزيون بتسجيل رقم عالمي قياسي في القفز عن الاجراف الصخرية.

مصيدة مغرية — خلال القرن الماضي أغرى جدار ترول وقمم ترول المنتشرة على مدى ثمانية كيلومترات المتسلقين والمظليّين المغامرين بالقدوم الى وادي رومسدال في النروج. ولما كان جدار الوادي شديد الانحدار ويبلغ علوه ١٢٠٠ متر وكان تسلّقه محفوفاً بالاخطار لتفتت تربته وتعرضه لتقلبات الطقس، فانه يعتبر واحداً من الجدران الستة الاصعب على المتسلقين في العالم. ففي السنوات العشرين الماضية قضى عشرة متسلقين أثناء محاولتهم قهر قمم ترول، في حين وصل أقل من ٣٠٠ الى تلك القمم. وفي أسفل الجدار ممرّ شديد الانحدار يبلغ طوله كيلومتراً ونصف كيلومتر وتتكون أرضه من حجار صغيرة غير ثابتة. وقد مات أحد المتسلقين هناك قبل أن يضع رجله على الجدار، وذلك بانهيار صخري.

Photos: Jorma Öster

ويقرن الفلاحون قمم ترول بعمالقة الاساطير الذين عاشوا في الحصون وكانوا يلازمون الجبال بعد حلول الظلام. وثمة خرافة محلية مفادها أن تلك القمم كانت في الحقيقة جبابرة تحوّلوا حجاراً أثناء احتفالهم بعرس. وما زال سكان اندالسنس البالغ عددهم ثلاثة آلاف يتجنبون المرور بالجدار. ويقول هالفور سوداهل وهو مصوّر محلّي شهد تسلق قمم ترول غير مرة: "ان القمم الأخرى معرّضة لأشعة الشمس وهي تشرف على الوادي بسلام كأنها تحميه. أمّا جدار ترول فقاتم اللون رطب بشع يخفي وجهه في الظل. فهو مثل المصيدة، يغري متسلقيه ليضمّهم في أحضانه ثم يبتلعهم."

أول من تسلّق قممَ ترول رجل يدعى أرني راندرز هين، وهو دليل في جبل اندالسنس ناحل الجسم أزرق العينين ما زال يتسلق الجبال وقد جاوز الثمانين. وفي العام ١٩٥٨ كان هين تسلق سلسلة التلال الواقعة على جانبي جدار ترول، وأخذ الناس يتساءلون: "ترى هل يمكن قهر الجدار؟"

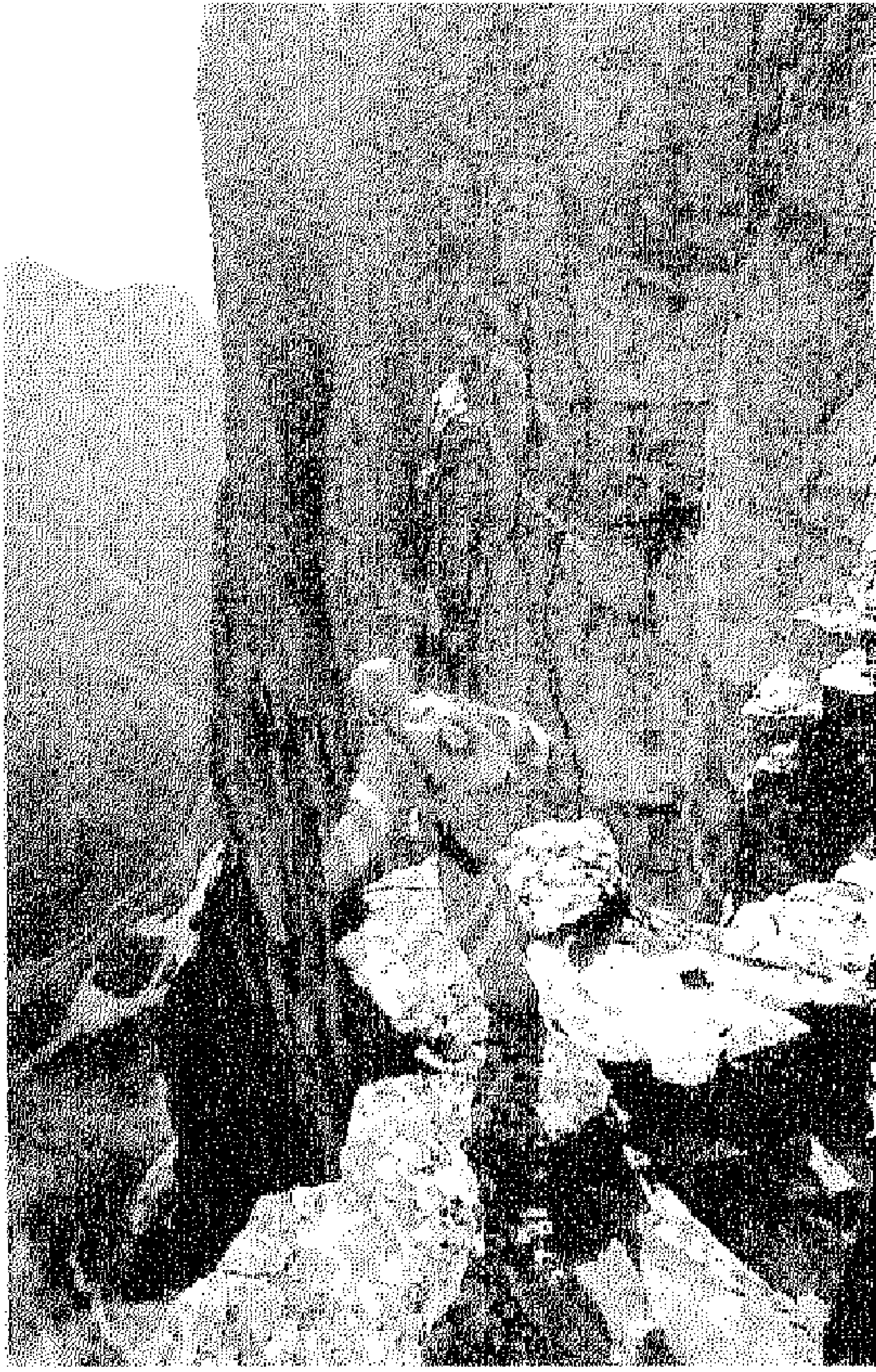
أنهار وشلالات – في صيف ١٩٦٤ بدأ أربعة متسلقين من أوسلو تدريبات لمحاولة تسلق الجدار مستعينين بأجهزة جديدة وتقنيات متقدمة. واعتقد النروجيون أنهم الوحيدون في تلك المحاولة. لكنهم فوجئوا في شهر يوليو (تموز) ١٩٦٥ بأنباء عن ثلاثة متسلقين بريطانيين كانوا في طريقهم الى تسلق جدار ترول.

بدأ الفريقان محاولتهما صباح أحد أيام يوليو (تموز). فاختار النروجيون طريقاً أطول الى الجهة اليسرى في حين اختار البريطانيون الجهة اليمنى. واستغل الفريقان نهار الصيف النروجي الذي يكاد لا ينقضي، فكانا في بعض الايام يتسلقان الجدار طوال ٢٤ ساعة من دون توقف.

بفعل أنهار جليدية مرت هناك قبل عشرة آلاف سنة أصبحت الطبقة العليا لجدار ترول رملية زلقة غير ثابتة. وإذ كانت المياه تتدفق بغزارة فوق النتوءات البارزة من الجدار، فقد راح المتسلقون يتلمسون مواطىء أقدام، بل مواطىء أصابع. وتدلوا وسط الفراغ ثماني ساعات في انتظار أن يجد الرفقاء طريقاً فوقهم. وبعد ١٤ يوماً وصل النروجيون الى القمة سابقين البريطانيين بيوم واحد.

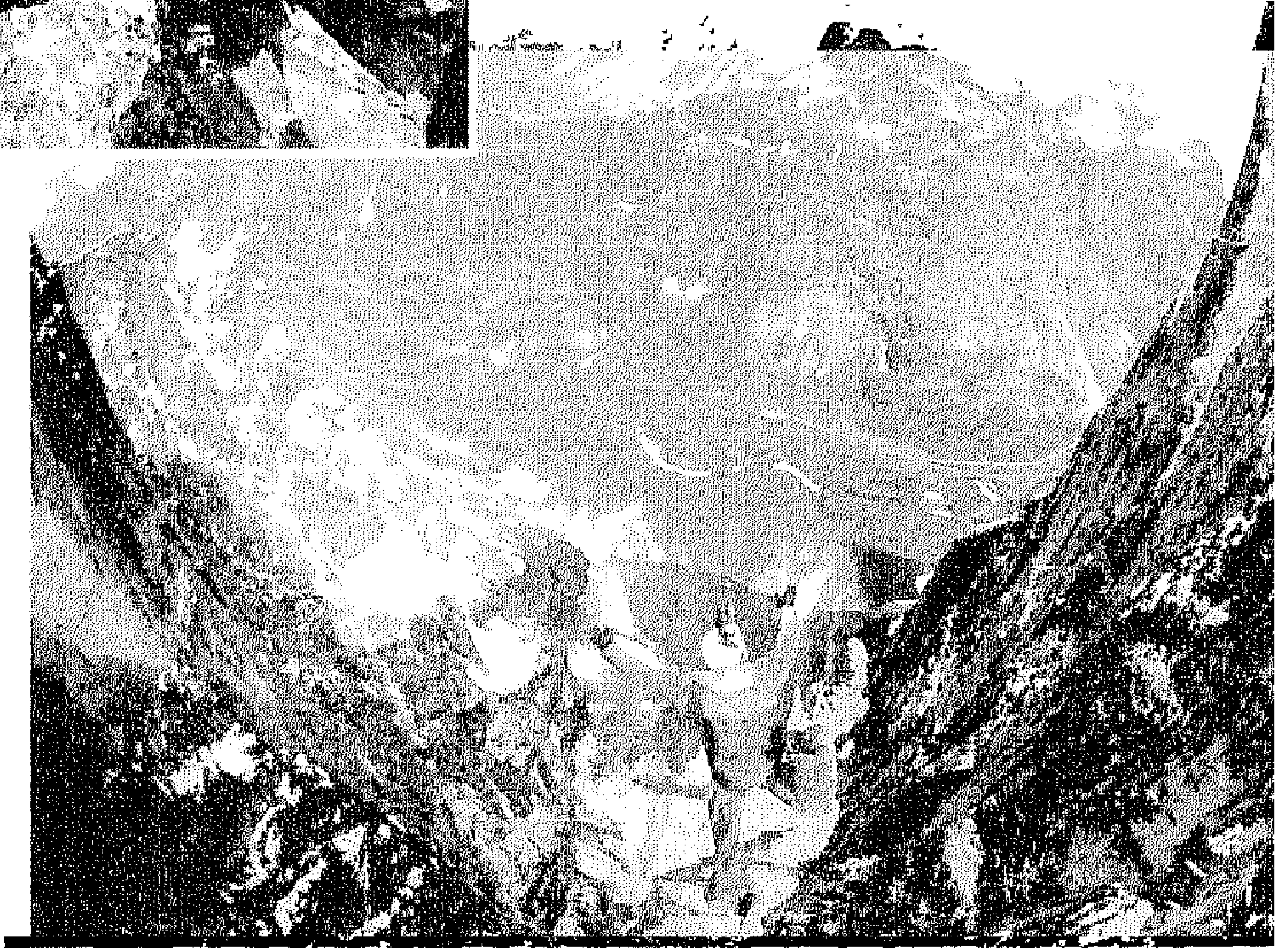
وكان على الفريقين أن يقاوما تقلبات طقس قاس ساد الوادي بفعل ريح شديدة هبت من شمال الاطلسي. ويقول طوني هوارد رئيس الفريق البريطاني: "قد يتحول الجدار الجاف أنهاراً وشلالات في غضون ساعة أو اكثر أو أقل، وقد تكسوه الثلوج بكثافة ١٠ سنتيمترات، وفي بعض الأحيان يكسوه الجليد في وقت قصير."

ويبدو أن تسلق جدار ترول كان مستحيلا عبر الطريق "المباشرة" الواقعة بين الطريقين اللتين سلكهما الفريق النروجي والفريق البريطاني. ففي صيف ١٩٦٧ حاول خمسة فرنسيين تسلّق الجدار معتمدين طريقة "الحصار". وهي تتمثّل في ان يتناوب فريقان يتألف كل منهما من رجلين يعملان على مد الحبال صعوداً



ومن ثم يعودان الى الخيمة لتناول وجبة ساخنة ونيل قسط من الراحة في أكياس نوم جافة والتزود امدادات جديدة. وقد استغرق تسلّق الجدار على هذا المنوال ثلاثة أسابيع.

ممر العروس – كانت الطريقة "البطولية" الوحيدة لبلوغ القمة هي تسلّق الجدار في فصل الشتاء. وبعد سبع سنوات انطلق لهذه الغاية فريق بولوني مؤلف من خمسة رجال. مرّ اليومان الأولان



القفز في "ممر العروس" اختبار قوة للمظليين المغامرين.

كحلم. وبعد ذلك انفجر موقد الغاز فاحترقت الخيمة وأصيب أحد الرجال بحروق جسيمة استدعت إنزاله الى "الأرض".

وفي اليوم السادس هبّت عاصفة ثلجية عنيفة فانهارت خيمة المتسلقين وابتلت ثيابهم وتجمّدت على أجسامهم.

وفي اليوم التاسع اجتازوا نقطة اللاعودة، وكان لديهم ما يكفيهم من الحبال للوصول الى القمة من دون امكان عودتهم الى الأرض.

وكانت الامتار الثلاثمئة الأخيرة عمودية. وفي اليوم الثالث عشر نهك التعب الرجال ونفد الطعام لديهم، فأسقطوا أعتدتهم وألبستهم الاضافية وجميع الحبال ما عدا الضروري منها للوصول الى القمة. فالأمر بالنسبة إليهم كان مراهنة يائسة. ولكن بحلول المساء كان المتسلقون قطعوا الامتار القليلة التي فصلتهم عن القمة. وما زالت محاولتهم الوحيدة حتى الآن لتسلق الجدار في فصل الشتاء على "الطريق الفرنسية".

أمّا احدى المحاولات العنيدة في تسلق جدار ترول فقام بها بريطانيان هما ادوارد وهيو دراموند. ففي العام ١٩٧٢ سلكا طريقاً أصعب من الطريق الفرنسية أو الطريق البريطانية، وهي طريق متعرجة تمر عبر نتوء ضخم مربّع الشكل لم يتسلقه أحد من قبل.

حمل البريطانيان مؤونة تكفيهما ١٢ يوماً. لكن الثلج والمطر حاصرهما واضطرا الى الاقامة في العراء على الجدار مدة اسبوع إضافي، وتوقفا لمدة ثلاثة أيام على إفريز عرضه متر واحد ومعهما القليل من الطعام من دون أي شراب. وبفعل البرد القارس شحب لون جسديهما، فالصقيع والحرارة المتدنية أفقداهما الحس بأوصالهما. وقد أكملا الامتار القليلة الأخيرة زحفاً على أيديهما وأرجلهما. وبعد واحد وعشرين يوماً من انطلاقهما وصل ادوارد وهيو دراموند الى قمة جدار ترول. ومنذ ذلك الحين لم يسلك أحد طريقهما.

ويستمر متسلقو الجبال في بذل أقصى طاقاتهم لتسلق جدار ترول مستعينين بأحذية أخف من سابقاتها وبتقنيات متطورة. وهكذا أصبحت الطريق البريطانية التي استغرق قطعها ١٥ يوماً تقطع في ثماني ساعات. وفي العام ١٩٨٢ نجح بورغ اوستيغارد وهو مهندس بناء في تسلق الجدار لوحده في ٢٧ ساعة.

أمّا أحدث متسلّقي جدار ترول فهم المظليّون الذين بدأوا يتوافدون بعد ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٨٠ عندما تسلق المظلي جورما اوستر من هلسنكي (فنلندا) الجهة الخلفية "السهلة" لجدار ترول وقفز عن نتوء "ممر العروس". وأتى أكثر من ١٥٠ قافزاً بعد أوستر واجه ستة منهم حوادث متفرقة ولقي واحد حتفه.

اختبار الاقوياء – بعدما سجل كارل بونيش رقماً قياسياً عالمياً في القفز قرّر أن يجرّب نقطة جديدة تدعى "المنبر". وكان المنبر نتوءاً خطراً يطلّ على سلسلة صخور مثلّمة، لذا لم يجرّب أحد القفز عنه. وأسقط بونيش بضعة حجار من حافة المنبر وعدّ الثواني التي استغرقتها لتصطدم بالصخور في أسفل الجدار. سيكون لديه جزء من الوقت الذي استغرقته قفزة اليوم السابق.

كانت الغيوم تغطي قمم ترول معظم ذلك الصباح، وحين انقشعت الرؤية تحت المنبر لبرهة قصيرة قفز بونيش.

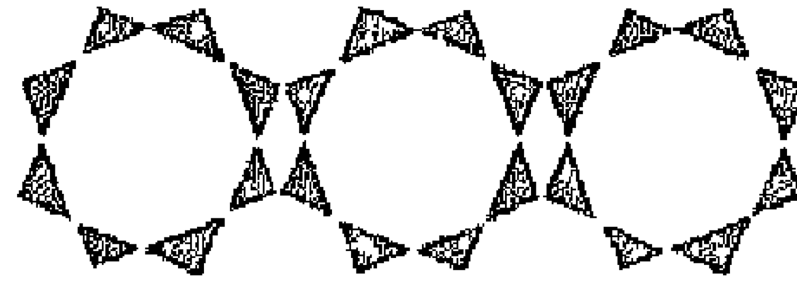
يبقى الخطأ الذي حدث لغزاً محيّراً. ولكن عندما فتحت مظلة بونيش قادته مباشرة الى الصخرة. وعثر عليه ميتاً في رقعة ثلج في منتصف الطريق.

الحادث التي أودى ببونيش حفز وزارة العدل في النروج على حظر القفز بالمظلة من قمم ترول. واليوم يعمد الاتحاد النروجي للرياضات الهوائية (ومثيله في الدانمرك) الى سحب الرخصة من أي وثّاب يقفز من قمم ترول. أمّا الوثّابون الذين يقصرون عن القفز فيتوجب عليهم دفع التكاليف التي تنفقها السلطات النروجية على نجدتهم.

وعلى رغم كل ذلك يبقى جدار ترول المخيف رمزاً للوحي والطموح. والاخطار التي تحف به يقبلها أولئك الذين يختارون اختبار شجاعتهم وقدرتهم على الاحتمال واعتمادهم على النفس.

وبعد يومين من مصرع بونيش أدهشت زوجته جين المقيمين هناك اذ رمت نفسها في ممر العروس لتحط بمظلتها في مرعى للماشية. وفيما كانت تحبس دموعها لخّصت طبيعة ذلك التحدي قائلة: "إنّ جدار ترول لا يرحم. فهو يتطلب الكمال."

ستيوارت مكبرايد ■



ممرضة طيارة

درجت العادة على تكريم الصف النهائي في كلية التمريض بمآدب عشاء تقيمها أسلحة الجيش المختلفة وتعرض خلالها أفلام تظهر ممرضات يعملن في الجيش، وذلك بغية تشجيعهن على الانخراط في الخدمة العسكرية. الا أن سلاح الجو استخدم أسلوباً مغايراً، فعرض شريطاً يظهر تفاصيل يوم كامل في حياة طيار.

وبعد انتهاء الفيلم المثير أضيئت الأنوار على المتخرجات الخمسين المأخوذات بروعة الفيلم. وبدأ عريف الحفلة يشرح دور الممرضة في سلاح الجو. وهنا قاطعته إحدى الفتيات: "دعك من التمريض! أريد أن أصبح طياراً!"

ب.م.

الريح والسفينة

قبل سنين دمر الاعصار "كاميل" جزءاً كبيراً من ساحل خليج مسيسيبي. وجلس فريق من رجال الاعمال يتحدثون عن الخسائر التي لحقت بهم. وسمعت احدهم يعدّد كل شيء جمعه في حياته ليفقده في ليلة واحدة رهيبة.

فقال صديق له بعدما سمع قصته كاملة: "هنري، الله يعطي والله يأخذ." وفكّر هنري هنيهة ثم قال بهدوء يائس: "انك على حق يا فريد. الا اني تمنيت لو انه أخذها مني كما اعطاني اياها: شيئاً فشيئاً."

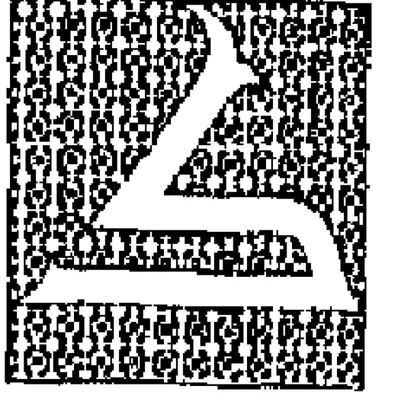
ب.س.

قصة قصيرة

السّجين الفارّ



قال الضابط للسجين الفار: "أنت هربت ببذلة عسكرية، فاذا وجدناها قتلناك"



كان موعد مناداة أسماء السجناء تمام السادسة صباحاً. فاجتمع الرجال في الساحة صفوفاً غير منتظمة، فهم كانوا من البوير (★) مزارعين ومواطنين أحراراً قبض عليهم وهم يحاربون في سبيل الحرية.

وصاح الرقيب البريطاني: "باسون!"

فأجابه رجل مديد القامة مترهل الوقفة: "نعم." وتابع الرقيب: "برينك، بايرز، يونغ، دوميني..."

وسمع يان مولمان اسمه فأجاب: "نعم." وكان يبتسم في قرارته. فغداً عندما ينادونه لن يكون ههنا. وسيجيب عنه صديقه يابي دي فيت. لقد حان وقت رحيله، ففي الاسبوع التالي ينقل السجناء بعيداً ليتم ترحيلهم عبر البحار.

كان مولمان صياداً محترفاً. وهو لم يتزوّج أبداً. صحيح أنه هام ذات يوم في حبّ صبيّة شقراء الشعر زرقاء العينين، لكنها أصيبت بالحمى وقضت بعد أسبوع. واثر ذلك أحس شيئاً يموت داخله. ولأنه تألم كثيراً في صباه فهو اليوم يتألم أقل من أولئك الذين خلّفوا زوجاتهم. فاذا كان على المرء أن يتألم فالله يتدبّر أمره بحيث لا يدفع مرتين ثمناً للشيء نفسه.

وشأن الكثير من البوير الذين يسري في عروقهم دم فرنسي كان يان أسود الشعر أسود العينين. وكان لبشرته ملمس جلدي وقد غضّنتها التجاعيد المتأتية من التعرّض لوهج شمس افريقيا. وهو أحب أموراً ثلاثة، بلاده والصيد والخيل. وقد ضرب به المثل فأصبح في عيون أهل بلده أسطورة لكثرة المجازفات التي خاضها. لكنه كان يكره البريطانيين، خصوصاً بعدما راحوا يضرمون النار في المزارع ويَسْبون زوجات البوير وأطفالهم ويضعونهم تحت ما سموه "الوصاية الوقائية."

وفكر في ضابط بريطاني اصطحب الجنرال الذي تفقد المعسكر بالامس. لقد مد اليه الضابط يده وقال: "هلّا تصافحنا يا مولمان؟ فكلانا صيّاد، وعندما تنتهي الحرب أودّ أن أكون رفيق صيدك."

وسأل مولمان عنه في ما بعد فقيل له انه حقق أرقاماً قياسية في صيد الحيوانات. أما يان فلم يأبه بالارقام القياسية، كان يصطاد للمال واللحم. لكن المرء الذي يحقق أرقاماً قياسية لا بدّ من أن يتمتع ببعض الصفات الحسنة. نعم، فبين البريطانيين أصحاب صلاح.

لكنهم أغبياء أولئك البريطانيون. ولا أحد يعلم ذلك أفضل من يان مولمان، لأنه يُعدّ في قوم من الكشافة من أفضل الأفراد. انه منذ اعتقاله أمضى شهراً كاملا وهو يراقب. ولم يفته شيء. والآن

(★) البوير Boer افريقيون جنوبيون من أصل هولندي.

أحكم رسم خطته، ففي السلك الشائك نقطة ضعف. وسيفتعل رفقاؤه السجناء عراكاً في الجهة الأخرى من المعسكر. وفي هذا الحرّ لن يعير أصحاب الرقاب الحمر - هكذا لقب البريطانيون - انتباهاً شديداً لما يحدث حولهم، اذ تكون أشعة الشمس لاسعة بحيث تحرق أصابع الحراس وهم يقبضون على مواسير البنادق.

جواد طليق

عند الظهر وقف يان في الصف ليحظى بحصته اليومية من الطعام. ثم أكل بروية وهدوء. لقد حان الوقت. سمع دوتوا يصيح ورآه ينهال ضرباً على بيت سوارت. وهرول الآخرون نحو الرجلين فتوجّه الحراس ببلادة الى مكان العراك.

وبأسرع من البرق بلغ يان السلك الشائك. وما هي إلاّ هنيهة حتى أصبح في الخارج. وكان عليه مواصلة خطته. ان الخطأ الذي يقع فيه معظم السجناء هو محاولة الفرار بأسرع مما يجب.

تسلل يان الى خيمة أمين التموين. وفي لمحة بصر أصبح داخلها. فاذا اكتشف الحراس هروبه في الصباح التالي كما كان يأمل، ظنوا أنه أصبح بعيداً وباشروا البحث عنه.

في الليل جمع بعض الطعام وارتدى بذلة عسكرية بريطانية فبدا كأصحاب الرقاب الحمر.

ومضت المناداة الصباحية بهدوء ولم يفطن أحد الى غيابه. ولكن في صباح اليوم التالي اكتشف أمره. وسمع وهو في مخبئه صوت أبواق تنفخ وأوامر تصدر وجلبة رجال يمتطون أحصنتهم ويطلقون لها العنان.

"دعهم يبحثون." واستسلم يان لسبات عميق. وبقي متستراً ثلاثة أيام حتى تأكّد له أن البريطانيين أقلعوا عن البحث عنه.

وعندما حلّ الظلام انسلّ خارج الخيمة وتوجه الى حيث الجياد وهو يعرف مبتغاه: فحل كميت من الجياد التي أسرت وتستطيع العيش في المروج.

مشى قاصداً حارس الجياد وفي يده ظرف وكأنه يحمل أمراً مكتوباً.

خفض الحارس بندقيته ليأخذ الظرف، فأطبق يان يده على رقبته. وفي ثلاث دقائق تمكّن من تقييده وجرّه الى مخزن علف الماشية. ثم استولى على سرج ولجام ووضعهما على الفحل وامتطى صهوته.

وعندما أصبح بعيداً راح يخبّ شمالا. وقال لنفسه: "نعم يا صديقي، لقد عدت جواداً بويرياً، جواداً حراً طليقاً يملك طعاماً أقل لكنه يملك حرية التجوال في كل افريقيا." وضحك يان وقد عاد حراً يجوب المروج ويتسلق الجبال. فاذا وصل الى منطقة واتربرغ أصبح في مأمن.

مرّ بالمزارع التي أمعن فيها البريطانيون حرقاً وسلباً وسبياً. وفكّر في أنّه قد يجد مأوى في أحد البيوت فيستريح من عنائه ويعلف جواده.

كان يان قطع حوالى مئة كيلومتر عندما وصل الى بيت محروق يطلّ على المروج من جميع جهاته. فمنه يستطيع رؤية القادمين اليه. واذا ألزم الفرار كانت الطريق سالكة أمامه.

دخل يان رواق المنزل ورفس باب غرفة النوم فانفتح على مصراعيه. وكم كانت دهشته عظيمة عندما رأى امرأة متمددة على الارض تحت أغطية وقد جلست طفلة إلى جانبها، فبادرته: "ها قد عدت، ما الذي تبغيه بعد؟ لم يبق في المزرعة شيء تأخذه."

الوقت والهواء والماء

تراجع يان مذهولا، ثم فهم أن المرأة حسبته جندياً بريطانياً. وتابعت: "ليدخل الآخرون، ليدخلوا جميعهم وليشاهدوا امرأة بويرية تموت."

فسارع إلى طمأنتها وقال لها باللغة البويرية: "لا يا امرأة لست بريطانياً. أنا بويري فرّ من أيدي البريطانيين، واسمي يان مولمان."

قالت: "مولمان؟ أنت الرجل الذي نسف الجسر في كليبدريفت؟"

– نعم، وقد هربت. لكنكما تكادان تموتان جوعاً.

"اننا حقاً نموت جوعاً. هلّا أتيتنا بالماء؟ لم يعد في امكاننا أن نمشي."

وأشارت إلى صفيحة، فأخذها يان إلى النبع وعاد وقد ملأها ماء. ثم قال للمرأة: "أخبريني بما حصل."

فروت له قصتها: "أتوا قبل شهر، فأخذت طفلتي واختبأنا في الغابة. ورأيتهم يحرقون البيت ويسرقون القطيع والجياد. وانقضى الأمر في ثلاث ساعات."

– لم يبقَ معي أي طعام.

"في المنطقة حيوانات كثيرة. وقد خبّأت بندقية وذخيرة."

– أين البندقية؟

"هنا إلى جانبي. ولو أتيت قبل ثلاثة أيام، قبل أن أصبح بهذا الوهن، لأطلقت عليك النار حالما رأيتك تقف في الباب."

ورفعت المرأة الأغطية عنها فانحنى يان والتقط البندقية وسألها: "ألديك ثياب؟"

فأجابته: "نعم، ثياب زوجي مخبّأة في صندوق داخل أحد الكهوف."

– اذاً سأحرق هذه البذلة، لانهم اذا قبضوا علي وأنا ارتديها فسيطلقون علي النار. أنا ذاهب.

"في أمان الله."

وعثر يان على الكهف. ثم رأى على بعد كيلومتر قطيعاً من الظباء. فأطلق النار وأصاب ظبياً وضعه على السرج وعاد أدراجه. وتبادر الى ذهنه أنه لا يجوز إطعام المرأة والطفلة كثيراً لان جهازهما الهضمي أصبح ضعيفاً. فطها لهما حساء خفيفاً وراح يجرعهما ملاعق منه مرة كل ساعتين.

وفي اليوم التالي أصبحتا أقوى واستطاعت ساني الصغيرة الوقوف على قدميها وتمكّنت والدتها من الجلوس. وبدأت المرأة تشعر بالقلق حيال المأزق الذي وقع فيه يان فقالت له: "يجب أن تتابع طريقك. لقد بتنا قادرتين على تدبّر أمرنا."

– كيف لي أن أرحل؟ سأبقى وأصطاد لكما حتى يصبح في امكانكما أن تسافرا. عندئذ أحملكما معي إلى الجبال.

"لكن الأمر يتطلب بعض الوقت."

– لدينا متسع منه. فالوقت والهواء والماء أمور لا تكلف شيئاً. إنها هبات من الله.

- "انت هبة من الله يا سيدي."
- لقد حثني قلبي على ولوج عتبة هذا البيت.

فرسان حمر

كانت المرأة تدعى ياكوبا دي فيت. وكانت عيناها زرقاوين وشعرها أشقر وهي لا تتجاوز الخامسة والعشرين. أما طفلتها فنسخة مصغّرة عنها.

وفي غضون أسبوع عادت اليهما العافية. وعزم يان على الرحيل بعد أيام قليلة. فدخل الغرفة التي كانت ياكوبا دي فيت تطهو فيها وكانت الطفلة تلعب إلى جانبها، فقال: "أظن أننا نستطيع الرحيل بعد يومين."

فأجابته: "إنك لرجل طيّب." ثم أضافت: "لقد توفي زوجي. قتلوه عند النهر. كان رجلا صالحاً وشجاعاً."

فجأة بدت له جميلة. كانت دائماً جميلة، لكنه حاول أن يبعد هذه الفكرة عنه الى أن أخبرته بموت زوجها.

في أي حال لم يحن بعد وقت التفكير في هذه الامور. لكن الفكرة بقيت تراوده. وزاد تعلّقه بالطفلة. ثم ماذا يسعهما أن تفعلا وحدهما؟

خرج وأتى بالحطب لاضرام النار. ودخلت الطفلة مهرولة وقالت: "رأيت رجالا مقبلين على الأحصنة!" كانوا قريبين جداً حتى ان يان سمع جلجلة معدّاتهم. فسوى قبعته على رأسه ونفض الغبار عن سترته وخرج مع ياكوبا لملاقاتهم.

تقدّم اليهما ضابط بريطاني شاب. فرفع يان قبعته عن رأسه بأدب وانحنى، ثم قال بالانكليزية: "سيدي، إنّ ما تبقى من البيت بعد ما أنجزه فرسانكم من تحسينات يؤوي امرأة مريضة وطفلة. إنّهما في حاجة إلى الخبز والشاي والسكر. فهل في حوزتكم بعض منها؟"

وأثنى عليه الضابط قائلا: "أرى أنك تتكلم الانكليزية جيداً."

- نعم، فمن حسن حظي انني متعلم.

ونظر الضابط الى الظبي المعلّق على الحائط فدنا منه وسأل: "اصطدته؟"

- اصطاده سواي، لكنني وجدته قبل أن يعثر عليه من اصطاده."

"نعم، أحدهم اصطاده بهذه البندقية."

وراح الضابط يحدّق إلى البندقية التي حاولت ياكوبا اخفاءها. ثم نظر إلى يان وقال: "اني رأيتك من قبل. اني رأيت هاتين العينين." ولبث يتأمله ثم قال: "ربّاه إنّك مولمان. أنت الذي هربت."

- يا لفطنتك يا سيدي!

"لقد هربت ببذلة بريطانية. فاذا وجدناها قتلناك."

- نعم يا سيدي، إنها شريعة الحرب.

"لماذا أنت هنا؟ لديك حصان، وكان يسعك أن تكون في أرض بعيدة."

- نعم، لكنني وجدت هذه المرأة وطفلتها على شفير الموت، فرحت أصطاد لهما. وكنا عزمنا على الرحيل غداً."

نادى الضابط أحد جنوده، وهو بويري التحق بالبريطانيين، وأمره باستجواب المرأة. فسردت له ياكوبا دي فيت قصتها.

وسأل الضابط الجندي البويري: "هل روت لك القصة نفسها؟"

فأجابه: "الروايتان متطابقتان."

التفت الضابط الى يان وقال له: "يا مولمان، إنني لا أحب هذه الأعمال. معظمنا لا يحبها. إننا جنود، ولكننا لا نهوى إحراق المزارع وسلب الغلال وإبعاد النساء والاولاد عن منازلهم."

– قد يوجد بين البريطانيين رجال صلاح.

وكان يان يفكّر في نفسه: لا يبدو هذا الفتى شريراً. فهو صيّاد والصيّادون مختلفون.

روح الصياد

خرجت ساني ووقفت الى جانب مولمان متشبثة برجله.

قال الضابط "هلّا قطعت وعداً ألّا تحاربنا بعد الآن؟"

– إذا قبضتم عليّ فلن أستطيع محاربتكم، لذا سأقول نعم.

"اذا اكتشف أمري أحلت على المحكمة العسكرية."

– انني أفهم الوضع تماماً.

"لا يمكنني أن أفلتك، لكنك تستطيع الهرب مع المرأة والطفلة. يمكنك أن تسرق حصاناً آخر."

– نعم، يمكنني أن أفعل ذلك.

"هذه الليلة سأبيت حصاني في الاصطبل مع حصانك. وبما انني تعب جداً فسأستسلم حتماً لسبات عميق. أما رجالي فسيخّيمون قرب زريبة الحيوانات."

– إنّها خطة محكمة يا سيدي. أيمكنني أن أخبر السيدة دي فيت بالأمر؟

"نعم، ولكن إياها ان تبدي سروراً أو امتناناً."

وجدها يان تحضر الطعام الذي أعطاها اياه الجنود. فقال لها: "سيدعنا الضابط نهرب."

"لماذا يا يان؟"

– لأنه رجل طيب يتبع ما يشير به الله. فهو صياد مثلي وقد سئم الدمار. وأنا وعدته ألّا أحارب بعد اليوم.

– "أوعدته حقاً بذلك؟"

– نعم يا ياكوبا. فلو قبض عليّ لما استطعت الفرار مجدداً. وسأقول لك ما لم أقله لأحد: لقد خسرنا المعركة، خسرناها بشرف. فما صنعته هذه الحفنة من المواطنين الأحرار ضد الامبراطورية أذهل العالم. لكن عملنا يتوقف ههنا. ما من شعب يمكنه أن يفعل أكثر مما فعلناه.

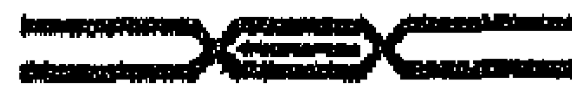
"ونحن، ما مصيرنا؟"

– نعيش في الجبال حتى تنتهي المناوشات. عند ذلك نعود الى هنا وأساعدك في بناء ما دمر.

ولم يحن الوقت بعد لكي يقول أكثر من ذلك: ان الله أرسله اليها وأرسلها وساني اليه لتعوضا ما فقده قبل زمن بعيد. فسألها: "هل أنت موافقة يا ياكوبا؟"

أجابت: "نعم يا يان. ومن أكون لاغيّر وجهتي عندما يشير الله إلى الطريق؟"

ستيوارت كلويت ■



ليست كل عين مغمضة نائمة، ولا كل عين مفتحة مبصرة.

ب.ك.

السكري لم يعد همّاً

لم يكتشف الطب بعد علاجاً شافياً من هذا المرض، لكن السيطرة عليه باتت ممكنة بالمعالجة والمتابعة

ممتاز بصرائي ربة منزل من الطبقة المتوسطة تقطن في بومباي بالهند. وكانت تهزل بسرعة ففقدت ١٠ كيلوغرامات من وزنها في أقل من سنة واضطرت الى تضييق ثيابها غير مرة، كما كانت تشعر بالتعب معظم الوقت على رغم المقويات والفيتامينات التي تناولتها. وأخيراً اقترحت عليها ابنتها ان تستشير طبيباً.

وبعد فحص شامل في أحد مستشفيات بومباي أجري للسيدة فحص مخبري بسيط. وجاء التشخيص: داء السكري. ومن حسن الحظ أنها لم تكن في مرحلة متقدمة من هذا الداء. وأكد لها الاطباء أن مرضها تمكن السيطرة عليه بالمعالجة والمتابعة.

ثمة ملايين من مرضى السكري في الهند على غرار السيدة بصرائي. ولا يعرف عددهم بالضبط، ولكن يقدر أن اثنين في المئة من السكان مصابون بهذا الداء، وهذا يجعل الرقم نحو ١٤ مليون مريض.

وفي حين يبقى انتشار السكري محدوداً نسبياً في الهند(١) فانه ليس مرضاً مدينياً يصيب الطبقة العليا في المجتمع كما هو الاعتقاد السائد. ويوضح الدكتور س. آجغاونكار مؤسس جمعية داء السكري في الهند ورئيسها: "تدل دراسات المسح على أن السكري منتشر في قرانا على مستوى أدنى قليلا."

داء السكري عدو قديم للانسان، وقد ورد ذكره في النصوص الطبية الهندية والاغريقية والرومانية القديمة. وقبل ٢٥٠٠ سنة لاحظ الطبيبان الهنديان سوشراتا وتشاراكا أن ضحاياه تدر

---

(١) في الولايات المتحدة يأتي السكري ثالثاً بين أهم الامراض التي تسبب الموت بعد السرطان والامراض التاجية في القلب.

مقادير كبيرة من البول المشبع بالسكر الذي كان يجتذب النمل. لذلك اطلقا على الداء اسم "مادهو ميها" (البول العسلي). ولا يزال هذا الاسم شائعاً. أما الاسم الحديث فقد اشتقه في القرن الثاني للميلاد الطبيب الاغريقي آريتاوس من الكلمة اليونانية «diabetes» التي تعني "السيفون" وذلك لانه لاحظ أن هذا الداء "يذيب لحم ضحاياه وأطرافها في البول."

ومهما يكن فان علماء الطب لم يكتشفوا الا في بداية هذا القرن أن نقص انتاج الانسولين، وهو هرمون طبيعي، يسبب داء السكري. فبعد وجبة الطعام تتحلل الكربوهيدرات المعقدة وتحول غلوكوزاً، أي سكراً، يتم امتصاصه ويدخل مجرى الدم. وهذا ينبه خلايا معينة في البنكرياس، وهو عضو في شكل سمكة يبلغ طوله ١٥ سنتيمتراً ويقع وراء المعدة، لاطلاق مقادير ضئيلة من الانسولين الذي ينقل الغلوكوز من الدم الى كل خلية من مليارات الخلايا التي تؤلف أنسجة جسمنا وأعضاءه المختلفة. ويساعد الانسولين كذلك في حرق السكر داخل الخلايا لاطلاق الطاقة المطلوبة لمواصلة الوظائف الحيوية.

وحين يغدو هذا العنصر الاساسي غير كاف أو غير فعال تعتل صحة الجسم. ومع النقص الحاد تموت الانسجة جوعاً - ويا للغرابة - وسط وفرة غامرة، اذ ان مستوى السكر في الدم يبقى على ازدياد لان كمية قليلة منه تدخل الخلايا.

نتيجة ذلك يتسرب مقدار كبير من السكر والماء الذي تحلل فيه خارج الدم من طريق الكليتين، مما يؤدي الى ادرار مفرط للبول. وحين يُحرم المريض السكر والسوائل يشعر على الدوام بالضعف والجوع والظمأ، وهي الاعراض النموذجية لداء السكري.

علامات السكري - كل انسان، حتى الاطفال، معرض للاصابة بالسكري. لكن النوع العادي من الداء الذي يسمى "السكري ميليتوس غير المتوقف على الانسولين"(٢) يظهر عادة في أواسط العمر. ولا أحد يعرف لماذا تحوي دماء مرضى كثيرين مستويات عادية، أو حتى مرتفعة، من الانسولين.

ويقول الدكتور ن.غ. تالوالكار عميد معهد كل الهند لداء السكري: "قد يتلف الانسولين في أجسام هؤلاء المرضى أو يحول كيميائياً بطريقة غامضة قبل أن يصل الى الخلايا، وهكذا لا تستجيب له الخلايا على نحو عادي."

وتزيد السمنة احتمال الاصابة بالسكري. ويوضح الدكتور تالوالكار: "اضافة الى تمثل السكر، هناك حاجة الى الانسولين من أجل تخزين الدهن في الجسم. وتحدث لدى ذوي السمنة عملية "سرقة انسولين". فالدهن يسرقه من الخلايا الاخرى، مما يهيىء الظروف لداء السكري."

وللوراثة كذلك دور مهم في الاصابة بالسكري. فالاشخاص الذين لهم أقارب مصابون بالداء هم معرضون أكثر للاصابة به. وأولاد الزوجين المصابين بالسكري

---

(٢) Non — Insulin Dependent Diabetes Mellitus

يحتمل، بنسبة تزيد على ٣٥ في المئة، أن يدهمهم السكري ميليتوس غير المتوقف على الانسولين. ويقول الدكتور غ.س. سايناني رئيس القسم العلمي في جمعية داء السكري في الهند: "ثمة نسبة أقل من اصابات السكري في المجتمعات الهندوسية التي تحرم الزواج بين الساغوترا، أي المتحدرين من أصل وراثي واحد." أما في ولاية تاميل نادو حيث يشيع الزواج بين ذوي القربى فان اصابات السكري هي أعلى من المعدل الوطني.

ويلاحظ الدكتور س.د. بهانداركار رئيس قسم الامراض الايضية وأمراض الغدد الصم في مستشفى الملك ادوارد التذكاري في بومباي انه "من حسن الحظ أن النوع الآخر من داء السكري، أي السكري ميليتوس المتوقف على الانسولين(٣) أو سكري الاحداث، نادر. وربما تسببه عدوى فيروسية تصيب البنكرياس لدى الاولاد فتقتل الخلايا المنتجة للانسولين. ومهما يكن فان السكري لدى الاحداث يكون عادة حاداً."

ويضيف: "لكن الاعراض النموذجية تظهر لدى هؤلاء المرضى حتى في المراحل الاولية للداء، مما يتيح تشخيصه باكراً. أما مرضى السكري غير المتوقف على الانسولين فلا تظهر عليهم أي أعراض طوال سنوات، وغالباً ما يتم التشخيص عندما يجرى فحص دم لسبب ما مثل ابرام عقد تأمين صحي."

لكن الامراض المزمنة، خصوصاً في الجلد والمجرى البولي، توفر أيضاً علائم ذات أهمية. فالمصابون بالسكري معرضون أكثر من سواهم لمثل هذه الامراض لان السكري يخمد مقاومتهم الطبيعية فتستشري الجراثيم في الانسجة المشبعة بالسكر.

جرحت فاتسالا ديساي (٦٠ عاماً) قدمها بينما كانت تطبخ. ولما كان الجرح طفيفاً فقد تجاهلته واكتفت بغسل قدمها. لكنها دهشت بعد أيام حين التهب الجرح ولم يبرأ حتى بعدما طلته بالمراهم. وبعد شهرين ذهبت الى الطبيب فنصحها باجراء فحص دم. وأظهرت النتائج أنها مصابة بالسكري وأن عليها مباشرة المعالجة المضادة للحال.

الحمية والتمرين - يعتبر مثل هؤلاء المرضى محظوظين لان المعالجة العادية في مرحلة مبكرة يمكن أن تؤخر - وأحياناً توقف - تطور الداء الذي لا يرحم. ولكن في غالب الاحيان يلقى السكري العناية الطبية بعد فوات الاوان.

آتمارام فولي (٧٢ عاماً) ميكانيكي متقاعد لم يكن يدري انه مصاب بالسكري، حتى استيقظ ذات صباح وهو عاجز عن تحريك ذراعه وساقه اليمنيين. كذلك كان الجانب الايمن من وجهه متهدلا وكلامه متلجلجاً. واكتشف الاطباء في المستشفى أن دمه يحوي مقادير عالية جداً من السكر. وفي حين بقي داؤه خافياً مدة طويلة فانه كان يزيد من سرعة تصلّب الاوعية الدموية وتضيقها في الدماغ. وأخيراً انسد شريان في النصف

(٣) Insulin Dependent Diabetes Mellitus

الايسر من دماغه مسبباً له شللا نصفياً (فالجاً).

ان التضيق الذي يدعى "الاعتلال الوعائي السكري"(٤) يحدث كذلك في الشرايين التاجية مما يؤدي الى نوبة قلبية. ويقول الدكتور بهانداركار: "الواقع ان النوبات القلبية مألوفة لدى المصابين بالسكري أكثر أضعافاً مما هي لدى غير المصابين به." وعندما تتأثر الشرايين الدقيقة في شبكية العين على هذا النحو يصاب المرء بضعف نظر أو حتى بالعمى. وقد يتلف الداء الكليتين ويعطلهما. واذا ضيّق الاوعية الدموية في ساقي المصاب او ذراعيه فقد تكون العاقبة الموات (الغنغرينا) ويصبح البتر أمراً ضرورياً.

قبل العام ١٩٢١، حين اكتشف الطبيب الكندي السير فريدريك غرانت بانتنغ وزميله الدكتور تشارلز هربرت بيست الانسولين الطبيعي، كان سكري الاحداث يقتل ضحاياه بسرعة. أما اليوم، وعلى رغم أن لا علاج للداء، ففي الامكان كبحه باستخدام حقن الانسولين وعقاقير أخرى.

والمعالجة طويلة الامد. فمعظم المصابين الاحداث يحتاجون الى حقن الانسولين طوال حياتهم، أما المصابون بالسكري غير المتوقف على الانسولين، خصوصاً ذوي السمنة، فيمكنهم السيطرة على الداء بالحمية والتمرين.

يقول الدكتور هـ.ب. تشانداليا العضو الفخري الاختصاصي بالسكري والغدد الصم في مستشفى جاسلوك في بومباي: "ان الحمية والتمرين هما ركيزتا المعالجة لداء السكري." وقبل ذلك كان يعتقد أن على المصاب أن يقلل من تناول الاطعمة الغنية بالكربوهيدرات مثل الرز والقمح. لكن الاطباء أظهروا على نحو قاطع أن الاستهلاك العالي للكربوهيدرات والاستهلاك المنخفض للدهن يؤديان الى سيطرة أفضل على الداء. ولكن يجب تجنب الكربوهيدرات المركزة مثل السكر والسكاكر.

قواعد مفيدة – ان الاساس في الطبابة الناجحة هو المتابعة والمعالجة. ولسوء الحظ فثمة عدد قليل من العيادات المجانية التي تعنى بمرضى السكري. وفي غالب الاحيان يكون أطباء المجان اما غير مطلعين على أحدث وسائل المعالجة واما ان وقتهم لا يسمح لهم بقضاء المدة الطويلة اللازمة مع مرضاهم لشرح النواحي المختلفة في السيطرة على الداء. وكثيرون من المرضى الذين لا يستطيعون الحصول على العناية الطبية الصحيحة يرغمون على الاعتماد على أطباء غير اكفياء أو على دجالين، خصوصاً في المناطق الريفية التي تفتقر الى التسهيلات الطبية.

وقال الدكتور بهاندارکار: "ان مضاعفات خطيرة قد تنشأ اذا أوقفت معالجة السكري فجأة أو غدت غير منتظمة."

ومثال على ذلك حال شابنام علي وعمرها ١٧ سنة وهي مصابة بسكري الاحداث وتقطن في بومباي. فبعدما كانت تتلقى حقن الانسولين بانتظام على

---

(٤) Diabetic angiopathy

مدى سنة اضطرت الى التوقف حين ذهبت الى قريتها حيث لا اطباء. وخلال اسبوعين لم تظهر عليها أي تأثيرات سيئة، ثم ظهرت الاعراض مجدداً: الجوع الشديد والظمأ وادرار غزير للبول. وبعد بضعة أيام غشاها النعاس ثم غرقت في غيبوبة.

أخذت شابنام الى اختصاصيين بالسكري في مستشفى عمومي في بومباي حيث أجريت لها فحوص مخبرية بسيطة أكدت شكوك الاطباء: كانت الصبية مصابة بنوع حاد من الغيبوبة السكرية. وهذه تحدث عندما تحرم خلايا الجسم الغلوكوز فتتحول الى مصادر أخرى للطاقة. فتتحلل مختزنات الدهن ويحترق الدهن، وهذا يؤدي الى تسرب عدد من الاحماض الدهنية الى الدم.وفي مستويات معينة تكون هذه الأحماض قاتلة للجسم. وفي حال شابنام بذل الاطباء جهوداً يائسة لصدّ عواقب الغيبوبة من طريق حقنها بالسوائل المالحة والانسولين. لكن الفتاة توفيت بعد بضعة أيام.

في الصراع المستمر مع هذا الداء القديم أخذ الطب الحديث يستعين بوسائل جديدة. وقد يكون أبعد هذه الوسائل تطوراً "البنكرياس الاصطناعي" الذي يزرع في الجسم، وقد صممه باحثون في الولايات المتحدة وبريطانيا. ويمكن هذا البنكرياس أن يحفظ مستوى السكر في الدم ويطلق المقادير المناسبة من الانسولين. ويأمل خبراء آخرون أن يساعد ذلك المرضى الذين تلف العضو الطبيعي لديهم أو بات لا يعمل على نحو صحيح.

ويحاول آخرون الاستعانة بـ"الهندسة الوراثية"، أي زرع الجينة (gene) المنتجة للانسولين في بعض أنواع الجراثيم وجعلها تنتج الهرمون المنشود.

وستنقضي سنوات عدة قبل أن يشيع استخدام هذه الاساليب. وفي هذه الاثناء يشدد الاطباء على أن المصابين بالسكري أو ضحاياه المحتملة يمكنهم أن يساعدوا أنفسهم بمراعاة القواعد الآتية:

١. اذا كنت فوق الخامسة والثلاثين من العمر وسميناً ولك اقارب مصابون بالسكري فعليك اجراء فحص طبي في أوقات منتظمة. والدمامل التي يتكرر ظهورها والجروح التي لا تبرأ بسرعة والتعب المستمر والجوع والظمأ الشديدان والتبويل المتكرر كلها اشارات انذار بالداء.

٢. اتبع بدقة توصية طبيبك حول الحمية وجرعات الدواء، واقصده في مواعيد منتظمة لاجراء فحوص.

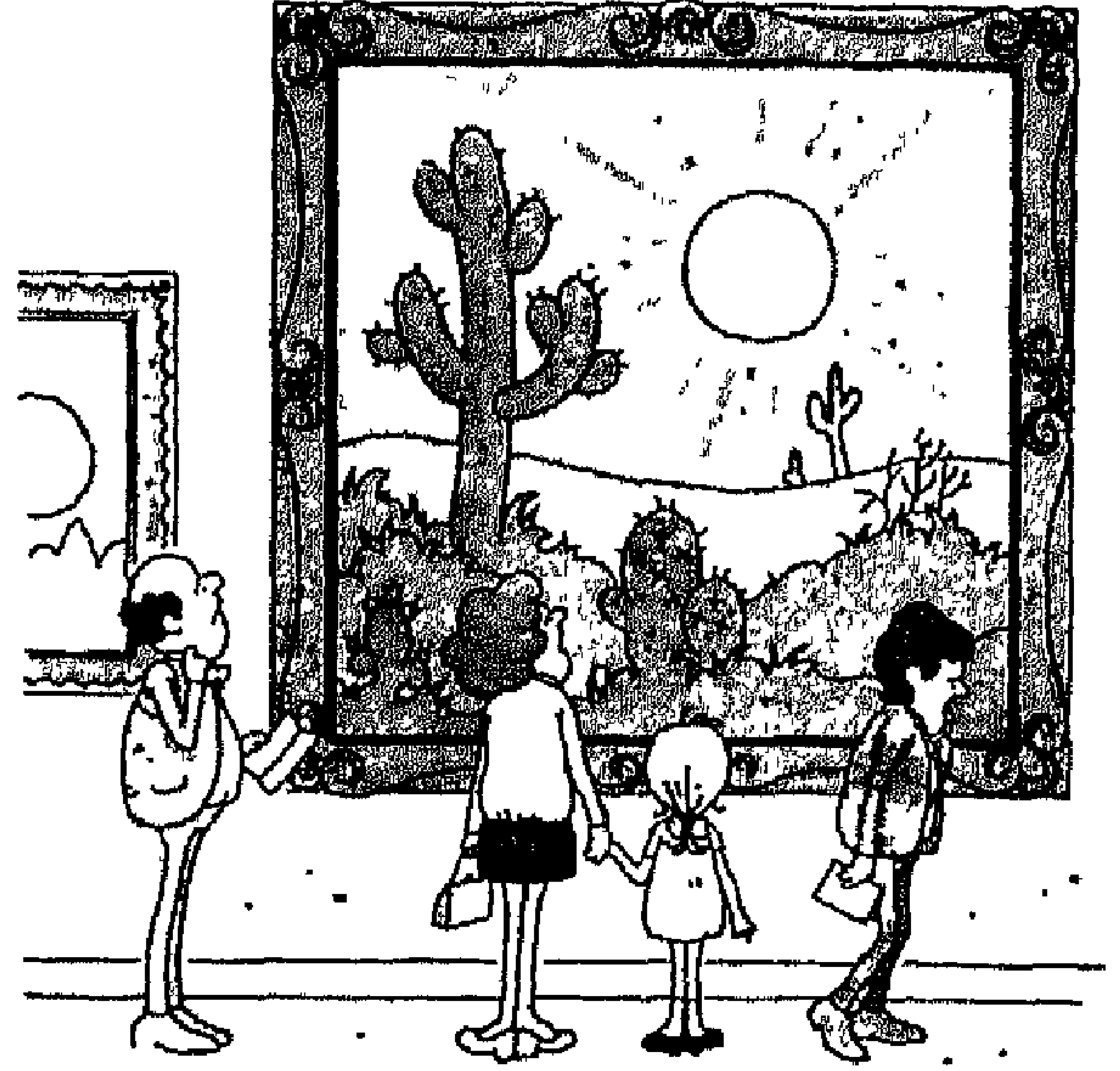
٣. تعلم كيف تفحص بولك لكشف السكر فيه وكيف تحقن نفسك بابر الأنسولين اذا احتجت اليها.

٤. حافظ على نظافة قدميك وجفافهما، وخصوصاً الفسحات بين أصابعهما. وانتعل أحذية تناسب قدميك.

٥. احمل في محفظتك دائماً "بطاقة تعريف" تعلن أنك مصاب بالسكري وعليها اسم طبيبك وعنوانه ورقم هاتفه.

يقول الدكتور آجغاونكار: "في السابق كان تشخيص داء السكري شبيهاً باصدار حكم الاعدام. أما اليوم، اذا اتبع المصابون هذه القواعد، فيتسنى لهم أن يعيشوا حياة صحية مفعمة بالنشاط."

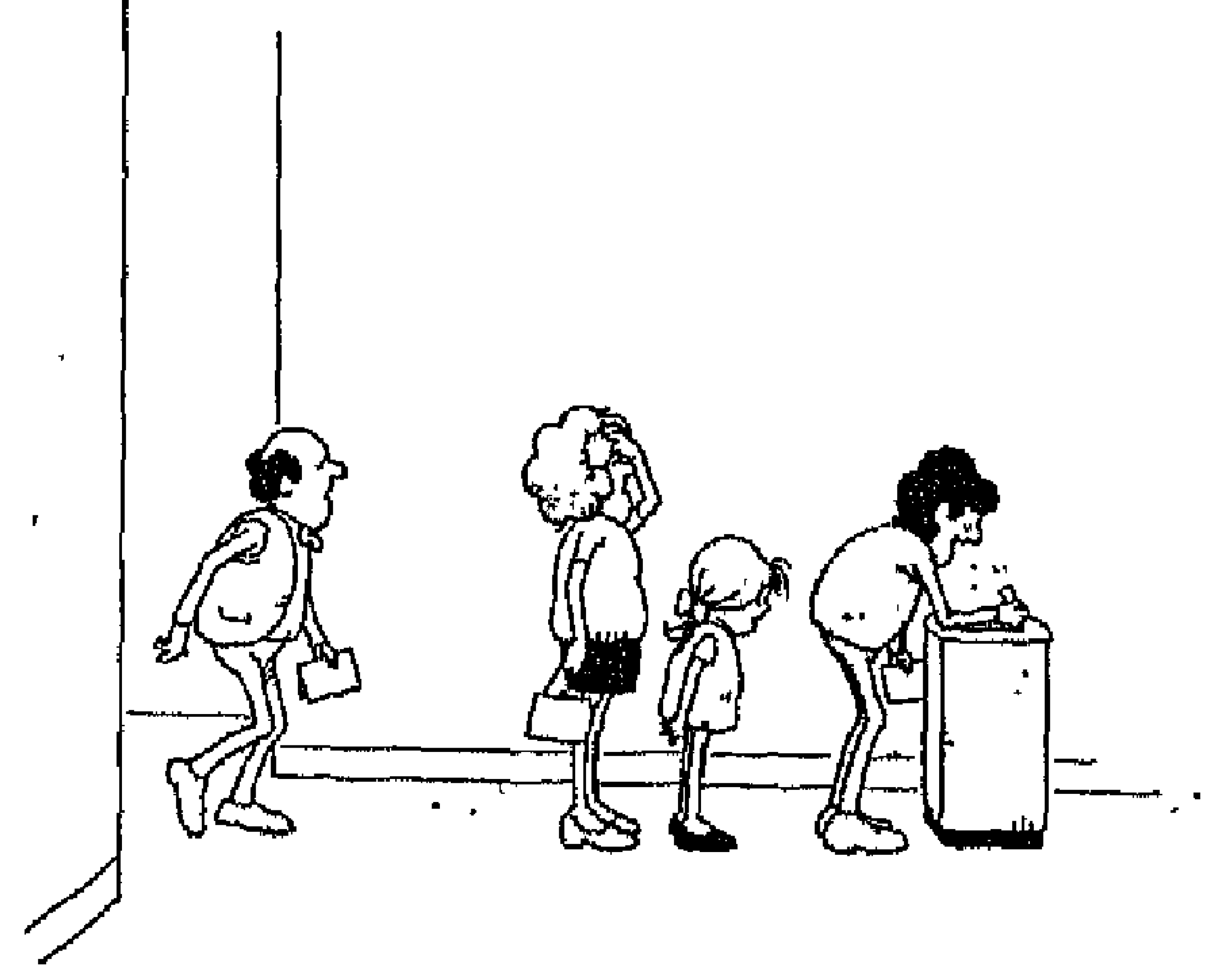
شيفاناند كاركال ■



دائرة المعارف

بشارة الخوري أو "الاخطل الصغير" شاعر لبناني برز في الشعر القصصي وتغنى بالحب العذري واستقى أفكاره من التاريخ العربي والمجتمع اللبناني. وهنا كلمات منتقاة من ديوانه. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارئ أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. طَلّا: وليد الغزال - صبغ أحمر - تمر - وجه مشرق.
٢. جَهْش: غليان - قوة - ابن الحمار - تهيؤ للبكاء.
٣. وسوسة: كابوس - كلام خفي - حفيف الشجر - صوت النار.
٤. عُقْبى: أنثى العقاب - عائق - جزاء - أخمص القدم.
٥. وَقاح: ذو وقاحة - عبير - وقار - ريحان.
٦. خُزامى: جعبة - فتاة حسناء - عصارة - من الزهور.
٧. ضَرَم: ألم شديد - حطب - خِيَم - خبز يابس.
٨. وجيب: صدى - بكاء خافت - رجفة وخفقان - دم.
٩. روّى: أخاف - عزّى الحزين - تفكّر - تصبب عرقاً.
١٠. اتّأد: تمهل وتأنى - اشتعل - ركض - دُفن حياً.
١١. طرير: خفيف - ناعم الملمس - أعمى - من طلع شاربه.
١٢. صَلِف: أقرع - مدّع ومتكبر - ضَجِر - قاسي الفؤاد.
١٣. خليّ: حبيب - حسن الصفات - خال من الهم - فقير.
١٤. صادٍ: عاشق - قريب - صائب - عطشان.
١٥. مِجَنّ: آلة طرب - طيش الشباب - ميزانٍ - ترس.
١٦. ألى: أقدمون - عارفون - كرماء - مجتهدون.
١٧. سَرَف: ثراء - تجاوز الاعتدال - عطاء - ذهاب العقل.
١٨. ظُبى: ضفائر شعر - شفاه - حد السيوف - غزلان.
١٩. شُذور: قطع ذهب - جذوع - أفكار - شرود الذهن.
٢٠. سامَتَ: علا - عاب - جادل - قابل ووازى.
٢١. تعشّق: تعذب - تعلق قلبه - تعثر - تشبث.
٢٢. مُزْن: بيض النمل - سحاب - خطيئة - من الكواكب.
٢٣. صُرَد: صرّة - حية - طائر يصطاد صفار الطير - وجع الاسنان.
٢٤. خَوَل: عبيد وإماء - أقرباء - خمول - زيغان البصر.
٢٥. صمصام: أسد - جواد كريم - قلب - سيف.

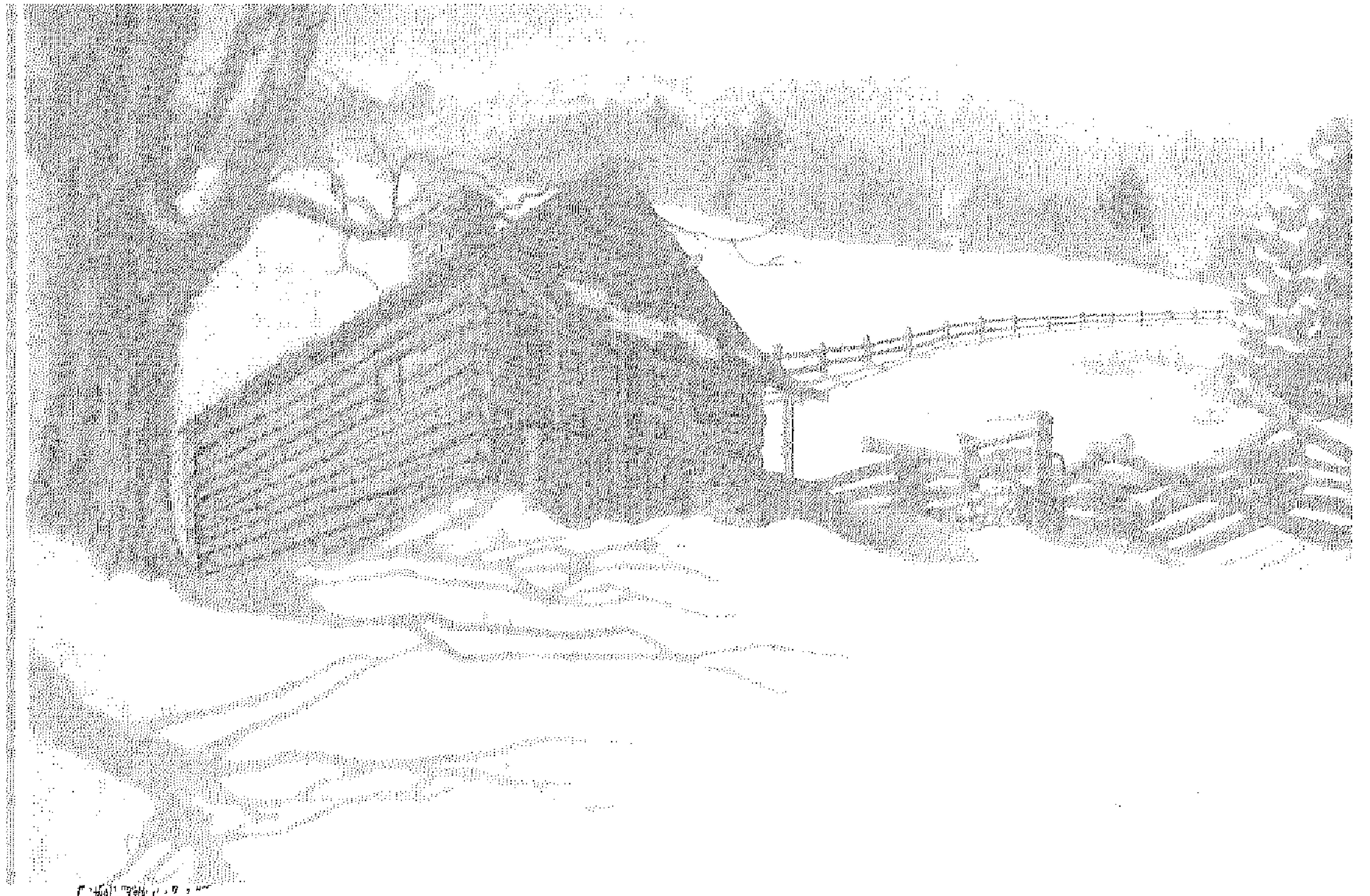


الأجوبة الصحيحة

١. الطّلا والطّلْو: وليد الغزال والصغير من كل شيء. الطلاوة: الحسن والبهجة.
٢. الجَهْش: الخوف والتهيؤ للبكاء.
٣. وسوس له وإليه وسواساً ووسوسة: حدثه بشر أو كلمه كلاماً خفياً.
٤. العُقْبى: جزاء الامر وآخر كل شيء. أعقاب الامور: أواخرها.
٥. الوَقاح: ذو الوقاحة، للمذكر والمؤنث.
٦. الخُزامى: زهر من فصيلة الزنبقيات.
٧. الضَرَم: الحطب يرمى به في النار.
٨. وَجَب القلب وجيباً: رجف وخفق.
٩. روّى: تزوّد الماء. الرَواء: الماء العذب. روّى في الامر: نظر فيه وتفكر. روّاه الشعرَ: حمله على روايته.
١٠. اتّأد: تمهل وتأنى. التؤدة والتَوآد: الرزانة والتأني. يقال "مشى مشياً وئيداً" أي على تؤدة.
١١. طَرَّ الشارب أو النبات: طلع. غلام طارّ أو طرير: طرّ شاربه.
١٢. الصَلِف: المدعي المتكبر. سحاب صَلِف: كثير الرعد قليل الماء.
١٣. الخَليّ: الفارغ والخالي من الهم ومن لا زوجة له. أيضاً: البريء.
١٤. الصَدِي والصادي والصَديان: العطشان.
١٥. المِجَنّ: الترس وكل ما يقي من السلاح. يقال "قلب مِجَنّه" أي أسقط الحياء وفعل ما شاء، و"قلب له ظهر المجن" اذا تحول عن الصداقة الى العداوة.
١٦. الأُلى: الأقدمون.
١٧. السَرَف: الخطأ. أيضاً: تجاوز الحد والاعتدال. يقال "أكله سَرَفاً" أي في عجلة.
١٨. الظُبَة: حد السيف أو السنان. جمعها ظُبى وظُبات.
١٩. الشذور والشَذَرات: قطع من الذهب تُلقط من معدنه. أيضاً: اللؤلؤ الصغير. واحدتها شَذْرة.
٢٠. سامَتَهُ: قابله ووازاه.
٢١. تعشّق: تكلّف العشق. تعشّقه: تعلق به قلبه.
٢٢. المُزْن: السحاب. حَبّ المُزْن: البرَد.
٢٣. الصُرَد: طائر ضخم الرأس أبيض البطن أخضر الظهر يصطاد صغار الطير.
٢٤. الخَوَل: العبيد والاماء.
٢٥. الصَمْصام: السيف لا ينثني.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٦ - ٢٠: جيد جداً
١١ - ١٥: مقبول



الكوخ الصَّغير

رباه! كيف أتألم اليوم من أمر أحببته كل الحب في ما مضى؟

الذكريات الجميلة هي أغلى ما نملك. فإذا رعيناها وأذكيناها لازمتنا مدى الحياة وكأنها كتب مشوّقة يطيب الغوص في ثناياها.

ولكن قد تتلاشى أحياناً ذكرى رائعة مما يولّد فينا شعوراً بالذنب والحيرة. وانا خبرت ذلك بنفسي قبل خمس وثلاثين سنة في أيام طفولتي التي قضيتها في الريف بولاية فرجينيا.

في تلك الايام الحلوة كانت لو كولز وأولادها العشرة أعزّ اصدقائي. وكانوا يعيشون في كوخ خشبي يبعد عن بيتنا مسافة مرمى صوت. وكان أحبّهم إلى قلبي لويس كولز واثنان من اشقائه، فكنا لا ننفك نتنادى لتخطيط المشاريع ومناقشتها.

وكانت لو أرملة صلبة البنية شديدة البأس ألفنا رؤيتها تعصب رأسها

Illustration: Wende Caporale

بمنديل. وتألف كوخ آل كولز من غرفتين في الطبقة الارضية وواحدة في الطبقة العليا. وكان مبنياً بخشب الصنوبر ومطلياً بطبقة من الطين لدرء البرد. وكان آل كولز يستخدمون موقداً خشبياً للطهو والتدفئة. وربض الكوخ على تلّة تظللها أشجار كثيفة وتحوطها مراعٍ فسيحة. فكنت ترى أحياناً قطيعاً من الأبقار مجموعاً في الفناء. ولم تُشق أي طريق إلى الكوخ، اذ لم يكن لذلك مبرر، فآل كولز يبلغونه سيراً على الأقدام.

وكانت محبتي لآل كولز تعادل المحبة التي أكنّها لشقيقتي الصغرى. وكنت أجد حياتهم مثالية، مع أن الأولاد الكبار كانوا يكدحون ساعات طويلة كلّ يوم في حقول التبغ. وكانوا ينتشلون الماء من بئر صغيرة حفرت باليد ويستخدمون قناديل الزيت للاضاءة.

ومع ذلك كنت أشعر بدفء ينبعث من ذاك الكوخ، دفء طالما تقت الى مشاطرتهم اياه. وهذا ما فعلته.

وكان الكوخ يعبق بعبير مميّز لا شك في أنه غاب عن وجه الارض إلى الأبد. وحتى في أيام الصيف كان الموقد يبقى مشتعلا طوال النهار اذ تنصرف لو إلى اعداد وجبات الطعام. وكانت الحبوب والخضر تطبخ على نار خفيفة لساعات فتتصاعد رائحتها وتملأ أرجاء الكوخ وتمتزج أحياناً برائحة الحلوى وخبز الذرة.

وقد حظيت بأم رائعة كانت تسمح لي بالبقاء ما شئت مع عائلة كولز. والواقع انها لم تكن لتفلح في ابعادي عنها. ولو حاولت ذلك لأمضينا النهار كلّه ينادي أحدنا الآخر. وفرضت والدتي على أولاد كولز ان يشركوني في ألعابهم ويلقنوني حسن التصرف. وبذلك حلّت المساواة بيننا فما تفرقنا إلّا نادراً.

صالة الملوّنين

كان لويس أقرب الاولاد إليّ بحكم سنّه. وكانت راحتا يديه السوداوين فاتحتي اللون. وتردّني الذكرى الى صيف ١٩٤٨ فأراني أروي له احدى الخرافات: "في قديم الزمان كانت البشرية قاطبة سوداء اللون وتردد ذات يوم أن ثمّة بحيرة يمكن غسل السواد فيها. ولكن عندما بلغها الكسالى لم يكن تبقّى فيها من الماء إلّا ما يغسل راحات الأكف وأخماص الاقدام." ومضيت أخبر لويس وهو يخوض في المياه التي ملأت الجب ويطارد الأسماك: "لهذا السبب أنا أبيض كلّياً وأنت لا." ووافقني لويس الرأي. ورحنا نلهو في بركة صغيرة الى أن دعتنا لو الى البيت لتجفيف ثيابنا فامتثلنا لئلا تغضب، اذ انها كانت غاية في اللطف والعذوبة ما دامت تصرفاتنا لم تتجاوز حدود المعقول.

وكان ابناء لو، الى حسن تربيتهم، يتحلّون بروح مرحة وخيال خصب، فيستقون قسطاً من اللهو من أي شيء يصادفونه. فعندما تعذّر على عربتي الصغيرة الحمراء هبوط التلّة الوعرة أحضر لويس عجلة كبيرة لجرّار تقوقعنا داخلها ورحنا نتدحرج بسرعة فائقة ونحن نصطدم بالصخور والعثرات يمنة ويسرة إلى أن بلغنا قعر الوادي.

ومع أننا كنّا من سكان الريف فقد ارتدنا المدينة من وقت الى آخر، لان في شاتام التي تبعد كيلومترين، صالة لعرض

الافلام. وكنا نبحث على طول الطريق المؤدية الى المدينة وبين المهملات عن زجاجات صودا فارغة نقايض الواحدة منها بفلسين في متجر "هام وليم". وكان ثمن بطاقة السينما يساوي ست زجاجات.

وكانت الافلام مشوّقة وخصوصاً أفلام الكاوبوي والمسلسلات الاسبوعية. بيد انني كنت أشعر بالخيبة والمرارة وأنا أجلس وحيداً في الصالة السفلى بينما يطلق رفقائي العنان لصيحاتهم في الصالة العليا. والواقع ان الصالة العليا كانت مخصصة لـ "الملوّنين"، وكلّ المحاولات التي بذلتها لدخولها والانضمام الى أصدقائي باءت بالاخفاق.

أما مسك ختام نزهات السبت تلك فكان خروجنا من السينما لدى انتهاء الفيلم وعودتنا الى البيت. كنّا نتجاذب أطراف الحديث في الطريق، فأروي أنا الأحداث الطريفة التي حفل بها "فيلمي" ويفيض لويس وأشقاؤه حول ما شاهدوه في "فيلمهم". وهكذا كنت ولويس نمضي الاسبوع كلّه حتى السبت التالي ونحن نتناقش لنعرف من حضر الفيلم الافضل.

صندوق العيد

في تلك الفترة لم تكن الاعتبارات القاضية بافتراقنا عند مدخل السينما تؤثر كثيراً في مرحنا ولهونا، لكنها ما لبثت ان أصبحت مزعجة ومثيرة للامتعاض. وهذا ما شعرت به ذات مرة في عيد الميلاد.

صباح الميلاد وضعت هداياي جانباً في بيتنا القرميدي الدافىء وهرولت الى كوخ آل كولز لأرى الهدايا التي خصّهم بها بابا نويل (سانتا كلوز). وكم كانت صدمتي كبيرة حين اكتشفت انه لم يحضر لهم شيئاً. فتساءلت كيف أمكن بابا نويل أن يكون بمثل هذا السخاء معي وألا يعرّج على كوخ آل كولز. كان ذلك سؤالا تعذّرت الاجابة عنه حتى على والدَيّ الحكيمين.

وأذكر أن الهدية الوحيدة التي تلقاها آل كولز كانت صندوقاً ملفوفا بورقة زاهية اللون أرسلته اليهم أمي وقد ملأته بالفاكهة والجوز والحلوى، وكيساً من الطحين وهدية صغيرة مفيدة لكل من أفراد العائلة. والهدية التي أذكرها على نحو خاص قميص نوم أهدته الى احدى بنات كولز وقد زخرفته برسوم الحيوانات.

وما زلت أرى لو وأولادها عشية ذلك الميلاد قابعين في كوخهم المظلم يحدقون برهبة الى ذاك القميص. وقد فاتنا أن نخبرهم أن رسوم الحيوانات تلمع في الظلمة.

في تلك الاثناء كنت مستلقياً على فراشي الدافىء في غرفتي الخاصة أفكر في ما حظيت به من هدايا وأحاول أن أجد تبريراً لابتعاد بابانويل عن الكوخ الجاثم على التلّة.

وفي العام ١٩٥٢، وكنت في العاشرة من عمري، انتقلت عائلة كولز الى مزرعة تبغ كبيرة. وفي ما عدا بعض اللقاءات الخاطفة في المدينة اضمحل آل كولز من حياتي. ثم سمعنا أنهم انتقلوا مجدداً الى مكان بعيد جداً عن شاتام.

أما أنا فجرفني تيار الحياة. تعلمت في مدرسة داخلية ثم دخلت الجامعة. ورافقت ذكرى لو وأولادها مسيرتي كلّها،

وتحولت مع الأيام ذكرى عذبة ومريرة في آن وكان قلبي ينقبض في عيد الميلاد. وكلّما عدت الى البيت سألت عن آل كولز. فعلمت أن اثنين من الابناء ما زالا في مكان ما في المنطقة، لكن معظمهم توجه الى الشمال.

ثم بلغني نبأ وفاة لو العجوز. فكان ذلك بالنسبة إليّ نهاية آل كولز، ولم يبق لي منهم سوى ما علق في ذهني من ذكريات.

صدى الضحكات

في أواسط الستينات وجدتني في ولاية مسيسيبي. وكنت آنذاك صحافياً أغطي قضية المساواة في الحقوق المدنية. وفي أحد الأيام الحارة وقفت وسط جموع ثائرة في فيلادلفيا بولاية مسيسيبي على بعد بضعة كيلومترات من مكان مقتل ثلاثة من دعاة المساواة. وقد احتشدت الجموع لسماع مارتن لوثر كينغ. ولم أكن أعتقد انني والشعب الابيض في البشاعة التي صوّرنا بها كينغ، لكنّ فصاحته حرّكت في نفسي الذكريات. فعندما كنت أحبّ آل كولز وأتمتع برفقتهم، ألم أكن استغل أولئك السود لمتعتي وتسليتي؟ وبدا لي أن ما كنت أقدّمه اليهم في عيد الميلاد لم يتعدَّ صندوقاً تافهاً وكأنني أقول لهم: "أنتم لستم جديرين بالبابا نويل، ولكن لا بد من أن يجعلكم هذا الصندوق سعداء."

وبعد مغادرتي ولاية مسيسيبي تزوجت وسكنت في نيويورك. وقد رويت لزوجتي كثيراً من أخبار لويس واخوته ومن ذكريات طفولتي معهم، تلك الذكريات التي لا تزال عالقة في ذهني. وحدثتها عن الذنب الذي أشعر به حيال آل كولز، وخصوصاً حيال ذكرى صندوق الميلاد وتخلّف بابا نويل عن زيارتهم. وازدادت مرارتي كلما فكرت في الذكريات السعيدة ومتعتي برفقتهم وحبي لكوخهم وطريقة عيشهم.

وكنت كلّما زرت ولاية فرجينيا تابعت تحقيقاتي حول آل كولز، ولاسيّما لويس صديقي المميّز. ولكن في قرارتي أعتقد أنني لم أرغب حقاً في العثور عليهم. إذ كنت واثقاً بأن ذكرياتهم ستختلف تماماً عن ذكرياتي.

ورزقنا ثلاثة أولاد. وكنت في كلّ عيد ميلاد أشعر بقلبي ينقبض وأنا أنظر إلى الهدايا المتراكمة تحت شجرتنا والى هبات بابا نويل السخيّة أمام المدفأة المتوهجة. واذا قال لي أحد أطفالي: "أبي، تبدو كئيباً، ما الأمر؟" أجبته: "لا شيء. الميلاد يذكرني بآل كولز. وربما شرحت لك الامر ذات يوم." واذذاك أشعر بزوجتي مارغريت تشدّ يدي وقد أدركت ما يجول في خاطري.

وبعد عشرين سنة من مغادرتي منزل والدي انتقلنا إلى شاتام واشتريت البيت العتيق الذي كان والداي يسكنانه حين ولدت. وكان لاستعادته أثر كبير في نفسي. وصادف أن انتقلنا الى البيت في ذكرى مولدي السابعة والثلاثين. وفي تلك الليلة كانت سعادتي لا توصف، حتى انني رقدت في الخارج مسنداً رأسي إلى تراب فرجينيا. لكن ذكرى لو وأطفالها لم تبارحني، فقد أصبحوا بالنسبة إليّ رمزاً للعائلات السوداء المبعثرة والمشتتة في أنحاء أمريكا، وقد كبتت شخصياتهم الفذّة وقهر ذكاؤهم المتوهج.

وما زالت أمي تعيش على بعد كيلومترات في البيت الذي نشأت فيه وترعرت. ولا يزال الكوخ القديم جاثماً على التلة المقابلة في الجهة الأخرى من الطريق. لقد أصبح اليوم ملكاً لأمي، وهي تحفظ فيه علف الجياد. وكثيراً ما أذهب لأكدّس فيه بالات التبن، فأقف برهة وأصغي الى صدى الضحكات الذي ترجّعه تلك الغرف الصغيرة. ربّاه! كيف لي أن أتألم اليوم من أمر أحببته كل الحبّ في ما مضى؟

أفضل الاصدقاء

ذات يوم من شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٨٥ رنّ جرس الهاتف في مكتبي فرفعت السماعة وأصغيت. واذا بصوت يخاطبني: "أنا لويس كولز، لا أدري اذا كنت تذكرني ولكن..."

وصرخت وقد ترقرقت عيناي بالدموع: "لويس، كيف تسألني هل أذكرك؟ لقد أمضيت ثلاثين سنة وأنا أفكّر فيك."

وأبدى لويس حماسة مماثلة وشرح لي أنني كنت دائماً في ذاكرته وأنه طالما أراد البحث عني. ورحنا نردد العبارات نفسها ونطرح الاسئلة ذاتها ونضحك وقد اختلطت ذكرياتنا، وعلمت أن لويس عمل في السنوات الاحدى والعشرين الماضية في مدرسة غلاسبورو الرسمية بولاية نيوجرزي، وهو اليوم ناظر عام فيها. وأخبرني أيضاً أن زوجته برندا عملت في السنين العشر الأخيرة لحساب شركة "موبيل أويل" وأنهما رزقا طفلين ويملكان منزلا على سفح احدى التلال في المنطقة.

وطمأنني لويس أيضاً الى أن اخوته وأخواته بخير وأنهم سعداء وقد استقروا في مناطق مختلفة بين فرجينيا ونيويورك. وهم يعملون جميعاً وقد تزوّج معظمهم وأنجب.

وبعد بضعة أسابيع التقيت لويس في شاتام. فاذا بي أمام رجل مديد القامة دمث الخلق يتمتع بالعفوية نفسها التي عهدته بها وهو ولد. كان الطقس بارداً فلم نستطع الخوض في مياه النهر الصغير، لكننا اصطدنا عدداً وافراً من سمك السلّور وبرشناه وحاولنا أن نشويه كما كانت لو تفعل. بالطبع لم نستطع مضاهاة مهارتها، لكن ذلك لم يفسد بهجة محاولتنا.

وتجولنا في تلك الاراضي الواسعة التي تحتضن ذكريات طفولتنا. واستندنا الى السياج ورحنا نحدّق إلى الكوخ الصغير القابع على التلة. ولم يسع أحدنا أن ينبس ببنت شفة. وأخيراً قال لويس: "لنذهب اليه. أودّ أن ألمسه وأشتم رائحته، فهو منحني في صغري كلّ ما احتجت اليه، منحني الحبّ والدفء والطعام الوافر."

وفيما كنّا نسير الهوينا نحو الكوخ وننعطف حول البركة الصغيرة التي باتت تحتضن الجب قال لويس: "أنت وعائلتك كنتم أعظم ما حظينا به. كنتم أفضل أصدقاء لنا. خصوصاً أنت يا هنري، فقد وفّرت لنا الكثير من التسلية." وراح يضحك.

قلت له: "إنّه لأمر مضحك حقاً. فلطالما ظننت أنك أنت من وفّر لي التسلية والمرح."

فرد لويس: "لا شك في أننا تسلينا كثيراً."

[illegible]

ولجنا الكوخ بوقار. وراح لويس يتفحص كلّ زاوية برويّة وحنان ويتذكّر مكان الاشياء. ثم شرعنا نتحدث بهدوء في الامور الجديّة كالعرقية وفقر السود والتمييز العنصري في جنوب الولايات المتحدة. وبدا واضحاً أن كلينا يدرك مدى خطأ الممارسات القديمة، وأن تجاوزها هو الذي سمح لاولاد كولز بالوصول الى أبعد من الصالة العلوية في سينما شاتام وحقول التبغ في فرجينيا. وأكدّ لي لويس أنه لم يشعر في صغره قط بلسعة العرقية. فذكّرته بيوم كنّا نذهب الى السينما ونفترق عند مدخلها. ألم يكن ذلك يضايقه؟

فقال وكأنه يخفي ابتسامة: "ولمَ أتضايق يا هنري؟ الافلام التي شاهدتها كانت دائماً أفضل من تلك التي شاهدتها أنت." وسرعان ما أرجعتنا ضحكاتنا المجلجلة خمساً وثلاثين سنة.

لكنني بقيت حائراً أمام ما أبداه لويس من أهمية الكوخ الصغير بالنسبة اليه وما أضفاه على حياته من سعادة ونجاح.

قال: "كانت والدتي المؤثر الاهم في حياتي. فهي التي علمتنا أنك تعامَل حسبما تعامِل. وهذا ما سعيت الى تطبيقه طوال حياتي. فعندما تدرك هذا الامر يسهل عليك التصرّف في الحياة."

ورأيته يمسح دمعة فقلت: "دعني أسألك عن أمر لا يزال يضايقني. ففي كلّ عيد ميلاد كان بابا نويل يأتي الى منزلنا لكنّه لم يعرّج قط على هذا الكوخ. ولا أزال أراك يا لويس تقف في قاعة الجلوس في منزلنا تحدّق الى الهدايا المكدسة تحت شجرة الميلاد، وكنت أعلم أنك تمنيت الحصول وان على واحدة منها."

وأشرق وجه لويس وقال: " يا عزيزي هنري، كنت أفرح لك عندما تتلقّى تلك اللعب الجديدة كلّها، لانك اذذاك كنت تتخلّى لي عن لعبك القديمة."

ودوّت ضحكة لويس فأضاءت الكوخ الصغير وطهّرت ذكرياتي من شوائبها الى الأبد. أهناك في العالم هبة أعظم من تلك التي منحني اياها لويس؟

هنري هورت ■



ادارات هوليوود

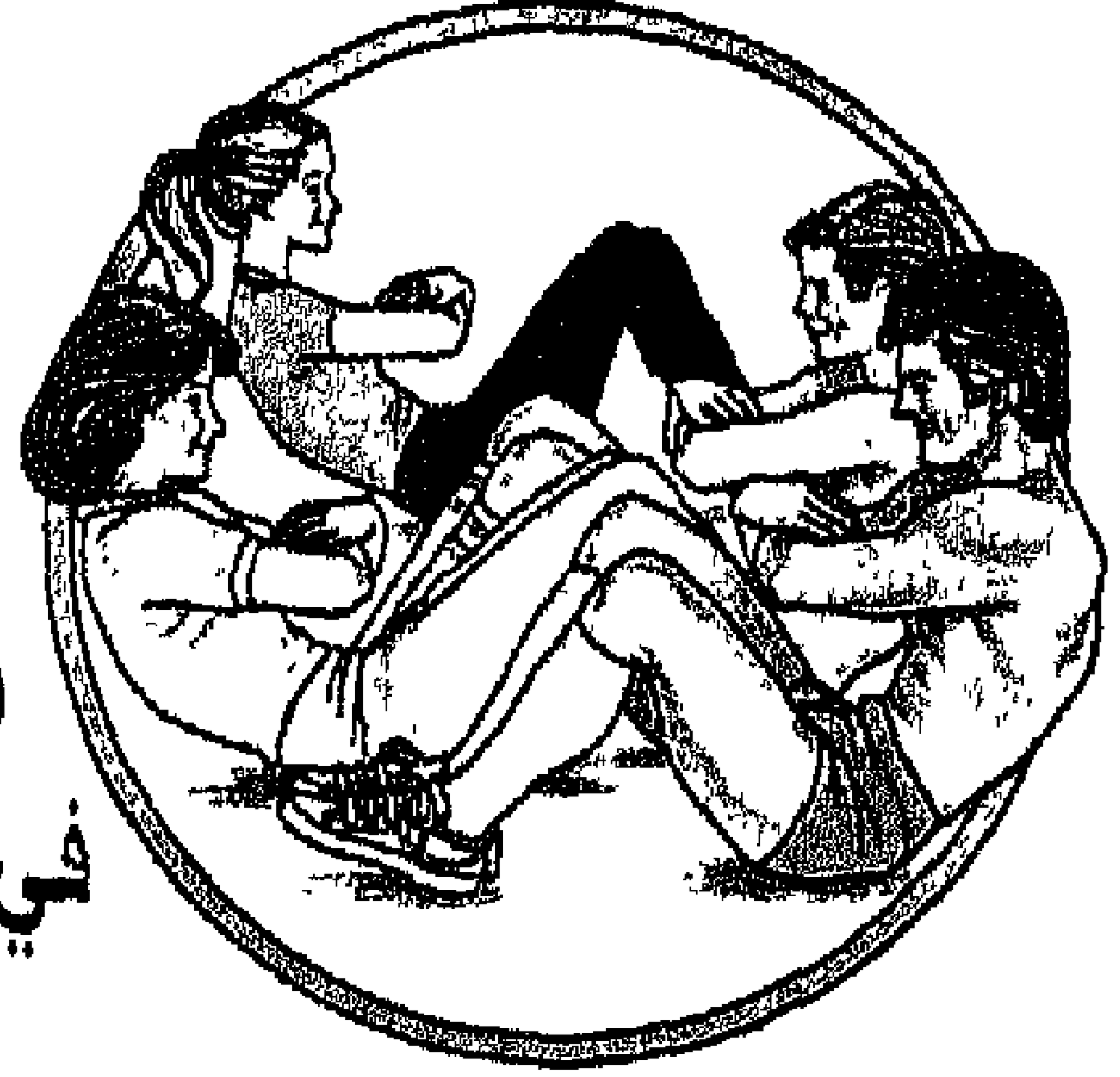
كانت شركة تلفزيونية في هوليوود تجري تبديلات شاملة في ادارتها راوحت بين النقل والاقالة والاستقالة.

وفي خضم هذا الاضطراب قال رئيس قسم لمساعدته: "اني خارج لتناول الغداء. فاذا اتصل بي المدير، حاولي أن تعرفي من هو وقولي له اني سأتصل به حين أعود."

ج.ك.



photo: Whitney Lane



برنامج رياضي منزلي وضعته مجموعة من خبراء اللياقة البدنية في تصرف قراء الـ"ريدرز دايجست"

كيف حالك من ناحية اللياقة البدنية؟ وكيف حال عائلتك؟ كيف تريد أن تكون لياقتك؟ مهما يكن مستواها فمن الممكن أن تحسنه. والفوائد من ذلك جمة، فذوو اللياقة البدنية ينعمون بحياة أطول وأسعد وبقلوب أصح وأجساد أقوى. والطريقة الفضلى لتحسين حالك هي التضافر في وحدات عائلية وبروح مرحة.

مساهمة في اطلاق حملة عالمية للياقة البدنية العائلية، استعانت مجلة "ريدرز دايجست" بالخبير تشارلز كونتزلمان المستشار السابق للياقة البدنية لدى جمعية«YMCA» العالمية. وبمساعدة عدد من أبرز خبراء اللياقة البدنية في الولايات المتحدة أوصى كونتزلمان باتباع اختبار فردي في المنزل هو اول برنامج لقياس اللياقة البدنية لدى الاطفال والبالغين. كما خرج ببرنامج تمارين رياضية للاعمار التي تراوح بين السادسة وما فوق الستين، يتميز بالبساطة والسلامة والمتعة.

واذا شئت ففي امكانك ان تشارك في البرنامج من دون أن تغادر منزلك وبصرف النظر عن مستوى لياقتك في الوقت الحاضر. ولكن قبل أن تباشر أي اختبار أو برنامج عليك أن تستشير طبيبك. واذا شعرت أثناء الاختبار أو التمارين بأي انزعاج او الم غير عادي، توقف فوراً واستشر طبيبك.

من طريق تخصيص ما لا يتجاوز الساعتين أو الثلاث الساعات أسبوعياً، تستطيع أنت وعائلتك، سواء أكنتم تتمرنون معاً أم فردياً، تحسين لياقتكم البدنية في غضون ثلاثة أشهر أو أربعة. هذا التمرين يوفر لكم جسداً اقل ترهلا وطاقة أوفر وصحة أفضل، وتصبحون أكثر سعادة واسترخاء.

فلماذا لا تحض كل عضو في عائلتك على تجربة اختبار "ريدرز دايجست" للياقة البدنية؟ يجدر بك أن تشجعهم على المشاركة في البرنامج لمدة ثلاثة أشهر على الاقل هي كافية لتجعلك تتعلق بهذا البرنامج لمدة سنة ، أو مدى الحياة.

أسرة الـ"ريدرز دايجست"

Illustrations: Ron Jones

ما مستوى لياقتك البدنية؟

عبر تطبيق اختبار "ريدرز دايجست" للياقة البدنية يمكنك ان تكتشف في ١٥ دقيقة مستوى لياقتك. كل ما تحتاج اليه هو ساعة (فيها عقرب ثوان) وشريط قياس (مازورة) ومقعد خشبي متين يرتفع ٣٠ سنتيمتراً (رزمة من الصحف مشدودة معاً تفي بالغرض).

وتقيس عناصر الاختبار أكثر النواحي حيوية في الحال الجسدية: الدهن أو الوزن، لياقة العضلات، المرونة، صحة القلب والاوعية الدموية. وعلى رغم حداثة الاختبار فمن المقدر أن ألوفاً من الناس يمارسون عناصره المختلفة. لذلك يسعك أن تقارن انجازك بالمقاييس المعترف بها على الجداول التي نقدمها اليك.

عليك أن تبذل جهدك للحصول على درجات جيدة أو ممتازة. ولكن يجب ألا يثبط من عزيمتك حصولك على معدلات ضئيلة في البداية.

تنبيه: قبل مباشرة الاختبار عليك أن تعد عضلاتك ودورتك الدموية بفترة قصيرة من التهيئة (التحمية) المفصلة على الصفحة (٨٩).

الدهن / الوزن

كمرحلة أولى في اختبار اللياقة البدنية، يحدد هذا المقياس مقدار الدهن في جسد شخص بالغ والوزن الافضل للاولاد. ان تكاثر الدهن يزيد خطر الاصابة بأمراض القلب والسكري والنقرس والتهاب المفاصل.

النساء: قيسي محيط الوركين عند أوسع مستوى. بعد ذلك ابحثي عن قياس محيط وركيك ووزنك على الرسم البياني المنشور هنا. ان الخط الذي يصل بين الاثنين يدل على النسبة المئوية لما فيك من دهن.

للنساء

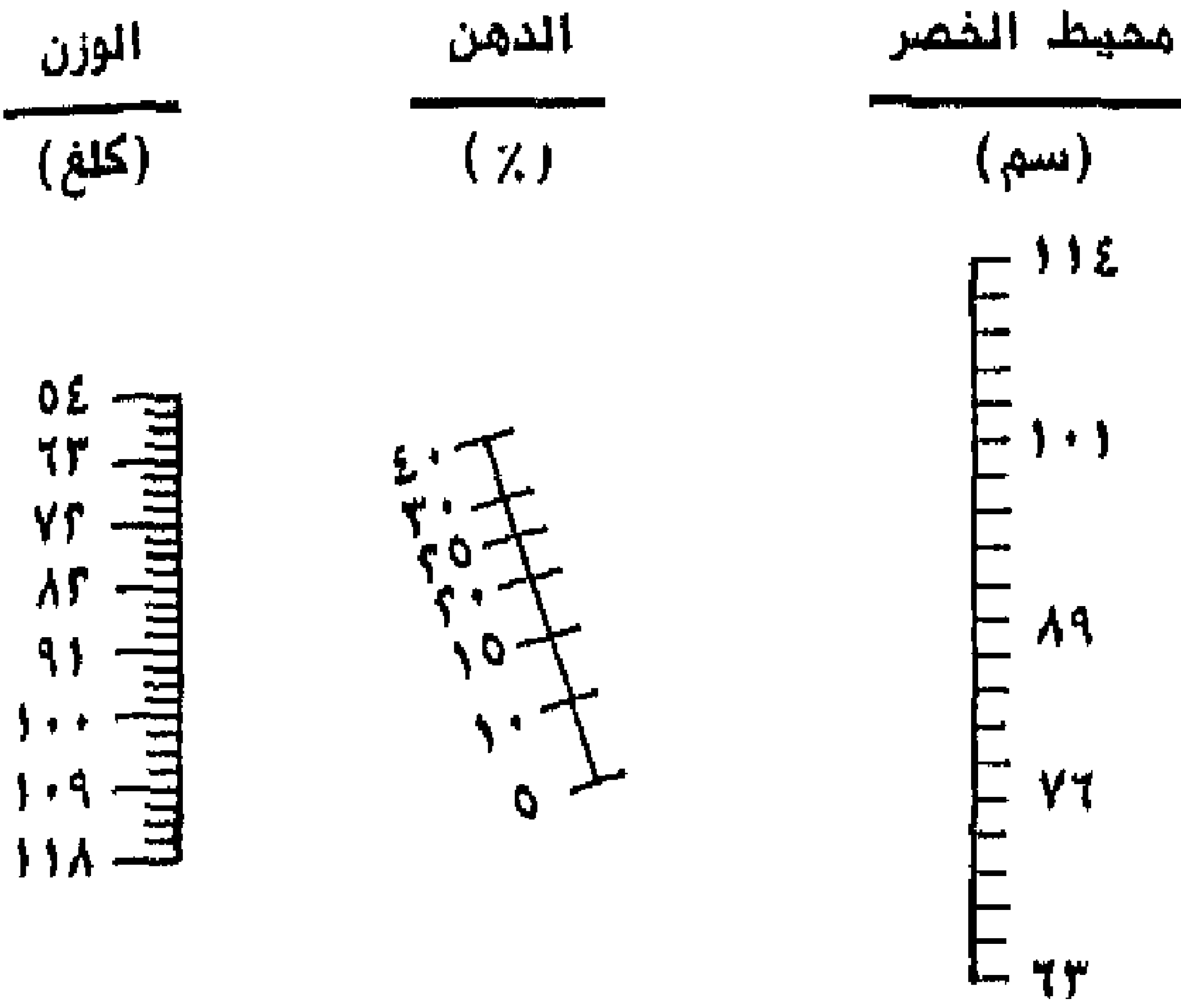
الطول (سم)	الدهن (٪)	محيط الوركين (سم)
١٨٣	١٠	٨١
١٧٨	١٤	٨٦
١٧٣	١٨	٩١
١٦٨	٢٢	٩٦
١٦٣	٢٦	١٠١
١٥٧	٣٠	١٠٦
١٥٢	٣٤	
١٤٧	٣٨	
١٤٢	٤٢	

الرجال: قس محيط خصرك عند مستوى السرة. بعد ذلك استعن بالرسم البياني كما ورد آنفا لتحديد نسبة الدهن في جسمك.

الاولاد: الذين يراوح طول قامتهم بين ١٠٦ سنتيمترات و١٢٢ سنتيمتراً يجب أن يزنوا ٠،٤٥ كيلوغرام في مقابل كل ٢،٥ سنتيمتر طولا.

للذين يراوح طول قامتهم بين ١٢٤ و١٦٢ سنتيمتراً يضاف كيلوغرامان في مقابل كل ٢،٥ سنتيمتر طولا بعد ١٢٢ سنتيمتراً.

للرجال



والآن حدد علامتك على الوجه الآتي:

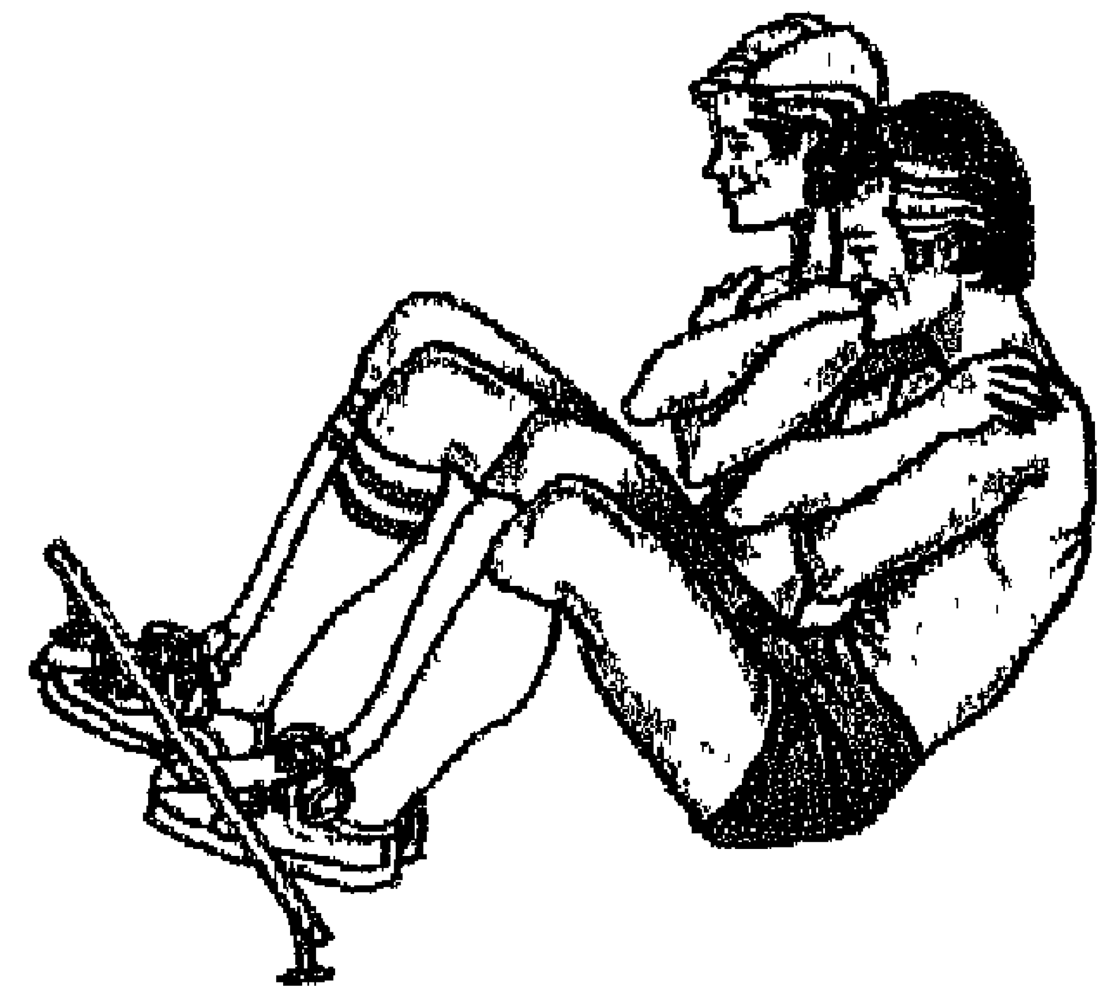
المستوى	الاولاد	الرجال	النساء	العلامة
ممتاز	الوزن المطلوب (*)	نسبة الدهن اقل من ١٣٪	نسبة الدهن اقل من ١٨٪	٥
جيد	الوزن المطلوب (*)	١٣-١٧٪	١٨-٢٢٪	٤
وسط	زيادة ٠،٠٥-٢،٢٥ كيلغ	١٨-٢٢٪	٢٣-٢٧٪	٣
مقبول	زيادة ٢،٧٥-٤ كيلغ	٢٣-٢٧٪	٢٨-٣٢٪	٢
ضعيف	زيادة ٤،٥ كيلغ وما فوق	٢٨٪ وما فوق	٣٣٪ وما فوق	١

(*) الاولاد ذوو الوزن المطلوب يعطون ٥ علامات.

الانطواء الجسدي

ان عدد الانطواءات (curl-ups) التي تستطيع تأديتها في دقيقة واحدة مقياس جيد لقوتك العضلية وقدرة احتمال عضلات بطنك. والبطن القوي يساعدك في درء ألم القَطَن (أسفل الظهر) والمحافظة على قامة صحيحة.

تمدد على ظهرك واثن ركبتيك ليصبح عقبا قدميك على مسافة تراوح بين ٣٠



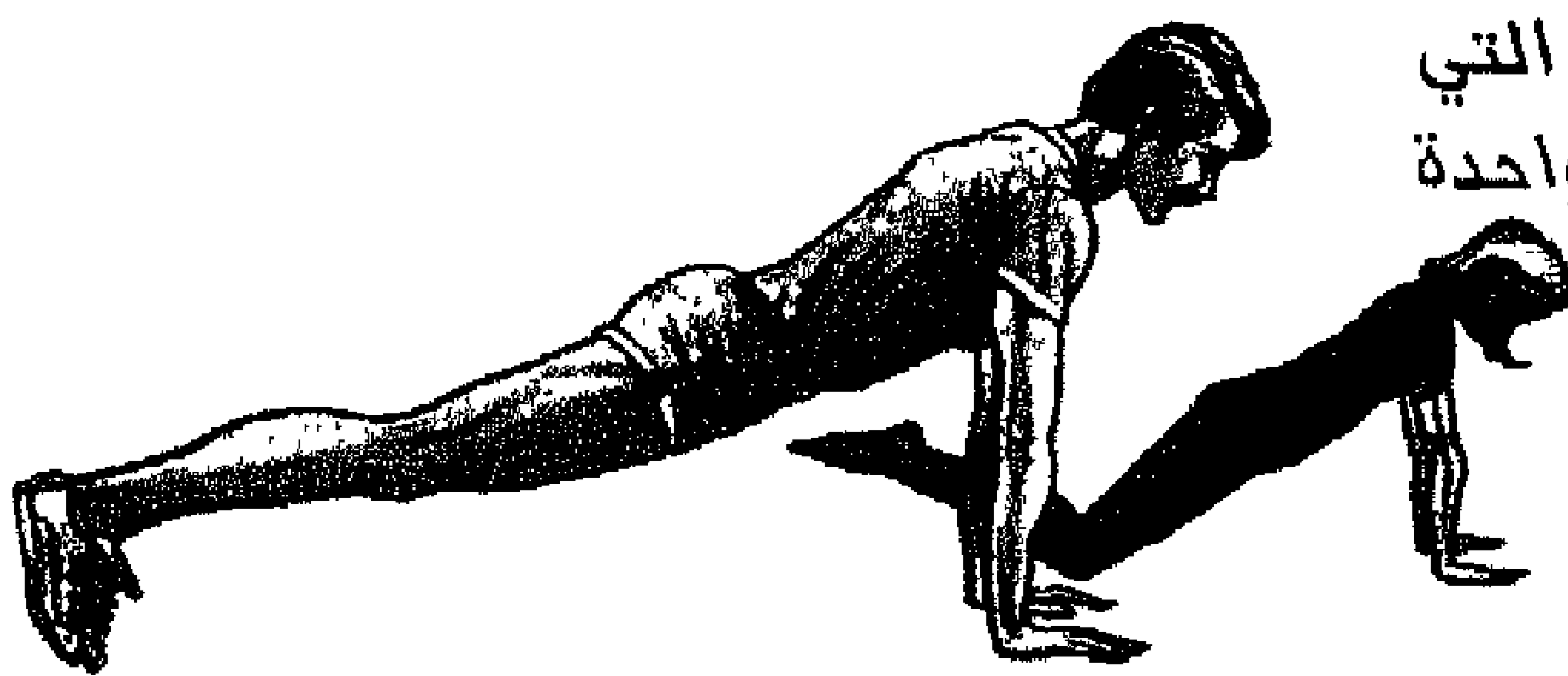
و٤٥ سنتيمتراً من عجزك. اطو ذراعيك (تكتّف) حول صدرك. لكي تبقي قدميك ملتصقتين بالارض ادخلهما تحت قطعة أثاث ثقيلة (مقعد) أو دع شريكاً لك يثبتهما الى الارض. احنِ رأسك الى أعلى حتى يلامس ذقنك عظمة الصدر. اطوِ كتفيك وجذعك حتى تلامس ذراعاك فخذيك. بعد ذلك أرجع كتفيك ورأسك الى الارض. هذه دورة واحدة. كرر العملية ما استطعت من دون توقف لمدة دقيقة واحدة. واصل التنفس أثناء هذا التمرين.

المستوى (عدد الانطواءات في الدقيقة)

السن	٦-٩		١٠-١٣		١٤-٢٩		٣٠-٣٩		٤٠-٤٩		٥٠-٥٩		٦٠ وما فوق		العلامة
الجنس	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	
ممتاز	١٥+	١٥+	٤١+	٤١+	٥١+	٤٦+	٤٦+	٤١+	٤١+	٣٦+	٣٦+	٣١+	٣١+	٢٦+	٥
جيد	١٢-١٤	١٣-١٤	٣٥-٤٠	٣٠-٤٠	٤٣-٥٠	٢٨-٤٥	٣٥-٤٥	٣٠-٤٠	٣٠-٤٠	٢٥-٣٥	٢٥-٣٥	٢٠-٣٠	٢٠-٣٠	١٥-٢٥	٤
وسط	١٠-١٢	١٠-١٢	٣٠-٣٤	٢٠-٢٩	٣٠-٤٢	٢٥-٣٧	٢٥-٣٤	٢٠-٢٩	٢٠-٢٩	١٠-٢٤	١٦-٢٤	١١-١٩	١٢-١٩	٨-١٤	٣
مقبول	٦-٩	٦-٩	٢٠-٢٩	١٥-١٩	٢٠-٢٩	١٥-٢٤	١٥-٢٤	١٠-١٩	١٠-١٩	٨-١٤	٨-١٥	٦-١٠	٦-١٢	٣-٧	٢
ضعيف	٠-٥	٠-٥	٠-١٩	٠-١٤	٠-١٩	٠-١٤	٠-١٤	٠-٩	٠-٩	٠-٧	٠-٧	٠-٥	٠-٥	٠-٢	١

رفع الجسد

ان عدد الرفعات (push-ups) التي تستطيع اتمامها في مدى دقيقة واحدة يقيس قوتك وطاقة ذراعيك ومنكبيك وصدرك. ولياقة هذه العضلات مهمة في المحافظة على قامة صحيحة وقدرة على الرفع والحمل والدفع والشد.



للاناث وجميع الاولاد دون العاشرة (والذين لم يتمرنوا منذ أمد):

تمدد على بطنك وابق ساقيك متلاصقتين. ضع يديك على الارض بحيث تلامس ابهامك الطرف الخارجي للكتف مع انبساط الاصابع الى الامام. أبق الركبتين على الارض مع رفع القدمين، ثم ارفع أعلى جسدك عن الارض حتى تستقيم الذراعان عمودياً ويتخذ جسمك شكلا مستقيماً من الرأس الى الركبتين.

أنزل جسمك حتى يلامس الصدر الارض بخفة. هذه دورة واحدة. ينبغي أن تتوالى الرفعات من دون توقف. كرر العملية ما استطعت في مدى دقيقة واحدة وأنت تتنفس عادياً.

للذكور (في العاشرة وما فوق): اجر التمرين الموصوف آنفاً. ولكن ينبغي أن ترفع ركبتيك عن الارض بحيث تكون ساقاك وظهرك في وضع مستقيم طوال مدة التمرين.

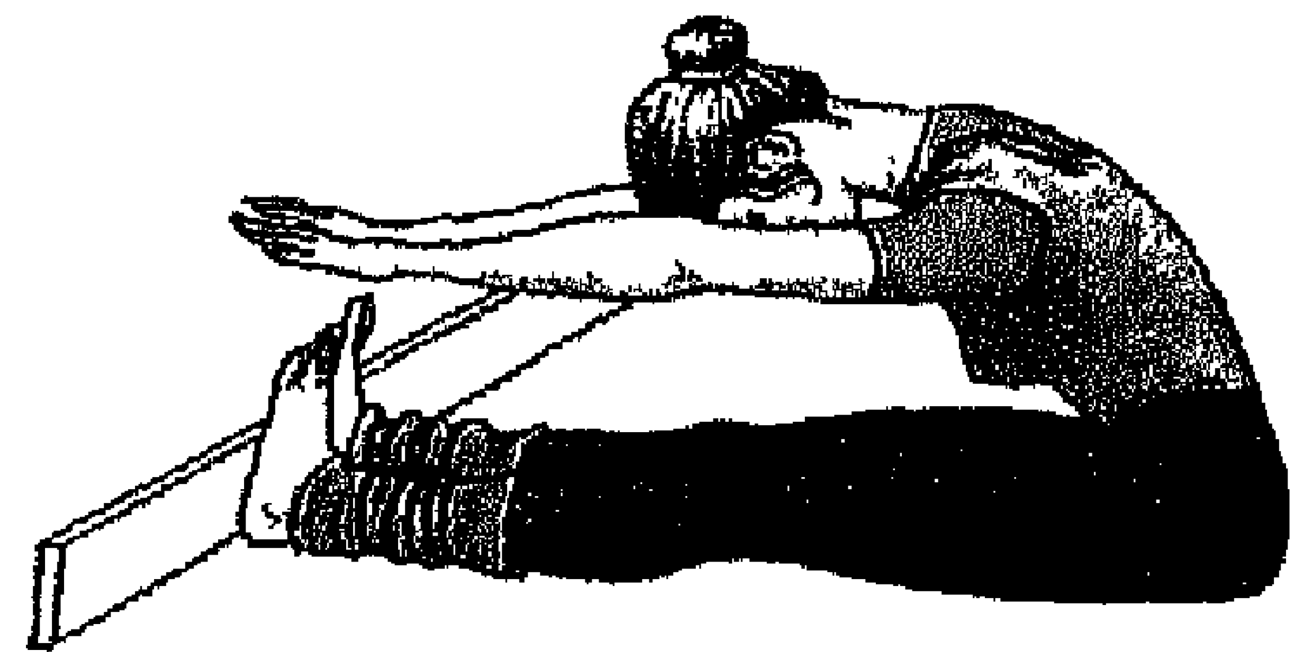
المستوى (عدد الرفعات في دقيقة واحدة)

السن	٩-٦		١٣-١٠		٢٩-١٤		٣٩-٣٠		٤٩-٤٠		٥٩-٥٠		٦٠ وما فوق		العلامة
الجنس	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	
ممتاز	+٢٠	+٢٠	+٤١	+٤١	+٥١	+٤٦	+٤٦	+٤١	+٤١	+٣٦	+٣٦	+٣١	+٣١	+٢٦	٥
جيد	١٩-١٦	١٩-١٦	٤٠-٣٥	٤٠-٣٥	٥٠-٤٥	٤٥-٣٤	٤٥-٣٥	٤٠-٢٥	٣٩-٣٠	٣٥-٢٠	٣٥-٢٥	٣٠-١٥	٣٠-٢٠	٢٥-١٠	٤
وسط	١٥-١٠	١٥-١٠	٣٤-٢٥	٣٤-٢٠	٤٤-٣٤	٣٣-١٧	٣٤-٢٥	٢٤-١٢	٢٩-٢٠	١٩-٨	٢٤-١٥	١٤-٦	١٩-١٠	٩-٣	٣
مقبول	٩-٦	٩-٦	٢٤-١١	١٩-١١	٣٣-٢٠	١٦-٦	٢٤-١٥	١١-٤	١٩-١٢	٧-٣	١٤-٨	٥-٢	٩-٥	٢-١	٢
ضعيف	٥-٠	٥-٠	١٠-٠	١٠-٠	١٩-٠	٥-٠	١٤-٠	٣-٠	١١-٠	٢-٠	٧-٠	١-٠	٤-٠	٠	١

اجلس وطاول

يقيس هذا التمرين مرونة العضلات في قطنك (أسفل ظهرك) ومؤخر ساقيك. الساقان القويتان والظهر المرن تساعدك على درء الالم القطني واصابات الظهر والساقين.

اجلس على الارض وساقاك ممتدتان أمامك (بعد خلع حذائك وجواربك) وعقبا قدميك متباعدان بمسافة ١٢ سنتيمتراً وأخمصاهما ملتصقان بجدار. من دون أن تحني ركبتيك، مد يديك أمامك الى أقصى مدى تستطيعه على مستوى ابهامي قدميك، محاولا أن تلامس الجدار ومقرباً



جبهتك من ركبتيك ما أمكن. لا تندفع الى الامام بقوة، بل حرك جسدك حتى تشعر بجذبة جسدية. عندئذ ابق في هذا الوضع وتخيل عضلاتك تسترخي. وفيما أنت تسترخي، تمدد قليلا الى الامام حتى تشعر بجذبة أخرى. توقف عن التحرك ٥ ثوان ولاحظ المدى الذي طاولته.

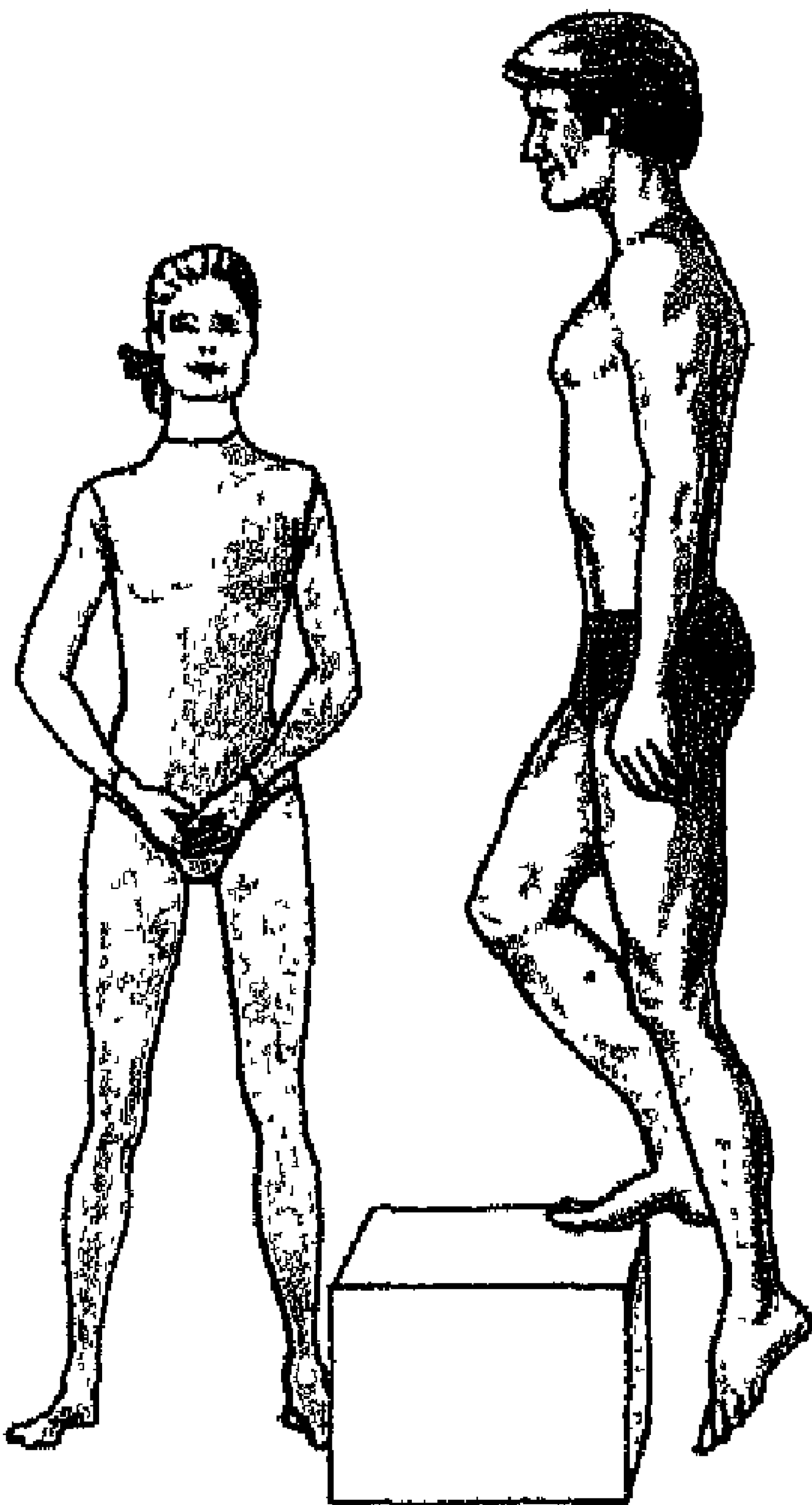
مستوى الجلوس والمطاولة

كل الاعمار		العلامة
ممتاز	ملامسة الجدار براحتي الكفين	٥
جيد	ملامسة الجدار بمفاصل الاصابع	٤
وسط	ملامسة الجدار أو أصابع القدمين بالانامل	٣
مقبول	وصول الانامل الى مسافة ٢،٥-٨ سنتيمترات من اصابع القدمين	٢
ضعيف	وصول الانامل الى مسافة ١٠ سنتيمترات أو أكثر من أصابع القدمين	١

اختبار اجهاد لثلاث دقائق

هذه أبسط طريقة يمكن اجراؤها في المنزل، دونما حاجة الى اجهزة خاصة، لقياس مدى تجاوب قلبك مع النشاطات المجهدة. فالقلب القوي النشط عامل مهم لضمان القدرة والطاقة، وربما قلل ذلك خطر الاصابة بمرض قلبي.

أخطُ صعوداً وهبوطاً على مقعد خشبي (أو رزمة من الصحف المشدودة معاً برباط) يرتفع ٣٠ سنتيمتراً. تتألف الدورة من ارتقاء المقعد بالقدم اليمنى أولا ثم باليسرى، وبعد ذلك ارجاع القدم اليمنى أولا ثم اليسرى الى الارض (يمكنك البدء بالقدم اليسرى). أدِّ ٢٤ دورة في مدى دقيقة واحدة، أي دورة كل ثانيتين ونصف ثانية.



بعد القيام بهذا التمرين على مدى ثلاث دقائق توقف، وللحال عد نبضات قلبك في الدقيقة. افعل ذلك بوضع

السبابة والوسطى والبنصر على الجانب الاسفل من معصمك أو على عنقك في الموضع الذي تنعطف فيه عظمة الفك في زاوية قائمة.

تحقق من معدل تماثل قلبك بمراجعة الجدول أدناه.

المستوى (عدد النبضات في الدقيقة)

السن	٦-٩		١٠-١٣		١٤-٢٩		٣٠-٣٩	
الجنس	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى
ممتاز	١٠٠*	١٠٠*	٩٠*	٩٠*	٧٤*	٧٩*	٧٧*	٨٣*
جيّد	١١٠-١٠١	١١٠-١٠١	١٠٠-٩١	١٠٠-٩١	٩٠-٧٥	١٠١-٨٠	٩٩-٧٨	١٠٥-٨٤
وسط	١٢٠-١١١	١٢٠-١١١	١١٠-١٠١	١٢٠-١٠١	١٠٠-٩١	١١٩-١٠٣	١٠٩-١٠٠	١٢٢-١٠٦
مقبول	١٣٠-١٢١	١٣٠-١٢١	١٢٤-١١١	١٢٤-١٢١	١٢٠-١٠١	١٣٣-١٢٠	١٢٥-١١٠	١٣٥-١٢٣
ضعيف	+١٣١	+١٣١	+١٢٥	+١٢٥	+١٢١	+١٣٤	+١٢٦	+١٣٦

السن	٤٠-٤٩		٥٠-٥٩		٦٠ وما فوق		العلامة
الجنس	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	
ممتاز	٧٩ *	٨٧ *	٨٥ *	٩١ *	٨٩ *	٩٤ *	١٠
جيد	١٠٠-٨٠	١٠٨-٨٨	١٠٥-٨٦	١١٣-٩٢	١٠٨-٩٠	١١٧-٩٥	٨
وسط	١١٢-١٠١	١١٨-١٠٩	١١٥-١٠٦	١٢٣-١١٤	١١٨-١٠٩	١٢٧-١١٨	٦
مقبول	١٢٥-١١٣	١٣٠-١١٩	١٣٠-١١٦	١٣٦-١٢٤	١٣٠-١١٩	١٤٠-١٢٨	٤
ضعيف	+١٢٦	+١٣١	+١٣١	+١٣٧	+١٣١	+١٤١	٢

(*) او أقل.

المستوى الاجمالي للياقتك

بعد أن تأخذ القياسات الخمسة أنظر الى أقصى يسار كل جدول وجد "علامتك". دوّن أدناه علامتك في كل فحص (مثلا: رجل في الاربعين ينبض قلبه ١٠٨ نبضات في الدقيقة بعد اختبار الاجهاد يعتبر "جيداً" وينال ٨ علامات).

الدهن / الوزن	ـــــ	بنظام النقاط الآتي:
الانطواء	ـــــ	ممتاز ٤٥ - ٣٠
رفع الجسد	ـــــ	جيد ١٩ - ٢٤
الجلوس والمطاولة	ـــــ	وسط ١٣ - ١٨
فحص الاجهاد	ـــــ	مقبول ٧ - ١٢
المجموع	☐	ضعيف ٠ - ٦

لتقويم تقدمك أعد الفحص في اليوم الاول من كل شهر.

لتحديد لياقتك الاجمالية استعن

برنامج "ريدرز دايجست" للياقة البدنية

مهما يكن انجازك ضعيفاً في فحصك الاولي، فان البرنامج الآتي يساعدك في تحقيق درجة "جيد" او "ممتاز" في غضون سنة واحدة. ويستغرق برنامج "ريدرز دايجست" للياقة البدنية نحو ٤٥ دقيقة في كل "جلسة" ثلاث مرات أسبوعياً.

التهيئة (٥ - ١٠ دقائق)

لتحاشي الاصابة بأي ضرر وتهيئة العضلات والدورة الدموية لاحتمال التمارين المجهده، عليك بالاتي:

١. امش هرولة مدة ٣ دقائق.

٢. تابع المشي مدة دقيقتين اضافيتين بينما أنت:

- تلوح بذراعيك في شكل دوائر كبيرة.
- تشبك كفيك فوق رأسك وتحني جذعك يمنة ويسرة.
- تلوح بدراعيك معاً حول جسمك الى اليسار ثم الى اليمين.
- تلوي اعلى جسمك الى اليسار ثم الى اليمين.
- تحرك ذراعيك ويديك بقوة.

لياقة القلب والاوعية الدموية (١٠ - ٣٠ دقيقة)

لكي تنقص وزنك وتقوي قلبك ورئتيك، وربما لتقلل أيضاً خطر الاصابة بأمراض القلب، عليك بالآتي:

أدِّ التمارين المنشطة ثلاث مرات كل أسبوع لمدة تراوح بين ١٠ دقائق و٣٠ دقيقة وفقاً لحالك (١٠ دقائق للذين يتبعون البرنامج للمرة الاولى أو الذين يعرفون أنهم في حال صحية ضعيفة).

بالنسبة الى معظمنا، بعض النشاطات مثل البولنغ والغولف والتمشي يحرق وحدات حرارية لكنه لا يجعل القلب ينبض بسرعة كافية لاحداث التأثير المناسب في القلب والاوعية الدموية (أنظر سرعة النبض أثناء التمرين في الجدول الخاص بذلك). ان قلب الشخص البالغ العادي اثناء الراحة ينبض بين ٦٠ و٨٠ مرة في الدقيقة. ولاحراز أي فائدة للقلب والاوعية الدموية، على الشخص العادي في السن الاربعين أن يرفع نبضه (أو نبضها) الى ١٢٥ نبضة ويبقيه على هذا المستوى مدة لا تقل عن ٢٠ دقيقة، وذلك ثلاث مرات أسبوعياً.

وهذا هو الجزء الاهم في أي برنامج للياقة البدنية.

وبالنسبة الى بعض الناس قد يكون المشي هو التمرين المنشط المثالي. انه مأمون وفاعل ومسل ويمكن أن يشارك فيه أفراد العائلة جميعاً. المهم أن تمشي بسرعة كافية لتجعل نبضك يصل الى المستوى الصحيح. والتلويح باليدين من جانب الى آخر فيما أنت سائر يسهل تحقيق هذا الهدف.

واذا كان خروجك من البيت صعباً فان الصعود والهبوط على مقعد خشبي، كما سبق، يمكن أن يكون البديل المناسب. اتبع التوجيهات المبينة في اختبار الاجهاد لمدة ثلاث دقائق، ولكن زد وقتك من ثلاث دقائق الى عشر أو أكثر.

معظم الناس يرغبون في اختيار تمارينهم المنشطة من بين النشاطات العامة كالركض والسباحة والقفز على الحبل وركوب الدراجة الهوائية والتزلج مسافات طويلة وكرة المضرب وسواها من الالعاب الممتعة والتي تجعل القلب يعمل بجد. (عموماً، عليك أن تمارس المشي أو كرة المضرب ضعفي الوقت الذي تتطلبه هذه النشاطات الاخرى لكي تحصل على فائدة مماثلة. والسبب أن المشي ليس تمريناً قوياً، ولعبة كرة المضرب تتخللها فترات كثيرة من الراحة.)

ومهما يكن التمرين الذي تزمع اتباعه فعليك أن تحدد مستوى نبض قلبك في أثنائه على أساس الجدول الآتي:

سرعة النبض أثناء التمرين

السن	متدنية	متوسطة	عالية
٦-٩	١٥٠	١٦٥	١٨٠
١٠-١٣	١٤٥	١٦٠	١٧٥
١٤-٢٩	١٤٠	١٥٥	١٧٠
٣٠-٣٩	١٣٥	١٥٠	١٦٠
٤٠-٤٩	١٢٥	١٤٠	١٥٥
٥٠-٥٩	١٢٠	١٣٠	١٤٥
٦٠ وما فوق	١٠٠	١٢٠	١٣٠

تحذير: اذا كان بلوغ معدل النبض المطلوب شاقاً جداً عليك أو اذا وجدت صعوبة في التكلم أثناء التمرين، تمهل.

باشر تمارينك المنشطة بعشر دقائق على مستوى النبض المتدني. وأسبوعاً بعد أسبوع زد المدة تدريجاً الى

١٥ دقيقة، ثم تحول الى النبض المتوسط وتمرن لمدة ١٣ دقيقة. زد المدة تدريجاً الى ٣٥ دقيقة. وحين تبلغ الهدف تمرن لمدة ٤٠ دقيقة على المستوى العالي. زد المدة تدريجاً الى ٣٠ دقيقة ثلاث مرات أو أربعاً في الاسبوع. (لكي تصل بمعدل نبض القلب الى مستوى أعلى عليك، بكل بساطة، التمرن بسرعة أكثر أو على نحو أنشط.)

ولكي تتأكد من سرعة نبضك أثناء التمرين، توقف عن التمرين لفترة وجيزة واحص عدد نبضات قلبك في ١٥ ثانية. بعد ذلك اضرب العدد في ٤ (لا تبدل بهذه أي طريقة أخرى في العد). بعد ذلك استأنف التمرين. فاذا كان معدل نبضك بطيئاً جداً تمرن بسرعة أكثر، واذا كان عالياً جداً تمهل. وقد يبدو هذا الاسلوب عسيراً، ولكن حين تعتاده يصبح آلياً.

أعلى الجسم (٥ دقائق)

من اجل تحسين لياقة أهم المجموعات العضلية في الجذع (البطن والذراعين والكتفين) عليك بتطبيق الآتي:

١. الانطواء (راجع الصفحة ٨٤).

٢. رفع الجسد (راجع الصفحة ٨٥).

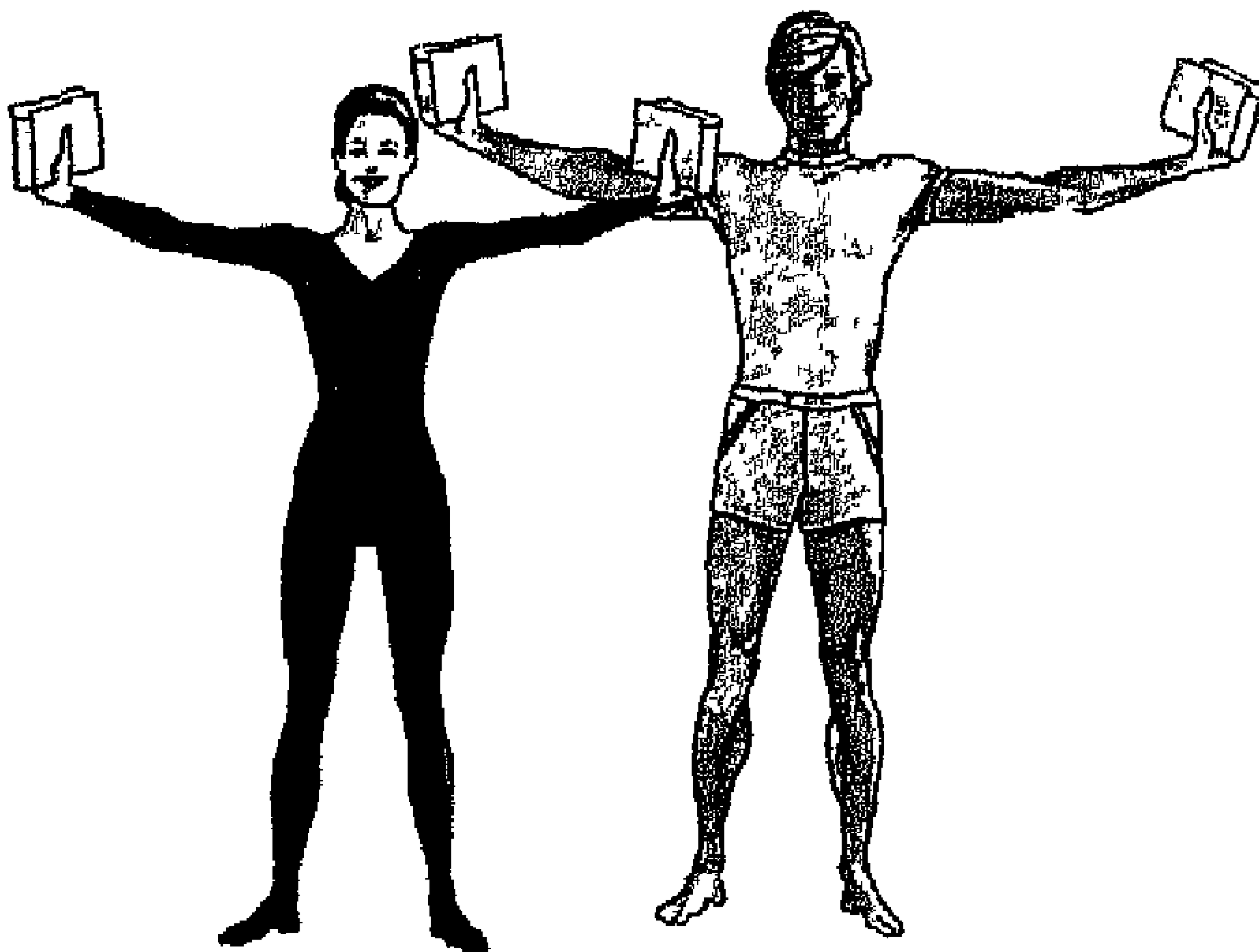
٣. الانطواء الى الخلف: اجلس على



الارض وركبتاك مثنيتان وذراعاك ملتفتان حول صدرك. وعلى مهل احن جسمك الى الخلف بزاوية من ٤٥ درجة. ابق في هذا الوضع مدة ثلاث ثوان أو حتى تبدأ عضلاتك في الارتجاف ثم عد الى وضعك الاولي وكرر التمرين.

٤. لَي الذراعين: قف وساقاك متباعدتان وذراعاك ممتدتان أفقياً على جانبيك، واحمل ما وزنه نصف كيلوغرام في كل يد (الاطعمة المعلبة والكتب تفي بالغرض) بحيث يكون اتجاه راحتي اليد الى أعلى. حرك الذراعين صعوداً والوِهما كما لو كنت تشد عضلاتك، حتى يلامس ما تحمله الكتفين. ابسط ذراعيك ثم كرر التمرين.

لكي تحدد عدد التكرارات المتوجبة لكل من هذه التمارين الاربعة، احص عدد



الانطواءات التي أديتها في اختبار اللياقة البدنية وتبنّ هذا العدد، ولكن بزيادات بمقدار الثلث. مثلا: اذا كنت أديت ١٢ انطواء، ابدأ بأربعة ثم استرح بضع ثوان وكرر العملية مرتين. اتبع الطريقة نفسها في اختبار رفع الجسد. اعتمد العدد نفسه في الانطواء الى الخلف. كرر تمرين لي الذراعين بعدد تكرارات رفع الجسد. (لكي تتحاشى الارهاق بدّل الحركات بالتناوب، اي ٤ انطواءات ثم ٤ رفعات ثم ٤ انطواءات الى الخلف ثم ٤ ليات ذراعين. وكرر هذا التعاقب.) هدفك النهائي في كل جلسة هو ٣٠ تكراراً لكل تمرين. ولبلوغ هذا الهدف أضف تكراراً واحداً على الاقل في كل أسبوع.

اذا وجدت أنك تقوى على تأدية أقل من ثلاثة انطواءات ورفعات جسد، أدِّ فقط ثلاثة انطواءات الى الخلف وثلاثة ليات ذراعين كمنهاج أساسي (هذان التمرينان أسهل من سواهما). وحين تغدو قادراً على تأدية ٣٠ انطواء الى الخلف و٣٠ لي ذراع، أدخل الانطواءات والرفعات الجسدية نهجك التمريني.

الاستراحة (٥ دقائق)

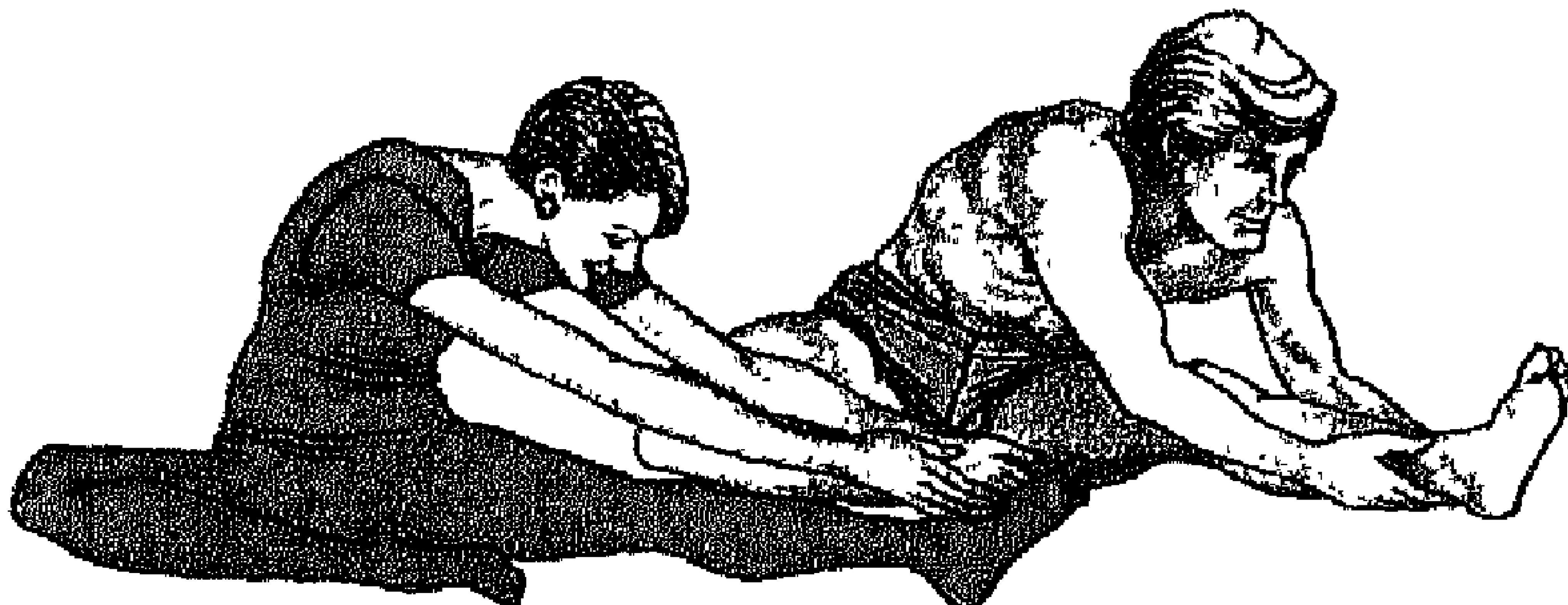
لكي تتجنب ألم العضلات (التعضيل) والدوار بعد التمارين عليك بالآتي:

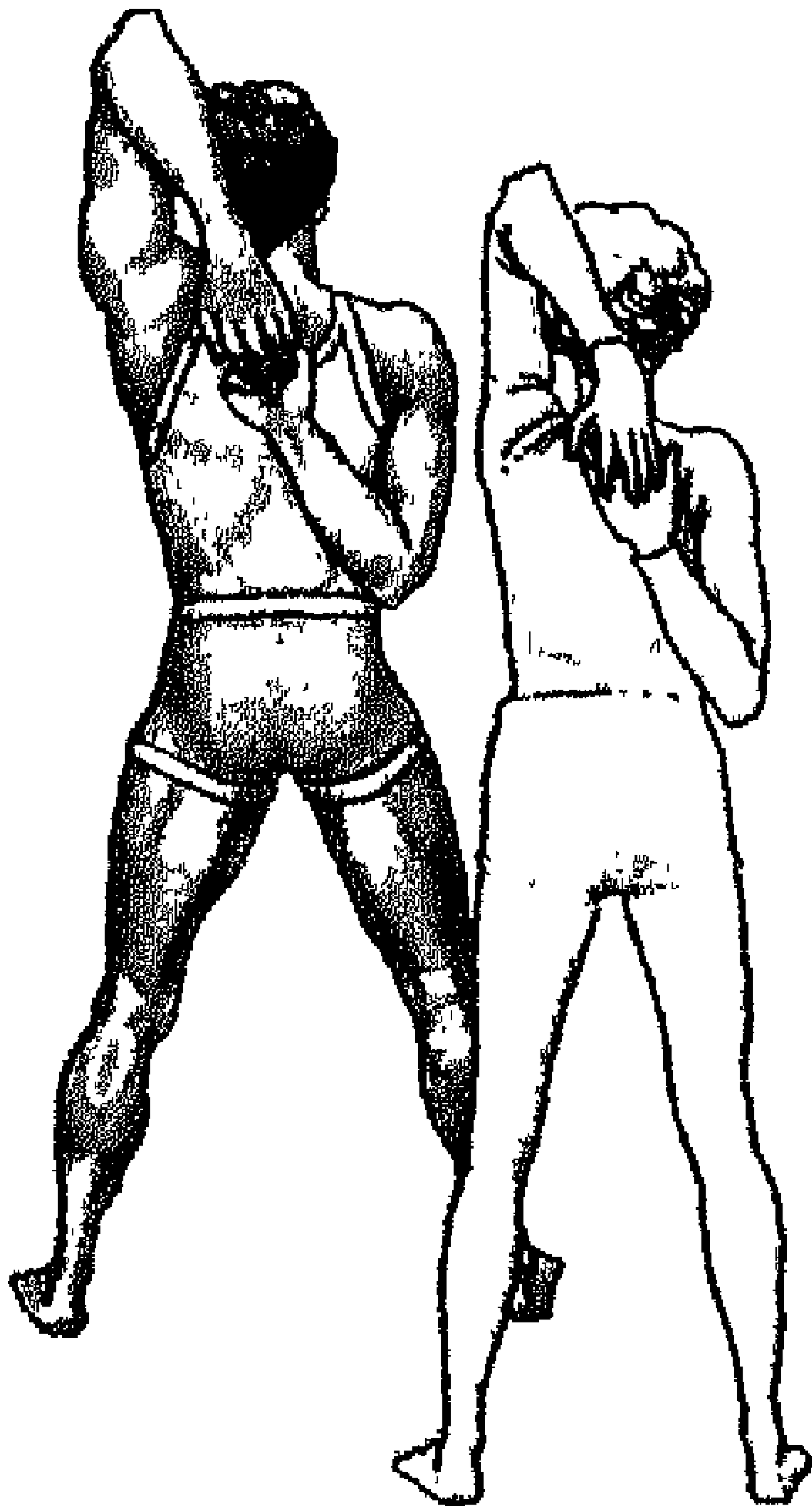
١. امش على مهل لمدة دقيقتين وأنت تحرك ذراعيك كما فعلت في التهيؤ للتمرين.

بعد ذلك، لزيادة مرونة جسدك وللاسترخاء:

٢. اقضِ ثلاث دقائق في تمارين التمطي الآتية:

- **اجلس وطاول.** (راجع الصفحة ٨٦)
- **جذب الساق أثناء الجلوس.** هذه العملية تشبه الجلوس والمطاولة، ولكن عليك فقط أن تطوي ساقك اليمنى نحو الاربية (أصل الفخذ) ومن ثم تبسطها كما كانت من قبل. بعد ذلك تكرر التمرين بالساق اليسرى.
- **مط الكتف.** مد ذراعيك الى الوراء أقصى ما تستطيع في خط مواز للارض، وابقهما عند النقطة التي تشعر فيها بالشد.





● **المطاولة وراء الظهر.** مد احدى يديك نزولا على ظهرك الى أقصى ما تستطيع بينما أنت تحاول مد الاخرى صعوداً على ظهرك. كرر العملية بابدال اليدين.

ابدأ بتأدية كل من محاولات المط الأربع مرة واحدة. ابق كل مطة مدة خمس ثوان. وتدريجاً، أسبوعاً بعد أسبوع، زد مدة الابقاء على وضع المط حتى تبلغ ٣٠ ثانية. حينئذ ابدأ تأدية كل محاولة مرتين مع ابقاء وضع المط ٣٠ ثانية. زد مدة ابقاء المط تدريجاً، وهدفك النهائي هو تكرار كل مطة ثلاث مرات والمحافظة على الوضع لمدة ١٥ الى ٣٠ ثانية في كل مرة.

في سبيل إشراك عائلتك

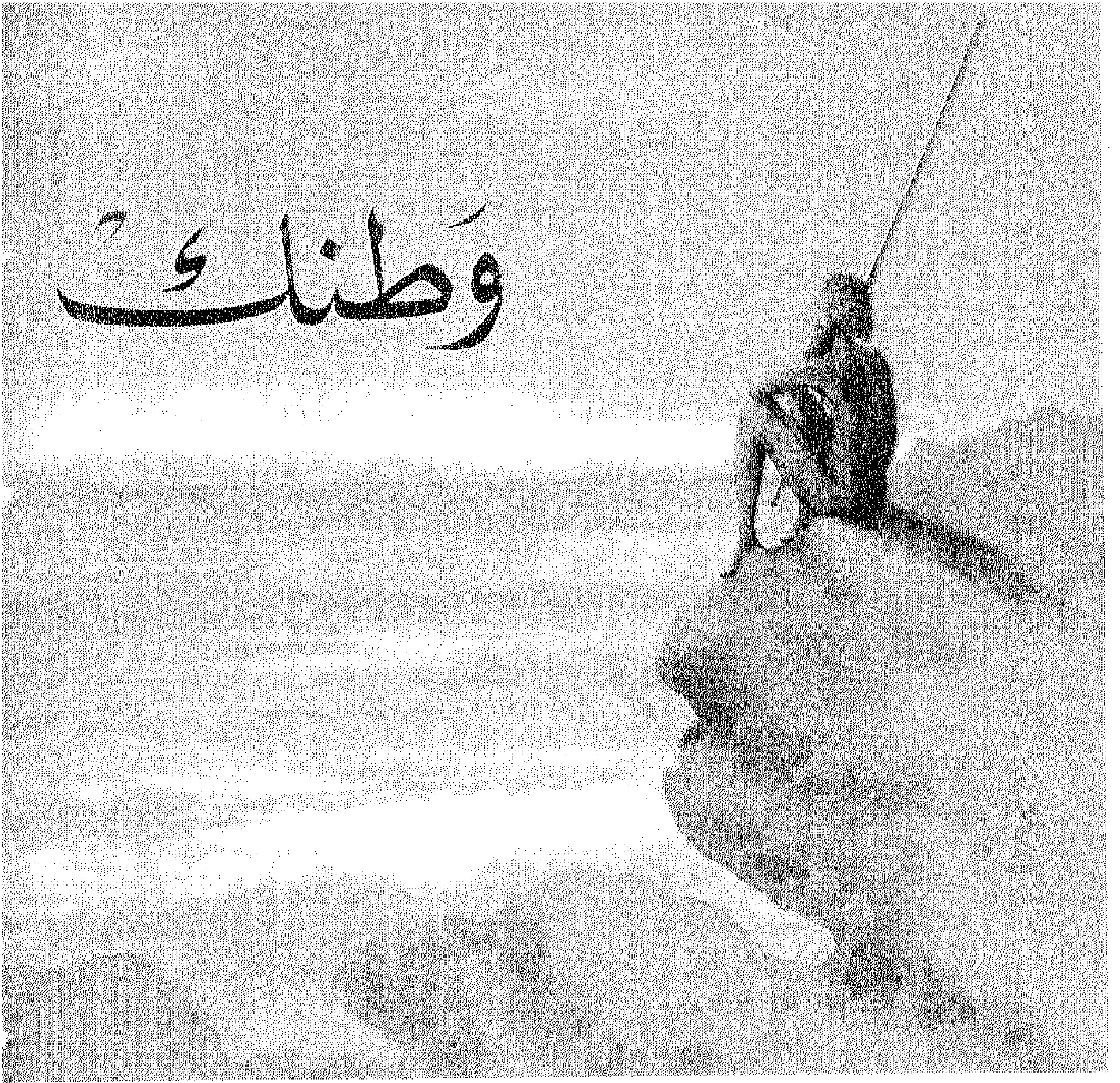
١. **توقيع العقود.** دع كل عضو في عائلتك يرتبط خطياً بهدف في مجال اللياقة البدنية على مدى شهر. كأن يكتب مثلا: "أريد أن أصبح قادراً على الجري مسافة ١٦٠٠ متر من دون توقف." دعه يوقع العقد ويؤرخه، وليوقعه شاهد أيضاً.

٢. **قوموا بالتمارين كعائلة.** اتفقوا على تأدية التمارين مدة نصف ساعة قبل مشاهدة التلفزيون أو قبل العشاء. اذا كان تنظيم المواعيد معقداً جداً خلال الاسبوع، حدد المواعيد لعطلة الاسبوع. عندئذ يستطيع كل فرد التمرن وحده في بحر الاسبوع.

٣. **سجل العلامات المحرزة.** علق مخططاً بيانياً (chart) على جدار البراد لتسجيل العلامات التي يحرزها كل عضو في العائلة. وفي كل اعادة للاختبار حدد تاريخ المخطط وسجل كل نتيجة جديدة.

٤. **امنح مكافآت على الانجازات.** عندما تبلغ هدفاً امنح نفسك مكافأة (ثياب أو معدات رياضية، ولكن لا أطعمة). وعندما يبلغ كل أعضاء العائلة أهدافاً معينة، كافىء الجميع بممارسة نشاط تستمتعون به جميعاً، واشتركوا فيه كعائلة. يمكنك مثلا أن تنظم رحلة لياقة بدنية مع حمل حقائب الظهر.

تشارلز كونتزلمان ■



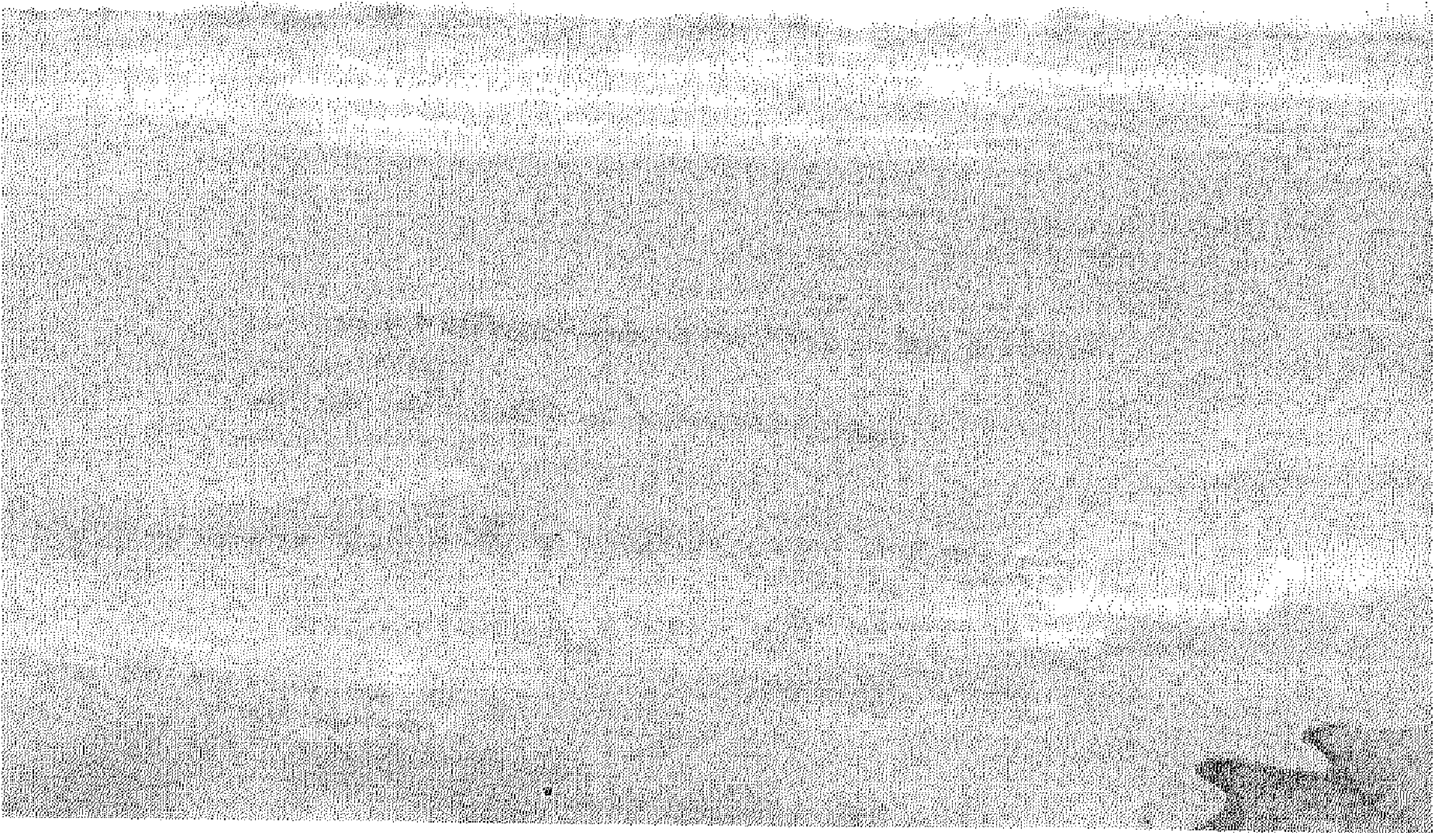
رجل أسود يطرح فكرة فطرية تقول بأن الانسان لا يرتاح إلا تحت سمائه!

بلغ نور الشمس العريض حدود الرؤية ليذيب الافق اللامتناهي. لم يكن النور عادياً ولا تلك البقعة من الارض عادية. كان هذا في قلب صحراء غيبسون على مسافة ٧٥٠ كيلومتراً الى الغرب من أليس سبرينغز وعلى مسيرة حياة كاملة من الصلب والاسمنت المسلّح والزجاج.

ذاك الرجل الاسود الذي كان ينتقل بخطى واسعة فوق الرمال والحجار أمضى هنا نصف عمره منذ ولادته الشاقة المبللة بالدموع مروراً بطفولته ووصولا الى سني الرشد التي تميّزت بالبؤس والانجراح. لم يكن قيظ الصيف ولا قر ليالي الشتاء ليزعجانه. كان هذا جزءاً من طبيعة الامور، هكذا كانت وهكذا سوف تبقى.

Illustration: Gregory Coates

حَيثُ سَماؤكَ



أما بالنسبة الى الرجل الابيض على بعد نصف كيلومتر، وكأنه في كون آخر، فقد كانت ظروف القحل والجفاف هذه مصدر ازعاج كبير. فهو اعتاد الرطوبة في داروين ذات المناخ الاستوائي الحار، واعتاد العرق والقمصان الملتصقة بالجسم. غير أن الهواء هنا كان من نوع آخر، كان جافاً لاسعاً.

انتفض الرجل الاسود أناتجاري تجامبيتجمبا ثم جمد في مكانه متوجساً. فجأة لم يعد صفير الريح الصوت الوحيد في تلك الصحراء. كان هناك صوت آخر راح يعلو، صوت غير مألوف، عويل مستمرّ وهدير متحشرج غريب.

نظر أناتجاري الى مصدر الصوت، انها عربات على عجلات لم يشاهد مثلها من قبل. كان تلهث وتئنّ وهي تجهد صعوداً في اتجاهه على منحدر رملي طويل.

وترجّل من احدى سيارات اللاندروفر المتثاقلة رجل أبيض اسمه دوغلاس لوكوود، وهو والدي، وسار على الرمال الحارة. وكان برفقته رجلان أسودان هما تجوناكاتا تجابورولا وجاليوري تجابلتجاري. وتسمّر الرجل الاسود الواقف على قمة المنحدر في مكانه مشدوهاً وإن حرص على كبح مشاعر الدهشة والعجب والشك والخوف التي اجتاحت كيانه. فللمرة الاولى في حياته يقف أمامه رجل أبيض.

الآه المشتركة - في حساب الرجل الابيض دوغلاس لوكوود كان هذا شهر أغسطس (آب) من العام ١٩٦٣. أما في حساب الرجل الاسود فكان موسم البرد.

نسي لوكوود حرارة الشمس المحرقة وهو يدنو من أناتجاري الذي أخذ العرق يتصبب منه ويتجمع قطرات على جبينه. كان لوكوود يرتجف من الاثارة، وكان أناتجاري يرتجف من الخوف.

يا للعجب! رجل جلده أبيض!

عندما بلغ لوكوود قمة المرتفع لوّح بيديه لبضعة اشخاص تظللوا بشجرة أوكاليبتوس. ولم تلق حركته أي جواب فقال في نفسه: "ربما ظنوا أنني أطرد الذباب عن وجهي." ولو انه فكّر برهة أطول لأدرك كم كان ظنه سخيفاً، فالناس في أوستراليا الوسطى يعيشون مع الذباب ولا يطردونه.

توقف لوكوود على مسافة ذراع من أناتجاري، لكن هذا ظل جامداً كالرمح الذي في يده. ولمّا لم تلق يد لوكوود الممدودة الى أناتجاري أي استجابة تكلم تجونكاتا تجابورولا الذي كان على بضعة خطوات من لوكوود، فنطق بضع كلمات بالبنتوبي وهي لغة أهل البلاد. عندئذ مدّ الرجل الاسود يده اليسرى والرعب باد على ملامحه.

لكن لوكوود أخذ يد أناتجاري اليمنى وشدّ عليها في محاولة لتخطي حاجز اللغة بالتخاطر. وعلت وجه أناتجاري ابتسامة عصبية شابها ارتياب قلق.

وللمرّة الثانية نطق تجونكاتا كلمات مطمئنة بالبنتوبي، وهي لغة ذات وقع جميل. عندئذ وضع أناتجاري يده اليسرى حول المعصم الايمن للوكوود وابتسم. ولاحظ لوكوود الاسنان الجميلة التي أبرزت بياضها البشرة السوداء واللحية القذرة.

وظلّ أناتجاري في هذا الوضع بضع دقائق وراح يتمعّن في عيني لوكوود ووجهه ويقلّب يديه متفحصاً الجلد الابيض الغريب، وأجفل عندما وقعت عيناه على عقرب الثواني وهو يدور على قرص الساعة حول معصمه. ومرّر أنامله على ثياب لوكوود متلمساً الانسجة المختلفة برفق واندهاش.

وأخيراً نطق: "آهه!" ثم انهمر من فمه سيل من الكلمات المبهمة في تتابع سريع كطلقات رشاش، وهو السمة المميزة للغة البنتوبي. وفي أي حال لم تكن التحيّة التي ردّ بها لوكوود أكثر وضوحاً.

وبدا الارتياح على أناتجاري. كان صوت الرجل الابيض طبيعياً وان لم تكن لكلماته معنى. وشعر بالاطمئنان فجأة وراح يثرثر بفرح مكرراً الـ"آ آه ه" كلما استقرت عيناه على وجه لوكوود. كانت

تلك "الآه" الكلمة الوحيدة المشتركة بينهما.

امتياز خاص – لم يدر لوكوود ان كان أناتجاري مطمئناً حقاً. كان يلفّ خصره بحبل من العشب تدلّت منه غوانا نافقة ربما كانت قوته الوحيد منذ يومين أو ثلاثة أيام. فهل يتعين عليه أن يتقاسمها مع الاغراب ويحرم نفسه منها؟ وماذا عن زوجتيه وأطفاله؟

كان رد فعل لوكوود بعد اللقاء نوعاً من الدهشة والحيرة. وسرّه أن يكون هو، في النصف الثاني من القرن العشرين، أول فرد من عرقه يراه فرد من عرق آخر للمرة الاولى. واعتبر هذا اللقاء امتيازاً خاصاً وفريداً. وحاول، وهو يمسك يد أناتجاري، أن يخترق رأسه ويدخل وجدانه وعقله علّ تلك الآهات المتكررة تكتسب معنى.

اجتاحت لوكوود عواطف وانفعالات شتى، بل سرّه أنه لم ينجح في التواصل مع هذا الغريب على نحو أفضل، لأنه لو تم ذلك لفاضت الدموع من عينيه من دون أن يستطيع حبسها. ولطالما تعجّب من اللامبالاة التي سادت لقاء المستكشف ستانلي والرحالة ليفنغستون في افريقيا. ولعله من حسن الحظ أنه لم يتمّ أي اتصال كلامي بينه وبين الاوسترالي الاسود لأن ذلك حال دون التفاهات التي ترافق غالباً الحديث السخيف الذي يتبادله الناس في لقاءاتهم الاولى والذي ربما أصبح لاحقاً مصدر ندم وأسف.

ملقط الانف – كان لوكوود صحافياً التحق بفرقة حكومية هدفها جمع المعلومات عن حياة البنتوبي الرحّل الذين ما زالوا يجوبون صحراء غيبسون في ظروف قاسية لا ترحم.

وفي العام ١٩٦٤ نقل أناتجاري تجامبيتجمبا مع زوجتيه وأولاده الثلاثة من الصحراء الى بابونيا وهي مستوطنة على الحدود الشرقية للصحراء تبعد ٣٥٠ كيلومتراً الى الغرب من أليس سبرينغز. وكسواه من السكان الاصليين تعرّف أناتجاري هناك الى "الحضارة". تعرّف الى الثياب والطعام المعلّب والماء الجاري من الصنابير والسيارات والضجيج والكحول.

والتقيت أناتجاري بعد تسع سنوات من ذلك التاريخ، وكان مضى عليه خمس سنوات وهو عضو في حركة "العودة الى الصحراء" الهادفة الى مساعدة من يود العودة الى موطنه الاصلي. وكان المشروع محفوفاً بالمشاكل. ففي العام ١٩٦٨، وبسبب المياه غير الملائمة وحدوث عدد من الوفيات، اضطر نحو مئتين من البنتوبي الى النزوح عن درادبا وهي مستوطنة تبعد حوالى ٦٠ كيلومتراً عن بابونيا انتقلوا اليها في تاريخ سابق.

وخلال العام ١٩٧٠ انتقل بعض أفراد البنتوبي الى وادي ألومبرا على بعد ٣٠ كيلومتراً غرباً من بابونيا. ولم يطل مكوثهم فيه، اذ عادوا الى بابونيا بسبب اصطداماتهم المتكررة مع الاداريين البيض.

وذات يوم جلسنا في الظل أنا وأناتجاري وتجونكاتا تجابورولا، المعروف في أوستراليا الوسطى بلقب "ملقط الانف" لانه كان يضع في أنفه حلقة من

العظم، ورحنا نتحدث عن الاسباب التي تدفعهما الى العودة الى الصحراء.

وكان جواب أناتجاري مباشراً: "أنا أحبّ لحم الكنغر وهو غير متوافر هنا. علينا أن نذهب بعيداً لنجده."

أما ملقط الانف فقال: "أفضل أن أكون تحت سمائي وفي وطني حيث السماء أقرب."

كفاح مستمر – في العام ١٩٧٣ أقام أناتجاري وبضع مئات من رجال قبيلة البنتوبي مخيماً في يايايي على مسافة ٤٠ كيلومتراً غرب بابونيا. وفي سبتمبر (ايلول) من السنة نفسها زرته وبرفقتي كين هانسن وهو عالم لغات.

جلسنا مع مجموعة كبيرة من الرجال والغبار من حولنا. كان الشك بادياً عليهم مع انهم كانوا يعرفونني من قبل وقد شاهدوني في بابونيا غير مرة. وسألتهم هل هم سعداء في يايايي. فظهر العبوس على وجوههم وبدأوا جميعهم يتكلمون في وقت واحد. تكلموا فيَ ما بينهم وتكلموا مع كين هانسن وهم يشيرون اليّ.

وشرح لي كين: "انهم يظنون أنك رجل حكومة وأنك غير مقتنع بحركتهم بل تشكّ في صوابيتها."

وأفهمهم كين أنني لست مع الحكومة وأن لا نيّة لدي في ترحيلهم، وأني وإن أردت ذلك لما استطعت إذ لا سلطة لي ولا صلاحية. وبدا عليهم الارتياح لدى سماعهم هذا الكلام.

أخبروني أنهم ما زالوا خارج بلاد البنتوبي: "هذه الارض يملكها أهل لوريتجا. ولقد اجتمعنا بالمالكين الذين سمحوا لنا بالاقامة هنا في مقابل الاعتناء بالأرض. انهم اقرباؤنا ولا يطلبون منا ايجاراً. نحن لسنا كالبيض ولا نسعى الى المال."

وقالوا أيضاً انهم شعروا بضيق في النفس وهم في بابونيا. أما في يايايي فهم أكثر انطلاقاً على رغم بعدهم عن ديارهم.

وطنهم هو صحراء غيبسون حيث "يُغلى" الانسان صيفاً مع شروق الشمس من وراء أفق لا تحجبه التلال ويتجمد في الليل مع غروبها ككرة من نار يبتلعها بحر من الرمال. الحياة هناك كفاح مستمر. ففي ذلك المناخ العدائي يتعين على الانسان أن يقطع المسافات الشاسعة التي تفصل بين الثقوب المائية سيراً على قدميه، وهو يبحث عن الطعام مع كل خطوة، فيلتقط بضع سحليات وربما كنغراً صغيراً اذا حالفه الحظ. غير ان الصحراء هي البيئة الطبيعية لابناء البنتوبي. انهم يتعاملون معها باحترام ويعرفون كيف يفيدون منها.

"كونمانو!" – وطن الانسان حيث سماؤه. والآن بعد مضي ٣٢ سنة على التقائه الرجل الابيض يعيش أناتجاري تجامبيتجمبا في موينغا حيث هو أقرب الى سمائه منه في أي وقت مضى منذ انتقاله الى بابونيا عام ١٩٦٤. وتقع موينغا على الحدود بين الاقليم الشمالي وأوستراليا الغربية، وهي على مسافة ٥٠٠ كيلومتر الى الغرب من أليس سبرينغز ويصل اليها الانسان عبر طريق ترابية وعرة. انها محطة نائية غرب

مستوطنة كنتور الجبلية التي يسكنها نحو ٣٥٠ شخصاً.

أنشئت مستوطنة كنتور عام ١٩٨١ عندما حمل جماعة من البنتوبي صررهم ومتاعهم وانطلقوا غرباً. ولم تكن الدولة في ذلك الوقت تمنحهم أي مساعدات مالية، أما اليوم فلهم موازنة خاصة. وعندما زرتهم في منتصف ١٩٨٤ وجدت بين المستوطنين البيض مستشاراً طبيباً وممرضة ومشرفاً على الاسكان وصاحب متجر ومدرسين يعملان بدوام جزئي. وفي العام ١٩٨٥ ألحق بالمستوطنة أربعة مدرسين يعملون بدوام كامل.

كان هذا التجمع خشبة الخلاص بالنسبة الى أبناء البنتوبي. رأيت وجوهاً باسمة وأطفالا يضحكون وأجساداً سليمة، بصرف النظر عن مرض التراخوما (*) المنتشر.

وفور وصولي قدم أناتجاري من موينغا لرؤيتي. وكانت معي نسخة من كتاب "آكلي السحالي" الذي ألفه دوغلاس لوكوود وضمنه أخبار بعثة ١٩٦٣. وكانت في الكتاب صورة فوتوغرافية لصاحبنا أناتجاري وزوجتيه وأولاده.

أريته الصورة على أمل تذكيره بذاك اليوم البعيد الذي غيّر حياته. فرفع يديه فجأة وراح يصرخ "كونمانو! كونمانو!" وأطبق الكتاب بسرعة ثم تمكّن واحد من رجال البنتوبي الخمسة عشر الذين تناقلوا الكتاب من العثور على الصورة وراح بدوره يصرخ: "كونمانو! كونمانو!" وأخذ الجميع يتكلمون في وقت واحد وهم يحدقون الي والغضب على وجوههم.

وسألتهم: "ما الأمر؟" وفهمت أن في الصورة طفلا لاناتجاري توفي في وقت سابق، وأن ذكر اسم الميت أو حيازة صورة له هو من المحرّمات، خصوصاً بين أهالي الصحراء الغربية.

وفتحت الكتاب وانتزعت الورقة التي تحمل الصورة وضغطتها بيدي فتلقفها أناتجاري ورماها في النار. عندئذ استرخى الرجال وتكلمنا بأحسن ما يكون الكلام: هم بانكليزية ركيكة وأنا بلغة البنتوبي التي أجهلها تماماً.

المحطة النائية - استرجع أناتجاري ذكرى لقائه الرجل الابيض. قال: "لقد تصافحنا،" وحرّك يديه صعوداً ونزولا. وأوضحت له أن الرجل كان والدي، وأخبرني هو أنه اتخذه "أخا بالجلد". وبذلك أصبح اسم أبي دوغلاس لوكوود تجامبيتجمبا وأصبح اسمي انا كيم لوكوود تجانجالا أي ابن تجامبيتجمبا.

وتذكّر أناتجاري وصحبه الايام الخوالي السعيدة: "كنا نسير معاً بحثاً عن الكنغر من دون بنادق، بالرمح والبمرنغ فقط." والبمرنغ قطعة خشب معقوفة يستعملها سكان أوستراليا كقذيفة، ومنها ما يرشق ويرتد الى صاحبه.

وسألته هل يتذكّر المرة الاولى التي رأى فيها بابونيا، فأجاب: "نعم، وكنت على وشك الفرار منها. بابونيا ليست جيدة. فيها كحول وجرائم قتل. وبعضهم يستخدم الرمح والسكين والفأس. لقد سئمنا كل ذلك وجئنا الى هنا. نريد أن

(*) التراخوما أو الحثار مرض يصيب العين.

نرجع من حيث أتينا. نريد العودة الى بورتوتجالبا لاننا ولدنا فيها واليها ننتمي."

وفي نهاية اللقاء سألوني عن والدي فأجبتهم بسرعة: "لقد تقاعد." ولو اني أخبرتهم الحقيقة، أنه توفي في العام ١٩٨١، لذهب الكتاب بكامله طعماً لنار الخيم في تلك الصحراء.

أبدى أبناء قبيلة البنتوبي حماسة وفرحاً لاقتراب موعد انتقالهم الى عمق الغرب. وفي سبتمبر (أيلول) من العام ١٩٨٤ سافر بعضهم الى كيويركورا بالقرب من تلال بولوك على بعد ١٧٠ كيلومتراً في عمق أوستراليا الغربية. وهذا الموقع مجهز بطاحونة هواء وخزان ماء. ويجري العمل على بناء مكتب لمنسق الخدمات في تلك المحطة النائية.

وربما انتقل بعضهم قريباً الى المكان الذي يدعوه الرجل الابيض بئر جوبيتر ويدعوه البنتوبي بورتوتجالبا، وهو لا يبعد كثيراً عن الثقب المائي ودونجو حيث شاهد أناتجاري رجلا أبيض للمرة الاولى عام ١٩٦٣.

عندئذ فقط يكون أناتجاري عاد الى دياره.

كيم لوكوود ■

تصميم تشكيلي!

عندما انتهى درس التصميم التشكيلي أوقع زميل عن طاولتي وعاء زجاجياً كبيراً يحوي غراء. وانكسر الوعاء واتخذ شكلا قبيحاً بشظايا الزجاج والغراء المتسلب بينها وقد برزت منه فرشاة. وبدلا من ازالة القذارة تركتها لتجف فيسهل نزعها.

ولدى عودتي الى الصف رأيت أن بقايا الزجاج والغراء اختفت. فأخبرت الاستاذ بما جرى، وهو لم يكن في الصف حين انكسر الوعاء. وسألته هل يعرف من أزال ذلك الاثر.

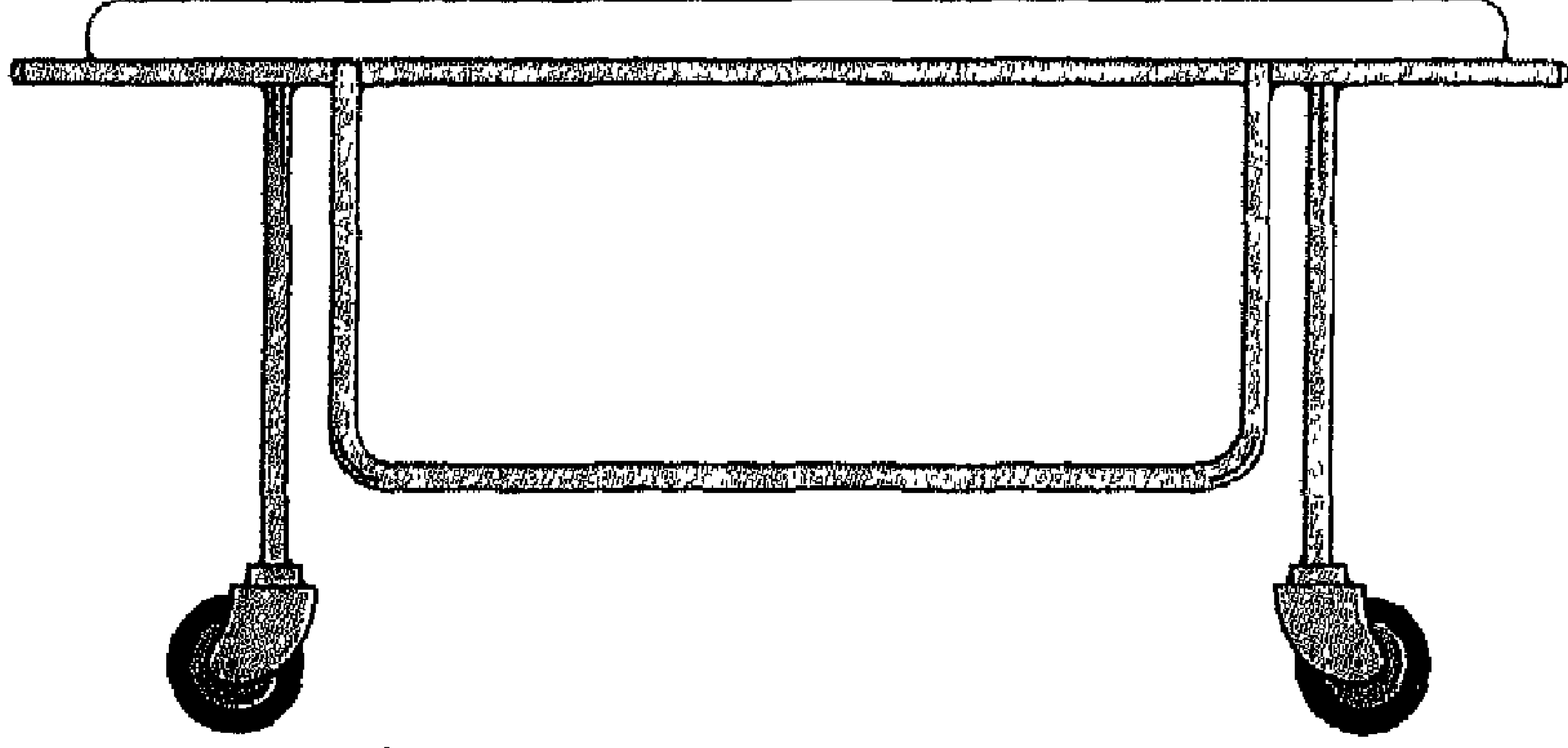
ونظر الي الاستاذ مذهولا وقال: "اذاً هذا ما كانه الشكل حقاً؟ لقد قدمه الي أحد الطلاب على أنه تصميم تشكيلي."

ك.ك.

صندوق البطاطا

بعيد افتتاحنا حانوتاً صغيراً للبقالة واجهنا بعض المتاعب في صندوق تسجيل المدفوعات. وكان أحد موظفينا يعمل على الصندوق حين دخل زبون. وحمل الرجل مشترياته الكثيرة الى الصندوق، فسجلها الموظف ثم سأل الزبون هل يحتاج الى أي شيء آخر. فأجاب الرجل: "نعم." وتناول كيساً من رقائق البطاطا المحمصة. وأضاف الموظف ثمن الكيس الى الحساب وضغط زر "المجموع" ثم خاطب الزبون بجدية: "حسابك عشرة آلاف و٦٣٨ دولاراً و١٨ سنتاً." فقال الرجل ببرود: "وكم يكون حسابي اذا أعدت كيس البطاطا؟"

د.غ.



القهوة عدو القلب

إن من يشرب خمسة فناجين قهوة يومياً يتعرض لاخطار الأزمات القلبية أكثر مرتين ممن لا يشرب القهوة البتة. هذا ما استنتجته دراسة أجريت في كلية جونز هوبكينز للطب في بالتيمور بولاية ماريلاند.

وقد أخضع أكثر من ألف رجل أمريكي لفحوص دورية كل خمس سنوات على مدى ٣٥ سنة لدراسة تأثير شرب القهوة. واكتشف العلماء انه اذا ما عزلت كل العوامل الاخرى، كالتدخين وضغط الدم ونسبة الكولسترول والسن، فان شرب القهوة وحده كفيل بزيادة أخطار العلل القلبية.

وللتقليل من هذه الاخطار يقترح الدكتور توماس بيرسون أن يتوقف شاربو القهوة عن التدخين ويراقبوا مستوى الكولسترول في دمهم ويتعقلوا في شرب القهوة.

وتشير دراسات أخرى الى أن الاشخاص الذين لا يشربون القهوة يتمتعون بمستويات أدنى للكولسترول.

جمعية القلب الامريكية

ضيوف المستشفيات

باشرت مستشفيات عدّة في الولايات المتحدة طريقة جديدة في التصرف تجاه المرضى تقوم على معاملتهم كضيوف. وكان مستشفى ألبرت أينشتين في فيلادلفيا (ولاية بنسلفانيا) استهل قبل سنتين حملةً تهدف الى حض جميع من فيه من أطباء وممرضين وموظفين على التصرف بحرارة أخوية مع المرضى. ويتدرّب الموظفون على ذلك بأن يلعب بعضهم دور المرضى. وقواعد المعاملة الرئيسية هي الآتية: عرّف المريض باسمك، ادعُ المريض باسمه، أنظر الى المريض مباشرةً في عينيه، أوضِح له ما تفعل. وفي استطلاع حديث تبيّن أن ٨٥ في المئة من المرضى الذين عولجوا في المستشفى يعدّونه ممتازاً من حيث معاملة المرضى، في حين كانت هذه النسبة ٤٣ في المئة عام ١٩٨٣.

والمحاولات مستمرّة في مراكز طبية كثيرة لتلقين كل من يهمّه الأمر أن العناية الصحيحة عنصر مهم جداً من عناصر الشفاء.

مجلة "نيوزويك"

بعضها شفاف وبعضها أكمد قاتم وبعضها الآخر يتوهج بألف لون مثل قوس قزح. انها كتل كبيرة من الحجار الكريمة معروضة في قاعة كبيرة تحت أضواء خافتة تزيدها رونقاً وجمالا. فيها التوباز والجمشت والزبرجد والتورمالين والامازونيت والكونزيت والكوارتز الدخاني مما نراه غالباً يزين أصابع السيدات وأحياناً في شكل طاسات ومنافض. وبين هذه الحجار قطع يزيد ارتفاع الواحدة منها على طول انسان بالغ ويصل وزنها الى أربعة اطنان. ومنذ بدء عرضها في المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي في باريس وقطع البلور العملاقة النادرة هذه تجذب جماهير من المتفرجين لم يسبق لها مثيل في تاريخ المتحف.

ولولا أحلام الصبا لمهاجر بلغاري يدعى إيليا ديليف لقطعت هذه البلورات

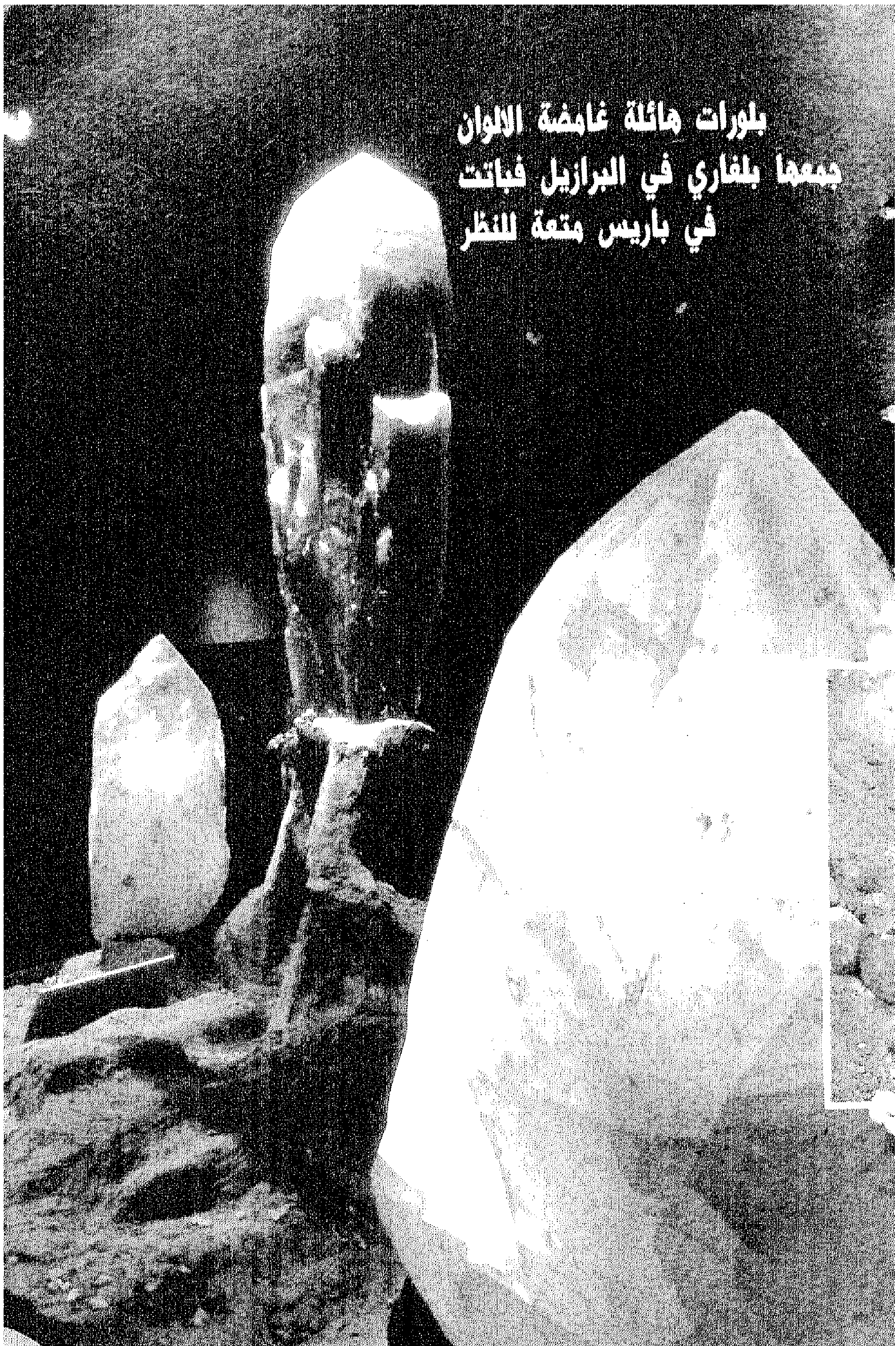
Schubnel



P. Hinous / Top



زوار المتحف الباريسي يلجون عالما آخر زاخرا بالحجار الكريمة العملاقة والموسيقى الغريبة.
والى اليمين بلورة تزن ٦٧٠ كيلوغراما، والى اليسار حجر كوارتز يزن ٨٢٠ كيلوغراماً. ويبدو إيليا ديليف (فوق) يتفحص الكوارتز في ميناس جيريس بالبرازيل.


بلورات هائلة غامضة الالوان
جمعها بلغاري في البرازيل فباتت
في باريس متعة للنظر

المستخرجة من منحدرات التلال وضفاف الانهر التي تكتنفها الادغال في عمق البرازيل، وحوّلت كسراً صغيرة.

كان إيليا في طفولته قرأ الكثير عن البرازيل في كتب الجغرافيا، وعزم على أن يجد طريقه ذات يوم الى تلك الارض الغامضة. وحالما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها غادر بلدته قرب البحر الاسود خالي الوفاض لا يملك مالا ولا متاعاً. وراح يتنقل من بلد الى آخر ويسدّ رمقه من أعمال مختلفة، الى أن انتهى به المطاف عام ١٩٥٧ الى ضفاف نهر الامازون وكان في السادسة والثلاثين من عمره.

وبحكم عمله مع فريق تنقيب عن النفط وهو في طريقه الى البرازيل، تعلم إيليا القواعد الاساسية لعلمي طبقات الارض (الجيولوجيا) والمعادن، وأتقن فن البقاء في البراري الاستوائية، كما اكتسب بعض المعرفة بتجارة الالماس. وهيأته خبرته لنمط الحياة الذي انغمس فيه وهو تجارة الحجار الكريمة. وقبل أن يصل في النهاية الى ولاية ميناس جيريس شمال ريو دي جانيرو كان عليه أن يقطع ألوف الكيلومترات على متون طائرات مترنحة وعلى ظهور حمير نشطة. لكنه وجد عند وصوله ان مئات الالوف من الـ"غاريمبيروس"(★) أو عمال المناجم

(★) garimpeiros نسبة الى garimpo وهي كلمة برتغالية تعني منجماً صغيراً حفر بالايدي.



دبليف بين حجرين من الحمشت يزن كل منهما ٧٠٠ كيلوغرام.

سبقوه اليها بحثاً عن كميات هائلة من الحجار الكريمة كانت مبعثرة هنا وهناك بفعل تأكل الصخور القديمة.

وسرعان ما أصبح إيليا موضع ثقة الجميع، وهو الرجل المقدام والنشيط والاجتماعي. كانوا يحترمون موضوعيته في تخمين الحجار ووفاءه لالتزاماته وحفظه لكلمته.

ولما كان الغاريمبيروس لا يتعاملون الا بالاموال النقدية ويرفضون الحوالات المصرفية، فقد كان على ايليا، مثل أي متاجر بالحجار الكريمة في ميناس جيريس، ان ينقل معه مبالغ كبيرة من المال. وهكذا أصبح منظره مألوفاً وفي وسطه مسدس من نوع "وسون وسميث" عيار ٣٨.

قصص مثيرة — تتراوح أعمار الصخور في هذا الجزء من البرازيل بين ١،٣ مليار سنة ومئتي ألف سنة. وهي تكونت عندما بدأت الصُهارة (magma) في باطن الارض تشق طريقها الى السطح لتتجمد وتصبح الصوان (الغرانيت) الصلب الذي هو مزيج من بلورات الكوارتز وسليكات الالمنيوم (الفلسبار) والميكا. وقبل أن تتجمد هذه المادة ينبعث منها خليط ناري من المعادن والغاز يتسلل الى الشقوق والتجاويف في الكتل المحيطة بها ويملأها، ولا يلبث بدوره أن يبرد ثم يتجمّد مكوّناً صخوراً تدعى بغماتيت

Photo: Gonthier

تتشكل فيها البلورات وتبلغ أحجاماً أكبر من تلك التي تتكون في الصوان.

وللبلورات أشكال هندسية محددة في الطبيعة. وهي تتكون أثناء تحوّل المادة من حالة السيلان الى حالة التجمد إذا ما توافرت لها ظروف خاصة وشروط محددة كدرجة معينة من الحرارة والضغط. والذي يحدث هو أنه في لحظة التبلور تلتصق الجزيئات في خطوط منتظمة تتلاقى لتشكل زوايا ثابتة تؤلف مجسّماً متعدد السطوح. وهناك نحو ثلاثين شكلا يمكن أن تتخذها المجسمات وفقاً لعدد السطوح وشكلها ودرجة انفراج الزوايا التي تلتقي فيها.

وفي البدء تكون حبة البلور صغيرة بحيث لا تمكن رؤيتها حتى تحت المجهر. على أن هذه البلورات، اذا ما توافرت لها بعض الشروط الثابتة، يمكن أن تنمو وتكبر محتفظة بشكلها ثابتاً وبدرجة انفراج زواياها التي تظل هي أيضاً ثابتة لا تتبدل. ويحصل النمو بالتصاق جزيئات جديدة بالمجسم. وهذا لا يتم إلا إذا توافرت الظروف المؤاتية من ثبات في الحرارة والضغط داخل المناجم المدفونة في جوف الارض. عندئذ فقط يمكن أن تبلغ قطعة البلور حجم حبة البازيلاء أو ربما حجم كرة القدم. واذا ما استمرت الظروف ذاتها لملايين السنين، فقد تبلغ القطعة حجم سيارة جيب.

وكسواه من تجار الحجار الكريمة سمع إيليا ديليف قصصاً مثيرة عن حجار هائلة الحجم، لكنه لم يكن رأى أياً منها. حتى كان العام ١٩٦١ وديليف في بلدة غوفرنادور فالادارس في ولاية ميناس جيريس. ففي أحد الايام توقفت بالقرب منه شاحنة كبيرة قفز منها غاريمبيرو كانت تربطه به معرفة سابقة. وأشار الغاريمبيرو الى حمولة الشاحنة وقال: "هناك شيء أريدك أن تراه."

هادث مأسوي – بعد انقضاء عشرين سنة على هذا الحادث ما زال ديليف يصف تلك اللحظات بأنها الأهم في حياته لما حملته اليه من مشاعر وأحاسيس. لقد انتابه شعور بالرهبة وأحس أن مجرى حياته كلها تغيّر. تسمّرت عيناه على هرم من الكوارتز البلوري المدخّن البني اللون بلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار ووزنه نحو سبعة أطنان. كان ديليف ولا ريب أمام احدى عجائب الطبيعة.

وقف مشدوهاً معقود اللسان. ومع أنه كان مستميتاً للحصول على القطعة فانه طلب مهلة يومين للتفكير نظراً الى المبلغ الخيالي الذي طلبه الغاريمبيرو ثمناً لها. وأمهله الرجل كما طلب. وفي الليل راحت الافكار تتلاطم في رأسه الى أن قرّ رأيه على أن الثمن المطلوب لم يكن غالياً، بل انه كان متدنياً. وأقنع نفسه بأن الحجر من الداخل صاف وشفّاف بخلاف لونه الخارجي الذي كان بنياً أدكن بسبب تسرّب أوكسيد الحديد اليه. وشفافية اللب وصفاؤه خاصتان نادرتان تزيدان قيمته وتضاعفان ثمنه. ولشدة اقبال الصناعات الحديثة على شراء بلورات الكوارتز الصغيرة لاستخدامها في مجالات شتى، من الحلى النسائية وساعات اليد الى الاقمار الاصطناعية، حسب ديليف أن في وسعه تحويل تلك الصخرة الهائلة الى

مئات الالوف من البلورات الدقيقة وتصريفها في السوق. فتناول مطرقة وانهال عليها ضرباً. وكم كانت خيبته كبيرة عندما بلغ قلبها الكريم فوجده بني اللون أكمد.

كان ذلك حادثاً مأسوياً بالنسبة الى ديليف الذي اعتبر أن العالم حُرم، من دون أي مبرر، قطعة ذات جمال فريد. لكن الحادث على رغم مرارته أعطى حياته رسالة: التفتيش عن مثل هذه البلورات وحمايتها. وأثناء تجواله في البرازيل لم يكن سراً على أحد أنه في السوق لشراء قطع البلور العملاقة غير الممسوسة.

وأخذت مجموعته تنمو تدريجاً. ولم يكن الامر سهلا على الاطلاق لانه لم يقتصر على العثور على الحجر العملاق، بل اقتضى تحريره برفق وانتزاعه من بين الصخور المحيطة به ثم نقله مسافة مئات الكيلومترات على طرق وعرة. وتحرير الحجر لا يتمّ بنجاح الا في ظروف جيولوجية خاصة. فوجوده مثلا على سطح الارض لعشرات آلاف السنين يعرّضه للتأكل ويجعله سريع التفتت بمجرّد تحريكه. واستخراجه من جوف الارض يستدعي تفجيره ممّا يشوه شكله وينتقص من كماله. لهذه الاسباب اقتصرت الحجار التي جمعها ديليف على تلك القريبة من سطح الارض والمحاطة بصخور متأكلة وغير متماسكة مما يسمح بتحرير الحجار الكريمة من دون المساس بجودتها وأشكالها الاصلية.

افتتان باريسي – لسنوات طويلة ظل ديليف المتحمّس الوحيد لهذه الحجار. فلا المتاحف ولا جامعو الحجار الهواة أبدوا أي رغبة في اقتناء تلك البلورات العملاقة. وفي العام ١٩٧٤ التقى ديليف القيّم على مجموعة الصخور في المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي في باريس واسمه هنري جان شوبنل. كان لقاؤهما في أحد أكبر معارض العالم للحجار الكريمة وشبه الكريمة المقام في مدينة بيلو هوريزونتي بولاية ميناس جيريس. وفي هذا اللقاء قبل شوبنل دعوة ديليف الى زيارته في غوفرنادوس فالادارس التي لا تبعد كثيراً عن المكان الذي جمعهما. وكانت المفاجأة في انتظار شوبنل.

كان شوبنل زار معظم متاحف الحجار الكريمة في العالم وبات مطّلعاً على أفخم معروضاتها، مثل قطعة التوباز الذهبية في المتحف الامريكي للتاريخ الطبيعي في مدينة نيويورك التي يبلغ وزنها ٢٧٠ كيلوغراماً، وقطع البريل الاربع في معهد المناجم في لينينغراد التي يبلغ وزنها مجتمعة ١٧٠٠ كيلوغرام. لكنه لم يكن رأى ما يشبه مجموعة ديليف من حيث الحجم والتنوع والكثرة.

"درجت المتاحف على اعتبار القطعة التي يزيد وزنها على خمسين كيلوغراماً بلورة عملاقة. وليس في مجموعة ديليف بلورة واحدة يقل وزنها عن مئة كيلوغرام." هذا ما قاله شوبنل وهو يتأمل القطع المعروضة.

وكلّما تمعّن شوبنل في تلك المجموعة امتلأ كيانه افتتاناً شبيهاً بذلك الذي تملك ديليف. وشعر بانه لن يسعد في حياته ولن يهنأ له عيش ما لم ينقل تلك

البلورات الى باريس. على أن اقناع الادارات المختلفة في باريس بالموافقة على هذا الامر استغرق نحو عشر سنين. ولم يتوافر المال الكافي لشراء ٧٨ قطعة من أجود ما تضم مجموعة ديليف وشحنها عبر الاطلسي الا في منتصف العام ١٩٨٣.

سعي لا ينتهي – أصرّ ديليف على توضيب كنوزه بنفسه. واقتضى حشرها في صناديق صنعت خصيصاً لها من خشب الماهوغاني البرازيلي عمل عشرة رجال لمدة ثلاثة أشهر. بعد ذلك تمّ شحنها بحراً الى روتردام في هولندا، ومن هناك نقلتها الشاحنات الى باريس حيث وصلت قبيل عيد الميلاد. وقد استحال ادخال احدى القطع من باب المتحف، وكانت من الكوارتز الاسود ويبلغ وزنها نحو أربعة أطنان. وهي ما زالت في حديقة المتحف عنواناً للحجار المعروضة في الداخل.

وتعاون الموظفون في المتحف على اقامة المعرض الفريد لتلك العمالقة الهشة. فدعموا الارض وصنعوا قواعد من الحديد لتستقر عليها الحجار وأقاموا لها مصاطب من الجص شبيهة بالصوان الذي كان يحتضنها في موطنها الأول وركزوا الاضواء بحيث تبرز أشكالها المميزة وألوانها المتوهجة.

وفي مارس (آذار) من العام ١٩٨٣ انتهت الاستعدادات وأصبح المعرض جاهزاً للافتتاح. ولقد ارتاده حتى الآن أكثر من ٦٠٠ ألف زائر. وهو سينقل في المستقبل القريب الى مقرّه الدائم في جناح خاص في المتحف. ومنذ افتتاحه ما فتئت حشود المتفرجين تضجّ في أرجائه مبهورة، ويتراكض الاطفال من جناح الى آخر وهم يتنقلون بين الزهور التي صنعت تويجاتها من حجر الميكا والبلورتين العملاقتين الملقبتين "كاستور" و"بولكس" وعيدان التورمالين السوداء المنتثرة كابر الصنوبر على طبقة من البلور الشفاف.

قد لا يكون هناك ثان لهذه المجموعة. فمعظم سطح الكرة الارضية تم تنقيبه، غير أن إيليا ديليف ما زال يبحث وينقّب. وهو سافر الى باريس ليشارك في حفلة الافتتاح ويتسلم من وزير التربية الفرنسي جائزة "سعف النخل" الاكاديمية تقديراً لانجازه.

واذا كنت تود رؤيته، فقد تجده في مكان ما في ولاية ميناس جيريس، وتحديداً في الاماكن الاشد قفراً، يسعى الى جوهرة جديدة ذات زوايا حادة وحجم أكبر من المعقول.

روبرت ورنك ■



نصيحة للخطباء

أصعب نصيحة يمكن أن يتذكرها خطيب هي ألا يهزّ رأسه بالموافقة عندما يكيل له عرّيف الحفلة المديح.

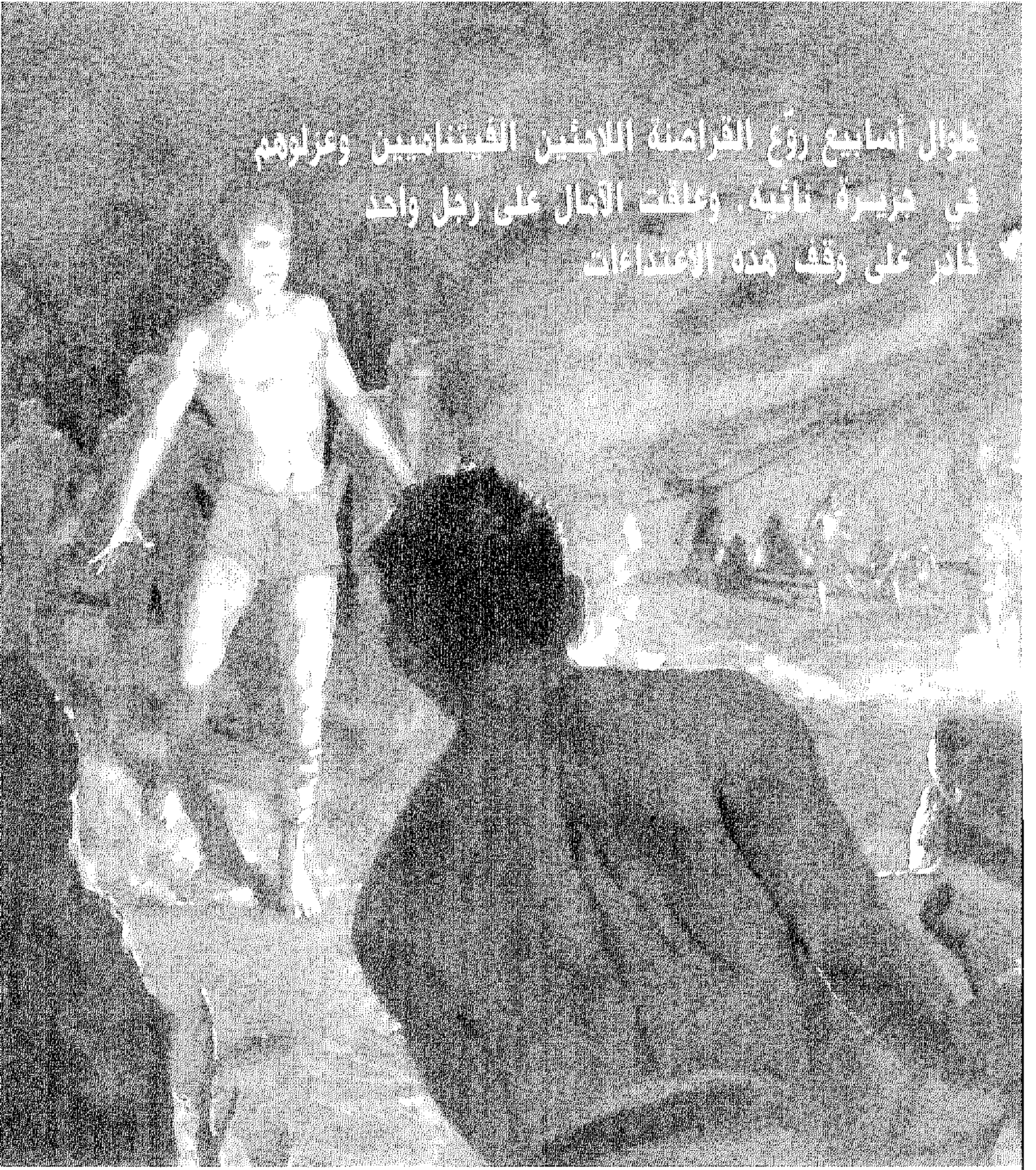
د.ب.

مأساة واقعية



يوم ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩ كان تيودور شفايتزر، وهو ضابط ميدان جديد في المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للامم المتحدة، يعمل في مكتبه في مخيم سونكلا للاجئين في جنوب تايلند. وهذا المخيم هو المقر الموقت للالوف من "سكان القوارب" الفيتناميين الذين هربوا من بلادهم. ولم يكن الاشراف عليه مهمة غريبة عن شفايتزر، وهو رجل متواضع ولطيف في السابعة والثلاثين من العمر، علّم الانكليزية في بانكوك قبل

Illustration: John Solie



ثلاث سنوات وتزوج امرأة تايلندية خلال تلك الحقبة. وساعده إتقانه اللغة التايلندية على الكفاح في وجه السلطات المحلية لتحسين الاحوال المعيشية للاجئين في مخيمه. لكن عمله بات على عتبة مرحلة جديدة.

ففي ذلك الصباح زاره قائد طوافة يعمل في شركة نفط وأبلغ اليه انه شاهد عشرات اللاجئين على جزيرة كوكرا الصغيرة الواقعة على بُعد خمسين كيلومتراً من الشواطىء التايلندية الشرقية. ولم يكن شفايتزر سمع بهذه

الجزيرة، لكنه سأل الطيار أن يحلق به فوقها في رحلة استكشافية. وبعد وقت يسير رأى من الجو رقعة من الجبال والأدغال والشواطىء المرجانية تمتد على مساحة ١،٣ كيلومتر مربع. هناك كان اللاجئون الغارقون في أسمالهم يستنجدون به ملوحين بأيديهم. وناشد شفايتزر الطيار أن يهبط، لكن هذا لحظ سفن قراصنة راسية قبال الشاطىء وجثثاً طافية على وجه المياه، فأجابه رافضاً: "لست مستعداً لتنفيذ مهمات قتالية."

ولدى عودة شفايتزر الى الشاطىء أقنع شرطة خفر السواحل بنقله الى جزيرة كوكرا في زورق آلي. وتمكنوا معاً من إنقاذ ١٥٧ رجلا وامرأة وطفلا.

وشده شفايتزر لقصص الرعب التي سردها اللاجئون. فقد هاجم القراصنة مراكبهم فنهبوها وسحبوها الى جزيرة كوكرا غير المأهولة ورموا ركابها في البحر وهم بعد على مسافة مئات الأمتار من اليابسة. وغرق سبعة عشر منهم فيما عزل الباقون وليس في حوزتهم سوى ثيابهم الرثة. وهنا بدأ الكابوس الحقيقي: نحو خمسين مركباً ملأى بالقراصنة راحت تصل يومياً الى كوكرا بغية اغتصاب النساء اللاجئات. ولقرون عدة كان كثير من صيادي الأسماك في تايلند وماليزيا يمثلون دور القراصنة. وفي العقد الماضي ازدادت أعمال القرصنة مع هجرة ملايين الفيتناميين في قواربهم الهزيلة.

وراحت شابة اسمها فو ثانه ثوي، وهي صحافية، تتوسل الى شفايتزر أن يعمل ما في وسعه لوقف اعتداءات القراصنة.

وقبل مغادرة كوكرا نقش أحد اللاجئين اسم شفايتزر وصفته في الأمم المتحدة وعنوانه على حائط منارة مهجورة. وبعد أسبوعين هرّب صياد أسماك عجوز رسالة استغاثة الى شفايتزر مفادها: "النجدة! نحن ١٧ لاجئاً فيتنامياً وصلنا الآن الى جزيرة كوكرا. حياتنا في خطر. أسرعوا الى عوننا." وفي الثالث من ديسمبر (كانون الاول) عاد شفايتزر الى الجزيرة على متن سفينة لخفر السواحل وأنقذ المجموعة المهددة. وبعد شهر واحد أنقذ ثمانين لاجئاً آخرين.

صراخ في الجزيرة - في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ أقلع شفايتزر في مهمة إنقاذية رابعة بعد معاينته مجموعة لاجئين من طوافة حلقت به فوق الجزيرة. لكن هذه المهمة اصطدمت بالمتاعب منذ بدايتها. فالطقس كان عاصفاً ولم تشأ الشرطة التايلندية المجازفة وسط الرياح الموسمية الشمالية الشرقية. وأخيراً استأجر شفايتزر مركب صيد قديماً مع طاقمه بخمسمئة دولار دفعها من ماله الشخصي.

وبعدما أعلم السلطات التايلندية بخطته أقلع عصر الرابع عشر من يناير (كانون الثاني) آملا الوصول الى الجزيرة صباح اليوم التالي. لكن الأمواج العاتية راحت تتقاذف المركب وتسيّره دائرياً. ولم يصل الرجال الى كوكرا إلا منتصف الليل التالي فطرحوا المرساة على بعد ٤٠٠ متر من الشاطىء ليتفادوا الاصطدام بالصخور الناتئة في المياه الضحلة. وحين أطفأ الربان محركات المركب ران سكون

مطبق على البحر فلم يعد يُسمع سوى صدى تكسر الأمواج.

فجأة شق سكون الليل صراخ صادر من الجزيرة. وجلس شفايتزر على ظهر المركب منهك القوى من جراء الرحلة الشاقة، وراح يصغي الى الصوت الى أن خفت ثم اختفى. وساورته فكرة واحدة: "عليَّ أن أفعل شيئاً." وبتهور جامح خلع ثيابه وغاص في المياه.

كان التيار جارفاً فأخذ شفايتزر يصارعه للوصل الى الشاطىء. ولكن عوض الاقتراب من البر لاحظ أنه يبتعد عنه. وقال في نفسه: "انني أنجرف الى عرض البحر!"

وجاهد يائساً للوصول الى نتوء صخري في الطرف الغربي للجزيرة، وهو الجزء الاخير من اليابسة تليه كيلومترات من مياه المحيط. وفي خضم صراعه اصطدم بجسم في الماء. وتجمد الدم في عروقه حين حدَّق الى وجه الجثة أمامه. ثم حملته موجة عملاقة وقذفته بعنف الى النتوء. وبأعجوبة تمكن من التشبث بسلسلة صخور.

وفيما الأمواج تنذر بجرفه الى البحر تسلق ١٥ متراً من المنحدر الزلق الى أن بلغ صخوراً أكبر. وسال الدم من رجليه وقبع هناك وهو يرتجف في انتظار بزوغ الفجر.

السجن المريع – مرت ساعة بدت كأنها سنة. وما لبث شفايتزر أن سمع أصواتاً قريبة. فصاح جامعاً قواه للوقوف: "مرحبا!" ورفع عينيه فاذا به امام رجلين فيتناميين يبتسمان له من أعلى الجرف.

وصرخ أحدهما بالانكليزية: "اخيراً خلصنا!" ثم رفعاه الى القمة بواسطة سروالين لفاهما كحبل، وضمدا جروحه بقميص بالية. وسألهما شفايتزر عن الصراخ الذي سمعه فأجاباه: "الاشرار هنا، وهم يعتدون على حرمات النساء."

واصطحبه الرجلان عبر الجهة الخلفية للمنحدر الى مرج قريب من الشاطىء الرملي حيث رأى نار مخيم. وحول النار جلس عشرات الشباب القساة وهم في حال من الخدر. انهم القراصنة! وأخبره الفيتناميان أنهم سلبوهما مصاغهما وكل مقتنياتهما الثمينة. وهنالك عجوز اقتلعت أضراسه الذهبية بكماشة ومفك براغي. لكن ما حمل القراصنة على البقاء هو النسوة اللاجئات. فقد حُوِّلت كوكرا سجناً مريعاً للاغتصاب والتعذيب.

ولجأ بعض النساء الى التلال المجاورة فيما حاولت أخريات الاختباء في العشب الكثيف العالي. لكن القراصنة عذبوا الرجال للبوح بأمكنة اختبائهن. ومرة أحرقوا العشب بغية إخراج النساء المذعورات. لكن صبية تركت النار تسفع ظهرها من دون أن تنبس بكلمة. وحين احترق العشب شاهدوها واعتدوا عليها. وقبع شفايتزر هناك وهو يتفرج هَلِعاً. وسأل الفيتناميين: "أين بقية الرجال؟" فأجاباه انهم مختبئون. فطلب منهما أن يرشداه الى مخبئهم.

وبعد ساعة قاد شفايتزر "فرقة" من ٣٥ فيتنامياً أنهكهم الجوع. وتقدم الجميع بحذر نحو مخيم القراصنة وهم يسندون بعضهم بعضاً كي لا ينهاروا.

ولدى رؤيتهم الرجل الغريب وقف

القراصنة مترنحين وهم يلعنون ويشتمون. وصاح شفايتزر معلناً باللغة التايلندية انه من الأمم المتحدة: "كل هؤلاء القوم هم في حمايتي. فاذا غادرتم الآن فلن أضطر الى اعتقالكم."

ووقف نحو خمسين قرصاناً في مواجهة شفايتزر واللاجئين. وتجهم وجه شفايتزر حين رأى أجسادهم المخططة بالندوب وعضلاتهم المفتولة نتيجة حياتهم الصعبة في البحار. وتقدم نحوهم بتردد.

لوَّح القراصنة بمجموعة أسلحة راوحت بين البنادق والمطارق والفؤوس والقضبان المعدنية. وصرخوا: "عد أدراجك! عد أدراجك!"

وتسمَّر شفايتزر في مكانه مع الفرقة التي جمعها. وادرك انه اذا لم يتحرك بسرعة الآن فقد ينقهقر الرجال الذين تبعوه ويعودون الى الغابة. وفكر: "ليس في وسعي إظهار بادرة تنم عن ضعف، وإن فعلت فأنا في حكم الميت."

وكرَّر نداءه: "أنا ممثل للأمم المتحدة! واذا قتلتموني، فسيسعى العالم بأسره الى تصفيتكم."

وضحك القراصنة، إلا أن بعضهم أخذ يتراجع. وهذا ما رفع معنويات اللاجئين فاندفع عدد منهم واشتبكوا بالايدي مع القراصنة.

وصاح شفايتزر: "توقفوا! عودوا الى أماكنكم!" لكن الأوان كان فات.

واستدار القراصنة نحوهم وباشروا هجومهم.

وبضربة واحدة من قضيب معدني فتح قائدهم جرحاً بالغاً في رأس شفايتزر. وطرحته الضربة الثانية أرضاً من دون حراك. وعلى رغم دواره أحس ركلات متتالية تنهال على معدته وأنحاء جسمه. وما لبث أن أغمي عليه.

"يجب انقاذ الجميع" – عندما استعاد شفايتزر وعيه فجراً كان القراصنة رحلوا. لكنه رأى سفنهم تتحرك ببطء قبالة الشاطىء. وانطرح اللاجئون على رجليه متوسلين اليه كي يخرجهم من الجزيرة، إذ أدركوا أن المعتدين لا بد راجعون.

ونظراً الى ضيق الوقت صاح شفايتزر في اللاجئين الهائجين: "اهدأوا! ونفِّذوا ما أقوله لكم."

وانحصرت أولى مهماتهم في جمع النساء والأولاد المختبئين. وكان شفايتزر يعرف بضعة مخابىء اكتشفها في رحلاته الانقاذية السابقة، ومنها كهف صخري تغمر مياه البحر جزءاً منه. ففي مهمته الأولى عثر على فتاة وقفت طوال ثمانية عشر يوماً في مياه غمرتها الى الخصر، وقد نهشت سراطين البحر قطعاً من لحمها. ولدى رؤيتها لم يتمالك شفايتزر نفسه فبكى. وها هو الآن يجد المزيد من النساء في الكهف وبعضهن لا يقوى على الحراك. فبادر الى نقلهن على ظهره من الجبل الى الشاطىء.

وبشر شفايتزر اللاجئين: "معي قارب ينتظرني في عرض البحر." وبعدما قسمهم ثلاث فئات – رجال يتقنون السباحة، ورجال لا يسبحون، ونساء وأطفال – رتبهم بحيث يكون هناك سباح الى جانب كل شخص آخر لا يسبح.

ثم بدأت عملية سباحة مرهقة في

مأساة صامتة

ما زال القراصنة يجوبون خليج تايلند وبحر الصين الجنوبي بحثاً عن طرائدٍ من الرجال والنساء والأطفال الذين يجازفون بالهروب من فيتنام في قوارب متداعية.

ففي النصف الأول من العام ١٩٨٥ تمكن ٣٤١ قارباً من مغادرة فيتنام والوصول الى تايلند وماليزيا وقد اكتظ على متونها ٦١٠١ لاجىء. وتعرض نحو ثلث هذه القوارب لهجمات القراصنة. وقتل ٣٧ راكباً وخطف ٧٤ واغتصبت ٦٨.

ولن يعرف أبداً كم قارباً قصر عن الوصول الى الحرية. وجل ما نعرفه أن القراصنة يجهزون على الرجال بعد نهبهم ثم يغتصبون النساء. وفي ٢٤ مارس (آذار) ١٩٨٥ تسلل قارب من كان ثو في فيتنام وعلى متنه ١١٧ راكباً بينهم ٣٦ طفلا دون العاشرة. وبعد أربعة أيام هاجمتهم خمسة مراكب للقراصنة ولم ينجُ من الموت سوى رجل واحد.

وعلى رغمِ أن خفر السواحل التايلندي كثف دورياته الجوية والبحرية فان القراصنة ما زالوا يتمتعون بحرية كبيرة في الحركة اذ انهم ينشطون في المياه الدولية الواسعة. ومن أصل ٣٢٤٧ حادث قتل وخطف واغتصاب سجلت بين ١٩٨١ وسبتمبر (ايلول) ١٩٨٥ لم تصدر أحكام قضائية الا في ٣٢. وما زال العالم يتجاهل هذه المأساة المستمرة.

اتجاه قارب الصيد المستأجر. وتشكلت سلاسل بشرية، فكان شفايتزر أو أي سباح آخر يسحب امرأة تحمل بدورها ولداً.

وما ان أوصل شفايتزر طلائع اللاجئين الى القارب حتى خيل إليه أنه رأى سفينة قراصنة تقترب. وفكر: "هل أكتفي بمن أنقذت وأغادر المكان؟ لا، يجب انقاذ الجميع!"

ولاحت في الأفق سفينة أخرى. لعلها سفينة قراصنة! ولاحظ شفايتزر أعلامها، انها لخفر السواحل التايلندي. "شكرا لله، سنتمكن من النجاة!"

ونجوا فعلا على رغم أن قاربهم جنح على بعد ١٦٠٠ متر من البر، وهم تحملوا اثنتي عشرة ساعة أخرى من الرعب وسط سفن القراصنة. وفي نهاية المطاف حملتهم موجة عالية الى شاطىء الأمان. وهكذا بفضل الجهود الجبارة التي بذلها شفايتزر تمكن ٨٨ لاجئاً آخرون من الخروج أحياء من أهوال كوكرا.

فخر الانجاز – في غضون الاشهر الأربعة التالية عاد شفايتزر الى الجزيرة أكثر من عشرين مرة بمعدل عملية إنقاذ واحدة في الأسبوع. وهو ساهم في تخليص ١٢٥٠ لاجئاً وتعرض للضرب مرتين وللطعن واطلاق النار وهدد بالموت غير مرة. وفي

إحدى العمليات ركله قرصان على كليتيه فتدفق بول أحمر على سرواله من دون أن يقدر على إيقافه. وأسقطت زوجته مرتين بفعل الخوف، وهددت ابنته بالخطف. واضطر شفايتزر الى العمل بمفرده في كثير من الأحيان إذ رفضت السلطات الاعتراف بخطورة مشكلة القرصنة.

وأخيراً في مايو (أيار) ١٩٨٠ وافق شفايتزر على نقله الى وظيفة مكتبية في جنيف بسويسرا. وتدهورت صحته على نحو مقلق. فكان يصحو كل ليلة على كابوس وهو يتصبَّب عرقاً بارداً. واضطر الى اجراء جراحتين طارئتين في كليتيه.

وعلى رغم ذلك شعر شفايتزر بفخر الانجاز. فالى إنقاذه اللاجئين استطاع إقناع الأمم المتحدة بشراء معدات للانقاذ تتيح لسواه متابعة ما بدأه. كما حاز "الشكر العميق" و"التقدير الشخصي" للسيد بول هارتلينغ مفوض الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين الذي قدم اليه نسخة عن جائزة نوبل للسلام التي منحت للوكالة عام ١٩٨١.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ عاد شفايتزر الى تايلند، ولكن ليس الى سونكلا حيث هو مهدد بالموت. الا انه متشبث بفعل ما أمكن، لانقاذ سكان القوارب من سطو القراصنة. وهو أسس لهذه الغاية منظمته الخاصة بمكافحة القرصنة وهدفها تأمين منطقة "نظيفة" عبر خليج تايلند باستخدام الطوافات والقوارب السريعة والطائرات البحرية. وحتى الآن يعوق نقص التمويل هذا البرنامج، لكن شفايتزر يأمل أن الاعفاء من الضرائب الذي حصل عليه من الحكومة الأمريكية سيزيد المساهمات المالية.

في العام ١٩٨٣ قدمت الى شفايتزر جائزة استحقاق من منظمة للّاجئين الفيتناميين تدعى "لجنة انقاذ سكان القوارب" ومركزها الولايات المتحدة. وتوسّط لمنحه هذه الجائزة مواطنان من سان دييغو بولاية كاليفورنيا هما فو ثانه ثوي الصحافية الشابة التي أنقذها في مهمته الأولى وزوجها دونغ فوك الذي أنقذه شفايتزر كذلك.

وتقول فو ثانه ثوي: "لولا السيد شفايتزر لقضينا في جزيرة كوكرا. ولن نتمكن ما حيينا من وفائه حق جزائه."

وفي مدينة في جنوب فرنسا يترعرع صبي ولدته امرأة أنقذها شفايتزر من الكهف المائي في كوكرا. وقد سمته تيودور.

كلارك نورتون وهوارد كون ■



الصندوق والثقب الضيق

خصص رب العمل صندوقاً لتلقي الاقتراحات من مستخدميه، على أمل تخفيف التوتر الذي قد يعقب تغير نهج العمل. وسرعان ما ظهرت قدرة المستخدمين على تخفيف التوتر، اذ وجدت في الصندوق ورقة أدخلت الثقب وبقي نصفها خارجاً وكتبت عليها النصيحة الآتية: "اجعل هذا الثقب أوسع قليلا."

ل.أ.

دراسة أجرتها جامعة هارفارد على مدى ٤٠ سنة أظهرت أهمية العمل في مرحلتي الصبا والطفولة وتأثيره في مستقبل الفرد

كيفَ تربّي طِفلاً سَعيْدًا

حين كان جون وبيتر في سن الطفولة كان اترابهما يرثون لحالهما. فقد ألزمهما والداهما القيام بأعمال مختلفة مثل اقتلاع الاعشاب البرية في الحديقة وتنظيف المرأب ورمي القمامة. وعندما كبرا أخذا يبيعان الصحف ويجزان الاعشاب في حدائق الناس. وكان آباء آخرون يهزون رؤوسهم استنكاراً ويبدون ملاحظات مؤداها أن العمل الدائب من دون لعب يجعل الطفل بليداً.

ولكن حين أدرك هذان الولدان سن البلوغ تبين أنهما يتفوقان على اترابهما. كانا يحصلان على مال أوفر ورضا أكثر من عملهما. كما كانا أكثر نجاحاً في حياتهما الزوجية وعلاقاتهما



Illustration: Paul Vaccarello

بأولادهما، وأوفر صحة وأطول عمراً. وأهم من كل ذلك أنهما كانا اسعد من الآخرين... أسعد كثيراً.

هذه هي الحقائق البارزة التي كشفتها دراسة بدأت في الاربعينات واستغرقت أربعين سنة، وهي قد تعيننا في تنشئة أطفال أوفر سعادة.

بدأت الدراسة بهدف فهم أسباب الانحراف السلوكي لدى الاطفال وتابعت نمط حياة ٤٥٦ صبياً مراهقاً يقطنون الاحياء الداخلية في مدينة بوسطن بولاية ماساتشوستس. وكان كثيرون منهم أبناء عائلات فقيرة أو ابناء ازواج. وحين أجريت مقارنة بين هؤلاء حين بلغوا منتصف العمر بانت حقيقة بارزة: بصرف النظر عن مستوى الذكاء والدخل العائلي والخلفيات العرقية ودرجة العلم كان الاولاد الذين تولوا أعمالا في صغرهم، وان أعمالا منزلية بسيطة، يتمتعون بحياة أكثر سعادة وأوفر انتاجاً من اولئك الذين لم يقوموا بأي عمل.

يقول جورج فايانت الطبيب النفساني في كلية دارتموث بولاية نيوهامشاير الامريكية الذي اكتشف هذه الحقيقة عندما كان في كلية الطب في هارفارد: "تفسير ذلك ليس بالامر العسير. فالاولاد الذين كلفوا أعمالا سواء في المنزل أو في المجتمع اكتسبوا مقدرة وأضحوا يشعرون بأنهم مؤهلون ليكونوا أعضاء ذوي أهمية في المجتمع. وبما أنهم شعروا بأنهم صالحون فقد اعتبرهم الآخرون كذلك."

الدكتور جون اوبدزنسكي من مركز العائلات والاولاد في كورت ماديرا بولاية كاليفورنيا يوافق على هذا الرأي. وقد تبين له أن الاطفال، حتى في السن الخامسة، يفيدون من أداء خدمات منزلية صغيرة ويقول: "ذلك يشعرهم أنهم يساهمون في امر ما وأنهم ذوو أهمية للعائلة."

ودراسة فايانت هي احدى الدراسات الاولى التي تابعت حياة مجموعة من الذكور على مدى تلك الفترة الطويلة. وقد أجريت المقابلات في السن الخامسة والعشرين والحادية والثلاثين والسابعة والاربعين. ولم يكن الباحثون العاملون في اشراف فايانت على معرفة بشيء عن حياة الافراد الذين شملتهم الدراسة. وهم قارنوا بين صحتهم العقلية في مرحلة الرجولة ونشاطاتهم في مرحلة الصبا. وأعطيت علامات على الاعمال التي أديت بدوام جزئي وعلى الاعمال المنزلية والنشاطات الاضافية في المدارس والالعاب الرياضية والانجازات المدرسية المتعلقة بمؤشر الذكاء(★) والقدرة على مواجهة المشاكل.

والصلة بين ما قام به هؤلاء من أعمال في صغرهم وما آلوا اليه في بلوغهم جاءت مثيرة حقاً. فالذين كانوا الأعلى على سلّم النشاطات في طور الصبا كان حظهم ضعفي حظ سواهم في اقامة علاقات حميمة مع فئات مختلفة من الناس وخمسة أضعاف في الحصول على دخل جيد وأقل بـ١٦ مرة في البقاء عاطلين عن العمل. ومن جهة اخرى فان الذين عملوا أقل في الصغر كانوا أكثر تعرضاً بمدى بعيد للتوقيف لاسباب

(★) Intelligence Quotient «I.Q.»

أمنية، وزاد احتمال اصابتهم باعتلال عقلي عشرة أضعاف، وكانت الوفيات بينهم أكثر بنسبة ستة أضعاف. واكتشف الباحثون كذلك أن مؤشر الذكاء ومقدار الجهد المدرسي والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للعائلة لم تؤثر حقيقة في صيرورة الاطفال في كبرهم.

ولكن هل ان أنماط حياة الاطفال الذين ولدوا اثناء الازمة الاقتصادية التي ألمت بالولايات المتحدة (بين ١٩٢٩ و١٩٣٢) حين كان عمل الاولاد ضرورة عائلية، يمكن ان تعطينا فكرة حقيقية عن تنشئة أولاد سعداء في زمن البحبوحة في الثمانينات؟

يقول فايانت: "أعتقد أن المبادىء عينها تنطبق على هذه الايام." ويدعم رأيه العالم النفساني هـ. ستيفن غلين الذي يعلن أن الآباء الذين "يؤدون كل شيء" عن أولادهم يضرون بهم في الواقع. ويقول: "كثيرون من الاولاد يدركون قيمة هذه القاعدة السلوكية. وقد اوضح ولد في الحادية عشرة هذا الامر بطريقة جميلة حين قال لامه: ما عليك سوى أن تعرفي ثلاث حقائق عن الصغار: لا تضربيهم كثيراً، ولا تؤنبيهم كثيراً، ولا تخدميهم كثيراً."

وهنا ست قواعد يجب أن يتذكرها الآباء حين يكلفون أولادهم القيام بأعمال منزلية:

١ ـ أظهر الأهداف الحقيقية.

الغاية من الاعمال المنزلية ليست انجاز مهمات مرهقة فحسب أو حتى تعليم الصغار "كيف يعملون". فالاطباق النظيفة البرّاقة والاسرّة الممهدة أقل أهمية من تنمية روح المسؤولية والاستقلالية وتقدير الذات والثقة والمقدرة، وهذه هي ركائز الصحة النفسية. كما ان الاعمال المنزلية تساعد الطفل على ادراك أن الناس ينبغي أن يتعاونوا ويعملوا من أجل أهداف مشتركة. وأقدر البالغين هم الذين يعرفون كيف يحققون ذلك.

٢ ـ ابدأ باكراً

ان الحافز لـ"مساعدة ماما" يبرز حين يبدأ الطفل المشي. فالطفل في الثانية من عمره يمكنه أن يبحث عن أشياء ويحملها أو حتى أن يفرز الثياب بعد غسلها، وهذا يعلّمه أيضاً التمييز بين الالوان والاحجام. وفي الرابعة أو الخامسة يمكنه أن يفهم توجيهات بسيطة ويؤدي خدمات صغيرة، وينتظر منه أحياناً أن يخبىء ألعابه وينتقي ثيابه ويرفع الاطباق التي أكل فيها. وفي السابعة قد يرقى لتحمل المسؤوليات العائلية. وأول مهمة مناسبة هي اعداد المائدة.

أحد العلماء النفسانيين بدأ مبكراً بتدريب أولاده على الاعمال المنزلية في رحلات استجمام كانت العائلة خلالها تقطن خيمة في الخلاء. وهو يقول: "في موقع المخيم وفرة من المهمات البسيطة التي تنبغي تأديتها، مثل جمع الحطب ورمي القمامة وكنس الارض. حتى طفلتنا ذات الاعوام الثلاثة استطاعت غسل الاطباق، لان اسقاط طبق معدني لم يكن أمراً ذا بال. وحين بلغت السن التي تؤهلها لغسل الاطباق في البيت كانت تعرف كيف تقوم بالمهمة."

لا تدفعوا اطفالكم الى انجاز مهمات تتخطى مهاراتهم. المهمة الجديدة يجب أن تنطوي على تحد، ولكن ينبغي كذلك أن تتيح للطفل أن يشعر برضا الانجاز. واذا شعر الاطفال بالاحباط فقد يحجمون عن المحاولة ثانية.

٣. ضع معايير واقعية. من الواضح أن الراشد يستطيع انجاز العمل على نحو أفضل مما يفعل الطفل. اذاً قاوم الرغبة في أن تؤدي العمل بنفسك أو تكمله. فمن شأن ذلك أن يضعف احساس الطفل بمقدرته وقيمته الشخصية.

الطريقة الفضلى لتعليم الطفل كيف يؤدي عملا ما هي التكرار البسيط. أره كيف يجدر به أن يفعل. عاونه في ذلك، ثم أتح له أن يقوم بالعمل لوحده. كن حاضراً لتقديم النصح ولكن لا تسارع الى التدخل. لا تتدخل اذا شاء طفلك أن ينجز العمل بطريقته الخاصة. واذا قلت له: "انا دائماً أنفض الغبار قبل تمرير المكنسة الكهربائية،" فمن شأن ذلك افهامه أن جهوده الخاصة لم تكن ذات قيمة.

لكن هذا لا يعني التغاضي عن التهاون. فاذا لم ينجز الطفل عملا يتفق وقدرته فيجب الاصرار على انجازه على النحو الصحيح. حدد للطفل مهلة لانجاز المهمة ولكن من دون لجاجة. مثلا: اذا لم توضع الاطباق على المائدة عندما يحين موعد الغذاء يمكنك ابداء ملاحظة حازمة في أن ثمة أشخاصاً آخرين ينتظرون.

٤. لا تلجأ الى الرشوة. ان أفضل أجر يؤدى في مقابل عمل هو الابتسامة أو الضمة الحميمة أو كلمة "شكراً". كما ان اعلام الآخرين بمدى اعتزازك، على مسمع من الطفل، هو شكل آخر من المكافأة.

ويجب أن يعطى الاطفال مصروفاً للجيب (خرجية) على ألا يصبح ذلك بمثابة أجر. ان دفع مكافأة للطفل على العمل الذي يجب أن يقوم به لا ينطوي على مغزى الرشوة فحسب، بل يوحي له أن المهمة التي اداها لم تكن ذات قيمة في ذاتها. فالطفل الذي تدفع له مكافأة لتمهيد أغطية سريره يبدأ التفكير في أن من الواجب أن يدفع له أجر كلما التقط جواربه.

ولا ضير في دفع مكافأة على مشروع محدد. ولقد شاء أحد خبراء نمو الاطفال أن يطلي سور بيته وطلب من ابنته أن تحدد الاجر في مقابل ذلك. وقدرت الفتاة ساعات العمل التي يقتضيها انجاز المهمة ثم اتفق الاثنان على الاجر. ومن بين الدروس الاخرى التي تعلمتها الفتاة كيف تحسب قيمة جهودها وكيف تجري مساومات.

٥. ادعم العمل "الخارجي". ان اقتلاع الاعشاب البرية من الحدائق ورعاية اطفال في غياب ذويهم وتوزيع الصحف تساعد طفلك على تعلم طريقة العمل وفقاً لمتطلبات الآخرين، كما تعلمه الاستقلالية وتوفر له دروساً أخرى في تحمل المسؤوليات.

٦. لا تغال. العمل مفيد أما الارهاق فلا. ان تحمل واجبات كثيرة قد يؤثر في التحصيل العلمي للطفل وفي

نشاطاته الاجتماعية وسواها من مظاهر نموه الشخصي. ويورد الدكتور جون اوبدرنسكي حال فتاة في الرابعة عشرة من العمر كان والداها يعملان فتحملت هي أعباء المنزل ورعاية أخ عمره ١١ عاماً. ويقول: "بدا أنها على ما يرام في البداية. ولكن اذا تحدثت معها لبعض الوقت أدركت عمق كآبتها واستخفافها بقيمتها الذاتية." فالولد الذي يرهق بتحمل الاعباء قد يحسب نفسه عبداً وليس عضواً في عائلة.

ان العمل في أي سن أمر مهم، لكنه ليس كل شيء. ويشير فايانت الى أننا يجب أن نعنى بوضع العمل ضمن منظور انساني صحيح. ويقول: "قبل قرن ونيف لخص تولستوي دوز العمل في جملة واحدة: "في وسع المرء أن يعيش حياة سعيدة في هذه الدنيا اذا عرف كيف يعمل وكيف يحب، فيعمل من أجل من يحب ويحب ما يعمل."

ادوين كيستر الابن
وسالي فالنت كيستر ■

عاطل عن العمل

تقدم طالب عمل من مدير التوظيف في شركة مستفسراً عن طريقة ملء الجزء الخاص بأعماله السابقة في طلب الاستخدام. وشرح له المدير أن عليه أن يبدأ من وضعه الحالي ويعود الى الوراء في سرد الاعمال التي تسلمها. وحين لاحظ سمات الحيرة ترتسم على وجه طالب العمل قال له: "تقول مثلا انك عاطل عن العمل منذ شهر يناير (كانون الاول) ١٩٨٥، وأنك بين ١٩٨٣ و١٩٨٤ عملت خبازاً، وبين ١٩٨٠ و١٩٨٣ عملت ساعياً في شركة. وهكذا."

وبعد دقائق عاد طالب العمل الى المدير وقال له: "عفواً، أين قلت اني كنت أعمل عام ١٩٨٠؟"

أ.س.

بعد نصف قرن

قبيل الاقلاع صعد زوجان هرمان الى الطائرة وجلسا في آخر مقعدين خاليين: المرأة بجواري وزوجها في مقعد وراءنا. وأزعجها هذا الوضع فلم تنقطع عن الاستدارة الى الوراء لتخاطب زوجها. وأخيراً أوقف الرجل احدى المضيفات وهمس في أذنها.

عندئذ تحولت المضيفة الى المرأة وقالت لها مبتسمة: "طلب مني زوجك أن أعلمك أن هذا الانفصال بينكما هو على سبيل التجربة، وبما أنكما متزوجان منذ ٥٠ سنة فهو لا يعتقد أن هذه التجربة ستنجح."

وانقطعت الزوجة عن الالتفات الى الوراء.

هـ. م.

كتاب الشهر

رحلة الجبل الأحمر

بقلم فرنكلين رصل



رحلة الجبل الأحمر

لم تعرف غرينلاند في السنوات الألف الأخيرة جبلا جليدياً يضاهيه ضخامة. فهو في الواقع كتلة مخيفة غريبة الشكل تزن ٤٦ مليون طن وتشبه فأساً من العصر الحجري. وعندما ترسل شمس القطب الشمالي المنخفضة أشعتها عليه تراه متوهجاً بلون قرمزي كأنما النار مشتعلة فيه. ولقد اذهل جماله الرهيب كل من رآه وروّعت ضخامته كل من نظر اليه.

وفي هذه الرواية المثيرة التي تتناول سيرة كتلة جليدية هائلة يصف المؤلف فرنكلين رصل، العالِم بالتاريخ الطبيعي، العوامل الطبيعية في القطب الشمالي وأثرها في الجبل الأحمر الذي جاس البحار الشمالية ثم شق طريقه جنوباً الى مجاز جبل الجليد في موعد مع الموت

اتكأ سائق الزورق على مجذافه الى جانب أحد جبال الجليد، وبدا البحر حوله ضارباً الى الصفرة وقد انعكست عليه شمس منتصف الليل. وشاهد أمامه جداراً من جليد ينتهي اليه نهر الرينك الجليدي(١) الضخم. وظهرت تحت زورقه "حفرة الولادة" التي يبلغ عمقها أربعمئة متر ستسقط فيها يوماً كتلة الجليد التي يتكون منها الجدار.

وكان الرينك يدفع جليده الى البحر بمعدل ٣٥ متراً يومياً. وكان ذلك النهر واحداً من أشد الأنهار استعصاء على الملاحة في غرينلاند، تحجبه عن النظر جدران الخليج العميق الضيق الذي يجري اليه، تلك الجدران التي يبلغ علوها ثلاثمئة متر. وبدا الخليج مملوءاً بما تناثر من الجبال الجليدية التي انفصلت عن النهر. وكانت انشقاقات جديدة تدفع هذه الجبال الى الحقل الجليدي فالى مدخل الخليج، ومن ثم تتباعد لتصبح جبالا جليدية محيطية تظل مبحرة حتى تذوب كتلتها أو تتوقف التيارات المائية عن دفعها.

والواقع أن سائق الزورق، وهو منتج

---

(١) Rink Glacier

Illustration: David Willardson

بحر غرينلاند

غرينلاند

آيسلندا

تول

كيب
يورك

خليج ملفيل

نهر الرينك

خليج كنفردلوك

خليج بافن

أوماناك

صخور بافن

المحيط
الاطلسي

تيار غرب غرينلاند

جزيرة بافن

بحر لبرادور

تيار لبرادور

جبال
تورنغات

لبرادور

الشمال

جزيرة
نيوفاوندلاند

غراند بانكس

سينمائي تشيكي طاف في العالم بحثاً عن المناظر الطبيعية، كان يزمع أن يكون أول من يشهد انهيار جبل جليدي ضخم في هذا المكان النائي. وكان غادر قرية أوماناك، وهي جزيرة تقع في جنوب شرق منطقة الرينك وتبعد عنها مسافة ١١٣ كيلومتراً، وأخذ يجذّف عبر جبال الجليد المتعددة الألوان المندفعة ببطء نزولا الى المياه الواسعة في خليج أوماناك. ووجد نفسه إنساناً حراً في عالم ليس له نظير. ورأى الجليد يجاوزه عائماً وقد اتخذ شكل الأهرام أو الابنية الحديثة العملاقة. وبدت جبال الجليد زرقاء، بيضاء، رمادية. وكان بعضها المنفصل عن أسفل أنهار الجليد قد صبغ بلون أصفر استمده من وحول المنطقة الداخلية.

وكان أهل أوماناك حذّروا التشيكي من مقاربة الرينك فقال له شيخ القرية: "إن اقترابك منه ضرب من الانتحار لأنك ستقع في الشرك وتتحطم وتغرق ولن يكون في وسعنا إنقاذك." غير أن التشيكي كان قرأ أن أحد الرجال تمكن في الثلاثينات من الوصول وحده الى الرينك ثم رجع بعد مغامرات مثيرة في خضم من المد والجزر والزلازل والعواصف.

وعندما دخل التشيكي خليج كنغردلوك الذي يبلغ طوله خمسين كيلومتراً ويقع فيه الرينك، أخذ يتقدم متلوياً في الكهوف الزرقاء التي يتردد فيها الصدى عبر أهوار الشظايا الجليدية المنبعثة من أروقة جبال الجليد ذات الجدران المنحدرة والتي تبدو السماء من خلالها أشبه بكوة مستطيلة تعلو مئات الأمتار. وكان عليه أن يتسلق الكتل ويجر زورقه وينزلق في الأنفاق. وفي أثناء الليل كان الماء يتجمد حول زورقه والرعد يدوي فوق قمم الجليد العالية. وكان الحقل الجليدي يتقدم الى البحر على نحو مطّرد وهو يتمايل باضطراب أحياناً فيما تنسحق جبال الجليد وتتحول شظايا جليدية أو ترتفع بجملتها فوق المياه. ولا تلبث الانفجارات أن تملأ الفضاء ويتصاعد رذاذ الجليد كأنه ثلج خفيف أكمد.

وتذكر الرجل ما قيل له في أوماناك: "اذا وقعت في الشَرَك فلن يكون في وسعنا أن نجد جثتك."

ووصل التشيكي الى مياه "حفرة الولادة" بعدما أمضى أربعة أيام مضنية في الخلجان العميقة المتجمدة. وبدا جدار الرينك الضخم أكثر قتامة من خلال شمس منتصف الليل الباهتة التي انعكس نورها عبر الغيوم الفضية المنخفضة. وحين أنعم التشيكي نظره في ما حوله رأى لوناً ضارباً الى الحمرة منعكساً على المياه الصفراء المخضبة بالطين. وانحبست أنفاسه عندما أدرك أن الجدار العالي المحيط بجانبي الجليد المحمرّ بدأ يترجح متمايلا بحركة بطيئة مهيبة. ولم يلبث أن رأى كتلة ضخمة تضاهي في علوها "برج ايفل" الباريسي (٣٠٠ متر) تهوي ببطء الى الجهة الشمالية للخليج. ثم شاهد دفقاً من المياه البيضاء يندفع خلفها نحو النهر الجليدي.

وارتفعت أعمدة من البخار الأبيض خلف مقدم النهر المترجح وتوجهت نحو سحابة كثيفة منخفضة. وراح المطر ينهمر وحُجبت الرؤية. وخيّل إلى الرجل أنه يشاهد ومضات من البرق. وشرعت كتل

الجدار تتكسر منفصلة عن الكتلة الرئيسية القرمزية القاتمة. وأخذ الجليد الساقط في "حفرة الولادة" يرتفع ويتحرك ببطء فيما اندفعت الأبراج البيضاء الى عل يحرّكها نزوعها الطبيعي الى الطفو في الماء.

والحق أن روعة المنظر أعمت الرجل عن الخطر المحدق به. فهو ابتعد نحو ثمانمئة متر عن "برج إيفل" ومضى في اتجاه جدار النهر الجليدي. وراحت الأمواج المرتفعة تندفع نحوه، لكنه قدّر ان في وسعه ان يعوم عليها كالفلّين.

فجأة تحطمت الكتلة الحمراء كلها وتوارت في غيوم من الزبد. وفي الوقت نفسه ارتفعت موجة عظيمة صفراء لتحجب المنظر كما يرتفع الظل من أسفل النافذة. فجثم التشيكي من دون حراك ويده على فمه. وطفق الزورق يدور وألفى الرجل نفسه يرتفع على المنحدر الأمامي للموجة ويندفع مباشرة الى "برج إيفل".

على أن هول الصدمة خففه الماء المتفجر الذي انبثق من الموجة المتراجعة في أثر اصطدامها بالجبل الجليدي. وبقي التشيكي في زورقه حياً، بل إنه لم يصب بأي أذى. إلا أنه أحسّ كأنه قُذف في الفضاء. وفيما هو يرتفع متمايلا وقد أحاطت به ستائر الزبد تمكن من رؤية الكتلة الحمراء وهي تطلع من صفرة "حفرة الولادة".

والمعروف أن الجليد الذي يكوّن النهر يمكن أن يرجع وجوده ألوف السنين. فانضغاط الغازات القديمة داخل مادته ينتظر الانعتاق. وبدا أن ضربة الموجة أعادت الحيوية الى الجبل الجليدي. وفي عملية تفكك بطيء تلاشى "برج إيفل" في البحر.

ولم يكد التشيكي يبدأ السقوط حتى وجد أنه بات في ورطة أشد. فقد تحطم زورقه وتمزقت ثيابه وجعل يطفو على مياه الخليج مدفوعاً الى الكتلة الحمراء المنبثقة من الرينك، تلك الكتلة التي لم يُعرف لها مثيل خلال ألف سنة.

عين في الفضاء

كانت عدسة التصوير الدقيقة التابعة للقمر الاصطناعي "تيروس ١٢" تحوّم فوق ساحل غرينلاند. وراح القمر يرصد ألوف الكيلومترات المربعة من الجليد المتراص والانهار الجليدية والجبال والخلجان والصحارى الصخرية وبحار القطب الشمالي المتلألئة. وكشفت العدسة كل التفصيلات المتعلقة بالسفن والطائرات العابرة والجليد المتراص والعواصف المندفعة كالأكفان الملتفة عبر كون تهيمن عليه قصور جليدية عائمة.

كان ذلك في أوائل شهر سبتمبر (أيلول)، والساحل الغربي في غرينلاند والساحل الشمالي الشرقي في جزيرة بافن في حركتهما النموذجية. وكان الغطاء الجليدي يغلف ٨٥ في المئة من جزيرة غرينلاند التي تبلغ مساحتها مليونين و١٧٦ ألف كيلومتر مربع. وبلغت سماكته ١٦٠٠ متر. وكان دائم الحركة ويشعّ الى الخارج في جميع الاتجاهات.

وبدا الجليد الآخذ في الامتداد من خلال عدسة تيروس أنهاراً جارية ذات ألوان مختلفة، وأنسجة وظلالا ذات أشكال وأثلام لا حصر لها. وبلغ عرض بعض هذه الأثلام

كيلومترات. والواقع ان هذه الأثلام تغدو أنهاراً جليدية عندما تدفع الى السواحل وتضيق لتصبح أشبه بأشرطة ترسب في الشقوق الصخرية العميقة الضيقة. وفي الساحل الغربي من غرينلاند نراها تنطلق نحو مئات الخلجان. أما في جزيرة بافن فكانت الحركة في معظمها من صنع الانسان. فمراكب التموين تبحر شمالا وتنزل أحمالها من الطعام والوقود في القرى التي سيعزلها الجليد عما قريب. أما المراكب المحملة بالمعادن والغاز الطبيعي السائل فكانت تبحر جنوباً بعيداً عن الجليد.

وكان في وسع تيروس تحديد تعاقب الفصول من خلال رحلات جبال الجليد. ففي الربيع تنطلق هذه الجبال من خلجان غرينلاند الضيقة. وفي الصيف تدخل الخلجان العمياء وتقع في أشراكها. وفي الخريف تدفع الى المياه الضحلة حيث تبقى محرومة من التيارات المحرِّرة. وفي الفترة التي يغيب خلالها الجليد يعمد تيروس الى مراقبة الجبال الجليدية التي يوجهها تيار غرينلاند شمالا فتنطلق نحو خليج ملفيل حيث تنهار ألوف منها.

وفي سنوات ماضية عبر بعض جبال الجليد من غرينلاند الى كندا. وفي سنوات أخرى حذت جبال كثيرة حذوها فيما أكملت جبال أخرى رحلتها جنوباً منطلقة من جزيرة بافن. وكانت تلك الرحلة طويلة وخطرة تقتضي النزول الى مجاز جبال الجليد(٢) وراء منحدرات لبرادور الصخرية القاتمة، ودخول مياه نيوفاوندلاند ومن ثم ممرات السفن.

كان تيروس يراقب هذا كله بهدوء وينقل الاشارات اللاسلكية من سفينة الى أخرى ومن الشاطىء الى الطائرة ومن الطائرة الى القاعدة. وهو، الى ذلك، كان ينقل الصور. وكان دماغه الالكتروني ينظّم كل ما يراه.

شيء غريب

من بين ما شاهده تيروس سفينة لشحن المعادن تغادر منجم بلاك انجل في مرموريليك على ساحل غرينلاند الغربي. وفي الوقت نفسه جعل تيروس يتفحص مدخل خليج كنغردلوك الذي يقع على مسافة ٦٥ كيلومتراً في الشمال الغربي، فلحظ جبلا جليدياً كبيراً يجثم هناك وضباباً يتقدم من الجنوب. ونقل تيروس المعلومات الى تولوز (جنوب فرنسا) حيث الدماغ الالكتروني الرئيسي. ولم تلبث هذه المعلومات أن نُقلت الى أصحاب السفينة في فانكوفر (كندا) فاتصل هؤلاء هاتفياً بالمتعهدين الهولنديين في أمستردام الذين استأجروا السفينة. فعمد هؤلاء بدورهم الى الاتصال لاسلكياً بربان السفينة وأخبروه بالخطر الذي ينتظره.

والواقع أن بعض المعلومات التي كانت تتدفق على تيروس من خلال الدماغ الالكتروني كان مصدرها ثلاث سفن غير راسية وغير متحركة في البحار تحته. وكانت هذه السفن "بن اوشن لانسر" و"هدسونيان الرابعة" و"تكسلو" التي تعمل في استخراج النفط وتستخدم تيروس وأقماراً اصطناعية أخرى مراكز

(٢) Iceberg Alley

ثابتة للمراقبة. وعندما كان تيروس "يرى" أن إحدى هذه السفن تحركت أكثر من ثلاثة أمتار كان يعمد الى إعادتها الكترونياً الى موضعها الأصلي فوق بئر النفط.

وكان هناك كثير من الزبائن الذين يحتاجون الى "ذكاء" تيروس. ومن هؤلاء المجموعة الدولية لمراقبة تحركات الجليد التي يقع مركزها في غروتونِ بولاية كونتيكت ويديرها قسم خفر السواحل في الولايات المتحدة. وقد نجحت هذه المجموعة مدة سبعين سنة في تلافي أي تكرار لكارثة الباخرة تيتانيك وتمكنت من مراقبة المناطق الجنوبية.

في أواخر شهر سبتمبر (أيلول) اعلم تيروس الدماغ الالكتروني الرئيسي أن هناك شيئاً غريباً في مدخل خليج ضيق شمال أوماناك. وكان ذلك جبلا جليدياً هائلا يبلغ طوله نحو ٦١٠ أمتار وعرضه نحو ١٥٠ متراً. أما شكله فأشبه برأس الفأس. وكان مسنّناً في أحد طرفيه وكليلا في طرفه الآخر. وفي مركز لرصد الجليد في أوتاوا قدّر أحد الادمغة الالكترونية وزنه بستة وأربعين مليون طن، وهذا يعني أنه أكبر جبل جليدي عرفته مياه غرينلاند. وفي إحدى جامعات نيوفاوندلاند قدّر دماغ الِكتروني مدة بقائه بست سنوات. واذا أخذت ضخامة كتلته في الاعتبار، فمن الممكن أن يبلغ ساحل شمال افريقيا في حال وجود التيارات المائية الملائمة.

وتقرر المضيّ في البحث بوسائل أقل غرابة، فاستعين بطائرة مروحية تابعة للخطوط الجوية في غرينلاند راحت تحوّم فوق الجبل الجليدي. وسرعان ما صدر إنذار بأنه كبير الى حد يشكل خطراً على الطائرات التي تحلق فوقه على علو منخفض. ولم تلبث إحدى الطائرات الدانمركية أن صورته بواسطة الرادار. وتلقى مركز رصد الجليد المعلومات المتوافرة.

ولقد أذهل هذا الجبل الجليدي كل من رآه. وذكر مشاهدوه أنه لم يكن أزرق أو أبيض أو رمادياً بل كان مخضوباً باللون الأحمر. وعندما اخترقت أشعة الشمس زاويته اليمنى بدا كأنه يشتعل وبدت كتلته المخيفة ملتهبة. ودعاه أحد خبراء جبال الجليد "جبلا أحمر عظيماً عائماً."

صياد الايائل

بعد قرابة سنة بُعيد مغيب الشمس في كيب يورك الواقعة في شمال غرينلاند، انطلق أحد صيادي الأيائل بزورقه البخاري في مياه خليج ملفيل الرمادية. وغمرت المياه جانبي الزورق. وكان في الزورق ٥٥٠ كيلوغراماً من لحم الأيائل ينبغي نقلها الى قرية سفيفسيفيك في الجهة الجنوبية الشرقية على بعد خمسين كيلومتراً تقريباً. ورأى الصياد أن عليه أن يكون يقظاً كي يتمكن من معرفة طريقه في جليد خليج ملفيل الذي يغلفه الضباب الكثيف. وقد أخبره الرجال البيض أن كثافة الضباب هي نتيجة اختلاف درجات الحرارة في الخليج. وكانت جبال الجليد تعمل كما تعمل الثلاجات فتبرّد الهواء والماء على نحو مماثل. كذلك كان كل جبل جليدي أقرب الى مضخة ترفع الماء الحلو

الذائب البارد من قعرها المغمور. وكان هذا الماء أقل برودة من الماء الذي حوله، وكان أحياناً يصدم الهواء البارد المتدفق من منحدرات الجبال الجليدية فيرتفع الضباب كالبخار من الإبريق.

جعل الصياد ينظر من الجانب الأيمن للزورق فوجد أن كيب يورك اختفت عن الأنظار وأن المنحدرات الصخرية الشاهقة على الشاطىء استحالت ظلالا، فعمد الى متابعة طريقه في الخليج. وكان مظهره بدائياً، بل يكاد يكون متوحشاً بوجهه الآسيوي الناحل ذي العظام البارزة وشاربيه الطويلين الرقيقين وشعره الأسود الطويل المنسدل على كتفيه اللتين غطتهما سترة من جلد الفقمة. وكانت رجلاه ملفوفتين بهذا الجلد وكان ينتعل حذاء من جلد الأيل.

وأخذت كثافة الضباب في الازدياد واندفعت أمامه سلسلة من الجبال الجليدية المتعاقبة في دائرة بطيئة بلغ قطرها حوالى خمسين كيلومتراً. وفي هذه الدائرة كان الوهن يصيب تيار غرينلاند. وكان الصياد يعرف أن فيها تنتهي رحلات كثير من جبال الجليد. وهو رأى في الصيف السابق جبلي جليد مميزين يندفعان في الدائرة، وهذه السنة لاحظ انهما مستقران فيها من دون حراك.

وكان احترام الصياد لجبال الجليد مشوباً بالخوف، وكذا حال كثيرين من أهل غرينلاند. وكان أحد تلك الجبال تسبب في مقتل عمه الذي صاد فقمة ثم خاطر بالاقتراب من جبل الجليد غير مبال بالصخور القائمة تحت الماء قرب الشاطىء. على أن صيادي غرينلاند لم يتوقفوا عن الصيد بين جبال الجليد لأن دمهم اختلط بدم أهل الشمال. فقد كان صياد الأيائل يجمع بين لين الاسكيمو ووحشية الفايكنغ (٣).

وأخذت ميمنة الزورق تترجح بين أبراج الجليد الخافية محدثة صوتاً له رجع مخيف. وشق الصياد طريقه بين هذه الابراج مستعيناً بضرب من "الرادار" السمعي. غير أن الأصداء باتت متشابكة منذرة بالخطر. وسرعان ما حل الظلام فجأة. ونظر الصياد الى ساعة يده فوجد أنها لا تزال العاشرة والنصف صباحاً. والواقع ان دثاراً من السحب الأرجوانية يزحف أحياناً على خليج ملفيل على نحو مفاجىء فيجعل المكان شديد الظلام. فما كان من الصياد إلا أن أوقف محرك زورقه وتابع طريقه بهدوء.

صرخة مريعة

تذكر الصياد أنه كان ذات مرة ينحدر في خليج كنغردلوك الطويل الضيق وصاد بطة كانت تطير مسرعة فوق الأمواج، فشرع الجليد يسقط من ذرى المنحدرات الصخرية وبات الخليج مضطرباً بالزبد ومضت ساعة كاملة قبل أن يهدأ. وتذكر أن والده قال له مرة: "لا تحدث أصواتاً عالية عندما يكون الجليد الضخم على مقربة منك." وعلى رغم ذلك صرخ: "ها!" لأنه كان متحرقاً لسماع صدى.

إلا أنه لم يكن لصراخه أي رجع. وبدأ

(٣) الاسكيمو شعوب تقطن كندا الشمالية وغرينلاند وألاسكا وسيبيريا الشرقية، والفايكنغ محاربون اسكندينافيون غزوا سواحل اوروبا بين القرنين الثامن والعاشر.

خمسون ألف طن من الجليد السقوط من كهف عظيم داخل الجبل الجليدي الذي كان يتخبط فيه. ولم يلبث الزورق أن انقلب وسقط الصياد على رأسه وسط الظلام القارس. وبعد قليل نهض جاراً قدميه وقد غمره الماء حتى وسطه.

ووجد الصياد فتحة في المكان فرفع جسمه من الماء وصعد اليها وهو يحفر بسكينه مواطىء لقدميه هارباً من صخب الكهف المظلم. وازداد خوفه عندما تخيل نفسه مدفوناً في الجليد الى الأبد. وأخذت أسنانه تصطك بمزيج من الرعب والغضب المستعر وساعدته خلاصة الادرينالين(٤) على الابتعاد جهد المستطاع عن المياه الباردة والجليد المتساقط.

وسمع فوقه رجع صدى لصوت مريع منطلق من أمامه. وسماعه هذا الصوت يعني أن هناك طريقاً يمكنه الهروب منها. وتغلبت إرادة الحياة على الخوف الذي انتابه فمضى صعداً.

ونظر الى أعلى فلمح ومضة من نور بدا له أنها مدخل أحد الشقوق. وصعد الى هناك فوجد نفسه في مكان مضاء بلون أحمر قان. واستبد به اليأس فكشر عن أسنانه وتابع صعوده حتى وصل الى الخارج حيث رأى بحيرة استلقى في مياهها الضحلة.

وبهر عينيه ضوء عكسه بياض قطبي ناصع لف الهواء وراء البحيرة. وعلا خلفه صراخ مريع لا يطاق، فالتفت فرأى أمامه صخرة حمراء انبعث ذلك الصراخ من ورائها. فأمسك سكينه باحكام وقفز من أعلى الصخرة كي يقتل الوحش.

كان قسم الشحن في الطائرة المروحية "جت رينجر" يحوي آلة تقف على أربع قوائم ذات زوايا وتمتد من جسم منتفخ لامع في أعلاه عدسة تلفزيونية متحركة. وقد اخترع هذا الجهاز الذي يدعى "ريكوردر - ١" كندي من خبراء جبال الجليد. وكان هذا جاثماً بين رباني الطائرة يحدق الى الخارج. وسأل مستعيناً بالمذياع في خوذته: "كم المسافة؟" فأجاب الطيار الاول: "انها ليست بعيدة." واشار الى شاشة الرادار وأضاف: "ها هي."

"ردبرغ - ٦٦"

كان ريكوردر - ١ من صنع تكنولوجيا عصر الفضاء وهو يعمل بالطاقة الشمسية ويستطيع الاستمرار في العمل الى ما لا نهاية له. وكان فيه دماغ الكتروني صغير مبرمج على نحو يشغله في أوقات معينة ويوقفه في أخرى. ففي معظم أيام الشتاء القاتمة تغمض "عين" الجهاز التلفزيوني. غير أن هذه "العين" يمكن أن يعيدها الى العمل أحد الأصوات أو بعض الذبذبات، فتلتقط الصوت أو الرعشة قبل غيابهما وتصور مصدرهما ثم تعود الى الاغماض ثانية. كذلك في مقدور ريكوردر - ١ مراقبة جبال الجليد وملاحظة سلوك الفقم والدببة وطيور البحر.

وكان المطلوب وضع ريكوردر - ١ على قمة "ردبرغ - ٦٦"، ذلك الجبل العملاق الذي مضت سنتان على مراقبته وكان الجهاز محتاجاً الى منصة ثابتة تتيح نقله

---

(٤) الادرينالين هرمون منبه تفرزه الغدة الكظرية (فوق الكلية) خصوصاً وقت الخوف والغضب.

من غرينلاند الى كندا وربما نزولا حتى مجاز جبال الجليد. وقد وقع الاختيار على ردبرغ - ٦٦ بسبب ضخامة حجمه وعظم كتلته القائمة تحت الماء التي تدل على أنه يستطيع الابحار مسافة طويلة من دون أن ينقلب. وفي السنة الاولى من رحلته كان ينزلق مراوغاً إلى حافات الضباب ثم يخرج الى أن بلغ طائفة الجبال الجليدية المحيطة بالضباب في خليج ملفيل.

ولم يلبث الطيار الاول أن قال: "لقد وصلنا." ثم توجه الى وسط الضباب فبات في وسع ركاب الطائرة رؤية القمم الناتئة لجبال الجليد. وسأل أحدهم: "كيف يمكننا التعرف الى ذلك الجبل؟" فأجاب آخر: "إن في وسطه جسماً مائياً كبيراً وفي أحد طرفيه كتلة حمراء... انظروا، ها هو ذا!"

وبدأ الطيار يقترب بحذر من "مؤخر" ردبرغ - ٦٦ الملاصق للبحيرة، وعمد الى تخفيف سرعة المحرك استعداداً للهبوط. ثم سأل العالِم: "لماذا هو أحمر الى هذا الحد؟" فأجابه: "لعل السبب هو الغبار البركاني الذي سقط على جليد غرينلاند قبل ألوف السنين."

وهبطت الطائرة المروحية، عاكسة صورتها في مياه البحيرة المترجرجة، على حافة منحدر يؤدي صعوداً الى سلسلة تلال عند شاطىء البحيرة. فعمد العالِم الى تعليق عقيفة في حلقة على غطاء ريكوردر - ١. ثم فتح باب الطائرة وقفز الى مؤخر الجبل الأحمر. وراح يصلي كي يعطي ريكوردر - ١ القدرة على العمل ليخبره لماذا لا يصل الى خليج ملفيل سوى خمسة آلاف جبل جليد من ثمانية آلاف تغادر ساحل غرينلاند الغربي كل صيف ولماذا يتابع معظم هذه الجبال طريقه الى كندا أحياناً ويحجم عن ذلك أحياناً أخرى. كذلك كان يودّ أن يعرف ما هي آثار العواصف المنطلقة من كندا طارقة شواطىء غرينلاند.

نزل ريكوردر - ١ الى الجليد على سلكه الرفيع. وحفر العالم أربع حفر ضحلة كي يثبّت قوائم الجهاز الأربع، ثم أدار المفاتيح المحركة فبدأ ريكوردر - ١ يطن ويدير عينه الزجاجية.

وعرف العالِم من الأصوات المنبعثة من الآليات المؤازرة داخل الجهاز أن كل شيء على ما يرام. وباتت الجبال الجليدية المحيطة "راقصات" على الجليد في أداء أمام الكاميرا قد يطول بضع سنوات.

وبدا المشهد من قمة ردبرغ - ٦٦ يفوق الوصف ويحبس الأنفاس. وأدرك العالِم سبب الرهبة التي كانت تنتاب الانسان في العصور القديمة حين كان يعيش في قرب من الطبيعة مماثل.

وبعد قليل ظهر في أعلى سلسلة الجبال رجل متوحش الشكل يحمل في يده سكيناً. فانزلق العالِم وسقط وهو يحاول أن يتحاشى الرجل المندفع في المنحدر القريب. غير أنه تمكن من ركل رجليه المكسوتين بجلد الفقمة. وسقط المتوحش فخرج الطيّاران من المروحية وقبض الرجال الثلاثة على الغرينلاندي الذي كان يصرخ كمن أصيب بالهستيريا.

وتعين عليهم أن ينفقوا نصف ساعة لتهدئته وإقناعه بالصعود الى الطائرة المروحية. وكانت الشمس غدت كرة

حمراء وكادت أن تختفي في الضباب الذي لونته بلون زهري.

وما لبثت الطائرة المروحية أن أقلعت تاركة ريكوردر - ١ كي ينجز عمله.

عبور عنيف

كان هروب جبال الجليد من خليج ملفيل ناجماً عن عاصفة عنيفة. انطلقت من كندا الوسطى واندفعت بقوة عبر خليج بافن. ولم تمضِ على وصولها الى ملفيل ساعتان حتى دُفعت الجبال الجليدية التي أحاطت بالخليج مدة سنتين، الى الشاطىء أو هي أعتقت لتندفع غرباً الى كندا.

ولوحظ من خلال ريكوردر - ١ ان العاصفة المقتربة ولّدت مشهداً من الصور الحية المتغيرة الالوان. فالبحر البارد أخذ يتلألأ بضوء قطبي صاف يكاد يعمي الأبصار. والأفق كان يغلي بلون أرجواني مضطرب غاضب. وجبال الجليد بدت واقفة كأنها أبنية بيضاء ملتهبة متروكة لليل المقترب.

وبعد مضي يومين على مغادرة الجبل الأحمر خليج ملفيل راح يتقدم جاهداً في بحر من الأمواج المتكسرة التي أخذت تضرب جوانبه فيما راحت الريح تضرب "شراع" الكتلة الحمراء في طرفه. وقد بلغ عدد الجبال الجليدية التي أخرجتها الريح من خليج ملفيل نحو ألف. وأتى مئة جبل آخر من النهر الجليدي كينغ أوسكار في جنوب ثول. وكان بعض هذه الجبال دُفع جنوباً في كتل جليدية مرصوصة ثم تمكن من الإفلات بمساعدة العاصفة.

وفي بداية اليوم السابع للعبور دخل الجبل الأحمر مياه تيار لبرادور ثم تحرك جنوباً نحو نيوفاوندلاند. وكان أمامه مياه بافن الضحلة الممتدة من الشاطىء الصخري والخلجان المثلّمة. والواقع أن جبالا جليدية كثيرة كانت استقرت هاهنا.

وفي فجر اليوم الثامن ساق الأسطول المتقدم جبال الجليد المتدافعة الى المياه الضحلة. وكان ريكوردر - ١ يحرك عدسته الى خلف والى أمام ويسجل مناظر مدهشة كتدافع جبال الجليد وتشابكها وتشكيلها مجموعات متحركة تستقرّ في تلك المياه.

وعندما بدأ الجبل الاحمر نفسه يغرز في المكان انبعث اولا صوت رعدة خفيفة تبعه صرير ناجم عن اصطدام مقدم الجبل، الذي يبلغ عرضه نحو ١٦٦ متراً، بالصخر.

وخيم على المكان صمت طويل أعقبه صوت كعواء الذئب. ثم سُمعت أصوات موج متكسر ومياه متدفقة وقعقعات ودويّ حاد.

وما لبث الليل أن جَنّ كأنه قناع. وعندما طلع القمر جعل ريكوردر - ١ يراقب كتل الجليد المتشابكة وهي تصطدم بعضها ببعض في حركة بطيئة. وسقط الجبل الأحمر على جبال خمسة أصغر منه حجماً. وراح أنين الجليد المتكسر يمزق سكينة الليل.

وعند الفجر بدا أن الجبل الأحمرَ استقرّ تحوطه جبال كثيرة أصغر منه. والواقع أن هذا الجبل كان لا يزال يتحرك بزخم وزنه العظيم. وكان ريكوردر - ١ لا يزال يصوّر وينقل المعلومات عندما اصطدم الجبل بطائفة أخرى من الصخور القريبة التي

سطح الماء. وبذا توقفت كتلة ردبرغ - ٦٦ برمتها عن الحراك. وطفق ماء البحيرة يجري قُدماً نحو الكتلة الحمراء ويدور حول الجبل ثم يستحيل سيولا من الزبد تحجب شمس الصباح.

وجعل ريكوردر - ١ يراقب عودة الموجة فلحظها تنحدر أولا نحو قعر البحيرة ثم ترتفع عبر المياه المترجرجة لتعود الى الظهور وقد غدت موجة أصغر تتحرك في خط مستقيم نحو آلة التصوير. وفيما كان الجهاز لا يزال منهمكاً في تسجيل دماره بذاته اندفعت الموجة نحوه فغمرته وجرفته نزولا عبر الجبل الأحمر. ثم قذفته الى المنحدرات الصخرية ليغرق في المياه الضحلة التي طفت على سطحها رقع الجليد.

هبوط مشؤوم

في بداية فصل الربيع هبت على الشواطىء الجنوبية لجزيرة بافن عاصفة ثلجية تعمي الابصار كأنها عاصفة غبار وتتمتع في الوقت نفسه بخفة فراشة قطبية. وبعد دقائق صفا الجو وظهر وميض الجبال في ضوء القمر من خلال نوافذ الطائرة المروحية "توين أوتر".

وفي ضوء باهت قبل أن تطلع الشمس لتنزلق في الأفق كأنها عجلة برتقالية، عرّض الطيار نفسه لخطر التحليق على علو منخفض. وكانت المروحية تثب كلما اجتاز خليجاً كأنها حصان وحشي روّعه اصطدام هواء الخليج البارد الكثيف بالهواء الحار الذي فوقه. وكان الطيار ثبّت في قسم الشحن جهازاً بديلا من جهاز ريكوردر - ١. وهو في نيوفاوندلاند قال للذين أبدوا اهتمامهم بذلك الجبل الجليدي: "إذا ذهبت في هذه الرحلة فإنني لا أضمن النجاح في وضع الجهاز على جبل الجليد." فقيل له: "إن للجبل مؤخّراً مسطّحاً طويلا جداً، ونظن أنه يسعك الهبوط هناك. وإذا عجزت عن ذلك فسيتعين علينا إنزال طائرة مروحية وجعل إحدى السفن تقترب الى حدّ يمكن معه إنجاز هذا العمل."

وفجأة انطلق الطيار شرقاً بعدما أشارت شاشة الرادار الى وجود شيء ضخم قرب ميمنة الطائرة. وراح الجليد المتراص المظلم يتناثر مترجحاً تحت زجاجها الامامي. ولم يلبث ردبرغ - ٦٦ أن ظهر في ضوء الفجر متوهجاً بلون قرمزي باهت، فبادر الطيار الى تخفيف سرعة الطائرة.

وفي أروقة الجبل الأحمر ودهاليزه وكهوفه كان يُسمع صوت محركات توين أوتر. وكان جوف الجبل يرجّع ما تحدثه هذه المحركات من أصداء متناغمة. وأيقظت الجلبة دباً ظل في سبات مدة ثمانين يوماً فنهض وهو نعسان متذمر. والمعروف أنه بعد انقطاع العواصف الثلجية في بداية الشتاء تشق الدببة القطبية طريقها في الجليد المتراصّ نحو جزيرة بافن هرباً من المنافسة المرّة بين دببة غرينلاند للحصول على الطعام والمأوى. وقد غدا الجبل الأحمر الموتّد في مياه بافن الضحلة مَنارة لتلك الدببة. وفي داخله وجد هذا الدب مأوى له في فصل الشتاء.

وتمكن الطيار من رؤية النتوءات التي أحدثها الموج في جوانب جبل الجليد. غير

أن ظهر الجبل بقي سليماً ومسطحاً. وفيما الطائرة تتمايل مقتربة من مكان هبوطها وراء "مؤخر" الجبل الأحمر، شاهد الطيار بين الجبل الجليدي والشاطىء طائفة من الأشياء القاتمة اتضح أنها مزلجة وعدد من كلاب الاسكيمو. وكانت مجموعة من الصيادين الاسكيمو تركت مقرّها قبل أربعة أيام بحثاً عن الدببة في جليد الشتاء. وحين سمع الصيادون هدير الطائرة ضحكوا وقال أحدهم: "لعل الرجل الأبيض يعطب الطائرة عند الهبوط فيتسنى لنا الحصول على الوقود والدببة معاً."

وأولى الطيار لحظات الهبوط الأخيرة الصعبة انتباهه التام، فخفض الأجنحة الاضافية الصغيرة المتحركة وخفف قوة المحركات الخاصة بدرجة الانحدار الى أدنى حد ممكن وجعل يهبط بسرعة متوسطة. والمعلوم أن طائرة توين أوتر يمكنها الاقلاع والهبوط في مساحة تزيد قليلا على مساحة ملعب كرة المضرب. غير أن الطيار كان عمد، على سبيل الاحتراز، الى تزويد طائرته عجلات ضخمة.

وهبطت الطائرة في المكان المحدد لها لكنها ما لبثت أن فقدت توازنها، فاصطدم جناح مؤخرها بالجليد وتحطم محركها فراحت تنزلق على تلال الجليد الى أن استقرت في الناحية المتجمدة من بحيرة الجبل الأحمر.

ونزل الطيار بهدوء ثم رفع ريكوردر - ٣ من قسم الشحن المائل وجره الى مكان عال يبعد نحو ستين متراً عن الطائرة المحطمة. وهناك أقام قاعدة للجهاز مستعيناً بفأسه الخاصة بالجليد وعمل على تشغيله، فبدأت "عينه" تدور وبدأ تيروس - ١٢ يتلقى إشاراته.

ثم انحدر الطيار على الأطراف الشمالية لجبل الجليد مستعيناً بفأسه ثانية الى أن اقترب من رجال الاسكيمو. وهو صرف ساعة كاملة قبل أن يصل معهم الى أتفاق. وقضى الاتفاق بأن يأخذوا من توين أوتر بعض الأجهزة، وبينها الراديو، على أن يتولى أحدهم حراسة الطائرة حتى تأتي إحدى طائرات الانقاذ.

وفي مدينة تولوز عمد اثنان من اختصاصيي الأدمغة الالكترونية الى ضبط مرقابيهما كي ينقلا الصور التي بثها تيروس - ١٢. وقال أحدهما: "انظر الى رجال الاسكيمو." فقال الآخر: "إنهم حقاً يسترعون الانتباه."

التيار القاتل

كانت المضايق الزرقاء المتلألئة المتشعبة من ساحل نيوفاوندلاند الجنوبي مفعمة بعدد لا يحصى من طيور البحر التي تقتات في دوامات المياه المزبدة الناجمة عن المد والجزر. وفي الجهة الشرقية لاح الجبل الأحمر في الأفق على بعد ثلاثين كيلومتراً. وفي جنوب الجبل بدا نجد ساغليك بانك المتاخم لشاطىء بحر لبرادور ومداخل ممرات السفن التجارية.

وراح تيار لبرادور يدفع الجبل الأحمر نحو مجاز جبال الجليد. وكان هذا الدفق الذي يعدّ الأعظم في القطب الشمالي كله ويساوي دفق ثلاثمئة نهر كالمسيسيبي، أزاح هذا الجبل وجمهرة من الصروح البيضاء الأخرى من مياه بافن الضحلة في

أوائل شهر يونيو (حزيران). وبات الجبل الآن منطلقاً بسرعة ١٨٥٠ متراً في الساعة الى تيار الخليج (٥) الذي يبعد بضع مئات من الكيلومترات ويقع في الجهة الجنوبية الشرقية.

وكان على الجبل الأحمر أن يواجه امتحاناً عسيراً في ساغليك بانك حيث تجبهه الظواهر الطبيعية القاسية. فالهواء الحار والموج يبدأان عملية الانهاك والتفكيك التي تدمر نصف جبال الجليد في هذا الجزء من المجاز. كذلك كان ساغليك هو المكان الذي ولدت فيه ظاهرة شائنة غامضة تدعى "التيار القاتل".

ولم يكن التيار القاتل ليعطي أي اشارة إلى السبيل الذي يسلكه. وكان يضرب كيفما اتفق فيتدفق في الأماكن العميقة والضحلة والمتوسطة العمق ويحرّك جبال الجليد كأنها حجار شطرنج. وحين كان الجبل الأحمر مسجوناً في الجليد الشمالي بدا كأنه مظهر فريد غريب من مظاهر التاريخ الطبيعي. غير أنه بات الآن رهينة التيار القاتل وأصبح يهدّد التجارة والملاّحين.

وتنبهت صناعة النفط الى خطر الجبل الأحمر من خلال المعلومات التي نقلها ريكوردر - ١ وريكوردر - ٣ والتي أوضحت جوانب خفية من سلوكه. وفي غروتون أصدرت المجموعة الدولية لمراقبة تحركات الجليد تحذيراً الى السفن تضمّن تحديداً لموقع الجبل الأحمر. كذلك تم تنبيه سفن الحفر الثلاث "بن أوشن لنسر" و"هدسونيان - ٤" و"تكسلو" إلى خطره المحتمل.

والحق ان مياه ساغليك بانك الشمالية عميقة نسبياً (يراوح عمقها بين ١٦٠ متراً و٣٣٠ متراً) وكانت تمرّ فيها جبال جليدية كثيرة من دون أن تضرب قعرها وتغرز فيه. وقد خف استدقاق طرف الجبل الأحمر في بداية السنة الثالثة لولادته نحو ثلاثين متراً بسبب احتكاكه بمياه بافن الضحلة. وعلى رغم ذلك زاد عمقه على مئتي متر في حين ارتفعت قمة الكتلة الحمراء ١٢٠ متراً فوق الأمواج.

وسرعان ما ضاق الشاطىء في الجهة الجنوبية حيث تحتجز مياه التيار القاتل في وهد ضيق. وهنا يسترجع التيّار سرعته وينطلق بقوة نحو سطح الماء.

مدينة من المستقبل

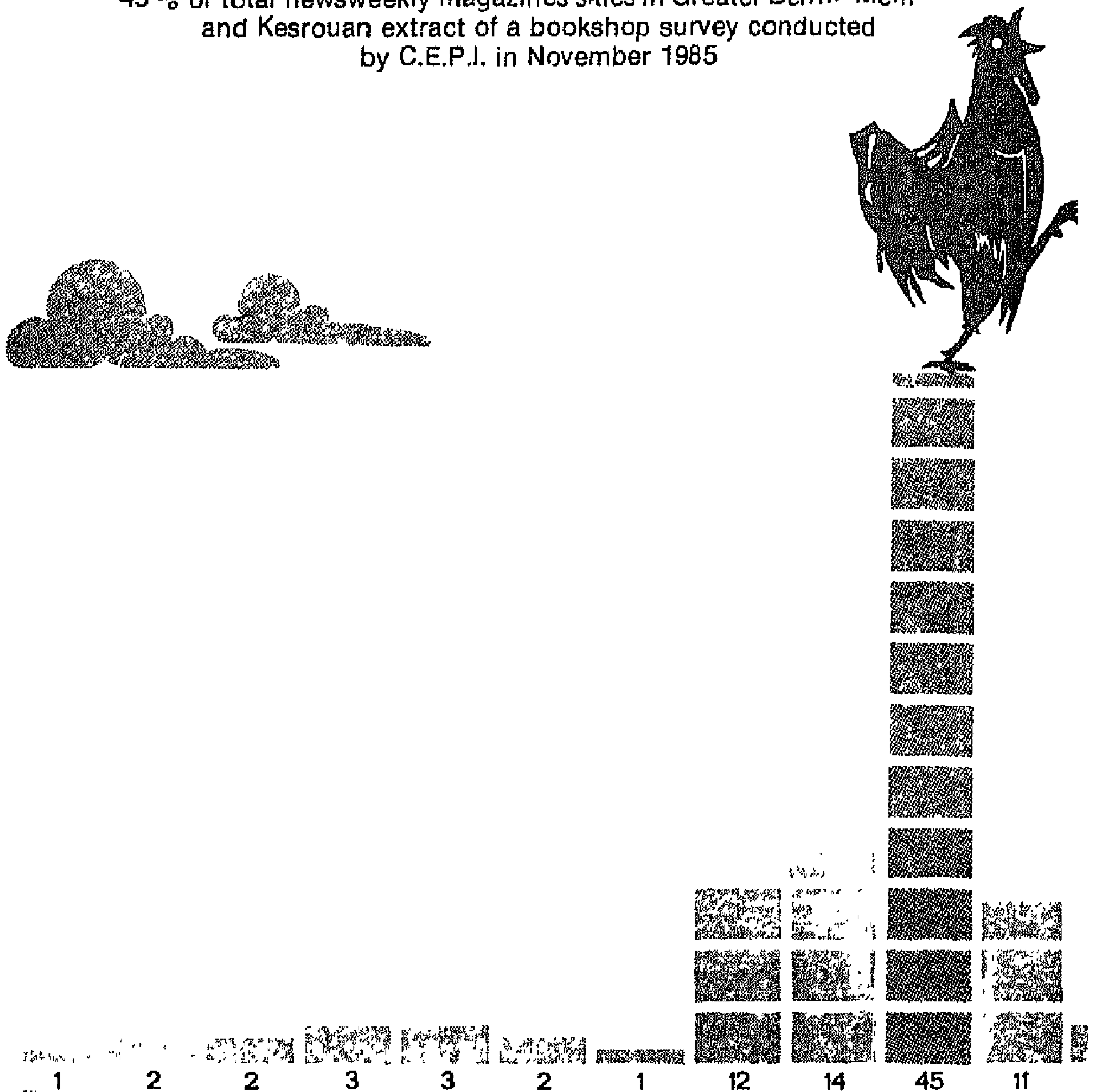
في ظهر ٢٦ يونيو (حزيران) الذي كان يوماً صافياً جداً اجتاز الجبل الأحمر مياه الوهد. ولم تلبث بقع بيضاء أن علت رؤوس الامواج وانعكست زرقة السماء في الماء وباتت السحب والبقع تزيّن الجبل الجليدي المتحرك. وبدت خلفه آثار طيور الفُلْمار والنورس.

وبات التيار القاتل يطوق الجبل الأحمر الذي يزن ٤٣ مليون طن، وأخذ يدفع العارضة العميقة. واشتدّ الضغط على كتلة الجبل الجليدي. وفي الساعة الثالثة ازدادت سرعته الى ٢٧٠٠ متر في الساعة. ولا ريب في أن هناك خطراً واضحاً في مثل هذا الاندفاع.

وقد سلك التيار اتجاهاً جنوبياً في معظمه. غير أن الجبل الجليدي كان

(٥) Gulf Stream

The sky is still our limit



النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative TAM

مجلة المتعة الدائمة

- "المختار" مجلة مريحة ومتفائلة، تسلّي من غير تجميل وتثقّف من غير وعظ وتفيد من غير اضجار.
- "المختار" لافراد عائلتك مجلة انيقة لا يعترض تهذيبها حاجز.
- "المختار" تزيد معارفك وتوسّع آفاقك وتغنيك عن مطالعة عشرات الكتب والمجلات.

للاشتراك في "المختار" املأ القسيمة بخط واضح بالعربية أو الاجنبية، وارسلها بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً امريكياً هو بدل الاشتراك في ١٢ عدداً من المجلة لمدة سنة، الى احد العنوانين الآتيين:

Bank Almashrek S.A.L.
P.O. Box 1524
Beirut — Lebanon

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت - لبنان.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut — Lebanon

البنك المتحد للأعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان.



قسيمة اشتراك

الاسم ________ Name

____

العنوان ________ Address

____

المهنة ________ Profession

التاريخ ________ Date

التوقيع ________ Signature

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار"

يصطدم بقعر المياه الضحلة كلما تحول التيار عن سلوك خط مستقيم. واصطدمت العارضة الكليلة بجُرف من الصخر نتأ من بين الحصى والطمي، وتسببت الحركة البطيئة الخشنة في سقوط مئة ألف طن من الجليد.

وفي جوف الجبل الجليدي جعل الماء يتدفق الى المغارة التي هرب منها صياد الأيائل القادم من غرينلاند. وشرع الجبل الأحمر يميل قليلا الى الشرق.

وعند الغسق بلغ التيار القاتل أقصى سرعته وأعظم قوّته مع تغير المد والجزر. وشمل ضغطه مداخل الكهوف الغائصة تحت الماء والاروقة في جوف الجبل الأحمر، فأكره دفقات الماء على الصعود الى الشقوق الصخرية و"نزف" زبد الملح فوق الجليد العائم على المياه الباردة. وفي أثناء الليل راحت هذه المياه تجرف ما في طريقها محدثة صوتاً كالفحيح وآخذة في الاتساع والتموج والتمات.

وعند الفجر كانت سرعة الجبل الجليدي بلغت ٣٧٠٠ متر في الساعة. ورأى ريكوردر - ٣ الذي كان يتفحص ما حوله، ثلاثة أعمدة بيضاء ترتفع في مؤخر الجبل. وبدا أن ارتفاعها وهبوطها منوطان بحبال وبكرات خفية. وفجأة هبت ريح هوجاء جرفت مؤخر الجبل الجليدي العريض وحجبت الصورة موقتاً.

ولمّا كانت المعلومات المتوافرة عن القوى الحقيقية العاملة في التيار القاتل قليلة، فلم تتسنّ معرفة ما كان يحدث للجبل الأحمر على نحو دقيق. وورد في نشرة المعلومات العامة الخاصة بصناعة النفط ما يأتي: "إن الأوضاع المحلية المضطربة ينبغي ألا تغير الاتجاه الحالي لجبل ردبرغ - ٦٦. فمن المتوقع أن يتوقف اندفاعه خلال ١٢ ساعة على مسافة ٦٤ كيلومتراً الى شمال محطة بن أوشن لنسر. وليس هناك ما يشير الى تهديد لعمليات الحفر في هذا المقام."

وأكد هذه المعلومات مركز الأدمغة الالكترونية الراصد لأحوال الجليد. وتلقى ربان "بن أوشن لنسر" تقريراً إضافياً من المركز الرئيسي في كلغاري (كندا) يتعلق بالاحتمالات المستقبلية الخاصة بالجبل الجليدي ويذكر أن ردبرغ - ٦٦ سيستقر على بعد ٣٢ كيلومتراً شمال كيب وايت هنكرشيف.

وعلى مسافة ثمانين كيلومتراً الى جنوب الجبل الأحمر حجب الضباب "بن أوشن لنسر". وبدا برجها العالي من بعيد أشبه بالشراع. وإذا نحن اقتربنا قليلا لذكرتنا رافعاتها وطائراتها المروحية وأعمدة أنابيبها المخزونة بمدينة متطورة من مدن المستقبل. وفي برج القيادة حيث الادمغة الالكترونية وشاشات الرادار تنافس أجهزة الملاحة انحنى أحد الفنيين على ذراع آلية وطفق يرسم صورة لجبل جليدي بلغت من الدقة حداً مقبولا. ثم كتب تحتها ما يأتي: "ردبرغ - ٦٦. خطر لا يمكن التكهن بمداه. المعلومات الأساسية غير متوافرة." وما لبث أن قال للربان الذي كان قربه: "أظن أننا نواجه مشكلة." فأجابه الربان الهولندي: "إذا كان الأمر متعلقاً بذلك الجبل الجليدي الضخم، فليس هناك مشكلة لأنه سيتوقف قريباً."

انتاب القلق ربان السفينة القاطرة

الضخمة "أركتيك رانجر" وهو يجتاز مياه ساغليك بانك قرب "بن أوشن لنسر". فهو رأى أن مسألة اقتراب الجبل الأحمر لم تعالَج على نحو جدّي. وكان تلقى من غلفستون (ولاية تكساس) رسالة برقية بعثت فيه الدهشة جاء فيها: "راجع رئيس قسم الدماغ الالكتروني في السفينة الحافرة ايفنهو ساغا في ما يتعلق بجرّ الجبل الجليدي ردبرغ - ٦٦."

ضرب من المستحيل

السفينة القاطرة التي يديرها هذا الربان كانت أكثر السفن خبرة بجرّ جبال الجليد في العالم كله. وكان محركاها التوأمان اللذان يعملان بالديزل يحويان ٢٤ أسطوانة ويتمتعان بقوة ١٤ ألف حصان. وقد أعطاها هذان المحركان القدرة على جرّ مليوني طن. وأرسل الربان الى غلفستون برقية جاء فيها: "إن هذا الجبل الجليدي يزن ٤٢ مليون طن ولا يمكن جرّه بالسفينة."

وكان الجواب: "لن يبقَ على هذا الوزن حين يصل اليك."

ورفع القبطان المذياع من حجره وقال: "من رانجر إلى سفينة الحفر، هل تسمعني؟"

فأتاه الجواب أن نعم، فقال: "عليّ أن اتصدى لهذا الجبل الجليدي وأغيّر اتجاهه يا صديقي. فأنت تضيع وقتي إذ تجعلني انتظر هنا من دون هدف. حوّل."

فجاءه الجواب: "إن في وسعنا السيطرة على المشكلة، وسنبقى على اتصال."

فردّ: "هذا ما تقوله، غير أني لست راضياً عمّا يجري وسأتوجه الى الشمال قليلا كي ألقي نظرة على هذا الجبل الجليدي. حوّل."

وسُمع من خلال المكبرات صوت خفيض منطلق من مركز على الشاطىء قال بلهجة كندية: "من هوبديل إلى بن أوشن لنسر. يبدو أن هناك أمراً طارئاً. فالمعلومات حول الجبل الجليدي ردبرغ - ٦٦ سلبية بالقياس على المعلومات السابقة. فهذا الجبل لن يتوقف. لذلك عليكم مغادرة مركزكم."

ثم سُمع الكلام الآتي بلهجة أهل تكساس: "أنا المشرف على عمليات الحفر. وإني سأطلق النار على كل نذل يحاول اخراجي من هذا المركز. فأنا أكاد أصل الى القبة. ألا تفهمون أيها الحمقى ماذا يعني ذلِك؟"

والواقع أن جميع الذين كانوا في المنطقة فهموا هذا الكلام. فقد يكون نجد ساغليك واحداً من أعظم الاكتشافات النفطية المفاجئة في التاريخ، إذ إن احتياطه النفطي يساوي مجموع ما في ستة بلدان في الشرق الأوسط.

ولم يلبث ربان أركتيك رانجر أن دخل الخط: "لا بأس في أن تتابعا شجاركما إذا كان يحلو لكما ذلك. أما أنا فسأنعطف إلى ذلك الجبل الأحمر الغريب. هل تسمعني يا جيري؟ أتأتي معي؟ حوّل."

وقال ربان "أوشن راي"، وهي إحدى السفن القاطرة القريبة: "نعم. لنسرع."

والحق أن علم جرّ جبال الجليد هو مزيج من تكنولوجيا الادمغة الالكترونية ومهارات أشبه بترويض الخيل. وإذا كانت عملية الجر نفسها تبدو بسيطة فهي

ليست كذلك حقاً. وقد جرت العادة أن يطوّق كل جبل جليدي بحبل مصنوع من البولياثلين يبلغ طوله مئات الامتار، ثم ألوف الامتار. وبعد انتهاء عملية التطويق يربط الحبل برافعة يبلغ علوها خمسة أمتار موضوعة وسط السفينة، ثم تبدأ عملية الجرّ بعد ارخاء الحبل المشدود الى السفينة بحيث تبقى هذه بعيدة عن جبل الجليد. وتقدّر قوة تحمّل الحبل قبل أن ينقطع بنحو ثلاثمئة طن.

ولا ريب في أن البراعة هنا تكمن في طريقة الانعطاف. فالجبال الجليدية تتحرك جميعاً وينبغي تغيير اتجاهها بتحويل بارع للقوة الدافعة في جوف الجليد.

ولئن يكن ربان "أركتيك رانجر" عاجزاً عن جر ٤٢ مليون طن من الجليد فإنه كان في وسعه تغيير اتجاه كتل ضخمة من هذا الجليد. ولم يكن هذا العمل خلواً من الخطر، غير أن النتيجة التي يمكن الوصول اليها من خلاله كانت تستحق المغامرة. فقد ينقلب الجبل الجليدي عند تطويقه أو بعد ذلك ويقلب السفينة معه. وقد ينقطع الحبل المشدود ويرتد الى الوراء فيضرب ظهر السفينة ويلحق الأذى بمن عليه. وقد تنفصل إحدى قطع الجليد عن الجبل وتسقط على الحبل فتُغرق مؤخر السفينة ويهوي الملاحون في الماء. وكان ربان رانجر رأى مرة جبلاً جليدياً قد هوى طرفه المدبّب الى الوراء فظهرت "قدمه" المسنّنة على السطح وصدمت مؤخر السفينة ورفعته فوق الماء.

ولاح الجبل الأحمر على بعد ثلاث ساعات عن "بن أوشن لنسر" فقال ربان رانجر: "إن تطويق ذلك الجبل يبدو ضرباً من المستحيل."

على أن القاطرتين تابعتا عملهما. وكان لدى الربان نموذج الكتروني للجبل الأحمر فاتصل بالسفينة "راي" لاسلكياً وقال: "يا جيري، سأحاول أن أقذف بعقيفة معدنية إلى ميمنة مقدم الجبل ثم أبدأ الجرّ من تلك النقطة الى الجانب الأيسر كي تكسب الرافعة قوة وفاعلية. فهل يمكنك الآن أن تتولى العمل في مؤخره؟"

وكان كل من السفينتين القاطرتين مزودة جهازاً قاذفاً لم يكن أحد يركن اليه ولم يكن مجرّباً في العمل على نحو كامل. غير أن ربان رانجر أراد المغامرة ظناً منه أن الجهاز سيقذف بعقيفة من الفولاذ تتوتد في الجليد. وكان عليه الاقتراب بسفينته من الجبل الجليدي كي يتسنى للرجل القاذف تسديد قذيفته الى موضع مسطح. وراح يدعو ربه كي لا تسقط العقيفة كتلة من الجليد.

شدّ الحبال

باتت سرعة الجبل الأحمر تزيد على ٣٧٠٠ متر في الساعة. وكان على السفينتين تطويق الجبل المتحرك من جانبيه الأيمن والأيسر. ولم يكن أي من الربانين يرى سفينة الآخر. وما لبثت القذيفتان أن انطلقتا فقال أحدهما: "لقد تمكنّا من تثبيت عقيفة في الجبل الجليدي."

فأجابه الآخر: "ونحن أيضاً نجحنا في تحقيق هذا الأمر."

وكان ينبغي أن يبقى الحبلان، اللذان جُعلت في طرف كل منهما عقيفة،

مشدودين بإحكام. وعمد ربان رانجر الى دواسات القابض فجعلها تنزلق فقط الى الحد الذي يتيح لسفينته أن تميل مع الموج. ثم سأل ربان راي: "هل أنت على استعداد؟"

فأجابه: "خفف الضغط، فأنا الآن فوق الحبل الذي تركته رخواً كي يتسنى لي العبور من دون عائق."

وفيما هو يرخي الحبل انبعث صوت كالصراخ من رافعته الكبيرة. وبدت الكوابح التي ديست بشدة مضطرمة بعض الشيء. وتعالى "نباح" الرافعات فوق السفينتين وسط حجاب كثيف من الدخان القاتم. وكانت تلك الرافعات صغيرة مملوءة بالهواء المضغوط تساعد في توجيه الحبل على النحو المراد. ثم ارتفع خوار المحرك الرئيسي الذي انطلق منه البخار وترامت أصداء الأصوات المنبعثة من الاسطوانات الثماني والأربعين في جوف الجبل الجليدي.

وخيم الهدوء لحظة فيما السفينة راي مندفعة وراء الحبل الجاري، وصمتت المحركات. ثم عادت السفينة الى الاندفاع بأقصى قوتها وراح الربان يدور بها حول مؤخر جبل الجليد وجانبه الأيمن وخاطب زميله: "أنا واثق من النجاح وإلاّ فإني سأعود ثانية الى قيادة سفن البضائع."

باتت الشمس كرة حمراء في الأفق وبدت جبال الجليد أشباحاً سوداء تهيم في وحشة قطبية حول الحافرة "بن أوشن لنسر". وكان جميع الملاحين والفنيين أصبحوا في برج القيادة. وعند الغسق جعل وسط السفينة المتلألىء يرجّع أصداء طقطقة المحركات وقعقعة أنابيب الحفر المعدنية في أيقاع سريع للتنقيب المستمر عن النفط. وقال أحد الملاحين: "الاتجاه ثابت وقد بلغ ٩١ درجة جنوباً والجبل يقترب منا الآن." فسأله الربان: "كم يستغرق وصوله الينا إذا حدث اصطدام؟"

فأجابه: "ساعة و١٥ دقيقة و٣٩ ثانية." فاستفهم الربان: "ألا يعيننا المسؤول عن أجهزة السفينة وتساعدنا المحركات؟"

والحق أن الربان كان نظرياً هو المسؤول عن السفينة، غير أن المشرف على أجهزتها كان هو الذي يتولى العمل في الواقع. ولم يلبث الرجل التكساسي أن قال: "أصغ إلي، إذا نحن غادرنا المكان الآن فلن نرجع إليه للحفر قبل بضعة أشهر. وهذا يعني أننا سنخسر ملايين الدولارات. فهل تريد أن تتحمل هذه المسؤولية؟ في هذه الحال ستكون البحّار الخامس في أحد قوارب النجاة."

قال الربان: "ألا نغادر مكاننا إذاً؟"

فأجابه بازدراء: "لا، ليس الآن. ولكن ينبغي أن نكون على استعداد."

في الحادية عشرة ليلا جعلت المحركات الرئيسية في السفينة تدمدم مؤذنة بالعودة الى العمل. ولاحت في الظلمة الدامسة ومضة باهتة ما لبثت أن انقشعت عن الأنوار الكشافة للسفينتين راي ورانجر الصغيرتين. وشرعت لنسر ترجّع أصداء هديرهما التي وصلت مضخمة من كتلة الجليد وراءها. ومالت القاطرتان كلتاهما في أثناء صراعهما لجرّ الجبل الجليدي.

وبعد عشر دقائق شاهد الملاحون في برج القيادة ربان رانجر واقفاً خارج برجه وهو ينظر الى الجبل الجليدي. وبدا المشهد جلياً من خلال الأنوار الكشافة المنبعثة من سفينة الحفر ومن ثلاث سفن أخرى كانت هناك. وقال ربان لنسر: "إنه لن يصطدم بنا." وظهرت أمارات الابتهاج على الملاحين حين رأوا أن الجبل الجليدي سينعطف عن السفينة الحافرة. وبلغت قوة الدفع في راي ورانجر تسعين درجة وحدث تغيّر واضح في حركة الجبل الأحمر.

وفيما كان الجبل آخذاً في الانزلاق انسدّت النوافذ اليمنى في برج قيادة لنسر بالجليد المتساقط. وبدت السفينة الحافرة تموج مع الهواء والماء وجميع ما حاق بها في ذلك المكان. ولم يسع أحداً أن يعرف أن الجبل الأحمر المتحرك على نحو مطرد كان في الوقت نفسه يشق خندقاً في ساغليك بانك بلغ عمقه عشرين متراً وزاد طوله على ثلاثة كيلومترات.

"لقد توارى!"

أخيراً توقف الجبل الأحمر على بعد ٤٨ كيلومتراً عن الشاطىء تحوطه مياه ساغليك بانك الزرقاء اللامعة.

وفي أواخر يوليو (تموز) وصل الى المكان فريق من العلماء من شركة "آيس سيرتش" التي يقع مركزها في هاليفاكس (مقاطعة نوفاسكوشيا في كندا) لدراسة الجبل المطروق. وجاء في تقريرهم الذي وُزّع على نطاق واسع: "إن إمكان تحرك ردبرغ - ٦٦ يبقى ضئيلا. فهو محاط بنحو خمسين أو ستين ألف طن من الطمي والحصى. وهذا يجعل المرور في تيار لبرادور متعذراً في الوقت الحالي. وخروج ما يسمى التيار القاتل عن المألوف لا يمكن ان يتكرر في هذا الموضع. وإلى ذلك فإن الجبل الجليدي استقر في حفرة من صنعه يبلغ عمقها عشرين متراً."

والواقع أن هؤلاء الخبراء كانوا بارعين في حقل عملهم غير ان استنتاجاتهم بُنيت على "صور كلية" مأخوذة من معلومات إحصائية ربما كانت ناقصة أو مغلوطة. والصحيح أن العلم لم يكن سبر أغوار هذه القفار.

وفي شهر أغسطس (آب) بدأ الشتاء يلقي رحله في أعلى القطب الشمالي. ولم يكن مضى عشرة أيام على اندفاع الجبل الأحمر الى الشاطىء حتى هبت ريح هوجاء وبات الماء المزبد جزءاً منها. واختلطت قتامة أحد خلجان تورنغات العميقة بزغب البط الأبيض وارتفع عواء الريح في مدخل الخليج.

وانطلقت الريح من الخليج ثائرة كأنها إعصار أو سهم منطلق من أحد الاودية الضيقة. وهيَ لم تجد ما يعترضها سوى الجبل الجليدي العملاق.

وكان الخبراء الذين تفحصوا الجبل الأحمر استعملوا جهاز سونار للمسح الجانبي (٦) لمراقبة كتلته الرابضة تحت الماء. وشاهدوا عدداً كبيراً من المجازات التي ثلمت السهل المليء بالحصى والرمل والطمي والذي استقر فيه الجبل

(٦) Side-scanning sonar. السونار جهاز يستكشف الاجسام تحت الماء بواسطة موجات صوتية تنعكس منها.

الجليدي. وكان بعض هذه الأثلام صغيراً ضحلا فيما كان بعضها الآخر يضاهي في عرضه قعر نهر. وكانت جبال الجليد التي تطوف في المكان تترك خلفها علامات أشبه بآثار الأقدام.

وكان أغرب ما اكتشف بواسطة السونار أن ألوفاً من آثار جبال الجليد كانت متوجهة الى الشمال. وطبيعي أنها كانت في الأصل متوجهة نحو الجنوب بقوة التيار. ولكن ما الذي حدا أعداداً كبيرة منها على الاندفاع الى غرينلاند؟

الحق ان عاصفة تورنغات كانت تهمّ بالاجابة عن هذا السؤال. فقد استحال عصف الريح صراخاً داخل كهف الجبل الجليدي واختفى الجبل الأحمر في العاصفة وانقذفت الطائرة المروحية توين أوتر في الجو، وهي كانت لا تزال في مؤخر جبل الجليد. واقتلع ريكوردر - ٢ من أساسه وراح يدور كالمروحة فيما تناثرت أدمغته الالكترونية قبل أن ينفجر هو عند اصطدامه بالبحر.

وبدأ الجبل الأحمر يتحرك عائداً الى غرينلاند. وبعد يومين أخذ بعض الفنيين في مكتب مراقبة الجليد في غروتون يتأملون الصور التي بثتها الاقمار الاصطناعية وينعمون النظر في المعلومات الأخرى المتعلقة بالجليد في شمال المحيط الأطلسي. وعمدوا الى فحص كتلة بيضية الشكل مكونة من الهواء العكِر ظهرت كما بين ليلة وضحاها على بعد نحو ١٥٠ كيلومتراً شرق شاطىء لبرادور. وتناول كبير العلماء مزيداً من الصور عن طاولة قريبة وقال مشيراً الى خط مستقيم قاتم امتد من الناحية الشرقية لساحل لبرادور: "لقد حصلنا على هذا في اليوم السابق."

فرد أحد الفنيين: "أكاد أجزم أنه ناتج من تشويش الريح." فقال: "هذا صحيح، ولكن ما سببه؟"

في المبنى الاتحادي في سانت جونز (نيوفاوندلاند) تناول رئيس الوزراء حزمة من الصور التي التقطتها الاقمار الاصطناعية لشمال المحيط الأطلسي ووضعها على مكتب مساعده الاداري وسأله: "أين هو ذلك الجبل الجليدي؟"

فعمد المساعد الى مجهر عظيم الفاعلية وطفق يتأمل منطقة ساغليك بانك وقال بعد قليل: "لا يمكنني أن أرى أي أثر له يا سيدي. وأنا أعلم أن كلامي هذا لا يعقل، غير أن الجبل الجليدي توارى عن الأنظار!".

الرجل الطائر

كانت السفينة الحافرة "شمروك" راسية في مياه غراند بانكس على مسافة ١٦٠ كيلومتراً الى جنوب الموضع الذي ظُنَّ أن الجبل الجليدي موجود فيه. وعلى ظهر السفينة شاهد الفنيون والملاحون المذيع التلفزيوني يقول بصوت جنائزي: "لقد توارى الجبل القاتل وسط الضباب وبات كالذئب بين الخراف. فإلى جنوبه يقع حقل نفطي لعله أكبر الحقول النفطية في السواحل الشرقية لأمريكا الشمالية، وقد يكون البئرَ التي ستزوّد سياراتنا وبيوتنا الوقود في القرن الحادي والعشرين. ان هناك خوفاً كبيراً من أن يتوقف الجبل الأحمر في هذا الحقل ويوقع أسوأ كارثة في تاريخ النفط.

ولم تلبث أن وصلت الى سانت جونز فرقة عسكرية ركب أعضاؤها طائرة مروحية وتوجهوا الى الحافرة شمروك حيث استقبلهم المشرف على المنصة. وأكد لهم أنّ "هذا الجبل الجليدي لا يمكن أن يصل إلى محطة شمروك لأن عمقنا هنا يبلغ ٤٥ متراً بينما هو يحتاج إلى ما يزيد على ١٥٠ متراً. وإذا افترضنا أن في إمكانه الوصول الى هنا فإن لدينا ١٥ سفينة قاطرة تملك القدرة على تغيير اتجاهه. وإذا لم يُجْدِنا هذا ففي وسعنا اعتماد وسائل أخرى كفيلة بدرء الخطر."

وما لبث جرس الهاتف أن رن في مكتب المشرف الذي كان أرسل السفينتين القاطرتين "سكوتيش هيذر" و"بنيلوب" قبل أيام لتحديد موقع الجبل الأحمر ومراقبة تحركه وسلوكه. وبعد اثنتي عشرة ساعة اكتملت المعلومات المطلوبة على شاشات الرادار. غير أن ربان بنيلوب لم يلبث أن خاطب المشرف: "ان ردبرغ اختفى عن شاشة الرادار."

وكانت العاصفة التي هبت في شهر أغسطس (آب) وأزاحت ردبرغ من مكانه هدأت في الناحية الشمالية الشرقية من غراند بانكس حيث حجب الضباب الكثيف والأنواء الممطرة الجبل الأحمر فحصل تشويش على شاشة الرادار.

ومع حلول الظلام فجأة لم يرد أي خبر جديد عن موقع الجبل الأحمر. وجاء من بنيلوب: "لقد اجتزنا المنطقة ذهاباً وإياباً غير مرة من دون نتيجة. وأنا أقسم لك أنه اختفى!"

والواقع ان الجبل الاحمر استعاد قوته واندفع جنوباً عبر الضباب كأنه رجل طائر. وأدى الهواء الحار المحيط به الى ازدياد سرعة ذوبانه مما جعله غير مستقر. وشرع الماء يتدفق من كتلته الآخذة في الاضمحلال فراحت سرعته تزداد على نحو مطرد كأن فيه محركاً يدفعه.

الغضب الأخير

قبيل طلوع الفجر أطلقت صفارات الانذار في الحافرة شمروك وأسرع القيمون على السفينة في الاستعداد لما قد يطرأ. ووجد المشرف صعوبة كبيرة في الوصول الى نافذة المراقبة الشمالية. ولم يلبث أن تلقى تقريراً من سكوتيش هيذر جاء فيه: "لقد عاد الاتصال ثانية ويبدو أن هناك أمراً غريباً."

وظهرت في الافق مسحة من لون أصفر بدت قمة زهرية مذهبة من الجليد المشِعّ تلمع منتصبة بمفردها في الفضاء كأنها جذوة من لهب. وكان المنظر جميلا ومرعباً إلى حدّ جعل مراقبي شمروك يطلقون شهقة متناغمة. وسمع من خلال المكبرات صوت آت من بنيلوب: "أصغوا إلى هذا. انني ممسك بمكبر الصوت خارج برج القيادة."

وانبعث في شمروك صوت هو مزيج من الصرير والأنين والقرقعة أشبه بحشرجة الموت. وكان الجبل الأحمر الذي بات شكله الآن كخلية نحل أنفق ما بقي فيه من طاقة وهو يندفع جنوباً. ولم يعد يربط بين أجزائه سوى عرق أزرق يشدّ القمة المنحنية في مؤخره الطويل العريض الى الجهة الخلفية من الكتلة الحمراء في طرفه. وما لبث العرق الأزرق أن تكسّر فالتوت القمة وسقطت كتلتها.

وكان قعر الجبل انشطر قسمين، وأخذ طرفاه، الأمامي الذي يحمل الكتلة الحمراء والخلفي الذي يشتمل على مدرج هبوط طائرتي توين أوتر وجت رانجر المروحيتين، ينحدران في حركة بطيئة نحو المركز المنهار. فتولدت من ذلك سحابة من البلور الأبيض تشبه القطر. وبدا الطرفان كأنهما مطرقتان تضربان السندانين التوأمين في القعر المشطور. ولم تلبث المطرقتان أن تفككتا في أثناء نزولهما. أما السندانان اللذان كانا أثقل وزناً وأكبر حجماً وأقلّ ذوباناً فقد أخذا في الطلوع ببطء من ماء البحر كأنهما لوحان توأمان مكّنهما انزياح الثقل الرازح عليهما من الطفو في الماء.

على أنه لم يكن ممكناً لجم الطاقة المبذولة في عملية التفكك. فالكتل الجليدية الضخمة المتلاصقة كانت تستقر في البحر بعد سقوطها وسط غيوم الرذاذ المنتشرة في المكان. وما لبثت إحدى هذه الكتل أن ظهرت ثانية ثم هوت وهي تطلق هدير الحنق الاخير.

وبات ممكناً رؤية خط من الماء المتناثر ينطلق غرباً من الكتل الجليدية الهاوية.

وانطلق من شمروك صوت ملح: "بنيلوب، هل ترونه؟"

ولم يكن بقي للسفينتين بنيلوب وسكوتيش هيذر سوى قليل من الوقت لمواجهة الجدار المائي الرهيب الطالع من بقايا الجبل الجليدي المحطم. وأثار هذا المشهد في الربانين إحساساً بالرهبة شبيهاً بذاك الذي انتاب المنتج السينمائي التشيكي قبل ثلاث سنوات.

انطلق ربان بنيلوب الى أمام بأقصى سرعة ممكنة فيما انعطف ربان سكوتيش هيذر بأقصى سرعته. غير أن هذا لم يُجْدِ فتيلا إذ راحت السفينتان القاطرتان ترتفعان مع الموج وحجب الضباب الرؤية عن شاشاتهما في برجي القيادة وأخفى المناظر في الأفق. وانبعث من مكبرات شمروك صوت يصيح: "اثبتا!"

وشاهد المتفرجون الذين كانوا على منصة شمروك سفينتي القطر تندفعان مع الموج المتكسر المزبد وقد برز منهما جزء كبير خارج الماء ثم لا تلبثان أن تهبطا في حركة بطيئة، وبعد ذلك ترتفعان عائمتين ثانية كأنهما قطعتان من الفلّين.

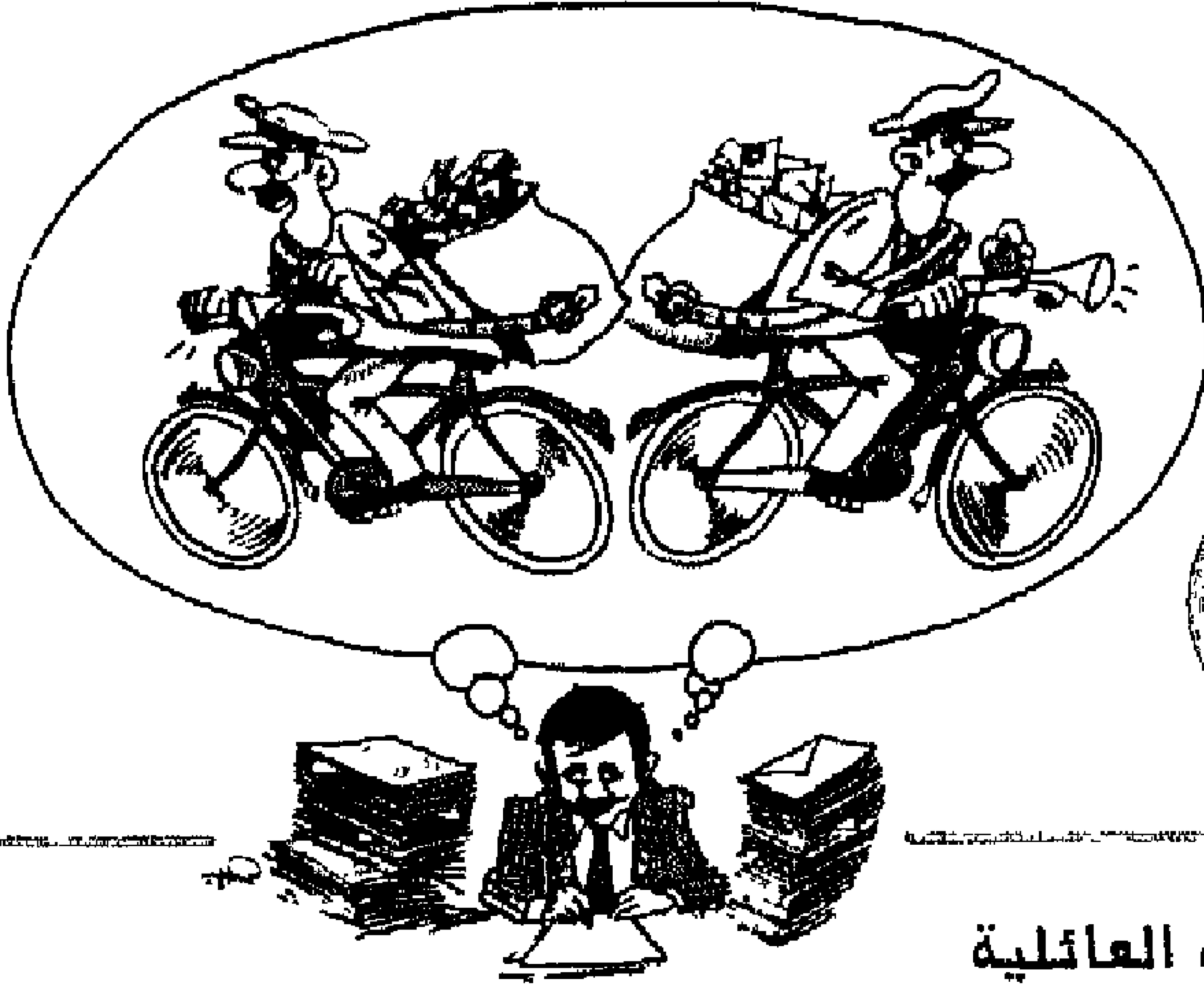
وفي الصباح الذي تلا "موت" الجبل الاحمر استيقظ المشرف وصعد الى السطح ليراقب طلوع الشمس. وتساءل هل يمكن أن يعود الجبل العجيب الى الظهور.

ولاحظ من خلال الضوء المتزايد أن المنصة الضخمة كانت محاطة بخليط غريب من الأنقاض يشتمل على حطام جناح لعله للمروحية توين أوتر وعلى جيفة دب قطبي وعلى عوّامة زورق غرينلاندي.

وفيما الشمس تلقي أشعتها الساطعة على الماء لمح المشرف جثة المغامر التشيكي. وبدأ يدرك برهبة أنه عندما يعمد جبل جليدي كالجبل الأحمر إلى جوس البحار يغدو من السهل أن يقع الانسان ضحية على رغم التقدم التكنولوجي الذي يطبع عصرنا.

فرنكلين رصل ■

اكتب واربح



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

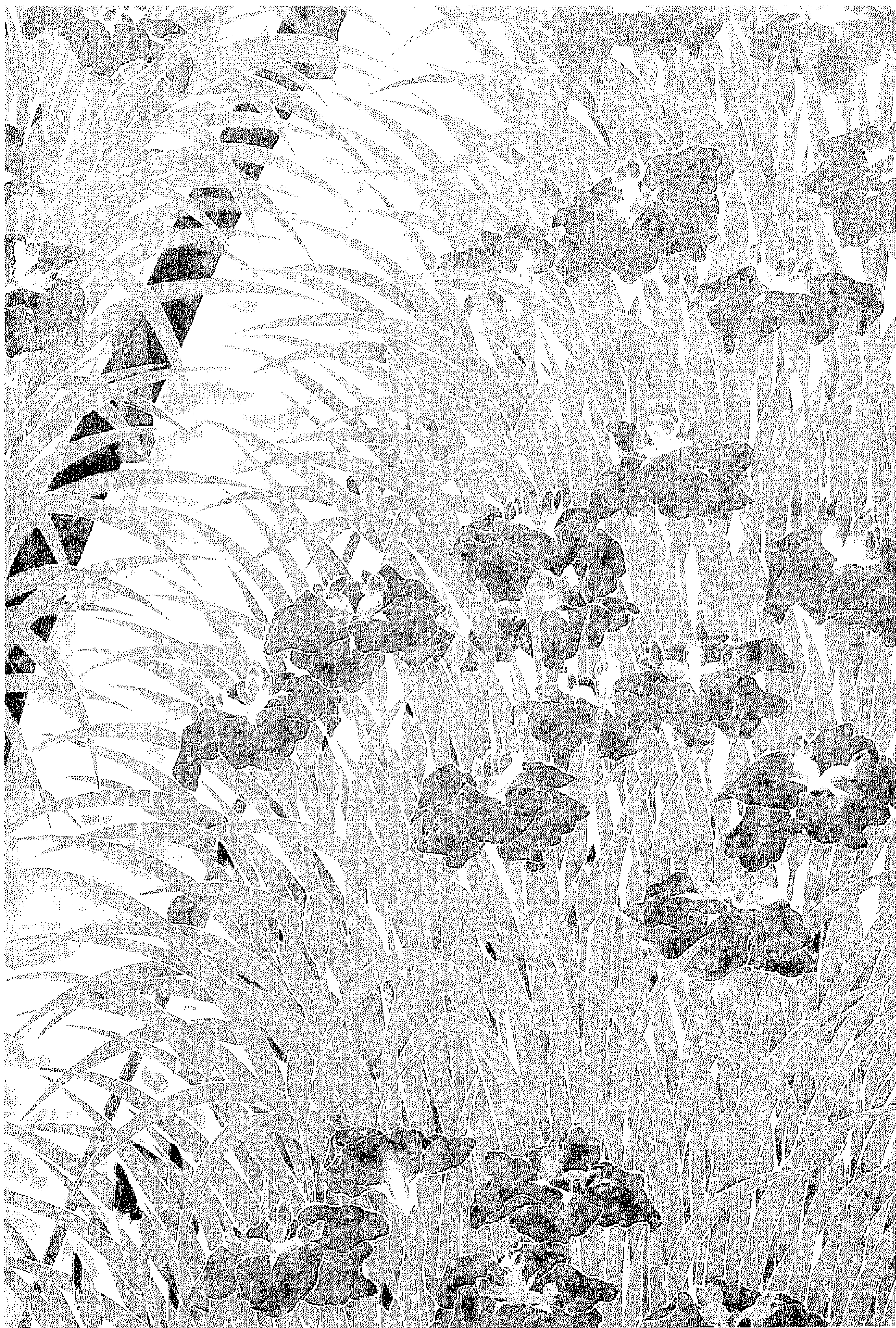
حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه. اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان.



« سوسنات » للياباني هيهاشيرو فوكودا

مايو (أيار) ١٩٨٦، رمضان ١٤٠٦

المختار



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest May 86 N° 90



الرجيم المفضل
(ص ٧)

التيتانيك: نهاية الأسطورة
(ص ١١٦)

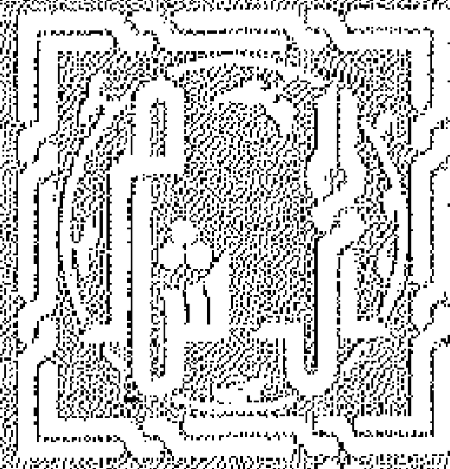
كيف تفسرون الأحلام؟
(ص ٣١)

فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة، بل إنه مدينة قائمة بذاتها .. صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك أو كنت منهمكاً في عملك ... فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة إلى المسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية ... ولا تنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها.



للحجز: فندق الشام - ص.ب ٧٥٧٠
تلكس: ٤١١٩٦٠
رقم الهاتف: ٢٣٣٣٠٠ (٥ خطوط)
تلكس الرسائل: ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر. شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون. داني دحداح - باز.

الاشتراكات: فريال علاف.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠

التلكس MUKTAR 44615 LE ، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.

الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب٧٠٧ ٨ بيروت - لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE.

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE



AL MUKHTAR min Reader's Digest.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 — 491630

P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

May 86 N° 90 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير. كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرر دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكوريه والهندية واليونانية، الى العربية.

ثمن العدد

بنان ١٠ل - سورية ١٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١ج - السودان ١ج - ليبيا ٧٠٠د - ج.ع. اليمنية ٤ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - ونس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

هذا لا يهم!

الحياة زاخرة بأشياء مهمة جداً، فلماذا ننهار أمام التفاهات؟

قال لنا أستاذ حكيم في احد صفوف التربية: "دعوني أتلو عليكم ثلاث كلمات بسيطة سوف تساعدكم في مهنة التعليم وفي مواجهة مصاعب الحياة وتؤمن لكم بالتالي السلام الداخلي. الكلمات هي: "هذا لا يهم."

هذا لا يهم؟ بدت نصيحته كأنها تنطوي على موقف لامبالاة يتناقض جوهرياً مع المواقف التي دُرِّبنا على احترامها ومنها: أهمية الولد كفرد ومسؤوليتنا كمربين الى ما هنالك من مواقف رزينة.

تُرى ماذا كان أُستاذي يعني بقوله هذا؟

لقد اوضح ان المعلم يتعرض خلال نهاره لاحباطات كثيرة ليست من الأهمية بمكان. فان فسح لها في مجال التأثير عليه، كانت كفيلة بتحطيمه.

"وسأعطيكم مثلا على ما أقول. افترض أنك، كمعلم، وضعت خطة مدروسة ليومك. هناك الكثير مما ينبغي إنجازه. وأنت تحلم ببرنامج شائق لعطلة باتت على الابواب. ولسوء الحظ يمرض أحد الاولاد ويتقيأ على اللوحة الجدارية التي كاد التلاميذ أن ينجزوها. أنت في موقف كهذا إما تفقد رشدك بسبب انهيار خططك، وإما تقول: "هذا لا يهم"، وتقنع نفسك بصدقية هذه الفكرة.

"وبطبيعة الحال ستقلق على ما يهم حقاً، عنيت بذلك مشاعر الولد العليل. أما في ما يختص بخطتك فيمكنك متابعتها من حيث تركتها."

وتمكنت من ادراك مغزى كلامه. ونظراً الى ضعفي وحساسيتي دوَّنت عبارة "هذا لا يهم" بخط عريض على دفتر ملحوظاتي وصممت على أن أحاول جاهدة ألا أدع إحباطاتي وخيباتي تسلبني سلامي النفسي.

ونجحت خطتي. فصرت أسعد حالا من قبل، وبت أُنجز أكثر إذ أُبرز المهم من الأمور وأمر على غير المهم مرور الكرام.

لكن موقفي الجديد ما لبث أن واجه تحدياً عنيفاً. فقد وقعت في حب شاب بهي الطلعة يدعى فيل جاكسون. وكنت واثقة أنه فتى أحلامي.

لكنه أفهمني بكل لطف أثناء إحدى المناسبات الاجتماعية أنني لست أكثر من صديقة عزيزة بالنسبة اليه. وهكذا تداعى عالم الاحلام الذي نسجته حول شخص فيل. وبينما أنا أبلل وسادتي

بدموع الخيبة في تلك الليلة بدت الكلمات المخطوطة على لوحة في غرفتي وكأنها تسخر مني. هذا لا يهم!

وهمست في سكون الليل: "رباه، هذا يهمني جداً. فأنا متيمة بحبه ولا أطيق العيش من دونه."

ولكن حين استيقظت صباح اليوم التالي وتعمقت في مضمون الكلمات بدأت عملية تحليل منطقي لمشكلتي. وتساءلت في قرارتي: ما أهمية هذا الأمر في الحقيقة؟ وتبادر الى ذهني أن المهم هو سعادتنا. فهل أرغب حقاً في الزواج بشخص لا يحبني؟

ومع مرور الأيام اكتشفت أن حياتي يمكن أن تكون رائعة وسعيدة من دون فيل. ولا بد من أن أصادف ذات يوم شاباً يحبني ويحترمني، وحتى ان لم يحصل ذلك فاني أستطيع العيش بهناء. وهكذا تمكنت من السيطرة على مشاعري.

وبعد مضي سنوات طلبني للزواج شخص أنسب من فيل. وفي غمرة انشغالي بتفاصيل الزفاف غابت عن بالي عبارة "هذا لا يهم". وما حاجتي اليها بعد الآن؟ فأنا على عتبة العيش بسلام الى ما شاء الله، ولن أعرف احباطاً بعد الآن.

كم هن سذج الفتيات! الزواج والأمومة خاليان من المصاعب؟

بعدما أنجبت ثلاثة أولاد في خمس سنوات بدأت هموم تدبير المنزل تضغط بثقلها فتثيرني وتفقدني صوابي في كثير من الأحيان. لماذا فقس الاولاد البيض على سجادة نظفتها لتوي؟ ولم تمتلىء سلة الثياب المتسخة بعد انتهائي من الغسيل بساعات قليلة؟ ثم هذه الضجة! يا لقدرة الاولاد على الضوضاء والجلبة متى شاؤوا!

وفي يوم عيد ميلاد ابنتي الكبرى شعرت كأنني سأنهار كلياً. فقبل نصف ساعة من موعد الحفلة بقي علي أن أشتري البالونات وأنفخها. وكانت ابنتاي تتجادلان بصوت مرتفع. وتعين علي إجراء اتصالين هاتفيين قبل الانطلاق الى السوق.

وبعد الاتصالين حملت طفلي الرضيع ورحت أبحث عن شقيقتيه كي أصطحبهما في رحلة سريعة الى أقرب متجر. ولم



جديد من سِيرّيلاك

القمح، الأرزّ والحليب المغذّي يجعل سيريلاك أول طعام كامل يُعطى لطفلكِ بالملعقة بعد شهره الرابع.

وبينما ينمو طفلكِ دعيه يتذوّق سيريلاك الجديد بالموز وسيريلاك الجديد بالأربع فواكه، وجميعها تحتوي على البروتين والاملاح والفيتامينات التي يحتاج اليها طفلكِ.

امزجي سيريلاك بالماء المغلي لحصولكِ على طعام كامل ومغذّي.

سيريلاك الغذاء الكامل لطفلكِ، متوفّر الآن بأربعة أنواع.



سَيرّيلاك
أول طعام كامل
يُعطى لطفلكِ بالملعقة

تضمنه نستله
Nestlé

أتمكن من العثور عليهما، فرحت أُتمتم: "ترِى أين هما؟" وإذ بي أراهما. كانت ثيابهما الجديدة مغطاة بالنشارة من الغرفة الإضافية التي كنا نشيِّدها خلف منزلنا. وعبرتا المطبخ وغرفة الطعام وهما تنثران الأبيض المصفرّ على الارض.

وقلت: "آه، لا! لن أستطيع الاحتمال أكثر." وكنت على وشك الصراخ: "كفاني منكم أيها الملاعين!" لكن الكلمات السحرية لمعت كالبرق في ذهني تاركة أثراً أكيداً: "هذا لا يهم."

وفكرت في أن الأمر حقاً لا يهم، على الأقل ليس بالمقدار الذي تخيلته. ونظرت مجدداً الى الطفلتين ورحت أهز رأسي، لكنني كنت أضحك في سري لمنظرهما. كانت عيونهما جاحظة لغضبي وبارزة من جسديهما الصغيرين المغطيين بالنشارة من أعلى الرأس الى أخمص القدمين.

والواقع ان الامر لم يكن ذا أهمية ولم يكن يستحق الثورة والغضب. فهذا اليوم المميز لهما وليس لي. وكنت أريد أن يحتفظ أولادي بذكريات سعيدة لأعياد ميلادهم وليس بصور عن أم تعنِّفهم وتقسو عليهم.

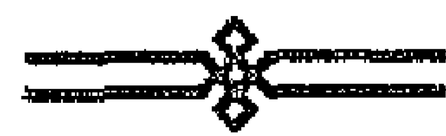
وبادرتهما مرحة: "هلما أُنظِّفكما يا حلوتيَّ". واستجمعت قواي المشتتة وتابعت نهاري بسلام جديد. وكم سارت الأمور بانتظام، حتى من دون بالونات.

وبعد أسابيع قليلة تلقيت وزوجي أنباء محطمة ومفادها أننا خسرنا كل أموالنا التي ادخرناها ووظفناها في مشروع تجاري خاسر. وبعد انتهاء زوجي من قراءة الرسالة التي تلقاها في هذا الشأن، انسلّ الى مكتبه ليختلي بنفسه. وراقبته منحنياً وجبهته غارقة في راحتيه. وانعكس عميق حزني ومرارتي تشنجات في معدتي. وهنا تبادرت الكلمات السحرية الى ذهني: "هذا لا يهم."

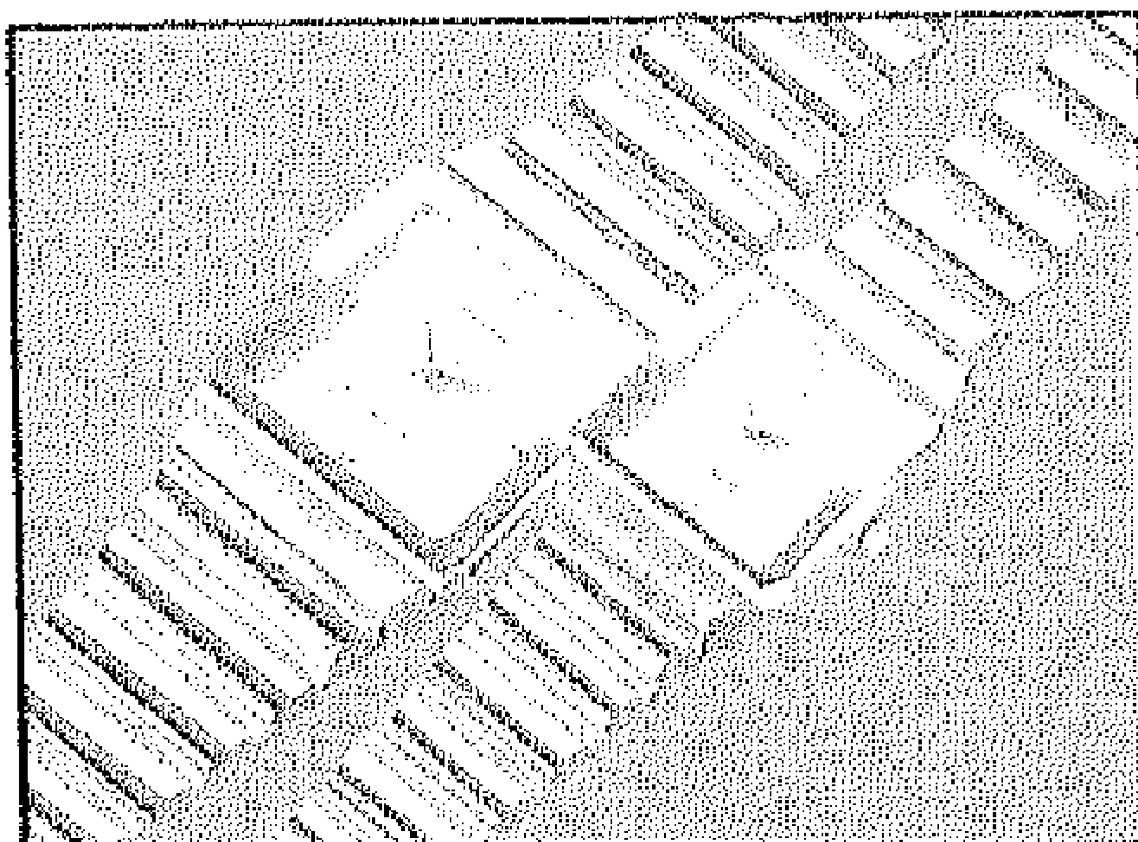
وفكرت: "لا يقنعني أحد. صدقوني، إن هذه المصيبة تهم." ثم لفتني ضجيج طفلنا الذي كان يلعب جذلا. واذ لاحظ نظراتي توقف عن لهوه وأخذ يضحك ويبتسم لي ابتسامة عريضة لا تُقدر بثمن. ومن خلال النافذة لمحت ابنتينا تشيدان بفرح وحماسة قصراً رملياً جميلا. وخلفهما في مؤخر حديقتنا كانت أشجار القيقب الفضية تناطح سماء صافية زرقاء لامتناهية. وأحسست تشنجات معدتي تسترخي وتزول ليحل السلام المريح مكانها. وارتسمت على شفتيَّ ابتسامة رضا. ولم ألبث أن توجهت الى مكتب زوجي حاملة اليه كلمة تشجيع: "كل شيء سيكون على ما يرام. خسارتنا جاءت في الماديات فقط. صدقني، هذا لا يهم."

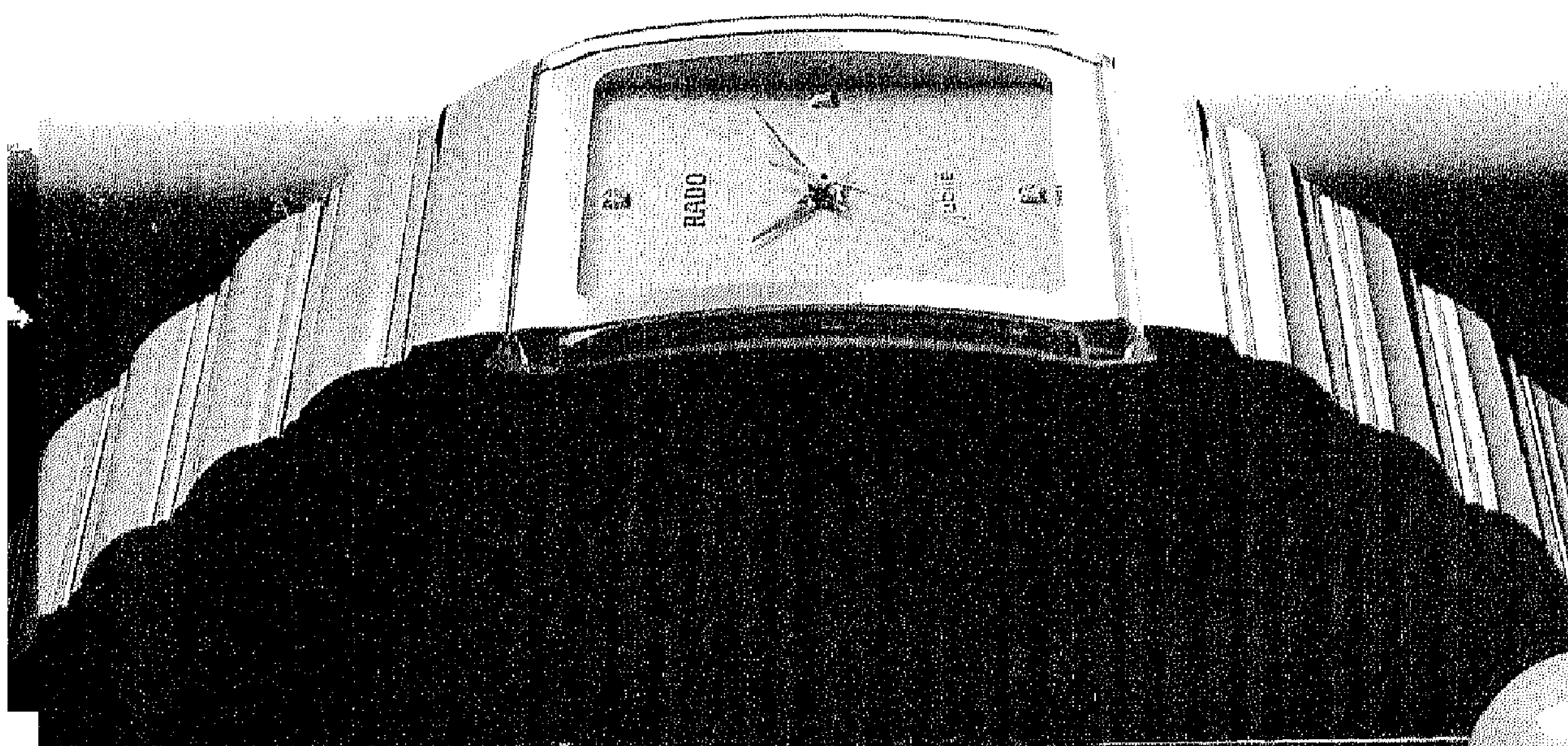
في مجالات الحياة الواسعة هنالك الكثير من الأمور التي تهم حتماً. فقيمنا وشرفنا مهمة وايماننا مهم. ونحن مهمون كذلك. لكنَّ أشياء أخرى تسلبنا سلامنا وسعادتنا هي في حقيقتها المجردة تافهة. فكم تتبدَّل حياتنا نحو الأفضل لو استطعنا تذكر هذا المبدأ على الدوام.

آنيا باتمان ■



الظرافة اتصال حميم من عمق البصيرة. — ليو روستن





RADO

المختار
من ريدرز دايجست
مايو (ايار) ١٩٨٦ — السنة الثامنة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

خبير تغذية بارز يقوّم ١٥ نظام حمية لخفض الوزن ويقدم نصائح مفيدة من عنده

اختاروا الرجيم الذي يناسبكم

كثيرون من الناس يختارون الأنظمة الشائعة لخفض الوزن مثل "الخطة ف" و"أتكنز" و"بريتيكين" و"سكارسدايل" (١) وسواها التي تتناولها الكتب الرائجة، لكن قلة منهم تتوقف لتنعم النظر فيها: أي من هذه الخطط الرائجة يناسبني؟ هل يوفر أي منها كل المغذيات التي يحتاج اليها الجسم؟

بول لاشانس أحد أوائل خبراء التغذية الذين عملوا في برنامج الفضاء الامريكي وهو الآن أستاذ علم الطعام والتغذية في جامعة رتجرز بولاية نيوجرزي، عكف على تقديم أجوبة عن هذه الاسئلة مستعينا بالمعلومات التي وفرها "مصرف المعلومات الغذائية" في ماساتشوستس. وعمد مع زميلة له هي ميشال فيشر الى تقويم ما يحققه ١٥ نظاماً من أكثر أنظمة الحمية رواجاً، على أساس المخصصات اليومية من الفيتامينات والمعادن التي توصي بها الوكالات الصحية التابعة لحكومة الولايات المتحدة. كما قوما أنظمة الحمية هذه ازاء التوجيهات حول البروتيين والدهن والمواد السكرية والنشوية (كربوهيدرات) التي تصدرها وزارة الزراعة وادارة الخدمات الصحية والانسانية في الولايات المتحدة. وبحسب

(١) F-Plan, Atkins, Pritikin, Scarsdale

توصيات لجنة التغذية والحاجات الانسانية في مجلس الشيوخ الامريكي، ينبغي أن تتضمن أنظمة الحمية نحو ١٥ في المئة من البروتيين و٣٠ في المئة من الدهن و٥٥ في المئة من الكربوهيدرات (انظر الى المخطط البياني المرفق بهذا المقال).

وجد لاشانس أن احدى أفضل الخطط هي برنامج مراقبي الوزن (٢) ويقول: "ان خطة مراقبي الوزن هي جَدّة خطط الحمية المنظمة. وهؤلاء المراقبون يدونون تاريخاً صحياً مفصلا لك حين تنضم اليهم. وخطتهم تكاد توفر كل المغذيات الموصى بها. ولكن عليك أن تتأكد من تناولك كمية كافية من الالياف في هذه الخطة. وتذكر انك ستحتاج الى بعض المعادن والفيتامينات الداعمة لجعلها مكتملة. وفي أي حال، كل من يتبع نظام خفض للوزن ينبغي أن يتناول مقادير مكملة من الفيتامين والمعادن."

وفي رأي لاشانس ان "الخطة ف" هي خطة اخرى تقرب من الكمال. ويقول: "ان فيها مقداراً منخفضاً من الدهن ومقداراً مرتفعاً من الكربوهيدرات المعقدة، وهي لا تحتاج الا الى مقدار معقول من الفيتامين "ب ١٢" والكلسيوم لجعلها مكتملة غذائيا." وهذه الحمية المرتكزة جزئياً على انجازات الطبيب البريطاني دنيس بوركيت تحدّ كمية الدهن وتخفض البروتيين بينما ترفع كمية ما تتناوله من الثمار الغنية بالالياف ومن الخضر والاطعمة الحبوبية الكاملة (٣).

دهش لاشانس حين اكتشف مدى الناحية غير الصحية في بعض انظمة الحمية. ومن الامثلة على ذلك حمية بيفرلي هيلز (٤). انها لا توفر في الايام الثمانية عشر الاولى شيئاً من الفيتامين "ب ١٢"، وتكتفي بمقادير ضئيلة جداً من الكلسيوم والحديد والزنك ومغذيات حيوية أخرى. ويقول: "انها اساساً نظام ذو مستوى منخفض من البروتيين، لانها في الايام التسعة الاولى تقتصر كلياً على الثمار. وقد تواجه مشاكل بعد أسبوعين اذا اتبعت مثل هذه الحمية."

وعلى رغم أن لاشانس لم يدرج في دراسته الحميات التي تعتمد البروتيين السائل فانه يحذر منها. انها قد تسبب اضطراباً في عمل القلب. وهو ينسب الى البروتيينات السائلة علاقة بمشاكل صحية أخرى وحتى بوفيات.

ولما كان للملح والكولسترول والالياف صلة بالصحة، فان لاشانس قوّم أنظمة الحمية على أساس هذه النقاط كذلك. ووجد أن خطتي ستيلمان (Stillman) وأتكنز تسمحان بمقادير مفرطة من الدهن المشبع قد تصل الى خمسة أضعاف المعدل اليومي الموصى به للكولسترول وهو ٣٠٠ مليغرام. وبعض الخبراء يعتقد أن النظام الغذائي ذا المستوى العالي من الكولسترول والدهون المشبعة يمكن أن يؤدي الى أمراض القلب.

ومن جهة أخرى فان خطة بريتيكين ذات مستوى عال من الالياف التي تقوّي وظيفة الامعاء، الا انها يمكن أن تحوي القليل من الدهن بحيث تصبح غير طيبة

---

(٢) Weight Watchers

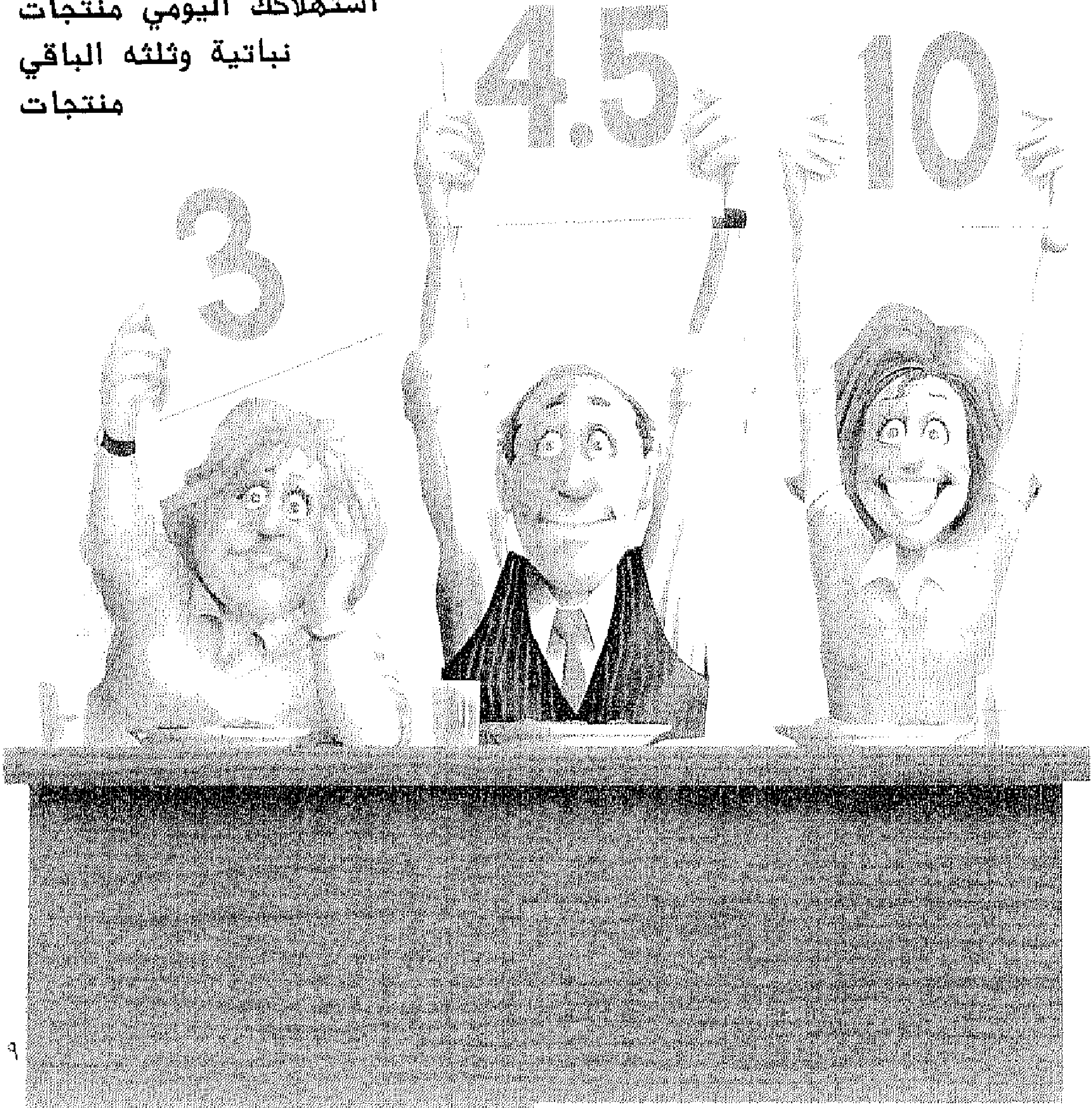
(٣) Whole-grain cereals

(٤) Beverly Hills Diet

المذاق فيغدو من العسير اتباعها أمداً طويلا.

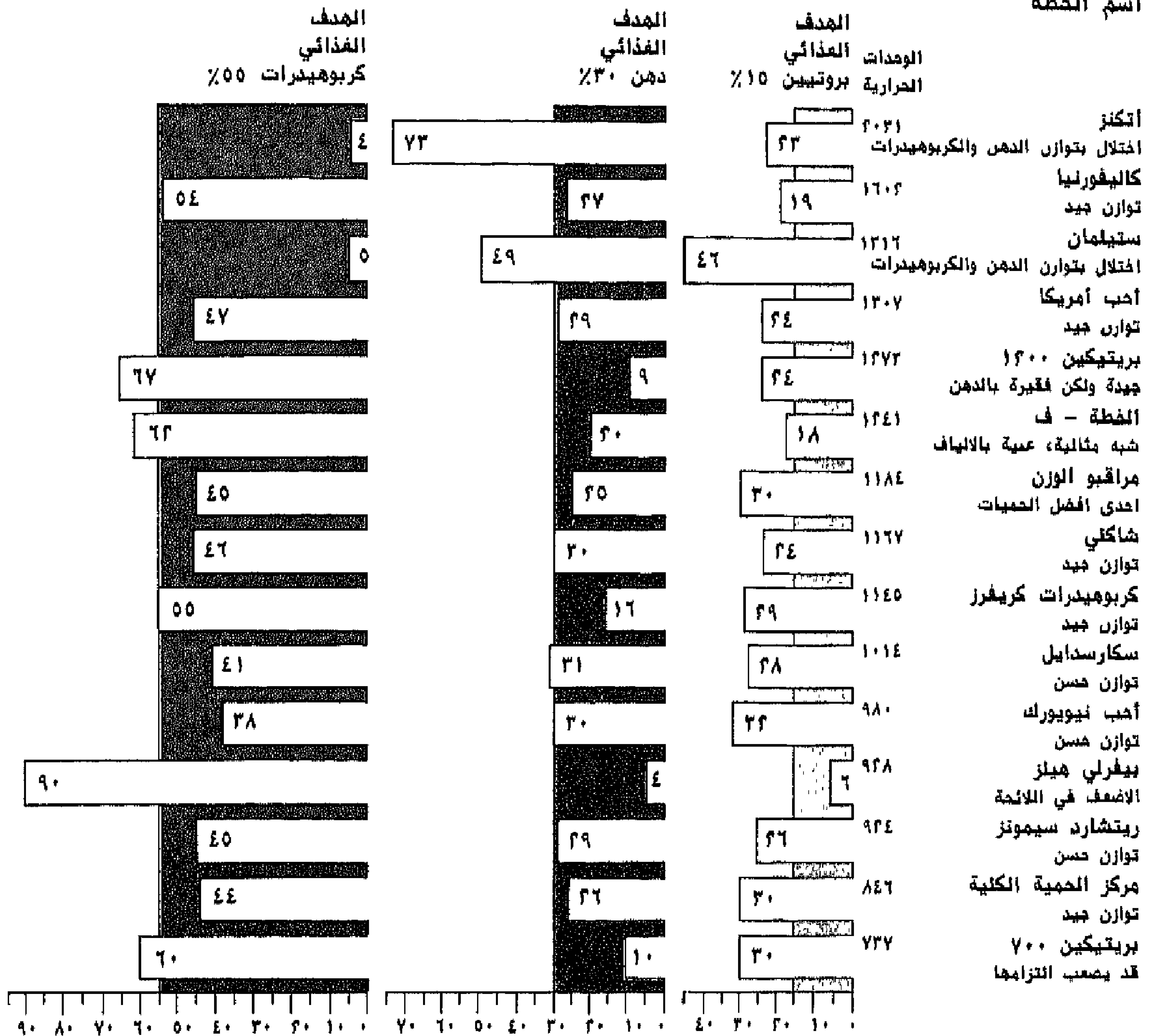
هل الحمية الشائعة التي تناسبك هي أسلم الطرق صحياً لانقاص وزنك؟ قد يكون الامر كذلك، لكن لاشانس وسواه من خبراء التغذية يشيرون الى أن صحة الكثيرين من متبعي الحمية يمكن أن تتحسن اذا تناولوا فقط مزيداً من الكربوهيدرات المعقدة، مثل الحبوب الكاملة، ومقادير أقل من الدسم الذي تنسب اليه علاقة بسرطان القولون. ويقول لاشانس: "من السهل أن تحصل على نظام حمية صحي بالتقيد بمجموعات الطعام الاساسية الاربع."

انه يقترح عليك أن تبقي الصيغة اليومية الآتية في ذهنك: ٤ - ٤ - ٢ - ٢. وهذه تعني أربع حصص من الفواكه أو الخضر وأربع حصص من الخبز أو الحبوب او مشتقاتها وحصتين من منتجات الالبان كالحليب واللبن المختثر والجبن وحصتين من اللحم الهبر أو الدجاج أو السمك. هذا النظام يجعل ثلثي استهلاكك اليومي منتجات نباتية وثلثه الباقي منتجات



مقارنة أنظمة الحمية مع الاهداف الغذائية

النسبة المئوية لتوزيع مصادر الوحدات الحرارية (بعد اسبوعين)



جمع هذه الاحصاءات بول لاشانس وميشال فيشر من جامعة راتجرز.

حيوانية. ونلفت هنا الى ان التركيبة الغذائية لكثير من الغربيين معكوسة تقريباً: ٤٠ في المئة منتجات نباتية و٦٠ في المئة منتجات حيوانية.

ولكن هل يمكنك ان تأكل كل هذا وتنقص وزنك في الوقت نفسه؟

"نعم،" يقول لاشانس، "هذا اذا كنت ترغب في التمرين، وهو جزء من برنامج انقاص الوزن." ويروي قصة سمعها من طبيب: دَخلت امرأة بدينة عيادته تطلب وصفة من أجل انقاص الوزن. وتناول الطبيب ورقة من دفتر الوصفات وكتب عليها "أديداس" (٥) وقدمها الى المرأة قائلا لها انها اذا مشت حثيثاً مسافة ثلاثة كيلومترات يومياً فانها لن تواجه بعد ذلك مشاكل في الوزن.

ونجحت التجربة، يضيف لاشانس، "ففقدت المرأة كثيراً من وزنها وهي الآن لا

Charts: Network Graphics

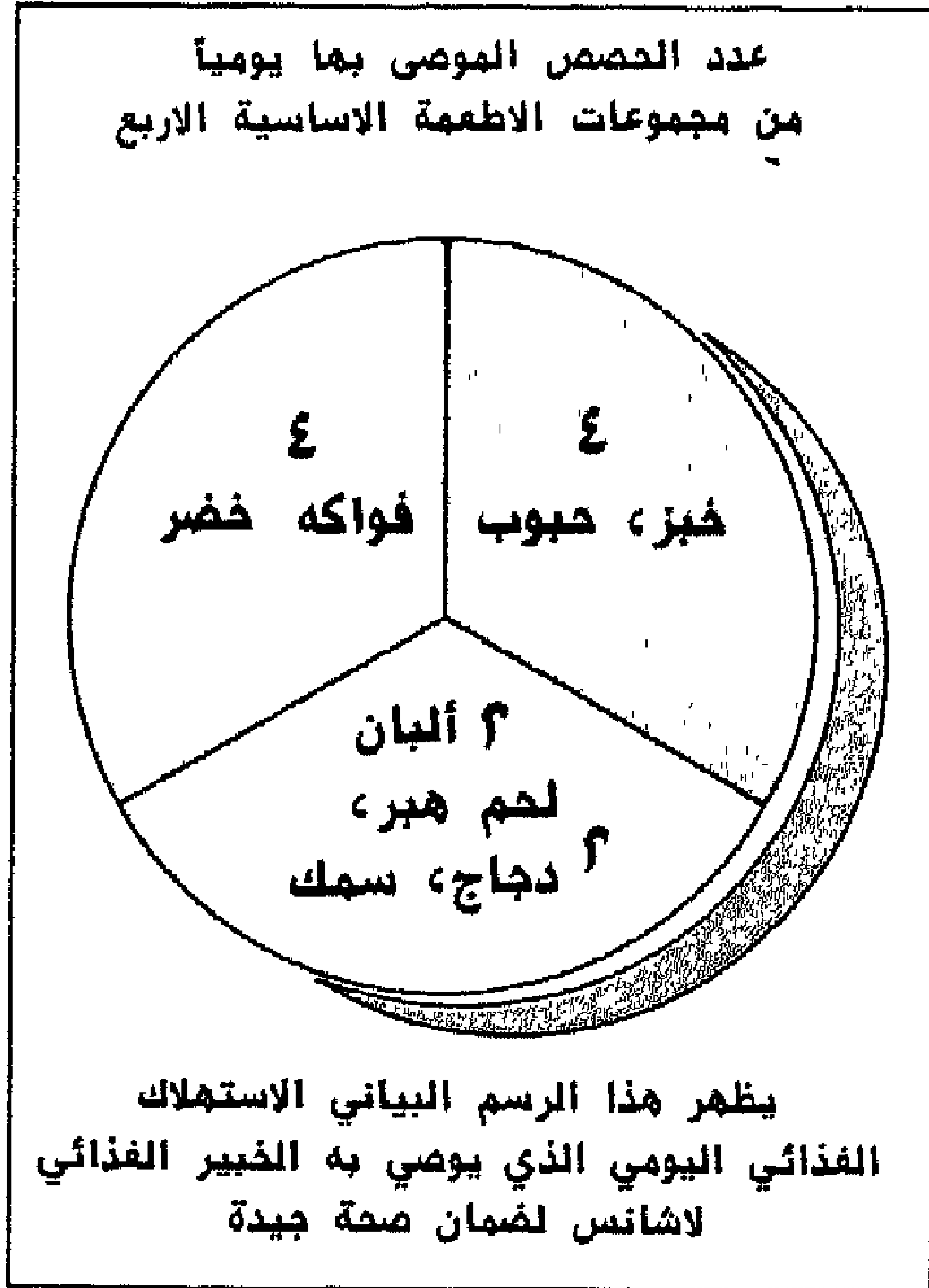
تنقطع عن التمرين يوماً واحداً. فالتمرين يقوي عضلاتك ويخفف شهيتك للطعام ويحسن نظرتك النفسية الى الحياة."

والى التمرين يعتقد لاشانس ان الفطور جزء مهم من نمط العيش الصحيح والجسم الناحل. ويقول: "أفضل لك أن تتناول فطوراً ماكناً، من الحبوب على نحو رئيسي، من أن تتناول غداء أو عشاء ثقيلاً."

معظم الناس الذين يراقبون ما يأكلون ويتمرنون بانتظام تتملكهم أحياناً نزعة الى الخروج على "الخط" فيأكلون الحلوى أو الفطائر المحلاة. ويقول لاشانس: "كل انسان يحتاج الى طعام مغر كل يوم. وعليك أن تختار بين كأس شراب وقرن جيلاتي (آيسكريم) ولكن ليس كلاهما معاً."

معظم أنظمة الحمية الباطلة تنجح موقتاً من طريق اختلال التوازن، اذ تتضمن نسبة عالية من البروتيين أو الدهن أو الكربوهيدرات، ولكن هذه يمكن احتمالها الى أمد محدود. أما برنامج حمية لاشانس فهو خطة يمكنك اتباعها

الصيغة الغذائية ٤ – ٤ – ٢ – ٢



يظهر هذا الرسم البياني الاستهلاك الغذائي اليومي الذي يوصي به الخبير الغذائي لاشانس لضمان صحة جيدة

طوال حياتك. واذا استطعت الموازنة بتناول مقادير معقولة من الاطعمة المغذية والتمرين والتلذذ بين حين وآخر بطعام يغريك، فربما لن تجد نفسك في حاجة الى اتباع حمية بعد ذلك أبداً.

ليزا روغاك ■



تبويب خرافي!

اتبع أمين سر احدى الشركات طريقة غير عادية في ترتيب الملفات. فهو وضع سجلات الحالات الطارئة والاسعافات الاولية ومكافحة الحرائق في ملف يحمل كلمة "النجدة". ووضع طلبات الاستخدام في خانة "من دون عمل". ووضع المعلومات عن المستخدمين السابقين في خانة "كانوا"، وهكذا. غير أن نظام المحفوظات هذا سبب له بعض الارتباك أثناء عملية تفتيش. اذ طلب مراقب الحسابات بيانات النفقات، ولم يسعه الا أن يبتسم حين قرأ عنوان الملف: "قصص خرافية".

ر.ج.

الثقـة حِصْنُ الزواج

لكل زواج مشاكله. ولكن عندما ينجح الزواج تكثر فيه لحظات حلوة لا تنسى في ساعات الضيق

ما هو بالضبط ما يجعل الزواج ناجحاً؟

"كيف تصرفت لتبقي على زواجك طوال هذه المدة؟" سؤال طرحته عليّ امرأة في أواخر عشريناتها مشيرة الى زواجي الذي دام نحو ثلاثين سنة.

حيّرني سؤالها. فقد كنت أعتقد أن الزواج عاد "موضة" للعصر وان "الالتزام" أو "الاخلاص" لفظة محبّبة. ولكن لما تمعنت في المسألة تبيّن لي ان الزواج عاد الى عزه.

وفي اعتقادي أن نسبة الطلاق الحالية جعلت الزواج الدائم يبدو لبعض الناس حلماً مستحيلا خصوصا في الولايات المتحدة. ولكن مع ان عدداً من الزيجات ينتهي الان بالطلاق، فان عدداً آخر يظل سالماً. وفي حين تتخلل المشاكل بعض

هذه الزيجات، فان معظمها لم يكن ليدوم لو لم يكن ناجحاً. أفليس لدينا ما نتعلمه اذا ركّزنا على الايجابيات، على أسباب نجاح الزواج، اكثر من التركيز على أسباب اخفاقه؟

من هذا المنظار انطلقت لأقابل أناساً مضى على زواجهم ١٥ سنة او أكثر. وبعد الفربلة ركّزت على ٨٧ زواجاً. وتكلم بعض الازواج عن الصعوبات والمشاكل التي عجبت أنا كيف استطاعوا معالجتها. أما الآخرون، فالى الصعوبات وجدوا ثروات عاطفية. كان هؤلاء في معظمهم أناساً عاديين اختاروا الابقاء على زيجاتهم ليس لانهم وجدوا ذلك واجباً بل لان الزواج كان بالنسبة اليهم شيئاً مهماً.

قد يكون جميلا أن أقول اني اكتشفت سرّ الزواج الدائم. لكن الزواج هو من التعقيد بحيث يتعذر اختصاره بسر واحد. اكتشفت أن هناك مواهب مكتسبة ووجهات نظر يتشارك فيها الازواج في الزيجات المتينة. ويبدو لي أنها تندرج في فئات ثمانٍ:

١ استمتاع الواحد بالآخر. في الزيجات المشبعة الرغبات يستمتع الزوجان بوجودهما معاً والتكلم أحدهما مع الآخر. ولئن قضيا بعض الامسيات صامتين فهما غالباً يتكلّمان، ويصغيان. اني راقبت وجوه الناس الذين قابلتهم. فقد يتناقش زوجان أو يقاطع أحدهما الآخر، ولكن يبقى بينهما رابط متين، فيضحك الواحد لنكات شريكه ويمسك بيده ويلامسه.

وأحسست بتيّار جنسي بين بعض الشركاء. الازواج الذين التقيت اعتبروا الجنس جزءاً أساسياً من الزواج، لكن احداً لم ينظر اليه كأمر جوهري أو كسبب وجود. وقال أحدهم: "ليس الجنس كل شيء في الزواج. لكنه يعني كثيراً."

ويجد الواحد من هؤلاء الازواج شريكه ممتعاً. ولكن ليس من الضرورة أن تكون لهما الاهتمامات نفسها. وهذا ما كان مفاجأة لي. من ذلك قول زوجة: "زوجي يحب الاسترخاء في العطل وأنا أحب التنقل من مكان الى آخر. وهكذا نسافر كثيراً في صيف، وفي صيف ثانٍ نستأجر بيتاً ونستمتع بالمنظر."

ولكن اذا لم تكن مشاطرة الاهتمامات مهمة، فالمشاركة في القيم هي كذلك. فالعظيمو الايمان اعتبروا الدين الرباط الاقوى في حياتهم. وقال زوجان ان أهم نقاشاتهما تدور حول المال، فهو ميال الى الاسراف وهي تحسب حساباً لكل فلس. ومع ذلك كانت لهما لحظة لقاء عندما اشتريا كماناً لابنتهما ذات الموهبة الموسيقية. فهما اشتريا أغلى ما أمكنهما شراؤه، لانهما كليهما وضعا الثقافة فوق أي شيء يمكن شراؤه بالمال.

٢ القدرة على التغيّر. ان القدرة على التغيّر أمر لا غنى عنه في الزواج. فالاطفال يولدون ويتركون البيت، والزوجان يشيخان ويمرضان. وهذه أمور تثير القلق. وحتى التغيّرات الحسنة قد تخل بالتوازن. قالت لي احداهن: "منذ رقي زوجي في وظيفته لم يعد يعجبني الشخص الذي صاره."

ومع ذلك ففي الزيجات المتينة يمكن كل شريك ان يُحدث "تصحيحات استراتيجية وسطية أثناء المسيرة" كما يقول طبيب نفساني. والازواج الذين يبقون معاً على رغم التغيّرات هم في الحقيقة اتّخذوا قراراً بتجديد زواجهم.

تكلّم رجل متزوج منذ ٢٩ سنة حول احدى ازمات منتصف الحياة التي واجهتها زوجته: "كانت لي نظرة بسيطة جداً الى الزواج في البداية. كنت أعمل ساعات عدة ثم ألتمس الراحة في لعب الغولف أو كرة المضرب. وكانت باميلا تعتني بي وبالاولاد. وقبل تسع سنوات انقلب عالمي كله. قالت لي باميلا انها باتت تكره فيّ انانيتي وعدم اهتمامي بها وبالاولاد، وانها على استعداد لتركي.

"وكانت عائلتي أهم ما في حياتي، فقرّرت أن أستردّ زوجتي بتغيير حالي. وضعت زوجتي في المقام الاول وجعلت عملي آخراً. وسرعان ما وصلت الى الاستمتاع بأمور نفعلها معا وأسفت على السنين الضائعة. وها أنا الآن قد عدت الى عائلتي، والتغيير الذي أقدمت عليه هو أكثر ما اعتز به في حياتي."

أزواج اليوم الذين استمرّت زيجاتهم ١٥ سنة وأكثر عاشوا أسرع تغيرات اجتماعية في التاريخ. التشديد الجديد على حقوق المرأة خارج بيتها وعلى مسؤوليات الرجل داخل بيته عقّد زيجات كثيرة. ومع ذلك نَعِم أزواج آخرون بطواعية كافية فاختاروا ما كان نافعاً لهم وطوروا مفاهيم جديدة في زواجهم.

الذين يستمرون سعداء في زواجهم لا يعتبرون أنفسهم ضحايا الحظ العاثر، بل أحرار ينتقون خياراتهم. انهم يختارون طوعاً تغيير أنفسهم عند الضرورة للاحتفاظ بزيجاتهم حيّة وحيوية.

٣ القدرة على العيش مع الثوابت. هناك عدد من المتزوجين السعداء قالوا انهم لم يكونوا يتوقعون الكمال. انهم تقبّلوا في شركائهم صفات لم يحبوها. قالت احدى النساء: "لقد أمطرنا بوابل من النصائح حول تحسين الحياة الزوجية حتى نسينا أن في الامكان ترك الامور كما هي."

وهناك أزواج يُقرّون بوجود خلافات لم تحل بسبب تعارض الشخصية أو اختلاف طريقة مواجهة الامور، لكنهم أوقفوا الشجار حول هذه النقاط وتابعوا حياتهم. انهم يركّزون على قوى الزواج، وعلى الانسجام أكثر منهم على التنافر. ويقول صاحب دكان متزوج منذ ٣٨ سنة: "عليك أن تعرف متى تتذمّر ومتى تغض الطرف."

٤ الخروج من الرتابة. معظم الزيجات تبدأ بتوقع استمرارها "الى الابد". وعبارة "الى الابد" في الزيجات التي تدوم ليست مجرد امل، بل فلسفة تمارس. فالشريكان لا يفكران جدّياً في الطلاق وكأنه خيار قابل للحياة. هذه الذهنية بأن الزواج سيدوم، بل يجب أن يدوم، تلطف مواقف الزوجين ازاء الشجارات والنقائص.

وهؤلاء الاشخاص ملتزمون الزواج وشركاءهم في الزواج. انهم يعرفون أن الحب في حاجة الى وقت لكي يتجذّر ومن

ثم يمتدّ، وأن الوقت في الزواج الثابت هو في مصلحتهم. فالوقت يؤمن لهم الضمان أن يتقبل أحدهم شريكه كما هو ومن دون اكراه.

٥ الثقة بالآخر. يمكن أن ينمو الحب أو يخبو في زواج ما، لكن الثقة ثابتة. ولا توحي الثقة الشعور بالامان والراحة فحسب، وهما عنوان الزواج المرضي، بل تضمن الحرّية التي يوفّرها الزواج وتضمن كذلك "حق الناس في أن يكونوا ما هم" كما يقول الطبيب النفساني هارون شتاين. كل شريك يثق في قرارته بأنه لن يكون موضع سخرية أو انتهاك، بل سيكون معززاً وآمناً. وفي هذا الامان نوع خاص من الحرية.

الثقة تشكل قواعد الالفة الزوجيّة، والالفة الحميمة ربما كانت الخلّة الاهم التي يتوق اليها أي زوجين في تقاربهما وتعلق أحدهما بالآخر وممارستهما للجنس. وقد أخبرتني احدى النساء: "ان الجنس هو اغنى وأعمق بالنسبة الينا لأن واحدنا يحب الآخر فلا يخجلنا أن نحصل على اللذة."

الثقة هي السبب الدائم لالتزام زواج واحد، لان الثقة في الزواج تفترض الحصرية أولا.

٦ التوازن في الاتكاليات. في أحسن الزيجات يتشارك الزوجان في الاتكالية. وعندما يتحدثان عن حاجة احدهما الى الآخر فهما لا يتكلمان عن الضعف بل عن القوة.

وبين من قابلت أرملة شغلت وظيفة عامة في وقت كانت قلة من النساء يشغلن مثلها. وشجعها زوجها المحامي الذي امضى معها ٣٠ سنة على أن تفتح عينيها على الافكار الجديدة. قالت لي: "لم أخسر جزءاً من نفسي باعتمادي عليه في هذا التفكير. فلدى المرء ما يكفي من الوقت والطاقة والذكاء، وجميل أن يتسنى له الاتكال على الزوج لسد الثغرات. ان اتكالياتنا أغنت حياتنا."

٧ تاريخ مشترك ومعزز. يبني الزوجان تاريخاً مشتركاً فصلا بعد فصل. والشركاء في الزيجات الطويلة الامد يحترمون ما بنوه: لقاءاتهم الاولى ونكاتهم الخاصة وتعابيرهم الرمزية وحتى الاحزان التي تقاسماها. ان ذلك ليس مجرد حنين الى ماض، بل هو تعلّق بماضيهما وبالوقت الذي قضياه معا.

ويشكو المربون من أن شباب اليوم لا يتذوقون التاريخ، انهم يعيشون في الحاضر ومن دون ذاكرة. وبفقدان الذاكرة هذا يتفاقم عدم تجذّرهم وهو في اعتقادي شأن يساهم في ارتفاع معدلات الطلاق. أما شركاء الزيجات الطويلة فيقدّرون تاريخهم المشترك. وعندما يتمزّق الحاضر يتطلّعون الى الماضي ليحيوا ما تقاسموه من حسنات.

ان روح الدعابة هي المرهم الملطّف لتوترات الزواج ومشقاته. والكل يقول: "اذا استطعت أن تضحك من مشكلتك، فأنت تعرف ان كل شيءٍ سيسير حسناً."

٨ القدرة على اغتنام الحظ. حتى مع الثقة والطواعية يبقى الناس في

حاجة الى لمسة حظ لصون الزواج. نحن نحتاج الى الحظ أولا في اختيار شريك لديه القدرة على الثقة والتغيّر، وانسان ينضج وينمو كما ننضج نحن وننمو. ثم اننا نحتاج الى قليل من الحظ في الحياة. ان نكبات متعاقبة من مرض وفقدان عمل ونزاعات عائلية وخيبات شخصية كفيلة بدفع الزواج خارج مساره في حين كان ممكناً أن يكتب له النجاح.

لكن الحسن في الحظ أنه ليس دائماً خارجاً عن سيطرتنا. فالحظ في الزواج مسألة تصرف وفرصة بنسبة واحدة.

فالاشخاص الذين يرون أنفسهم محظوظين لا يتعامون عن اللحظات الناعمة في زيجاتهم. انهم يولون الايجابيات أهمية أكبر.

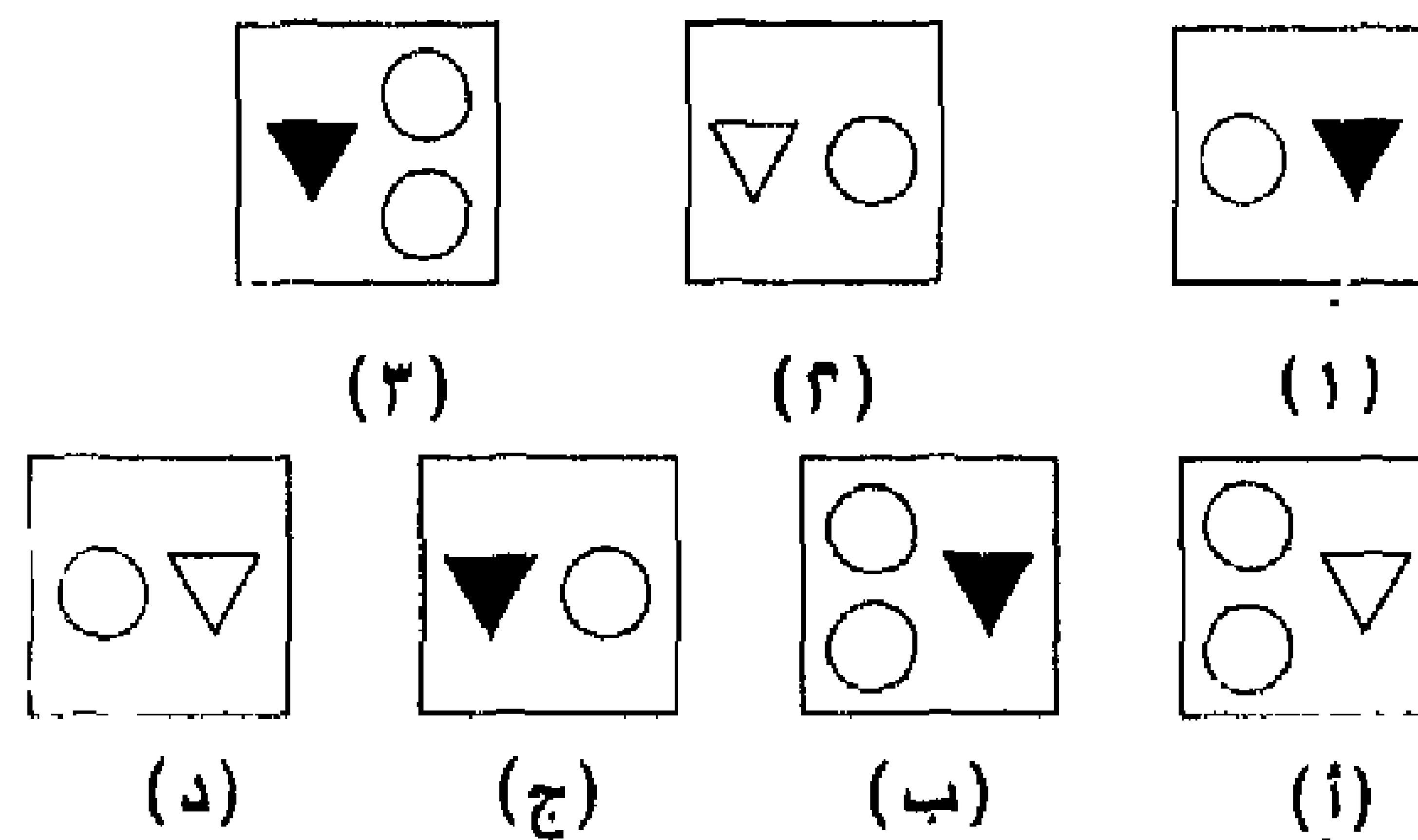
ان للزواج أخطاءه وحق السماء. وله آلامه وفترات مللِه وغضباته وخيباته. ولكن عندما ينجح فله لحظاته الحلوة من مغامرات وعواطف ورضا وعِشرة وحب عميق. ويعتقد المتزوجون الذين حادثتهم أن لا شيء يمكن أن يُقارن بتلك اللحظات.

فرنسين كلاغسبرن ■

تصحيح خطأ في "هل أنت عبقري؟"

في العدد ٨٩ من "المختار" المنشور في ابريل (نيسان) ١٩٨٦ ورد خطأ فني في السؤال ١٩ من موضوع "هل أنت عبقري؟" والصحيح هو الآتي:

١٩. الرسم ١ بالنسبة الى الرسم ٢ هو كالرسم ٣ بالنسبة الى:



الجواب: (أ). الاشكال تنعكس واللون يلغى.

هل هناك أقسى على المرء
من الاستغناء عن خدماته وتجاهل كفاياته
لأن لون بشرته غير مرغوب فيه؟

التمييز العنصري لغة العصر!

ما ان حاز مارتن فيرين شهادة في المحاسبة حتى بدأ يفتش بشوق وحماسة عن عمل يناسبه. راح يقلب الصحف بحثاً عن اعلانات لوظائف خالية. وكم كانت خيبته كبيرة عندما اكتشف أن معظم الوظائف المعلنة ممنوعة عليه على رغم كفاياته. فقد جاء في أحد الاعلانات: "للاوروبيين فقط،" وفي ثان: "فرصة أمام البيض،" وفي ثالث: "نعتذر، الاوروبيون فقط يمكنهم تقديم الطلبات."

ويقول مارتن: "في البدء آلمني هذا الامر وحزّ في نفسي. وتحول الالم مع الوقت غضباً والغضب شعوراً بالمرارة. ورحت أفكر: "انهم لا يتيحون لي المجال كي أريهم ما يسعني أن أعمله. وبدا لي أن كفاحي لاكتساب المؤهلات ذهب هباء."

والواقع ان أصحاب العمل الذين رفضوا مقابلة مارتن فيرين هم الخاسرون في النهاية. فهو يرئس اليوم دائرة الحسابات الدولية في شركة متعددة الجنسية في شرق مقاطعة كيب.

والاعلانات التي تستبعد المرشحين بسبب لون بشرتهم تملأ الصحف في جنوب افريقيا. وكل يوم يقرأها مئات السود من حاملي الشهادات العلمية والاطباء والمحاسبين واختصاصيي الادمغة الالكترونية والسكرتيرات ومدبرات المنازل والطلاب الذين تخلوا عن دراستهم وحداهم الامل على كسب العيش.

تعليقاً على هذا الامر يقول فرانكلين سون رئيس شركة "تكنيكون" في كيبتاون: "...وكأن الاعلان العنصري يقول للملأ: لا تهمني ثقافتك ولا أريد ان أعرف ما هي مؤهلاتك ولا تعنيني الخبرة التي اكتسبتها. كل ما يهمني هو حقيقة كونك من اللون غير المطلوب."

التحيز العنيد – انها مشكلة خطيرة ومتفشية. ففي الكثير من اعلانات الوظائف التي تنشرها صحف مثل "ستار" و"فرند" و"داي بيرغر" و"ذي

سيتيزن" و"ذي آرغوس" التي تصدر في جوهانسبرغ، تحيّز عنصري فاضح. فمن أصل ٣٠٠ اعلان مبوب في عدد الـ"صاندي تريبيون" الصادر في ١٠ مارس (آذار) ١٩٨٥ كان هناك ١٠٠ اعلان تتضمن رفضاً صريحاً للسود.

ومن دواعي السخرية أن كثيراً من الصحف التي تنشر هذه الاعلانات العنصرية تشن حملات اعلامية ضدّ التمييز العنصري. فلقد ورد مثلا في مقال افتتاحي لصحيفة "كيب تايمس" في عددها الصادر في ٣٠ ديسمبر (كانون الاول): "تستمر حوادث التمييز العنصري على نحو مريع. ومع أن الدولة ليست دائماً المتهمة، فعليها تقع مسؤولية الجو العام الذي تحصل تلك الحوادث في ظلّه." وكانت الصحيفة نفسها نشرت قبل أربعة أيام خمسة وثلاثين اعلاناً تضمنت رفضاً قاطعاً وواضحاً لطالبي الوظائف السود.

لماذا يستمر أرباب العمل في نشر اعلانات تصرّح ان شركاتهم لا تؤمن بتكافؤ الفرص، في وقت انهارت الحواجز العنصرية داخل المتاجر وجمعيات البناء والمصارف والمعامل، حتى ان بعض الشركات يفاخر بالمساواة بين موظفيه؟

بالطبع بين أرباب العمل هؤلاء من يرفض الأخذ بالكفاية وحدها لانه متحيّز عنيد.

وبينهم أيضاً من يتخوف من امكان حصول "احتكاك عنصري". وفي ذلك يقول روبرت سيلفر المدير المسؤول في شركة "كويست بيرسونيل" التي تملك فروعاً في أنحاء البلاد: "الكثير من زبائننا يبررون اصرارهم على الطابع العنصري في اعلاناتهم بالخوف من المضاعفات التي ربما حصلت اذا شغل السود مناصب ادارية. أما الذين تضم اداراتهم أفراداً من أعراق مختلفة، فانهم غير راغبين في زيادة نسبة السود بين موظفيهم."

وبينهم أيضاً من لا يزال يستشهد بقوانين مضت على إلغائها سنوات وتتضمن بعض التحفظات حول توظيف السود أو تنص على تخصيص أماكن منفصلة لهم.

ان عدداً كبيراً من وكالات التوظيف يؤمن بأن من الافضل لطالبي الوظائف أن يعلموا أن لون بشرتهم يحول دون حصولهم على الوظيفة. وتأكيداً على ذلك يقول كين ايتون احد مستشاري التوظيف في كيبتاون: "معظم المتقدمين يفضل تجنّب الاحراج الناجم عن سماع ذلك وجاهياً. ثم ان تلك الاعلانات تحمي وقته من الاهدار."

ويعبّر أنطوني هيد رئيس تحرير صحيفة "كيب تايمس" عن رأي مماثل حين يقول: "اننا نشجّع الاعلانات غير العنصرية. ولدينا شعار يدعو الى تكافؤ الفرص، نحث المعلنين على استخدامه لكننا لا نصرّ عليه. وفي رأينا أن المعرفة السابقة بأن صاحب الطلب مرفوض من شأنها أن تجنبه الاحراج لاحقاً. وفي حال وجود قيود عنصرية يفضل ذكرها في الاعلان."

الاعلان المفتوح – على ان للكثير من السود آراء مختلفة. ففي نظر نمرود مكيلي احد مستشاري التوظيف في جوهانسبرغ "ان الازعاج الناتج من مقابلة

شخصية غير مثمرة يبقى ضئيلا اذا ما قورن بالالم الذي تتركه اعلانات الصحف في نفوس الاشخاص الذين ينتمون الى عرق يُعيِّرون به يومياً على صفحات الجرائد. وان كنت لا ارى جدوى من ارغام أرباب العمل المتحيزين على توظيف السود، فاني لا اجد مبرراً لاعطائهم الحق في الحط من قدرنا بعرض تحيزهم علناً."

ويقول سام موتسونياني رئيس غرفة التجارة الافريقية الوطنية الاتحادية: "اسوأ ما في هذه الاعلانات انها تضفي على التمييز العنصري نوعاً من الاحترام المضلل."

منذ سنوات درج معظم تجمعات الشركات الكبرى في جنوب افريقيا مثل "بارلو راند" و"أنغلو أميريكان" على منح الجميع فرصاً متساوية. ومع ذلك يبدو أن عالم التجارة والاعمال أشفق في ترويض المتمردين العنصريين. حتى ان اتحاد غرف التجارة لم يدرس بعد قضية التمييز العنصري في الاعلانات. وتأكيداً على هذا التلكؤ يقول فنسنت بريت أمين سر الطاقة البشرية في الاتحاد: "نحن لم نبحث في القضية بعد،" على رغم الانتقادات المتكررة التي يوجهها الاتحاد الى التمييز العنصري في الحكومة.

ويقول آرثر شيبالانا مدير العلاقات العامة في شركة متعددة الجنسية: "آن الاوان لكي تعنى المشاريع الخاصة بنظافتها الذاتية." ويضيف: "كلما أمعنت الرأسمالية في التمييز العلني ضد السود ازداد رفض السود اياها كنظام."

ولكن ماذا عن تخوف بعض أرباب العمل من أن يؤدي تكافؤ الفرص أمام الجميع الى احتكاكات وصدامات عنصرية؟ الواقع ان من كانت له الجرأة على تخطي الحواجز العنصرية حقق أرباحاً محترمة.

ويقول جون باري المدير العام لشركة "بيك اند باي": "نقرّ بأننا لم نسقط الحواجز العنصرية التقليدية من دون تردد أو خوف، خصوصاً في ما يتعلق بالموظفين الكبار. وتوقعنا أن يقدّم كبار الموظفين البيض استقالاتهم احتجاجاً على تلقي الاوامر من مديرين سود. بالطبع لاحظنا النظرات المستغربة عندما تسلم أفراد من السود وظائف عالية، غير أن أحداً لم يتخل عن وظيفته. وقليلون في الشركة يلاحظون اليوم فارق اللون. وهناك اختلاط بين الموظفين على كل المستويات."

ويقول جو هورنر مدير قسم التوظيف في معمل كبير للتخمير: "قبل عشر سنين كانت نسبة السود بين الاداريين الشباب نحو اثنين في المئة. اما اليوم فان نسبتهم تقارب الثلاثين في المئة. لقد أتاح لنا الاعلان المفتوح للجميع ان نستقطب أفضل المواهب المتوافرة."

منطق غريب – ان مسؤولية الاعلانات العنصرية لا تقع على عاتق أرباب العمل وحدهم، فهم عادة يعهدون الى وكالات التوظيف في نشر الاعلانات في الصحف لحسابهم. وهذا يجنبهم القيام بتلك المهمة المقيتة ويحول دون وصمهم بالتحيّز العنصري. وقلة من الوكالات ترفض الاذعان لرغباتهم.

في هذا الصدد يقول جيريت واغنر أحد مستشاري التوظيف في كيبتاون: "لا

يسعنا إلا التقيد بتعليمات الزبائن. ونحن نحاول أحياناً أن نثنيهم عن ادخال عبارة "للاوروبيين فقط،" لكننا لا نملك إلا الاذعان لمشيئتهم إذا أصروا عليها. انها مقتضيات العمل، ولا يمكننا أن نتحمل خسارة الزبائن، خصوصاً في هذا الوقت."

على أن لروبرت سيلفر من "كويبست" رأياً مختلفاً. فهو يدير وكالة ترفض نشر الاعلانات العنصرية ويقول: "لم نخسر أي زبون، على رغم أن بعضهم بدا متردداً. والى ذلك فان شرحنا لسياستنا يجعلهم يتبينون مزايا الاختيار من أحسن الموجود."

أما رأي الصحف التي تسمح بنشر تلك الاعلانات فيمثله كلام بيتر ديفيس نائب رئيس تحرير "صاندي تريبيون" عندما جُبه بالعدد المرتفع للاعلانات العنصرية التي تنشرها صحيفته. قال ديفيس: "نحن لا نعتمد سياسة قبول أو عدم قبول في شأن تلك الاعلانات. اننا نقبلها، وهذا كل ما في الامر."

ويجيز ناشرو صحيفتي "صاندي تايمس" و"كيب تايمس" الليبراليتين لمعلنيهم أن ينشروا اعلانات عنصرية. لكنهم يصرون على أنهم لا يسمحون بالتمييز العنصري في اعلان وظائف خالية في هاتين الصحيفتين.

ويقول برايان كيلسو مدير التسويق في اتحاد الصحيفتين توضيحاً لموقف الاتحاد من هذا الموضوع: "اننا نعتبر أنفسنا أدوات للاعلان ليس إلا. ولا يسعنا أن نفرض سياستنا على الزبائن أو ان نحدّد لهم وجهة انفاق أموالهم."

غير أن المعلق الصحافي الشهير جيمس ماليرغ لا يجد مبرراً لتلك الاعلانات. وهو يقول: "انه لمنطق غريب ذلك الذي يجيز للصحيفة مهاجمة العنصرية في مقالاتها الافتتاحية ويسمح في الوقت نفسه لارباب العمل باهانة القراء السود علناً في باب الاعلانات في العدد نفسه."

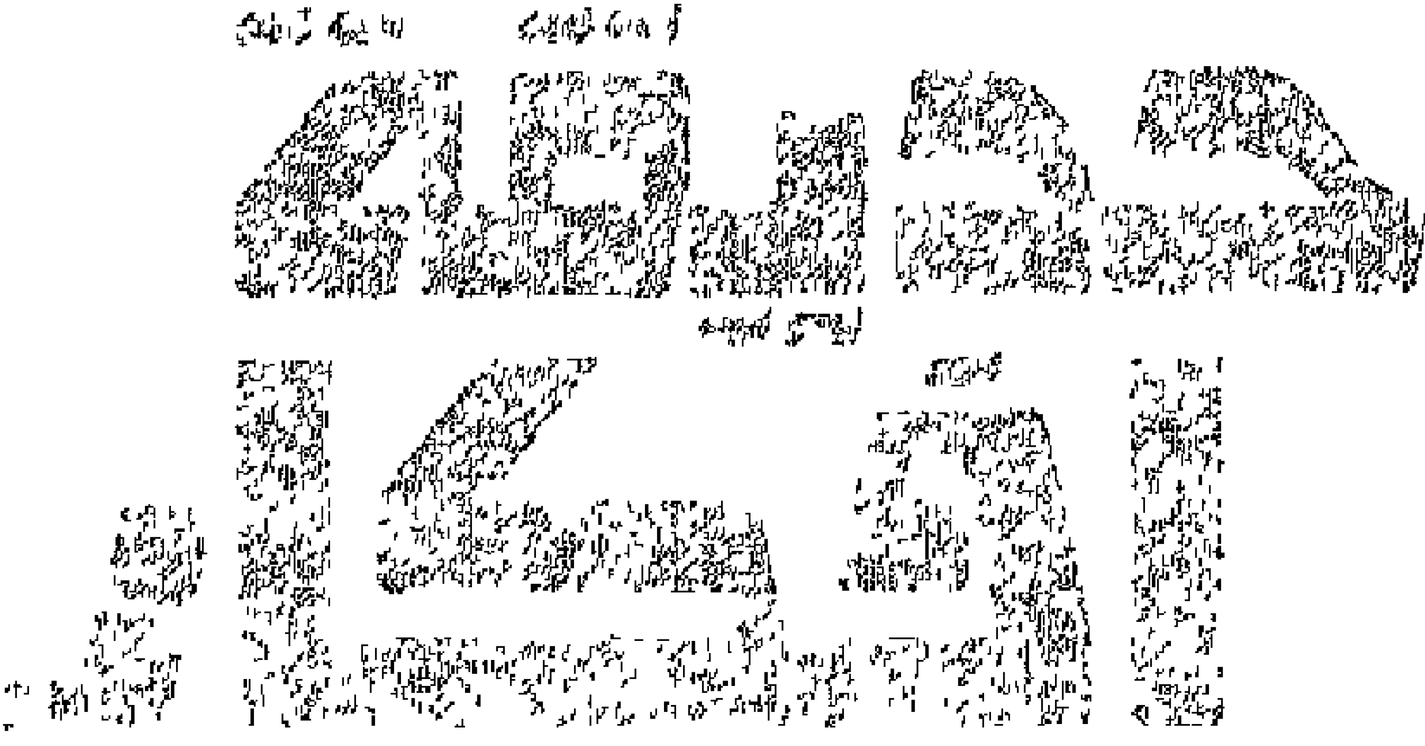
تحمل المسؤولية – كيف يمكن إذاً وضع حد لتلك الاعلانات العنصرية التي تولد المرارة وتثير السخط؟

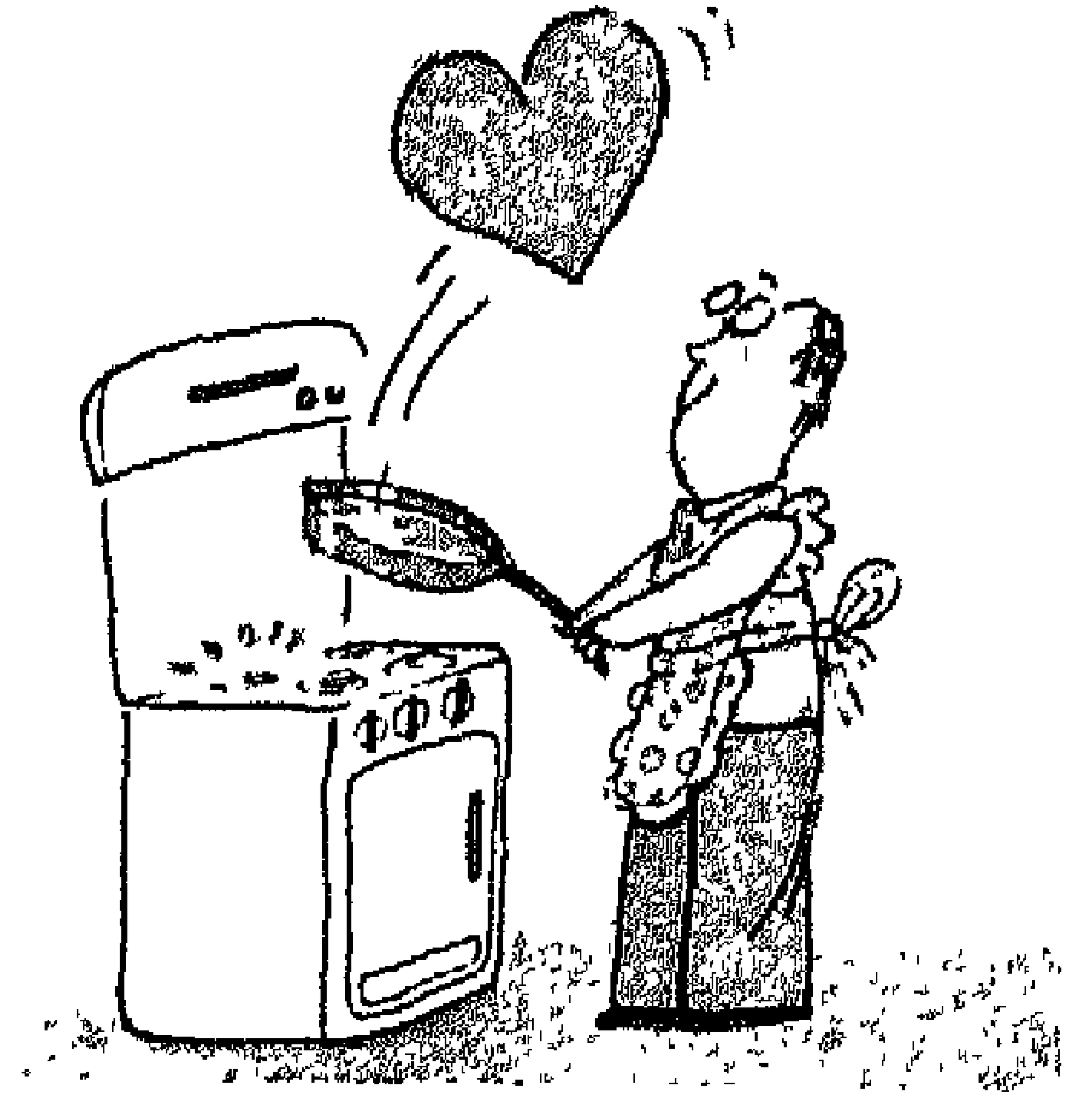
ان الجواب واضح. على المشاريع الخاصة ذاتها تقع المسؤولية.

- على منظمات العمل التي تنادي باسقاط العنصرية وتناشد الحكومة الغاءها مثل اتحاد غرف التجارة، ان تمارس ما تبشّر به وتبطل عضوية الشركات التي لا تتقيد بتلك التوجهات.
- على الهيئات التي تمثل دوائر الموظفين ووكالات التوظيف ان تحرّم التمييز العنصري باعتمادها قوانين واضحة تفرضها على الاعضاء.
- ان رؤساء تحرير الصحف، شاؤوا أم ابوا، مسؤولون أمام القانون عن كل ما تنشره صحفهم. وهذا بالطبع يشمل الاعلانات المستفزّة. وفي وسعهم أن يمنعوا الاعلانات العنصرية للحال بقبولهم تحمّل المسؤولية في ذلك.

ويقول سام موتسونياني: "اذا ما استمرّ التمييز العنصري في التجارة والصناعة، فسيتنكر السود للمشاريع الحرة. وعندئذ نصبح جميعاً من الخاسرين."

روجر كينيون ■





■ الزواج من دون خصام لا يمكن تصوره، تماماً كالدولة من دون ازمات.

اندريه موروا، كاتب ومؤرخ فرنسي

■ الجدة امرأة تمتلك من الحكمة الوافرة ما يمنعها من التصرف بغباء في ما يتعلق بأحفادها.

فيل موس

■ يمكنك أن تكسب أصدقاء في شهر واحد حين تصغي اليهم، أكثر مما تكسب في عشر سنين حين تحاول أن تجعلهم يصغون اليك.

تشارلز آلن

■ كل انسان يحاول أن يحقق شيئاً عظيماً، متناسياً أن الحياة تتألف من مجموعة أشياء صغيرة.

فرانك كلارك

■ حيث نحب يكون بيتنا، البيت الذي قد تبارحه أقدامنا ولكن تبقى فيه قلوبنا.

اوليفر وندل هولمز، طبيب وكاتب أمريكي

■ الالم يعزز الشجاعة. فلا يمكنك أن تغدو شجاعاً اذا لم تواجه سوى الاحوال التي تسرك.

ماري تايلر مور

■ على رغم غلاء المعيشة فلا تزال المعيشة مرغوباً فيها.

كاثلين نوريس

■ كلما قللت من الكلام ازداد الاصغاء اليك. **ابيفيل فان بورن**

■ الفوز ليس كل شيء، لكنه يقهر أي شيء يأتي ثانياً.

بول بريانت، مدرب امريكي لكرة القدم

الايدز

هل أنت في أمان؟

هناك احتمال لالتقاط جرثومة الايدز في أي مكان يتصل فيه الدم بجسم ملوث أو بأداة ملوثة: عند الحلاق وطبيب الاسنان والصائغ وفي المختبر ولدى الاختصاصية بالتجميل...

قبل بضعة أشهر كنت أستعد لزيارة صديق أدخل المستشفى بسبب اصابته بداء نقص المناعة المكتسبة "الايدز" (١) . فسألت طبيباً عما اذا كان ينبغي أن أتخذ أي تدابير احترازية.

قال لي الطبيب وهو الدكتور فريد فالنتين الاستاذ المساعد في المركز الطبي بجامعة نيويورك: "انك مصدر خطر عليه أكثر مما هو مصدر خطر عليك. فقد تكون أنت مصاباً بزكام أو عدوى أخرى طفيفة هي شديدة الخطر عليه اذا التقطها منك، لانه فاقد المناعة." وأضاف ان الخطر علي يكاد يكون معدوماً.

اكتشف داء نقص المناعة المكتسبة قبل أربع سنوات ولا يزال حتى اليوم غامضاً بالنسبة الى عامة الناس بمقدار ما هو مرعب. ومع اننا لا نزال في حاجة الى معرفة الكثير عن هذا الداء، فان ما يتوافر لنا من المعلومات يزداد على نحو سريع. ويعتقد الاطباء الآن انهم يعرفون كيف تنتقل عدواه، ويمكنهم أن يتأكدوا بالفحص مما اذا كان أحد الناس تعرض لعدوى هذا الفيروس، كما يعرفون كيف يمنعون انتقال العدوى الى الآخرين.

ومع أن اهتمام عامة الناس كان مركزاً على المخاوف من انتقال الداء من طريق الاتصال العرضي بالمصابين، فان المراجع الطبية تتفق على أن هذا الداء لا يلتقط

---

(١) Acquired immune deficiency syndrome «AIDS»

بسهولة. والواقع ان الخطر الاساسي في التقاطه يكمن في نوعين من الاتصال لا يمكن اعتبار أي منهما عرضياً، وهما: الاتصال الجنسي والمشاركة في استعمال ابر حقن المخدرات.

ولكن الاتصال الجنسي وسوء استعمال المخدرات أمران يمكن الناس أن يسيطروا عليهما، أما الاتصال العرضي بحاملي فيروس الايدز، من طريق مقبض باب أو قبلة أو مصافحة أو عطسة، فلا تمكن السيطرة عليه. اذاً ما هي الحال عندما يكون المريض الذي دخل عيادة طبيب الاسنان قبلك أو الطاهي في مطعمك المفضل يحمل داء الايدز؟

تشير الابحاث الى ان المخاوف من هذا القبيل لا أساس لها. وحتى الآن تم العثور على فيروسات الايدز بكثافات عالية في الدم والمني فقط، وفي حالات قليلة وبمستويات منخفضة في اللعاب والدمع. ولكي يسبب الفيروس المرض يجب ان يدخل مجرى دم الضحية بمقادير وافرة. وفي أثناء الجماع الجنسي يمكن أن يحدث ذلك حين يتسلل الفيروس مع مني الرجل أو دمه الى مجرى دم الشريك من خلال خدوش طفيفة أو تمزقات في الاغشية المخاطية. ومدمنو المخدرات التي تحقن وريدياً يواجهون خطر العدوى حين يتشاركون في استعمال ابر الحقن. فالدم من أحد المدمنين المصابين بالداء ينتقل بالابرة الى آخر.

والداء يسببه فيروس يعرف طبياً باسم «HTLV-III LAV» فيهاجم كريات الدم البيضاء التي تسمى كريات "ت" المساعدة (٢) ويحولها مصانع تنتج فيروسات منه بمقادير كبيرة. وفي النهاية يقتل فيروس الايدز الكريات البيضاء التي تؤدي دوراً جوهرياً وحاسماً في جهاز المناعة في الجسم. وبعد أن تضعف هذه الكريات أو يقضى عليها يغدو جهاز المناعة عاجزاً عن الوقاية من الداء. ولا يموت الناس بالداء مباشرة، بل بأدواء أخرى تعجز اجسامهم عن مقاومتها.

مشكلة تعبيرية — يصر الاطباء على القول ان من الممكن تحاشي الايدز، لان فيروس هذا الداء، على نقيض فيروس الجدري مثلا، ليس معدياً الى درجة عالية كما انه ليس قوياً. ويمكن قتله بأساليب التطهير العادية.

ومع أن غالبية المجمع الطبي مقتنعة بأن داء الايدز لا يمكن أن يلتقط من طريق الاتصال العرضي، فهذا هو ما يقلق السواد الاعظم من الناس. وبعض المشكلة ناشىء من الاسلوب التعبيري. فالاطباء تعلموا ألا يقولوا "أبداً" لان الجزم بنسبة ١٠٠ في المئة لا وجود له في العلم. لذلك يكتفي الباحثون بأقوال مثل "لا يوجد دليل على انتشار عرضي لداء الايدز." والجمهور الذي لا يدرك المبدأ الكامن وراء هذا التحفظ تخامره الشكوك وينزع الى المغالاة في الريبة.

غير أن الحقائق تشير بقوة الى عدم انتقال الايدز من طريق الاتصال العرضي. فقبل كل شيء، لم يعثر أي باحث على حالة واحدة التقطت فيها العدوى بهذه الطريقة. ويقول الدكتور هارولد جافي

---

(٢) Helper T. cells

كبير علماء الاوبئة في وحدة الايدز التابعة لهيئة مراكز السيطرة على الامراض في أتلانتا بولاية جورجيا الامريكية، انه بين كل حالات الايدز التي أبلغ عنها خلال السنوات الخمس الماضية في الولايات المتحدة لم تنشأ واحدة نتيجة المشاركة في منزل أو غرفة في مدرسة أو مكتب مع شخص آخر مصاب بالداء. كما ان أحداً من الاصدقاء أو أعضاء العائلة الذين رعوا الضحايا لم يلتقط هذا الداء، الا اذا تورط في علاقة جنسية مع المصاب. ويقول الدكتور فالنتين: "ان الامهات اللواتي رعين أبناءهن المصابين بالداء في المراحل الاخيرة من المرض، فلامسن الدم وافرازات الجسم الاخرى والقيء، لم تلتقط واحدة منهن داء الايدز."

والى ذلك لم يظهر الداء في أي من عمال الرعاية الصحية في الولايات المتحدة الذين واجهوا مرض الايدز قبل أن يكتشف الباحثون فيروسه. ويقول الدكتور دونالد آرمسترونغ رئيس قسم الامراض المُعدية في مركز سلون - كيترنغ التذكاري للسرطان في نيويورك: "طوال سنة على الاقل لم يتخذ عمال الرعاية الصحية الامريكيون اي تدابير وقائية، ولم يصب أي منهم بعدوى المرض."

تقويم الاخطار - ما شأن بعض الاجراءات الطبية العادية وطب الاسنان وأساليب التجميل التي تستخرج دماً من الجسم أحياناً؟ هل يتعرض المرضى المعالجون أو المطبَّبون لاخطار؟

يقول الاطباء ان الاخطار تكون عادة ضئيلة جداً. وعبر السنين طور الاطباء والحلاقون وسواهم أساليب للتأكد من أن الجراثيم والفيروسات العادية، والكثير منها أعظم قدرة على الاحتمال من فيروس الايدز، لا تنتقل من مريض الى آخر.

ومن الناحية النظرية ثمة خطر ضئيل في الحلاقة لدى مزين يحلق بالموسى ذات الشفرة المستقيمة التي قد تجرح وتخرج بعض الدم، اذا كانت تلوثت بدم شخص مصاب بالداء ولم تنظف. كما يقوم احتمال مماثل اذا سال الدم في أثناء تقليم الأظفار وكانت المعدات ملوثة ولم تعقم بين زبون وآخر. غير أن الحلاقين والمزينين يفترض فيهم أن ينظفوا معداتهم، كذلك المعالجون بالمعدات الكهربائية او بوخز الابر الصينية.

من جهة اخرى فان ثقب الاذنين الذي يتولاه أناس غير مؤهلين طبياً يشكل خطراً أكبر. فيجب الاصرار على استخدام ابرة تطرح بعد الاستعمال، أو ثقب الاذنين لدى طبيب.

أما داخل المستشفيات فتكفي أساليب التعقيم العادية للقضاء على فيروس الايدز. والاطباء الذين يجرون فحوصاً للحساسية حذروا من استعمال أبر جديدة مع استخدام الحقنة ذاتها لفحص دم مرضى عديدين للتحقق من رد الفعل لديهم على العناصر المثيرة للحساسية، لان ذلك يمكن أن يؤدي الى انتقال الفيروس "ب" المسبب لالتهاب الكبد أو حتى فيروس الايدز. فهذان الفيروسان يمكن أن يسحبا داخل الحقنة ومن ثم ينتقلا الى المريض التالي. ولكن لم يبلغ عن اصابات كهذه حتى الآن.

كـذلك يمكن أن يؤدي التلقيـح الاصطناعي أو زرع الاعضاء الى نشر داء الايدز. لذلك ينبغي فحص الواهبين كما تنصح منظمة الصحة العالمية وهيئة مراكز السيطرة على الامراض.

ولا يُعتقد أن المرضى الذين يعالجون أسنانهم معرضون للخطر. فالمعدات تعقم بالغلي أو البخار الحار المضغوط في معقم محكم الاغلاق. وأي من هاتين الطريقتين تقضي على فيروسات الايدز اذا وجدت. كما ان معظم أطباء الاسنان يستخدم ابراً تطرح بعد الاستعمال.

وجلي أن الذين يجربون عدسات لاصقة ليسوا عرضة للخطر، وان يكن فيروس الايدز موجوداً في دموع الزبون السابق. فالعدسات اللاصقة تعقم عادة بين فترات استعمالها.

ويقول الدكتور تيودور ايكوف وهو اختصاصي بالامراض المُعدية في مدينة دنفر بولاية كولورادو: "اذا خامرك الشك في شأن أي اجراء طبي أو معالجة أسنان أو عملية تجميلية، فلك الحق في طرح الاسئلة المناسبة مثل "ماذا تفعل؟" أو "كيف تعقم معدّاتك؟" أو "هل هذه إبرة من النوع الذي يطرح بعد الاستعمال؟"

الاطعمة ونقل الدم – التعامل بالاطعمة مجال آخر مثير للمخاوف. ويصر المسؤولون في دوائر الصحة العامة على أن هذه المخاوف لا أسس لها. فغسل الاطباق وغسل اليدين يزيل الفيروس. وحتى في أسوأ الفرضيات، ينبغي أن تنتقل كمية كبيرة من الفيروسات من الشخص المصاب الى الادوات أو الطعام ومن ثم الى شخص آخر. وهذا الامر ليس غير محتمل فحسب، بل ان بقاء الفيروس حياً عبر هذا الانتقال يكاد يكون خارج حدود التصور.

ويقول الدكتور ستيفن شولتز نائب المفوض المسؤول عن أقسام الاوبئة في وزارة الصحة العامة في نيويورك: "ان فيروس الايدز لا ينتقل من طريق المتعاملين بالاطعمة. وحتى ان أهدر أحد هؤلاء دماً في طبق من السلطة، فمن المحتمل ألا يصاب الزبون بالايدز." ويضيف شولتز انه اذا وصل فيروس الايدز الى معدتك فمن المحتمل أن تقضي عليه العصارات المعديّة.

كثير من الناس أضحوا يخافون التبرع بالدم أو تلقّيه لان ٣٩٢ مصاباً بداء الايدز في الولايات المتحدة التقطوا العدوى من طريق عمليات نقل الدم أو من مشتقات دموية تستخدم في معالجة مصابين بالنزاف (hemophilia) . والواقع ان من المستحيل التقاط عدوى نتيجة التبرع بالدم. فان ابرة جديدة معقمة تستخدم لكل متبرع ثم تطرح.

منذ شهر مارس (آذار) من العام ١٩٨٥ يتم في الولايات المتحدة فحص كل دم يعطى لاكتشاف أجسام مضادة (antibodies) لداء الايدز، وذلك عبر فحص الماصّ المناعي المتصل بالخمائر "اليزا" (٣). فحين يدخل الفيروس جسم احد الناس تظهر جسيمات مضادة معينة لهذا الداء خلال مدة تراوح بين أسبوعين وستة أشهر. لذلك فان هذا الفحص

(٣) Enzyme-linked immuno-sorbent assay «ELISA»

يكشف عادة ما اذا كان أحدهم تعرض للفيروس، ولكن ليس ما اذا كان سيصاب بالمرض. واذا كان الشخص تعرض للفيروس قبل أمد وجيز فمن المحتمل تأكيد سلامته من المرض من طريق أسئلة استبيانية سرية تطرح عليه(٤).

الا ان الخطر الاعظم بالنسبة الى معظم الرجال والنساء يكمن في الجماع الجنسي. حتى أشد الناس حرصاً لا يمكنهم أن يعرفوا التاريخ الجنسي لشريكهم الجديد او اذا كان يتعاطى المخدرات بواسطة الحقن. والخطر لدى ممارسي الجنس الطبيعي يبدو أكبر بالنسبة الى الرجل منه بالنسبة الى المرأة، ربما لان فيروس الداء يتركز في المني بنسبة أعلى منه في الغشاء المخاطي في مهبل المرأة.

وفتيات الشوارع هن على مستوى عال من الخطورة في نشر الايدز لانهن غالباً يسعين الى الحصول على المال لادمان المخدرات وربما يتشاركن في استخدام الابر. ويعتقد مايكل مرمور الاستاذ المساعد في الطب البيئي في المركز الطبي بجامعة نيويورك ان فتيات الشوارع ربما كنّ "جسراً خطراً" لنشر داء الايدز بين الناس.

أما في افريقيا، حيث يظهر داء الايدز بين الرجال والنساء بنسبة متساوية، فنصف الاصابات على الاقل وقع بين فتيات الشوارع أو بين رجال يعاشرونهن. لذلك فان المشاركة في استعمال الابر هي في الحقيقة انتحار، والجماع الجنسي العرضي امر خطر.

فما هو التصرف الامين اذا كنت لا تعرف على وجه اليقين ما اذا كنت أنت أو شريكك تحملان فيروس الداء؟

ان الممارسات الجنسية لا تنطوي على خطر، بما فيها العناق والضم والمداعبة وتبادل قبلة خفيفة أو جافة. لكن القبلة الفرنسية، أو اللعابية، تنطوي على خطر لانه عثر على فيروس الداء بكثافات منخفضة في عينات صغيرة من اللعاب.

وفي حين لم يبلغ عن حالات التقط فيها داء الايدز بهذه الطريقة، فمن المحتمل نظرياً أن يدخل الفيروس من لعاب شخص الى مجرى دم شخص آخر من طريق جرح صغير في الفم. ويقع بعض النشاطات الجنسية الاخرى في خانة الخطورة القصوى، ولكن من الافضل البحث في هذا الامر مع طبيب أو مع مستشار آخر.

ان هذه المحظورات لا تحرم الجنس، لكن الايام تتغير. وقبل مدة وجيزة قدم الدكتور جورج لاندبرغ محرر صحيفة الجمعية الطبية الامريكية التحذير الآتي: "على الذين لا يرغبون في التقاط داء الايدز أن يعدّلوا نمط حياتهم لكي يعيشوا في وضع دفاعي. فهذا الزمان يوجب ممارسة الجنس بين شريكين فحسب."

يانيس هوبكنز تان ■

---

(٤) في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية نظمت المديرية العامة للشؤون الصحية ولجنة الاعلام الصحي والمختبر الاقليمي ندوة علمية في شهر مارس (آذار) الماضي عن الايدز. وقد أوضح الشيخ سعد العثمان وكيل امارة المنطقة الشرقية أن المملكة شددت على منع استيراد الدم الا من جهة واحدة هي الصليب الاحمر الدولي حيث يأتي موثوقاً بخلوه من المرض. وأضاف أن الايدز لا يسبب مشكلة في المملكة اذ اتخذت جميع الاجراءات الكفيلة بمنع دخوله.



لكل قصّة... قصَّة

خلف السطور العريضة للتاريخ تكمن حقائق مذهلة لا يعرفها سوى أناس قليلين

شرف العائلة

كان بوتش أوهير في ركن طائرته وهي من طراز "غرومان وايلدكات"(١) يرى بوضوح جميع قاذفات القنابل اليابانية التسع التي زوّد كل منها محركين، وهي تحلّق في فضاء المحيط الهادىء. وكان بوتش الذئب الوحيد الذي طاردها في تلك الليلة. ولو لم يغتنم الفرصة وقتئذ للانقضاض عليها من الخلف لغرقت حاملة الطائرات "ليكسنغتون" التي انطلق منها والتي كانت هدفاً تسعى تلك الطائرات الى ضربه.

Condensed from «Paul Harvey's The Rest of the Story,» by Paul Aurandt, edited and compiled by Lynne Harvey, copyright © 1977 by Paulynne, Inc., published by Doubleday & Co., Inc., New York, N.Y. Illustration: chuck Hamrick

أمسك بوتش جهاز القيادة بإحكام واندفع بطائرته نحو فرائسها. وقبل أن ينتهي هجومه سقطت خمس منها في لجة المحيط الهادىء. وفيما هو يندفع نحو الطائرة السادسة نفدت ذخيرته ووصل رفقاؤه الذين اتموا العمل على خير وجه.

حدث ذلك في ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٤٢، وأصبح الرائد الشجاع إدوارد هنري بوتش أوهير أول طيار في سلاح البحرية يمنحه رئيس الولايات المتحدة بنفسه ميدالية الشرف.

وبعد سنة من ذلك لقي بوتش مصرعه أثناء خوضه معركة جوية. غير أن أبناء مدينته أبوا أن يُنتسى العمل البطولي الذي أنجزه. وهكذا، حين تمرّ أمام مطار شيكاغو أوهير الدولي، بت تعلم سبب تسميته. أما الذي قد لا تعلمه فهو أنك تمر أمام مقام يعبّر عن نوع خاص من المحبة. وها هي تتمة القصة...

المكان هو مدينة شيكاغو حيث عاشت عصابة آل كابون في العشرينات. وكان بين شركاء آل كابون في أعماله الاجرامية محام ماكر يدعى "إدي الداهية". ففي العام ١٩٢٣ أتهم إدي باجراء صفقة غير قانونية، لكنه دافع عن نفسه وربح القضية. وبعد ذلك ألّف كابون وإدي عصابة لإدارة حلبات سباق الكلاب في أنحاء البلاد، وأصبحا أباطرة ذاك النوع من السباقات التي كانت تجرى على نحو غير مشروع. وفي وقت قصير أصبح إدي الداهية رجلا ثرياً.

وذات يوم قرّر إدي أن يشي بشريكه آل كابون، فذهب الى المسؤولين وأخبرهم عنه، لكنهم أبدوا شكوكاً حيال ما قاله. فما الذي يجنيه هذا الرجل من مساعدة الحكومة؟ ألم يعلم إدي ما تعنيه الوشاية بالعصابة؟

كان إدي يعلم معنى الوشاية إذ قضى سنوات في صحبة الاشرار. ولكن كان يهمه حينذاك شخص واحد استحق أن يتوقف إدي من أجله عن ممارسة الأعمال غير القانونية.

إنه ابنه بوتش.

وهكذا وشى إدي بالعصابة، ولم تنس العصابة فعلته. وفي الوقت المناسب أسكته طلقان ناريان الى الأبد. لكن حلم إدي أصبح حقيقة.

وبعدما طهّر إدي اسم عائلته من وصمة الاجرام تمّ قبول ابنه في الاكاديمية البحرية للولايات المتحدة في أنابوليس بولاية ماريلاند، حيث أبلى حسناً الى أن نال ميدالية الشرف. وهكذا، حين تسمع بمطار أوهير الدولي، تذكّر بوتش أوهير ووالده "إدي الداهيـة" الذي وشى بالعصابة ودفع حياته ثمناً لفرصة لابنه كي يصبح من المشاهير.

"غير نافع"

عندما تكون صبياً صغيراً ويدعوك والدك "غير نافع" فذلك يثير الألم في نفسك. تلك كانت الصفة التي "أسبغها" والد غيسيب على ابنه الصغير: غير نافع.

تحدّر والد غيسيب من عائلة صيادي سمك. فمنذ ٣٠٠ سنة والرجال في عائلته صيادو سمك في صقلية. ووالد غيسيب نفسه كان صياداً قبل مجيئه الى امريكا.

(١) Grumman Wildcat

وكان له تسعة اولاد، وجميع الصبيان منهم أعانوه في صيد السمك منذ نعومة أظفارهم ما عدا غيسيب. واذا كان الصبي لم يساعد والده فليس لعدم رغبته في المساعدة بل لأن اهتزاز قارب الصيد ورائحة السمك كانا يسببان له غثياناً.

لم يقتنع الوالد بذلك، اذ لم يمنع المرض غيسيب من الانضمام الى رفقائه واللعب معهم.

حاول غيسيب جاهداً التكيف مع عمل العائلة بعد الانتقادات التي وجهها اليه والده. لكن معدته الحساسة بقيت تسبب له الغثيان. لذا توقف عن صيد السمك.

وأدى غيسيب أعمالا صغيرة كلما سنحت له الفرصة. فعمل ساعياً وموزع صحف. وكان ينفق كل أجره على شراء الطعام واللباس لأهل البيت.

قد تعتقد أن والد غيسيب كان يفخر بولده، لكن الأعمال الصغيرة في رأيه هي من نصيب الكسالى. فالعمل الحقيقي يكمن في مساعدته في قارب الصيد.

أخذ ذلك يؤثر في غيسيب حتى أوشك أن يصدق كلام والده. فربما كان حقاً غير نافع ولا يساوي شيئاً.

بيد أن غيسيب عندما وجد في نهاية الأمر شيئاً يجيد عمله، ترك مهنة صيد السمك الى الأبد. ولو لم يكن يصاب بدوار البحر لترك مكاناً خالياً في قاعة مشاهير البيسبول(٢) في الولايات المتحدة. انه غيسيب "جو" ديماغيو.

ذكرى بومة

ولد والتر إلياس في المدينة وهو ابن متعهد بناء. وقبل أن يبلغ الخامسة من عمره، انتقل والداه من شيكاغو الى مزرعة قرب مارسيلين في ولاية ميسوري. وهناك واجه الموت للمرة الاولى في حياته.

كان والتر في السابعة من عمره في ذلك الأصيل الصيفي، وهو يوم مثالي للاستكشاف. وقرب غيضة من الصفصاف رأى شجرة تفاح وقد جثمت بومة على أحد أغصانها المنخفضة وبدت انها تغط في نوم عميق.

وقف الصبي من دون أن يبدي حركة. وتذكّر ما قاله والده من أن البوم يرتاح في النهار كي يتسنى له الصيد خلال الليل. ما أعجبه من طائر صغير حين يصبح أليفاً! حبذا لو يستطيع أن يقترب من البومة من دون أن تستيقظ ويلتقطها.

اقترب والتر الصغير من البومة تدريجاً حتى أمكنه في النهاية أن يقبض عليها من قائمتيها. بيد أن البومة استيقظت فجأة وأظهرت رد فعل لم يسبق للصبي أن رآه. فأخذت تضرب بجناحيها، إضافة الى هياجها وصراخها اللذين نمّا عن خوف، وشرعت تقاوم قبضة والتر. ووقف الصبي مذعوراً ومرتبكاً لا يعرف ماذا يفعل.

كان من العسير تخيّل ما حدث بعد ذلك وكيف حدث. لكن الصبي رمى البومة أرضاً وهو متشبث بها وأخذ يدوسها بقوة حتى نفقت. ولما انتهى كل شيء حدق الصبي الذي لم يصدّق ما حدث، الى كومة الريش البرونزي المهشم والدم السائل وبكى!

ركض والتر بعيداً عن شجرة التفاح، لكنه عاد في ما بعد ليدفن البومة التي

---

(٢) baseball أو كرة القاعدة.

أرادها أن تكون أليفة. ولأشهر تلت ظلت البومة تزوره في أحلامه.

لم يخبر والتر أحداً بالحادث طوال سنوات لشعوره بالخجل مما حدث. لكن العالم غفر له فعلته، ومنذ ذلك اليوم الصيفي عرف والتر إلياس معنى الحياة ولم يقتل أي كائن حيّ.

وعلى رغم أن ما من شيء يستطيع إعادة تلك البومة الصغيرة الى الحياة، فقد ولد عالم جديد من الحيوانات من خلال موتها. وفي محاولة للتكفير عن عمل طائش لصبي حزين في السابعة، سعى والتر الى امتلاك حيوانات الغابة وتركها طليقة... من طريق رسمها. وتلك الحيوانات تعيش اليوم في فن والت إلياس ديزني الخالد الذي لا يضاهى.

قصيدة حب

كانت ناديا فون ملك احدى أغنى النساء في موسكو، بيد أن الثروة الضخمة التي ورثتها كانت عزاء قليلا لها عقب موت زوجها عام ١٨٧٦. وكانت تملك بيانو في قصرها المنيف، فاصبحت الموسيقى بلسماً لجروحها النفسية.

وكان في موسكو آنذاك مؤلف موسيقي له من العمر ٣٦ عاماً يدعى بيتر إليتش تشايكوفسكي. وكانت موسيقاه، من دون علمه، تناجي قلب أرملة وحيدة. ولم يكن يعلم أيضاً أنها بسبب افتتانها بموسيقاه كانت تبدي اهتماماً شديداً بشخصه. ومن خلال معارفه كانت تحصل على معلومات تتعلق بمزاجه وحاجاته.

وبحسب التقليد الرومنطيقي المعروف شغفت ناديا أولا بموسيقى تشايكوفسكي، ومن ثمّ وقعت في حبّه.

بعد ذلك جمعت المرأة قواها و"قصدت" تشايكوفسكي فاصبحت ملهمته في وضع عدد من المؤلفات الموسيقية، كما أصبحت أمينة أسراره. وهكذا تطورت احدى أعمق العلاقات وأخلصها في تاريخ الموسيقى.

تقاسم بيتر وناديا الحب لفترة ١٤ سنة في عالمهما الخاص، بكل ما فيه من أتراح وافراح. وخلال تلك الفترة وضع لها بعضاً من موسيقاه الرائعة والعاطفية، وبذلك يكون العالم مديناً لها الى الأبد. وبالنسبة الى تشايكوفسكي كانت ناديا الخلاص الذي حال بينه وبين الجنون.

وذات يوم أنهت ناديا علاقتها ببيتر فلم يستطع أيّ منهما العيش طويلا بعيداً عن الآخر. فساءت صحة ناديا بسرعة، ومات بيتر وهو يتمتم اسمها.

اما الأسرار التي لم تمت معهما فمحفوظة في الرسائل التي تبادلاها. وذاك بالطبع هو كل ما نعرفه عنهما، وكل ما عرفه واحدهما عن الآخر.

تلك الصلة الحميمة والفريدة التي ربطت بينهما ولّدت بعضاً من أشهر الموسيقى العاطفية في العالم، مثل الباليه الرائعة "بحيرة البجع" و"الأميرة النائمة"(٣) والاوبرات المؤثرة مثل "أوجين أونيجن"(٤). وخوفاً من أن يتبدد الوهم الذي عاشاه اقتصر حبهما على الرسائل التي تبادلاها.

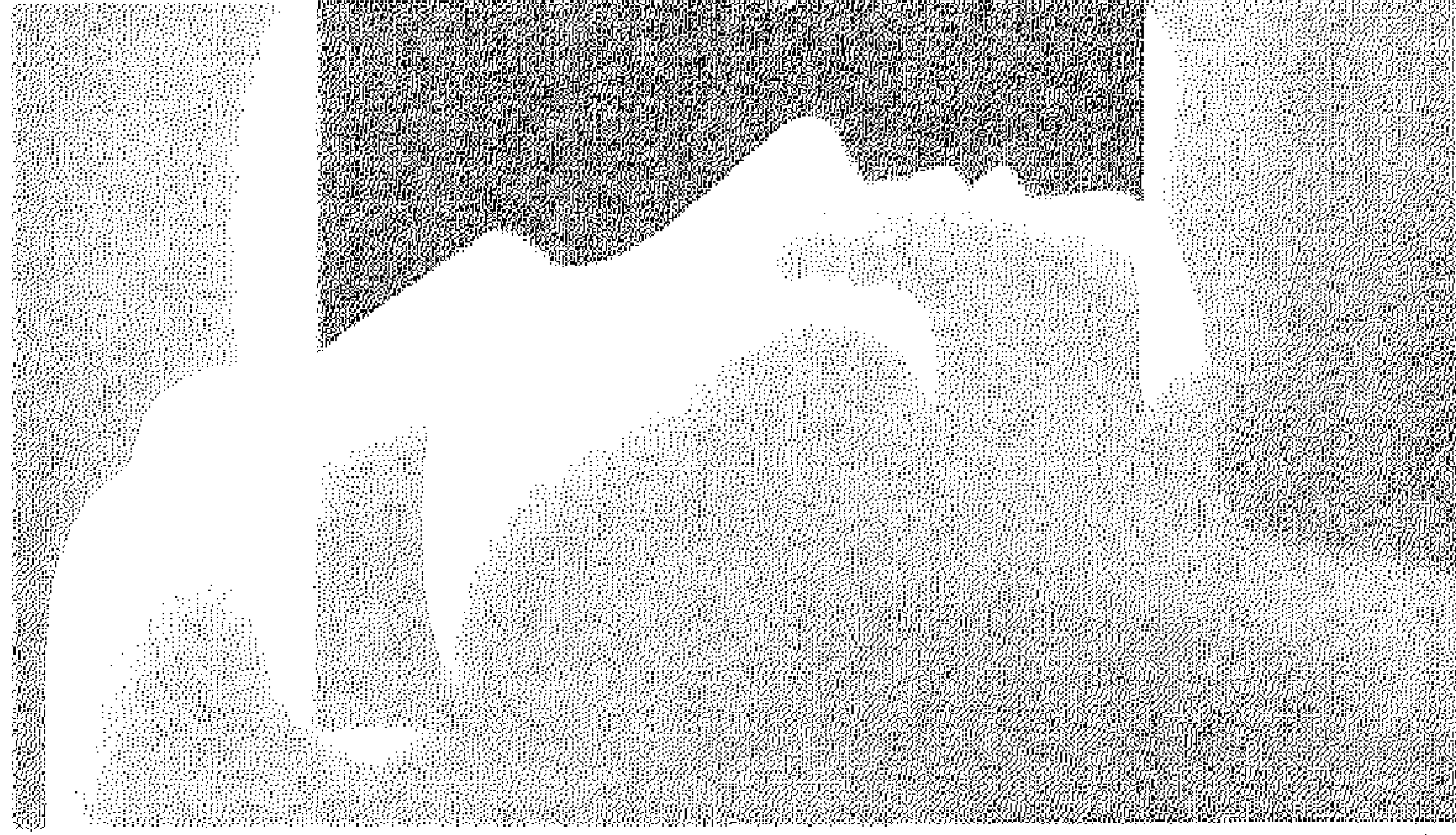
انهما لم يلتقيا مرة واحدة!

بول أورانت ■

(٣) «Swan Lake» and «Sleeping Beauty»

(٤) Eugene Onegin

مفاتيح الاحلام



ليست احلامنا نتف خيال لا هدف لها، بل عملية اساسية لحياتنا العقلية. وهي احياناً تحل مسائل تعيننا في يقظتنا

حاول المخترع الامريكي الياس هاو (١٨١٩ - ١٨٦٧) لسنوات أن يمكنن الخياطة. وفي احدى الليالي حلم أنه وقع في قبضة جماعة من الهمج هددوه قائلين: "اخترع آلة تخيط أو تموت." ولم يستطع هاو تنفيذ ما طلبوا، فرفعوا رماحهم ليقتلوه. وفيما الرماح تنزل لاحظ هاو أن على رأس كل رمح ثقباً في شكل العين. واستيقظ من نومه وفي ذاكرته تلك الثقوب الغريبة الموضع التي هدته الى حل للمسألة التي كانت تراوده: ضع ثقب الابرة في رأسها بدلا من الساق.

ذكر عالم النفس البريطاني الراحل كريستوفر ايفانز في كتابه المنشور حديثاً بعنوان "مشاهد من الليل": "اذا أنعمت النظر في احدى المسائل وقتاً كافياً، فثمة امكان لأن تمدك أحلامك بأفكار مفيدة."

ويكشف جوناثان ونسون عالم الاعصاب في جامعة روكفلر عن بصيرة مشابهة في

كتابه "العقل والنفس": "قد تعالج أدمغتنا أفكاراً في مستوى أدنى من انتباهنا الواعي طوال الوقت، وللمثال يمكن اعتبار التجربة الشائعة في العجز عن استذكار اسم للحال وحضوره في الذهن بعد ساعات. ومن الجلي أننا في هذه الاثناء نبدأ التنقيب في ذاكرتنا الماضية فيما نحن منهمكون في نشاطاتنا غير واعين لهذه العملية الذهنية."

وتوصل كل من ايفانز وونسون الى نتائج متماثلة عن غاية الأحلام التي تعد احدى أقدم الاحاجي عند بني البشر. فالأحلام في رأيهما ليست حصيلة ثانوية عرضية للنوم، بل ربما كانت الغاية المنشودة من النوم.

الحاجة الى النوم - النوم يساعد على تمازج المعلومات الجديدة والقديمة. واذ نغفو تعمل أدمغتنا كدماغ الكتروني. فإنها عندما لا ترسل اشارات أو لا تتلقاها من العالم الخارجي تنشغل في توضيب ذكرياتها، مؤالفة بين المعطيات الجديدة والقديمة ونابذة المعلومات التي عفاها الزمن ومبدلة عناوين الملفات المحفوظة في الذهن، وكل ذلك بهدف تسهيل الوصول الى تلك المعلومات. لكننا خلال فترة النوم التي تتحرك فيها العين سريعاً، وهي فترة الاسترخاء التي يحصل خلالها الحلم، نكون غير واعين لهذه العملية. وكما يلاحظ ايفانز فان الحلم الذي نتنبه له هو "اعتراض خاطف يقوم به الذهن الواعي للمعطيات التي تم فرزها وفحصها وتمحيصها."

الى ذلك فان الاحلام كما يذكر ايفانز في كتاباته "تشبه تجارب (بروفات) قياس الملابس لاحداث نستطيع توقعها او نصبو اليها او نخشى حدوثها. فالأوضاع والظروف تجعل الحالم ممثلا يؤدي دوراً في مسرحية تتبدى للنظارة تدريجاً." ففي الاحلام نجري تجارب للامور المهمة في نشاطاتنا اليومية.

وتوصل الباحثان الى نظرات مماثلة بالتفكر ملياً في الدروس المستقاة من مملكة الحيوان. وقد تشكلت نظرية ايفانز فيما هو يتفحص طائراً مائياً من فصيلة الغاق (cormorant) يقف نائماً على ساق واحدة عند جدار صادّ للامواج في خليج كارديغان بمقاطعة ويلز البريطانية. واذ دنا ايفانز منه مد يده ولمسه محيياً: "مرحباً." وأفاق الطائر وقد تنبه لوضعه الخطر. ويقول ايفانز: "التقت عيوننا هنيهة ثم أخذ يخفق جناحيه مهتاجاً وطار الى البحر."

وتساءل ايفانز لمَ يضع حيوان نفسه في خطر شديد؟ واستنتج أن الحاجة الى النوم ملحة جداً لكل كائن من ذوات الدم الحار بحيث انه يتقبل أخطار النوم في مقابل ما يمنحه من مزايا.

هلوسات وذكريات - الكائن الوحيد بين الثدييات الذي لا يختبر فترة النوم التي تتحرك فيها العين سريعاً هو آكل النمل الاوسترالي. اذ ان مقدم دماغ هذا الكائن اكبر نسبياً من مقدم دماغ أي ثديي آخر بما في ذلك الانسان. ويرى ونسون في هذا الشذوذ مفتاحاً لفهم دور الأحلام في حياتنا اليومية. وفي اعتقاده

ان آكل النمل يستطيع الاستغناء عن فترة النوم هذه لأنه يحلم وهو يقظان. اي انه يستعمل الفص الجبهي الضخم من دماغه لتنظيم المعلومات الجديدة فيما هو في حال نشاط وانتباه تامين. وعلى نحو مغاير تضطر ذوات الدم الحار الأخرى الى انتظار النوم كي تنطلق دائرة شؤون الفكر في عملها.

ومما يذكره ايفانز أيضاً: "يعمل الدماغ على تحديث برامجه من تلقائه. واذ نحوز معارف وخبرات جديدة وتزداد مداخيلنا غنى وتنوعاً فاننا نعمد الى تعديل برامجنا عوض ابدالها بجهاز جديد."

وثمة دلائل تشير الى أن المشروبات الكحولية والمهدئات ومسكنات البربيتوريت تبطل هذه العملية اذ انها تتدخل في الاحلام. وهذه العقاقير قد تجعل النائم يغطّ في سبات عميق جداً يمنعه من أن يحلم. واذا ما أضحى هذا المنع أو الحرمان صريحاً "فان آلية الحلم قد تتحول بائسة الى العمل حين يكون الدماغ صاحياً، وتأتي النتيجة هلوسات كالتي تحدث في هذيان حمى مدمني الكحول."

أمضى ونسون الخبير في علم التشريح سنوات وهو يتفحص تركيبة داخل الدماغ، وفي نظره ان الانطباعات التي تحصل في السنوات الاولى للمولود الجديد تحدد الانماط التي تتألف منها شخصيته. وهو اذ يمضي نصف وقته حالماً يطوّر انماط سلوكه تدريجاً.

واستناداً الى ونسون فإن البحوث الجديدة عينت موضع الذهن أو النفسية (Psyche). لذلك هو يدرجه في الجهاز الهامشي(*) الذي يمثل شبكة من البنى في شكل نصف دائرة وسط الدماغ. والجهاز يعمل كمكتب تنفيذي منتقياً الأحداث والذكريات والعواطف التي يجب خزنها وتلك التي يتوجب نسيانها. وعملية الحلم ماسّة كي تؤدي تلك التركيبات أو البنى مهماتها. ومن دون الاحلام، في رأي ونسون، ليس ثمة دمج للخبرات الجديدة مع الخبرات القديمة، ولا وجود لذاكرة قصيرة الامد وهي ضرورة للحياة السوية.

وقرن آمون (hippocampus) في الدماغ أشبه ببوابة تشرف على الذكريات مدة ثلاث سنوات لتدخل بعدها الذاكرة الطويلة الأمد وتبقى محفوظة هناك اذا ما تلف قرن آمون. وقد يوضح ذلك كيف ان الكهل الذي لا يتمكن من تذكر البرنامج التلفزيوني الذي عرض البارحة يستطيع انشاد أبيات شعرية حفظها حين كان في السابعة من عمره.

من وحي الاحلام – ويقول ونسون اننا لو كنا ندرك كل ما نحلم به لذهلنا من الدوافع المخزونة داخلنا. وهو يرى أن الموضوعات التي تتناولها أحلامنا تؤكد كياناً مبهماً فينا. وهو يدعوها "الشخصية غير الواعية للحالم."

فهل يستطيع هذا الجني الدخيل القاطن فينا أن يخدمنا؟ هل يمكن تحويل عملنا اللاواعي في الليل مهمة عملية؟ هذا ما يراه كلا المؤلفين، وهما يعتقدان

(*) Limbic system

نَنام ... نَنام ... وإذا حَلمنا ...

يصرح كثير من الناس انهم لا يتذكرون أحلامهم صباح اليوم التالي، أو انهم يتذكرونها في أول دقيقة بعد استيقاظهم لينسوها بعد ذلك. فاذا كانت لديك مشكلة كهذه، اليك هذه الالماعات:

- **برمج نفسك.** قبل أن تخلد الى النوم أسرّ الى نفسك انك ستتذكر كل احلامك.
- **احتفظ بقلم وورقة بجانب سريرك.** وحين تفيق حاول أن تبقي على نعاسك الشبيه بوقت الحلم. نقب في ذهنك عن صور الحلم وضعها في سياق متتابع. ثم افتح عينيك ببطء واكتب ما تقدر عليه.
- **اضبط المنبه عشر دقائق قبل الوقت المعتاد.** قد تستيقظ وسط حلم، لان الحلم الأخير يسبق مباشرة الموعد الطبيعي لاستيقاظك.

فاذا تعلمت كيف تستذكر أحلامك ألهُ بها وتعلم منها. الق نظرة على الملاحظات بجانب فراشك وحاول ان تكشف مغزاها. بادىء الامر قد لا تبدو أحلامك ذات معنى، ولكن فكر فيها برهة وستدرك مراميها.

حاول في البداية الترجمة "الحرفية". مثلا، اذا حلمت أنك أصبت بجروح حين أفلت منك زمام السيارة فقد تكون تسعى الى تذكير نفسك بشراء اطارات جديدة.

وفي ما يأتي بعض الافكار التي يكثر ورودها في الأحلام، مع ما تحتمل من معان:

- **فاتتك حافلة أو طائرة أو قطار.** قد تخشى أن تعرض الحياة عنك.
- **رقم الهاتف الذي تطلبه مشغول باستمرار. الهاتف يرن ولكن ليس من مجيب.**

تقرع أبواباً لا تفتح. قد يساورك قلق من انك لا تستطيع الوصول الى شخص بارز.

- **أنت في طريق تتوارى في ضباب او تنزل سلماً تتوالى درجاتها من دون أن تبلغ منبسطاً منظوراً.** هذا النوع من الاحلام قد يعني أنك غير واثق مما تبغيه من الحياة.
- **ترى نفسك تمشي عارياً وسط حشد.** قد تكون في لاوعيك تشعر انك غير حصين.

تكشف لنا الأحلام حاجاتنا الضرورية ورغباتنا ومخاوفنا التي قد لا نتنبه اليها. فاذا ما جعلت احلامك تقرّب رغباتك ومشاكلك فتعيها وتعالجها، فإنك بذلك تفرّج عنك بعض القلق الذي ينتابك بين الحين والآخر.

ان استجابتنا المضاعفة لأحلامنا قد تعيننا على التمتع بحياة أغنى.

ولعل أشهر قصة عن الاحلام العملية تروى عن الكيميائي الألماني فريدريك أوغست كيكوليه الذي رأى في حلم بعد ظهر ذات يوم عام ١٨٦٥ أفعى تمسك بذنبها. وحلت هذه الصورة العجيبة لغزاً أعيا علماء الكيمياء لعشرات السنين: طريقة تنظيم ذرات الكربون في جزيء البنزين، وهي مفتاح لصنع الاصباغ الاصطناعية. وتبين لكيكوليه ان جزيء البنزين ليس تركيباً مفتوحاً بل حلقة مغلقة كأفعى تعض ذنبها. وقد أحدث حلمه هذا ثورة في الكيمياء العضوية.

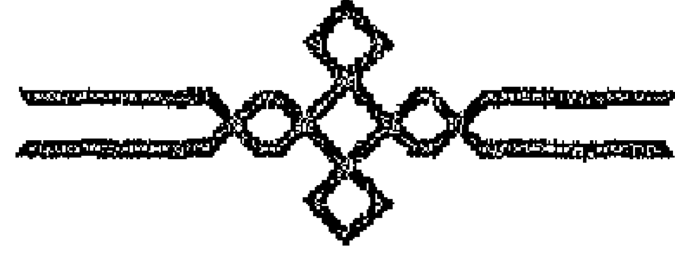
ويدين عالم الرياضيات البريطاني المعروف برتراند رسل لأحلامه بأجوبة عن

مسائل مستغلقة كان يطرحها على نفسه. كما استطاع الكاتب روبرت لويس ستيفنسون أن يستدعي افكاره اللاواعية باستمرار. وبالفعل فان شخصية "الدكتور جيكل ومستر هايد" زارته في أحد أحلامه. وبعده ذكر الروائي غراهام غرين في سيرته الذاتية "سبل الهرب" مدى فائدة أحلامه في تزويده حبكات رواياته.

وبحسب أقوال ونسون فإن في لب الذهن اللاواعي للانسان "تلك الآلية التي تصوغ أشكال السلوك وترسمها. ومنطقة اللاوعي بنيان ذهني متماسك ناشط باستمرار يدوِّن تجارب الحياة ويستجيب وفقاً لمنهج معين من التفسيرات وردود الفعل. وهذه الاستجابة تنعكس ليلياً في أحلامنا."

وقد ورد في احدى كتابات ايفانز: "ليست الأحلام نتف خيال من دون هدف يسببها نوم متقطع، لكنها ذات وظيفة مهمة في حياتنا العقلية. ويبقى الانسان في حاجة الى الحلم."

ادوارد زيغلر ■



سيارة الجمعية

تطوع صديق لنقلنا الى المسرح في سيارته الصغيرة. ونظراً الى كثرة عددنا اضطر أصغرنا حجماً الى التقوقع في الفسحة الملاصقة للزجاج الخلفي، فيما تمدد آخر على أحضان ركاب المقعد الخلفي. وجلست أنا الى جانب السائق وفي حضني رفيق.

وفي منتصف الرحلة أوقفنا شرطي وأمرنا بالخروج من السيارة. فانسللنا منها الواحد تلو الآخر واصطففنا الى جانبها. وبعدما رمقنا الشرطي بنظرة حادة أمرنا بالصعود مجدداً الى السيارة. ولكن ما ان صعدنا كلنا حتى سمعناه يقول: "هلموا خارجاً كلكم!"

وراح الشرطي ينعم النظر فينا من جديد ويهز رأسه متعجباً. ثم قال: "حسناً، اصعدوا واغربوا عن وجهي. فوالله لست أدري كيف تركبون!"

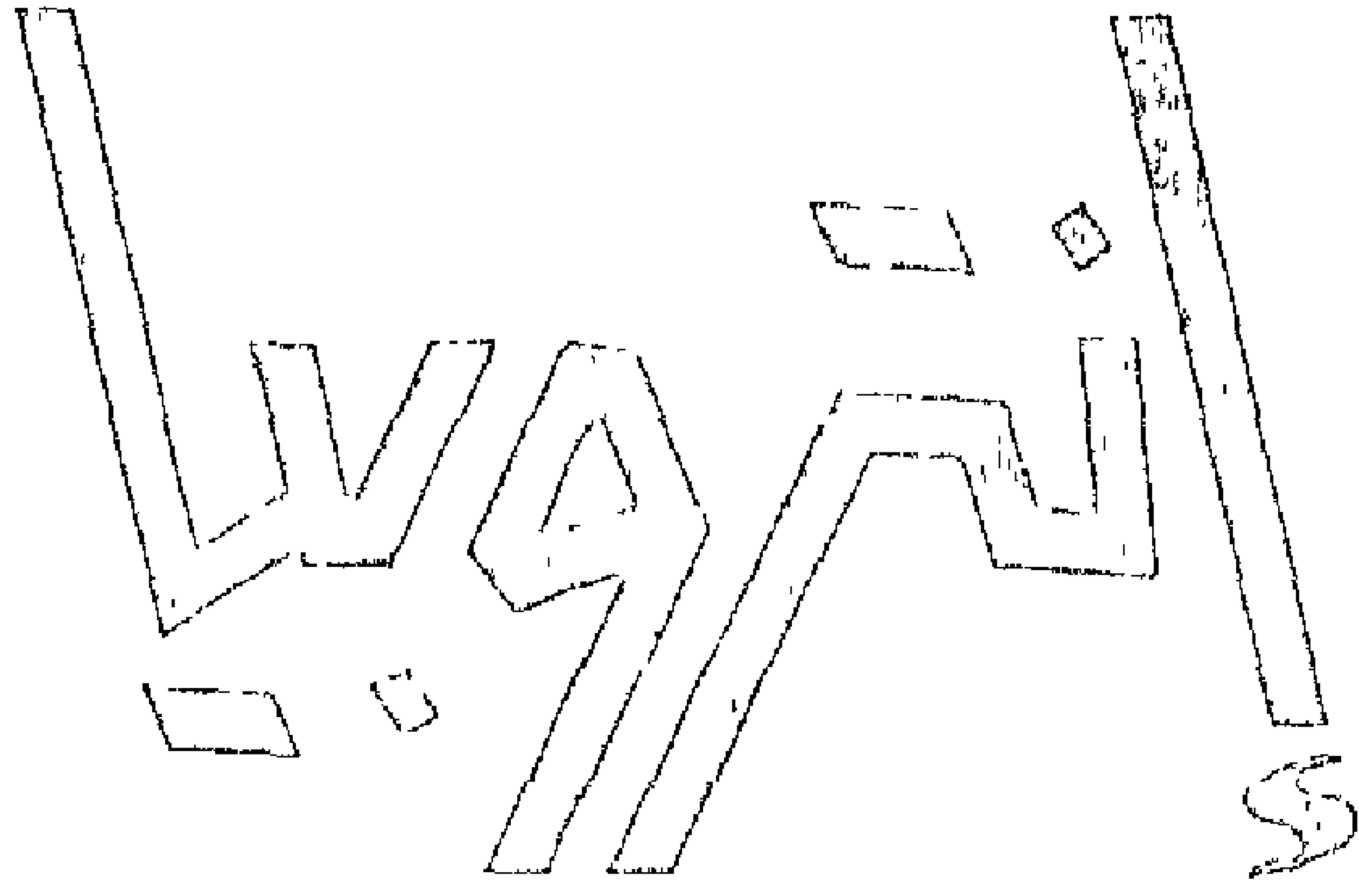
ر.ب.

شاهد عيان

عندما كنت في الجامعة واجهت وزملائي صعوبة في مادة التاريخ الجيولوجي للكرة الأرضية. وفي أحد الأيام حاول الاستاذ اعطاءنا مثلا عن التغير الحاصل في التفكير العلمي فقال: "نستطيع اليوم تحديد عمر الارض بأربعة مليارات ونصف مليار سنة، في حين كان عمرها يحدد بمليار ونصف مليار سنة فقط عندما كنت أنا في المدرسة."

وهمس أحد الزملاء: "لا عجب في ملاقاتنا صعوبة في هذه المادة، فنحن نتعلمها من شاهد عيان."

ر.ك.



أين تختفي الجوارب والأقلام وعلائق الثياب؟

لا شك في أن الاختراعات هي السمة المميزة للجنس البشري. وهي امتداد لأيدينا وحواسنا يتيح لنا أن ننعم بوهم الانتصار على جبروت الطبيعة.

هذا ما يقال، لكنني لا أصدقه.

فانا أملك منزلا مليئاً بالاختراعات المفيدة، لكنه امتلأ أيضاً ببناتي الصبايا في وقت من الأوقات. وكان يتأكد لي يومياً أن مجموعة من الأدوات الميكانيكية المخففة للجهد البشري لا يمكن أن تحمي من الانتروبيا (entropy) وهي مستوى الفوضى في نظام ما. وتؤكد لنا قوانين الديناميكا الحرارية أن حجم الانتروبيا في الكون يكبر على نحو مستمر ومحتوم الى اليوم الذي لا يعود يحصل أي شيء. وأنا أصدق ذلك، ويمكنني الآن أن أتبصّره بوضوح.

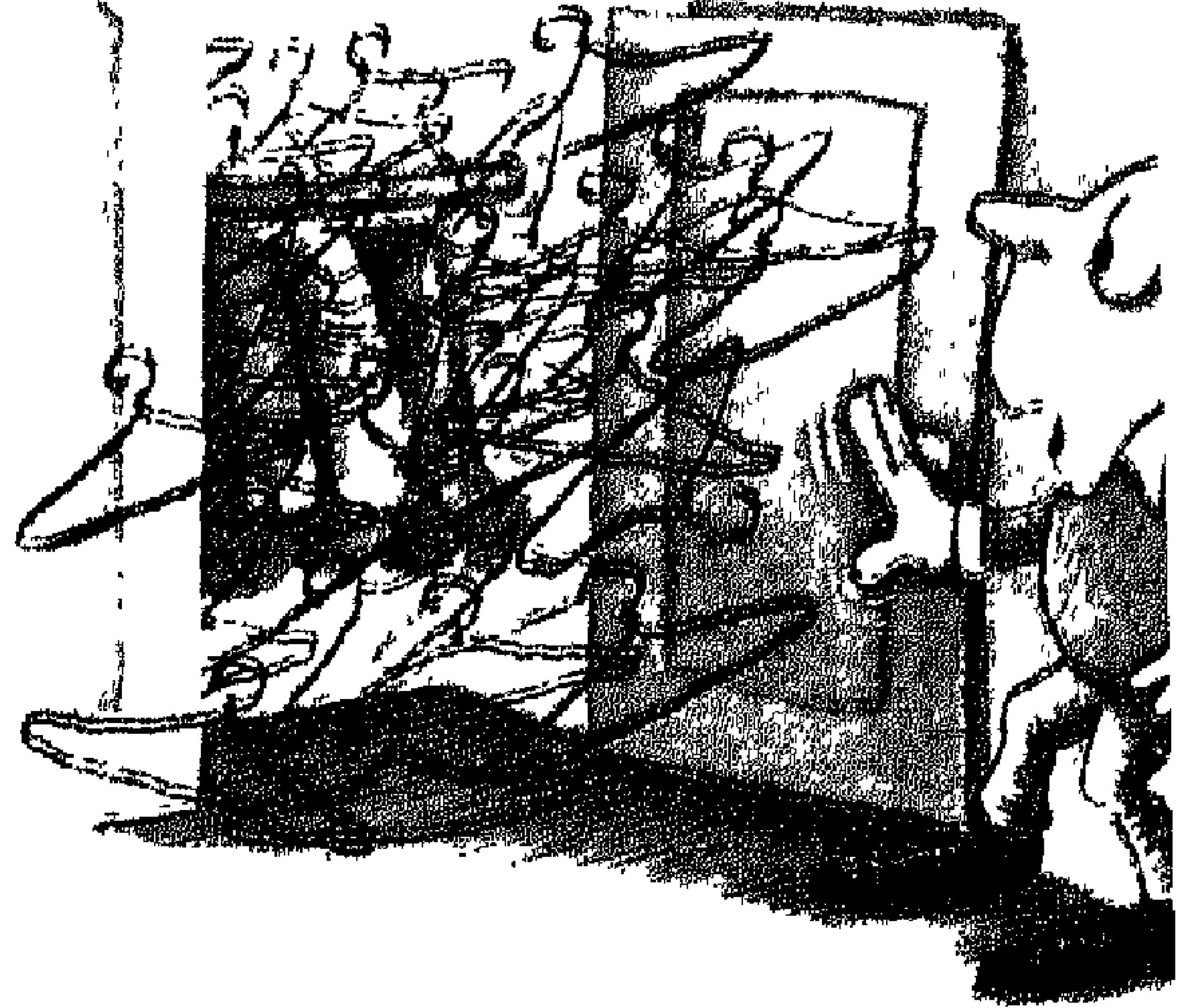
اختبرت أول حس حقيقي بتأثيرات الانتروبيا قبل سنوات حين نظرت الى نشافة الغسيل لأجد قميصي الأزرق وقد تحول أرجوانياً وثيابي الداخلية وقد اصطبغت باللون الزهري. ووفرت التحقيقات دلائل على حصول اختبار باتيكي (★) حيث بقيت آثار الصباغ في النشافة. كما غرقت غرفة الغسيل بالمياه نتيجة الرحلة العجيبة لقميص مسافة ثلاثة أمتار ونصف متر داخل أنبوب صمم لتصريف مياه الغسيل.

وتستمر الحكاية. وليس من الحكمة الاسهاب في وصف عسر الهضم الذي سببته أولئك الصبايا لانابيب المياه. ولست هنا ضد الاختراعات المنزلية، كما

(★) طريقة اندونيسية في تطبيع الأقمشة أو تلوينها يدوياً بتغطية الأجزاء التي لا يراد صبغها بطبقة شمعية.



Condensed from «Pastorale: A Natural History of Sorts,» © 1985 by Jake Page and published by W.W. Norton & Co., Inc., New York



لا أعلن موقفاً مبدئياً ضد الصبايا. لكن جمع هاتين القوتين يولّد الانتروبيا، وهي كما ورد سابقاً تطغى علينا تدريجاً.

أين تذهب الجوارب مثلاً؟

في غضون ١٥ عاماً من التنقيب والتدقيق في المؤلفات العلمية لم ألمح ذكراً لجورب، ناهيك بزوج جوارب، وهذا لب القضية كما تعلمون.

لقد درس العلماء فيزياء الجسيمات والتحام النوى الذرية ومقومات الوراثة والكيمياء الحيوية للدم. كما سعوا الى تنظيم السلوك البشري. لكنهم غفلوا عن سبر أمر غامض كالجورب وقدرته اللامتناهية على الاختفاء.

فكم مرة دنوت من خزانتي في ضوء الفجر وفتحت الدرج لأصدم بالحقيقة الرهيبة وهي انني لن أجد جوربين متشابهين في أحشائه المبعثرة؟

وهذه ليست مسألة تافهة أو شخصية، بل هي ظاهرة متداخلة في عمق اقتصادنا الوطني. فتزويد كل من ٢٣٠ مليون انسان خمسة أزواج جوارب سنوياً يتطلب أكثر من ٤٠٠ مليون كيلومتر من الصوف أو القطن أو الأقمشة المصنوعة من مشتقات النفط، علماً أن كل زوج يحوي ما معدله ٣٥٠ متراً من الخيوط.

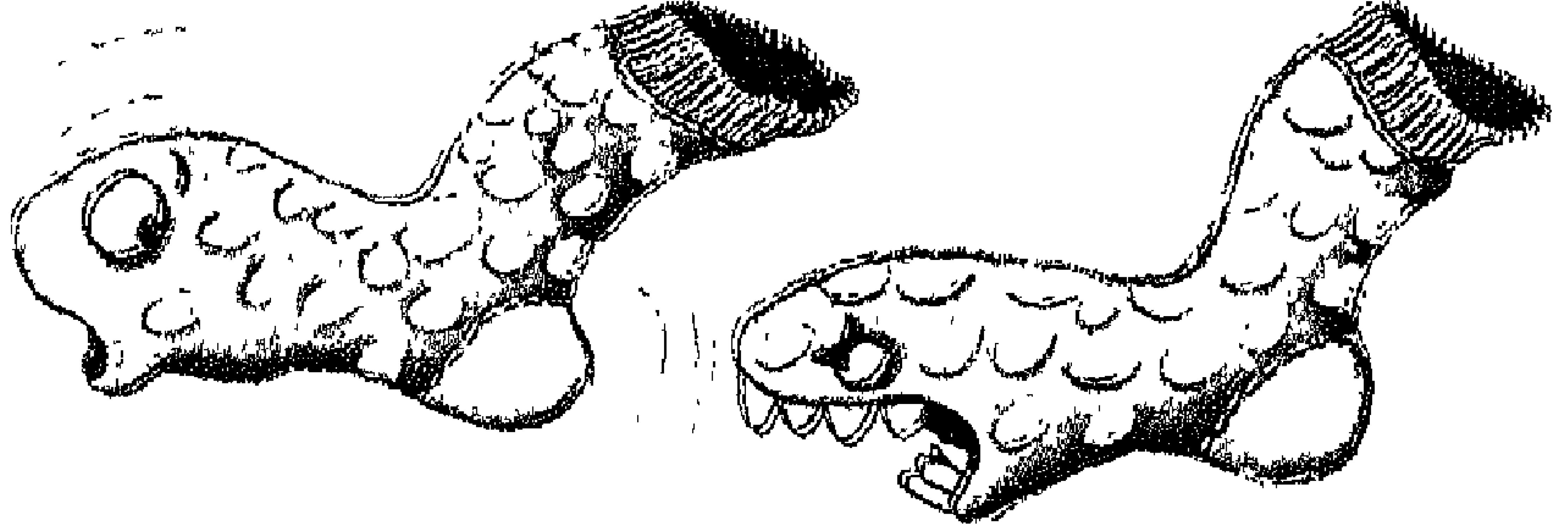
وهذه الجوارب الهائمة لا تسبب في شبكات تصريف المياه. وفي المناسبات التي تكبدت خلالها عناء اكتشاف المواد القابلة للتعفن لم ألحظ أثراً لجورب. وأظهرت التجارب التي أجريت بواسطة مرجل قوي أن الحرارة العالية لا تبخر الجوارب ولا تحولها نسيلا يمكنه عبور مصفاة النشافة الكهربائية.

من جهة أخرى، برهنت احدى صديقاتي على نحو مقنع نسبياً أن العلائق المعدنية للثياب تتشابك وتتزاوج وتتوالد حين تترك لوحدها في الخزانة. واذا صح ذلك ففي رأيي ان الجوارب من أكلة جنسها. أم ترى كل زوج من الجوارب هو جنس في ذاته، وفيه جورب "ألفا" وجورب "بيتا"؟ وهل يعقل أن يلتهم "ألفا" رفيقه "بيتا"؟ واحسرتاه، لم تستجب أي مؤسسة تمويلية لرغبتي في جمع المبلغ اللازم لدراسة هذه الفرضية.

وفي الواقع لا يبدو أن هناك مؤسسة مالية تدرك حجم البلايا والالغاز المزعجة التي تحوق الحياة اليومية للمواطنين. ولا شك في ان كل هذه المصاعب تساهم في تعزيز الضغوط المسببة للمرض والموت. ولحسن الحظ أن ثمة قلة من العلماء الذين يهتمون.

أعرف عالم آثار يذكر في سياق تعداده انجازاته الكثيرة تسعة بنين وبنات. هو وزوجته يحبان النوم الى ساعة متقدمة في صباحات السبت. ولتحقيق هذه الرغبة يستيقظ في الصباح الباكر ويجمع أطفاله

الصغار في غرفة التلفزيون، فيدير الجهاز ثم يأتيهم بعلبة كبيرة تحوي كيلوغراماً من البسكويت ويعود الى غرفة النوم

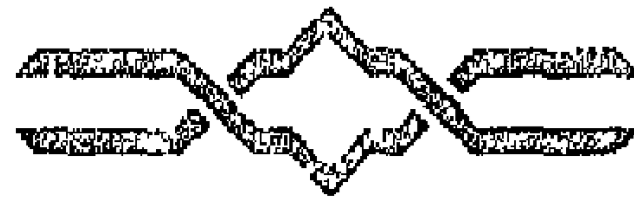


ليستغرق مجدداً في نوم لذيذ. وبعد أن يستيقظ ثانية يتناول فطوره ثم يدخل غرفة التلفزيون ويكنس كيلوغراماً كاملا من فتات البسكويت.

أما أنا فيتعذر علي تعليل أمر يحيرني. فأنا أشعر دائماً أن البقالة التي أشتريها وأعود بها الى البيت أقل كثيراً من القمامة التي أرميها خارج البيت. وهذا يوحي "خلق" المادة، الأمر الذي يتعارض كلياً مع ادراكي العلمي. لكن محاضراً في جامعة راتجرز اشار حديثاً الى أن بقايا الطعام في الثلاجة "تتضاعف اذا كان الباب مغلقاً." ومع ذلك تختفي الجوارب. وتحذو حذوها أقلام الرصاص وأقلام الحبر والعلائق الخشبية للثياب.

أنا أؤمن بوجود نظام أشمل للاشياء ستلتئم فيه يوماً كل هذه المظاهر المتضاربة. فنكتشف في نهاية المطاف أن الجوارب ليست في الواقع سوى الشكل اليرقاني للعلائق المعدنية.

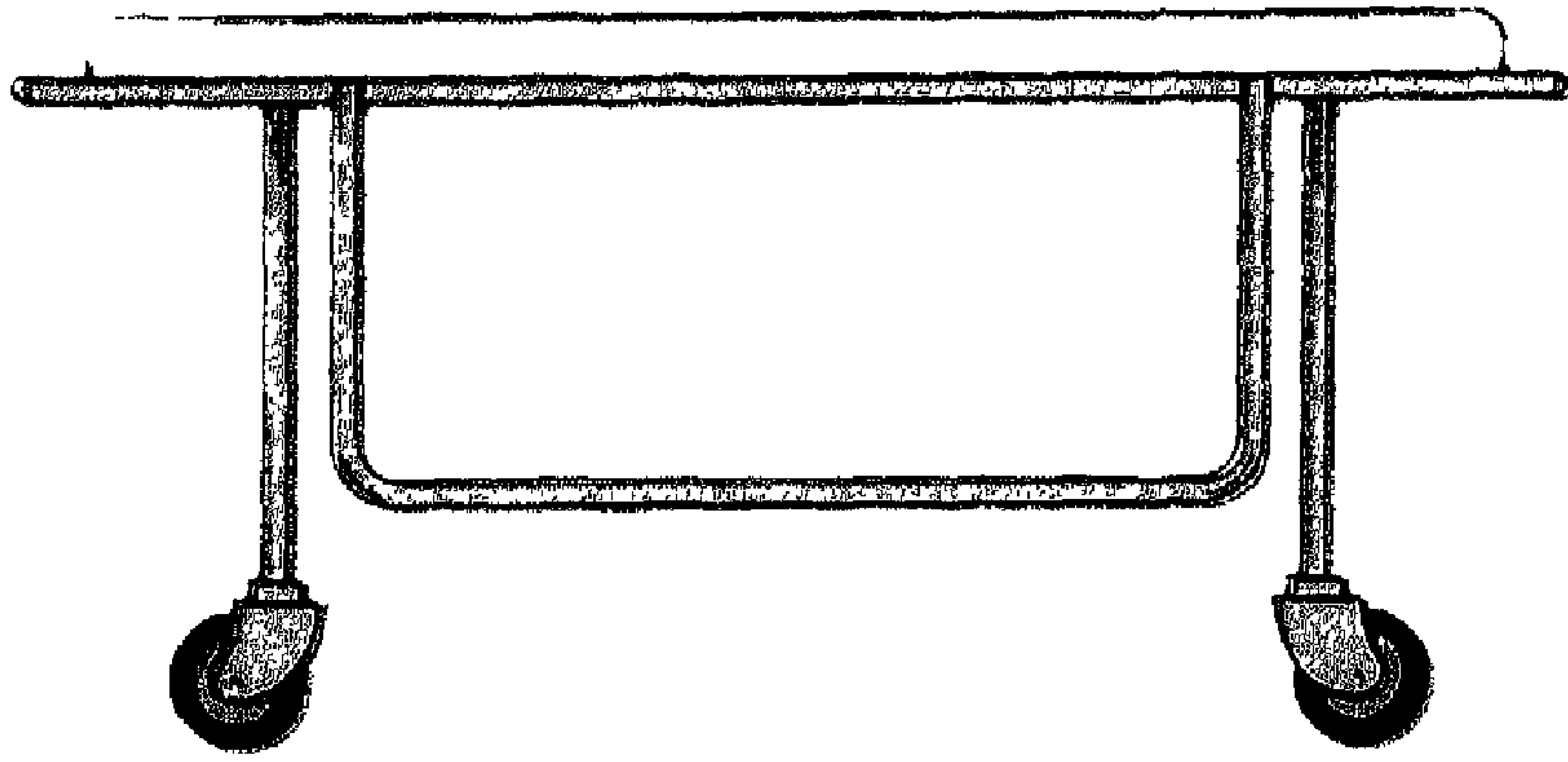
جيك بيج ■



الأبدية هي...

... إبقاء البسمة على شفتيك ريثما تؤخذ الصورة.
... انتظار من يقطر سيارتك المعطلة.
... التنصت لقرقعة المفتاح في قفل الباب في الثانية فجراً.
... محاولة اكتشاف أخطاء تافهة في حسابك المصرفي.
... عشرون دقيقة من الرياضة البدنية.
... عدم اختلاس النظر الى الفطائر قبل نضجها.
... الاستماع الى ولد في السادسة يقصّ عليك أحداث فيلم مثير.
... البحث عن مخرج من الطريق العامة وأنت تسلك الاتجاه الخاطىء.
... ترويض جرو جديد.
... انتظار الضوء الأخضر في اشارة السير بعد أن تعاين مكاناً خالياً في الجهة المقابلة لايقاف سيارتك.

ج٠غ٠



التلفزيون والسمنة

في الولايات المتحدة تزداد السمنة المتفشية بين المراهقين الذين تراوح أعمارهم بين ١٢ و١٧ عاماً بنسبة ٢ في المئة لكل ساعة يقضونها في مشاهدة التلفزيون، هذا ما يقوله الدكتور وليام ديتز من مركز نيو انغلند الطبي في بوسطن بولاية ماساتشوستس والعالم السلوكي ستيفن غورتمايكر من معهد الصحة العامة في جامعة هارفارد في بوسطن.

وقد أظهرت المعلومات المستقاة من ١٣ ألف ولد تراوح أعمارهم بين ٦ أعوام و١٧ عاماً الترابط بين السمنة والوقت الذي يقضيه المراهقون في مشاهدة التلفزيون. وكشفت دراسة شملت مراهقين راوحت أعمارهم بين ١٢ و١٧ عاماً كانوا أخضعوا للمراقبة في السن ما بين السادسة والحادية عشرة ان مشاهدة التلفزيون توفر ثاني أفضل انذار مبكر للسمنة في طور المراهقة، بعد السمنة في الطفولة.

ويقدر الباحثون أن من الممكن تخفيف السمنة في طوري الطفولة والمراهقة بخفض مدى مشاهدة التلفزيون.

مجلة "طبيب العائلة"

علاج "هندي" للسعال

ورد في مجلة "طب الاطفال" ان السعال الناشيء من حال نفسية والذي يستمر حتى بعد زوال العدوى في مجاري التنفس قد يكون قابلا للشفاء بواسطة "الايحاء". وأبلغ الاطباء الى ٣٣ طفلا مصابين بالسعال أن عضلات صدورهم ضعفت لذلك لم يعودوا قادرين على التحكم بالسعال.

ولفّت ملاءة حول صدر كل من هؤلاء الاطفال "لدعم العضلات الصدرية الواهنة." وقيل لهم ان السعال الجاف سيزول خلال يومين. وقد برىء ٣١ طفلا بفضل هذا الاسلوب، الذي هو في الحقيقة ضرب حديث من العلاجات الوهمية التي استخدمها الهنود الامريكيون القدامى.

"المختار العلمي"

لا تدَعوا العمَل ينسيكم أطفالكمْ

الاطفال الذين يغيب عنهم أولياؤهم طوال النهار، هل تنشأ لديهم مع الوقت مشاكل خاصة؟



ماذا يشعر الطفل حيال نشوئه في منزل لا يجد فيه طوال النهار أياً من أبويه ليلجأ إليه عند الحاجة؟ للوقوف على الأمر عمدنا إلى استشارة أكثر من ألف "خبير"، وأعني بهم الأطفال أصحاب العلاقة، فاذا بهم لا يسرون الينا بمشاكلهم فحسب، بل يقترحون لها حلولا مبتكرة أيضاً. وفي ما يأتي مجموعة من الأفكار التي تفيد الآباء والامهات العاملين وقد جمعناها من أولادهم.

تحدثوا عن أعمالكم

أخبرنا الأطفال أنهم يودون لو يفهمون ما يتضمنه عالم العمل. واذا تحدثتم عن عملكم تكوّنت في أذهان أولادكم فكرة عنه. ففي السن الثالثة أو الرابعة يفهم الاطفال عبارات مثل: "ماما تعلم الاطفال القراءة والكتابة،" أو "بابا يصلح السيارات." وابتداء من السن التاسعة أو العاشرة يمكنهم أن يدركوا بعضاً من أوجه العمل كالواجبات وخيبات الأمل والقوانين ومواعيد العمل. وقد يكتشفون أمراً يفوق الأمور الأخرى أهمية الا وهو الكسب

Condensed from «The Working Parent Dilemma,» copyright © 1986 by Earl A. Grollman and Gerri L. Sweder, published by Beacon Press, Boston, Mass. Illustration: Bob Dacey

المعنوي الذي يمنحه العمل المرضي. فان دخلتم المنزل والابتسامة بادية على شفاهكم أدرك أطفالكم أن عملكم يسعدكم. ثم لمَ لا تصحبون أولادكم معكم إلى العمل ان سنحت الفرصة؟

لا ترهقوا أنفسكم بالعمل

تقول كاتي (١٤ عاما): "أبي يعمل طوال الوقت. فهو يغادر المنزل قرابة السابعة صباحاً ولا يعود قبل السابعة مساءً. عند ذاك نكون تناولنا العشاء فيجلس معظم الوقت أمام جهاز التلفزيون (التلفاز) ليأكل وحيداً. وهو يذهب الى مكتبه حتى في عطلة نهاية الاسبوع."

يعتقد كثير من الاولاد أن أهلهم يؤثرون النجاح في حقل العمل على النجاح في دورهم كأب صالح أو أم صالحة. ويقول تلميذ في مدرسة ثانوية: "يعتقد الجميع أن أمي عظيمة لانها متوقّدة الذهن وذائعة الصيت وتعمل بكد وتجوب العالم ملقية المحاضرات. لكنني الشخص الوحيد الذي لا يتسع له وقتها."

ويمتعض الأطفال أيضاً عندما يرون أهلهم منهمكين حتى في المنزل. فلنصغِ الى الجمل التي يرددها الآباء وقد نقلها الينا أطفالهم: "لا تزعجني،" و"ألا ترى أنني مشغول؟" و"ماذا عساك تريد الآن؟" فهل تستغربون بعد ذلك أن يشعر هذا العدد الكبير من الأطفال بأنه منبوذ؟

عندما تأوون الى منازلكم بعد نهار من العمل، اعلموا أن أطفالكم في حاجة الى اهتمامكم. فهم لم يروكم لساعات طوال، ولديهم أمور كثيرة يودون أن يشركوكم فيها. يهمّهم أن يعرفوا انكم تكترثون لأمرهم بما فيه الكفاية حتى تجلسوا الى جانبهم وتصغوا إليهم.

إياكم والمزاج العكر

لاحظنا في اثناء بحثنا ان ٣٧ في المئة من الأطفال يشكون من سوء طبع أهلهم في نهاية يوم العمل. وتقول ساندي (١٢ عاماً) في هذا المجال: "عندما يكون أبي أمضى نهاراً سيئاً تراه يصبّ جام غضبه عليّ وعلى أختي ويصيح في وجهينا لأتفه الاسباب."

ان أطفالكم في حاجة الى الراحة والاهتمام. فلربما أمضوا هم أيضاً نهاراً سيئاً يحتاجون الى التحدث عنه. فان ركّزتم على مشاعركم شعر أطفالكم بالخيبة والحرمان. وهكذا عندما تعودون إلى البيت خصصوا بضع دقائق للاسترخاء قبل أن تضطلعوا بدور الام أو الاب. فمن الضروري أن تهدأوا من اضطراب مشاعركم كي تستمتعوا برفقة أولادكم.

لا تخرجوا كثيراً للسهر

يقول جيمي (١٣ عاما): "والداي يلعبان كرة المضرب كلّ ثلثاء ويتناولان العشاء كلّ خميس مع الأصدقاء. ثم يخرجان للسهر في نهاية كلّ أسبوع. أعتقد أنّهما يؤثران الخروج من المنزل على البقاء معنا." وكثيراً ما طرح الأطفال علينا هذا السؤال ونحن نستجوبهم: "لماذا يخرج والداي كثيراً للسهر؟"

تساءلوا كم يوماً في الاسبوع تلازمون المنزل لتتناولوا العشاء مع أطفالكم أو

لتشرفوا على فروضهم أو لتمضوا أمسية هادئة مسلّية بصحبتهم.

واسألوا أطفالكم عن رأيهم فيكم عندما يدخلون المنزل فلا يجدونكم فيه. فان درجتم على السهر خارج البيت أكثر من ليلة واحدة في الاسبوع، أحسّ أطفالكم أنكم تغيبون عن المنزل لمدة طويلة.

أصغوا الى أطفالكم

تقول ليندا (١٧ عاما): "إن أراد الاهل أن تكون علاقتهم بأولادهم جيّدة، عليهم أن يكونوا على استعداد للتحدث اليهم." ويقول أحد الأطفال: "يروق أبي أن يقرأ الصحيفة ويحادثني في آن." ويسأل طفل آخر: "كيف لك ان تحادث والديك اذا كانا يشاهدان التلفزيون طوال الوقت؟"

ان الاطفال الذين استجوبناهم يعرفون بالتحديد ما الذي يودّون التحدث عنه، ألا وهو ما يشعرون به. فهم يحتاجون الى اخبار اهلهم عن خوفهم مثلا. لكن كثيرين منهم يؤكدون أن آباءهم يتلافون الحديث في المواضيع الحساسة.

وهكذا فان اصغاءكم الى أطفالكم واجابتكم عن أسئلتهم قد يكون لهما أثر كبير في شعورهم بالامان النفسي، وقد يوطّدان علاقتكم بهم.

اتبعوا هذه النصائح وسيدرك أطفالكم أنكم تصغون اليهم حقاً:

١. خصصوا وقتاً لكل طفل.
٢. اجلسوا الى جانبه.
٣. انتبهوا الى نبرة صوته وحركاته وتعابير وجهه بينما تعيرون أذنيكم ما يقوله.
٤. دعوه ينتقي الموضوع بنفسه.
٥. عبّروا عن تفهم وتجاوب.
٦. لا تحكموا على مشاعره أو آرائه.

إياكم والنقد الظالم

ان الآباء الذين لا يجدون الوقت للاصغاء الى أطفالهم إنما يجدونه لانتقادهم. أما الأطفال فلا يعرفون كيف يواجهون التهجّم الكلامي لآبائهم، وتراهم يتشكّون خصوصاً من النقد الظالم أو المحرج. ومن العبارات التي يرددها الآباء باستمرار: "تنسى دائماً أن..." و"تهمل دائماً..." فكما أنه ليس من امرىء معصوم من الخطأ، كذلك فانه ليس من امرىء يخطىء باستمرار. ومن جهة أخرى، للأطفال قاعدة ذهبية: ينبغي على الآباء ألّا يتفوهوا بما قد يجرح عزة أطفالهم، خصوصاً أمام أصدقائهم. يقول صبي في الثانية عشرة من عمره: "إذا ما ساء أمر في عمل أبي بدأ يناديني "طبوش" حتى أمام أصحابي. إنه لأمر مؤلم حقاً."

فبدل أن تضربوا على وتر السيئات فحسب، حاولوا أن تركّزوا على حسنات الطفل لتساهموا في بناء اعتباره الذاتي. وان دعت الحاجة الى تأنيبه، أنبوه على انفراد وبحيث لا تجرحون كرامته. وعلاوة على ذلك كلّه لا تستعملوا طفلكم كهدف تصبّون عليه غضبكم المتأتي من خيبة في مجال آخر من حياتكم.

لتكن بداية نهاركم جيّدة

ان الوقت الذي تمضونه مع أولادكم في الصباح يؤثّر في نهارهم بأكمله. يقول

كيم (١١ عاما): "ان الفوضى تعمّ منزلي في الصباح حيث يكون الجميع على عجلة من أمرهم. فوالداي لا ينفكان يصيحان انهما سيتأخّران، وتراهما يصدران الاوامر بصوت عال: "رتب سريرك! أسرع، تناول فطورك!" انها لبداية نهار بغيضة.

هذا نموذج عن وصف الأطفال لساعات النهار الاولى. وعندما يخاطب الآباء أبناءهم بلهجة قاسية قبل أن يرسلوهم الى مدارسهم، فان صدى كلماتهم لا يفتأ يترجّع في أذهانهم طوال النهار فيؤثّر في عملهم المدرسي.

في وسعكم أن تمضوا مع أولادكم صباحاً هادئاً إن افقتم أبكر من المعتاد بنحو ١٥ دقيقة وشرعتم في أعمالكم اليومية على مهل.

من المهم جداً ان تتناولوا طعام الفطور مع أولادكم. ولا تنسوا أن تضموا الطفل أو تقبّلوه او توجهوا اليه كلمة تشجيع قبل ذهابه الى المدرسة. فان بداية جيّدة في الصباح تمنحه ثقة أكبر لمواجهة نهاره.

ليكن منزلكم مكاناً آمناً

معظم الاطفال الذين قابلناهم أخبرونا أنهم يخافون البقاء في المنزل وحدهم. فان بدا لكم ان ولدكم أصبح من النضج بمكان بحيث يمكنه البقاء وحده في المنزل قبل ذهابه الى المدرسة أو بعد عودته منها، فعليكم أن تتأكّدوا من أن منزلكم يبعث على الشعور بالأمان، وان تلقّنوا اولادكم طريقة التصرّف في ظروف مختلفة. الجأوا مثلا الى لعبة تقضي بان يجيب طفلكم عن أسئلة تبدأ بعبارة "ماذا تفعل لو..." وتنتهي بجملة مثل "...أضعت مفتاحك" أو "...قرع الباب شخص لا تعرفه."

إن الوقاية هي صمام الأمان. لذا يجب أن يحوي كلّ بيت جهاز تنبيه ضد الحريق. ثم لمَ لا تفكّرون في تركيب جهاز انذار ضد السرقة؟

من جهة أخرى فان ادارة جهاز الراديو خلال النهار يوحي أن منزلك مأهول." فعلى حد قول أحد الأطفال: "أن تمشي في منزل لا حركة فيه ولا صوت أمر مرعب."

إياكم ان تتركوا مفتاحاً في مخبأ واضح، تحت ممسحة الأرجل مثلا. اتركوه بدل ذلك في عهدة أحد الجيران.

عندما يكون طفلكم وحده في المنزل يُعتبر الهاتف صلة وصل حيوية. لذا ينبغي أن يكون أحد الوالدين أو شخص راشد يعرفه الطفل في متناوله، يستطيع الاتصال به هاتفياً متى شاء. وعلى الأطفال أيضاً أن يعرفوا أين يجدون أرقام الطوارىء وكيف يردون على الهاتف من دون أن يشعر المتصل الغريب بأن لا أحد في البيت سوى الطفل.

اذا ساعدتم طفلكم ليفهم الاحتياطات التي اتخذتموها لحمايته، شعر بالمزيد من الجرأة حيال البقاء وحيداً في البيت.

ان في وسع أطفال زماننا أن يتقبّلوا فكرة ذهاب كلا الوالدين الى العمل ويعتبروا ذلك أمراً طبيعياً، لكنهم يتوقّعون دائماً تلبية حاجاتهم. فاذا أعار الوالدان انتباههما تلك الحاجات، استطاعا أن يوفّقا بين مسؤوليات عملهما ومسؤولياتهما الابوية.

ارل غرولمن وجيري سويدر ■

الواجهة المائية لماكاو تظهر حداثة المباني، وبينها فندق لشبونة وهو في شكل عاقص للشعر.



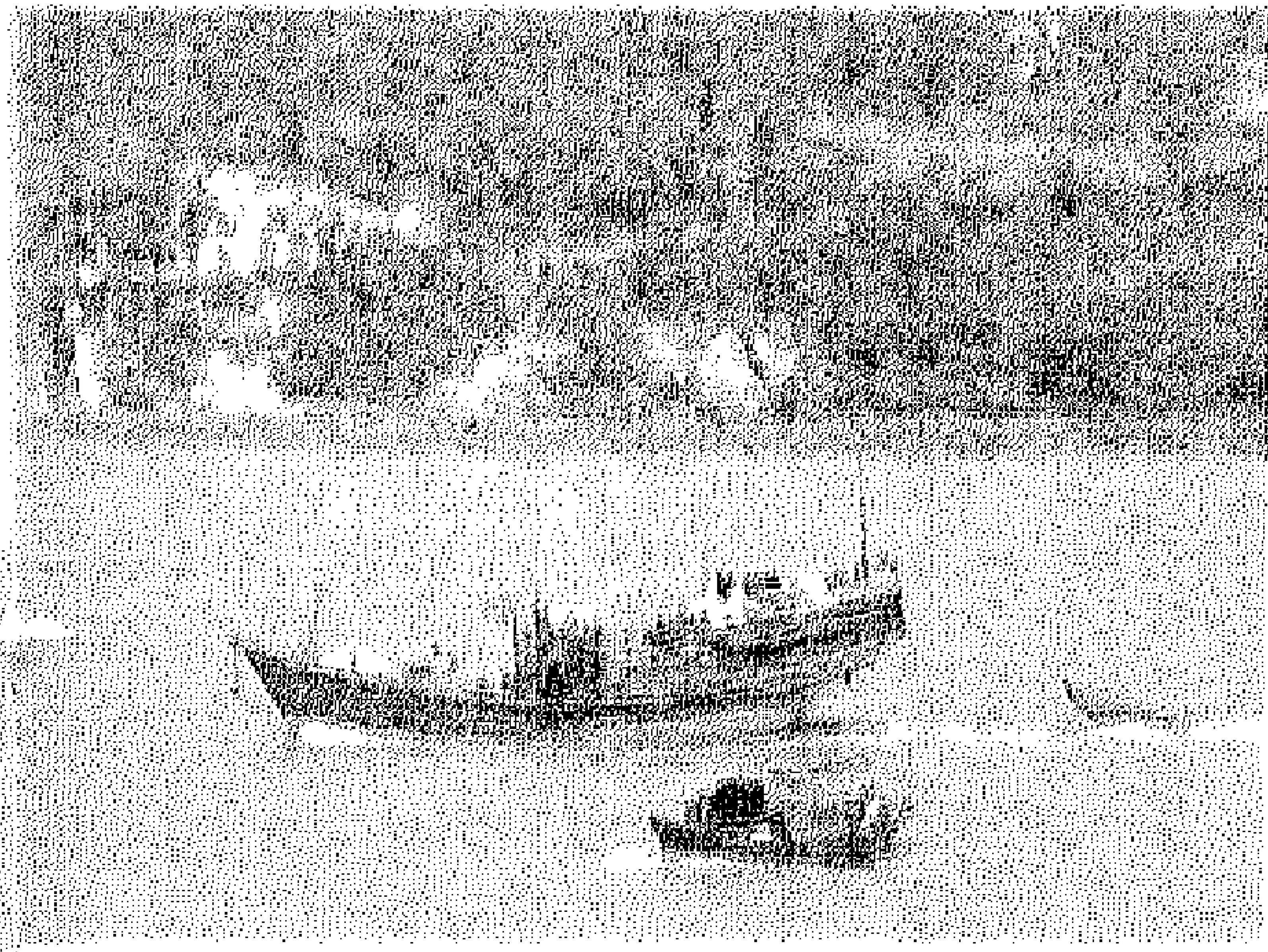
هي مزيج ساحر من الحضارتين الشرقية والغربية

ماكاو

أبوها برتغالي وأمّها صينيّة

كانت ماكاو في ما مضى تنافس شانغهاي كأكثر المدن شراً في الشرق. وفي طريقي اليها على متن سفينة نقلتني من هونغ كونغ التي تبعد ٦٥ كيلومتراً، تراءت لي مشاهد المكايد والاخطار وأوكار الافيون والمهربين. وتُعتبر ماكاو اليوم "ملعباً" دولياً مصغراً بفضل الذهب وضروب التسلية فيها. على انني وجدت في ذلك العالم الصغير أكثر من ذلك بكثير.

ماكاو الجاثمة على "ابهام" الصين هي



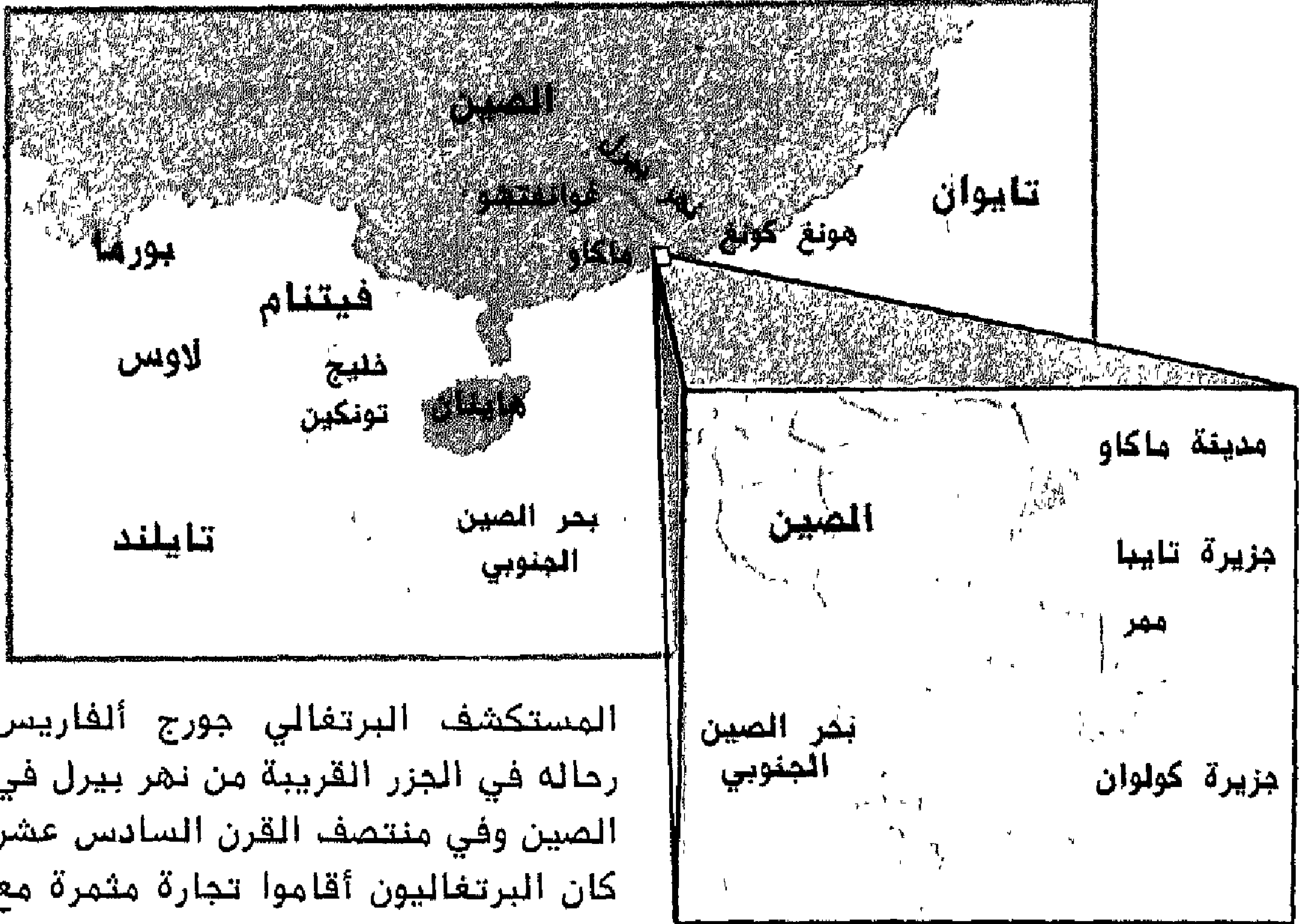
منظر من مطعم "بوسادا دو ساو تياغو" يبدو فيه ساحل الصين القريب وسفينة شراعية.

Photos: Marion Kaplan

أقدم مستوطنة اوروبية في آسيا. ويبلغ طولها أربعة كيلومترات وعرضها الاوسع كيلومتراً ونصف كيلومتر. وفي ماكاو يلتقي الشرق الغرب في طرق عدة غريبة. سحرها ينبع من امتزاج الثقافتين

"بوسادا دو ساو تياغو" وهو نزل شهير ذو طابع برتغالي يملكه رجل صيني.

يعود تمازج الثقافتين الصينية والبرتغالية الذي يسوده جو من الوئام في غالب الاحيان، الى العام ١٥١٣ عندما حط



البرتغالية والصينية وتفاعلهما. وفي الاعياد يؤدي الصينيون رقصتهم التقليدية "الاسد والتنين" على أرصفة بنيت على الطريقة البرتغالية وفي شوارع حوّلتها اللافتات المكتوبة بالبرتغالية والصينية صالات عرض فنية تضجّ بالالوان.

كل ما تطلبه النفس من أفخر أصناف الطعام متوافر في ماكاو. فطبق "باكالهو آبرا" (★) مثلا يعدّه طاه صيني يعمل في

المستكشف البرتغالي جورج ألفاريس رحاله في الجزر القريبة من نهر بيرل في الصين وفي منتصف القرن السادس عشر كان البرتغاليون أقاموا تجارة مثمرة مع أهل الصين المقيمين في كانتون المعروفة اليوم باسم غوانغتشو. أما الاحتلال البرتغالي فبدأ في العام ١٥٥٧ حين راح البرتغاليون يقيمون المصانع ويشيدون المنازل. وهكذا أصبحت ماكاو مع جزيرتي تيابا وكولوان المجاورتين القاعدة الاولى للاتصال التجاري بين الشرق والغرب.

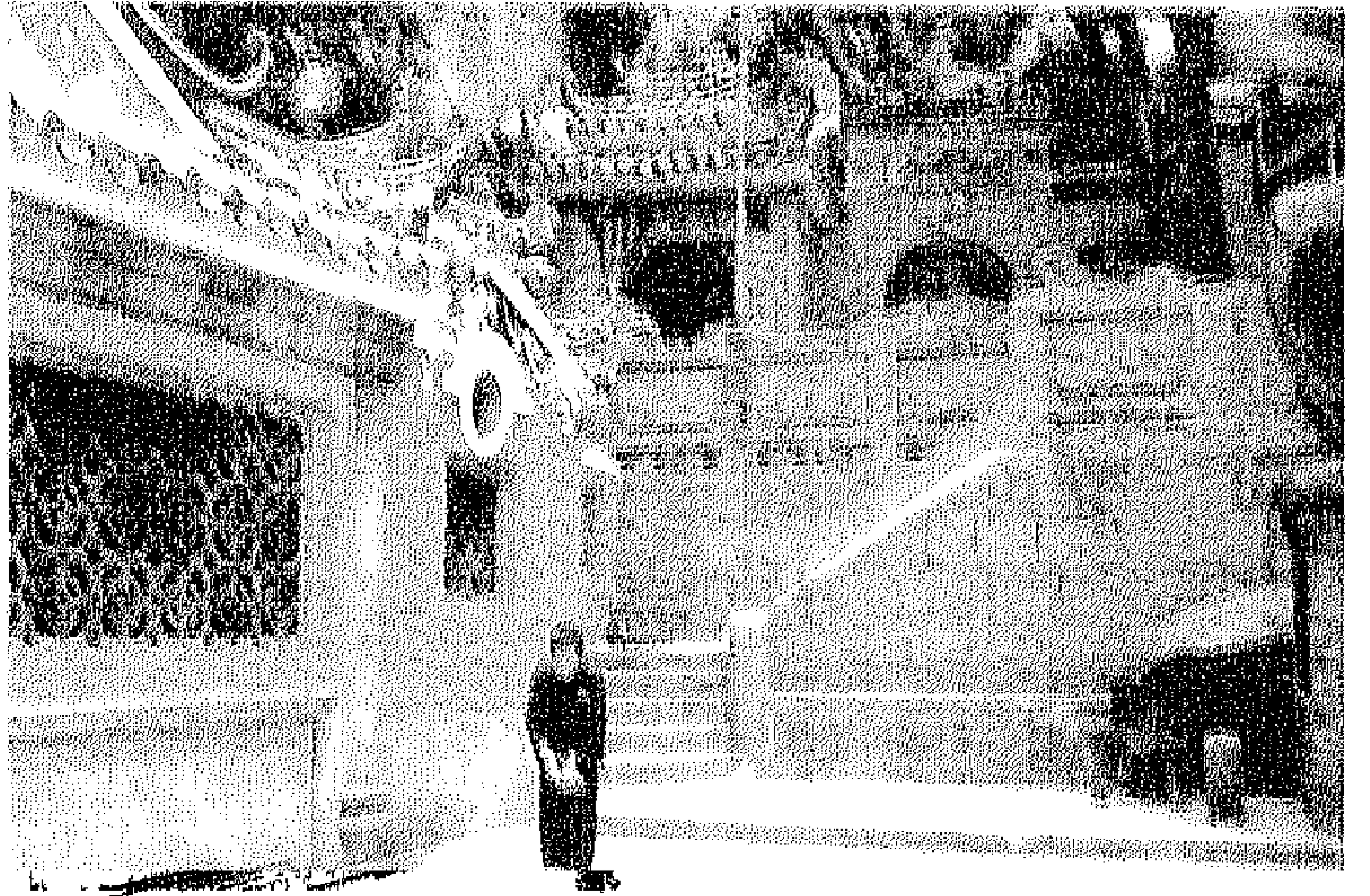
والسفينة التي حملتني الى ماكاو تعود الى أحد أهم الاساطيل التجارية في

(★) Bacalhau a Bras

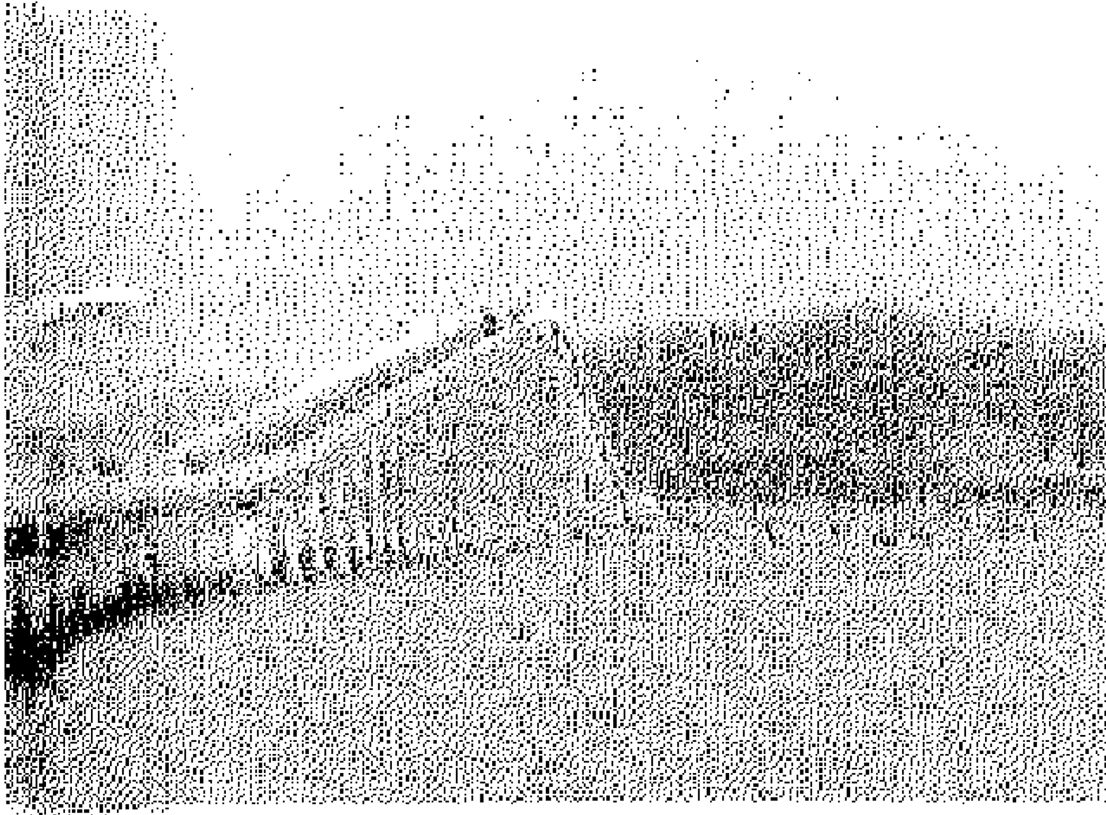
Map: Robert Ritter

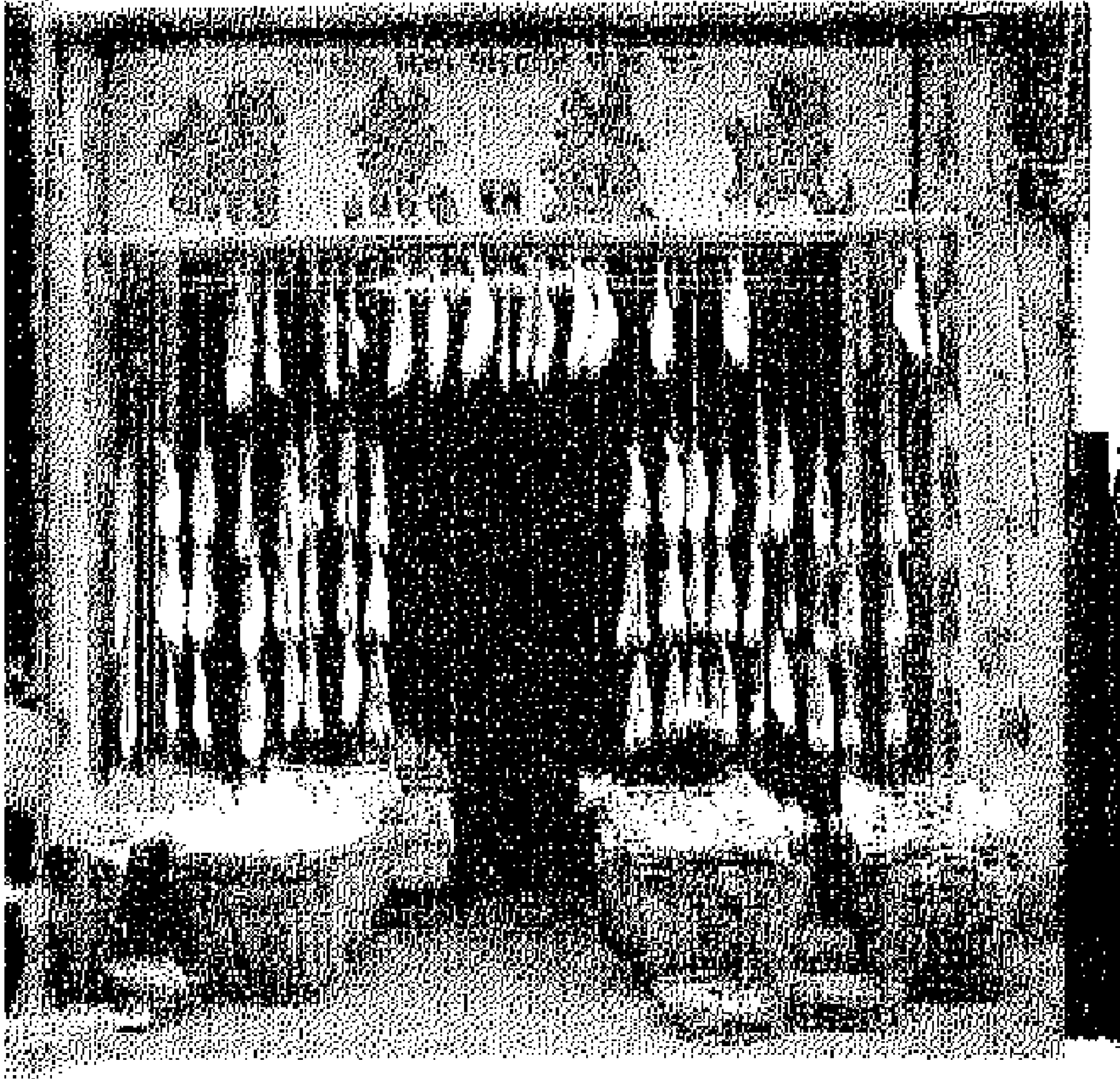
العالم، وهو ينقل سنوياً نحو أربعة ملايين راكب يقصد ثلاثة ملايين ومئتا ألف منهم الكازينوات التي تستقبلهم ليلا ونهاراً. ويعتبر فندق لشبونة من أضخم الكازينوات، كذلك "ستاديوم جاي ألاي".

وتقام في ماكاو سباقات للكلاب. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) من كل عام



ماكوك ميو اقدم مزارات ماكاو
شيد قبل قدوم البرتغاليين
الى الجزيرة التي تحمل اسمه.





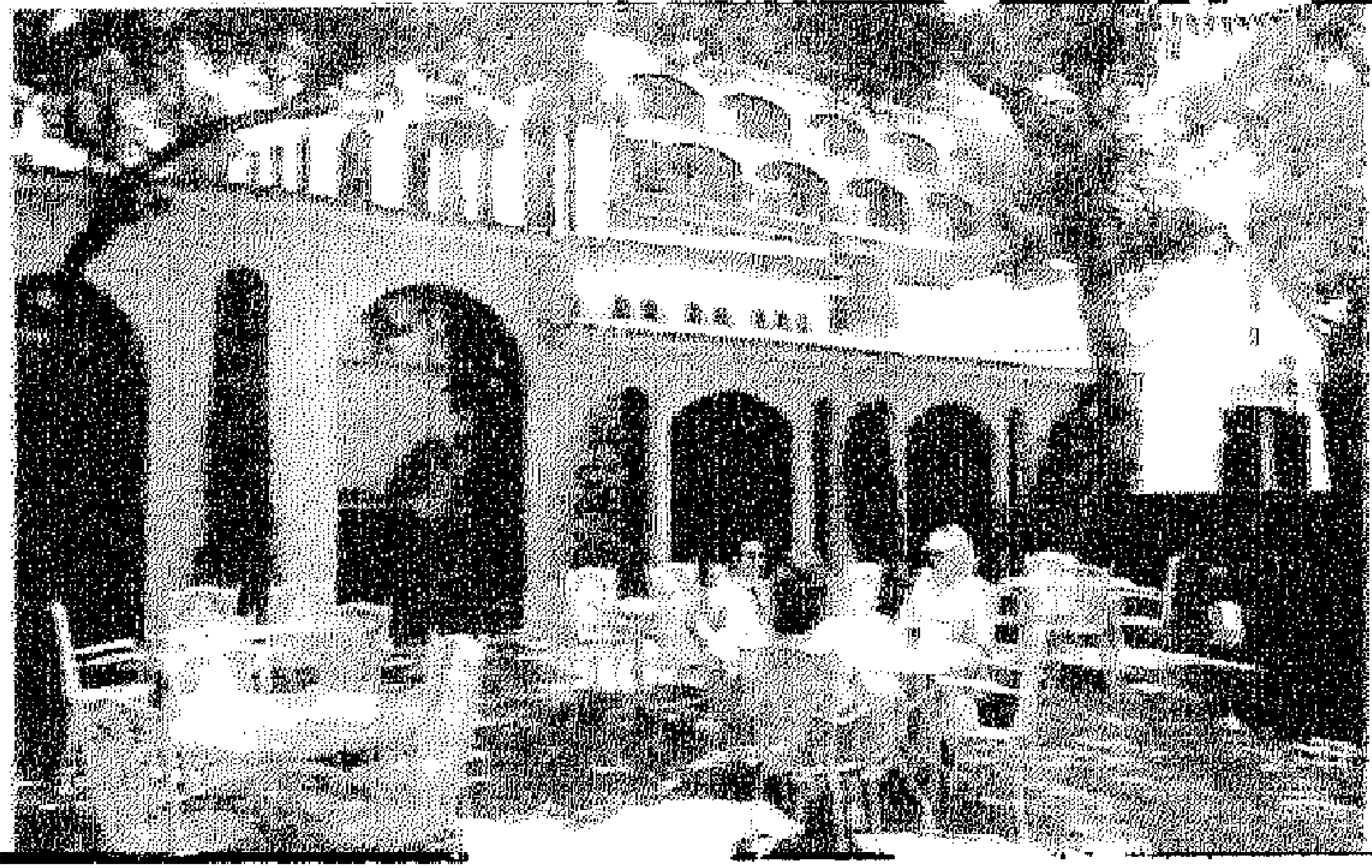
دكان سمك
في أحد
شوارع ماكاو.

يجرى سباق الجائزة الكبرى للسيارات وهو سباق معترف به دولياً.

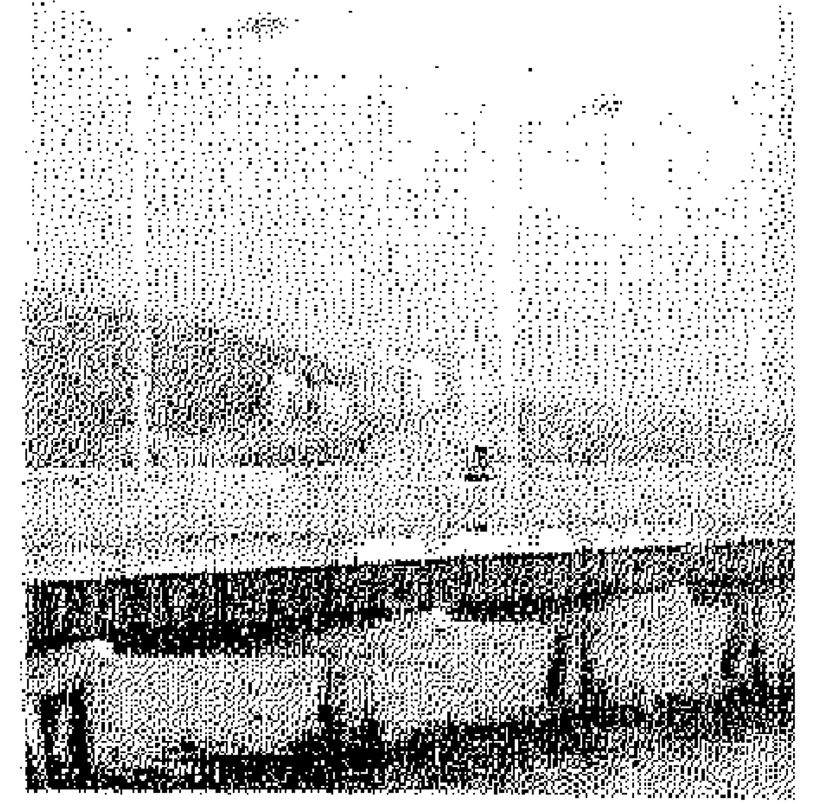
والتجول في الاسواق وسيلة أخرى من وسائل الترفيه الرائجة. وفي المنطقة الحرة في الميناء يجد السائح، الى البضاعة التي ألِف مشاهدتها كآلات التصوير اليابانية والعطور الفرنسية، مجموعة من المتاجر الصغيرة التي تعرض مجوهرات فريدة وتحفاً أثرية من البرتغال والصين وجملة عقاقير صينية مستخرجة من الاعشاب والحيوانات. ولقد لفتني قرن كركدن (وحيد القرن) معروض في حانوت صيني صغير يقع في أسفل السلم المؤدية الى احد أهم آثار فن العمارة المتبقية بعد حريق ١٨٣٥ المفجع.

انهما عالمان وثقافتان. واذا كان التاريخ جعل الحكم في يد البرتغال التي تبعد اكثر من عشرة آلاف كيلومتر عن

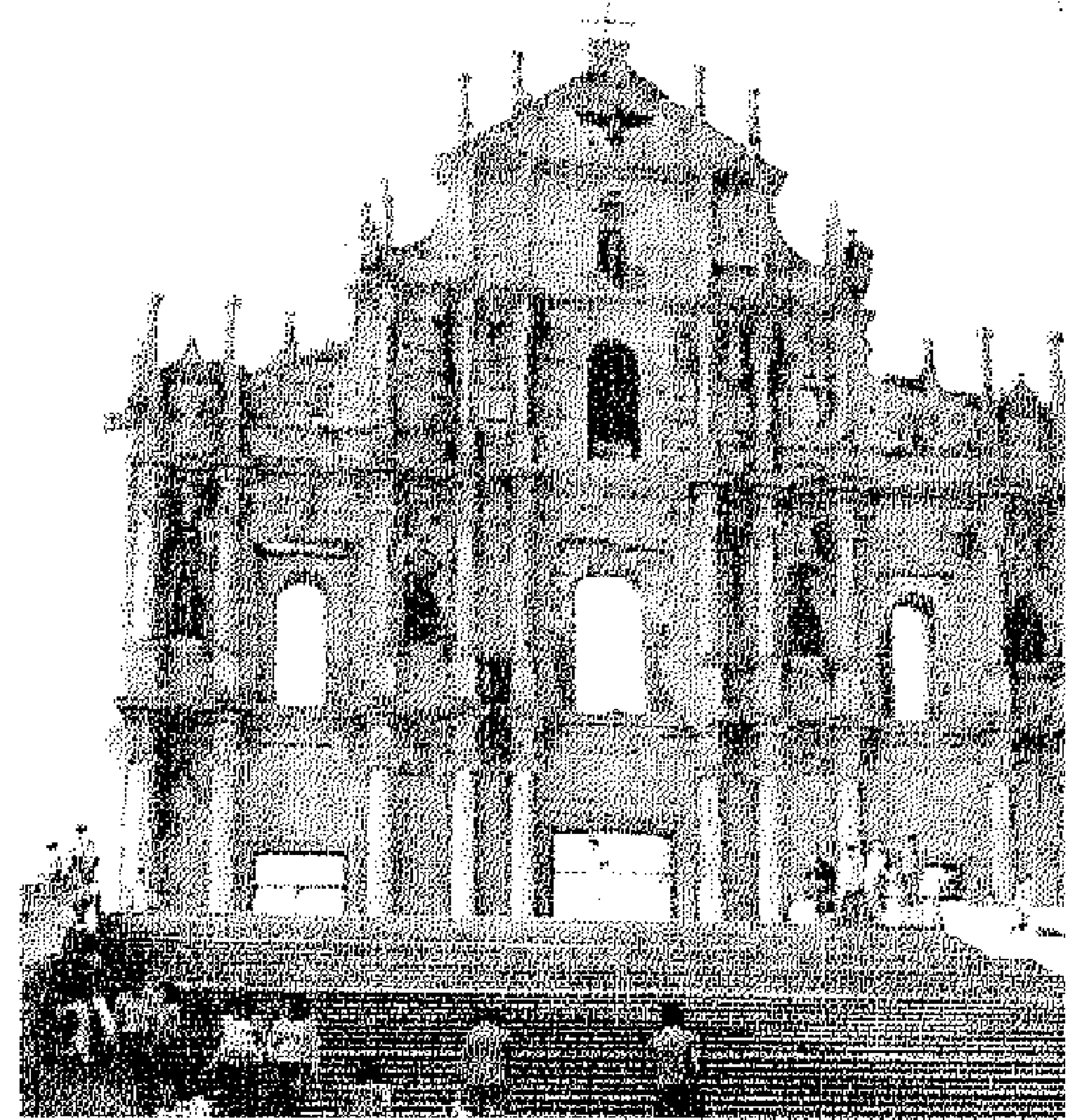
لافتة كتب عليها
اسم المتجر بالخط الصيني
وباللغتين البرتغالية والانكليزية.



"سطيحة" فندق بوسادا المشاد على موقع حصن برتغالي قديم.



جسر مائي بين ماكاو وجزيرة تايبا.



الواجهة الاثرية أشهر مواقع فن العمارة في ماكاو.

ماكاو، فان مقتضيات الجغرافية والاشراف العملي تجعل السلطة الفعلية في يد الصين المجاورة. وهذا تدبير لا يشك سكان ماكاو في صحته، ويبلغ عددهم ٣٥ ألفاً ويشكّل الصينيون ٩٦ في المئة من مجموعهم.

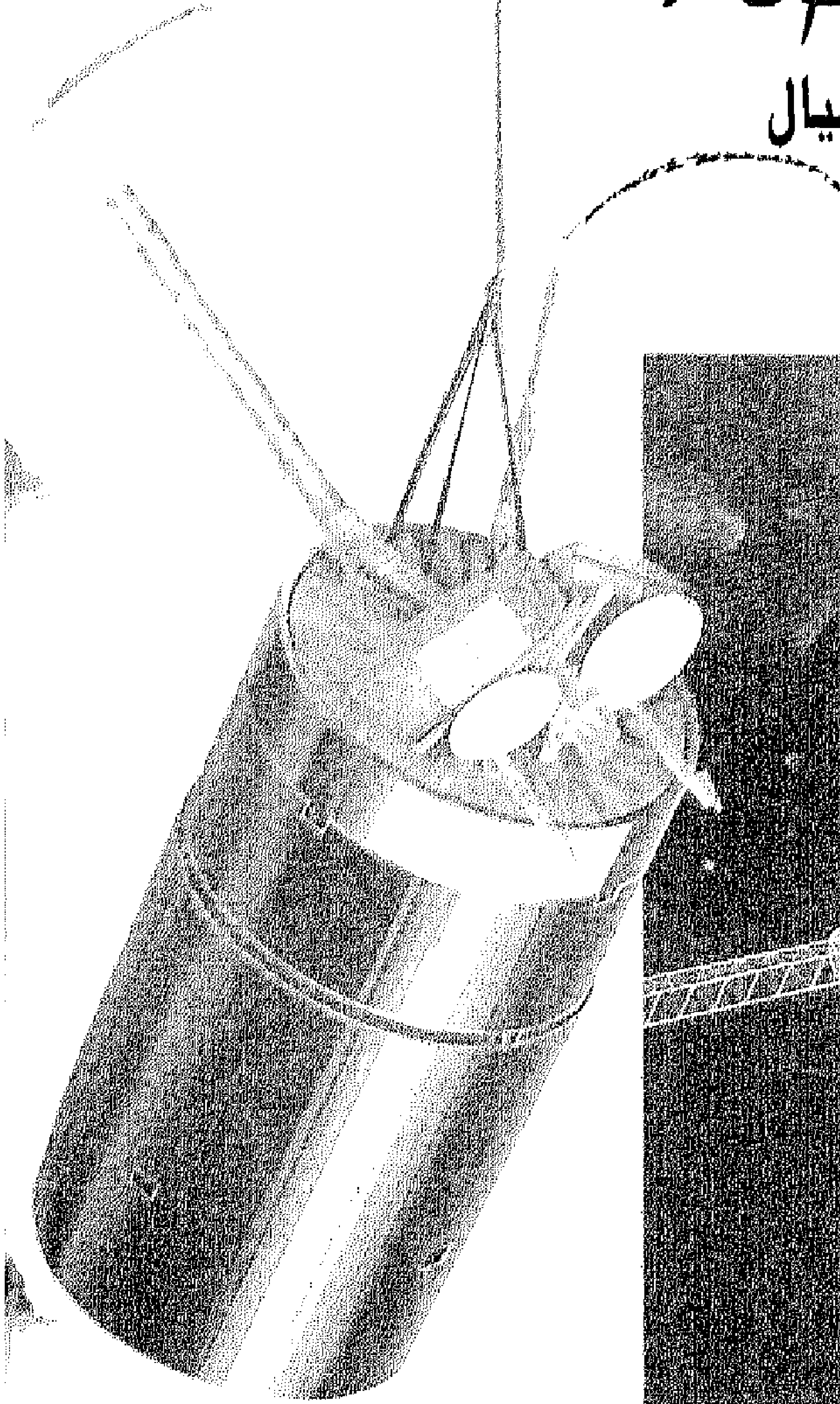
وفي العام ١٩٧٤ قدمت البرتغال جوهرتها الصغيرة تلك هدية الى بكين التي رفضتها بذوق وأدب. وفي دستور ١٩٧٥ تنازلت البرتغال رسمياً عن سيادتها للصين، ومع ذلك ظل العلم البرتغالي يرفرف فوق مؤسسات ماكاو. وفي أثناء زيارة الرئيس البرتغالي السابق رامالهو اينش للصين حديثاً تم الاتفاق على بدء المفاوضات عام ١٩٨٦ لجعل ماكاو تحت الادارة الصينية.

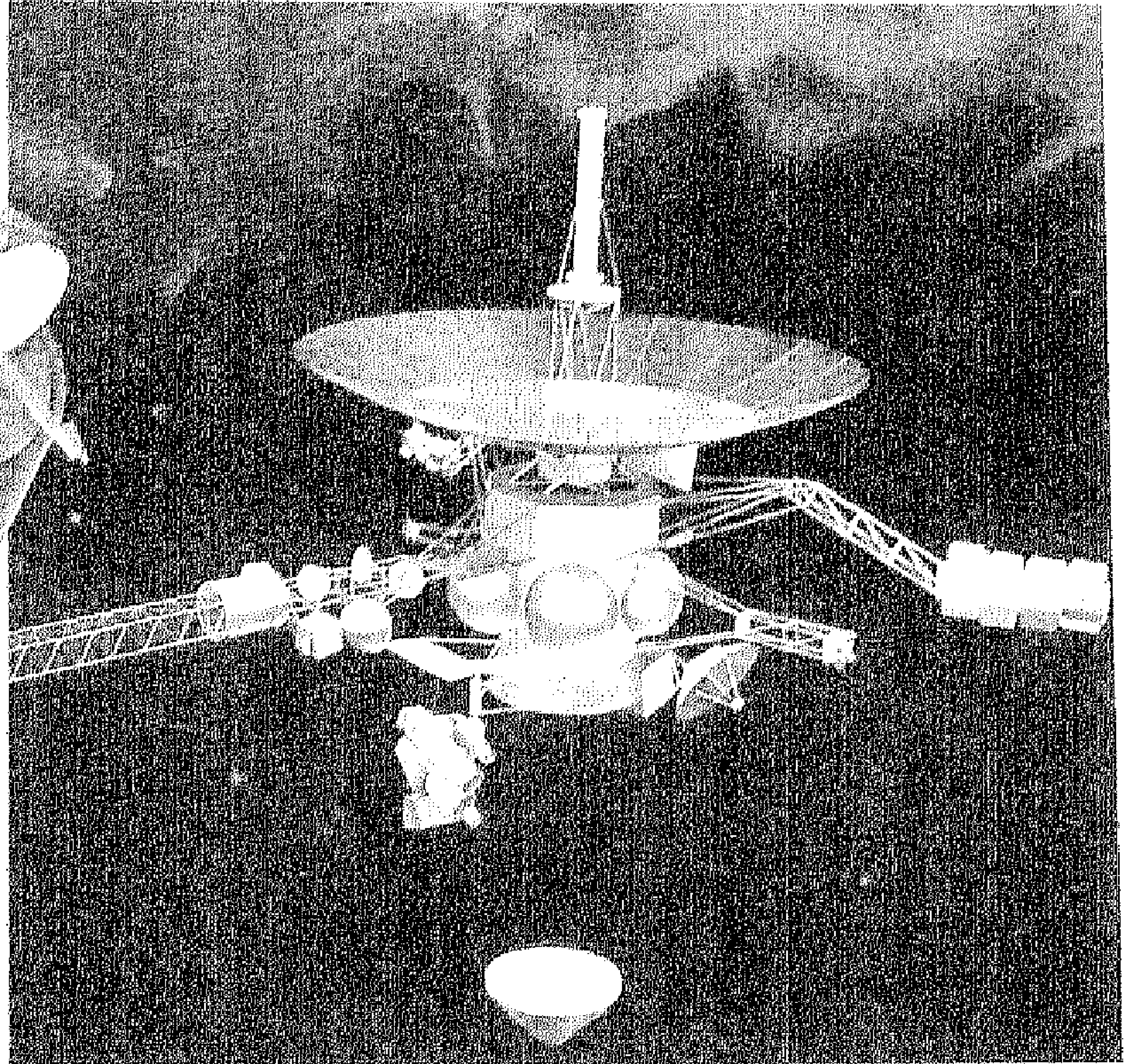
ويسود ماكاو جو من التعايش السلمي الهادىء، وكأن الدولتين المعنيتين زوجان مضى على قرانهما ردح طويل من الزمن وبات أحدهما يفهم الآخر جيداً.

ماريون كابلان ■

الألمـــان في الفضاء

شركة المانية جعلتها الخبرة وسعة الخيال سبّاقة في حقل التقنية الفضائية





نموذج لقمر الاتصالات "انتلسات ٦".
والى اليسار، سفينة الاستكشاف الفضائية "غاليليو".

اذا جرى كل شيء على ما يرام فان مـركبة استكشـاف فضائيـة تـدعى "غاليليو" ستنطلق عام ١٩٨٧ في رحلة طولها ٨٠٠ مليون كيلومتر عبر النظام الشمسي في طـريقهـا الى كـوكب المشتري. وكان من المقرر اطلاق المركبة في شهر مايو (أيار) ١٩٨٦ الا أنه أرجيء بعد كارثة المكوك الفضائي الامريكي "تشالنجر" في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦.

وبعد سنتين ونصف سنة من انطلاقها ستقذف غاليليو مسبراً اختبارياً يحمل أجهزة رصد ومراقبة الى جو المشتري المضطرب، ثم تتحول الى مدار مقرر لها.

Photos: Hughes Aircraft Company, El Segundo / California;
Jet Propulsion Laboratories, Pasadena / California

وعلى مدى ٤٠ شهراً ستطوف هذه المركبة التي تزن ٢٥٠٠ كيلوغرام، في نظام كوكب المشتري وتبث صوراً ومعلومات الى الارض.

ان نجاح مهمة غاليليو يتوقف على احتمال أنظمة الدفع فيها للاشعاعات المعادية في محيط المشتري وعلى انجازها مناورات لم تسبقها اليها أي مركبة استكشاف في أعماق الفضاء.

كتلة المحركات، وهي الاكثر تعقيداً في جميع الرحلات الفضائية التي صممت حتى الآن، صنعتها شركة "مسرشميت - بولكوف - بلوهم، م. ب. ب." (١) ومركزها الرئيسي اوتوبرون قرب ميونيخ بألمانيا الغربية. ويقول كلاوس بونهوف مدير انتاج كتلة محركات غاليليو: "هذه المرة الاولى يتم تطوير جزء رئيسي في مركبة فضائية أمريكية خارج الولايات المتحدة."

رأس الحربة - تعود جذور شركة "م. ب. ب." وهي اليوم أضخم الشركات الاوروبية وأنجحها في مجال الفضاء، الى العشرينات من هذا القرن حين أسس فيلي مسرشميت شركة "مسرشميت" لصنع الطائرات في مدينة بامبرغ. وهذا العبقري في علم الطيران أنتج بعض أشهر الطائرات في العالم، بما فيها أول مقاتلة نفاثة "م ٢٦٢" (Me 262) . وفي اواخر الخمسينات وقع عقوداً مع وزارة الدفاع في بون لبناء طائرة تدريب نفاثة فرنسية ومقاتلة امريكية من طراز "ستارفايتر" وصيانتهما لمصلحة سلاح الجو الالماني.

ورغبة منها في "لحم" صناعة مشتتة للطائرات في مشروع دولي قادر على المنافسة، حضت الحكومة الاتحادية الالمانية مسرشميت عام ١٩٦٨ على الاندماج مع شركة "بولكوف" في اوتوبرون التي كانت متخصصة بصنع الطائرات المروحية. وبعد سنة من ذلك تحقق دمج آخر مع شركة بناء الطائرات في هامبورغ التي كان يرئسها فرنر بلوهم. وهكذا ولدت الشركة الحالية.

وشركة "م. ب. ب." التي تستخدم ٣٦ الف عامل وتدير ١٨ مصنعاً موزعة في أنحاء ألمانيا، تصنع تشكيلة واسعة من المنتجات: طائرات ركاب مدنية وطائرات عسكرية وطوافات وقذائف صاروخية وأقمار اصطناعية وأجزاء مركبات فضائية وأدمغة الكترونية وأجهزة لانتاج الطاقة وحتى أجهزة طبية متطورة.

ان الابحاث الفضائية، وهي رأس الحربة في الاكتشافات العلمية، تشكل احد المولدات الرئيسية للتكنولوجيا الجديدة بالنسبة الى امبراطورية "م. ب. ب." الصناعية. والتعامل في هذا الحقل الذي وحدت فيه قوى شركة "م. ب. ب." وشركتها الفرعية "ارنو" (ERNO) يتداول ٤٠٠ مليون مارك سنوياً. وهناك أكثر من ٢٠٠٠ عامل ذوي مهارة عالية، نصفهم من علماء الابحاث والمهندسين، يعنون بالاقمار الاصطناعية والمسابر الفضائية والمحطات الارضية والمنصات الآلية للابحاث والمشاغل المدارية المأهولة وصواريخ الاطلاق.

---

(١) Messerschmitt — Bölkow — Blohm «MBB»

فلا غرو أن أضحى تآلف "م.ب.ب. - ارنو" المتعهد الاول والمجلّي في صنع الاجهزة والمساهم الرئيسي في أكثر من ٢٤ مشروعاً فضائياً. وكانت "م. ب. ب." المتعهد الرئيسي في مشروع الجرم الفضائي "هيليوس ١" الذي أطلق في ١٩٧٤ ولا يزال يبث المعلومات من الجوار المتقد للشمس. والمختبر الفضائي "سكايلاب" الذي صمم وصنع لوكالة الفضاء الاوروبية (ايسا) بقيادة شركة "م. ب. ب." كمساهمة اوروبية في برنامج المكوك الفضائي الامريكي، أثبت قدرته كمشغل فضائي مأهول في أربع رحلات ناجحة حتى الآن.

أقمار اصطناعية - ان الجزء الرئيسي في الاعمال الفضائية لشركة "م. ب. ب." أصبح الآن متعدد الجنسية. ففي الاتصالات من طريق الاقمار الاصطناعية مثلا تحاول الشركة أن تكون أكبر متعهد أجنبي في مشروع "فورد" الفضائي الامريكي لانتاج أقمار الاتصال "انتلسات ٥" (INTELSAT V) وهي الجيل الجديد من أقمار الاتصال الذي يدخل الآن الخدمة الفعلية. وتقدم "م. ب. ب." الالواح الشمسية التي تمد القمر الاصطناعي بالطاقة الكهربائية كما تقدم جهاز التحكم الثلاثي المحاور للمحافظة على التوجه الدقيق للاقمار الاصطناعية التي يلبي كل منها ما يصل الى ١٥ الف اتصال هاتفي وقناتين للتلفزيون الملون في آن. ويجرى الآن بناء ١٥ قمراً اصطناعياً من هذه لمنظمة أقمار الاتصالات الدولية التي تضم ١١٠ دول أعضاء وتؤمن أكثر من ثلثي مجموع الاتصالات الهاتفية الخارجية في العالم أجمع. كما تعاقدت "م. ب. ب." مع شركة "هيوز" الامريكية للطيران لتقديم ألواح شمسية لسلسلة أقمار الاتصال المقبلة "انتلسات ٦" التي تفخر بضعفي طاقة سابقاتها.

ومن أهم مشاريع "م. ب. ب." في مجال الاقمار الاصطناعية التي ستوضع في خدمة الجمهور مشروع قمر الاتصالات التلفزيونية «TV-SAT» في المانيا الغربية الذي تبلغ كلفته ٥٢٠ مليون مارك (نحو ٢٣٠ مليون دولار) وتوأمه الفرنسي «TDF-1» اللذان يديرهما فريق الماني - فرنسي متحد مركزه أوتوبرون. وسيركز القمران في مدارين ثابتين بالنسبة الى الارض على ارتفاع ٣٦ الف كيلومتر فوق خط الاستواء. وفي حين ترسل اقمار الاتصال العادية اشارات لاسلكية الى المحطات الارضية حيث يتم توزيعها على مقاصدها عبر خطوط أرضية، فان القمرين «TV-SAT» و «TDF-1» يستطيعان بث ثلاثة برامج تلفزيونية و١٦ برنامج ستيريو مباشرة الى البيوت المجهزة هوائي استقبال صغيراً ومحوّلا للاشارات اللاسلكية. ان طاقة البث العالية في القمر (٢٦٠ واط) وطيف الذبذبة فيه وقدرته على التجسيم الصوتي (الستيريو) تعطي صورة وصوتاً ممتازين في منطقة الالتقاط كلها، حتى في الاحوال الجوية السيئة. كما يمكن بث البرامج في غير لغة.

ومن مشاريع أقمار الاتصال التي تساهم فيها "م. ب. ب." مشروع "ميتيوسات" (Meteosat). وهي مجموعة

من أربعة أقمار متطورة لمراقبة الاحوال الجوية، وسيتم الاطلاق الاول عام ١٩٨٧. وهناك ايضاً مشروع "روزات" «ROSAT» وهو مرصد للاشعة السينية (أشعة اكس) ومصادرها في الفضاء مثل نجوم النيوترون، والكوازارات أو النجوم المتذبذبة، والثقوب السوداء وهي مصادر طاقة مغناطيسية هائلة في الفضاء، والمجرات المتفجرة.

اختصاصات عدة – أكثر التجارب تحدياً حتى الآن كان مشروع "غاليليو" الذي أرصدت له وزارة الابحاث والتكنولوجيا الاتحادية في بون ٣٠،٧ مليون مارك (نحو ١٣،٦ مليون دولار). وقد ارسل المتعاقد الرئيسي في المشروع، وهو مختبر الدفع النفاث في وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا)، ما يربو على ٥٠ طلباً لاحداث تغييرات. ولكن في حين لحظت الوزارة ٢٣،٣ مليون مارك (١٠،٣ ملايين دولار) اضافية لهذه التغييرات فان هذا المبلغ لم يكف لتغطية كل التكاليف، وتولت شركة "م. ب. ب." تسديد الفرق. ويقول كلاوس بونهوف: "في أول الامر لم يفهم شركاؤنا الامريكيون أن العقد على أساس السعر المقطوع بموجب النظام الألماني هو ما يعنيه ذلك حقاً، أي سعراً مقطوعاً. ولا يمكنك ان تعود لتطالب بمزيد من المال." وعلى رغم ذلك أنجز المشروع. ويقر بونهوف: "منينا بخسارة في ذلك، لكننا ربحنا الرضا بالمشاركة في مشروع فضائي كبير فضلا عن المشاركة العلمية في ما سينتج منه."

وصواريخ الاطلاق اختصاص آخر لشركة "م. ب. ب." ومساهمة الشركة في صاروخ "آريان" تشمل الطبقة الثانية بكاملها وحجرة الاحتراق وصمامات قطْع الوقود عن المحرك العالي الاداء «HM-7» في الطبقة الثالثة وهوائيات القياس عن بعد للصاروخ. وتنتج الشركة كذلك محركات الدفع الضخمة العاملة بالوقود السائل للصاروخ "آريان ٤" الذي سيصبح جاهزاً للاطلاق هذه السنة وهو قادر على نقل أحمال تصل الى ٤٢٠٠ كيلوغرام، أي ٦٠ في المئة أكثر من الطراز الحالي. كما ينتظر ادخال "آريان ٥" الخدمة عام ١٩٩٤، ووزنه ٥٥٠ ألف كيلوغرام وارتفاعه ٥٤ متراً وهو صاروخ جبار قادر على حمل ٨١٠٠ كيلوغرام الى مدار فضائي. ومحركه العامل بالوقود السائل من طراز «HM-60» المخصص للطبقة الوسطى هو الآن في مرحلة التطوير لدى شركة "م. ب. ب."

وأكثر المشاريع توجهاً نحو المستقبل هو "سباس"(٢) وهو منصة ناقلة سهلة المناورة تمكن تهيئتها لاجراء التجارب وقذفها الى مدار بواسطة المكوك الفضائي، حيث تبقى معلقة أو تحوّل موقتاً لتطير هائمة. وقد ولد المشروع على مائدة لحم مشوي في بون أوائل العام ١٩٧٨ حين كان كونراد موريتز من شركة "م. ب. ب." وشريك له يبحثان في نقص المرونة في برنامج المختبر الفضائي (Spacelab). ويقول موريتز الذي أصبح في ما بعد مديراً لمشروع

---

(٢) Shuttle Pallet Satellite «SPAS»

"سباس": "ما كنا نحتاج اليه حقاً هو منصة اختبار صغيرة وقليلة الكلفة تستطيع الافادة من قدرات المكوك الفضائي المقبل والذي يحمل بضعة أقمار في آن، فتسمح باجراء رحلات أكثر وبأوقات انكفاء أسرع بين رحلة وأخرى."

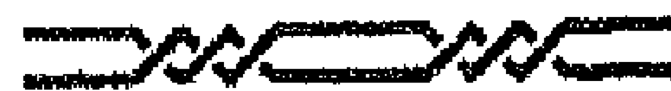
مشاريع مستقبلية – لم تلق فكرة "سباس" دفعاً الّا عام ١٩٧٩ حين أخذت وكالة "ناسا" تبحث عن مركبة مدارية للتدريب من أجل مكوكها الفضائي. وجاءت فكرة "سباس" تقدم اليها حلا. وباشر موريتز وفريق من المهندسين العمل بدعم من حكومة ألمانيا الغربية. لكن موازنة المشروع التي بلغت نحو ٣٦ مليون مارك (نحو ١١،٥ مليون دولار) كانت ضئيلة بمقاييس عهد الفضاء. لذلك صممت البنية الهيكلية للمركبة الفضائية بأنابيب من الالياف الفحمية. وللاضاءة الموجهة استخدمت أنوار تحديد المواقع المعتمدة في الطائرات. واعدت اربعة خزانات "سكوبا" هوائية تحوي غاز النيتروجين للدافعات التي تحدد وضع المركبة. ويقول موريتز: "الخزّانات الاربعة كلها كلفت ٣٦٠٠ مارك (١٦٠٠ دولار)."

وهذه المنصة التي لقبت "مختبر الرجل الفقير الفضائي" حققت المطلوب منها على نحو مدهش في رحلتيها الاوليين عامي ١٩٨٣ و١٩٨٤، وخدمت كمركبة اختبار لذراع الروبوت (الرجل الآلي) في المكوك وكانت تطير لوحدها بجانب المكوك وتصوره ازاء الفضاء اللامتناهي وراءه. وفي احدى التجارب التي أجريت على متنها التقطت صور دقيقة الى حد مذهل للارض. وفي خريف ١٩٨٥ رافقت وحدة فضائية مشابهة لـ"سباس" رحلة المختبر الفضائي الالماني "د – ١" (D-1) وأجريت تجارب لوكالة الفضاء الامريكية ووكالة الفضاء الاوروبية ولمصلحة ألمانيا الغربية.

ان الناقلة الاوروبية القابلة للاسترداد "اوريكا"(٣) المبنية على أسس فكرة "سباس" هي المشروع الفضائي الرئيسي المقبل لوكالة الفضاء الاوروبية، ويجرى تطويرها الآن بقيادة شركة "م. ب. ب." اما المنصة غير المأهولة التي يقذفها المكوك والمجهزة بنظامي دفع وتموين خاصين فيمكنها اجراء مجموعة مختلفة من التجارب في الفضاء لمدى ستة اشهر. وبعد ذلك يأتي "كولومبوس" وهو مختبر متابعة مأهول يمثل المساهمة الاوروبية في المغامرة الغربية الكبرى التالية الى ما وراء الارض وهي المحطة الفضائية الامريكية المقترحة. وشركة "م. ب. ب." واثقة بأن لديها الموارد وسعة الخيال لمواجهة هذه التحديات المستقبلية.

كارل وبربارة كريستوفرسون ■

(٣) European Retrievable Carrier



عندما ينسى المرء نفسه، فهو عادة يقوم بعمل يتذكره كل الآخرين حوله.

ج.ك.



سقطت ابنتها
ضحية جريمة وحشية،
لكن هذه الأم حولت المأساة انتصاراً

كفاح أم من أجل العدالة

عند الحادية عشرة ظهر يوم السبت ٣ ابريل (نيسان) ١٩٨٣ كانت روبيرتا روبر تذرع المكان حول منزلها في احدى ضواحي العاصمة الامريكية واشنطن منتظرة عودة ابنتها الجامعية ستيفاني (٢٢ عاماً) إلى البيت لتمضية عطلة الأسبوع. وكانت ستيفاني أمضت ليلة الجمعة مع صديقتها ليزا توماس. لكن روبيرتا توقعت مجيئها باكراً صباح ذلك اليوم.

وقبيل الظهيرة اتصلت الأم (٤٤ عاماً) بآل توماس هاتفياً. وقالت لوالدة

Illustration: George Angelini

ليزا: "ماري آن، أنا روبيرتا، هل ستيفي عندك؟" وسألتها السيدة توماس: "ماذا تعنين؟ لقد اخبرتني ليزا أن ستيفي ودعتها باكراً هذا الصباح."

قالت روبيرتا: "انها لم تصل بعد. سأستدعي الشرطة."

بعد دقائق على اتصال روبيرتا التي كانت مذعورة، بشرطة اقليم برنس جورج وصل زوجها فنس الى البيت. وسألها: "اين ستيفي؟ ظننت انكما غادرتما قبل وقت بعيد." ففي ذلك الصباح كانت روبيرتا، وهي أستاذة فنون، تعتزم مساعدة ستيفاني في شراء بعض اللوازم لمشروعها الفني الدراسي في الجامعة.

وانبعث صوت روبيرتا متوتراً: "انها لم تعد إلى المنزل ولم تتصل هاتفياً. لقد كالمت الشرطة، وسيرسلون شخصاً للاستقصاء."

بعد لحظات تعالى رنين الهاتف. ليزا توماس على الخط: "لقد شوهدت سيارة ستيفي. انها إلى جانب طريق متنزه فلورال الذي يبعد ٧٥٠ متراً عن بيتنا. اطارات السيارة مفرغة من الهواء ولكن ليس ثمة انبعاجات. الأبواب موصدة والانوار مطفأة وستيفي غير موجودة."

استحوذت الهستيريا على روبيرتا. فصاحت بزوجها: "انا موقنة ان سوءاً حصل، اني موقنة."

وكانت علاقة روبيرتا بابنتها خاصة. اذ كان فنس ضابطاً في البحرية قضى غالب وقته في البحر أثناء ترعرع الاطفال الخمسة. وعندما بلغت ستيفي، كبراهم، سن الصبا عوضت غياب أبيها برعاية اخوتها وشاركت أمها في أسرارها.

انتهاء البحث – وصل مفوض الشرطة رودولف مانيندين في الاولى بعد الظهر فدوّن افادة أحد الاشخاص. ثم تبعه آل روبر إلى حيث السيارة المعطلة. كانت محفظة ستيفاني في (تابلوه) السيارة وحقيبتها المحكمة الاغلاق ملقاة على المقعد الخلفي ولم تبعثر محتوياتها.

وعمدت أسرة روبر في الأيام التالية، الى انتعال الجزمات الثقيلة وارتداء الثياب العتيقة من اجل مشاركة الشرطة في الطواف بالغابات الكثيفة الوعرة المنتشرة صفوفاً على طريق متنزه فلورال. وبعد ثلاثة ايام تولى الاستقصاء تحر سري مختص بجرائم القتل اسمه فرانك غايل. وبحلول أحد الفصح وفيما غايل يهم بالجلوس لتناول طبق الديك الرومي وردت عليه الاشارة الاولى لكشف الجريمة. فقد اتصل به مكتبه لابلاغه أن شاباً اسمه ستيفن آنونسن هو في طريقه إلى دائرة الشرطة وفي حوزته معلومات عن قضية روبر.

قال آنونسن إنه أحس بتأنيب ضمير منذ ما روى له جيري بيتي الذي يساكنه في منزل صهره جاك جونز تفاصيل جريمة قتل تبعث على الاشمئزاز. وراود آنونسن ان الضحية هي ستيفاني روبر.

قاد آنونسن كلا من غايل وتوم باورز، مفوض الشرطة في ولاية ماريلاند إلى أحد المستنقعات. وكان بيت جونز يقع إلى الجانب الآخر من الطريق التي تتعرج خلال الغابات لتبلغ حافة المستنقع. وهبط الليل. وخوّض رجال القانون في المياه بجزماتهم العالية وهم يحملون المصابيح الكهربائية الكاشفة.

وفي غضون عشر دقائق تعثّر غايل وفوجيء بمنظر باعث على الغثيان: النصف الاعلى من جسد فتاة ممدداً على جذور شجرة باسقة برزت من ظلمات المياه. ها قد انتهى البحث عن ستيفاني روبر.

"هل ستقتلني؟" – بعد مضي ساعات قبضت الشرطة على جيري بيتي (١٧ عاماً). ووفقاً لشهادته، كان هو وجونز (٢٥ عاماً) يقودان السيارة في متنزه فلورال قرابة الثالثة والنصف فجر ٣ ابريل (نيسان). وشاهدا سيارة ستيفاني روبر المعطلة. ويبدو أن ستيفاني غلبها النعاس أثناء القيادة فاصطدمت بشجرة وسُويت ثلاثة من اطارات سيارتها بالأرض. وتوقف جونز وبيتي ودفعا سيارتها إلى جانب الطريق وسألاها هل تريد ان يقلاها في سيارتهما. وطلبت منهما بعصبية أن ينزلاها عند بيت ليزا توماس. غير أنهما تجاوزا البيت وانتزعا بندقية من تحت المقعد الأمامي فهدداها وتناوبا الاعتداء عليها. ثم اقتاداها إلى كوخ مهجور قرب منزل جونز حيث كررا فعلتهما.

وأصر جونز على انه لا بد من قتل الفتاة اذ انها تستطيع كشف هويته. وفي لحظة شجاعة جاءتها بعدما غادر جونز الكوخ ليحضر صفيحة وقود ركلت ستيفاني أربية بيتي ولاذت بالفرار. وأمسك بها بيتي في منتصف المسافة بين الكوخ والمستنقع فزعقت مذعورة: "هل ستقتلني؟"

وأجاب بيتي: "لا".

قالت: "وهل سيقتلني الرجل الآخر؟"

وجاءها الجواب: "لا أظن ذلك."

عاد جونز حاملا سلسلة معدنية وصفيحة وقود. واذ اسند الصفيحة إلى الأرض لوّح بالسلسلة قرب رأس الفتاة. وأثارها الخوف فهرعت إلى الغابات تهيم فيها ثانية. واختطف جونز البندقية وسبق ستيفاني وأفرغ رصاصة في رأسها.

وفيما الفتاة ملقاة بلا حراك أخذ جونز يسفح الوقود عليها ثم اشعل عود ثقاب وألقاه. وبعد ذلك رمى الرجلان بقايا الفتاة المحروقة في المستنقع.

ووقع بيتي اعترافاً في تمام الثانية من فجر الاثنين ١٢ ابريل (نيسان). وبعد ساعة ونصف ساعة أيقظ رنين الهاتف آل روبر من نومهم. قال التحري غايل: "علي ان آتي وأتحدث اليكم."

– سنكون في انتظارك.

وصل غايل وباورز بعد ساعة. قال غايل: "لقد عثرنا على جثة ستيفاني في مستنقع. وقبضنا على أحدهم وسنعتقل آخر مع شروق الشمس."

وسأله فنس: "كيف حدث ذلك؟"

فأجابه: "لقد اطلقت عليها النار."

حمى الخدر روبيرتا من التأثيرات القصوى للرعب. وحافظت وزوجها على صفاء ذهن مكنهما من التركيز على مصير قاتلي ابنتهما.

قال فنس للتحري غايل: "لا تقم بأي عمل ينتهك حقوقهما. نريدهما أن يمثلا أمام العدالة."

الاشتعال غيظاً – افتتحت جلسات محاكمة جاك جونز في ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٢. وداومت روبيرتا الجلوس

في قاعة المحكمة كل يوم طوال المحاكمة التي استغرقت أسبوعين ورافقها فنس كلما تمكن من التملص من عمله. وأسرّت روبيرتا في نفسها: "لم تكن ستيفاني لتخذلني أو تخيب أملي قط. يجب أن أبقى هنا لأتأكد من ان المحكمة لن تخذلها."

وجاءت افادة جونز للشرطة مناقضة لشهادة بيتي، فانكر أنه أطلق النار على ستيفاني. غير أن هيئة المحلفين دانته في ٢٩ سيتمبر (أيلول) بجرم القتل من الدرجة الاولى، فضلا عن الاغتصاب والخطف. وبعد أسبوع، بموجب قانون ولاية ماريلاند، عاد المحلفون إلى قاعة المحكمة ليقرروا ما إذا كان سيحكم على جونز بالاعدام.

استدعى النائب العام كلارك رالي السيدة روبيرتا إلى منصة الشهادة. لقد أراد أن يسمع المحلفين مباشرة الاثر المدمر لجريمة جونز في آل روبر. واعترض الدفاع على هذا الاجراء. وبعد مداولة وجيزة وافق القاضي والتر هايل على اعتبار شخصية ستيفاني وأحزان آل روبر لا صلة لها بالقضية من الوجهة القانونية.

واشتعلت روبيرتا غيظاً، وتمت تهدئتها. وعلى رغم قرار القاضي أدلى أستاذ جونز ووكيله في السجن بشهادتين جاءتا في مصلحة المدّعى عليه، واعتبرت المحكمة افادتيهما ذات صلة بالقضية.

وخلال استراحة هيئة المحلفين للبحث في تقرير مصير جونز سلّم كاتب المحكمة كل محلّف استمارة نص عليها قانون الولاية حين يتشاور القضاة أو المحلفون حول إصدار حكم بالاعدام. وتضمنت الاستمارة مراجعة للظروف التخفيفية والتشددية. ووقّع المحلفون تسعة بنود تخفيفية بما فيها تعاطي جونز المخدرات والكحول ورغبته في إعادة تنظيم حياته واليأس الذي قد ينتاب أسرته من جراء تنفيذ حكم الاعدام فيه، كما اخذوا في الاعتبار افادة تبين أن جونز كان اطفائياً متطوعاً وهذا يعتبر "نشاطاً يهدف الى خدمة الناس." وأجمع المحلفون على سببين تشدديين فقط هما الخطف والاغتصاب أثناء القتل. وقرروا أن جونز يجب ألا يحكم اعداماً.

ثم أصدر القاضي هايل حكمين على جونز بالسجن مدى الحياة لجريمتي القتل والاغتصاب، وحكماً بالسجن ٣٠ عاماً للخطف. لكنه فاجأ حتى محامي الدفاع اذ أعلن ان من حق جونز أن ينفذ تلك الأحكام الثلاثة بآجالها المختلفة في وقت واحد. وفسح قرار هايل غير المعتاد في المجال لاطلاق القاتل بعد ١٢ سنة على ان تحسب المدة التي أمضاها في السجن منذ اعتقاله، وان تخفض العقوبة اذا ابدى حسن سيرة.

وبعد أسبوعين حكم على بيتي بالعقاب نفسه في جلسة خاصة.

تعيين الهدف – ران السكون في قاعة المحكمة بعد قرار القاضي، فيما انهارت آمال أسرة روبر. وفي البيت أمطر الأولاد أبويهم بالأسئلة المرة. سأل داني (١٥ عاماً): "كيف يُفلت هايل بحكم كهذا؟"

وهمست الأم: "لا أدري."

وغمغم داني: "وما جدوى القوانين؟"

غير أن روبيرتا التي كانت تذرع غرفة

الجلوس جيئة وذهاباً توقفت فجأة. وفكرت: قد يمكننا أن نقوم بعمل ما، قد نستطيع تحويل هذه المأساة أمراً ايجابياً. هذا ما كانت ستيفي لترغب فيه.

أبقى التوتر والاحباط روبيرتا يقظة تلك الليلة. فسحبت صندوقاً يحوي سبع مفكرات سميكة إلى كرسي قرب فراشها. لقد منحتها يوميات ستيفاني الشجاعة والسلوان. وها هي الآن تقلب صفحاتها بنشوة. واستوقفتها عبارة للمربي الأسود بنجامين مايز: "لا تكمن مأساة الحياة في قصورنا عن بلوغ أهدافنا، بل المأساة في الا يكون لدينا هدف نبلغه."

بعد بضعة اسابيع حددت روبيرتا هدفها. دعت لجنة ستيفاني روبر إلى الاجتماع، وهي هيئة مؤلفة من أصدقاء العائلة ومواطنين آخرين رافقوا العائلة اثناء المحاكمة، وطلبت منها صوغ لائحة باصلاحات اشتراعية. وحظيت بموافقة ٤٠ متطوعاً حضروا الاجتماع التمهيدي على استبعاد التعاطي الارادي للكحول والمخدرات من الأسباب التخفيفية، واكراه المحاكم على الأخذ بإفادات حول اثر الجرم في المجني عليه وذويه، واعتماد حكم السجن المؤبد من دون اخلاء سبيل. وفي اليوم التالي شرعت روبيرتا في تنظيم جماعتها لتصبح قادرة على مواجهة المجلس الاشتراعي لولاية ماريلاند.

وبدأت روبيرتا التجوال في الولاية والتحدث إلى نوادي النساء والتنظيمات الاجتماعية ومنظمات المواطنين شهود الجرائم. وتلعثمت في أول خطاباتها، وكان شعرها بنياً أملس يحوط وجهاً خالياً من التبرج، وعيناها بنيتين حزينتين وفيهما ذبول. واذ جاهدت كي تحافظ على رباطة جأشها أخذت تسرد التفاصيل الوحشية لمقتل ستيفاني وتسخر من قرار المحكمة. وأكدت فكرة أن ضحايا الجريمة يتعرضون لظلم مزدوج، فأخصامهم يهاجمونهم أولا ثم يصفعهم النظام القضائي بقراراته. ومما قالته: "ان المرعب هو احتمال وقوع أولاد آخرين ضحايا كما وقعت ستيفاني."

أنا ضحية – في ١٦ فبراير (شباط) ١٩٨٣ قصدت روبيرتا روبر مدينة آنابوليس لتتحدث في جلسة استماع مشتركة لمجلس الشيوخ في الولاية واللجان القضائية التابعة للمجلس الاشتراعي حول القوانين المقترحة للقضايا الجنائية. وكانت تضع على سترتها زراً أحمر براقاً كتب غليه "انا ضحية". وكدس في القاعة ٤٤ صندوقاً تحوي عرائض مؤيدة وقعها اكثر من ٩٠ الفاً من سكان ماريلاند. وحين أعطيت روبيرتا حق الكلام ران الصمت على الغرفة المزدحمة. وأدنت المذياع منها وقالت: "لقد نكب النظام فتجاهل الحقيقة البسيطة وهي أنه يفترض أن يكون عادلا وأن يحمي أولئك الذين يطبقون القانون فيما يعاقب الذين يخرقونه. ان لجنة ستيفاني روبر آلت على نفسها ان تغير القوانين الجائرة وأن تكون صوت الضحايا وحضورهم."

وفي ختام شهادتها المثيرة للعواطف دوّت القاعة بالتصفيق. أما الرئيس جو

أونز المعروف بشدّة تمسكه باللياقة فقد أبقى مطرقته صامتة. في تلك الليلة وفي اليوم الذي تلاها أبرزت أجهزة الاعلام المحلية صورة روبيرتا روبر.

وحين انقضى اجتماع المجلس الاشتراعي في ابريل (نيسان) تمت الموافقة على ثلاثة مشاريع قوانين عُدّل اثنان منها ووضعت موضع التنفيذ. وبموجبها فإن المحكومين بجرائم القتل الذين أصدرت في حقهم أحكام بالسجن المؤبد ينبغي أن يمضوا فترة ٢٥ سنة على الأقل قبل النظر في تخليتهم. ولم يعد لزاماً على القضاة والمحلفين أن يأخذوا بالتعاطي الارادي للمخدرات أو الكحول كسبب تخفيفي. ولدى النظر في قرار الحكم بالاعدام لا بد من أخذ افادات تبين اثر الجرم في المجني عليهم وذويهم.

بعد ذلك وجهت روبيرتا جهد منظمتها النامية التي بلغ عدد افرادها ٧٠٠٠ نحو قاعة المحكمة. وللتثبت من تقيد المحاكم بالقوانين الجديدة وتقديم الدعم الى أسر الضحايا بدأ أعضاء لجنة روبر حاملو ازرار "انا الضحية" حضور جلسات محاكمات جرائم القتل.

ولقد شهد أعضاء اللجنة أكثر المحاكمات ارضاء لهم في مايو (أيار) ١٩٨٥ حين دان المحلفون جاك جونز وجيري بيتي بجرم اغتصاب ستيفاني روبر في اقليم برنس جورج. وحكم القاضي بالسجن المؤبد على كلا الرجلين مرجئاً تنفيذ الحكم في ما عدا ٢٠ سنة حبساً لبيتي. وأضيفت هذه العقوبة الى تلك التي حكم بها على الرجلين في محاكمات سابقة دارت حول الجرائم التي ارتكبت في حق ستيفاني في اقليم سانت ماري.

وحفل العام ١٩٨٥ بانتصارات اشتراعية اخرى. فقد اقرت ثلاثة مشاريع قوانين أخرى اقترحتها لجنة روبر وغدت من صلب قانون الولاية بدءاً من يوليو (تموز) ١٩٨٥. وبات في وسع ضحايا جرائم العنف أو عائلاتهم ان يطلبوا اشعارهم بموعد جلسات التحقيق وقرارات الاطلاق اللاحقة واحالة بيانات الضحايا وذويهم على ملفات الدعاوى القضائية. كما يمكن القضاة الان أن يمنعوا افشاء عنوان الضحية أو الشاهد ورقم هاتفه أثناء المحاكمة الجنائية.

ان روبيرتا التي ساهمت في تأسيس منظمتها وتعزيزها لتغدو اليوم من كبرى مجموعات حقوق المجني عليهم في الولايات المتحدة، هي فريسة للارهاق. وتقول: "ترى كم ينبغي أن أعيد رواية هذه القصة، وكم سينقضي من الوقت قبل أن أتوقف عن سردها؟ أتمنى أحياناً لو ان احداً لم يعرف اسمي."

لكن مقطعاً في يوميات ستيفاني يحفز روبيرتا ويشحذ همتها: "قد يكون للفرد أثر كبير."

ستيفن بارلاس ■



ليست هناك أم عاطلة عن العمل. فالأمومة في ذاتها أشرف الأعمال.

هستر مونديس

تأملات معاصرة



المال وحرية الرأي

كان لاحد اعضاء مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة صديق يستمتع برفقته لانه كان يدخل معه في جدل دائماً. وكان الجدل يمتد الى ساعة متقدمة من الليل. وكان السيناتور يسعد بالاثارة الفكرية.

وذات يوم احتاج الصديق الى قرض، وأعطاه اياه السيناتور بكل سرور. ومنذ تلك اللحظة تبدلت العلاقة بينهما. فقد اخذ الصديق يوافق على كل ما يقوله السيناتور.

وبعد بضعة اسابيع نفد صبر السيناتور من هذه الحال فصاح في الصديق: "امامك خياران، اما أن تعود الى خوض المجادلات معي كالسابق، واما ان تردّ الي مالي."

ك.م.

الاغراءات الآسرة

في الهند كان الناس يصطادون القرود بوضع صناديق صغيرة مفخخة وداخلها جوزة هند لذيذة. وفي جانب الصندوق فتحة لا تتسع الا ليمد القرد يده من خلالها، لكنها أضيق من أن تسمح له بسحب يده وهي قابضة على الجوزة. وبعد أن يمسك القرد الجوزة يتعيّن عليه اما أن يتركها ويربح حريته واما ان يبقى قابضاً عليها وعالقا في الفخ. معظم القرود كانت تبقى قابضة على الجوزة مما سهل على الصيادين ايقاعها في الاسر.

كثيرون من الناس يقعون في الاسر بنوع من هذه الافخاخ. والشخص الذي يضع الشيء المغري في الصندوق يسيطر على الشخص الذي يمسكه بيده. ولكن اذا قبلنا التخلي عن هذه المغريات فاننا نتحرر من تلك السيطرة.

اليزابيث بريز

حلال المشاكل

مهما تكن المشكلة عسيرة فليس ثمة ما يشعر المرء بأنه أكثر استعداداً لتحليل الموقف بوعي وراحة أفضل من التسلح بقلم رهيف وكمية من الورق الابيض.

روسكو بورن

يتسلق الاشجار ويصطاد السمك والجرذان ويغير على جحور الارانب

الفيزون صيّاد عنيد



تنبّه جوّال الريف مارتن ديفيس الى صرخة حادة مزقت سكون نوفمبر (تشرين الثاني)، فانسلّ بهدوء عبر الغابة في ذلك الجوّ البارد ليتحقق من الأمر. وتحت الأشجار في متنزه دين كاسل في كيلمارنوك رأى مخلوقاً رشيقاً في حجم ابن مِقرض(١) وهو قابض على أرنب قبضة قاتلة.

حاول الأرنب التخلّص لفترة دقيقة تقريباً إلا أن القبضة التي أحكمت حول عنقه أودت به. وفي الوقت الذي كان ديفيس يراقب المشهد بفضول مشى المعتدي، وهو مِنْك او فيزون برّي، صعوداً في النهر مسافة امتار قليلة ثم انتفض بخفة وعاد الى ضحيته.

رفع الفيزون الأرنب النافق الاكبر منه حجماً من رقبته وتوجه به الى الماء. وسبح

---

(١) ابن مقرض (ferret) حيوان شبيه بابن عرس يستخدم لصيد القوارض.

بقوة الى وسط النهر حاملا ضحيته في اتجاه المجرى بعيداً من مرأى الجوّال. لقد اختار بدهاء أبسط الطرق لنقل ضحيته الى حيث يحتفظ بطعامه على ضفّة النهر.

ويوضح الدكتور جون بيركس عالم الحيوان في جامعة ديرهام حيث تتركز آخر البحوث البريطانية المتعلقة بالفيزون: "ان لحم الارنب المكتمل النمو يوفر الطعام للفيزون بضعة أيام، إذ أنه يأكل قرابة ١١٣ غراماً في كل وجبة."

سبّاح ماهر - جيء بالفيزون من أمريكا الشمالية الى اوروبا. وبعد بضعة عقود أخذ نسله يصنع تاريخ الفرو في أوروبا. ويقول بيركس: "إن الفيزون حيوان جديد انضم الى حيوانات منطقتنا."

وتعيش حيوانات الفيزون في الريف بهدوء على ضفاف الجداول والأنهار. وعلى رغم أن عددها غير معروف بدقة، إلا أن منظرها أصبح مألوفاً لدى سكان الريف. وفي المستنقعات تحت بيتي الكائن في منطقة "كنت" الريفية ببريطانيا ثمة جار صغير يثير في نفسي الضحك عندما أنظر الى كسائه الطبيعي الذي تلبسه نجمات السينما أو عندما أراه ينزل الى الماء بأناقة. ففي فترة ليست ببعيدة لم يكن الفيزون معروفاً في تلك المنطقة. اما الآن فانني التقي جيراننا الجدد في معظم الايام.

يصل وزن الفيزون الى كيلوغرام ونصف كيلوغرام، ويبلغ أقصى طوله من خطمه الاسفيني الى طرف ذنبه ٦٨ سنتيمتراً. وهو أكثر من مجرد حيوان حسن المنظر. فالعلماء الذين يعملون على قياس درجة ذكاء الحيوانات وجدوا أن الفيزون لا يبزّ الجرذان وبنات مقرض فحسب، وهي حيوانات تعادله حجماً، بل انه يبز بعض القرود أيضاً.

والفيزون سريع التعلم وصاحب صنائع عدة. فهو يصطاد السمك بمهارة ويغير على جحور الارانب في أي موضع ويتسلق الاشجار ببراعة. فبعدما أطلق فيزون كان قيد الاختبار في دارتمور ركض في اتجاه إحدى الاشجار وتسلقها بسرعة الى ارتفاع تسعة أمتار.

ويتفوّق الفيزون في السباحة على الحيوانات ذات القرابة اليه وعلى تلك التي يحتمل أن تنافسه كالقاقُم الاوروبي (Stoat) وابن عرس. وهو سريع الانطلاق ويحلو له العيش في الماء. وله قدمان فيهما أصابع متصلة جزئياً، وهو قادر على العوم بفضل الهواء الذي يحتبسه في فرائه. ولديه دافع قوي الى خوض الماء بحيث ان مجموعة من الفيزون ربيت في قفص أخذت تسبح بعد ساعة من تركها بجانب بركة للمرة الأولى في حياتها.

دعوه وشأنه - في اختبار آخر لتحديد كفاية الفيزون عمد الدكتور نيغل دنستون، وهو عالم حيوان وزميل بيركس، الى وضع طعام على قاعدة حوض زجاجي للأسماك عمقه ٢٤٠ سنتيمتراً. ويقول: "كنت أظن أن بعض حيوانات الفيزون يستطيع الغوص الى عمق ١٢٠ سنتيمتراً. بيد أن المجموعة بكاملها غطست الى اسفل الحوض بسهولة مذهلة."

وكأبي الشصّ (angler) الجريء يحصل

الفيزون على قرابة نصف طعامه من الماء. والمعروف أنه يأكل كمية كبيرة من سمك السلمون، لكن دنستون يقول: "ان الفيزون يفضّل الانقليس والسمك البطيء الحركة الذي يسهل صيده."

أما بالنسبة الى ذوقه فليس محصوراً في نوع معين من الطعام. ولقد أثبت تحليل أجري في جامعة إكستر لروث ما يزيد على ٥٥٠ فيزوناً أن أكثر ما يأكل هذا الحيوان هو السمك والأرانب، فضلا عن الطيور والسناجيب والثدييات الصغيرة والحشرات وديدان الأرض والثعابين.

ومثل الذئب، يركض الفيزون وراء فريسته بنزعة الى القتل. وأول علامة دلت على مجيء هذا الحيوان ذي الفرو الى قريتي كانت اقتحام أحد أقفاص الطيور والقضاء على كل ما فيه من الديوك الرومية والبط ودجاج البنطم. وبغية أخذ الحيطة إزاء عمليات الغزو ينصح علماء الطبيعة بتسييج اقفاص الطيور الداجنة حيث يعيش الفيزون.

ومثلما الفيزون ماهر في صيد الارانب فهو ماهر أيضاً في إبادة الجرذان. وقد عرف مأمور المياه في شودلي بمقاطعة ديفون بوجود الفيزون في منطقته عندما اختفت الجرذان من ضفتي النهر.

ويعيش الفيزون في مستوطنات متباعدة. وبعد أن يختار الموقع الملائم الذي يمتد نحو كيلومتر على ضفة نهر او حافة بحيرة او شاطىء بحر، حيث يستطيع الانطلاق من هناك بضع مئات من الامتار الى البر سعياً الى طعامه، يتولى كل فيزون حماية منطقته بيقظة.

ويقول بيركس الذي شهد معارك جانبية دارت بين أفراد الفيزون بهدف تعديل المساحات التي تعيش فيها: "دع الفيزون وشأنه، فانه يضمن لك عدم استيطان سواه في الارض. أو اقتله فتجد أن غيره حل مكانه."

ويروي بيركس ان احدهم اقتنص ١٤٠ فيزوناً في أرضه الصغيرة على ضفة النهر في غضون ست سنوات. "في بادىء الأمر وجد الرجل فيزوناً واحدا يقطن هناك. وقد بقي فيزون واحد يقطن هناك في نهاية المطاف."

أعجوبة طبيعية – يعمد أشخاص كثيرون الى قتل الفيزون ظناً منهم انه يلد بكثرة. وحقيقة الأمر أن اثنى الفيزون تحمل "بطناً" واحداً في السنة وتضع أربعة صغار أو خمسة تبلغ قلة منها مرحلة النمو التام.

والفيزون بطبيعته يحب العزلة، لذا فهو لا يختلط مع أنثاه باستمرار. وفي الربيع تصدر الأنثى غمغمات مختلطة ترمز الى رغبات عاطفية، فيخرج الذكر للتفتيش عنها، وغالباً ما يقطع مسافات طويلة من أجل ذلك. وراقب الباحثون فيزوناً قطع مسافة ٤٠ كيلومتراً لهذه الغاية. ويظن بيركس أن الفيزون يقوم احياناً برحلات يقطع خلالها ضعفي تلك المسافة. وحين يصل الذكر الى الموضع المقصود تكون الاثارة بلغت منه حداً بحيث ان بعض الاناث الصغيرة تنفق من جراء مضايقاته المتكررة.

ويزيد من ذلك الخطر أن انثى الفيزون لا تنزل بيضة من مبيضيها الا بعد الجماع

الاول، لذا ينبغي أن يكون هناك لقاءان مع الذكر على الأقل، وقد يشمل الأمر ذكوراً كثيرين. وعقب ذلك تشعر الأنثى بارهاق نتيجة خشونة الذكر. ولقد وجدت أنثى تنزف بعد الجماع، وكانت من التعب بحيث كادت لا تقدر على السباحة. واثر وصولها الى خشبة طافية على الماء تمسكت بها من دون أن تبدي محاولة للهرب مني.

وترعى الانثى عائلتها بمعزل عن الذكر، لأن هذا سرعان ما يعود الى التجوال. وبفعل أعجوبة طبيعية معروفة بالفرس المؤجل(٢) يتأخر الحمل كي يتلاءم مع الطقس او امدادات الطعام. فالولادة تحدث بعد فترة تراوح بين ٣٠ و٧٠ يوماً من حدوث الجماع، وقد تطول أكثر من أي فترة لدى معظم الحيوانات الثديية.

مهمة شاقة – تولد صغار الفيزون اواخر ابريل (نيسان) أو أوائل مايو (أيار) في جحر قرب الماء. وسرعان ما ينبت على اجسادها فرو شاحب اللون يتحول رمادياً أو بنياً أو أسود عندما يكتمل نموّها. وترعى الأم صغارها بقلق ولهفة. ومرة كان بيركس يراقب مجموعة من صغار الفيزون وهي تلعب خارج جحرها، فحضرت الام وأخذت تسحبها واحداً تلو الآخر داخل الجحر. ويذكر بيركس أن الأمر "كان شاقاً بالنسبة الى الأم، اذ كان صغارها في حجمها تقريباً."

وفي نهاية المطاف تتوق أنثى الفيزون الى الانفراد في عيشها. ويقول بيركس: "في البداية تقود صغارها في محيط إقامتها. وبعد فترة تراوح بين عشرة أسابيع واثني عشر أسبوعاً يبدأ الصغار العيش باستقلال. وفي شهر أغسطس (آب) تصرف الانثى صغارها." وحالما تتفرّق الجراء تصبح معرضة للخطر. ويقصد عدد كبير منها المصائد المعدة لها فيرتفع معدل الحيوانات النافقة حتى يتعلّم جيل جديد الخدع التي مكّنت أسلافه من تجاوز الخطر.

صياد كسول؟ – جيء بالفيزون الامريكي الى اوروبا في العشرينات. وربي في الاقفاص طمعاً بجلده المثير للاعجاب. وأفواج الفيزون المتوالدة بعناية تكتسب ألواناً أنيقة فاتحة يطلق عليها أسماء مثل "اللؤلؤ" و"الترمالين" و"التوباز" وتعود على صاحبها بأثمان مرتفعة. أما الفيزون الذي استطاع الإفلات والعيش في البراري، أو صرفه صاحبه بسبب كثرة أبناء جلدته في السوق في الخمسينات، فيولد نسلا يتميز بجلد خشن قاتم لا قيمة تجارية له.

المنادون بضرورة صون الموارد الطبيعية راقبوا مصير الفيزون بقلق. وبالنسبة الى عالم الأحياء تشارلز هيلتون الذي سجل ما يزيد على ١٠٠ نوع من الطيور والحيوانات الثديية في حديقته في غلوستر على نهر سيفيرن، فان اختفاء بضعة انواع منها توافق مع مجيء الفيزون، الأمر الذي يدعو الى الريبة.

وثمة عالم آخر بالحيوان والنبات هو السير كريستوفر ليفير قال في كتابه

(٢) Delayed implantation

"الحيوانات المتأقلمة في الجزر البريطانية" ان الفيزون "خطر حقيقي يتهدد أنواعاً عدة من الحيوانات." وقد لاقت تلك النظرية قبولا واسعاً في اسكندينافيا. ففي اسوج (السويد) حيث استورد الفيزون للمرة الاولى عام ١٩٢٠ يقع قرابة ٢٠ الف فيزون في الاشراك سنوياً.

ويعتقد باحثون في بريطانيا أن محاولات كثيرة أجريت لإثبات براءة الفيزون وليس ذنبه. ويقول بيركس ان "عدم التآلف مع الفيزون أدى الى نسج قصص مثيرة عنه. فالفيزون لا يهاجم القطط والكلاب عمداً، وان يكن يدافع عن نفسه في النهاية."

وحقيقة الأمر ان الفيزون بعيد عن كونه قاتلا لا يعرف التعب، فهو يقضي ١٩ ساعة يومياً من دون ان يقوم بأي عمل، ويتناول طعاماً ضئيلا.

الفرو والصوف – في نهري تين وفروم في غرب بريطانيا وبحيرة سلابتون لي القريبة منهما حيث يقطن الفيزون، لم تشر السجلات الى انخفاض في غلة صيد السمك. كما انه لا برهان قاطعاً يدعم التهمة القائلة بأن الفيزون يشكل تهديداً لثعلب الماء. ومعروف ان ثعلب الماء الكبير الحجم يأكل الفيزون.

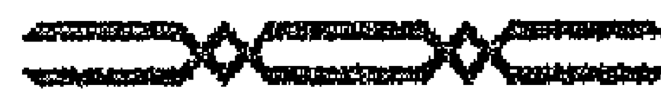
أما البط البري فيقضي عليه الفيزون حين يتسنى له ذلك. ويقول بيركس: "ان ذلك لا يؤثر في عدد الطيور المائية عموماً."

وفي ما يتعلق بالحملان، فعشرات الآلاف منها تولد في المناطق المنخفضة مثل رومني مارش حيث يكثر الفيزون. وهناك يشعر كل من الخروف والفيزون الأملس بلامبالاة تجاه الآخر. ولقد شوهد فيزون رشيق يفرّ بين قائمتي نعجة وبجانبها صغيرها المولود قبل أيام. ولم تبدِ صاحبة الصوف ولا صاحب الفرو أي اهتمام بالآخر.

لقد وجد الفيزون بيئته الملائمة بين آكلات اللحوم. ويستنتج أيان لين وهو عالم حيوان ونبات أن الفيزون "يعيش في بريطانيا كما في بلده امريكا في انسجام سليم مع الحيوانات البرية."

ان جيراننا الجدد ربما لم يطلبوا نقلهم الى هنا، لكنهم مزمعون على البقاء حيث هم.

ألان لويد ■



حب عقلاني

كنت مع صديقي الجديد في أحد المطاعم الراقية، وبينما انا اتصفح قائمة الطعام وجدت كل ما جذبني غالي الثمن. فالتفت الى صديقي وسألته: "ما مقدار حبك لي؟" فلم يجب على الفور بل تابع النظر الى القائمة ثم قال:"في غالب الاحتمالات، احبك اكثر من لحم البقر المعلب ولكن ليس بمقدار الكركدن المشوي."

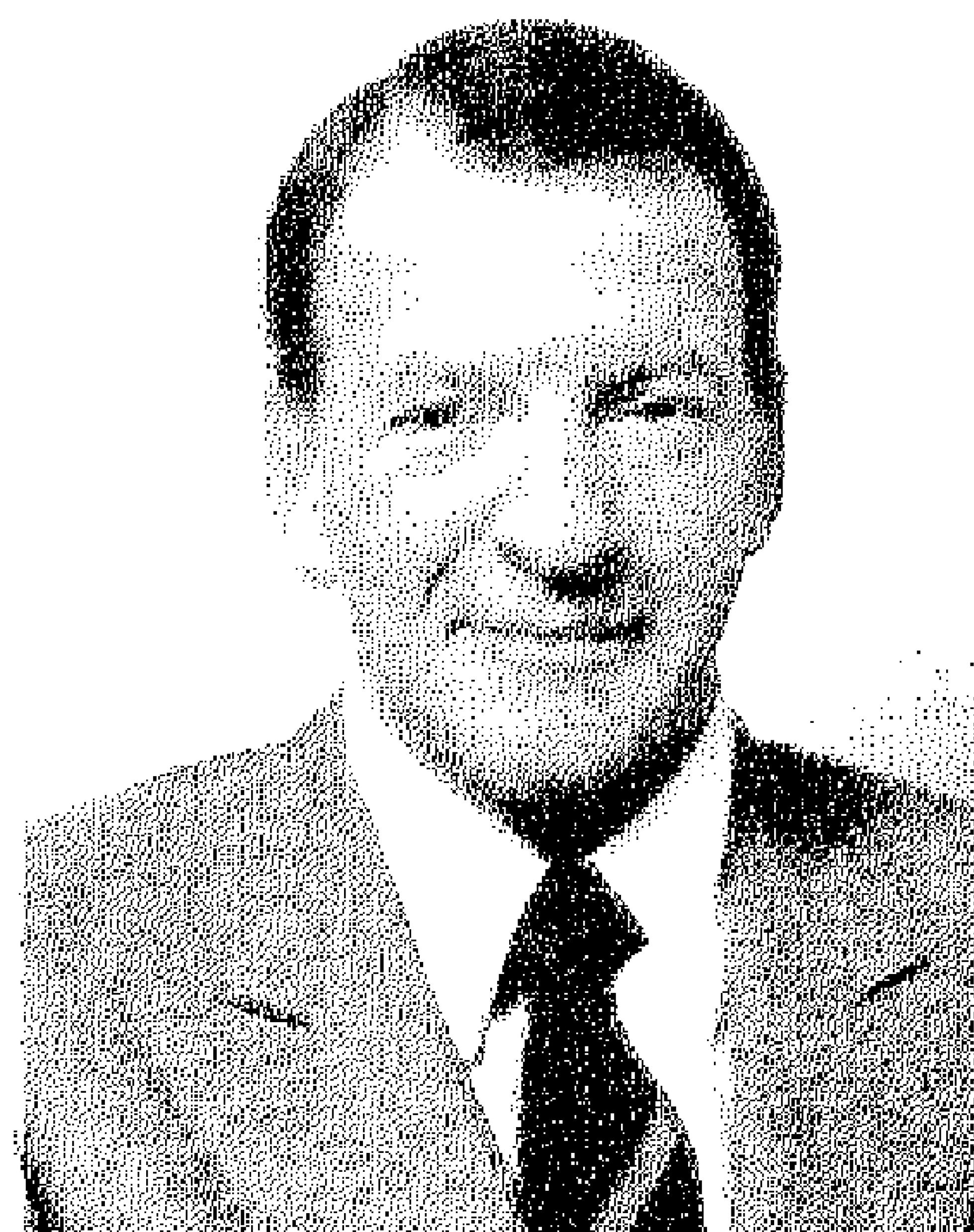
ك.أ.

سخر الناس منه حين تسلم ادارة شركة فولفو. أما اليوم فتنكبّ الشركات العالمية وطلاب ادارة الاعمال على درس أفكاره الناجحة

ثورة فولفو

في دنيا الاعمال الاسوجية المتمسكة بالتقاليد بدا من السخف عام ١٩٧١ أن ينتخب بير غوستاف غيلينهامر وهو في السادسة والثلاثين من العمر مديراً تنفيذياً أول في شركة "فولفو"، أنجح الشركات المنتجة للسيارات في البلاد. وقالت ألسنة السوء انه مفعم بالافكار، ولكن هل شاهد في حياته مصنعاً للسيارات من الداخل؟

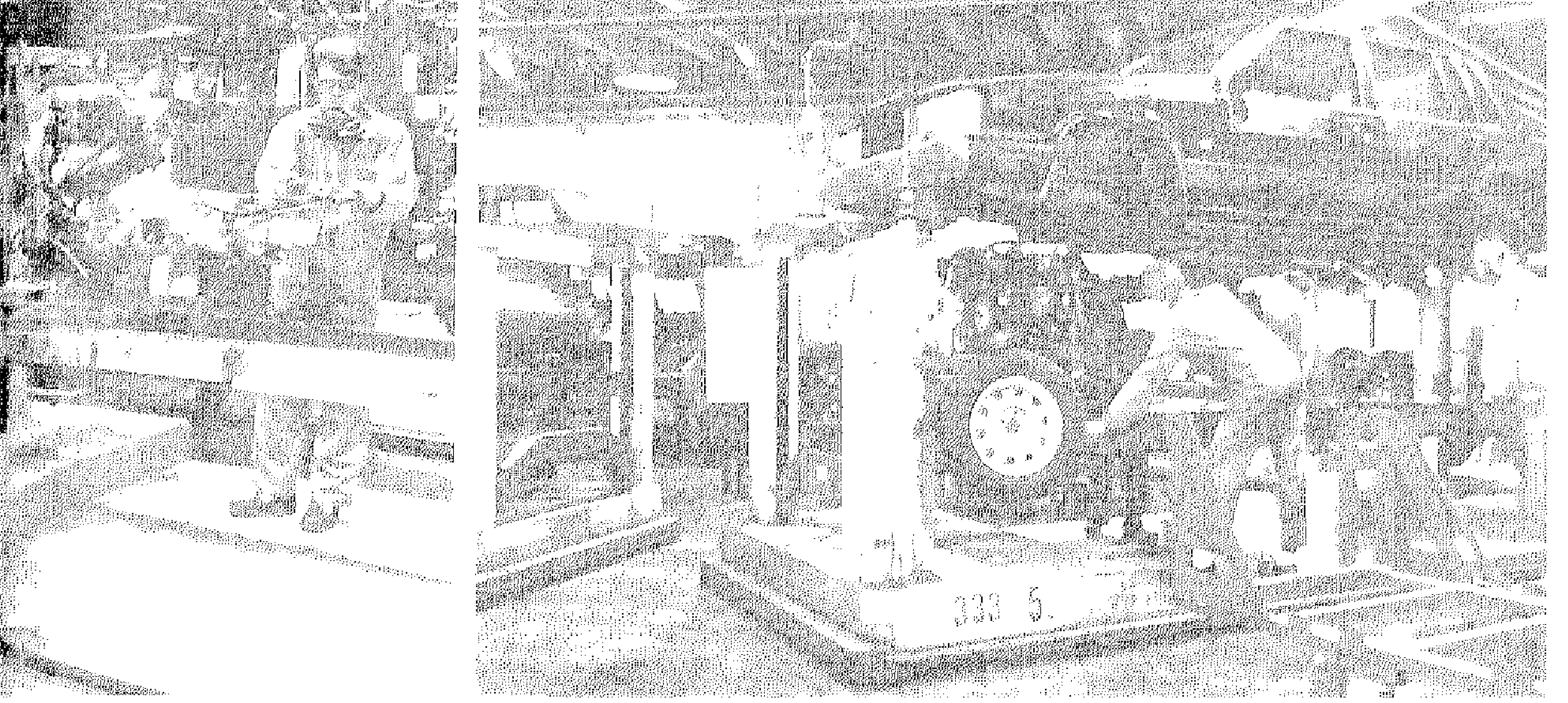
في الواقع لم تكن لدى الرجل خلفية صناعية. انه تحدر من أسرة ثرية ومارس القانون البحري في نيويورك ثم خلف


بير غيلينهامر.

والده كرئيس لأكبر شركة تأمين في أسوج (السويد). ولكن ها هو الآن يعلن انه مزمع على ان يجدد شركة فولفو تجديداً شاملا ويدخل عليها المستحدثات التي قد تغير أساليب الانتاج في العالم قاطبة. وكانت هذه التبجحات تثير الضحك المشوب بالريبة داخل الشركة وخارجها على السواء.

ولكن بعد انقضاء خمس عشرة سنة لم يعد أحد يضحك، لان بير غيلينهامر أنجز تماماً ما قال انه سيفعله. وفي قيادته تحولت فولفو شركة صناعية جبارة تنتج

Photos: Courtesy of Volvo

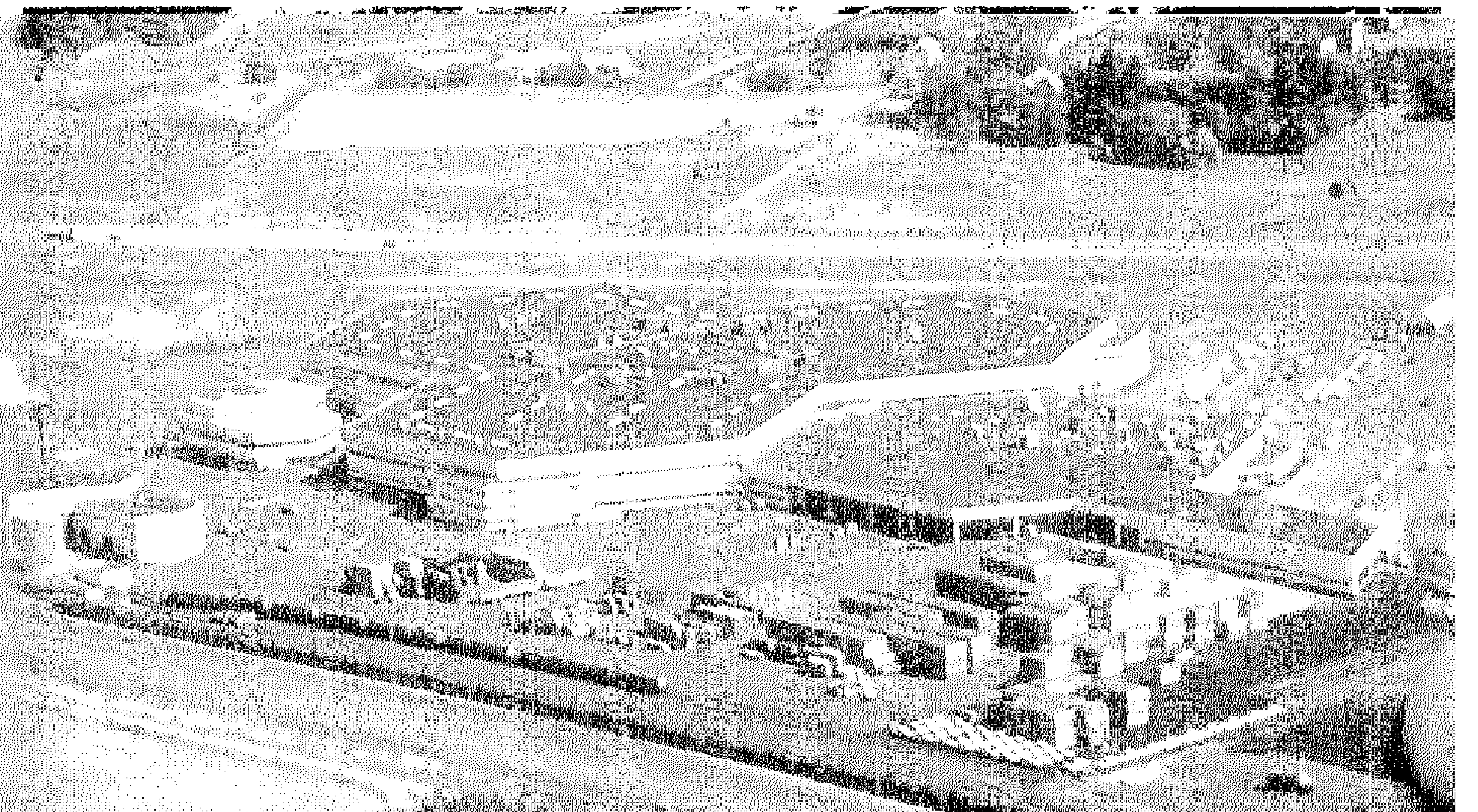


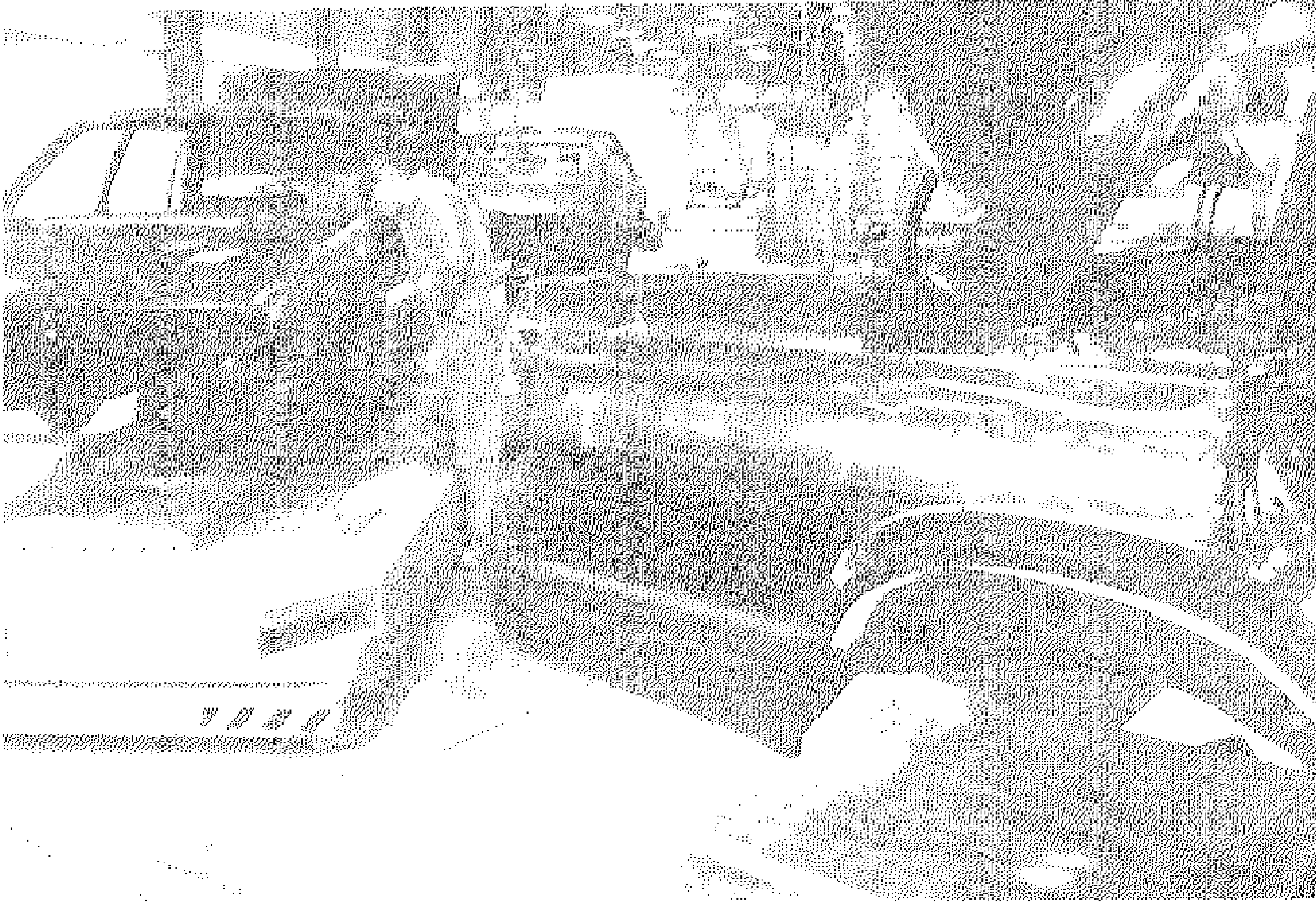
العمل في مصنع كالمار.

أي شيء بدءاً بشاحنة نقل القمامة وانتهاء بالنقانق وتستخدم ما يزيد على ٧٠ الف عامل في ١٣٠ بلداً. وفي انحاء العالم يُعكف على درس المصانع التي انشئت خلال هذا التوسع تمعناً في ما دعاه ليونارد وودوك الرئيس السابق لاتحاد عمال السيارات في أمريكا "مساهمات كبرى هادفة الى اعادة بناء الحياة الصناعية."

تصميم دائري – على غرار أي رجل أعمال نابه كان غيلينهامر يعي حين بدأ جهوده، أن النظام الصناعي يعاني مشاكل مع القوى العاملة. فساعات العمل كانت تقصر والاجر يرتفع، لكن العمال كانوا يظهرون مزيداً من امارات القنوط. وكلما ازدادت التحسينات في أعمالهم بدا أنهم لا يحبذونها.

بالنسبة الى غيلينهامر كان تفسير






ذلك بسيطاً. فالعمل في المصانع يبعث السأم. وطوال قرن دأب المهندسون على تحسين خط التجميع الذي اخترعه هنري فورد وجعله أكثر وسائل الانتاج كفاية في العالم، لكنهم أغفلوا البشر الذين يرغمون على العمل على الوتيرة المملة لآلاتهم. حتى في مصنع فولفو الحديث في تورسلاندا قرب غوتنبرغ الذي صمم لتأمين راحة العمال وسلامتهم، كانت الاضرابات المفاجئة تنطلق لاعذار واهية. وازدادت نسبة التغيب عن العمل، وبلغت نسبة الاجراء الرديفين للعمال المتخلفين ٥٠ في المئة.

وتساءل غيلينهامر الى أي حد تختلف هذه الحال عما كانت في العشرينات حين باشرت شركة فولفو أعمالها. كان العمال حينئذ شديدي الاهتمام بصنع السيارات المتينة ذات النوعية الممتازة، وكانوا يعملون كمجموعات متآلفة من الحرفيين. اليست هناك طريقة للجمع بين الفاعلية الاقتصادية لخط التجميع وروح التعاون الجماعية في المصنع القديم؟ لماذا لا يوجه الاهتمام الى العامل الذي يقول حين يرى سيارة فولفو تدرج في الشارع: "اني ساهمت في صنع تلك السيارة."

ظلت هذه الافكار هائمة طوال سنوات، ولكن لم يبادر أحد الى وضعها في الاطار العملي. وحين تسلم غيلينهامر مهمته الجديدة وجد نفسه في موقع يتيح له العمل. وكانت المهمة الاولى التي انتدب نفسه لها الاشراف على تصميم مصنع جديد للتجميع النهائي وانشائه في كالمار، وهي بلدة صغيرة هادئة على الساحل الجنوبي الشرقي لاسوج. ووضع المهندسون خطة لانشاء مصنع كبير على غرار تورسلاندا وعلى نمط خط التجميع القديم ذاته، لكن غيلينهامر طرح الخطة جانباً.

قال: "أريد مصنعاً من نوع جديد." ورسم نموذجاً مستديراً مع حلقة من الدوائر الصغيرة داخله. كانت الدوائر تمثل مواقع العمل، أي الاماكن التي يقف فيها العمال في انتظار وصول السيارات اليهم بدل ان يهرولوا بجانبها وهي تمضي

جوي لمصنع كالمار.

على خط التجميع. وداخل المصنع الكبير مصانع صغيرة عدة على المستوى البشري الذي كان للمشغل القديم. ومع احداث التحكم الآلي والتسيير بالادمغة الالكترونية لم يعد من العسير جعل السيارات تعرّج في سيرها فوق أرض المصنع بدلا من أن تنطلق في خط مستقيم من أحد طرفي المصنع الى الآخر. بل ربما كان ذلك أقل كلفة، لان التصميم الدائري أتاح تجنب العرقلة بتخزين المواد الضرورية في الوسط على بعد أمتار من متناول العمال.

مكان محبب - في غضون أسبوعين حول المصممون الرسوم الاولية التي وضعها غيلينهامر نموذجاً في شكل ورقة البرسيم (Clover) مع ٢٥ موقع عمل حول حافاتها على أساس موقع واحد لكل عملية أساسية في تجميع السيارة، مثل تركيب الاسلاك الكهربائية وترتيب الواجهة أمام السائق. وتنتقل السيارات من موقع الى آخر على حاملات من دون سائقين، وهي منصات على عجلات من المطاط تحركها أشرطة مغناطيسية مطمورة في الارض. وفي ٨ فبراير (شباط) ١٩٧٤ أدخلت المصنع الجديد السيارة الاولى من طراز فولفو ١٦٤ وأخرجت منه سيارة مكتملة.

ومن الواضح اليوم ان مغامرة غيلينهامر نجحت، لان مصنع كالمار ينتج سيارات بمعدل ساعات عمل أقل من أي مصنع آخر لشركة فولفو. وهذا انجاز مهم بالنسبة الى مصنع حديث العهد، وخصوصاً بالنسبة الى مصنع بني وفق تصميم جديد جذرياً وتسيره قوة عاملة تنقصها الخبرة. فقد عرفت مدينة كالمار نشاطاً ضئيلا على صعيد الاعمال التجارية والصناعية مما اضطر شركة فولفو الى تدبر عمالها من المزارع والمخابز ومكاتب البريد.

ومصنع كالمار غير عادي في نواح أخرى ايضاً. فمعظم مصانع السيارات يضج بالقرقعة والطَرْق. أما في كالمار فلا يسمع سوى همهمة خافتة تنبعث من عجلات الناقلات وهي تدرج على الارض، وكل واحدة تحمل سيارة وتسير بسرعة ٢٥ متراً في الدقيقة قبل أن تتوقف عند حافة منطقة العمل. ونظام منع الضجيج فاعل الى درجة تسمح بالتحادث بنبرة عادية حول مباريات كرة القدم أو أسعار أسهم شركة فولفو في بورصة استوكهولم(*)، وهذا أمر يلقى اهتماماً عاماً لان كل عامل من الشركة أعطي خمسة أسهم في شهر مايو (أيار) عام ١٩٨٢. وفي المصنع أنابيب تتدلى من السقف لتمتص روائح الزيت والغاز. وفي كل مصنع مطعم وغرفة للملابس وحمام بخاري. كما أن شكل المعمل الشبيه بورقة البرسيم يؤمن وضع كل عامل قرب نافذة.

والمجموعة التي يراوح عديدها بين ١٠ رجال و٢٥ رجلا والتي تحتل موقع العمل، هي قلب تجربة كالمار. وفي معظم الحالات يكون هؤلاء الرجال قضوا سنوات في المصنع. والمجموعة مسؤولة عن ايصال عدد معين من السيارات من موقع

(*) تباع أسهم فولفو كذلك في لندن وفرنكفورت آم مين ودوسلدورف وهمبورغ وأوسلو وباريس ونيويورك وبروكسيل وأنتويرب.

الى آخر في مدة محددة تراوح عموماً بين ٢٠ و٣٠ دقيقة، وضمن هذه الحدود تكون هي سيدة عملياتها، وفي وسع أفرادها أن يتبادلوا المهمات: فالرجل الذي يستعمل المطرقة اليوم يمكن أن يستعمل مفك براغي غداً. كذلك يمكنهم اعتلاء متن الناقلة فيما هي تدرج أو السير بجانبها أو حتى ايقافها. ويمكن أن تحنى الناقلات بمقدار ٩٠ درجة فيتسنى للعامل انجاز مهمته وهو واقف أو جالس. وهناك آلات لرفع القطع الثقيلة كالابواب والمحركات.

هذه التجديدات جعلت مصنع كالمار مكاناً محبباً. لم يقع فيه أي اضراب فجائي. فالنقابات، وهي قوية جداً في أسوج، تعاونت في محاولة لتحسين هذا النظام. وفي غضون أكثر من عشر سنين من العمل اضطرت الادارة الى التدخل مرة واحدة لاخراج عامل ناشز.

نتائج باهرة – يحب غيلينهامر أن يتذكر ما كان يقوله الناس حين بدأ مشروع كالمار: "قالوا لي أولا ان المشروع لن ينجح. وبعد ذلك قالوا انه ترف لا تستطيع الا شركة صغيرة مزدهرة أن تتحمل كلفته. وأخيرا قالوا انه قد يصح في مصنع كالمار الذي يضم ٧٠٠ عامل، لكنه لا يناسب مصنعاً كبيراً يضم عشرة آلاف أو أكثر."

فرد عليهم ان هذا هراء. فالشركات الاسوجية لا يمكنها أن تتحمل الترف أكثر من شركات اخرى، بل هي أقل قدرة على ذلك. وشركة فولفو لا تقوى على الاستمرار اعتمادا على السوق الاسوجية وحدها.

وأضاف: "لماذا يجب أن نعتبر من الترف جعل العمل شيئاً ذا معنى للعمال؟ أنا أعتبر هذا الامر ضرورياً. والفكرة القائلة بأن التحكم الآلي يجعل العمال مجرد دمى فاقدة الارادة، زعم سخيف. بل الامر على نقيض ذلك، فكلما تطورت آلاتك ازدادت حاجتك الى عمال أذكياء تحركهم دوافع قوية. واذا لم يكن الامر كذلك فانك تهدر الوقت والمال في الاستعانة بالخبراء."

اما في ما يختص بضخامة القوى العاملة فيتساءل: لماذا ينبغي أن تملك مصنعاً يعمل فيه عشرة آلاف شخص؟ فتكنولوجيا الادمغة الالكترونية أنهت العهد الذي كان فيه الاضخم هو الافضل. والمستقبل، كما يقول غيلينهامر، هو للمصانع الصغيرة التي تتميز بالمرونة الكافية لتبديل وسائل انتاجها بين ليلة وضحاها.

ومصنع كالمار هو الدليل على أن هذا المستقبل أصبح أمام أعيننا وأثبت نجاحه. ففي فبراير (شباط) ١٩٨٤ أنجز مسح أجرته لجنة تمثل العمال وأرباب العمل الاسوجيين على مدى عشر سنين، وأظهر المسح احصاءات كانت مصدر غبطة بالنسبة الى غيلينهامر. فقد انخفض معدل ساعات العمل لصنع سيارة واحدة بنسبة ٤٠ في المئة، وتقلصت نسبة الاجراء الرديفين الى خمسة في المئة بين عمال الانتاج والى الصفر بين موظفي المكاتب، وانخفض عدد الاخطاء التي تظهر في مراكز المراقبة بنسبة ٣٩ في المئة. وتقل الكلفة الاجمالية لانتاج السيارة الواحدة في مصنع كالمار بنسبة ٢٥ في المئة عن الكلفة في مصنع

تورسلاندا. وحين استقصت لجنة المسح موقف العمال لم تجد عاملا واحداً يقول انه لا يحب نظام مجموعة العمل.

أكاليل الغار – مع انتشار أخبار تجربة كالمار أضحى المصنع محجة للصناعيين وطلاب ادارة الاعمال من أنحاء العالم. وتبنت شركة فولفو نمط كالمار في خمسة مصانع جديدة في أسوج ومصنع آخر في بلجيكا، كما أدخلت طريقة عمل المجموعات خط التجميع في تورسلاندا. وكثير من تقنيات العمل المستخدمة في كالمار سجلت لها براءات امتياز وبيعت رخص بها الى عدد مموّني شركة فولفو.

والاكثر مدعاة الى الرضا كان تجاوب منافسي شركة فولفو مع هذه المستحدثات. فقد وقعت اتفاقات لاستعمال امتيازات مع شركة "كارمان" الالمانية التي تصنع هياكل السيارات ومع شركة "جنرال موتورز" الامريكية الجبارة.

الا ان غيلينهامر لم يقصر نشاطه على السيارات. واليوم تساهم شركة فولفو في عمليات استكشاف النفط والغاز الطبيعي في بحر الشمال وفي انتاجهما وبيعهما، كذلك هي تساهم في انتاج ٢٥٠٠ نوع من الاطعمة والمشروبات. ويقول غيلينهامر: "ليأت ذلك اليوم الذي ترتفع فيه اسعار النفط، فان شركة فولفو ستبيع عدداً أقل من السيارات لكنها ستحقق أرباحاً في مجالات أخرى."

ان انتاج سيارات الركاب يشكل الآن ربع نشاطات شركة فولفو، وسدس هذه السيارات فقط يباع في أسوج. لكن السمعة الطيبة التي تتمتع بها لمتانتها وتصميمها الذي يؤمن السلامة للركاب عززت مكانة هذه البلاد في العالم.

ارتفعت أرباح الشركة عام ١٩٨٥ الى نحو ٧،٦ مليارات كورون (نحو مليون دولار) وهذا يزيد على مجمل ما كانته قيمة الشركة عام ١٩٧١ حين تسلم غيلينهامر ادارتها.

لكن غيلينهامر ليس بالرجل الذي ينام على أكاليل الغار. ففي الوقت الذي يتفرغ من تسيير شؤون شركته ومن اخذ زوجته وأولاده الاربعة في رحلات تزلج وابحار، يلاحق فكرة اخرى: اعادة تنظيم الصناعة الاوروبية. وما يقلقه أن التنافس الوطني يحد من التوسع الصناعي الذي هو وحده يستطيع ادخال اوروبا الغربية بنجاح القرن الحادي والعشرين. لذلك انصرف الى تأليف لجنة غير رسمية تضم قادة عدد من أكبر المصالح الصناعية في أوروبا الغربية، مثل شركتي "فيليبس" و"فيات". ولا يزال رئيسا هاتين الشركتين عضوين في اللجنة، ومهمتهما وضع تصاميم لمشاريع أوروبية جامعة مثل بناء جسر للسيارات والسكك الحديد بين اسكنديناڤيا وبقية اوروبا ومعهد اوروبي للتكنولوجيا لتعزيز مستوى التعليم التكنولوجي.

يظن معظم الناس أن الأمل ضئيل جداً بتبديل أنظمة الجامعات الاوروبية التي حجرتها التقاليد. وبعض منافسي بير غيلينهامر لا يزالون يقولون انه حالم غير واقعي. ولكن هذا ما قالوه عام ١٩٧١ حين صمم على بناء مصنع من نوع جديد.

روبرت فرنك ■

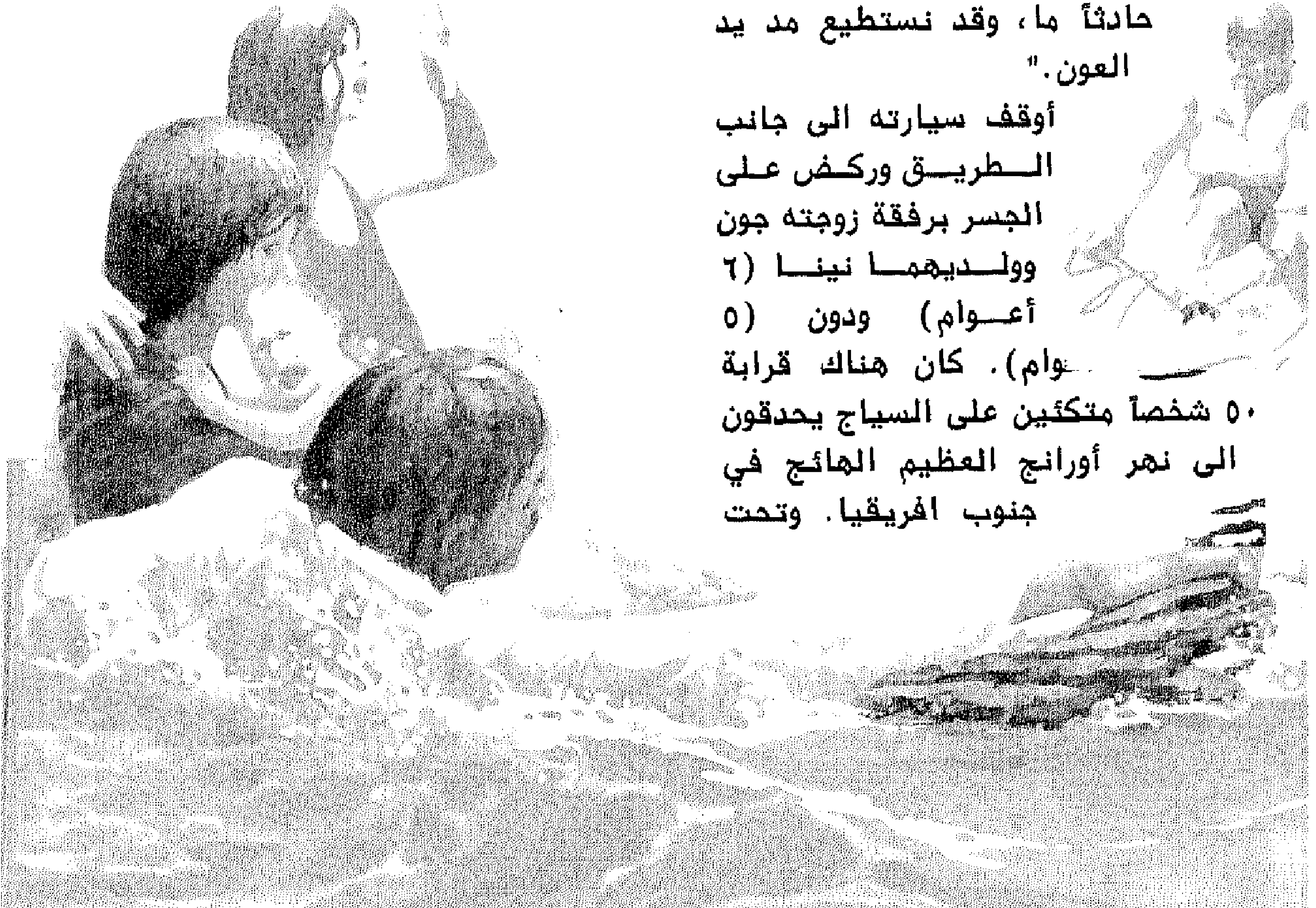
راح خمسون متفرجاً يراقبون العائلة المنكوبة وهي تكافح من أجل الحياة وسط النهر الثائر. لكن رجلا واحداً اتخذ القرار...

لن أدعَهُمْ يموتُون

داس ويس ماري كابح سيارته المرسيدس ذات اللون الفضي. كان يقف امامه حشد من الناس وقد سدت مقطورة تابعة للشرطة جسر نورفالسبونت الضيق.

قال ويس لزوجته: "يبدو أن هناك حادثاً ما، وقد نستطيع مد يد العون."

أوقف سيارته الى جانب الطريق وركض على الجسر برفقة زوجته جون وولديهما نينا (٦ أعوام) ودون (٥ أعوام). كان هناك قرابة ٥٠ شخصاً متكئين على السياج يحدقون الى نهر أورانج العظيم الهائج في جنوب افريقيا. وتحت الجسر مباشرة حيث زادت الصخور من هياج النهر كان رجل وامرأة يقفان في الماء الذي علا حتى خصريهما ويرفعان ولدين فوق الأمواج. وأبعد منهم نزولا كانت امرأة متشبثة بصخرة وسط المياه



المتلاطمة فوق رأسها وقد أخذ صراخها يضعف وسط هدير النهر.

مضى أكثر من ساعة على أولئك المنكوبين وهم محاصرون في رقعة بارزة في مجرى النهر الذي كانوا يستكشفونه. وهم علقوا هناك بفعل اندفاع الماء على نحو قوي ومفاجىء حين انفتحت البوابات الآلية لسد هيندريك فيرورد في وقت غير متوقع.

ناجى ويس نفسه: "هل نقف هنا مكتوفين لمشاهدة هذه العائلة وهي تغرق؟ لا، لا يمكنني أن أدعهم يموتون!" وقرأت جون التصميم في عيني زوجها فقالت له: "لا يا ويس، فلديك أولاد أنت أيضاً."

"أنا نازل لنجدتهم." وأسرع ويس في اتجاه الضفة الشديدة الانحدار واجتاز سياجاً من أسلاك شائكة. وسأل الله أن يساعده وقفز في المياه الهائجة.

للوهلة الأولى بهرت المياه الباردة أنفاسه. وعندما بدأ يسبح أدرك أن حذاءه الرياضي يحد من سرعته فانتزعه وعلقه على سلك شائك بجانب النهر كان يعلو مستوى الماء بقليل. وإذ بدأ يسبح بعيداً عن الضفة أخذ التيار العنيف يتحكّم بالوجهة التي كان يقصدها. وخشية أن يجرفه التيّار بعيداً عن الجماعة المحاصرة أخذ يسبح ضد التيار، الامر الذي يعني السباحة مسافة أكثر مما توقع، ولكن تلك كانت الطريقة الوحيدة للوصول الى مقصده.

سترة نجاة – بلغ ويس السن الاربعين قبل خمسة أشهر، لكنه ما زال يتذكر الأساليب التي تسمح له بالسيطرة على تنفّسه وقد تعلمها وطبقها أثناء ممارسته لعبة كرة الماء وهو فتى. وكلما علا رأسه ماء النهر كان يملأ رئتيه هواء ويطبق شفتيه باحكام قبل أن تعلوه الأمواج من جديد.

بعد مرور خمس دقائق لم يكن ويس قطع الا ثلث المسافة التي تفصله عن المنكوبين. وثبط ذلك عزيمته وأخذت تساوره الشكوك وفكر: "لو قدّر لي أن أصل اليهم فكيف السبيل الى نقلهم جميعاً الى الضفة؟"

فجأة جرفه التيار الى حافة كتلة من الاسمنت تركت في النهر بعد الانتهاء من بناء الجسر. وإذ أخذ يتحسّس شيئاً حول الكتلة ليتمسك به، وجد حلقة مرساة مصنوعة من فولاذ متين. أمسك بها بإحكام فيما الماء يندفع بغزارة ووقف على كتلة الاسمنت والماء يغمر ركبتيه.

وتسنى له آنذاك أن يرى الجماعة بوضوح أكثر. كان عمر الرجل يناهز العشرين، وهو هزيل البنية متجهّم الوجه راح يكافح من أجل أن يبقى واقفاً على نحو مستقيم. وكانت يداه مشبوكتين بيدي امرأة شابة سوداء الشعر. وبينهما فتاة صغيرة كستنائية الشعر طوقت عنق الرجل بذراعيها. وقدّر ويس أنها في عمر ابنته نينا. وعلى خصر المرأة كانت طفلة تدلّى شعرها الأشقر متلبداً بفعل الماء.

ووقفت جون تراقب من الجسر. وفكرت: "يجب أن أساعده وإلّا فلن أراه ثانية."

فتشت حولها عن حبل أو دلو أو أي شيء ترميه الى ويس كي يبقى عائماً. ثم رأت سترة نجاة صفراء معلقة في صنارة

Illustration: Anne Mills / Handouts

لصيد السمك كان المتفرجون حاولوا رميها الى المجموعة المحاصرة. "لو أستطيع قذفها كفاية بعكس التيار لامكنني ايصالها اليه." وأمسكت بالخيط ورمت الصنارة بعيداً.

وجه أزرق - بدأ ويس يستعيد تنفسه. وتطلّع الى فوق فرأى جون على علو ١٥ متراً تحاول إيصال سترة النجاة اليه. "يا لها من امرأة رائعة! سأحقّق غايتي بسترة النجاة تلك."

حاول ويس التقاط السترة مرتين وهي تترجح على مقربة منه، ولكن من دون جدوى. وفي المرة الثالثة قذفتها جون بأقصى قوتها فالتقطها.

بعدما لبس ويس سترة النجاة استخدمت جون الصنارة لتدلي حبلا أتى به متفرج. وربط ويس أحد طرفي الحبل بحلقة المرساة المثبتة في كتلة الاسمنت والطرف الآخر بسترة النجاة. وبذلك أصبح في وسعه أن يسبح بطلاقة مرخياً جسمه على الحبل، فقفز ثانية الى الماء.

وسرعان ما دفعه التيار الى مقربة من المحاصرين وهم مارتن كوكيمور (٣٤ عاماً) وشقيقتاه إريكا (٩ أعوام) وفاليري (٣٢ عاماً) وابنتها جينيكي (٣ أعوام). ناداهم ويس: "سآخذ الطفلة أولا." ولكن ما ان همّ بتناول الطفلة حتى أخذت تصرخ بهلع وتعلّقت بعنق أمها حتى كادت أن تخنقها. واستدار ويس حينئذ الى الفتاة الأكبر سناً وخاطبها: "ضمّي يديك حول عنقي." وهزّت إريكا رأسها وكان وجهها أزرق لشدة البرد.

وهكذا جرّ ويس الفتاة في الماء محكماً شدّ عضلات عنقه إزاء الضغط الناجم عن يديها. وهو استطاع الوقوف في بعض الأحيان، لكن قعر النهر كان مخدّداً الأمر الذي اضطرهما الى الغوص مراراً تحت سطح الماء.

بقي ويس يجذب الحبل ويتنفس عندما تسنح له الفرصة. ومن خلال يدي الفتاة كان يشعر بالرجفة تسري في جسدها. وخاطبها: "تمسكي جيداً وسنكون بخير." ثم فكر: "لا بد من أننا اقتربنا من كتلة الاسمنت."

مدّ ويس يده وتحسّس الكتلة. ورفع اريكا عليها وقال لها: "انتظري هنا. فأنا ذاهب لأحضر الآخرين." وقفز ثانية الى الماء متسائلا هل بقيت لديه القوة الكافية.

مسألة دقائق - اذ اقترب ويس من بقية المجموعة أمكنه رؤية مستوى الماء ينحسر ليبلغ ركبتي مارتن. لقد اتصلت الشرطة أخيراً بالقيمين على إسكوم بالقرب من جوهانسبرغ لكي يغلقوا بوابات السدّ. وصاح مارتن: "أظن ان في استطاعتنا نحن الثلاثة النجاة الآن. الرجاء مساعدة بياتريس."

حدّق ويس في اتجاه مجرى النهر محاولا تلمّس السبيل الذي يوصله الى بياتريس كوكيمور زوجة مارتن البالغة من العمر ١٩ عاماً، وهي على بعد ٣٠ متراً منه. وكانت توقفت عن الاستغاثة وتدلى رأسها الى الأمام.

ورأى ويس أنها لن تستطيع النجاة، اذ ليس أمامه متسع من الوقت لانقاذها. وشق طريقه بصعوبة بين الصخور

مستعيناً بالامواج التي قذفته نحوها عبر المياه العميقة.

كانت بياتريس لا تزال بوعيها، ويداها مشدودتان حول الصخرة بفعل الخوف والبرد. وفتح ويس يديها بصعوبة ووضعهما حول خصره وبدأ يسحبها في اتجاه معاكس لمجرى التيار. وراح يردّد: "لم تبق أمامنا مسافة كبيرة، مسألة دقائق."

"لقد نجحنا!" - واصل مستوى الماء هبوطه وبدأ مارتن وفاليري ومعهما جينيكي يعبرون الدوامات بحذر في اتجاه كتلة الاسمنت حيث كانت إريكا في انتظارهم.

كان ويس أمضى في الماء أكثر من نصف ساعة وهو في معركة متواصلة لالتقاط أنفاسه. وأخذت رجلاه ترتجفان من البرد، وكل محاولة لشد حبل النايلون سببت له وجعاً في راحتيه. وانزلقت يدا بياتريس مراراً مما اضطره الى السباحة مستخدماً يداً واحدة حتى تسنّى له الوقوف من جديد. وراح يصلي: "أرجوك يا الهي، لا تُطل الأمر أكثر من ذلك."

بعدما واجه ويس احدى الموجات رأى أن مارتن وفاليري والصغيرة وصلوا الى كتلة الاسمنت ولفّوا أجسادهم بأغطية أنزلتها جون اليهم وأخذوا يطلقون هتافات التشجيع. واندفع ويس الى الأمام، وبعدما جذب الحبل بقوة ست مرات وصل هو أيضاً الى الكتلة ووقف هو وبياتريس عليها.

كانت جون تلوّح له بيدها عن الجسر، فرفع يداً متعبة وعلى وجهه ابتسامة عريضة وقال: "لقد نجحنا."

واستمر انخفاض مستوى الماء. وفي غضون نصف ساعة استطاع الناجون المبللون أن يمشوا على الصخور ليصلوا الى الضفة. وبعدما كان ويس ترك حذاءه على الأسلاك الشائكة التي وازى علوّها مستوى الماء، عاد ليجده على علو مترين من الأرض معلقاً على سياج من الأسلاك.

منح المجلس الوطني لسلامة المياه في جنوب افريقيا ويس ماري "جائزة الشجاعة" في مايو (ايار) ١٩٨٤ كما منحته مؤسسة "جيسيس ويسترن كايب" شهادة لمساعدته المميّزة.

وليم باركر ■

أستاذ حقوق

نال طالب لامع في كلية الحقوق علامة سيئة في أحد امتحاناته. وظناً منه أنه يستحق علامة أفضل فقد راجع أستاذه الذي أسهب في شرح الموقف: "جوابك الأول صحيح وواضح ويظهر فهماً عميقاً للموضوع..."

وبعدما سمع الطالب تعليقات ايجابية مماثلة على كل أجوبته صرخ في أستاذه: "لكنك أعطيتني علامة سيئة!"

- نعم، لكنها أفضل علامة سيئة أعطيتها في حياتي.

د.ر.

الضحك خير دواء



لكل شيء حساب

دخل رجل مصبغة في مدينة نيويورك وسأل: "كم يكلف كيّ هذه السترة؟"
- أربعة دولارات.
فطار صواب الرجل فصرخ في الموظف: "لا بد انك مجنون! ففي لوس انجلس لا يتجاوز البدل الدولارين."
- هذا صحيح ولكن من يدفع ثمن بطاقة السفر؟

ل.ر.

صدمة ترعب مريضين

اتصلت امرأة بطبيبها بعيد تسلمها فاتورة قلع ضرسها وصرخت متذمرة: "لقد صدمتني يا دكتور، فأنت تطالبني بثلاثة أضعاف أجرك العادي!"
فرد الطبيب ببرود أعصاب: "طبعاً! فأنت مضيت تزعقين حتى أرعبت مريضين آخرين فهربا."

ل.و.

الزوج وقميص النوم

سمعت ذات مرة محاورة بين شاب وبائع في محل للالبسة النسائية. قال الشاب: "أريد قميص نوم لزوجتي. وأريده ناعم الملمس رفيقاً على الجلد."
وأحضر البائع ثوباً جميلا مصنوعاً من النايلون ومطرزاً بالوشي. فتلمسه الشاب وأشار الى الوشي قائلا: "هل أنت واثق من أن هذا لا يخدش الجلد؟"
- بكل تأكيد. ثم انه على الجهة الخارجية.
"حسناً فهذا ما اردت معرفته لاني انا سأكون على تلك الجهة."

ف.غ.

هموم السيارات

قال محاسب المرأب: "ثلاثون دولاراً."
ورد صاحب السيارة العتيقة: "بعتك إياها!"

ك.ب.

تحف عصرية

اسحق نيوتن
أتحف العالم بمبدأ الجاذبية،
وآينشتاين اتحفه بنظرية النسبية،
اما كاتب هذا المقال فـ"تحفه"
لا تخضع لاي نظرية أو مبدأ!

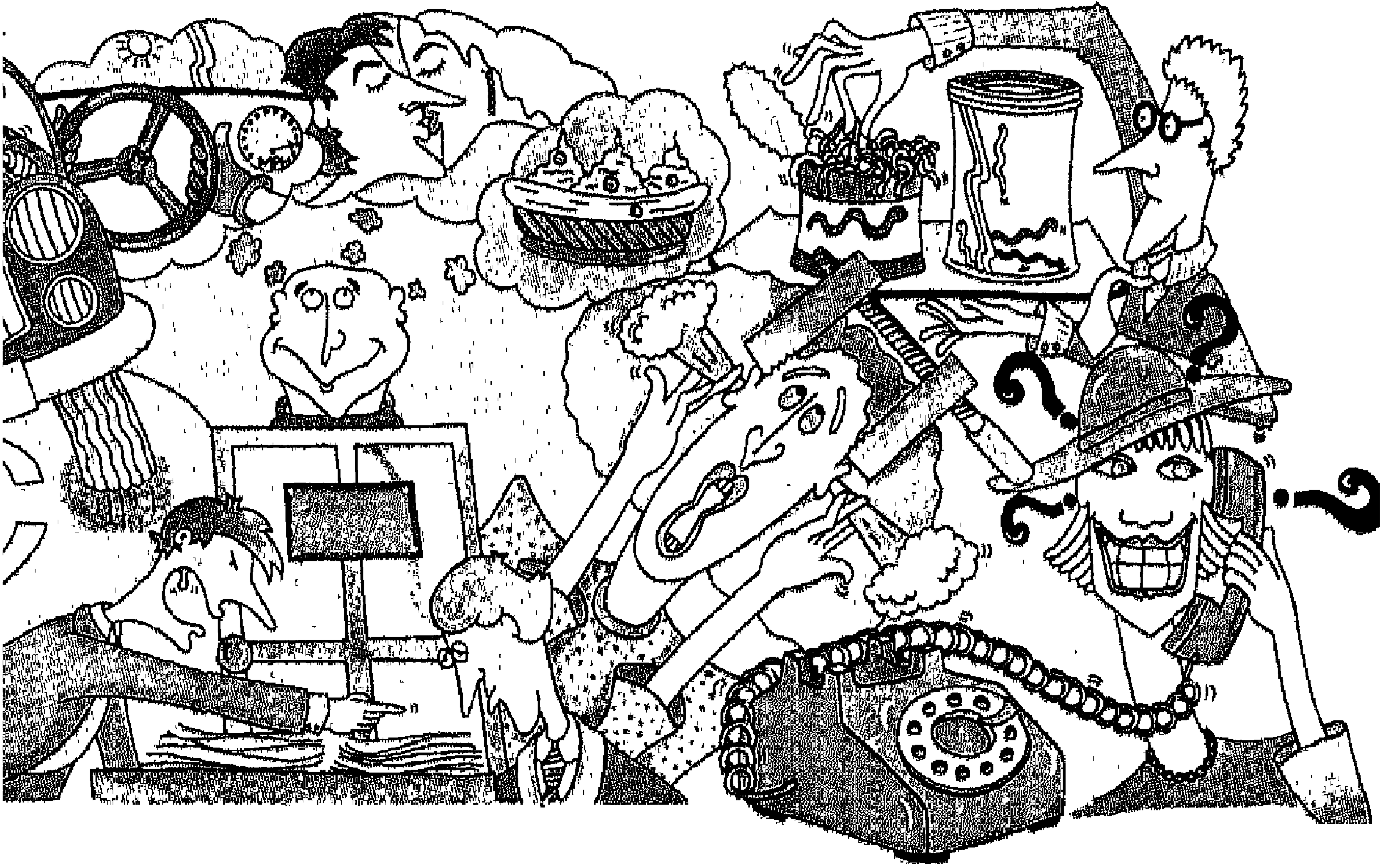
قانون ألينسكي للتطرف: المتمسكون بالمثاليات هم الأبعد عن المشكلة.

قانون بالانس للنسبية: إن مدى طول الدقيقة يقرره في أي جهة من باب الحمام أنت تقف.

قانون بيرا الثاني: كل صاحب شعبية مبغوض من بعضهم.

قانون كوين الثاني: البشر نوعان: محقون ومخطئون، والمحقون يحددون القسمة.

قانون درو في بيولوجيا الطرق: أول حشرة تصدم زجاج السيارة النظيف تقع أمام ناظريك.



ملاحظة امرسون: نكتشف أفكارنا المرفوضة في كل عمل عبقري.

قانون فوكلاند: إذا كان اتخاذ القرار غير ضروري، فمن الضروري عدم اتخاذه.

قانون فيناغل الثامن: العمل الجماعي ضروري لانه يمكنك من القاء اللوم على الآخرين.

قانون غوالتييري للقصور الذاتي (inertia): حيث ألارادة هناك الرفض.

قانون هيلرانغ: إذا تريثت قضي الأمر. **زيادة شافلسون:** ... بعد أن يتسبّب في كل ضرر ممكن. **إضافة غريلبس:** واذا كان سيئاً فهو عائد لا محالة.

قانون هيربلوك: كل جيد يجد من يوقف انتاجه.

قانون هرتزبرغ لعصافير الشجر: لا تفلت ما في يدك حتى تمسك بشيء آخر.

ملاحظة كيركيغارد: لا تُفهم الحياة الا بالنظر الى الخلف، ولكن يجب عيشها بالنظر الى الأمام.

لغز كوفاك: إذا طلبت رقماً خاطئاً على الهاتف، فلن تصادف خطاً مشغولا.

مبادىء البستاني: أولا، لا تعمل أدوات الآخرين حسناً إلا في حدائقهم. ثانياً، لا تصلح الأدوات الغالية للعمل. ثالثاً، إذا لم يستعمل أحد هذه الادوات فلا بد من



وجود سبب لذلك. رابعاً، أنت تنال اكثر مما تحتاجه أقل.

قانون مايلز: يعتمد مركزك في الحياة على المقعد الذي تجلس فيه.

قانون مورفي للديناميكا الحرارية: تسوء الأمور تحت الضغط.

قانون أوليفييه: الخبرة شيء لا تحصل عليه إلا بُعَيْد انقضاء الحاجةاليه.

مسلّمات باردو: أولا، مباهج الحياة إما غير قانونية واما غير أخلاقية واما مسمِّنة. ثانياً، ثلاثة أشياء مخلصة في الحياة: المال والكلب والمرأة العجوز.

ثالثاً، ما همك إن كنت غنياً أم لا ما دمت تعيش مرتاحاً وتملك كل ما تحتاج اليه؟

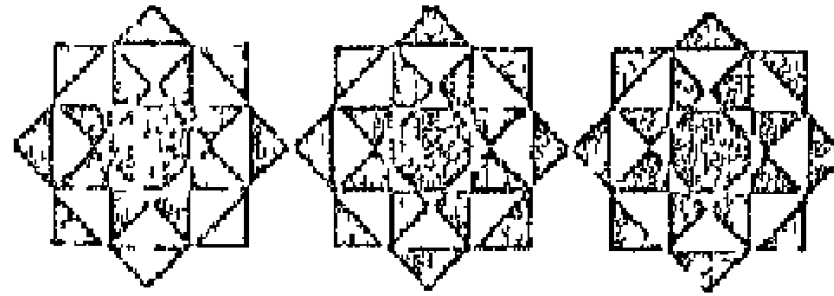
قانون سيمون للحظ: قد يكون المجد زائلا، لكن عدم الشهرة أبدي.

قانون سكوف: لا يتقيأ رضيع على أرض وسخة.

قانون وايز للمكتبات: ليست هناك أجوبة، بل مراجع متضاربة.

قانون زيمورجي الاول: متى فتحت علبة ديدان فلا سبيل الى اعادة تعليبها إلا باستعمال علبة أكبر.

آرثر بلوك ■



دراجة العيد

ألح علينا ابننا البكر للحصول على دراجة ذات عجلتين هدية للعيد، وطلب أصغر أولادنا دراجة بثلاث عجلات. وكنا في ضائقة مالية، لذلك قررنا أن نشتري ذات العجلتين فقط ونصلح دراجة قديمة عندنا بثلاث عجلات لابننا الثاني. وهكذا أحضرت الدراجة القديمة من الباحة الخارجية الى المرأب وبدأت العمل. وبعد أربع ساعات كانت تلك الدراجة تقف هناك مثل اعجوبة زرقاء لماعة، مكتملة بدواستيها الجديدتين ومقودها ومقبضيها ومقعدها واطاريها.

في تلك اللحظة دخلت زوجتي المرأب وعلى وجهها سيماء غريبة، وكانت تدفع أمامها دراجة أخرى ذات ثلاث عجلات حمراء اللون.

وهكذا اكتشفت اني أمضيت عطلة العيد أصنع "الاعجوبة" بدراجة ابن الجيران.

و.د.



Brian Stablyk

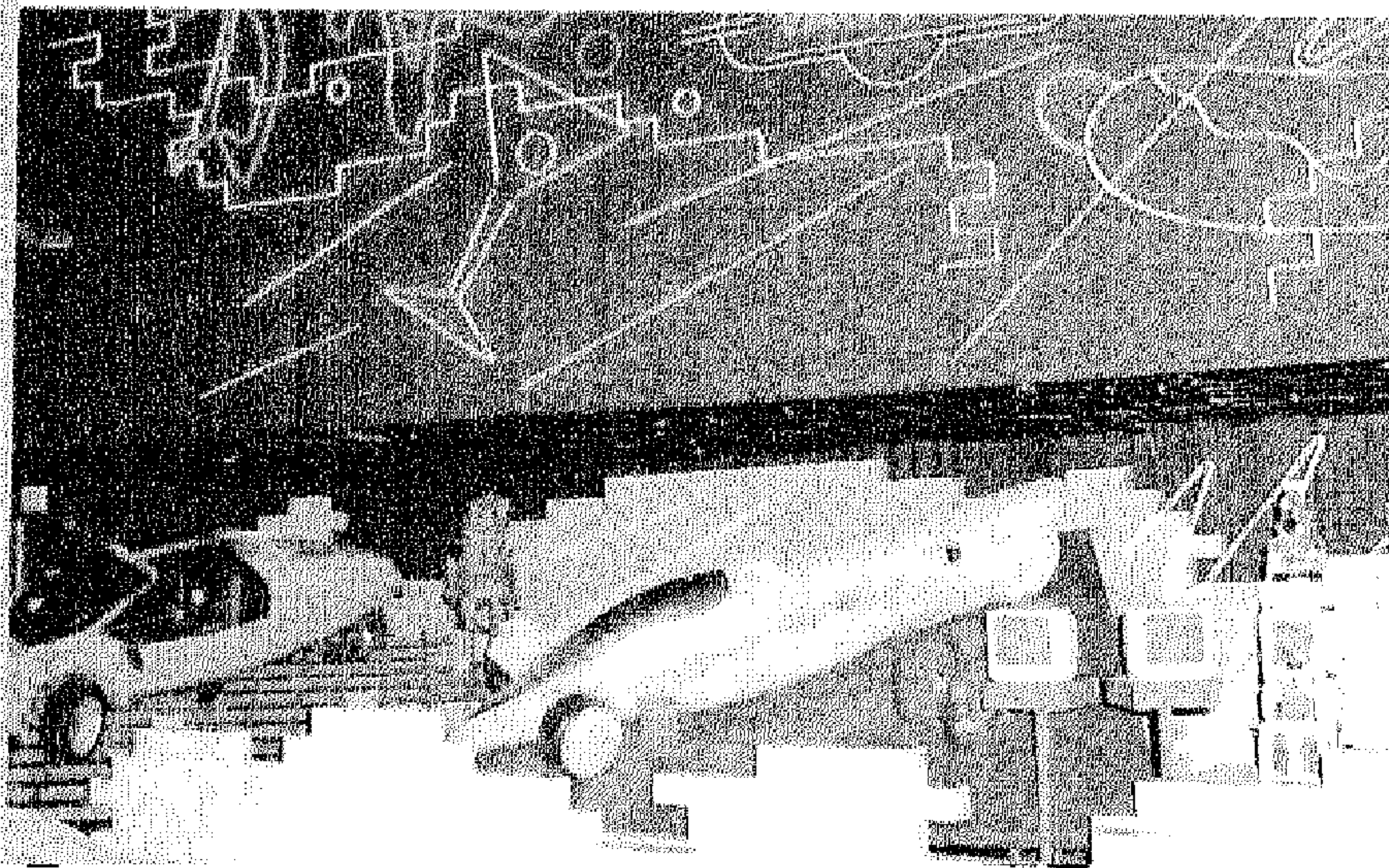
شعار المعرض.

سفن جبارة وعربات اسطورية
وإنسان آلي ومركبات فضائية
وقطارات بلا عجلات وكل ما يتحرك
سيعرض في فانكوفر هذا الصيف

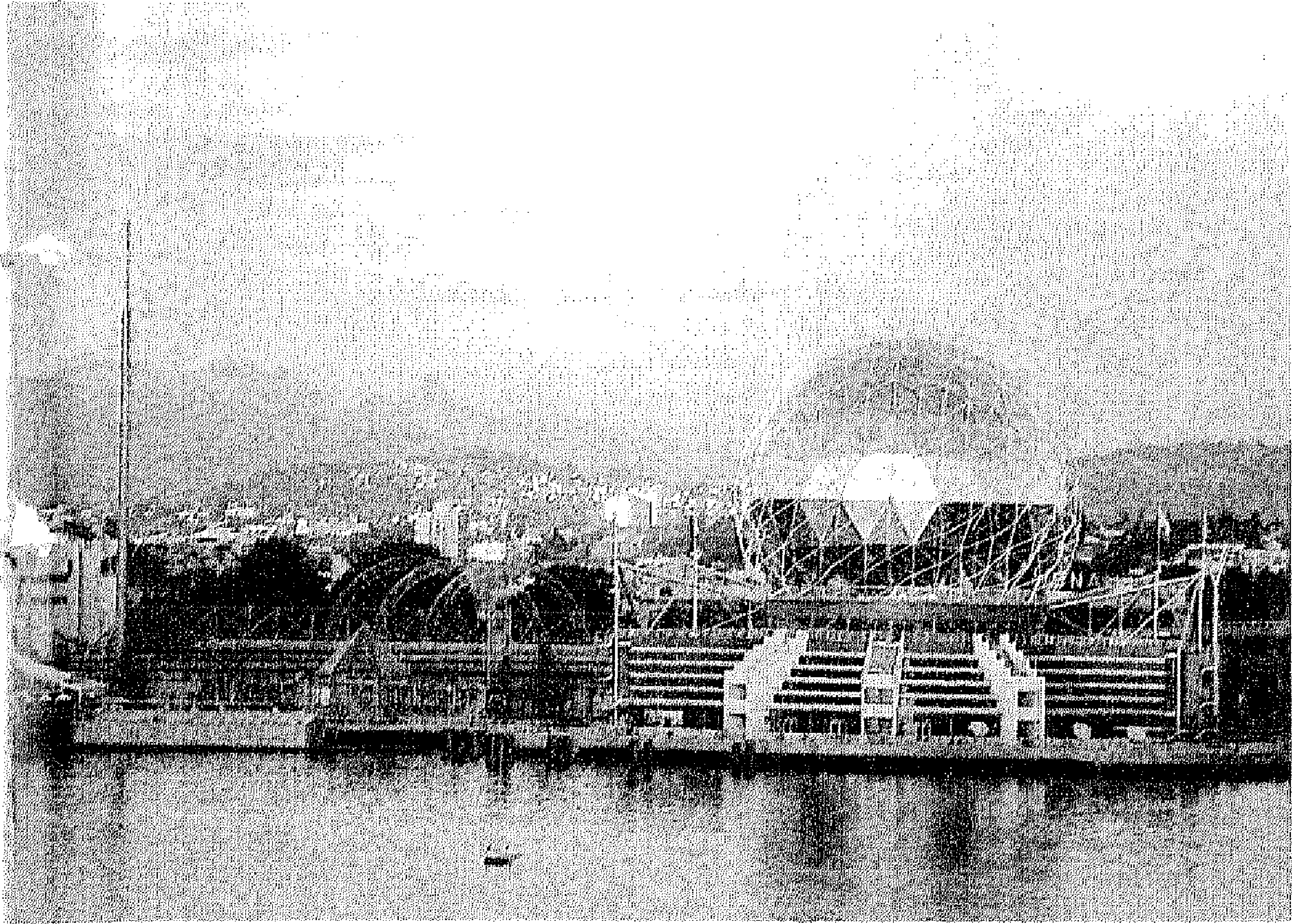
فانكوفر ٨٦
مَعرضُ الإنسان المتحرّكْ

في شهر يونيو (حزيران) من العام ١٩٣٦ أقلعت طائرة نقل جديدة ورشيقة ذات محركين من شيكاغو في رحلتها التجارية الاولى لتصبح أشهر طائرة تجارية في كل أوان. انها "دوغلاس د س٣" (Douglas DC — 3)

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية أصبحت "الفزاعة الطائرة" ذات الصلابة الفذة بطلة طائرات الحلفاء. وخلال العقود الماضية صنعت ١٠ آلاف و٦٢٩ طائرة من طراز "د س ٣" ونحو ألفين منها لا تزال تطير فوق الادغال والصحارى والاصقاع والجبال في كل القارات. وفي ٧ يونيو (حزيران) ١٩٨٦، وهو العيد


Brian Stablyk

معرض تصاميم العام ٢٠٠٠.



مركز المعرض وفيه مسارح المستقبل وأكبر مسارح الاومنيماكس المقببة في العالم.

الخمسيني لطيرانها الاول، سيَهْدُر ما يقرب من خمسين من هذه الطائرات الكادحة، ينطلق بعضها من أماكن قصية كافريقيا، وتحلق فوق مدينة فانكوفر على الساحل الغربي لكندا في احتفال طيران قد لا يتاح للعالم أن يشاهده مرة أخرى.

هذه التحية التذكارية ستكون واحداً من المظاهر البارزة في "معرض ٨٦" العالمي الذي سيفتتحه ولي عهد بريطانيا الامير تشارلز وزوجته الاميرة ديانا في ٢ مايو (أيار) في فانكوفر بكندا التي تحتفل هذا العام بعيد ميلادها المئوي. والمعرض الذي يغطي ٧٠ هكتاراً من الحي المواجه للبحر، وتبلغ تكاليفه ملياراً ونصف مليار دولار وموضوعه وسائل النقل والاتصال، سيستوعب ٨٠ جناحاً منها ٤٨ جناحاً دولياً، ويستمر على مدى خمسة أشهر ونصف شهر. ويقول المفوض العام باتريك رايد: "سيكون هذا أفضل المعارض تحضيراً وادارة وأوفرها اثارة في هذا القرن."

ومنظمو المعرض لا يؤمنون بالتواضع. فالعرض الجوي فيه دعي "الحدث الدولي في الطيران والفضاء لهذا العقد". وستعرض شركات الطيران الجوي والرحلات الفضائية آخر ما أخرجته تكنولوجيا الطيران بدءاً بالاقمار الاصطناعية المسيّرة بالطاقة الشمسية وانتهاء بواجهة عرض لفن صنع

الطائرات. وسيحوي الجناح البريطاني نموذجا لـ"هوتول" (١) وهو مكوك فضائي مستقبلي سيخفض وقت الطيران بين لندن وفانكوفر الى ثلاث ساعات فحسب. وستقدم الصين صاروخاً فضائياً وعربة من البرونز متقنة الصنع يعود تاريخها الى نحو ٢٠٠٠ سنة.

"الجباران" سينقلان الزوار الى الفضاء. وستحتفل الولايات المتحدة بمغامراتها الفضائية بدءاً بالرحلة الفردية الاولى للرائد جون غلين في مدار حول الارض وانتهاء ببناء المحطة الفضائية المأهولة على الدوام في التسعينات والتي ستبلغ كلفتها ١٠ مليارات دولار. وسينظم الاتحاد السوفييتي رحلة عرض فضائية للاحتفال بذكرى وضع أول انسان في مدار فضائي قبل ٢٥ سنة وهو الرائد يوري غاغارين. والجزء الابرز في المعرض السوفييتي سيكون "رحلة سويوز - ساليوت" وهو مجمع فضائي يبلغ طوله ٣٣ متراً ويقطعه الزوار مشياً.

سفن وقاطرات - عند مدخل جناح السلام الذي ترعاه الامم المتحدة كرة ضخمة تمثل كوكب الارض طافياً في الفضاء لابراز موضوع "السلام عبر الاتصال." وفي معرض "اكس ١٠" رجل آلي (robot) يعمل بدماغ الكتروني وله صوت طفل وفضوله، وهو يلقي نظرة عبر المستقبل. انه عرض للذكاء الاصطناعي ونموذج أولي لآلة يمكنها ان تفكر وتترجم وقد تمكننا ذات يوم من مخاطبة أي شخص في أي مكان وبأي لغة.

وفي الساحة البحرية سترسو السفن الصينية وقوارب القصب البيروفية جنباً الى جنب قرب نسخة طبق الاصل عن "الظبية الذهبية" التي أضحت عام ١٥٨٠ اول سفينة بريطانية تبحر حول العالم، وقد قادها الاميرال السير فرنسيس دريك. وعلى صفحة المياه حول فانكوفر ستشاهد زوارق الكاياك التي يستخدمها الاسكيمو والزوارق الطويلة التي تجتاز الانهر واليخوت وقوارب السباق كما ستشاهد عروض لسفن القطر وسفن العمل والطوافات والسفن الشراعية الآتية من جزر المحيط الهادىء، اضافة الى عرض احتفالي لسفن التنين الآتية من هونغ كونغ والتي ستتسابق في البحر امام واجهة المعرض. وستوازن كوريا معروضاتها ذات التقنية العالية بسفينة حربية قديمة ذات مقدم في شكل سلحفاة تنفث أبخرة الكبريت لتغطية تحركات الاسطول.

وفي هذه الاثناء سيبني صانعو السفن نسخة طبق الاصل عن قارب نقل سريع ذي سارية مربعة، وسيصنع حفارو الخشب الهنود الآتون من الساحل الغربي زورقاً قتالياً من نوع "هايدا".

الاحتفالات على اليابسة ستكون مساوية لهذه في روعتها. ففي شهر مايو (أيار) تنطلق أكثر من ٢٥ قاطرة بخارية وهي تنفث دخانها عبر قارة أمريكا الشمالية متوجهة الى المحطة الوطنية الكندية للسكك الحديد في جوار المعرض. وتشارك في "المعرض البخاري" قاطرات

(١) Horizontal Take Off and Landing Launch Vehicle «HOTOL» أي مركبة الاطلاق للاقلاع والهبوط الافقيين.

من ألمانيا وسويسرا والصين وبريطانيا. وتأمل بريطانيا أن ترسل قاطرتها السريعة الشهيرة "الاسكوتلندي الطائر". ومن نيفادا ستأتي القاطرة القديمة "اينيبو ٢٢" التي شوهدت في كثير من أفلام هوليوود عن الغرب الامريكي، وهي تحفة شركة "فرجينيا وتراكي" للسكك الحديد وقد صنعت عام ١٨٧٥. كذلك "كابوز ٩" التي جدّد شبابها كلياً حتى المباصق (٢) المثبتة في أرضها.

وستبنى سقيفة لقاطرات خطوط الباسيفيك الكندية للسكك الحديد حيث سيجمع نموذج شغال للقاطرة "روكيت" التي صنعها المخترع جورج ستيفنسن، وهي القاطرة التاريخية التي أطلقت ثورة النقل بالقوة البخارية في ١٠ أكتوبر (تشرين الاول) ١٨٢٩ في جوار مدينة ليفربول البريطانية بقطعها مسافة ٥٦ كيلومتراً، وأذهلت المشاهدين حين بلغت سرعتها القصوى ٤٦،٥ كيلومتراً في الساعة.

معرض سيارات – أشكال الاشياء التي ستتحقق في المستقبل ستشاهد في الاجنحة الوطنية. فستعرض اليابان قطاراً من دون عجلات يطير فوق الخطوط مرفوعاً عن الارض على أقطاب مغناطيسية كهربائية. وستظهر ناقلة الركاب الفرنسية "نظام س ك" للمرة الاولى في أمريكا الشمالية. والاكثر جذباً للزوار ستكون بلا ريب نسخة طبق الاصل عن "قطار السرعة العالية" وهو انسيابي سريع وأنيق ينطلق كالقذيفة عبر الارياف بين باريس وليون في فرنسا بسرعة ٢٦٠ كيلومتراً في الساعة، ويصل دائماً في الموعد المحدد.

بريطانيا ستعرض قطارها السريع الذي يسير بسرعة ٢٠٠ كيلومتر في الساعة دونما حاجة الى خطوط خاصة (السر يكمن في نظام الاشارة)، كذلك ستعرض "ماغليف" ناقلة الركاب الاولى في العالم التي ترتفع عن الارض بقوة المغناطيس وتدخل الخدمة المنتظمة. وبما أن أي معرض بريطاني يجب ألا يخلو من فندق ريفي مكتمل، فسيقام مثل هذا الفندق في الجناح البريطاني، وهو نموذج مأخوذ من بلدة كنغزلين في مقاطعة نورفوك مسقط رأس البحار والمستكشف البريطاني الشهير القبطان جورج فانكوفر الذي اطلق اسمه على المدينة المضيفة.

وسيقدم المعرض الى هواة السيارات نحو ٧٠٠ سيارة قديمة، وهي أكبر مجموعة من نوعها تعرض أبداً، اضافة الى سيارات مصنوعة بتوصية خاصة وسيارات سريعة وأخرى تسير بالدواسات وبالقوة البشريّة وتبلغ سرعتها ٨٠،٥ كيلومتراً في الساعة وأكثر. كذلك ستعرض سيارات لم تشاهد على الطرق أبداً، صمّمها طلاب هندسة من أنحاء العالم يتنافسون للحصول على منح دراسية بقيمة ٢٥٠ ألف دولار. وسيتضمن الجناح البريطاني أسرع سيارة بمحرك نفاث في العالم، وهي "ثراست ٢" التي سجل سائقها ريتشارد نوبل رقماً قياسياً حين

(٢) أوعية يبصق فيها.

بلغ سرعة ١٠١٩،٤٧ كيلومتراً في صحراء الصخور السوداء بولاية نيفادا الامريكية في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٣.

والسويسريون الذين بنوا الخط الحديد المنفرد في المعرض والغندولات المعلقة التي ستنقل نحو ٧٠ ألف راكب يومياً حول الموقع، يقدمون اكبر ساعة يد في العالم.

وبصفتها الدولة المضيف تؤدي كندا دوراً رئيسياً. فمقاطعة كولومبيا البريطانية التي تستضيف المعرض أنشأت مجمعاً من ثلاثة ابنية هو "درة من الزجاج الزبرجدي اللون فوق شبكة أنيقة من الفولاذ،" يضم مسرحين وقاعة عرض واسعة و"ساحة للأمم" حيث ستقام احتفالات المعرض.

لمس اليد! – التحفة المعمارية المدهشة في المعرض كله ستكون "الساحة الكندية". فمنصاتها المكشوفة للنزهة وسقفها الذي يحمل خمسة اشرعة من الزجاج الليفي (Fiberglass) المغلف بالتافلون تحاكي سفينة ضخمة تكاد تقلع في البحر. وقد جاء في صحيفة "سياتل تايمس / سياتل بوست انتلجنسر": "السفينة "كندا" بسقفها ذي الشراعات ستغدو شعاراً لمدينة فانكوفر كما هي دار الاوبرا بالنسبة الى سيدني في أوستراليا."

ويضم المجمع الضخم فندقاً من ٥٠٥ غرف وردهة في علو خمس طبقات تحوي شلال ماء. وفيه مرسى متعدد المواقف ينتظر أن يستقبل ٢٠٠ سفينة سنوياً، بينها "باسيفيك برنسيس" التي اشتهرت في البرنامج التلفزيوني "سفينة الحب" (٣).

وستشاد ثلاثة مسارح مجهزة بأحدث تكنولوجيات العرض السينمائي ويتوقع ان تستقطب الاهتمام في المعرض. وفي مسرح "مراقبة الارض" (٤) نظام للعرض ابتدعه دوغلاس ترامبل الذي أشرف على التأثيرات الخاصة في الفيلمين الفضائيين "٢٠٠١" و"رحلة الى النجوم" (٥). وسيستخدم هذا النظام لعرض شريط بقياس ٧٠ ميلميتراً بسرعة فائقة تبلغ ٦٠ صورة في الثانية لمناظر تبدو حقيقية الى حد ان المشاهد يحسب نفسه جزءاً مما يجري. وفي مسرح "تيليغلوب كندا" سيكشف اميل رادوك، العبقري التشيكي في الخدع السمعية – البصرية، تقنية جديدة في انتاج الافلام تعرف بالسينوغراف (Scenography) وتعرض الصور متراقصة عبر تسع شاشات ومن ثم على كرة تدور بحيث تبدو الصور كأنها تهيم في الجو حول المشاهد.

وفي مسرح «CN IMAX» وهو طليعة نظام "ايماكس" سيقدم أول فيلم يعرض أبداً على شاشة واسعة مجسماً بالالوان في أبعاد ثلاثة (٦)، وهو عرض يقول المدير كولين لاو انه سيقدم الى رواد المسارح صوراً يكادون يلمسونها.

أكثر من السلوى – معرض ٨٦ هو في الواقع حلم محبي الافلام. كل جناح تقريباً يروي قصة في شريط أو في مشهد سمعي

(٣) Love Boat
(٤) Earthwatch Theatre
(٥) Star Trek
(٦) Three Dimentional «3 — D»

وبصري متعدد الشاشات، مثل فيلم الامم المتحدة "جزيرة في الفضاء." وثمة فيلم ذو رؤية دائرية من ٣٦٠ درجة من انتاج "والت ديزني"، وعرض "هولوغرام" لصور مجسمة تنبعث بأشعة ليزر، ونظام مؤاخ لنظام ايماكس يدعى "أومنيماكس" يعرض شريطاً من خلال عدسة صغيرة من ١٨٠ درجة على شاشة في شكل قبة ضخمة ينحني المشاهدون تحتها الى الوراء في مقاعدهم وكأنهم جالسون في الفضاء.

مسرحيات حية؟ ستأتي الى فانكوفر فرقة باليه كيروف من الاتحاد السوفييتي وفرقة الباليه الملكية من لندن. وسيحضر من الصين فريق مسرح بكين للفن الشعبي، ومن اليابان فريق مسرح توهو، ومن فرنسا فريق أوربان ساكس الذي يضم ٥٠ عازفاً على السكسوفون. وسترسل اوستراليا فرقة لتقديم مسرحية "نو شوغار" التي كتبها الشاعر القبلي جاك ديفيس، وستقدم برودواي مسرحية "الشارع ٤٢"، وستحضر من اندونيسيا فرقة "كيكاك" أو "القرود الراقصة".

ويقول باتريك رايد: "على المعرض الدولي أن يقدم ما هو أكثر من السلوى. ومعرض ٨٦ سيدخل برنامجاً لم يقدم في معرض من قبل: حلقات دراسية للجمهور تتناول مواضيع مثل السكك الحديد العصرية والنقل في المدن والسيارات والطيران وموارد قاع البحر والمواصلات القطبية وانظمة الوقود البديلة والاتصالات السلكية.

قبل أن يموت اوريليو بيتشي الرئيس الفخري لنادي روما أفصح عن أمله أن يصبح "معرض ٨٦" عاملا فاعلا لتدعيم السلام. وهذه أيضاً أمنية المفوض العام رايد الذي يضيف: "أعتقد أننا أعطينا هذا المعرض عمقاً بحيث أنه، حين يأزف الوقت لاقتلاع الخيام من مكانها، سيحق لنا أن نقف ونقول اننا خدمنا العالم."

تشارلز سميث ■



سيارة عجوز

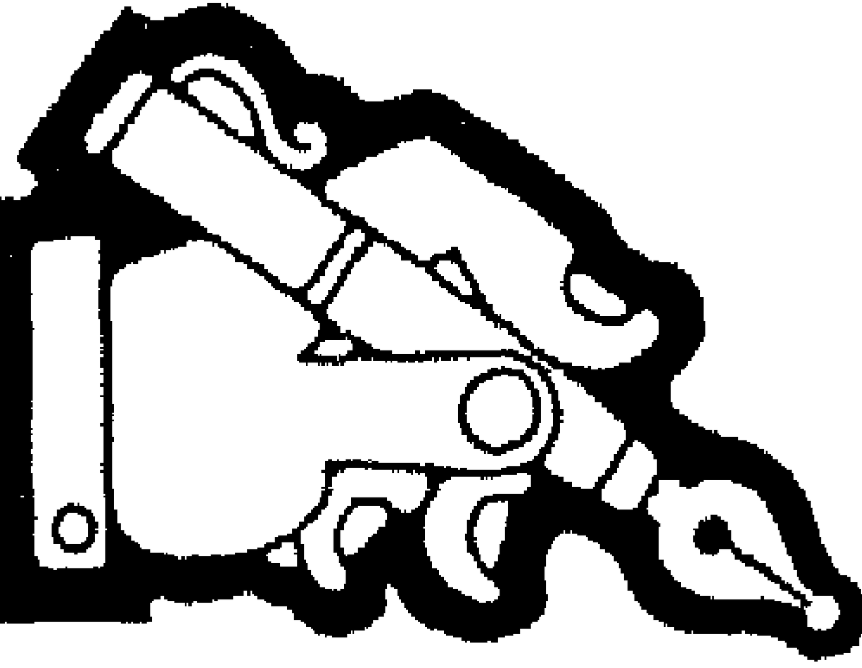
كان رجل وزوجته يبحثان عن سيارة مستعملة. فأعجبا بسيارة "سبور" براقة بدا البائع متحمساً لبيعها واسترسل في تعداد ميزاتها: "امتلكت هذه السيارة سيدة عجوز ظريفة تنتعل حذاء رياضياً على الدوام. ولم تقدها سوى خمس مرات قطعت خلالها مسافة ١٥٠٠ كيلومتر فقط. انها "لقطة" بكل معنى الكلمة!"

ومن باب الاحتياط سأل الزوجان عن اسم العجوز، ثم اتصلا بها وأبلغا اليها ما قاله البائع.

وردت العجوز: "كل ما قاله لكما صحيح. فأنا في الثانية والستين ولا أقود سيارتي الاّ وأنا منتعلة حذاء رياضياً. ومسافة الـ ١٥٠٠ كيلومتر التي يسجلها العداد صحيحة. فأنا لم أقد سيارتي إلا في خمسة سباقات بلغت مسافة كل منها ٣٠٠ كيلومتر. وقد حللت مرتين في المرتبة الثانية ومرتين في المرتبة الثالثة، وكدت أتبوأ المركز الأول في السباق الأخير لولا احتراق المحرك."

و.ب.

"لو كنت رئيس التحرير لما نشرت هذا الخبر." هذا ما تفكر فيه كلما قرأت خبراً يسبب، في رأيك، احراجاً أو اهانة غير ضروريين.
اختبر تقويمك للاخبار في القضايا الآتية:



لو كُنتَ رئيسًا للتحْرير فهل تنشرُ هذهِ الأخبار؟

قبل زمن قصير أوردت صحيفتنا "تورنتو ستار" الكندية نبأ عن امرأة ضربت بوحشية ثم سلبت مالها وحليها بعيد مغادرتها عملها. وكالعادة، أوردت الصحيفة اسم المرأة وتفاصيل اصابتها والشارع الذي تقطنه، وأضافت أن المعتدي لا يزال طليقاً.

وحض النبأ رب عمل الضحية على رفع شكواه الينا بحجة أن المعلومات التي نشرناها قد تمكن المعتدي من ملاحقتها.

والواقع ان المحررين الصحافيين يتعذبون كثيراً قبل أن ينشروا ما ينشرون. فهل الخبر صحيح؟ وهل هو منصف؟ وهل يحتاج الجمهور حقاً الى معرفة كل تلك التفاصيل؟

أنت تحكم على قراراتنا كل يوم. وأحياناً تناجي نفسك: "والله، لو كنت رئيس التحرير لما نشرت ذلك."

ولكن ألا تنشر ذلك حقاً؟ نحن ندعوك الآن الى الجلوس في كرسي رئيس التحرير والحكم في هذه الأمثلة الفرضية التي تشابه الى حد بعيد تلك التي نواجهها يومياً في غرفة التحرير. أين ترسم أنت خط الفصل بين حاجة الجمهور الى المعرفة والأذى الممكن إلحاقه بالشخص المعني وسمعته؟ وأخيراً قارن خياراتك بتلك التي توصّل اليها قراء "تورنتو ستار" ومحرروها.

القضية الاولى

اعتقل نجل سياسي معروف لحيازته كمية صغيرة من الماريوانا. والشاب في التاسعة عشرة من عمره وسبق له ان أعلن موقفاً متصلباً ضد تعاطي المخدرات.

Condensed from Toronto Star (March 23, April 12, '84)

This material also appeared in «The 1984 Annual Report of the Ontario Press Council»

أ. هل تنشر نبأ الاعتقال؟
ب. هل تنشر النبأ لو أن الاعتقال تم لبيع نصف كيلوغرام من الماريوانا؟
ج. هل تنشر النبأ لو أن الاعتقال تم لحيازة الشاب الكوكايين؟

القضية الثانية

لدى الصحيفة أدلة دامغة على تورط شخصية مرموقة في اختلاس ٥٠ ألف دولار من جمعية خيرية ترئسها تلك الشخصية. لا يملك القصة سواك، ولم تُرفع أي دعاوى قضائية في هذا الصدد. تتصل الصحيفة بالرجل فيتعهد اعادة كامل المسروقات ويرجوك ألا تنشر الخبر لأن زوجته أدخلت المستشفى لاصابتها بنوبة قلبية، وهو يخشى أن يتسبب فضح أمره في وفاتها. فهل:
أ. تنشر الخبر الآن؟
ب. تتريث قبل نشر الخبر ريثما تستشير الأطباء وتتأكد من أن المرأة تجاوزت مرحلة الخطر المباشر؟
ج. تعطي الرجل فرصة للتوبة واعادة المسروقات، فاذا فعل صرفت النظر عن الموضوع نهائيا؟

القضية الثالثة

تبرع رجل أعمال معروف بمبلغ ١٠ ملايين دولار لاحدى الجامعات من أجل بناء مدرج للالعاب الرياضية. واثناء تنقيبك في ماضيه لكتابة نبذة عن حياته تكتشف أنه اعتقل حين كان في الثامنة عشرة لتورطه في عملية سطو مسلح وأصدر عليه حكم مؤجل. ومذذاك وسجله نظيف. انه يرفض الكلام على تلك الحادثة ويؤكد لك أنه كتمها حتى عن أقرب الناس اليه. واذا نشرت القصة فهو مزمع على سحب تبرعه. لذا يسألك المسؤولون في الجامعة عدم فضح أمره. فهل:
أ. تنشر قصة تتضمن تفاصيل الاعتقال كحلقة في سلسلة حياته؟
ب. تمتنع عن نشر قصة الاعتقال ريثما تحصل الجامعة على المال؟
ج. تقرر أن معلومات الاعتقال ليست مهمة فتغض الطرف عنها؟

القضية الرابعة

شاهدة عيان تعوق تنفيذ سرقة في مصرف، ويتمكن اللصوص من الفرار. ويطلب منك مدير المصرف ألا تكشف هوية المرأة خوفاً عليها من عمل انتقامي. فهل:
أ. تتبع أسلوبك التقليدي في ذكر الاسم والعمر والعنوان؟
ب. تذكر الاسم من دون العنوان؟
ج. تغفل ذكر الاسم وتصف المرأة فقط كشاهدة عيان؟

القضية الخامسة

حلت في مدينتك عصابة متخصصة بالسطو على المنازل. وتخبرك الشرطة أن أفراد العصابة يقرأون بابَي الوفيات واعلانات الزفاف في صحيفتك لاختيار الضحايا من الأشخاص الغائبين عن منازلهم. وتطلب منك وقف هذه الاعلانات بضعة أسابيع أملا أن يدفع هذا الاجراء أفراد العصابة الى مغادرة المدينة. فهل:
أ. تتابع نهج عملك الحالي؟

ب. تحذف العناوين من اعلاناتك؟

ج. تلبي طلب الشرطة وتنشر مقالا يوضح اهداف سياستك الجديدة؟

وهنا النسبة المئوية للذين أجابوا بـ"نعم" عن كل سؤال:

		القراء ٪	المحررون ٪
القضية الاولى	(أ)	٥٤	٧١
	(ب)	٧٨	٩٠
	(ج)	٦٧	٨١
القضية الثانية	(أ)	٢٢	٦٢
	(ب)	٤٥	٣٣
	(ج)	٣٠	صفر
القضية الثالثة	(أ)	٤	١٠
	(ب)	٣	صفر
	(ج)	٩٣	٩٠
القضية الرابعة	(أ)	١	٥
	(ب)	٦	٣٨
	(ج)	٩٢	٥٧
القضية الخامسة	(أ)	١٥	٥٢
	(ب)	٤١	٤٩
	(ج)	٤٠	١٩

كيف أتولى أنا هذه القضايا؟

القضية الاولى: أنا لا أنشرها. فنحن لا ننشر عادة أنباء عن أشخاص يعتقلون لحيازة كمية ضئيلة من الماريوانا! وكون والد الشاب شخصية مرموقة لا يبرر نشر الخبر. فما مدى مسؤولية أب عن تصرفات ابنه الذي بلغ التاسعة عشرة؟

أما السؤالان "ب" و"ج" فهما أكثر خطورة وجدية، ونحن ننشر تقارير مماثلة عادة، اذ ان الاتجار بالمخدرات يؤثر في الآخرين وهو جريمة خطيرة. كما ان عقاب حيازة الكوكايين هو السجن والغرامات المالية الباهظة.

القضية الثانية: أنا أنشر النبأ، لأن الرجل مؤتمن على أموال عامة وقد أساء الأمانة. لكنني أنذر الأطباء كي يتخذوا الاجراءات الوقائية المناسبة لحماية الزوجة.

القضية الثالثة: الاعتقال الذي حصل أيام المراهقة هو غير ذي أهمية الآن، والحكم المؤجل يشير الى أسباب تخفيفية وجيهة. لذا لا أنشر نبأ الاعتقال اطلاقا، وأحرص على ألا تتعدى القصة التي أنشرها نطاق الشخصية الحالية لرجل الأعمال.

القضية الرابعة: أكتفي بوصف المرأة كشاهدة عيان. فهي الوحيدة القادرة على كشف هوية المعتدين، ومن أولى واجباتي حمايتها. ولا أعتقد أن حذف اسمها يقلل من أهمية النبأ، على أن تذكر كل تفاصيل مشاهداتها.

القضية الخامسة: أستمر في نشر إشعارات الوفاة والزواج لانها في رأيي مهمة. ولا تتضمن اشعاراتنا أي عناوين في العادة. كما أبادر الى نشر مقال يوضح أسلوب العصابة كتحذير للقراء والمواطنين.

جون ميلر ■

على
ان قدرات الاطباء والباحثين
التحكم بالنسل تجاوزت العرف
التراثي والاخلاقي للبشر. وفي خضم
التقنيات المختلفة المعقودة حالياً،
رسم الشرع الاسلامي الخطوط الحمر
لعمليات الانجاب غير الطبيعي

أطفال الأنابيب فتوى ترسم الخطوط الحمر

منذ ولدت لويز براون كأول طفل في العالم يخرج من "أنبوب اختبار" في أحد المستشفيات البريطانية في ٢٥ يوليو (تموز) ١٩٧٨، حدث ما يزيد على ألف ولادة من هذه. وهناك ما يربو على ربع مليون طفل مدينون للتلقيح الاصطناعي بمجيئهم الى هذا العالم، اذ استعين بنطف من رجال ليسوا هم الآباء الشرعيين للاطفال. ومن الممكن اليوم توليد طفل يتحدّر من خمسة أشخاص أو أكثر. واحدة من هؤلاء تكون الام التي تلد الطفل فعلا. واثنان آخران يكونان الوالدين "الوراثيين"، وهما الرجل والمرأة اللذان يقدمان النطفة والبييضة فيمزجهما الاطباء في أنبوب مخبري أو صحفة مخبرية (١) ومن ثم يزرعونهما كمضغة (جنين) حية في رحم أم "بديل". وأخيراً يأتي الابوان "الحقيقيان" وهما الرجل والمرأة العقيمان اللذان يأخذان المولود الى بيتهما ويدعوانه طفلهما. وقد تدخل الشرع الاسلامي في هذا المجال محدداً المحلل والمحرم (نص الفتوى في مكان آخر).

ومع توصل الاطباء والباحثين الى قدرات للتحكم بالنسل تتجاوز العرف التراثي والاخلاقي للبشر، واجهت عملية الحمل "الاصطناعي" تساؤلات طبية وقانونية وأخلاقية ملحّة. هل ينبغي أن يسمح بالامومة البديل؟ هب ان الطفل ولد مشوهاً أو معاقاً! هل تترتب لواهب

---

(١) Petri dish

النطفة أي واجبات أو حقوق في المولود؟ هـل يحق لجميع الازواج والشـاذين والعازبين أن "ينجبوا" بأي وسيلة؟ هل ينبغي على الحكومات أن تضع أنظمة تقيّد التقنيات الجديدة؟ واذا كان الامر كذلك، فكيف؟

أظهرت عناوين الصحف حديثاً ان هذه التساؤلات ليست أكاديمية فحسب. ففي العام ١٩٨٤ أثارت قضية كورين بارباليه فرنسا كلها، وهي أرملة شابة رفعت دعوى من أجل استرداد سائل منوي مجلد خلّفه زوجها قبل موته في مصرف لحفظ المني، وربحت الدعوى. ومن سخرية القدر أن الارملة لا تزال من دون عقب لأن المني المجلد كان في حال ضعيفة. وفي أوستراليا، بعد أشهر من المناظرة، وافقت السلطات في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ على البحث عن أبوين بـديلين لجنينَين "يتيمين" كـانـا محفوظين في برّاد تجليد في احدى عيادات ملبورن لزوجين من كاليفورنيا قضيا في حادث سقوط طائرة وخلفا ثروة بلغت مليون دولار. وفي ألمانيا الغربية اعلن في شهر فبراير (شباط) ١٩٨٥ أن امرأة تلقت مبلغ ٣٧ ألف مارك الماني (١٣ ألف دولار) لكي تحمل جنيناً وتلده لزوجة عاقر، فأنجبت طفلا ولكن... من زوجها هي.

أطفال بعد سن اليأس! - يشهد التلقيح الاصطناعي اليوم صراعاً بين ثلاث قوى متعارضة. العلمـاء، أولاء، ملتزمون كشف خفايا الحمـل وجعل الانجاب أمراً متاحاً لملايين الازواج المحرومين الذين تقدر نسبتهم بزوجين في كل سبع زيجات. وللحكومات، ثانياً، اهتمام قانوني في تأمين انتظام انتقال الحياة من جيل الى آخر. وأخيراً، كثيرون من الناس يعارضون التلقيح الاصطناعي على جميع المستويات لاعتبارات أخلاقية ودينية.

وبالمقارنة مع الفيزياء الحديثة أو أبحـاث السرطـان، يعتبـر الانجـاب الاصطناعي في الاساس امراً بسيطاً جداً. وأحد أساليبه التلقيح داخل الانبوب الزجاجي الذي لا يتطلب أكثر من أخذ بييضة من امرأة مخصبة ونطفة من رجل مخصب وحفـز هـاتين الـوحـدتين المتناهيتين في الصغر على الالتئام في مضغة حية مهيأة للزرع في رحم ينتظرها. والتوقيت الصحيح والجراحة الدقيقة جوهريان. أما الزرع الاصطناعي فانه أبسط: يحقن المني الحي في مهبل امرأة وقت الاباضة. وثمة منحى آخر استخدم حديثاً هو نقل المضغة من امرأة واهبة الى رحم امرأة عاقر.

تعتمد طريقة التلقيح في الانبوب الزجاجي في الحالات التي تكون قنوات فالوب لدى النساء مسدودة أو تالفة. وبما أن هذه الطريقـة تستخدم النطفـة والبييضة من الزوجين نفسهما، فلا تقوم أي مشاكل قانونية ذات شأن. لكن احتمالات الانغماس في تطبيقات أبعد مدى تؤدي الى تعقيدات قانونية، تبدو مفتوحة على ما لا نهاية. مثلا، في حال التلقيح الاصطناعي من طريق طرف ثالث، وهذه يُلجأ اليها في حال عقم الزوج، يولد الطفل من أبوين لم يجتمعا

الإسلام أجاز ثلاثة أساليب

في الفتوى الشرعية المبرمة التي اصدرها المجمع الفقهي الاسلامي في مكة المكرمة العام الماضي، حث المجمع الازواج على عدم اللجوء إلى التلقيح الاصطناعي إلا في حالات الضرورة القصوى.

وحدد المجمع الطرق السبع المعروفة للانجاب عن طريق الأنابيب الاصطناعية والحكم الشرعي لكل طريقة.

"الاولى: أن تؤخذ النطفة الذكرية من رجل متزوج، وتحقن في الموقع المناسب داخل مهبل زوجته او رحمها، حتى تلتقي النطفة التقاء طبيعياً البويضة التي يفرزها مبيض زوجته، وهذا الاسلوب جائز شرعا.

الثانية: ان تؤخذ نطفة من رجل وتحقن في الموقع المناسب من زوجة رجل آخر حتى يقع التلقيح داخلها وهذا الأسلوب غير جائز شرعاً.

الثالثة: أن تؤخذ نطفة من زوج وبويضة من زوجته، ثم توضعان في أنبوبة اختبار ويتم التلقيح ثم تنقل في الوقت المناسب من أنبوب الاختبار إلى رحم الزوجة، وهذا الأسلوب مقبول مبدئيا في ذاته بالنظر الشرعي لكنه غير سليم تماما من موجبات الشك في ما يستلزمه ويحيط به من ملابسات فينبغي الا يُلجأ إليه إلا في حالات الضرورة القصوى وبعد أن تتوافر الشروط العامة المشار إليها سابقا.

الرابعة: أن يجرى تلقيح خارجي في أنبوب الاختبار بين نطفة مأخوذة من زوج، وبويضة مأخوذة من مبيض امرأة ليست زوجته يسمونها "متبرعة" ثم تزرع اللقيحة في رحم زوجته، وهذا الأسلوب غير جائز شرعاً ومحرم تحريماً مطلقاً.

الخامسة: أن يجرى تلقيح خارجي في أنبوب اختبار بين نطفة رجل وبويضة من امرأة ليست زوجة له ويسمونهما "متبرعين" ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة أخرى متزوجة وهذا الأسلوب لا يجوز شرعاً ومحرم تحريماً مطلقاً.

السادسة: أن يجرى تلقيح خارجي في وعاء الاختبار بين بذرتي زوجين ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة متطوعة بحملها وهذا الأسلوب لا يجوز شرعاً ومحرم تحريماً مطلقاً.

السابعة: كالطريقة السادسة نفسها غير أن المتطوعة بالحمل هي زوجة ثانية للزوج صاحب النطفة، فتتطوع لها ضرتها بحمل اللقيحة عنها، وهذا الأسلوب جائز عند الحاجة وتكون الزوجة المتطوعة بالحمل عن ضرتها في حكم الأم الرضاعية للمولود لأنه اكتسب من جسمها وعضويتها أكثر مما يكتسب الرضيع من مرضعته في نصاب الرضاع الذي يحرم به ما يحرم من النسب."

واوضح المجمع انه في الحالات الثلاث التي أجازها، فإن نسب المولود يثبت من الزوجين، ويتبع الميراث والحقوق الاخرى بثبوت النسب وحين يثبت نسب المولود من الرجل والمرأة يثبت الارث وغيره من الأحكام.

(عن "المسلمون"، عدد ٣٠ - ٣٦ يوليو ١٩٨٥م)

أبداً. ويقول الدكتور جين كوين مدير عيادة العقم في سيفر بفرنسا: "ان ثورة تحدث الآن، ونستطيع توقع انجاب اطفال بعد سن اليأس أو الحمل بينما الزوج في السجن."

قضية الطفل كوتون - كثيرون من الاطباء يقولون انهم يرحبون باشتراع شامل للحد من احتمالات سوء استعمال التلقيح الاصطناعي ومن التعقيدات القانونية المحتملة. وفي الوقت الراهن يتبع معظم المراكز الرئيسية لعلم التناسل في العالم قواعد أخلاقية خاصة غالباً ما تكون على أساس كل حالة بمفردها. لكن لجنة عينتها الحكومة البريطانية في شهر يوليو (تموز) ١٩٨٤ أوصت باحداث سلطة قانونية تراقب استخدام التلقيح في الانبوب الزجاجي والتبرع بالمني والبييضات وسوى ذلك من نواحي أبحاث الانجاب. واقترحت هذه الهيئة كذلك حظر تأسيس وكالات لتأمين الامهات البديلات.

وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ أقرت ولاية فيكتوريا في أوستراليا أول قانون شامل ينظم الانجاب بالتلقيح الاصطناعي. وينص القانون على وجوب حفظ قيود مفصلة عن الهوية الوراثية الحقيقية للطفل، ويعطي وزير الصحة في الولاية سلطة القرار في شأن "الاجنة اليتيمة" ويحظر ازدواجية التلقيح والتهجين بين الفصائل والامومة البديل.

وتركز الاهتمام الشعبي حديثاً على الامومة البديل التي لا تزال من دون ضبط في معظم أنحاء العالم. والعادة أن يتفق زوجان محرومان من الاولاد مع امرأة على أن تلقح اصطناعياً بمني الرجل ثم تحمل الجنين حتى الولادة. وعلى رغم أن الاجر يمكن أن يبدأ بخمسة آلاف دولار فان هذه الطريقة تبقى غالباً أرخص من التلقيح في الأنبوب الزجاجي وأكثر ضماناً.

دعاة الامومة البديل يعتبرونها طريقة انسانية. وتقول أم بديل تنتمي الى جمعية "اللقلاق" (٣) الفرنسية التي انشئت لتقيم اتصالات بين النساء الراغبات في الحمل والازواج المحرومين من الانجاب: "الابوان الحقيقيان هما اللذان يربيان الطفل فعلا."

نقطة للحسم - في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ اشتد الجدل حول هذه المسألة نتيجة "قضية الطفل كوتون" اذ منعت الام البديل كيم كوتون بموجب أمر قضائي من اخراج الطفل الذي وضعته من المستشفى الذي ولد فيه. وأخيراً قررت المحكمة العليا تسليمه الى الزوجين اللذين تعاقدا مع المرأة ومنح هذه مبلغاً كبيراً من المال. لكن رد الفعل لدى الرأي العام حدا البرلمان على اتخاذ تدابير لحظر الامومة البديل بكل مظاهرها.

وثارت معارضة أشد لابحاث الاجنة. وحظي النائب اينوك باول بتأييد ساحق في البرلمان البريطاني لمشروع قانون يمنع اجراء أبحاث حول الاجنة في بريطانيا. وعبر باول عن "شعور عميق وغريزي بالاشمئزاز والقرف" تجاه

(٣) اللقلاق، ويدعى stork بالانكليزية و cigogne بالفرنسية، طائر تروي حكايات الاطفال انه يأتي بالمواليد الجدد الى بيوت ذويهم.

الافتراض الذي يعتبر أن الحياة البشرية في الجنين يجب أن تخضع للتجارب من أجل اكتساب المعرفة.

وأثار مشروع القانون الذي قدّمه باول مخاوف علماء التناسل في بريطانيا الذين يعتبرون من الابرز في العالم في مجال أبحاث الاجنة. ويقول الدكتور ايان كرافت الذي يرئس قسم الطب النسائي في مستشفى كروموبل بلندن: "ان ما بين ١٥ و٣٥ في المئة من كل النساء يُسقطن بعد أن يحملن بأسلوب التلقيح في الانبوب الزجاجي. ولكي نعرف السبب ينبغي أن نجري اختبارات على الاجنة."

ويعتبر بعض النقاد ان في الامر كبراً علمياً عابثاً. ويقول الاختصاصي بالطب النسائي لدى القصر الملكي سابقاً السير جون بيل، وهو أيد مشروع القانون الذي قدّمه باول: "ان العاملين في البحث العلمي يضمرون نيات طيبة، الّا انهم بالطبع يريدون ان يواصلوا مشروعاً بدأوه."

ويشمل الجدول الحالي للابحاث أعمالا تجرى على الصبغيّات الوراثية (chromosomes) والتشوهات الخلقية وسواها من المواضيع الواسعة المدى التي تتخطى مجرد الوصول بتقنيات الانجاب الاصطناعي الى درجة الكمال، وربما برّرت المخاوف من طغيان عالم جديد جريء.

وينتهي الجدل حول أبحاث الاجنة عند النقطة عينها التي لم تحسم بعد في الجدل حول الاجهاض (الاسقاط): متى تنقطع مجموعة الخلايا الحية عن كونها مجرد مادة بيولوجية لتصبح كائناً بشرياً سوياً له حقوق؟

في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ أقام الدكتور كرافت حفلة لاكثر من ٦٠ طفلا تم حملهم بعد التلقيح في الانبوب الزجاجي وساهم هو في اخراجهم الى الحياة. وقال "ان ما يؤلمني هو غياب أطفال آخرين عن حفلتنا، وكان يمكن أن يكونوا معنا لو أتيح لنا اجراء المزيد من الاختبارات."

قلة من الناس يمكن ان تعارض ذلك، لكن المعضلة تبقى: هل يجوز وضع السلطة العليا في شأن الولادة في أيد غير مأمونة لبشر زائلين؟

سبنسر رايس ■



العلاقات الاجتماعية

يقول الرسام الايطالي ايرنستو تريكاني في العلاقات الاجتماعية: "انك لن تجد بناء العلاقات الناجحة مع الآخرين عملية سهلة الا اذا بذلت كل جهد ممكن لتفهم نفسك. ان ذاتنا تنعكس في الآخرين، والآخرون هم المقياس الذي يمكن به حقاً ان نتعرف على ذواتنا.

ج.ش.

الفكاهة قوة عظيمة اذا تمتعت بها كنت بامان، على الاقل من نفسك.

س.ر.

هل تحلم بتأسيس عمل في منزلك؟
هنا ستة إرشادات قد تساعدك

أفضل مكانٍ للعمل الحرّ!

• في سانت هيلينا بولاية كاليفورنيا يدير توم شايبل وعائلته متجراً للتحف الأثرية في منزله. ويقول: "بما انني أوفر ايجار المتجر والضرائب المترتبة عليه، فانني أتمتع بوضع مالي أفضل اذ أعمل في منزلي."

• في جاكسون هول بولاية وايومينغ يعج منزل بول ومارلين هارتمان بالقوالب الخشبية للقبعات وبماكينات الخياطة وبالكثير من القبعات. وتبيع شركة جاكسون أسبوعياً أكثر من ٢٠ قبعة من فرو القندس تراوح أسعارها بين ٦٠



و ١٤٠ دولاراً. ويؤكد هارتمان الذي كان يعمل اختصاصياً بالدماغ الالكتروني: "لم نكن نملك المال الكافي لتأسيس عمل خارج المنزل، والآن نحب وضعنا."

● في مدينة واشنطن بولاية نيوجرزي تمضي غيل لوكومت نهارها وهي "تلعب" مع ٥٠ عنزة أو تحوّل حليبها أجباناً فاخرة. وقد ازدهر عملها فوظفت شخصين آخرين.

هذه أمثلة بسيطة من قطاع في الاقتصاد يشهد نمواً سريعاً، وهو قطاع الاعمال المنزلية. وعلى رغم صعوبة ايراد احصاءات دقيقة في هذا المجال فان التقديرات تشير الى أن ما يزيد على عشرة ملايين شخص يكسبون أرزاقهم في منازلهم. ويزداد اهتمام الناس بوظائف يحبونها، تخولهم التحكم بأوقات عملهم ومداخيلهم. وإذ تتجه الولايات المتحدة نحو اقتصاد يعتمد تحليل المعلومات والخدمات الشخصية، فقد تولّدت فرص عمل جديدة مربحة. فبحسب دراسة أجرتها مؤسسة «AT&T» تبين أن ٤١ في المئة ممن يعملون داخل منازلهم يكسبون ٣٠ ألف دولار أو أكثر سنوياً. فلا عجب ان يظهر أحد استطلاعات الرأي أن العمل داخل المنزل هو الحلم السري لثلث العمال الأمريكيين.

وعلى رغم اختلاف تفاصيل بدء هذه الاعمال فان ممارسيها يجمعون على ستة مبادىء للنجاح:

١. اختر عملا تتقنه وتهواه. هناك وسيلتان لاكتشاف العمل الذي يناسبك، فاما أن تحول احدى هواياتك عملا واما أن تدرس حاجة السوق المحلية الى منتجات أو خدمات تستمتع أنت بتأمينها.

تشارلز برين من شافتسبوري بولاية فيرمونت ترك عمله كمراقب في قسم طلاء المفروشات في أحد المصانع بعد ٣٤ سنة في الخدمة. وأسس مشغلا في منزله منضماً بذلك الى فئة الاشغال اليدوية والحرف التي تشكل ١١ في المئة من الاعمال المنزلية. وذاع صيته فصار الناس يقصدونه من أماكن بعيدة. وهو الآن في السادسة والسبعين، وقد أدار عمله الخاص ٣١ سنة حافظ خلالها على وضع مالي جيد وصدقية في العمل.

وفي العام ١٩٧٧ عادت جين بوستون الى منزلها في توسون بولاية أريزونا بعد مشاركتها في مهمة للسلام في البحر الكاريبي. وظنت انها مؤهلة في عمر الثالثة والخمسين لتكون أكثر من معلمة للغة الانكليزية، وهي وظيفتها السابقة. وكانت بين حين وآخر تعمل في رعاية المنازل أثناء غياب أصحابها. وأدركت أن الناس مستعدون للدفع بسخاء في مقابل رعاية جيدة لممتلكاتهم. وكانت تعي رغبة بعض المتقاعدين المتمرسين بادارة المنازل في جني دخل اضافي، فأنشأت "شركة" تقدم هذه الخدمات. وهي توظف الآن ٣٥ شخصاً.

٢. نظم نفسك. في العمل المنزلي لا وجود لشخص يقرر متى تعمل وماذا وكيف. فان لم تملك ارادة قوية للانضباط، وان لم تحسن انتقاء أولوياتك، فقد تواجه مشاكل لا حد لها.

قبل سنوات كانت اميلي هاتر من

داريين بولاية كونتيكت تقارن بين موجبات العمل في المكتب وتدبير المنزل وتربية الأولاد. ولما اعتبرت نفسها امرأة منضبطة ومنظمة فقد تركت عملها المكتبي وبدأت مسك الدفاتر لبعض الأعمال الصغيرة والافراد. وظنت أنها تستطيع التركيز في البيت أكثر منها في المكتب نظراً الى وجود زوجها في عمله وأولادها في مدارسهم. لكن ظنها خاب.

وهي تتذكر: "كلما رفعت عيني رأيت شيئاً يجب انجازه في المنزل. وكنت أقدّر أنه يتطلب بضع دقائق، لكن أفكاري كانت تتشوش فاضطر الى العودة بعملي الى نقطة البداية. ثم تعلمت أن ألج غرفة نومي في الطبقة العلوية فأوصد الباب وأعمل في "مكتبي" حتى انجاز جميع مهماتي. وأنا الآن أضع برنامج عمل أنجز بموجبه كل شيء في الوقت المناسب."

٣. كن متضلعاً من القوانين والأنظمة المرعية في الأعمال المنزلية، كذلك من قانون الضرائب. فالحكومة الفدرالية الامريكية وسلطات ١٨ ولاية تمنع بعض ضروب الأعمال المنزلية. وعلى رغم أن وزارة العمل الأمريكية رفعت الحظر المفروض منذ ٤٣ عاماً على صنع الألبسة المحوكة يدوياً في المنزل، فانها لا تزال تمنع صنوفاً اخرى من الصناعة المنزلية. وبين مختلف الولايات تبرز نيويورك التي تحظر الأعمال المنزلية في كل "الصناعات"، والمعني بذلك أي عمل له طابع صناعي. بينما تعدد ولاية كاليفورنيا سبعة ممنوعات من بينها الألعاب والألبسة.

وتبذل جهود حثيثة لالغاء هذه القوانين بهدف تشجيع الاعمال الصغيرة. وهناك انظمة في بعض البلدان تمنع استعمال المسكن للاعمال التجارية مما يبدل طبيعة العقد بين المستأجر والمؤجر، خصوصاً في لبنان، كذلك هناك قوانين تحول دون المزاحمة غير المشروعة وتفترض ان صاحب المشغل أو المتجر يوظف مالا وجهداً في مشروعه بينما الشخص العادي لا يوظف سوى القليل فيتدخل القانون لمصلحة الاول. وثمة انظمة في بلدان معينة تصنف الحرف والصناعات فتحصرها في اشخاص واماكن وتمنع تركيب اجهزة صناعية في اماكن معينة، كما تمنع استعمال الآلات التي تصدر ضجيجاً معيناً خلال اوقات محددة في النهار او الليل. ويمكن مراجعة الوكالات المختصة للاطلاع على القيود التي تنطبق على وضعك. ولكن لا تفشل اذا بدت الأمور سيئة للوهلة الاولى. فقد تلجأ الى بعض الحيل الذكية كتركيب عازل للصوت لخفض مستوى الضجة أو اعطاء المواعيد للزبائن.

ومن الضروري أيضاً الاطلاع على قوانين الضرائب والضمان الاجتماعي. ففي بعض البلدان مثل فرنسا للحرفي الذي يعمل في منزله وضع خاص وموجبات خاصة كذلك. اما القانون الامريكي فيسمح بحسومات على القسم من بيتك الذي "تستعمله دائماً وكلياً" للعمل، حتى وان يكن ذلك القسم زاوية في غرفة الطعام. وبناء على نسبة المساحة التي يحتلها العمل بالمقارنة مع بقية أجزاء المنزل يمكن حسم نسبة مئوية مماثلة من فائدة

الرهن العقاري وضرائب المسقفات (الضريبة على الملكية)، والتأمين والمنافع وما شابه. كما يمكن حسم التكاليف العملية العادية مثل التنزيل الاستهلاكي على المعدات والعلاوات لسيارات العمل وشراء المواد.

٤. **استعمل فكرك، توفر مالاً.** ان العنصر الاهم في تأسيس عمل منزلي وانجاحه هو فرصة العمل برأس مال ضئيل بدمج مكاني العمل والسكن. وينصح صاحب عمل منزلي بالآتي: "اذا واجهتك مشكلة لا تستعن بالمال لحلها، بل استعن بفكرك وقوتك وروحك."

٥. **احصل على العون اللازم.** أكثر من ٧٠ في المئة من الأعمال الصغيرة هي ملكيات فردية. لكن ادارتك عملا لوحدك ربما كلفت الكثير. فقد تحتاج الى استشارة اختصاصيين، كمحاسب ينصحك حول الضرائب ومسك الدفاتر وعميل تأمين يضمن لك الحماية الوافية. واذا قررت تأسيس شركة او الدخول في مشاركة فستحتاج الى خدمات محام.

وهناك وسائل للتدبر بموازنتك الضيقة والحصول في الوقت نفسه على المساعدة في نواح من العمل تمقتها أو لا تحسنها. فقبل عشر سنين بدأت أليس هايز الموظفة في شركة تجارية في مدينة واشنطن ببيع زملائها ألبسة مستوردة في استراحة الغداء. وما هي الا فترة قصيرة حتى غدت هايز تدير في منزلها عملا متكاملا، فتشحن البضائع وتنجز المعاملات وتدفع ضرائب الجمارك الى ما هنالك. ونظراً الى كثرة المهمات طلبت من أختها المتخرجة حديثاً في ادارة المتاجر الكبرى أن تشاركها في عملها. وتقول هايز: "رفع ذلك عملي من هواية الى احتراف، لان أختي تملك روح ادارة الاعمال التي افتقدها أنا."

٦. **حدد طموحك الشخصي.** لا بد للأشخاص الناجحين في الأعمال المنزلية من أن يقرروا عاجلا أو آجلا ما اذا كان طموحهم هو التوسع خارج المنزل حيث مجالات الربح أوفر أو البقاء في المنزل حيث الاستقلالية.

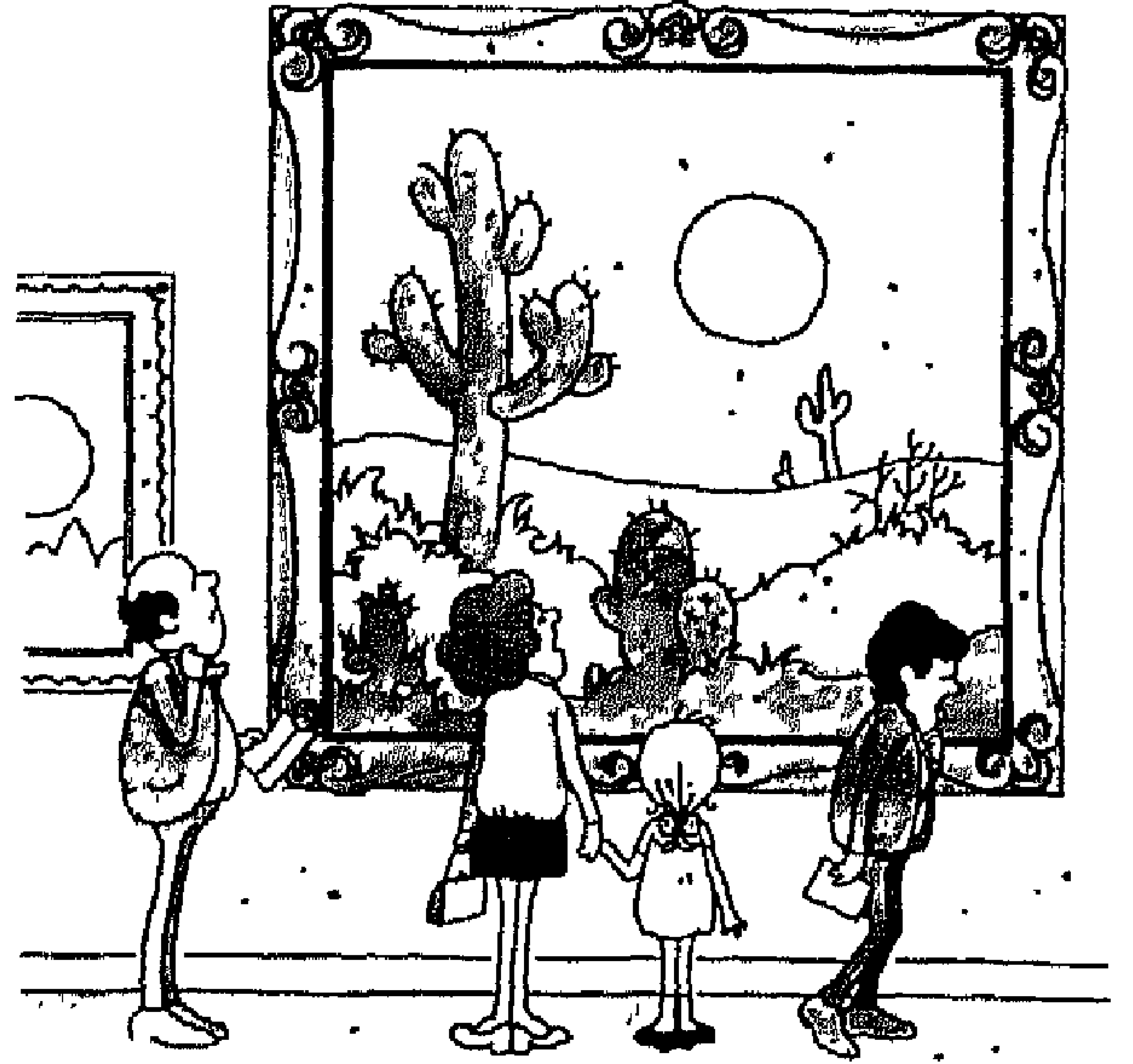
"ديفا" شركة ألبسة ترسل طلباتها بالبريد، وهي قائمة في منزل جون ونانسي كوكر في بوركيتسفيل بولاية ماريلاند. ففي ثماني سنوات فقط تمكن الزوجان من انشاء عمل يغل ربحاً سنوياً غير صاف بقيمة مليون دولار. وتتولى ١٢ امرأة تحضير الطلبات في بناءين صغيرين خارجيين، ويبقين على اتصال في ما بينهنّ وبالمكتب الرئيسي في المنزل بواسطة جهاز صغير للاتصال. ويقول جون كوكر: "لو انتقلنا الى مصنع لكان وضعنا أفضل ولازدادت أرباحنا. لكننا في تلك الحال نخسر معنى عملنا كله."

صموئيل شراينر الابن ■



هناك بركة أكبر عندما تعطي عوض أن تأخذ وبخاصة صغار القطط.

ب.ك.



دائرة المعارف

الادب العربي زاخر بالصور والتشابيه والاستعارات والامثال التي تنم عن سعة خيال. وهنا عشرون عبارة من هذه. وقد وضع أمام كل منها ثلاثة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. طلب الأبلقَ العقوق: أي الثأرَ - ما لا يمكن - يدَ الحبيبة.

٢. صاحت عصافير بطنه: أي خاف - غاب عن الوعيِ - جاع.

٣. فلان ما تبِض عينه: أي انه صبور على المصيبة - لا ينام - ليس بحاسد.

٤. خرج القوم بآيتهم: أي بسلاحهم - بجماعتهم - تدريجاً.

٥. رَغِم أنفُه: أي تكبر - مات اختناقاً - ذل.

٦. لا يدالِس ولا يؤالِس: أي لا يخادع ولا يخون - لا يسلي - لا يحل ولا يربط.

٧. ذهب حِبرُه وسِبرُه: أي مالُه ومجدُه - ظاهره وباطنه - حسنه وهيئته.

٨. فرس طوع الجناب: أي وفي - سهل القياد - كريم الاصل.

٩. اختلط الحابل بالنابل: أي ارتبك الامر - هطل المطر غزيراً - تجمع الناس أغنياء وفقراء.

١٠. شدَّ حذافيرك: تهيأ - تكلم بحزم - واجه المصاعب ولا تخف.

١١. حدِّث ولا حرج: أي ولا تُطِل - ولا اعتراض عليك في المبالغة - ولا تمِل.

١٢. رجل رقيق الحواشي: أي حسن الملبس - معتلّ الصحة - لطيف الصحبة.

١٣. ذهبوا خِذَعَ مِذَعَ: أي مطرودين - متفرقين - مِن دون مال.

١٤. فلان يخُط في الارض: أي يزرع - يفكر في أمره - يسافر كثيراً.

١٥. لا أصل له ولا فصل: أي لا حسب ولا لسان - لا رأس ولا ذنب - لا مال ولا جمال.

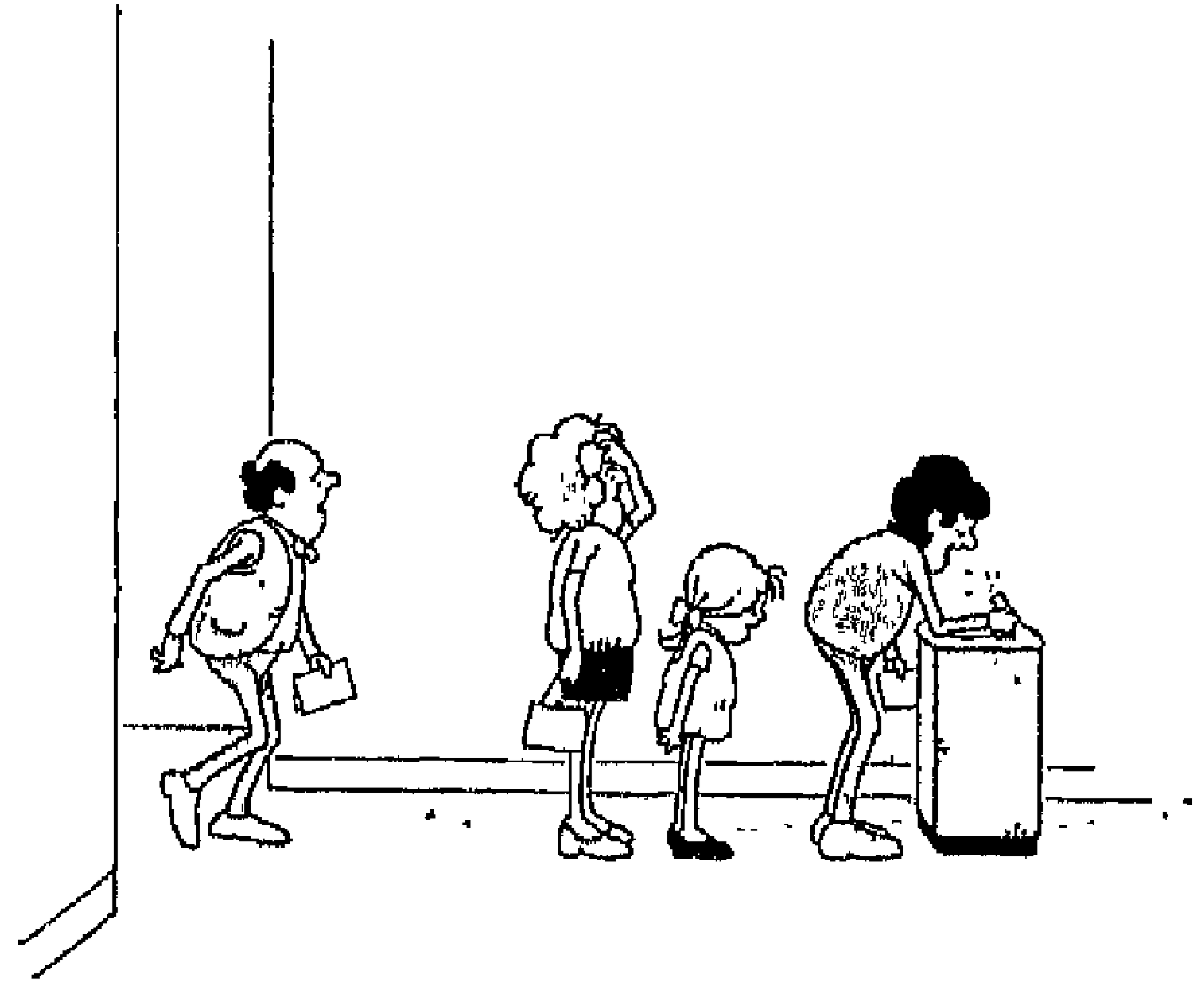
١٦. بَرح الخفاء: أي زال الالم - وضح الامر - طلع النهار.

١٧. هذا أمر تُعقَد عليه الخناصر: أي يُعتبَر ويحتفظ به - يفرِّق القوم - يصلح بين المتخاصمين.

١٨. ثُل عرشهم: أي عظم شأنهم - لم ينجبوا صبياناً - ذهبَ عزهم.

١٩. أرسلتُه خاطباً فتزوج: مثل يضرب للمغفَّل - للمتسرع - لمن أرسل في حاجة فقضاها لنفسه.

٢٠. رجل لقلاق بقباق: أي أكول - كثير الكلام - شديد الفقر.



الأجوبة الصحيحة

١. طلب الأبلقَ العقوق: أي ما لا يمكن، لأن الابلق الذكر والعقوق الحامل. ويقال: أعزّ من بيض الانوق، وهو مثل يضرب للمستحيل أو لما لا سبيل اليه. والانوق هي العقاب، وهي تحرز بيضها فلا يُظفر به لأن أوكارها في القلل الصعبة.
٢. صاحت عصافير بطنه: جاع. ألقت الدجاجة ذا بطنها: باضت.
٣. بَضّت العين: دمعت. يقال: فلان ما تَبِضّ عينه، أي انه صبور على المصيبة.
٤. خرج القوم بآيتهم: أي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً.
٥. رَغِمَ أنفُه: ذلّ. حَمِي أنفه: عَزّ.
٦. لا يُدالِس ولا يؤالِس: أي لا يخادع ولا يخون.
٧. ذهب حِبْره وسِبْره: أي حسنه وهيئته. يقال: فلان ليس له حِبْر، أي مثيل ونظير.
٨. فرس طوع الجِناب: سهل القياد.
٩. اختلط الحابل بالنابل: ارتبك الامر. حوّل حابله على نابله: جعل أعلاه أسفله. وَصل زيدٌ حبلَ عمرو: زوّجه ابنته.
١٠. شُدَّ حذافيرك: تهيأ. الحُذفور: الجانب، جمعه حذافير.
١١. حَدِّث ولا حرج: أي ولا اعتراض عليك في المبالغة. يقال: هو في حرج، أي في ضيق.
١٢. رجل رقيق الحواشي: لطيف الصحبة. كلام رقيق الحواشي: لين.
١٣. ذهبوا خِذَعَ مِذَعَ: أي متفرقين.
١٤. فلان يخطّ في الارض: أي يفكر في أمره. يقال: جاراه فما خَطّ غبارَه، أي لم يدركه.
١٥. لا أصل له ولا فصل: الأصل الوالد والفصل الولد، أو الأصل الحسب والفصل اللسان.
١٦. بَرِح الخفاء: وضح الامر.
١٧. هذا أمر تعقد عليه الخناصر: أي يُعتَبَر ويحتفظ به.
١٨. ثُلَّ عرشهم: ذهب عزهم.
١٩. أرسلته خاطباً فتزوج: مثل يضرب لمن أرسل في حاجة فقضاها لنفسه.
٢٠. رجل لقلاق بقباق: كثير الكلام.

الحصيلة

١٧ – ٢٠: ممتاز

١٣ – ١٦: جيد جداً

٩ – ١٢: مقبول



الحياة والموت مسألة توازن

"الحياة بحث مستمر عن التوازن. وكان الفضل لداء السرطان في تقويم كفتي الميزان عندي"

السيناتور السابق
بول تسونغاس

كنت أستحم حين شعرت بذلك التورم في أربيتي. (★) تبّاً له، انه فتق. لقد انهارت آمالي في المشاركة في ماراثون بوسطن الربيع المقبل.

وفي وقت لاحق من ذلك الصباح الواقع فيه ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ ذهبت لمقابلة الطبيب. وبصفتي عضواً في مجلس الشيوخ الامريكي عن ولاية ماساتشوستس كان يحق لي استشارة طبيب "الكابيتول" (مقر البرلمان الامريكي) الاميرال فريمان كاري. وتولى الطبيب فحصي ثم قال: "هذا الورم قد يكون أي شيء."

وشعرت برعدة خوف تجتاح كياني

(★) الأربية أصل الفخذ.

وقلت: "حسناً، أي شيء مثلا؟" كان السؤال بارداً لكن صوتي لم يكن كذلك.

وتحدّث الدكتور كاري عن أنـواع مختلفة من العدوى والالتهابات والعقد اللمفاوية وداء هودجكنز الذي يصيب الجهاز اللمفاوي وهو غير قابل للشفاء. قال انه سيتصل بي حالما تصل اليه نتائج الفحوص التي أجريت.

واتصل هاتفياً بمكتبي بعد ظهر ذلك اليوم وأخبرني أن فحوص الدم جاءت سلبية، لكن ثمة حاجة الى فحوص أخرى. فشكرته وأقفلت الخط وقد اجتاحني الخوف من جديد. واتصلت هاتفياً بزوجتي نكي وأخبرتها بكل شيء. واتفق رأيانا على أن الالتهاب هو التفسير المنطقي الوحيد وأن لا داعي الى القلق. ومع ذلك أرقت تلك الليلة.

في نهاية الاسبوع ذهبت نكي الى المكتبة لتقرأ عن داء هودجكنز. ولم أجد عندي رغبة في قراءة أي كلمة عنه ولا حتى التحدث عليه.

وفحصني الدكتور كاري ثانية يوم الثلثاء وأخذ لصدري صوراً شعاعية وقال: "أريد منك أن تستشير اختصاصياً." واتصل بمستشفى البحرية في باتيسدا بولاية ماريلاند وأخذ لي موعداً من الدكتور شن. وكان داء هودجكنز بؤرة الاهتمام.

وعندما رجعت الى البيت سألتني نكي هل سآخذها معي الى المستشفى فقلت: "لا أظن ذلك. لكني سوف أخبرك بما يقول لي الطبيب."

وكانت هذه غلطة مني. فقد ثارت نكي لأني أقصيتها محاولا أن أواجه قدري لوحدي كما يجدر بالرجل أن يفعل.

وأصغيت الى ما قالته وأدركت أننا تبادلنا الادوار. فحتى ذلك الحين كانت حياتنا تجري وفق مقتضيات مسؤولياتي أنا. فقد انقطعت نكي عن دراسة الحقوق بعد اكمالها سنة واحدة لكي تعنى بشؤون العائلة. لكن هذا الموقف الجديد يتطلب طاقة من نوع مختلف. كانت طاقة نكي أوفر. وهي أصبحت الآن الصخرة التي تقوم عليها عائلتنا.

"عد الى البيت" – رافقتني نكي يوم الاربعاء الى المستشفى. وعثر الدكتور شن والاختصاصي بالاورام الدكتور فيتش على عقد لمفاوية متورمة في عنقي وتحت أبطيّ. وعندما شاهدت الصور الشعاعية ازداد هلعي. كانت الاورام اللمفاوية منتشرة في أنحاء جسمي.

وحاولت وأنا في عيادة الدكتور فيتش أن أطرح عليه الاسئلة المتوقعة في مثل هذا الموقف. وكانت نكي أجرأ مني. فبعدما تسلّحت بالمعلومات التي حصلت عليها من المكتبة أمكنها أن تطرح أسئلة طبيّه محددة وتتلقى أجوبة مفصّلة.

الخطوة التالية كانت فحص عيّنة من النسيج الحي. وقد أجري هذا الفحص يوم الجمعة صباحاً. وبعد الظهر اتصل الدكتور فيتش بمكتبي هاتفياً وقال لي انه على رغم أن النتائج الكاملة لن تصل قبل يوم الثلثاء فقد اتضح اني مصاب بداء التورم اللمفاوي العقدي. وأضاف: "انه ليس من النوع السليم."

"ليس من النوع السليم!" يا له من أسلوب بارع للقول: "انه من النوع الخبيث."

واضاف الدكتور فيتش ان هذا الداء قد يكون قابلا للمعالجة، لكنه غير قابل للشفاء. وأقفلت الخط وجلست صامتاً، ثم اتصلت بزوجتي.

قالت لي بعدما أخبرتها بما جرى: "حسناً، ليس أمامنا سوى أن نقهر الداء، هذا كل ما في الأمر. عد الى البيت."

بعد ظهر ذلك اليوم تمددنا في فراشنا وأمواج من النقمة والاحباط واليأس تجتاحنا. لم يبق لي من نعمة سوى زوجتي نكي بقوتها وحبها لي. وكانت ابنتانا آشلي (٩ أعوام) وكاتينا (٦ أعوام) تلهوان في الطبقة الأرضية وابنتنا الثالثة مولي (عامان) نائمة في الغرفة الملاصقة لغرفتنا. وفي هذا الوقت أخذ ادراكي حقيقة أني مصاب بالسرطان يترسخ في نفسي ويبلغ أعماقي. وتساءلت: كم بقي لي في هذه الحياة؟ اني الآن في الثانية والاربعين. وابنتي مولي لن تتذكرني أبداً.

كلمات متفجرة - كان يوم السبت في ٨ أكتوبر (تشرين الاول) رائعاً، فقررنا أن نذهب في نزهة. واستمتعت بأشعة الشمس وأخذت أراقب نكي والبنات وهن يلهين، محاولا أن أخلّد هذه اللحظات في ذهني لتبقى معي ما حييت. كانت هذه المرة الاولى أتصور عائلتي تعيش وأنا لست معها. عندئذ تذكرت أن مناظر كهذه - أفراد عائلتي الاربع لوحدهن - حدثت كثيراً طوال السنوات التسع المنصرمة لأني كنت منشغلا عن عائلتي بمهماتي ومسؤولياتي السياسية.

وكانت حولنا عائلات أخرى، بعضها من دون آباء. وأخذت أتساءل: هل أولئك الآباء يقدرون حقاً قيمة اللحظة التي يكونون فيها مع أولادهم؟ ترى أين يكون أولئك الآباء الذين ليسوا هنا مع عائلاتهم؟ ماذا يمكن أن يكون أهم من كونهم هنا مع عائلاتهم؟

صباح الأحد اتخذت أنا ونكي بعض القرارات. أولا، سننتقل الى منزلنا السابق في لويل بولاية ماساتشوستس، وهي من ضواحي بوسطن. فهناك كان منزلنا وكانت عائلتنا في مجتمع أحببناه حباً جمّاً. ثانياً، سنبيع بيتنا في العاصمة واشنطن. ثالثاً، ستعود نكي الى كلية الحقوق. فاذا قدّر لها أن تصبح معيلة العائلة فان حصولها على شهادة الحقوق سيكون ضرورياً. وأخيراً، لن أترشح في انتخابات مجلس الشيوخ في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤. ان ما نواجهه الآن هو الحياة ذاتها وليس قضايا عادية ولا مهمات ولا طموحات سياسية. فالقضية الاساس هي كم سنة سأعيش بعد الآن.

اتصل بي الدكتور فيتش يوم الثلثاء ليؤكد صحة النتائج التي ظهرت الجمعة. قال اني مصاب بالتورم اللمفاوي العقدي، وانه من النوع البطيء - وهذا يعني غير السريع الانتشار - وربما سأشعر ببعض الألم وبتورمات وحمى وقشعريرة برد. وقال ان أمامي ثلاثة احتمالات، فاما لا معالجة قطعاً واما معالجة عادية نموذجية واما معالجة صاعقة. أما العقد اللمفاوية فانها قد تستجيب للمعالجة وقد لا تستجيب.

وأعقب هذا الكلام بعبارات تفجّرت

مدوّية في رأسي اذ قال: "ليس ثمة اثبات على أن للمعالجة أي أثر في اطالة الحياة. وحسبما نعرف فان هذا النوع من الداء اللمفاوي لم يبرأ أحد منه قط."

وباء القرون الوسطى – في اليوم التالي في مستشفى باتيسدا طرحت على الدكتور شن السؤال الذي لم أقو على طرحه من قبل: كم يتوقع لي أن أعيش؟

كان هذا هو السؤال. وقد ضايق الدكتور شن لكنه قال أخيراً: "ان المعدل، بحسب الاحصاءات المتوافرة، هو نحو ثماني سنوات."

ثماني سنوات؟ انتفض قلبي في ضلوعي. ان هذا أطول مما توقعت.

وعندما جئت أزف البشرى الى نكي قالت انها تعتقد أن علي أن أترشح في انتخابات مجلس الشيوخ. وتحدثنا في الامر وقرّرنا أن أترشح، مع أن العائلة ستنتقل الى لويل.

وأكد الدكتور جورج كانيلوس في معهد دانا فابر للسرطان في بوسطن أن النوع الذي أصبت به من الداء اللمفاوي قابل تماماً للمعالجة وأن كثيرين من المصابين به يعيشون سنوات طويلة حتى من دون معالجة. ولما كانت العقد اللمفاوية تحت ابطي وفي عنقي وكتفي صغيرة فلا داعي الى معالجتها في الوقت الحاضر.

وسألته: "ما رأيك في السنوات الثماني كفترة متوقعة للعيش؟" فأوضح لي أنها معدل احصائي وأن المعلومات المتوافرة حديثاً تشير الى ١٢ سنة أو أكثر.

وسألته: "ماذا تراني أصرح حين أعلن للرأي العام أني مصاب بهذا الداء؟"

وبدت علائم الدهشة على الدكتور كانيلوس وقال: "لو كنت مكانك لما أعلنت شيئاً الآن. ان للرأي العام حقاً في معرفة دائك حين يبدأ التأثير عليك أو حين تباشر العلاج. فالناس ينظرون الى السرطان وكأنه من أوبئة القرون الوسطى ولا يفهمونه."

وكانت فكرة اخفاء دائي عن الناس مقلقة لي. لكن وجهة نظر الاطباء أصابت الهدف. وحين دعمت نكي موقفهم حسم الامر لمصلحة الكتمان.

مستقبل مظلم – أمضت العائلة عطلة الميلاد في لويل، وكانت تلك فرصتي الاخيرة للراحة قبل انتهاء الحملة الانتخابية التي ستدوم ١١ شهراً. وقضينا وقتاً ممتعاً حقاً. كنا نتناول العشاء معاً كل ليلة، فلا استعجال للحاق بالطائرة ولا تقيد بمواعيد. وأخذت أفكر كم فاتني من هذه اللحظات السعيدة وأنا منشغل في تسلّق سلّم النجاح السياسي، وكيف سأتخلى عنها وأنا ماض في هذا السبيل.

وبعد أن تأوي البنات الى أسرتهن كنت أجلس ونكي لنتحدث. لقد خبرنا السلطة والاثارة في خوض المعترك السياسي الوطني. ولكن في الغرفة الملاصقة لغرفتنا تكمن السعادة الحقيقية. بناتنا. سعادة كل منا مع الآخرين.

يوم الاثنين في ٢ يناير (كانون الثاني) عدنا بالسيارة الى واشنطن. وفي صباح اليوم التالي غادرت الى بوسطن لأشارك في الحملة الانتخابية.

وفي تلك الليلة، بعدما قدت سيارتي منفرداً الى لويل، تمدّدت على فراشي وحيداً في بيت خال. في شهر يونيو (حزيران) ستعود العائلة لتقيم هنا على الدوام. ولكن سيتعيّن عليّ أن أقضي ثلاث ليال من كل أسبوع في واشنطن. وأخذت أفكر في ست سنوات ونصف سنة (على افتراض أني نجحت في الانتخابات) سآوي خلالها الى فراشي وحيداً يلفني السكون، بينما نكي في لويل تحاول أن توازن بين واجباتها العائلية ودروسها في كلية الحقوق. وبدا لي هذا المستقبل مظلماً.

وعدت بالطائرة الى واشنطن وقضيت معظم ذلك المساء في القراءة ومداعبة كاتينا وآشلي. وعادت بي أفكاري الى الليالي الثلاث التي سأقضيها وحيداً في لويل، وبدأت أدرك كم سيكون هذا الأمر غير عملي. هنا أنا سعيد مع عائلتي. هنا أجد المتعة والاكتفاء. وسرت الى غرفة النوم حيث كانت نكي متمدّدة يقظى في الظلام، واستلقيت على السرير وأخذت أحدق الى سقف الغرفة وقلت: "علينا أن نفكر في عدم خوض المعركة الانتخابية."

تحدثت مع نكي مطولا في الموضوع وبدا كأننا نعرف، حتى قبل أن نبدأ البحث، أننا سنغادر مجلس الشيوخ والعاصمة واشنطن كذلك. كان علينا أن نعود الى "البيت" بأصدق ما في هذه الكلمة من معنى.

يوم السبت أعلنا قرارنا للبنات وقلت لهن: "أريد أن أقضي وقتاً أطول معكن."

قالت آشلي: "ولكن يا أبي، لقد اعتدنا غيابك."

وجف قلبي من هذا الجواب لأنه لم يكن الذي توقعت. علي أن أبذل جهدي لأجعلها تعتاد عدم غيابي. واني عازم على الافادة تماماً من هذا الوقت المتاح.

البحث عن التوازن - يوم الخميس التالي وقفت في دار حكومة الولاية في بوسطن أتلو على الصحافيين بيان تقاعدي من العمل السياسي وأرد على الاسئلة التي انهالت علي كما يرد لاعب الكرة ضربات خصمه. وكان بعضها ضربات لطيفة من صحافيين عطفوا على حالي. ثم وجهت الي الضربة القاسية: "ما هو المرض الذي تشكو منه؟"

هذا السؤال بدّد وهمي أن قضية حالي الصحية ستمضي بهدوء. قلت ان المسألة "ذات طابع سياسي وليست ذات طابع صحي" وان تفاصيل وضعي الصحي ستكشف لاحقاً "اذا كانت تهم أحداً من الناس" غير أني أدركت أن الحقيقة ستنكشف.

عندما خرجت أنا ونكي من القاعة سارع الناس الينا باكين يعانقوننا بحرارة. وصعدنا الى الطائرة عائدين الى واشنطن ونحن نشعر أننا اتخذنا القرار الصحيح.

وكانت بناتنا في ضيافة بعض الاصدقاء فذهبنا الى بيتهم. وركضت آشلي لتستقبلني وفاجأتني: "انهم يتحدثون عنك في المدرسة يا ابي ويقولون انك مريض."

وجفت قلوبنا ثانية. لقد علمت البنات بالأمر من الآخرين وليس منا.

وبدأت نكي تشرح لهن التفاصيل.

وبعد بضعة أيام أجريت مقابلة مع صحيفة "بوسطن غلوب". واستيقظت صباح الاحد التالي مدركاً أن الناس يقرأون عن داء السرطان الذي انتابني. بدأ الناس يتصلون بنا وكانت المكالمات تترى.

غريب أمر هذا السرطان. جعلني أواجه الموت كما جعلني أرغب في تذكر ما مضى من دون أي شعور بالندم. كذلك جعلني أقدر صلابة نكي حق قدرها. فأنا الآن أنظر الى زوجتي وأراها في صورة أخرى.

جعلني الداء أدرك كم هي ثمينة كل لحظة من لحظات نمو الأطفال. لو كنت تابعت عملي السياسي لفقدت الكثير بقضاء وقت طويل جداً بعيداً عن بناتي، ولما أتيح لي أن أساعد آشلي في فرض العلوم أو أرافق كاتينا الى مخيم المرشدات أو أهدهد مولي الصغيرة لتغفو بين ذراعي.

ان الحياة سعي الى التوازن والى طريقة تقوّم كفتي الميزان بعد اختلال. في كل يوم كنت أحس بتهافت صحتي وحتمية موتي. غير أن خوفي الرئيسي هو ضياع احساسي الحالي بالقيم مع تلاشي كابوس أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٣ من ذاكرتي. فاذا لم تظهر عليّ أعراض جديدة، ترى هل أعود الى إطاري الفكري الذي كان لي قبل أن يصيبني "المفتق"؟

اني أصلي طالباً ألا يحدث لي ذلك، لأني أريد أن أشعر دائماً كما أشعر الآن.

بول تسونغاس ■

الكاتب شريك الآن في مكتب محاماه في بوسطن. ويقول أطباؤه انه يتلقى علاجاً عادياً للسرطان الذي تمت السيطرة عليه.

مجلة كل بيت

الحسناء

صحافة الغد في مجلة اليوم

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة
تهتم بشؤون كل بيت:





- تحقيقات
- مقابلات
- طب
- تجميل
- ثقافة
- فن
- مشكلة وحل
- حديث الابراج
- مطبخ
- اناقة
- طبيعة
- بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

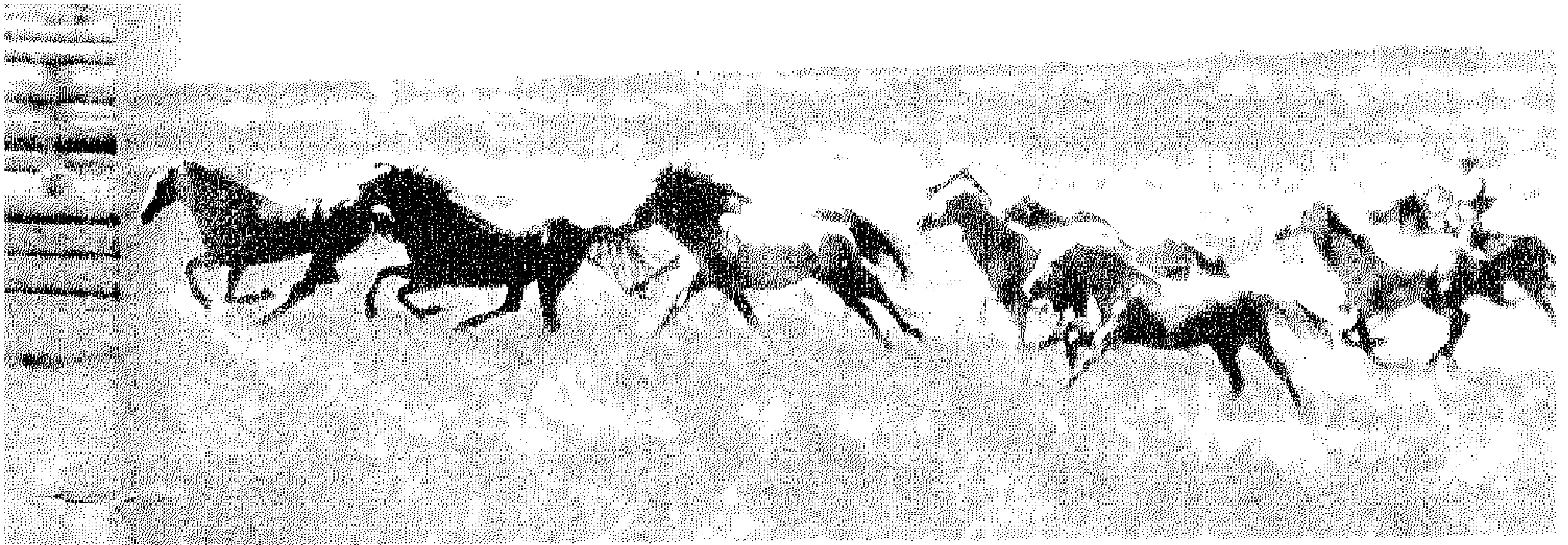
في الأسواق
صباح كل يوم
جمعة



كاوبوي!



إنه أبرز رموز أمريكا وأكثرها ثباتاً. يدعونه الكاوبوي (cowboy) أو راعي البقر. انه رجل يرتدي سروالا جلدياً ويعتمر قبعة وينتعل جزمة ويعقد حول عنقه منديلا أحمر ويمتطي حصانه متجولا في مراعي الغرب. وهو بات رمزاً للرجولة والاستقلالية والاعتماد على النفس. وقد يكون عديده تناقص هذه الايام، لكنه يبقى رمزاً فولكلورياً...

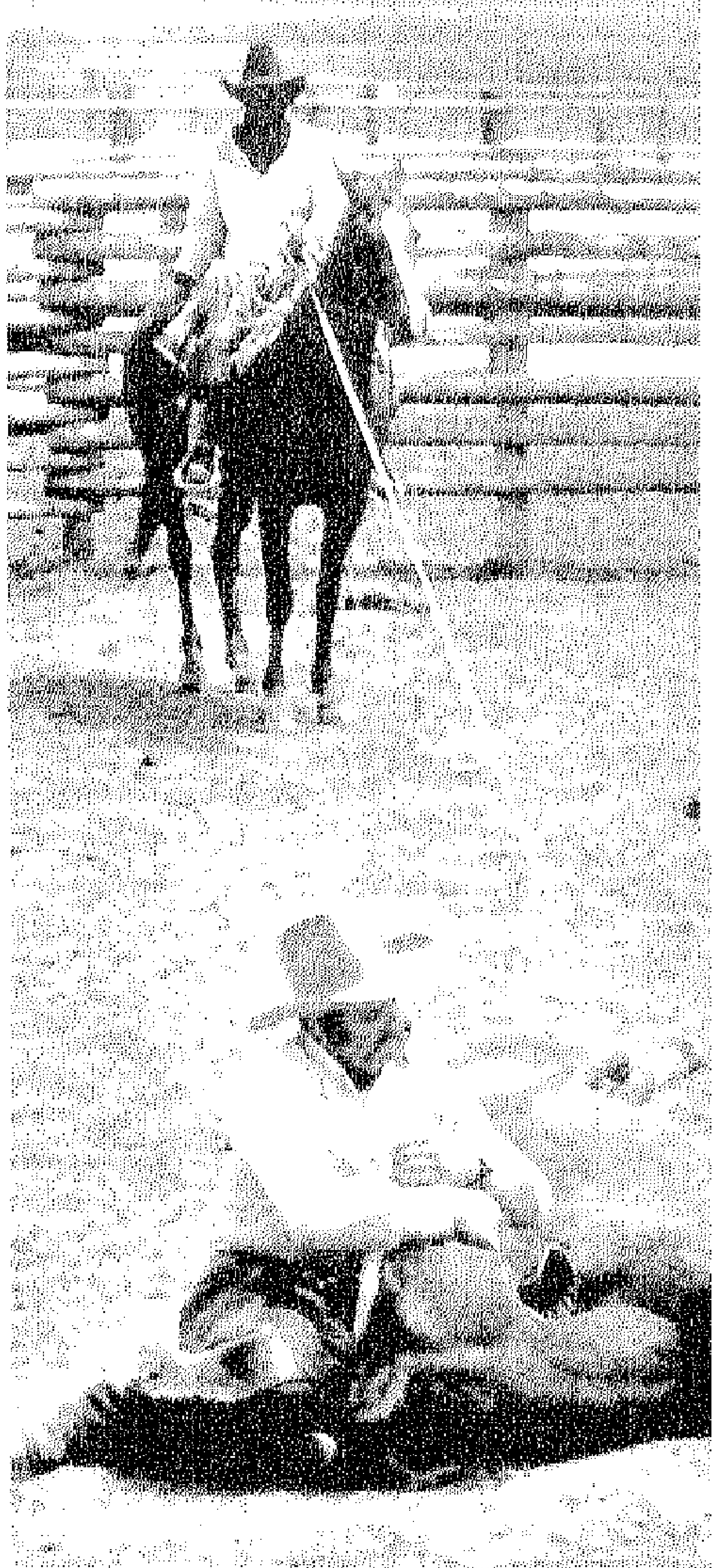


Ernst Haas

Susan Felter



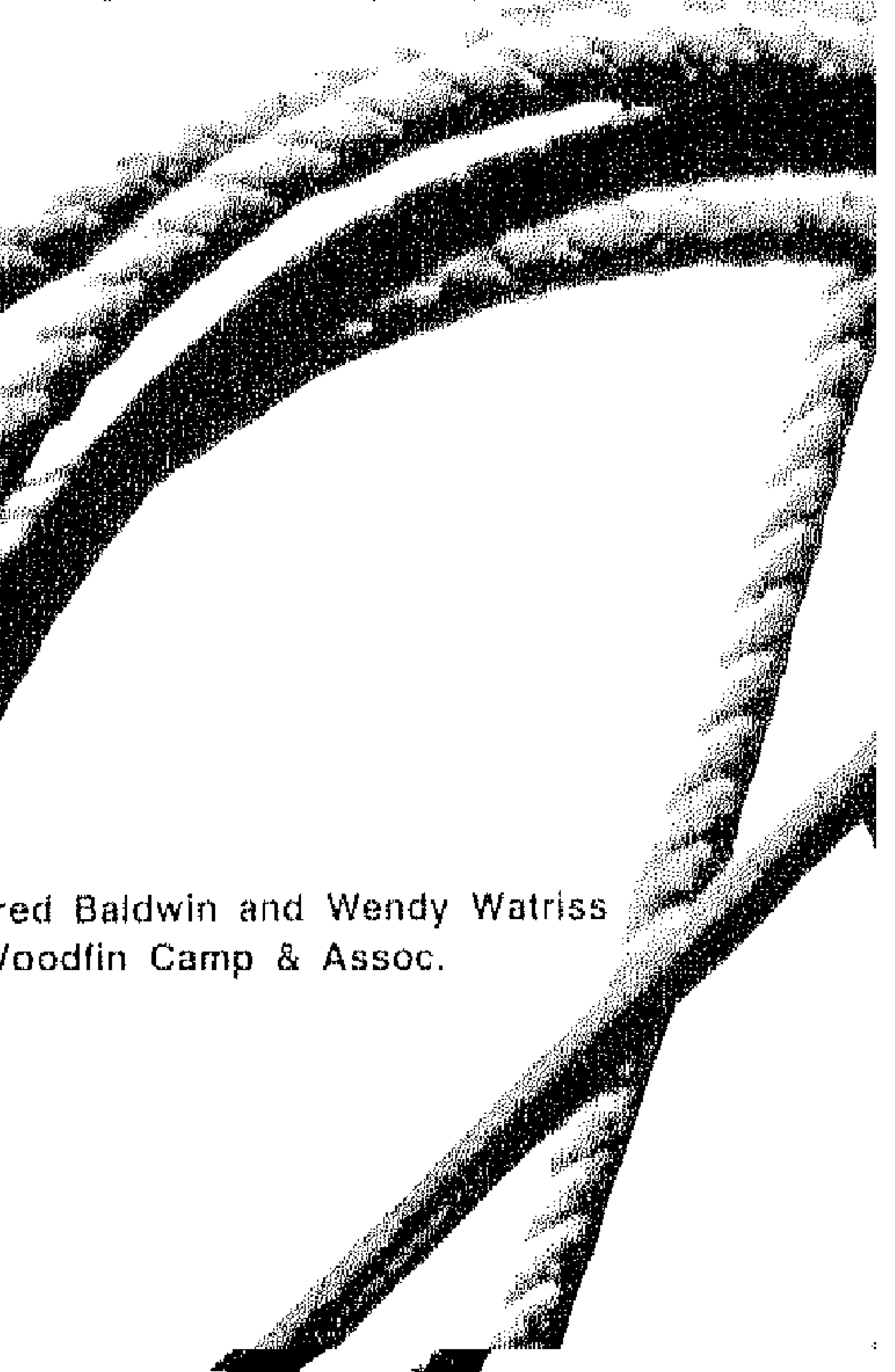
Jonathan Wright / Bruce Coleman, Inc.



Jay Dusard



John Running



Fred Baldwin and Wendy Watriss
Woodfin Camp & Assoc.

Skeeter Hagler



Nicholas De Vore III / Photographers Aspen

Melinda Berge



John Youngblut / The Stock Market



ديمتريس سغوروس
لم يعرف البيانو أصغر من أنامله



عندما كان ديمتريس سغوروس طفلا لاحظ والداه أنه مفتون بالاصوات. كان يصغي بنشوة الى الادوات المنزلية الكهربائية. وفي السن الرابعة أذهل أباه سوتيريس الطبيب في مدينة بيراوس في اليونان بحفظه جميع أرقام هواتف مرضاه. وبعد دخوله المدرسة أبدى ديمتريس فضولا نهماً. لقد وضح أنه متقد الذهن، لكنه كان يبدو مميزاً أيضاً. الا أن أحداً لم يشتبه في ناحية تميّزه.

الطفل المعجزة - في مايو (أيار) ١٩٧٧ قدم ديمتريس عرضه الاول في العزف المنفرد في مدينة بيراوس. وفي الخريف التالي دخل المعهد الموسيقي في أثينا ولما يتجاوز الثامنة من العمر. وتقول ماريا هيروجيورجيو - سيغارا وكانت يومذاك عازفة البيانو الاولى في اليونان وأستاذة في المعهد: "جاؤوني به لاستمع اليه في تجربة اداء. وكنت خائفة منه. لقد عزف بسهولة مذهلة. وهو ملك

في التاسعة من عمره لقب "الطفل المعجزة". وهو الآن في السادسة عشرة ويتوقع له أن يصبح أعظم موسيقيي العصر

بعيد ذكرى ميلاده السادسة زار ديمتريس وأمه معلمة البيانو ديسبينا جورجوبولوس. وحين سألت المعلمة الصبي: "هل تود تعلّم العزف على البيانو؟" جاء رده من دون أدنى تردّد: "ولمَ لا؟"

منذ الدرس الاوّل سيطر ديمتريس على الآلة بالعفوية التي بها يتنفس. وبعد ثلاثة أشهر كان يؤلّف موسيقاه الخاصة. بدا مثل جرو اكتشف عظمة ولا يريد افلاتها من يديه. واقترح ديمتريس يوماً أن تعلّمه أستاذته الرابسودية (١) الثانية للموسيقي المجري (الهنغاري) فرانز ليست. لكنها قالت ان في مقدوره درس الرابسودية الاولى لان الثانية من التعقيد بحيث تصعب على ابن ست سنوات. وراح ديمتريس يستمع الى تسجيل للرابسودية، ودرس مقاطع البيانو فيها، ثم في موعد الدرس التالي عزف مقاطع من اللحنين.

طبقات الصوت تماماً وكأنه يريد تحقيق كل شيء. كل شيء."

تابع ديمتريس الصفوف المدرسية قبل الظهر وصفوف المعهد الموسيقي بعده. واندفع بطاقة عجيبة في دروسه الموسيقية. وتفوّق على طلاب يكبرونه. وخطا خطوات متقدمة في مدارج الموسيقى.

وبطلب من هيروجيورجيو ومن المعهد سمح وزير الثقافة لديمتريس باتمام سنيّ الدراسة الموسيقية الاربع في سنة واحدة. وهكذا في الثانية عشرة من عمره تخرّج ديمتريس حائزاً الجائزة الاولى ولقب "أستاذ" في البيانو. وكانت هيروجيورجيو تستشيره على الدوام.

في هذا الوقت أصبحت له شهرة عالمية. وكان في التاسعة حين جاء سفياتوسلاف ريختر عازف البيانو الروسي

---

(١) لحن مرتجل الطابع غير نظامي الشكل.

Photo: Emi Music Limited

الشهير الى أثينا وتنهّد هاتفاً: "طفل معجزة آخر؟" وكان قال حين اقترح عليه أحدهم أن يستمع الى الصبي سغوروس: "ليس لديّ وقت، فأنا على عجلة من أمري." قال ذلك في الاستوديو الذي تم فيه تدبير جلسة الاستماع.

وبعد ساعتين كان ريختر لا يزال يستمع. "أعزف هذه"، كان يقول، "ثم هذه"، "وهذه أيضاً." وفيما ديمتريس يطلع الالحان من رأسه من دون عناء كانت عينا ريختر تكبران وتكبران. حتى اذا انتهى العزف سأله: "ما الذي تريد أن تكونه عندما تكبر؟" وأجاب ديمتريس: "أريد أن أصبح ريختر."

"هذا ما سوف نفعله بسهولة،" قال ريختر.

"فيل" البيانو – كان ديمتريس في الحادية عشرة حين دعاه أندريه بوروكز ليستمع اليه، وهو منظم الرحلات الموسيقية الى بلدان البحر الابيض المتوسط والبحر الكاريبي.

ويتذكر بوروكز: "كنت عازماً أن أطلب منه عزف بضع مقطوعات. وسألته ما الذي يستطيع عزفه من كونشيرتوات بيتهوفن فأجاب: أيّ واحدة منها. وعندما جلس لم يكن ما سمعت عزف صبي، بل عزف رجل ناضج ذي خبرة. وعرفت حينئذ أنه نابغة."

شهد له بوروكز فانتقل ديمتريس من الهواية الى الاحتراف. وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٨١ سمع أخباره مستيسلاف روستروبوفيتش رئيس السمفونية الوطنية في واشنطن، فأثار فضوله. وبات "صاروخ" سغوروس على وشك أن يوضع في مداره.

وكان مقرراً أن يرئس روستروبوفيتش مهرجان تشايكوفسكي في قاعة كارنيغي بمدينة نيويورك في ابريل (نيسان) ١٩٨٢. ورغب في تقديم ديمتريس الى الشعب الامريكي. وحين وصل ديمتريس بصحبة أمه سأله روستروبوفيتش ما الذي يستطيع عزفه، فأجاب: "أعزف كونشيرتوات راخمانينوف الاربع، وكريغ، والخمس لبيتهوفن، وشومان، وبراهمز، و..."

وأصرّ على أن يعزف الافخم والاصعب اداء فنيّا بين كونشيرتوات راخمانينوف، وهي الثالثة التي قال فيها واضعها انه ألّفها لـ"فيلة" البيانو. وترك روستروبوفيتش للفتى أن يتبع هواه، فقال هذا: "يمكننا أن نباشر التجارب للحال."

وحين انتهى روستروبوفيتش من الاستماع الى عزف ديمتريس صاح: "انه لمعجزة!"

عصا الخلافة – على هذا الشكل حقّق ديمتريس ظهوره الاول في الولايات المتحدة. فخاض في الكونشيرتو الهائلة بسلطان عالم متمكن، حتى اذا انتهى كان عليه أن ينحني مدّة خمس عشرة دقيقة للجمهور المتحمس، مع اعادتين للعزف.

وقبل انتهاء ١٩٨٢ عزف ديمتريس مرة أخرى مع روستروبوفيتش. وقدم عزفاً منفرداً في مهرجان نيوبورت الموسيقي، وظهر على التلفزيون الامريكي وزار هولندا وتشيكوسلوفاكيا وسويسرا

وألمانيا الغربية. لكن حفلته الموسيقية الاكثر تأثيراً كانت الاقل حضوراً حين دعاه العجوز آرثور روبنشتاين أعظم عازفي البيانو الرومنطيقيين، وكان هو أيضاً طفلا معجزة عزف كونشيرتوات في القرن التاسع عشر، الى داره في مدينة جنيف بسويسرا. في أكتوبر (تشرين الاول). وحين انتهى ديمتريس من العزف أعلنه روبنشتاين عازف بيانو أفضل منه وسلمه عصا الخلافة. وبعد شهرين توفي المايسترو الكبير عن ٩٥ عاماً.

خلال السنوات التي تلت تتابعت النجاحات لا يفصل بينها الا النشاطات العادية لعمر الصبا. ويحاول والدا ديمتريس تجنب ما قد يعرقل تفوّقاته: المديح المفرط والمبكر والنجاح السهل وتنمية موهبة فريدة على حساب الثقافة العامة واستغلال البالغين لهذه الموهبة. لذلك يواصل ديمتريس دراسته النظامية في المدرسة في مدينة بيراوس وهو الاول في صفّه. ولا ينصرف الى الموسيقى الا في العطلات وفي نهايات الاسبوع. ويزاول في البيت ركوب الدراجة والسباحة ويلعب مع أخيه كوستا ذي الاعوام العشرة.

ذاكرة فوتوغرافية – لا يزال ديمتريس يبحر بين عالم الطفولة وعالم الراشدين. فتارة يتكلم بادراك وجد عن جمال الموسيقى، وطوراً يعود الى الولدنة مقهقها وهو يريك كيف يستطيع ثني أصابعه الى الوراء حتّى ساعده. وينتقل من سماع محاضرة عن بيتهوفن أو شومان الى إحدى ألعاب الفيديو المثيرة.

ويرد والداه على الانتقادات الموجهة اليهما من أنهما يحملانه بعيداً وبسرعة، فيقولان ضاحكين: "لسنا نحن من يدفعه، انه هو الذي يدفعنا. نحن نحاول ايقافه."

وذاكرة ديمتريس الفوتوغرافية تثير العجب. فحتى قبل أن يدخل طور المراهقة كان اذا قرأ قطعة موسيقية مرة واحدة يودعها ذاكرته بأدق رموزها. ويعتبر غي جونسون، أحد الاساتذة الكبار في الاكاديمية الملكية للموسيقى في لندن والذي لقّن ديمتريس دروساً متقدمة، أن مستودع ذاكرة الشاب يحتوي على مجموعة موسيقى البيانو الغربية كاملة. ويقول: "لست أعرف أحداً من عازفي البيانو الاحياء يملك مثل هذه الطاقة."

ويضاف الى ذاكرة ديمتريس الدقيقة حس فطري بالموسيقى وتقنية منقطعة النظير. ان حجم يديه غير عادي، وهما تمتدان بسهولة فوق جواب (٢) ونصف جواب. ويقول يانيس يوانيدس مدير الفرقة السمفونية في أثينا: "قد تجد عازف بيانو ذا قدرة كاملة على تعيين طبقة النغم أو يدين رائعتين أو ذاكرة غير عادية، أما هو فلديه هذه كلها."

كثيرون ممّن عملوا مع ديمتريس توقعوا أن يصبح قائد فرقة موسيقية في مدى سنوات قليلة. أما هو فيحجم عن التوقع: "أنا الآن فنّان. أنا أعرف ما الذي ولدت لاعمله، وهذا ما سأعمله، لا شيء في الحياة سهل. والموسيقى هي الاصعب في هذا الصعب. واذا خضتها بكل قلبي وروحي فسيأتي المستقبل من تلقائه."

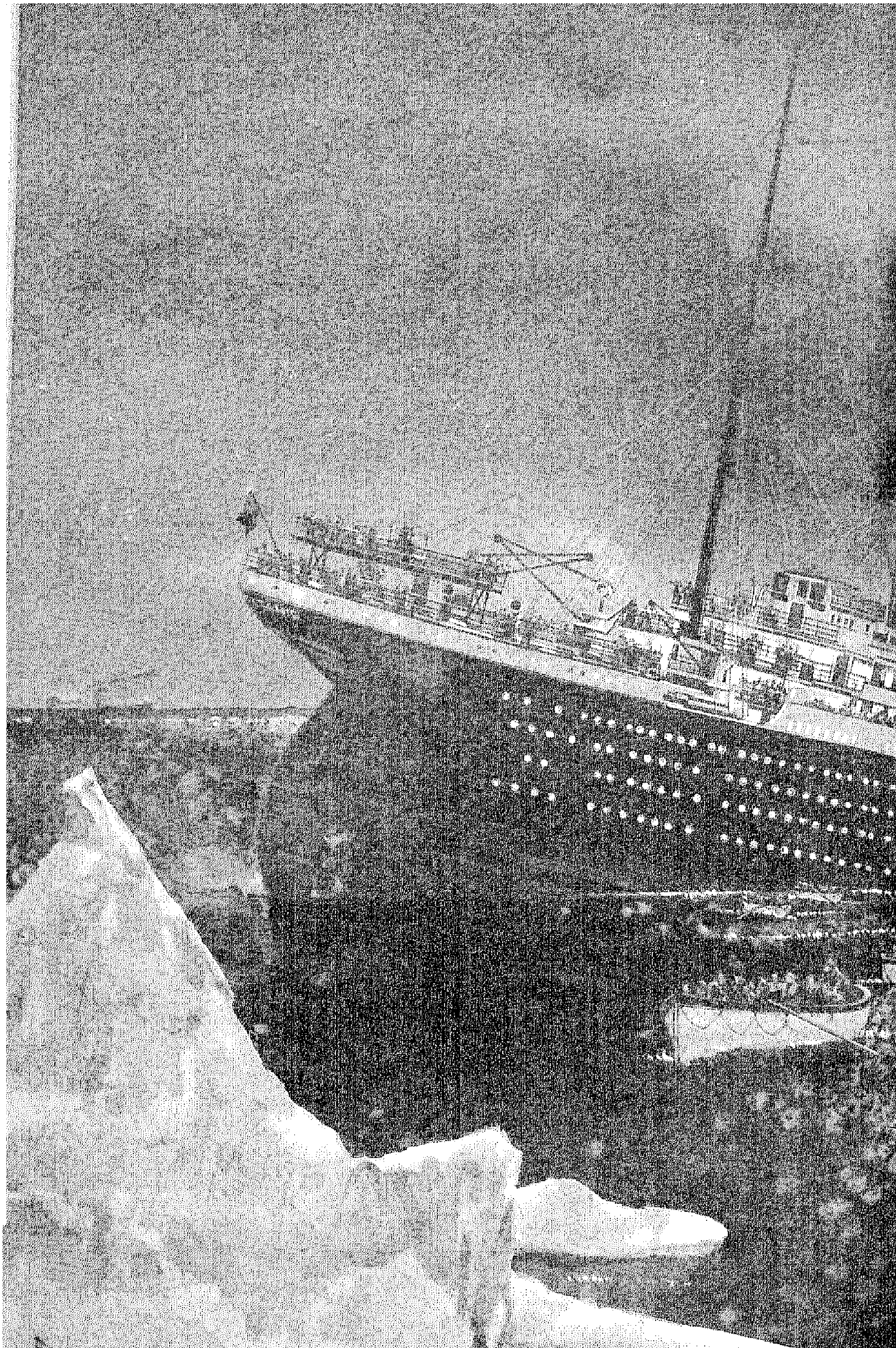
رودولف شلمنسكي ■

كتاب الشهر

التيتانيك بعد ٧٤ سنة

(القسم الاول)

قصة الباخرة الاسطورة تعيد روايتها
مجموعة من محرري الـ"ريدرز دايجست"



التيتانيك
بعد ٧٤ سنة

لقبت السفينة العظيمة "مدينة بابل العائمة" و"صرْح كاملوت البحري".
وبدت متفردة بين السفن، مثيرة للهواجس، متسببة في المصادفات الغريبة.
وهي كانت فندقاً فخماً يمخر عباب المحيط الأطلسي بسرعة تزيد على ٣٧ كيلومتراً في الساعة. غير أنها لم تلبث أن أصبحت في ١٥ ابريل (نيسان) ١٩١٢ ضحية "كارثة لم يعرف لها مثيل في تاريخ النقل البحري" على حد تعبير صحيفة "التايمس" البريطانية. وبقيت في مخبأها أكثر من ٧٣ سنة على عمق ٤٠٠٠ متر تحت سطح البحر واستحالت قبراً ضخماً دفن فيه معظم الضحايا التي قضت تلك الليلة وبلغ عددها ١٥٢٢ . وظل العثور على حطام السفينة بعيد المنال بسبب الظلمة التي ما فتئت تغشى ضريحها العميق.

إلا أن سلسلة الكوارث التي وقعت تحت البحر في الستينات حدت الاسطول الامريكي على تطوير وسيلة تكنولوجية تتيح البحث عن حطام السفن في أماكن عميقة جداً . على أن محاولات تحديد موقع التيتانيك منيت بالاخفاق خلال عقود متعاقبة الى أن تمكن فريق فرنسي - أمريكي مشترك من تحقيق حلم قديم بالعثور على هذه السفينة الأسطورية.

واليكم الآن الجزء الاول من قصتها كما اقتطفها وأوجزها محررو الـ"ريدرز دايجست" من ألوف الصفحات المقتبسة من التحقيقات والوثائق التاريخية وروايات الشهود العيان.

Illustrations: William Hosner



في العاشر من شهر أبريل (نيسان) ١٩١٢ أبحرت الـ"تيتانيك" للمرة الأولى من ميناء سوثمبتون في بريطانيا الى ميناء نيويورك. وكانت هذه السفينة التابعة للخط البحري "وايت ستار" أكبر سفينة في العالم وكان يُظنّ أنها آمن السفن بلا منازع. فقد كانت لها سافلتان وكان بدنها مقسماً ١٦ جزءاً لا يتسرب اليها الماء مما جعل الناس يذهبون الى أنها سفينة لا تغرق. وهي بنيت لتكون قارب نجاة هائلا كما وصفت.

وبعد توقفها في ميناء كوينزتاون في ايرلندا بات على متنها ٢٢٠٠ شخص. لكن تبديلات طواقم البحارة في اللحظة الاخيرة والخطأ في تعداد الركاب يجعل هذا الرقم غير مؤكد.

وفي حجرات الدرجة الاولى وأجنحتها الفخمة نزل عدد كبير من مشاهير الرجال والنساء من بينهم العقيد جون جاكوب استور وعروسه الشابة والرائد ارشيبالد بت المستشار القريب من رئيس الولايات المتحدة آنذاك وليم هوارد تافت ومدير متجر "ميسيز" (Macy's) الشهير العضو السابق في الكونغرس ايزودور شتراوس وج. بروس اسماي المدير المسؤول في خط وايت ستار. أما الحجرات الصغيرة المخصصة لركاب الدرجة الثالثة فعجّت بأكثر من ٧٠٠ مهاجر في طريقهم الى أرض الوعود.

يوم الأحد ١٤ أبريل (نيسان) بزغ الفجر جميلا صافياً. وراح ضابط المحاسبة في السفينة يؤدي خدماته في قاعة الجلوس. وفي التاسعة صباحاً تلقى المسؤول عن الجهاز اللاسلكي رسالة مضطربة من السفينة البخارية كارونيا جاء فيها: "الى ربان التيتانيك... السفن البخارية المتوجهة غرباً تفيد عن وجود جبال جليدية عائمة وحقول جليدية ضمن ٤٢ درجة شمالا وبين ٤٩ و٥١ درجة غرباً. تحياتي... بار."

ونقلت الرسالة الى منصة القيادة وسلمت الى القبطان إ.ج. سميث الذي قرأها وبث اشعاراً بتسلمها مع الشكر.

وقبيل الظهر بث الجهاز اللاسلكي رسالة مشوشة من الباخرة "بالتيك" تنذر التيتانيك بوجود جليد في ممرها. وتولى العامل اللاسلكي جاك فيليبس نقل الرسالة الى منصة القبطان. وقرأها سميث وهو يتنزه على متن السفينة ثم أعطاها الى بروس اسماي من دون تعليق. فقرأها اسماي ثم وضعها في جيبه وأخبر اثنتين من السيدات بوجود الجبال الجليدية وتابع نزهته.

وفي فترة ما بعد الظهر كان هارولد برايد العامل على جهاز مركوني يضع مسماعيه على رأسه. وفجأة سمع نداء الى التيتانيك من الباخرة "كاليفورنيان" القريبة يتعلق أيضاً بجبال جليدية. لكن برايد كان مشغولا بحساباته فلم يكلف نفسه عناء نقل الخبر للحال.

كان البرد قارساً على ظهر السفينة لكن الليل كان هادئاً والسماء صافية. وبعد العشاء اجتمع عدد من ركاب الدرجة الثانية في قاعة الجلوس وجعلوا يغنون. وقاربت الساعة العاشرة وهم ينشدون: "نرجوك أن تصغي الينا وتدفع الخطر عمّن في البحر."

وفي العاشرة حل الضابط الأول وليم مردوك محل الضابط الثاني تشارلز هـ. لايتولر في منصة القيادة. وتلقت السفينة ما لا يقل عن سبعة تحذيرات لاسلكية من وجود الجليد، وطلب من الرقباء أن يكونوا يقظين. وتوقع الضباط أن تبلغ السفينة الحقل الجليدي في أي وقت بعد التاسعة والنصف ليلا.

وفي حجرة الأجهزة اللاسلكية حيث حلّ جاك فيليبس مكان برايد عاد يُسمع طنين الاتصالات اللاسلكية الآتية من كاليفورنيان. وجاء في أحدها: "يا رجل، يبدو أننا حُبسنا هاهنا وسط الجليد."

فأجاب جاك: "صه، صه، أنا أكلم كيب ريس وأنت تشوش اشاراتي."[1]

وفي منصة المراقبة العالية كان الرقيب فردريك فليت يحدق الى الليل المتألق. ولم تكن السماء مقمرة، غير أنها كانت تتلألأ بالنجوم. وبدا المحيط الأطلسي أشبه بلوح زجاجي صقيل. وكان فليت أحد ستة مراقبين على ظهر التيتانيك هم "عيون السفينة". وفي تلك الليلة طلب من فليت مراقبة الجبال الجليدية.[2]

ولم يكن في منصة المراقبة أي منظار. ويبدو أن ما حدث هو الآتي: عندما غادرت السفينة ميناء بلفاست زوّد ديفيد بلير الرجال في منصة المراقبة منظارين، وهو كان الضابط الثاني آنذاك. إلا أنه حين حل لايتولر مكانه في ما بعد أعطى بلير قبل مغادرته السفينة تعليمات بنقلهما الى قمرته والاقفال عليهما.[3]

ولم يطرأ حتى الآن ما يعكر صفو فليت. فهو بدأ المراقبة في العاشرة وتحدث قليلا مع زميله الرقيب ريجينالد لي في مشكلة الجليد والصقيع. غير أن الصمت خيم معظم الوقت على الرجلين اللذين أخذا يحدقان إلى الظلام.

وفي الحادية عشرة والدقيقة الاربعين أشرفت نوبة فليت في المراقبة على نهايتها من دون أن يصادف أي أمر غريب. فهو لم يلاحظ سوى الظلام والنجوم والبرد القارس والريح الصافرة عبر حبال الأشرعة والصواري فيما التيتانيك تمخر البحر الحالك الهادىء بسرعة تزيد على ٤١ كيلومتراً في الساعة.

"جبل جليدي أمامنا!"

فجأة شاهد فليت أمام السفينة مباشرة شيئاً أكثر إظلاماً من الظلام. بدا صغيراً للوهلة الأولى، لكنه سرعان ما راح يكبر ويدنو. فأسرع فليت إلى جرس الانذار في منصة المراقبة وضربه بعنف ثلاث مرات متعاقبة. وفي الوقت نفسه رفع سماعة الهاتف واتصل بمنصة القيادة حيث سُئل بصوت هادىء: "ماذا شاهدت؟"

فأجاب: "جبلا جليدياً أمام السفينة مباشرة."

فردّ عليه الصوت بلطف لا أثر فيه للانفعال: "شكرا."[4]

وكان "الريّس" روبرت هيتشنز يدير دفة السفينة، فتلقى الأمر الآتي من الضابط الاول مردوك: "إلى أقصى

---

(١) لمعرفة المصادر التي أخذت منها المقاطع راجع اللائحة في نهاية هذا الكتاب. ورقم المصدر يشمل كامل المقطع الذي يسبقه.

اليمين." وفي العام ١٩١٢ كان هذا يعني إدارة مؤخر السفينة إلى الميمنة ومقدمها إلى الميسرة. وفيما مردوك يُبرق الى حجرة المحركات "الاستدارة التامة إلى خلف" عمد هيتشنز الى تنفيذ الأمر الشفهي وألقى بثقله كله على العجلة.

وقف فليت في منصة المراقبة من دون حراك فيما أخذ الشكل الذي رآه يكبر باطراد. وبعد وقت بدا غير متناه مال مقدم التيتانيك الى اليسار وشرعت السفينة تبتعد عن الجبل الجليدي. وأخذ فليت يستجمع قواه فيما كان الجزء الأعلى من مقدم السفينة يحتك بالجبل. وسقط الجليد على السطح الأمامي.

وفي أسفل السفينة كان الوقّاد فردريك باريت منهمكاً في تجهيز أفران حجرة الوقود الرقم ٦ عندما "قرع جرس الانذار وبدا الضوء الأحمر، فصرخنا: أغلقوا الأبواب! وسُمع صوت اصطدام."

فجأة بدأ الزبد الأخضر يضرب جنب التيتانيك على علو نصف متر من الصفائح التي تغطي أرض الحجرة، ويضغط جدار ميمنة السفينة على طول الحجرة ٦ حتى يصل الى بعض أجزاء مخزن الفحم في الحجرة ٥. وأخذ جرس الانذار يصلصل فوق الباب المانع للماء والذي كان بدأ الغوص في الماء. وفيما كان الباب ينغلق تمكن باريت من الوثوب عبر فتحته الى حجرة الوقود الرقم ٥.[٤]

في قاعة الطعام الخاصة بركاب الدرجة الاولى جلس أربعة آخرون من ملاحي التيتانيك الى إحدى الموائد. وبينما هم يتبادلون الحديث سمعوا ارتجاجاً مفاجئاً



ذا صرير بدا منبعثاً من مكان عميق داخل السفينة. ولم يكن الارتجاج شديداً لكنه كان كافياً ليقطع الحديث ويتسبب في قعقعة الاواني الفضية التي أعدت لفطور الصباح التالي.

وأحس الركاب الذين كانوا في حجراتهم بهذا الاهتزاز أيضاً. أما الرائد آرثر ج. بويش الذي كان يخلع ثيابه استعداداً للنوم فظن أن موجة قوية ضربت السفينة. وأما الليدي داف غوردون التي أيقظتها الهزة المفاجئة فتهيأ لها "أن أحدهم كان يجر إصبعاً عملاقة على جنب السفينة." ولاحظت السيدة أ. د. ابلتون صوت تمزيق مزعج كأنما هناك أحد يشرط قطعة من القماش الخام.

وعندما سُمع ذلك الارتجاج كان سبنسر ف. سلفرثورن، وهو وكيل لشركة "نوغنت"، مستلقياً في كرسي جلدي يتصفح كتاباً في غرفة المدخنين الخاصة بركاب الدرجة الاولى. ولم تمض لحظة حتى كان هو والمضيف في الغرفة في

طريقهما الى ظهر المركب. ووصلا في الوقت الملائم ليشاهدا مع عدد من الركاب الآخرين الجبل الجليدي وهو يكشط ميمنة السفينة في مكان أعلى قليلا من موضع قوارب النجاة. وفيما الجبل ينزلق شاهدوا قطعاً كبيرة من الجليد تتكسر وتهوي في الماء.

إلا أنه سرعان ما زال الاضطراب إذ بدت التيتانيك شديدة الصلابة. وما لبث الركاب أن عادوا أدراجهم لأن البرد في الخارج لم يكن محتملا. وخيّل الى الرجل الذي دخل أخيراً أن المحركات توقفت. وحين تلاشى صوت الصرير أسرع القبطان سميث من حجرته الى منصة القيادة. وهناك سأل الضابط الاول: "ماذا كان ذلك يا سيد مردوك؟"

فأجابه: "كان جبلا جليدياً. لذلك أسرعت في إدارة الدفة الى اليمين وحولت المحركات الى الاتجاه المعاكس. وكنت أزمع التوجه الى اليسار، لكن الجبل الجليدي كان اقترب كثيراً فلم أتمكن من فعل المزيد."[4]

بداية الكارثة

صعد لورنس بيسلي، أحد ركاب الدرجة الثانية، الى مكان قوارب النجاة فرأى الناس ينظرون الى جنب السفينة ويتساءلون لماذا توقفت. وفي هذا قال بيسلي: "بقيت على ظهر السفينة بضع دقائق مثابراً على المشي كي يظل جسمي دافئاً، وكنت أحياناً أنظر الى البحر تحتي. وكانت السفينة استأنفت ابحارها متحركة ببطء عبر المياه وعلى كل من جانبيها خط من الزبد أبيض. وأظن أننا سررنا جميعاً بهذا الأمر لأنه بدا أفضل من البقاء حيث نحن."[5]

كان توماس أندروز كبير مصممي التيتانيك في غرفته الفاخرة وكاد لا يحس بما حدث. والحق أنه كان مولعاً بسفينته كما يولع النحات بتماثيله، الا ان حجمها الضخم جعله يغفل عن الأذى الذي لحق بتحفته. وعمد أندروز الى دراسة الخرائط والتصاميم والملاحظات التي كانت تغطي مكتبه وراح يقارن هذا كله بواقع السفينة مستعيناً بخبرة ٤٣ سنة أمضاها في بناء السفن.[6] فهو عمل على تصميم سفينة كاملة بصفته مصمماً رئيساً ومهندساً معمارياً متخصصاً بالانشاءات البحرية. وهو الى ذلك كان المدير المسؤول في شركة "هارلند أند وولف" لبناء السفن، فرأى سفينته تنمو بأجزائها جميعاً يوماً بعد يوم في مدة تزيد على سنتين. وراقب نموها كما يراقب الأب نمو طفله، وأحس نحوها بمزيج من الفخر والحب.[7]

على أن السفينة لم تكن كاملة كما أرادها. ففي الحجرة الفاخرة الخاصة بتعليق القبعات كان عدد اللوالب المعقوفة أكثر مما ينبغي. وفي غرفة القراءة والكتابة على منصة التنزه كثير من المساحة الضائعة. وكان يفضل أن يكون الأثاث المصنوع من خشب الصفصاف في أحد أطراف السفينة مطلياً باللون الأخضر. وهو قال مرة لأحد الركاب في غرفة المدخنين بعد العشاء معترفاً ببعض النقائص في سفينته: "أظن أنها بلغت من الكمال الحد الذي يمكن أن يدركه العقل الانساني."

واسترعى انتباهه طرق على باب غرفته ودخل بحار يدعوه بتهذيب وغرابة الى منصة القيادة. وعندما وصل الى هناك وجد القبطان في انتظاره،[٦] وهو رجل في التاسعة والخمسين كبير الجسم عريض الكتفين ذو لحية رمادية تنم شخصيته عن القوة والكياسة والبداهة والثقة بالنفس.[٣] وأخبر القبطان أندروز بما حدث ثم أسرع الرجلان في النزول الى أسفل السفينة.

نتيجة حتمية

كانت التيتانيك مقسمة من مقدّمها الى مؤخرها ١٦ جزءاً مانعاً للماء. وبعد الاصطدام مباشرة أوصدت الأبواب الفاصلة بين هذه الأجزاء. وكانت صحيفة "شيب بلدر" الشهيرة المخصصة بصناعة السفن أصدرت عام ١٩١١ عدداً خاصاً جاء فيه "ان التيتانيك صنعت على نحو يجعل غرقها ضرباً من المستحيل."[٦] ولكن على رغم أن الحواجز الأخرى المانعة للماء كانت تصل صعوداً الى سطح الطبقة "د" فإن الحاجز المستعرض في مؤخر حجرة المراجل الرقم ٤ انتهى عند سطح الطبقة "هـ" على نحو لا يمكن تفسيره. ولولا هذا التقسيم غير الكافي لربما تمكنت التيتانيك من البقاء عائمة على سطح الماء.[٣]

نزل القبطان مع أندروز على السلم الخاصة بالملاحين كي لا ينتبه أحد إلى العمل الذي يؤديانه. ومشيا عبر حجرة المراجل الرقم ٥ على سطح الطبقة السفلى التي يفصل بينها وبين منصة القيادة ارتفاع يعادل ارتفاع مبنى من ١١ طبقة. ووجدا أن الماء كان يتسرب اليها بسرعة. فتوجها عبر مقدم السفينة الى غرفة البريد على السطح الادنى فوق سافلة السفينة. وكان في المكان المتاخم ملعب السكواش(٢) الذي لم تعرف السفن وجوداً له من قبل.[٦]

وفي مكان أعلى بكثير على سطح الطبقة "أ" نزل الراكب بيسلي السلم كي يتفقد حجرته فأحسّ أن درجات السلم "لم تكن على ما يرام." فعلى رغم أنها بدت منبسطة فإن قدميه لم تكونا تطأان المكان الملائم وكأن الدرجات كانت مائلة نحو مقدّم السفينة. واسترعى الأمر نفسه انتباه الرائد بويشن. ففيما كان واقفاً مع الثريّ الكندي قطب صناعة السكك الحديد تشارلز و. هايز عند الطرف الأمامي للسطح "أ" أحس انحرافاً طفيفاً جداً في السطح وهو ينظر الى ركاب الدرجة الثالثة يلعبون بالجليد كأنه كرة قدم. ولم يلبث أن قال لهايز: "إنها تنحرف إلى جانبها وهذا ينبغي الا يحدث! فالماء هادىء جداً والسفينة توقفت."

وأحس آخرون الأمر نفسه لكنهم رأوا أنه لا يليق بهم أن يذكروا ذلك. وفي حجرة المراجل الرقم ٥ قرر الوقّاد باريت ألّا يقول شيئاً للمهندسين المشتغلين بالمضخات. وفي منصة القيادة أشار جهاز للمراقبة الى أن التيتانيك انحدرت قليلا في مقدمها ومالت خمس درجات إلى الميمنة.

وفي مكان قريب عمد أندروز والقبطان سميث إلى أجراء تقويم سريع لما حدث.

---

(٢) لعبة شبيهة بكرة المضرب.

فقد بلغ الماء المخزن الأمامي الرقم ١ والمخزن الرقم ٢ وغرفة البريد وحجرة المراجل الرقم ٦ وحجرة المراجل الرقم ٥، وزاد علوه على أربعة أمتار فوق مستوى العارضة في الدقائق العشر الأولى في كل مكان ما عدا حجرة المراجل الرقم ٥. وأشارت هذه الوقائع مجتمعة الى وجود فجوة طولها ٩٠ متراً والى غرق الاجزاء الخمسة الاولى على نحو تام.[٣]

وبدت نتيجة ذلك حتمية وإن تعذر الافصاح عنها. فالتيتانيك كانت في طريقها الى قاع المحيط على عمق نحو ٤٠٠٠ متر. وقدر أندروز أن السفينة ستغرق بعد تسعين دقيقة.[٦]

عقاب رهيب

كان العقيد ارشيبالد غراسي أحد هواة كتابة التاريخ العسكري من متخرجي الاكاديمية العسكرية في وست بوينت. وكان ذا دخل حسن مما أتاح له ممارسة هوايته. وهو لبس بعناية شديدة ثيابه الداخلية وجوربيه الطويلين وحذاءه وسرواله وسترته ثم صعد مختالا الى ظهر السفينة.[٣]

وفي ما بعد كتب غراسي ما يأتي: "إن اللذة والراحة اللتين تمتعنا بهما جميعاً في هذا القصر العائم بدتا نذير شؤم بالنسبة الى كثيرين أنا في عدادهم. فقد أحسسنا أنّ ما كنّا فيه بلغ حداً من الروعة لا يمكن أن يستمرّ من دون عقوبة رهيبة. وعبّر عن إحساسنا هذا أحد زملائنا الركاب وهو تشارلز م. هايز رئيس شركة غراند ترانك الكندية للسكك الحديد. وقال لنا هايز: ان الخطوط البحرية وايت ستار وكنارد وهمبورغ أميريكان تحصر اهتمامها الآن في التنافس للحصول على أفخم الأثاث لسفنها، غير أن نتيجة ذلك ستكون كارثة مروّعة لم يسبق لها مثيل."[٨]

في الثانية عشرة والدقيقة الخامسة بعيد منتصف الليل، أي بعد مضي ٤٥ دقيقة على الاصطدام والارتجاج الصارّ، أمر القبطان سميث كبير الضباط هـ.ف. وايلد بازاحة الغطاء عن قوارب النجاة وأمر الضابط الأول مردوك بجمع الركاب والضابط السادس جيمس مودي باحضار لائحة توزيع المهمات على السفينة والضابط الرابع جوزف بوكسهول بإيقاظ الضابط الثاني لايتولر والضابط الثالث هربرت ج. بتمان. أما القبطان نفسه فنزل من الجانب الأيسر لظهر السفينة الى حجرة الأجهزة اللاسلكية.[٢]

وفي وقت لاحق ذكر المسؤول الثاني عن جهاز مركوني اللاسلكي لصحيفة "نيويورك تايمس" ما يأتي: "كان في وسعنا سماع الضوضاء في الخارج، إلا أنه لم يكن هناك أي إشارة الى بروز مشكلة ما. ولم يكد القبطان يفتح الباب حتى قال: أرسلوا نداء النجدة! فسأله فيليبس: أيّ نداء أرسل؟ فأجابه القبطان: نداء القانون الدولي للمساعدة ولا شيء سواه.

"ولما ذهب القبطان بدأ فيليبس يرسل نداء "أسرعوا إلينا! كارثة!" وفيما هو يبث النداء أخذنا نمزح غير مبالين. وما لبث القبطان أن رجع وسأله: ماذا ترسل؟ فأجابه فيليبس: نداء "أسرعوا الينا! كارثة!" وراقني ما في الموقف من فكاهة. فقال القبطان ابعث نداء "أنقذوا

أرواحنا!" فهذا هو النداء الجديد، وقد تكون هذه فرصتك الأخيرة لإرساله. فعمل فيليبس على تغيير النداء."[٩]

على بعد أقل من ١٨ كيلومتراً جلس تشارلز غروفز، الضابط الثالث في السفينة كاليفورنيان، على سرير عامل الجهاز اللاسلكي سيريل ف. ايفانز. وكان غروفز شاباً يولي اهتمامه ما يحدث في العالم. لذلك كان يروقه بعد انتهائه من العمل أن يذهب إلى حجرة إيفانز التي تحوي أجهزة لاسلكية كي يلتقط آخر الأنباء.

ولم يكن إيفانز عادة يتذمر من ذلك. غير أنه كان متعباً جداً تلك الليلة ولم يكن هناك من ينوب عنه في عمله. وإلى ذلك فهو سمع كلاماً جافياً عندما حاول الاتصال بالسفينة تيتانيك ليخبرها بوجود الجليد الذي يعترض كاليفورنيان. لذلك لم يضع الوقت هذه الليلة وعمد إلى إقفال جهازه في الحادية عشرة والنصف أي عند انتهاء عمله. ولمّا كان التعب أنهكه فانه لم يجد في نفسه رغبة في محادثة أحد. وحاول غروفز تشجيعه على الحديث فسأله: "ما السفن التي تلقيت منها برقيات اليوم؟" فأجابه باقتضاب وهو لا يكلف نفسه عناء رفع عينيه عن مجلته: "التيتانيك فقط. انها السفينة الجديدة في رحلتها الأولى." وكان ذلك بعيد الثانية عشرة والربع ليلا.[٣]

وفي ما بعد كتب العقيد غراسي أحد ركاب التيتانيك يصف الحال على متنها: "على السطح "أ" تجمع رجال ونساء كثيرون بينهم السيد شتراوس وزوجته والعقيد أستور وزوجته وآخرون. وأردت أن أبعث الطمأنينة في نفوس السيدات فأشرت الى ضوء أبيض ساطع يبعد عن السفينة نحو تسعة كيلومترات، وكنت واثقاً أن سفينة كانت آتية لإنقاذنا. وطلب مني العقيد أستور أن أدله على الضوء. فكان علينا الانحناء فوق سور السفينة والنظر عن كثب نحو مقدّمها وتحاشي قارب نجاة أُعدّ وأُنزلت حافته العليا الى مستوى سطح القوارب فوقنا بحيث حجبت عنا الرؤية. إلا أن الضوء جعل يخبو تدريجاً بدل أن يزداد سطوعاً وما لبث أن توارى. وعلمت في ما بعد أن الضوء كان منبعثاً من الكاليفورنيان وهي باخرة تابعة لخط ليلاند."[٨]

انعم صباحاً يا رجل

في ليل قارس البرد تجمهر الركاب على ظهر السفينة وقد لزم كل منهم المكان الخاص بدرجته، فتوجه ركاب الدرجة الاولى الى وسط السفينة وركاب الدرجة الثانية الى مؤخرها وركاب الدرجة الثالثة الى مقدّمها ووقفوا في هدوء ينتظرون الأوامر المقبلة ويتسلّون في غير ارتياح بالنظر بعضهم الى بعض وقد تمنطقوا أحزمة النجاة.

وقرابة الثانية عشرة والنصف التقى العقيد غراسي فريد رايت لاعب السكواش المحترف. وتذكر غراسي أنه كان حجز الملعب للسابعة والنصف صباحاً فحاول أن يمازح رايت قائلا: "أليس من الأفضل إلغاء الموعد؟" فأجابه رايت بصوت فاتر: "بلى." والغريب أن رايت تقبّل منه هذا المزاح. فهو كان يعلم أن الماء بلغ سقف ملعبه.

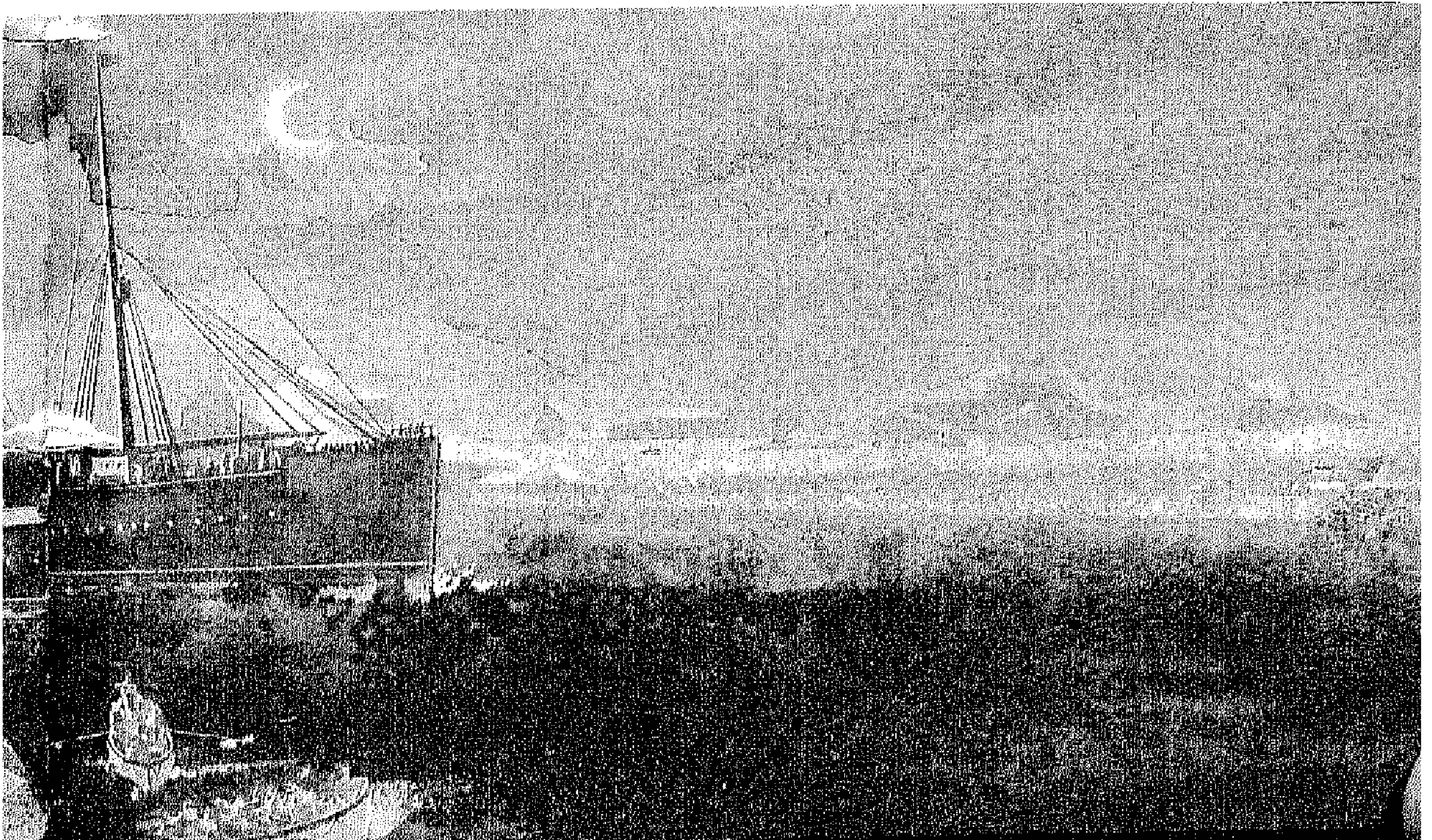
وفي حجرة الألعاب الرياضية التي كان يسطع فيها الضوء والتي تقع الى جانب مكان قوارب النجاة جلس أستور وزوجته جنباً إلى جنب على حصانين آليين توقفا عن الحركة. وكانا متمنطقين حزامين للنجاة وكان أستور يضع في حضنه حزاماً إضافياً يعمل على فتحه بسكينه الصغيرة ويقتل الوقت بعرض ما فيه على زوجته."

يوم غادرت التيتانيك ميناء كوينز تاون أبحرت من نيويورك الباخرة كارباثيا التابعة لخط كونراد البحري بقيادة القبطان آرثر هـ. روسترون متوجهة الى مضيق جبل طارق والبحر الأبيض المتوسط. واتفق أن عدد ركاب تلك الباخرة لم يتجاوز نصف العدد الذي يمكنها استيعابه.

وقرابة منتصف ليل الأحد كان عامل الجهاز اللاسلكي هـ. ت. كوتام يستعد للنوم. وكان في نوبته سمع ردّ فيليبس الجاف على إيفانز في الكاليفورنيان فحوّل موجة الجهاز إلى كيب كود في ولاية ماساتشوستس لسماع الانباء.

وبدأ كوتام يخلع ثيابه ثم ركع ليحل رباط حذائه. ولما كان نزع مسماعيه لفترة قصيرة فقد فاته سماع نداء الاستغاثة الأول "أسرعوا الينا! كارثة!" الصادر عن التيتانيك. وعندما وضع مسماعيه ثانية عنّ له الاتصال بالتيتانيك وبادر الى القول: "انعم صباحاً يا رجل. هل تعلم أن لكم رسائل في كيب كود؟"

ولم يكد كوتام يتلقى الجواب حتى كاد قلبه يتوقف عن الخفقان، إذ سمع نداء الاستغاثة العالمي على النحو الآتي: "أسرعوا إلينا، كارثة! أسرعوا إلينا، كارثة! أنقذوا أرواحنا! أنقذوا أرواحنا! أسرعوا إلينا، كارثة! أنقذوا أرواحنا! لقد اصطدمنا بجبل جليدي! أسرعوا الينا، كارثة! موقعنا ٤١،٤٦ شمالا و٥٠،١٤ غرباً. أسرعوا إلينا، كارثة! أنقذوا أرواحنا!"



وأسرع كوتام الى منصة القيادة وأخبر ضابط المراقبة الأمر بأنفاس متقطعة، فتوجه هذا بدوره الى حجرة القبطان.[٣]

وكتب روسترون في ما بعد: "كنت أويت الى فراشي قبل قليل ولم أنم بعد فقلت في نفسي وقد غلبني النعاس: من هو هذا الوقح الذي يدخل حجرتي من دون أن يقرع الباب؟

"ثم راح الضابط الأول يذكر لي الوقائع باضطراب ففارقني النعاس. وعمدت من فوري إلى إصدار الأوامر بتغيير اتجاه السفينة. غير أن النبأ بدا لا يُصدَّق فذهبت إلى عامل جهاز مركوني اللاسلكي وسألته: هل أنت واثق أنها التيتانيك؟ فأجاب: نعم يا سيدي. فقلت: هل أنت على ثقة تامة؟ فقال: أجل. فقلت: حسناً، أخبره أننا قادمون.

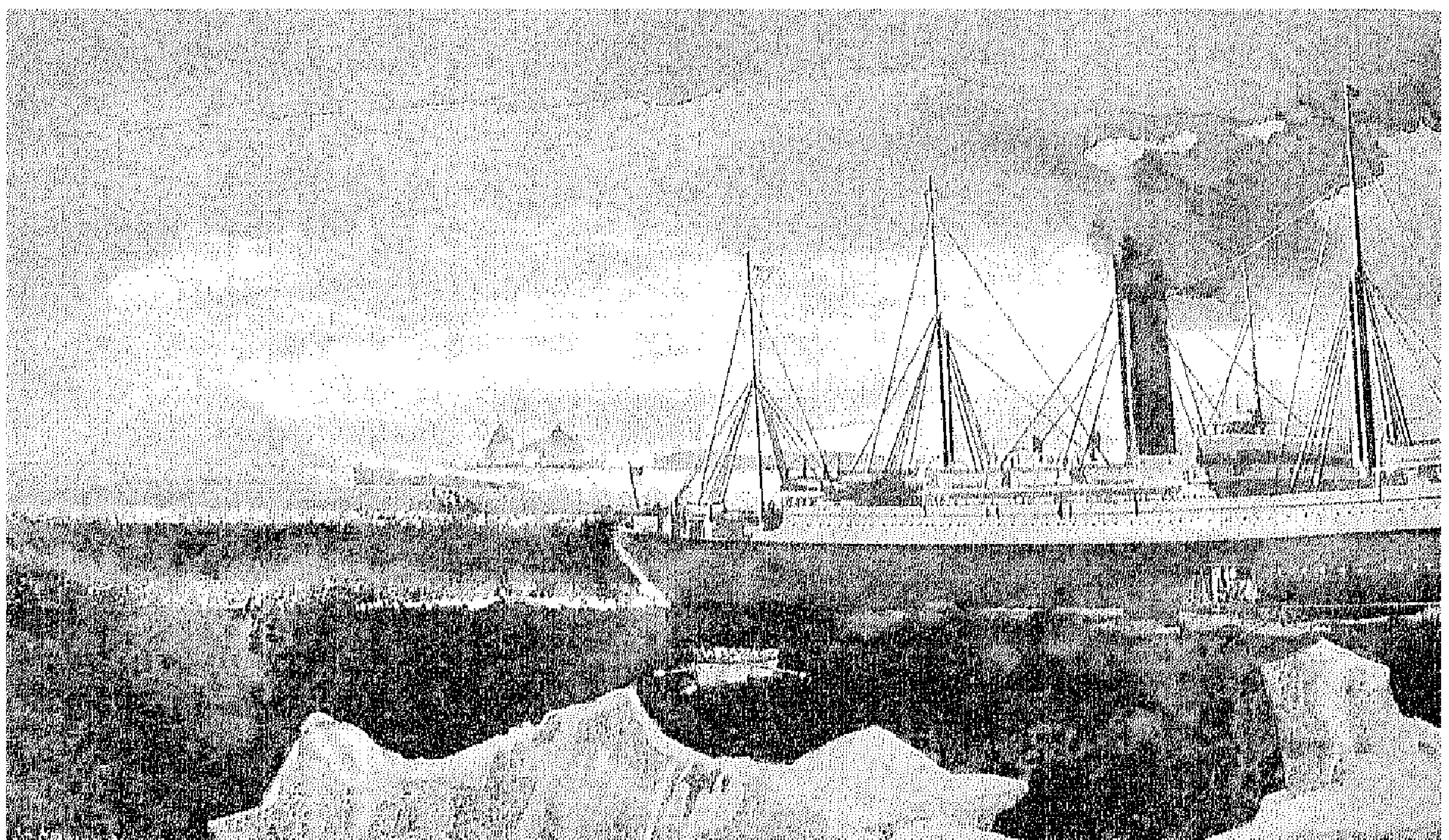
"وكانت سرعة الكارباثيا تبلغ ٢٦ كيلومتراً في الساعة، إلا أنها في تلك الليلة تعدّت هذه السرعة إلى ٣١،٥ كيلومتراً في الساعة مدة ثلاث ساعات ونصف ساعة. وعمدنا إلى إيقاف كل استهلاك ثانوي للطاقة، كالتدفئة، وادخرنا كل القوة الدافعة للمحركات.

"ومن حسن الحظ أن الوقت كان ليلاً وجميع ركابنا في أسرّتهم. والواقع أن كثيرين منهم لم يستيقظوا الا بعد انتهاء المأساة. فقد كان من أول تعليماتي لزوم الصمت جهد المستطاع والطلب من كل مسافر يشاهَد خارج حجرته أن يعود اليها."[١٠]

نادى روسترون كوتام: "أخبر التيتانيك أننا سنكون هناك بعد أربع ساعات (والواقع انهم تمكنوا من الوصول في ثلاث ساعات ونصف ساعة) وأن جميع قواربنا ستكون جاهزة."

فأبرق كوتام إلى التيتانيك ما يأتي: "إننا قادمون بأقصى سرعة ممكنة ونتوقع أن نصل اليكم خلال أربع ساعات." فتلقى الجواب الآتي: "شكراً لك يا رجل."

وبعد ذلك قطع كوتام التيار الكهربائي عن جهاز الإرسال خشية تشويش إشارات



التيتانيك. على أنه تمكن من سماع الاتصالات اللاسلكية المتبادلة بينها وبين السفينتين فرنكفورت وماونت تمبل وسفن أخرى. وقد بقيت الكاليفورنيان صامتة طوال هذا الوقت على رغم أنها كانت تبعد عن الباخرة الغارقة أقل من ١٨ كيلومتراً.[٣]

آخر من علم

وقف الركاب بهدوء على ظهر التيتانيك مطمئنين ومرتبكين في آن. ولم يكن هؤلاء تدربوا على مواجهة وضع مماثل كما أنهم لم يكلفوا تأدية أعمال محددة. أما الملاحون فكانت لهم وظائف معينة، إلا أن أحداً منهم لم يكلف نفسه عناء النظر إلى لائحة توزيع العمل معتمدين على الأوامر الشفهية التي تصدر اليهم، إضافة الى ان خبرتهم الطويلة منحتهم القدرة على أن يعرفوا موضع الحاجة اليهم.

غير أن الحركة اتسمت بالبطء. فقد وقف الضابط الثاني لايتولر واضعاً إحدى قدميه على سطح السفينة والأخرى في قارب النجاة الرقم ٦ ودعا النساء والأطفال. إلا أن دعوته لم تقابل بأي حماسة. فمن يرضى بامضاء ساعات قاتمة في زورق تجذيف بدلا من إمضائها على متن التيتانيك؟ وقد سخر جون جاكوب استور نفسه من الفكرة فقال: "إننا هنا أكثر أماناً من أن نكون في ذلك القارب الصغير." وحين رفضت كونستانس ويلارد رفضاً قاطعاً دخول القارب هزّ أحد الضباط المغضبين كتفيه وقال من دون مبالاة: "لا تضيعوا الوقت ودّعوها تذهب اذا كانت غير راغبة في الركوب."

وصدحت الموسيقى للتسكين من روعهم. فقد جمع قائد الفرقة الموسيقية والاس هنري هارتلي أعضاء فرقته وراحوا يعزفون لوناً من الجاز. عزفوا أولا في قاعة الجلوس الخاصة بركاب الدرجة الأولى ثم انتقلوا الى ظهر السفينة قرب مدخل السلّم الرئيسية. وكان مظهرهم يعوزه بعض الأناقة إذ ارتدى بعضهم ثياباً زرقاء والآخرون سترات بيضاء، لكن الموسيقى كانت على ما يرام. فأصحاب التيتانيك لم يألوا جهداً كي يجعلوا هذه الفرقة الموسيقية أفضل الفرق في المحيط الأطلسي.

أما في ميمنة السفينة فكانت الامور تسير على نحو أسرع، الا ان هذه السرعة لم تكن كافية بالنسبة الى إسماي رئيس الخط البحري وايت ستار الذي كان يذرع المكان حاثاً الرجال على الإسراع. على أن الضابط الثالث بتمان لم يكترث له، فهو لم يكن يعرفه ولم يكن لديه متسع من الوقت لهذا الغريب المتأمّر الذي جاءه واضعاً خفّين في قدميه.

ولم يكد اسماي يسمع صرير قارب النجاة الرقم ٥ الذي بدأ ينزل حتى استشاط غضباً وصاح وهو يرفع إحدى ذراعيه في حركة دائرية ويمسك قارب النجاة بذراعه الأخرى: "أنزلوه! أنزلوه! أنزلوه! أنزلوه!" فاغتاظ الضابط الخامس لاو المسؤول عن قوارب النجاة وقال: "إذا تنحيت جانباً فسيمكنني عمل شيء ما! هل تريدني أن أنزل القارب بسرعة؟ انك تدفعني الى إغراقهم جميعاً!" فارتبك

اسماي ومضى الى القارب الرقم ٣. وأخذت الدهشة الملاحين القدامى إذ لا يعقل أن يهين ضابط من الفئة الخامسة رئيس الخط البحري ويبقى بلا عقاب.

في أقصى مؤخر التيتانيك كان "الريّس" جورج توماس راو ماضياً في المراقبة في مركزه الموحش، فهو لم يكن رأى أحداً ولا سمع شيئاً منذ اصطدام الجبل الجليدي بالسفينة قبل نحو ساعة. وفجأة اعترته الدهشة لرؤية قارب للنجاة يطفو قرب مؤخر السفينة. فاتصل بمنصة القيادة ليرى ما اذا كان القوم هناك على معرفة بالأمر فسمع صوتاً مرتاباً يسأله من هو. وعندما أجاب أدرك القوم أنهم أغفلوه وطلبوا منه الحضور فوراً الى منصة القيادة ومعه بعض الاسهم النارية. وكان راو آخر من علم بما حدث.

صانع السفينة

أما الآخرون فكانوا على معرفة جيدة بالأمر. فقد التقت المضيفة آي روبنسون على سطح الطبقة "أ" توماس أندروز المدير المسؤول في شركة هارلند وولف لبناء السفن، فحياها تحية أب غاضب وقال لها: "ظننت أني طلبت منك أن تربطي سترة النجاة! هيا افعلي ذلك وتمشي كي يشاهدك الركاب."

وكان أندروز رجلا جذاباً نشطاً يعرف الناس معرفة ممتازة ويمد يد المساعدة الى الجميع. فهو أخبر المضيف الثرثار جونسون أن كل شيء سيكون على ما يرام في حين قال للمضيفة القديرة ماري سلون: "ان المسألة خطيرة جداً، ولكن احتفظي بالأخبار السيئة لنفسك." وأخبر جون ب. ثاير أن السفينة ستغرق في فترة "قد لا تزيد على ساعة واحدة."

في الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والأربعين ليلا انبعث الوميض من وسط الظلام. فقد انطلق السهم الاول من الجهة اليمنى لمنصة القيادة. وفي الضوء الأبيض المشوب باللون الأزرق تذكر الضابط الخامس لاو أنه لمح وجه بروس اسماي وقد بدا عليه الذهول. وكان بيسلي، وهو من ركاب الدرجة الثانية، يفهم معنى إطلاق الاسهم. وفهم الآخرون على ظهر السفينة ما يعنيه هذا أيضاً. فلم يعد هناك مجال للمزاح أو للتلكؤ. والواقع أنه لم يعد أمام الركاب متسع من الوقت لوداع بعضهم بعضاً. وقال دان مارفن لعروسه: "حسناً يا فتاتي الصغيرة، ستذهبين وأبقى أنا قليلا." وأرسل اليها قبلة فيما كانت تدخل قارب النجاة. وقال الدكتور و.ت. ميناهان لزوجته عندما نزلت مع الآخرين: "تحلي بالشجاعة مهما حدث، تحلي بالشجاعة." أما توريل كفنديش فلم يقل شيئاً لزوجته، بل قبّلها ثم نظر اليها طويلا وتوارى بين الآخرين.

ورفضت ايزودور شتراوس الذهاب وقالت: "لقد بقيت دائماً مع زوجي، ولن أتركه الآن."

وبدا واضحاً أن الوقت كان إلى نفاد. وكان توماس اندروز ينتقل من قارب الى آخر ويحث النساء على الإسراع قائلا: "سيداتي، عليكن دخول القوارب الآن إذ لم يعد في الامكان إضاعة إي لحظة. ادخلن، ادخلن!"

وسرعان ما ارتفع الماء الى سطح

التيتانيك وبلغ الرافعات وأسفل الصارية والأبواب المؤدية الى أسفل السفينة. وكان إطلاق الاسهم النارية توقف وازداد انحدار ظهر السفينة، وبلغ الانحدار نحو مقدمها حداً مخيفاً.[٣]

وتبين أن ثمة صعوبة في انزال قارب النجاة القابل للطي "ج" بواسطة الداووديبين(٣) اللذين استخدما في إنزال قارب النجاة الرقم ١. ووقف بروس اسماي رئيس وايت ستار يساعد في إعداد القارب للنزول.

وفي اللحظة الأخيرة صعد فجأة الى القارب "ج". وأنزل القارب حاملا ٤٢ شخصاً بينهم بروس اسماي الذي لم يكن سوى واحد من الركاب.

اللحظات الاخيرة

حين نظر أحد المضيفين الى غرفة المدخنين في الثانية والدقيقة العاشرة فوجىء بتوماس أندروز يقف وحيداً وقد وضع حزام النجاة من دون عناية على الغطاء الأخضر لاحدى الطاولات فسأله: "ألن تحاول النجاة يا سيد أندروز؟" فلم يتلق جواباً. وراح صانع التيتانيك يحدّق إلى مؤخر السفينة.[٣]

وعلى ظهر السفينة وقف فريق من الأثرياء بهدوء بعيداً عن الآخرين. وكان في جيب جون جاكوب استور ٤٢٥٠ دولاراً تكاد تساوي في ذلك المقام الملايين المئة والخمسين التي يملكها خارج السفينة. أما الصناعيّ بنجامين غوغنهايم وسكرتيره فكانا يرتديان ثياب السهرة. وعلل غوغنهايم ذلك بقوله: "لقد ارتدينا أفضل ثيابنا، ونحن على استعداد الآن للنزول كالأسياد."[٣] وأبلغ الى المضيف - في حال نجاته - رسالة الى زوجته: "أخبرها أني مضيت في الأمر حتى نهايته. ولن تبقى امرأة على متن السفينة بسبب جبانة غوغنهايم."

وبعدما غادر السفينة آخر قارب للنجاة رجع ميليت ومور وبات ورايرسون الى غرفة المدخنين وشرعوا يلعبون بورق الشدة (الكوتشينة) غير مبالين في الظاهر بكل ما يحدث خارج السفينة. أما الصبيان والبنات الايرلنديون من ركاب الدرجة الثالثة فجثوا على ركبهم يؤدون الصلاة فيما الماء الاسود يزداد اقتراباً.[٣]

وبينما الملاحون يجرون آخر اثنين من قوارب النجاة القابلة للطيّ غمر الماء منصة القيادة في الثانية والربع فجراً. وتوجه العقيد غراسي نحو مؤخر السفينة، فلم يكد يخطو بضع خطوات حتى اعترضه رجال ونساء تدافعوا من أسفل السفينة وبدوا جميعاً من ركاب الدرجة الثالثة.

وفي هذه اللحظة كان هارتلي، رئيس الفرقة الموسيقية، يعزف على كمانه.[٣]

وكتب الضابط الثاني لايتولر في ما بعد: "لم يكن في وسعي عمل أي شيء آخر، فقد توجهت الى الناحية الأمامية من منصة القيادة وغطست في الماء فأحسست أن ألف سكين اخترقت جسدي، ولا غرابة في ذلك اذ كانت حرارة الماء درجتين مئويتين تحت الصفر. وفجأة ألفيت نفسي مسوقاً الى مهوى هوائي بفعل تدفق الماء من السطح. وعلى رغم

---

(٣) الداووديّ أحد عمودين حديد أو ذراعين ملويين على جانب السفينة يستخدمان لرفع (أو خفض أو تعليق) مركب صغير او مرساة.

كفاحي المستميت فقد تعذّر علي الإفلات. فكلما تقدمت قليلا كنت أعود الى حيث انطلقت. والى ذلك فإني كنت أغرق ولم يكن ممكناً أن أبقى حياً في هذه الحال أكثر من دقائق معدودات. وما زلت أقاوم الى أن عصفت هبة من الهواء الساخن وألقتني على السطح."[١١]

ووصف العقيد غراسي تجربته: "كنت أدور في دوامة من الماء عندما نزلت السفينة الى أعماق المحيط وبدا لي أني هويت في الماء مسافة كبيرة. غير أني بقيت محتفظاً بمعرفتي للاتجاه الصحيح فرحت أسبح مبتعداً عن ميمنة السفينة وأنا أعلم أن نجاتي تتوقف على النجاح في ذلك. وسبحت بكل ما أملك من قوة يحدوني على هذا تخيلي البخار الغالي المنطلق من الانفجار المتوقع لخزانات الوقود في السفينة، ذلك الانفجار الذي سيصيبني بحروق مميتة.

"وحبست أنفاسي وقتاً بدا غير منته. وفي اللحظة التي فكرت أن عليّ التسليم بالأمر خطر لي أن هذه هي لحظتي الأخيرة. وأردت أن يعرف أحبائي في الوطن كيف قضيت.

"وعندما ارتفع رأسي فوق سطح الماء اكتشفت قطعة من الحطام تشبه صندوقاً خشبياً ولم ألبث أن أمسكت بها. ولم أعد أرى أثراً للتيتانيك. فقد توارت تحت السطح الهادىء للمحيط ولم يكن ثمة ما يشير إلى أمواج."[٨]

ووصف الراكب بيسلي اللحظات الأخيرة للسفينة العظيمة كما شاهدها من قارب النجاة الرقم ٧ على بعد ١٨٥٠ متراً: "أخذنا نحدق اليها بذهول فيما كانت تنحرف ببطء كأنما تدور حول مركز الثقل في مؤخر وسطها الى أن اتخذت وضعاً عمودياً ثم توقفت عن الحركة."[٥]

وفي دوامة هائلة من الحبال والكراسي والألواح الخشبية التي غطت الماء كان من الممكن رؤية الناس متشبثين كجماعات النحل بالحافات والرافعات والمراوح. ولم يعرف أحد ما حصل لمعظم الناس. وهكذا اختلط المشاهير بالمغمورين فيما انخفض مقدّم السفينة وارتفع مؤخرها. ثم انبعثت من الماء قعقعة مطّردة اذ أفلت من السفينة كل ما يتحرك.[٤] والحق أنه لم يشاهد من قبل خليط كهذا قوامه ٢٩ خزاناً للوقود و١٥ ألف زجاجة مرطبات وثلاثون صندوقاً لعصيّ الغولف ومضارب التنس وسلاسل المراسي الضخمة وأطنان من الفحم وثلاثون ألف بيضة طازجة وخمس آلات بيانو كبيرة.[٢]

الليل الصافي

تابعت التيتانيك نزولها البطيء. وتمكن جون ثاير الذي وثب الى البحر من سماع أصوات "خزانات الوقود والمحركات وهي تقتلع من أساسها وتتناثر." ولم تلبث ركيزة مدخنة السفينة أن انهارت وانطلقت المداخن الضخمة كأنها طائفة من الصواريخ ممزقة بأسلاكها الفولاذية سطوح طبقات السفينة قبل أن تسقط على الذين كانوا في الماء. وبدا لشارلوت كولاير التي كانت في قارب النجاة الرقم ١٤ "أن أمعاء التيتانيك انفجرت وانطلقت ملايين الشرارات كالاسهم في الفضاء ثم سقطت شلالا من نار."

وأخذت الحواجز الفاصلة بين أجزاء السفينة تنهار محدثة "دوياً كبيراً." وفي قارب النجاة الرقم ٥ سُمع هذا الدوي "كأنه صوت رصاص مسدس كبير أطلق من بعيد." وراح مؤخر التيتانيك يرتفع على نحو مطرد الى أن توارت الأضواء فجأة ثم ظهرت باهتة ولم تلبث أن انطفأت الى الأبد.٤

وبعد دقيقتين توقف الضجيج واستقرت التيتانيك قليلا على مؤخرها ثم بدأت تنحدر بشدة. وبدا أن سرعتها ازدادت كلما ازداد انحدارها. وعندما توارت سارية العلم في مؤخرها تحت ماء البحر كانت سرعتها بلغت حداً بات معه ابتلاعها ممكناً. وفي قارب النجاة الرقم ١٣ قال أحد الركاب للرقيب رجينالد لي متنهداً: "لقد ذهبت، وهذا آخر أثر لها."٢

وفي ضوء النجوم بدا مشهد بلغ من الارعاب حداً لا يوصف. فقد تدثر البحر بكتلة من الحطام المتشابك وبمئات الرجال والنساء والاطفال الذين راحوا يقاومون متجمدين ببطء الى أن يدركهم الموت. وعلى ارتفاع نحو متر عن سطح الماء برزت رقعة رقيقة من البخار الرمادي كأنها غطاء النعش الكبير.٣

وكتب ارشيبالد غراسي في هذا المقام: "وارتفعت في الفضاء أفظع الاصوات التي سمعها انسان: انطلقت الحشرجة من ألوف الحناجر وانبعث النحيب والأنين من الأفئدة المعذبة وتعالت صرخات الرعب وشهقات الرهبة معبرة عن الآلام الأخيرة التي سبقت الغرق. انها أصوات لن ينساها أي منا حتى يومه الاخير."٨

وقال بيسلي: "لم يلبث الصراخ أن هدأ تدريجاً، على أن الليل كان صافياً ساكناً والماء هادئاً مما يحمل على الظن أن الصوت ترامى الى مسافة كيلومترات. وأظن أن الصوت الأخير سُمع بعد غرق التيتانيك بأربعين دقيقة."٣

عناوين متناقضة

في مكاتب صحيفة النيويورك تايمس كانت النشرات اللاسلكية تصل الى الطبقة الثامنة عشرة ثم ترسل في صندوق خشبيّ يُدلىّ بحبل الى الطبقات السفلى. ولدى وصول أخبار مهمة كان مرسلها في الطبقة الثامنة عشرة يشير اليها بجذبة قوية للحبل.

وفي الاولى والدقيقة العشرين ليلا جعل الحبل يتحرك بعنف. فأسرع الحاجب بقطعة الورق الصغيرة الى مدير التحرير كار فان أندا الذي تجهم وجهه بعدما قرأ ما يأتي: "كيب ريس نيوفاوندلاند. في العاشرة والدقيقة الخامسة والعشرين من هذه الليلة أطلقت السفينة تيتانيك التابعة لخط وايت ستار نداء "أسرعوا، كارثة!" الى محطة مركوني هنا، وذكرت أنها اصطدمت بجبل جليدي."

وتجاهل معظم محرري الاخبار في مدينة نيويورك هذه النشرة. واتصل بعضهم بالمسؤولين في شركة وايت ستار فأكد لهم هؤلاء أن كل شيء على ما يرام. وغلب الظن أن ذلك النداء حُرّف أو انه مجرد خدعة. فقد كانت هذه الرسالة المقتضبة كل ما وصل في هذا الشأن.

الا أن فان أندا أتى بتصاميم للسفينة فوجد ان الارسال اللاسلكي فيها يستمد

طاقته من مصدرين، أولهما غرفة المحركات وثانيهما الذي يعدّ اضافياً حجرة الأجهزة اللاسلكية. وهذا يعني أن السفينة تستطيع بث الرسائل اللاسلكية ما دامت أعلى نقطة في الطبقات العليا فوق سطح الماء. لذلك رأى فان أندا أن عدم وصول رسائل لاحقة هو نذير شؤم وتأكد له أن كارثة حلّت بالسفينة العظيمة. وسأل عدداً من الرجال أن يأتوه بأوصاف للسفينة. وطلب من بعض ذوي الشأن في نيويورك ولندن ارسال معلومات عن الخط البحري والسفينة والركاب.

وفي صباح اليوم التالي صدرت النيويورك تايمس حافلة بأخبار التيتانيك بينما لم تذكر الصحف الاخرى المنافسة سوى القليل عنها. وسخرت إحدى الصحف من "الخدعة."[٣]

أما شركة وايت ستار فأبدت "ارتياحاً تاماً" إذ لم يكن هناك ما يدعو الى القلق. وقرابة الظهر وصلت رسالة من كيب ريس من طريق مونريال تقول ان الفرجينيان تقطر التيتانيك الى هليفاكس. وفي العنوان الرئيسي لصحيفة "صن" الصادرة في نيويورك جاء ما يأتي: "نجا جميع ركاب التيتانيك بعد الاصطدام." وورد في المقال الافتتاحي لصحيفة "وول ستريت جورنال" أن "الكارثة كادت تقع وأهم ما في الأمر أن السفينة لم تغرق." وفي الصباح ارتفعت نسبة التأمين المالي على حمولة السفينة الى خمسين في المئة ومن ثم الى ستين في المئة. وبعد وصول الأخبار المطمئنة انخفضت النسبة الى ٤٥ في المئة وأخيراً الى ٣٥ في المئة.[٤]

وفي عرض المحيط كانت الكارباثيا تشق طريقها نحو التيتانيك "فلاحت أمامها جبال جليدية وسقطت الى يمينها" على حد تعبير قبطانها روسترون الذي أضاف: "لم نخفف سرعتنا على رغم اضطرارنا أحياناً الى تغيير اتجاه السفينة. ولم نكد نصل الى حيث يمكن أن يرانا ركاب التيتانيك حتى رحنا نطلق الاسهم تاركين فترة ربع ساعة بين سهم وآخر. وعندما أصبحنا في مكان أقرب أضأنا الشموع الرومانية(٤) كي نعْلمهم أن الكارباثيا تقترب. غير أنه لم تبد أي اشارة تدل على التيتانيك. وكانت الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين فجراً وكدنا أن نصل الى المكان المحدد. وفي الرابعة وصلنا وأوقفت المحركات. وعزز اقتناعي بوصولنا رؤية ضوء أخضر أمامنا علمت أنه منبعث من مركب. ولم ألبث أن سمعت نداء: "ليس في المركب سوى ملاح واحد ولا يسعنا أن نؤدي العمل جيداً." فقلت لهم: "حسناً" واقتربنا منهم فأخذوا يصعدون الى سفينتنا. وكان هؤلاء في عهدة أحد الضباط فطلبت أن يأتي اليّ ذلك الضابط عند صعوده."[١٠]

وسأل روسترون الضابط متأثراً من دون تمهيد: "أين التيتانيك؟" فقال الضابط الرابع جوزف ج. بوكسهول: "لقد غرقت في الثانية والدقيقة العشرين بعد منتصف الليل."

وفي لحظة الصمت المشوب بالذهول

(٤) ضرب من الالعاب النارية يتألف من أنبوب يطلق وابلا من الشرر وسلسلة متلاحقة من الكرات النارية.

التي تلت النبأ أخذ كل رجل في منصة القيادة يتصوّر الحقيقة المروعة، غير أن الواقع فاق تصورهم جميعاً. وكانت الساعة الآن الرابعة والدقيقة العشرين فجراً. وسئل بوكسهول: "هل بقي كثيرون على متن السفينة؟" فأجاب بصوت متهدج: "مئات، وربما ألف أو أكثر! يا إلهي، لقد غرقوا معها يا سيدي."[٣]

وكتب روسترون في مذكراته: "كان ضوء النهار آخذاً في الظهور، ويا له من مشهد حمله الصباح الجديد. انتشرت الجبال الجليدية في كل مكان. وكان خمسة وعشرون منها يزيد ارتفاعها على ٦٠ متراً وعشرات يراوح ارتفاعها بين ١٥ و٤٥ متراً. وفي وسطها كانت تعوم قوارب السفينة المفقودة تحت أشعة الشمس الطالعة."[١٠]

صلوات للأموات

ظهر قرب الأفق هلال فصاح الوقّاد فريد باريت بالملاحين الذين كانوا يجذفون القارب ١٣ مبتهجاً: "قمر جديد. أعطوني المال الذي معكم يا شباب اذا كان بقي لديكم شيء منه!" وتعالت صيحات الراحة وهتافات الفرح من جميع قوارب النجاة فيما الرجال يتسابقون الى صعود الكارباثيا. وراح بعضهم يغني: "جذّفوا الى الشاطىء يا شباب!"

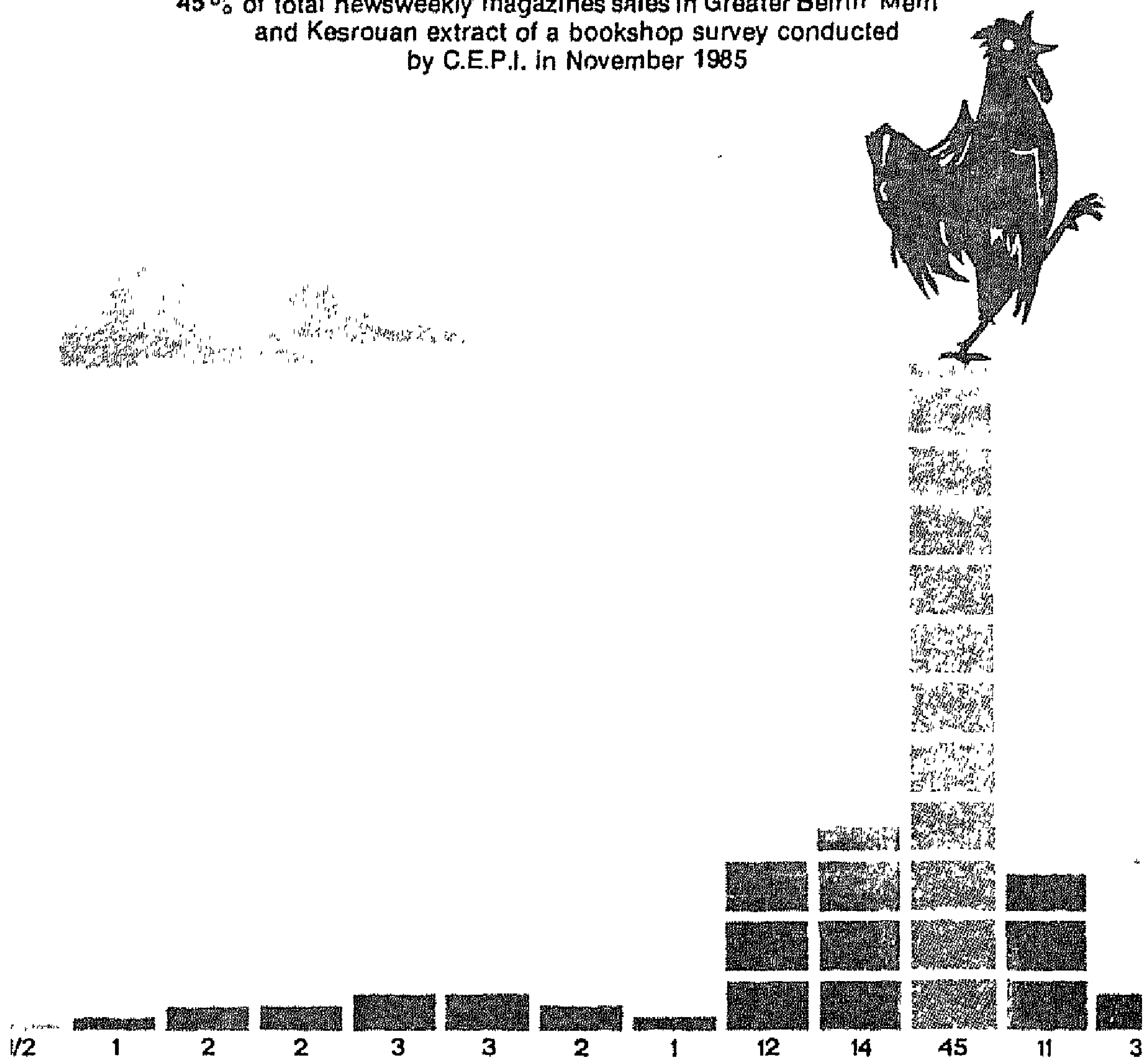
ولم تبد أمارات الفرح على ركاب القارب المنقلب القابل للطي "ب" إذ كان لايتولر وغراسي وبرايد وآخرون يحاولون إبقاءه عائماً. وكانت ريح الصباح تحرك الأمواج فترتفع الى هيكل القارب فتجعله يتمايل الى خلف والى أمام فيتسرب منه مزيد من الهواء ويغمر عارضته مزيد من الماء. وكان لايتولر يصدر أوامره فيرفع الرجال ثقلهم الى خلف والى أمام حتى كادوا بعد ساعة يهلكون من العياء.

وحين شاهد هؤلاء الرجال الكارباثيا تصل مع الفجر لم يكترثوا كثيراً إذ كانت تبعد عنهم نحو سبعة كيلومترات ونصف كيلومتر. ترى هل يبقون على قيد الحياة حتى يتم إنقاذهم. وفجأة شاهدوا ضوءاً يسطع في البحر فعاد اليهم الأمل. ورأوا على بعد ٨٠٠ متر تقريباً القوارب ٤ و١٠ و١٢ و"د" لا تزال في صف واحد. فأخرج لايتولر صفارة من جيبه وأطلق صفيراً عالياً بلغ أسماع الملاحين وعرفوا أن من يناديهم هو أحد الضباط. وكان على "الريّس" بركيز اللجوء الى مهارته كلها كي يصل بقاربه سالماً الى محاذاة القارب الآخر. وفي القارب "ب" حذّر لايتولر الرجال من التدافع. وعلى رغم ذلك كان القارب يترنح على نحو مزعج كلما انحنى أحدهم للوثوب الى القارب الآخر.

وكان لايتولر آخر من غادر القارب المنقلب. فبعدما ترك رفقاؤه القارب رفع جثة عامل اللاسلكي جاك فيليبس الى القارب ١٢ ثم قفز اليه وتولى قيادته. وعندما ابتعد عن العارضة الفارغة وبدأ يجذف نحو الكارباثيا كانت الساعة بلغت السادسة والنصف.

وفي الثامنة والربع وصلت جميع قوارب النجاة الى الكارباثيا ما عدا القارب ١٢ الذي احتشد فيه ٧٥ شخصاً. فجأة اشتدت العاصفة وعلا الموج. وراح الواقفون عند سور السفينة يراقبون

The sky is still our limit



النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative TAMAM S.A

لايتولر يدنو بالقارب وقد انحبست أنفاسهم. ففيما كان لايتولر يكافح لعبور مقدم السفينة وبلوغ مكان بعيد عن الريح هبت عاصفة وارتفعت الى القارب موجة تلتها ثانية. أما الثالثة فلم تصل اليه. وفي اللحظة التالية وصل القارب سالماً الى مأوى السفينة الكبيرة.[٣]

وكانت الكاليفورنيان أبحرت في السادسة صباحاً متوجهة الى حيث أرسلت التيتانيك نداء الاستغاثة. وبعيد الثامنة جعلت تشق طريقها بحذر عبر الجليد مقتربة من الكارباثيا. وحين سألت الكاليفورنيان عن الأمر كان الجواب أن التيتانيك غرقت. وتلقت في ما بعد رسالة لاسلكية من الربان روسترون جاء فيها: "سآخذ الأحياء الى نيويورك. أرجو أن تبقى على مقربة من المكان لانتشال الجثث."[٣]

اتهامات متبادلة

انطلقت الكارباثيا ببطء فوق ضريح التيتانيك. وكانت هناك بقايا قليلة من السفينة العظيمة. وفي الثامنة والدقيقة الخمسين تلاشى لدى روسترون كل أمل بوجود ناجين آخرين فانطلق "بأقصى سرعة" متوجهاً الى نيويورك.

وذكر قبطان الكاليفورنيان أنه لم يعثر على أي جثة. وتابعت السفينة سفرها بعد ساعة. وقد قيل ان البحث عن الجثث لم يجر على نحو فاعل لأن مئات منها شوهدت على سطح الماء منجرفة مع التيار إقبالا وإدباراً.

وقدم تفسير للغز الجثث المفقودة. فقيل انها لم تشاهد لانها علقت وسط كتلة جليدية كانت تتحرك في اتجاه شمالي شرقي، ولم تجرؤ السفينتان على المخاطرة بالاقتراب. وقد تفرقت هذه الجثث في ما بعد، ربما نتيجة تكسر الجليد في تيار الخليج.[٣]

في الثامنة صباحاً عجت مكاتب وايت ستار في نيويورك بالصحافيين. وعمد نائب رئيس الشركة ب.أ.س. فرنكلين الى التخفيف من وقع التقارير فقال إن التيتانيك يمكنها الطفو الى ما لانهاية حتى وان صحّ خبر اصطدامها بالجليد. غير أن الاشاعات بدأت تنتشر والتقط موظفو الاجهزة اللاسلكية رسائل مقلقة من المحيط الأطلسي. وفي السادسة والربع مساء اتضحت الحقيقة إذ وردت رسالة من السفينة أولمبيك جاء فيها أن التيتانيك غرقت في الثانية والدقيقة العشرين بعد منتصف الليل وان الكارباثيا حملت كل قوارب النجاة ورجعت الى نيويورك وعلى متنها ٧٠٥ من ركاب التيتانيك الناجين. وقد أخر نقل الرسالة ساعات عدة.

ولم يستطع أحد الحصول على معلومات عن الكارباثيا لأن روسترون خصص أجهزته اللاسلكية للرسائل الرسمية والرسائل الخاصة التي بعثها الركاب الأحياء. لذلك راحت الصحف تؤلف رواياتها في هذا المجال أو تنزل غائلة غضبها على سفينة الانقاذ الصامتة. فصحيفة "ايفننغ ميل" أرعدت: "المراقبون يغضبهم سكوت الكارباثيا." وكتبت صحيفة "وورد" معبرة عن استيائها: "الكارباثيا تمنع أجهزتها اللاسلكية من إفشاء أي سرّ عن فقدان التيتانيك."[٣]

وفي غياب الوقائع الثابتة أخذ المحررون يبحثون عن المعلومات حيث تيسر لهم ذلك. وتجدر الاشارة الى ان مصادفات مدهشة برزت في هذا المقام. فقد كتب مؤلف القصص الخرافية ماين كلو غارنت قصة رائعة عن تحطم التيتانيك. ثم ظهرت قصة أخرى أكثر غرابة من توجّس غارنت. ففي العام ١٨٩٨ كتب مورغان روبرتسون رواية "اللاجدوى" حول باخرة طولها ٢٥٠ متراً تدعى "تيتان"، ويشبه موضوعها الى حد مخيف كارثة التيتانيك.

رواية مثيرة

يوم الخميس ١٨ أبريل (نيسان) صدر تقرير جاء فيه أن الكارباثيا لم تردّ على استعلام رسمي من رئيس الولايات المتحدة يتعلق بالرائد أرشيبالد بت. وازداد الارتياب العام في أثر تنصت الاسطول البحري على رسائل لاسلكية بعثها اسماي من الكارباثيا الى فرنكلين نائب رئيس شركة وايت ستار. وجاء في احدى هذه الرسائل: "ينبغي أن نعيد الى الوطن في أقرب وقت ممكن ملاحي التيتانيك الذين على متن الكارباثيا. وأنا أقترح أن تعد السفينة سدريك. وأرى أن أعود عليها أنا نفسي. يامسا."

وتبين أن ثلاثا من الرسائل اللاسلكية التي بعثها اسماي تحمل اسم يامسا، أي اسماي معكوساً. وسلمت هذه الرسائل الى عضو مجلس الشيوخ السناتور وليم الدن سميث ممثل الحزب الجمهوري في ولاية ميشيغن الذي اذن له مجلس الشيوخ باجراء تحقيق رسمي.[٤]

في أثناء ذلك كان رئيس الولايات المتحدة تافت منقبض النفس إذ كان أرشيبالد بت حلقة الوصل بينه وبين الرئيس السابق تيودور روزفلت الذي كان ينافس تافت في الفوز بترشيح الحزب الجمهوري. وفي ١٤ أبريل (نيسان) هزم روزفلت تافت في الانتخابات الأولية في ولاية بنسيلفانيا. وبعد أقل من ٢٤ ساعة غرق أرشيبالد في قعر شمال المحيط الاطلسي.

وكان حزن الرئيس تافت كبيراً ليس فقط لفقدان مساعده، بل أيضاً لانقطاع علاقته بالرئيس السابق روزفلت، تلك العلاقة التي ساعد أرشيبالد على قيامها وغدا في ما بعد رمزاً لها. وقال تافت والدموع في عينيه: "ليس في وسعي أن أذرع غرفتي أو أن أذهب الى أي مكان من دون أن أتوقع رؤية وجهه الباسم أو أسمع صوته البهيج."

وفيما كان الرئيس تافت يبدي حزنه وروزفلت يستغل الكارثة الى أقصى الحدود في حملته السياسية، كان هياج الشعب الامريكي آخذاً في الازدياد.

وليل الخميس انتهى الانتظار. فلدى مرور الكارباثيا بتمثال الحرية كان هناك عشرة آلاف شخص يراقبونها من متنزه المدفعية هناك. وحين اقتربت من الرصيف ٥٤ كان ثلاثون ألفاً آخرون ينتظرونها تحت المطر. وقد أبى روسترون مقابلة الصحافيين حتى النهاية ولم يدَعهم يدخلون السفينة وهي في الحجر الصحي. وبينما الكارباثيا تشق طريقها صعوداً الى نورث ريفر كانت مراكب القطر تتبعها ببطء وقد غصت

بالصحافيين الذين راحوا يلقون أسئلتهم عبر مكبرات الصوت.

وفي الثامنة والدقيقة السابعة والثلاثين وصلت الكارباثيا الى الرصيف وجعلت تفرغ حمولتها من قوارب التيتانيك. ثم نقلت هذه القوارب الى رصيف وايت ستار حيث عمد صيادو التذكارات الى "تنظيفها" أثناء الليل. وفي اليوم التالي مُحيَ اسم التيتانيك عن هذه القوارب.[٣]

لم تمض دقائق على بدء نزول ركاب التيتانيك حتى شوهد رجل يشق طريقه مسرعاً نحو السفينة يتبعه خمسة رجال آخرون. وكان هذا الرجل يرتدي معطفاً رمادياً طويلا ويعتمر قبعة سوداء مستديرة. وحاول رجال الشرطة منعه من الدخول، الا أنه أبرز لهم أوراقه فسمحوا له ولرفقائه بالصعود الى السفينة. وتبين أن هؤلاء هم عضو مجلس الشيوخ سميث واللجنة المسؤولة عن إجراء التحقيق وأنهم كانوا يبحثون عن اسماي.

وكان من بين الذين سمح لهم أيضاً بالصعود الى السفينة غوغليلمو مركوني الذي أتاح اختراعه إنقاذ عدد من الركاب وصديق له اتضح أنه جيم سبيرس أحد العاملين في صحيفة النيويورك تايمس. ووجدا برايد لا يزال منهمكاً في تفسير الرسائل الأخيرة التي تلقاها، وقد أسند قدميه الى كرسي بعدما قرّحهما الصقيع وكانتا ملفوفتين برباطات كثيرة. وبعدما راقب مركوني برايد فترة قصيرة وهو يبذل جهده لتوضيح تلك الرسائل قال له: "يا بني، إن إرسالها الآن ليس أمراً ملحاً." فالتفت برايد ولمعت عيناه اذ عرف المخترع الشهير الذي أسرع الى مصافحته بحرارة. فقال برايد: "لقد مات فيليب. لقد توارى."

أخرج سبيرس دفتره وقلمه فأملى عليه هارولد برايد ما ملأ خمسة أعمدة في الصفحة الاولى من النيويورك تايمس. وكانت تلك من أكثر الروايات إثارة في تاريخ أخبار البحر. واقتصرت حقوق الطبع على النيويورك تايمس، فحصل برايد على ألف دولار ولم يعد في وسع أي صحيفة أخرى نقل الرواية.[٤]

الحصول على الوقائع

كان عضو مجلس الشيوخ سميث، أو وليم ألدن كما بات يدعى، رجلا قصير القامة يتحلى بثقة بالنفس لافتة كثيراً ما تبلغ حد الغرور. وكان يتمتع بذاكرة عجيبة مكنته من حفظ جميع التفاصيل التي حفلت بها الشهادات التي جمعتها اللجنة والتي ملأ مجموعها ١١٦٣ صفحة.

وفي مساء ١٥ أبريل (نيسان) ١٩١٢ كان عضو مجلس الشيوخ في غرفته منهمكاً في مسألة بناء السكك الحديد في ألاسكا. وفجأة سمع ضجة في الخارج وأخذت الأصوات تزداد ارتفاعاً فخرج لتبين حقيقة الأمر.

وكان وصل خبر من نيويورك يفيد ان حلم ج. ب. مورغان الأخير الذي تحقق ببناء السفينة تيتانيك الهائلة الفخمة تبدد بحصول كارثة ذهب ضحيتها عدد كبير من الأشخاص. وكان هذا إيذاناً ببداية أقسى محنة عرفها سميث في حياته المهنية.

بدأ تحقيق مجلس الشيوخ في ١٩

أبريل (نيسان) في الغرفة الشرقية من فندق "والدورف استوريا" الفخم في نيويورك، ثم انتقل بعد بضعة أيام الى واشنطن وانتهى بالخطاب التلخيصي الذي ألقاه السناتور سميث في مجلس الشيوخ في ٢٨ مايو (أيار).

وبعد ذلك توصلت هيئة بريطانية للتحقيقات التجارية الى النتائج ذاتها. فسرعة السفينة كانت تزيد على المفروض في ظروف مماثلة، كما أنه لم يكن فيها عدد كاف من قوارب النجاة ولم تتخذ فيها الاحتياطات اللازمة المتعلقة بتلك القوارب وبسلامة الركاب. وعلى رغم نفي شركة وايت ستار فقد أوضحت الاحصاءات أنه كان هناك تمييز بين ركاب الدرجات الثلاث في ملء قوارب النجاة:[١٣]

	النساء والأطفال الناجون	الرجال الناجون	مجموع الناجين
الدرجة – ١	٩٤٪	٣١٪	٦٠٪
الدرجة – ٢	٨١٪	١٠٪	٤٤٪
الدرجة – ٣	٤٧٪	١٤٪	٢٥٪
الملاحون	٨٧٪	٢٢٪	٢٤٪

وهكذا بدا أن النتائج التي وُصل اليها أيدت الملاحظة التي أبداها أحد الناجين، وهو الناشر الأمريكي هنري ستريتر هاربر، وجاء فيها: "إن هؤلاء الملاحين هم أقرب الى موظفي الفنادق منهم الى البحارة. فعندما سمعوا بوجود جبال جليدية أمامهم زادوا سرعة الباخرة بدلا من أن يغيروا اتجاهها. ثم لم يلبثوا أن اصطدموا بالجبل الجليدي."[١٤]

وفي أثناء تقصي السناتور سميث الحقائق ساد العلاقات الامريكية البريطانية توتر واضح. فبعدما أنهى سميث تحقيقاته في نيويورك في فترة وجيزة رجع الى واشنطن استعداداً للإصغاء الى مزيد من الشهادات. فأذهله عدد الرسائل التي تلقاها من مواطنين أمريكيين أعربوا عن تقديرهم لجهوده وكانوا حافزاً له على متابعة تحقيقاته.[١٣] غير أن سماحه لفحوى هذه الرسائل بالتأثير على مجرى التحقيق كان سيؤدي الى تعقيد الأزمة الانكلو – أمريكية والى إذكاء المعركة بين تافت وروزفلت والى إرهاق سميث بالانتقادات.[٤]

وفي بريطانيا نعتت صحيفة "الديلي اكسبرس"[١١] السناتور سميث بـ"البدائي القادم من ميشيغن الذي يحب ان تُسلّط عليه الأضواء."[٤] وقد جعلته ثرثرته وغروره وسذاجته موضوعاً خصباً للرسامين الكاريكاتوريين والصحافيين البريطانيين.

أما الصحافة الأمريكية فأثنت على جهود سميث. غير أن هذا الثناء لم يعد يلقى إجماع هذه الصحف عندما كشف عن حقائق أوقعت صحيفة "النيويورك تايمس" في حرج شديد. فقد كانت شركة مركوني اتفقت مع الصحيفة ان تبيعها هي وحدها حق نشر ما لم يسع عمال أجهزتها اللاسلكية نقله الى العالم.

ولقد تمكن الاسطول البحري في الولايات المتحدة من التقاط رسالتين بعثتهما شركة مركوني الى اثنين من عاملي الاجهزة اللاسلكية على متن سفينة الإنقاذ. وجاء في الرسالة الاولى: "يا رجل،

في المختار

الشهر المقبل

السيجارة مصدر للاشعاع الذري!

يتعرض المدخن الذي يستهلك علبة ونصف علبة من لفائف التبغ يومياً لاشعاع ذري يوازي ما يتعرض له جلده في ٣٠٠ صورة بالاشعة السينية.

حافظ على سيارتك تحافظ على جيبك

نصائح بسيطة في قيادة السيارة وصيانتها تساعدك على الاقتصاد في مصروف الوقود.

حقائق مرة عن صحة المراهقين

أظهرت الدراسات الحديثة تحسناً عاماً في صحة الناس من جميع فئات العمر ما عدا فئة المراهقين. وتبين أن لذلك علاقة باسلوب العيش.

ليت زوجتي تعلم...

خمسة أسرار جنسية يكشفها الرجال قد تعزز الزواج المبني على الحب.

مدافن الأتروريين تخط تاريخهم

هذا الشعب الذي اعتبر الحياة على الأرض عرضا هامشياً، بنى مدنه من خشب ومدافنه من صخر. فمن هم هؤلاء الذين صمدوا الف سنة قبل الرضوخ لروما؟

خرافات شائعة حول اللياقة البدنية

ما زالت المفاهيم الخاطئة شائعة لدى معظم الناس حول طريقة عمل الجسم وممارسة التمارين الرياضية.

فن التصوير: الحدس والعفوية أولا

مع توافر الكاميرات الحديثة السهلة الاستعمال، بات تصوير العالم كله في متناولك. والصور الجيدة هي غالبا بسيطة وعفوية.

إضافة إلى مَقالات أخرى شائقة وقصص مُسَلّية

إن شركة مركوني توليك اهتمامها الكبير. الزم الصمت فلا تخبر أحداً بروايتك وستحصل على مبلغ كبير من المال." وجاء في الرسالة الثانية: "سيكون نصيبك مبلغاً من الدولارات من أربعة أرقام في مقابل روايتك. وقد وافق السيد مركوني على ذلك. الزم الصمت حتى تراني..." وكانت الرسالتان ممهورتين بتوقيع كبير مهندسي مركوني.

مشهد مشؤوم

مثل غوغليلمو مركوني أمام اللجنة رجلا ناحلا متوسط الطول. وعلى رغم أنه بقي مواطناً ايطالياً فقد كانت أسباب عيشه في بريطانيا، ولم تكن لهجته الانكليزية تختلف عن لهجة البريطانيين الا قليلا. وقد وجده الصحافيون "أنيقاً رشيقاً باسم الثغر" وبدا أصغر سناً مما كان في الواقع (٣٧ عاماً).

وأكد مركوني للجنة أن هاتين الرسالتين بعثتا في الوقت الذي كانت الكارباثيا تدخل ميناء نيويورك. لذلك لم يكن ممكناً أن يحملا عامل الجهاز اللاسلكي على التزام الصمت في أثناء الطريق. غير أن هذا الكلام لم يقنع سميث الذي كان يعلم أن بين شركة مركوني والنيويورك تايمس علاقة وثيقة جداً. وكان يعلم أيضاً أن مدير تحرير الصحيفة كار فان أندا تمكن من إقناع مركوني بالذهاب مع مراسل صحيفته جيم سبيرس الى الكارباثيا قبل ست ساعات من مضي السفينة الى الرصيف. وكان مركوني طلب من كبير مهندسيه أن يبعث الرسالتين اللتين التقطهما الاسطول البحري الامريكي. لقد كانت الكارباثيا بعيدة عن متناول جميع الصحافيين ولم يكن من سبيل للوصول اليها الا بواسطة المخترع الشهير.

وأسرع سميث الى الاشارة الى أنه لا يحمل عاملي الأجهزة اللاسلكية وحتى صحيفة النيويورك تايمس مسؤولية ما حصل. فالخطأ يقع برمته على شركة مركوني.

وشنت الصحافة حملة عنيفة على التواطؤ بين مركوني والنيويورك تايمس. فذكرت وكالة الاسوشيتد برس التي كانت مسؤولة عن نقل التقارير الكاذبة عن جرّ الباخرة الى هاليفاكس، "أن قصة التيتانيك طمست في مقابل مبلغ من المال." وقالت مؤسسة هيرست بأسلوب مثير: "ان صحيفة النيويورك تايمس أبقت العالم في حال احتضار فيما كانت تساوم للحصول على أخبار الحطام."

والحق ان النيويورك تايمس كانت من مناصري سميث المتحمسين. ولما بات عليها الآن الاختيار بين التراجع عن موقفها السابق وتغيير لهجتها فقد آثرت الحل الثاني. وفي مقال افتتاحي بعنوان "سميث المنافي للمنطق" تساءلت: "هل كان انتخاب هيئة ميشيغن الاشتراعية له ضرباً من المزاح؟" على أن محاولة الصحيفة الانتقاص من قدر سميث منيت باخفاق ذريع.[٤] وعندما قدّم سميث تقريره أخيراً في ٢٨ مايو (أيار) جاء معتدلا في نتائجه على نحو غير متوقع فكتبت صحيفة "الايكونومست" البريطانية: "لا شك في انه ينبغي معرفة الحقيقة برمتها، وعلى كل عاقل أن يشكر

لمجلس الشيوخ الأمريكي تحقيقه السريع الدقيق."[3]

وفي المحيط الاطلسي بعد أسبوع من الكارثة عثرت سفينة الاتصالات اللاسلكية "ماكاي بنيت" على ٣٠٦ جثث. وهي بدت للوهلة الاولى أشبه بسرب كبير من طيور النورس عائم على سطح الماء ومتمايل برفق عبر الأمواج. وكانت الجثث جميعاً طافية على نحو مستقيم. وكان معظمها يكوّن مجموعة يحوط بها حطام صغير. وكان كثير منها شوّهه الرعب وبدا ممسكاً بثياب أو بأشياء أخرى تعلق بها أثناء الاحتضار. وظهر بعض الجثث والأطراف مشوهاً كأنما تعرّض لانفجار. وكانت أعمال المراقبة توقفت في الثانية والدقيقة العاشرة بعد منتصف الليل.[15] وبدا المحيط مغطى بأثاث الحجرات والكراسي وكتل الفلين. وظل الملاحون يعملون طوال النهار في انتشال الجثث الطافية.

والواقع أن الضحايا التي تعذر التعرف اليها دفنت في البحر. وجاء في يوميات فريد هاملتون مهندس السفينة ماكاي بنيت: "قرع الجرس داعياً جميع الأيدي الى السلوقية (اعلى مقدم السفينة) حيث أعدت ثلاثون جثة للنزول الى الأعماق بعد تثقيلها وتكفينها. كان ذلك مشهداً مشؤوماً حقاً. وأرسل الهلال نوره الباهت فيما السفينة تتحرك متعثرة عبر الأمواج الضخمة."

وفي وقت سابق عُثر على جثة جون جاكوب أستور التي تشوهت كثيراً. وكانت مكسوة بالسخام مما يحمل على الظن أن المدخنة الأمامية المنهارة أصابته. وتمّت معرفة صاحبها من خاتم من الالماس والبلاتين كان في يدها ومن خلال أوراق نقدية بقيمة ٤٢٥٠ دولاراً وجدت في جيبها. ونقلت جثة أستور الى مسقط رأسه كي تدفن هناك. وفي هذه الأثناء بات واضحاً أن ما حدث يشكل "كارثة لا مثيل لها في تاريخ الرحلات البحرية" كما جاء في صحيفة "التايمس" الصادرة في لندن.

بعد الكارثة...

● نبذ كبار الضباط الناجون الرقيب فردريك فليت لكشفه عن غياب المناظير الثنائية من منصة المراقبة. وتوفي فليت في ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ في السادسة والسبعين من العمر.

● تنحى ج. بروس اسماي عن رئاسة الشركة الدولية للتجارة البحرية ورئاسة

Sources: 1. Hanson W. Baldwin, *Harper's Magazine,* © 1934 by Harper's Magazine Foundation. 2. *A Night to Remember,* © 1955 by Walter Lord, by permission of Henry Holt & Co. 3. *The Maiden Voyage,* © 1969 by Geoffrey Marcus, by permission of Viking Penguin Inc. 4. *The Titanic-End of a Dream,* © 1979 by Wyn Craig Wade, by permission of Rawson Assocs., Inc. 5. *The Loss of the Titanic,* © 1912 by Lawrence Beesley. 6. *Beyond Reach: The Search for the Titanic,* © 1982 by William Hoffman and Titanic 1981, Inc., by permission of Jack F. Grimm and William Hoffman. 7. *A Titanic Hero: Thomas Andrews, Shipbuilder,* by Shan F. Bullock, revised edition © 1973 by 7 C's Press, Inc. 8. *The Truth About the Titanic,* © 1913 by Archibald Gracie. 9. Harold Bride, New York *Times,* © 1912 by The New York Times. 10. *Home From the Sea,* © 1931 by Sir Arthur H. Rostron. 11. *Titanic and Other Ships,* © 1935 by Charles H. Lightoller, by permission of Ivor Nicholson and Watson, London. 12. J.D. Ratcliff, *Reader's Digest,* © 1944 by the Reader's Digest Assoc,. Inc. 13. Reader's Digest editorial summarization based on various sources. 14, William Inglis, *Harper's Weekly,* April 27, 1912, 15, *The Californian and the Titanic,* © 1965 by Peter Padfield, by permission of Lawrence Pollinger, Ltd.

خط وايت ستار واعتزل في أحد فنادق كوستلّو في كاونتي غالواي بايرلندا ولم تعد أخباره تسمع إلا نادراً. وتوفي عن ٧٤ عاماً في ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٧.

• لحقت قبطان الكاليفورنيان ستانلي لورد وصمة عار من جراء رفضه الهبوب الى نجدة سفينة كانت في محنة. وتوفي لورد في ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٢ وهو في الرابعة والثمانين من عمره.

• اعتذر القبطان آرثر روسترون لاغفاله الرسالة الرئاسية بكياسة مميزة حدت الرئيس تافت على منحه بعد أشهر وسام الشرف الصادر عن مجلس الشيوخ. وقد شغل روسترون منصب عميد بحري في اسطول كونارد بين ١٩٢٨ و١٩٣١. ثم تقاعد عام ١٩٣١ وتوفي في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٠.

• عاش كار فان أندا مدير تحرير النيويورك تايمس عمراً كافياً لرؤية صحيفته وقد اصبحت رائدة الصحف العالمية. ولا شك في أن نصيباً كبيراً من هذا الانجاز يرجع الى النحو الذي تناول به أندا قضية التيتانيك. وفي العام ١٩٢٥ ترك الصحيفة وتوفي في نيويورك في ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٥.[٤]

• بعدما كتب العقيد ارشيبالد غراسي مذكراته ساءت صحته نتيجة معاناته القاسية وتوفي في شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٢.

• بقي تشارلز هـ. لايتولر الضابط الثاني في التيتانيك، من المدافعين المتحمسين عن خط وايت ستار البحري الى يوم تقاعده. وفي الحرب العالمية الثانية نقل لايتولر، وكان في السادسة والستين، ١٣٠ رجلا بعيداً عن شواطىء دنكرك شمال فرنسا في زورقه العائلي. وبفضل مهارته الفائقة تمكن الزورق الذي غص بالركاب من بلوغ رامسغيت في بريطانيا سالماً على رغم خلوه من السلاح وتعرضه طوال الطريق للقذائف ونيران الاسلحة. وتوفي لايتولر في ٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٢.

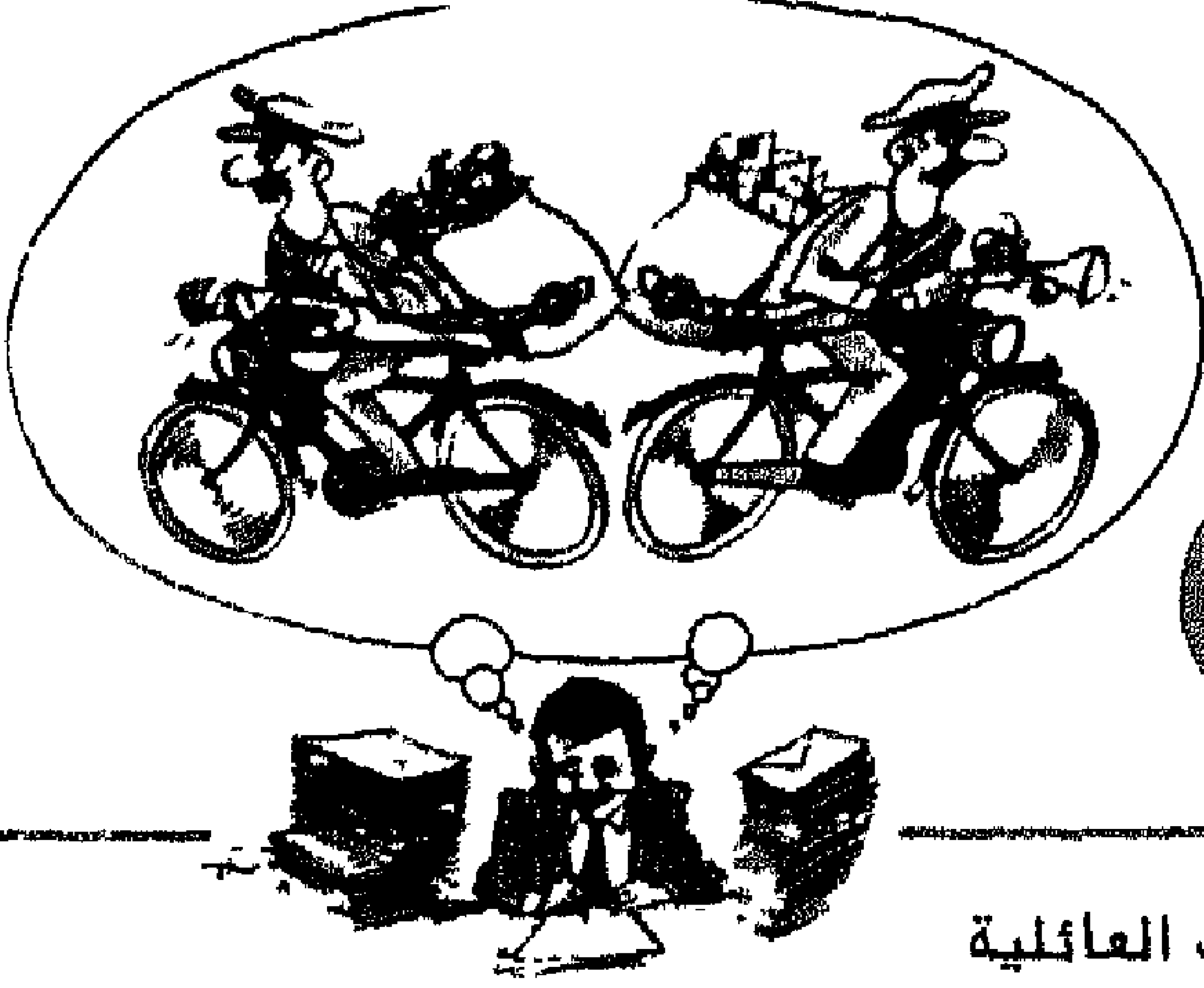
• استقرت التيتانيك في قعر شمال المحيط الأطلسي على عمق ١٢ ألف قدم (٣٦٦٠ متراً). ومنذ العام ١٩١٢ وضعت خطط كثيرة لانتشالها. وكانت أكثر تلك الخطط طموحاً تلك التي وضعتها "الشركة المحدودة لانقاذ التيتانيك." الا أن هذه الشركة لم تتمكن من جمع المبلغ الضروري للشروع في العمل وهو ثلاثمئة مليون دولار.

وفي ١٩٧٧ ذكرت مجلة "العلم" أن منظمة اتخذت كاليفورنيا مركزاً لها أجرت مشاورات مع معهد وودزهول لعلوم المحيطات في ولاية ماساتشوستس تتعلق بالعثور على الحطام. وصرّح روبرت بالارد رئيس بعثات الغطس في مؤسسة وودزهول أن الاقتراح لقي اهتماماً جاداً وأضاف: "إن ثمانين في المئة من التكنولوجيا الضرورية للعثور على التيتانيك متوافرة في أمكنة معينة، وما همنا نحن هو أن نجمع شتاتها."

محررو الـ"ريدرز دايجست" ■

في الشهر المقبل: العثور على حطام التيتانيك

اكتب واربح



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان.



"ازدحام" لربيكا كوفالت، جنوب افريقيا

يونيو (حزيران) ١٩٨٦، شوّال ١٤٠٦

المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest June 86 N° 91



نجمة الرفق بالحيوان

(ص ١٧)

العلم يبدد ٥ أوهام جنسية

(ص ٤٢)

السيجارة تبث إشعاعاً ذرياً!

(ص ١٠٤)

اكثر من مئة مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٥ لغة



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير راغدة حداد. الاخراج جورج غالي. الخطوط جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر. شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
الاشتراكات: فريال علاف.
التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠
التلكس MUKTAR 44615 LE ، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب٨٧٠٧ بيروت - لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE.
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 — 491630
P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

June 86 N° 91 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية
رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية، الى العربية.

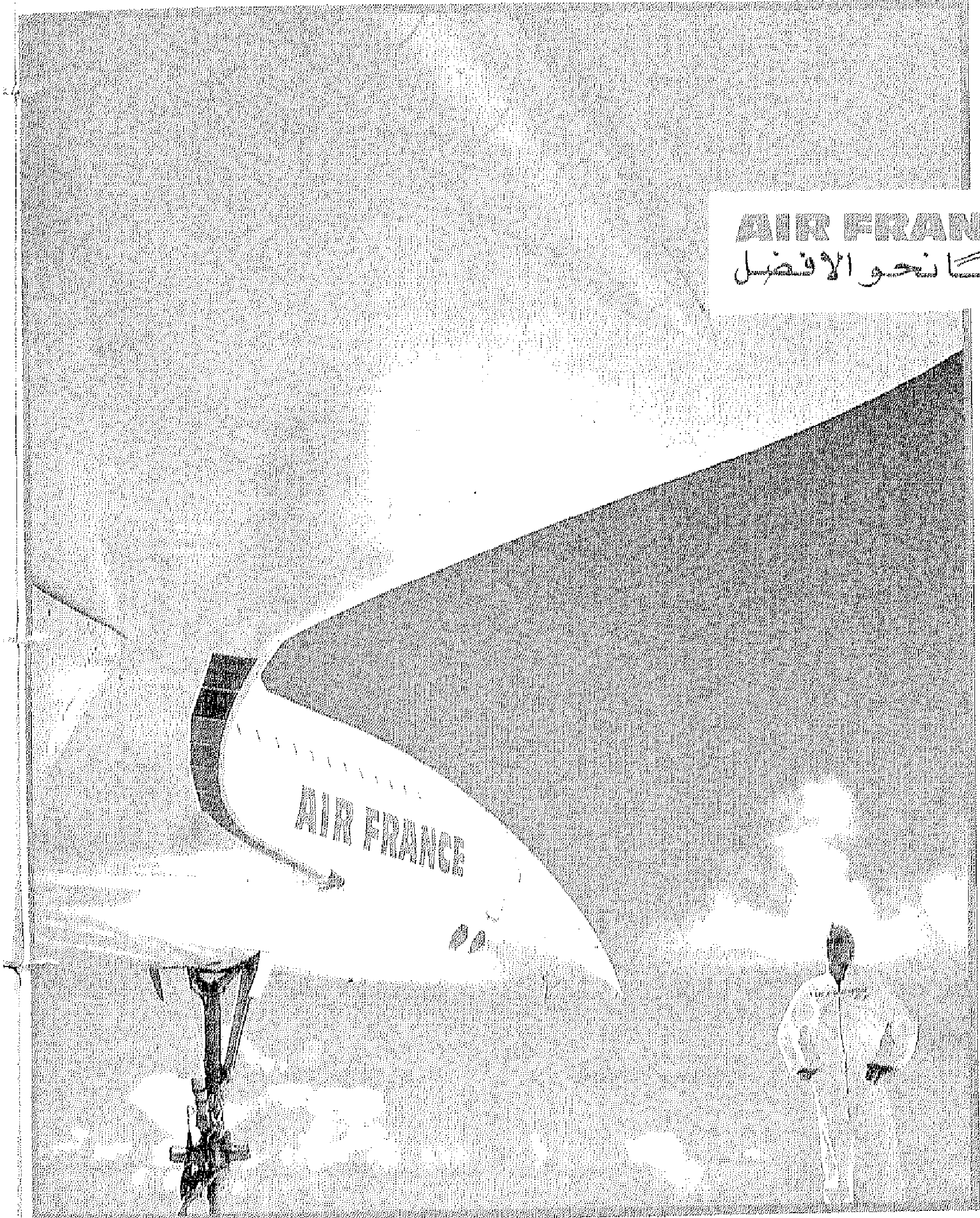
ثمن العدد

لبنان ١٠ل - سورية ١٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١ج - السودان ١ج - ليبيا ٧٠٠د - ج.ع. اليمنية ٤ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

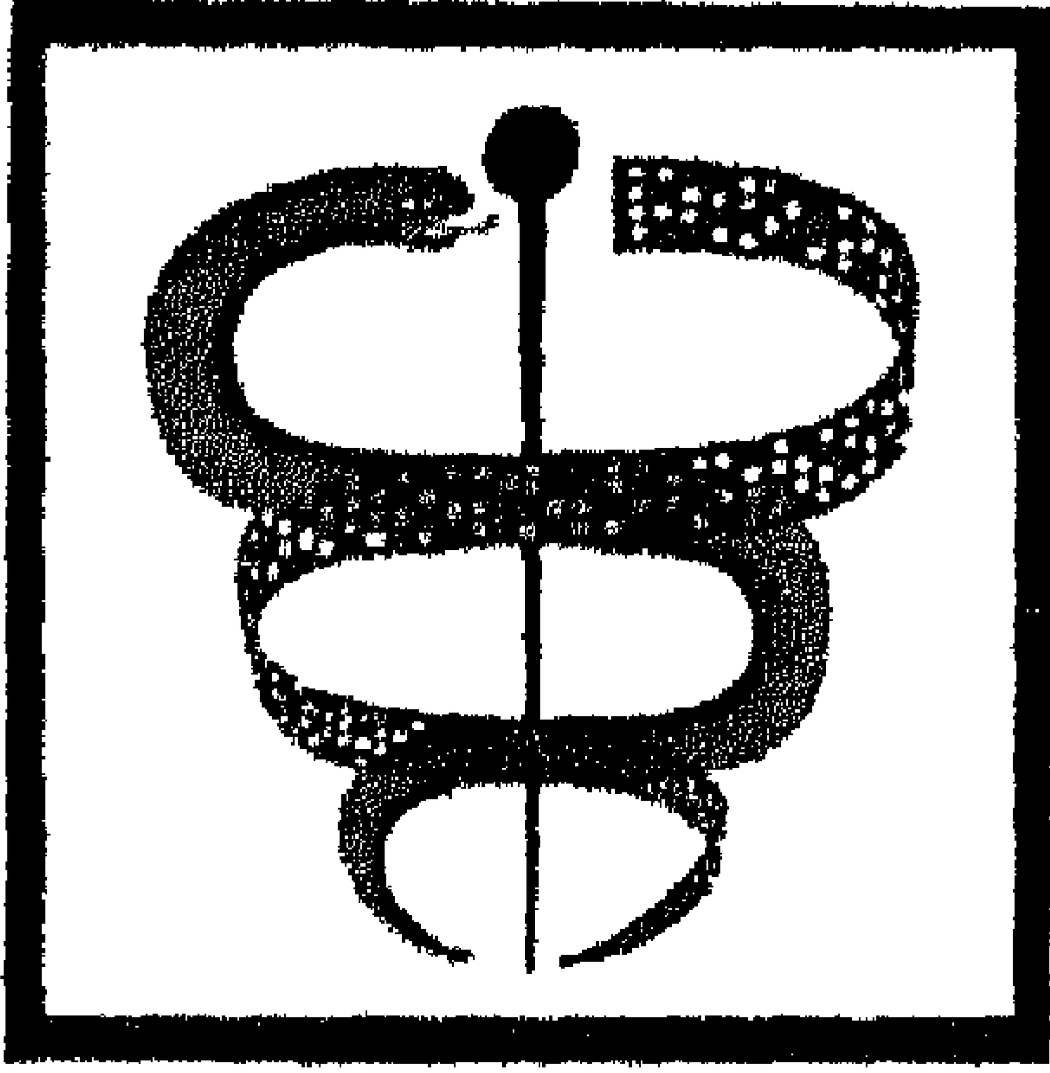
كفاءة عالية

الكونكورد. انها الأسرع والأكثر قدرةً والأقدم خبرةً في نقل المسافرين جوًا في أيامنا الحاضرة. لذلك، طيّارونا يقودون الكونكورد باعتزازٍ كبير.

أما التقنيّة الشاملة التي تتمتع بها الكونكورد، فهي مثالٌ آخر على المستوى العالي للكفاءة التي لا بُدّ وأن تلمسها حين تسافر مع الخطوط الجويّة الفرنسيّة.



أصداء من عالم الطب



علاج للصرع

الصرع داء ينجم عن انبعاث اشارات غير طبيعية ومفرطة من الخلايا العصبية في الدماغ. وهناك ملايين المصابين بهذا الداء، ومعظمهم يتحكم بنوبه بواسطة العقاقير الطبية. الا انهم يصابون بنوبة أو اكثر شهرياً على رغم المعالجة. وبعض هؤلاء يمكن أن يلقى مساعدة من طريق الجراحة فقط.

أما اليوم فهناك فحص «PET» (١) للتصوير البوزتروني الطبقي، الذي يجرى بعد اخذ صورة تخطيط كهربائي للدماغ. وهو يحدد بدقة الاختلالات التي تسبب النوب اذا كان موقعها في جزء واحد من الدماغ. وثمة طريقة جديدة أخرى هي التصوير التناغمي المغنطيسي (٢) تعطي خريطة مفصلة للدماغ تبين الاورام والقروح التي تسبب نوبات الصرع أحياناً.

ويقول الدكتور جيروم انغل استاذ طب الاعصاب والتشريح في جامعة لوس انجلس بكاليفورنيا ان نتائج الجراحة كانت جيدة، ويضيف: "كل مرضانا تقريباً أفادوا من الجراحة، و٧٠ في المئة منهم تحرروا من نوبات الصرع."

(١) Positron Emission Tomography

(٢) Magnetic Resonance Imaging (MRI)

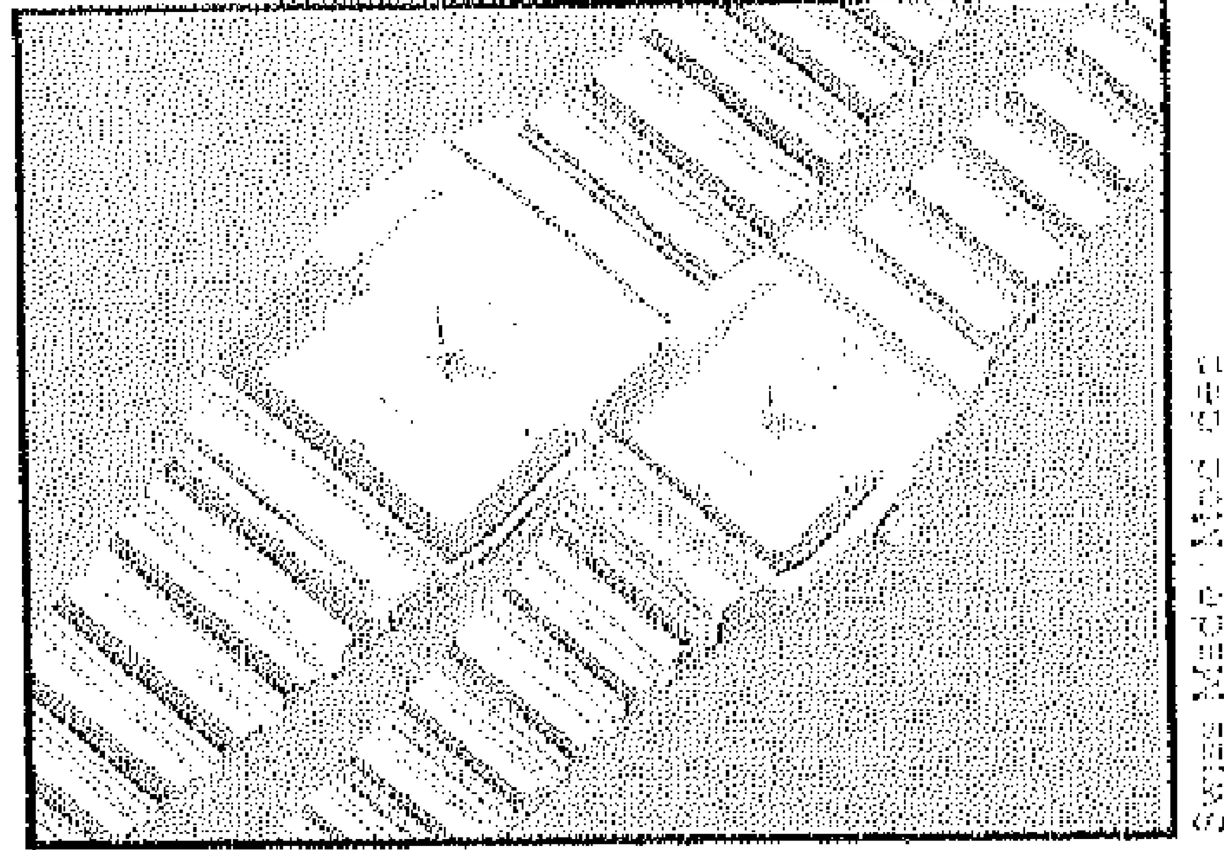
صحيفة "ماكولس"

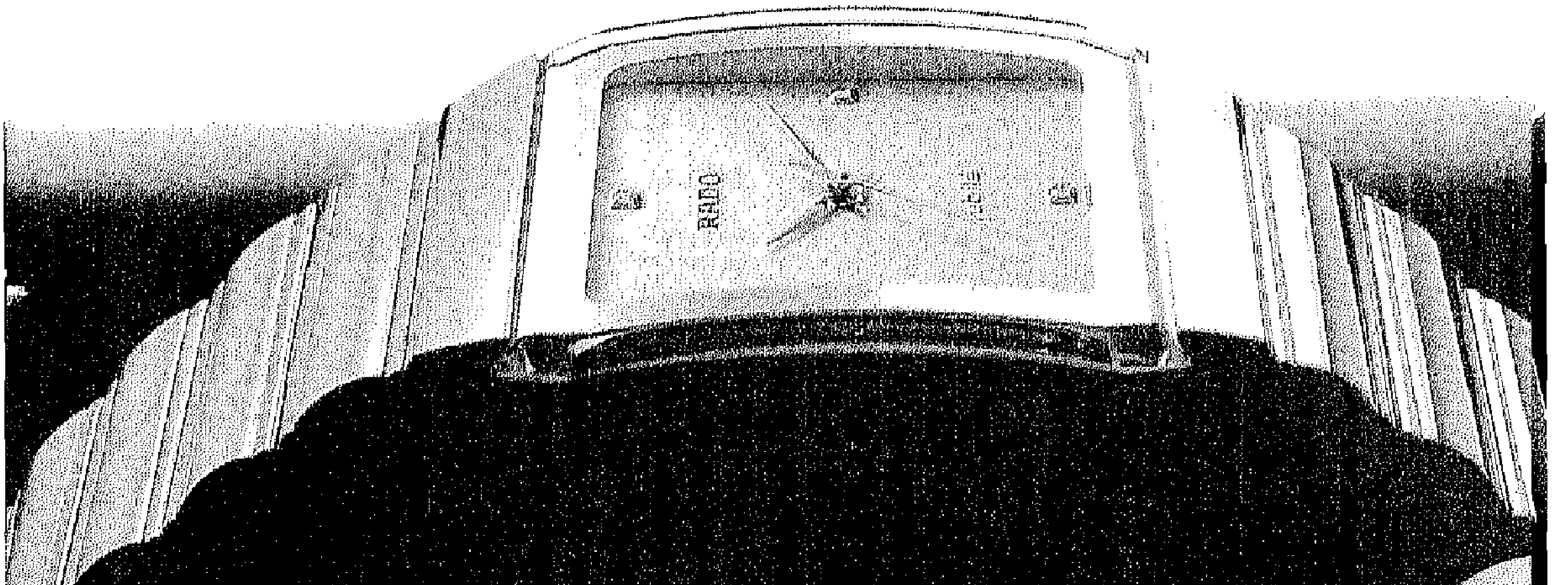
آباء حوامل!

الآباء الذين ينتظرون ولادة طفل يصابون أحياناً كثيرة ببعض أعراض الحمل. وهذه الظاهرة التي تعرف بـ"نقف البيض" لوحظت في ٩٠ في المئة من مجموع ١٤٧ أباً كانوا ينتظرون ولادة أطفال لهم وشملتهم دراسة أجرتها جاكلين كلنتون من كلية التمريض في جامعة ويسكونسن - ميلووكي.

وقد ظهرت لدى هؤلاء أعراض تشبه تلك التي تصيب النساء الحوامل، من غثيان وأرق وزيادة وزن قبل الولادة ونقص وزن بعدها وألم في الظهر وتوتر عصبي وشهية لاطعمة معينة. ويتردد الرجال في الافصاح عن هذه الاعراض. وتقول كلنتون ان معظم الذين شملتهم هذه الدراسة التي استغرقت ثلاث سنوات لم يخبروا زوجاتهم بما عانوه.

مجلة "طبيب العائلة"





RADO

الجراحة في الكبر

قبل وقت غير طويل احتفل رجل بعيد ميلاده المئة في مستشفى أوسترالي وهو يبلّ من جراحة لفتق أصابه في الاربية (أصل الفخذ). والواقع أن الأطباء ترددوا كثيراً قبل إجراء الجراحة. لكنهم عادوا ورضخوا لالحاح الرجل الذي قال انه يودّ استئناف ركوب دراجته الهوائية.

وحتى وقت قريب كانت الجراحة أمراً مستبعداً في حال الذين تجاوزوا الثمانين. لكن عدداً أكبر من الأطباء بات يمارس هذا النوع من الجراحة بعد ارتفاع نسبة التعمير في العالم. والفضل يعود، في أحد جوانبه، الى التقدم الذي أحرزه الطبّ الحديث في الميادين المختلفة كالتخدير والتغذية ومراقبة وظائف الجسم والعناية الفائقة. ونشرت كتب طبية حول قدرة المتقدمين في السن على احتمال العمليات الجراحية.

ولئن تكن نسبة حدوث الوفيات والمضاعفات أعلى في حال المرضى الأكبر سناً، الا أن الوسائل المتبعة لمراقبة الوظائف الحيوية مكّنت الأطباء من معرفة قدرة المريض على تحمل الجراحة. وبما أن التقدم في السن يؤثر في هذه الوظائف، فقد بات الأطباء يدققون كثيراً في كميات السوائل الوريدية والمواد المنحلة بالكهرباء (إلكتروليت) التي يصفونها للمرضى الشيوخ.

وقد انتقد كثيرون النزعة التي برزت في الآونة الأخيرة والرامية الى انفاق اموال طائلة على العناية بصحة المسنين. ولكن فات هؤلاء النقاد أن يجيبوا عن أسئلة من النوع الآتي. ما هو التقدم في السن؟ ما قيمة الأشهر القليلة التي تمكن إضافتها الى الحياة؟

وربما كان أفضل جواب في هذا النطاق ما قاله حكيم عجوز خلال مرضه: "ان الأشهر الستة ليست بالوقت الطويل اذا وُضعت في منتصف أعمارنا، لكنها طويلة جداً في النهاية."

صحيفة "نيويورك تايمس"

انقاذ الاسنان المخلوعة

في كل عام يخسر الكثير من الاولاد أسنانهم الدائمة اثر حوادث الدراجات وسواها. لكن الخبر السار أن هذه الأسنان يمكن انقاذها باتباع النصائح الآتية:

١. حافظ على هدوئك وحدد موقع السن المخلوعة. فاذا كانت لا تزال في الفم اضغطها بلطف داخل تجويفها الى أقصى حد ممكن.

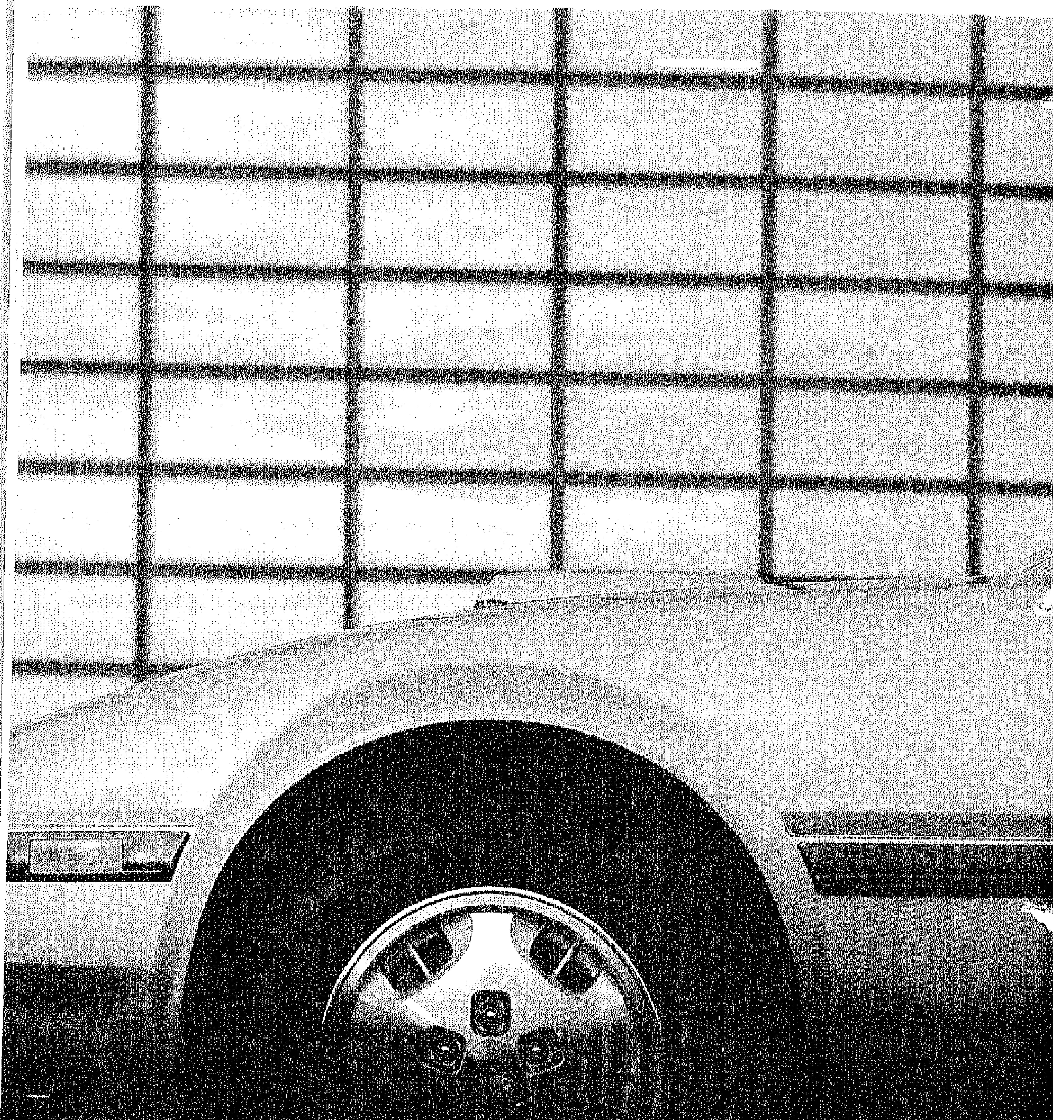
٢. اذا سقطت السن على الأرض فالتقطها من تاجها واغسلها في مياه جارية وحافظ على رطوبتها بوضعها إما في تجويفها وإما في الفم بين الخد واللثة وإما في كوب حليب. كما يمكن حفظها في فم شخص بالغ.

٣. لا تضع السن في مستحضرات تطهير الفم أو في الكحول (سبيرتو) ولا تفركها بمواد كيميائية.

٤. استدع طبيب الاسنان فوراً، أو انقل المصاب الى قسم الطوارئ في أقرب مستشفى.

فاذا ما أعيد زرع السن في غضون ٣٠ دقيقة فان النتائج تأتي ايجابية.

الجمعية الامريكية لاطباء الاسنان

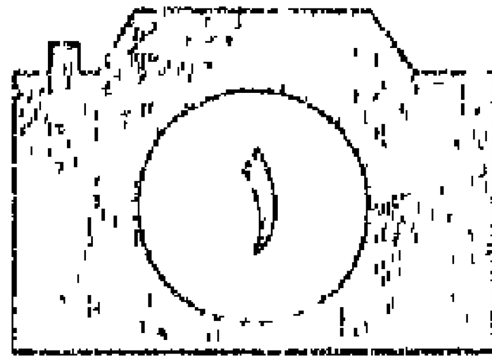


مع توافر آلات التصوير الحديثة السهلة الاستعمال بات تصوير العالم كله في متناولك

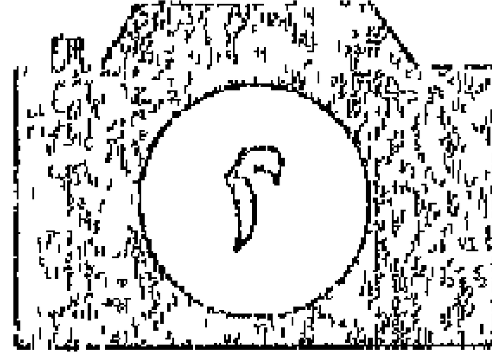
كيف تصبح مصورًا ناجحًا

الفن المرئي الاكثر واقعية والأفضل تخليداً للحظة والمحوط بسحر المفاجأة هو اللقطة الفوتوغرافية. فالصور الجيدة بسيطة وفورية وتتطلب معدات قليلة وتقنية تأتي في درجة ثانية بعد الحدس والعفوية. والتصوير المتفوق يظهر المشهد في أسمى حالاته وأنقاها: لحظة مثيرة في الحياة تغتصب من ذاكرة النسيان بتلك الآلة العجيبة المسماة "كاميرا" أو "آلة تصوير".

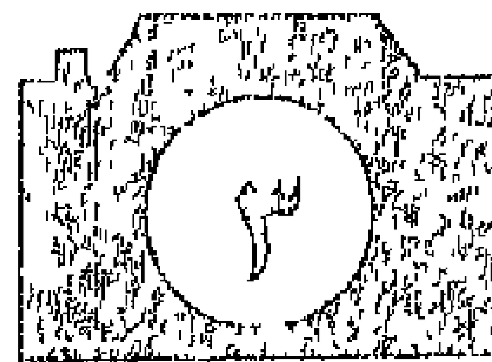
لكن أفضل ما في التصوير العفوي أنه ممتع وسهل نسبياً. وما تحدياته الا من النوع الذي تستسيغه. فاذ تجري مسحاً لمحيطك، تتحول رامياً بصرياً يحد نظره لاكتشاف الشخص أو المنظر او الظرف المناسب. وفيما أنت متسلح بآلة التصوير، تنطلق بحرية المغامرين لاحتجاز اللحظة التي تبرز فرصة لقطة جيدة.



ثق بغرائزك. اذا أثار أي موضوع فضولك فلا تتردد في تصويره من فورك، فهو قد لا يدوم طويلا. ولا يشغلنك كيف يبدو اذا صورته من الخلف أو من الجنب. صوره مباشرة.



اندمج في خلفية الصورة. ان أفضل المصورين يصبحون جزءاً من المنظر. لازم المكان المناسب الى أن تبدو مرتاحاً وطبيعياً والى أن ينسى الآخرون وجودك. وافعل ما يفعلونه، أكان مطالعة في متنزه أم مشاهدة مباراة. فالهدف هو الانسجام مع المحيط.

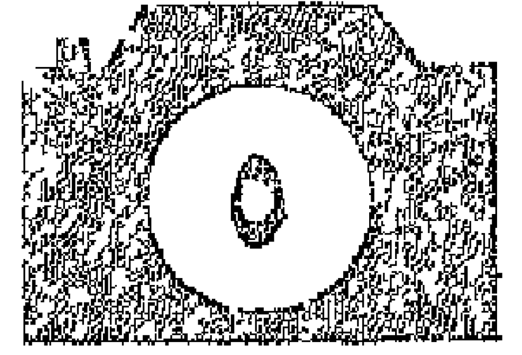


انتظر اللحظة المناسبة. لا تصور كل ما يحدث عشوائياً. كن انتقائياً.

أدرس الشخصيات المحيطة بك. وغالباً ما يمكنك أن تلاحظ تعبيراً أو حركة أو ايماءة على وشك الحدوث. انتظرها، وتحرك فور حدوثها.



بعمل ما. حين يستغرق الناس في عمل أو نشاط يثير اهتمامهم، فانهم لا يلاحظون حركة المصور. فالاهل مع أولادهم والرياضيون في ألعابهم والحرفيون في مهنهم والعاشقون في جلساتهم والمتسوقون، كلهم حقل واسع لنشاطك. سيماؤهم العفوية وغير المصطنعة تعبر أكثر من صورة رسمية. واذا أردتهم أن يلتفتوا في اتجاه الكاميرا، بادرهم بملاحظة ودية كسؤال او عبارة مثل "انظر الى هنا من فضلك." وفي وسعك أيضاً أن تثبت آلة التصوير على عينك في وضع الاستعداد وتنتظر لفتتهم الحتمية في اتجاهك.

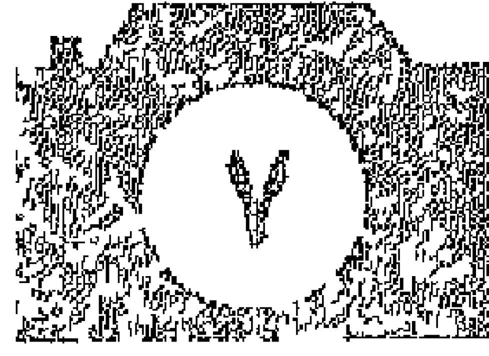


انتظر الوقت المناسب للاقتراب

من موضوع اهتمامك. حين تتعرف أكثر بالناس فقد يظهرون ناحية لا تعرفها ويسقطون حواجز من أمام التصوير الجيد. لكن بعض المصورين الجياد لا يسجلون الا ما يلاقونه. وهم يجهدون لمنع تأثيرات التصوير من التسلل الى لقطاتهم، واذ يحاول بعض الناس الخجولين من الكاميرا الهروب من مواجهة العدسة، فانهم يبدون في صورهم غير جذابين.



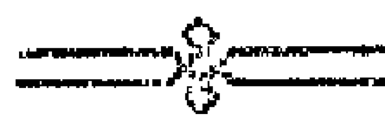
صور من السيارة أو الحافلة او القارب. وأثناء عبورك شارعاً جرب التصوير وأنت سائر. احمل آلة التصوير فوق رأسك وصور تجمعاً بشرياً من فوق كما يفعل المصورون الصحافيون. أمل آلتك على نحو منحرف لالتقاط صور اكثر اثارة. ثم حاول أخذ لقطات معرضة إما لضوء زائد واما لضوء غير كاف، لاختبار النتيجة.



لا تنشغل كثيراً بالكمال

التقني. في ظروف التصوير السريع قد تأتي النتيجة بعيدة عن الكمال. ولكن لا يجوز اعتبار الاخطاء اخفاقات. تذكر دوماً ان مقاييس التصوير العفوي تختلف عن سواها، وقد تستتر صورة نادرة خلف خطأ ظاهر. فلا تسارع الى رمي صورة يظهر فيها شخص من دون رأس، أو أخرى غير واضحة لشخص يؤدي حركة ما. فهذه النواقص تحكي اللغة الانسانية البسيطة الخاطفة التي هي في صلب التصوير العفوي.

روبرت ونكلر ■



من يعش بذكريات الماضي يصبح كهلا، ومن يعش بخطط المستقبل يبق شاباً.

ب.م.

NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم

أمّنوا لأولادِكم نمُوًّا مُتكامِلا

نيدو السّريع الذوبان هو حليب بقري كامِل الدّسم مجفّف ذو جودة فائقة أنتزع منه الماء فقط . فحين يُمزج بماء الشرب الصافي يُصبح فورًا حليبًا طازجًا . مغذ ولذيذ .

نيدو مغذٍّ يحتوي على كافة العناصر الغذائيّة الهامّة كالكلسيوم والبرُوتين والفيتامينات التي لا غنى عنها للأولاد طوال فترة نموّهم .

نيدو طعمُه لذيذ . يُحضّر بسرعة . ويحبّه أولادكم بارِدًا أو ساخِنًا في الصّباح والمساء وفي أي وقتٍ من النهار .

نيدو السّريع الذوبان
كوب مِن الحليب في أي وَقت .

تضمنه نستله
Nestlé



المختار
من ريدرز دايجست
يونيو (حزيران) ١٩٨٦ السنة الثامنة (سلسلة جديدة)

مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

٣ أخطار تهدّد المراهقين

خبراء وباحثون يدقون ناقوس الخطر: صحة المراهقين في خطر وعلى الاولياء الالتفات الى حاجات ابنائهم الجسدية والنفسية

ملايين الامريكيين الراشدين يقومون بتمارين رياضية ويجهدون لانقاص وزنهم. وقد اقلعوا عن التدخين واصبحوا اكثر وعيا لامور الصحة. حتى الاطفال يولدون اليوم بصحة افضل بفضل العناية التي تلاقيها الام في فترة الحمل. ولم يسبق للأهل قط ان اهتموا بصحة ابنائهم مقدار اهتمامهم بها هذه الايام.

كل الفئات افادت من هذه الحركة الصحية ما عدا فئة المراهقين الذين شكلوا في ما مضى الجزء الاكثر عافية بين الناس.

وأظهرت دراسات حديثة علاقة بعض العوامل العائدة الى اسلوب الحياة كالحمية والتمارين الرياضية والارهاق، بتدهور صحة المراهقين، وهم الفئة التي "لم تكن لتُقهر" في الماضي.

يقول الدكتور جوزف زانغا رئيس لجنة الصحة المدرسية في الاكاديمية الامريكية لطب الاطفال: "بدأت الصحة العامة للمراهقين تضعف منذ أوائل الستينات. فأولاد اليوم مترهلون واوعيتهم الدموية لا تؤدي وظيفتها على نحو جيد. كما ان اجسامهم ليست سليمة واذا ما وضعتهم

امام طاحونة دوس (١) تَبيَّن لك ان قدرتهم على الدوس هي دون المتوقَّع."

وبين الباحثين الاول الذين اجروا دراسات مقارنة تناولت صحة المراهقين في الستينات وصحتهم في الثمانينات، الدكتور روبرت واتسون، استاذ الطب الوقائي في المركز الطبي في جامعة مسيسيبي في جاكسون. وهو تولى بين العامين ١٩٦٥ و١٩٦٧ قياس ضغط الدم لقرابة ١٣ الف تلميذ في المدارس الثانوية في مقاطعة هندس في المسيسيبي. وفي العام ١٩٨٢ كرر الدراسة ذاتها وتولى قياس ضغط الدم لدى ٣٢٧٦ تلميذاً على امل ان يكتشف "ما الذي احسنّا صنعه" حتى هبطت نسبة الوفيات بامراض القلب والسكتة الدماغية بين الراشدين.

وبعد مراجعة النتائج قال واتسون: "دُهشنا عندما اكتشفنا ان ضغط الدم لدى الفتيان والفتيات ارتفع الان على نحو ملحوظ بالنسبة الى ما كان في الستينات. وقد شمل هذا الارتفاع الاحداث السود والبيض وابناء المدينة وابناء الريف والاثرياء والفقراء على حد سواء. وبلغ عدد الطلاب الذين احيلوا في الثمانينات على اطباء لتقصي اسباب ارتفاع ضغط الدم لديهم، ضعفي عدد الطلاب المحالين في دراسة ١٩٦٠".

وفي دراسة اخرى أجريت في سبرنغ آربور في ولاية ميشيغن تبيّن ان العوامل المسببة لمرض القلب تبدأ بالظهور في سن مبكرة. واجرى تشارلز كانتزلمان المدير العام لبرنامج صحة القلب لدى الاطفال والمراهقين، فحصاً لـ٣٦٠ ولداً تراوح اعمارهم بين ٧ سنوات و١٢ سنة فوجد ان نسبة الكولسترول في دم ٤٢ في المئة منهم تفوق المعدل المقبول، كذلك نسبة دهن التريغليسيريد لدى ٣١ في المئة منهم. اما نسبة المصابين بارتفاع في ضغط الدم فبلغت ١٥ في المئة. وظهر في المجموع لدى ٩٨ في المئة من هؤلاء الاولاد مؤشر خطر واحد على الاقل من المؤشرات المرتبطة بمرض القلب. ولوحظت لدى اكثر من نصفهم ثلاثة مؤشرات او اكثر. وتبيّن ان مؤشرات الخطر تلك كانت تزداد كلما ارتفع الصف. اما العوامل المسببة لهذه الاخطار فكانت: الافراط في تناول الاطعمة الدهنية لدى ٧٥ في المئة من الاطفال والافراط في تناول الملح لدى ٦٨ في المئة منهم.

ويجمع الخبراء على ان سوء صحة المراهقين تفسره، الى حد ما، مجموعة من العادات السيئة مثل قلة الرياضة البدنية وسوء التغذية وفترات النوم غير الكافية.

قلّة اللياقة البدنية. في العام ١٩٧٦ عندما اجرى الاتحاد الامريكي للصحة والتربية البدنية وتجديد النشاط والرقص اختبار لياقة للشباب، استحق قرابة ١٥ في المئة من طلاب المدارس الثانوية الجائزة التي يمنحها رئيس الجمهورية للياقة البدنية. وهذا يعني انهم نالوا درجة ٨٥ من مئة في كل واحد من ستة اختبارات بدءاً بالجلوس من وضع ممدد

(١) جهاز لاحداث حركة دائرية بالدوس على مواطىء للاقدام في دولاب او نحوه.

وانتهاءٍ بسباق الـ٤٥ متراً. وفي العام ١٩٨٣ أُخضع ٨٤ الف طالب من اوكلاهوما للامتحان ذاته واظهرت النتائج ان نسبة الذين بلغوا هذا المستوى من الكمال بين المتقدمين كانت دون واحد في المئة.

وعلق راي سيسزيك نائب رئيس الاتحاد على هذه النتائج بالآتي: "صحيح اننا توقعنا درجات ادنى، الى حد ما، من تلك التي أُحرزت في العام ١٩٧٦ بسبب الانخفاض الذي طرأ على الموازنة المخصصة لبرامج التربية البدنية في المدارس وعلى عدد اساتذة الرياضة، لكن النتائج البائسة هذه اذهلتنا."

وفي العام ١٩٨٤ انجز مكتب الوقاية من الامراض وتحسين الصحة دراسة شاملة استغرقت سنتين تناول فيها اللياقة البدنية من خلال ٨٨٠٠ حدث راوحت اعمارهم بين ١٠ سنين و١٧ سنة. وتبيّن من النتائج التي نُشرت في العام ١٩٨٥ ان نسبة الشحم في اجسام مراهقي اليوم هي، في شكل ملحوظ، اعلى من تلك التي وجدت في اجسام امثالهم قبل عشرين عاما. كذلك تبين أنهم أخفقوا في اداء بعض الحركات الرياضية كرفع الذقن والجلوس من وضع ممدد مع ثني الركبتين وغيره من التمارين الرياضية المعتمدة لقياس اللياقة العامة.

وفي ضوء هذه النتائج اوصت السلطات المختصة بإخضاع طلاب المدارس كافة لتمارين رياضية نشطة لثلاثين دقيقة يومياً كحد ادنى. غير ان سيسزيك يقول "ان صفوف الرياضة الجيمنازية لا تتعدى اليوم الساعتين او الثلاث في الاسبوع وان التسعين في المئة من الاطفال الذين لا ينتظمون في فرق غالبا ما يفون بمتطلبات صفوف التربية البدنية من طريق ممارستهم رياضات غير حيهوائية (٢) كالرماية والبولينغ بدل الحركات الرياضية المركزة كالجمباز والتمارين السويدية التي كانت المقياس المعتمد في الماضي."

في العام ١٩٦٠ باشرت ولايات عدة فرض صفوف رياضة بدنية يومية على امتداد اربع سنوات كشرط للتخرّج في الثانويات. وهذا الشرط لم يعد سارياً إلا في ايلينوي ونيو جرزي.

وتدهور حال الرياضة ليس المصيبة الوحيدة التي حلّت بالمدارس الثانوية إذ ان التربية الصحية هي الاخرى انحدرت كمّاً ونوعاً. ولاحظ السيد برويت المدير التنفيذي السابق لجمعية تعزيز التربية الصحية "أن مدرّس التربية الصحية غالبا ما يكون الضحيّة الاولى لتقليص الموازنة ولحركة العودة الى العلوم الاساسية. وبعد أن يُفصل من عمله يُعهد بصفوف التربية الصحية الى مدرس تعوزه الخبرة في هذا المجال اذ يتناسى المسؤولون ان ليس هناك ما هو اساسي اكثر من الصحة."

ولا يقتصر اهمال تنمية اللياقة البدنية على المدرسة. فقبل عقدين من الزمن كان المراهقون يرجعون من المدرسة الى البيت اما على الاقدام واما على دراجة هوائية وكانوا يمضون بعض الوقت في اللعب خارج المنزل، على ان الامر مختلف الآن. فالمراهق العادي اليوم يمضي، بعد عودته من المدرسة، قرابة

(٢) Nonaerobic

ست ساعات يومياً امام جهاز التلفزيون.

سوء التغذية. كانت كافتيريا المدرسة في الخمسينات مصدر شعور بالاطمئنان لغالبية الأهل لثقتهم بانها تقدّم الى ابنائهم غذاء متوازناً. إلا ان الدراسات المسحيّة اظهرت ان خمسين في المئة من الطلاب يستنكفون عن تناول وجبة الغداء التي تقدمها المدرسة اليوم(٣). وحول هذا الامر يقول لويد كولبي المدير المشارك لمركز الانماء والابحاث لتحسين الصحة في جامعة تكساس: "قد ندرّس الاولاد في احد صفوف العلوم ان عليهم ان يقللوا من تناول الاطعمة الدهنية والمالحة وان يكثروا من الالياف. على ان هذه الحكمة الغذائية قلمّا تتخطى عتبة غرفة الدرس إذ ينطلق الاولاد عادة الى المطاعم التي تقدم الاطعمة السريعة ويتناولون أحمالا من المواد الدهنية والمالحة وهي المواد التي يشكل الافراط في تناولها خطراً مؤكداً على الدورة الدموية."

اما عشاء الايام الماضية الشهي والصحي فهو بالنسبة الى الملايين من مراهقي اليوم الاستثناء وليس القاعدة. وقد لاحظ طبيب الاطفال دونالد ايان مكدونالد المدير الاتحادي لدائرة الكحول والمخدرات والصحة العقلية "ان عدد العائلات التي لا يتناول افرادها طعام العشاء معاً هو في ازدياد. والاطفال اليوم يزدردون طعامهم امام التلفزيون وعشاؤهم غالباً ما يكون وجبة خفيفة."

اما بالنسبة الى الفطور فإن الاندفاع صباحاً من السرير الى سيارة المدرسة مباشرة يشكل نمط السلوك المميز لدى المراهق وهو بذلك لا يدع لنفسه متسعاً من الوقت لتناول اي طعام. وتعليقاً على هذا الامر يقول ارنستو بوليت الاستاذ في دائرة العلوم السلوكية التطبيقية في جامعة كاليفورنيا بديفيس: "ان عدم تناول الفطور يؤثر سلبا على الاولاد في شكل خاص. ولقد اظهرت الدراسات ان من شأن ذلك اضعاف قدراتهم الفكرية والتحليلية."

ان النمو المفاجىء والسريع في مرحلة البلوغ يحتاج الى غذاء سليم. وتشير نانسي كولين الخبيرة بالتغذية في مانهاتن الى "ان الجهاز الهورموني ينمو ويتطور في تلك السنوات الحرجة وعدم دعمه بالغذاء المناسب قد يؤدي الى تأخر الحيض عند الفتيات والى نمو جنسي غير متكامل عند الشبان والى امراض مزمنة شتى في مراحل لاحقة."

قلة النوم. يفترض الكثير من الاباء انه بمجرد ان يأوي الطفل الى فراشه فانه يستسلم للنوم. وفي هذا الموضوع يقول الدكتور ماكدونالد: "الواقع ان الصناعة الالكترونية أحدثت ثورة في غرفة النوم، والطفل الذي يبدو نائماً وعلى اذنيه سماعتان ربما كان يستمع الى اصوات

---

(٣) اظهرت دراسة شاملة اجرتها دائرة الاطعمة والخدمات الغذائيه في وزارة الزراعة الامريكية في شهر ابريل (نيسان) ١٩٨٣، ان الطلاب الذين يتناولون وجبة الغداء التي تقدمها المدرسة يتمتعون بحيوية اكثر من الطلاب الذين يمتنعون عنها. واشارت دراسات اخرى الى ان بعض انواع النقص في التغذية يؤثر سلبا على الاداء الاكاديمي للطلاب، فالنقص في مادة الحديد مثلا يضعف انتباه الطالب وانجازه.

ذات مستويات مرتفعة تختلف كل الاختلاف عن تهويدة النوم الرقيقة. الى ذلك، لدى الكثير من المراهقين اجهزة تلفزيون في غرف نومهم وقد يستمرون في مشاهدة البرامج حتى يغلبهم النعاس وربما كان ذلك في الساعة الثانية صباحاً."

وتبيّن من دراسة اجراها مركز الابحاث حول النوم التابع لجامعة ستانفورد ان غالبية المراهقين في السن السابعة عشرة او الثامنة عشرة في حاجة فعليّة الى فترات نوم تعادل تلك التي يحتاج اليها ابناء الثانية عشرة، ان لم تزد عليها، وهي تسع ساعات كل ليلة. واظهرت الدراسة كذلك أن المراهقين الذين تقلّ ساعات نومهم عن هذا المعدّل يعانون نوبات من النعاس والخمول اثناء النهار.

والخلاصة التي توصل اليها الدكتور وليم ديمنت مدير مركز ستانفورد هي ان "الاهل والمراهقين، خصوصاً طلاب المدارس الثانوية، في حاجة الى التثقيف لافهامهم اهمية النوم الحيوية والعواقب السلبية التي تخلفها عادات النوم غير السليمة لمراهقي اليوم."

ومن دواعي القلق كذلك، في نظر الدكتور زانغا، "ما ابرزته بعض الدراسات عن قصر الوقت الذي يمضيه الآباء مع ابنائهم والذي لا يتجاوز العشر دقائق او العشرين دقيقة في اليوم. الى ذلك فان معظم الاتصال الذي يتمّ بين الطرفين هو في اتجاه واحد ويتمثّل في أحد الوالدين آمراً او منتقداً". نتيجة لذلك، يضيف الدكتور زانغا، فان "عدداً لا يُحصى من مراهقي اليوم يعانون اضطرابات عاطفية عنيفة ولا يلقون من الراشدين العناية والارشاد اللذين هم في حاجة اليهما."

وتزيد قضية المخدرات الامر تعقيداً، إذ ان المراهقين يتعرضون باستمرار لضغوط شتى تدفعهم الى تعاطي الكحول والمخدرات والتدخين. ففي العام ١٩٨٣ خلص ريتشارد جيسور مدير معهد العلوم السلوكية في جامعة كولورادو ببولدر الى ان تعاطي المخدرات بين المراهقين مرتبط بما سمّاه "مجموعة اعراض السلوك غير السليم."

تبقى نسبة الوفيات المؤشر الاساسي الى انهيار الصحة. وفي تقرير لمديرية الصحة في الولايات المتحدة انه منذ العام ١٩٦٠ طرأ انخفاض ملحوظ على نسبة الوفيات في كل من فئات العمر ما عدا تلك الممتدة من السن ١٥ الى السن ٢٤، إذ ارتفعت نسبة الوفيات فيها عمّا كانت قبل عشرين سنة مُنذرة بسوء كبير. وهذا التقرير - الحدث أدرج أربعة عوامل سلوكية يعود اليها سبب الوفاة في ثلاثة أرباع الوفيات في هذه الفئة من العمر. وهذه العوامل هي، حسب ترتيبها التسلسلي: حوادث السير (وغالباً ما يكون سببها القيادة تحت تأثير الكحول او المخدرات)، حوادث اخرى، الانتحار (نسبة الانتحار بين المراهقين ازدادت ثلاثة اضعاف منذ سنة ١٩٧٦)، جرائم القتل. وخلص التقرير الى ان انماط الحياة المتبعة بين الشباب من شأنها ان تؤثر على قابليتهم للاصابة بامراض في المستقبل.

ما الذي يمكن عمله؟

يجب ان نعيد التربية البدنية والتربية الصحية الى سابق عهدهما في المدارس.

يجب فرض التربية الصحية، وتضمينها معلومات عن مضار المخدرات، في كل الصفوف وكذلك التدريب الرياضي.

ولا تعارُض اطلاقاً بين تلك المادتين وما درج على تسميته مواد المنهاج الاساسي. وتدليلا على صحة هذه النظرية يعرض كولب بعض نتائج دراسات اثبتت انه كلما تحسّن السلوك المرتبط بالصحة لدى الطالب تحسّن اداؤه الذهني اي مقدرته على التركيز والتفكير.

وهذا صحيح كذلك بالنسبة الى التدريب الرياضي. ففي دراسة أُجريت في فانف بفرنسا واستغرقت تسع سنين، ظهر ان زيادة الوقت المخصص للنشاط الرياضي مدة اربع ساعات في الاسبوع لا يرافقها تحسّن في الصحة واللياقة العامة والحركة فحسب، بل تحسن في التحصيل المدرسي ايضاً.

ايجازاً لما تم عرضه يقول كولب: "تشير الدراسات الى ان الغذاء والرياضة والاجهاد والنوم كلها عوامل مرتبطة بتحصيل الطالب في المدرسة. واي تحسن يطرأ على اي منها يؤدي الى تحسن الكفاية الاكاديمية للطالب."

ما السبيل إذاً الى جعل القيمين على المدارس ينظرون الى مادتي الرياضة البدنية والتربية الصحية على انهما من المواد الاساسية وليستا ترفاً؟

يقول دون هايدون المدير التنفيذي للجنة الخاصة باللياقة البدنية التي انشأها حاكم تكساس "ان للأهل دوراً اساسياً في جبه هذه المشكلة، ان من خلال تعاطيهم مع اولادهم او بواسطة الضغط على اعضاء مجالس المدارس لادخال مادتي التربية البدنية والتربية الصحية في المنهاج الشامل."

ويضيف الدكتور روبرت دو بون الخبير الدولي بالصحة العامة: "اننا في حاجة الى التزام شامل من المعنيين لمحاولة فهم مشكلة الانهيار المأسوي الذي اصاب صحة المراهقين، والى تعهّد العمل على ايجاد الحلول السريعة لهذه المشكلة."

بيغي مان ■



المنزل للأم

أصبت بالانفلونزا يوم سبت فحمدت الله وعدت الى فراشي تاركة لزوجي الاهتمام بشؤون البيت ورعاية أولادنا الثلاثة. وبعد وقت قصير أيقظني جدل أمام باب غرفتي. ثم تسلل زوجي الى الغرفة على رؤوس أصابع قدميه، وبعد وقت قليل استدار ليخرج فاستوقفته سائلة: "ماذا تفعل؟"

فأجاب همساً: "لقد تظاهرت باني استأذنك لاستخدام آلة غسل الاطباق (الجلاية)، اذ أعلمني الاولاد انهم يسمحون لي بالبقاء في البيت اليوم، شرط ان تبقى لك مهمة ادارة المنزل."

ك.ب.

بريجيت باردو



صارت نجمة الرفق بالحيوان

نجمة السينما الفرنسية التي ذاعت شهرتها في العالم تقود اليوم حملات شعبية وعلمية للرفق بالحيوان

في مرفأ سان تروبيه أواخر شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨١ شرَعَ ابن بائعة زهور في المنطقة، وهو في الثامنة والثلاثين من العمر، يضرُبُ قطّة العائلة بعصا حتى قتلَها. وما ان انتشر الخبر في البلدة حتى اقتحمت سيدة صاحبة شعر طويلٍ اشقر محلّ الزهور وأطلقت العنانَ للسانِها بفيضٍ من الكلام المر موبّخةً البائعة أمام الزبائن المذهولين، ثم خرجت كما دخلَت... كالاعصار.

Photo: SYGMA / M. BROZEK

وكان الامر لينتهي عند هذا الحدّ لو لم تكن السيّدة تدعى بريجيت باردو. ولم تكن بائعة الزهور لتسمح بأن تنهال عليها الشتائم من اكثر النجوم شهرة في تاريخ السينما الفرنسيّة. وفي ١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣ رفعت دعوى على باردو بتهمة الشتم علناً.

"لست نادمة على ما حصل. ولو كان عليّ ان أعيد ذلك لفعلت." هذا ما أعلنته باردو أمام المحكمة المكتظة.

وأعلن القضاة: "لقد تصرّفت المتّهمة من وجهة نظر تهدف الى المصلحة العامّة، اذ ان مبادراتها للدفاع عن الحيوانات إتخذت حجماً وطنياً في فرنسا. وقد كان اسرافها في الكلام أمراً يدعو الى الأسف، لكنه يضاهي التصرّف المتطرّف الذي اعتبرته تهجّماً على الحياة في ذاتها."

وبعد مرور سنة أصدرت محكمة الاستئناف في اكس - أن - بروفانس حكماً مشابهاً يبرّىء الممثلة.

نجمة الغلافات - أصبحت بريجيت ممثلة رغماً عنها. فهي ولدت في باريس في ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٣٤، وكانت تحلم وهي طفلة بان تصبح راقصة. وفي الرابعة عشرة من عمرها كانت أحرزت نجاحاً في مباريات الرقص ومنحت حق دخول معهد الاوبرا الوطني(★). ثم عنّ لوالدتها الفخور آن ماري، التي كانت تدير محلّ قبّعات نسائية، أن تطلق على القبّعات في مجموعتها الجديدة أسماء خطى الرقصة التي ستؤديها بريجيت بين وصلات العارضات أثناء عرض الازياء. وقد أعجبت محررة في احدى مجلّات الازياء بالراقصة الشابّة وطلبت الاذن في أخذ صور لها لنشرها في مجلّتها. فما كان من السيد لوي باردو، وهو صاحب مصنع ووالد صارم، الّا ان وافق على مضض مشترطاً الا يذكر اسم ابنته، على أن تدعى "ب. ب."

وبعد نشر صورتها تلقّت بريجيت عروضاً جديدةً للتصوير. وفي ذلك الحين كان المخرج مارك أليغريه يبحث عن ممثلة تجمع بين جمال المراهقة وبراءة المرأة - الطفلة. فطلب من مساعده روجيه فلاديمير بليميانيكوف الذي اشتهرَ في ما بعد باسم روجيه فاديم، ان يجري لها اختباراً سينمائياً. ولم يتقبّل السيد باردو ذلك الا لاقتناعه بأن الامر سيبوء بالفشل.

ولم يكن على خطأ. فعلى رغم مفاتن ب. ب. لم يرَ مارك أليغريه اي مستقبل لنجمة تتلعثم وهي تتكلّم. إلّا ان فاديم، وكان آنذاك في الحاديّة والعشرين من عمره، وقع في غرام بريجيت. وبفضل ارشاداته ونفوذه بدأت تؤدي أدواراً صغيرة في أفلام عدّة.

وفي العام ١٩٥٢ تزوّج فاديم باردو. وكان فيلم "وخلق الله المرأة" الذي أخرجه وعُرض في ١٩٥٦ هو الذي جعل منها صاحبة شهرة عالميّة.

وقيل ان بريجيت باردو أدخلت الى فرنسا من العملة اكثر ممّا فعلت شركة السيارات "رينو". وصرّح البعض انها أشهر امرأة فرنسيّة على الاطلاق بعد جاندارك. وهي على الارجح النجمة التي أخذ لها أكبر عدد من الصور في فترة ما

(★) Conservatoire National de l'Opera

بعد الحرب. ووفقاً لحسابات الكاتب البريطاني طوني كراولي، فان صورتها ظهرت ٢٩٣٤٥ مرّة على غلافات المجلات الاوروبية والامريكية حتى العام ١٩٥٨.

حشود المصورين - بدَت بريجيت كأنها تجسدُ المرأة العصرية. وشرعت النساء الشابات في كل مكان يتشبّهن بها. فتركْن شعرهن طويلا يتدلّى حتى الكتفين، واحتذيْن الباليرينا المسطّحة ولبسْنَ فساتين من النسيج القطني المخطّط. وبعيد شراء باردو منزلهَا الشهير في سان تروبيه جنوب فرنسا وانتقالها اليه، سأل أحد السيّاح صيدلياً في الحي عمّا اذا كان رآها، فأجابه: "آه! أتعلم؟ اني أخدم مئة باردو كل يوم."

وحين تكهن البعض ان الممثلة الشابة ستضمحل قريباً أمام ممثلة سينمائية ناشئة اكثر تأنقاً، هتفَت مصمّمة الازياء كوكو شانيل: "لكن هذا منافٍ للمنطق، فلا يمكن تحطيم اسطورة بمقارنتها بامرأة."

وتوالَت الافلام، لكن حياة باردو لم تكن دائماً قصّة حالمة. فحيثما حَلّت ومهما فعلت كان ثمة من يقتفي أثرها وكأنها حيوان مطارَد. وفي العام ١٩٦٠، حين حبِلَت بابنِها نيكولا من زوجها الثاني النجم السينمائي جاك شارييه، اضطرت الى ان تلده في المنزل لأن حشود المصوّرين في الخارج حالت دون ذهابها الى المستشفى. وذات مرّة توجهت لزيارة صديقة في احد المستشفيات فهدّدتها ممرضة بشوكةٍ، لأن باردو كانت تجني أموالا طائلة بينما كان ابن الممرّضة



بريجيت باردو في الخمسينات.

يحارب في الجزائر. وفي كل يوم كانت الرسائل تتدفّق عليها.

وذات ليلة وبعدما أضنتْها شهرتها، ابتلعت باردو جرعة مفرطة من الحبوب المهدئة للاعصاب. ومع أن بقاءها على قيد الحياة كان يومذاك مرهوناً بدقائق قليلة، فقد أجبرالمصوّرون سيارة الاسعاف التي كانت تنقلها الى المستشفى على التوقّف وسط باريس لالتقاط صور لها.

وفي العام ١٩٧٣ استطلعت احدى المجلات آراء ستة عشر من أعظم المخرجين في نجاح باردو غير العادي، فأجاب ميكلانجلو أنطونيوني: "في سيماها شيء وهمي ومؤثر." وعبّر فيتوريو دي سيكا عن اعجابه بها كامرأة "بكل معنى الكلمة وبكل بساطة." وأعلن فيديريكو فلّيني أن "اسلوبها التعبيري يتنوّع بحيث يخوّلها تمثيل عشرة أدوار مختلفة في الفيلم نفسه."

لكن باردو حكمت بقسوةٍ على مهنتِها، فقالت ذات مرّةٍ: "أكاد لا أجد بين جميع أفلامي الا أربعةً أو خمسةً تجدر المحافظة عليها." وأضافت أنها لم تشعر أبداً بالارتياح أمام الكاميرا.

قضية الفقمة - كانت ب.ب. في التاسعة والثلاثين من عمرها وقد مثّلت في ٤٨ فيلماً عندما وضعَت حدّاً لحياتها الفنية على نحو مفاجىء، فرفضت حتى عروض هوليوود المغرية. ثم باعت سيارتها الرولز رويس وذهبت لتعيش وحدها في منزلها في سان تروبيه "ليكُفّ الجميع عن اعتباري شيئاً جميلا ولاصبح كائناً بشرياً كسواي."

وفي لامادراغ بسان تروبيه حيث تقيم وحيدة وسط أحد عشر كلباً وعشرين قطةً التقطتها من الشوارع أو من أيدي المعذِّبين، لا تزال بريجيت باردو تتلقّى ٤٠٠ رسالة يومياً. لكنها توصّلت الى صيغة تفاهم مع شعبيّتها المذهِلة، فقالت لي: "لو لم يكن اسمي بريجيت باردو لما استطعت القيام بما أقوم به اليوم."

ان ما تفعله هو الدفاع عن الحيوانات. ولا تزال أهم حملاتها تلك التي شنتها عام ١٩٧٧ وحاولت فيها وضع حدّ للذبح الجماعي للفقم الصغيرة في كندا الشرقيّة. فطارت الى سيت إيل (الجزر السبع) في صحبة عالم البيئة فرانز فيبر وفريق تلفزيوني. ومن هناك طارت المجموعة في مروحية الى الكتلة الجليديّة. وعندما عجزت باردو عن الحؤول بين الحيوانات وصيّاديها كما كانت تنوي أن تفعل، عقدَتْ مؤتمراً صحافياً دعت اليه المذيعين الذين كانوا في الطائرة واعلنت أنها مستعدّة شخصياً لتعويض كل الصيّادين الذين يمتنعون عن قتل الحيوانات.

وبعدما أخذت صور لباردو وهي تدفن وجهها في فراء فقمة لا يزيد عمرها على بضعةِ ايام، أعلن الرئيس الفرنسي السابق فاليري جيسكار ديستان انه سيحّظرُ استيراد جلد الفقمة الى فرنسا. وفي استطلاع للرأي تبين ان ٩١ في المئة من الفرنسيّين يؤيدون باردو. وأعلن رئيس جمعية تجّار الفراء ودابغيها اقتناعه هو أيضاً. وبعد أيام كانت باردو في بروكسيل ترافع أمام المجلس الاوروبي مدافعة عن قضيّة الفقمة.

وفي أغسطس (آب) ١٩٨٤ تدخّلت ب.ب. في مدينة نيس لانقاذ فرس حامل أرسلت الى المسلخ من دون اعتبار للقوانين التي تمنع استيراد الحيوانات وهي على وشك أن تلد.

وابلغ ميشال روكار وزير الزراعة السابق الى بريجيت باردو أن الفرس ومهرها لن يلحق بهما اي اذى.

وفي شهر مايو (أيار) ١٩٨٥، وللمرّة الثانية، ساعدت بريجيت علماء البيئة في سولاك بمنطقة الجيروند على الاحتجاج ضد قتل ٣٠ ألف طائر قُمْريّة (turtledove) سنوياً على أيدي تسعة آلاف صياد في المنطقة يكمنون للطيور في أبراج مراقبة. وشرحت ب.ب. الامر للصيادين الساخرين قائلة: "انه خرق فاضح للقانون، بل هو كارثة في علم الاحياء، اذ ان الطيور تصل منهكة القوى

بعد رحلة طالت ألوف الكيلومترات من افريقيا لتبني أعشاشاً لها في بلادنا."

رمز فرنسي – واليوم تناضل بريجيت باردو من أجل فرض نظام صارم على تشريح الحيوانات الحية في المختبرات للاغراض العلمية. ففي فرنسا وحدها يستعمل كل سنة في المختبرات نحو ٥٠ ألف كلب و٨٠ ألف قطّة و٦٠٠٠ قرد وأربعة ملايين ونصف مليون فأرة، الى عدد لا يحصى من الخنازير الغينية. وتوضح باردو: "لا يقتضي الامر منع اجراء جميع أنواع التجارب على الحيوانات حين تكون مفيدة للعلم، بل هو يقتصر على حظر كل معاملة سيئة لا مبرّر لها وكل عذاب غير ضروري يرسم العار على جباهنا."

ولا ينقصها تأييد كبار العلماء. فيقول الاستاذ ليون شفارتزنبرغ وهو اختصاصي بالامراض السرطانية صاحب شهرة عالمية: "هناك كثير من التجارب على الحيوانات لا يجدي، اذ لا يمكن تقدير نتائجه على البشر." وفي العام ١٩٨٤ قدّمت باردو حوالة بقيمة ٤٥ ألف فرنك الى المعهد الوطني للصحّة والابحاث الطبية في ديجون الذي حقّق نتائج رائعة بابدال التجارب على الحيوانات بتجارب على خلايا تستنبَت في المختبرات. وأنقذ هذا العمل مئات القرود الافريقيّة التي كانت تستخدم لصنع اللقاحات المضادة للفيروسات.

فلا عجب أن يرى الفرنسيون في بريجيت باردو رمزاً لحماية الحيوان.

وتبيّن من دراسة مسحية أجريت عام ١٩٨٤ أن ٤٥ في المئة منهم يرغبون في أن يعيّنها رئيس الجمهورية رئيسة لمنظمة تنسّقَ القضيّة على الصعيد الوطني.

الا أن بريجيت باردو تركّز عادةً على قضايا خاصّة. فاذا أساء مالك أحد الكلاب معاملة الحيوانات التي وضِعت في اشرافه، أو اذا تُركَت قطة جريح من دون عناية، فان بريجيت تقفز خلف مقود سيارتها الميني وتتّصل بأصدقائها هاتفياً لاستجماعهم وتذهب الى أبعد من ذلك فتجنّدُ مدير شرطة باريس للمساعدة. وتمكن مشاهدتها معظم الايام على بعد كيلومترات من منزلها تطعِمُ قططاً وكلاباً مشرّدة.

وهي أخبرتني: "ان الناس في سان تروبيه يربطون الكلاب التي ينوون التخلّص منها عند مدخل منزلي، أو يرمون القطط المريضة من فوق سياج حديقتي كي لا يضطروا الى حملها الى بيطري. ولا تنسَ أن تذكر أني أجد هذا التصرّف مخزياً."

وتجيب باردو من يلقي عليها اللوم لانها تدافع عن الحيوانات في حين يتألم ملايين الناس ويموتون في أرجاء العالم: "في رأيي، لا وجود للمعارك الصغيرة. فالقادرون على اساءة معاملة الحيوانات هم غالباً الاشخاص أنفسهم الذين يدفعون الناس المحرومين نحو اليأس. وأنا أفعل ما في وسعي."

جان ماري جافرون ■

لو كان الندم كالقمصان لملأنا خزانة كاملة. مثل توسكاني

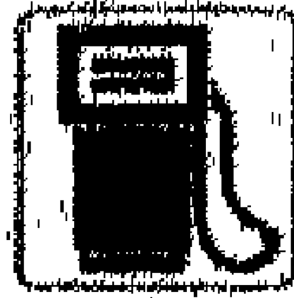
كيف تقطع كيلومترات أكثر

بوقود أقلّ

في مباراة اجريت حديثاً في اشراف نقابة لمهندسي السيارات من اجل اختبار "أطول مسافة" تقطعها سيارة بمقدار معين من الوقود، صنع الطلاب في جامعة ساسكاتشوان في كندا سيارة أطلقوا عليها اسم "السلحفاة المشحّمة".

هذه السيارة الصغيرة التي تستمد قوتها من محرك صغير يستخدم في آلات جز الاعشاب وتسيّر في أحوال معينة مضبوطة، استطاعت قطع مسافة ٩٣٥ متراً بمليليتر واحد من الوقود، أي ٩٣٥ كيلومتراً بالليتر الواحد. لكنك قد لا تستطيع اخراج السلحفاة المشحمة الى الطريق العامة، بل قد لا ترغب في ذلك.

ومهما يكن فان اختبار ساسكاتشوان يرشد الى أساليب في الصيانة والقيادة ربما ساعدتك على زيادة المسافة التي تقطعها بالوقود بنسبة ٣٠ في المئة، بل أكثر في بعض الحالات، اذا كان لا يضيرك تطبيق المطلوب منك. ويمكنك ان تطبق ذلك أيضاً على سيارتك الحالية من دون أن تنفق أي مبلغ لشراء أجهزة توفير الوقود المعروضة في الاسواق. وفي وسعك كذلك ان تحقق وفراً ملحوظاً في المصروف اذا كنت تقود سيارة نهمة للوقود. فاتبع هذ النصائح:



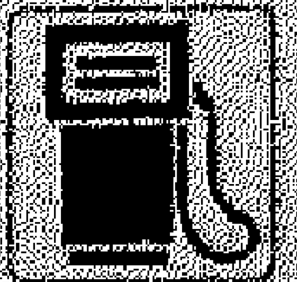
ترقّب. يمكنك أن توفر وقوداً بالنظر أمامك وتقرير أي خطوات تستطيع اتخاذها لتحاشي التبديلات السريعة في السرعة والاتجاه. تخيّل أن على دواسة الوقود بيضة نيئة وحاول ألا ترهسها، وذلك بضغط خفيف على الدوّاسة. كذلك تخيّل أن على أرض السيارة علبة حليب مفتوحة وحاول ألا تدع الحليب ينذلق حين تنحرف من جهة الى أخرى.

عليك أن "تتوقع" الاشارات الضوئية أمامك فتخفف سرعة سيارتك حتى تصل تماماً مع الضوء الاخضر. ان الوصول بالسيارة من حالة الوقوف التام الى سرعة السير العادية يستهلك من الوقود ٢٠ في المئة أكثر مما يستهلكه الوصول اليها من سرعة بضعة كيلومترات في الساعة.

في كل مرة تستخدم كوابح السيارة، تحوّل الطاقة المستمدة من المحرك حرارة

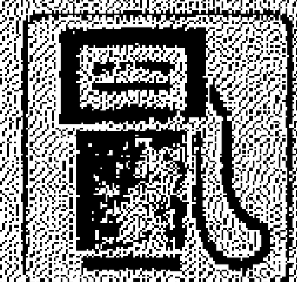
نصائح بسيطة في قيادة السيارة وصيانتها تساعدك على الاقتصاد في مصروف الوقود

تهدر على ملاقط الكوابح(١) ويستهلك مقدار أوفر من الوقود لاستعادة تلك الطاقة المهدرة، لذلك ينبغي أن تخطط لما تفعل. فاذا رأيت أن عليك أن تقف، ابدأ تخفيف السرعة حالما يتسنى لك أن تفعل ذلك بأمان مستعيناً بوزن السيارة وتباطؤ المحرك. والفائدة الجانبية هنا ضمان عمر أطول لجهاز الكوابح.



الصيانة.

ان المحرك المضبط على نحو صحيح يقطع بالوقود مسافة تزيد بنسبة ١٠ في المئة على المحرك غير المضبط. كما أن مثل هذا المحرك يشتعل بسرعة أكثر عند ادارته ويعمل بفاعلية أعلى. وكل ضبط يجب أن يشمل فحص شمعات الاشعال ومصفاة الهواء.



فحص الاطارات والعجلات.

تأكد من أن الاطارات معبأة بالهواء تماماً ودائماً. وينصح الخبراء بزيادة الضغط في الاطارات بمقدار كيلوغرام أو كيلوغرام ونصف كيلوغرام على المعدل الموصى به (عليك التثبت من عدم تجاوز الحد الاعلى للضغط الظاهر على جانب الاطار). فالاطارات المنخفضة الضغط قد تستهلك نحو ٥ في المئة أكثر من الوقود كما أنها تتلف بسرعة أكبر. واذا كان أحد الاطارين الاماميين منخفض الضغط فانه قد يسبب تثاقلا يضطر المحرك الى العمل بقوة أكبر فيستهلك وقوداً أكثر.

وكما أن عربة التبضع التي تدفع باليد في المتجر تستوجب جهداً أكبر اذا كانت احدى عجلاتها مختلة، فان المحرك يتحمل عبئاً أكبر بسبب العجلات (الجانط) غير المتوازية. فعليك بفحص توازي(٢) عجلاتك مرة واحدة في السنة على الاقل. ان العجلات غير المتوازية قد تسبب اهداراً اضافياً للوقود.

لا تحمّ المحرك.

اذا كنت تقود السيارة يومياً، فيمكنك أن توفر ٢ في المئة من الوقود

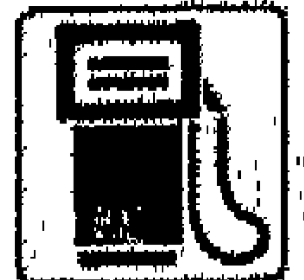
---

(١) Brake pads and shoes

(٢) Alignment

الذي تستهلكه بعدم تحمية محركها. بعد ادارة المحرك أعطه بضع ثوان ليستقر دورانه وليتسنى للسوائل الجريان في مساراتها وللزيت أن يصل المحامل (٣) بعد ذلك انطلق على مهل وبعناية. انك ستوفر مقداراً يدهشك من الوقود، من دون أن تضرّ بمحرك سيارتك.

في الصباح البارد ترغم الخانقة الاوتوماتيكية(٤) جهاز التبخير (الكاربورتور) على ضخ مزيج غني بالوقود والهواء أكثر من المعتاد. واذا قدت السيارة برفق فان محركها يحمى بسرعة أكثر مما لو أبقيتها واقفة ومحركها يعمل. انك تفيد أكثر من هذا المزيج الغني بالوقود والهواء اذا قطعت به بضعة كيلومترات مما لو اهدرته وأنت جالس وراء المقود في الموقف أمام بيتك.



انتبه للزيت.

دع عامل المحطة يفحص الزيت في محرك سيارتك أو افحصه بنفسك كلّما ملأت خزانها وقوداً. استخدم الزيت المتعدد الدرجات(٥) لانه يبقى رقيقاً (٦) في الطقس البارد فيجري في كل أجزاء أكثر تحت وطأة العبء. وهو في الوقت عينه قد يستهلك ١٠ في المئة أكثر من الوقود.

ربما تعذر عليك أن تقلّل من عدد المحرك، ومع ذلك فانه لا يرقّ أكثر مما ينبغي عندما يسخن. ففي غياب التزييت المناسب يتحمل المحرك اجهاداً من جراء مقاومته الاحتكاك، فيحرق مقداراً اضافياً من الوقود.



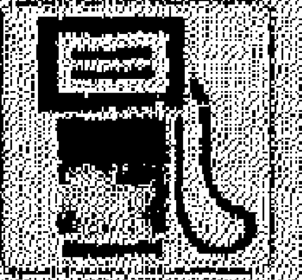
تجنب دوران المحرك والسيارة واقفة.

قد تدخل بسيارتك باحة مطعم يقدم وجبات سريعة. ويبدو دائماً كأن الزبون الذي أمامك يشتري شطائر لجميع زملائه في المكتب. وهكذا تجلس في السيارة منتظراً دورك والمحرك يدور، وهذا يهدر وقوداً بمعدل ٤ ليترات كل ساعة. ان اعادة تشغيل محرك ساخن لا تكلف شيئاً. ولكي توفر الوقود أوقف المحرك اذا كان عليك أن تنتظر أكثر من دقيقة واحدة.

---

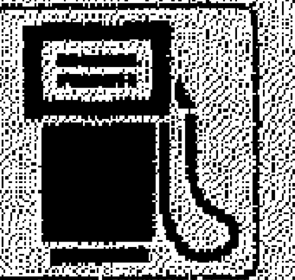
(٣) Bearings
(٤) Automatic choke
(٥) مثل 30 — 10 W
(٦) Thinner

بالمقدار عينه من الوقود.



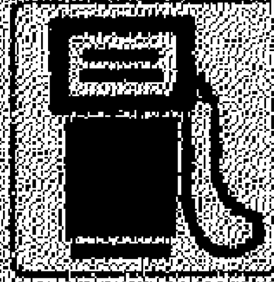
خفف سرعتك.

قد لا تعجبك السرعة القصوى المسموح بها في بلادك، لكنها توفر وقوداً. واذا قدت سيارتك بسرعة ٨٠ كيلومتراً في الساعة بدلا من ١١٥ فانك توفر ما قد يصل الى ٤٠ في المئة من وقود، وفقاً لحجم سيارتك. تذكر ما يأتي: اذا وقع لك حادث وأنت منطلق بسرعة ١١٥ كيلومتراً في الساعة، فان حظك في النجاة هو ٥٠ في المئة. أما اذا خفضت السرعة الى ٩٠ كيلومتراً في الساعة، فان حظك في النجاة يصبح بنسبة ٣١ الى ١ لمصلحتك.



خفف الثقل في السيارة.

هل جربت مرة أن تقود سيارتك صعوداً وهي فارغة ثم قدتها ثانية على الطريق نفسها وهي مثقلة بالركاب؟ ان هدير محركها ينبئك بأنه يعمل بجهد الركاب، لكن معظم الناس ينقلون معهم أمتعة اضافية ليسوا في حاجة اليها. وبرفع هذا الثقل الاضافي عن صندوق السيارة تزيد المسافة التي تقطعها



حول ناقل السرعة.

اذا كانت سيارتك مجهزة بتحكيم آلي(٧) يبقيها دارجة بسرعة مستقرة، استخدمه فقط على الطرق المنبسطة. وفي الطرق الجبلية يمكنك أن تخفف السرعة أو تزيدها بنفسك بسهولة وفاعلية أكبر. لا تحوّل السرعة أبداً الى المستوى الادنى الذي يهدر وقوداً أكثر في علب التروس الاتوماتيكية(٨)، أو أن تنقل السرعة الى ترس أدنى في علب التروس اليدوية لتتجاوز سيارة أمامك، الا اذا كنت مضطراً حقا الى ذلك.

واذا كانت علبة التروس في سيارتك أوتوماتيكية، درّب نفسك على تخفيف الضغط على دواسة الوقود بهدوء حين تحوّل السرعة.

قد لا يكون عملياً بالنسبة اليك أن تتقيد بجميع هذه النصائح دائماً. ولكن اتّبع كلّ واحدة منها كلمّا أتيح لك ذلك. ومن المؤكد أنك ستقتصد في الوقود اذا فعلت. كما أنك ستقود سيارتك بأمان أكثر.

روس أولني ■

---

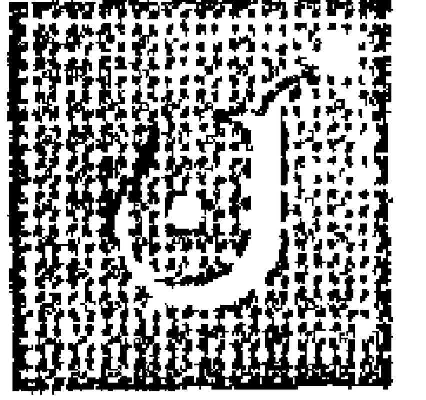
(٧) Cruise control

(٨) Automatic transmission



تعلّقها بالحياة أخرجَها من الغيبُوبة

قفزت المرأة الرياضية وانفتحت مظلتها قبل الاوان والتفَّت حولها مثل كفن. فهوت عمودياً الى الارض من علو ٨٥٠ متراً



نشأت هواية القفز لدى ديبي شورسون (٣٠ عاماً) وصديقتها جين بلتييه (٢٨ عاماً) من رغبتهما في تمضية وقت مرح ومسلٍ. فالصديقتان اللتان تهويان ممارسة الرياضة في عطلة نهاية الاسبوع شعرتا بالضجر في الفترة بين موسم التزلج على الثلج وموسم التزلج على الماء. فاقترحت جين ممارسة الهبوط بالمظلة. وهاهما على ارتفاع ٨٥٠ متراً فوق مرعى موحل بالقرب من مطار أنتيوك شرق مدينة سان فرنسيسكو.

وراحت ديبي تحدّق عبر الباب المفتوح للطائرة البيضاء من طراز "سيسنا ٢٠٦". فرأت في الاسفل دائرة هبوط تبلغ مساحتها ١٢ متراً، ولم تبدُ لها من عل أكبر من قطعة نقود، فأحست بقلبها ينقبض.

جثمت جين وديبي وزوجها رندي في الطائرة الضيقة على أهبة القفز. وكان معهم فيك داسيو الذي تعرّفوا اليه خلال دروس الهبوط بالمظلة في نهاية الاسبوع السابق. وكانوا يستعدون لتأدية قفزتهم الاولى، أما ديبي فقد سبق أن هبطت مرة بالمظلة.

وأخذت الطائرة تدور حول نقطة الهبوط صباح ذاك اليوم في ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٨٢. وحاولت ديبي ان تبدد التوتر السائد. فنخست جين برفق وهمست في أذنها: "إذا حصل لي مكروه يمكنك أن تأخذي تشارلي." وتشارلي كلب صيد تملكه ديبي، وكانت جين تعلم مدى تعلق صديقتها به.

واكفهر وجه جين وقالت في نفسها، "ان فكرة القفز هذه فكرتي في الاساس، فاذا حصل أي مكروه..." وأحست برعشة تسري في عروقها.

وقالت لها ديبي: "ماذا أصابك؟ انه مجرّد مزاح!"

وصرخ مدرب القفز كيث كارتر: "مستعدون؟" فأجاب تلاميذه الاربعة بالايجاب. كانوا مربوطين الى سلك ثابت يؤمن فتح مظلاتهم تلقائياً. وتقدم رندي. ولما صار في محاذاة ديبي شدت يده بحركة وداع. وربت كارتر كتف رندي مشير اليه بالانطلاق.



وقال رندي لزوجته ديبي: "أراك تحت." وراحت هي تراقب مظلته تنتفخ وتنفتح. وما هي الاّ ٣٠ ثانية حتى هبط في الدائرة تماماً. فقالت ديبي في نفسها: "يبدو الامر يسيراً."

القفزة العجيبة

قفز داسيو ثم جاء دور ديبي. فشدّت يد جين وتقدمت بجهد نحو الباب المفتوح. ولما اعطاها كارتر اشارة الانطلاق وجدت أصابعها تتلمس لاشعورياً حبل المظلة الاحتياطية. وناجت نفسها: "حذار! لا تشديه الا اذا احتجت اليه." ثم أغمضت عينيها وقفزت.

وما لبثت ديبي أن شعرت بخطب، وأدركت أنها علقت. فنظرت الى الوراء ورأت أن مظلتها بدأت تنفتح مشتبكة بباب الطائرة.

ودارت على نفسها ثم ارتدت عن جناح الطائرة. فأفلتت المظلة من الباب والتفت حول بذلتها. وهوت ديبي في الخلاء تجلدها سياط الريح وهي تدور حولها كإعصار فتبهر انفاسها. وقالت في نفسها وهي تبحث بارتباك عن حبل المظلة الاحتياطية: "إلزمي الهدوء يا فتاة!"

وصرخت جين من الطائرة: "ديبي! يا إلهي!"

وصاح كارتر في الطيار: "إنزل بنا!"

وكانت ديبي في تلك الاثناء تجهد للحفاظ على هدوء أعصابها. مئتا كيلومتر في الساعة! بهذه السرعة يهوي الجسم في سقوطه الطليق. هكذا أخبرها مدربها.

وراحت تحرّك أصابعها بعسر وقد اشتبكت بثنيات النايلون الملتفة حولها والملتصقة بجسمها. وأحست كأنها مومياء تتخبط في كفنها. وفكرت: عليّ أن أجد الحبل الاحتياطي. يا إلهي! أين هو؟

وعلى الارض كان رندي يجمع مظلته عندما ظهر رجل الى جانبه وراح يشير الى السماء صارخاً: "ثمة شخص في مأزق!" ونظر رندي الى أعلى فرأى جسماً بشرياً يتجه مباشرة الى الارض. فصاح: "انها ديبي!" وسرت قشعريرة في جسده. ورأى شريطاً من النايلون يتموّج فوقها وهي تهوي عمودياً. لقد فات الاوان وأصبح محالا أن تنفتح المظلة الاحتياطية كلياً.

ووقف رندي مسمراً في مكانه وهو يراقب قدمي ديبي تخبطان أرض هضبة معشبة تبعد حوالى نصف كيلومتر. ثم ما لبثت أن ارتدت كأنها دمية من خرق وراحت تتدحرج الى أسفل الهضبة.

وما كان من رندي الاّ أن مزّق الصرّة التي كان يحملها على ظهره وهرول نحو ديبي. وكوميض برق تراءت له صور من حياتهما الماضية: مدرسة سان كارلوس الثانوية. وديبي التلميذة النشيطة المتحمسة في فريق السباحة، ممشوقة القدّ، رياضية، كلها ظرف وحيوية. ودراستهما في جامعة كاليفورنيا في شيكو. وزواجهما. والتحاق رندي بسلك الاطفاء. ومزاولة ديبي الهندسة الداخلية. وحبها لعملها وللحياة.

واذ راح رندي يشق طريقه بين الجموع أيقن ان لا أحد يستطيع البقاء على قيد الحياة بعد سقطة كتلك.

وناشد الناس المحتشدين: "دعوني

أدنو منها. انها زوجتي." ورأى رجلا منحنياً فوقها يزيل ما علق في فمها وحلقها من تراب وعشب. وكانت مظلتها الاساسية الى جانبها، وبدا انها انحلت كفاية لتسمح لها ببلوغ حبل المظلة الاحتياطية قبيل اصطدامها بالارض.

وبعد هنيهة وصلت سيارة الاسعاف فنقلت ديبي وهي فاقدة الوعي الى مستشفى "دلتا" التذكاري في أنتيوك. وأظهرت صور الأشعة أن كل عظام جسمها تقريباً مكسرة. وقد سلمت عظام اليدين والساعدين. وانهارت رئتاها وتمزق طحالها واحدى كليتيها. وجرح رأسها. ولتأمين تنفس مستقر لها ثقب أحد الجراحين قصبتها الهوائية وأدخل اليها آلة تنفس صغيرة. وعلى رغم جهود الأطباء ظلت اشارات الحياة فيها تضعف.

وقال طبيب لزوجها رندي: "الشخص الوحيد الذي يستطيع إنقاذ ديبي هو جرّاح دماغ. صحيح أن مستشفى جون موير التذكاري لا يبعد سوى عشرين دقيقة، لكن الرحلة قد تقضي عليها."

فرد رندي: "علينا أن نجازف."

صراع البقاء

في مستشفى موير كان في انتظار ديبي فريق من الاطباء على رأسهم جرّاح الاعصاب بول شودروف. وهو أخبر رندي برفق بعدما فحص ديبي: "ليس لزوجتك الا أمل ضئيل في البقاء على قيد الحياة."

ولما أصغى شودروف الى تفاصيل الحادث راح يهز رأسه وقد ادهشته أعجوبة بقاء ديبي حيّة. فقال لرندي: "لا شك في أن شبابها وصحتها ساهما الى حد بعيد في انقاذها. ثم ان الارض التي هبطت عليها كانت موحلة وطريئة. ولكن مع ذلك يعتبر بقاؤها حية أعجوبة. وسنسعى جهدنا الى انقاذها، ولكن لا تترقب أعجوبة ثانية."

خلافاً لكل الاحتمالات صمدت ديبي الليل بطوله. وفي صباح اليوم التالي ظلت في غيبوبة لكنها بقيت تتنفس.

ومع مرور الايام أخذت حالها تسوء. فبدل أن يلتئم ثقب القصبة الهوائية راح يتسع، وفي أسبوعين هبط وزنها من ٥٨ كيلوغراماً الى ٣٦. وأمر شودروف باخضاعها لنظام غذائي جديد بحيث ترفع كمية الوحدات الحرارية التي تحقن في أوردتها يومياً من ١٥٠٠ وحدة الى ٤٠٠٠. وقال لزوجها: "لا يسعنا الآن الاّ أن ننتظر ونأمل أن تقاوم ديبي بشراسة."

فأجابه رندي: "ليست ديبي من المستسلمين، ولكن كيف لها أن تقاوم وهي في غيبوبة؟"

واوضح الطبيب: "ان الغيبوبة مسألة غريبة عجيبة. صحيح أن ديبي لا ترى شيئاً، ولكن قد يكون في وسعها أن تسمع."

وأدرك رندي أن من الضروري اشراك ديبي بطريقة ما في عملية استشفائها. وبمعاونة أسرتها وأصدقائها تمكن من ملء ظلام عالمها الدامس بأصوات محبيها ومحبتهم.

وفي اليوم الذي تلا مباشرة النظام الغذائي الجديد دخلت والدة ديبي دوريس ماكاهون غرفة ابنتها ووضعت رزمة

رسائل على المنضدة الى جانب سريرها وقالت: "أريد منك أن تدركي ان الصلوات تتلى من أجلك في أنحاء العالم. أتسمعينني يا ديبي؟" وشرعت تقرأ على ابنتها رسائل الاقرباء والاصدقاء.

وكان الزائرون يدخلون غرفة ديبي ويخرجون منها باستمرار، مقدّمين تشجيعهم الدائم. وفي نهاية اليوم التالي دخل اختصاصي التغذية قاعة الانتظار وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وبادر رندي ودوريس: "لقد بدأ جرح قصبتها الهوائية يلتئم."

صوت عبر الظلمة

ما هي الا أيام قليلة حتى بدأ وزن ديبي يزداد تدريجاً. واخذت تفتح عينيها، ولكن بقي بادياً أنها لا تعي العالم الخارجي. وهمس رندي في أذنها: "ديبي، كلنا نمد اليك يد العون، ولكن عليك أنت أن تساعدينا. عليك أن تحاولي."

ولكي يمضي رندي وقتاً أطول مع زوجته أخذ من دائرة الاطفاء اجازة مدتها ستة أسابيع ونصف أسبوع.

وذات يوم أتت الى المستشفى جو آن طومسون إحدى جارات ديبي وفي يدها آلة تسجيل، وقالت: "ديبي، آمل أن يكون في وسعك سماع هذا. لقد سجلت أصوات اثني عشر من جيراننا وهم يفتقدونك جميعاً...

"يا ديبي..."

بعضهم قرأ أبيات شعر، أما الاطفال فغنوا، وتحدث أحد الجيران مازحاً عن مرجة آل شورسون التي بدأ عشبها يطول.

وبعد نصف ساعة أوقفت جو آن آلة التسجيل وطلبت من ديبي أن تصغي بارهاف الى الاصوات التالية: "ووف، ووف، ووف."

ومن سبات غيبوبتها أتت ديبي حركة خفيفة. لقد سمعت شيئاً: كلمات، فنباحاً، "تشارلي؟ اني أسمعك يا تشارلي. أين أنت؟"

واقترب منها رندي وكأنه قرأ أفكارها فقال لها: "تشارلي يفتقدك حقاً يا ديبي. لو ترينه كم يبدو تعساً. فهو يريدك أن تعودي الى المنزل. وأنا أيضاً أحبك حباً جماً." وعرفت ديبي ذاك الصوت الآتي اليها عبر الظلمة.

رندي! أنا ايضاً أحبك. وحاولت أن تتكلم، لكن الصلة انقطعت.

واستمر الاقرباء والاصدقاء يتقاطرون كل يوم. وكانت جين بلتييه تقطع في سيارتها كل يوم مسافة ٨٠ كيلومتراً آتية من منزلها في سان ماتيو لتقدّم التشجيع الى صديقتها.

وفي الثالث عشر من يونيو (حزيران) بعد مرور سبعة أسابيع على الحادث كانت ديبي تراقب احدى الممرضات وهي توضب الغرفة. وكان رندي يحدّق عبر النافذة. وفجأة تلفظت بكلمة: "أوه!"

فاستدار رندي مواجهاً زوجته: "لقد تكلمت!"

وذهبت احدى الممرضات لتأتي بالدكتور شودروف. وهرولا معاً الى الغرفة. فاستدارت ديبي نحو الطبيب وابتسمت منادية اياه: "مرحباً يا دكتور توركي!" فطالما بادرها الدكتور شودروف بتحيته المفضلة: "مرحباً يا توركي."

فابتسم شودروف قائلا: "مرحباً بك!" وترقرقت عينا رندي بالدموع التي انسابت على وجنتيه. وغصّ شودروف متأثراً.

العودة الى الحياة

كانت ديبي أمضت ٥١ يوماً في الغيبوبة. أما استعادتها وعيها فلا تعني أن النزاع انتهى. وقال لها الدكتور شودروف: "البقية عائدة اليك. فمصيرك يرتكز على مدى كفاحك."

وبعد مغادرتها المستشفى في الثالث والعشرين من شهر يونيو (حزيران) التحقت بمركز تأهيل لا يبعد كثيراً عن منزلها. لقد أصبح في امكانها أن تأكل من دون مساعدة وتحرّك كرسيها النقال وتواصل حديثاً متقطعاً. لكنها كانت تشكو من ازدواج في الرؤية وضعف في تنسيق حركات عضلاتها. والاسوأ من ذلك أنها غالباً ما كانت تنسى أمراً سمعته قبل دقائق، وتظن أنها لم ترَ رندي منذ أيام وهو في الواقع لم يتركها الا قبل نصف ساعة.

وفي أكتوبر (تشرين الاول) نزع القالب من رجلها المكسورة ووضع مكانه رباط من البلاستيك. وبعد ساعة واحدة كانت ديبي تتمرّن على المشي بمساعدة القضيبين المتوازيين في مركز المعالجة.

وبعد فترة قالت لها كاتي دافي المشرفة على معالجتها: "حسناً، فلنسترح قليلا." فأجابتها ديبي لاهثة وهي تلوّح برجلها راسمة قوساً كبيرة: "لا، دعيني أتمرن قليلا بعد، بضع دقائق فقط."

واستعادت ديبي رويداً حركة ساعديها وجزءاً من حركة رجليها. وتحسّن نظرها أيضاً. وكانت تكرر على كاتي السؤال نفسه: "متى أعود الى البيت؟"

وكان جواب كاتي المألوف: "انك تتحسنين بسرعة. لنقل ان في استطاعتك العودة قبيل عيد الميلاد."

وفي ٢٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ بعد ستة اشهر من الحادث عاد رندي بزوجته الى منزلهما. ولما وصلا أخذ بيدها ليساعدها على اجتياز الرصيف. فقالت له بنبرة حازمة: "لا، أريد أن أسير بمفردي." وسارت بروية مستعينة بعصا من الالمنيوم حتى وصلت الى الباب. وعند ذاك وثب تشارلي من الداخل لتحيتها.

وبين جلسات المعالجة اليومية والعمل الخفيف في المنزل عادت ديبي تعمل نصف نهار في مكتبها في شركة للاقمشة والالبسة الجاهزة. وهي ما زالت اليوم تحسّ لمعات ألم خفيفة وما زال كاحلها الأيمن متيبساً. ولم يعد نطقها وذاكرتها كما كانا على رغم تحسنهما الكبير. لكنها على طريق الشفاء.

وتطوعت ديبي بضعة أشهر للعمل في إحدى المؤسسات الريفية التي تعنى بالاولاد المعاقين. فكانت تسير بأحصنة تحمل أطفالا معاقين. ومع أن التعب والألم في رجلها أرغماها على التوقف موقتاً عن العمل، الاّ أنها تتبع حالياً علاجاً جديداً وتأمل العودة قريباً الى العمل. وهي تقول والابتسامة على ثغرها: "إنني وأولئك الاطفال على تفاهم تام. فنحن نحارب في معركة واحدة."

غاري هانوير ■

أغرب الوصايا

كتبت الوصايا على مناديل الموائد وورق الجدران وقصاصات الجرائد. ولكن أتصدقون ان إحداها خطت على تنورة ممرضة؟

"حسابي المكشوف في المصرف يؤول الى زوجتي من بعدي، فهي تستطيع تفسيره." هكذا تبدأ الوصية، ثم: "أقساط سيارتي لابني، اذ يتوجب عليه أن يعمل لتسديدها. وليحمل ستة من دائنيّ بساط الرحمة في جنازتي. لقد تحملوني كثيراً، فليتموا المهمة التي باشروها."

ان يرحل المرء عن هذا العالم من دون ان يخلف بصمة ليس مقبولا لدى أناس كثيرين. فلنشكر هؤلاء الأشخاص على أكثر الوصايا غرابة أو فكاهة أو سخافة أو انتقاماً.

تأمل ذلك التاجر الفرنسي الثري الذي خلف وصية تخول قرينته إقامة سباق سنوي للكلاب. وقد تحققت وصيته فعلا.

ان السعادة التي تهبها وصية ما، أو الخراب الذي تسببه، قد تستمر أعماراً طويلة. واذا ما اعتبرنا هذا السلطان الذي تتضمنه الوصية، بدا من سوء الحظ أن تمسخ الوثيقة المعاصرة معادلات قانونية جافية لضمان شرعيتها.

ذكر وليم بنتون العضو السابق في مجلس الشيوخ الأمريكي وناشر الموسوعة البريطانية (★) في وصيته: "باحتجاج مني، ولكن باصرار من المحامين، كتبت هذه الوصية بأسلوب منمق أرثي له."

لقد أدرك بنتون انِ الأسلوب غير

(★) Encyclopaedia Britannica

الرسمي لكتابة الوصية في عالم مليء بالخصومات والدعاوى هو محفوف بالمخاطر. ووفقاً لملاحظة روبرت منشن في كتاب "حيث هناك وصية،" فإن الوصية التي تبدو مباشرة، اذا كانت موجزة، مثل "كل ما أملك لأمي،" تم الطعن فيها مرة بحجة أن الراحل كان يدعو كلا من زوجته ووالدته "أمي."

غرابة المحتوى - خُطت الوصايا على مناديل الموائد وقصاصات الجرائد وورق الجدران وأوراق الشدة (الكوتشينة) والرسوم التخطيطية في المستشفيات ودونت احداها على مخزن لعرانيس الذرة. وأبطلت وصية مكتوبة على تنورة ممرضة، ليس لعدم حشمتها ولكن لعدم توافر الشهود."

وتتباين أنظمة الوصايا بين بيئة وأخرى، لكن الوصية التي تبدو أصلية تعتبر قانونية في العادة بصرف النظر عن الشكل أو غرابة المحتوى. فقد وهبت امرأة فرنسية ابنة أخيها ثروتها بشرط ان تبقي سمكتها الذهبية في حوض محكم السد.

وثمة وصية للمحامي الكندي تشارلز ميلر وهي عبارة عن مجموعة حيل فكهة. فهو أوصى بأسهمه في نادي اونتاريو لسباق الخيل لرجلين مناهضين للعب الميسر. وترك لثلاثة رجال متباغضين حصصاً متساوية في بيت واحد. وأوصى بجزء من تركته للأم التي تنجب اكبر عدد من الاطفال في اونتاريو في العقد التالي لوفاته.

وأثـار البند الاخيـر ضجة وغصت المستشفيات بالمواليد. ودان بعضهم الوصية وعملوا على ابطالها. غير ان معظم الميراث البالغ ٥٠٠ ألف دولار قسم بين اربع نساء ووضعت كل منهن تسعة اطفال خلال السنين العشر التي تلت وفاة ميلر.

وليس في امكان اكثر العقول حصافة اعداد وصية من دون بلوغ الخاتمة الواقعية التي كتبت من أجلها. فهي فرصتنا الأخيرة لرعاية الأسرة والقيام بصنيع حسن وعرض مفاهيمنا أو قلب ظهر المجن مرة أخيرة.

الراحل العزيز - لازم القلق احدى العوانس في ايطاليا ابان القرن السابع عشر مما قد يحدث في مأتمها، وكي تحول دون مظاهر الطيش خلاله اوصت بمال وفير للذين يحافظون على الوقار أثناء دفنها.

وتعليمات الدفن تكون في العادة البند الاول في الوصية بسبب اهميتها للراحل العزيز. وأوصى أحد لاعبي الغولف، الذي شعر بأنه أمضى شطراً كبيراً من حياته في حقل رملي، بأن يدفن في ذلك الحقل، لكن ساندرا ويست، وهي أرملة من بيفرلي هيلز بكاليفورنيا توفيت عن ٣٧ عاماً، بزته في هذا المجال. فهي أوصت بمعظم تركتها البالغة ثلاثة ملايين دولار لشقيق زوجها بشرط أن يدفنها بجانب زوجها "داخل سيارتها الفيراري." وبعدما هيل التراب على المرأة في سيارتها الفخمة في احدى مقابر تكساس في أيار (مايو) ١٩٧٧، صبّ الاسمنت عليهما لابعاد لصوص السيارات. وكان تعليق أحد

الفضوليين: "آمل أن تكون رخصة القيادة في حوزتها، لأن دربها طويل."

وفي ما يتعلق بالعاشقين المتشاجنين في حياتهم، فإن معاركهم تستمر بعد الموت. ففي العام ١٦١٠ خلّف فرنسي إرثاً ضخماً لامرأة كانت رفضته بازدراء قبل عشرين سنة، وكان هذا أسلوبه في شكرها على حياة عزوبية سعيدة. أما الأمريكي باترموت باتريك هنري فأوصى بثروته لزوجته ما دامت لم تتزوج ثانية وهو قال: "يتعسني أن أشعر باني جاهدت طوال حياتي كي أعيل زوجة رجل آخر." وقد تزوجت المرأة لاحقاً!

قطة بريئة – المال هو طبعاً قوام وصايا كثيرة. وقد ابتكرت قيود استثنائية غريبة للتصرف به. فخلّف بعض الآباء ميراثاً لأبنائهم الذكور شريطة أن يبقوا حليقي الذقون، وكانت وصية أب استرداد الميراث اذا اصرت ابنته على لبس الثياب غير المحتشمة. وهناك رجل كانت زوجته تمقت تدخينه السيجار، فأوصى لها بمليون دولار شريطة أن تدخن خمس سجائر كل يوم.

وثمة ثغرات في الوصايا، اذ أوصى أحد اثرياء نيويورك المتوفى عام ١٨٨٠ لابناء أخيه وبناته بكل ممتلكاته، ما عدا ٧١ سروالا. وورد في وصيته ما يأتي: "إني أكلف منفذي وصيتي عقد مزاد علني تباع فيه هذه السراويل ويوزع ريعها على الفقراء. ولا يحق لأي شار أكثر من سروال واحد." وأقيم المزاد وعثر كل من الشارين الواحد والسبعين على ألف دولار في أحد الجيوب.

وخلّف برايان مولانفي محافظ مدينة سانت لويس بميسوري في أربعينات القرن التاسع عشر ثلث تركته الضخمة لمساعدة المسافرين إلى الغرب. وعلى رغم أن العربات الذاهبة غرباً آلت إلى الزوال، فما زال "مكتب مولانفي لمساعدة المسافرين" قائماً في محطة "غرايهاوند" للحافلات في سانت لويس، وهو كان النموذج الذي احتذته جمعيات مساعدة المسافرين في أرجاء العالم.

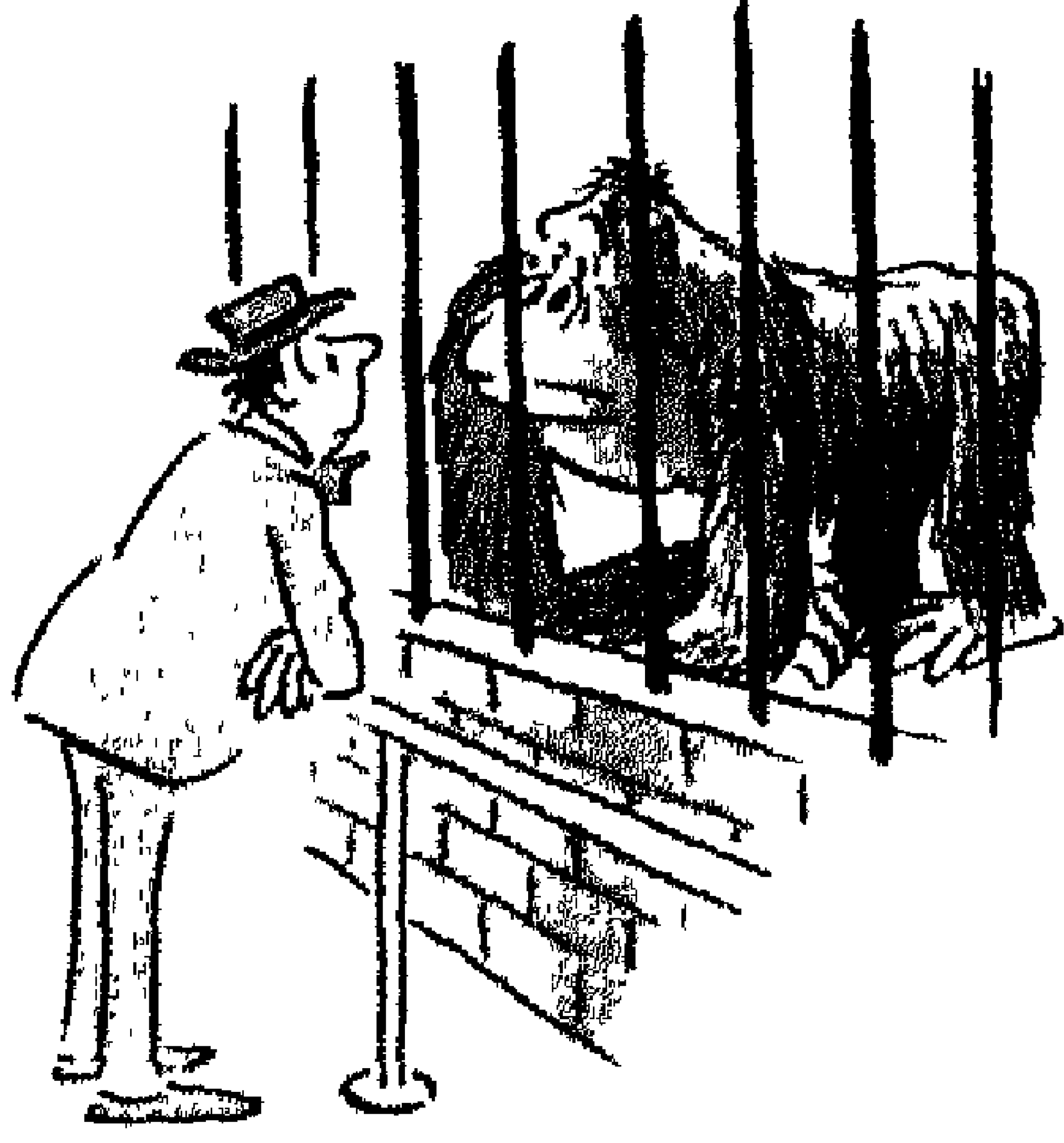
وثمة وصايا للحيوانات تؤدي إلى اشكالات تتطلب حذاقة المنفذين. فقد اوصت أرملة من كارولينا الشمالية بـ٢٥٠ ألف دولار لطائري كنار وقطة. واذ وجد أحد الطائرين نافقاً، طلب وكيل التركة تشريح جيفته لتحديد ما إذا كانت القطة حاولت أن تزيد حصتها من الغنيمة. وقد أعلنت براءة القطة على الأثر.

ويا لها من نظرة مختلفة الى العالم تلك التي في وصية جون (جاك) كيلي الذي أصبحت ابنته غريس أميرة موناكو. ففي وصيته تحدث بحماسة وبعاطفة عميقة عن السعادة التي منحته اياها عائلته: "جلّ ما يمكنني ان أمنحكم اياه في هذه الوصية هو البضاعة الدنيوية. ولكن لو كان لدي الخيار لمنحتكم حسن الخلق، لأنه بالخلق تحوزون بضاعة الدنيا، فهو الولاء والأمانة والروح الرياضية والطبع المرح."

وكتب كيلي أنه واجه رحيله "غير خائف، وان اردتم المزيد، فاعلموا اني كنت أشعر ببعض فضول." وبعد شهرين تم اشباع فضوله.

توماس بريديل ■

تأملات معاصرة



هدايا لا تشترى

أن تبرّ بوعد.
أن تحفظ سراً.
أن تشارك أحدهم في حلم.
أن تسمح لآخر بالكلمة الفصل.
أن تبتسم لمن يبتسم لك.
أن تضحك لقصة رواها أحدهم للمرة الثانية.
أن تدع أحدهم يدخل صف الانتظار قبلك.
أن تصغي الى طفل.
أن تصغي الى شخص بالغ.

اعلان في متجر

أشواك الآخرين

في احدى ليالي الشتاء القارسة كانت مجموعة من القنافذ متكومة تنشد الدفء كي لا تتجمد برداً. ولكن سرعان ما أخذ كل قنفذ يشعر بوخز أشواك رفقائه، فتباعدت القنافذ. وحين اشتدت حاجتها الى الدفء عادت تتكوم ثانية، غير أن أشواكها أرغمتها مرة أخرى على التباعد. وظلت على هذا حتى اهتدت الى المسافة المناسبة بين الواحد والآخر التي تؤمن لها الحد الاقصى من الدفء مع الحد الادنى من الالم.

في حياة الانعزال يثير الفراغ والرتابة في الانسان حاجة الى المجتمع. وهذه تقرب بين الناس، لكن صفاتهم العدوانية وأخطاءهم التي لا تطاق تفرق بينهم. والمسافة الفضلى التي يهتدون اليها في النهاية والتي تسمح لهم بالتعايش تتجسم في التهذيب وآداب السلوك. وهذه المسافة بيننا ترضي جزئياً حاجتنا الىّ الدفء وهي في الوقت عينه توفر علينا وخزات أشواك الآخرين.

الفيلسوف آرثر شوبنهاور

رسالة طفل

كل طفل يولد على هذه الارض يحمل رسالة الى البشرية. ويده الصغيرة تقبض على ذرة من الحقيقة لم تنكشف بعد، على مفتاح سر قد يحل لغزاً للانسان.
أن لديه وقتاً قصيراً لتأدية رسالته. ولن تتاح له، ولا لنا، فرصة أخرى. وهو قد يكون أملنا الوحيد، لذا يجب أن نعامله باجلال.

سام ليفنسون، كاتب فكاهي أمريكي

الأعماق

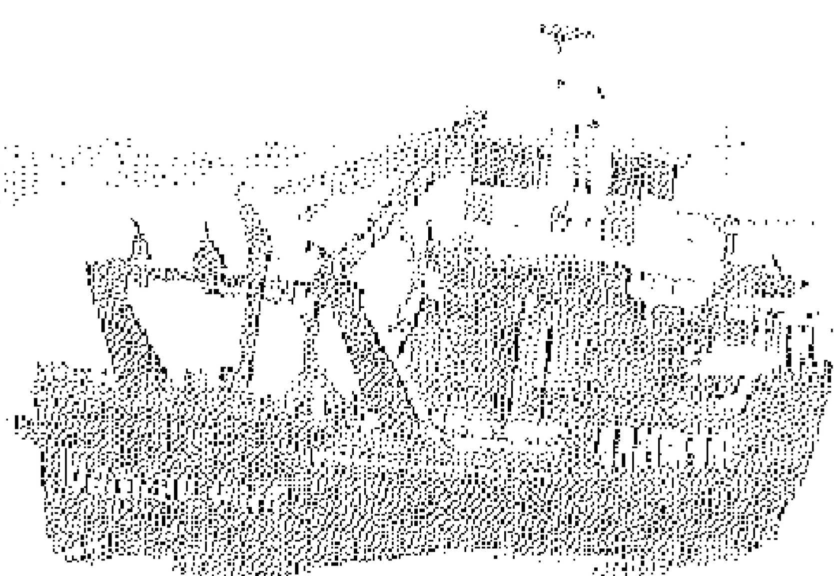
في تلك الأعماق المظلمة يشعر الغواص
أنه صغير وبعيد وعاجز مثل رائد في الفضاء الخارجي

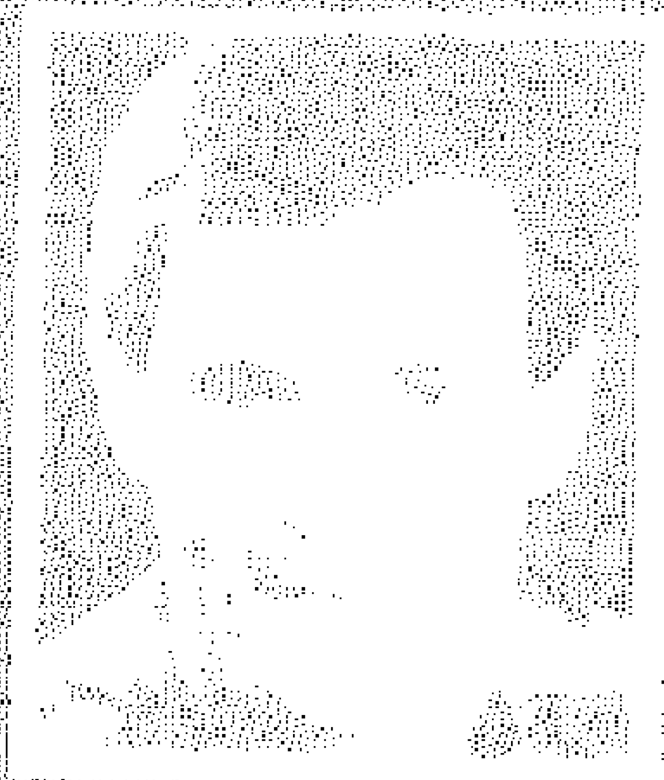
تحلق مروحيّتنا من طراز "سوبر بوما" على علو ٨٠٠ متر فوق بحر الشمال في اتجاه غرب – شمال غرب. وعلى متنها ١٨ راكباً يقصدون سفينة الغوص الألمانية "سيبكس – ١" الراسية على بعد ١٦٠ كيلومتراً من الساحل النروجي في مركز عملها فوق حقل النفط ستاتفجورد. وانني متوجه الى هناك لأكتب تقريراً عن غواصي الأعماق في أحد أكثر البحار هياجاً على وجه الأرض. فالعواصف غير المتوقعة المقبلة من الشمال قد تحرك الأمواج هناك ليصل علو الواحدة منها الى ٣٥ متراً.

إنّ بذلة النجاة التي ألبسها مصنوعة من مادة النيوبرين(١) وهي تحفظ حرارة الجسم. وفي الحالات الطارئة يفترض أن تبقيني البذلة الحمراء حياً لمدة ٢٤ ساعة في مياه بحر الشمال الجليدية. وهنا على خط عرض مدينة بيرغن النروجية تبلغ حرارة المياه بضع درجات مئوية فوق الصفر. وجسم الانسان غير المحمي يستطيع تحمل تلك الحرارة قرابة ٣٠ دقيقة يواجه بعدها الموت بسبب هبوط حرارة الجسم (hypothermia).

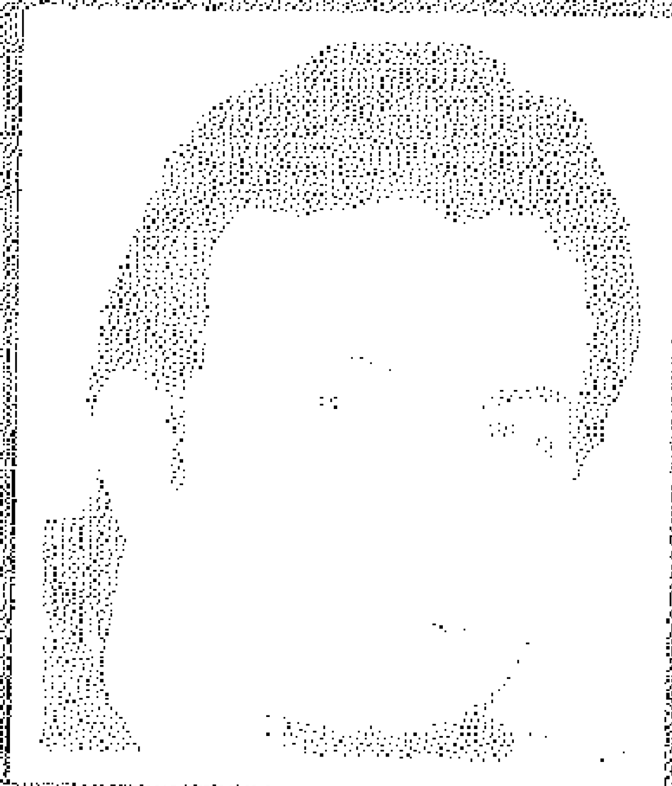
---

(١) مطاط اصطناعي

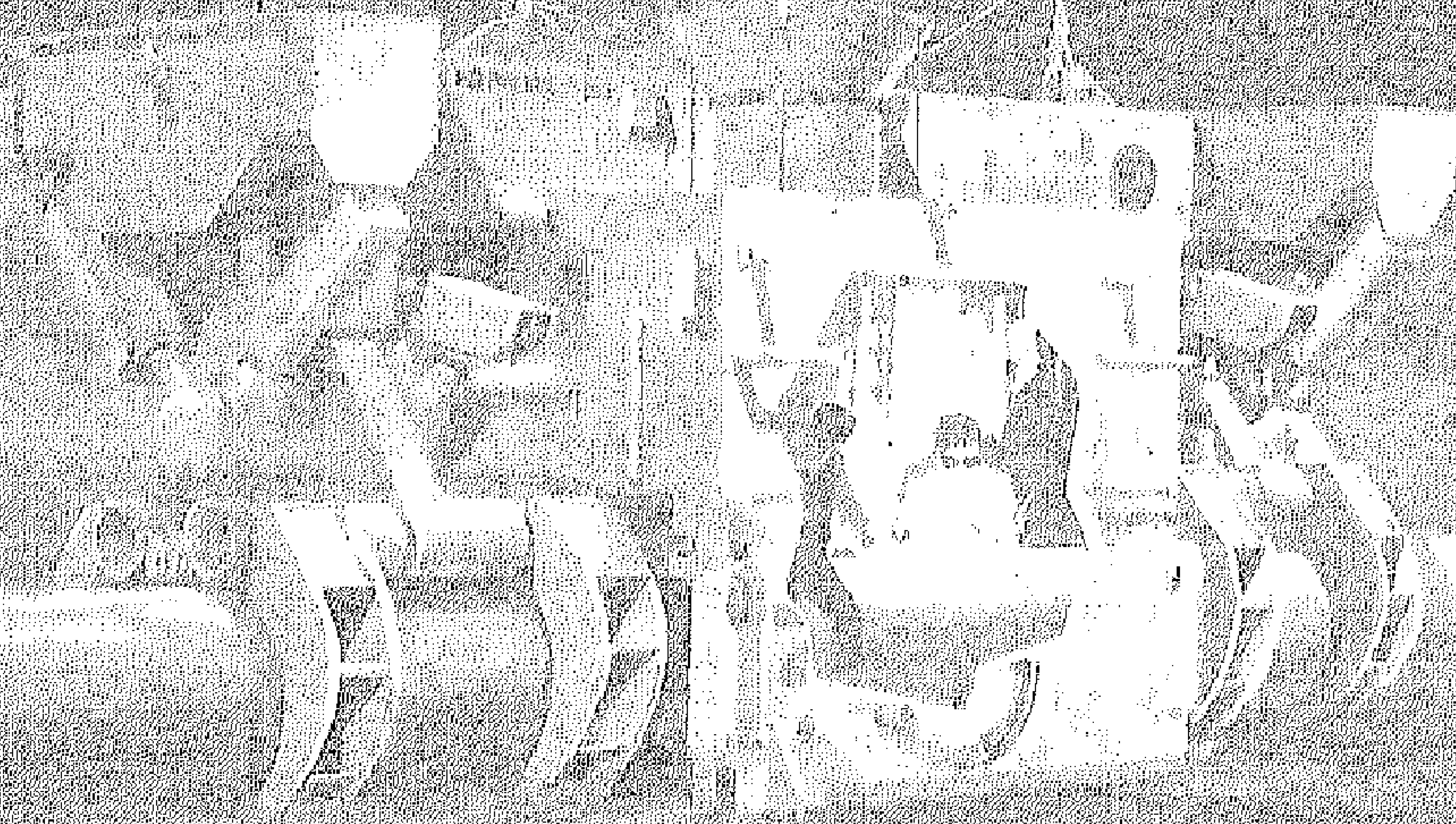




كلفن كمن



اريك اريت



رقم قياسي – بعد إقلاعنا من بيرغن بثمانين دقيقة نلاحظ فجأة ذيلين كثيفين من الدخان حملتهما الرياح الى الأفق البعيد. وبعيد ذلك تظهر نقطة بالغة الصغر. واذ نقترب منها بسرعة تتحول النقطة غير الجليّة بناء ضخماً يدعى "ستاتفجورد – ج" وهو ثاني أكبر برج حفر نفطي بني الى الآن. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٥ بدأ البرج الضخ في أغنى حقل نفطي في بحر الشمال بمعدل عشرة ملايين طن سنوياً، أي عشر الاستهلاك السنوي لجمهورية المانيا الاتحادية (الغربية). وأنزل نحو ٣٠ أنبوباً الى قعر البحر على عمق ٣٥٠٠ متر. وقد لا ينضب الحقل قبل أواسط القرن الحادي والعشرين.

وفي الجانب المحجوب عن الريح للهيكل الضخم المبني بالفولاذ والاسمنت تجول سفينة حمراء بهدوء. وفي المكان المخصّص لهبوط المروحية على متن السفينة تظهر الحروف المضيئة «DJTK» بوضوح، وهي الرمز اللاسلكي للسفينة "سيبكس – ١".

وما زلت أذكر المعلومات التي زودني اياها المسؤولون في حوض بناء السفن، حول السفينة التي تبلغ قيمتها ٧٠ مليون مارك (نحو ٣٠ مليون دولار).

"سيبكس – ١" سفينة مجهزة بدماغ الكتروني متطور يمكن أن يرسيها في أي وضع تقريباً مهما تكن حال الطقس ومن دون الاستعانة بالمرساة. اما أجهزة الغوص فيها فمهيأة لارسال الغواصين الى عمق ٤٥٠ متراً. ومرة سجّلت "سيبكس – ١" رقماً قياسياً للّحام في أعماق البحار. فقد استطاع فريق من الغواصين وصل أنابيب ببرج الحفر "ماغنوس" على عمق ١٨٢ متراً. ويقع البرج شمال شرق جزر شتلاند بعد خط العرض ٦١.

حراسة مشددة – حطت المروحية على ظهر السفينة واستقبلني القبطان بيتر هاس في مقصورته وبادرني: "نحن نعمل هنا على عمق ١٤٧ متراً فقط، فنصل البرج بخط الأنابيب الممدود في قاع المحيط. ويمكنك القول إننا الحلقة الاخيرة في سلسلة انجازات هندسية ضخمة. ولدى انتهائنا من العمل، يمكن بدء العمل في "ستاتفجورد – ج".

وسألته: "لماذا حصلت سفينة ألمانية على هذا العقد؟"

فأجاب وعلامات الرضا بادية على وجهه: "إن شركة النفط التي تستثمر هذا الحقل لم تشأ أن تتعاقد مع سوانا. فلدى "سيبكس – ١" من الشهرة ما يجعل الزبائن يدفعون أجرتها التي تبلغ ١٠٠ ألف مارك (نحو ٤٥ ألف دولار) يومياً.

إن خمس هذه الكلفة اليومية يذهب الى ١٦ شاباً. ففي عالم النفط يطلق على أولئك الشباب اسم "الغواصون المشبعون"(٢) لأن أجسادهم تتشبع بمزيج من غازي الهيليوم والأوكسجين أثناء عملهم تحت الماء. وخلال مناوبتهم الطويلة التي تستغرق ٢٤ يوماً يعيش أولئك الرجال في جوف السفينة في أربع اسطوانات فولاذية يبلغ قطر الواحدة

---

(٢) «Sat — divers»

منها مترين ونصف متر، خلف حجرة محكمة السد (air lock) تحافظ على الضغط الطبيعي للهواء. انهم في حراسة أشد من تلك التي يعيش في ظلها كبار رجال الدولة. فكاميرات الفيديو تراقبهم على مدار الساعة، كما تراقب تنفسهم باستمرار آلات حساسة جداً. وهناك طاه حاضر ليل نهار لطهو طعامهم.

ومع ذلك فلا أريد الحلول مكان أي منهم، ولا يغريني الأجر اليومي البالغ ١٣٠٠ مارك. فأولئك الرجال لا يتركون أماكنهم الا للانتقال الى محيط أكثر ازعاجاً، وذلك في جرس الغوص(٣)، فيهبطون الى قعر بحر الشمال على عمق ١٤٧ متراً تحت سطح الماء.

نشوة الاعماق – في حين يستطيع رواد الفضاء تدبر شؤونهم على سطح القمر، لا يفتأ الغواصون يكتشفون تضاريس مجهولة وظواهر غريبة في المحيط. وهذا أمر يبعث على الدهشة متى أخذنا في الاعتبار أن الاشوريين عملوا تحت الماء قبل ما يزيد على ٢٥٠٠ سنة. وكانت لدى الاشوريين أساليبهم البسيطة نسبياً، اذ كانوا يحبسون أنفاسهم ويستعملون حجاراً بمثابة أثقال. وقد قيل أن الاسكندر الكبير نزل الى أعماق المحيط في جرس للغوص. وكان اهتمامه منصباً على مراقبة السمك.

أمّا اليوم ففي استطاعة الغواصين العمل على عمق ٣٥٠ متراً مستعينين بأجهزة تقنية أكثر تطوراً. ولهذه الغاية يوضع الغواصون على سطح الماء في غرف معدّة للغوص. وتضغط الغرف بهواء يوازي الضغط الذي سيتعرضون له تحت الماء. فغواصو "سيبكس – ١" يوضعون تحت ضغط يساوي ١٦ باراً، أي ثمانية أضعاف ضغط الهواء في الاطارات الأمامية للسيارات. وهم يتنفسون مزيجاً من نحو ٩٨ في المئة من غاز الهيليوم و٢ في المئة من الأوكسجين(٤).

وزيادة نسبة غاز الهيليوم في الهواء ضرورية لأنه على عمق ٥٠ متراً أو أكثر يصبح للنيتروجين أثر مخدّر بحيث يتعذر على الجهاز العصبي العمل على نحو صحيح. أمّا انخفاض الأكسجين فيمنع ما يسمى "نشوة الأعماق" وهي فائض سام في الجسم يؤدي الى الغيبوبة فالموت. وعلى عمق يتعدى ٣٠٠ متر قد يسبب مزيج الهيليوم والأوكسجين ظاهرة "الأعراض العصبية الناجمة عن الضغط المرتفع"(٥). وتتمثّل الأعراض في الصداع الحاد وارتجاف الأطراف.

الحبل السري – في اليوم الذي أعقب وصولي الى السفينة وجدتني أجالس في حجرة الطعام اثنين من الغواصين المشبعين هما كيفن كين واريك ارنت ورحنا نتناول طعاماً ساخناً لذيذاً. وكان الرجلان في الليلة السابقة خرجا من انبوبهما الفولاذي بعد انقضاء فترة لازالة الضغط دامت خمسة أيام تم خلالها خفض الضغط تدريجاً. وكان إريك أرنت الالماني

---

(٣) جرس الغوص أو غرفة الغوص (diving bell) وعاء كبير مليء بالهواء يساعد الغواصين على البقاء فترة تحت الماء.

(٤) الهواء العادي يحوي نحو ٢١ في المئة أوكسجيناً.

(٥) High pressure nerve syndrome

الوحيد الذي يعمل غواصاً مشبعاً على متن السفينة. وهو تناول فنجاناً من القهوة في بادئ الأمر، في حين اتصل كيفن كين بزوجته هاتفياً. وكين في الحادية والثلاثين من العمر، وهو من كورنوول جنوب غرب بريطانيا ويكسب رزقه بالعمل تحت الماء منذ ١١ سنة.

قال كين: "أعلم انه لاسباب صحيّة يستطيع المرء ممارسة هذا النوع من العمل لفترة محدّدة لا تتعدى الستة الاشهر في السنة. فشركات النفط تطلب أعداداً كبيرة، فنحن نلحم الانابيب وننقلها ونقطعها ونصورها بأشعة إكس. كل ذلك يتم تحت الماء."

وتساءلت ماذا يشعر كين عندما يعمل في الليل الذي لا ينتهي في قعر المحيط وهو شبه مدفون في الوحول ولا يستطيع حتى رؤية يديه. ويقدر الخبراء أن من بين قرابة ٣٠٠٠ غطاس مشبع يعملون في بحر الشمال منذ بداية ازدهار انتاج النفط في السبعينات، قضى ٥٧ على الأقل في قاع البحر.

أود أن أعلم ما هو شعور كين وبماذا يفكّر عندما تكون حياته مربوطة بذلك "الحبل السرّي" الذي لا يتعدى قطره قطر ذراع انسان والذي بواسطته يتصل الغواص بالسفينة ويتزود المزيج المعدّ للتنفس والمياه الساخنة والكهرباء. واذا ما انقطع ذلك الحبل واجه كين الموت.

أبطال الاعماق - التعليق الوحيد الذي يبديه كين على كل ذلك بسيط: "عندما تعمل سبعة أيام في الاسبوع و٢٤ ساعة في اليوم، لا تفكر في الأخطار والبطولات والمغامرات. فبعد قضاء ثماني ساعات في الماء تعود الى حجرة الضغط وأنت تشعر بارهاق شديد. فما تهتم له حينذاك هو الاكل والنوم."

بالطبع، كين يعلم أنه ينتمي الى النخبة، لكنه لا يتطلع الى نفسه كبطل من أبطال أعماق البحار. فهو يقول: "الأبطال لا يعملون مثلنا بكدّ واجتهاد بالغين."

أما زميله إريك أرنت (٣٦ عاماً) فهو من منطقة في جوار هامبورغ، لكنه أكثر تحفّظاً من كين. لقد كان بحّاراً في ما مضى، ويقول: "أنا لست مغامراً." وهو يعتبر رجلا متزناً على متن "سيبكس - ١" ويرفض المشاركة في أي تجارب مثل الغوص الى عمق ٣٠٠ متر أو أكثر، على رغم أن أرباب العمل يقدمون أحياناً رواتب شهرية تصل الى ٧٠ ألف مارك (نحو ٣٠ ألف دولار) بغية القيام بمثل ذاك العمل. ويلاحظ أرنت: "على عمق ٣٠٠ متر لا تعلم ما قد يحدث. إنه غوص تجريبي، وهناك زملاء لي غابوا عن الوعي في الجحر، تحت ضغط كهذا."

وفي حديثنا حول هذه المهنة نشير الى الاعتماد الكلي للغواص على السفينة الأم وعلى رفقائه الموجودين على متنها. ويقول ارنت: "صحيح أن كل واحد من زملائي يطيع أوامري عندما أكون في الأعماق، فالسفينة كلها رهن اشارة الغواص وطوع بنانه. ومع ذلك تشعر بأنك صغير الى أبعد الحدود، إذ لا ترى شيئاً سوى الظلام. فأنت بعيد وعاجز مثل الرواد في الفضاء الخارجي. ولكَمْ تتحقق من ذلك عندما ينقطع الاتصال بالسفينة."

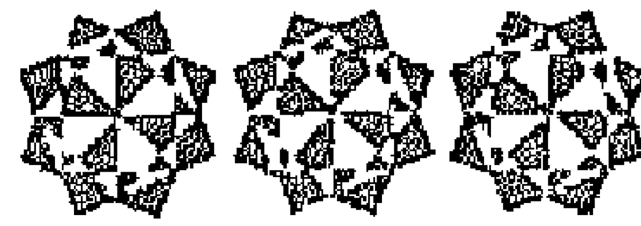
ضوء في القاع - بعد ليلتين ركب ارنت وكين المروحية عائدين الى منزليهما، ووقفت أنا على منصّة "سيبكس - ١". كانت ريح قوية تعصف بالسفينة، وهددت الامواج بتعطيل المروحيّة. وكان الوقت بعيد منتصف الليل والدماغ الالكتروني يثبت السفينة التي يزيد طولها على ١٠٠ متر فوق بقعة عملها بمساعدة محرك تبلغ قوته ٩٠٠٠ حصان ومراوح ست. وكانت غوّاصة مصغرة يتم تشغيلها عن بعد(٦) تراقب بواسطة آلة تصوير خط الانابيب الذي يبلغ قطره حوالى ٨٠ سنتيمتراً. وفجأة انطلق صوت من مذياع: "من مركز مراقبة الغوص الى منصة القيادة، أدِر السفينة عشرة أمتار الى اليمين."

(٦) Remote-controlled

"حاضرا!" اجاب بيتر زينكي أحد الضباط المسؤولين عن "النظام الديناميكي لتركيز السفينة." وألقم الدماغ الالكتروني المعطيات الجديدة. وخلال دقيقتين أخذت "سيبكس - ١" مركزها الجديد مما أشعر زينكي بالاعتزاز وترك لدي انطباعاً قوياً.

وبعد ثلاثين دقيقة ظهر شيء على شاشة المرقاب التلفزيوني الى يميني. ثمة ضوء كشّاف يمزق الظلمة في قعر المحيط. وسلّط الضوء على خط الأنابيب، فرأيت مخلوقاً غريب الشكل يعتمر خوذة ضخمة ويتحرك على نحو أخرق في اتجاه الانبوب. إنه غواص لا يبعد عن السفينة اكثر من ١٥٠ متراً، لكنه بعيد المنال بُعد القمر عني!

مايكل كنيسلر ■



ساعة الذئاب

ساندرو بيرتيني الرئيس السابق لجمهورية ايطاليا: "هناك ساعة في الليل - دعاها المخرج الاسوجي انغمار برغمان ساعة الذئاب - يتعذر على المرء فيها التهرب من الحقيقة. انها الساعة الرابعة فجراً، عندما يستيقظ المرء ويجد نفسه وحيداً مع ذاته وما فيها من شر وخير، ومع ما اداه وما عليه ان يؤديه. في ذلك الوقت لا يسع المرء أن يهرب من حكم ضميره. انني اشعر بهذه اللحظة، فأستيقظ وأقول لنفسي: يا لها من غلطة ارتكبتها امس ويجب أن اسعى الى تفاديها."

ل.أ.

خذوا الحكمة من أفواه الصغار

كان ابننا الصغير غاية في الشقاوة طوال النهار، وانتهى بنا الامر الى حجزه في غرفته. وعندما ذهبت لاحقاً لأتفقده وجدته راكعاً بجانب سريره يصلي: "يا الهي، أرجو أن تجعل مني ولداً صالحاً فأبي وأمي لا يقويان على ذلك."

ك.غ.

العلم يبدّد ٥ أوهام جنسيّة

خمسة أسرار جنسية يكشفها الرجال تعزز الزواج المبني على الحب

"أنا وزوجتي شريكان وحبيبان وأفضل صديقين. نحن سعيدان جداً ونفترض أن واحدنا يفهم الآخر جنسياً، ولكن..." هنا يتوقف جون عن الكلام برهة ثم يتابع: "لكوني رجلا، تظن بيت انني دائماً مستعد لممارسة الجنس. فكلما عانقتها او قبّلتها ظنت أنني أبغي الجماع. وفي معظم الأحيان أكون في صدد اظهار عاطفة تجاهها، وقد أكون في انتظار قيامها بالمثل. ولكن عندما لا تكون راغبة في الجماع فانها تبتعد عني وتبدي نوعاً من الفتور. وهكذا أمضي أياماً من دون أن اقاربها، فتحتج قائلة أنني لست عاطفياً بما فيه الكفاية!"

هناك زوجات يرسمن افتراضات خاطئة حول حاجات أزواجهن ورغباتهم. لماذا؟ لأن بعض الرجال لا يرغبون في الكلام في أمور كهذه لخشيتهم أن يظهروا أقل رجولة أو أقل جاذبية أو أقل فاعلية جنسية من سواهم. لكن تلك الرغبات، إن لم يُعمد الى الصراحة التامة في شأنها، قد تفرّق بين الزوجين اللذين يحب واحدهما الآخر.

وفي ما يأتي خمسة أسرار يتردّد الرجال في مشاطرة زوجاتهم اياها:

١. ليس للرجال اندفاع جنسي أقوى من اندفاع النساء. فثمة نساء كثيرات يظنن أن الرجال "لا يحصلون أبداً على كفايتهم،" وهي فكرة مبنيّة ربما على خبرتهن كمراهقات عندما كان يبدو لهن أن الفتيان الذين عرفنهم كانوا مشغولي البال بالجنس. وفي هذا الصدد يقول الدكتور تشارلز كليغ، وهو طبيب نفساني في مدينة سنشري بكاليفورنيا، انه "خلال مرحلة المراهقة يطلب الذكور

الجنس ويفتكرون فيه أكثر مما تطلبه الاناث عادة. فثمة شبان كثيرون يتوقعون أن يشبعوا حاجاتهم العاطفية من خلال الجنس." ولكن عندما يصل الذكور الى سن الرشد فانهم يبدأون التمييز بين الحاجات الجنسية والحاجات العاطفية. وأكثر من ذلك فان العمر ومسؤوليات العمل والعائلة تنزع كلها الى "الاصطدام" بالرغبة الجنسية.

أمّا الدكتور تشارلز فلاورز الابن، وهو استاذ في طب التوليد وامراض النساء في جامعة ألاباما ببرمنغهام، فيشير الى أن "الرجال ليس لديهم دافع جنسي أكبر من الدافع لدى النساء. فلدى بعضهم درجة عالية من الرغبة في حين أن لدى البعض الآخر رغبة ضئيلة جداً. والأمر نفسه صحيح بالنسبة الى النساء. فالافراد يختلف بعضهم عن البعض الآخر."

ووجد باري ليفين، وهو طبيب نفساني في لوس انجلس، أنه بين الرجال والنساء المتزوجين الذين لديهم مستويات متعارضة من الرغبة الجنسية، يتصف الرجال في الغالب برغبة جنسية أدنى، كما يؤدي العمر دوراً. ويقول ليفين في هذا الصدد ان "الرجال يشعرون بفوران في طاقتهم الجنسية في أواخر مرحلة المراهقة، بينما يصل اهتمام النساء بالجنس الى ذروته في أواخر الثلاثينات أو اوائل الاربعينات من أعمارهن."

فماذا في وسع الزوجين أن يفعلا اذا كانت لديهما رغبة جنسية متباينة؟

إن التفاهم الودي البعيد عن النقد أمر حيوي. كذلك اظهار واحدهما الكثير من العاطفة الجسدية تجاه الآخر، سواء أأدّى ذلك الى علاقة جنسية ام لم يؤدِّ. ومن المهم أيضاً الاسترخاء بعد يوم من العمل المضني. ويلاحظ بيرني زيلبرغيلد، وهو طبيب نفساني في أوكلاند بكاليفورنيا، أنّ "رجالا ونساء كثيرين يصابون بالارهاق والتوتر نتيجة متطلبات العمل ورعاية الاطفال، فيحتاجون الى الراحة قبل أن يفكروا في الجنس. فأحد مرضاي، وهو شاب في صحة جيدة، كانت لديه رغبة جنسية متدنية. لكن علاقته الجنسية بزوجته تحسنت على نحو مثير عندما جرّبا التحدث في السرير لمدة ساعة قبل ممارسة الجنس. فكلما زادت فترة تحادثهما زاد شعوره برغبة في الجنس."

٣. الرجال لا يريدون "شيئاً واحداً فقط." إن الاعتقاد الخاطىء والقائم على أن فكرة واحدة تدور في مخيلة الرجال وتتمثل في بُعد واحد ألا وهو العاطفة الجسدية قد يعود هو أيضاً الى سنوات المراهقة. لكن الرجل الناضج لا يعمد عادة الى محاولة اثبات رجولته من خلال أدائه الجنسي، بل هو يرغب في علاقة ذات مستويات عدة.

ويرى زيلبرغيلد ان "كل ما يريده الرجل من زوجته في بعض الأحيان هو ضمّة أو قبلة أو محادثة. فالعاطفة الجسدية التي لا تؤدي الى الجماع هي جزء مهم في العلاقة الحميمة." ويوافق ليفين على ذلك مضيفاً: "إن الرجل يحتاج الى الشعور بأنه ذو شأن في عيني شريكته. فالجماع في ذاته ليس كافياً بالنسبة الى معظم الرجال."

أمّا إذا لم يكن للتقارب الجسدي البعيد عن الجنس دور رئيسي في حياة الزوجين، فينبغي للزوجة أن تفاتح زوجها بذلك. وفي امكان الزوج أن يكشف سرّاً يتمثّل في رغبته الشديدة في إقامة احتكاك جسدي مبني على الحنان والمحبة من دون أن يؤدي ذلك بالضرورة الى ممارسة الجنس.

٣. الحب عامل مهم في المتعة الجنسية للرجل. ليس كل الرجال يوافقون على ذلك. بيد أن كثيرين منهم يقرون بأن للحب ميزة خاصة. ويقول طوم (٣٥ عاماً) المتزوج منذ ست سنوات: "أشعر بالأمان مع زوجتي وبأنني مقبول ومحبوب. فمشاركتك شخصاً يعرفك عن حق ويحبك لهي تجربة مختلفة كلياً."

ويوضح ليفين أن "الرجال شبيهون بالنساء في انه كلما ازداد اندماجهم العاطفي ازداد اشباع رغبتهم الجسدية."

٤. الرجال في حاجة الى المداعبة أيضاً. يقول المهندس كيفن (٣٩ عاماً) المتزوج منذ ثلاث سنوات: "أتمنى لو تعلم زوجتي أنني لا أستطيع دائماً الامتثال لأوامرها، وهذا لا يعود الى عدم رغبتي في ذلك أو لأنها غير جذابة."

إن اسطورة الاستعداد الدائم للذكر والتي غالباً ما تسبّب سوء تفاهم خطيراً بين الرجال والنساء مردّها الى ما كتب في الجنس. ويصرح زيلبرغيلد أنه "اذا حدث خلاف ذلك في الواقع، قلقت النساء على جاذبيتهن وقلق الرجال على رجولتهم."

والواقع أن الرجال يتوقون الى المداعبات التي تسبق الجماع بمقدار ما تتوق النساء اليها، على رغم أنهم قد يمانعون في الاعتراف بذلك. ويعترف روجر (٣٢ عاماً) المتزوج منذ ثماني سنوات بانه يشعر أحياناً بانه مخدوع "إذ تفترض زوجتي أنني لست في حاجة الى أي ملاطفة. غير أني أريد أن أشعر بانني مدلل ومحبوب وأن تلمسني زوجتي وتقبلني. ولكن يصعب علي سؤالها ذلك."

٥. الرجال لا يرغبون دائماً في أن يكونوا البادئين في الاثارة الجنسية. ويتمنى الدكتور فلاورز "لو تفهم كل امرأة أن معظم الرجال يُثارون من جرّاء اظهار المرأة الحب والحنان في السرير. فذاك يشعر الرجل بالدلال وبأنه مَتوق إليه جنسياً، الأمر الذي يزيد من رغبته في المرأة."

واظهرت دراسة حديثة أجراها دونالد موشر استاذ علم النفس في جامعة كونتيكت في ستورز وزميله مارك سيركين، أن الرجال يتفاعلون ايجابياً مع اصرار النساء على الجنس. فقد تخيّل ١٣٨ من الطلاب الجامعيين الذين شملتهم الدراسة أنهم يعيشون أربع مجامعات جنسية. وفي اثنتين منها كان الاصرار على الجنس إمّا من الرجل واما من المرأة، في حين كان الاصرار متبادلا في الاثنتين الاخريين. ووجد الباحثان أنّ التصوّر القديم القائل بأن رجولة الرجل تقوده الى أن يكون هو البادىء في الجنس، حظي بأدنى مقدار من القبول لدى الطلاب، اذ فضّلوا تبادل الأدوار.

وهناك نساء كثيرات يتردّدن في أخذ المبادرة الجنسية لأنهن يخشين الضغط على أزواجهن أو الشعور بالقلق إزاء صدّهن. فعندما تجازف المرأة بالمبادرة الجنسية، فانها تواجه احتمال الصدّ ذاته الذي ما فتىء يواجه الرجال. ويرى زيلبرغيلد ان "نساء كثيرات يتوقعن أن يكن مقبولات عندما يبادرن هن. لكنّ الرجل، شأنه شأن المرأة، يحتاج أحياناً الى أن يقول لا."

إن التفاهم هو المفتاح الى فهم الاسرار الجنسية للرجل. فاذا أفصح الزوجان، واحدهما للآخر، عن أقصى ما يرغبان فيه من ممارسة الجنس، فهذه هي الخطوة الاهم لتبديد الخرافات القديمة والتقارب واختبار لذّات جديدة.

كلنا يحتاج الى سماع كلمات الشكر والدعم والحب، سواء أكان ذلك في السرير أم خارجه. والى ذلك، فإن فهم أوجه الشبه الكثيرة بين الرجل والمرأة يمكن أن يزيد سعادتنا في حياتنا المشتركة.

كاثلين ماكوي ■



غوى الحلزون

اثنتان من اناث الحلزون كانتا تزحفان معاً، فقالت احداهما للاخرى: "هناك شاب يتبعنا، فهل بيتي مرتب فوق ظهري؟"

و.ت.

زوج نعسان

قالت المرأة لزوجها الناعس وهو يتناول الافطار: "طبعاً، لقد وجدت فطيرتك قاسية ويابسة لانك اكلت مقبض الابريق!"

ك.ف.

مفاجأة!

أعددت وأمي لاحتفال مفاجىء بعيد زواج شقيقتي. وأزف اليوم المنتظر وأرسلنا الزوجين الشابين لحضور مسرحية بعد الظهر. وبدأ الثلج يهطل فيما المدعوون يفدون الى البيت.

وفي ساعة متقدمة عصراً عاد الزوجان الى منزلهما. وما ان فتحا الباب حتى صحنا بهما كلنا: "مفاجأة!" لكننا أدركنا على الفور انهما لم يفاجأا قطعاً.

فقد وقفت شقيقتي وصهري على عتبة بيتهما مرتبكين وسط ٣٠ زوجاً من الاحذية الواقية من الوحل حاطتهما من كل جانب.

ج.ش.



منظر رأيته وسيبقى محفوراً في ذاكرتي الى الابد: بقعة أرض عراء يغمرها نور القمر...

كانت ليلة باردة عاصفة وأنا في الثانية عشرة أشارف الثالثة عشرة، حين وصل الخال هيوي الى ستيوياك في نوفاسكوشيا (كندا) في زيارة. وكان قبل سنتين نقل أسرته الى مساتشوستس في الولايات المتحدة بعدما أفلس وهو يحاول أن يدير طاحونة صغيرة في مزرعة تبعد بضعة كيلومترات على ضفة النهر.

قال: "كل شيء يجري على ما يرام في سبرينغفيلد، لكنني أشعر ببعض كآبة، ولدي حافز كي ارحل فترة وأجوس في الغابات. وفي ظني اني سأمضي يومين في المزرعة القديمة، ربما لكي أصطاد."

عويل الريح يلف دفء المطبخ، لكنني أشعر بالاثارة تصطخب هناك حيث يناقش الخال أبي حول رحلته.

Condensed from «The Look-Off Bear,» copyright © 1974 by Jack Dowell, was published by McGraw-Hill Ryerson Ltd., Scarborough, Ont., With additions by the author. Illustration: June Lawrason

وفاجأتهما مخاطباً: "أأستطيع الذهاب أنا أيضاً؟"

ونظر أبي الى خالي هيوي وبادله الخال النظرة. وتردد أبي لكنه في النهاية أومأ برأسه موافقاً. وأطلقتها شهقة كبيرة وركضت الى الطبقة العليا لأعد نفسي.

وقبيل ظهر اليوم التالي انطلقت برفقة الخال هيوي الى المزرعة ومعنا فرس أبي وعربته. وبدا الصباح كأنه مرصع بالالماس، رائقاً وقارساً في دنيا عذراء غمرها الثلج الجديد. النسيم يهب لعوباً نافضاً غلالة الثلج عن غصون الصنوبر والتنوب. ورحلة الكيلومترات الثمانية تنقلني في عالمي الخيالي من قلب الحضارة الصاخب الى سكون أحضان الغابات.

فسحة في غابة – الطقس رطب وذو برودة داخل بيت المزرعة القديم، لكن النوافذ لم تمس، ولا أثر للرشح في السقف. واذ أضرمت ناراً مفرقعة في موقد المطبخ المرقش بالصدأ، أحضر الخال هيوي المؤن ورحنا نهيىء مخيمنا.

وفي غضون ساعة كنا مستكنين ننعم بالدفء، وقد وضعت الفرس في الاسطبل وهي مدثرة اتقاء للبرد.

واذ فرغنا من تناول طعام الغداء لم نضع وقتاً، فارتقينا درباً مشجرة وقلبانا يفيضان ترقباً. لكن الحظ لم يحالفنا بعد ظهر ذلك اليوم. فقد اصطاد الخال حجلين سمينين، ولم نر من الطيور سواهما. ومع ذلك لم يحزن أي منا، فقد كفانا ان نكون جزءاً من الغابات الصامتة وننهمك في البحث عن الطرائد بدل صيدها.

وقارب النهار الغسق، وآن أوان العودة الى المخيم. وكنا في سبيلنا عبر دغل كثيف من شجيرات الصنوبر حين توقف الخال فجأة وكبح تقدمي بذراعه الممدودة. واذ أمامنا في وسط الدغل أرض عراء صغيرة كأنها من دنيا الجان، بساط ثلجي يتراكم متراصاً وتتقاطع عليه دروب حفرتها الأرانب وتحوط كل الجوانب ممرات كالانفاق تفضي الى الفسحة تحت اغصان متشابكة تتدلى خفيضاً. وفي احد الاطراف ينتصب جلمود ضخم.

توقف الخال برهة بدت متطاولة وهو يتفحص الفسحة. ثم أشار الي بالانسحاب. وقال بصوت خفيض: "ينبغي ألا ندع أثراً لرائحتنا. سنعود سيراً الى المخيم الآن." ولم يعلل قوله فيما هرعنا عائدين. وفي البيت أوقد النار بسرعة وأمرني بالاخلاد الى النوم.

وسألته: "لمَ؟ فأنا لست نعساً."

وتبسم قائلا: "أظن أننا سنرى الليلة أمراً لم يره سوى قلة من أترابك، أو من الرجال كافة. لكنك في حاجة الى الراحة الآن، فسوف نطيل سهرتنا."

وظننت اني تائق الى معرفة السر بحيث لن يزور النوم أجفاني، لكني أفقت بعد فترة فألفيت الظلمة في الخارج. ووجدت طعام العشاء على المائدة. فالتهمته بسرعة وغسلت الأطباق. وبعد حين شرع الخال في ارتداء ملابسه ليخرج الى العراء غير مجيب عن أسئلتي.

قال: "البس ثيابك وسننطلق."

وفيما أنا أهز كتفي استهجاناً ناولني ملاءتين ملفوفتين وقد ربطتا بحبل

سميك في شكل رزمة تحمل على الظهر. ورفع مصباح كاز عن الارض مدلياً ملاءة الفرس على كتفه. وغلفتنا رائحة الغطاء النفاذة كضباب شفيف.

وهتفت: "ياه، أعلينا أن نأخذ هذا الشيء الكريه معنا؟"

– نعم، فمن دونه قد لا نرى ما نحن في سبيلنا الى رؤيته. فالكائنات البرية لا تخشى الجياد، لكنها تخافنا. ورائحة الفرس ستطغى على رائحتنا. والآن، هيا بنا."

بعد ساعة انطفأ نور المصباح ونحن قابعان على الجلمود عند حافة الفسحة الصغيرة، وقد افترشنا الملاءتين اللتين حملتهما ووضعنا غطاء الفرس فوقنا برائحته وبأشياء اخرى. وجمدنا في صمت تهدهدنا أصوات سرية آتية من ليل الغابات.

وبعد وقت طفا البدر صافياً فوق الغابة مرسلا نوره الفضي الى فسحتنا فحوّلها مدرجاً مرصعاً بالجواهر. وتدلت حبيبات البرد متلألئة في الصقيع مما زاد في الألق.

رقصة أسطورية – لم يخطر في بالي ما ستكون مفاجأة خالي، لكن مجرد الوجود في هذا المكان في ليلة كهذه مغامرة رفيعة المستوى.

واذ تدفأنا بين شطيرتي الملاءات كلت على شفير النعاس، لكني شعرت أن الحدث المنتظر، كائناً ما كان، على وشك الظهور. وبت صاحياً أتم الصحو.

بغتة نكزني الخال. الى يميننا على حافة الدغل دوى صوت ضربة مكتومة تلاها سكون للحظة ثم دحرجة متقطعة وضربات من كل صوب. وقبل انبعاث صوت الضربة الاخيرة اذا بالحياة تدب في الفسحة.

ومن كل أرجاء الدغل تقاطرت أرانب لا حصر لها، كبيرة وصغيرة ومتوسطة، بعضها في فراء شتوي أبيض وأخرى بألوان مختلفة، وكلها جاءت تستحم في نور القمر.

بادىء الامر تَحَرَّكَتْ دائرياً بلا هدف، كالناس في حشد، ولكن سرعان ما بدأت تتوزع أزواجاً أو تتجمع في مجموعات صغيرة. وجاء وقت المرح. لم أصدق عيني. انه مشهد رأيته لكني لم أصدقه: أرانب في كل مكان تتواثب على قوائمها راقصة في ضوء القمر. وتقفز في الهواء في بهلوانيات مرحة وتنعطف في التواءات جامحة. وتدوّم ثم تقفز بعضها على بعض متوثبة الى الاعلى. وتقف على قوائمها الخلفية لتتلاكم وتنقلب في مصارعة خيالية. وتقع محدثة صوتاً ثم ترفس أعقابها في نشوة حماسة. وترقص الفالس والبولكا وتنحني باحترام. وتتلوى وتترنح كراقصي الكونغا في خطوط، منجذبة الى المركز ومتباعدة الى الحافات.

كنا مسلوبي اللب. وبسطت يدي ملامساً الخال هيوي كي أتيقن من ان ما أراه ليس حلماً. ونخسني هو مؤكداً حقيقة ما أرى.

ثم، وبالسرعة التي بدأت بها الحفلة، انتهت وبإشارة سرية توقف القفز والوثب والرقص، وبمثل لمح البصر اختفت الارانب وابتلعها الدغل الذي انطلقت

منه. ولم يبق سوى فسحة صغيرة في غابة، غريبة في ضوء القمر بعدما هجرها الراقصون.

واضطجعنا على صخرتنا بضع لحظات أخرى، ثم انحدرنا عنها ومشينا في الصقيع الساكن الى دفء المطبخ في المزرعة.

وحين وصلنا أذكيت النار فيما غسل الخال وجهه وأعد شراب الشوكولاتة الساخن. وكدت أن أغفو، غير أن اسئلة كثيرة كانت تراودني.

وسألت الخال وكلماتي تتعثر بين رشفات الشوكولاتة: "كيف تلهو الارانب في ضوء القمر؟ من أين جاءت؟ كيف تعرف أين ستجتمع؟ لماذا تقع وتحدث صوتاً؟ هل لاحظت تلك التي تتلاكم مثلنا نحن الاولاد؟"

التقط الخال هيوي القدحين الفارغين ووضعهما في المغسلة وأجاب وهو يضحك في خفوت: "هذه طبائع مركوزة في الكائنات الصغيرة، كما ان من طبيعة الصبية أن يطرحوا أسئلة حتى في جوف الليل. تعال الآن يا جاكي واندس في فراشك اللفيف واخلد الى النوم."

واليوم، بعد ٦٠ عاماً، لا يزال ذلك المشهد الرائع في الفسحة المضاءة بنور القمر منقوشاً في ذاكرتي، على رغم تبدل أمور كثيرة. لقد رحل الخال هيوي قبل زمن بعيد قاصداً تلك الحياة الأفضل التي آمن بها. ولا ريب في أن تلك الفسحة ازدهرت بالعمران وان الانسان وطىء القمر ليرى مصدر اشعاعه عن قرب.

ومع ذلك فإني أعرف انه في ليلة شتوية لألاءة وفي فسحة في غابة مضاءة بنور القمر، سينبعث صوت ضربة مدوية تليها دحرجة متقطعة، ومن خلال الشجيرات سيثب حشد من الارانب المسعورة ليرقص في النور الشاحب.

انها الطبيعة التي لم تتغير مذ ضرب أول أرنب تلك الضربة. واني تعلمت عبر السنين ان الأشياء تتغير وتتبدل لكن الطبيعة تبقى ثابتة الى الابد. وهذا ما يطمئنني.

جاك دويل ■



أقصر الحدود وأطولها

أقصر حدود بين بلدين هي بين اسبانيا وجبل طارق اذ يبلغ طولها ١٢٠٠ متر فقط، بينما أطول حدود بين دولتين هي بين كندا والولايات المتحدة اذ يبلغ طولها ٦٤١٦ كيلومتراً.

س.د.

كتبت مديرة مرصد تريسته في ايطاليا: "ان العلم والمعرفة حملا دائماً الخير والشر، لكن الخيارات الصحيحة لا تزال مسؤولية العقل البشري."

ب.إ.



قيل عن اهل اترוריا انهم "شعب اتى من المجهول وانتهى الى العدم" على رغم انهم صمدوا ألف سنة قبل ان ينحنوا امام روما. وهناك مشروع لاحياء ذكرى هذا الشعب

الاتروريّون جَاء بهـمْ المجهول وأخذهـمْ العَـدم

تمثال برونزي لمحارب اتروري وجد في بولونيا.

ثلاثون كيلومتراً الى الشمال من روما عبر "فيا كاسيا" تنتهي فسحات الارض المكشوفة بتلال تكسوها الاحراج ويخيّم عليها الصمت. والبلدات التي ترتفع فوق رؤوس تلك التلال هي قلاع منفرة ومتاريس محفورة في الارض وبيوت قائمة حجارها من الصخر البركاني.

كانت اتروريا قبل ٢٥٠٠ سنة على الارض التي تضمّ حاليا مناطق توسكاني وامبريا ولازيو في ايطاليا الوسطى. وبدأ العام الماضي تنفيذ خطة ثلاثية، ستكلف ملايين الدولارات، لاحياء حضارة اتروريا الغامضة وتعريف العالم بها. وشهد العام ١٩٨٥، الذي اطلق عليه "عام اتروريا" افتتاح اكبر معرض فني وحرفي في فلورنسا يمثل الحضارة الاتروريـة ويضمّ ثلاثة آلاف قطعة من سبع دول مختلفة. واستضافت فلورنسا كذلك مؤتمراً دولياً ضم نحو مئة من اهم العلماء المهتمين بموضوع اتروريا، فقدموا آخر ما توصلوا اليه من نتائج ومعلومات. الى ذلك أقيمت في عشرين مدينة اخرى في ايطاليا معارض تمثل ازمنة ومظاهر مختلفة من الحياة في اتروريا.

شكّل اهل اتروريا لغزاً حتى بالنسبة الى معاصريهم وقيل عنهم انهم "شعب اتى من المجهول وانتهى الى العدم." وبعد انتصار الجيوش الرومانية عليهم

Photos: Scala

وتدمير مدنهم وجرفها في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد اختفت كل معالم آثارهم وظلّت مختفية ما يزيد على ١٥٠٠ سنة. ولم تكتشف إلا في القرن الثامن عشر حين بدأ العلماء وناهبو المقابر نبش قبور الاتروريين وكنوزهم المدفونة.

من هم الاتروريون؟

تزعم احدى الاساطير اليونانية، انهم بحّارة اتوا من لمنوس موطنهم الاول وعُرفوا بإسم البلاسيجيين. ونقلا عن اسطورة اخرى، قال هيرودوتس انهم من ليديا واضطرهم الجوع الى النزوح عنها. ولأن زعيمهم كان يدعى تيرانوس فقد اطلق عليهم الاغريقيون اسم التيرانيين وسمّوا البحر التيراني باسمهم. وفي أي حال هناك ادلّة اثرية تشير الى ان الاتروريين عرفوا ازدهاراً في ايطاليا منذ اوائل القرن الثامن قبل الميلاد على الاقل.

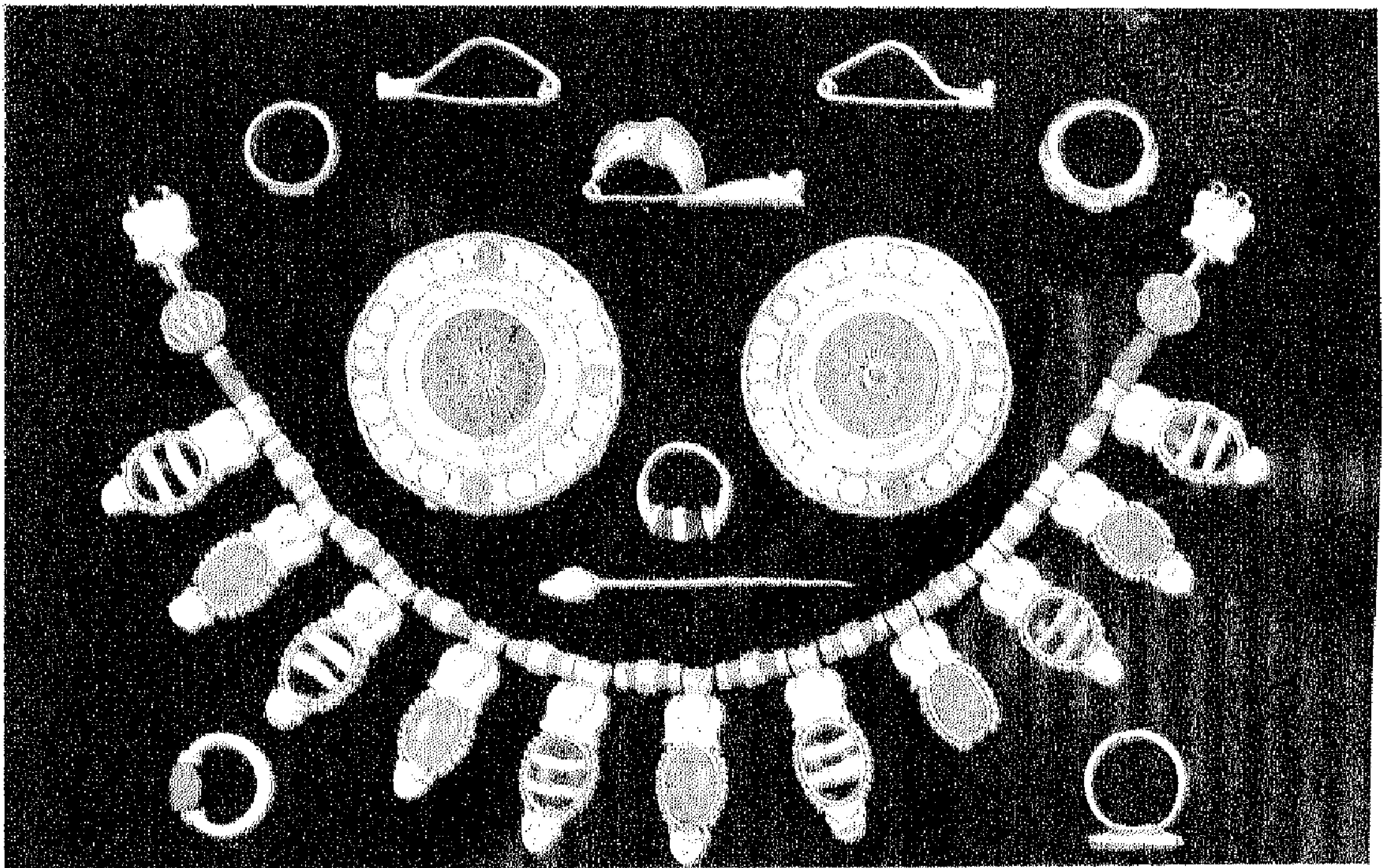
مدن الاموات - كانت الحياة على الارض بالنسبة الى الاتروريين ممراً هامشياً الى الحدث الأهم الا وهو "حياة ما بعد الموت." اما مدنهم العظيمة ذات الاسوار العالية والمشيّدة من الخشب، فلم يبق منها اثر. وحدها النكروبولس، اي مدن الاموات المنحوتة في الصخر الاصم، بقيت على مرّ العصور. وكانت مدافنهم، حتى في تفاصيلها الصغيرة، صورة طبق الاصل لمنازلهم وكانت تحتوي على اسرّة من حجر وكراسٍ وطاولات. وغالباً ما تزين المدافن فيّ تاركينيا لوحات جصية تمثل مشاهد من مناسبات سعيدة اعدت لـ"يشاهدها" الاموات على مرّ الاجيال. وفي سيرفيتري تؤلف المدافن منازل دُفنت فيها عائلات بكاملها.

أدب الاتروريين لم يبق منه شيء. والمعروف عن لغتهم مصدره الكتابات المحفورة على الاضرحة والممتلكات. واعادة تركيب لغة من نقوش على قبور أمر صعب التصور وهو السبب في انه لم تعرف حتى اليوم الا معاني نحو مئة كلمة. على انه من المؤكد ان كتابتهم كانت من اليمين الى اليسار.

كانت للاتروريين قيمة كبيرة كمهندسين معماريين ومهندسي مياه. وتظهر اسس مارزوبوتو الواقعة غرب بولونيا في ايطاليا ان تلك البلدة الحدودية شيّدت على شكل مصبّع ببراعة واتقان. وكانت تتخللها جادات واسعة على جانبيها منازل ذات طبقة واحدة تصلها المياه في انابيب عبر مصفاة عامة بالغة الفاعلية.

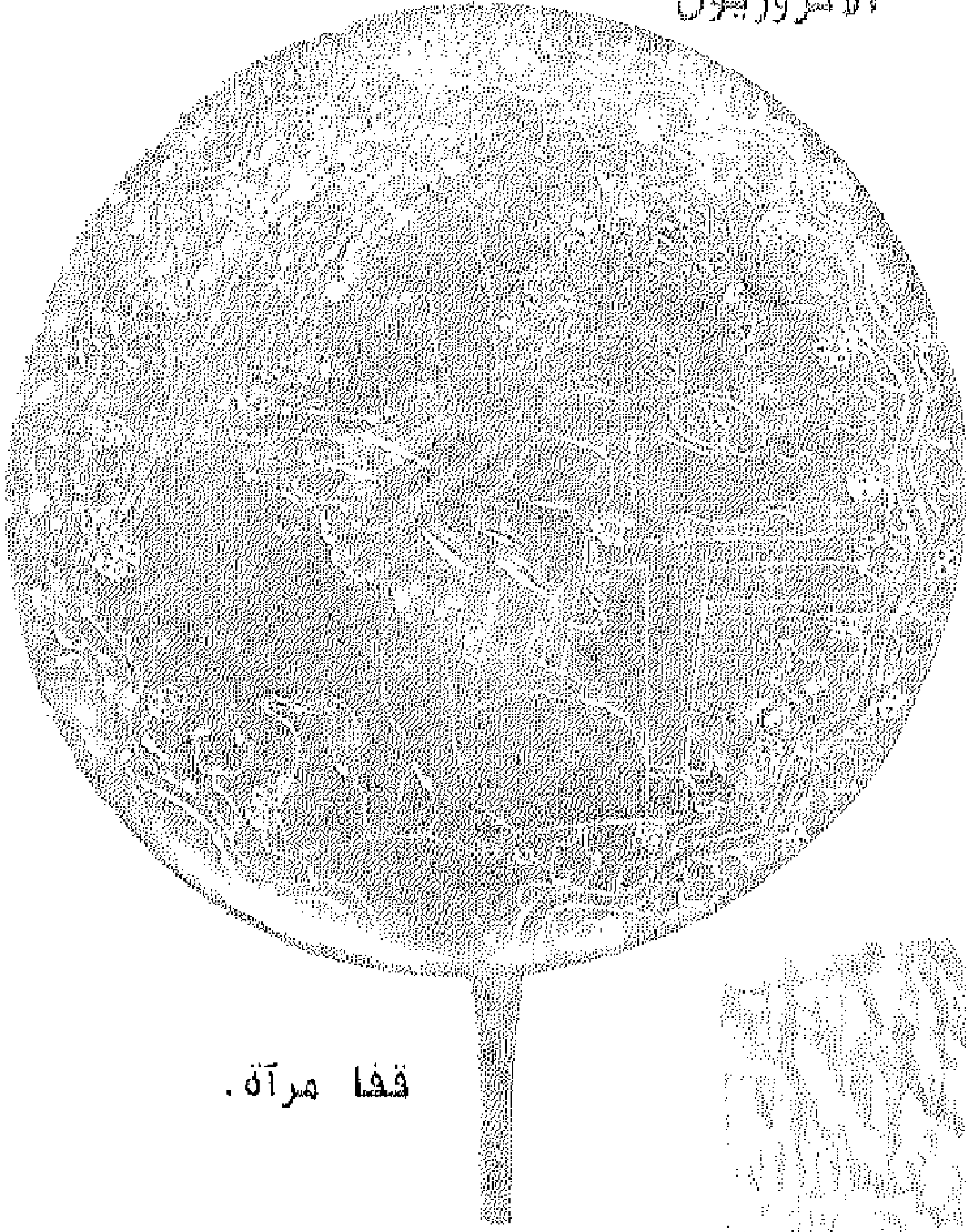
والاسوار الاصلية التي كانت تحوط مدينة روما شيّدت في عهد تاركينوس بريسكوس وهو اول ثلاثة ملوك اتروريين حكموا المدينة بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد. ويعود الفضل في استصلاح الكثير من اراضي روما التي كانت تغمرها المستنقعات الى تلك العائلة المالكة التي تحوّلت روما في حكمها من مجموعة قرى مفككة الى مدينة عظيمة ذات طراز اتروري.

اثنان من اشهر رموز الحياة الرومانية، وهما التوغا (الرداء الروماني المميّز) واكليل الغار اللذان كان يرتديهما الاباطرة والقادة المنتصرون، ومقتبسان



حلى طمبية اترورية وجدت في فولتشي.

The Metropolitan Museum of Art, Harris Brisbane Dick Fund, 1984



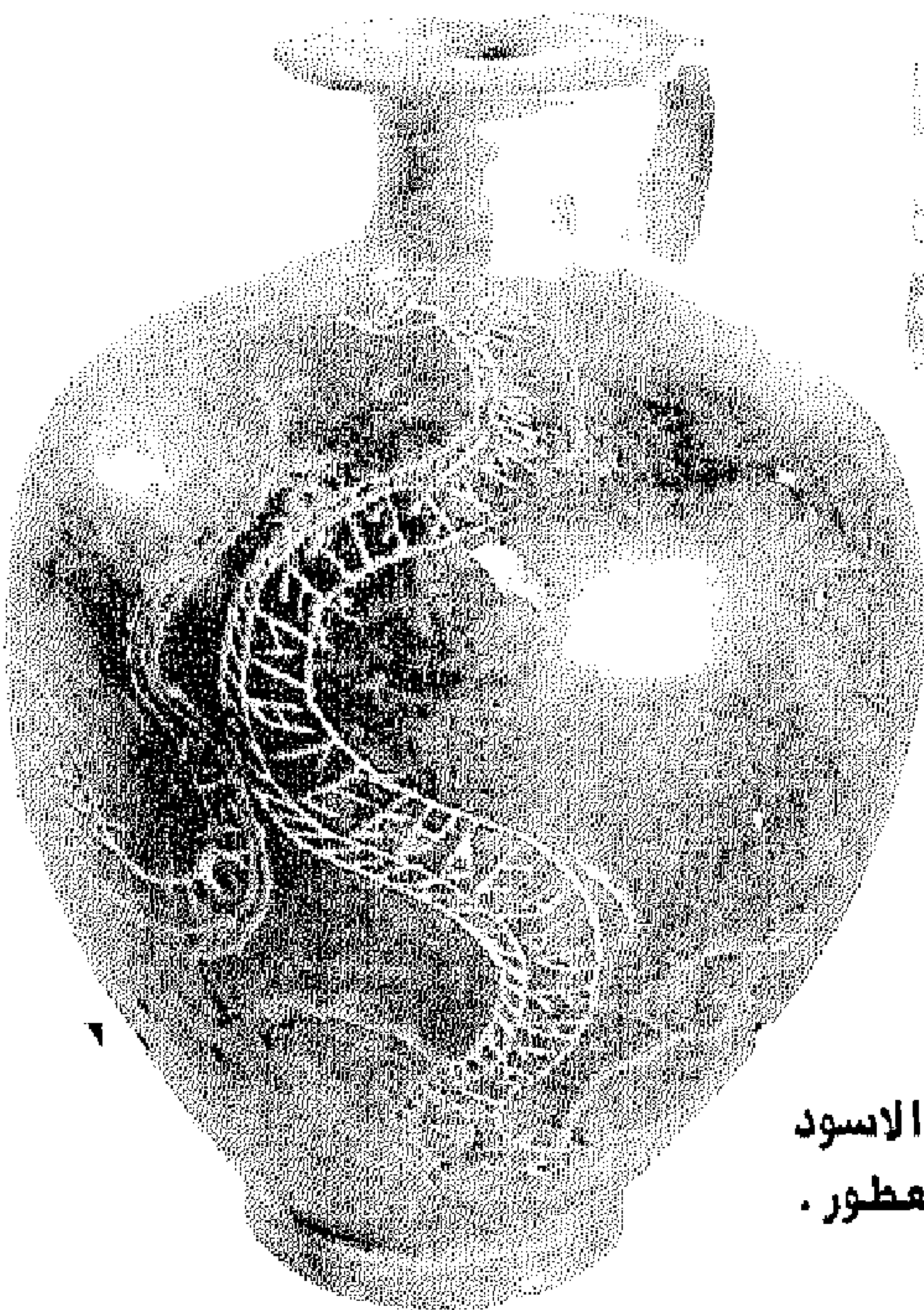
قفا مرآة.





صفيحة ذهبية عثر عليها في بيرجي قرب روما.

لوحة جصية في قبر تظهر نساء اتروريات يأكلن في مأتم.



اناء بوكارو من الخزف الاسود كانت تحفظ فيه المراهم والعطور.

من الاترورييين. وورث الرومان عن الاتروريين عادة مشؤومة هي النزال الدموي بين عبدين او اسيرين لامتاع الناس في بعض المناسبات المهمة.

ونعمت اتروريا بأرض خصبة وكان لديها احتياطي كبير من الحديد والذهب والنحاس ومعادن أخرى. وكانت السفن المحمّلة بالذهب الخام والمقبلة من جزيرة البا، تفرغ حمولتها في بولونيا الواقعة قبالة البا حيث كان الذهب يُكرّر فيستخدم قسم منه محلياً ويصدر الباقي الى اقطار العالم المتحضّر.

وكان الاتروريون مولعين بالطعام والشراب الجيدين وبالصيد على انواعه وبالموسيقى والملاكمة ورياضات أخرى. وغالباً ما اظهرت نقوش الجص المذهلة على المقابر في تاركينيا مشاهد من ولائم في مناسبات سعيدة تضّم موسيقيين ومرفهين.

الخزف الاسود – برع الاتروريون في صوغ الذهب والفضة. وعُثر في احد القبور في فيتلونيا على سوار من الذهب مصنوع من حبل وحيد يبلغ طوله ثلاثين متراً وثخانته ٠،٣ مليمتر. وهو مبروم ببراعة فائقة. ودرج الجوهريون على تزيين اعمالهم بآلاف من حبّات الخرز المذهبة والمصنوعة من النحاس والصمغ المستخرج من السمك والتي لم يكن يزيد قطر الواحدة منها على ٠،١ مليمتر. ولا بدّ من أن عدد الصاغة تضاعف في ذلك الوقت بسبب تعاطيهم معالجة الاسنان اذ ان الاسنان في كثير من الجماجم وجدت محشوة بالذهب بمهارة.

وكان الحرفيون الاتروريون نُحّاتاً وخُزّافاً مهرة وكانت اعمالهم تضاهي، لا بل تنافس، اعمال اشهر الفنانين الاغريقيين. ويذكر من أعمالهم الخزف الاتروري الاسود المسمى "بوكيرو" والمصنوع من نوع خاص من الطين كان يتحوّل لونه اسود بعد معالجته بطريقة خاصة. على أن طريقة صنع البوكيرو ظلّت مجهولة ولم يتمكن احد من كشف سرها الامر الذي رفع قيمة هذا النوع من الخزف في كل بلدان اوروبا. ويقول غوته في كتابه "رحلات في ايطاليا" المنشور في العام ١٨٢٨: "اصبحت اسعار الزهريات المصنوعة من البوكيرو مرتفعة جداً وليس من سائح الا ويبغي شراء واحدة منها مهما غلا ثمنها." والآن، وكما كانت الحال في السابق، ليس في وسع كل الناس تحمُّل اسعار السوق السوداء حيث يبلغ سعر الزهرية الواحدة المصنوعة من البوكيرو خمسة آلاف دولار. وعلى رغم ارتفاع الاسعار وكون القبور المنهوبة مصدر القطع الخزفية تلك، يبقى الاتجار بالبوكيرو مزدهراً والطلب عليه مرتفعاً.

نهب القبور – وعادة السطو على القبور في اتروريا تعود الى مئات السنين وبدأت اثر اكتشاف جيوش روما المحتلّة أن الاموات في اتروريا يدفنون مع ممتلكاتهم الثمينة ومع اي شيء آخر يُعتقد انه قد يكون ذا فائدة في "الحياة الاخرى". ومن عادة لصوص القبور العصريين والمعروفين بإسم "تومبارولي"، ان ينقبوا عن قبر في النهار وينبشوه في الليل. ويتطلب الحفر

المُضني والوصول الى حجرة الموتى التي تقع على عمق مترين او اكثر، ثلاثة أو اربعة اشخاص. وعلى رغم ان الشرطة تقبض احيانا على هؤلاء اللصوص، إلا انه من الصعب جداً توفير حراسة مستمرة لجميع المدافن التي تغطي مساحات كبيرة. وحدّدت بعض الدراسات المسحيّة ما يزيد على ستين الف مدفن في تاركينيا وحدها فيما تبلغ المساحة التي تحتلها "مدينة الاموات" في سيرفيتيري نحو ٤٥٠ هكتاراً.

ويستخدم العلماء المتخصصون بدراسة الحضارة الاترورية آلات متطورة في بحثهم عن الكنوز المدفونة، ومن شأن هذه المعدات حماية القبور من الاضرار التي تلحقها بها معاول اللصوص ورفوشهم. ومن بين هذه الآلات جهاز البروتون التفاضلي الممغنط(*) الذي يرصد الآثار المغناطيسية. وهناك أيضاً الطريقة التي تعتمد مسح المقاومة الكهربائية وقياسها، ومن شأن هاتين الطريقتين ان تسمحا برسم خريطة مفصلة لمحتويات القبر. ولقد صنعت مؤسسة ليريتشي مسباراً بصرياً عُرف بـ"عين ماينوس" لفحص القبور المُغلقة. وتتم العملية بإدخال المسبار الذي يشبه التلسكوب، من فتحة صغيرة، فينير القبر مما يسمح بمشاهدة محتوياته من دون المساس بها. وقد طورت آلة اخرى يمكن بواسطتها التقاط صور فوتوغرافية لمحتويات القبر من الداخل. وبفضل هذه الآلة تمكن الملايين من رؤية داخل احد القبور على شاشة التلفزيون الايطالي.

ما الذي تسبب في سقوط الاتروريين؟

يعزو الاستاذ مورو كريستوفاني أحد أهم الاختصاصيين بموضوع اتروريا في ايطاليا، سقوط الاتروريين الى عدم تلاحمهم السياسي وهو "خطأ مميت اقترفوه في مواجهة تصميم روما على التوسع. ولم تكن اتروريا بلداً بمقدار ما كانت اتحاداً فيديراليا مفككاً لمدن منفردة تجمعها ثقافة مشتركة ودين مشترك ولغة مشتركة." وكان الاترووريون قادرين على الحرب إلا ان التناحر الداخلي في ما بينهم جعلهم يتفرجون على سقوط المدن الاترورية الواحدة تلو الاخرى على أيدي الجيوش الرومانية.

وثمة سبب آخر يضيفه كريستوفاني الى الانحدار الذي اصاب الاتروريين، وهو جمود مجتمعهم الذي كان يتألف من طبقتين فقط غير قابلتين للتطور هما طبقة الحكام وطبقة الخدم. وسمح هذا الامر للرومان الذين فسحوا في المجال امام اصحاب المواهب وشجعوا التطور المراتبي، بان يدحروهم بسرعة.

لكن الاتروريين لم يندثروا فعلا، اذ ان المتحدرين منهم في توسكاني يشبهون الى درجة مذهلة التماثيل والنقوش التي تمثل اسلافهم ذوي القامات القصيرة والممتلئة. يضاف الى ذلك ان المآثر الفريدة التي خلفها الاترووريون تشكل جزءاً مهماً من التراث الغربي.

كريستوفر ماتيوس ■

(*) Differential proton magnetometer

الرائعة كتاب لم يفرغ أبداً من قول ما يريده. م.ب.

مُصوِّر المحيطات

قمر اصطناعي ودماغ الكتروني وعقل عالم جيوفيزيائي تخرج صورة رائعة لأرض المحيط



نطاق شق إلتانين جنوب المحيط الهادىء في خريطة الثقل النوعي.

في خريطة قياس الاعماق.

"وكأنه اقتلع سدادة عملاقة وأفرغ محيطات الارض من مياهها."

هكذا يصف العلماء، في مرصد لامونت - دويرتي الجيولوجي بجامعة كولومبيا في باليسادس بولاية نيويورك، المحاولة الاخيرة لزميلهم وليم (بيل) هاكسبي. فقد تمكن هذا العالم الجيوفيزيائي(١) ابن السادسة والثلاثين من تحويل سيل من معلومات الاقمار الاصطناعية خريطة ملونة رائعة لأرض المحيط تظهر أشكالا تحت الماء قد لا يتعدى حجمها ٣٠ كيلومتراً.

ومسح قعر البحار ليس جديداً بالتأكيد. فطوال عقود سبر الملاحون أعماق البحار بالموجات الصوتية فيما سفنهم تمخر العباب جيئة وذهوباً. كما رسمت خرائط للثقل النوعي(٢) بواسطة معدات تحمل على متون السفن وتسمى مقاييس الجاذبية (gravimeters) لكن مناطق واسعة جنوب المحيط الهادىء والمحيط الاطلسي لم تمسح قيعانها على نحو شامل. وقد لاحظ الجيولوجيون أن

(١) الجيوفيزياء علم فيزياء الارض.

(٢) Gravity maps

Photos: Dr. William Haxby / Lamont-Doherty Geological Observatory

صورة سطح المريخ القاحل معروفة أكثر من الـ٧٠ في المئة من الأرض المستترة تحت حجاب مائي.

ويرى جون لابريك الجيوفيزيائي في مرصد لامونت "ان هذا الأمر يتطلب مليارات من الدولارات وقرناً من الزمن لتتمكن سفينة أبحاث علمية من جمع المعلومات المدونة في خرائط بيل. فهذه في الواقع مسح تلفزيوني لقعر المحيط."

وضوح مذهل – تظهر خرائط هاكسبي منطقة متنوعة مثل أي منطقة أخرى في القارات السبع، وهي بذلك تعزز المفهوم الجيولوجي الاكثر شيوعاً: تكتونية(٣) قشرة الأرض. وتقول هذه النظرية الثورية بأن قشرة الأرض تقسم ٢٠ "لوحاً" (plate) تسيرها الحركة العنيفة لباطن الأرض الملتهب فتتصادم مولدة الجبال العالية والخنادق السحيقة. فالخنادق التي يبلغ عمقها كيلومترات وتؤطر غرب المحيط الهادىء مثلاً، تظهر كيف يغور اللوح الباسيفيكي الهائل في قشرة الأرض. وتتباعد ألواح أخرى متسببة في انبثاق صهارة باطن الأرض. وفي ضلع وسط الأطلسي(٤) حالياً يبتعد لوح أمريكا الشمالية عن لوحي أوراسيا وأفريقيا مسافة ٢،٥ سنتيمتر سنوياً.

والى هذه المعالم المألوفة تظهر خرائط هاكسبي معالم أخرى غير معروفة حتى الآن. فهناك ضلوع وصدوع وبراكين جديدة تحت سطح الماء تظهر فجأة في كل مكان. وما يثير العجب خطوط طويلة دكناء تقطع الكثير من أراضي البحار، وكأن شركة عملاقة زيّحت القعور الموحلة. انها مناطق الانشقاق(٥) أي الندوب المتخلّفة عن احتكاك أطراف الألواح. ويوضح لابريك "انها تشبه خطوط السكة الحديد، وهي تمكننا من اقتفاء حركة القارات أفضل من أي زمن مضى."

ويضيف هاكسبي: "في الواقع يمكنك تتبع هذه الحركات الى بانجيا(٦). خذ نطاق الشق الممتد من طرف أفريقيا الى جزر فوكلاند قبالة الأرجنتين. فاذا أدرت القارة الأفريقية حول هذا النطاق، رأيت كيف كانت أفريقيا ملتصقة بأمريكا الجنوبية في زمن مضى."

وهذا الوضوح المذهل في الادراك الحسي بات ممكناً مع اطلاق القمر الاصطناعي "سيسات" (Seasat) عام ١٩٧٨. فمقياس الارتفاع على متنه قاس المسافة بينه وبين سطح المحيط بدقة لا يتعدى الخطأ فيها عشرة سنتيمترات فوق معظم أنحاء الكرة الأرضية. وتم ذلك بارسال موجات رادار نابضة وتسجيل الوقت الذي استغرقته لتنعكس على السطح وتعود. ولسوء الحظ طرأ عطل فني أنهى مهمة القمر الاصطناعي بعد ثلاثة أشهر، تمَّ في غضونها تسجيل ثمانية مليارات قراءة مكّنت هاكسبي عملياً من تصوير قعر المحيط. ولكن كيف؟

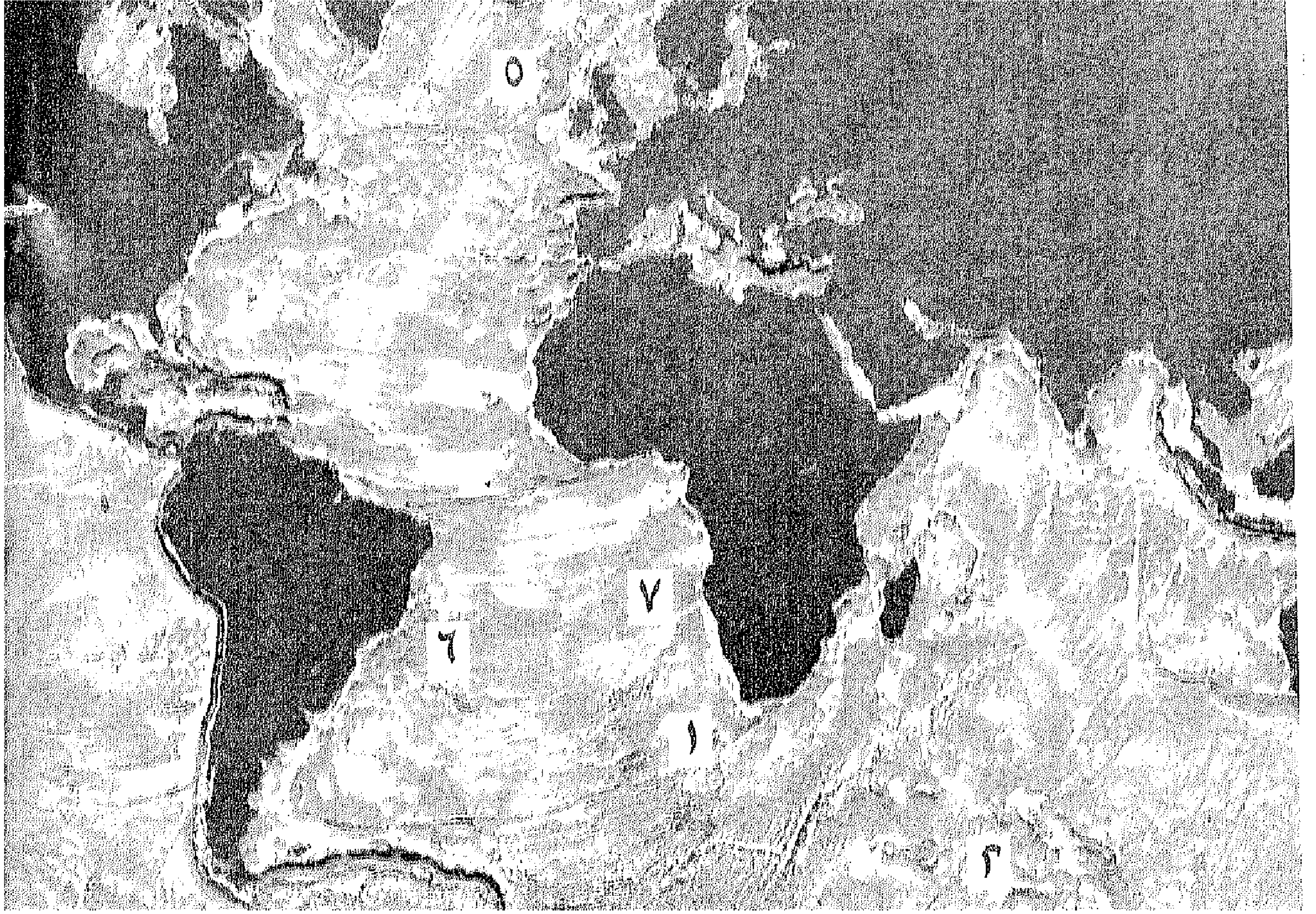
---

(٣) التكتونية (tectonics) هي عملية التشويه التي تغير شكل قشرة الارض محدثة القارات والجبال وسواها.

(٤) Mid-Atlantic Ridge. والضلع هنا ارتفاع متطاول في قاع المحيط.

(٥) Fracture zones

(٦) بانجيا هي كتلة الأرض الوحيدة التي كانت موجودة قبل نحو ٢٠٠ مليون عام حين كانت الأمريكتان وأفريقيا وأوستراليا وقارة القطب الجنوبي متصلة بعضها بالبعض الآخر.

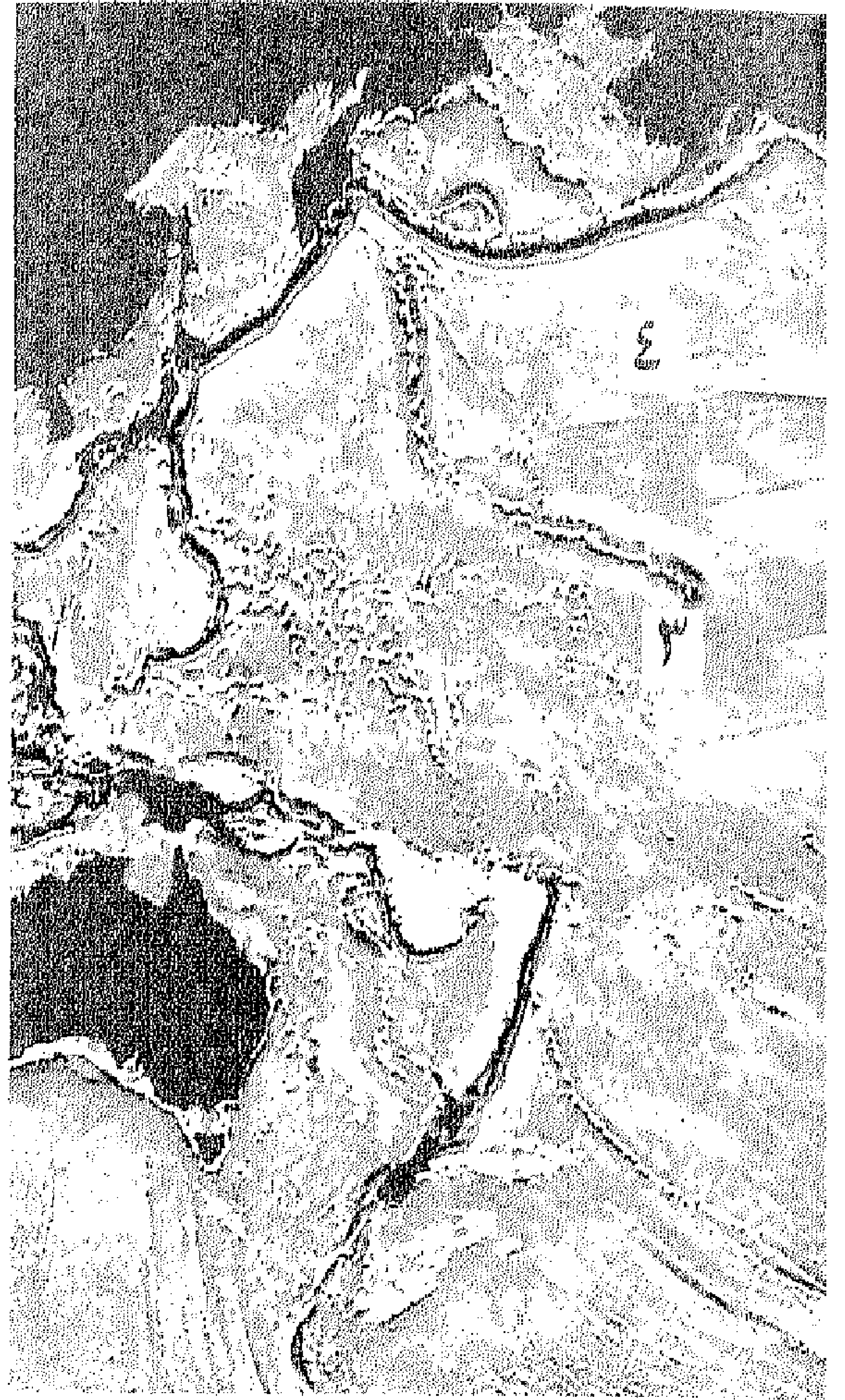


عالم أحلام – أدرك العلماء قبل وقت طويل أن سطح البحر ليس مستوياً على نحو كامل حتى من دون تأثير الرياح والأمواج، بل انه يأخذ شكل كِفاف(٧) قعره. فالمياه تتجمع فوق الجبال والضلوع القعرية، اذ ان الجاذبية أقوى عند التجمعات الكتلوية الضخمة. وعلى نحو عكسي تنخسف البحار فوق الخنادق والأحواض القعرية. والثابت أن جبلا قعرياً بعلو ٥٠٠ متر يرفع مياه السطح نحو ٢٠ سنتيمتراً، فيما يسبب خندق بعمق كيلومترات عدة انخفاض مياه السطح بضعة أمتار.

وصلت معلومات "سيسات" الى لامونت قبل ثلاث سنوات على ٢٤ شريطاً خاصاً بالدماغ الالكتروني. وبعد عمل ١٨ شهراً على دماغين الكترونيين كوّن هاكسبي صورة شبه فوتوغرافية لقعر محيطات الأرض، وذلك باعطاء كل من الصور الثمانية الملايين واحداً من ١٥ لوناً لوصف قوة الجاذبية في تلك النقطة. وتفاوتت الألوان من الأزرق الغامق (جاذبية خفيفة) الى الأصفر أو الزهري (جاذبية قوية). كما استخدم ٢٥٦ درجة من الظلال لابراز النفور في التضاريس.

ويتذكر لابريك ليلة واحدة من العمل

(٧) الكفاف (contour) هو محيط الشكل المنحرف أو المنعرج.



على الدماغ الالكتروني: "جلس بيل خلف آلته وهو يعمل على استخراج كفافية أدق لقعر المحيط. وطلبنا منه أن يستخرج المزيد اذا أمكن. كان الأمر يشبه التعديل البؤري لمجهر. وبانت أشياء في قعر المحيط لم نحلم يوماً أننا سنراها."

والاكتشاف الاكثر اثارة خلال تلك الليلة الطويلة هو خط رفيع متعرج يبعد مئات الكيلومترات عن الساحل الغربي لأفريقيا. وللمرة الاولى جلس جيولوجيون ينظرون الى الضلع القائم وسط المحيط الذي تكوّن عندما بدأت افريقيا وأمريكا الجنوبية وقارة القطب الجنوبي تنفصل قبل اكثر من ١٠٠ مليون عام (انظر الرقم ١ على الخريطة). فقد حجب تراكم الرواسب هذا المَعْلَم عن الوسائل التقليدية لسبر الأعماق. ولكن بما أن المواد الرسوبية منخفضة التكتل نسبياً فانها "شفافة" لتحليل الثقل النوعي.

شقوق وضلوع وأوتاد - هذه البنى، المرقمة في ما يأتي كما هي في الخريطة، إما اكتشفها هاكسبي وإما بيّنها بوضوح أكثر:

٢. نطاق شق جنوب المحيط الهندي برز في القعر قبل نحو ٢٠٠ مليون عام حين انفصلت الهند عن قارة القطب الجنوبي. وتسبّب اصطدام الهند بآسيا بعد ١٦٠ مليون عام في نشوء جبال حملايا. وما زال اللوح الهندي يدفع شمالا محدثاً زلازل وتشوهات في سطح الأرض. ويقول هاكسبي "ان قشرة الأرض كلها تنعصر مثل الاكورديون."

٣. منطقة ذات ثقل نوعي منخفض تحوط سلسلة جبال الامبراطور في هاواي وسط المحيط الهادىء، وهي تدل على أن جبلا قعرياً ضخماً قد يؤدي الى لَيّ لوح تكتوني وكأنه حصير مطاط. والقشرة تحت هاواي منحرفة حوالى عشرة كيلومترات.

٤. التواء حاد في نطاق الشق الذي ينتأ من شمال كاليفورنيا، مما يؤكد أن اللوح الباسيفيكي غيّر اتجاهه على نحو مفاجىء قبل ملايين السنين. وقد يكون هذا التأثير صدى لاصطدام الهند بآسيا.

٥. وتد (Wedge) الى الجنوب الغربي من أيسلندا يؤكد أن ضلع ريكيان هو فعلا

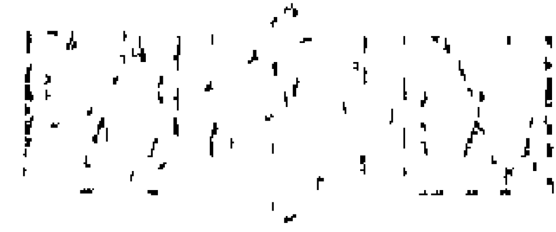
في شكل "٧". وهذه مسألة يدور حولها بعض جدل. ويبدو أن الوتد يتكون نتيجة انبثاق الصهارة من باطن الأرض.

٦. مرتفع ريوغراندي وهو نجد قعري كبير قبالة الساحل الجنوبي الشرقي للبرازيل.

٧. ضلع والفيس قرب جنوب غرب أفريقيا. كان الجيولوجيون يظنون أن مرتفع ريوغراندي وضلع والفيس تكوّنا في الماضي السحيق حين عبر لوحا أفريقيا وأمريكا الجنوبية فوق "بقعة ساخنة" تحت قشرة المحيط، وهي منطقة قرب ضلع وسط الأطلسي حيث تنساب الصهارة بسهولة من الغلاف التحتي للارض. لكن خرائط هاكسبي الجديدة تقترح أن مرتفع ريوغراندي وضلع والفيس كانا متصلين كجزء من نظام للأضلاع وسط المحيط، ازدهر حين بدأت أفريقيا وجنوب أمريكا تنفصلان.

ويتوقع هاكسبي أن تتحسن خرائطه نتيجة إطلاق مقاييس رادارية جديدة للارتفاع. فالقمر الاصطناعي "جيوسات" (Geosat)التابع للاسطول الامريكي والذي أطلق عام ١٩٨٤ سيسد بعض الثغرات في مسار "سيسات". وفي بداية التسعينات تنوي وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا) أن تطلق قمراً اصطناعياً مصمماً لتحسس متغيِّرات في سطوح البحار تقل عن ثلاثة سنتيمترات. ومن المنتظر أن يتمكن هذا القمر الاصطناعي من اظهار معالم في قيعان المحيطات أصغر من نصف حجم تلك التي ظهرت للمرة الاولى في خرائط هاكسبي المذهلة.

مارشا بارتوسياك ■



بين الحمية والجمال

بدأ زوجان يتّبعان نوعاً من الحمية يوجب تناول شراب بدلا من وجبة طعام. وبعد أسبوع ذهبت الزوجة مع صديقاتها للعب كرة المضرب في حفلة صباحية أعقبها غداء في النادي. وفيما كانت الصديقات يستمتعن بتناول الشطائر الشهية راحت الزوجة ترشف الشراب الذي أوجبته الحمية.

ولمحت احداهن زوج المرأة يتناول غداءه مع سكرتيرته، فقالت لها مازحة: "ها هو زوجك مع امرأة جميلة."

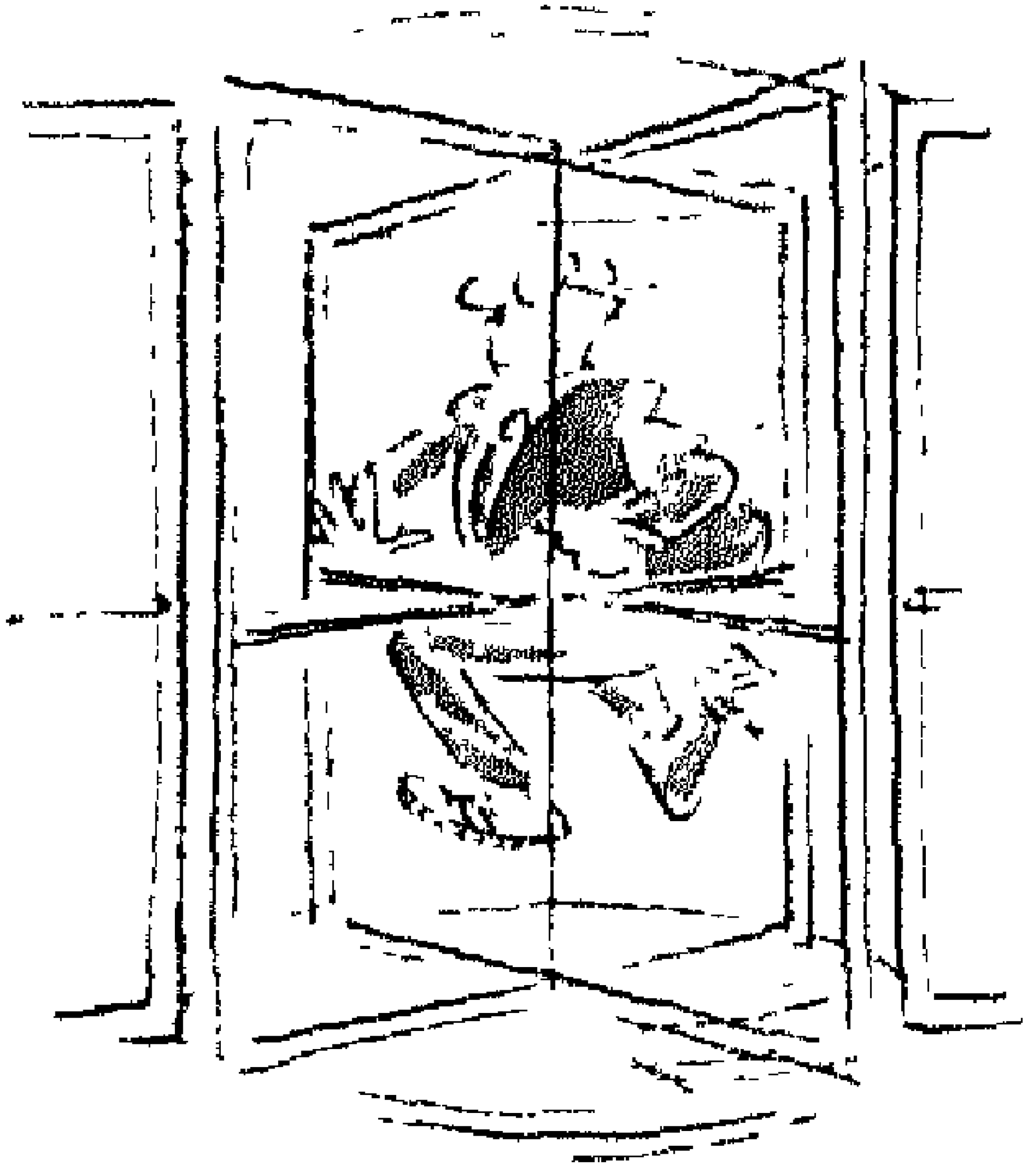
وصاحت الزوجة: "لا آبه للمرأة، أنظري الى ما يتناوله من طعام!"

ب.و.

اذا كنت تبتسم حين يتعطل كل شيء فمعنى ذلك أنك مخبول أو أنك الرجل الذي يتولى اصلاح الاعطال.

صحيفة "لوس انجلس تايمس"





لا أحد بعده

دأبت سيدة على المشي في نزهة قصيرة كل صباح. وذات يوم كان ابنها ذاهباً في السيارة الى جامعته وتوقف أمام اشارة السير الحمراء. وكانت الام واقفة على الرصيف تنتظر تبدل الاشارة، ولما رأته تقدمت الى سيارته وانحنت عبر نافذتها المفتوحة وقبلته. وومض الضوء الاخضر وانطلق الشاب. وتوقفت السيارة التي كانت وراءه قرب المرأة وقال سائقها منزلا زجاج نافذته: "أنا بعده."

ر.س.

دعابات مائية

كانت الرياضة المفضلة لدى الطلاب في مهاجع احدى الجامعات أن يتراشقوا بالماء مستخدمين لعباً زارقة وزجاجات وأكواباً وبالونات وحتى سلال المهملات. ولما كانت المغاسل كثيرة فقد كانت موارد الماء متوافرة جداً لهذه المبارزات.

وفي معظم الاحيان كان مساعد الناظر هدفاً لهذه المداعبات. وهو جاء الى غرفته ذات يوم فرأى البابا مفتوحاً قليلا. ونظر الى أعلى فرأى دلواً موضوعاً فوقه بحيث يسقط ويهيل الماء بمجرد تحريك الباب. وأنزل الدلو وأفرغه في المغسلة وهو يقول في نفسه: "لقد حسب هؤلاء الاغبياء انهم قادرون على خداعي بهذه الطريقة القديمة."

وفي تلك اللحظة أدرك أن "أولئك الاغبياء" نزعوا أنبوب تصريف الماء من تحت المغسلة.

د.ب.

زوجة غيور

دأبت امرأة شديدة الغيرة على اخضاع زوجها لفحص دقيق كل أمسية. وكان اكتشافها لأصغر شعرة على سترته يعني الويل والثبور وعظائم الأمور. وفي إحدى الليالي فحصته فلم تجد شيئاً. لكنها انفجرت باكية وصرخت في وجهه: "يا قليل الأمانة، هل وصلت بك خستك الى النساء الصلع؟"

ب.ب.

جني الربيع

إنما تحصدون ما تزرعون...
سواء في الحديقة
أو في تربية الاولاد



قطعت عهداً على نفسي بأن أستيقظ باكراً هذا الصباح. ولكن فيما راحت يدي تتلمس طريقها إلى المنبه الرنان بدا لي النهوض مع الفجر لتحضير الحديقة للزرع فكرة لا طائل فيها. فلماذا أزعج نفسي؟ لم آبه والاولاد كبروا ورحلوا؟

منذما غادر ابننا الأصغر وزوجته مـزرعتنـا في وسكـونسن وانتقـلا إلى المدينة بت أجدني وحيدة في غالب الاحيان. فزوجي تشارلز يعمل هو أيضاً في المدينة. ولكي أقاوم شعوري بالعزلة أخذت استغرق في النوم صباحاً خمسة أيام في الاسبوع، فلا تدب الحياة في عروقي إلا في نهاية كل أسبوع.

وعندما أفلحت بعد جهد في انتشال نفسي من السرير تذكرت أن علي تفحص شريط السياج لأتأكد من أن الجياد ترقد آمنة في الاصطبل. وعندما بلغت بيت المزرعة الخالي داخل أملاكنا لاحظت أن إحدى النوافذ محطمة والباب الرئيسي مفتوح على أحد مصراعيه والدراجتين اللتين خلفهما أبنائي مفقودتان.

وقدمت تقريراً بالسرقة الى الشرطة وفي الاسبوع التالي اتصل بي مسؤول في الشرطة ليزف إلي نبأ القبض على السارقين ويسألني هل أرغب في القدوم الى المدينة لتقديم شكوى ضدهما. فـأجبتـه بغضب: "بـالـطبـع سـأقدم الشكوى! هل ضبطتم الدراجتين؟"

Condensed from Guidepost Magazine, (October '85)

- حسناً يا باتريشيا، لقد استعدنا احداهما ولكن ثمة من سرق الاخرى من المعتقلين."

شيب وديل - عندما وصلت الى قسم الشرطة سألت المسؤول: "أين السارقان؟"

فأجابني: "انهما جالسان في الرواق."

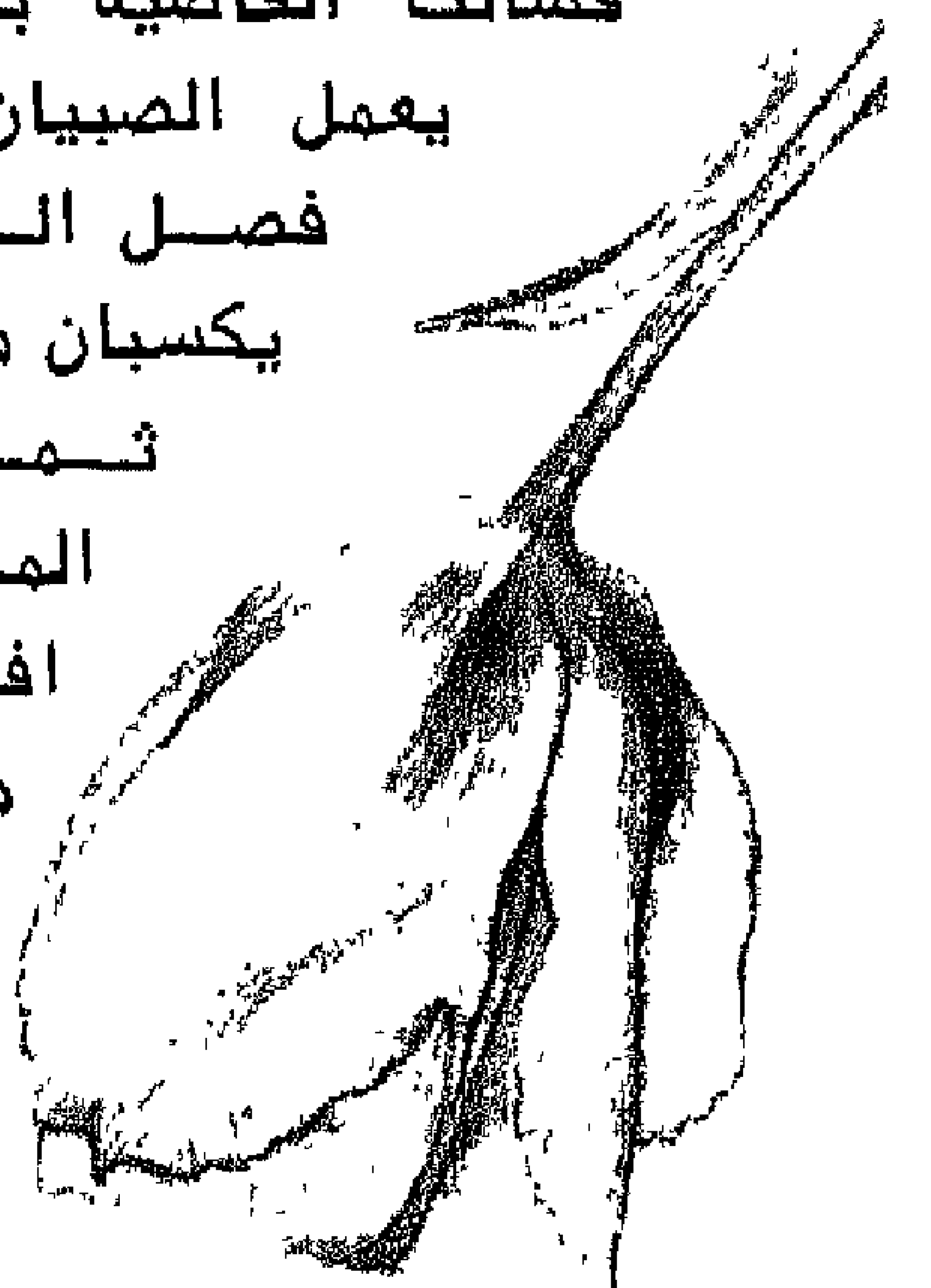
وفي الرواق لم أصادف سوى صبيين هزيلين، شعرهما أشعث وعيونهما واسعة ملؤها الخوف. فكأني أرى سنجابين مرتجفين.

وناديت: "أيها الشرطي أمتأكد أنت من أن...؟"

فاجابني ساخطاً: "حسناً، انهما المذنبان. لقد أقرا بفعلتهما."

ودخلت القاضية بينيت تجر أذيال ثوبها بوقار. وخرج الشرطي ليأتي بالصبيين. فولجا القاعة مرتبكين.

وقلت: "مهلا. ألا يمكننا أن نسوي الامر؟ وراحت الافكار تتسابق الى ذهني. أن يعملا، هذا هو الحل الشافي. فسألت القاضية بينيت: "لم لا يعمل الصبيان عندي خلال فصل الربيع؟ فقد يكسبان مالا يسددان به ثمن الدراجة المفقودة، وهكذا افيد من مساعدتهما. أما هما فيدركان قيمة المال."



وحدّقت إليّ القاضية من وراء نظارتيها وأجابت: حسناً، ولكن اتمنى ان تكوني مدركة الموقف الذي تقحمين فيه نفسك." وقررت أن يأتي شرطي يشرف على الاحداث لزيارة الصبيين مرة في الاسبوع.

صباح السبت التالي في السابعة تماماً استيقظت على قرع الباب. ولمّا فتحته رأيت الصبيين واقفين على سلم المدخل يرتعشان في برد الصباح الباكر.

ودعوتهما الى الدخول قائلة: "لم يكن عليكما الحضور في مثل هذا الوقت المبكّر."

وما هي الاّ لحظات حتى جلسنا إلى المائدة وأمامنا البيض المقلي والنقانق والفطائر المحلاّة. وتناول الصبيّان شوكتيهما فأوقفتهما قائلة: "مهلا، نحن هنا نتلو صلاة الشكر قبل أن نأكل."

وفيما رحت أتلو الصلاة رأيتهما يرمق أحدهما الآخر بنظرة ماكرة. وبينما هما يأكلان أخبراني أنّهما في العاشرة والحادية عشرة من العمر لكنّهما في الصفّ نفسه. وقد ترك ابن الحادية عشرة منزل والديه السنة الماضية بعد طلاقهما. أما الصبيّ الثاني فقد اصيبت والدته بانهيار عصبي اثر وفاة زوجها.

البصل والزهر - عملنا في الحديقة الى أن سمعنا صفّارة الظهيرة. ولمّا كنت منهكة القوى فقد انتهى بنا المطاف الى أحد المطاعم المحلية حيث أكلنا الهامبرغر. وطلبت من الصبيين أن يحضرا نهار الاثنين في تمام التاسعة بداية عطلتهما المدرسية الربيعية.

وفي صباح اليوم التالي أوقظت في السابعة كذلك. رباه! ليس يوم الاحد أيضاً! لا ريب في أنهما الصبيان اللذان اعتدت تسميتهما "شيب" و"ديل" وهما إسما سنجابين في الرسوم المتحركة.

قال شيب: "جئناك بهدية." ورمى الي ديل أفعى غرطر(★). فما كان مني إلا أن أطبقت أسناني بعزم وأرجعت الافعى اليهما قائلة: "شكراً جزيلا. هلا وضعتماها في الحديقة علها تنفع في القضاء على الحشرات."

فنظر الصبيان الواحد الى الآخر وكأنهما يقولان: ما هذه المرأة التي تشكرنا على أفعى؟

وأتى يوم الاثنين بسرعة. وكان علي ان أشرح للصبيين الفرق بين الخضر والاعشاب الضارة. وانهالا علي بمئات الاسئلة، فأمضينا ساعة نتناقش في علم البيئة والحياة البرية ومغني الروك اند رول.

وصباح اليوم التالي في السابعة تماماً سمعت الدقة المعهودة على الباب. وقال ديل: "جئناك اليوم بهدية رائعة حقاً يا سيدة سوليفان." وقدم إلي شيب أفعى سوداء لم أر في حياتي واحدة بمثل طولها أو حجمها.

لقد طالت الدعابة. وسمعتني أصرخ في وجهيهما: "حذارا انها أفعى الكولوبر العاصرة." وقذفتهما بها فرمياها أرضاً وفرا مسرعين.

ولما عادا الي أخيراً قلت لهما: "والآن أريدكما أن تعرفا أمراً عني. لقد ربيت

(★) أفعى أمريكية غير سامة.

تسعة أولاد لم يدعوا حيلة الا جربوها معي. فان لم تفلحا في ايجاد أفضل من الافاعي السخيفة فلا تزعجا انفسكما بعد اليوم بمحاولة ترويعي."

فرمقاني بنظرة ملؤها الاحترام.

وراح الصبيان يعملان الرفش والممشاط في الأرض. ففلحا التربة وفرقا بين شتول الفوانيا والسوسن وسقيا الحديقة واقتلعا الاعشاب الضارة وقطفا نتاج البذور التي زرعاها. وعملنا معاً طوال فصل الصيف، وبدأت أكافئهما بنزهات طويلة نسير فيها على الاقدام ونتناول الطعام في الهواء الطلق. وفي أوائل الخريف غرسنا بصل الخزامى وشتول النرجس والزعفران. وعندما سألني الصبيان لم اشتريت تلك الكمية الكبيرة من "البصل العتيق الميت" قلت لهما ان البصل سيتحول زهرات جميلة وانني أحضر "جنى الربيع".

موسم القطاف - أمضيت الصيف بطوله أطهو الأطعمة اللذيذة التي لم أطبخها منذ سنوات. فكنا نصنع معا كعك الزنجبيل والفطائر والحلوى.

وذات يوم قلت لزوجي: "لقد بدأ الصبيان يسمنان."

فأجابني تشارلز مشيراً الى بطنه: "وهذا الصبي أيضاً. فنحن لم نأكل مثل هذا الطعام منذ زمن بعيد."

وكنت كل اسبوع أقول للشرطي المشرف على الصبيين عندما يأتي لكتابة تقريره: "انني لا أواجه معهما أي مشكلة."

وسدد الصبيان دينهما وكسبا مالا وافراً مكنهما من شراء دراجتين. وكانا يذهبان الى المدرسة، لكنهما ظلا يأتيان لمساعدتي أيام السبت والعطل، فيبرزان لي بكل فخر دفتري علاماتهما المدرسية.

وفي يوم سبت افتقدت الساعة السابعة دقة الباب المعهودة. فقلت لزوجي: "ترى أين هما؟" فأجابني ضاحكاً: "لا تقلقي، ففي وسعهما أن يتدبرا أمرهما."

- نعم، وأظن أنهما تحولا إلى ما هو أفضل. ألا توافقني الرأي؟

وضحك تشارلز مجدداً وأجاب: انهما لم يتحولا وحدهما الى ما هو أفضل. فأنت لم تكوني بمثل هذه السعادة منذ ما فارقنا الاولاد. وقد صدق من قال: إنما تحصد ما تزرع."

وقرع الباب فكدت أثب من مقعدي لأفتحه.

وفي الربيع التالي على أثر عودتي الى البيت من المستشفى حيث أمضيت عشرة أيام، أتى شيب وديل من المدينة على دراجتيهما لزيارتي. وكالعادة وصلا في السابعة صباحاً. ودخلا علي بباقة كبيرة من زهر الخزامى التي غرسناها.

ودخلنا المطبخ وأخرجت وعاء مربى الفراولة (الفريز) الذي صنعناه وبعض البسكويت والحليب. وتناولت قطعة بسكويت، وقبل ان يتسنى لي قضمها صاح بي الصبيان معاً: "مهلا، فنحن هنا نتلو صلاة الشكر قبل أن نأكل."

ورفعت ناظري بارتباك لاراهما يبتسمان لي. فما غرسته في الربيع أزهر الآن.

باتريشيا سوليفان ■

ثلاث قصص صغيرة عن أبطال من عالم اليوم

ثلاثة أبطال

طالب عمل

خطوط وأحرف مطبوعة فوق السطور تملأ الصفحة التي دون عليها نبذة عن حياته. هذا الرجل لا يمكن أن ينجح في مباراة تهجئة بسيطة.

وعلى رغم ذلك فإنه ظل سنوات يجوب شوارع منيابوليس بولاية منيسوتا وفي حوزته تلك النبذة. وثلاث مرات أو أربعاً في الاسبوع كان ديك باترسون يتأبط أذرع المعرفين به ويقتحم الحواجز الزجاجية في مكاتب التوظيف.

وكان الذين يستقبلونه ودودين لكنهم لم يطلبوا منه ا[لـ] العـودة ثـانيـة. ول[...] يـفهمـه بعضهم. وهـ[...] أدرك ذلك، ولكن لم يسـ[...] ان يفعل شيئاً.

لم يكن العمل الـ[ذ]ي يطلبه يستلزم ذلاقة خطيب لقد أبانت النبذة ان بـ[...] الاعمـال التي يتقنهـا غـ[...]ـل الخرق وجر العربات وو[...] الأغطية على القوارير وفرز علائق الثياب في المتاجر. وقد أرفق بذيل الطلب شهادة من مشرف جاء فيها أن ليس من فارز للعلائق يقظ الضمير مثل ديك باترسون.

ولد ديك مصاباً بشلل مخي، مما عطل وظائف عضلاته وأضعف وظائف أخرى. لذا كان من الطبيعي انه لم يتعلم القراءة حتى بلغ الأربعين، على رغم حاصل ذكائه المتوسط.

واعتاش ديك من عون الحكومة، ولكن ظلت تستبد به فكرة كسب راتب وكأنها بطاقة عضوية له في المجتمع. وصدق الأقاويل التي يرددها خبراء الحوافز: إن أردت ان تكون، فلا شيء يثنيك، وإن تخيلت امرأ استطعت بلوغه. ولا شك في أن قلة منا تحلم بفرز الرسـائل البريـديـة وتشغيل الآلات الناسخة في المكاتب في السن الخامسة والخمسين.



واشترك ديك في برامج تدريبية لتحسين القدرات الذاتية، واذ ظل عاجزاً عن تدبر عمل فانه لم يلم النظام أو المجتمع غير المتعاطف، بل ألقى باللوم على نفسه. ثمة خطأ في الطريقة التي كان يتبعها. وفي لحظات كان ينتحب بين ذراعي أحد اصدقائه.

وقد عمد أحد هؤلاء الأصدقاء إلى الكتابة إلى ٥٠٠ رب عمل مشيداً بطاقة ديك ومبيناً مبلغ الاعتماد عليه، ذاكراً ان هاهنا رجلا قادراً على تأدية الأعمال التي لا تحتاج الى مهارة عالية.

وكان ديك يتلقى على الدوام جواباً واحداً لا يتغير.

وفي نهاية المطاف استدعي ديك الى مستشفى فيرفيو في منيابوليس للعمل في فرز البريد وتشغيل آلة النسخ في مقابل أربعة دولارات في الساعة.

لقد تم الأمر كما أشارت كتب التعلم الذاتي... بعد ثماني سنوات من المحاولة.

جيم كلوبوشار في "ستار أند تريبيون" ■

السائق المنقذ

كان السائق جون كول والمشرف ادوارد تود والمهندس وليم كيركباتريك يقودون قطار الشحن إلى محطة تقاطع السكة الحديد بالقرب من كريسون في ولاية بنسلفانيا. وبلغت سرعة القطار ٣٠ كيلومتراً في الساعة. فجأة لفتت الرجال طفلة تلهو على الخطوط. وحين نفخ كيركباتريك صفارته جرت الطفلة ذات السنتين بعيداً وجلست على أحد القضبان

داس كيركباتريك الكوابح فيما هرع تود وكول إلى الممشى خارج غرفة محرك الديزل وراحا يصيحان محذرين الطفلة لتتحرك بعيداً عن الخطوط.

وفيما القطار يندفع نحو الصغيرة نزل جون كول على السلم في مقدم القاطرة وثبت نفسه بقدم واحدة على الدرجة السفلى واحدى يديه تمسك درجة أعلى، وأمال جسده الى أقصى ما استطاع. وبضربة قوية بذراعه دفع الصغيرة عن القطار. وعبر القطار على بعد سنتيمترات قليلة منها. وباستثناء رضوض بسيطة، لم ينل جين دفيبو أي أذى.

جون كول.

ويقول المشرف جاي كيفوفتز إن فعل جون تطلب قوة ورشاقة وشجاعة، "فلو انزلق لقضى هو والطفلة."

وجون الذي أمضى ٣١ سنة في السكك الحديد يبدي تواضعاً إزاء ما انجزه ذلك اليوم في ٢٧ يوليو (تموز) ١٩٨٥. وهو يقول ان الامر حدث بسرعة لم تتح له التفكير في البدائل أو في الخوف على حياته.

ولا أحد يشعر اكثر من جون كول بالألم الذي خلص منه والدا جين دفيبو، اذ انه قبل سنة واحدة فقدا ابناً في السابعة عشرة بحادث في احدى المزارع.

كونريل انسايد تراك ■

Photo: Conrail Inside Track

أنيتا ماكيون

حين عضت الأفعى ذات الأجراس أنيتا ماكيون أثناء دورة تدريب في معهد الشرطة، أدركت أن حياتها لا تسير على ما يرام. وكانت ذات أربعة وعشرين ربيعاً، وقد لقبها أحد زملائها "أنيتا الكوارثية". وفي سنتها الأولى كشرطية في سانتا مونيكا بكاليفورنيا مرت بسلسلة من التجارب المشؤومة مما إبقاها خارج الوظيفة طوال تلك السنة، الا في ٦٠ يوماً عملا.



أنيتا ماكيون.

وقع الحادث الأول في ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ بعدما أوقفت أنيتا ومدربها سائقاً تمكن من الفرار. ولحقت به انيتا وأدركته، وتعاركا على الأرض. وانتزع الرجل مسدسها فكان جزاؤه أنفاً محطماً. وكان نصيب أنيتا اصبعاً مكسورة وظهراً ملوياً.

وفي ٢٣ ديسمبر (كانون الأول)، تاريخ المهمة الاولى التي تؤديها بمفردها، اقتربت انيتا من رجلين بعد شكوى رفعها أحد الجيران حول جلبة يحدثانها. واستل أحدهما سكيناً وطعنها تكراراً في صدرها. وحمتها الصدرة الواقية من الطعنات، لكن يدها أصيبت بجروح بالغة. وصوب الرجل الآخر مسدساً إلى رأسها وضغط الزناد. لكن الرصاص لم ينطلق. واستطاعت أنيتا ان تطلق عليه عيارين ناريين قبل أن يضربها رفيقه بمقبض السكين ويفقدها الوعي.

وحينما عاودت انيتا العمل في فبراير (شباط) غدت اسطورة صغيرة. وأكد لها زملاؤها "ان هذه الأمور الخطرة لا تحدث دوماً."

لا ريب في ذلك، لا ريب.

بعد ثمانية أيام، في منتصف الليل، صادفت أنيتا حادث سير في الطريق العام. وتوقفت وأشعلت ضوء الاشارة. وفيما هي تساعد السائق في دفع سيارته عن الطريق، اذ بسائق ثمل "يطيرهما" في الجو. وأصيبت انيتا بكسر في كاحلها، لكنها غطت السائق الجريح ببطانية وطلبت النجدة. ثم عادت بسرعة إلى غرفة الطوارىء.

وختاماً في ١٤ يونيو (حزيران) أشارت أنيتا الى سائق سيارة مشبوهة بالتوقف على جانب الطريق بعد مخالفته أحد قوانين السير. لكن السائق انطلق بسيارته هارباً. وبعد مطاردة طويلة بسرعة زادت على ٩٥ كيلومتراً في الساعة أخطأت السيارة المشبوهة أحد المنعطفات وصدمت جداراً حاجزاً. وهذا ما جرى لسيارة أنيتا ايضاً، ونقلت اثر ذلك إلى المستشفى.

ان بقاء أنيتا في عملها أمر لا يصدق. ويقول النقيب وليم كنغ المسؤول عنها: "إن موقفها مذهل. فهي ترتد ككرة المطاط."

بات موريسون
في "لوس انجلس تايمس" ■

Photo: Los Angeles Times

بعض الحقائق الثابتة والواضحة عن انقاص الدهن وتنمية العضلات



١٠ خرافات عَنِ اللياقةِ البَدنيّة

احدى اغرب الظواهر في فورة الاهتمام باللياقة البدنية هي ضآلة ما يعرفه حقاً كثيرون من الناس عن هذا الموضوع.

لا غرو في أن المبتدئين هم الفئة الاسوأ بين هؤلاء، ولكن في بعض الاحيان يتضح انه حتى الذين لا يزالون يتمرنون منذ سنوات لديهم أفكار خاطئة عن طريقة ممارسة التمارين واسلوب عمل اجسامهم. واليكم بعض أعم المفاهيم الخاطئة:

الخرافة الاولى: اني دائب على القيام بمئة تمرين جلوس كل يوم على مدى اسابيع. لماذا لا استطيع التخلص من هذا الطوق الكثيف حول خصري؟

لأن انقاص بقعة معينة من الجسم امر مستحيل فعلا. ويقول الفيسيولوجي روبرت م. اوتو مدير مختبر الاداء البشري في جامعة دلفي بغاردن سيتي، نيويورك: "عندما تستهلك الدهن في جسمك فانه

يستمده من مخزون من المواد الدهنية منتشر في كل اقسام الجسم وليس في بقعة محددة فيه." وتمارين الجلوس، كما يشير هذا العالم، مفيدة في تقوية عضلات البطن لكنها "لا تذيب الدهن المتراكم."

اذا، كيف يمكنك خفض كمية الدهن في جسدك؟ يبدو الامر سهلا نسبياً: احرق من السعرات الحرارية في التمرين مقداراً يزيد عما تدخله الى الجسم من طريق الطعام. ويرى الدكتور جاك هارفي الطبيب الخاص بفريق الملاكمة الامريكي: "ان هناك قابلية وراثية لحمل مواد دهنية في بعض اقسام الجسم، والوزن الفائض ربما يكون آخر ما يتلاشى." ولدى معظم الرجال، يكون هذا الفائض فوق البطن او حول الردفين، اما لدى معظم النساء فيكون في اعلى الفخذين، وفي العجز والذراعين.

الخرافة الثانية: إذا دأبت على رفع الاثقال، سيغدو جسمي كأجسام اولئك الرياضيين الذين ينمّون عضلاتهم.

لا تتعب نفسك فلن تحقق ذلك ابداً الا اذا كنت انت الواحد بين كل مليون شخص وهبتهم الطبيعة الخصائص الوراثية للرياضي الفذ آرنولد شفارزنغر النجم السينمائي والرياضي الامريكي النمسوي المولد الذي ربح جوائز في تنمية اللياقة البدنية. حتى في هذه الحال سيتعيّن عليك ان تتحمل ذلك النوع من التمارين المرهقة والشاقة التي يمارسها مثل اولئك الرياضيين.

الخرافة الثالثة: لستُ حقا في حاجة الى انقاص وزني، وكل ما انشده هو تقوية جسدي وتصحيح توزيع ما فيه من سمنة.

يقول اوتو بصراحة وثقة: "لا يستطيع المرء ان يصحح توزيع ما في جسمه من سمنة. والموضوع هنا يتناول عنصرين مختلفين هما الدهن وكتلة المواد الصرفة التي تشمل العضلات والعظام والاعضاء الداخلية." واذا شئت ان تحافظ على الوزن الاساسي لجسمك فان ذلك يتطلب عملية ذات شقين: عليك انقاص الدهن فيما انت تربح انسجة صرفة. وليس ثمة اسلوب يمكن ان يحول الدهن عضلا.

الخرافة الرابعة: لا اريد ان ابدأ بتنمية عضلات، لاني اذا توقفت عن التمرين فأن عضلاتي تتحول حينئذ دهناً.

نكرر: العضلات لا يمكن ان تتحول دهناً. ويقول الدكتور جوشوا سيمون الاستاذ المساعد في مادة الفيسيولوجيا والثقافة في دار المعلمين بجامعة كولومبيا، نيويورك: "ان السبب في ان كثيرين من الرياضيين المتقاعدين يبدون كأنهم اصبحوا ذوي سمنة بسيط جدا، وهو انهم لم يعودوا يشغلون عضلاتهم بمقدار ما كانوا يفعلون في عهد المباريات الرياضية وهكذا تتضاءل عضلات اجسادهم. وفي الوقت عينه يستمرون في استهلاك المقدار ذاته من الطعام."

الخرافة الخامسة: كلما عملت بسرعة اكثر احرق سعرات حرارية على نحو اسرع.

في تلهفه لتحسين لياقته البدنية يقفز المبتدىء الى مقعد دراجة ويوتر عضلاته ثم يحرّك دواسات الدراجة لينطلق بها. وبعد دقائق قليلة، يضطر الى الوقوف وهو يلهث تعباً لكنه يشعر بالزهو لاعتقاده انه حقق تشغيل قلبه واحرق كثيراً من السعرات الحرارية. ترى هل فعل ذلك حقا؟

يجيب اوتو: "في مجال حرق السعرات الحرارية ان الفترة الزمنية اهم من عنف الحركة."

ويتعذر على الشخص العادي القفز او تحريك دواسات الدراجة على مستوى عال من الشدة لوقت طويل.

اما في ما يتعلق بتقوية القلب وحرق السعرات الحرارية، فيلاحظ سيمون "ان النمط البطيء والثابت من الحركة يحرق مقداراً اكبر من السعرات على المدى الطويل مما يحترق في فورات قصيرة من التمرين المنهك."

الخرافة السادسة: لا كسب حيث لا الم.

قد يصح هذا القول اذا كنت تتمرن للدخول في فريق يستعد للالعاب الاولمبية. ولكن بالنسبة الى الشخص العادي، يعتبر الالم انذاراً وليس حداً يجب تجاوزه لتحقيق التقدم.

الا ان هذا لا يعني ان التمرين ينبغي الا يتضمن جهداً وارهاقاً. ولكن، كما يقول احد الخبراء "ثمة فارق بين الالم والانزعاج. فالالم الحقيقي يدل على وقوع ضرر ومعالجة الضرر تكون بالراحة وليس بالمزيد من الالم.

الخرافة السابعة: أريد ان انقص وزني بسرعة، لذلك سأرتدي قميصاً اضافياً ماصاً للعرق في اثناء الهرولة.

يقول اوتو: "ان التفصد المفرط بالعرق يفرز الماء من جسمك فحسب. وحين تزن نفسك يخيّل اليك ان وزنك نقص فعلا، ولكن في غضون ٢٤ الى ٣٦ ساعة يستعيد جسمك الميوهة التي فقدها. وما يتراءى لك لا يعدو كونه نقصاً موقتاً في الماء. وفي بعض الاحوال قد يكون هذا النقص خطرا."

ان الطريق الرئيسية التي يتخلّص بها الجسم من حرارته تمر عبر الجلد. فاذا ارتديت بذلة مزدوجة او مطاطية يغدو الجسم عاجزاً عن تبخير العرق ولذلك يحتفظ بالحرارة في داخله. وكثيراً ما يصاب لاعبو كرة القدم بالتجفاف (نقص الميوهة) او اللفحات الحرارية، لانهم يعتمرون عادة خوذا واقية وبطانات وسترات طويلة الاكمام في اثناء اللعب، بينما العداؤون والمتبارون في سباقات الماراثون الذين يرتدون السراويل القصيرة والقمصان الشبكية، تبدد اجسادهم الحرارة بسهولة اكثر. لذا ينبغي ان ترتدي ثيابا خفيفة وفضفاضة خلال التمرين.

الخرافة الثامنة: اذا كان بعض التمرين مفيداً فان الاكثار منه يجب ان يكون افضل.

ان الاكثار مما هو مفيد قد يأتي بعواقب سلبية. ويلاحظ سيمون ان الافراط في التمرين هو مشكلة، خصوصا

بالنسبة الى المبتدئين. ذلك بان الجسم يحتاج الى وقت للراحة واستعادة القوة. ان ما ننشده حقاً من انجازات ايجابية من هذه التمارين (زيادة الكتلة العضلية، تحسين حال الشرايين في القلب) يتحقق خلال فترات الراحة هذه.

الى ذلك، فان التمرين قد يبلغ نقطة تعود بنتائج عكسية. وهنا يقول سيمون: "اذا تمرنت ٣ مرات في الاسبوع فستحقق فوائد، ولكن اذا تمرنت ست مرات في الاسبوع فأن فوائدك لن تتضاعف بل قد تكون أعلى بنسبة ضئيلة، لكنك تزيد مخاطر اصابتك باضرار نتيجة الافراط في الارهاق."

ما هو الحل؟

الاعتدال فحسب، يرد مورفي "انه الجواب في كل شأن، في الاكل والشرب والتمرين.

الخرافة التاسعة: لا تتناول طعاما قبل التمرين.

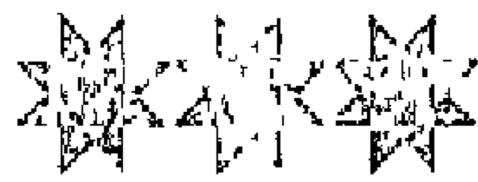
يوضح اوتو "ان الارقام القياسية في العالم حققها رياضيون تناولوا شطائر باللحم وقطع حلوى بالشوكولاتة قبيل انطلاقهم في المباريات. لكن بعض الناس لا يستطيعون ان يأكلوا شيئا قبل ساعات من اجراء تمارينهم من دون ان يشعروا بانحراف صحي. الامر مسألة مزاجية فردية."

في الواقع قد يكون مفيداً ان نتمرن بعد الطعام. ويلاحظ سيمون ان التمرين الخفيف بعد تناول الطعام بوقت قصير يمكن ان يحرق سعرات حرارية اكثر من التمرين الذي يمارس في ما بعد. لذلك فان عادة التمشي بعد تناول الطعام قد تكون صحيحة طبياً.

الخرافة العاشرة: من الافضل ممارسة التمارين في الصباح.

يصح هذا فقط اذا كنت مجنداً في البحرية او الجيش وتؤمر بأن تفعل ذلك. وينصح اوتو بالآتي: "تمرن عندما تجد ذلك مناسبا لك. والاستثناء الوحيد هو خلال الطقس الحار حين ينبغي ان تمارس تمرينك في الصباح الباكر او في ساعة متقدمة من الليل لتحاشي الارهاق في الساعات الاكثر حرارة والاكثر رطوبة.

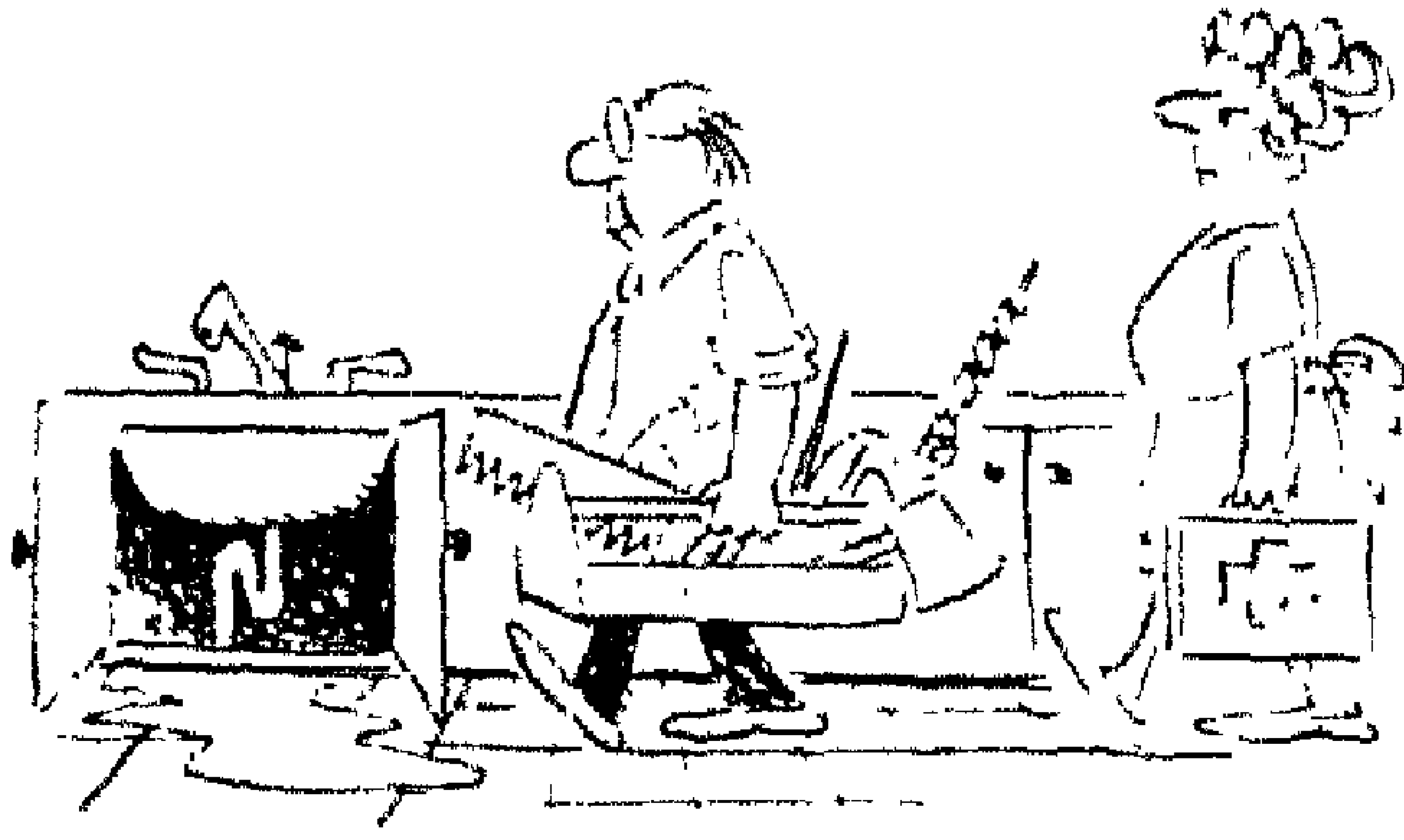
جون هانك ■

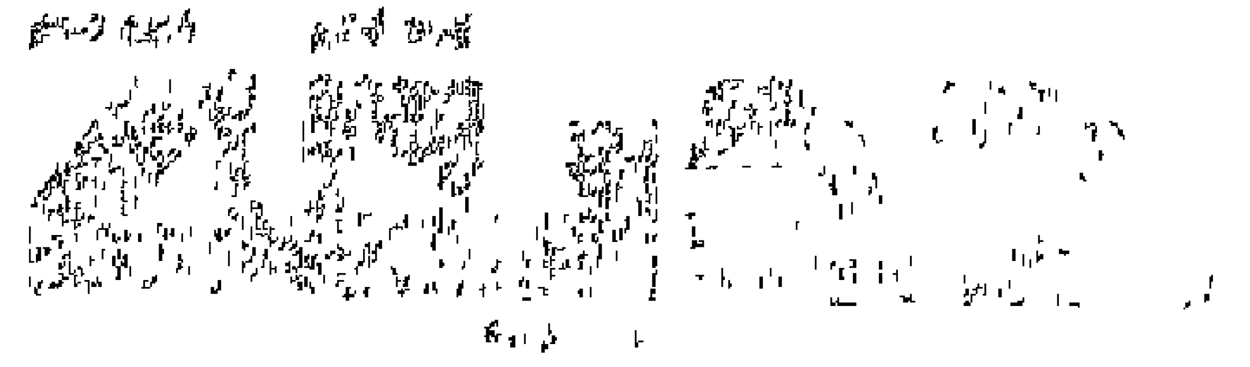


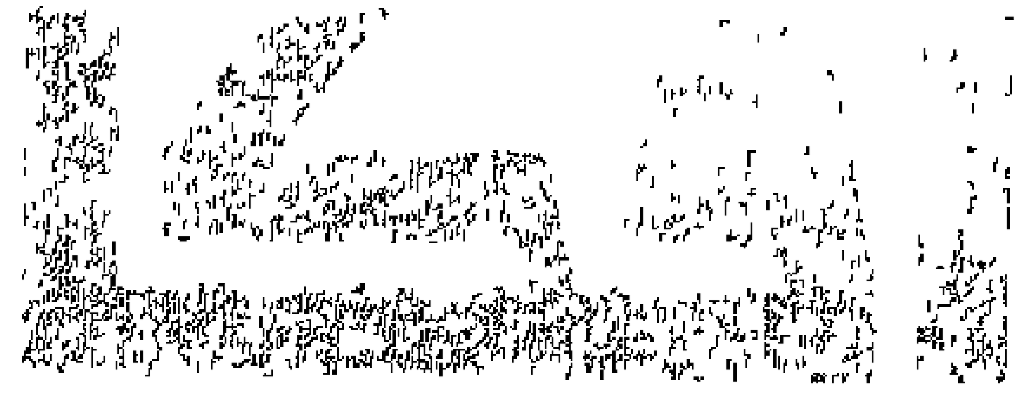
الملل عدو الابداع

قال الممثل الايطالي جيورجيو البرتازي في الملل: "الملل هو العيش في حالة انعدام ابداعي. انه لامر منهك أن تكون عاجزاً عن توسيع نطاق المحتمل بواسطة الخيال."
س.ف.

وراء كل رجل ناجح امرأة تسأل: ماذا تقصد بأنك ستتأخر عن موعد العشاء؟
أ.ك.







الطفل هو الانسان الذي لا يمكنه ان يفهم كيف يتخلى المرء عن جرو جميل.
دوغ لارسون

الخيال هو بساط الريح الحقيقي.
نورمان فنست بيل

الملفت في العمل الجماعي أنك تجد آخرين دائماً الى جانبك.
مارغريت كارتي

السعادة تمشي على قدمين جادتين في العمل.
كيت تورمل

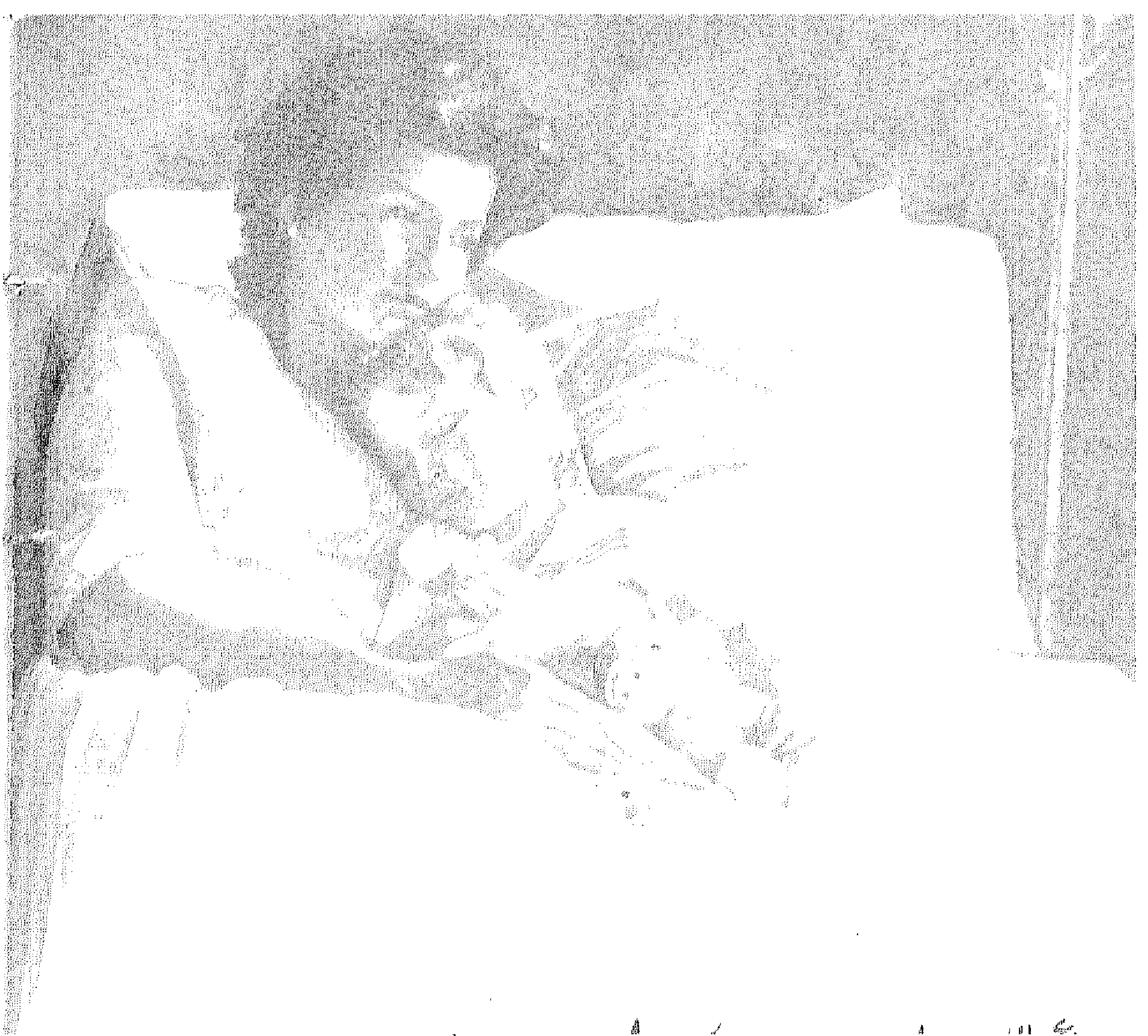
الحقيقة امرأة رزينة محتشمة. انها لن تتقدم منك لتضربك على رأسك وتجرك الى مغارتها. انها هناك، ولكن على الناس الذين ينشدونها أن يبحثوا عنها حيث هي.
وليم باكلي

عظمة الزواج أنه يتيح لك أن تكون لوحدك من دون أن تشعر بالوحدة.
جيرالد برينان

اذا كنت لا تريد أن يدري الناس بما تفعل، أحجم عن فعله.
مثل صيني

الحب والوقت هما الشيئان الوحيدان في العالم وفي الحياة كلها اللذان لا يستطيع المرء أن يشتريهما، بل هو ينفقهما فحسب.
غاري جنينغز

اذا رأيت فأراً يسخر من هرٍّ، فتش عن جحر قريب.
مثل نيجيري



أمّهات جبابرة

جاء الأم الخبر أن طفلها مصاب بمرض يبعث على اليأس، وأن فرص بقائه حياً ضئيلة والعلاج مروّع كالداء. انها اخبار تحطم الانسان، غير ان هذه المرأة ترتفع الى مستوى التحدي، وتستجمع القوة والجلد والايمان التي ستحتاج اليها لمساعدة طفلها على الحياة. ثمة نساء كثيرات على شاكلتها، وما يفعلنه لا يقصر عن الأعاجيب.

وفي ما يأتي قصة عن الامهات اللواتي يقاوم اطفالهن امراضاً تهدد حياتهم، كاللوكيميا والسركوما العظمية وداء هودجكنز وفقر الدم المميت، فيلازمن معهم المستشفيات. انهن صنف من الجبابرة يستوطن عالماً سفلياً لا يضطر معظمنا، والحمد لله، الى العيش فيه. وقصتهن هي قصة انتصار النفس البشرية.

Condensed from «Miracles of Courage,» copyright © 1985 by Monica Dickens, published by Dodd, Mead & Co., Inc., New York, N.Y. This material also appeared in Redbook (November '85). Illustration: Deborah Chabrian

كان ديفيد ابن ديبورا طفلا مرحاً هادئاً له من العمر سنتان، يبدو عليه الشحوب وفي ساقيه بعض كدمات. وكثيراً ما كان يقع، وكانت معدته بارزة كالاطفال في مثل سنه. وبدأ مرضه، كما يبدأ لدى صغار كثيرين، بزكام متواصل. وإذ صحبت ديبورا شقيقه الرضيع الى عيادة طبيب الاطفال، سألته ان يكشف على ديفيد ايضاً.

لم يساورها القلق حين أشار الطبيب باجراء فحص دم لديفيد، لكنها فوجئت اذ اتصل بها هاتفياً مبيناً نتائج الفحص. فالاطباء لا يتصلون في العادة.

قال الطبيب: "تعداد الدم غريب، أحضري زوجك وديفيد الى مستشفى مساتشوستس العمومي في بوسطن." وكان عليهم ان يقابلوا هناك الدكتور جون ترومان المتخصص بمعالجة الاطفال المصابين بالسرطان وأمراض الدم المتنوعة.

وجاء تكهن الدكتور ترومان قاصماً: "حظه في النجاة خمسون في المئة."

ونظرت اليه ديبورا محدقة: "حظه؟ ماذا يعني ذلك؟"

فسألها: "أتدرين ممَّ يعاني ديفيد؟"

ثنى الطبيب أنامله الطويلة الرشيقة على المنضدة وقال: "ابنك مصاب باللوكيميا... سرطان الدم!" (١)

أمل بالحياة – ديبورا وديف زوجان بهيجان لهما طفل في الثانية وآخر رضيع. دخلهما جيد ويملكان منزلا ويؤمنان بقوة الحب. وكانت حياتهما تنساب برفق، لكن دعامتها اهتزت.

مالت ديبورا نحو زوجها فألفت قسماته تنضح ألماً وهو ينتحب. وصرح الدكتور ترومان: "سيمكث ديفيد في المستشفى شهراً على الاقل. واذا اجتاز تلك الفترة فسيخضع لعلاج يستغرق ثلاث سنوات. لكنه عليل وقد لا يقاوم مدة شهر."

وبعدما تركهما الطبيب الشاب وحدهما انخرطت ديبورا في البكاء.

"حظه في النجاة خمسون في المئة،" هذا ما قاله الدكتور ترومان. حدث ذلك قبل ١٣ سنة. وفي السنة ١٩٨٦ تبدلت الامور، اذ يراوح حظ الطفل المصاب باللوكيميا اللمفاوية الخلوية(٢) بين ٧٠ و٨٠ في المئة بعد الاخماد المبكر لحدة المرض.

لكن الآباء والامهات ما زالوا يقاسون تلك اللحظة المعلقة في ترقب قلق، حين تتصدع حياتهم بغتة بأنباء عن السرطان. وهم، مثل ديبورا وديف، يستذكرون بدقة اين سمعوا تشخيص الداء ومتى وماذا قيل تماماً وكيف كان رد فعلهما.

يصرح الدكتور ترومان: "الابوان لا ينكران الحقيقة عادة. ومع أنهما يرتبكان لكنهما يبقيان رابطي الجأش. انهما يفكران في الطفل لا في نفسهما. وسرعان ما يبدأان التفكير بذهن صاف."

لبثت ديبورا في المستشفى مع ديفيد ليل نهار. وهي ككل ام رغبت في المكوث مع ولدها مقدار استطاعتها، مما يعتبره الاطباء والممرضات في مستشفى

---

(١) ابيضاض الدم.
(٢) Lymphocytic leukemia

مساتشوستس العمومي عوناً كبيراً. وتتولى الامهات اعمالا عدة، كترتيب الأسرة وغسل الاطفال واطعامهم واصطحابهم في جولات في الكراسي ذوات الدواليب.

ان الزيارات التي لا تحصى الى العيادة وفحوص الدم، والعقاقير المحقونة في الاوردة والخوف والاوجاع، كلها تجعل محنة الام معادلة لمحنة الطفل، اذ عليها ان تبقى على مقربة منه غير قادرة على تحمل ألمه بنفسها.

ويحيا الابوان على الامل. واذ يقول الطبيب للام: "لدينا فرصة خمسة في المئة للنجاح،" لا تراود ذهنها نسبة الـ٩٥ في المئة، بل انها تحدق الى الخمسة، الى الحياة.

طراز نادر — اجتاز ديفيد فترة الشهر الحرجة. وفيما هو في فترة النقاهة صحبته أمه الى البيت. ولم يكن احد في استقبالهما، اذ ان الجيران أبقوا أطفالهم بعيداً مخافة تعريضهم للعدوى. وفي مكتب البريد صادفت ديبورا صديقتها التي انفجرت باكية وتمتمت وهي تنشج: "لا أدري ماذا أقول لك." ثم ولت هاربة. ووجدت ديبورا نفسها، كألوف الامهات من قبلها، تؤاسي الذين ينبغي ان يؤاسوها والذين ما كانوا ليفعلوا ذلك لو علموا كيف.

الامهات الماكثات في المستشفيات يذكرن الاناس الخرق، لكنهن يذكرن بجلاء اكبر اشخاصاً متميزين: الزوجين العجوزين في المنزل المجاور اللذين يوليان الرضيع عنايتهما فيما الطفل العليل في المستشفى، والأخت أم الاطفال الاربعة التي تقود سيارتها مسافة ٨٠ كيلومتراً كي تنظف المنزل، والجيران الذين يضعون طعام العشاء على عتبة المنزل، والجدة التي تحمل ثماني عشرة رزمة مغلفة بورق الهدايا الى قسم الاطفال. ان أناساً كهؤلاء يساعدون الابوين اللذين يحاولان ادراك ما يحدث لهما.

والامهات يعتبرن الاطفال المرضى طرازاً نادراً وبطولياً. وقد تحدثن الي جميعاً عن القوة المكنونة فيهم. واذا أدين عملهن على خير وجه، فانهن يصررن على ان الاطفال أرشدوهن الى السبيل.

كل الاطفال — لم يبك ديفيد قط في غرفة الانتظار، ومع ان "أصحابه" في العيادة آلموه ووخزوه بالابر، فانه اندفع الى الداخل متقدماً امه بابتسامة، واثقاً بالترحاب الذي يلقاه دوماً.

واضطر ديفيد مرة الى اجراء "ثقب في أسفل ظهره" (٣) وهي عملية موجعة في كل الاعمار. وقد تم توضيح الامر له بأن الدكتور ترومان، نظراً الى مرضه، مضطر الى القيام بما يجعله يتحسن. وقالت له ديبورا: "اذا كان ذلك مؤلماً، فتذكر انه نابع من حب الدكتور لك."

وكانت جراحة مريعة استلزمت وجود ثلاث ممرضات لإمساك ديفيد وتثبيته من دون حراك فيما هو يصرخ وينشج ويقاوم. واذ أوشك الامر على الانتهاء أخذ الصبي المنتقع في العرق والدموع يرمق الطبيب

---

(٣) Lumbar puncture أو الوخز القَطَني.

لاهثاً وقال له: "شكراً لك يا دكتور ترومان لأنك أوجعتني."

وانقبضت ملامح الطبيب واغرورقت عيناه بالدموع. ولم تكن الممرضات أفضل حالا. أما ديبورا وديف فكانا منهارين، ولكن هذه هي طباع ديفيد. وكل الاطفال، بحسب علمه، يمرون بتلك التجربة في السن الثالثة والنصف.

نبل وطيبة – كيف يستحضر الآباء والامهات القوة للاستمرار المخلص خلال اشهر وسنين من مرض اطفالهم؟

انهم يتكلمون ببساطة:

"يخبرني الناس أني قوي. أنا لست بقوي. المرء يبذل ما في مستطاعه. وماذا لديه سوى ذلك؟"

"تكون منهكاً أحياناً وتقول: لا ارغب في فعل ذلك بعد الآن. وتبحث عمن يقوم به سواك، فلا تلقى احداً غيرك."

"يظن الناس أن ذلك يحدث فقط لاولئك الاقوياء القادرين على التحمل. لا، هذا ليس صحيحاً. انك تقوى اذ يحدث لك ذلك. لقد اصبحت قوية بالايمان والصلاة. ولا أدرك كيف يتدبر الناس أمورهم من دونهما. احسب أن لديهم تلك العطايا، لكنهم يطلقون عليها اسماً آخر."

انها تجربة، كما يقول هؤلاء الآباء والامهات، لا تقضي عليك بل تغيِّرك:

"اني لا آبه بعد الآن للامور السخيفة. فالناس يهتاجون لخدش في السيارة أو لعيد ميلاد منسي. انها لغة أجنبية لا أفقهها."

"انك تحيا في الحاضر. لكل يوم أهميته ولكل ساعة أهميتها. هذا جلي. وأنا أكاد لا أتصور كم كنت غبياً فلم أدرك ذلك من قبل."

"كنت حيية في ما مضى. اما الآن فقد أصبحت امرأة قادرة على أي شيء، أقود سيارتي الى أي مكان وأخاطب أياً كان وأجادل الاطباء وأقرع الابواب كي أنال مرادي."

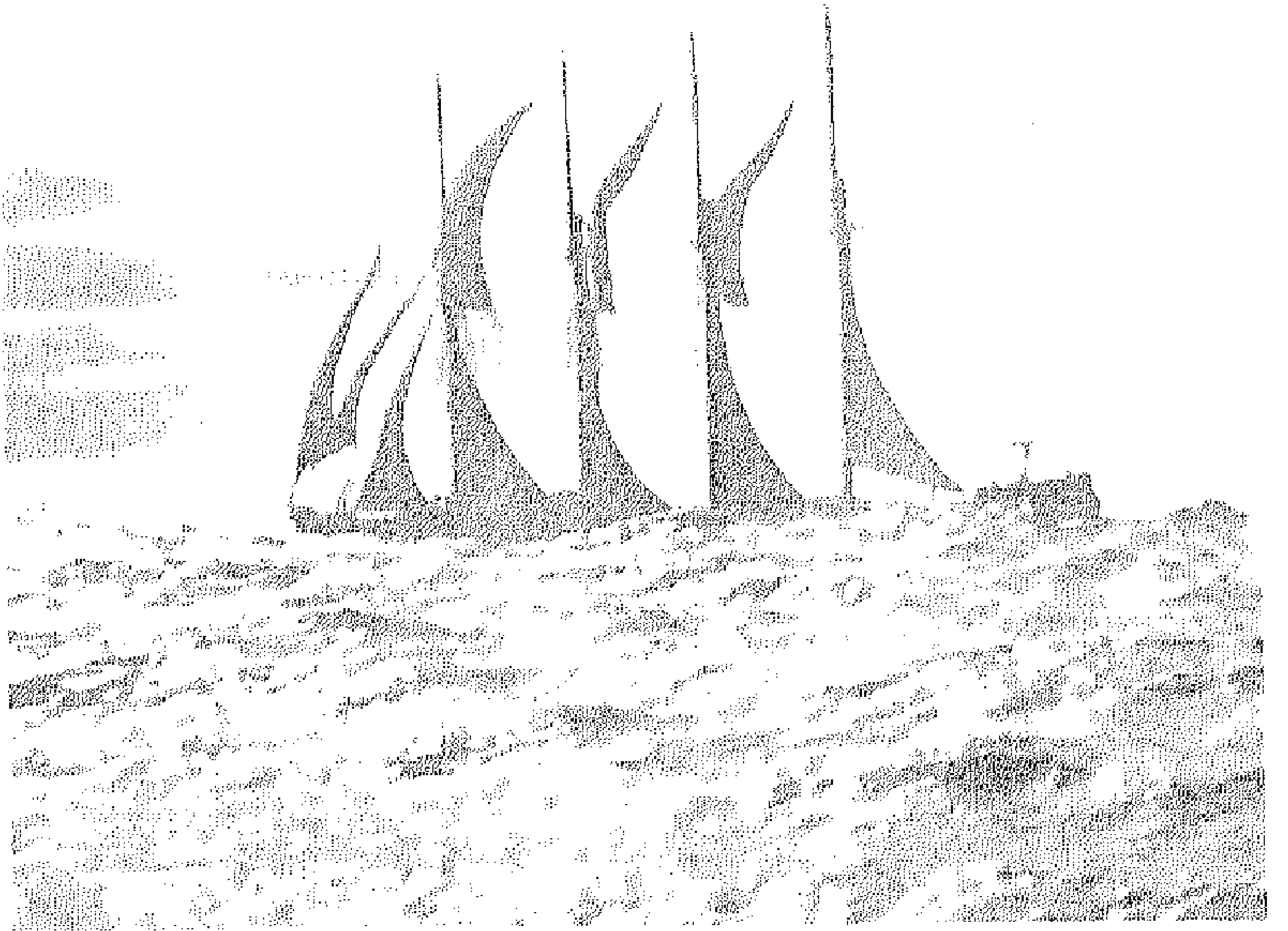
"لقد تعلمت درساً من الذين أسدوا الي العون: اذا وقع أحد الناس في ورطة، فلا تتوانَ عن اقحام نفسك والتفوه بكلام ما. ولا بأس ان لم تتمالك عن البكاء. شارك المريض في مصابه، وامنحه الحب. فالحب الذي تغدقه هو النعمة المنجية في المأساة."

ويقول الدكتور ترومان: "مهما يكن الناس في الظاهر، فالحقيقة الكامنة ان ثمة نبلا وطيبة في كل نفس بشرية، وهما يزهران زمن المحنة." ويضيف: "أنا محظوظ، ففي عملي هذا التقي أناساً في أسوأ حالاتهم، لكني أراهم أيضاً في أحسنها."

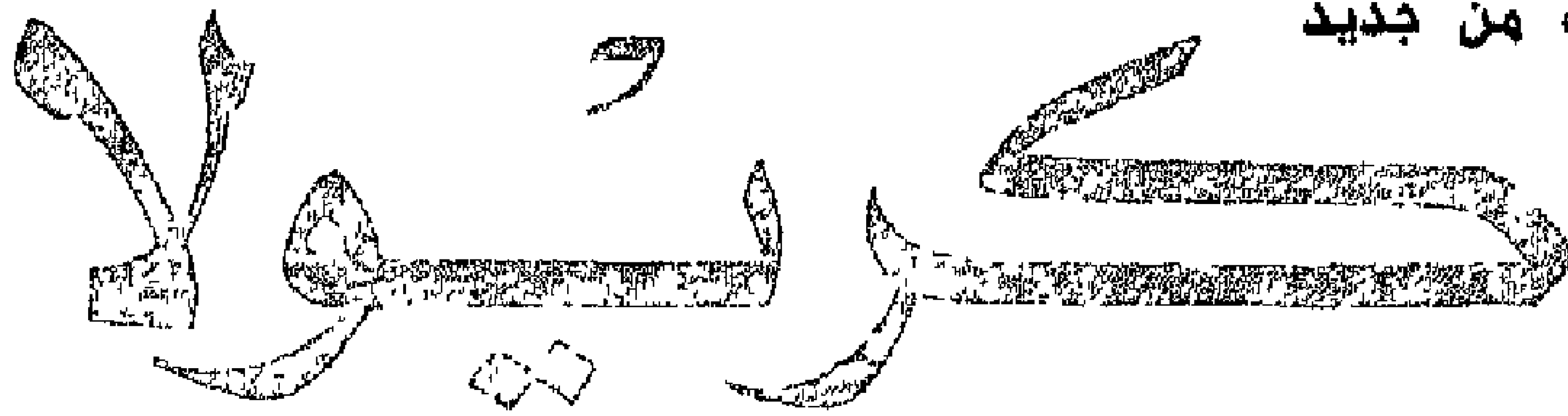
مونيكا ديكنز ■

الكاتبة هي ابنة حفيد الروائي البريطاني تشارلز ديكنز ومؤلفة ٣٤ كتاباً. وقد بدأ اهتمامها بـ"أمهات المستشفيات" حين أصيب حفيدها بداء فيروسي نادر.

ملاحظة من المحرر: لازمت ديبورا وزوجها ديف طفلهما طوال ثلاث سنوات من العلاج الكيميائي والوخز القطني وفحوص نخاع العظم ومعالجة الجمجمة بالاشعة. وبعد سنتين من خمود المرض بات ديفيد يعيش حياة طبيعية ولم يعد في حاجة حتى الى أقراص دواء. وهو اليوم في الخامسة عشرة من عمره وفي صحة ممتازة. وتقول أمه "انه لا يزال يثق بالناس على رغم كل ما عاناه."



سفينة الصيد الشراعية تبحر من جديد فتحيي تقليداً عريقاً



ستبحرُ السفينة القديمة من جديد بصواريها الاربع واشرعتها المنتفخة.

كانت في ما مضى على جانب من الجمال الكلاسيكي، وكان شكلها الانيق والرشيق محبباً لدى مئات الرجال. وإذ يسوء الطالع وبالاوقات العصيبة تحل مما جعلها تهمد وتتحول طيفاً لذاتها السابقة، زري المظهر، بائساً منسياً وسط السخام والصخب في حوض لبناء السفن على نهر تاغوس. اما اليوم فان "كريولا" المزودة أربع صوار هي قيد الترميم لاحياء مجدها السابق، ويعود الفضل الأكبر في ذلك الى الجهود المخلصة التي بذلها رجل واحد.

كانت كريولا بأشرعتها الضخمة المتدلية من صوار شاهقة وبدنها الفولاذي ذي اللمعة البيضاء، آخر السفن الشراعية الباقية من "الاسطول الابيض" البرتغالي الشهير. وقد تم بناؤها في لشبونة وأنزلت الى الماء عام ١٩٣٧ وزودت طاقة اضافية وطعماً مبرداً للصيد ومسباراً للصدى وهيكلا مدعماً لمقاومة الجليد. فكانت سفينة مذهلة في عصرها. وبعد موسم موفق في صيد سمك القد في نيوفاوندلاند وغرينلاند كانت تعود الى لشبونة حاملة ٨٠٠ طن أو اكثر من القد المملح ونحو ٦٠ طناً من زيت كبد القد.

وطوال ٣٦ سنة، بما فيها سنوات الحرب العالمية الثانية المحفوفة بالخطر، من الفجر الى هبوط الليل وكل يوم خلال ستة أشهر من السنة، كانت كريولا تطلق مجموعة من الزوارق الخفيفة يقودها صيادون برتغاليون اشداء فيتحدون الاطواف الجليدية والبحار المهلكة والضباب الكثيف ليعودوا

Photo: Commandante Antonio Marques Da Silva

بالباكالهاو السمين اللذيذ الطعم، وهو الطبق البرتغالي الوطني.

قصص خيالية - دون ضابط البحرية آلان فيليبرز مآثر "الاسطول الابيض" في كتابه الأكثر رواجاً "رحلة المركب الشراعي آرغس،" وتحدث عن صفارة كريولا التي "تنتحب وسط الضباب



المهندس غيمارايس لوباتو

كامرأة نزلت بها مصيبة" ووصف كيف "اننا رأينا كريولا احياناً وسط جبال جليدية ضخمة بعيداً من غرينلاند تندفع جامحة لتتجنب قطعة جليد مهلكة برزت فجأة في طريقها."

وكان الصيادون المساعدون الذين يصطادون بمفردهم في الزوارق المسطحة القعر يشكلون فئة مميزة تواجه الاخطار باستمرار. وقد غرق بعضهم في البحار الجليدية بعيدا من السفينة الأم.

ويقول القبطان أنطونيو ماركيس دا سيلفا (٥٥ عاماً) الذي يعد من أواخر ربابنة السفينة الشراعية في غراند بانكس: "في كل رحلة كان يرافقنا نحو ٥٤ صياداً وجميعهم من الرجال الاقوياء والشجعان والشديدي الايمان."

اما أرماندو مايا روشا (٦٤ عاماً) فهو رجل قوي جريء ضخم الرأس باشر مهنته التي طالت ٣٦ سنة، كبحار عادي على ظهر السفينة. انه حالياً صياد متقاعد يتجول داخل غرفة محرك كريولا ويضحك بخفوت اذ يتذكر العمود الضخم في مقدمها حين طعن قطار شحن على أحد أرصفة ميناء في كندا، ثم يتذكر بأسى الرحلة الثانية للسفينة عام ١٩٣٨، وفي أثنائها جرفت موجة عارمة أربعة من زملائه فقضوا غرقاً.

وما زال أفراد طاقم كريولا المنتشرون في انحاء وطنهم ينزعون الى رواية قصص أقرب الى الخيال، كقصة زميل لهم تميز بصلابة العود، تاه مرة في ضباب غراند بانكس وظلوا يتفجعون عليه سنوات الى أن شاهدوا "شبحه" في صباح احد الايام المشمسة يطوف في الشارع الرئيسي في بلدته. وتبين في النهاية ان سفينة شراعية انتشلت الرجل الغارق على مسافة بعيدة جداً في عرض البحر. وبفضل التشبث الذي يميز معشره شق طريقه براً حتى البرتغال انطلاقاً من... الصين.

احياء أسطورة - حين أكرهت التقنية المتطورة كريولا على التقاعد عام ١٩٧٣ وضعت الحكومة البرتغالية خطة لتحويلها متحفاً. لكنها ظلت طوال اربع سنوات مهملة مجردة من صواريها، فخط الصدأ بدنها ونتنت حبال اشرعتها وصواريها. وفي ما بعد عمد لويس دي غيمارايس لوباتو، وهو مهندس مدني يهوى الابحار في اليخوت ومؤسس الجمعية البرتغالية للتدريب على الابحار (APORVELA) ورئيسها الى اقناع وزير الدولة لشؤون

Photo: Joa Freire

المسامك باعادة النظر في مصير السفينة.

قال: "يجب ان تكون السفينة معلماً وطنياً حياً، لا رفاتاً في الحوض الجاف." وقد أراد أن تجوب كريولا عرض البحر من جديد وتصبح سفينةً لتدريب البرتغاليين الشباب المتحمّسين للابحار، فتساعِد في الحفاظ على التراث البحريّ العظيم للبرتغال.

وبفضل حملة لوباتو مولت الحكومة البرتغاليّة ترميم كريولا البالغ طولها ٧٠،٥ متراً. وكلّف المشروع نحو ١٥٠ مليون اسكودا. والى طاقمها الدائم فان نحو ٦٠ متدرباً يشغلون السفينة سيصبحون جزءاً من اسطورة كريولا.

وحين تبحِر السفينة الفخمة المفتخرة بأمجادها الماضية، ستحيا من جديد كلمات الضابط فيليبرز عنٰ كل صيّاد في زورق مسطّح القعر:

"كانت قدماه فوق الارض على رغم أنه كان طوال نصف السنة بدوسِ الالواح الخشبية الهشة في زورق مسطّح القعر في القطب الشمالي. وكان في اعتقادي رجلا قريباً جداً من الله.

"في البحر كانت حياته ملك يديه. كان يعرفُ درب البحر ودرب الرب. وإذ كان عالماً بهذه الامور فقد كان محظوظاً."

اريك روبنس ■



العصفور والخيط

كانت ليلة باردة وعاصفة ونحن في طريقنا الى محطة للوقود يتولى فيها أصحاب السيارات ملء خزاناتهم بأنفسهم. وطلب زوجي أن أعيره قفازيّ قائلا: "ان مقبض مضخة الوقود بارد كالثلج في هذا الطقس."

وحين دخلنا المحطة اكتشفنا أن صاحبها وجد حلا لهذه المشكلة.

رأينا قفازاً من الصوف الاحمر يتدلى من خيط مربوط بمقبض كل مضخة.

ش.غ.

الطائرة والبالونات

فيما كنت أهم بركوب الطائرة لاحظت فتاة صغيرة تمسك بيدها ضمة منٰ البالونات. وقالت لها المضيفة حائرة انه يسمح لكل راكب بادخال بالون واحد الى الطائرة.

واختارت الفتاة بالونين وهي تبكي، واحداً لابيها وواحداً لها، وتخلت عن البقية. ورأى أحد الركاب ما جرى فتقدم وجمع البالونات كلها ثم أخذ يوزعها على الركاب. وبعد هبوط الطائرة خرجت الفتاة سعيدة وهي تمسك ضمة البالونات كلها.

ك.ب.

لماذا لا نزين شوارعنا بأجمل الالوان؟



عام ١٩٨٢ قالت ليدي بيرد جونسون أرملة الرئيس الامريكي السابق ليندون جونسون: "اعتبروا هذا ايجاراً أدفعه بدل الحيز الذي احتللته في هذا العالم الممتع." أما مناسبة هذا الكلام فهو عيد ميلادها السبعون. وموضوعه ١٢٥ ألف دولار و٤٢ هكتاراً من الأرض الخصبة المحاذية لنهر كولورادو شرق مدينة أوستن في ولاية تكساس، قدمتها هدية الى الوطن.

وكانت السيدة جونسون من رواد تجميل الطرق في غضون السنوات التي حكم فيها زوجها الولايات المتحدة الأمريكية. أما الآن فهي تمنح الارض والمال الى مركز لابحاث الأزهار البرية سيخدم زارعي الازهار والحدائقيين والعلماء ومحبي الجمال في أنحاء البلاد.

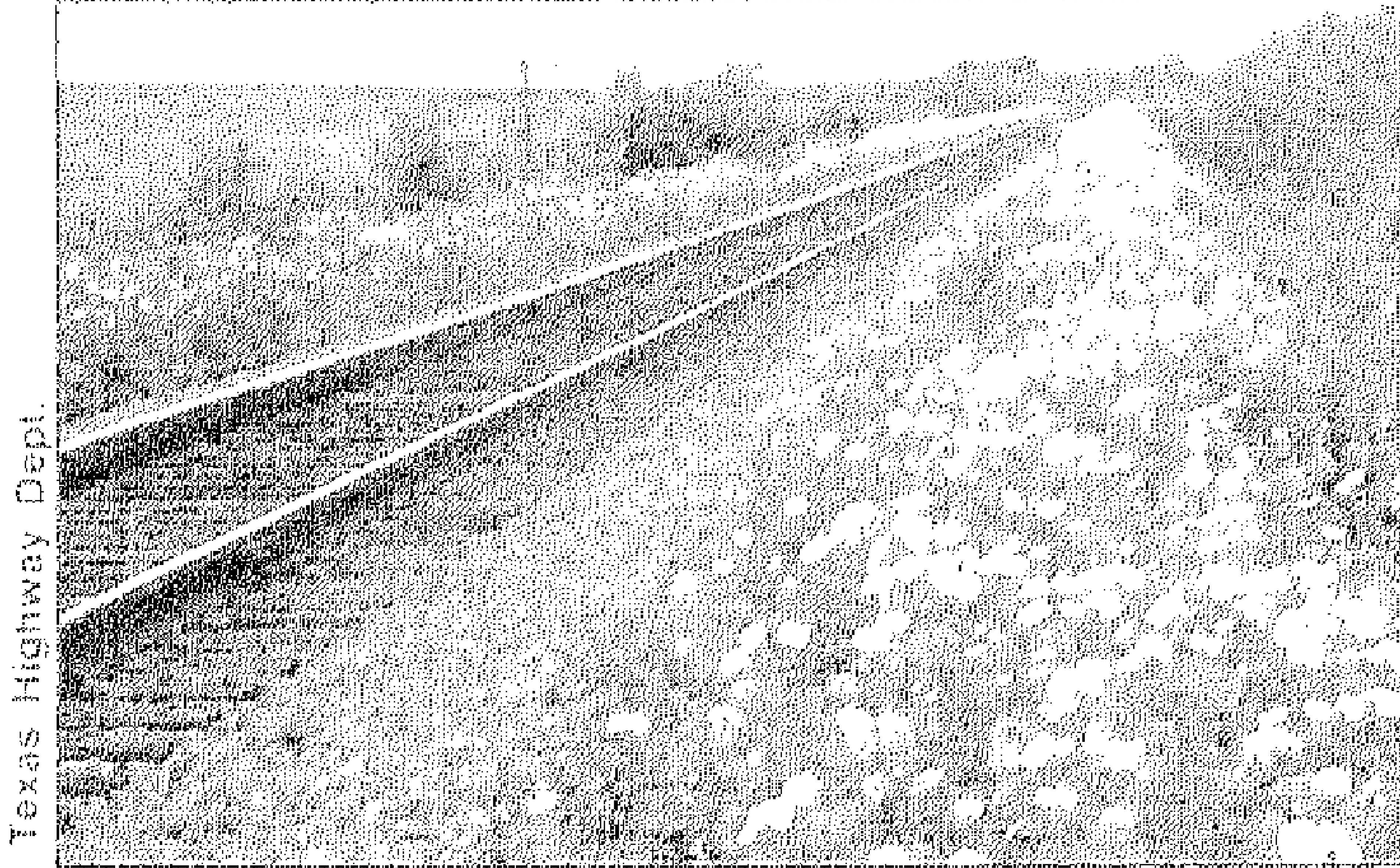
واليوم بعد نحو أربع سنوات من النمو البطيء الثابت يقبع المركز الوطني لابحاث الازهار البرية في بناء منخفض طويل محاط بأوتاد مصطفة عبر

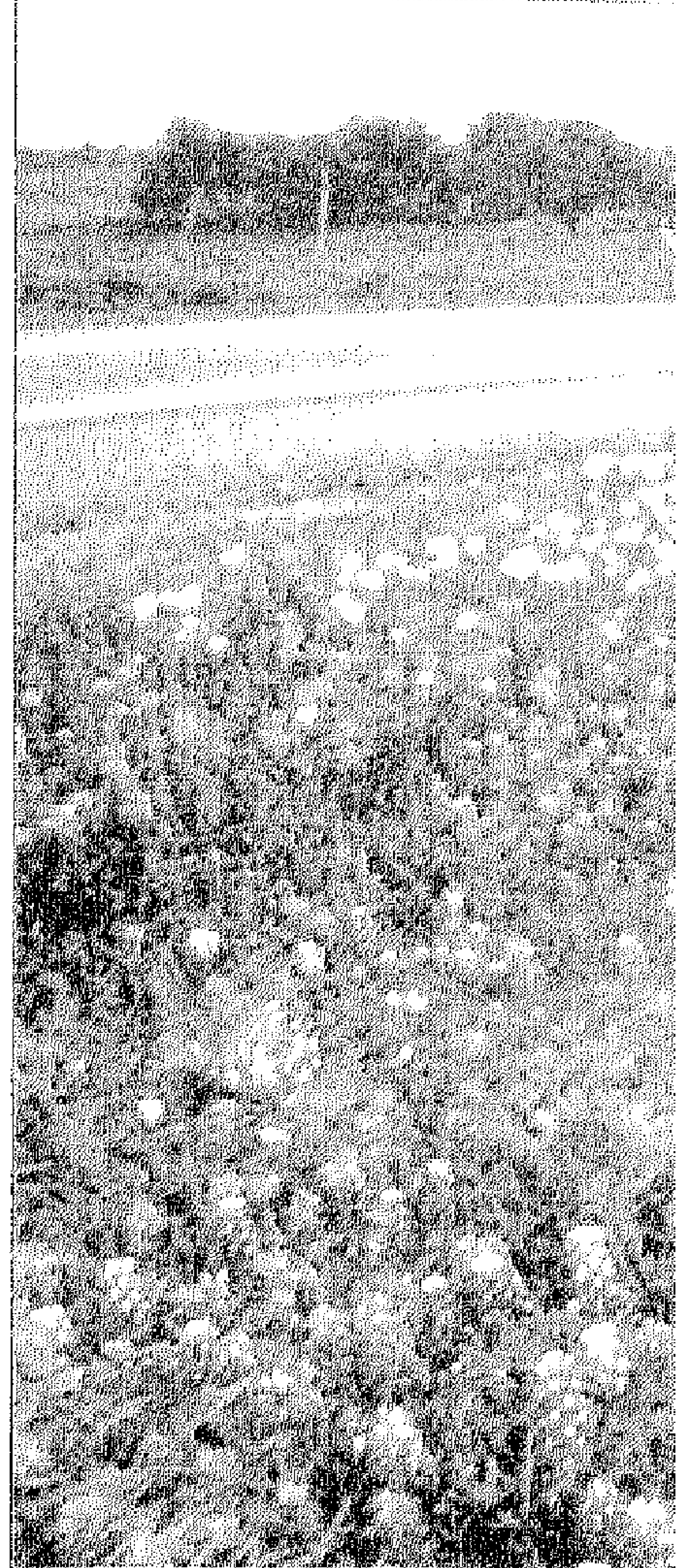


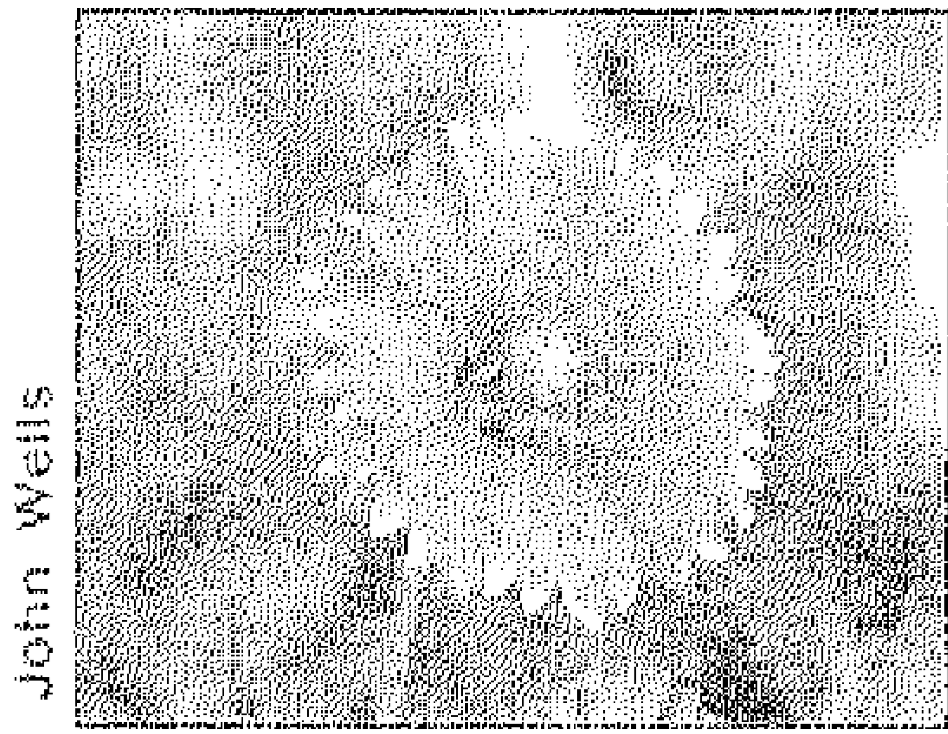
المروج تفصل بين أراض للتجارب والعروض تجرى فيها الاختبارات على نحو دائم. وفي كل ربيع يتوافد الزوار بأعداد متزايدة للتمتع بزهر الفلوكس البري والفرشاة الهندية والقلنسوة التكساسية... وللتعلم أيضاً.

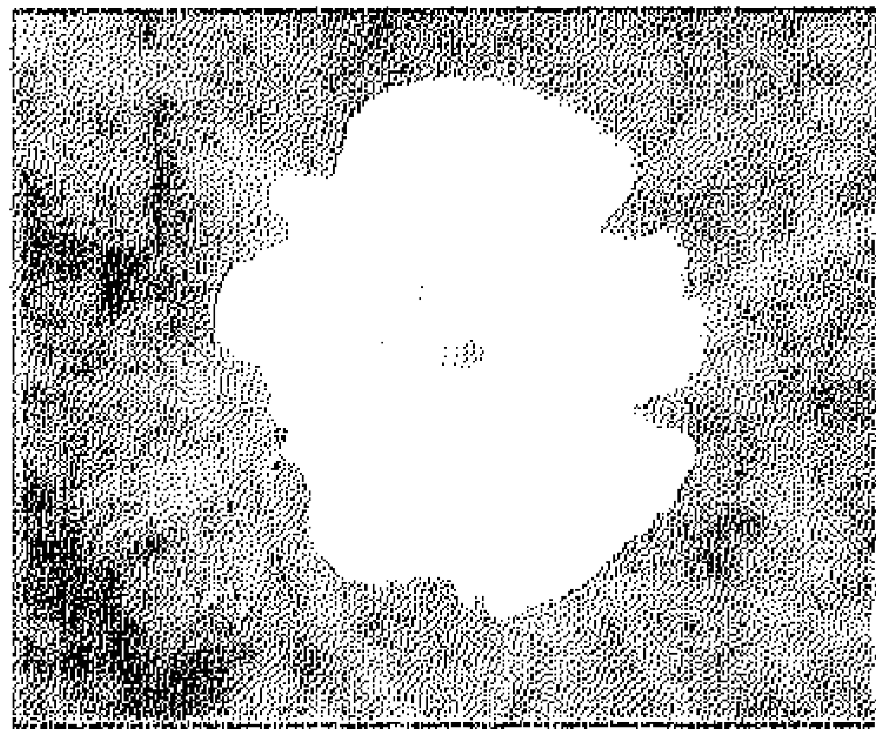
والمركز هو في المرتبة الأولى دار مقاصة يتبادل فيها الناس المعلومات عن الأزهار البرية، ومنهم البحاثة ومهندسو الجنائن والطرق العامة والطلاب. ويتعجب مدير المركز ديفيد نورثينغتون: "في سنتنا الاولى تلقينا ألوف الاتصالات الهاتفية من أشخاص يستفسرون من أين يشترون البذور، وأين يجدون مشاتل زراعية

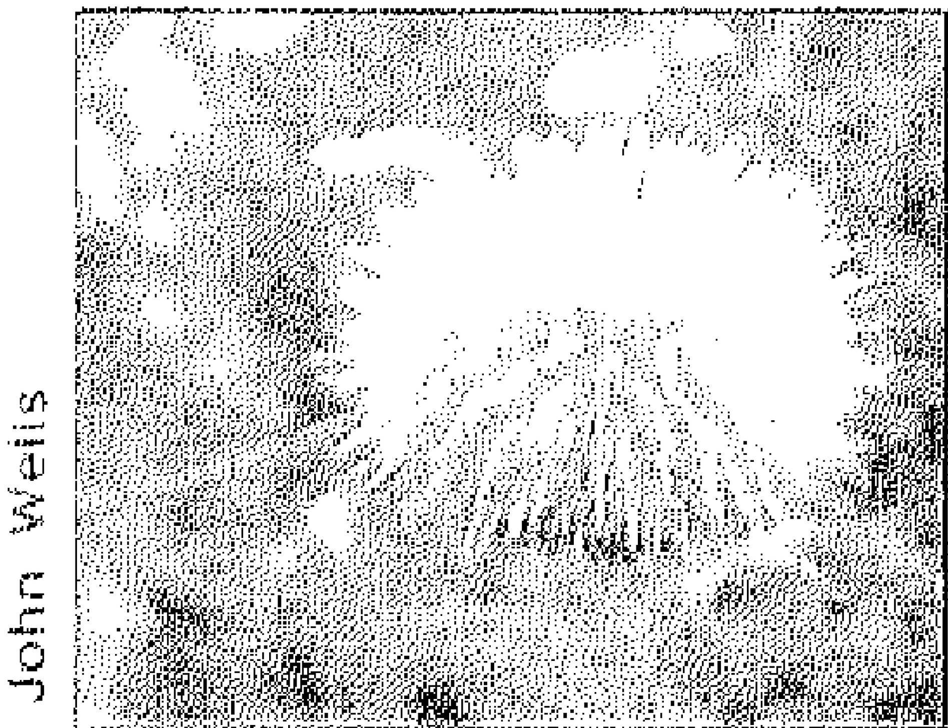
(فوق) فلانس زرق وزهر البق وفراشيّ هندية على جانب طريق عامة في تكساس. (الى اليسار) ليدي بيرد جونسون. (أعلى اليسار) خشخاش منثور على جانبي سكة حديد في تكساس (في الوسط من اليمين) خشخاشة بيضاء شائكة وغيردية هندية. (تحت من اليمين) صبّيرة القنفذ وشوكة تكساس.


Texas Highway Dept.




John Wells




John Wells



تبيع أزهاراً برية، وأي نباتات تلائم طبيعه مناطقهم."

ويشير نورثينغتون الى أن ٨٠ في المئة من النباتات التي يزرعها الناس في جنائنهم غريبة ومجلوبة من بلاد اخرى (exotic). والكثير منها تصعب تربيته اذ يحتاج الى أسمدة خاصة ورش بالمواد الكيميائية المضادة للحشرات والأمراض التي تهاجمها في محيطها الجديد. ويلاحظ نورثينغتون: "لا تكمن المشكلة عادة في قلة العناية، بل في كون النبتة غريبة عن المنطقة. ولذا تذوي وتموت في أوقات البرد أو الحر الشديد. وهنا يبرز السؤال البديهي: لماذا لا نعود

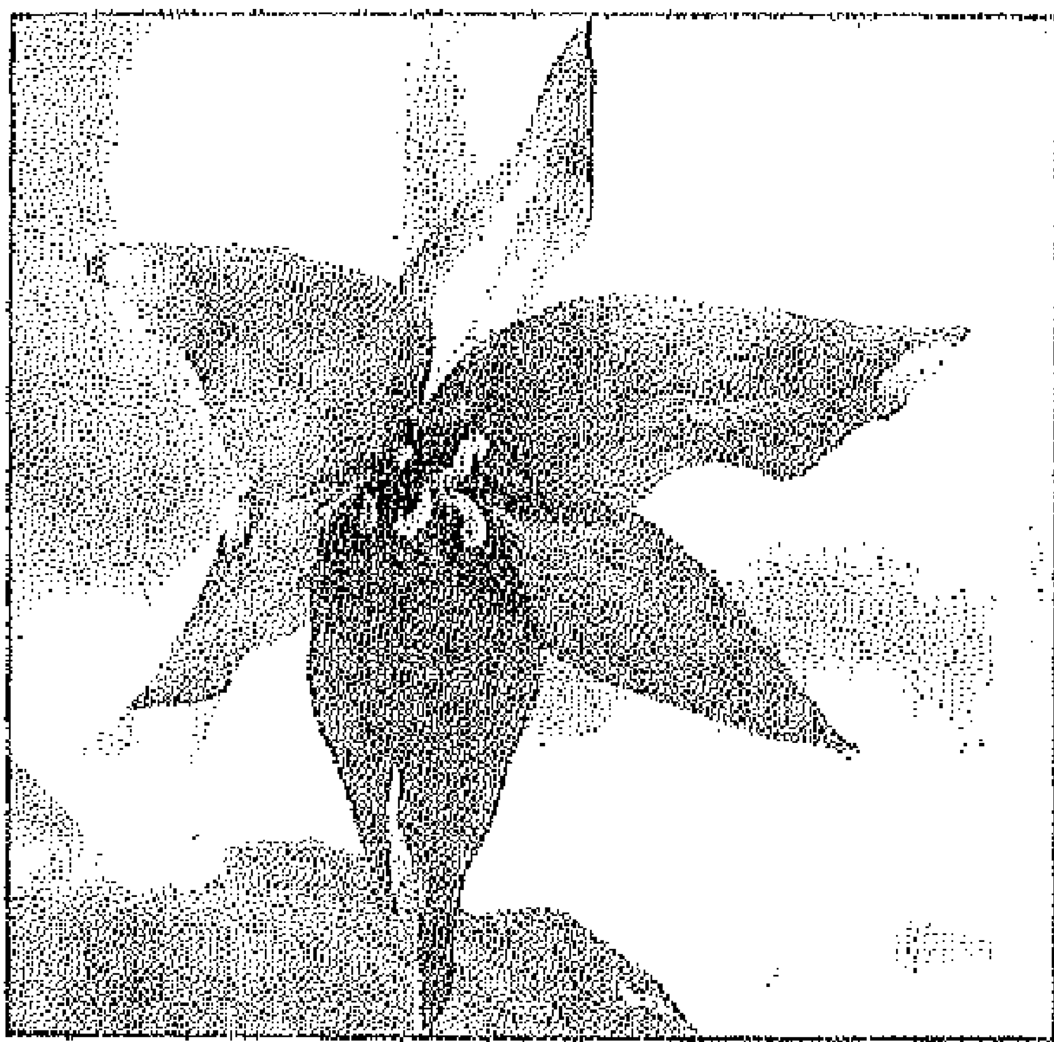

John Wells

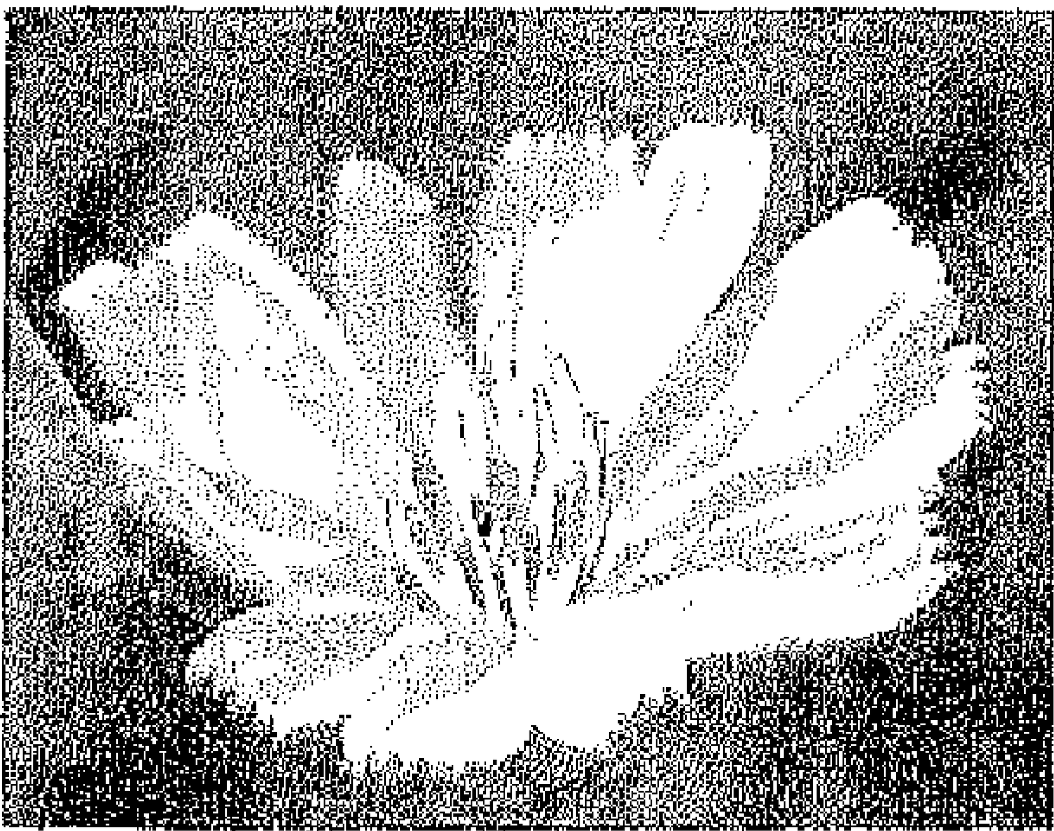
الى ما هو طبيعي؟"

يقدِّر العارفون أن هناك ٣٠ ألف جنس من الازهار البرية الأمريكية الاصل. وتستنهض السيدة جونسون فخر كل ولاية حين تدعو "فيرمونت لتبدو مثل فيرمونت وكاليفورنيا مثل كاليفورنيا وتكساس مثل تكساس، كل منها جميلة على طريقتها الخاصة وكل تحكي بلكنتها المميزة." ويردد نورثينغتون صدى مشاعرها: "اننا نكتشف أن نباتاتنا الوطنية تضاهي بجمالها تلك المستوردة إن لم تكن أجمل منها."

أكثر من نصف الولايات الامريكية اختبر الوقع الذي يخلفه تزيين الطرق العامة بالأزهار البرية. فأخذت تكساس على عاتقها اجراء اختبار في ثلاث مقاطعات مختارة قبل ثلاث سنوات. فجز قسم من النباتات الملاصقة للطريق لضمان سلامة

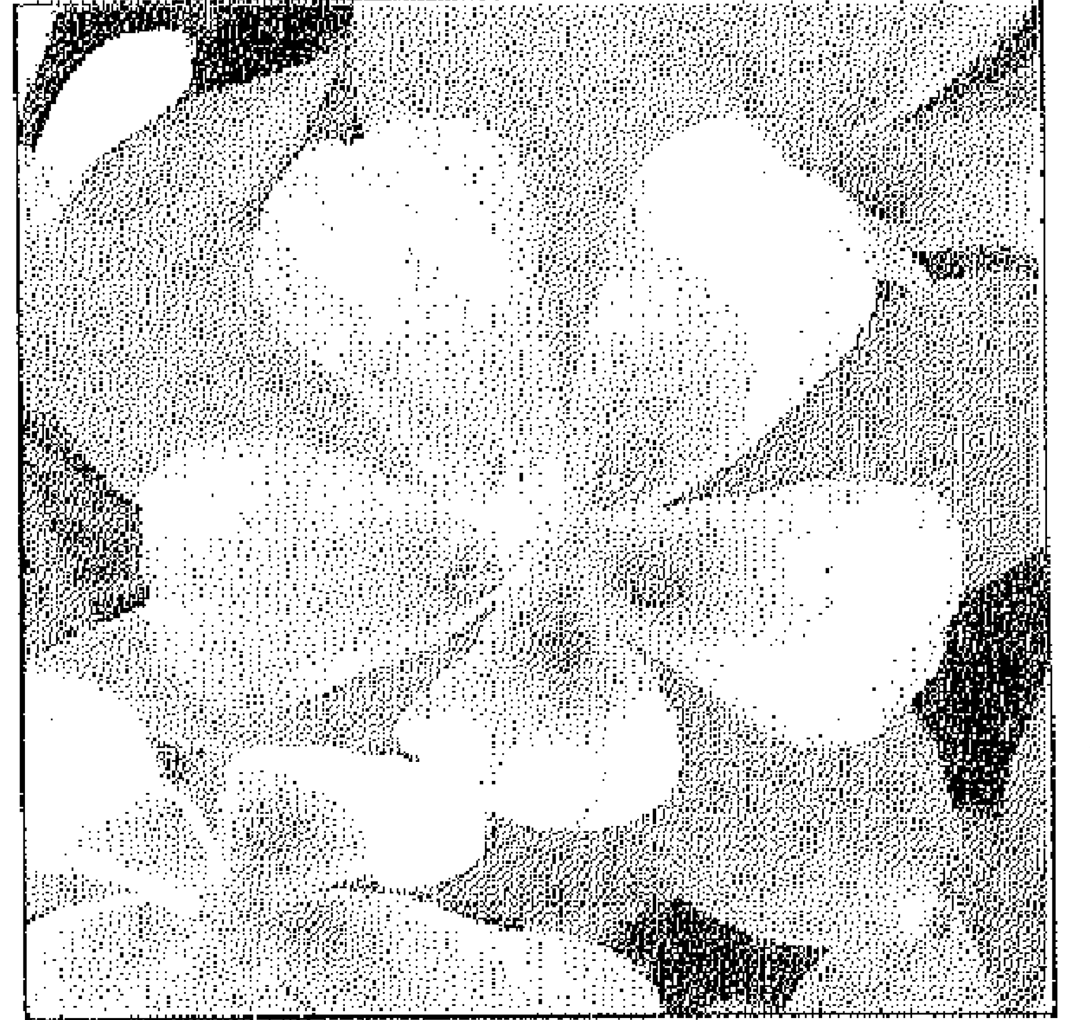
Wil Panich

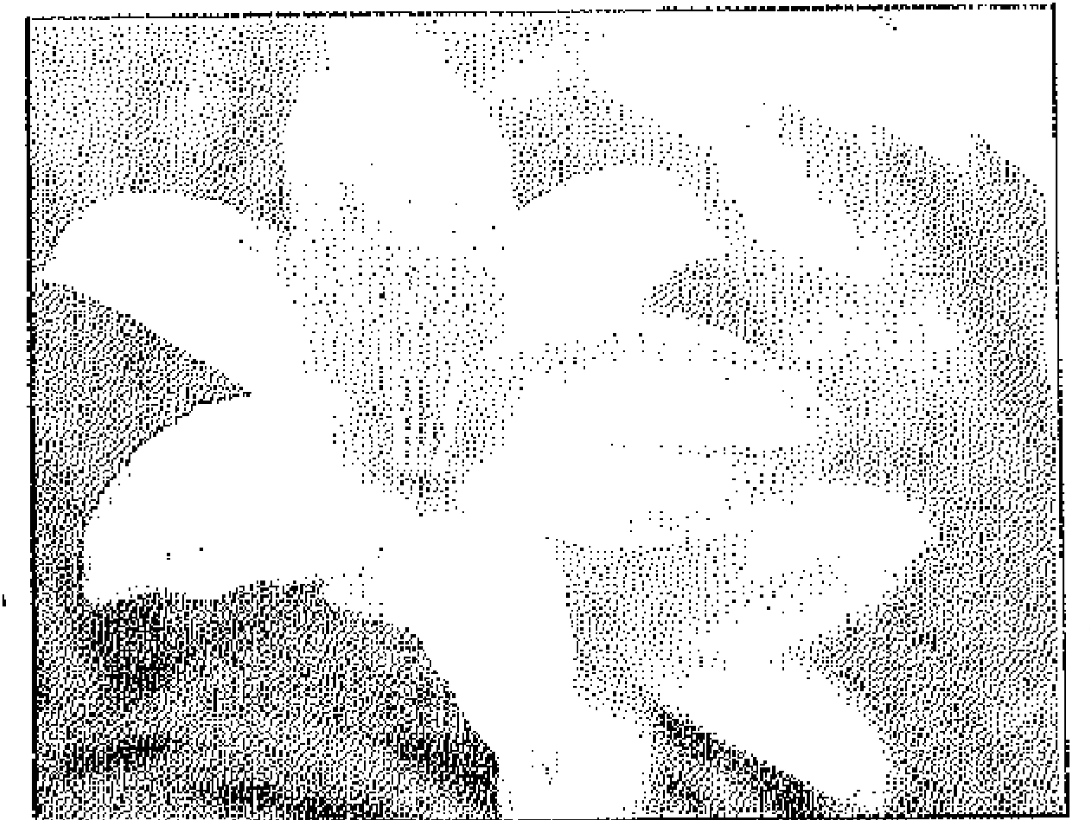

Walter Chandoha


Walter Chandoha

(فوق) "لوحة" تشابمان كيلي في شيكاغو.
(في الوسط) بلسمينة نننة.
(تحت) هندباء عادية.


David Muench


David Muench


Joe Hayles / Stills, Inc.

(فوق) اذن البغل وابرة الراعي في جبال تيتون بولاية ويومنغ. (في الوسط) حوضية زرقاء. (تحت) سوسنة نهارية صفراء.

السير، فيما ترك القسم المتبقي ينمو على سجيته حتى الشتاء، وذلك بعدما أعطيت النباتات الفرصة لتطلق بذارها. وعلى رغم مظهرها "غير المرتب" أواخر الخريف إلا أن النتائج جاءت مرضية جداً. فراح المسافرون يعبِّرون عن فرحتهم بالتشكيلة الواسعة من الازهار الملونة التي تزين الطرق، وقلّ رمي النفايات وعادت الطيور ومعها الحياة البرية. والى ذلك كله قلّت تكاليف جز الاعشاب بنسبة ٢٣ في المئة. ومن المنتظر أن يعمَّم هذا البرنامج على كل ولاية تكساس مع نهاية هذه السنة.

وأدخلت الأزهار البرية المدن أيضاً. ففي شيكاغو أبدع الفنان تشابمان كيلي لوحة حية في متنزه غرانت مستخدماً أكثر من مليون ونصف مليون شتلة من ٤٧ نوعاً من الازهار البرية.



ونتألف "لوحة" كيلي من اهليلجين عملاقين، كل منهما في حجم ملعب كرة قدم. يزهوان بالألوان من مايو (أيار) الى سبتمبر (أيلول) من كل عام وفيهما نباتات مأخوذة من المروج كنبتة الريشة الزاهية (gayfeather) وأخرى مؤقلمة كزهرة عين الثور الربيعية (oxeye daisy)

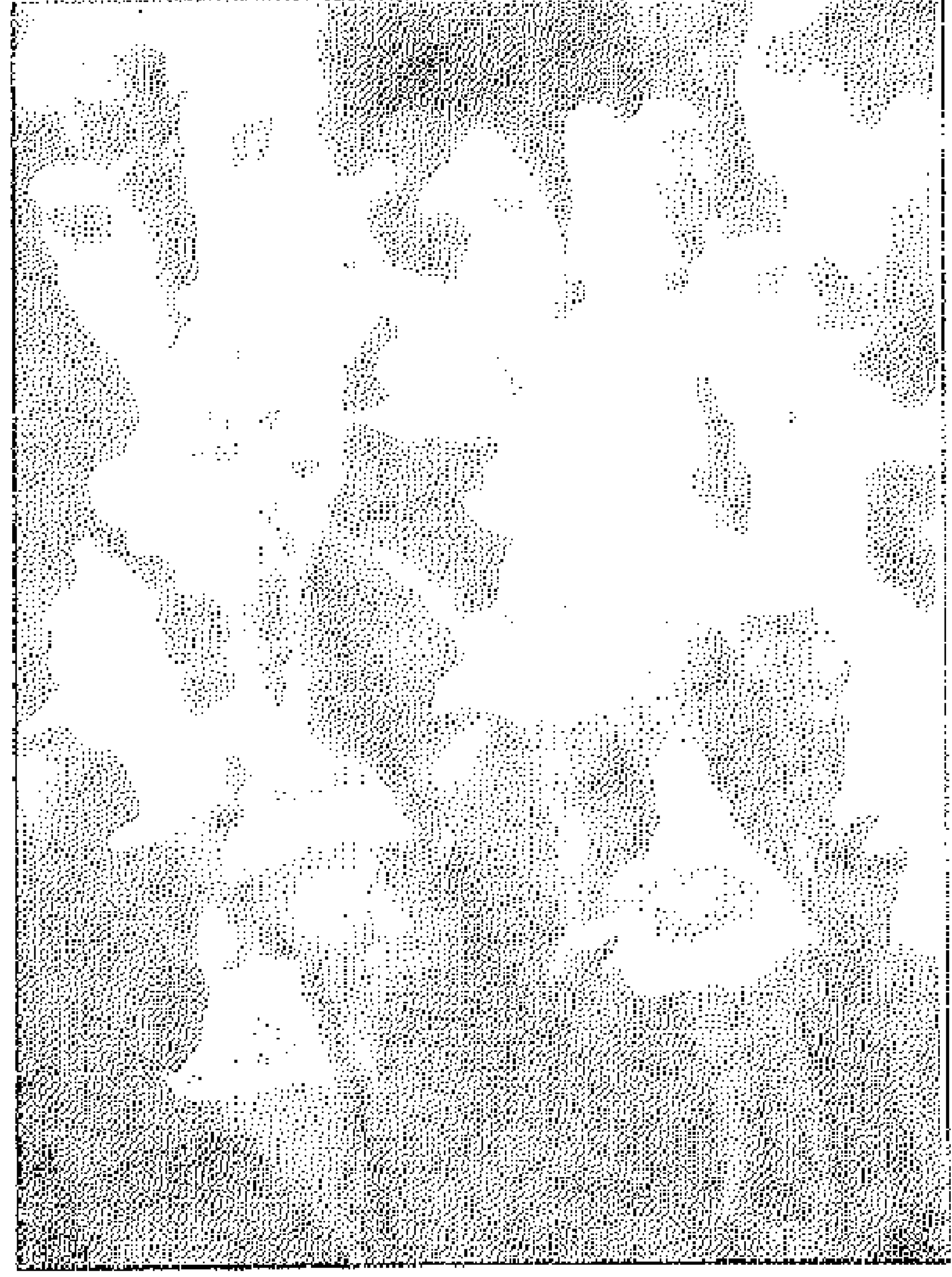
على كتف مدينة نيويورك، على الضفة الغربية لنهر هدسون تمتد جادة باليسادس. وفي العام ١٩٨٥ عمدت لجنة جادة باليسادس، بتمويل من مؤسسة دي ويت والاس مؤسس الـ"ريدرز دايجست"، الى زرع بذار الأزهار البرية في حوالى ٤٠ ألف متر مربع من تلك الطريق البديعة المناظر حيث تمر في ولاية نيوجرزي.

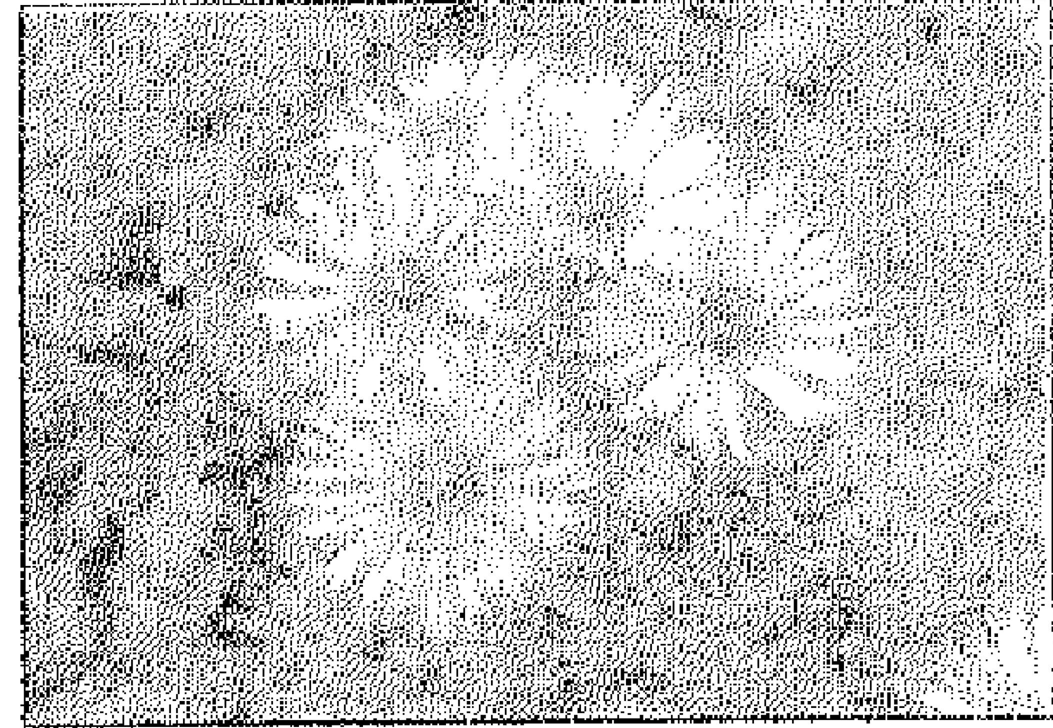
وفي مدينة نيويورك نفسها تزهر حالياً ٢٥٠ قطعة أرض كانت خالية وقبيحة المنظر. فقد تولى مشروع "الابهام الخضراء" لاستصلاح الأراضي زرع هذه البقع بالعشب والبرسيم والأزهار البرية في أربعة من الاقسام الادارية الخمسة لمدينة نيويورك.

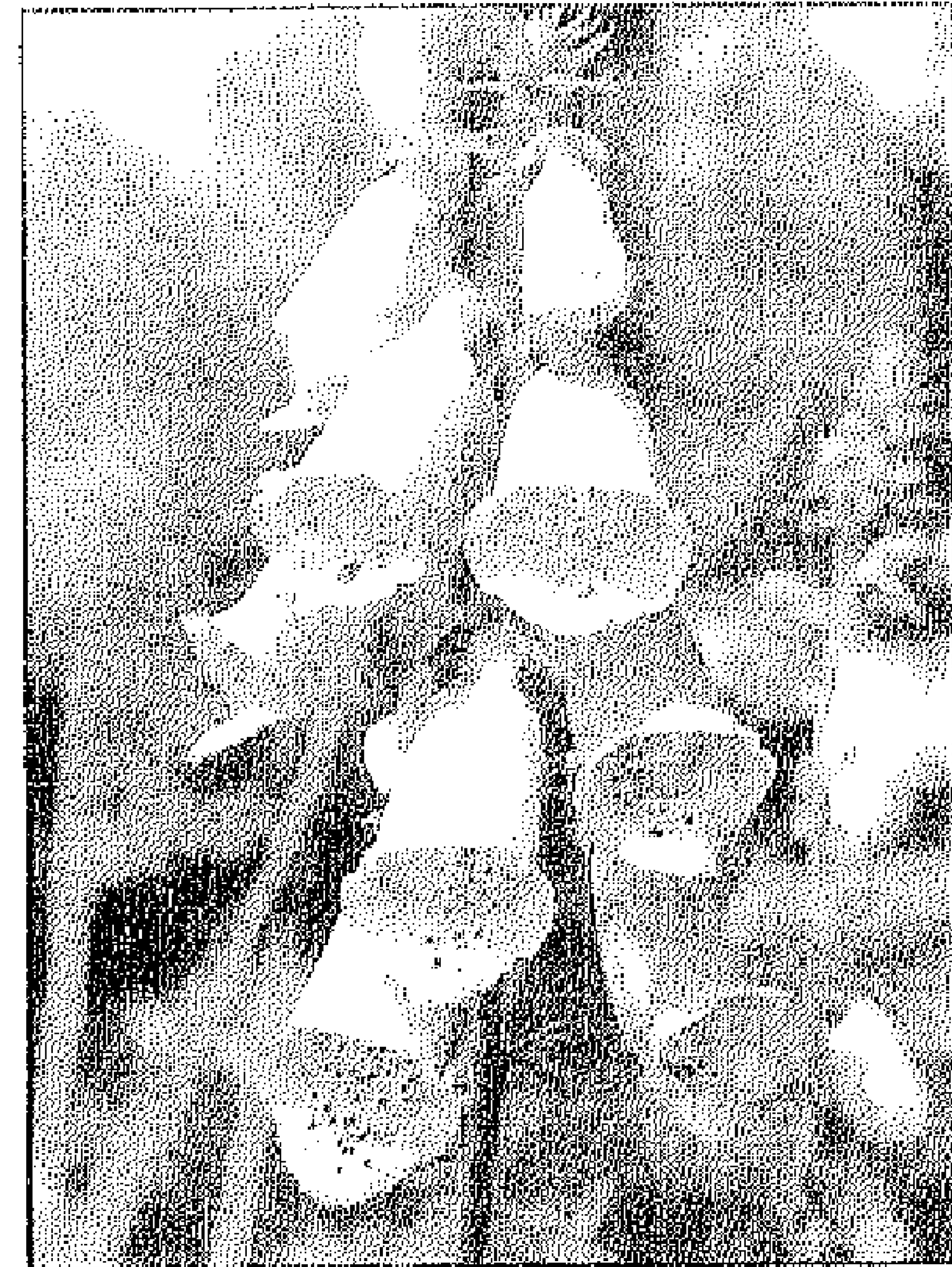
ويقول نورثينغتون: "اننا بُرمجنا خطأً لنعتقد أن الأشياء المقلّمة والمشذبة هي أنيقة بالضرورة." وقد اقترحت السيدة جونسون أن نعيد تدريب أعيننا ونتفهم أن الفصول الوضيعة التي تبذر فيها النباتات هي ضرورية لعودة الأزهار في فصول لاحقة.

وحين يسألها أحدهم: "ماذا يمكن أن ينمو في منطقتي؟" تقترح أن يلتفت محبو الأزهار البرية حولهم، كما فعلت هي، ويلاحظوا ماذا تنبت الطبيعة. وتضيف السيدة جونسون: "طوال حياتي رفعت قبعتي تحية اكبار للمكافحين والصامدين في دروب الحياة. والأزهار البرية والنبتات الوطنية مكافحة وصامدة من ماضينا، وقد تكون مفتاح حل لمستقبلنا."

كانديس ليسلي ■







Photos: John R. Wells

(فوق) "بيض بالزبدة".
(في الوسط) زهر النجمية في نيو انغلند.
(تحت) كف الثعلب.

ينمو زهر الارجوان على ضفاف الجداول وفي المستنقعات والمروج البليلة في الشمال الشرقي والغرب الاوسط من الولايات المتحدة.

كوكو

"تتكلم" كوكو بالاشارة وتقرأ عدداً من الكلمات
وتبدي مشاعر عجيبة حقاً

كوكو وطابة.
Photo: the Gorilla Foundation / National Geographic Society.

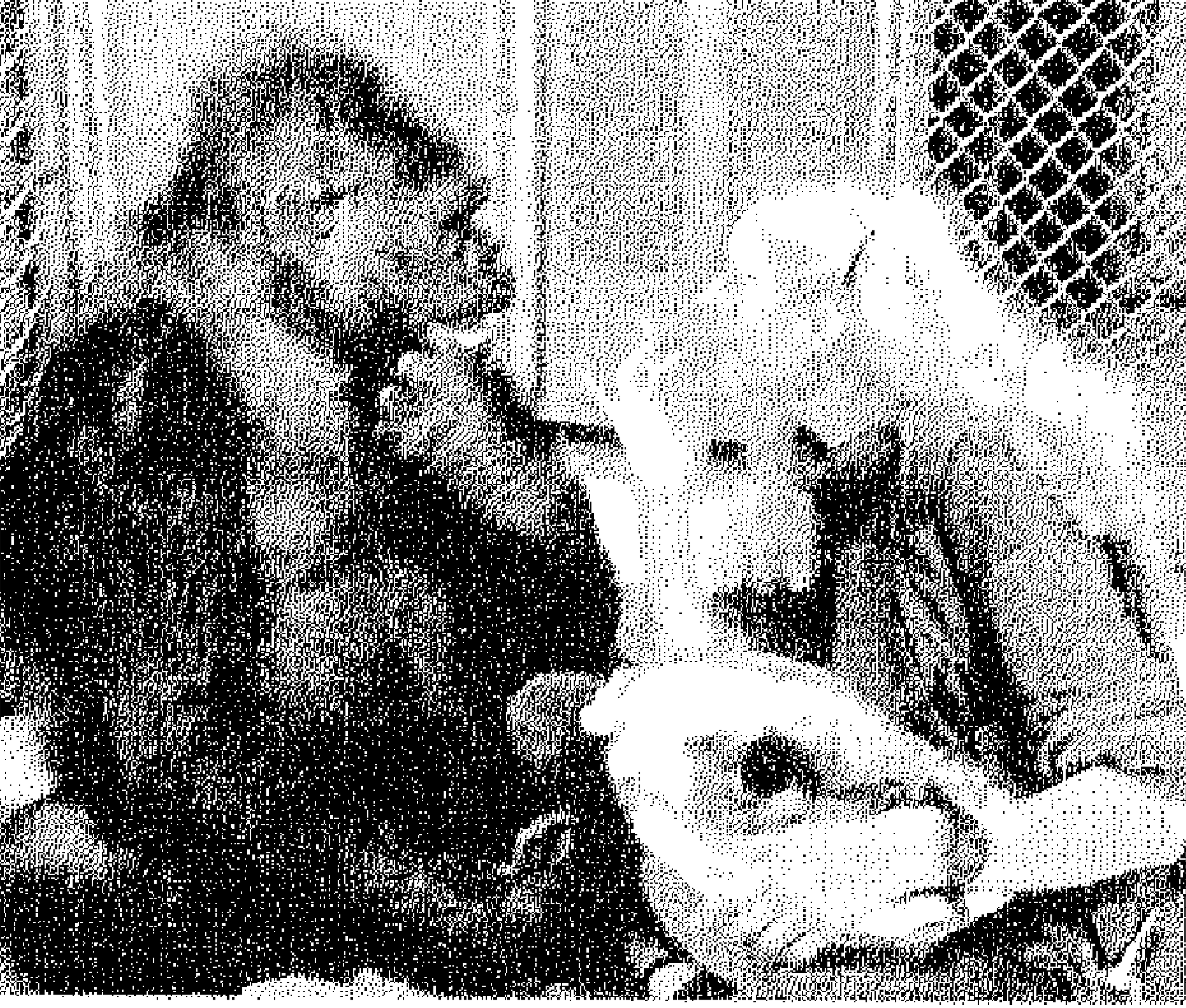
إنها حكاية تجعلك تؤمن بامكان وجود مملكة مسالمة يعايش فيها الأسدُ الحمل. وبطلتها موضوع اختبار لغوي شهير، وهي اكتسبت بلغة الاشارة مفردات يزيد عددها على ستمئة. انها غوريلا تزن ١٠٤ كيلوغرامات وتدعى كوكو.

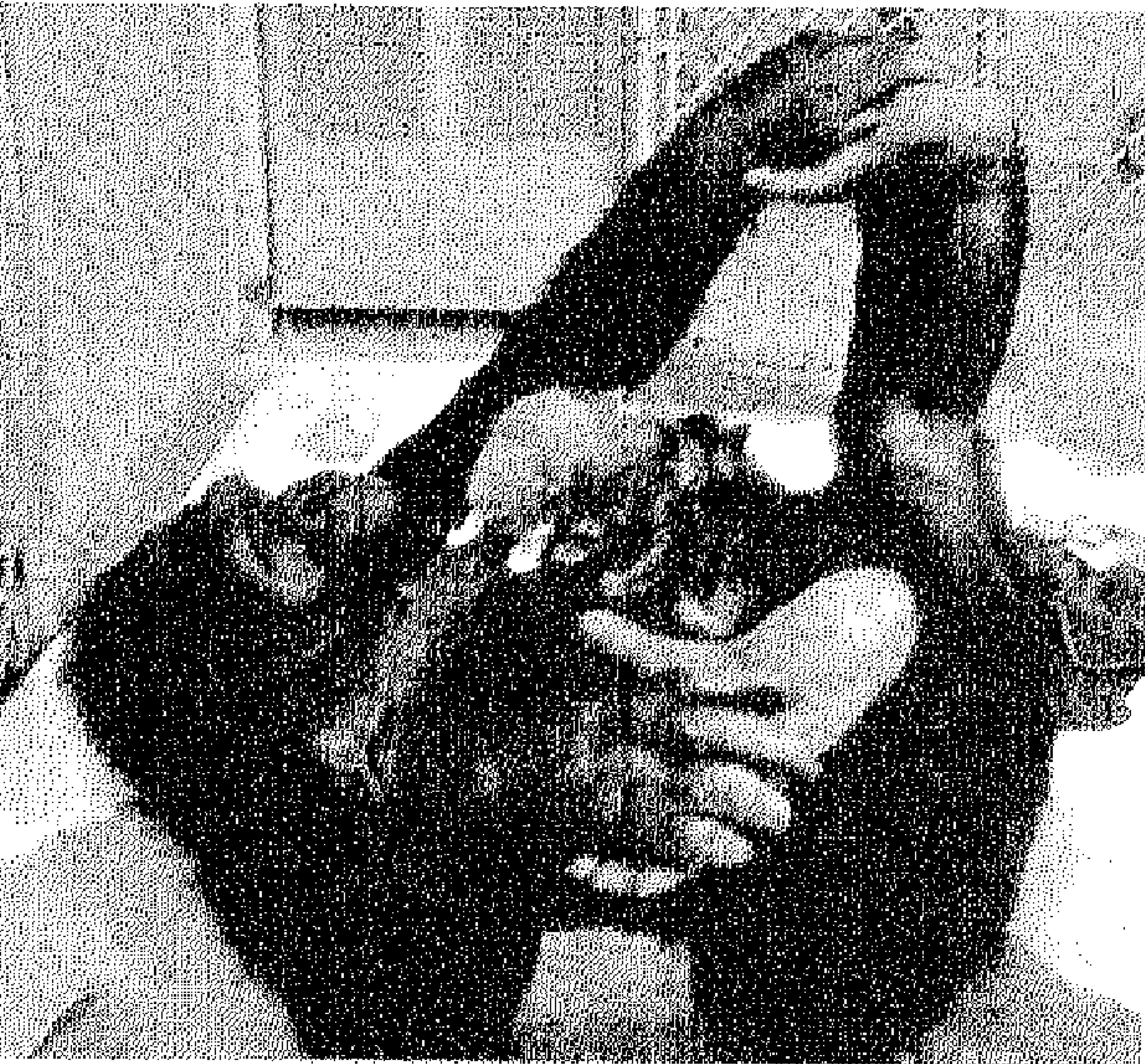
قبل سنتين سألَتْ معلمة كوكو تلميذتها ماذا تريد لمناسبة عيد ميلادها الثاني عشر. فبسطت الغوريلا أصابعها على خديها وراحت تحركها راسمة شكل شاربين: انها الاشارة التي تدل على كلمة "هرة". وهكذا بدأت قصة هيام الوحشة الرهيبة بمجموعة حيوانات صغيرة ضعيفة دللتها وداعبتها وقبلتها وحزنت على احداها عندما نفقت حزناً معبراً.

في طفولتها كانت كوكو تستمتع بمشاهدة الحيوانات الاخرى في حديقة الحيوان في سان فرنسيسكو. وكانت في سنها الاولى عندما قابلت بني باترسون احدى الطالبات المتخرجات في علم النفس في جامعة ستانفورد بولاية كاليفورنيا. في ذلك الوقت كان العلماء أجروا دراسات لغوية على قرود الشمبانزي، لكن أحداً منهم لم يجرؤ على التعامل مع الغوريلا التي اعتبرت عنيدة وصعبة القياد. فأتت باترسون وشرعت "تقولب" يدي تلميذتها بحيث تعودهما تأدية إيماءات لغة الاشارة الامريكية، وهي لغة الصمّ. وفي غضون شهرين برعت كوكو في اداء الاشارات التي تدل على المفردات الآتية: طعام، شراب، أكثر، خارج، كلب، أعطني، فرشاة.

وتدعي باترسون أن كوكو تعرف اليوم عدداً من الاشارات يفوق العدد الذي







فوق: خلَف طابة على كتف كوكو، وهو هر منك أصفر. في الوسط: بني باترسون تسأل كوكو بالاشارة: "المفضل؟" تحت: كوكو تستجيب بمداعبة مرشحين ثلاثة.

Condensed from Life (July '85), 1985 by Time Inc., New York, N.Y.
Photos: Ronald H. Cohn / The Gorilla Foundation.

يعرفه أي حيوان اختباري آخر. حتى انها ابتكرت عبارات ذات تركيب معقد مثل "سوار الاصبع" (أي الخاتم) و"حبة الحلوى" (اي قرص الفيتامين) و"عضة الارض الممزقة" (أي الزلزال). كما انها تستطيع التعرّف الى نحو ٢٤ كلمة مكتوبة.

الاختيار الصعب – تقيم كوكو في صحبة باترسون (٣٨ عاماً) وعالم البيولوجيا رونالد كون (٤١ عاماً) في "مؤسسة الغوريلا" التي كانت سابقاً مزرعة للدجاج، وهي تقع على بعد ٦٥ كيلومتراً الى الجنوب من سان فرنسيسكو. ويؤوي خم للدجاج اليوم دراجة كوكو الثلاثية العجلات ومزلجها ودماها وعدداً من السحالي المطاطية وكتب الاطفال. أما كوكو فتحتل جزءاً من مقطورة يبلغ طولها ١٥ متراً تتقاسمها مع مايكل، وهو غوريلا ذكر يبلغ من العمر اثني عشر عاماً ويجيد نحو ٢٥٠ اشارة يستعمل بعضها (مثل "مطاردة" و"مداعبة" و"عض") مع كوكو خلال فترات لعبهما في الخارج. وقد أخذت كوكو على عاتقها تسمية كلبين أليفين: Apple (تفاحة) و Smile (بسمة)، وتسمية عدد من القطط الزائرة: Candy (حلوى) و Surprise (مفاجأة) و Golden visitor (الزائر الذهبي) و Stink (الرائحة الكريهة) الذي بال في خزانة باترسون.

وعندما طلبت كوكو هرة لها أعطيت دمية صلبة لا تتلف، فراحت تقبلها وتفركها على خدها. وكانت تعاملها برفق شديد. وما ان مضت سنة أشهر حتى أتاها أحد القيمين على رعايتها بهرر ثلاثة من نوع المنك تخلت عنها أمها. فاختارت الغوريلا ذكراً صغيراً رمادي اللون راحت تهدهده على ساقيها، ثم اشارت الى ما معناه: "كوكو تحب هذا، انه ناعم." وبعد يومين أطلقت على الهر الصغير المكوّر الذي لا ذيل له اسم "طابة".

وأمضت كوكو مع طابة ستة أشهر في وئام. فكانت تسرّح شعره وتطعمه الخس المخصص لغذائها وتزيّن رأسه بقبعات وتضمه الى صدرها وتشير بما معناه: "إرضع."

وعندما بلغ طابة شهره السابع هرب الى الطريق فرهسته احدى السيارات. وقالت باترسون للغوريلا بصوت مرتج وهي تحادثها بالاشارات: "وجدنا طابة. لقد رهسته احدى السيارات. لن نراه بعد اليوم."

وتلقت كوكو الخبر بصمت، ثم شرعت تنتحب بأسى كما فعلت يوم تركتها باترسون طوال الليل. وظلت كوكو شهرين في حال من الكبت النفسي. وكثيراً ما كانت تبكي وحيدة. ولما سألوها عما تريده لمناسبة عيد الميلاد أشارت بتردد الى ما معناه: "هر، هر، هر نمر." وما ان اتتها باترسون بهر منك أصفر حتى أخذته بين ذراعيها وراحت تهدهده ثم أشارت: "طفل." وبعدما كان طابة يتسلل كل ليلة من تحت شبكة الاسلاك ليرقد الى جانب كوكو، راح الهر الجديد يهرب منها.

نسل مثقف – في الجانب الآخر من المقطورة أمضى الغوريلا مايكل أسابيع

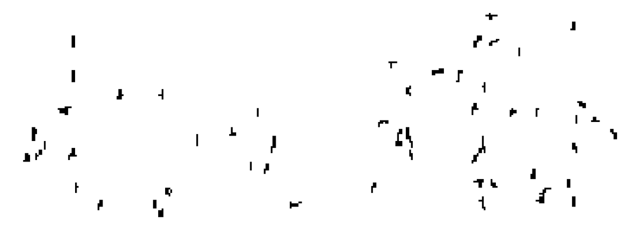
وهو يراقب بكآبة ما يجري وراء السياج الفاصل بينه وبين كوكو. وكان يصدر ضحكة جشاء كلما رأى الهر يطارد لعب كوكو. وفي أحد الايام أشار الى ما معناه: "هرتي لطيفة." فبدا أنه يريد هو أيضاً حيواناً أليفاً. ولما استشيرت كوكو أجابت: "حسناً." فحالما تجد هي القط المناسب يصبح هذا المنك الاصفر ملكاً للعزيز مايكل.

وفي ابريل (نيسان) ١٩٨٥ وضعت أم طابة جراء جديدة. ولاسابيع عدة حارت كوكو بين اختيارين: هرة سوداء وبيضاء مفعمة بالحيوية تشبه في طبعها هر مايكل، وهرة رمادية حنونة تذكّر بطابة راحت تحوم حول كوكو وتتودد اليها ملتمسة الدفء. وكم كان ارتياح باترسون وكون كبيراً عندما قر رأي كوكو على الهرة الرمادية التي سمتها سموكي. وتشرح باترسون الامر قائلة: "هذا عنوان مسرحية عائلية. وما تطلبه كوكو يجب ان تحصل عليه."

لكن لاختبار المررة هدفاً أبعد هو تحضير كوكو لعملية تربية طفلها. اذ تأمل باترسون أن يكون لكوكو ومايكل نسل يعلمانه لغة الاشارة. ولم يعد هذا الحلم مستحيلا، خصوصاً بعدما شوهدت كوكو تقولب أيدي الغوريلات الدمى لتأدية اشارتي "أكل" و"أكثر".

منذ ١٩٧٢ لم تبتعد باترسون عن كوكو أكثر من خمسة أيام متتالية. فكل ليلة تفرك أسنانها بالفرشاة وتدلّك يديها وقدميها بزيت خاص ثم تغادرها الى المنزل المجاور. والى جانب سريرها وضعت جهازاً الكترونياً موصولا بالمقطورة تستمع بواسطته ليلا الى تنفس كوكو ومايكل وشخيرهما في بعض الاحيان وهمهماتهما عندما يريان أحلاماً مزعجة.

آن فاديمان ■



أخت الجميع

كان مجنّد شاب يسير في المخيم مع صديقته حين صادف الرقيب المسؤول عنه. وارتبك الشاب وعرّف بصديقته على انها أخته. فبادره الرقيب مطمئناً: "هدىء روعك يا بنيّ! لقد كانت أختي أيضاً في ما مضى."

ب.هـ.

نشاط الصباح

بادر رجل صديقه معلقاً على مقال في صحيفة: "يقولون هنا ان ١٠ في المئة من الناس يستيقظون في الصباح بحيوية ونشاط. انهم أولئك الذين لا يربطون جرس المنبه قبل النوم."

ب.ت.

من مقالع في ايطاليا،
مقابلة لجبال الالب،
تخرج حجار بيضاء تحولها
أزاميل النحاتين روائع حية

رخام كَارارا



تمثال "ديفيد" لميكالانجلو.

يقف ديفيد بهامته البالغة خمسة أمتار ونصف متر وبعضلاته المصقولة وبهدوء جللته ثقة الشباب. ويبدو كأن كل تقاطيع جسمه وكل عِرق وعصب فيه يشعّ بفعل نور داخلي، تماماً كما كان يطمح اليه ميكالانجلو عندما باشر العمل فيه قبل خمسة قرون تقريباً (١٥٠١ - ١٥٠٤).

ويقصد فلورنسة كل عام ما يزيد على ٨٠٠ ألف زائر من أنحاء العالم لرؤية ذاك التمثال الذي يعتبر من أشهر تماثيل عصر النهضة. لكنّ قليلين من أولئك السياح يدركون أن ميكالانجلو كان لديه، الى موهبته، سلاح سرّي في تصرّفه هو رخام كارارا.

وايطاليا هي بلد الرخام من دون منازع، والمنطقة التي تحوط كارارا هي المكان الذي يأتي منه اليوم أكثر الرخام وأفضله، كما كانت الحال في زمن ميكالانجلو. وفي تلك المنطقة التي تبلغ مساحتها ٢٠٠ كيلومتر مربّع وتحت المنحدر الصخري الشاهق شبه العمودي المواجه لجبال الالب الابوانية يكمن أغنى عرق من حجر الكلس المتبلّر في العالم والمعروف لدى النحاتين والمهندسين

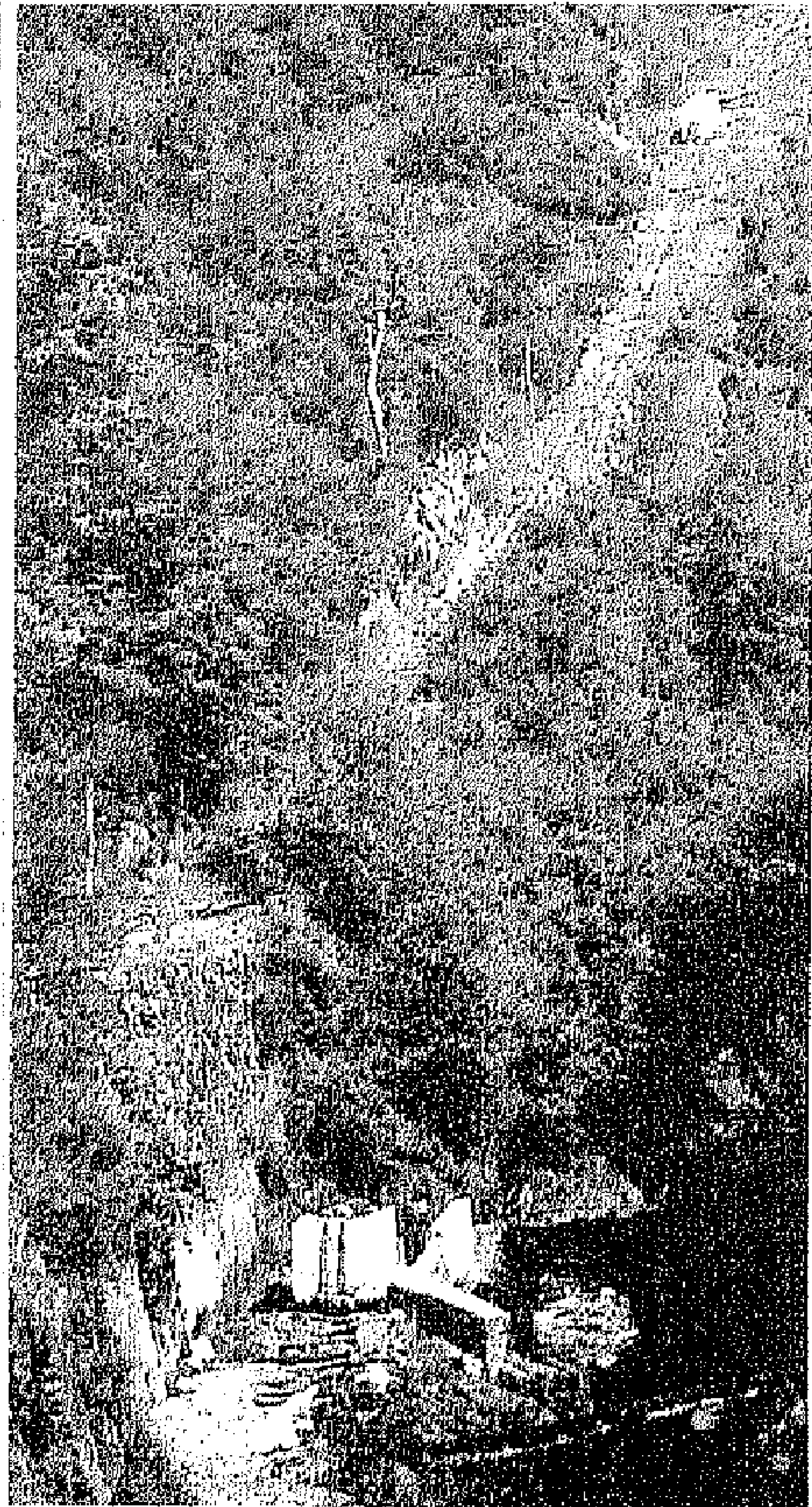
Stefano Baroni

جرف رخامي يبلغ حجمه ٣٠ ألف متر مكعب يُقصّ شرائح تنقل الى الوادي.

المعماريين والمزخرفين كمادة أوّليّة للجمال الصافي المصقول الدائم.

وفي غضون سنواته الثماني والثمانين قصد ميكالانجلو مقالع كارارا غير مرة بهدف انتقاء كتله الرخامية. وكان ينتقي "أنعم الكُتل وأكثرها بياضاً وأزخرها حياة وأنقاها من العروق والشقوق على أنواعها،" هكذا جاء في نصوص عقوده.

ذاك هو "حجر التماثيل الأبيض" (١) الحجر الذي أضفى على النحت بعداً لا تضفيه أي مادة أخرى. فالحجر العادي



Marcella Pedone

في جبال الالب الابوانية.

---

(١) Statuario bianco

أكمد وبارد وميت. أمّا أفضل أنواع الرخام، خصوصاً ذلك الحجر الابيض، ففي امكان الضوء أن يخترقه الى عمق يبلغ خمسة سنتيمترات ومن ثمّ ينعكس على البلّور وينجم عن ذلك وهج دافىء كما لو كان الحجر حياً. وتلك الشفافية تساعد في تفسير القوّة الفريدة التي ينضح بها ديفيد.

وكما أن الرخام مادة جمالية، فهو أيضاً كنز تتنازل عنه الجبال مكرهة. وهناك ألوف لا تحصى من الرجال لقوا حتفهم أو اصيبوا بالتشوه خلال ألفي سنة من تاريخ تقطيع الكتل الرخامية في الريف الواقع فوق كارارا والبلدات المجاورة ويضم ذلك الريف مجتمعاً مزدهراً يتألف من ٧٠٠٠٠ ألف نسمة.

هوة الظلام – ركبت السيّارة بصحبة ستيفانو باروني، وهو مصوّر شاب يعرف جبال الرخام عن كثب. وتركنا كارارا وانتقلنا صعوداً عبر منطقة تكسوها أشجار الزان والسنديان والبتولا ذات القضبان القصيرة. ووصلنا الى أرض ضيّقة حيث ينمو عشب خفيف يتعذّر على غيره أن ينمو فيها. وكانت في المرتفعات المقابلة التواءات منحدرة تفصل بينها مساحات من قطع الرخام الأبيض متروكة منذ قرون مرّت على تقطيع الحجار.

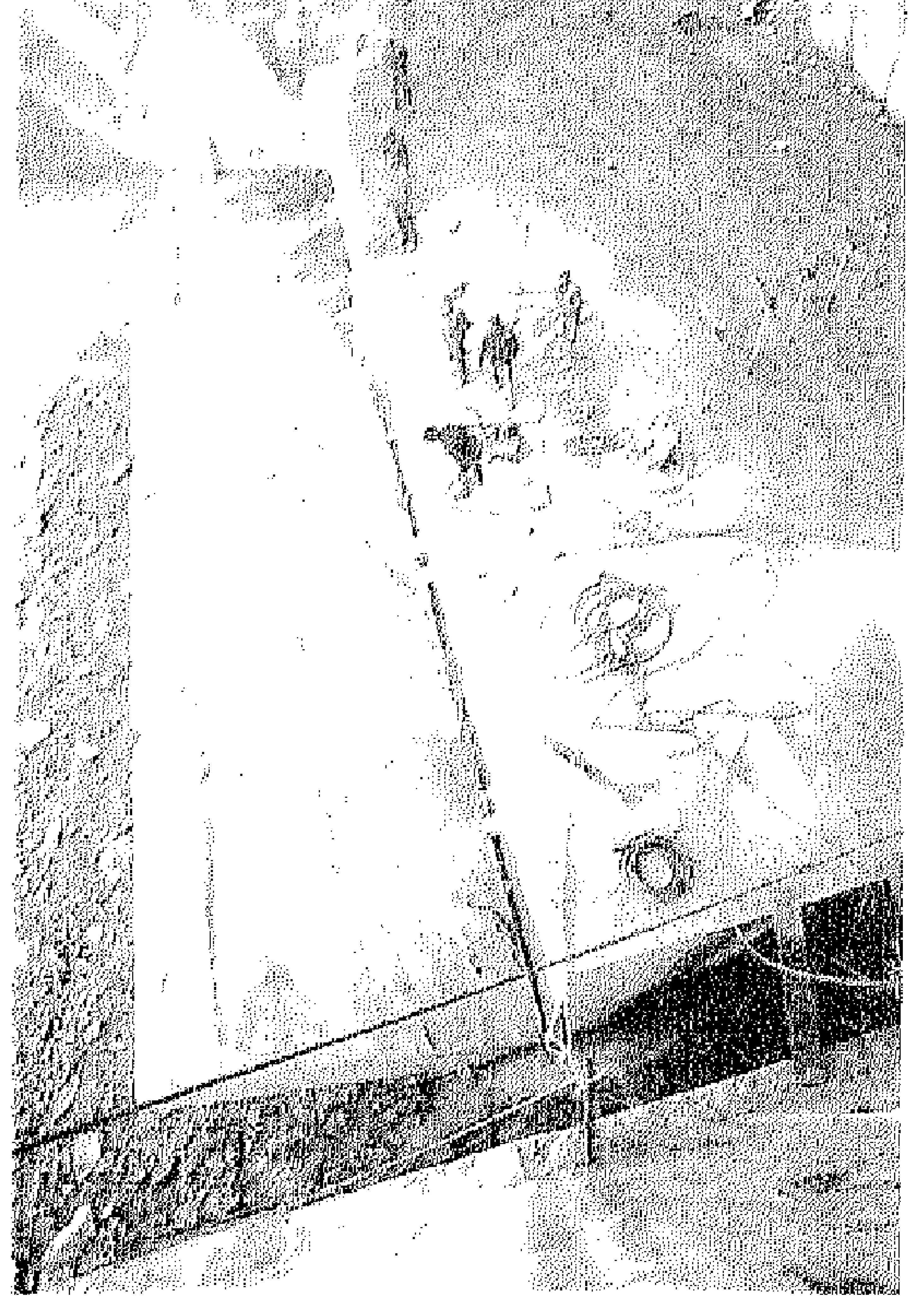
انحرف ستيفانو بسيارته الى جانب الطريق قرب واحد من ٢٢٠ مقلعاً في المنطقة. وقادني في طريق موحلة. وانعطفنا حول إشارة كتب عليها "انهيارات صخرية" ونزلنا سلماً قصيرة أوصلتنا الى نتوء صخري مسطّح لا يتسع الا لوقوفنا.

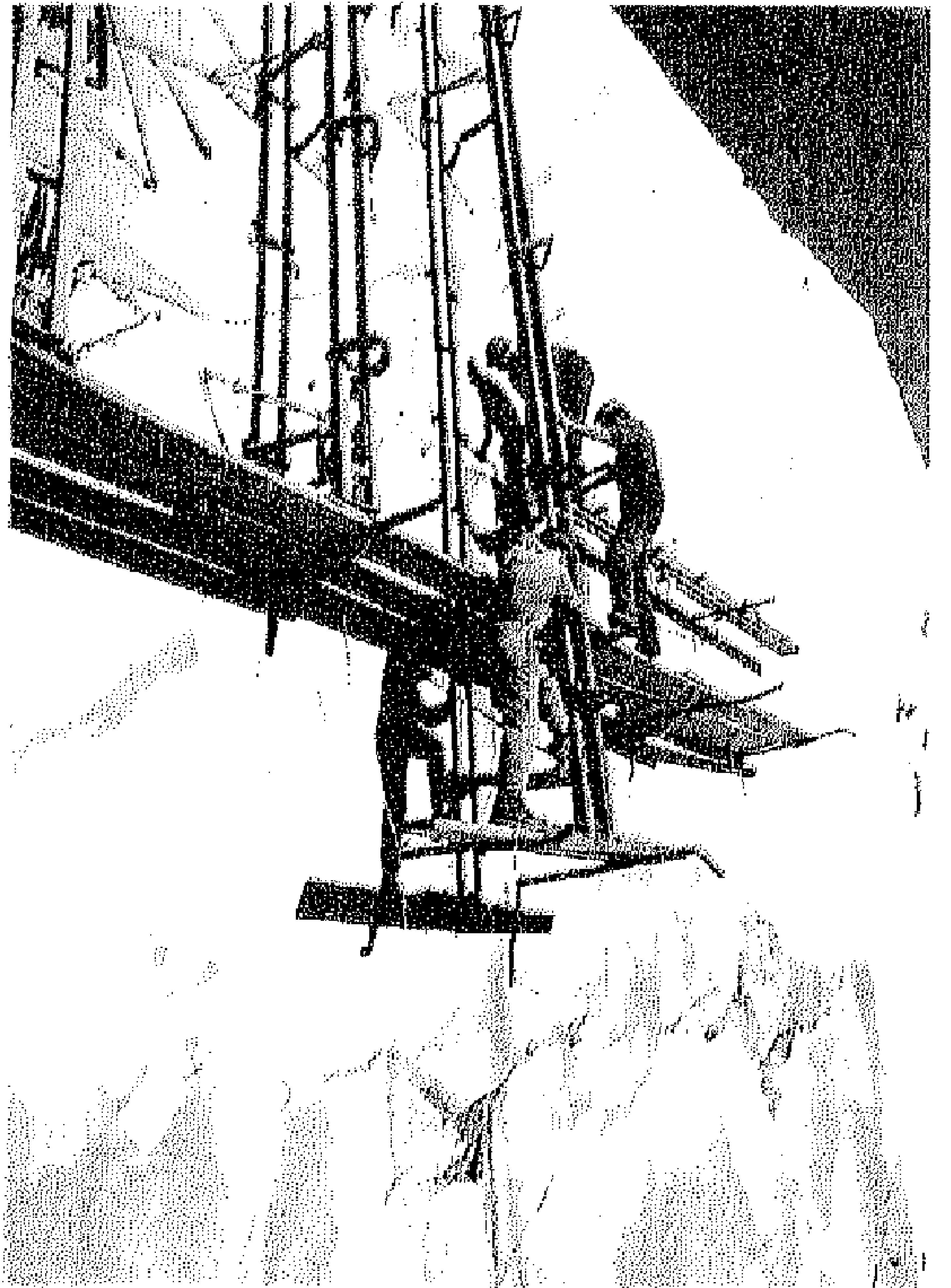
وعلى بعد حوالى ٤٠ متراً منا كان جدار من صخر رمادي حمل آثاراً مميّزة لمكعبات قطعت خلال عمليات التنقيب عن الرخام. ويفصل بيننا وبين ذلك الجدار هوّة بلغ عمقها ٢٠٠ متر كان عمّال المقالع ينتقون الرخام منها على مرّ العقود.

وفي أدنى الهوّة التي لا تعرف نور الشمس أمكنني أن أميّز أشكال الرجال وآلاتهم الصغيرة كالنمل، وأن أراقبهم وهم يشقون طريقهم في سفح الجبل متتبعين عرقاً من الحجر المطلوب. وتتردد صدى قعقعة المطارق الهوائية مصحوباً بالطنين المعدني الذي تصدره الاسلاك الفولاذية لدى عملها على ادارة بكرات حديد كبيرة بواسطة محرك كهربائي خفي.

دروب الرخام – في العام ١٨٥٤ عرفت صناعة الرخام طريقة ثورية لتقطيع الصخر شرائح، تشبه طريقة تقطيع الجبن بواسطة سلك، ولكن ببطء بالغ. وفي هذه الطريقة يدير المحرّك سلكاً فولاذياً مجدولا بسماكة قلم رصاص بين بكرتين شدّادتين بهدف صقل الحجر في خط مستقيم. ويتم قطع الشرائح الرخامية بمنتهى الاتقان، فتشبه الكتل التي يلهو بها الاطفال بزواياها القائمة ووجوهها العلوية المسطحة، الاّ أن الواحدة منها تزن أطناناً.

وقبل ابتكار هذه الطريقة كان لدى عمّال المقالع أكثر من قوتهم البدنية





(فوق) كتلة "هندسية" تسقط على فراش خاص من الرمل والحصى. (تحت) سقالة لتثبيت الاسلاك التي ستقطع الرخام.

وبراعتهم في تحدّي الجبال. ففي عهد الرومان وعبر القرون الوسطى كانوا يحفرون الارض بعزم حتى يصلوا الى تراكمات الرخام، ثم يبحثون عن شطور طبيعية فيها. ويولجون أسافين حديداً ينهالون عليها ضرباً بمطارق ثقيلة حتى ينفلع الحجر مكرهاً. بعد ذلك كان عمال المقالع يدخلون قطعاً خشبية جافة في الشقوق التي كانوا يملأونها ماء. وكان الانتفاخ الناجم عن امتصاص القطع الخشبية الجافة للماء يؤدي الى شق الحجر. وبعد أيام أو أسابيع من العمل المضني تسقط كتلة الرخام الى أرض المقلع مصحوبة بجلبة هائلة، وتتقطع كتلا أصغر بفعل الاصطدام.

وكانت مسافة كيلومترين أو أكثر من الأرض الشديدة الانحدار تفصل المقالع العالية عن الممرات في الوادي حيث يمكن عربات الثيران أن تجرّ كتل الرخام الى شاطىء البحر. وهكذا تعيّن ايصال الحجار الى أسفل من دون الاستعانة بالدواب. وقيل إن عمال المقالع في عهد الرومان كانوا يدفعون الكتل عن حافة الجبل. لكن تلك الطريقة كانت تؤدي الى خسارة الكثير من الرخام، لذلك تم شق "دروب" بهدف نقل الرخام من أعالي الجبل الى سفحه.

وتلك الدروب تحف هندسية وشبكة من الطرق الحجرية تشبه مصغراً لجدار الصين الكبير. لقد بنيت بدقة ومتانة وما زالت قائمة الى اليوم فوق كارارا.

وركبنا السيارة من كارارا الى ماسا لرؤية الدروب القديمة عن كثب. وتتبعنا طريقاً جبلية غير نافذة تعلو ٤٨٥ متراً

عن سطح البحر، وتابعنا طريقنا على الأقدام في معبر يقل عرضه عن متر. وكان المعبر مرصوفاً بحجار غير مستوية، وعليه قطع من الرخام منثورة هنا وهناك. كان ذلك في الواقع الطرف السفلي للدرب المقصود، أي الموضع الذي تستطيع فيه الشاحنات أن تبدأ عملها. وهو المقطع السهل من عملية نقل قطع الرخام. أمّا المقطع العسير حيث يصل ارتفاع قمة الجبل الى ١٤٠٠ متر فوقنا، ففيه "دربان" يمتدان صعوداً بخط متعرج ويختفيان في الضباب الذي يخيم على القمة.

قصص رعب – كيف يمكن أياً كان أن ينقل حجراً يراوح وزنه بين ٢٠ و٣٠ طناً عبر تلك الدروب الشديدة الانحدار؟

"الدعائم،" أوضح ستيفانو، "وهي حبال من خيوط القنب وقطع خشبية."

كانت الكتل الرخامية الضخمة تربط الى دعائم متينة بحبل من خيوط القنّب في ثخانة رقبة رجل، ثم تزحلق نزولا ببطء على أخشاب متصالبة مفروكة بالصابون.

ولكبح تأثير جاذبية الارض كان اندفاع الكتل الرخامية يقيَّد بلفّ الحبل مرات حول الدعائم الخشبية التي أولجت عميقاً في الصخور. وكان فريق العمل ينحدر مع الكتل الرخامية وينقل الحبال الملتفة من دعامة الى أخرى، وينتزع قطع الأخشاب المفروكة بالصابون من خلف الكتل ليضعها أمامها حتى تصل الكتل سليمة الى النقطة المحددة.

ولم يُعتمد كلّياً على حبال القنّب ولا على الاسلاك الفولاذية التي حلّت مكانها قرابة نهاية القرن التاسع عشر. فثمة قصص رعب تسرد عن كارارا والعمال الذين كانوا يعلقون تحت كتل الرخام المنزلقة ويموتون سحقاً. وقيل إن ميكالانجلو نفسه نجا مرتين من تلك النهاية المخيفة.

استمر اعتماد الدروب الى ما بعد الحرب العالمية الثانية، فيما بقيت الدروب النائية قيد الاستعمال حتى أوائل الستينات. أمّا اليوم فلا يقصد هذه الدروب إلا متسلقو الجبال والارانب.

والشاحنات التي تتولى اليوم مهمة الدروب القديمة بسرعة وفاعلية أكبر "تتسلق" الجبال سالكة طرقاً معبّدة في سفوحها وأواسطها، وموحلة ومليئة بالقطع الرخامية المبعثرة في أعلاها.

"قطط" صفراء – زرت وستيفانو مقلعاً بعد آخر متلمسين طريقنا عبر غابات من الأسلاك المولجة بتأنٍ في ألواح رخامية. وكان هناك عمال بأحذيتهم العالية ومعداتهم المتنوعة، وعربات أعد مقدمها لنقل الحمولة وكانت عجلاتها تعلو مترين وتتحرك بتثاقل جيئة وذهوباً كقطط صفراء هائلة تحمل كل منها بين فكّيها فريسة تزن ٢٠ طناً لتنقلها الى الشاحنات المنتظرة.

إن ظروف العمل أفضل كثيرا اليوم مما كانت قبل عقود قليلة. فمعدّات جرف التربة والحواجز الاسمنتية المتماسكة تقلّل خطر انخساف الارض. ويصل العمّال الى مواقعهم في سيّارات كبيرة لنقل الركاب أو في سيارات خاصة. وقبل جيل بالضبط كان عليهم أن يقطعوا بضعة

كيلومترات مشياً من قراهم، ويعبروا أحياناً ممرات حفرت في صخور عمودية تطل من أحد جوانبها على هوة شديدة الانحدار يبلغ عمقها مئات الامتار.

لقد تميّز "الكافاتوري" الذين عملوا في الجبل على مرّ القرون بالخشونة والاستقلال وعدم الخوف. كانوا عمّالا بالتأكيد، لكنهم كانوا أيضاً خبراء مهرة في حجر الرخام يعرفون مكانه وطريقة اقتطاعه من الجبل كما يعرفون أسهل زاوية لقصه.

حبة رمل - اليوم، حيثما يشيد المهندسون المعماريون أبنية جديدة، وفي حال توافر المال، ثمة فرص لاستعمال رخام كارارا في السلالم وبلاطِ الارض والاروقة وحتى في تلبيس الجدران الخارجية كما في مركز كينيدي للفنون في العاصمة الامريكية واشنطن. وبفضل الخبرة التاريخية في منطقة كارارا أصبحت المدينة وضواحيها أشهر دار مقاصّة للحجر في العالم. ولم يقتصر الأمر على تصدير انتاجها، بل تعداه الى معالجة كتل من الرخام والغرانيت (الصوان) يؤتى بها من عشرات البلدان قبل إعادة تصديرها كمنتجات جاهزة.

وعلى رغم أنّ الحجر الصالح لأن ينحت تمثالا هو أكثر سحراً من الكتل الرخاميّة المعدّة للبناء، فانه يمثّل حبة رمل على شاطئ تجارة الرخام. إلاّ أن ٨٠ في المئة من الرخام الصالح للنحت يأتي اليوم من ضواحي كارارا (٢). وفيها يقيم مئات الفنانين الاجانب بضعة أسابيع أو بضعة عقود.

ومهما يكن مستقبل المنحوتات الحديثة التي يصنعها اولئك الفنانون، فلا يسعني وأنا أتذكر قوة ديفيد المذهلة إلاّ أن أؤكد أن مصدرين للجمال سوف يبقيان بعد ألفي سنة: التمثال الذي صنعه ميكالانجلو والمادة التي استعملها ألا وهي رخام كارارا الذي لا يضاهى.

رودولف شلمنسكي ■

---

(٢) تأتي البقية من بلجيكا واليونان ويوغوسلافيا.

ضفدع الحكاية!

بينما كنت في مخيم ترفيهي مع العائلة، حاولت زوجة أخي ان تخرج ضفدعاً جبلياً من المخيم حتى لا تمسكه قطتها. فتوجهت نحوه فقفز بعيداً فلحقت به واستمرت تطارده وهو يقفز أمامها حتى بادرها شخص في المخيم المجاور: "يا سيدتي، حتى وان امسكت به فهو لا يمكن ان يتحول أميراً."

ج.ب.

اذا أمكنك ان تكون مملا بطريقة جديدة ومبتكرة فسيجدك الناس مسلياً.

بيتر أوستينوف، ممثل ومخرج بريطاني

تألم الجد العالم لتدهور صحة حفيدته وتملكته رغبة جامحة في مد يد العون اليها، فخرج بأعظم اختراع حققه في حياته

حب يفوق الوصف

ولدت جينفر رايت، طفلة مشعثة الشعر سمراء اللون، واطلقت صرختها الاولى في هذه الدنيا في ١٧ يوليو (تموز) ١٩٧٤ في مستشفى ريفي بولاية اوهايو. وتفحصت والدتها صونيا الاصابع الصغيرة في يدي الطفلة وقدميها. وهي كانت ولدت قبل اوانها وكان وزنها ٣ كيلوغرامات. ثم تمتمت صلاة شكر لله لانه بعد حمل عسير سار كل شيء طبيعياً.

كانت جينفر طفلة جميلة هادئة استقطبت اهتمام شقيقتيها آمي وبيتاني.

هلعت صونيا حين لاحظت ذات يوم وهي تغسل جينفر التي كانت بلغت شهرها الثالث، ان قدمها اليمنى متورمة الى درجة كبيرة. وقالت وهي تتذكر ذلك الحدث: "فحصنا كل بوصة في جسدها بحثا عن لسعة حشرة. ثم هرعت بها الى طبيب الاطفال في حال من الارتياع."

الخطر المتنامي — لم يجد الاطباء تفسيراً لهذا التورم التدريجي الذي امتد في الطفلة ليشمل قدمها اليمنى بكاملها وساقها والجزء الاسفل من اليتها. ثم اخذت ذراعها اليمنى تتورم كذلك حتى بلغت ضعفي حجمها الطبيعي.

على مدى سنتين ونصف سنة عاش افراد عائلة رايت في كابوس من الحيرة، وراحوا يتنقلون بالطفلة من اختصاصي الى آخر. وقد ضمدت اطرافها بلفائف مطاطة. وكانت جينفر تتحمل بصبر الفحوص التي كانت في اغلب الاحيان مؤلمة.

وتقول صونيا: "ان جهلنا لحقيقة الحال كان اسوأ ما في الامر. وتنامى شعور

النقمة والاحباط في انفسنا. وكان الناس يسألون ما خطب الطفلة فنشعر بالمهانة حين نجيب اننا لا نعرف. كان هذا يبدو كأننا نهمل ابنتنا."

واخيرا جاء التشخيص الممض من الدكتور وليم دايفس العامل في مستشفى دنفر، بولاية كولورادو وهو ان جينفر مصابة بداء "باركس ويبر"، وهي حال نادرة من الانتفاخ اللمفاوي يتجمع فيها السائل اللمفاوي في الاطراف والانسجة في حين هو يجري عادة في كل انحاء الجسم بمساعدة جهاز من "الصمامات" العضلية اللمفاوية المانعة. وكان جسم جينفر يفتقر الى هذه الصمامات الضرورية.

ابلغ الدكتور دايفس الى الوالدين الملتاعين ان حال جينفر خلقية وسببها غير معروف. ومع ان عشرات الالوف مصابون بالتورم اللمفاوي، فان الابحاث في داء باركس ويبر بقيت قليلة. انه داء لا شفاء منه والسائل اللمفاوي الحائل قد يصبح مصدر خطر متزايد. اذ ان لسعة حشرة او خمشاً قد يسبب التهابات تهدد حياة المريض. وكانت جينفر تواجه احتمال ملازمتها الكرسي ذي العجلات وحتى بتر اطرافها المصابة.

داء لا شفاء منه، كرسي ذو عجلات، بتر اطراف، عبارات صعقت الوالدين. وبعد التشخيص عولجت جينفر بالاسلوب الوحيد الذي كان معروفا حينئذ، اي الاشعة ولف القدم في جوارب ضاغطة. لكن ذلك لم يحد من التورم.

واقترح احد الاطباء ان توضع جينفر في مدرسة خاصة، لكن صونيا ابت ان تصغي اليه وقالت وهي تتحدث في مطبخ بيتها في مدينة بتسبرغ بولاية بنسلفانيا حيث تقطن العائلة الآن: "كنا نعرف ان تدليل جينفر يزيدها ضعفاً."

روح لا تقهر – صممت العائلة على جعل حياة الطفلة طبيعية الى اقصى حد ممكن، الا ان الناس جعلوا هذا الامر عسيرا. كان الاطفال لا ينفكون يضايقون جينفر. وهي قالت ذات مرة: "ان الصبيان يدعونني احياناً "ذات القدم الضخمة" او شيئاً من هذا. وكنت اكتفي بالقول: انتم لكم رؤوس كبيرة وادمغة صغيرة، واهز قبضتي في وجوههم قائلة: هذا سلاح قوي! وكان ذلك يردعهم عن مضايقتي."

وحين كانت صونيا تصطحب بناتها للتسوق، كانت جينفر تقف مراقبة شقيقتيها وهما تشتريان الثياب الجاهزة فتغبطهما، لان امها تصنع لها سراويل على قياسها الخاص لتناسب قدمها المتورمة، كما تشتري لها احذية تصنع خصيصا لقدمها اليمنى وهي اضخم من اليسرى بثلاثة اضعاف.

وعلى رغم الالم والازعاج ظلت جينفر غير هيابة وحافظت على روح الدعابة الطفولية وحب الرياضة. تعلمت كيف تمتطي الدراجة منحنية الى الجهة اليسرى لتصحيح اختلال التوازن بين جنبيها. وفي المدرسة مارست العاب الجمباز واصرت على المشاركة في سباقات الجري وهي تجر ساقها وان تكن تصل دائماً اخيرة. كذلك كانت تقضي وقتا طويلا في السباحة "لان الماء يجعل ساقي متشابهتين."

هذا كله خطأ – تألم ادوارد رايت الاكبر، على نحو خاص، لتدهور حال حفيدته. وقال، وهو الرجل الرقيق الشعور ذو السادسة والسبعين، بصوت تخنقه العبرات: "كنت اتمزق لرؤيتها في ثوبها وتلك الساق الضخمة بارزة من تحته. وبدا ان الاطباء لا يفعلون شيئاً من اجلها."

ان جدها يؤمن بأن لا شيء مستحيلا امام العبقرية، لذلك ظل يحاول اكتشاف طريقة تساعد حفيدته. واعتادت العائلة تلقي اتصالات هاتفية منه في كل ساعات اليوم يسدي فيها نصائح مثل جعل جينفر تنام وساقاها مرفوعتان او استعمال جبيرة تمنع الساق من الاستمرار في الانتفاخ. وعلى رغم ان كل هذه التجارب لم تفلح فقد استمر الجد في المحاولة.

في ربيع ١٩٨٠، حين قاربت جينفر عامها الثامن، ظهرت قروح على ساقها اليمنى المتورمة. وبات ضرورياً عمل شيء ما. اذ لو استقر الالتهاب في الساق لغدا بترها امرا لا مفر منه. واقترح الدكتور مايكل الكسندر العامل في مستشفى د.ت. واتسون لتأهيل المعاقين، ان تحضر جينفر الى المستشفى وتمضي فيه اسبوعين من اجل اجراء تجارب على علاج كان ذا جدوى لمرضى آخرين مصابين بالتورم اللمفاوي.

وافق الوالدان على الاقتراح ووضعت ساق جينفر في جراب من القماش الاصطناعي يحتضن بالتناوب الاطراف المصابة. وهذا الجراب مجهز بمضخة تمده بالهواء المضغوط المعد بحيث يدفع السائل اللمفاوي نحو القلب. ولسوء الحظ لم تُجدِ المضخة في حال جينفر، وقال والدها: "بدت العملية وكأن ضغطا يمارس على الجزء الاوسط من ثمرة موز ناضجة. تضاءل التورم عند ركبتها لكن قدمها وفخذها انتفختا على نحو اسوأ."

وحين جاء الجدان لزيارة حفيدتهما ورأى الجد جينفر يطوقها الجراب ذو المضخة التي تمده بضغط على مستوى واحد مستمر، عيل صبره بل استبد به الغضب فقال: "كل هذا خطأ بخطأ." ثم تألقت عيناه. فهو حين كان شابا تلقى برامج دراسية في الهندسة. وحقق سبعة اختراعات استخرج بها براءات حين كان يعمل مديراً صناعياً. والآن بدأت تختمر في رأسه فكرة الاختراع الثامن الذي وصفه باعتزاز: "انه اهم اختراع في حياتي."

الامل في مضخة – بدأ الجد باقتراح يقضي بانه بدلا من احتضان الساق كلها ضمن الجراب ذي المضخة، ينبغي ان يعمد الاطباء الى تحريك الضغط تدريجا من القدم الى الفخذ لدفع السائل نحو مركز الجسم في دفق شامل. ولكن، كيف يمكن ان يتحقق ذلك؟ وهنا قطع ادوارد الاكبر وعداً: "بعون الله سأفعل شيئاً لمساعدة حفيدتي."

طوال الاشهر الثلاثة التالية حبس ذلك المخترع نفسه في مشغله داخل الطبقة الارضية وواصل العمل حتى ساعة متقدمة من الليل. ومع انه اصيب سابقا بنوبتين قلبيتين، غير انه تجاهل تحذيرات زوجته لتحاشي ارهاق نفسه.

شيئاً فشيئاً اخذت الآلة الجديدة تتخذ



جينفر تخضع للعلاج فيما جدها يضبط المضخة التي اخترعها.

شكلا واضحاً. وفي ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠، جرب الدكتور الكسندر مضخة رايت الاكبر على ذراعه لاختبار سلامتها وللحال اوصى باستخدامها على جسم جينفر. كانت المضخة الجديدة تتألف من جرابين صنعا في شكل خاص، احدهما مخصص لذراع جينفر اليمنى والثاني لساقها اليمنى، ومن جهاز تحكم الكتروني. والجرابان اللذان خاطتهما صونيا لابنتها يقسمان ثلاثة اجزاء يتلقى كل منها ضغطاً محدداً على مدى زمني معين.

أفعم الأمل قلبي الوالدين الا انهما ظلا قلقين. حتى وأن نجحت المضخة في اداء وظيفتها، فربما ظهرت لها اعراض جانبية. ثم كيف سيكون رد فعل الكليتين والقلب على هذا؟

في الاسبوع الاول استعملت جينفر المضخة لمدة ثماني ساعات يومياً. وجاءت النتائج فورية ومدهشة. فقد استطاعت المضخة ان تدفع السائل بسرعة جعلت رايت الاكبر يخشى ان ترهق قلب الطفلة، لكن الدكتور الكسندر طمأنه موضحاً ان الكليتين تستطيعان تحمل الدفق المتزايد للسائل. ومع تضاؤل حجم الساق ارتفعت معنويات الجميع.

بعد شهر من مباشرة جينفر استعمال المضخة، لاحظت نتوءات على يدها اليمنى فصرخت بزهو وعيناها تلتمعان اثارة: "انها البراجم(★)، اماه... ظهرت براجم يدي."

وفي الاشهر التالية اخذت الساقان تصبحان متشابهتين حجماً، وكانت جينفر تشارك جدها في البهجة مع تحقق كل ظفر جديد. وهي تعلمت كيف تستعيد توازنها على الدراجة وتمشي من دون ان

(★) البراجم هي مفاصل الاصابع او العظام الصغيرة في اليد والقدم.

تجر ساقها. ويقول الجد انه لا يتذكر انه شعر بالسعادة في حياته اكثر من ذلك اليوم الذي عادت فيه جينفر من المدرسة وهي تناديه لاهثة: "جداه استطيع الآن ان اعدو اسرع من اي تلميذ آخر في صفي."

رباط مميز – بعدما استحصل الجد على براءة اختراع لجهازه هذا حاول ان يجتذب اهتمام شركات الصيدلة لكي تصنعه وتوفره لضحايا التورم اللمفاوي، لكن قلة من الناس ابدت اهتماما حتى بالرد على عرضه. فلجأ الى تأسيس شركة خاصة به. واخذت صونيا تخيط الجرابات وجينفر تساعد في الاعمال المكتبية. وثمة ما يزيد الآن على ٣٣٠ من "مضخات رايت المدرجة" قيد الاستعمال في البيوت والمستشفيات في الولايات المتحدة وكندا وايطاليا واليابان وجزر البهاما وامريكا الجنوبية.

ولو لم يتحقق اكتشاف جديد في معالجة التورم اللمفاوي لكان تعين على جينفر ان تستخدم المضخة طوال حياتها. ولكن بما ان اوعيتها اللمفاوية اخذت تتقلص، فانها باتت تحتاج الى استخدام المضخة مدة ساعة واحدة في اليوم وفي ما عدا ذلك يمكنها ان تتوقع حياة عادية.

ذهبت جينفر اخيراً الى الحفلة الراقصة الاولى في حياتها. وكانت ترافقها شقيقتاها. وتقول صونيا: "انها ساذجة وغير واثقة بنفسها وخجولة ككل فتاة تواجه مثل هذه الامور المدهشة في تلك السن المربكة. وهي تود ان تصبح ممثلة او طباخة، واني احمد الله كل يوم على تلك المعجزة التي يمكن ان تتيح لتلك الاحلام ان تتحقق. ولكن ثمة اولوية واحدة في حياتها كلها هي جدها."

بعد شهرين من فراغ ادوارد الاكبر من صنع المضخة، اصيب بنزف في شبكية عينه اليمنى وادى هذا النزف، بالاضافة الى مشاكل سابقة في عينه الاخرى، الى جعله ضريراً من الوجهة القانونية.

وتلاحظ صونيا: "يبدو كأنه بقوة الارادة وحدها استطاع ادوارد الاكبر ان يمنع نفسه من فقد بصره كي يكمل صنع المضخة، والآن تحاول جينفر ان ترد له الجميل باغداقها الرعاية عليه. انها تقرأ له وتمسك بيده حين يتمشيان معاً."

وتضيف: "تربط بينهما علاقة مميزة. انها ليست علاقة ظاهرية فحسب بل هي رباط هادىء وعميق الجذور. انه حب لا يوصف."

باتريك باتشيكو ■



والدا ليندون جونسون

بعدما ألقى الخطبة الافتتاحية في جامعة بايلور بولاية تكساس قال ليندون جونسون ابن تكساس والرئيس السابق للولايات المتحدة: "كنت أتمنى من أعماقي أن يكون أبي وأمي حيين ليشاركاني في هذه المناسبة، فأبي كان استمتع كثيراً بما اغدقتموه علي من اطراء وأمي كانت صدقته."

س.ش.

الانتباه سجارتك تبث إشعاعاً ذرياً!

المدخن الذي يستهلك علبة ونصف علبة من السجائر يومياً، يتعرض لاشعاع ذري يعادل ما يتعرض له جلده في ٣٠٠ صورة بالاشعة السينية. وهذا الاشعاع وحده قد يكون السبب في نصف اصابات السرطان لدى المدخنين

في المساء بعد يوم العمل المرهق يشعل المدخن سيجارة. انه يدأب على ذلك منذ سنوات، ويستمتع بالنفث ورؤية الدخان المتصاعد وتوهج اللفافة المحترقة، ويخامره ادراك غامض لمخاطر العناصر الكيميائية الكامنة في التبغ. ولكن لو رأت عيناه ما تراه الاجهزة العلمية، لشاهد الاشعاع الذري المنبعث من لفافته ومن جسمه، من رئتيه وكبده وكليتيه وبنكرياسه وغدده الجنسية وكل عظمة في هيكله.

استناداً الى الدكتور توماس ونترز مدير مركز للصحة المهنية في نورث كوينسي بولاية مساتشوستس والدكتور جوزف ديفرنزا من المركز الطبي في جامعة مساتشوستس في فيتشبورغ، تحتوي السجائر على مقدار من الاشعاع الذري بحيث أن المدخن الذي يستهلك علبة ونصف علبة في اليوم يتعرض لجرعة اشعاعية في أجزاء من رئتيه توازي ما قد يتعرض له جلده من ٣٠٠ صورة بالاشعة السينية (أشعة اكس). وبدأ العلماء قبل فترة وجيزة يكتشفون مقدار الضرر الذي تسببه النظائر المشعة(١) في الجسم. وتتفاوت التقديرات لعدد اصابات سرطان الرئة لدى المدخنين والناجمة عن الاشعاع في السجائر. لكن الدكتور ديفرنزا يعتقد "ان الاشعاع وحده قد يكون السبب في نصف اصابات سرطان الرئة لدى المدخنين."

تعقّب الاشعاع – كيف تدخل العناصر المشعة لفائف التبغ؟

الباحث ت. س. تسو الذي عمل سابقاً

---

(١) Radioactive Isotopes

لدى وزارة الزراعة الامريكية، تعقب هذه العناصر المشعة الى الحقول حيث يغرس التبغ. وطوال عقود دأب مزارعو التبغ على تسميد محاصيلهم بالفوسفات الغني بعنصر اليورانيوم. وفي تهافته الطبيعي يولّد هذا اليورانيوم عنصر "الراديوم - ٢٢٦" الذي بدوره يولّد "الرادون - ٢٢٢" وأخيراً "الرصاص - ٢١٠" و"البولونيوم - ٢١٠". ان نبتات التبغ تمتص حالا العناصر المشعة من السماد ومن الاشعاعات التي تحدث طبيعياً في التربة والهواء والماء. ثم تقذف الريح ومعدّات الحرث هذه العناصر الخطرة في الهواء لتلتقطها الشعيرات ذات الرؤوس الدبقة التي تنمو على كل ورقة تبغ.

حين يشعل المدخن سيجارته، فان حرارة رأسها المتوهج توقد رؤوس الشعيرات الموجودة في التبغ وتحولها حبيبات غير قابلة للذوبان، تستوعب النظائر المشعة ثم يتنشقها المدخن فيدخلها رئتيه. ومجاري الهواء في الرئتين متشعبة في مجار أدق بأطراد. ويقول كثير من العلماء ان تلك الحبيبات تتجمع عند كل تفرع في هذه المجاري كما تتجمع النفايات الطافية على صفحة ماء النهر عند كل حاجز رملي.

ومع استمرار المدخن في حرق سيجارة اثر اخرى، يمكن أن تترسب هذه الحبيبات في النقاط عينها داخل الرئتين. وفي رأي الدكتور ادوارد مارتل الاختصاصي بالكيمياء الاشعاعية في المركز الوطني الامريكي للابحاث الجوية، تغدو هذه النقاط "مواقع نشطة للاشعاع الذري." ويعتقد مارتل انه ليس اتفاقاً أن يبدأ معظم سرطانات الرئة في نقاط التفرّع هذه حيث تتراكم بقايا العناصر المشعة.

ان أنظمة الدفاع في الجسم السليم تستطيع عادة ازالة تلوّث الدخان والرماد والغاز السام الناجم عن تدخين سيجارة واحدة في غضون بضع ساعات. غير ان حبيبات الدخان المتراكمة في الغشاء الواقي الرطب الذي يغطي انسجة الرئتين وبطانة مجرى التنفس أقوى من أن تزال بسهولة، فتبقى داخل الرئتين مدة تراوح بين ثلاثة أشهر وستة، وفي بعض الحالات قد تبقى سنوات عدة، وهي دائبة على اطلاق اشعاعاتها.

وفي النهاية تتمكن خلايا جهاز المناعة في الجسم من ازالة هذه الحبيبات من الرئتين. ولكن في هذه العملية تنتقل النظائر المشعة الى الدم فالى أجزاء أخرى من الجسم كالكبد والبنكرياس والكليتين والعقد اللمفاوية ونخاع العظام. وهنا كذلك توالي الحبيبات المشعة تراكمها سنة بعد سنة وهي تطلق باستمرار الاشعاعات التي يمكن أن تدمر الخلايا المجاورة.

ويلاحظ مارتل أن الصفائح (plaques) المتكلسة في الاوعية الدموية في جسم المدخن المصاب بتصلّب الشرايين، تظهر مستويات عالية لعنصري الرصاص - ٢١٠ والبولونيوم - ٢١٠، وهما النظيران المشعان عينهما اللذان يتنشقهما المرء مع دخان التبغ. ويقدّر مارتل أن ذلك الاشعاع في السجائر ربما كان عاملا مساعداً في نشوء تصلّب الشرايين الذي قد يؤدي بدوره الى اصابة

مبكرة بانسداد شرايين القلب وبالسكتات الدماغية.

الشيء الأخطر – ما مدة بقاء هذه الاشعاعية في جسم المدخن؟

للعنصر المشع، الرصاص – ٢١٠، عمر نصفي(٢) هو ٢١،٤ سنة. وقد اكتشف بيفرلي كون وناومي هارلي في المركز الطبي بجامعة نيويورك أن المدخن الذي ينقطع عن التدخين يحتفظ في الجزء الاسفل من رئتيه، بعد خمس سنوات من انقطاعه، بالمقدار عينه تقريباً من الاشعاع المنطلق من عنصر الرصاص – ٢١٠ كما في جسم الشخص المستمر في التدخين. ومعظم المدخنين لا يقلعون عن التدخين نهائياً.

لكن أشد الاشعاعات ضرراً في السيجارة لا تصدر عن عنصر الرصاص – ٢١٠ الذي يطلق اشعاعات "بيتا" الضعيفة نسبياً، بل عن "حفيده المشع" عنصر البولونيوم – ٢١٠ الذي يطلق اشعاعات "ألفا" المتأينة (ionizing) وذات التركيز العالي. وهذه تضاهي الاشعاعات التي تنطلق من البلوتونيوم في القنابل الذرية. واشعاعات "ألفا" تقتحم الذرات وتحيلها أيونات (ions) يمكنها للحال ان تلحق ضرراً بالنمط الوراثي للخلية الحية، فتقتلها أو تحيلها خلية سرطانية. وكان العلماء يدركون دائماً مدى الخطر الكامن في اشعاعات "بيتا" على كل حياة، الا ان اشعاعات "ألفا" قد تكون أشد فتكاً بنسبة ٢٠ ضعفاً.

لقد تطور الجسم البشري على سطح كوكب ذي مستويات منخفضة من الاشعاع الذري الطبيعي، تأتيه من مصادر مختلفة كالاشعة الكونية. وهو لذلك يقوى على الابلال من الاضرار التي تصيبه من الاشعاع.

ولكن في ما يختص بالسجائر فان المدخن يتنشق مع كل سيجارة مقداراً من البولونيوم – ٢١٠ يعادل مجموع ما يقع عليه من المصادر الطبيعية في ٢٤ ساعة. وهكذا فان المدخن العادي يعرض نفسه يومياً لتأثير هذه العناصر المشعة الطويلة الامد بنسبة ٣٠ ضعفاً أكثر مما يتعرض له غير المدخنين.

لمدة تزيد على عشرين سنة دأب الدكتور جون ليتل وزملاؤه في كلية الصحة العامة بجامعة هارفارد في كامبردج بولاية مساتشوستس على دراسة تأثير البولونيوم – ٢١٠ في الرئتين لدى الحيوانات المخبرية ولدى البشر. ووجدوا أن اشعاعات "ألفا" المنطلقة من البولونيوم – ٢١٠ الذي يدخل رئتي المدخن، بالجرعات نفسها التي يتنشقها المدخن المزمن، يمكن أن تسبب السرطان. ويتنشق عمال مناجم اليورانيوم في أثناء عملهم مشتقات الرادون القصيرة الاجل مع البولونيوم – ٢١٠ وسواها من النظائر التي تطلق أشعة "ألفا". وأظهر بعض الدراسات أن أولئك العمال الذين يدخنون يتعرضون للاصابة بسرطان الرئة في مدة تراوح بين خمس سنوات وعشر سنين قبل زملائهم غير المدخنين.

---

(٢) العمر النصفي (half — life) هو الزمن الضروري لتفكك نصف ذرات مادة ذات نشاط اشعاعي.

ولكن هل يمكن هذا الاشعاع الذري في السجائر أن يسبب السرطان في البشر كما يفعل في الحيوانات المخبرية؟

العلماء ليسوا على يقين في هذا الصدد. وكثيرون من الباحثين يرتابون في أن هذا الاشعاع قد يتضافر مع عوامل أخرى ليسبب السرطان. فحين يشعل المدخن سيجارة فانه يتنشق ما يزيد على ٤٠٠٠ عنصر كيميائي في أول مصّة. ومعروف أن بعض هذه العناصر، مثل عنصر بولسيكليك هيدروكربون بنزوابيرين العطري(٣)، مسببات قوية للسرطان. وحين عرّض الدكتور ليتل وزملاؤه في هارفارد بعض الحيوانات، على تعاقب، لأشعة ألفا الصادرة عن البولونيوم - ٢١٠ وللبنزوابيرين، وجدوا أن المادتين تضافرتا وسبّبتا أوراما خبيثة في الرئة "بضعفي المعدل المتوقع للتأثير الجمعي (additive) لمادتي البولونيوم - ٢١٠ والبنزوابيرين.

كما ان العناصر المشعة في دخان التبغ يمكن أن تترسب في مناطق مهمة بالنسبة الى الدفاعات المناعية في الجسم. وهناك قرائن على أن التدخين يمكن أن يقوّض قدرة الجسم على مقاومة السموم والسرطان وأمراض أخرى.

(٣) - Polycyclic aromatic hydrocarbon benzo *(a)* pyrene

خطر في البيت! - اكتشف العلماء مزيجاً آخر خطراً في التدخين. فالتراب يطلق مقادير ضئيلة من الرادون، وهو غاز مشع يشتق من الراديوم. والتقنيات الحديثة لاحكام سد المنازل للمحافظة على دفئها يمكن أن تحبس هذا الغاز الخطر وتكثفه داخل البيوت.

ولكن حين يصبح الهواء المنزلي، الملوّث أساساً بغاز الرادون غير المرئي والذي لا رائحة له، ملوثاً كذلك بدخان التبغ، فأن شيئا أكثر ارعاباً يحدث. ففي الهواء النقي تنزع مشتقات الرادون القصيرة العمر الى الالتصاق بالجدران والسجاد والستائر. وفي حضور دخان التبغ تتكثف مشتقات الرادون على ذرات الدخان وتظل هائمة في الهواء فيتنشقها المدخنون ومتنشقو الدخان "المستعمل" على حد سواء. وهكذا فان امتزاج تلوث الرادون داخل البيوت بتلوث دخان التبغ قد يحدث تضافراً أشد فتكاً من أي من هاتين المادتين الملوثتين، كل على حدة.

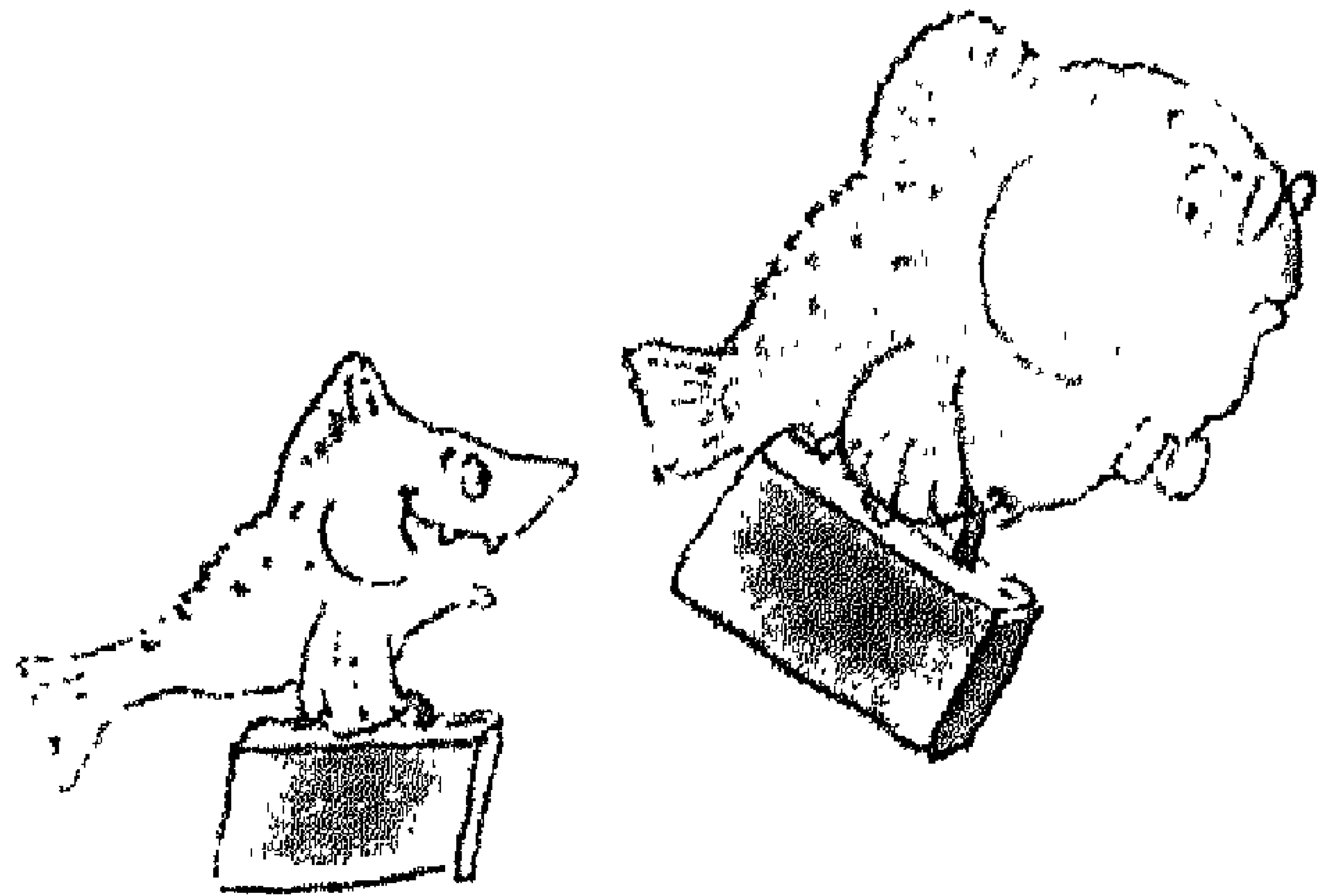
حتى من دون الرادون، فان الذين يتنشقون الهواء العابق بالدخان يتلقون جرعات من الاشعاع المنطلق من التبغ. ان ٥٠ في المئة على الاقل من النظائر المشعة في دخان التبغ تستقر في الهواء، ويتنشق الحاضرون بعضا من هذه النظائر وعناصر أخرى. وقد عمد الدكتور تاكيشي هيراياما من معهد الوقاية من الاورام في طوكيو، الى مراجعة ملفات أكثر من ٩١ ألف امرأة. فوجد ان النساء غير المدخنات اللواتي يسرف أزواجهن في التدخين يتعرضن لخطر الموت بسرطان الرئة أكثر بضعفين من النساء غير المدخنات المتزوجات رجالا غير مدخنين.

ولا يمكن أي شيء أن يزيل كل الاشعاع الذري من السجائر ولكن من الممكن اتخاذ تدابير للحد من هذا الخطر:

- في وسع مزارعي التبغ التحول الى أسمدة ذات محتوى منخفض من الاشعاع وغرس أنواع من التبغ الهجين أقل قابلية لتركيز العناصر المشعة في أوراقها. ويبدو أن غرس الشتول متقاربة يقلل من تكثف الاشعاع في كل ورقة تبغ.
- تشجيع شركات السجائر على مواصلة تحسين المصافي (الفلتر) من أجل ازالة مقادير أكبر من الاشعاع.
- تنبه المدخنين الى مخاطر الاشعاع في التبغ. فالتدخين في فترات متقاربة والتنشق العميق للدخان، مثلا، يعرضان المرء لخطر اعظم من خطر العناصر المشعة الهائمة في الدخان. ويعتقد كثيرون ان السجائر "الخفيفة" (light) المجهزة بمصفاة (فلتر) هي آمن من سواها، لكن الابحاث أظهرت أن المدخنين ينزعون الى تنشق دخان هذه السجائر على نحو أعمق والى استهلاك عدد أكبر منها.
- توفير مبالغ أكبر للباحثين كي يتاح لهم استقصاء تأثيرات الاشعاع الذري في السجائر على صحة الناس.

ولكن بعد كل ما توصل اليه العلماء حول الاشعاع الذري في السجائر، تبقى خير طريقة لوقاية نفسك من أخطاره ألا تدع دخان التبغ يدخل رئتيك أبداً.

لويل بونتي ■



دائرة المعارف

تحرص "المختار" في مقالاتها على سهولة الاسلوب ووضوح العبارة، لكنها تزخر أيضاً بكلمات تغني لغتنا. وهنا كلمات منتقاة من الاعداد الاربعة الاخيرة من "المختار". وقد وضع أمام كل منها أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. ذرعَ: قاس بالذراع - برَّر - صبر - طمر الحَبّ.

٢. نكصَ: وخز - أخلف بالوعد - أحجم - عدا وئيداً.

٣. بارقة: راية - ورقة خضراء - نجمة - سحابة ذات برق.

٤. أوزار: أثقال - سفَلة الناس - أطراف - أعذار.

٥. ثابَ: ترك - عاد - طلب المغفرة - هجر الحبيب.

٦. حدجَ: أومأ - كفر بالنعمة - حدّق - خدش.

٧. ضارَ: نافس - قاتل بضراوة - افترس - أضرَّ.

٨. نزَق: ملل - ألم فظيع - نيزك - خفة وطيش.

٩. عزوبة: اباء - حياة من دون زواج - حلاوة - مزرعة.

١٠. ردَح: مدة طويلة - ذل - عمل شاق - حِمْل.

١١. اقترفَ: بخل - أقر بالذنب - فعل - تقززت نفسه.

١٢. ازمهرَّ: هطل - احمرَّ - اقشعرَّ بدنه - تورَّم.

١٣. مادَ: انشقَّ - تحرك واضطرب - هوى - ذهب بعيداً.

١٤. غائلة: جوع - محصول - حقد باطن - مؤنث الغول.

١٥. شفير: نصل - شفة الجمل - هوة - ناحية رأس الشيء.

١٦. تعقّبَ: تتبّع - نال عقاباً - ترجّى - أصيب بالجرب.

١٧. نكِبَ: وقع - تنحّى - امتطى دابة - فاجأ.

١٨. سُرِّيَ عنه: مات - نسي - زال عنه الهم - وُشي به.

١٩. مشبوب: عاشق - دائم الشباب - مُوقَد - ملطخ.

٢٠. اعتلجَ: ارتاب - استشفى - اعترض - التطم.

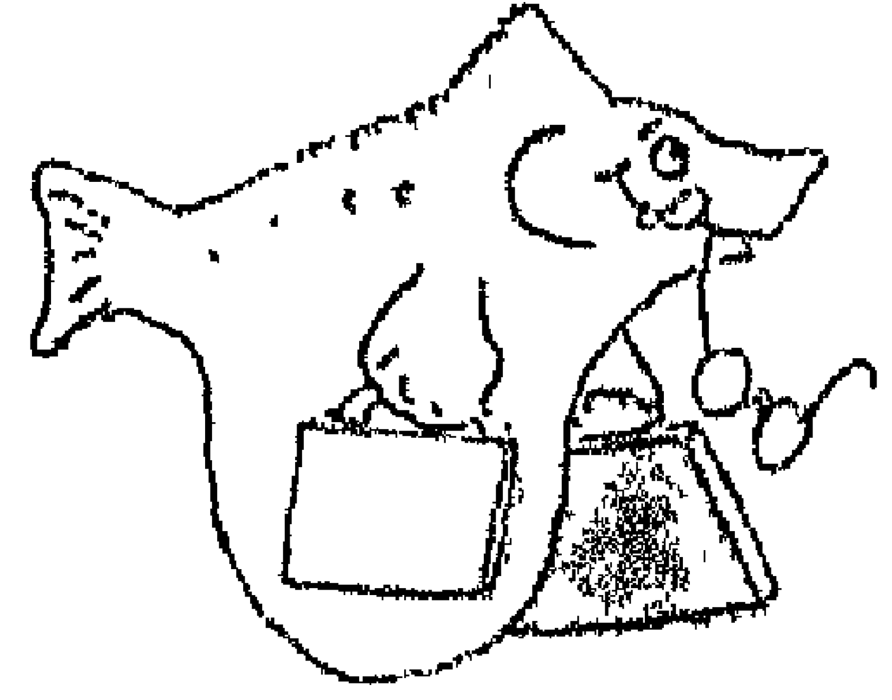
٢١. محّصَ: فتّت - نقّى - بحث - نظر بطرف عينه.

٢٢. أناة: تمهُّل - اناء زهر - حزن - حب الذات.

٢٣. معارج: سلالم - منعطفات - أقدام - نجوم السماء.

٢٤. سابَ: سرق - لام - ذهب كل مذهب - شتم.

٢٥. مغالاة: ولاء - خداع - تكبُّر - مبالغة.



الأجوبة الصحيحة

١. **ذرع الثوب**: قاسه بالذراع. ومنه "ذرع المكان" اذا خطا فيه خطى متوازنة طويلة.
٢. **نكص عن الامر نكوصاً**: أحجم عنه. انتكص الرجل: رجع على عقبيه.
٣. **البارقة**: سحابة ذات برق.
٤. **الوِزر**: الاثم والحمل الثقيل. أوزار الحرب: أثقالها وآلاتها. يقال "وضعت الحرب أوزارها" أي انقضت.
٥. **ثاب**: عاد. ثاب المريض: رجعت اليه الصحة. والناسُ: اجتمعوا.
٦. **حدَجه**: ضربه. حدجه بالسهم: رماه. وبالذنب: نسبه اليه. وببصره: حدّق اليه.
٧. **ضارَه الامرُ**: أضرّ به. ومضارعه يضور ضوراً ويضير ضيراً.
٨. **النزَق**: الخفة والطيش والعجلة في جهل وحمق.
٩. **العزوبة**: الحياة من دون زواج.
١٠. **الرَدَح**: المدة الطويلة. الرَدْح: الوجع الخفيف.
١١. **اقترف الذنب**: فعله. والمالَ: اقتناه.
١٢. **ازمهرَّ الوجه**: كلح. واليومُ: اشتد برده. ازمهرَّت العين: احمرت غضباً.
١٣. **ماد**: تحرك واضطِرب وزاغ. ماد الغصن: تمايل. والرجلُ: تبختر. يقال "مادت به الارض" أي دارت.
١٤. **الغائلة**: الداهية والمهلكة والشر والحقد الباطن.
١٥. **الشفير**: أصل منبت شعر الجفن. شفير الوادي: ناحيته من أعلاه. شفير الكثيب: رأسه الذي ينهـال شيئاً فشيئاً.
١٦. **تعقّب**: تتبّع.
١٧. **نَكِبَ عن الطريق**: عدل وتنحّى. نكبه الدهر: أصابه بنكبة.
١٨. **سَرى الهمُّ**: ذهب. سُرِّي عنه: زال عنه الهم أو الغضب.
١٩. **نار مشبوبة**: موقدة. المشبوب من الرجال: الشهم الذكي الفؤاد.
٢٠. **اعتلجت الامواج**: التطمت، ومنه "اعتلجت الهموم في صدره." اعتلج القوم: اقتتلوا واصطرعوا. اعتلج الرمل: اجتمع. اعتلجت الارض: طال نباتها.
٢١. **محّصه**: نقّاه. أيضاً: ابتلاه واختبره.
٢٢. **الاناة**: الانتظار والتمهل. أيضاً: الوقار والحِلم.
٢٣. **المعرج والمعراج**: السلّم والمصعد. جمعها معارج.
٢٤. **ساب الماء**: ذهب كل مذهب. سيّبه: تركه يسيب وأهمله. المال السائب: الذي لا حفاظ عليه.
٢٥. **المغالاة**: المبالغة.

المستوى

٢١ – ٢٥: ممتاز
١٦ – ٢٠: جيد جداً
١١ – ١٥: مقبول

أصبحت المهنة في عصرنا هدفاً أكثر منها وسيلة. وللحصول على الاكتفاء المهني ينصح الخبراء بمعرفة الذات أولا

أيّ مهْنة تختَار؟

في الأزمنة الاكثر بساطة كان نوع العمل الذي يمارسه المرء يتوقف على المصادفة أو على أمنية أحد الوالدين أو على ظروف خارجة عن الارادة. وكان الكثيرون إما يلازمون العمل نفسه طوال حياتهم واما ينساقون من عمل الى آخر.

لكن الوضع يختلف هذه الأيام. ويؤكد فرانك بورتنيت من المؤسسة الأمريكية للاستشارات والتنمية: "يتطلع الناس على نحو متزايد الى الحصول على مهنة وليس على مجرد عمل، وهم يسعون الى تحديد خياراتهم بأنفسهم. وغالباً ما يكون الرضا الذاتي عن عملهم أهم من المردود المالي. والكثيرون مستعدون للمجازفة بوضعهم المستقر في العمل في مقابل فرصة للاحتراف."

ولهذه الأسباب يطلب الناس اليوم مساعدة المستشارين المهنيين اكثر من أي وقت مضى. وهؤلاء محترفون يعملون لحسابهم الخاص أو ضمن مراكز أو "عيادات" استشارية في الجامعات أو الوكالات الاجتماعية.



Illustration: Bill Cleaver

فما هي الأسئلة المختصة بانتقاء مهنة أو بتغيير عمل والتي يكثر الناس من طرحها على المستشارين؟

لمعرفة ذلك طلبت مساعدة خبراء الاستشارات المهنية.

• ما هي المبادئ الأولية في الانتقال المهني؟

الشأن الأهم هو تحديد أهدافك المبدئية، ومن ثم تطوير مهاراتك لتحقيقها. وهنا قد تنفع الاستشارة. لكن بورتنيت يحذر من أن المستشار لن يتخذ القرارات بدلا منك، كما انه ليس وكالة توظيف ولن يحصل لك على عمل. والأصح أن المستشارين أشبه بالمدربين الماهرين.

١. تقويم الذات. تقول ماكسين واينابل رئيسة احدى الشركات الاستشارية في مدينة نيويورك: "يأخذ الناس تكراراً خيارات تحمل بذور فشلها، لأنهم لا يعرفون مهاراتهم وأولوياتهم الحقيقية." فبين زبائننا سيدة تتقاضى معاشاً محترماً من عملها المريح في تحليل السندات المالية، وقد أدركت بعد اختبار شخصيتها انها تهوى مواجهة التحديات ونيل التقدير أكثر من حبها المال فتركت عملها المريح لتتوظف في مركز للعلاقات يتطلب جهداً أكبر ويدر مالا أقل.

ان تطوير المعرفة الذاتية هو المدخل الأكيد الى خيارات حكيمة. ويلح كثير من المستشارين على زبائنهم كي يواجهوا أنفسهم بأسئلة كهذه:

– ما هي نواحي قوتي ونواحي ضعفي في العمل؟ وما هي مواهبي واهتماماتي الخاصة؟

– ما هي الارضاءات والتعويضات التي أطمح الى جنيها من عملي؟ وما هي العوائق (ساعات عمل طويلة، سفر...) التي أرضى تحملها؟ وما هي النواحي التي كرهتها في وظائفي السابقة؟

– هل أفضّل الرتابة أم التنوع؟ الأمان في العمل أم السلطة؟ وهل أرغب في العمل منفرداً أم مع آخرين؟ وهل أبغي ضغوطاً أكبر أم أقل؟ وأي مقدار من اعادة التأهيل أقبل؟ وكم من الوقت أعطي التمرس في حقل جديد؟

يحدّث مستشار من مدينة واشنطن عن امرأة كانت على وشك الوصول الى مركز نائب الرئيس في شركة عقارية "وكالكثير من نساء هذا العصر علقت بين تطلعاتها المهنية ورغبتها في تكريس وقت أطول لعائلتها. وفي نهاية المطاف قررت التخلي عن بعض مدخولها ومكانتها لتعمل ثلاثة أيام في الاسبوع."

٢. دراسة مجالات العمل. استخدم المراجع المناسبة والمقابلات الملائمة لجمع المعلومات اللازمة عن فرص العمل. ويؤكد غريغوري جاكسون من المركز الجامعي للاستشارات في جامعة كاليفورنيا الرسمية بمدينة نورثريدج: "كثيراً ما يغفل الناس عن خياراتهم." وهو يخبر عن مدير مالي يحمل شهادة ماجستير في ادارة الأعمال فضّل الفنون على ادارة الأعمال، وتساءل: "ما قيمة ماجستير ادارة الأعمال في حقل الفنون؟"

ويقول جاكسون: "لم يسبق للرجل أن سمع بحقل ادارة الفنون." وبعد انصياعه لتوجيهات المستشار فانه اليوم سعيد بادارة برنامج لجمع الأموال اللازمة لانشاء مركز ثقافي.

ما أفضل مصادر المعلومات عن فرص العمل؟

ان الكتيبات التي تصدرها الدولة تتضمن معلومات أساسية. والطريقة الفضلى للاستعلام عن عمل ما هي التحدث الى أناس يمارسونه. وينصح روري مادن وهو مستشار من ولاية أريزونا: "حدد مواعيد مع أصدقاء يمارسون أعمالا تهواها وترغب فيها." ويعتقد مادن أن هذا الأسلوب هو الأسرع للحصول على معلومات أكيدة.

٣. تطوير أساليب اقتناص فرص العمل. يساعدك مستشارو المهن في تحسين كتابة نبذة عن سيرتك الدراسية والمهنية وتقوية مهاراتك في مقابلات العمل وتدعيم ثقتك بمقدراتك.

• في اختيار مهنة ما، هل أراعي مهاراتي أكثر أم اهتماماتي؟

الاهتمامات هي مفتاح الرضا في العمل، في حين تكتسب المهارات وتُشحذ مع الوقت.

وتقول إيلين كاباك منسقة برنامج تغيير المهن في جامعة كاليفورنيا بلوس انجلس: "كثيرون من الناجحين ظاهراً ليسوا سعداء في عملهم. ولا تعوِّض هذا الواقع المغانم المادية كالعلاوات والترقيات والمراكز.

ومثالا على ذلك لاحظت محامية ناجحة مختصة بقضايا الطلاق أنها تسأم عملها تدريجاً: "طوال عشر سنين ساهمت في تأجيج نزاعات الأزواج على النفقة وحق رعاية الأطفال. وأنا أجيد ذلك حقاً. ولكن حين نظرت في المرآة لم أحب صورتي." وبعد مراجعتها لقيمها واهتماماتها اكتشفت ان لديها نزعة قوية الى تقمص عواطف الآخرين. فتدربت لدخول حقل جديد هو التوسط في قضايا الطلاق."وانا الآن أساهم في احلال السلام لا الحرب بين الزوجين المزمعين على الطلاق."

• ما فائدة امتحاني الجدارة والاهتمام؟

تختلف آراء الخبراء حول هذه النقطة. فبعضهم يرى أن الامتحانات خطوة أولية وحيوية في التخطيط للمهنة، فيما يعتقد البعض الآخر انها لا تقيس بفاعلية تلك العوامل الأساسية كالاندفاع في العمل والشخصية القيادية والمهارات الادارية.

ويستخدم معظم المستشارين الامتحانات على نطاق ضيق كنقطة بداية للأشخاص غير المتأكدين مما يرغبون في عمله. وتعتقد كاباك انه "ليس في مقدور أي امتحان اعلامك ما يجب أن تعمل. فمجرد تفوقك في حقل الرياضيات، مثلا، لا يعني أنك يجب أن تعمل في هذا الحقل." لكن الامتحانات تنفع أحياناً في تجنيب الناس التعلق بأهداف لا تتناسب ومواصفاتهم.

مثلا، أصر مهندس على الاستقالة من عمله في فريق أبحاث لتصميم الادمغة الالكترونية ليصبح مستشاراً يعمل

لحسابه الخاص. لكن الامتحانات أظهرت أنه يعمل على نحو أفضل في إطار مؤسسة. ويقول مستشاره: "انه قبل بهذه الدلالة وقرر البقاء في عمله. وربما كان العمل الخاص كارثة عليه."

• ماذا يريد رب عملي العتيد أن يعرف عني؟

يؤكد روري مادن: "هناك أمران: الأول، هل ستزيد أرباح شركته؟ والثاني، هل ستنسجم مع زملائك في العمل؟" وعلى رغم أن هذين السؤالين نادراً ما يطرحان بهذا الوضوح (أي مرشح لوظيفة يجيب لا؟) إلا انهما يستتران خلف معظم أسئلة رب العمل. وهناك وسائل فاعلة لمعالجة هذا الموضوع. أنظر الى مؤهلاتك من وجهة نظر رب العمل قبل تقديمك طلب التوظيف. وبدل تقديم نبذة ذاتية واحدة لكل الوظائف، أكتب نبذة خاصة بكل مقابلة، تركز على المهارات والخبرات المطلوبة في المؤسسة المعنية.

• هل من المنطقي التطلُّع الى عمل يشبع حاجاتي الشخصية وأهدافي؟

نعم. ومن حق طالب العمل أن يطرح ما شاء من أسئلة حول الوظيفة المرتقبة أثناء المقابلة. وتؤكد جويس شنايدر وهي طبيبة نفسانية من سانتا مونيكا بكاليفورنيا: "من حقك توقع أكثر من حوالة شهرية من عملك، فهو يجب أن يساهم بطريقة ما في نموِّك الشخصي."

• إذا شعرت بعدم ارتياح في عملي أو عدم رضا، فهل يعني ذلك وجوب تغييره؟

ليس بالضرورة. ويقول الخبراء ان من الطبيعي أن تشعر ببعض الانزعاج في فترات معينة من ممارستك العمل. ويضيف بورتنيت: "قد يحدث ذلك بعد سنة أو سنتين حين تتقن عملك تماماً وتتوق الى تحدٍّ جديد." وعلى الموظف المتوسط العمر توقع وخزات انزعاج حين يشعر بأنه توقف عن التقدم في عمله.

لكن الاشارات قد تكون مضللة. وفي رأي إدوين هير رئيس قسم علم النفس الاستشاري والتربوي في جامعة بنسلفانيا الرسمية، ان القلق الناجم عن ضغوط لا علاقة لها بالعمل، كالمشاكل الصحية والطلاق والضائقات المالية، قد ينعكس مشاعر عدم ارتياح في العمل. فالاحتمال قائم دائماً ان تكون مشكلتك خارج العمل، وقد تساعدك الاستشارة هنا أيضاً في تحديد أولوياتك.

• هل "القفز من عمل الى آخر" غير مستحب؟

في الماضي اعتبر من يكثر من تغيير عمله شخصاً غير مؤهل لتحمل المسؤولية. إلا أن تغيير الوظيفة بات أمراً مألوفاً الآن، خصوصاً في حقول مثل عرض الازياء والنشر والتلفزيون، كذلك في حقلي البيع والتسويق حيث يسهل نقل المهارات من شركة الى أخرى. ويتضح للمستشارين اكثر فأكثر أن التغيير "الهادف" هو طريق الى النجاح المهني هذه الأيام.

وتقول سوزان ميلر وهي مستشارة في بيفرلي هيلز بولاية كاليفورنيا: "بعض

مديري التوظيف يفضلون شخصاً تظهر نبذة سيرته تقدماً عمودياً، أي نجاحاً باهراً." وإحدى زبائنها غيَّرت عملها أربع مرات في غضون سبع سنوات، فانتقلت من أمينة صندوق في أحد المصارف الى حافظة سندات فالى مسؤولة عن القروض، وأخيراً أصبحت مديرة مساعدة في مصرف. غير أن ميلر تحذر: "أما اذا انتقل المرء من عمل الى آخر في فترات متقاربة جداً وفي أعمال لا تمت بصلة بعضها الى بعض، فقد لا يكون ذلك في مصلحته."

ويقترح عليك الكثير من المستشارين أن تفكر ملياً قبل تغيير عملك إذا كنت تمر بأزمة شخصية. ويرى الطبيب النفساني مارك غولستون من مدينة لوس انجلس "ان القرارات المتخذة بتأثير ضغوط نفسية قد تعطي عكس النتائج المرجوة، اذ قد يكون سبب اتخاذها خاطئاً."

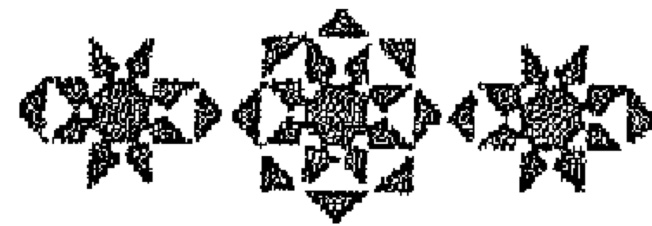
• عرض علي عمل بأجر أقل، لكن فرص النجاح والتقدم فيه أوفر. فكيف لي أن أعرف اذا كان يستحق المخاطرة؟

تقول ايلين كاباك: "المجازفون الناجحون يدرسون كل الحسنات والسيئات." وكمعظم المستشارين فان لديها زبائن يصوغون موازنة للعوامل المختلفة، كالأمان في العمل في مقابل الربح المادي، ورأي الزوجة، وقدرة الشخص المعني على احتمال المزيد من الضغوط، ونتيجة المجازفات السابقة. وهناك سؤال آخر هو: هل تملك ما تحتاج اليه من معلومات حول العمل الجديد؟

ان موازنات كهذه ليست مصممة للطلوع بأجوبة حاسمة، ولكن للتأكد من أن كل الأمور المهمة أخذت في الحسبان.

ويؤكد المستشارون أن المجازفة استحقت العناء في معظم الحالات حين قرر الشخص المحاولة. ويقول مادن: "بحسب خبرتي فان نحو ٨٥ في المئة من الذين تركوا مراكز آمنة الى اخرى تحمل امكانات نجاح أفضل، هم مسرورون لانهم فعلوا. وتظهر الاستطلاعات أنهم أسعد في أعمالهم الجديدة، وأهم من ذلك أنهم أكثر رضا عن أنفسهم."

نورمان لوبسنز ■



بطاطا للتنظيف

حين انتقل طالب جامعي من مهجع الطلاب الى شقة سكنية ذهب لشراء ما يحتاج اليه من لوازم التنظيف. وامتلأت عربة التبضع بما اشتراه: مكنسة وممسحة ومقحفة واسفنج ومجموعة من مساحيق التنظيف، وفوق هذه كلها كيس كبير من رقائق البطاطا المقلية. ولاحظ علائم التعجب على قسمات المحاسب، فقال موضحاً: "اني لست لبقاً في تناول طعامي، فأنا أنثر البقايا في كل مكان حولي."

ش.ف.



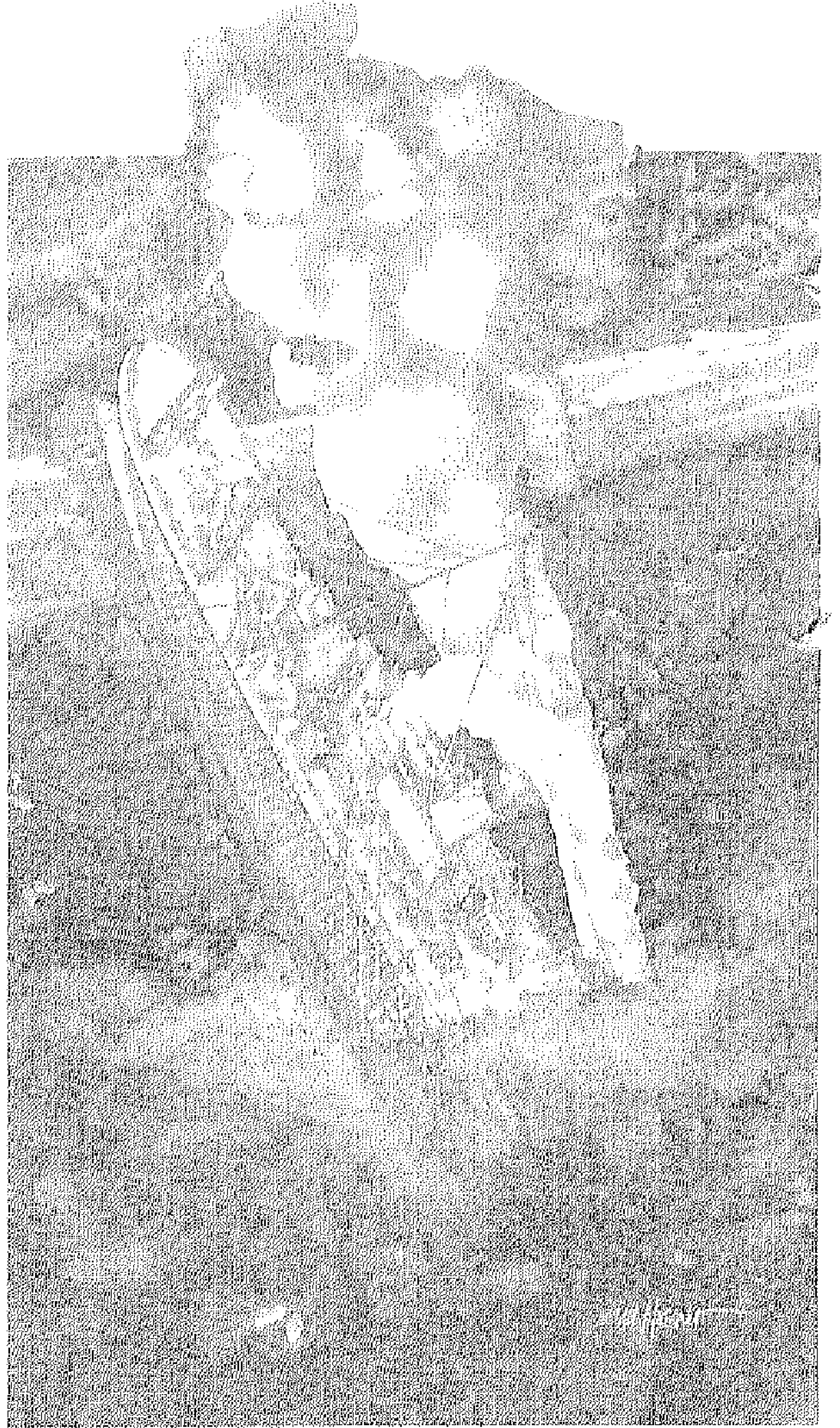
التيتانيك بعد ٧٤ سنة

(القسم الثاني)

قصة الباخرة الاسطورة تعيد روايتها مجموعة من محرري الـ"ريدرز دايجست"

في شهر أبريل (نيسان) ١٩١٢ كانت السفينة التيتانيك "التي لا تغرق" تشق طريقها مسرعة شمال المحيط الأطلسي المظلم فاصطدمت بجبل جليدي وعلى متنها عدد من المشاهير والأثرياء. وحين بدأت تغرق تبيّن أن قوارب النجاة على متنها تتسع لاقل من نصف مجموع الركاب والملاحين. على أن الذعر لم يدبّ في النفوس وبقيت الفرقة الموسيقية تعزف حتى النهاية. وعندما غيّبت المياه السوداء القارسة معالم السفينة العملاقة أدرك الموت ما يزيد على ألف وخمسمئة شخص. ومنذ تلك الليلة المرعبة لم تزل أسطورة التيتانيك تقضّ مضاجع ملايين البشر، كما يتضح من الافلام السينمائية والكتب التي احيت لحظاتها الأخيرة. وبعد مضي أكثر من سبعة عقود على فقدان السفينة العظيمة بدأ السباق لاكتشاف المكان الذي تهجع فيه. والمتنافسون عن غير عمد في هذا المضمار هم جاك غْريم أحد أثرياء النفط في تكساس وأنجح مغامر على قيد الحياة كما يقال، وأعضاء فريق دولي يضم علماء امريكيين وفرنسيين بينهم روبرت بالارد من مؤسسة وودز هول لعلوم المحيطات في ولاية مساتشوستس وجان لوي ميشال وجان جاري من مؤسسة «IFREMER» الفرنسية وهي وكالة حكومية خاصة بسبر أغوار البحار.

وفي هذا الجزء (وهو الثاني) الذي تختتم به قصة التيتانيك عمد محرّرو الـ"ريدرز دايجست" الى إيجاز مواد واقتطافها وتلخيصها من كتب ومجلات وجرائد متنوعة ومن مقابلات مع مكتشفي حطام التيتانيك.



في ١٠ أبريل (نيسان) ١٩١٢ في الثانية والدقيقة الثامنة عشرة بعد منتصف الليل انتصبت التيتانيك "كأنها إصبع سوداء ضخمة تشير إلى السماء." وظلت "في هذا الوضع المدهش" لحظات، وقبيل بضع دقائق، ثم غطست فجأة إلى أمام وأفلت كل ما فيها، بدءاً بمولدات الكهرباء وانتهاءً بالأثاث، وانزلق نحو مقدّمها. ومن ثمّ مالت قليلا الى الميسرة على نحو لولبي بينما أخذ أعلى مقدّمها المغمور بالماء يترنّح والموج يتدفق إلى سطحَي الطبقتين "أ" و"ب" غامراً أثاث الدرجة الأولى. وقبل أن تنطفيء أضواؤها نهائياً بدت "كأنها حاجب هائل" وظلت مصابيحها الغارقة منيرة تلقي على المياه المحيطة بمقدمها إشعاعات خضراء.

وبعد ذلك استقرت مائلة بزاوية تقارب سبعين درجة وبدأت تهوي إلى قعر البحر على نحو بطيء. ورأى أحد الركاب الذين بقوا أحياء أن ذلك كان "نهاية العالم". وجعل صوت كالرعد يتردد مخنوقاً تحت سطح الماء. و"هوت السفينة وهي تطلق قرقعة رهيبةً كأنما هي هاربة من شاطيء مليء بالحصى."

وفي الثانية والدقيقة العشرين توارت التيتانيك عن الانظار. وخلال ١٥ ثانية "باتت السفينة على عمق ١٥ متراً تحت سطح الماء وأخذت سرعتها في الازدياد. وتسببت الانفجارات الحاصلة في رفع حرارة الماء من درجتين مئويتين تحت الصفر إلى درجة تقارب الغليان، كما تسببت في إحراق عدد كبير من رجال الاطفاء السيئي الطالع. وبلغ عدد الذين ظلوا على متن السفينة نحو ألف شخص فقدوا جميعاً الأمل في النجاة. على أن القليلين الذين تمكنوا بطريقة ما من الوصول الى سطح الماء عاودهم الأمل. وكان بين هؤلاء المحظوظين العقيد

Illustrations: William Hosner

ارشيبالد غراسي والضابط الثاني تشارلز لايتولر. وبعد بضع ثوان أخرى تجاوزت التيتانيك عمق ثلاثين متراً تحت سطح الماء.

وعندما باتت السفينة في مكان أعمق بدأت الانفجارات داخل مؤخرها وانهارت الحواجز الفولاذية الثقيلة الفاصلة بين أجزائها كأنها ورق ألمنيوم بعدما قاومت المياه المتدفقة. وبدا واضحاً أن قدرة السفينة على الطفو اضمحلّت وازدادت سرعتها الى نحو ٣٧ كيلومتراً في الساعة.

أما الجيوب الهوائية الباقية فسرعان ما توارت وأطبق اليأس على مجموعة من المهاجرين الشباب عند أسفل السلّم الرئيسية الخاصة بركاب الدرجة الثالثة. فقد جرفهم الماء من المكان الذي طُلب منهم الانتظار فيه إلى أن يأتي من يرشدهم الى قوارب النجاة. غير أن هذا الارشاد لم يشمل شباناً أمثال دنيس أوبريان وفرنشيسكو تشيلوتي وجوفان ستانكوفيك، كما لم يشمل شابات يحملن أسماء هيلين روسبلوم وحنة سمعان ومرغريت رايس، ولا أطفالا أمثال جرجس يوسف وميبل سكوغ وألفرد بيكوك. هؤلاء كلهم، وغيرهم كثير، لم يتح لهم ركوب قوارب النجاة.

وفي مخزن البضائع الرقم ٢ في أدنى طبقات السفينة بدأت إطارات سيارة "رينو" تتقلص ببطء تحت وطأة الضغط المتزايد. وكان حول السيارة حمولة متنوعة تضمّ أمتعة سفر وآلات أفلتت من أمكنتها قبل غرق التيتانيك ببضع دقائق. واشتملت تلك الحمولة أيضاً على صناديق تحوي سلعاً قطنية وصندوق من الآنية الصينية وآخر من الآنية الفضية.

بعد دقائق خف انحراف التيتانيك الشديد الذي أنزلها تحت صفحة الماء غير المتموجة. أما المراجل الضخمة فسقطت عبر الحواجز المانعة لتسرب المياه محدثة ثغرات، وسبقت السفينة الى قعر المحيط كأنما هي فريق استكشاف. وحين أصبح مستوى السفينة العظيمة أقل انحناء أخذت "تحلق كطائرة ورق" وهي تشق طريقها عبر الأعماق المتجلدة مترجحة إلى خلف وإلى أمام مثل ورقة شجر ساقطة الى الارض.

وعلى عمق نحو ألف متر دخلت منطقة لم يبلغها نور الشمس قطّ. وفي ذلك العمق حيث يصل ضغط مياه المحيط الى ١١٤ كيلوغراماً في السنتيمتر المربع لا يمكن أن تبقى حياة بشرية. غير أن الكائنات الغريبة التي تختلف إلى أعماق المياه، كالاسماك ذات "المصابيح" المنيرة والأسماك الافعوانية السامة، أحسّت الضغط الناجم عن التيتانيك أثناء انحدارها المخيف إلى الأعماق.

واتضح أن مؤخر السفينة انفصل بعدما تعرّض لضغط يفوق التصور عند ارتفاعه إلى علٍ. وازداد تصدع الطبقات العليا وراحت الجثث في غرفة مدخني الدرجة الأولى وقاعة ركاب الدرجة الثانية ورواق الطبقة "هـ" تسقط في البحر المظلم لتغوص الى الاعماق أو لتبقى في هذا المكان العامر بحيوانات الحبّار والانقليس المزدرد والأخطبوط.

وبعد خمس دقائق كانت السفينة قطعت أكثر من نصف الطريق إلى قعر المحيط وباتت على عمق ألفي متر. وبلغت حرارة الماء خمس درجات مئوية وبلغ الضغط ٢٢٧ كيلوغراماً على السنتيمتر المربع. وخيمت الظلمة في كل مكان.

وإذ تابعت السفينة العظيمة انحدارها والضغط يرتفع باطراد كان المزيد من حمولتها يفلت من مكانه. ومما أفلت عدد من الرافعات وتلغراف حجرة المحركات وكثير من القدور والأطباق والقوارير. وعلى عمق حوالى ٢٥٠٠ متر اندفع مقدّم التيتانيك في التيار القاعي، وهو نهر واسع يجري ببطء تحت سطح الماء.

[illegible]

مضى على انحدار السفينة سبع دقائق، إلّا أنها ما زالت بعيدة عن قعر المحيط أكثر من ألف متر. ودخلت منطقة حافلة بالتلال والنتوءات الصخرية والاودية التي تجري فيها الانهار.

وأخذ مؤخرها يطفو مستقلا بعدما تفكك جزئياً مبدّداً الرافعات والمراوح والامتعة الشخصية فوق مساحة في قعر المحيط تمتد نحو ألف متر. وانفتحت الثلاجات وأفرغت محتوياتها من السمك والخضر والزبدة والحليب والجيلاتي (آيس كريم) ولحم البقر والدجاج والجبنة والفاكهة والزهر.

وأخيراً اندفعت التيتانيك مدوّية إلى القعر. ولن نعرف أبداً أي الجزئين، المقدّم أم المؤخّر، اصطدم بالقاع أولاً. وقد أثارا لدى اصطدامهما سحابة هائلة من الرواسب اختلطت بهباب الفحم في خزان الوقود. وكان من أثر الاصطدام أن تفكك المؤخر واندفعت الرواسب الى أسفل كأنها ثلج متساقط.

وبات هيكل السفينة الممزّق ضريحاً دائماً لأناس من علية القوم وآخرين من الطبقات المتواضعة. وكان في عداد هؤلاء قبطان السفينة ومعظم ضباطه وأعضاء الفرقة الموسيقية والاثرياء والمعلمون والبناؤون والنجارون والممرضات والمزارعون والملاحون المتمرسون وربات المنازل ومنقذو الغرقى وغاسلو الصحون. فهناك، على عمق ٤٠٠٠ متر رقد أشخاص ينتمون الى عشرين بلداً مختلفاً في مياه بلغت حرارتها أربع درجات مئوية وقوة الضغط فيها ٤٤٨ كيلوغراماً في السنتيمتر المربع.

وعندما تفكك مؤخر السفينة سقط طبق الشيبندال الفضي الثقيل من صوان المقهى الباريسي فأحدث قعقعة وراح يطفو ببطء ليستقر في القعر الأملس. وكان ذلك في نحو الثانية والنصف بعد منتصف الليل من يوم الاثنين الواقع فيه ١٥ أبريل (نيسان) ١٩١٢.

وهكذا دامت الرحلة البكر للتيتانيك أربعة أيام و١٧ ساعة و٣٠ دقيقة.[١] (★).

[illegible]

بعد وقوع كارثة التيتانيك عمد مجلس الشيوخ الامريكي إلى إجراء تحقيق في ما حدث. وأجرت وزارة التجارة البريطانية تحقيقاً موازياً. وأتت نتائج التحقيقين

(★) لتحديد المصادر راجع اللائحة في نهاية كتاب الشهر.

متفققة في جوهرها، وتبيّن أن السفينة العظيمة تجاهلت التحذيرات المتكررة وتابعت طريقها بأقصى سرعتها في بحر من الجليد القاتل. وكانت فلسفة "المهم هو الوصول بصرف النظر عن الاخطار" سائدة آنذاك في الخطوط البحرية. فقد كان همّها الأول تأدية خدمة كتلك التي يؤديها "القطار السريع" اليوم والتزام المواعيد المحددة وان أدّى ذلك إلى الانطلاق بالسرعة القصوى عبر الضباب وحقول الجليد وزوارق صيد السمك.

وهكذا دفعت التيتانيك الثمن الابهظ لهذه الحماقة.[٢] ونجمت عن التحقيقين قوانين للسلامة البحرية والارسال اللاسلكي. وفي الولايات المتحدة أنشئت المنظمة الدولية لمراقبة الجليد، ومؤسسة حفر الجليد، وهما لا تزالان قائمتين حتى اليوم.[٣] وفي غضون سنة غدا هذا المرفق العام رسمياً "دائرة خفر السواحل" في الولايات المتحدة. ولا تزال هذه الدائرة تضع في ١٥ أبريل (نيسان) من كل عام إكليلا من الزهر فوق المكان الذي غرقت فيه السفينة الأسطورية.[٤]

والواقع أنه بعد انتهاء التحقيقات لم يُضَف شيء ذو بال الى الروايات حول المأساة باستثناء ما ورد في بعض المذكرات. وعلى رغم ذلك فإن القصة لا تزال تضطرم في ضمير العالم. ويمكن القول إن إثارة هذا الموضوع لم تكن ضرورية لأنه لم يكن منسياً البتة. فاسم التيتانيك لا يزال الى اليوم ذا قيمة عاطفية تفوق قيمة معظم الأحداث التي مرّت بالتاريخ الانساني.

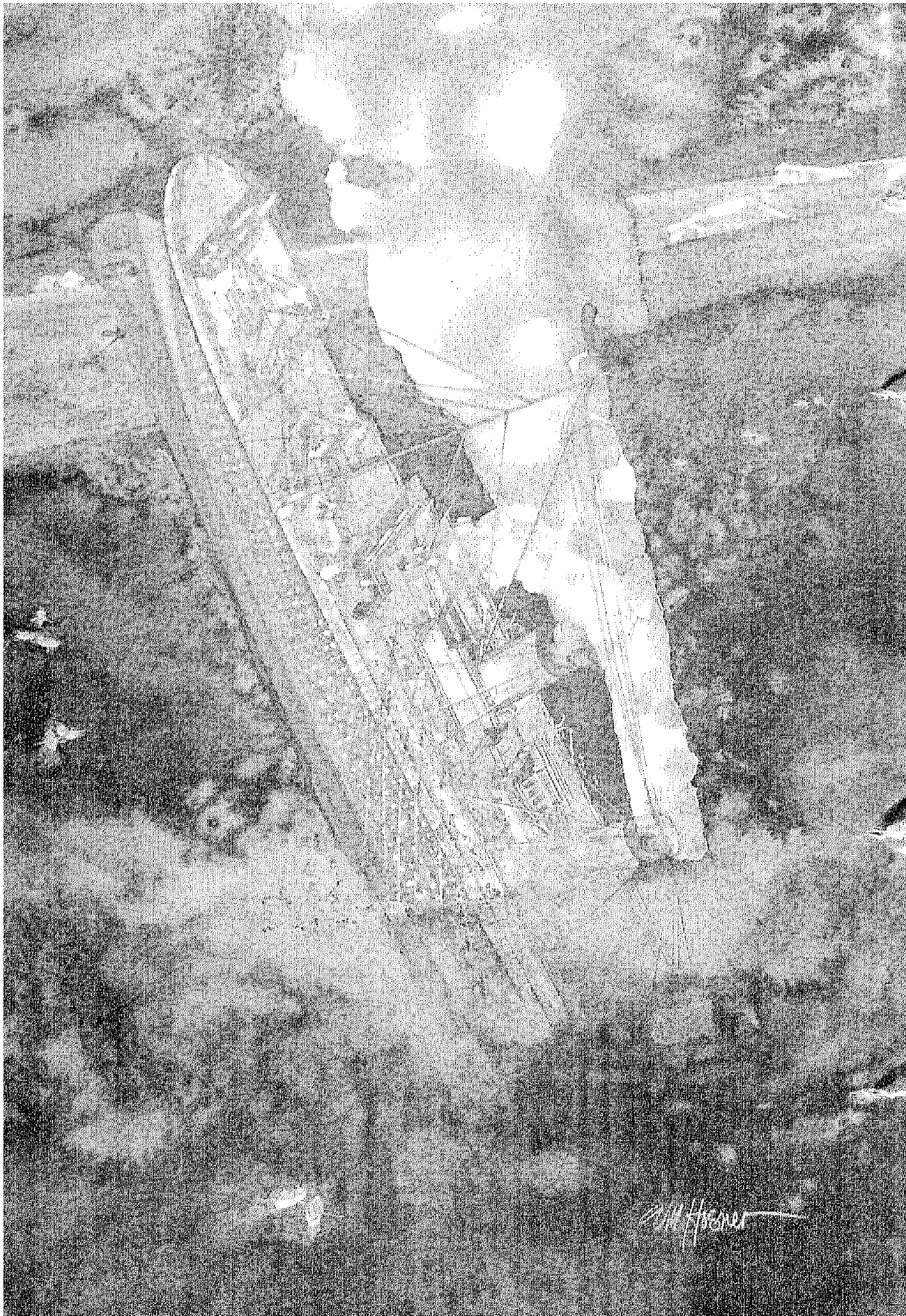
وعام ١٩٥٥ نشر الكاتب وولتر لوردز روايته القيمة "ليلة لا تنسى" التي أعادت الاهتمام بهذه الكارثة. ويرجع الى لوردز الفضل في تعريف أبناء جيل كامل بقصة لا يزال آباؤهم يحسّونها خيراً ممّا يجيدون التعبير عنها.

والحق أن جودة الكتابة في رواية "ليلة لا تنسى" بلغت حداً جعل إحياء الكارثة أمراً واقعاً. وفي العام ١٩٥٦ قدم "مسرح كرافت" الرواية على شاشات التلفزيون الأمريكي في عمل مسرحي نابض بالحياة مستعيناً بمئة وسبعة ممثلين و٣١ مشهداً. وبعد سنتين شوهدت التيتانيك مبحرة في دور السينما.

[illegible] غريبة

لقد وقعت سلسلة من الكوارث المائية كانت حافزاً قوياً على تطوير أجهزة ووسائل يسّرت أخيراً تعيين موضع حطام التيتانيك. وكانت أولى هذه الكوارث فقدان الغواصة النووية الامريكية "ثريشر"[٣] صباح العاشر من أبريل (نيسان) ١٩٦٣ في منطقة تدعى ولكنسون ديب وتبعد عن كيب كود (ولاية مساتشوستس) نحو ٤٠٠ كيلومتر في مياه يراوح عمقها بين ٢٤٠٠ و٣٥٠٠ متر.

وبعدما مضت ساعة و٤٧ دقيقة على آخر اتصال لاسلكي راحت غواصة الانقاذ الامريكية "سكايلارك" تدور حول المنطقة وتطلق نداء الى ثريشر كلّ دقيقة عبر هاتف يعمل تحت الماء وتلقي قنابل يدوية عن جانبها كلّ عشر دقائق اشارة الى سطح الماء، إلا أن ثريشر ظلت صامتة.



وقبيل الغسق اكتشف أحد الرقباء على متن "سكايلارك" رقعة من الماء هادئة على نحو غريب وشاهد على سطحها نفطاً وأجزاء صغيرة من الفلين وقطعاً بلاستيكية صفراء. وكان هذا دليلا على حصول الكارثة. فاتخذ الاسطول البحري قراراً بإعلام عائلات الضحايا بالأمر.

وفي اليوم التالي كان عدد من علماء مؤسسة علوم البحار في وودز هول بولاية مساتشوستس ومرصد لامونت - دويرتي الجيولوجي في جامعة كولومبيا في طريقهم الى المركب "أطلنتس - ٢" التابع لمؤسسة وودز هول والذي جعل يشق طريقه الى مكان الكارثة.

وكانت أولى المهمات العسيرة التي تنتظر هؤلاء العلماء سبر القاع بواسطة السونار(١). وفي هذه الأثناء وصلت غواصة الأعماق "تريستـه" التابعـة للأسطول من بوسطن الى سان دييغو حيث زُوّدت الأجهزة اللازمة وأخضعت لاختبارات

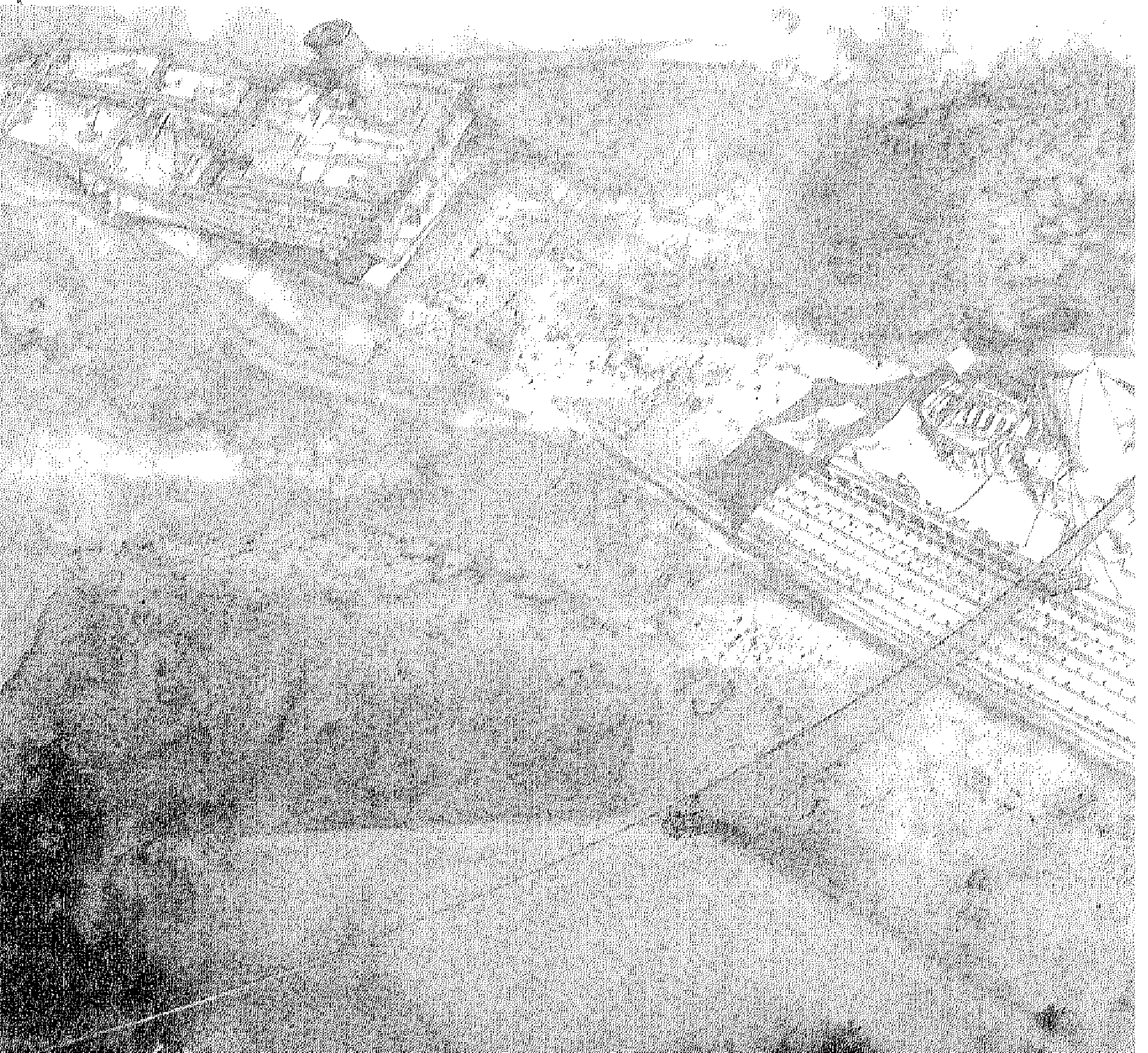
(١) جهاز لاكتشاف وجود الاشياء وموقعها تحت الماء بواسطة موجات صوتية تنعكس منها.



خاصة ثم مكثت تنتظر. وفي ٢٢ أبريل (نيسان) أعلن الاسطول اكتشاف ستة "نتوءات" في قعر المحيط. وغالب الظن أن المقصود باسم "بوينت دلتا" كما جاء في الشيفرة الرمزية كان تريشر نفسها. وفي ٢٦ أبريل (نيسان) حاول أطلنتس – ٢ تصوير بوينت دلتا بواسطة آلة تصوير «negative — 500» تزن ٢٢٥ كيلوغراماً.

واخيراً في ١٦ مايو (أيار) أظهرت مجموعة من ٥٠٠ صورة سلبية منطقة تمتد حوالى ١٥٠ متراً مكسوّة بالورق والألواح المعدنية المغضّنة والاسلاك الكهربائية المقطعة. وبدأ البحث المحموم وتركزت الجهود في هذا القطاع والتقطت صور إضافية بينها صورة قارورة أوكسجين التقطتها السفينة "كونراد" التابعة لمرصد لامونت. ووجد اطلنتس – ٢ كتاباً مفتوحاً في القعر. وصوّرت كونراد حاجزاً مانعاً للماء طوله ثلاثة أمتار.

ولم تلبث الغواصة تريستة أن انبرت



للعمل. وبعد شهرين من الغوص كشف جهاز في شكل ذراع آلية قطعة من أنبوب نحاسي بدا واضحاً أنها تخصّ الغواصة المفقودة إذ كتب عليها رقم الانبوب ورقم أمر العمل والرقم "٥٩٣" الذي يميّز ثريشر. وقد وجدت تريسته الغواصة ثريشر ركاماً متناثراً في قعر المحيط. ولكن ما الذي جعلها تستقرّ هناك؟

يرى خبراء الأسطول أن وصلة في أحد أنابيب التبريد بماء البحر ربما انكسرت فجأة وتسببت في تعطيل مفاتيح بعض الاجهزة أو في تقصير دائرة كهربائية.

ثم انشقت الغواصة كالبيضة بثلم حول وسطها بدأ صغيراً جداً. وفي وقت يقلّ عن ذلك الذي يحتاج اليه المرء للصراخ اندفع نحو الغواصة جدار مائي صلب حطّم الحواجز المانعة لتسرب المياه كأنها مصنوعة من الخشب الخفيف. وجرف الماء المندفع كل ما اعترض سبيله في اتجاه طرفي الغواصة المنشقة. وأدى ذلك إلى انشطار بدنها قسمين ضخمين هويا الى قعر المحيط وتناثرا ألوفاً من الأجزاء.

قنابل هيدروجينية

أما الكارثة الثانية فنجمت عن اصطدام في الفضاء على علوّ ٩٥٠٠ متر فوق قرية بالوماريس جنوب اسبانيا في ١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٦. ونتج من ذلك سقوط عدد من القنابل الهيدروجينية على الأرض وواحدة في البحر الأبيض المتوسط. وسرعان ما استرجعت هذه القنابل باستثناء تلك التي سقطت في البحر.؟ والواقع أن أياً من هذه القنابل لم تنفجر. فالاجراءات الوقائية في الاسلحة النووية الامريكية جعلت الانفجار متعذراً إذ يستحيل تفجير قنبلة هيدروجينية من صنع أمريكي عن غير عمد.

وفي ٢٢ يناير (كانون الثاني) أي بعد خمسة أيام من وقوع الاصطدام، لجأ الاسطول الامريكي الى مؤسسة علوم المحيطات في وودز هول وسأل هل في إمكان غواصة الاعماق "ألفن" التابعة للمؤسسة المساعدة في البحث عن القنبلة الهيدروجينية المفقودة.

ولم يلبث أن تدفق عدد ضخم من التجهيزات للمساهمة في عملية البحث. فأتت سفينة الابحاث "ميزر"(٢) من مَسْفن(٣) فيلادلفيا التابع للأسطول، وهي مجهزة بكاميرا صامتة تعمل تحت الماء ومزودة أنواراً كاشفة يمكنها التغلغل في الأعماق المظلمة مما أتاح لها التقاط صور واضحة لأنقاض الطائرة التي غرقت بعد الاصطدام.

ومن السفن التي جنّدها الاسطول الغواصة "ألومينو" التابعة لشركة "رينولدز انترناشونال" التي تزن ٧٥ طناً ويبلغ طولها ١٥،٥ متراً. وهي صممت كي تعمل على عمق يصل الى ٤٥٠٠ متر. وكانت مجهزة بهاتف يعمل تحت الماء وجهاز سونار وأنوار تكشف ما تحت الماء وآلتي تصوير تلفزيونيتين.

وصلت ألفن جواً ووصلت ألومينو بحراً الى قرية بالوماريس في ١٠ فبراير (شباط) وبدأتا العمل في ١٥ منه. وتوقف في الأفق مركب صيد سوفييتي

(٢) من كلمة "مئزر" العربية.
(٣) موضع تبنى فيه السفن أو ترمّم.

مزود جهاز إنصات. وحددت ألفن مكان المظلة (الباراشوت) في أعلى القنبلة الهيدروجينية على عمق ٧٧٥ متراً، إلا أنها لم تلبث أن ضيعته. ولم يكن هناك أي جهاز يمكنه انتشال شيء من عمق مماثل، فكان لا بدّ من تخيل وسيلة تفي بهذا الغرض. وتمّ ذلك في سلسلة مراحل مثيرة، بينها فقدان أثر القنبلة الهيدروجينية، الى أن وجدتها ألفن ثانية في ١٥ مارس (آذار). ودأبت ألفن على العمل مع ألومينو وغواصة أخرى كانت تستخدم لاستعادة قذائف الاسطول، وتمكنت من انتشال القنبلة من عمق ٨٥٠ متراً في ٧ أبريل (نيسان) أي بعد ٧٩ يوماً و٢٢ ساعة و٢٣ دقيقة من وقوع الحادث.[٦]

تمشيط الكتروني

بعد سنتين وقعت كارثة أخرى في ١١ أبريل (نيسان) ١٩٦٨. فقد انفجرت غواصة سوفييتية من نوع "غولف - ٢" مزودة قذائف وصواريخ ذات رؤوس نووية، وغرقت وعلى متنها سبعون رجلا على بعد ١٤٠٠ كيلومتر شمال غرب هاواي في عمق يقارب الخمسة آلاف متر. واستقرت الغواصة هناك. وحاولت السفن السوفييتية تعيين مكانها من دون جدوى.

وفي مايو (أيار) بعد شهر من وقوع كارثة الغواصة السوفييتية غرقت الغواصة النووية "سكوربيون" على نحو غامض في المحيط الأطلسي قرب جزر الازور وعلى متنها ٩٩ ملاّحاً. وفي سان دييغو أَرسل "الفريق - ١" لتطوير الغواصات في الاسطول الأمريكي مجموعة من سفن استكشاف المحيطات في رحلة استمرت ٦٢ يوماً للبحث عن الغواصة المفقودة. وانضمت السفينة ميزر إلى عملية البحث بملاحيها الستين وقد جرّت وراءها "سمكة" تغوص في الاعماق وتشتمل على سونار وأنوار كاشفة وآلات تصوير متطورة ومقياس للمغنطيسية (magnetometer) إلى أن تمكنت الأجهزة من العثور على هيكل سكوربيون.[٧] والتقطت ميزر صوراً مدهشة تبدو فيها أجزاء من سكوربيون مستقرة على عمق ثلاثة آلاف متر تحت سطح المحيط الاطلسي، أي في موقع أقرب الى سطح الماء من موقع التيتانيك بنحو كيلومتر واحد.

وبعدما تخلى السوفييت عن محاولة البحث عن غواصتهم المفقودة أرسل الاسطول الأمريكي[٢] السفينة ميزر إلى المنطقة. فتمكنت من تحديد مكان الحطام بواسطة أدمغة الكترونية متطورة كانت على متنها وبمساعدة أقمار اصطناعية أمريكية. فقد بدأت ميزر تجرّ جيئة وذهوباً كتلة دعيت "سمكة" مختبر الابحاث في الاسطول وبلغ طولها مترين و٧٥ سنتيمتراً وعرضها حوالى متر ووزنها نحو طنّ واحد. ولم تتمكن ميزر من تحديد مكان الغواصة قبل مضي بضعة أسابيع على رغم توافر أجهزة الاستكشاف هذه التي تتضمن وسائل اتصال مائية حسّاسة وآلات تصوير وسونار ملاحة وسوناراً لمراقبة المياه الجانبية وسبر الارتفاع وأنابيب الكترونية (Strobe lights) ترسل ومضات ساطعة وقصيرة وجهازاً لقياس

المغنطيسية. واستدعى العثور على الغواصة المفقودة التمشيط الكترونياً في بقعة تزيد مساحتها على ٢٥ كيلومتراً مربعاً ويبلغ عمقها نحو خمسة آلاف متر.[٧]

"خطة أزوريان"

أخيراً أشارت الآلات على ظهر السفينة إلى وجود جسم معدني ضخم في قعر المحيط. ونجحت ميزر في التقاط صور للهيكل الذي لم يصب بأذى على عمق ٥١٠٠ متر. وبعد نحو عقد من الزمن وصف روي فارنر وواين كولير ما شاهداه من حطام الغواصة، فقال كولير إنه رأى[٢] "صورة طولها خمسون سنتيمتراً وعرضها أربعون لغواصة مستقرة على كثبان صغيرة في القاع وقد تحطم خطمها وتشوه ذيلها وفُقد بعض أجزائه، وبدا في جانب منها فجوة كبيرة وظهرت على طول الهيكل ثقوب متفرقة. وفي الناحية الأمامية قرب أسفل الصورة ظهر سرطان بحري ضخم يجر صيده عبر الرمال. وكان هذا الصيد حذاء رجل." وتساءل كولير كيف يمكن التقاط صورة واضحة في مياه يزيد عمقها على خمسة آلاف متر.[٧]

تلك كانت بداية احدى أبرز مهمات الاستخبارات وأكثرها كلفة في التاريخ. فقد أُعدّت "خطة أزوريان" التي أرصد لها ٥٥٠ مليون دولار، وهي كثيراً ما تدعى "خطة جنيفر" وسمّيت أخيراً "خطة ماتادور". وقد هدفت الى ابتكار وسائل تمكّن من انتشال الغواصة من قعر المحيط بحيث يتم كشف أسرارها النووية. وأوكلت هذه المهمة إلى السفينة "غلومار اكسبلورر" التي صُمّمت بالتعاون مع شركة "سوما" للثري الاسطوري الراحل هوارد هيوز. وأشيع طوال سبع سنوات أن السفينة كانت تعمل على استخراج معادن نفيسة من أرض المحيط.[٢]

وفي يوليو (تموز) ١٩٧٤ تدلّى إلى القاع جهاز ضخم يشبه المخلب ويدعى "كليمنتين" مربوط بسلك أنبوبي طوله خمسة آلاف متر، فقبض على الغواصة التي تزن خمسة آلاف طن ورفعها من القعر. ولم تكد غلومار اكسبلورر وكليمنتين ترفعان الغواصة نحو ١٥٠٠ متر حتى أفلت جزء من الغنيمة يساوي ثلثيها وهوى ثانية إلى قعر المحيط.

وكتب فارنر وكولير في ما بعد أن "إحدى السفن التابعة للأسطول أكدت أن الثلثين الآخرين سقطا في موضع قريب من الموضع الأصلي وأتت بصور واضحة للضريح الثاني العميق الذي استقرّا فيه."

وأخيراً ذاع الخبر وتناقلته وسائل الاعلام مما أنهى مهمة غلومار اكسبلورر الهادفة الى انتشال بقية الحطام. وكان من إنجازاتها البارزة التطور السريع لأعمال التنقيب البحري والتقنيات الأخرى الخاصة بالمحيطات.[٧]

كان للتقدّم التكنولوجي شأن خطير في رواية كلايف كسلر "ارفعوا التيتانيك!" التي كانت أكثر الروايات رواجاً عام ١٩٧٦. وفي هذا العمل الأدبي المثير وصف لاصلاح هيكل السفينة تحت الماء وضخ الهواء المضغوط فيه لرفعه الى سطح الماء.

وكان الدكتور روبرت بالارد الاختصاصي بعلم طبقات الأرض في وودز هول، من

العلماء الذين اهتموا بالعثور على التيتانيك. وعام ١٩٧١ اقترح بالارد استعمال مسبار البحار في "ألكوا"، وهو عبارة عن آلة تصوير تنزل على طول أنبوب حفر لتحديد موقع التيتانيك وتصويرها. وحينئذ ينزل بالارد إلى الحطام بالغواصة ألفن التي يمكنها الوصول الى عمق التيتانيك. غير أن هذا الاقتراح لم يلق الدعم المالي المطلوب، كذلك كان نصيب الاقتراح الذي قدّمه بالارد عام ١٩٧٨.

بداية البحث

عام ١٩٨٠ أعلن جاك غريم أحد أثرياء النفط في تكساس أنه على استعداد لتمويل بعثة للعثور على التيتانيك.[٩]

وكان غريم دعم بعثات أخفقت في العثور على حيوان لوك نيس الغريب الشكل وعلى سفينة سيدنا نوح وعلى ذي القدم الكبيرة (Bigfoot) وهو كائن شبيه بالقرد يقال إنه شوهد في جبال حملايا وشمال غرب المحيط الهادىء.[١٠]

وكان غريم نفسه متخصصاً بعلم طبقات الأرض وعاش معوزاً في بداية الأمر.[٢] وهو أبرم بين العامين ١٩٥٢ و١٩٥٣ خمساً وعشرين صفقة تجارية تتعلق بحفر آبار نفطية ولم يوفق الى استخراج شيء البتة. وفي هذا يقول: "إن هذا مدعاة إلى الذل حقاً." وكان غريم معدماً إلى حدّ جعل شركة الهاتف مرة تقطع خطه مدة شهر.

على أن غريم شرع في حفر البئر ٣٦ بعد فترة قصيرة فوجدها غزيرة الدفق وبلغت قيمة إنتاجها اليومي ٣٥٧٠ دولاراً. فخلص غريم من العوز الذي كان فيه. وبات يملك في ما بعد آباراً منتجة راوح عددها بين ثلاثمئة وأربعمئة. وكان مدمناً العمل تدور حياته حول نادي ابيلين للنفط في ولاية تكساس والصفقات التي يأمل عقدها.

ولم تختلف طريقة غريم في أعماله التجارية عن تلك التي تعتمد عادة في تجارة النفط وتختصر بتحديد الامكانات المتوافرة ثم إعداد مشروع وجعل أحدٍ ما يتبناه ومن ثم تنفيذه. والملحوظ أن معظم المساهمين في مشروع إنقاذ حطام التيتانيك كانوا من رجال النفط المستقلين والمتخصصين بعلم طبقات الأرض والمهندسين. وعلى رغم أن بعض الناس اتهموا غريم بالمبالغة في توقعاته المتعلقة بإنجازات البعثة فهو لم يكن أصلا يقصد إنقاذ الحطام. وفي هذا يقول: "كنت أرى دائماً أن إنتاج فيلم سينمائي وتطوير الأجهزة الضرورية والعثور على السفينة تكفي لتعويض التكاليف."

وفي مرصد لامونت - دويرتي الجيولوجي التابع لجامعة كولومبيا قرأ عالم المحيطات الدكتور وليم ريان في الصحيفة أخباراً عن مشروع غريم وأعجب بنتائجه العلمية المحتملة.

وكتب ريان إلى غريم عارضاً مساعدته ومقترحاً استعمال سونار يُجر تحت الماء في مكان عميق ويستكشف جوانب المياه(٤). واقترح عليه أيضا الاستعانة

(٤) Side-Scan Sonar

بصديقه فريد سبيس العامل في مؤسسة سكربس لعلم المحيطات في لاهولا بولاية كاليفورنيا والذي كان رائداً لتطوير هذا السونار. وراقت غريم أفكارُ ريان ورأى أن ارتباطه بجامعة كولومبيا يضيف الى المشروع مقداراً من الصدقية. وفي مقابل مساعدة ريان له وهب غريم جامعة كولومبيا ٣٣٠ ألف دولار لصنع سونار يُجرّ تحت الماء ويستكشف جوانب المياه لمؤسسة لامونت - دويرتي، على أن يسع غريم استعماله خمس سنوات. وقد أمّن هذا المال أيضاً الدعم التكنولوجي اللازم لتشغيل السونار خلال بعثة غريم.

كلمة "تيتانيك"

في الأشهر اللاحقة حضّر علماء لامونت - دويرتي ومؤسسة سكربس الاختبارات الضرورية لتحديد موقع الهيكل في منطقة تبلغ مساحتها ٧٧٥ كيلومتراً مربّعاً. وفي سبيل هذه الغاية استؤجر المركب "هـ. ج. و. فاي" الذي يبلغ طوله ٥٥ متراً من شركة ملاحة في بورت افرغليدز بولاية فلوريدا في مقابل سبعة آلاف دولار يومياً.١١

وبين ٣١ يوليو (تموز) و١٦ أغسطس (آب) ١٩٨٠ رُسمت خريطة مفصلة لمنطقة في شمال المحيط الأطلسي تبلغ مساحتها نحو ١٣٠٠ كيلومتر مربع. ووُجدت بواسطة الوسائل السمعية ثلاثة مواقع على الاقل تطابق حجم التيتانيك. إلا أن الحظ سدّد ضربة قاسية إلى البعثة إذ هبت عاصفة اقتلعت مقياس المغنطيسية الأساسي. فصنع سبيس جهازاً آخر من قارورة شامبو وسلك من مولد كهربائي. غير أن الطقس ساء وقلّ الوقود ونفدت المؤونة فتوجه المركب فاي الى بوسطن.٩

وعندما رجعت البعثة إلى الميناء بدا أن عدداً من أعضائها يظنون أنهم عثروا على الحطام، لكن ريان وسبيس كانا يشكّان في هذا الأمر.٢ وكان بين المشكلات التي واجهت البعثة في عملية البحث الطبيعة المعقدة والمتغيرة لقعر المحيط في منطقة الحطام. وقال ريان ان المكان الذي استقرت فيه التيتانيك هو "احدى كبرى المناطق في شمال المحيط الأطلسي المعروفة بتشويشاتها المغنطيسية الطبيعية." فالتيتانيك غرقت قرب ما يعرف بالحافة الشاذة - ج (٥) وهي بقايا بركانية عمرها ١١٠ ملايين سنة ولها قوة مغنطيسية غير عادية.

وقال ريان ان التموجات المنبعثة من السونار أتاحت الحصول على عدد من أفضل الصور وأوضحها وأكثرها تفصيلا لقعر المحيط حيث تتداخل التراكيب الجيولوجية في الأرضيات العميقة.

ووصف علماء البعثة المنطقة المسماة "الهامش القاري" (٦) بأنها "مشهد بحريّ مثلّم يمثّل الكوارث الطبيعية التي يبدو جلياً أنها تحدث بسرعة تفوق التوقع."

وعلى عمق يراوح بين ٣٦٠٠ و٤٠٠٠ متر انبسط حوض لتصريف المياه أحدثته التيارات السريعة تحت الماء وأتى مشابهاً للأودية ولمصبات الدلتا التي

(٥) J-Anomaly ridge
(٦) Continental margin

حفرتها الأنهر. وكشف السونار أخاديد وأودية وحافات وشلالات وأتلاماً ولّدتها الانهيارات وكوماً من الأنقاض متناثرة.

وخلال النظرة الاستطلاعية إلى المكان ظُنّ أن بعض الحافات وأكوام الانقاض هي أجزاء من حطام السفينة. فصورة السونار الدقيقة التي التقطت لأحد الأجسام وظهر فيها الطول الصحيح والعرض الصحيح والعلو الصحيح لسفينة التيتانيك تبيّن أنها صورة حافة أحد الاودية البحرية.

وقال ريان آخذا في الاعتبار الطبيعة المعقدة لأرض المنطقة: "الاحتمال ضئيل أن تستقر التيتانيك في مساحة منبسطة لا يحجب الرؤية فيها شيء."

وقال بالارد: "كنت أرى دائماً أن تصوير التيتانيك على نحو مرضٍ، وليس العثور عليها، هو أصعب ما في اللغز. فالمطلوب رؤية كلمة "تيتانيك" مكتوبة على مقدمها."

أما غريم فوعد بثقة راسخة بأن تلتقط بعثة "التيتانيك ٨١" صوراً للسفينة لا تدع مجالا للريبة في أنها صور الحطام الغارق.

قطعة واحدة!

أبرم غريم اتفاقاً مع المؤلف وليم هوفمان يقضي بأن يسجل هذا يومياته خلال بعثة ١٩٨١. واليك ما قاله هذا المؤلف في مركب الاستكشاف:

على رغم أن المركب "غاير" يبلغ طوله ٥٣ متراً وحمولته الاجمالية ٢٩٧ طناً فهو سُجّل في تكساس على أنه زورق آلي لأنه لا يمكنه شحن بضائع أو تلقي أجر من الركاب. والغاير زورق استثنائي. وهو مجهز بتكنولوجيا متطورة جداً كان لبرنامج الفضاء في الولايات المتحدة الفضل في تطوير ما يزيد على نصفها. وتتضمن هذه التكنولوجيا أجهزة ملاحة متقدمة جداً وأدمغة الكترونية. والى ذلك فان أجهزةِ جامعة كولومبيا التي طوّرها سكربس وأُنجزت بمال غريم اشتملت على سونارات تستكشف الماء في اتجاه علوي وسفلي وأمامي، وليس فقط في اتجاه جانبي. وفي امكان هذه السونارات التغلغل عبر ترسبات المحيط اذا تبين أن التيتانيك دفنت في قعره.

وفي حال العثور على التيتانيك على نحو اكيد فقد كان المليونير غريم يزمع الاستعانة بالغواصة ألومينو التي تملكها شركة "رينولدز انترناشونال" لانتشال الحطام. والمعروف أن هذه الغواصة هي كبرى الغواصات التي تملكها شركة خاصة، وتشتمل على أذرع خارجية يبلغ طول كل منها ٢٧٥ سنتيمتراً ويمكنها الوصول إلى داخل السفن الغارقة وانتشال بعض الأدوات. ويذهب بعض الروايات إلى أن ثروة من السبائك الذهبية والألماس اندثرت بغرق التيتانيك. ولا ريب في أنه كان على متنها عدد لا يحصى من النفائس، غير أنّ التمكن من استرجاع أي شيء يقتضي إنفاق ثروة كبيرة، إذ إن كلفة الغاير وحده بلغت ٧٥٠٠ دولار يومياً.

وكانت فلسفة فريد سبيس في البحث نتاج أكثر من أربعة عقود أمضاها في البحر وحقق خلالها نجاحات لا تحصى في العثور على حطام السفن الغارقة. فهو

درس تحقيق مجلس الشيوخ الأمريكي المتعلق بكارثة التيتانيك كما درس تحقيق هيئة التجارة البريطانية. وكان يعلم من خلال تقارير لشهود عاينوا الكارثة أن التيتانيك كانت لا تزال قطعة واحدة عندما هوت الى قعر المحيط. وكان وثيق الاطلاع على حوادث غرق أخرى هوت فيها السفن تحت سطح الماء من دون أن يتحطم أي جزء منها ومن دون أن تصاب بأذى عند اصطدامها بقعر المحيط. وفي هذا كتب سبيس: "بدا معقولا ألّا تكون التيتانيك مصابة بأذى كبير من خلال الصورة التي تتكون لدينا عبر موجات السونار العائدة الينا وعبر أجهزة السونار الخاصة بمراقبة الجوانب.

كان العلماء يعلمون جيداً أين ينبغي أن تكون التيتانيك، إلا إذا كان مستوى ملاحيها رديئا الى حدّ يجعل الخطأ في تحديد المكان الذي انطلق منه نداء الاستغاثة يتجاوز مسافة ١٨ كيلومتراً. وبدا ذلك مستحيلا لأنه يعني أخطاء مماثلة للسفن الأخرى التي وجدت في المنطقة.

والواقع أنه كلما تمّ تحديد الهدف على نحو أولي بواسطة التشويش المغنطيسي أو من خلال السونار، كان هذا يعني أن الغاير قطع المنطقة المثيرة للاهتمام قبل وقت طويل لأن العربة التي كان يجرّها ربما كانت تبعد عنه مسافة ثلاثة آلاف متر الى خلف. ولا شك في أن رجوع العربة الى المنطقة الموعودة مرة ثانية أو ثالثة، بدرجات انحراف ومسافات متفاوتة، يقتضي وقتاً يراوح بين أربع ساعات وست على الأقل لمعرفة المزيد عن خصائص الهدف. ولا ريب في أن الملاحة الحاذقة أساسية في هذا المقام.[٣]

مروحة التيتانيك؟

من "الأهداف" الأربعة عشر التي حُدّدت عام ١٩٨٠ اعتبرت ثلاثة حَرِية بالاهتمام، إلّا أن أياً منها لم يثبت في بعثة ١٩٨١.[٤] وعُقد اجتماع عالي المستوى اقتصر على غريم وسبيس وريان، واتخذ قرار بتوسيع رقعة البحث. فقد كان غريم دفع أجرة الغاير فترة طويلة وكان مهووساً بالعثور على التيتانيك فلم يكن التخلي عن البحث أمراً ممكناً.[٣] وتابع هوفمان وصف المشاعر المتضاربة على متن المركب:[٤]

هبت الريح عاصفةً ودافئة في مركز المراقبة على الرافعة ورحنا نبحث بضراوة في قعر المحيط. وربما كانت رداءة الطقس خير كفيل لاخفاقنا. ولم يكن الغاير كبيراً الى حد يجعله قادراً على العمل بفاعلية في المياه الهائجة. وأشار ريان إلى أن ما توصلنا اليه يمكن أن نجني منه فوائد جمة في المستقبل. ولكن بما أن الوقت كان آخذاً في الانقضاء فقد كان المستقبل آخر ما يهمّ غريم في هذا المقام.

ونظرنا الى صور فوتوغرافية التقطت في جولة طويلة عبر وادي التيتانيك. فشاهدنا شيئاً بدا كأنه أنبوب هوائي كما شاهدنا فوهة مدفع وقطعة من أنبوب وقطعة معدنية أخرى ذات حجم وشكل أشبه بسرير كبير مثقوب في الوسط. ورأى غريم أن هذه الأنقاض "ربما كانت من التيتانيك."

وكان علينا التخلي عن المركب بعد يوم واحد فقط لأنه كان مؤجّراً لدائرة المسح الجيولوجي في الولايات المتحدة وينبغي أن يعود إلى بوسطن. ولم يكن غريم ليرضى بذلك، فاستعر غضبه في اتصالات لاسلكية طوراً، ولجأ الى التملق والالتماس والتهديد والمنطق والعاطفة أطواراً. فوافقت دائرة المسح الجيولوجي على منحنا مهلة يوم آخر.

وحلّت "سمكة" لامونت - دويرتي المزوّدة جهازاً يمكنه تصوير أفلام سينمائية محلّ جهاز سكربس الخاص بالجرّ على أعماق كبيرة. وصورنا أفلاماً خلال مرورنا في الوادي، الى ان انتهت المهلة المحددة لنا.

وبدا غريم أشبه برجل اقتيد كي ينفّذ فيه حكم الاعدام. فأجرى اتصالا لاسلكياً التمس تمديد المهلة "يوماً واحداً فقط" ثم ساعة واحدة وأخيراً "نصف ساعة" فتمت الموافقة على منحه ثلاثين دقيقة إضافية.[٣]

وفي طريق العودة الى بوسطن احتشد عدد كبير من الركاب في ردهة الغاير لمشاهدة الأفلام التي تمكن تلفزيون ريان الملون من التقاطها في اليوم الأخير. وكتب هوفمان في هذا الصدد:[٤]

كان ذلك خلال الدقائق الثلاثين الأخيرة أي خلال نصف الساعة الذي التمسه غريم من دائرة المسح الجيولوجي. ولم يكن أحد منا مستعداً لما سيأتي. فقد كان ذلك هائلا وغير متوقع بحيث حبس أنفاسنا.

لقد وثب غريم من كرسيّه كأنه قُذف بمدفع. وقال من فوره إن تلك مروحة من التيتانيك. وأمر بعرض الشريط ثانية. وتكرر عرضه مرات كثيرة من دون أن يشبع نهم الرجل الثري الذي ظلّ يرى المنظر مثيراً. وكانت مذهلة مشاهدة ذلك الجسم في بحر لا حياة فيه ولا يعرف المياه المتدفقة. وبدا كأنه مروحة التيتانيك التي تزن ٢٦ طناً. وكان الشريط التلفزيوني لافتاً حقاً لأن ما التُقط ظهر فجأة أمام الأعين أعجوبة لم تلبث أن اختفت.

هدف اختبار

أسرع المليونير الى غرفة الاتصالات اللاسلكية. والحق أنه جازف بمال كثير للعثور على السفينة الاسطورية وأحس أن هذا الأمر تحقق. فهل يمكن أن يبلغ امرؤ حداً من الجهل يمنعه من تمديد المهلة ؟

والواقع أن الحكومة بلغت مثل هذا الحد. فقد حصل غريم على مهلة يوم ولن يحصل على المزيد. وراح غريم يتوسل تارة ويلقي الخطب الرنانة طوراً. ولم ينقطع عن المحاولة حتى عندما بدا جلياً أن تحقيق طلبه أمر متعذر.[٣] وعاد مركب الغاير الى بوسطن وذاع خبر الاكتشاف الذي حققه غريم. على أن أياً من ريان الذي التقطت أجهزته الصور ومن العلماء الذين شاهدوا الصور لم يبدِ استعداداً للتسليم بأن ذلك كان مروحة التيتانيك.

وعام ١٩٨٣ أرسلت بعثة لمتابعة العمل، إلا أن الرياح الهوجاء التي استمرت في الهبوب جعلت متابعة البحث مستحيلة. وبدا أنه لم يكن هناك مفرّ من اعتبار النتيجة المؤلمة، إذ أضافت التيتانيك خيبة جديدة إلى خيبات جاك غريم السابقة.[٤]

كان روبرت بالارد يشبه رواد الفضاء في بعض صفاته.[١٣] وكان طويل القامة رياضياً اشتهر كغواص ماهر يستكشف أعماق البحار. وفيما كانت بعثة غريم تتابع عملها كان بالارد "يراقب من الخطوط الجانبية" مبدياً انفعالات متنوعة.[١٤] وفي هذا قال: "لقد أقنعتني جهودهم أن مفتاح اكتشاف التيتانيك يكمن في تأمين الوقت الكافي لانجاز بحث شامل في منطقة تراوح مساحتها بين ٣٥٠ و٤٠٠ كليومتر مربع."[١٣]

ولجأ بالارد إلى "صديق قديم في فرنسا" كي يربح وقتاً أطول في البحر للبحث عن الحطام المراوغ. ولم يلبث أن ضمّ جهوده إلى جهود جان جاري وجان لوي ميشال العاملين في المؤسسة الفرنسية لسبر البحار(٦).[١٤]

وكان مهندس الالكترون جان جاري سمع بسفينة التيتانيك للمرة الأولى من جدته التي "استرعى انتباهها ان أولئك الأغنياء والمشاهير ماتوا على نحو لائق. ولو أخبرني أحد أن الحطام سيعثر عليه يوماً في قعر البحر لوجدت ذلك طبيعياً جداً. فقد كنت مولعاً بقراءة المؤلفات العلمية الخرافية للكاتب الفرنسي جول فرن وكنت أصدق ما يقوله."

وساعد جاري في تطوير غواصة الأعماق "أرخميدس" التي صممت للنزول إلى عمق ٣٣٥٠ متراً. وأصبح في ما بعد رئيس قسم "العمليات الجارية تحت الماء" في مؤسسة «IFREMER».

أما جان لوي ميشال الذي كان هو أيضاً مهندساً فقد نشأ في الجزائر حيث كان البحر جزءاً من حياته اليومية. وبعد خدمته في الهيئة الفرنسية الخاصة بما تحت الماء التحق بمؤسسة «IFREMER» العريقة حيث ساعد منذ البداية في إعداد العربات والأجهزة اللازمة للبعثة الفرنسية - الأمريكية "فاموس" التي انخرط هو وبالارد أولا في فريقها.

وحل أم عظام؟

يقول ميشال في البحث عن التيتانيك: "كان عليّ العثور على الحطام. وقد تعين عليّ ذلك بكل بساطة من أجل أولادي. فأنتم لا يمكنكم أن تتخيلوا السخرية التي تعرضوا لها في المدرسة لأن والدهم كان يبحث عن التيتانيك التي يعلم الجميع أنه لا يمكن العثور عليها."[١٥] وكان بالارد يشارك «IFREMER» ومكتب الأسطول الامريكي للأبحاث البحرية في الرأي أن التيتانيك كانت في الأساس هدفاً لاختبار النماذج الأصلية لمركبات تحت الماء تجعل المرء يشعر كأنه في قعر المحيط، وذلك باعتماد تكنولوجيا الفيديو لارسال "ذهننا" إلى قاع البحر من دون أن تضطر أجسادنا إلى النزول. وسيتيح ذلك للعلماء مشاهدة مناطق واسعة من قاع البحر تتضمن جباله وأوديته وصحاريه التي لم تسبر أغوارها من قبل.

بدأ ميشال الذي اكتسب خبرة واسعة في شؤون التيتانيك، دراسة شاملة لسجلات السفينة وللسجلات البحرية ذات العلاقة بغرقها. وفي هذا يقول ميشال:

(٦) Institut Français de Recherche pour l'Exploitation de la Mer «IFREMER».

"لقد حدّدنا على خرائطنا المنطقة التي يحتمل وجود التيتانيك فيها معتمدين على هذه المعلومات التاريخية. ورأينا أن موقعها ينبغي أن يكون ضمن مساحة عشرين كيلومتراً مربعاً. وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٥ بتنا على استعداد للذهاب بعدما نلنا موافقة الحكومتين الفرنسية والامريكية على تمويل الرحلة."١٤

ولم يكن بالارد وميشال متأكدين من صفاء الماء في مكان الحطام، "ففي قعر المحيط تيارات مرعبة تقلب الأشياء" على حد تعبير بالارد، "وكنّا نخشى ألّا نتمكن من الانتفاع بآلات التصوير في منطقة ليست الرؤية فيها واضحة البتة."

وأجرى الرجلان بحثاً دقيقاً حول زلزال ١٩٢٩ الذي هزّ منطقة غراند بانكس القريبة من نيوفاوندلاند حيث غرقت التيتانيك. وفجأة انقطع عدد من خطوط الهاتف وأسلاك التلغراف تحت الماء. وانهارت كمية ضخمة من الصخر منحدرة بسرعة ٥٥ كيلومتراً في الساعة من الافريز القاري(٧) الى السهول العميقة على بعد مئات الامتار نزولا.١٦

ويقول بالارد في هذا الشأن: "كان أحد الأسئلة التي دارت في خلدنا هل أثر هذا الانهيار في الحطام فدفنه أو كسّره وأضعف قدرة السونار على تسجيل إشاراته؟" وتساءل وزميله: هل تكون الصور التي سيلتقطانها لأراضٍ من الوحل هي لعظام التيتانيك؟

وفي ١ يوليو (تموز) غادر ميشال وفريقه ميناء برست في فرنسا على متن مركب البحث الفرنسي "لوسوروا".

"ووصلنا الى منطقة التيتانيك بعد ثمانية أيام. وفي ١١ يوليو (تموز) بدأنا نحصد المرج." وهذه هي العبارة التي تستعمل للكنس الدقيق، إلى خلف وإلى أمام، مع الاستعانة بأجهزة تصوير وإنصات تغطي كل متر مربع في منطقة البحث.١٤

وفي نهاية سلك يبلغ طوله ألوف الأمتار كان المركب لوسوروا يجرّ "قطاراً" من الاجهزة الدقيقة. وبدت أولا مركبة الأجهزة الصوتية التي يبلغ طولها خمسة أمتار ويلقبها الفرنسيون "السمكة"، وهي تتضمن وحدات سونار للمراقبة الجانبية والمراقبة العمودية. ثم ظهر سلك طويل يجرّ مقياساً للمغنطيسية يكشف عن أشياء لا توجد عادة في أماكن مماثلة. ويشرح بالارد ذلك قائلا: "إن السونار المستعمل للمراقبة الجانبية يساعد في البحث عن الحطام الأساسي الذي يظهر كصورة رادارية كبيرة في السونار. وفي الوقت نفسه يخبرنا مقياس المغنطيسية إذا كان ما ننظر إليه جسماً معدنياً."١٣

وقال ميشال: "لقد صرفنا نحو ساعتين لوضع الأجهزة في المكان الملائم، على عمق نحو خمسين متراً فوق قعر المحيط. وكلما أردنا إخراجها من الماء استغرق ذلك وقتاً مماثلا. وكانت رداءة الطقس تضطرّنا إلى إخراج "السمكة" بعد كل "حصاد" لنعود الى نقطة البداية وننزلها من جديد."

ومما زاد المشكلة تعقيداً أن الطقس ازداد رداءة وهبّت ريح هوجاء استمرت ٣٦ ساعة.

(٧) Continental shelf

واستؤنف البحث في ما بعد. ويذكر ميشال "أنّ الطور الثاني من البحث انتهى من دون العثور على التيتانيك. فعلى رغم أننا فحصنا منطقة أكبر من باريس بثلاثة أضعاف ونجحنا في استعمال الجهاز الصوتي الذي يجره المركب للمرة الأولى، فقد منينا بالاخفاق."

وكان اليوم المحدد لانتهاء رحلة لوسوروا هو ٧ أغسطس (آب). وفيما كان المركب يستعد للابحار الى جزيرة سان بيار الفرنسية قرب ساحل نيوفاوندلاند شاهد ميشال وبالارد قوزح قزح قريباً من الجنوب. وبدا ذلك فألا حسناً.[١٤]

مساران جديدان

في ٣ أغسطس (آب) ذهب بالارد وميشال الى جزر الازور للقاء سفينة الابحاث "كنور" التابعة لمؤسسة وودز هول والتي تزن ٢١٠٠ طن ويبلغ طولها ٧٥ متراً. وبعد يومين أبحرا للبحث عن التيتانيك في منطقة تبعد ٤٥٠٠ كيلومتر.[١٤]

والسفينة كنور مجهزة بلاقط ملاحي يستقبل اشارات قمر اصطناعي ويمكنها تحديد موقعها في أي مكان على الكرة الأرضية بحيث لا تزيد نسبة الخطأ على مئة متر. وهي مزودة أيضاً مروحتين دائريتين، واحدة في المقدم وواحدة في المؤخر، وهما عبارة عن اسطوانتين مثبتتين في موازاة أسفل بدن المركب. وهناك ست شفرات شبيهة بالمجاذيف تنتأ عمودياً – الى أسفل – من كل أسطوانة. وتدور الاسطوانتان، وبتغير درجة انجدار كل شفرة تتحرك السفينة الى الامام أو ترتدّ الى الوراء أو تتحرك جانبياً أو تدور على نفسها دورة كاملة.[٩]

وتبادل العالمان الادوار، فرأس بالارد عملية البحث ورأس ميشال عملية المراقبة التي تتم بين الثانية عشرة ظهراً والرابعة بعد الظهر وبين منتصف الليل والرابعة فجراً. وفي هذا يقول بالارد: "هذه هي الفترة التي تتطلب أكبر جهد جسدي، لذلك نخصص لها دائماً أفضل رجالنا. وذلك هو البرنامج الذي حُدّد لميشال في "عربة المراقبة" الصغيرة التي أقيمت في ميمنة السفينة على السطح الخلفي.

وكانت منطقة البحث تشتمل على ثلاثة أنماط من الأرض. الأول يتضمن وادياً تجري فيه الأنهار، والثاني يتضمن كثباناً من الرمل لا تختلف عن كثبان الصحراء، والثالث يتضمن منحدراً وحلياً هو من آثار زلزال ١٩٢٩. أما الفوهات التي وجدها الفرنسيون فيمكن أن تكون وليدة انفجار خزانات الوقود في أثناء تفكك التيتانيك. واتضح أن هذه الفوهات هي نتوءات طبيعية أقدم كثيراً من التيتانيك.[١٣]

وقال بالارد: "استناداً إلى البيّنات التي لدينا افترضنا أن الحطام سيكون "ريشة" من الأنقاض يبلغ طولها حوالى ١٥٠٠ متر وأنه يغلب أن يكون موجهاً الى ناحيتي الشمال والجنوب."[١٤] لذلك اعتمدت في البحث شبكة متسامتة(٨) ذات خطوط شرقية – غربية بدلا من

(٨) الشبكة المتسامتة (grid) ذات خطوط افقية وعمودية متساوية الابعاد تستخدم في اعمال المساحة.

أسلوب "حصد المرج". ويمكن تحسين فرص الكشف عن الانقاض الصغيرة بانزال آلة تصوير فيديو الى القعر.[١٣]

واستخدم في عملية البحث مسباران جديدان للاعماق هما "أرغو" و"انغوس". وكان أبرزهما أرغو الذي يشبه المزلجة ويساوي حجمه حجم السيارة. وهو مجهز بسونار وأنابيب الكترونية وامضة وقوية وجهاز فيديو متطور صمّمه بالارد والفريق الخاص بأعماق البحار الذي يعمل معه في وودز هول. ويزن هذا المسبار طنين ويمكنه العمل على عمق ستة آلاف متر. وهو مثل الجهاز الصوتي الفرنسي يجرّه سلك متّحد المحور(٩)[١٤] مغلف بالفولاذ وتبلغ قدرته على التحمل ١٣ ألفاً و٥٠٠ كيلوغرام وينقل الطاقة الى المسبار ثم يعود بالمعلومات الى ظهر السفينة.

ولم يمض بعض الوقت حتى تضاءل الاهتمام بالبحث عن التيتانيك في المكان الذي كان يفترض ان تكون غرقت فيه. وفي المساء بات في وسع الملاحين مشاهدة أحد فيلمين سينمائيين. الأول هو "ارفعوا التيتانيك!" المقتبس من كتاب كلايف كسلر والثاني هو "ليلة لا تنسى" المقتبس من قصة والتر لوردز.

اللحظة الحلم

في وقت لاحق كتب ر.ج. بوين قبطان كنور: "كانت مكتبة السفينة مزودة مرقاباً تلفزيونياً ينظر عبره الملاحون الذين أنهوا عملهم. وليلة بعد ليلة كنا نشاهد الوحل والرمل والسمك أحياناً. وكنا لا نزال نرى الصور التلفزيونية جذّابة، وأحياناً نشاهدها مدة ثلاث ساعات أو أربع متعاقبة أملا في ظهور بعض الأنقاض على الشاشة."

وتعاقبت الايام وتضاءل الأمل في العثور على التيتانيك. وبات مألوفاً أن تظل الاعين محدقة إلى مرقابات الفيديو والآذان مصغية الى موسيقى الروك اند رول والموسيقى الريفية والأفواه منتفخة بالفشار (بوب كورن).[١٣] وكان شهر أغسطس (آب) في طريق الانقضاء و"نافذة الطقس" في طور الانغلاق.

وفي ليل ٣١ أغسطس (آب) وأول سبتمبر (أيلول) وصل جان لوي ميشال وفريقه إلى عربة المراقبة للمناوبة من منتصف الليل الى الرابعة فجراً. واتخذ ميشال مركزه المعتاد في منصة القيادة. وكان معه ستة ملاحين آخرون تولّوا مراقبة "المقبرة" وبينهم الملاح وعامل الفيديو وخبير السونار.

وذهب بالارد الى حجرته كي يستحم ويرتاح ويقرأ صفحات في كتاب "ييغر" وهو سيرة ذاتية للطيار الذي قاد طائرة «X-1» في مرحلة التجربة.

وفيما السفينة كنور تشق طريقها بحذر راحت عين أرغو الساهرة تسجل ظهور قطع الأنقاض. فبدت على شاشة الفيديو صور رمادية للفحم ولقطع من الانابيب المعدنية. ورأى ميشال وقد أخذ انفعاله في الازدياد "أن هذا يمكن أن يكون هي. وتابعنا المراقبة نحو خمس دقائق إضافية ظهرت خلالها أجزاء أخرى من الحطام. وكلما شاهدت صورة جديدة أدركت أن هذه اللحظة ينبغي أن تكون

(٩) Coaxial cable

تلك التي حلمنا بها طوال هذه السنوات.
وفجأة ظهرت صورة جلية لأحد خزانات الوقود الضخمة!"

طغى شعور حاد بالدهشة والغرابة في عربة المراقبة فيما القوم يحدقون إلى الصورة. وقال ميشال: "يجب أن يذهب أحدنا ويوقظ بالارد. غير أن أحداً من الحاضرين لم يكن يريد الذهاب، إذ كانت تلك اللحظة مفعمة بالاثارة."

"هذه هي!"

في نحو الاولى بعد منتصف الليل، أي بعد دقائق، طرق الطباخ جون برتولومي باب بالارد ثم أدخل رأسه في الحجرة وهتف: "الرجال في العربة يقولون بضرورة نزولك اليهم."

فأسرع بالارد الى مركز المراقبة. ولم يكد يخطو داخل الغرفة الكبيرة المضاءة بنور أحمر خافت حتى رأى على المرقاب أول صورة فيديو لخزانات الوقود، وقال من دون تفكير: "هذه هي!"[١٣]

وكان الطباخ أيقظ أيضاً جاري الذي كان على متن كنور بصفته مديراً لمشروع «IFREMER». ويتذكر جاري "أن الطباخ قال: لقد عثروا على السفينة! فظننت أنه يمزح، لكني كنت أسمع صيحات الدهشة فأسرعت في ارتداء ثيابي وبعد دقيقتين ذهبت الى المختبر حيث وجدت أناساً كثيرين وكانت تلك لحظة ابتهاج عظيم."

وبدا بالارد وميشال وجاري في حال من الفرح وهم مكبون على دراسة صور محرك البخار التي التقطوها بواسطة أشعة اللايزر. ولم يبق هناك أي شك في الأمر. لقد أنجزوا ما كانوا يزمعون إنجازه.[١٤]

ولم يكد خبر الاكتشاف ينتشر في السفينة حتى امتلأت عربة المراقبة بالملاحين والعلماء الذين أثارهم النبأ. ووسط السرور العارم أثيرت غريزة الملاحة الجوية لدى بالارد عندما أبلغ اختصاصي بالسونار عن وجود أجسام كبيرة يمكن أن يصطدم بها المسبار أرغو. وعندما رأى بالارد أن أرغو ينبغي أن "يطير" تحت مستوى سطح التيتانيك أمر برفع العربة. ووجب تعيين موقع السفينة واحاطتها بأجهزة الاشارة وتحديد الركام ومعرفة ما بقي من الصواري والحبال.[١٣]

وتتذكر بالارد في ما بعد أنه لم تكد الأجهزة ترفع من الماء حتى "هزّتنا الناحية الانسانية. فقد كنا قريبين جداً من الوقت الذي وقعت فيه المأساة، اذ غرقت التيتانيك في الثانية والدقيقة العشرين بعد منتصف الليل. وبدا مناسباً التعبير عن الشعور الذي انتابنا، فوقفنا لحظاتٍ صامتين وانضم الينا آخرون. ولست أذكر عدد هؤلاء لكني أذكر أن الصمت أطبق علينا. وعلمت أن الضحايا قضت في غير طائل وربما أمكن انقاذها لو كان عدد قوارب النجاة كافياً أو كان المسؤول عن جهاز الاتصالات اللاسلكية في السفينة كاليفورنيان مستيقظاً أو ردّ قبطانها على الصواريخ التي أطلقتها التيتانيك. لكن اراحة انفسها أخيراً بعثت فينا شعوراً بالرضا."[١٤]

أدّى قرار بالارد رفع ارغو إلى نشوء مشكلة إذ انقطع جهاز الرافعة الذي يمسك سلك أرغو بعد انتشال العربة. ولم يكن هناك قطعة غيار بديلة، فلجأ مهندسو كنور الى قطع غيار المروحة

الدائرية وأخذوا منها بطانة معدنية وظلوا يعملون نحو ١٤ ساعة في غرفة المحركات إلى أن صنعوا للرافعة قطعة بديلة.

والغريب أن المرشد الأول إلى مكان هيكل السفينة كان مقياساً عادياً للاعماق (fathometer) على متن كنور يشبه كاشف السمك أو مقياس العمق الصوتي. وكان ارغو يستعد للنزول ثانية، غير أن الظلام أخذ يلف المكان. وفي اليومين التاليين بلغت سرعة الرياح أربعين عقدة (٧٤ كيلومتراً في الساعة) وبلغ ارتفاع الموج أربعة أمتار. وأخذ الوقت المحدد للرحلة في النفاد فراح بالارد وميشال يعملان من دون راحة وأنزلا ارغو الذي جعل يدور حول الحطام بحذر شديد.[١٧]

قبر فرعون!

قال بالارد في ما بعد: "لم أكن تناولت حبة دواء من قبل، إلا أنه خطر لي أن أتناول دواء مهدّئاً في هذه الفترة." فهو لم يكن يريد أن يرجع الى الاسطول ويعلن فقدان المسبار الثمين قائلا: "أنا آسف لذلك."

وكان القبطان بوين محقاً في ملاحظته أن "أكثر ما كنا نخشاه هو أن تتشابك مزلقة أرغو مع أجهزة التيتانيك ومداخنها. واذا حدث ذلك فإن كنور ستثبّت الى الحطام ونضطر الى الاختيار بين المجازفة بفقدان أرغو بجذب رافعتها الى خلف ممّا قد يؤدي الى انقطاع السلك، وارخاء السلك أملا في أن تنفك العربة من تلقائها."

وفي بحر متلاطم تولى بالارد وميشال وجاري توجيه قيادة أرغو بدقة على عمق نحو أربعة آلاف متر.[١٣] فقال أحدهم للربان: "ثبّت الارتفاع على مستوى خمسين متراً." وقال للمسؤول عن السونار: "أخبرنا ماذا ترى."

وبدت على شاشات المرقاب صور باهتة. ولم يُسمع سوى صوت تنفّس عشرين شخصاً ثم سُمع صوت يقول: "إني أرى على شاشة السونار جسماً ضخماً... إنها التيتانيك! وهي راقدة على جنبها الايسر... والسونار يُرينا أشكالا تشبه المداخن."

وظهرت صور أخرى على شاشة فيديو أرغو تتضمن منصة القيادة في التيتانيك وفجوة محلّ المدخنة الأمامية وداووديات(١٠) فارغة. وظهر في ما بعد مقدم السفينة وصاريتها الأمامية وسلاسل المرساة كأنها استحالت حجراً. وبدا إحساس بالارد وهو يشاهد هذه الصور أشبه باحساس عالم للآثار فتح قبر أحد الفراعنة.[١٧]

وأضاف بالارد: "بدا التحليق فوق هيكل السفينة أشبه بالسير على قشور البيض. وتبين ان الصارية الأمامية انقلبت، لكن ارغو اقترب في لحظة معينة من التيتانيك إلى حدّ جعله يصطدم باحدى كوم الركام مما أدى الى التصاق لطخة صغيرة من الدهان بهيكله الفولاذي.[١٤]

انبعاث الذكرى

قرر بالارد مقاربة السفينة من مؤخرها، إلّا أنه فوجئ بعدم العثور عليه. فهل

(١٠) الداوودي أحد عمودين معدنيين أو ذراعين ملويتين على جانب السفينة يستخدمان لرفع مركب صغير أو مرساة وخفضهما وتعليقهما.

تحطم في مكان ما وراء الكومة الرقم ٢؟ وعمد الى إنزال انغوس، وهي آلة تصوير صامتة تعمل تحت الماء، للحصول على صور ملونة قريبة ودقيقة. وبعد تظهير الصور في وقت لاحق بدا مقدّم السفينة مغطى "بقشرة رقيقة من الترسبات تشبه عاصفة ثلجية لطيفة." وانطبعت في الأذهان صور القوارير والنوافذ المكسورة الزجاج وأطر الاسرّة وتلغراف السفينة ومنصة القبطان. على أنه لم يكن هناك أثر لمؤخر السفينة.

وحان موعد رجوع كنور الى وودز هول بعدما مضى الشهر المحدد لانجاز الرحلة. واستقرّ أرغو وأنغوس على السطح الخلفي للسفينة. وفي طريق العودة اكتشف بالارد وميشال أنهما شاهدا مؤخر التيتانيك أجزاء متناثرة. فقد بينت مراجعة الصور أن مؤخر السفينة كان موجوداً في كومة من الأنقاض تمتدّ أكثر من ١٥٠٠ متر خلف الحطام.

وفي وقت لاحق كتب بوين قبطان كنور حول رحلة العودة: "خلال الأيام الأربعة هدأت الموجات الهوائية على نحو غير مألوف إذ قطعت السفن التجارية الاتصالات في ما بينها وراحت تصغي إلى تلك التي انطلقت من سفينتنا. ولا ريب في أن الضباط والملاحين على متن السفن المبحرة حول العالم قالوا إن أحداً ما عثر أخيراً على التيتانيك.

"والواقع أن أربعة أجيال من البحّارة ترعرعوا وهم يسمعون بسفينة التيتانيك، وها قد حُلّ لغزها أخيراً وظهرت صور مثيرة رائعة للحطام والأنقاض. ولكن عندي أن أجمل الصور كانت لابحار التيتانيك في رحلتها اليتيمة، لقد كانت أكبر السفن وأفخمها في زمانها."[١٣]

وخيّل إلى بالارد وميشال وجاري وبوين وجميع البحّارة الذين سمعوا النبأ أن السفينة العظيمة المستقرة تحتهم على عمق أربعة آلاف متر قد عادت اليهاالحياة لحظةً كما كانت الحال قبل سبعة عقود حين كانت صقيلة تواقة إلى الاندفاع عبر المحيط الأطلسي والنور الذهبي ينبعث من كوّاتها ونوافذها. فهي كانت تمثل عصراً من الرغد والكياسة والفخر والثقة بقدرات الانسان.

ولم تكد إحدى وكالات الانباء تذيع الاخبار الواردة من كنور حتى بدا العالم كأنه يستغرق في الذكريات ويتفجع ويحس ألماً ولسعة لتذكر الضحايا النبيلة التي هلكت على متن تلك السفينة قبل زمن طويل.[١]

متحف صغير

بعد رجوع كنور إلى وودز هول في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥ انهمك بالارد في تلبية فضول وسائل الاعلام التي أبدت اهتماماً كبيراً بالحطام. وتلقى رسالة من أمه جاء فيها: "لقد أنجزت عملا علمياً عظيماً وأرجو أن تعيش طويلا لتشهد انتشال التيتانيك."[١٣]

على أن اهتمام بالارد الاساسي كان بحماية التيتانيك من "سارقي القبور."[١٢] فالسفينة ليست ملكاً خاصاً لأحد استناداً إلى القانون الدولي. ولحماية مكان الحطام من الفوضى التي قد تحدثها شركات الانقاذ الباحثة عن الغنائم يتعين على

المجتمع الدولي أن يعمد بسرعة وحزم الى إعلان المكان أثراً تذكارياً بحرياً.[١٣]

ويرى بالارد "ان انتشال التيتانيك يشبه محاولة انتشال الاريزونا في بيرل هاربور."[٩] فهو يحس أنّ مكان الحطام يجب ان يبقى تذكاراً لأكثر من ١٥٠٠ راكب وملّاح قضوا في هذه المأساة.[١٣] وبعد نحو شهر من اكتشاف الحطام ذهب بالارد الى الكونغرس (البرلمان) الامريكي وطالب باعلان ضريح التيتانيك صرحاً دولياً. كذلك طالب محكمة العدل الدولية في لاهاي باعلانه مكاناً يحظر انتهاكه.[١٨]

صعوبات وأخطار

مع ذلك فإن بالارد يتحدث عن اعتزامه العودة الى موضع الحطام صيف ١٩٨٦ في الغواصة ألفن التي يمكنها العمل على عمق ٤٣٠٠ متر.[١٤] ويقول: "أنا أحبّذ إنشاء متحف صغير تعرض فيه القوارير والأواني الفضية والزجاج المبقع وما شابهها."[١٧] أما ميشال وجاري اللذان يعملان في المؤسسة الفرنسية لسبر أغوار البحار (IFREMER) فيزمعان النزول الى السفينة بعربة فرنسية تدعى "نوتيل". وهذه الغواصة التي تتسع لثلاثة أشخاص وتشتمل على "مخلبين" مزودة جهازاً كالسلة تجمع فيه أشياء صغيرة وترفع الى سطح الماء في حال الحصول على إذن رسمي.[١٤]

نذكر في هذا المقام رجل النفط جاك غريم الذي قدم المال اللازم لتجديد المركب ألومينو الذي استخدم في الكشف عن القنبلة الهيدروجينية قرب الساحل الاسباني عام ١٩٦٦. ويأمل غريم الذي يدّعي ان له الحق في تفقد الحطام لأنه كاد يعثر على السفينة خلال بعثاته، أن يكشف مصنوعات توضع في متاحف مثل سميثسونيان في واشنطن. ويتعهد غريم "النزول الى هناك هذا الصيف."[١٨]

وهناك أخيراً خبير انقاذ بريطاني اسمه جون بيرس يستعجل وضع خطط تقضي باستعمال أكياس هوائية ضخمة في محاولة لرفع التيتانيك. ويقول بيرس: "إن التيتانيك سترتفع من قعر المحيط."[١٩]

قد يكون ذلك صحيحاً. ولكن على رغم التكنولوجيا الحديثة الخاصة بالغوص في أعماق البحر فإن الأمر سيكون صعباً جداً. ويذهب جون هوليس أحد أعضاء "الجمعية التاريخية للتيتانيك" إلى أن القاع هناك حافل بالأودية والكثبان وإلى أن حدوث الانهيارات الصخرية والزلازل البحرية ليس أمراً مستغرباً.

ثم ان الاسلاك والحبال مبعثرة على ظهر التيتانيك، "فاذا اتفق أن اشتبك المرء بأحدها فإنه سيهوي إلى القعر من دون أمل في النجاة،" هذا ما يقوله آرت ماركل قبطان ألومينو.

وقد تعيش في العمق الذي استقرت فيه التيتانيك حيوانات ضخمة من الحبّار. وعندما أبلغ ماركل الى غريم أنهم قد يصادفون وهم داخل الغواصة التي لا يتعدى طولها ١٥،٥ متراً واحداً من هذه الحيوانات يمكن أن يصل طوله الى ١٥ متراً، قال له رجل النفط بابتسامة عريضة: "إنه ليسعدني أن ألتقيه."

إلّا أنه إذا توافر الوقت والمال

الكافيان فقد يغدو ممكناً رفع ما تبقى من السفينة ووضعه في المياه الضحلة حيث يمكن إصلاح الهيكل ولأم الثقوب فيه وجعله قادراً على الطفو ثانية.

رواية قد تتحقق

قد يتساءل المرء هل ينبغي بذل جهد كهذا، وهل بذل هذا الجهد حقاً. وأياً يكن الأمر فإن رؤية الباخرة الاوقيانوسية العظيمة ترتفع من الأعماق لهي رؤية تستأثر بالخيال. ويمكن القول على سبيل الرمز إن كلايف كسلر صوّر هذا الحدث في روايته "ارفعوا التيتانيك!" تصويراً حياً يصلح لأن يكتب على ضريحها.[٢]

نحن الآن في السنة ١٩٨٨. وفي ما يأتي وصف المشهد في عيني ديرك بيت بطل رواية كسلر:

"انتشرت على سطح البحر موجة هائلة من الفقاعات واندفع ذيل التيتانيك في شمس ما بعد الظهيرة كأنه حوت هائل. وبدا لبضع ثوانٍ أن تحليقها فوق الأعماق لا وقوف بعده، فقد بقي مؤخرها منطلقاً نحو السماء حتى تحرّر من ربقة الماء إلى حدّ غطاء خزان الوقود. وكان منظر مذهل حقاً... فقد حجبت سيول الرذاذ السفينة في سحب من البخار متلاطمة. وظلت التيتانيك محتفظة بتوازنها بضع لحظات وهي تمزق ببراثنها السماء الزرقاء الصافية. ثم بدأت تستقر إلى أن ضربت عارضتها البحر بدفق من الرذاذ.

"كان الجميع عاجزين عن الكلام ووقفوا هناك من دون حراك مذهولين لما شاهدوه لا يقوون إلا على التنفّس. وأحسّ ديرك بيت الدمع الساخن يجري على خدّيه. وكان ذلك للمرة الأولى في ما يذكر."[٢٠]

"وصعد ديرك بيت الى السفينة وأخذ يمشي وحيداً على منصة القيادة غارقاً في أسطورة التيتانيك.

"والله وحده يعلم كيف كان شعور القبطان ادوارد سميث حين وقف في المكان نفسه وأيقن أن إنجازه العظيم كان يغرق تحت قدميه وهو يعلم أن قوارب النجاة لا تتسع لأكثر من ١١٨٠ شخصاً في حين كان في السفينة ٢٢٠٠ راكب وملاح. وتساءل ما الذي يمكن أن يمرّ في خاطر القبطان المهيب لو علم أن سفينته سيمشي عليها رجال لم يكونوا وُلدوا بعد.

Sources: 1) Michael Blow and Edward Ziegler. 2) Reader's Digest editorial summarization based on various sources. 3) *Beyond Reach: The Search for the Titanic,* © 1982 by William Hoffman and Titanic 1981, Inc., by permission of Jack F. Grimm and William Hoffman. 4) *The Titanic — End of a Dream,* © 1979 by Wyn Craig Wade, by permission of Mary Yost Assocs., Inc. 5) Robert Gannon, *Popular Science Monthly,* © 1964 by Popular Science Publishing Co., Inc. 6) John G. Hubbell, *Reader's Digest,* © 1966 by the Reader's Digest Assoc., Inc. 7) *A Matter of Risk,* © 1978 by Roy D. Varner and Wayne R. Collier, by permission of Randon House, Inc. 8) *Newsweek,* © 1968 by Newsweek, Inc. 9) Rod Redman, *Sea Classics,* © 1985 by Challenge Publications, Inc. 10) Mark Potts, Chicago *Tribune,* © 1980 by Chicago Tribune Co. 11) Kathleen Maxa, Washington *Post,* © 1981 by Kathleen Maxa. 12) John Noble Wilford, New York *Times,* © 1980 by the New York Times Co. 13) Paul R. Ryan and Anne Rabushka, *Oceanus,* © 1985 by Woods-Hole Oceanographic Institution. 14) Reader's Digest interview with Robert D. Ballard and Jean-Louis Michel, November 1985. 15) Reader's Digest interview with Jean Jarry and Jean-Louis Michel, December 1985. 16) Stefi Weisburd, *Science News,* © 1985 by Science Service, Inc. 17) Robert Ballard, *GEO,* © 1985 by Robert Ballard. 18) Chris Davis, *Popular Mechanics,* © 1985 by The Hearst Corp. 19) Audrey C. Woods, AP release, © 1985 by The Associated Press. 20) *Raise the Titanic!* © 1976 by Clive Cussler, by permission of Viking Penguin, Inc.

"ولم يلبث بيت أن استيقظ من أحلامه ومشى الى خلف على ظهر السفينة عبر الباب المغلق لحجرة الاتصالات اللاسلكية حيث أرسل جون فيليبس، المسؤول عن الاجهزة اللاسلكية، أشهر نداء للاستغاثة في التاريخ. ومرّ أيضاً بالسلّم الرئيسية حيث بقيت الفرقة الموسيقية تعزف حتى النهاية، وبالمكان الذي وقف فيه بنجامين غوغنهايم مرتدياً ثياب السهرة وهو ينتظر الموت بهدوء.

"وفيما كان بيت نازلا الى المكان الخاص بالتنزه ألفى الصارية الخلفية ناتئة من الألواح الخشبية البالية كأنها جدعة يابسة وقد بدا طرفها مبتوراً على ارتفاع مترين ونصف متر. فأدخل يده في سترته وسحب منها حزمة راح يفكها برفق. لقد نسي أن يحمل سلكاً أو حبلا لكنه جدل واحداً من اللفافة. وعندما أنهى صنع الحبل ابتعد عن الجدعة التي كانت يوماً صارية طويلة وجعل يحدّق إلى الصارية البديلة التي صنعها.

"كانت قديمة وباهتة، لكن العلم الأحمر الذي هو شعار الخط البحري "وايت ستار" والذي طواه النسيان عاد يرفرف فوق التيتانيك التي لا تغرق."[٢٠]

محررو الـ "ريدرز دايجست" ■



سهرة الولادة

عندما بلغ ابني السادسة عشرة لم يطر من عشه فحسب، بل حلّق عالياً وتلت ذلك سنة متوترة اتسمت بالعراك المستمر حول سهراته الاسبوعية التي لم أسمح بأن تتجاوز منتصف الليل. ولم أدرك حقيقة مشاعره تجاه هذا الموضوع إلّا يوم عيد ميلاده السابع عشر.

فقد جلسنا الى المائدة نراجع مجلداً يحتوي على ذكريات عائلية. وفيما أنا غارق في ذكريات يوم مولده قطع هو حبل تفكيري بقراءة شهادة ميلاده.

"هم م م م... الطول ٥٣ سنتيمتراً. الوزن ٣،٢ كيلوغرامات. ساعة الولادة ١١:٥٢ مساء. لن أنسى تلك الليلة أبداً. ففيها خرجت الى العالم ونظرت الى الساعة، فوجدت أنه لم يتبقَّ لي سوى ثماني دقائق لأعود الى البيت."

ش.ك.

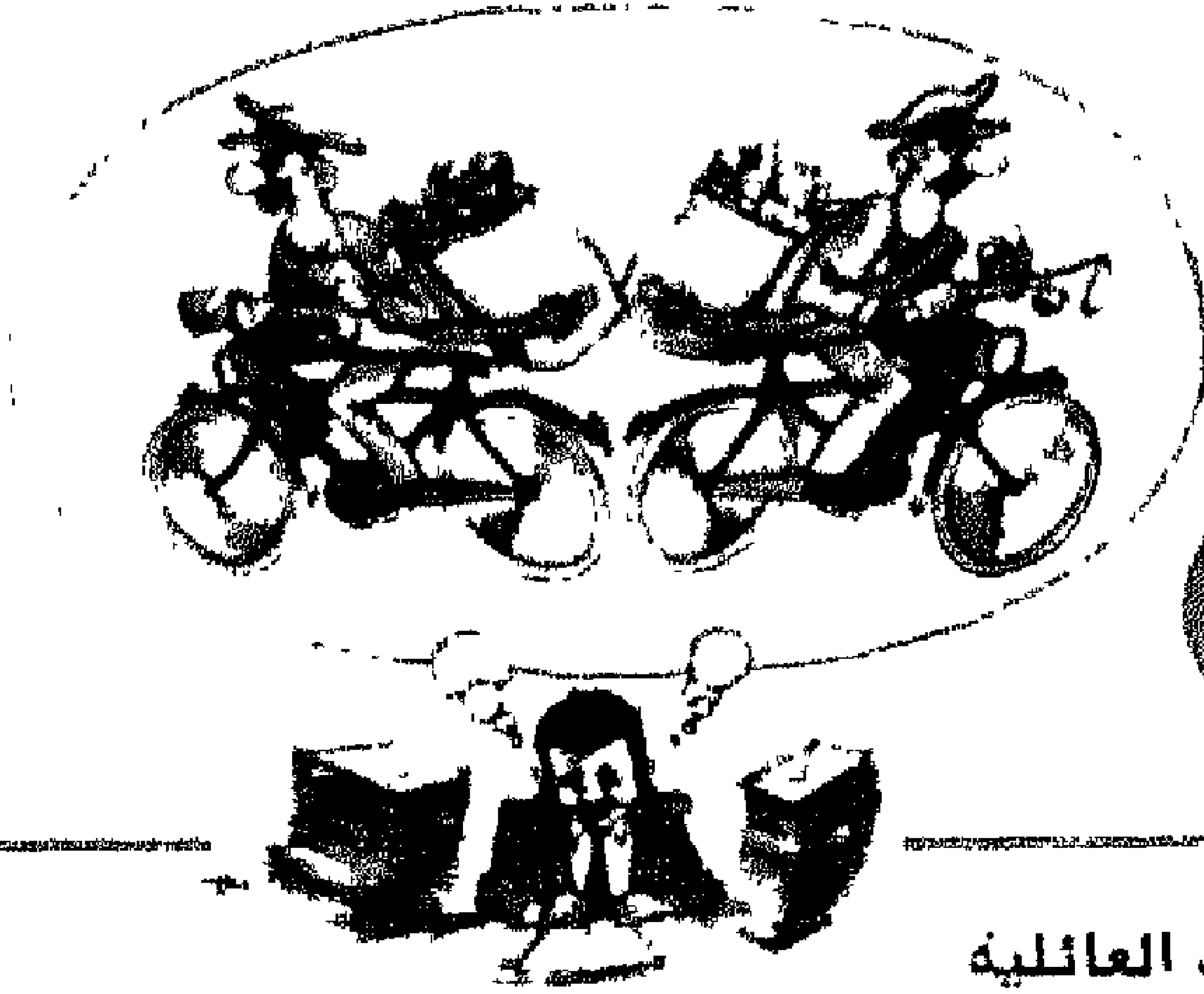
ثقة العصافير

توقف زوجي أمام مطحنة في الريف لشراء طعام للعصافير. وبعدما نقل الاكياس الثقيلة الى سيارته اكتشف أنه نسي محفظة نقوده في البيت، فأخذ يعتذر متلعثماً.

وقاطعه المزارع قائلا: "لا بأس، ستدفع لي الثمن في ما بعد. فأنا أثق بكل من يشتري طعاماً للعصافير."

هـ.ب.

اكتب واربح



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية
او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى
وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله
الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين

السدادات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن
- نحاشي المواد المترجمة او المستقاه من مصادر اجنبية
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.



"أول الصيف" للياباني شوساي ميوا

